تاريخ

المخلاف السليماني

تـــاريـــخ

المخلاف السليماني

تأليف

محمد بن أحمد العقيلي

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

منقحة - مزيدة - موسعة - مزودة بالوثائق والصور

الطبعة الثالثة

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

﴿ بســـم آلله آلرحمن آلرحيـــم ﴾

كلمات التقريظ والتنويه
التي وردت للمؤلف

اعترافاً بالفضل لأهله والتقدير لذويه ، والتشرف بعطف قادة الرأي لدينا وأياديهم على العلم وأهله ، وتقديراً للشخصيات الكريمة من العلماء ورجال الفكر في المملكة وفي العالم العربي ومواطنينا الكرام في المنطقة أورد بعض الرسائل التي تلقيتها بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب .

١ ــ رسالة من ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز بتاريخ ١٣٨١/٢/٢٠ هـ/ ١٩٦١ م [رحمه الله تعالى] .

٢ ــ رسالة من الديوان الملكي بتوقيع سكرتير جلالة الملك بتاريخ ١٣٨١/٤/١١ هـ/ ١٩٦١ م .

٣ ــ رسالة من المدير العام للإذاعة والنشر بتاريخ ١٣٨١/٢/٢٠ هـ/ ١٩٦١ م .

٤ ــ رسالة من مدير عام وزارة الصحة الدكتور يوسف الحميدان بتاريخ ١٣٨١/٢/٢١ هـ/ ١٩٦١ م .

٥ ــ رسالة من الفريق حمد الشميمري .

٦ ــ رسالة من نائب رئيس مجلس الشورى وشاعر جلالة الملك الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي ـ رحمه الله ـ .

٧ ــ رسالة من معالي الأستاذ الوزير عبد الله السعد .

٨ ــ رسالة من معالي وزير الحج والأوقاف الشيخ حسين عرب ١٣٨١/٣/١ هـ/ ١٩٦١ م .

٩ ــ رسالة من أمير عسير الشيخ تركي بن ماضي بتاريخ ٨١/١٢/١ هـ/ ١٩٦١ م .

١٠ ـ رسالة من أمير عسير الشيخ تركي بن ماضي بتاريخ ٨٢/١/١١ هـ/ ١٩٦١ م .

١١ ـ رسالة بقلم الكاتب الكبير والشاعر القدير الشيخ محمد حسن عواد رحمه الله ـ ٨١/٣/١٩ هـ/ ١٩٦١ م .

١٢ ـ رسالة الدكتور محمد شوقي السواح .

١٣ ـ رسالة بقلم الشيخ عبد الله بن محمد بن ماضي في ١٣٩٠/٧/٥ هـ/ ١٩٧٠ م .

١٤ ـ كلمة منشورة في مجلة المنهل ربيع الأول عام ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م بقلم العلامة الشيخ عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل الأغر .

١٥ ـ كلمة بقلم الشيخ محمد المعلمي العتمي من مكة المكرمة .

١٦ ـ رسالة من عالم المنطقة الشيخ عبد الله العمودي ـ رحمه الله .

١٧ ـ من كلمة للأديب أحمد عمر عباس ـ رحمه الله ـ منشورة في جريدة الندوة الغراء .

المملكة العربية السعودية		الرقم ٢/٢/٩٨
ديوان ولي العهد		التاريخ ١٣٨١/٢/٢٠ هـ/ ١٩٦١ م

حضرة المكرم السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي . . .

بعد التحية . . وردتنا رسالتكم المؤرخة في ١٤ الجاري ومعها هديتك الجزء الثاني من كتاب « الجنوب العربي » وديوان الشاعر ابن هتيمل، ونحن إذ نشكركم على هذه الهدية القيمة نقدر فيكم هذه الروح الطيبة متمنين لك دوام النجاح والتوفيق ، والله يحفظكم .. فيصـــل . . .

المملكة العربية السعودية		الرقـم ٧٨
ديوان جلالة الملك		التاريخ ١٣٨٢/٤/١١هـ/ ١٩٦٢ م
مكتب الصحافة والأنباء

حضرة الأستاذ الكريم محمد بن أحمد عيسى العقيلي حفظه الله . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد تشرفت بعرض كتابكم المؤرخ في ٨١/٢/٧ هـ/ ١٩٦١ م والموجه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم على أنـظار جلالته كما تشرفت بتسليم جلالته هديتكم المرفوعة منكم إليه وهي الجزء الثاني من كتابكم القيم (تاريخ المخلاف السليماني) ، وديوان الشاعر ابن هتيمـل الضمـدي المزين بتحقيقاتكم العظيمة عليه وتعليقاتكم النادرة على صفحاته وما أسبغتم على الكتابين من روحكم الطيبة ولقد أمرني جلالته أيده الله بأن أنقل لكم شكره وتقديره وامتنانه على جهودكم المشكورة في المساهمة بإحياء تراثنا المطمور وإلقاء الأضواء العلمية على مجاهل حياتنا الفكرية خصوصاً في ذلك الجزء الجنوبي الغالي من بلادنا . . وإنني أبلغكم فحوى الشكر الملكي أنتهز هذه الفـرصـة لأقدم لكم تحياتي مقرونة بأطيب التهاني والتبريك على هذا المجهود المشكـور الذي آمل أن يكون بداية لدراسات متسلسلة متلاحقة تقومون بها في خدمة وطن الجميع . والسلام عليكم ورحمته وبركاته .

عبد الله بلخير سكرتير جلالة الملك المعظم

المملكة العربية السعودية — الرقم ٢/٣/١١٣٤
المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر — التاريخ ٢٠/٢/١٣٨١هـ/ ١٩٦١م

المكرم الأستاذ / محمد بن أحمد العقيلي المحترم . .

بعـــد التحيـــة . . .

بالإشـارة إلى خطابكم المؤرخ في ١٦/٢/٨١ هـ/ ١٩٦١ م الخاص بعرضكم لكتابي تاريخ المخلاف السليماني وتحقيق ديوان الشاعر القاسم بن هتيمل .

وإنا إذ نقدر مجهودكم الضخم المبذول في الكتابين . ونأمل أن لا يتوقف نشاطكم التأليفي والتحقيقي عند هذا الحد . فإنا نرجو تأمين خمسين نسخة من كل كتاب منهما وتسليمهما لمستودعات هذه المديرية لأخذ مذكرة استلام ومن ثم تقديم الفاتورة بالقيمة المستحقة مشفوعة بمذكرة الاستلام لمقابلتكم بها .

مع تحياتنا وخالص تمنياتنا لكم بالتوفيق الدائم . . . وشكـــراً .

المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر
محمـــد عبد الرحمن الشـــيبانى

المملكة العربية السعودية — الرقـــم ٥٧ ع
وزارة الصحـــة — التاريخ ٢٩/٢/١٣٨١هـ/ ١٩٦١م

سعادة الأخ الكريم محمد أحمد عيسى العقيلي مدير دار الأيتام بجازان المحترم . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسرني أن أقدم لكم جزيل شكري حول هديتكم الثمينة التي قدمت لنا تحمل اسمكم الغالي وهي الجزء الثاني من المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ وديوان الشـاعر القاسم بن علي بن هتيمل وهذا يدل على شعوركم الأخوي نحونا وفقتم إلى كل ما فيه علو ورفعة نحو هذا المضمار المنير . ونرجو أن تكونوا باستمرار تقدمون المؤلفات ذات المنفعة الكبيرة لكل من سلك طريقه للبحث والعرفان . .

وتقبلوا فائق التقدير والاحتـــرام . . .

مدير عام وزارة الصحـــة
[الدكتور] *يوسف الحميـــدان*

أخي الكـريم الأستـاذ الأديب محمد بن أحمد عيسى العقيلي سلمه الله ، تحية طيبة ، أرجو لكم دوام الصحة والعافية والهناء والسرور . بيد السرور تناولت الكتابين القيمين من مؤلفاتكم بواسطة الأخ العزيز الرائد عبد الرحمن مفلح الحربي وكم كان سروري بهما لا يقدر لأسباب عديدة منها حكمة الأداء وبساطة الأسلوب مع العمق في المعاني . علماً أنني أعبر عن البداية حيث لم أصل إلى النهاية فيها لضيق الوقت ولا أود المبالغة بالوصف قبل أن أنتهي من قراءتها مع قناعتي أن الكتاب يقرأ من عنوانه ، كما يقول المثل كان الله في العون . مع شكرى وتقديري لاهتمامكم وتقديركم لنا وكان بودي مقابلتكم عندما زرت جيزان ولكن لظروفكم الصحية ولعدم المعرفة الواضحة منا أيضاً . ولكن هذه بادرة خير والله يحفظم ويرعاكم .

أخوكم الفريـــــق

حمـد الشـــميمري

حضرة صاحب الفضيلة الأديب الكبير والعلامة الجليل أخي العزيز الشيخ محمد ابن أحمد عيسى العقيلي . . . حفظه الله . . .

السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركـاتـه : وبعـد فأرجـو أن تكونوا بتمام الصحة والهنـاء . هذا وأتقـدم إلى فضيلتكم بأخلص الشكـر وأزكـاه على تكرمكم بإهداء مخلصكم مؤلفكم القيم الثمين « من تاريخ المخلاف السليماني » أو الجنوب العربي في التـاريخ . . وأتقــدم إليكم بأصـدق التقـدير والإعجـاب على ما بذلتم فيه من جهـود موفقـة . واحتملتم لأجله من أتعـاب شاقة . ويؤسفني يا أخي العزيز أن يتـأخـر شكـري هذا وتقـديري عن وقتـه بسبب واحـد مزدوج وهـو أولا أنني سألت كثيراً عما إذا كنتم بجدة أو الرياض أو بجيزان فلم أهتد إلى ذلك . . حتى الآن . . وثـانياً أنني مع مشغـولياتي الكثـيرة في الأعـمال الـرسمية والأدبية والعـائلية . فإن الأمـراض ـ عافـاكم الله ـ قد تحالفت عَليَّ لدرجة لا أملك معها إلا سرقـة الـوقـت في فرص محدودة . . ولـكـن هذا وذاك لم يدع لحظة واحــدة أنـسـى فيهـا ما غمـرتمـوني به من لطفـكم وحسن جميلكم وإني إذ أكتب لكم بيدي هذا أشعـر بكثـير من الـوجـل والخجـل في عدم قيامي بذلـك ـ حتى ولـو برقياً ـ فعسى أن يشملني عفـوكم كما غمـرني فضلكم . . وتـأكـدوا أنني

أكبر فيكم هذا المجهود العظيم وأتمنى لكم دوام الصحة والعافية والنجاح والتوفيق . . وبودي أن تدوم بيننا المواصلة دائماً وأبداً . . وأن أتشرف بأي خدمة لكم . . وأن أظفر بأي مؤلف حديث تظفر به المكتبة العربية كلها من إنتاجكم الغالي الرفيع .

وتفضلوا بقبول عميق الحب والاحترام . .

[مكة المكرمة] [حارة الباب] أخوكم المخلص الشاكر

أحمد إبراهيم الغزاوي

سلامي وشوقي واحترامي لكل الإخوان بطرفكم

وأرجو فضلا إشعاري بوصوله للاطمئنان مع الصفح والغفران

رسالة الأستاذ الكبير معالى الوزير عبد الله السعد القبلان . .

تلقيت بفائض الامتنان والتقدير مؤلفيكم المخلاف السليماني وديوان القاسم بن علي بن هتيمل وكان لذلك أكبر الأثر في نفسي وإنني إذ أشكركم أجزل الشكر لا يفوتني أن أنوه عن جهودكم الملحوظة وجهادكم الأدبي الموفق في سبيل إبراز شخصية الأدب السعودي وسماته العربية الأصيلة ، وفقكم الله لتحقيق رسالتكم وأكرر شكري الجسيم وثنائي الطيب .

عبد الله السعد

كلمة معالى وزير الحج والأوقاف السابق حسين عرب المنشورة فى جريدة البلاد بعدد ٧٧١ فى ١/ ٣/ ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م .

ولو أن كل من يحمل قلماً حاول أن يخدم إقليمه أو مسقط رأسه بالأسلوب الذي تبعه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي لاستطعنا أن نجد في فترة قصيرة تاريخاً مكتوباً متكامل الحلقات لسائر أجزاء هذا الوطن .

لقد اطلعت على كتابيه ـ المخلاف السليماني ـ ثم ديوان الشاعر القاسم بن هتيمل الضمدي ـ ولمست فيه ـ أي في المؤلف ـ الرغبة العارمة فى التتبع والاستقراء والمثابرة لضبط التاريخ وتحليله .

فهو بهذا يحمل على عاتقه أمانة المؤرخ ودقة العالم ـ وعمق الباحث ـ ونزاهة القلم .

لست بهذا أقرظه ـ ولكنى أدعو كل متعلم ـ أن يسجل أحداث بلده أو منطقته

في أي فترة لنستطيع بذلك أن نلقي بصيصاً من الضوء على الماضي المجهول من تاريخنا بمفاخره ومساوئه وخيره وشره .

إن الـــذي لا يعـــرف ماضيه ، يجهـــل حاضره ويعجـــز أن يرسم مستقبله أو يتخيله . . . الخ .

أخـــوك

حســـين عرب

رسالة من أمير عسير الشيخ تركى الماضى . . .

حضرة المحترم الأستاذ محمد بن عيسى العقيلي الموقر . . . .

بعـد التحية والاحترام إجابة لطلبكم الأول أبعث لكم بطيه أوراق خلعتها من مجموع عندي للاطلاع عليها ونقل ما ترون منها والتكرم بإعادتها وعدم إطلاع أحد عليها سواكم ولكم تحياتي وقد بعثت لكم نسخة من تاريخ الماضى أرجو أن تكون وصلتكم ودمتم . ١٣٨٢/١/١١ هـ/ ١٩٦٢ م .

المخلـــص

تركى بن ماضـــى

رسالة من أمير عسير الشيخ تركى الماضى . . .

حضرة الأستاذ النبيل الأخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي الموقر . . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . تلقيت رسالتكم الكريمة وبرفقتها هديتكم القيمـة وهي الجـزء الثاني من مؤلفكم الفذ وديوان ابن هتيمل وإنني أشكركم على أريحيتكم وكريم شعوركم وإنني أهنىء جيزان وأهالي جيزان بوجودكم لما بذلتموه من بحوث قيمة وسجلتم حوادث تاريخية وجمعتم ما تفرق من ذلك وأظهرتم للناس سفراً قيما جمع بين الماضي والحاضر فبارك الله في جهودكم وكللها بالتوفيق والنجاح . لقد سبق أن اطلعت على الجزء الثاني وبعثت لكم ببعض الملاحظات وعسى أن تسمح لي الظروف وأتمكن من تحرير ولو شيئاً قليلا مما طلبتموه مني أما تاريخ الماضي فهي نبذة قصيرة مختصرة لايصح أن تسمى مؤلفاً لأنها ليست مما ينبغى نشره ولم نقصد سوى إرشاد الأسرة ببعض ما خفي عليها خصوصاً النشء الجديد وهي إليكم بطيه للاطلاع عليها وتحياتي لكم وسلام الله عليكم .

١/١٢/٨١ هـ/ ١٩٦٢ م

المخلـــص

تركى الماضـــى

أخى العزيز الأستاذ الشاعر . .

السيد محمد أحمد عيسى العقيلي المحترم . .

تحياتي ، وقد تناولت كتابيكم القيمين : « تحليل ديوان ابن هتيمل » ، و« المخلاف السليماني » وسأسعد بقراءتهما قراءة درس وفهم ويسرني أن أخبرك أني كتبت كلمة سريعة عنهما في يوميات الندوة وستقرأها يوم الأحد ١٣٨١/٣/٢٣ هـ / ١٩٦١ م فعسى أن تكون راضياً وأرجو أن أقرأ ردك عليها واستجابتك لما فيها من اقتراح لا يصعب عليك تحقيقه وتحياتي إليك مكررة وإلى الأخ الأستاذ الشاعر محمد ابن علي السنوسي صاحب القلائد وإلى لقاء أطيب . . ،،

١٣٨١/٣/١٩ هـ/ ١٩٦١ م .

جـدة ـ العمـارية

محمـد حسـن عـواد

السيد الفاضل الأستاذ العقيلي . . .

تحياتي إليكم وجزيل شكري على هديتكم الرائعة الجزء الأول بقسميه عن « الجنوب العربي في التاريخ » ولا شك أنه مرجع هام في هذا الباب ويكفي أن مؤلفه ـ وجامعه ومحققه هو والمراجع الأصلية والخطيات ـ هو شاعر الجنوب وليس أولى بالكتابة عن الجنوب سوى كاتب من الجنوب ـ فما بالنا وهو شاعراً أيضاً : شاعر لا يقرض الشعر الجميل فحسب بل شاعر يشعر كذلك بحقيقة الجنوب الذي يقيم فيه وينتسب إليه .

أهنئكم كثيراً وأهنئك تهنئة قلبية وأكرر لكم شكري ومزيداً من السلام .

جـدة فى ١٣٧٩/٧/٦هـ/ ١٩٥٩م . دكتور ***محمد شوقى السواح***

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الأديب محمد العقيلي الموقر . .

تحية طيبة وسلاماً جماً وبعد فنحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونسأله جل وعلا أن يديم على الجميع نعمة الأمن والاستقرار في ظل رائد التضامن الإسلامي إمام هذه الأمة ورائد نهضتها وقائد مسيرتها إلى دروب الخير إن شاء الله جلالة الفيصل المفدى ، أيده الله وأعز به الإسلام والمسلمين .

ثم إنني أشكر لكم مشاعركم النبيلة تجاه أخينا المرحوم الأمير تركي الماضي واتجاهنا بما حبّرته براعة قلمكم السيال من معلومات مفيدة في مقالكم الضافي الذي نشرته لكم جريدة عكاظ الغراء بعددها الصادر يوم ٧/٦/١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م ذلك المقال - الرصين الذي إن دل على شيء فإنما يدل على وفائكم المتواصل ومزاياكم الحميدة وسجاياكم المجيدة ، ولا غرو فإن مقالكم آنفاً قد جمع فأوعى وبين للقراء الكرام أشياء كثيرة قد يجهلها السواد الأعظم من الناس ، فشكراً لشخصكم المفضال على ما نوهتم عنه وما أبديتموه إزاء آل ماضي من مشاعر طيبة هي في الواقع من نياط قلبكم المفعم بمحبة المليك والوطن وإننا لنرجو لجنابك الغالي مزيداً من التوفيق في بحوثك العلمية والتاريخية القيمة الهادفة لخدمة المليك والوطن والمجتمع ، وفقك الله ياعقيلي ولا فض فوك ، ونأمل منك أن تتحفنا بمؤلفك عن المخلاف السليماني عندما ينتهي طبعه ويظهر للناس في ثوبه القشيب لأنه يهمنا الاطلاع عليه ، كذلك نأمل أن تزودنا بكل جديد من مقالاتك الرشيقة وبحوثك القيمة وأن تبعث لنا بعدة نسخ من المؤلف المذكور بعد طبعه ، وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، وأيّ لازم أخبرونا وسلامنا لمن يعز عليكم كما هو لكم من الأبناء والله يحفظكم .

جيزان فى ٥/٧/١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م　　　　　عبد الله بن محمد الماضي

المخلاف السليماني [الجزء الثانى]
يشتمل على تاريخ المخلاف السليماني وعسير وتهامة
تأليف الأستاذ / محمد بن أحمد العقيلي
جـــــازان

إذا قلنا إنه كتاب السَّنَةِ ، فما أظننا نعدو الصواب ، ذلك لأنه أماط لنا اللثام عن تاريخ حقبة قريبة منا ولكنها غامضة مجهولة الحقائق والتفاصيل كادت الكتب المتفرقة تذهب ببعضها بدداً وبعضها لم تشمله الكتب فكاد يضيع في مهاب الريح وإذا قلنا : إن مؤلف هذا الكتاب النفيس هو مؤرخ الجنوب فما أخالنا نتجاوز الواقع والحقيقة ذلك لأنه تخصص فى هذه الناحية وحاول تحقيق هذا المطلب العسير ، فدانَ له بالشيء الكثير الوفير وآية ذلك

كتابه هذا المخلاف السليماني الوحيد الفريد في بابه ، فليس لنا نحن العرب مرجع وافٍ وكافٍ عن تاريخ المخلاف السليماني السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني والديني والأدبي سوى هذا المرجع إذن فالكتاب بحق كتاب السنة ومؤلفه الباحث الطلعة الصبور على متاعب البحث والاستقصاء والترتيب والمقارنة ، هو مؤرخ الجنوب بحق ، بدأ المؤلف كتابه بالحالة العامة في العهد الصليحي ووصف عقيدة الصليحي الباطنية المخالفة لعقيدة الإسلام ، وفَصَّل أشهر معاركهم في اليمن مع صاحب صنعاء حتى دحروه في المخلاف السليماني مع نجاح السني المذهب والعقيدة حتى استولى الصليحيون على تهامة والمخلاف ، ومن ثم تقدموا للحجاز في أيام أمير مكة شكر الحسني فاستولى على الحجاز ثم انتقض أهل الحجاز عليه فجاء من صنعاء ليعيده إلى حكمه فقتل في الطريق وما تبع ذلك أحداث وثورات بين الأطراف المتناحرة على السلطة هناك ومن طريف ما في البحث ولاية أروى بنت أحمد الصليحي زوج المكرم على اليمن وكانت قارئة كاتبة متأدبة .

والفصل كله مهم ومفيد وتحدث عن حقبة تكاد تندثر أخبارها المفصلة وهذا الفصل لأن حوادثه تقع في القرن الهجرى الخامس يتعلق ببحث الصليحيين في الجزء الأول كان من حقه أن يكون هناك ولكن المؤلف اعتذر عن إيراده ونشره في مستهل الجزء الثاني هذا بأنه لم يعثر آنذاك على مصادره الوافية فلما عثر عليها الآن وضعه ويبتدىء الجزء الثاني في حقيقة الأمر من الفصل الثانى الذى يتحدث عن الحالة العامة في المخلاف السليماني من سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩ م وهذا الفصل والفصول الإثنى عشر التي تليه هي كلها لب وفوائد جليلة في تاريخ المخلاف في شتى شكول التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني والأدبي ولذا فالكتاب ذخيرة وذخر ولا يمكن أن يستغني عنه باحث ومعني بتاريخ شبه جزيرة العرب في حقبة هي أقرب إلى عصرنا ، ومع ذلك أشد الحقب غموضاً واختفاء واحتجاباً والمؤلف مؤرخ أمين في تاريخه يذكر الحقيقة سواء كانت على من يؤرخه أو له لا يبالي بالعواطف ولا بالآراء المتضاربة وهذه ميزة يجب أن يحتفظ بها له ومن أجلها يستحق أن يوضع في مصاف المؤرخين المعاصرين الأثبات بل لا أتجاوز الحقيقة إذا

قلت : إنه من رواد التاريخ ولو كان في جامعة وقدم كتابه هذا إليها لاستحق عليه التقدير ونيل شهادة الدكتوراة في هذا الفرع الهام من التاريخ الذي تخصص في بحثه ونشر مطوياته وإيضاح معمياته وبسط مكنوناته .

وقد وفق المؤلف الفاضل إلى العثور على مخطوطات أثرية قيمة بالنسبة لتاريخ المخلاف الحديث الغامض فنشر صورها الفوتوغرافية بالكتاب فكانت كقلائد وضاءة على جيد الحسناء ومنها رسائل تاريخية على جانب كبير من الأهمية إذ بينها ما هو للسيد محمد بن علي الإدريسي ورسائل أخرى لاتقل عنها أهمية وزين الكتاب بخرائط تقريبية عن أودية سامطة وبلاد المسارحة والحرث وأودية جازان وصبيا وضمد وجبل فيفاء وغيرها إلى خريطة تقريبية لما بلغته حدود الدولة الإدريسية عام ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢ م وما إلى ذلك وقد استمر المؤلف في دراسة الحالة العامة في المخلاف السليماني لا من سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٦ م إلى سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م فقط كما ورد في استهلال الفصل الثاني من الجزء بل تجاوز ذلك إلى سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م أي قبل نشر الكتاب بسنة واحدة وبالجملة فالكتاب جدير بالدراسة وقمين بالاعتناء ويقدر مؤلفه على ما بذل فيه من جهد جهيد وقد وقعت فيه أخطاء مطبعية لاتخفى على فطنة القارىء اللبيب وقد طبع بدار الكتاب العربي بالقاهرة ويقع في ٤٣٩ صفحة من القطع المتوسط .

عبد القدوس الأنصاري

المنهل ربيع الأول ١٣٨١هـ/ ١٩٦١ م

رسالة من الشيخ محمد المعلمي العتمي من مكة المكرمة . . .

حضرة الأستاذ الجليل / شاعر الجنوب ومؤرخه السيد محمد بن أحمد العقيلي . . . .

بعد التحية والاحترام - يسرني بمناسبة فراغي من مطالعة كتابكم النفيس (المخلاف السليماني) نعم يسرني أن أبعث لكم شكرنا الجزيل وثناءنا العظيم لما لمسناه فيكم من الموهبة الربانية التى بوأتكم الصدارة الأولى كأديب كبير ومحقق قدير زادكم الله من فضله عزًّا ورفعة . . وتقبلوا تحياتي ، ،

محمد المعلمي العتمي

رسالة من الشيخ عبد الله العمــودي . .

إلى ولدي الأستاذ البحاثة الأجل محمد أحمد عيسى العقيلي حماكم الله . .

بعد أسنى السلام والتحية والإكرام والمعاهدة وإنه وصلني التاريخ هدية وإتحافاً لنا منكم ، فشكر الله سعيكم وأزادكم من معارفه فقد أحسنتم فيه كل الإحسان فما أحق أن أقول فيه هذين البيتين من القريض :

قد نورت طلعة التاريخ حين بدت
كالكوكب المشترى الوهاج في الأفق
لله در مؤلفه البحاثة النـدس
عفا على الآخرين فى وضعه الأنق

وإني رأيت في صاحبنا حمد الجاسر فيما نشره في مقدمته ما يظهر منه في عدم التبريز في نتف منه من عبر التاريخ في حق ملوك اليمن ما يعجب منه ، وإلا فهو قد أثنى عليكم فيما وضعتموه من اللياقة والثقافة وإني بالأشواق إلى تكملتــه .

وشريف السلام حرر الثالث عشر من شعبان سنة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م .

والدكــم
عبد الله العمــــودي

موجز كلمة الأستاذ / أحمد عمر عباس المنشـــورة في جريدة النــدوة الغــراء

لمحات أدبية وسياسية . . .

وعلى ذكر آل المتحمي وابن مسلط وابن مجثل وآل عائض لابد لنا أن نتوقف قليلا عن سرد الأحداث لنشير إلى كتاب [المخلاف السليماني] ونشيد بذكر مؤلفه الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي أحد كبار أدباء جنوب المملكة ومن أبرز شعرائه على ما بذل من جهد فى حمل أمانة البحث والتقصي حتى أخرج لنا في تاريخ جنوب المملكة ذلك المؤلف النفيس .

رسـائل من علماء العـالم العـربي

١ ــ رسالة من العالم والمؤرخ اليمني الشيخ إسماعيل الجرافي .
٢ ــ رسـالـة من أستـاذ الجغرافيا بجامعة الملك سعود وعضو المجمع الجغرافي بباريس الدكتور محمد محمود الصياد .
٣ ــ رسالة من الدكتور عمر حليق .
٤ ــ رسالة من مستشرق في أكسفورد (بطرس أبو مته) .
٥ ــ رسالة من الدكتور محمد علي الشهاري .
٦ ــ رسالة من الدكتور فاروق عثمان أباظة .
٧ ــ رسالة من عميد كلية بلقيس الدكتور حسين علي الحبيشي .
٨ ــ رسالة من وزير المعارف في عدن عبد الرحيم لقمان ١٣٨٥ هـ/ ١٦/٤/١٩٦٦ م .
٩ ــ رسالة من مدير القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية .
١٠ ــ رسالة من المشرف على المكتبة والمتحف الثقافي بالجامعة العربية .

رسائل مواطنين من المنطقــة

١ ــ رسالة من الدكتور محمد الشامي .
٢ ــ رسالة من الأستاذ سالم باهادون .
٣ ــ رسالة من مدير إدارة التعليم بجازان الأستاذ محمد سالم العطاس .
٤ ــ كلمة لرئيس بلدية جازان الأسبق المرحوم عبده علاقي .
٥ ــ رسالة من الأديب الشاب السيد / حمد بن علي مسرحي .

هذا ما اخترناه من نحو مائة رسالة والله الموفق . ، ،

رسالة العلامة اليمني الأستاذ إسماعيل جرافي . . .

العالم المؤرخ الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعـد : فإنــه يسرني أن أخـبركـم أني تصـفحت الجــزء الأول من مؤلفكم

العظيم (المخلاف السليماني) أو الجنوب في التاريخ لدى بعض الأصدقاء وكنا ولا نزال نعتز بعلماء هذه المنطقة وتاريخها الملىء بالمجد والعزة ولكننا الآن نشعر باعتزاز أكثر لأنها لاتزال مركز يشع منه النور وأن مؤلفكم ليس إلا برهان على ما في هذه المنطقة من أفكار وأدب جم .

إسماعيل الجرافي

القاهرة ـ شارع عقبة ـ الدقي

١٣ ذو القعدة سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م

جامعة الملك سعود . .

الرياض : المملكة العربية السعودية ـ الأحد ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م . .

الأستاذ الفاضل محمد بن أحمد عيسى العقيلي المكرم . . .

ياأخي الكريم بارك الله فيك وأعانك على إتمام ما بدأت فيه من إحياء لتاريخ جزء حبيب من وطننا العربي الكبير .

جاءني كتابك « من تاريخ المخلاف السليماني » وقد هممت بمغادرة الرياض قاصداً القاهرة فأنستنى زحمة السفر أن أحمله معي لآنس به على ضفاف النيل ؛ فلما عدت إلى عروس نجد كان أول ما حفلت به قراءة كتابك : وأشهد أني استمتعت به ليالي طوالا ، أنتقل من فصل إلى فصل فلا أجد إلا طريفاً من الحديث وعميقاً من الدراسة ؛ فجزاك الله خيراً على ما قدمت ويسر لك من الأسباب ما يساعدك على إتمام ما بدأت ـ فلا يزال المجهول من تاريخنا في حاجة إلى من يبعثه ؛ وهذه هي مهمة أبناء البلاد ، ومن أسف أن يسبقنا إليها الأجانب نعيش على بضاعتهم ونحن أصحابها ، وننقل عنهم والواجب أن ينقلوا عنا .

ألا إنها لبنة وضعتها وأرجو أن تواصل ويواصل معك العلماء من أبناء هذه البلاد الكريمة وضع اللبنات حتى يرتفع البناء عالياً شامخاً إن شاء الله .

ولك شكري الخالص وتمنياتي الطيبة . .

محمد محمود الصياد

أستاذ الجغرافية بجامعة الملك سعود بالرياض

أخي الأستاذ / محمد . . .

سلام الله عليك . وبعد فقد كان جميل منك أن تتلطف بكلمات رقيقة في رسالتك إليّ . . فالشكر لك وللفرصة التي أتاحت لي الاتصال بك .

وقد أسعدني أن علمت قيامك على وضع مؤلف تاريخي عن هذا الجزء المغمور من الجزيرة . فالمراجع عنه شحيحة وكل جهد تقدمه للقارىء العربي سيعوضه عليك الله بأضعافه . وإني لأترقب فراغك من تأليف هذه المادة لأستفيد من قراءتها . ولعل الأيام القادمة توفر لي فرصة زيارة جيزان عندما أعود من أجازة إلى المملكة في السنة القادمة إن شاء الله .

والواقع أن الكتابة عن الجزيرة ـ عن مختلف أنحاء الجزيرة صعب شاق . فالمراجع الأجنبية لا تعطي صورة صادقة عن حقائق التاريخ ، وكل ما تقدمه للقارىء ألوان من الصور .

أكرر لك التحية من وراء البحار . .
وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه . .

واسلم في رعاية الله
٢١ رجب ١٣٧٤ هـ/ ١٥ مارس ١٩٥٥ م .

لأخيك
عمر حليق

٢٥/٣/١٣٨١هـ/ ٦/٩/١٩٦١ م
عزيزي الأخ الكريم محمد بن أحمد عيسى العقيلي . .
تحية واحتراماً . . .

لابد أن تستغرب عندما تتلقى هذه الرسالة من شخص لما تنشأ بينك وبينه صلة تعارف .

ولكن يبدو أنه في عصر كعصرنا الذي نعيشه لم تعد صلة التعارف محدودة في نطاق التعارف الشخصي ، وأصبح في الإمكان أن يتعرف شخص ما على الآخر عن طريق أثر من آثاره ، أو كلمة ، أو موقف من كلماته أو مواقفه .

وليس أدل على ذلك من أنني أكتب إليك هذا الخطاب ولدي الإحساس بأنك لست غريباً عن شعوري .

ولم لا وكتابك « المخلاف السليماني » أو « الجنوب العربي » الجزء الثاني ، وعليه اسمك الكريم إلى جانبي . نعم إلى جانبي مباشرة ، ومنه نقلت اسمك وبواسطته اكتشفتك .

أفليس لي الحق بأن أقـول إنني قد تعـرفت عليك من خلال عملك التـاريخي الممتاز ، وإنني تحت الشعور بالقرابة الحميمة منك أكتب إليك هذا الخطاب ؟

وقد تفضل الأخ مساوى الحكمي فأعطاني فكرة عنك ساعدتني على تفهم بعض جوانب شخصيتك .

وبفعل هذا كله وجدتني قريباً منك ، وشاعراً بالرغبة لأن أبادئك بإرسال هذا الخطاب .

ولعل هناك عاملا آخر قربك من وجداني ؛ ألا وهو أنني كمثلك ياعزيزي مهتم بتـاريخ « الجنوب العربى » الذي كرَّستَ له همك ونشاطك ، فأنا مكلف بتقديم رسالة دكتوراه عن « تاريخ اليمن الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحـرب العـالمية الثانية » وقد أعددت بعض أجزاء الرسالة في ألمانيا الشرقية حيث التخصص فيها هناك ؛ وكان علي أن أسافر إلى القاهرة خلال فترة الأجازة لجمع المراجع العربية في هذا الصدد ، ومن حسن حظي أنني وجدت كتابك الآنف الذكر .

من هنا تعرف سر استشعاري إياك بهذه السرعة والعمق وكما يقول المثل العربي : « شبيه الشيء منجذب إليه » .

وإن كنت أطمح إلى شيء منك فإنني لأطمح في أن يكون لديك شعور بالارتياح والـرضـا في أن يكـون كتابك إحدى المراجع الهامة التي اعتمد عليها حول « دولة الأدارسة » في نشوئها ، وتطورها واضمحلالها ، وحول عدا ذلك من المواضيع التي عالجها كتابك ..

على أن لدي الاقتناع بأن كتابك يحظى بأهمية خاصة نظراً لأنك اعتمدت فيه على وثائق ، وأدلة ماديَّة ، مما أعطى الكتاب طابعه الواقعي .

على أنني أكون ـ بطبيعة الحال ـ أكثر سعادة في أن اطلع على كتابك الأول من « تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي » الذي طبع بمطابع الرياض والجزء الثالث منه الذي ما يزال تحت التأليف ، والرابع الذي شرعت في تبييضه ، والمتعلق بالتاريخ الأدبي لتهامه ، وكتابك المعد للطبع حول منطقة جازان في العهد السعودي ، وغير ذلك من مؤلفاتك الشعرية ، وتحقيقاتك الأدبية .

ولا أنكرك أن لي محاولات شعرية انقطعت عن ممارستها بانصرافي إلى عملي التاريخي الذي لم يترك لي فرصة ذهنية أطلق فيها خيالي بعيداً عن وقائع التاريخ وأحداثه .

لقد التقيت بك بفكري ووجداني ، لا أقول على غير موعد بل على موعد ، وفى لحظة تتهيأ فيها الجزيرة للانطلاق لأداء رسالتها المعاصرة كما قامت برسالتها في القرون الوسطى ، وكل شيء يغمره الظلام .

أو ليس من أمارات هذا الانطلاق أن تكون الجزيرة قد أنجبت طلائع مؤرخيها الأوائل المحدثين ، وأن تكون أنت على رأس القائمة ممن يستلهمون ماضيها في انطلاقها نحو مستقبلها .

إنني لا أكتمك الشعور بأنني أطمح في أن تكون صلتنا مستمرة وإن وجودي في ألمانيا لن يكون حائلا دون دوام تراسلنا .

وسأحرر لك عنوان سكني في ألمانيا على ظهر غلاف خاص مع هذه الرسالة حيث يمكنك أن تضع خطابك إليَّ ضمنه مباشرة ، وترسله إلي وإذا أمكنك أن ترسل مع ذلك إحدى أجزاء المخلاف السليماني مما أتممت طبعه كتكريس لزمالتنا « التاريخية » وتدشيناً لصداقتنا التى أعتقد أنك تشاطرني الآن في مدى أهميتها وقيمتها ، فإنني أكون حينئذ أكثر سعادة ، ومحقاً في الشعور بأنني اكتسبت صديقاً تطلب صداقته ، ويخطب وده .

وسأتوجه في نهاية شهرنا هذا إلى ألمانيا . فإذا كان بإمكانك وكان لديك الوقت بأن ترسل إلي رسالتك قبل هذا إلى القاهرة فيمكنك حينئذ أن ترسلها على عنوان البعثات السعـودية بواسـطة الأخ مساوي الحكمي ، وهو العنوان الذي أكتبه لك في ظاهر غلاف هذه الرسالة . تقبل تحياتي وصداقتي .

ملحـوظــة : قبل أن أرسل إليك هذا الخطاب إلتقيت بالأخ علي العبدلي وهو صديق قديم وكان عائداً من السعودية وعندما سألته عنك حدثني حديثاً شيقاً عرفتك به أكثر ولذلك أقترح أن تكون مراسلتنا عن طريق الأخ علي العبدلي ، وأي هدية من كتبك القيمة يمكنك أن ترسلها إليه وهو بدوره سيرسلها إلي وعلى أي حال فالرأي لك .

أخــــوك

محمــد علي الشــهاري

كلية القديس بطرس - إكسفورد في ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤/١١/١١م . .

الأســتاذ محمد بن أحمد العقيلي المحترم . . . .

جـازان - المملكة العربية السـعودية :

سـيدي الأسـتاذ :

إني من خريجي جامعة اكسفورد وأشتغل الآن في بحث تاريخي عن شبه جزيرة العرب في القرن التاسع عشر . وقد علمت من بعض الأصدقاء هنا أن لكم كتاباً من ثلاثة أقسام في تاريخ المخلاف السليماني يبحث خاصة في إمارة الشرفاء من آل خيرات وفي حكم بيت الإدريسي . لقـد بحثت عن الكتـاب كثيراً ولم أستطع أن أهتدي إليه ، فأرجوك ياسيدي أن ترشدني كيف أحصل على نسخة منه فإني في حاجة ماسة للكتاب خاصة وقد قيل لي أنه واف ويشتمل على العديد من الوثائق . إني على استعداد لأن أقدم بدل نسخة منه أي ثمن . فإن تكرمت علي بهذا الجميل أكون جد شاكراً لك فضلك .

مع تحياتي لك مقرونة بأطيب التمنيـات . .

بطـرس أبو متـــه

الاسكندرية في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ هـ . الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م .

سيادة الأخ الكريم الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي . . . .

جازان ـ المملكة العربية السعودية

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعـد . . .

تلقيت ببالغ الشكر والتقدير رسالتكم الكريمة ومؤلفكم الموقر عقب عودتي من أجازتي السنوية التي قضيتها خارج الاسكندرية . وقد توقعت هذا الكرم من سيادتكم وأدعو الله أن أوفق في كتابة رسالتي عن « الحكم العثماني في اليمن » لأهدي لسيادتكم نسخة منها وسيكون مؤلفكم بإذن الله في مقدمة مصادرها والله خير موفق ومعين . وسأحاول معرفة الطريقة الرسمية التي يمكنني بواسطتها إرسال قيمة النسخة وتكاليف البريد مع تقديمي خالص الشكر وأصدقه . ولتعلموا سيادتكم أن زميلا لي بجامعة القاهرة قد استعار مؤلفكم وهو لديه الآن ليعتمد عليه في إتمام بحث بدأه منذ سنوات . ولا شك أن زملاء غيرنا سينتفعون بمؤلفكم هذا وسيكون في متناول أي باحث لدينا بالجامعة يطلبه في المستقبل إن شاء الله . .

وقد قمت بشراء نسخة من الجزء الثاني لمؤلفكم من دار المنياوي بالإسكندرية ، ويهمني كثيراً أن تتكرموا بموافاتي باسم دار النشر التي ستتولى نشر الجزء الثالث لمؤلفكم الذي أنتظره وينتظره معي عدد من الزملاء الدارسين وندعو جميعاً لكم الله أن يوفقكم في تأليفه ومواصلة بحوثكم العلمية المتقدمة .

ويسرني أن أعرض لسيادتكم الخطوط الرئيسية لموضوع الرسالة التي أقوم بإعدادها وهي تتلخص فيما يلي :

١ ـ حملة العثمانيين على شمال غربي اليمن في سنة ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م .

٢ ـ حملة العثمانيين على اليمن ودخول صنعاء سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م .

٣ ـ موقف العثمانيين من الإمام يحيى والسيد الإدريسي والإنجليز حتى صلح دعان سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

٤ ــ موقف العثمانيين في اليمن أثناء الحرب العظمى ثم خروجهم من اليمن في سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨ م .

٥ ــ آثار حكم العثمانيين في مقدرات اليمن الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

هذا ويسعدني كثيراً أن أسترشد بآرائكم القيمة في هذه الموضوعات وما ترونه من مصادر ينبغي الرجوع إليها لمساعدتي في البحث .

ولا شك أن المكتبة العربية تفتقر كثيراً وتحتاج إلى مؤلفات عن اليمن وغيره من بلدان وطننا العربي الخالد . كما أن المكتبة الأجنبية غير العربية لا يوجد بها سوى القليل النادر عن اليمن خاصة . وأولى بأبناء العروبة أن يسدوا هذا النقص في المكتبتين العربية والأجنبية على السواء .

وقد حملتم سيادتكم هذا المشعل بمؤلفاتكم وسنواصل السير جميعاً بإذن الله من أجل الإسلام والعروبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أخوكم / فاروق عثمان أباظة

هيئة التربية والتعليم اليمنية ـ كلية بلقيس . .

الشيخ عثمان ـ عدن ـ جنوب اليمن . فى ١٣٨٥ هـ / ١٨ نوفمبر ١٩٦٤ م ـ الرقم ٣٠٦ ـ ٦٣ .

حضرة الأستاذ القدير والمؤرخ الكبير الشيخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي .

تحية إجلال وتقدير . . .

وبعد : تسلمنا بمزيد من الشكر والامتنان النسخ المهداة من تاريخكم القيم لكلية بلقيس .

وإدارة الكلية إذ تشكركم على هديتكم الثمينة تود مخلصة أن تسجل هنا تقديرها للمجهود الذي بذلتموه سيادتكم في سبيل كشف النقاب عن تاريخ جزء حيوي هام من الوطن العربي الكبير .

ولكي نجسد هذا التقدير عملا إيجابياً فقد قررت إدارة الكلية أن تجعل هذا الكتاب أول مرجع لها في مادة الاجتماعيات ـ فرع التاريخ والجغرافيا ـ

ولنا كبير الأمل في تعميم فائدة هذا الكتاب في ربوع الوطن العربي الكبير . أخيراً تقبلوا سيادتكم خالص التحية وجميل التقدير . وشكراً جزيلا مرة أخرى . ودمتم للمخلص .

عميــد كلية بلقيس

حســين علي الحبيشــي

عدن في ١٣٨٥ هـ / ٦ أبريل ١٩٦٦ م .

الأخ الكريم الأديب المحقق السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي حفظه الله تحية مباركة . . .

وبعد فإني أرغب أن أتقدم إليكم بالشكر والامتنان مرتين واحدة لتفضلكم سابقاً بإهدائي كتابكم الفريد « المخلاف السليماني » وأخرى لإرسالكم إلي كتابكم « ديوان السلطانين » وكلاهما ذوا قيمة عظيمة في حياة الجنوب الفكرية والتاريخية .

ويسرني أن أخبركم أن لكم في عدن والجنوب قراء كثيرين ومعجبين بأدبكم وفضلكم يرجون لقاءكم يوماً وإذ أزف إليكم إعجابهم وإعجابى وإكباري أتمنى لكم دوام التوفيق .

لقد توفى منذ أسبوعين والدي في جدة ودفن في جوار بيت الله بمكة المكرمة وهو في طريقه لأداء فريضة الحج وأنا في طريقي غداً إلى طرابلس الغرب لحضور مؤتمر وزراء البلاد العربية للمعارف والاقتصاد وربما أمكنني في طريقي من المرور بجدة والنزول للعمرة وزيارة قبر الوالد وسأسأل عن حضرتكم من آل بقشان أصدقاء الأسرة لعلي أتشرف باللقاء بكم إذا صادف وجودكم بجدة أو الكتابة إليكم منها .

وتقبلوا خالص تحياتي وشكري وتمنياتي الطيبة . .

المخلص عبد الرحيم لقمــــان

وزارة المعـارف

لنـدن : في ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦١/٩/٢٨ م . .

حضرة السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي المحترم ،،،

تحية واحــترامــاً ، وبعـد ـ نشكـركم شكـراً جماً على النسختين التي تفضلتم

بإرسالها إلينا من كتابيكم « المخلاف السليماني » الجزء الثاني و « ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل » ونفيدكم بأننا قد وضعناهما في مكتبتنا بين أنفس كتبنا ليطلع عليهما زملاؤنا وزوارنا من عرب ومستشرقين .

ونحن إذ نشكركم على هذه الروح النبيلة الطيبة ونتمنى لكم مزيد التوفيق والنجاح نرجو أن تكونوا ممن يستمعون إلى برامجنا العربية كما نرجو أن تكتبوا إلينا دائماً بكل ملاحظة تعن لكم بخصوص موادها وتقديمها ودرجة وضوح استقبالها لديكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . .

عن مدير القسم العربى

جامعة الدول العربية ـ الأمانة العامة . .

رقم ١٥/٢١/٢ ـ ٩٩١ ـ في ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦١/٩/٢٨ م .

السيد المحترم الأستاذ الفاضل محمد بن أحمد عيسى العقيلي الأفخم . .

جيزان ـ المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ـ فقد تكرم صديقي الأستاذ الحاج محمد حلمي المنياوي بإهدائي نسخة من مؤلفكم القيم « المخلاف السليماني » أو « الجنوب العربي في التاريخ » [الجزء الثاني] كما تكرم وأهدى مكتبة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية نسخة أخرى من نفس الكتاب .

ولما كان يهمني الحصول على الجزء الأول من هذا المؤلف النفيس . كما يهم المكتبة أيضاً الحصول عليه استكمالا للفائدة التي أملت على سيادتكم البحث والدراسة ومن ثم التأليف ، فأوصاني بالكتابة لسيادتكم بهذا الشأن .

وإني إذ أتقدم بوافر الشكر ـ نيابة عن المكتبة وعني ـ لسيادتكم على هذه

الهدية القيمة الكريمة لأرجو التفضل بإهدائنا نسختين من الجزء الأول إحداهما للمكتبة والثانية لي .

داعياً لكم بدوام التوفيق وسداد الرأى . .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ،

المخلص [محمود رأفت]
المشرف على المكتبة والمتحف الثقافي

المملكة العربية السعودية ـ وزارة المعارف . . .

أستاذنا الكبير وعالمنا التاريخي الجليل ـ محمد بن أحمد عيسى العقيلي الموقر ،
تحية مباركة من عند الله تحية الإسلام أبعثها لسيادتكم في شهر الصيام وبعد :

كنت أسمع عن مؤلفكم القيم « المخلاف السليماني » على أفواه العارفين ورواد الاطلاع . وشاءت الأقدار ممن حسنت حظوظهم فأنا طالب منتسب في قسم التاريخ السنة الرابعة جامعة الرياض . لهذا العام ففي تاريخ الدولة السعودية المقرر علينا عدة مراجع منها كتابكم المذكور ولشد ما فرحت فأخذت أتلمسه عند الأصدقاء حتى وجدته فقرأت نبذاً منه فأثلجت صدري فأسلوبه سلس قيم وعباراته جذابة أما مادته التاريخية فشيء يعجز الوصف عنه فهو بعيد عن الخرافات التي تندس في صفحات التاريخ التي طالما قرأناها فقد ناقشتم فيه الحقائق التاريخية بصراحة واضحة . والحقيقة أنه تاريخ قيم ستظل الأجيال والأجيال تفخر به على مر الأزمان .

وقد عزمت لشرائه لقيمته التاريخية من مكتباتكم النيرة إلا إنني عدلت عن ذلك لأطلبه من سيادتكم كهدية من باحث تاريخي إلى دارس يبحث عن الحقيقة . ليكون لي حافزاً على دراسته وسيكون لي عوناً في النجاح وبذا شاركتم سيادتكم في بناء مستقبل الدارسين . أبقاكم الله لخدمة العلم وطلابه والله يحفظكم .

الدارس
محمد سالم العطاس
مدير إدارة التعليم بجازان

بعنـوان كتب جديدة ـ بصحيفة الأضـواء
عـــدد ٤٩ في ١٣٩٨هـ/ ١١/ ٦/ ١٩٧٨م

من تاريـخ المخـــلاف السليمـــاني الجنـــوب العربي في التـــاريخ

بقلم : رئيس بلدية جيزان السيد عبد القادر علاقي

كنت في زيارة لجريدة عرفات بجدة لدى مديرها النشيط السيد حسن عبد الحي قزاز فلفت نظري في جانب من مكتبـة عرفات منظر مكتبة الجريدة ، الأمر الذي حداني إلى الاطلاع على ما تحتويه هذه المكتبة من مؤلفات فقمت بالتفتيش لقراءة ما يعجبني من الكتب وكم كان سروري عظيما عندما لفت الأستاذ [حسـن] نظري إلى كتاب عن « المخلاف السليماني » للأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي وهو من أدباء جيزان وشعرائها البارزين .

وقد قرأت جانباً من هذا الكتاب فأثلج صدري بحوثه التاريخية المركزة وأدهشني تمحيص المؤلف للوقائع والرجوع إلى عدد كبير من المخطوطات والمطبوعات للاستقاء منها .

والحق أن الكتاب تحفة تاريخية بذل المؤلف في سبيل إخراجه وطبعه جهوداً يشكر عليها ، والكتاب مكون من مجلدين في ٥٨٦ صفحة وهذان المجلدان يعتبران جزءاً أول من جزأين ثانيهما تحت الطبع وإني أتوجه بالتهنئة للمواطن العزيز الأستاذ المؤلف مع تمنياتي الطيبة وأرجو منه بذل المزيد من الجهد لسجله التاريخي ليسجله التاريخ في سجل من خدموه .

هذا وقد كانت مقدمة الأستاذ حمد الجاسر مقدمة ممتازة وقد بذلت مطابع الرياض جهداً ملحوظاً في طبع الكتاب رغم وجود بعض الأخطاء المطبعية .

وفق الله العاملين المخلصين لهذا الوطن العزيز . .

رسالة من الأديب الشاب حمـد بن علي مسـرحي . . .

حضرة فخر الوطن المؤلف العملاق شاعر ومؤرخ الجنوب السيد / محمد بن أحمد عيسى العقيلي :

لقـد توجت جيزان بتـاج العلم والأدب وأحييت رسـما بلى وانـدثـر ، إنني قبل

أن أهنئك يجب أن أهنىء نفسي لأنك رفعت رأسي ورأس كل مواطن في هذا المخلاف الذي يدين لك بهذا العمل الخالد وانك لمن الخالدين إن شاء الله مدى التاريخ وهنا كلمة لابد أن أقولها ، أنت بحق نجم لاتنالك حشرات الأرض وان تسامت بالغرور ، أنت عملاق وما دونك أقزام وان أرادوا اللحاق بكعبك تعثروا دون أدنى غايتك والسلام .

أخـــوك

حمد بن علي مســـرحي

رسالة المواطن محمد الشامي ـ الطالب بجامعة القاهرة . . .

الأستاذ الجليل السيد محمد أحمد عيسى العقيلي . . .

تحيــة وســلاماً . . .

لعلى لا أنصفكم الحق إذا أشدت بفضلكم العظيم على منطقتنا فقط ولا على الجزيرة العربية بطولها وعرضها فحسب بل على المكتبة العربية التي تفتقر لمثل أبحاثكم الجليلة ، ولعل كتاب « المخلاف السليماني » لأكبر شاهد وأوضح برهان على ما أقول بل وعلى سهركم المضني ومن حسن حظي أني قبل سفري للقاهرة وجدت في مكتبة شركة أرامكو نسختين من تاريخكم القيم فاستعرتها ولما كان لابد من سفري للقاهرة لمواصلة الدراسة أعدتها .

لقد أخبرني في القاهرة صديق يمني أن سفركم القيم « المخلاف السليماني » أو الجنوب فى التاريخ يتخذ الآن كمرجع هام وأن أحد الطلبة اليمنيين في ألمانيا الغربية اعتمد عليه بالدرجة الأولى كمرجع مهم جداً في التحضير للدكتوراه عن تاريخ اليمن .

وهذه ولاشك شهادة بفضلكم من أحد أبناء العروبة من خارج المملكة فكيف بنا نحن أبناء جلدتكم ووطنكم لانعتز بكم ونشيد بفضلكم وان التأخر عن ذلك يعد جحوداً وفقكم الله وأخذ بيدكم وتقبلوا أسمى آيات الإجلال والاحترام . .

محمـــد الشـــامي

من أهالي مدينة صبيـــا

ملخص رسالة الأخ سالم باهـادون . . .

حضرة الفاضل السيد / محمد بن أحمد العقيلي . . .

تحية وتقدير وبعـد ـ لا أدري ماذا أسطر لك من المديح فأنثره في هذا الطرس ، أم ماذا أنتقى من الثناء والتقدير فأخطه بقلمي في هذه الصفحة .

لقد تكرمتم فمنحتموني مؤلفكم العظيم عن جنوبنا المحبوب فأقول لقد تجلت العبقرية في أجمل صورها وفي ثوبها الناصع .

لقد تكرمتم علي بها استثارني لتسطير هذه العجالة لأعبر لكم فيها عن شعورى وإحسـاسي الـطيب بشخصيتكم الكـريمة مع الإعجاب والإكبار لخدمتكم العلم والأدب ، وتقبلوا تحياتي ، ، ،

سـالم عبد الله باهـادون

ملخص رسالة علي حمود أبو طالب [من أدباء جـازان]

سيدى الأستاذ العلامة / محمد بن أحمد العقيلي . . .

تحيـة واحتـرام . . .

فوجئت أنكم بكل ما فيكم من علم وفضل لجدير بأن تظلوا علماً وأن يهبكم كل مواطن جزءاً من حياته ، اعترافاً بما أسديتم للوطن من خدمات فى العلم والتاريخ أرجو الله أن يرعاكم . .



المؤلف (محمد بن أحمـد العقيـلي)

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى الأمين .

يتبادر إلى الأذهان ـ سؤال بسيط ـ هل التاريخ مادة فقدتْ نعمةَ الحياة ؟ أو هو مادة حية معنوية بتفاعله مع الماضى وبتأثيره في الحاضر ، وتحكمِّه ـ بإذن الله ـ في المستقبل .

إن ما كان من أحداث ذات بالٍ في ما قبل التاريخ أو بعده ـ نِسْبيًّا ـ في حِثّي ، ومصر ، وبابل ، وأشور ، ومَعِيْن ، وسبأ ، في الأحقاب الخوالي والآماد المواضي بقي له بعضُ تأثيره في أحداث الحاضر ، وأفكار الأجيال ، نوعيا أو كيفيا .

إنَّ التأريخ شريط عَرْضٍ يستعرض أحداث الأزمان ، منذ عَرَفَ الإنسان أن يُسَجِّل أحداثه أو يقيد تصرفاته البسيطة البدائية سواءً سجّلها في نقش جِدار كهْف أو رسم في مغارة من قبل أن يعرف الكتابة .

أما بعد معرفته بالكتابة وتسجيل ما يَعِنُّ له على الْحَجَر ، فتلك قفزةٌ راقية تَسَامت بفكر الإنسان ونمَّتْ ذاكرة الأمَم ، وجعلتْ للكلمة قُدْسِيَّتَها وللقول أهميَّته .

وعندما أصبح الرسم فنًّا وصناعة فقد أصبح للصورة أهميتها وإشراقها ، فمن منا إنْ قرأ سيرة ملك من قدماءِ ملوكِ مِصْر ، أو بطل من أبطال اليونان أو الفينيقيين ، أو الرومان أو غيرهم ، لا يتوق لرؤية صورته ، التي حفظت سماته وَصَوَّرتْ ملامحه ، حتى يستكمل له الخبر والصُّورة .

ثم جاء دور الوثائق وأهميتها التاريخية ، بحيث أصبح كلُّ تاريخ لا يكون مُسْتَكْمِلَ التوثيق لأهم أحداثه وأروع حركاته ، لاتكون له قيمته التاريخية والسياسية والأدبية وإذا كانت بخط أبطال الحركات وقادة الثورات ، ورجال الادارة ، ممن عايشوا الأحداث وشاركوا في النضال ، وباشروا الوقائع ، فذلك ما يرفد التاريخ بأوثق المصادر .

إنَّ التاريخ ينبغي أن يسير في مَهْيَع الحقيقة ، بقدر ما يُسَجِّل الواقع ، وبما أنَّ الإنسـان شعـور وعـواطف وميول ، يصعب في الأغلب الانعتـاقُ منْ قيودهـا ، والانفـلاتُ من عقـابيلها والتحرُر من كبُولَهَا ، فعليه أنْ يتحرَّى بقدر الاستطاعة التخلي عن ميوله وعواطفه بقدر الإمكان .

وأن يكتب التاريخ لابِلهجة علميّة جافة ، تجعله بعيدَ الاستساغة ، بل يمزجه بقطرات من حلاوة الأدب ، ورونق الخيال ، في حدود تقرب جدًّا من الإنصاف .

وعلى المؤرخ أنْ يَنْفُخَ في كتابة تاريخه نَبْضَ الحياة ، فحياة الماضي زاخرة بارتعـاشـات الأفكار وخلجات الأرواح وحرارة الأحداث مع مزجِه ببعض عنصر الجوهر الأدبيّ ، بحيث لاتطغى عليه وَقْدَةُ حرارة التَّحَمُّسِ العاطفي فَتُلَوِّحُهُ بوقود الْهَـوَى ، وشُـوَاظ الميول الشخصية أو القوميَّة أو الإقليمية الضيّقة ، أو الحِزْبيَّة المفرطة ، وإذا كان الكمال مُعْوزا ، فليحاول التحرر بقدر المستطاع .

ولْيَكُنْ مُوَائِما بين مَنْهج التاريخ الواقعي ، ومَهْيَع الطريقة الأدبية الْمُونقة بقدر ما يضفي الطَّلَاوَة ، ويمنح الطَرَاوَةَ ، لتليين يُبُوسة مادَّةِ التاريخ وجَفَاف أسْلوبِه .

إنه منذ عهد (هيرودوس) الذي هو أبو التاريخ ، ثم مَنْ تلاه من مؤرخي اليونان فمـروراً بمؤرخي الرومان ، ومَنْ بعدهـم من مؤرخى النهضة إلى (جين) الذى فصـل تأريخ الامبـراطـورية الـرومـانية بعد سقوطها بألفين وثلاث مئة سنة وإلى (كارليل) صاحب نظرية الأبطال ، وإلى وقتنا الحاضر ، والتاريخ سِجلٌ حافِلٌ بِمعاناة الإنسان ، وثورات الأزمان وفجائع الحروب ، وعثرات البشرية ، ونهضات الإنسانية واكتشافاتها العلمية ، ورُقِيِّها الفكريِّ وحضارتها المتقدمة .

إنَّ ما سجلته في تاريخي هو تاريخ منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية مع الالتفـات جنـوبـاً وشمـالاً إلى ما حولهـا تاريخياً وسياسياً واجتماعياً ، حيث لا يمكن كتـابـة تاريخ منـطقة إلا بكتابة تارِيْخ ما حَوْلَهَا فتأريخ كُلِّ منطقة مرتبط الوشائج بِما حولها تاريخياً وإنسانياً .

فَتِهَامَة هِي ـ تقريباً ـ ما يَمْتَدُّ من العقبة إلى عدن ، ذلك الشريط الساحليُّ الذي تُشرف عليه سلسلةُ العمود الفقريِّ من الجبال الممتدة من اليمن إلى طرطوس ، وقد وَرَد في نعوت الرسول الله ﷺ النَّبي التِّهَامِي .

ويطلق على أجـزائها (مجازا) أسماء ما يجاورها من الناحية الشرقية ، فيقال : تهـامة الحجاز لما يوالي الحِجاز إلى جنوب القنفذة ، ويُقال لما يُوالي بلاد عسير تِهَامَةُ عَسِير ، وهي من حَلْي بْنِ يَعْقوب إلى الشَّرْجَة قديماً ـ الْمُوَسَّم حالياً ـ وَهو ما كان يعرف بالمخلاف السُّلَيْمَانِيِّ سابقاً ، وبمنطقة جازان الآن ، ويقال لما يوالي اليمن تِهامة اليمن .

والمخلاف السليمانيُّ أو منطة جازان ـ أشبه في وضعه الجغرافيّ بِعُنُقِ الزُّجَاجة بين البحـر الأحمـر والمـرتفعات الشرقية من سلسلة جبال السَّرَوَاتِ ، أو العمود الفقريِّ لشبه الجزيرة .

فهـو صِلَةُ الْـوَصْـل بين الحجـاز شمالاً واليمن جنوباً ، والطريقان الرئيسيَّانِ التَّاريخيَّان قديماً وحديثاً ، الطريق الساحلي ، والطريق الأوسط من حَضْرَمَوْت عِبْرَ اليمن إلى الحجاز ، مثابة الحج ومَهْوَى قلوب المسلمين ـ كما كان في القديم طريق التجارة العالمية الأسهل والآمَن من طريق شرق الجزيرة : فحضرموت فبلاد البَحْرَيْن فالعراق .

وكانت قريش تسلكه في رحلة (الشتاء) إلى مشارق اليمن وإلى الحبشة عبر مضيق باب المندب ـ في الأعم الأغلب .

* * *

لقـد نفـدت الـطبعـة الأولى وطلب مني كثيراً إعـادة طبعه ، وتحت الضغط والالحاح قمت . . بعد الاستعانة بالله تعالى ـ بدراسته مجدداً ـ ومِنْ ثَمَّ تنقيحه ، وحـذف ما ليس له علاقة بالتاريخ ، كالقسم الجغرافيّ الذى ضَمَمْتُهُ إلى كتاب خاص موسع باسم « المعجم الجغرافي » ، والقسم الخاص بالأدب الشعبيِّ الذي

أضفت إليه معلومـات ومـوادَّ جديدة في مَؤلَّف جديد باسم « الأدب الشعبى في الجنوب » وطبع فِي جُزْءيْن .

ولا أحب أن أصدع القَارىء الكريم بما أضفته إلى هذا التاريخ من مَوَادَّ جديدة قديمة من فصول قائمة بذاتها ، وحواشي وتعليقات من مصادر ، لم تكن تحت يدي وقت تأْليف الكتاب آنفا ، وما أُمكن الحصول عليه مَن وثائق تاريخية يصعد تاريخ بعضها إلى ما يقارب مئتي سنة ، ووثائق خاصة بالعهد الإدريسيٍّ ومكاتبات وبرقيات تتعلق بتاريخنا الحاضر خاصة وجنوب الجزيرة عامة .

وقد زادت صفحات هذا الجزء بعد ذلك زيادة سيدركها القارىء عند المقارنة والله أسأل أن يجعل كتابي هذا من العلم النافع وان يوفقنا للخير والفلاح .

وختاماً أقدم خالص الشكر وجزيل الامتنان لعالم الجزيرة ، وأستاذ الجيل الشيخ حمـد الجاسر صاحب (دار اليمامة للطبع والترجمة والنشر) الذى دائماً يتفضل بنشر كتُبي ، والعناية بمُؤَلَّفاتي ، ومنها القيام بنشر هذه الطبعة من كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » - أيضاً - كما سبق له أن قام بنشر الجزء الأول منـه .

جـازان ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

المـــؤلف

محمـد بن أحمد العقيلـي

مقدمة الطبعة الأولى

توفرت لدي مخطوطات تاريخية نادرة الوجود فاقتنصت فرصاً من أوقاتي شغلتها بما أرجو أن يكون ذا فائدة . في تأليف هذا التاريخ عن قسم مهم من جنوب الجزيرة العربية ، التي هي على أهميتها لم أر لها تاريخاً مرتبط الحلقات ، متسلسل الحوادث ، راجياً أن أكون قد أسهمت في هذه النهضة المباركة والوعي المتقد في هذا الدور المهم من أدوار الأمة العربية الكريمة التي هي آخذة في إتمام بناء صرح الوحدة ، مما يبشر ببزوغ فجر جديد وربط حاضرها المتوقد بماضيها المشرق المجيد . فالحاضر امتداد للماضي أو بالأحرى الماضي امتداد للحاضر ، أو الحاضر للمستقبل .

والأمة التي ترغب بناء صرح نهضتها على قواعد راسخة لا غنى لها من أن تستمد خبرتها وتجاربها لا من ماضيها فقط ، بل من اختبارات الأمم الأخرى وتجاربها وعبرها في أوسع مجال الاختبارات العالمية والفكر الإنسانى .

والاتجاه الحديث لكتابة التاريخ يحتم الاستنباط العقلي في أوسع مجالات الفكر ليكون مع إثبات الحقائق التاريخية خير حافز لأسباب القوّة وبناء الأمجاد وإحياء التراث القومى المشترك ، لتوحيد الغاية ، واستغلال الماضي في بعث الحياة ، وإيقاظ المشاعر وتوحيد الميول ، وإثارة الحوافز الدافعة نحو التقدم والسيادة ، والعمل على إزالة الفوارق بين طبقات الأمة الواحدة ، مما يصدع الوحدة ويبدد الطاقة في خلافات مذهبية أو حزازات قبلية تنخر جسم الأمة السليم ، وتوردها موارد التفرقة مما جاء الشرع لمحوه ودعا العقل لنبذه .

وقد قسمت بقدر الجهد هذا التاريخ إلى ثلاثة أجزاء :-

الجزءان الأولان فى التاريخ السياسي والاجتماعي . والثالث في التاريخ الأدبى .

وها أنا أقدم الجزء الأول راجياً من الله العون على إتمام الجزءين الباقيين ليظهرا قريبـــاً .

تنبيـــــه :

كنت قصدت بتأليفي هذا أن أدون ما وصل إليه علمي من تاريخ [المخلاف السليماني] ولكنني اضطررت لارتباط كثير من أخبار دول وحكومات نشأت في البلاد المجاورة له إلى الاستطراد بسرد أخبار تلك الدول والحكومات ، مما أرى القارىء بحاجة إلى استيعاب معرفته وهو في واقع الأمر جزء من تاريخ الأمة العربية بأسرها ، وتاريخ بلادها الواسعة .

والخير أردت . ولكل امرىء ما نوى ، وأملي أن ألقى من إخواني أبناء الأمة العربية في الوطن العربي من التشجيع ما يدفعني إلى إنهاء الجزءين الباقيين . ولا يفـوتني أن أسدي خالص الشكر والثناء للعالم الجليل ، والمحقق القدير السيد « حمد الجاسر » الذي بفضل تشجيعه ومساعدته تم إخراج هذا الجزء إلى حيز الوجود .

محمـد بن أحمد عيسى العقيلي

جازان ـ ١٠ شعبان سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م

مقــدمة الطبــع

من أهداف مطابع الريـاض[1] :

تسهم « مطابـع الـرياض » بقـدر طاقتها في نشر الكتب التي ترى في نشرها فائدة ، ولا تتقيد في سبيل نشرها بشيء من القيود ، غير أنها تقدم ما ترى الحاجة تدعو إلى تقديم طبعه من مؤلفات علماء هذه البلاد وأدبائها ، بغية تقوية الحركة الثقافية ، لكي تساير بلادنا غيرها في هذا الميدان الذي لا تزال متأخرة فيه عن كثير من الأقطار العربية .

ولقد قامت هذه المطابع ـ على حداثة عهد إنشائها ـ بطبع مجموعة طيبة من الكتب ليس من المبالغة وصفها بأنها أكبر مجموعة قامت بطبعها أية مطابع أخرى من مطابع هذه البلاد . وما كان القائمون على مطابع الرياض يودون تفضيل هذه المطابع في هذه الناحية ـ وإن كان التنافس في سبيل الخير من الأمور المحمودة ـ بل كانوا يريدون من المطابع الأخرى أن يكون أثرها في بلادنا ومؤازرة علمائنا وأدبائنا في طبع مؤلفاتهم النافعة أقوى أثراً مما قامت به مطابع حديثة قد تأخرت عنها عهداً وقوة ، ونعني بالمطابع الأخرى تلك المؤسسات الطباعية في جدة ومكة .

باكــورة طيبــة :

ولقد كان من باكورة ثمار هذه المطابع أن طبعت ونشرت كتباً متنوعة الأهداف والمقاصد منها :

١ ــ « كتــاب أهــداف العمــران في المملكـة العـربية السعـودية » تأليف الـدكتـور عمـر حليق ، ولعله أول كتـاب عالـج المـوضـوعـات الاقتصادية في بلادنــا ، وحــاول دراســة كثير من مشكـلاتهـا بأسلوب علمي قوي ممـا دفـع الإدارة الثقـافية في جامعـة الـدول العـربية إلى أن تقرر برقم ٢/٤/٤٩ ب ١٧ في ١٣٧٦هـ ١٩٥٧/١/٥م (شراء كمية منـه لتـوزعه على المكتبات العامة ،

---

(١) كتبت للطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ .

وبعض مكتبات المعاهد والمدارس في البلاد العربية ، تعميما للفائدة المتوخاة منه ، وتقديراً منها لقيمة الكتاب) .

٢ ــ كتـاب « شهر في دمشق » للأستاذ عبد الله بن خميس ويتضمن وصف رحلة قام بهـا المؤلف إلى الشام ، وما شاهده في تلك البلاد من مظاهر التقدم والنشاط الحيوي في مختلف ميادين الحياة ، وما قارنه بما عليه بلادنا مقارنة يقصد بها حفز الهمم إلى الأخذ بأسباب التقدم .

٣ ــ « في وادي عبقر وقصص أخرى » مجموعة من القصص القصيرة كتبها الأستـاذ خالد محمد خليفة يصور بها بعض أحوالنا الاجتماعية مبرزاً ما فيها من عيوب بأسلوب فكه ساخر ، يحبب القراءة ، ويرغب فيها .

٤ ــ « من أعـلام الشعـر اليمـامي » للأستـاذ عمران بن محمد بن عمران ، مجمـوعـة من التراجم لشعراء إقليم اليمامة قد تكون الأولى من نوعها من حيث جمعها لتراجم عدد من شعراء هذا الإقليم القدماء وعرض نماذج من أشعارهم ، وتحليلها .

٥ ــ « شوك وورد » للأستاذ الشاعر حسن بن عبد الله القرشي ، وهو مجموعة من المقـالات المنـوعـة في الأدب ، من دراسـات لبعض دواوين شعراء العرب المعاصرين ، وآراء في بعض نواحي الحياة المختلفة ، وتقريظ ونقد لمؤلفات أدبية مختلفة .

٦ ــ « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » تأليف الأستاذ عبد الله بن خميس ، وهو أول دراسة شاملة للشعر الشعبي العامي من حيث الأساليب والأغراض وإبراز ما لهذا الشعر من مميزات . وما فيه من صور حية ، تعبر عن مختلف الإحساسات والمشاعر .

٧ ــ وهناك مطبوعات أخرى غير أننا نكتفي بعرض أسماء هذه الكتب التي قد توضح اتجاه هذه المطابع ، واختيارها ، فهي كتب ـ كما يتضح لمن طالعها ـ تتسم بالجدة في موضوعاتها ، وبصلتها الوثيقة بحياتنا .

هـذا الكتـــاب :

وهذا كتاب ترى « مطابع الرياض » أنها بطبعه قد أحسنت صنعاً لا إلى الجزء الجنوبي من وطننا الحبيب ، الذي تضمن قسما مهماً من تاريخه ، فحسب ، بل إلى كل عربي مثقف ، يدرك ضرورة معرفة كل جزء من أجزاء بلاده ، وكل ما يتعلق بهذه البلاد من الأمور التي تقوم عليها أسس الحياة فيها ـ في ماضيها أو حاضرهـا :

ومؤلف هذا الكتـاب الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي (*) أحد شعرائنا النابهي القدر وكتابنا المعروفين ، وهو من الأفراد القليلين الذين لايجود بهم كل زمان ، من حيث حب البحث والدأب ومواصلة العمل في التنقيب عن تاريخ هذه البـلاد ، وتـدوين ذلك التاريخ ، في عهد انصرف نظر نابتتنا الحديثة ـ بل جل مثقفي بلادنا ـ عن الاهتمام بعلم التاريخ انصرافاً مزرياً . وعناية الأستاذ المؤلف بهـذا العلم ، وإقـدامـه على تأليف هذا الكتاب الضخم ، في وقت الانصراف والعزوف عن البحوث التاريخية ، يضاف إلى ذلك ما بذل من جهد في سبيل جمع مواد هذا المؤلف ، وترتيبها ، وهو جهد لا يقدره قدره إلا من عاني مثل هذا العمل ـ كل هذه أمور تحمل كل مثقف منصف أن ينظر إلى عمل الأستاذ العقيلي في تأليف هذا الكتـاب نظرة تقدير وإعجاب ، وأن يقابل هذا العمل بالشكر ، فهو فضلا عن كونه جهداً أدبياً طيباً ـ يعبر عن عاطفة وطنية كريمة يجب أن تغذي وأن تنمى ، وأن يؤخذ بيد من يتصف بها نحو الطريقة المثلى .

والكتـاب يعـد أولى المحـاولات لتـدوين تاريخ البـلاد التي عني بتاريخها ـ بطريقـــة تغـاير ما سار عليه كل من كتب التـاريخ في هذا الجـزء من بلادنـا ، وهـو من المحـاولات الأولى في تدوين تاريخ بلادنـا بطريقة حديثة . وأمر هذا شأنـــه عرضـــة لأن يعتـوره القصـور والنقص ، وليس من الإنصـاف أن نطالب الأستـاذ العقيلي بالكمـال في عمله ، وأن ننـظر إلى كتـابه ـ وهو كما قلنا أولى المحاولات في طريقته ـ نظرتنا إلى المؤلفات التي وجد مؤلفوها الطرق معبدة ،

(*) فى كتاب « شعراء الجنوب » نبذة عن حياة المؤلف .

والوسائل متوفرة ، على أننا لا نعفي الأستاذ المؤلف من تبعة النقص في مواضع كان في إمكانه تداركه فيها ، من حيث التبويب والترتيب والإيجاز في مواضع تستدعي الإسهاب ، والإسهاب في مواضع لاتستحق ذلك .

كنا نريد أن يكون القسمان الأولان في الجزء الأول من الكتاب أوفى وأكمل مما هما عليه ، وأن يوجز تاريخ الحكومات التي حكمت اليمن ـ فالمؤلفات التي عنيت بتدوين تاريخ هذا القطر العزيز من بلادنا كثيرة متداولة ـ بخلاف كل ما يتعلق بتاريخ [المخلاف السليماني] الذي ألف من أجله هذا الكتاب ، وما كنا نريد للأستاذ التوسع في الموضوع توسعاً يجعل من الصعب على الباحث أن يعتبر هذا الكتاب شاملا لتاريخ (الجنوب العربي) الذي يقصد به جنوب جزيرة العرب بأسره ، بينما ، لا يجد الباحث فيه شيئاً من تاريخ جل هذا القسم من بلادنا (كعدن وحضرموت وعمان) على أننا نأمل ـ وهذا ما دفعنا إلى الإشارة إلى بعض مواضع النقص ـ أن يتدارك المؤلف ذلك في الطبعة الثانية .

وكنا نود أن لو خرج الكتاب بصورة خير من الصورة التي خرج بها من حيث جودة الطبع وقلة (التطبيع) غير أن عدم إشراف الأستاذ المؤلف على التصحيح ، ورداءة كتابة الأصل وغموض كثير من الكلمات التي تبدو في الغالب غريبة على المصححين ، وعدم قيامي بما ناط بي المؤلف من أمر التصحيح بسبب اشتغالى في أعمال أخرى اشتغالا منعني من عمل ـ كنت ولا أزال ـ أعتبره من أحب الأعمال إلى نفسي ، وحداثة إنشاء مطابع الرياض ، وعدم استكمالها وسائل الطباعة الحديثة ـ كل هذه الأمور حالت دون إخراج الكتاب بصورة مرضية من جميع النواحي .

ولن يمنع هذا ـ كل منصف ـ أن يذكر لمطابع الرياض فضلها ، وأن يشكر فعلها ، في سبيل نشر هذا الكتاب وأمثاله من الكتب النافعة .

حمد الجاسر

بسـم الله الرحمن الرحيـم

مقـدمة الطبعة الثالثــة

من حسن حظ أي كتاب أن تكتب له الأقدار الذيوع والانتشار وأن تعاد طباعته مرات ، ومن توفيق الله وعونه أن كتابى هذا « المخلاف السليماني » طبع فى الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ هـ بعناية علامة الجزيرة وأستاذ الجيل الشيخ حمد الجاسر ، ونفدت طبعتـه وطبـع للمـرة الثانية بإشراف سعادة الشيخ حمد الجاسر نفسه ، فله الشكر والتقدير ، وإنما كانت الكمية التي طلبت طبعها ثلاثة آلاف نسخة فقط ؛ نظراً لأنه قد طُبِـع الـطبعـة الأولى ، ولأن إقبال الناس على الكتب التاريخية ـ فى الوقت الحاضر ـ قليل ، إلا أنَّ التقدير شىء والواقع شيء آخر ، حتى إنه من كثرة الطلب عليه اضطررت أن استرد نسخاً كثيرة من إحدى المكتبات .

والآن وقـد مضى على الـطبعة الثانية سبع سنوات ، وإن بعض الجهات التى طبعت بعض مؤلفاتي جعلت لى الحق فى إعادة طبعها لحسابي ؛ لذلك ولكثرة الطلب عليه والحث من بعض المهتمين بالتاريخ عزمت ـ متكلاً على الله ـ على طبعه الطبعة الثالثة .

لقـد كلفني الأمـر فى المـراجعة والتصحيح عمل خمسة أشهر لبعض التعليقات والتصـويبـات والمـراجعـات والزيادات وغير ذلك مما سنوضحه وسيلمسه القارىء الكريم ، مثــل :ـ

١ ــ تصويبات التطبيعات والأخطـاء .
٢ ــ إضافة بعض الحواشي والهوامش .
٣ ــ إضافة السنة الميلادية بجوار كل تاريخ هجـري .
٤ ــ عمل استبيانات كاملة لمايأتي :ـ

[أ] استبيان بأسماء الرجال .

[ب] استبيان بأسماء البـلاد .
[جـ] استبيان بأسماء القبائل والدول والشعوب .

هذا وأرجو الله ـ مخلصاً ـ أن يجعل هذا الكتاب من الكتب النافعة وأن يكتب له الرواج والذيوع كما كتب لطبعتيه السابقتين وأسأل الله التوفيق .

جــــازان *محمد بن أحمد العقيلي*

الفصـــل الأول

جنـــوب الجـــزيـرة

هو الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، يعرف في الكتب القديمة بالعربية السعيدة ، وكانوا يطلقون ذلك التعريف على البلاد الواقعة بين (خليج العرب) والبحر العربي جنوباً والبحر الأحمر غرباً .

وسكانه عرب خلص أغلبهم (قحطانيون) والعربيُّ عَرَبيٌّ قبل كل شيء ، فالعروبة هي عنصره الأول ، ومنتهى انتسابه الأسْمَى ، والإسلام دينه القويم ، ومنتهى سؤدده ، به تكونت وحدته ، وعلى هَدْيه استنارت أُمَّتهُ وتكَوَّن تراثُه المشترك ، وأمجادُهُ الخالدة ، وفتوحاته العظيمة ، وخفقت راياته الشَّمَّاءُ على مملكتي أكبر امبراطوريتين عرفهما العالم في تاريخه القديم .

قبـل الإسـلام :

ينسب غالب عرب جنوب الجزيرة كما أسلفنا إلى (قحطان) ومنه تفرعت أصول غالب سكانه وتشعبت قبائله ، وكان في العصور السحيقة الموغلة في القدم يتولى السلطة القبلية أقوى شخصية فيها وتكون سلطته لاتتجاوز نطاق العشيرة أو القبيلة الواحدة ، فإذا ما نجح في غارة موفقة على قبيلة أخرى ، أو قرية أصبح رئيس (مَخْفِد) والمَخْفِد عبارة عن عدد من القرى في السهول ، أو عدد من القصور في الجبال ، وكان الرؤساء يعيشون في تلك المحافد تَحُفُّ بكل رئيس قرابته وأهلُ بيته ، الذي يستمد من عصبيتهم حمايتَهُ وبَسْطَ نفوذه وقُوَّةَ تسلُّطِهِ ، ووراءهم في الترتيب الأقرب من قبيلته ، ثم المحالفون لتلك القبيلة ، وغالباً ما يكونون ممن

ليس لهم عصبية قوية ، فينضمــون إلى عشيرة ذلـك الشيخ أو الـرئيس ، كمـا يقتضيه العـرف القبلي ويكـادون يكـونـون عادة في الـدرجـة الثانية بالنسبة إلى القبيلة الأصلية ، ومن ورائهم الخـدم وأصحـاب المهن ، ومن يقـومون بخدمة مرافق المجتمع ، وهم عادة ممن غُلِبوا على أمرهم ، وممن ألفوا الدّعَةَ والخمولَ والخنوعَ والسلامة من الحرب ، ومن الغارات المحفوفة بالمخاطر ، ومع تمادِي الأجيال أصبحوا في آخر طبقات ذلك المجتمع القبلي . ومن ذلك المجتمع الأوَّل نشأ ـ كما نخاله ـ تفاوت الطبقات ، فقد ورد في تاريخ اليمن القديم أنَّ هناك مدناً يطلق عليها اسم (هجر) واحدتها (هِجْرة) كان يسكن حولها الموالي ، وينسبون إلى الأشراف من عشائرها الرئيسة بالولاء ـ كما ورد في النقوش والكتابات الأثرية كأدم بني (مرثد) وأدم (بني جدن) أي التابعين لبني جدن والتابعين لبني مرثد .

الألقـــاب :

وكـان يطلق على الـرئيس لقب (ذو) مضافاً إلى اسم المحفد ، فيقال (ذو غمدان) و (ذو رعين) وتعرف هذه الطبقة من الرؤساء بالأذْواء ، فإذا ما نبغ ذو مواهب حربية من رؤسـاء المحافد ، واستطاع بشجاعته أو تفوقه العقلي أن يبسط سلطانه على عدة محافد أطلق عليه لقب (قَيْل) وانْدَمجَتْ تلك المحافدُ تحت سلطته باسم (مخلاف) .

وكان (الأذواء) و (الأقيال) يُوَرِّثُونَ تلك الألقاب أبناءَهم ويطلق على أسَرِهم لقب الأشراف أو النبلاء بالمصطلح المتعارف عليه في العصر الحاضر .

ومن أسـر أولئـك الحـاكمين مع تعـاقب الأجيال تكـونت تلك الـطبقـة التي اعتبـرت نفسهـا بمنـزلـة أسْمَى من مجمـوعـة السكـان ، ثم اتخذت أقوى كل الأسـر لنفسهـا لقب (مَكْـرب) الذى كان في ابتداء الأمر يطلق على (سادن) آلهتهم حتى إذا تغلغـل سلَطان تلك الآلهـة في قلوب متعبـديهـا على طريقتهم الـوثنية اعتلت منـزلـة تلك السـدانـة المقصـورة على تلك الأسـرة وانقلبت إلى مَلَكيَّة تستمـد نفـوذهـا وسلطتهـا من صميم حقـوق تلك الآلهـة المـزعـومـة ، وأضحى المَكْـرب هو الملك وســادتِ الفــوارق ، وتكـون نظام الـطبقـات ،

ومع تمادى الأجيال أمْسَتْ عادةً وعرفاً متوارثاً تحتمه التقاليد ، ويفرضه العرف .

وهذه التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة أكبر العوائق في سبيل تقدمها الحقيقي مما جاء الدينُ الحنيف والشريعة السمحَةُ لمحوه : ﴿ إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكم ﴾ فشرع المساواة والأخوة في الدين ، ومحو ذلك العرف البدائي القبلي ، الذي لا يعيش في مجتمع صالح يهدف إلى إعلاء دين ، وتكوين أمَّةٍ وبناء وَحْدَةٍ .

أشهر الحكومات في العهد القديم

إن من أشهر الحكومات القديمة في جنوب الجزيرة هي (حكومة أو مملكة معين) التي قامت على تقدير بعض الباحثين حوالي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وتسمت باسم عاصمتها القديمة (معين) ثم انتقلت إلى عاصمتها الثانية (القرنا) وموقع تلك الحكومة (الجوف) بين حضرموت ونجران وهي أرض منبسطة خصبة التربة (١) .

ويستدل بعض الباحثين من أسماء ملوكهم وأسماء آلهتهم ونظامهم السياسى والاجتماعي أن أصلهم من (العمالقة) بدو الآراميين الذي كانوا في أعلا الجزيرة قبل ظهور دولة (حمورابي) في العراق بعدة قرون ، وقد يكون المعينيون اقتبسوا تلك الحضارة من العمالقة بحكم الاتصال التجاري أو الهجرات التي تقذف أمواجها الجزيرة ، ثم عادوا إلى وطنهم وقد اقتبسوا الكثير فكان نواة لمعارفهم وحضارتهم الزاهرة .

وعلى كل ، فقد أنشأ المعينيون حضارة جعلتهم في القمة بين سكان الجزيرة في عصرهم ، ورفعهم رقيهم وتفوقهم الأدبي والتجاري على القبائل

---

(١) أول مستشرق عنى بالبحث عن الآثار اليمنية هو العالم الألمانى (ميخايلس) المتوفى سنة ١٢١١/ ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م ثم حصل الضابط الإنجليزى (ولستيد) Wellsted على كتابة حميرية نالت اهتمام علماء الآثار وأعياهم حلها حتى تمكنوا بعد كل جهد إلى ذلك بعد عدة أعوام ، وجد الرحالة (هوتن) T.G. Hutten نقوشاً أثرية أخرى فى عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م .

المجاورة فبسطوا سلطانهم ومدوا ظل سيادتهم على قسم من الجزيرة العربية فاحتكروا التجارة ونظموا الإدارة ومهدوا طرق المواصلات وشادوا المعابد وبنوا الهياكل وضربوا المسكوكات ، وافتنوا في وسائل الترف والحضارة واقتبسوا الأبجدية (الفينيقية) لسهولتها التي احتاجوا إليها لضبط حساب تجارتهم واقتصادياتهم وتدوين معارفهم ثم مع توالي الأجيال تحولت إلى (المسند) الخط المعروف .

لم تكن (معين) معروفة في المؤلفات العربية وإنما عرفت بصفتها محافد من جملة المحافد حتى (الهمداني) نفسه لم يعرف عن تلك الدولة شيئاً ، بل ذكر جملة من مواقعها في (الجوف) كمدينة (معين) و (نشق) و (براقش) بدون علم وإلمام عن تاريخها الموغل في القدم .

وأقدم من ذكرها من الكتاب (الكلاسيكيين) هو (ديودورس الصقلي) ، حوالي سنة ٤٠ قبل الميلاد .

أما في العصر الحديث فقد اكتشفها السياح المستشرقون وفي مقدمتهم (يوسف هاليفي) و (إدوارد كلاسر) و (أويتنك) .

أما مكتشف أطلال مدينة (معين) فهو المستشرق (يوسف هاليفي) المتقدم ذكره في أثناء ارتياده بلاد الجوف ، فقد عثر على أطلالها ، وقرأ اسمها مكتوباً على بابها (بالخط المسند) وحصل كتابات أثرية معينية (سميت باسمه) وهي (٧٠٠ نقشاً) :

٨٠ من أطلال مدينة معين .
١٥٥ من أطلال مدينة (يثل) .
٤٦٥ من أطلال مدن القرنا . براقش . السوداء .

كما عثر الضابط البريطاني « كروتندن » في صنعاء على كتابات حميرية ظنها من خرائب مأرب في عام ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م .

أما « الفرنسيون » فأول من اعتنى منهم بالبحث فهو المسيو « أرنو »

فقد دفعه حبه للبحث إلى دخول « اليمن » ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م وعاد معه ٥٦ نقشا من صنعاء والخربية وقد حل رموزها المستشرق « أوسياندر » عام ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م وعقب ذلك انتدبت وزارة المعارف الفرنسية المستشرق « يوسف هاليفي » عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م فدخل اليمن وبلغ مأرب وعاد بـ ٧٠٠ نقش فتفوق بذلك على كل من سبقه .

ثم دخـل إلى اليمن المستشرق الألماني « كلاسر » غير مرة ونقل منه كتابات أثرية منها ما هو ذو قيمة تاريخية وعقب ذلك ارتاده غيرهم مثل النمساوى « لنكر سيكفـريد » Langer Siegfrid الذي تمكن من تصوير بعض النقوش ونقل بعض الكتابات سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م وقتل في اليمن ثم قام إدوارد كلاسر النمساوي بأربع رحلات الأولى عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م والثانية عام ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م والثالثة عام ١٨٨٧ والرابعة عام ١٨٩٠ واقتفاه غير واحد من الرواد المعروفين .

فقرأ أسماء الكثير من مدنها وملوكها وبعض نظمها ، وقد بلغ عدد من عثر على أسمائهم من ملوكها ٢٦ ملكاً ومن اكتشاف (يوسف هاليفي) وغيره من الرواد ، اتضح أسماء ملوكهم وإن لم يتفقوا على مجموع عددهم وترتيب أزمانهم ، وأن دولة (معين) كانت حكومة ملكية ، وأنها حكومة مدن ، كل مدينة منها حكومة مصغرة لهـا آلهتهـا ومعـابـدها الخاصة بها وعلى رأس كل مدينة ممثل للملك ، يلقب (بكبير) للتوجيه ، وتنسيق السياسة العليا للدولة ، أما الإدارة المحلية فيقرر أمورها ويدير شؤونهـا ، مجلس المـدينـة المؤلف من طبقـة (الأشـراف) ويطلق على المجلس اسم (مسود) وظهر أن دولتها دولة تجارية لا دولة حرب وفتح وإن إيراداتها العامة من الضرائب الآتية :

١ ــ ضرائب عامة لخزينة الدولة أو بالأصح خزينة (الملك) .
٢ ــ ضرائب تجبى باسم المعابد من الرعية ومن النذور وغيرها .
٣ ــ ضرائب إضافية للمشائخ والحكام الإقليميين تجبى من سواد الشعب .

ديانتهـــم :

كان لشعب معين (آلهة) يتعبدون لها وفي كل مدينة معابدها وهياكلها ولكل معبد كهنته وسدنته ينظمون الطقوس ويقومون بدور الوسطاء بين الشعب الساذج والآلهـة الصمـاء ، ويقبضـون الهبـات ، والنـذور تؤلف أكبـر قسم من إيرادات المعـابـد . فإذا نذر شخص للآلهـة أصبح ديناً عليه يقوم المعبد بتقاضيه منه واستحصاله ومن أشهر آلهتهم (عثتر ذو قبضم) أي ذو قبض ، وقد تلاشت في دولة (سبأ) ، في القرن الثامن قبل الميلاد . . ؟

مملكـــة قتبـــان

مملكـة عربية موقعهـا على وجـه التقـريب في الجنـوب الغربي على ساحل (تهامة) وقد امتدت إلى باب (المندب) وعاصرت حكومة (معين) أورد ذكرها بعض الكتـاب (الكلاسيكيين) مثل (ثيوفراستس) وغيره حوالي سنة ٣١٢ قبل الميلاد وقد اندمجت بعد ذلك في حكومة (سبأ وريدان) .

نظامها ملكي وراثي ويدير شؤونها نواب وشيوخ يطلق عليهم لقب (كبير) وفي كل مدينة مجلس يوكل إليه مهمة إدارتها ويطلق عليها اسم (مسود) ومن مهمته تقنين القوانين وتقرير الضرائب وكان لهم تشريع عام يحدد تقرير العقوبات في شتى الجرائم وينظم العلاقات الاجتماعية والتجارية .

وكانت لهم مسكوكات (نقود) عليها صورة رجل واسم الملك والمدينة التي ضربت فيها تلك (السكة) وهي مدينة (حريب) وقد حقق بعض المستشرقين موقع تلك المدينة شرق شمال مدينة صنعاء بمسافة ٥٥ كيلا ويعد وادي بيحان من صميم بلاد (قتبـان) .

الدولـــة الســـبئية

ورد ذكر سبأ في القرآن الكريم ، وعرضت المؤلفات العربية لشيء من أخبارها .

يقـدر البـاحثـون من المستشرقين أن مبتدأ قيام تلك الدولة في القرن التاسع قبـل الميلاد ، وقـد مرت بعـدة أدوار من الأدوار المشـار إليهـا قبـل ، في

مبتدأ هذا البحث حتى توصلت إلى تكوين دولتها ، وقد مرت بعد تكوينها بثلاثة أدوار .

١ ــ الدور الأول أو دور الطبقة الأولى من ملوكها الذين تلقبوا بلقب (مكرب سبأ) ومدته حوالي ٧٠٠ سنة .

٢ ــ الدور الثاني دور الطبقة الثانية من ملوكها الذين تلقبوا بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) ويبدأ من سنة ١١٥ قبل الميلاد إلى ٢٧٥ بعد الميلاد .

٣ ــ الدور الثالث دور الطبقة الثالثة الذين تلقبوا بلقب (ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في الجبال وتهامة) وينتهى فى عام ٥٢٥ ميلادية بأيام (ذي نواس الحميري) وهذا الدور الأخير هو العهد الحميري . ووصفت في التوراة بتصديرها اللبان والطيوب والأحجار الكريمة والذهب ؛ وورد ذكرها في المؤلفات اليونانية والرومانية .

ديانتهم :

ديانة السبئيين الوثنية ، واسم آلهتهم في الدور الأول (المقة) والمكرب في هذا العهد هو الكاهن أو السادن الأول لتلك الآلهة ، وبعده نصبوا لهم آلهة جديدة تسمى « تألب ريام » وكانت لهم طقوسهم ومعابدهم يتقربون بها إلى تلك الآلهة الحجرية ، ويهبون لمعابدها الهبات وينذرون لها النذور ويتقربون إليها بإقامة المعابد وإشادة الهياكل ويستمدون منها النصر في حروبهم ، لا من الله جل وعلا .

حالتهم الاجتماعية :

كان الشعب مقسما إلى ثلاث طبقات :-

١ ــ طبقة الأشراف : ومنهم حماة الأمن وحملة السلاح وحراس القوافل التجارية والحاشية الملكية وحرس الملك ورجال الحكومة .

٢ ــ الزراع : ومن أعمالهم فلاحة الأراضي وحفر القنوات والترع وبناء السدود وغرس الحدائق .

٣ ـ التجار وأرباب الحرف والعمـال .
ولكل طبقة مستواها المحدود الذي لا تتعداه .

حضـــارتهم :

سادت حضارة زاهرة في جنوب الجزيرة لاتقل عن أعظم الحضارات القديمة رقياً وتمـديناً فقـد أتقنـوا الخط والحسـاب لتدوين حضارتهم وتسجيل أحداثهم التـاريخية وضبط تجـارتهم وعرفوا هندسة المباني وعلم الفلاحة فشادوا القصور وأقـامـوا السـدود وحفـروا الترع وغرسوا الحدائق وبنوا المعابد الفخمة والهياكل العظيمة واستخرجوا المعادن والأحجار الكريمة وألموا بغير ذلك من الصباغة ونسج البرود وتركيب الطيُوب ومعرفة طرق المواصلات فقادوا القوافل التجارية والسفن الشراعية واتصلوا بغيرهم من الأمم وأنشأوا معهم العلاقات السياسية والتجارية ، وكان ملوكهم يستعملون في تنقلاتهم عربات تجرها الخيول ، والفيلة ، ويتحلون بالأساور الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة ويستعملون آنية من الذهب والفضة ويرتدون منسوجات من الحرير المخطط بأسلاك دقيقة من الذهب والفضـة .

وقد تغلب الحميريون على دولة سبأ وبنوا على أنقاضها الدولة الحميرية التي هي الطبقة الثالثة في هذا البحث التي عرف ملوكها بملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في الجبال وتهامة ، وانتهت كما مر بأيام ذي نواس في عام ٥٢٥ ميلاديــة .

غزو الحبشــــة

العـلاقات بين جنوب الجزيرة والحبشة قديمة ، قدمهما في التاريخ ، لقرب بلادهمـا اللتين لايفصلهمـا إلا مضيق باب (المندب) وقد أغرت خيراتُ ذلك الجزء من البلاد العربية وازدهار حضارته (الأحباشَ) بغزوها غير مرة كما يأتي :

١ ـ غزا الأحباش اليمن في القرن الثاني الميلادي واستولوا عليها فطردهم (الحميريون) .

٢ ـ وفي القرن الرابع تمكن الأحباش من فتح (اليمن) بعد معارك طاحنة

واستولوا عليه نحو عشرين عاماً ثم تمكن (الحميريون) من طردهم عام ٣٧٤ م .

٣ ـ أما الغزو الثالث وهو موضوع البحث فقد كان في عام ٥٢٥ م وخلاصته أن (ذي نواس) المتقدم ذكره آخر ملوك (الطبقة الثالثة) غزا (نجران) التي انتشرت (النصرانية) في أنحائها فاستولى عليها عنوة وكان ذو نواس قد اعتنق (اليهودية) وأخذ في العمل على نشرها ، فعرض على النجرانيين اعتناق (اليهودية) فامتنعوا فدفعه تعصبه إلى وضعهم في الأخدود وشب عليهم النيران وهدم (بيعتهم) ففر من نجا منهم إلى (قيصر الروم) فكتب لهم كتاباً إلى النجاشي ملك الحبشة ـ الذي يدين مثله بالنصرانية وتربطه به علاقات سياسية ـ يحثه على غزو (اليمن) .

بعث (النجاشي) جيشاً مؤلفاً ـ كما يقال ـ من سبعين ألف مقاتل بقيادة (ارياط) فاستولوا عليها ٧٤ عاماً عملوا في خلالها جاهدين على نشر النصرانية ومن أجل ذلك أرادوا هدم (الكعبة) فأهلك الله جموعهم وأرسل عليهم ﴿ طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ فعادت فلولهم إلى صنعاء وظلوا بها إلى أن أخرجهم (الفرس) الذين استنجد بهم أحد الأمراء المسمى (سيف بن ذي يزن) واستطاع بمساعدتهم طرد الأحباش ، وسام من بقي منهم الذل وفرض عليهم العبودية ، وسخرهم في أحط الأعمال وأحقرها نكاية في إذلالهم ويقال : إن الطبقة المعروفة في (اليمن) بالخدام ، والذين إلى الآن يمتهنون (حمل الأشياء ونقل المؤن) على ظهورهم ويخدمون في مرافق الشعب ، هم من بقايا تلك الفلول الحبشية ، والحقيقة أنهم سود البشرة في ألوان سكان أفريقيا محتفظين بطابعهم الأول في اللون ، وهم لا يخالطون غيرهم فتجدهم في كل محل منعزلين في حي خارج كل مدينة قد فرض عليهم العرف عدم الاختلاط مع السكان يتزوجون من جنسهم مما جعل الاحتفاظ بلونهم الأصلي باقياً بالرغم عن مرور أربعة عشر قرناً على نزوحهم الأول .

وقد قتل سيف بن ذي يزن على يد بعض حراسه فحكم (الفرس) اليمن مباشرة حتى ظهر الإسلام .

عند ظهور الإسلام

بعث النبي الكريم ﷺ وأغلب جنوب الجزيرة تحت نير (الحكم الفارسي) بيد أن حكمهم بعد مصرع (كسرى أبرويز) سنة ٦٢٨ م ضعف نفوذه وفلت سطوته فظل نائبهم في (صنعاء) مشلول الإرادة أمام الإقطاعيات القوية التي تساندها عصبياتها العتيدة بل إن الطبقة الارستقراطية (من الأبناء) وهم المولدون في اليمن من أصل فارسي قد دب بينهم التنازع والشقاق واختلفت كلمتهم وتفرقت آراؤهم وهم معين القوة التى تستمد منها الطبقة المحاربة ضد سكان البلاد وأهلها الشرعيين ، فنتج من وراء ذلك أن تركت المقاطعات تحكم نفسها تحت زعامة رؤساء العشائر القوية وانفرد كل رئيس بسلطة قومه وإدارة شؤون قبيلته وقد غلت الدماء العربية إباءاً وأنفة من الحكم الفارسي الدخيل وراح ذوو الرأي يتطلعون إلى بارقة أمل تضيء السبيل إلى التحرر والتخلص من نير أولئك الدخلاء الأجانب الذين غزوا (اليمن) بجيوشهم وفساد مدنيتهم التي قد تردت في آخر مراحل الانحلال ونجم عن سوء إدارتهم أولا وضعف سلطتهم آخراً ، أكبر عوامل الفوضى والاضطراب والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي .

في ذلك الأفق المدلهم أشرقت شمس الإسلام بأنوارها الساطعة فأقبلت قبائل الجنوب العربي إلى مطلع مشرق الهدى تعلن إسلامها ، وكانت السنة العاشرة للهجرة سنة الوفود من سائر أنحاء (الجزيرة) ومن جملتهم .

١ ــ وفد كندة برئاسة الأشعث بن قيس .
٢ ــ وفد الشحر ، أو ساحل حضرموت برئاسة وائل بن حجر .
٣ ــ وفد حمير برئاسة الحارث بن كلال .
٤ ــ وفد همدان .
٥ ــ وفد المعافر .
٦ ــ وفد الأشاعرة على رأس أبي موسى الأشعري .
٧ ــ وفد بلاد حكم على رأس عبد الجد الحكمى [1] .

---

(١) المستفيد للديبع .

فأسلموا واعتنقوا الدين الحنيف ، فبعث النبي ﷺ معهم عماله وهم :

١ ــ الطاهر بن أبي هالة ، على جهة عك من تهامة .
٢ ــ خالد بن سعيد بن العاص ، ما بين وادي زبيد ونجران .
٣ ــ يعلي بن أميـة ، الجند .
٤ ــ فيروز الديلمي ، صنعـاء .
٥ ــ معاذ بن جبل ، يتنقل في جميع جهات أولئك العمال لتعليم القرآن وتفقيه الدين .

في خلافة أبي بكـر الصديـق :

بعد وفاة الرسول الكريم ارتد أكثر عرب الجزيرة فبعث الخليفة الأول البعوث لإعادتهم إلى حظيرة الدين ومنهم :

١ ــ المهاجر بن أمية ، لحرب الأسود العنسي بصنعاء .
٢ ــ زياد بن لبيـد ، لحضرموت .
٣ ــ أبو موسى الأشعري ، لزبيد ورمع .
٤ ــ يعلي بن أمية ، لخـولان .
٥ ــ معاذ بن جبل ، للجنـد .
٦ ــ سويد بن مقرن ، لتهامة .
٧ ــ جرير البجلي ، لنجـران .
٨ ــ عبد الله بن ثور ، لجرش .
٩ ــ عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، على أبين .

في خـلافة الفـاروق :

أقر الفاروق أولئك العمال على أعمالهم إلا يعلي بن أمية فقد عزله مرتين ، ويظهر أنه عزله أولا عن ولاية صنعاء وولاه خولان ثم عزله عن عمالة خولان [١]

---

(١) المستفيد للديبع والعقود اللؤلوية للخزرجي .

في خلافة عثمـان بن عفـان :

توفي الفاروق في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤ م وخلفه عثمان فأعاد يعلي بن أمية إلى عمله وأقر باقي العمال على أعمالهم .

في خلافة على بن أبى طالـب :

فى السنة الأولى من خلافته أي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م أرسل :

١ ـ عبيد الله بن عباس ، لصنعاء وأعمالها .

٢ ـ سعيد بن سعد بن عبادة ، للجند وأعمالها .

ففر يعلي بن أمية وابن أبي ربيعة إلى مكة على خوف ووجل ، فظل عبيد الله ابن العباس على صنعاء ويحج بالناس إلى آخر أيام علي وهي السنة التي اقتحم جيش معـاوية بقيادة بسـر بن أرطأة اليمن ودخل صنعاء فلما علم عبيد الله بدنو الجيش استخلف على عمله عمر بن أراكة الثقفي وسار إلى علي وترك طفليه عند أم سعيد البـرزخية فدخـل يسر بن أرطاة صنعاء ، وقتل الطفلين وعمر بن أراكة وجماعة من الأبناء وسار إلى عدن .

علم الإمام علي فجهز ألفي فارس بقيادة جارية بن قدامة إلى اليمن ، فانسحب ابن أرطاة فدخل جارية صنعاء وقتل من قدر عليه من أصحابه ومن شايعه وعاد إلى مكة فبلغه قتل علي وهو بها في رمضان عام ٤٠ هـ / ٦٦٠ م .

في خلافة معـــاوية :

استعمل على صنعاء عثمان بن عثمان الثقفي ثم عزله وولى أخاه عتبة بن أبى سفيان وجمع له ولايتي صنعاء والجند ، ويقال : إنه عزله بفيروز الفارسي الذي توفي بعد تسعة أشهر من ولايته ، فاستعمل الضحاك بن فيروز فلم يزل على ولايته إلى أن توفي معاوية فأخذ البيعة ليزيد .

في خلافة يـزيد بن معـاوية :

استعمل يحيي بن ريشان الحميري على ولايتي صنعاء والجند إلى أن توفي في سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م [١] .

---

(١) نفس المصـــدرين الســابقين .

في خلافة عبـد الله بن الزبيـر :

استعمل الضحاك بن فيروز ـ السابق ذكره ـ سنة واحدة ثم عزله بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مدة وأبدل بعبد الله بن المطلب ابن أبى وداعة السهمي سنـة وثمـانية أشهر وعزله بأخيه وداعة ، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير خمسة أشهر ثم عزله بحسن بن عبد الله واستعمل بعده قيس بن يزيد السعدي التميمي عشرة أشهر واستعمل غيره وبعدها قتل ابن الزبير كما هو معروف في عام ٧٢ هـ ـ ٦٩١ م .

في خلافة عبد الملك بن مـروان :

بعد قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير أسند إليه عبد الملك ولاية الحجاز واليمن فاستعمل على اليمن :

١ ــ أخاه محمد بن يوسف الثقفي على صنعاء .

٢ ــ الحكم بن أيوب على حضـرموت .

٣ ــ واقد بن سلمة الثقفي على الجند .

فظلوا على ولاياتهم ثم عزل الأخير وضم ولايته إلى أخيه فجمع له ولاية صنعاء والجند إلى أن أدركته الوفاة في سنة ٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م فأناب الحجاج على ولايته أيوب بن يحيي الثقفي .

في خلافة سـليمان بن عبد الملك :

عزل سليمانُ أيوبَ بن يحيي الثقفي عن اليمن وولى عليه عروة بن محمد السعدي .

في خلافة عمـر بن عبـد العزيز :

توفي سليمان بن عبد الملك عام ٩٩ هـ ـ ٧١٧ م وخلفه عمر فأقر عروة على عمله واستقضى معه وهب بن منبه على صنعاء .

في خلافة يزيد بن عبـد الملك :

تولى الخلافة عام ١٠١ هـ ـ ٧١٩ م فاستعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبى .

في خلافة هشـــام :

تولى الخلافة عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م فأقر مسعوداً على الولاية سنة واحدة عزله بعدها بيوسف بن عمر الثقفي وجمع له ولاية جميع مخاليف اليمن واستقضى معه الغطريف بن الضحاك بن فيروز فظل يوسف على ولايته ثلاثة عشر عاماً إلى أن صدر أمر هشام بولايته العراق فأناب على اليمن ابنه الصلت إلى أن توفي هشام عام ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م .

في خلافة *الوليـــد* بن يزيـــد :

استعمل على صنعاء في سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م ـ مروان بن محمد بن يوسف الثقفي فظل على ولايتها إلى أن قتل الوليد في عام ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م .

فى خلافة يزيـد بن *الوليـــد* :

استعمل الضحاك بن وائل السكسكي واستقضى معه يحيى بن شراحيل بن أبرهـة .

في خلافة مـروان بن محمـــد :

استعمل مروان على صنعاء القاسم بن عمر الثقفي وفي أيامه ثار عبد الله بن يحيى الحضـرمي وقصـد صنعاء وهزم الوالي الأموي وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف ، وتغلب الثائر على حضرموت واليمن وغيره سنة وأربعة أشهر كما استولى عليه بعده أبو حمزة ـ الثائر المعروف ـ وتقدم إلى مكة والمدينة فبعث إليه مروان جموع أهل الشام بقيادة عبد الملك السعدي الذي التقى به في وادي القرى فأوقع به وتعقبه إلى بيشة ثم إلى اليمن وحضرموت ، فوافاه كتاب مروان بولاية الموسم فصالح القوم وسار في ركب قليل فلما بلغ الجوف قتل هناك فبعث مروان الوليد بن عروة بن محمد على اليمن فلم يزل على ولايتها إلى أن قتل مروان عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م .

العهـــد العباســـي

في عهد الخليفة العباسي الأول السفاح استعمل على الحجاز واليمن عمه داود ابن علي فأناب داود على اليمن عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أول نائب لبني العباس فأقام في صنعاء وبوب جامعها ، ولم يكن له باب من قبل ، وبعد خمسة أشهر أدركت داود الوفاة فبعث السفاح محمد بن يزيد ابن عبد المدان الحارثي فقدمها لسبع بقين من رجب سنة ١٣٣ هـ - ٧٥٠ م وبعث أخاً له على عدن فساءت سيرتهما فأدركتهما الوفاة في يوم واحد فأرسل السفاح مكانهما عبد الله بن مالك الحارثي فمكث أربعة أشهر وعزله بيعلي بن الربيع الحارثي فبقي في ولاية اليمن أربع سنين وأشهر .

في خـلافة المنصـــور :

استعمل المنصور عبد الله بن الربيع الحارثي ثم عزله بمعن بن زائدة الشيباني فى ربيع الأول عام ١٤٠ هـ - ٧٥٧ م ، وفى تلك السنة تناثرت الشهب من أول الليل إلى آخره ويقال إنه شفي في تلك الليلة كثير من المجانين .

ظل معن على ولايته ست سنوات وبعث ابن عمه سليمان إلى المعافر فقتل فأحرق معن القرية التي قتل بها وقتل من أهلها نحو ألف شخص ومن حضرموت نحو خمسة عشر ألفاً ثم رجع إلى صنعاء فصدر إليه أمر المنصور بالسير إليه وأن يستخلف عليه ابنه زائدة ففعل فظل ابنه في نيابته ثلاث سنوات حتى عزل بالحجاج ابن منصور ثم عزل الأخير بيزيد بن منصور الحميري سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م الذي ظل على الولاية إلى أن توفي المنصور في ذى الحجة عام ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م .

في خـلافة المهـــدي :

أقر المهدي يزيد بن منصور ثم أمره أن يحج بالناس فاستخلف عبد الخالق ابن محمد الشهابي وتوجه إلى الحج فتوفي بعد خمسة وسبعين يوماً من خروجه فاستعمل الخليفة بدلا عنه رجاء بن حيوة الجذامي ثلاثة عشر شهراً وعزله بعلي بن سليمان بن علي العباسي فقدم صنعاء في المحرم سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م

وأقام بها سنة وخمسة أشهر ثم سار إلى العراق واستخلف رجلا يسمى واسع بن عصمة إلى أن عزله المهدي بعبد الله بن سليمان العباسي الذي قدم صنعاء سنة ١٦٥ هـ / ٧٨٢ م ومكث على عمله سنة وعزل بعبد الله بن سليمان النوفلي فظل هذا في الولاية سنة وعشرة أشهر حتى عزل بسليمان بن يزيد الحارثي الذي ظل على ولاية اليمن في بقية أيام المهدي وعهد الهادي التي لا تتجاوز السنة الواحدة .

في خلافة هارون الرشيد :

استعمل على اليمن عبد الله بن مصعب الزبيري ثم عزله بغيره ثم استعمل بدلا عنه محمد بن خالد بن برمك الذي استخرج النهر المعروف بالبرمكي حول صنعاء وكان من أحسن العمال سيرة فخرج عن طاعته أهل تهامة وعجز عن إخضاعهم فعزله الرشيد بحماد البربري فبقي إلى تغلب المأمون على الخلافة .

فى خلافة المأمون :

استعمل المأمون يزيد بن جرير القسري فساءت سيرته وتعصب لقحطانيته ضد الأبناء فعزل بعمر بن واقد الخطابي فحبس سلفه ثم عزل هذا وولى اسحاق بن موسى بن محمد بن علي العباسي فاستخلف على عمله ابن عمه قاسم بن إسماعيل وعاد إلى العراق وفي مدته كان خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي - على العباسيين في اليمن - فبعث المأمون محمد بن علي بن عيسى بن ماهان فاستولى منه على اليمن وظل به إلى أن عزل بعيسى بن يزيد الجلودي الذى استخلف على عمله حصين بن منهال وعاد إلى العراق ، وفي أيامه نشط دعاة العلويين فأرسل رؤساء وأعيان اليمن وفداً إلى الخليفة المأمون فيهم محمد بن زياد من ولد عبيد الله بن زياد ، وكان على جانب من الحصافة والدهاء فتوسم فيه الخليفة الرجل الذي يصلح لولاية اليمن فاختبره فوجد فيه بغيته وتعهد هذا للخليفة بالقضاء على حركة العلويين فولاه تلك البلاد عام ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م .

وبتولي الزيادي الولاية العامة ، ظل في صنعاء وَالٍ عباسي يناط أمر تعيينه بمقر الخلافة ، فعزل الخليفة ابن منهال عنها وولاها إبراهيم الإفريقي

ثم عزله بنعيم بن وضاح الأزدي والمظفر الكندي أحدهما للإدارة والصلاة ، والآخر للجهـاد .

وفي عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م توفي المظفر فعزل الخليفة نعيم بمحمد بن عبد الله ابن محرز ثم عزله بإسحاق العباسي فأساء السيرة ، وتوفي في ولايته فخلفه ابنه يعقوب فثار عليه أهل صنعاء فخرج منها إلى ذمار فعزل بأمير عباسي آخر فاستخلف العباسي الجديد على عمله عبَّاد بن عمر الشهابي .

في خـلافة المعتصـم :

أقر المعتصم عبـاداً ثم عزله بغيره .

في خـلافة المتـوكل :

استعمل على صنعاء جعفر بن دينار فأقام على عمله مدة ثم استخلف ابنه وعاد إلى العراق وظل ابنه إلى أن قتل المتوكل .

في خـلافة المنتصـر :

استعمل على صنعاء منصور بن عبد الرحمن التنوخي فأحسن السيرة ثم قدم إليه مشاركاً له في عمله عبد الله بن محمد الماهان .

في خـلافة الـواثق :

أناط الواثق أمر صنعاء بمولاه إيتاخ الذى أناب عليها أحمد بن أبي العلاء ، فتـوفى هذا بعد أن استخلف أخاه فعزل بشخص يسمى هرثمة وهو الذي نشب القتال بينه وبين يعفر بن عبد الرحيم الحوالي مؤسس الإمارة اليعفرية ـ راجع أخبار الإمارة اليعفريـة ـ .

منطقـــة تهـــــــامـة

تهـامة بكسر التاء المثناة ، اسم يطلق على السهول المحاذية للضفة الشرقية للبحر الأحمر ، والنسبة إليها تهامي وتهام أيضاً ، وإذا فتحت التاء لم تشدد ، كما قالوا رجل يمان وشآم ، وقوم تهامون ، كما يقال يمانون وقال (سيبويه) : منهم من يقول تهامي ويماني وشامي بالفتح ومع التشديد ، واتهم الرجل سار إلى تهامة .

وتبـدأ حدودها على رأي بعض الجغرافيين ، من بحر القلزم أو بالأحرى من العقبة إلى عدن وعلى هذا يقال تهامة الحجاز وتهامة عسير وتهامة اليمن لمايلي كل جهة من تلك الجهات . كما جاء في نعوت النبي ﷺ « النبي التهامي » .

والبعض يحددها من الليث شمالا إلى عدن جنوباً ، كما أن بعضهم يحدها من حَلْي ابْنِ يعقوب شمالا إلى عدن جنوباً ويحددها الهمداني بجبل كدمبل [1] .

وعلى كل فهي سهول خصبة تمتد بمحاذاة ضفة البحر الأحمر الشرقية يختلف عرضهـا بقـدر قرب أو بعد سلسلة جبال السروات من البحر بين ٤٠ كيلا و ٧٥ تقريباً ، ولانخفاض أرضها تنحدر إليها مياه المرتفعات فتكون أودية عظيمة تحيل تلك السهول إلى جنات فيحاء . وأهم أوديتها الجنوبيـــة :

١ ـ وادي مَوْزَع .
٢ ـ وادي زَبيـد .
٣ ـ وادي حَيْس .
٤ ـ وادي رِمَع . .
٥ ـ وادي سَـــهَام .
٦ ـ وادي سرْدُدٍ .
٧ ـ وادي مـــور .
٨ ـ وادي جـدلان .
٩ ـ وادي حَيْران بالحاء المهملة .
١٠ ـ وادي حَـــرَض .

وأودية المخلاف السليماني سيأتي بيانها في الفصل الخاص بها .

---

(١) جبل كدمبل هو يعرف الآن بجبل (كتنبل) بكاف وتاء مثناة بعدها نون وباء موحدة ولام وهو يقع فى شاطىء (بلدة القحمة) فى مصب وادى حمضة جنوب قرية البرك .

تهامة في التاريخ القديم :

إذا أمعنا النظر في خريطة الجزيرة العربية المرسومة في الكتب الكلاسيكية نجد على تقادم العصور التي مرت على رسمها ، أنها تشتمل على نفس الشواطىء والرؤوس والخلجان والمنعرجات والتضاريس ، المرسومة في خرائط القرن العشرين إذا استثنينا بعض الخطوط التي ترمز إلى الأنهار في تهامة ، وفي القسم الجبلى إذا أخذنا بالنظرية القائلة بأن الجزيرة قد اعتراها الجفاف ونضبت أنهارها الجارية التي استدل الباحثون بآثار مجاريها ، أما أسماء المدن والقبائل الواردة في تلك الخريطة فقد عجز الباحثون عن معرفة أسماء أكثرها .

أما خريطة العربية السعيدة ، التي رسمها (بطليموس) في القرن الثاني من الميلاد فهي مثل سابقتها .

وجل معارف اليونان والرومان عن الجزيرة العربية مستقاة عن طريق ورواية روادهم فى البحر الأحمر والبحر العربي الذين دفعهم حب المغامرة أو الاتجار في البحار العربية ، في غرب الجزيرة وجنوبها الشرقي وشرقها .

وكان لليونان مستعمرات على شواطىء البحر الأحمر لإصلاح سفنهم وتزويدها وحماية تجارتهم ومن أشهرها (لويكة كومة) موضع مدينة (الحوراء) القديمة فيما بين الوجه وأملج ، البلدتين المعروفتين الآن .

في ذلك التاريخ السحيق كانت سفنهم تجوب البحار العربية للاتجار ثم تنقل تلك البضائع لشواطىء البحر الأبيض على القوافل قبل أن يكتشف (ماجلان) طريق رأس الرجاء الصالح في القرن السادس عشر الميلادي ـ بألف سنة تقريباً ـ وقبل حفر قناة السويس التي فتحت في القرن التاسع عشر بـ ٢٥٠٠ سنة تقريباً .

وقد جاء في النقوش القديمة أن ملوك سبأ تلقب أولئك الملوك في الدور الثالث بملوك سبأ وذي ريدان وأعرابها طودم وتهم ، أي فى الطود وتهامة مما يدل دلالة واضحة أن تهامة منطقة معروفة بذلك الاسم ذات كيان معروف استدعى الحال أو العرف السياسي إلى إضافة اسمها إلى ألقاب التاج السبئي .

الطـرق التاريخيـــة إلى جنوب الجزيرة

افتتح الرومان طرقاً توصل بين البلاد السورية التي كانت تابعة لسلطانهم وبين بلاد البخور والبلدان العربية السعيدة لتسهيل التجارة وسير قوافلهم ، ومن أشهر تلك الطرق السكة الرومانية التي أنشأها (طرايانوس قيصـر) وجعل عليها أعلاماً كتب عليها (فتحت هذه الطريق لتوصل بين سوريا وسواحل البحر الأحمر) وتلتقي تلك السكة بالطرق التي تسلك الحجاز وتهامة واليمن ، وعدن وحضرموت .

ومن المعروف في التاريخ أنه كانت في (الجزيرة العربية) طريقان رئيسيان ، توصل بين سوريا وسواحل المحيط الهندى .

١ ــ من حضرموت إلى الأحساء ومنه إلى صور على شاطىء البحر الأبيض .

٢ ــ من حضرموت ثم محاذية البحر الأحمر مجتازة بـ (تهامة) و (الحجاز) ثم منه إلى سـوريا .

والطريق الثانية أكثر سهولة وأضمن راحة لسير القوافل - في تلك المرحلة الطويلة الشاقة - عن الطريق الأولى التي تعترضها المفاوز المهلكة والصحارى القاحلة .

ولسهـولـة الطريق الثانية التي تجتاز سواحل البحر الأحمر « تهامة » المتصلة العمــران والمنتشــرة قراهـا ومـدنهـا على طول شواطىء البحـر ، من عدن إلى الحجــاز ، فقـد رغبت القـوافـل في سلوكهـا أكثـر من الأولى ، ونـظام سير القـوافـل - في ذلـك التـاريخ المتقادم - يتطلب من كل قبيلة أن تتولى حمايتها إلى أن تخـرج لأراضي القبيلة الأخـرى . فمما لاشك فيه أن قبائل تهامة كانت بدورها تقوم بحماية القوافل ، عبر أراضيها ، وتتولى تأمين طريقها ، مما يضفي عليها الأهمية في ذلك الشريان البري الحيوي الذي كان عن طريقه اتصال الشرق بالغرب - وسوف يمر القارىء الكريم بتوضيح مفصل عن هذا الطريق البري الهام

الـذي يمر في قلب المخلاف السليماني ، أو بالأحرى ما يطلق عليه الآن اسم مقاطعة جازان ، في الفصل الخاص بالدولة الزيادية في هذا الجـزء .

* * *

الفصـــل الثـــانى

تهامـة في التـاريخ الإســـــلامي

لم نعثر على تاريخ مستقل « لتهامة » في الثلاثة القرون الأولى للإسلام نرجع إليها في استقراء أحداثها ودراسة أحوالها السياسية والاجتماعية والعمرانية .

وفي خلافة الصديق استنفر القبائل للجهاد فسارع إليه ذو الكلاع الحميري في قومه وقيس بن هبيرة المرادي وجندب بن عمر الدوسي وحابس بن سعد الطائي ، وأنه في يوم واحد وصل منهم إلى المدينة عشرون ألفاً فصرف الخليفة الأول نصفهم إلى فارس والنصف الآخر إلى الشام ـ وقد ورد في أسماء عمال الرسول ﷺ اسم الطاهر ابن أبي هالة الذي ولاه بلاد « عك » من تهامة .

ونجد في حروب الردة أن الخليفة الأول أعطى اللواء العاشر لسويد بن مقرن ، وأمره بالسير إلى تهامة ، وكما يرى القارىء الكريم أنها جمل مقتضبة لا تغني الباحث ولا تصل به إلى الغاية المنشودة والبحث العميق .

أشهر قبائلها عند ظهور الإسلام :

أشهر القبائل المعروفة هي :

١ ـ الأصابح في جهة لحج .

٢ ـ بنو مجيد في جهة باب المندب .

٣ ـ الأشاعرة في جهة وادي زبيد .

٤ ـ عك في جهة ذوال إلى سردد ووادي مور .

٥ ـ حكم وتمتد من جنوب وادي مور إلى صبيا .

٦ ـ خولان وكنانة في مخلاف عثر من شمال صبيا إلى حمضة « القحمة » حالياً .

٧ ـ بنو حرام من كنانة في جهة حلي .

٨ ـ كنانة من « حلي » وإلى ما وراء الليث .

أشـهر مدنها التاريخيـة :

إن في بلاد حكم ومخلاف عثر ـ اللتين توحدتا في القرن الرابع ـ باسم المخلاف السليماني ، مدن تاريخية قد دثرت وطمست آثارها في هذا العصر ومن أشهرها :

١ ـ مدينة الخصوف ، مدينة حكم .

٢ ـ مدينة عثر .

فقد أورد اسميهما الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » في الفصل الخاص بمعرفة أطوال مدن العرب المشهورة ، فقال : وعرض الخصوف مدينة حكم مثل عرض صعدة ، وطولها من المشرق إلى المغرب مائة وتسع عشرة درجة وعرض عثر ست عشرة درجة وربع وطولها من المشرق إلى المغرب مائة وتسع عشرة درجة وربع .

فأورد اسميهما ضمن أشهر مدن جنوب الجزيرة مثل صنعاء وصعدة ونجران وجرش ، كما أورد اسم مدينة ثالثة هي الشرجة فرضة حكم ، وذكر عدة مدن سوف نورد أسماءها في الفصل الخاص بـ « تهامة في القرن الرابع » وقد ذكر الشرجة (عمارة) اليمني ونعتها بأنها « مقر ملك عظيم » ويظهر أن تلك المدينة أخذت في التأخر ونقص العمران بعد ذلك فلم يأت القرن الثامن إلا وهي بلدة صغيرة ، وقد أشار إليها ابن بطوطة في رحلته المشهورة ووصفها بأنها بلدة صغيرة .

قبائل تهامة وقراها في القرن الرابع

بالرغم من مضي خمسين ومائة عام تقريباً على قيام الإمارة الزيادية فإن نفوذ الأسر القوية لايزال يتمتع بسلطانه ويظهر أن السلطة المركزية بزبيد اكتفت بخضوع رؤساء الأسر الاسمي مع دفع الخراج مقابل أن تحكم كل

أسرة من تلك الأسر عشائرها وقد سهل لنا الهمداني مهمة الوقوف على ما نحن بصدده وكان يطلق على أولئك الرؤساء اسم ملوك ، وعلى ضوء ذلك نوضح أسماء الأسرة الحاكمة في تهامة التي كل مجموعة من الأودية منها تكون مخلافاً له رئيس يقوم بعوائده وإدارته .

١ ـ الأشاعرة قبيلة معروفة في التاريخ ومواقعها من حدود بني مجيد إلى حيس فزبيد وتشتمل سواحل هذه القبيلة على :

غلافقة ، المندب ، المخا . ورؤساء تلك القبيلة آل أبي الغارات .

ومن قرى زبيد : المَعْقر ، القحمة ـ وهي غير القحمة المعروفة في جهة حمضة ـ .

٢ ـ سهام وهي عكية ، ومن بواديها :

واقر ، المَهْجم ، عدد من القرى الصغيرة ، وسواحله بها ميناءا الحردة والعطنة .

ورؤساؤها آل النجم .

٣ ـ مور « عكية » ورؤساؤها آل روق بن شهاب .

٤ ـ بلد حكم وهو مسافة خمسة أيام ، ومن مدنه في القرن الرابع : الهجر [١] ، الخَصُوف ، الساعد ، السِّقِيفتان ، على وادي خلب ، وميناؤه الشرجة .

ومن قراه في ذلك التاريخ : العدايا [٢] ، الركوبة [٣] ، والمخارف [٤] ، والقليق .

---

(١) الهجر والخصوف والساعد والسقيفتان : ومدينة (الشرجة) ـ راجع كتابنا المطبوع « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » .

(٢) العدايا قرية قد دثرت فى جهة سامطة ويطلق الآن هذا الاسم على تل مرتفع نرجح انه أنقاض تلك القرية التاريخية كما أنه يوجد فى غرب صبيا قرية عامرة بهذا الاسم .

(٣) موجودة القرية بهذا الاسم إلى تاريخنا الحاضر .

(٤) غير معروفة الآن .

ومن أوديته : واديا بلاد عبس ، حيران وجدلان ، حرض ، تعشر ، جحفان ، لية ، خلب ، زائره [1] ، شاية [2] ، ضمد ، جازان ، وصبيا .

ورؤساؤه من الحكميين من آل عبد الجد .

٥ ــ مخلاف عثر وقبائله من خولان وكنانة والأزد ، ومن مدنه : « بيش » وحصبة ابراق ، عثر [3] وهي « فرضته » .

ومن أوديته : الأمان [4] ، بيش ، عتود ، ريم وعرمرم ، زنيف ، العمود ، ورؤساؤه من بني مخزوم .

٦ ــ بلد حرام من كنانة ، ومن أوديته : أتمة ، ضنكان وبه معدن غزير ولا بأس بتبره .

٧ ــ حلى وقاعدته الصحارية موضع رؤساء بني حرام ، وأوديته : تلومه ، الفراسة ، الجونية ، المحرم .

ومن قراه : حلي العليا ، السرين ساحل كنانة ، الليث .

---

(١) يطلق الآن عليه اسم وادى الخمس بالخاء المضمومة والميم الساكنة .

(٢) يطلق على وادي شايه الآن اسم وادى الكور .

(٣) فى جهة ساحل الجعافرة غرب مدينة صبيا .

(٤) نرجح أنه ما يطلق عليه الآن اسم وادى قرى .

الفصـل الثـالث

المخـــــلاف السليمـــاني

بعد هذا التمهيد الذي لابد منه لإعطاء القارىء الكريم صورة واضحة المعالم والـرسـوم عن « تهـامـة » في القـرن الرابع الهجرى ، والأسر التي كانت تحكم أقـطارهـا ، نأتي بكلمـة موجـزة عن (سليمـان بن طرف الحكمي) الذي تولى المخلاف في آخر عهد الدولة (الزيادية) وسيأتي ذكرها .

سـليمان بن طرف الحـكمـي

سليمان هذا من آل (عبد الجد الحكميين) بل أنجب تلك الأسرة على الإطلاق .

تولى مبدئياً ما يتولاه أسلافه من رئاسة قبيلة (حكم) بل تسامت همته إلى أبعد مما قنع به ذووه ورفعه طموحه في أثناء انحلال الدولة (الزيادية) وضعف السلطة المركزية إلى إنشاء تلك الإمارة بجهته بل ووسع مجالها حتى شملت ما أطلق عليه اسم (المخلاف السليماني) وهو من الشرجة إلى حلي بن يعقوب .

وبعد أن استوثقت له الأمور اتخذ من مدينة « عثر » عاصمة لإمارته وضرب اسمه على « السكة » وخطب له على منابر المخلاف واستمرت إمارته عشرين عاماً من عام ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م إلى ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م .

لم تشر المصادر التاريخية إلى أسباب انهيار إمارته ولا إلى سنة وفاته والذي نستنتجه :

١ ــ إن سليمان بن طرف من آل عبد الجد الحكميين آلت إليه رئاسة بلد حكم .

٢ ـ أنه كان أنبه تلك الأسرة وأبعدهم همـة .

٣ ـ وحـد بلاد حكم ومخـلاف « عشر » وجعـل منهـا إمارة موحدة ومخلافاً موحداً نسب إليه بعد ذلك باسم المخلاف السليماني ، أما كيفية انتهاء أو انهيار تلك الإمارة فندع التفسير للأحداث التاريخية التي نستطيع أن نستنتج من مدلولاتها ماضي التاريخ أو بعبارة أوضح ما أهمله مؤرخو تهامة .

إن ضعف حكومة أبي الجيش الزيادي وعجزه لتقدم سنه هو السبب المباشر لانتقاض أطراف مملكته واستقلال القسم الجبلي وقيام إمارة (سليمان بن طرف) .

وقد توفى أبو الجيش عام ٣٧١ هـ/ ٩٨١ م وخلفه طفل من أطفاله تحت وصاية مولى من مواليهم يدعى رشيد ولم تطل مدة هذا الوصي فقد أدركته الوفاة بعد مدة وجيزة فخلفه على وصاية الطفل مولاه (الحسين بن سلامة) .

وقد أشرنا في أخبار الدولة الزيادية إلى أن الحسين بن سلامة كان همه الأول إعادة هيبة الدولة واستعادة ما انتقض من أطرافها وإنه جرد السرايا وبعث البعوث حتى استرد أغلب البلاد لإمارتهم التابعة للخلافة العباسية .

وإذا رجعنا إلى آثار (الحسين بن سلامة) العمرانية وربطه طرق المواصلات من حضرموت إلى مكة وإقامته الأميال والبرد والفراسخ وحفر الآبار وإشادة الجوامع مع إقامة المنائر ثم إلى عمارته لجامع (حلي بن يعقوب) تحقق لدينا أن نهاية تلك الإمارة كانت على يد الحسين بن سلامة ولا شك أنه بعد استعادته لضم تلك الإمارة أزال رئاسة بني عبد الجد الذي كان رئيسها أول المنتقضين على دولة مواليه .

وقد قدمنا هذه النبذة التاريخية عن سليمان ليكون لدى القارىء إلمام تام ببعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية في هذا المخلاف .

قبائـل المخــــلاف السليمــاني

أشرنا قبل إلى أسماء قبائل تهامة في القرن الرابع الهجري وإذا كان من واجب المؤرخ والباحث استعراض الأحوال الاجتماعية في أدوار التاريخ فإتماماً للبحث نستعـرض في هذا الفصل أسماء قبائل المخلاف السليماني خاصة في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري وإذا كانت التواريخ القديمة تحدد المخلاف السليماني من حَلْي ابْن يعقوب شمالاً إلى الشرجة جنوباً فإن هذا المخلاف في تأريخنا الحاضر يحتفظ بنفس حدوده الأصلية ضمن المملكة العربية السعودية العتيدة وتتألف قبائله من :

١ ـ قبائل بني مروان وموطنهم ـ حالياً ـ الموسم ، الذي لاتزال أطلال مدينة الشرجة التاريخية ماثلة في ساحله ، وقبائل بني مروان هم قسمان . قسم عائد إلينا وقسم عائد إلى المملكة اليمنية ، ويتألف التابع لحكومتنا من :

[أ] الْعِربَة ، وقريتهم الموسم وتبعد عن ميدي بقدر خمسة عشر كيلا تقريباً .
[ب] بني الْعِــواجي .
[جـ] الْمزَايِبَــة .
[د] الْقِيُّــوس .

٢ ـ وشرقاً من منطقة الموسم قبائل بني حُمَّد ، وتتألف قبيلة بني حمد ، من العشائر الآتيـة :

[١] [أ] الْجَمَــاحه
[ب] الشــهَره
[جـ] الْعَوَفــا
[د] الطَمَامِيــح
[هـ] بني واصــل

ويطلق عليهم اسم الشهرة .
ورئيسهم العام محمد طاهر جماح .

[٢] [أ] النجـامِيـةَ
[ب] العـكــرة
[جـ] بني مهـــدي
[د] الفتنـــة
[هـ] الطـــوافرة
[و] بني عيســـى

ويطلق عليهم اسم بني عيسى .
ورئيسهم العام يعقوب بن علي .

٣ ـ قبيلة بني شُبيل ، وتمتد من الجبل إلى ساحل البحر ـ أي تصاقب من الشرق قبائل بني الحرث ومن الجنوب قبائل بني حُمَّدْ وقبائل الموسم ـ بني مروان وشمالا بقبائل « المسارحة » وأشهر عشائر بني شبيل :

بني امبـارك ، أمشعـابية ، المـداخلة ، المـذاكـرة ، الفتـاحية ، الفـواده ، القضـاة ، النعـامية ، العـراشية ، السهالية ، المحانشة ، الشنابرة ، البجادية ، العبرة ، الأشراف ، الصوارمة ، الصملة ، الجواهرة ، الحنانة ، بني الجرب ، المداخلـة .

وحـاضرتهم مدينة سامطة ورئيسهم العام حسين بن أحمد مساوى مباركي [١] وأشهر الأودية التي تمر بجهاتهم .

وادى ليه ، تعشـر ، المغيالة .

٤ ـ قبيلة المسارحة وهي أكبر قبائل المخلاف السليماني وتحادد الحرث شرقاً وبني شبيل جنوباً والحكامية غرباً ومن الشمال تمتد إلى جهة أبي عريش وتتألف من : الرواحة ، الشرفاء وتتفرع منهما القبائل الآتيـة :

الفقهـاء ، الحـوامِضـة ، الحنـاتيل ، الصْفـاحية ، الرواجحة ، المحازرة ، الخبـرايه ، السوادية والمناقرة ، الطواهرة ، البكارية ، بني واصل ، المعاشية ، الضـوامـرة ، الـطوالبـة ، بني حوائج ، الكرره ، العطفة ، الكِلبَة ، المعايدة ، القحلة ، المِسَامِلَة ، الخُرمْ ، الغَزَوَة ، المجامَّه ، بني امبارك .

ويرأس الـرَواحـة وهم ثلثـا المسـارحـة أحمـد دريس ، ويرأس الشرفاء وهم

---

(١) توفى وخلفه ابن أخيه حسين بن محمد ثم تنحى عن المشيخة وتولاها مديش بن على بجوى .

ثلث ، قاسم قصاري ، وحاضرتهم قرية « الأحد » وبها مركز الإمارة . وأشهر الأودية التي تمر بهم :

١ ــ وادي خلب
٢ ــ وادي الخمس
٣ ــ وادي مَقَاب
٤ ــ الفجاء

٥ ــ الحكامية وتقدر بربع عدد « المسارحة » وحاضرتهم قرية المضايا ، ومن أشهر عشائرها :

١ ــ بني ولي
٢ ــ بني حفظ الله
٣ ــ بني مهدي
٤ ــ بني سهل
٥ ــ السوالمة
٦ ــ بني إبراهيم
٧ ــ الحَواسِبَة
٨ ــ المغافير

ورئيسهم العام ولي بني علي حكمي .

٦ ــ قبائل بني الحُرَّث ويحدها جنوباً وشرقاً المملكة اليمنية وشمالا المسارحة والعبادل وغرباً المسارحة وأشهر عشائرها :

١ ــ بني شراحيل
٢ ــ المجارشة
٣ ــ الهزاهيز
٤ ــ الغاوية
٥ ــ وَالِبَهْ
٦ ــ العلاوين
٧ ــ لَخْضوب
٨ ــ بني دارس
٩ ــ الكعوب

وحاضرتهم (الخوبة) وليس لهم رئيس عام .

٧ ــ قبائل وادي جازان الأسفل ومن أشهر عشائره :

١ ــ آل الأسدي
٢ ــ الفقهاء
٣ ــ الخرادِلة
٤ ــ الخصاوية
٥ ــ الهجَارية
٦ ــ الكواملة

٧ ــ المقــــارية
٨ ــ القَعَاريـــــة
٩ ــ الدشــــانية
١٠ــ أهــل العشـــوة
١١ــ العقـــالية
١٢ــ العســـاونة

ويرأسهم محمد علي بن عقيل وحاضرتهم مدينة جازان قاعدة المقاطعة .

٨ ــ قبائل وادي جازان الأعلا وأشـــهر عشائره :

١ ــ القصـــامة
٢ ــ الحمـــازية
٣ ــ أهـــل البيـــض
٤ ــ النْمـــره
٥ ــ الحكـــاميـــة
٦ ــ القواســـــمة
٧ ــ الصعـــادية
٨ ــ الرفاعيـــــة
٩ ــ المجاليـــــة
١٠ ــ الشـــراونة
١١ ــ الشـــواذلة
١٢ ــ آل منـــــي
١٣ ــ الحوابنـــــة
١٤ ــ الجـــزارة
١٥ ــ الموريـــة
١٦ ــ امحـــــلابة
١٧ ــ آل إدريـــــس .

وحاضرتهم مدينة أبي عريش ورئيسهم جبريل بن محمــد .

٩ ــ قبائل وادي ضمـد ، ومن أشهر عشائره :

١ ــ الحوازمـــة
٢ ــ القضـــــاة
٣ ــ المشـــايخ
٤ ــ الهـــــوادنة
٥ ــ المعافيـــن
٦ ــ المطاهـــــرة

وحاضرتهم قرية « ضمد » ورئيسهم أحمد أبو ديـة .

١٠ ــ قبائل الطمحـــة وأشهرهم :

١ ــ الفقــــرة
٢ ــ الشـــدادة

ويرأسهم أحمـد عبـده الشيخ ومنازلهم بين جازان وصبيا مما يلي الساحل .

١١ ــ قبائل الجبال التابعين لمركز العارضة حالياً وتصاقب مواقعهم قبائل « الحرث » جنوباً والجمهورية اليمنية شرقاً ، وفيفا شمالا والمسارحة غرباً وأشهر تلك القبائل :

١ ــ العبادل
٢ ــ بني وَدْعان
٣ ــ بني معين
٤ ــ قيس
٥ ــ بني حَريص
٦ ــ آل امْنُخِيف
٧ ــ سفيانَ
٨ ــ الصوفة
٩ ــ سحار

وحاضرتهم قرية العارضة وأشهر مشايخهم شيخ قبيلة سفيان محمد بن أحمد « أبو صُمَّة » .

١٢ ــ قبائل جبل فيفاء وهم :

١ ــ أمعمامى
٢ ــ آل عمر
٣ ــ آل متعب .
٤ ــ أمجشم
٥ ــ أمتيب
٦ ــ شراحيل
٧ ــ أمداثر
٨ ــ الأبيات
٩ ــ آل الظلمي
١٠ ــ أمخسافى
١١ ــ الأشراف
١٢ ــ آل سلمان
١٣ ــ آل المدري
١٤ ــ الحرابية
١٥ ــ آل أُمتويع
١٦ ــ بالحكم

ورئيسهم العام حسن بن علي أمْيَحيا .

١٣ ــ قبائل بني الغازي وموقعهم في سهل فيفاء وأشهر عشائرهم :

١ ــ المعَالمة
٢ ــ قصى أو أهل قصى
٣ ــ آل حياد
٤ ــ حماد

ومركزهم « عيبان » ورئيسهم مفرح أمجرو [١] .

---

(١) فى هذا التاريخ ١٥/٣/١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م شيخ بني الغازي هو حسين أمجرو .

١٤ ــ قبائل جبال بني مالك ومواقعهم شرق جبل فيفاء وتمتد شرقاً إلى حدود المملكة اليمنية وأشهر قبائلهم .

١ ــ آل سلامة	٢ ــ آل أحمد	٣ ــ آل قطيل
٤ ــ آل حـراز	٥ ــ آل امز علي	٦ ــ أمعـزَّة
٧ ــ آل حسين	٨ ــ آل الرقبـة	٩ ــ ال عثوان
١٠ ــ آل الحجفـة	١١ ــ آل نعامة	١٢ ــ آل البقاع
١٣ ــ آل معبد	١٤ ــ آل امشريف	١٥ ــ آل سنين
١٦ ــ آل نشمة	١٧ ــ آل حبس	١٨ ــ آل نعشـة

ويرأسهم حسين بن أحمد وجابر امناجعة [١] .

١٥ ــ القبائل التابعة لمركز جبل هروب وأشهرهم :

١ ــ قبائل هـروب	٢ ــ بني أمجهـل
٣ ــ بني قـراد	٤ ــ الصِهـاليل
٥ ــ العزِّيين	٦ ــ المغفـرة
٧ ــ آل أمصهيف	٨ ــ آل أمشيخ
٩ ــ بنى أحمـد	١٠ ــ حريص امحشـر

ومواقعهم بين عيبان جنوباً وبني مالك شرقاً والحقو غرباً والريث شمالا ومركزهم بلدة هـروب .

١٦ ــ قبيلة الريث ويحادون هروب جنوباً والحقو ، في الجنوب الغربي وجلة الموت وقحطان شرقاً وأشهرهم .

١ ــ آل امِشحنْة	٢ ــ آل مسـعود
٣ ــ آل امْنجاد	٤ ــ آل امشـيفي
٥ ــ آل سـلمى	٦ ــ آل امصـاعره

وأشهر مواقعهم جبل القهـر .

---

(١) فى هذا التاريخ ١٥/٣/١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م شيخ بني مالك هو جابر حسين كبيشى .

١٧ ـ قبائل الحقو وأشهرهم .

١ ـ امسلاطين	٢ ـ النهارية
٣ ـ الصبانية	٤ ـ آل مويد
٥ ـ آل غشوم	٦ ـ الخواجية
٧ ـ آل رُشَيده	٨ ـ آل قطينة
٩ ـ الشتافية	١٠ ـ أهل الملحا
١١ ـ آل عثوان	١٢ ـ جغلة
١٣ ـ آل ابن مْعَريشه	١٤ ـ آل ابراهيم
١٥ ـ آل ابن غالية	١٦ ـ آل ابن طينة
١٧ ـ آل ابن زالف	

قبائل الحسيني وتجمعهم كلمة « عصيرة » وتحد مواقعهم غرباً بالصبياني وجنوباً وادي ضمد وشرقاً بعبس وبني الغازي والحساب وأشهر عشائرهم .

١ ـ الذروة	٢ ـ الحوازمة	٣ ـ الشراحية
٤ ـ السباعية	٥ ـ القصارية	٦ ـ الدرامحة
٧ ـ الوحاشية	٨ ـ البصالية	٩ ـ الطواشة
١٠ ـ العنابرة	١١ ـ آل طيران	١٢ ـ العقالية
١٣ ـ النحوس	١٤ ـ الحدارية	١٥ ـ العوامرة
١٦ ـ آل الأسدي		

ومركز رئاستهم قرية الحسينية ورئيسهم علي بن محمد الذروي .

١٨ ـ قبائل صبيا وأشهر عشائرها .

١ ـ الخواجية	٢ ـ آل شافع	٣ ـ الحكامية .
٤ ـ الشباعنة	٥ ـ آل شيخين	٦ ـ فاسخ
٧ ـ الحرابية	٨ ـ الغراوية	٩ ـ أهل العداية

١٠ ـ الصلاهبة ١١ ـ العثائية ١٢ ـ آل مريع

١٣ ـ أهل قرية الباحر .

وحاضرتهم مدينة صبيـــا .

١٩ ـ قبائل الجعافرة وهم قســـمان :

١ ـ آل شـــعلان ٢ ـ آل خيـــرين

وأشهر عشائرهم :

١ ـ آل شعلان : المشايخ ، آل سلطان ، آل سوادة .

٢ ـ آل خيرين : الطمامح ، السباعية ، الصراخية ، الجرابية ، الأثالوه ، الحقاوية .

وهم في ساحل صبيا ويحدون شرقاً بالصبياني وجنوباً بالطمحة ورئيسهم ضيف الله الأخرش .

٢٠ ـ قبائل المخلاف : ويطلق اسم المخلاف حالياً على القبائل الواقعة من شمال صبيا إلى جنوب قرية أم الخشب ويتألف من أهل القرى الآتيـة :

١ ـ الجمـــالة ٢ ـ العَشـــة

٣ ـ الملحـــة ٤ ـ الشـــاخر

٥ ـ المحلـــة ٦ ـ الســـلامة

٧ ـ أبو القعائد

وأشــــهر أوديته :

١ ـ وادي نخـلان ٢ ـ وادي وساع وشهدان

٣ ـ وادي قُـــرى

ورئيسهم حيدر [1] بن محمد القبي ، وأشهر عشائره :

---

(١) توفى قبل نحو ثمان سنوات وخلفه ابنه محمد الزاهد .

(١) المحاوي وتتألف عشائره من سكان : الملحا ، أبو القعائد ، أبو السلع ، الشاخر ، وأشهر عشائرهم :

القباب ، آل أبي العبد ، عماري ، الزباني ، الموكلي ، العطافي ، الشيخيني الكوسي ، الربحة ، العطوى ، آل مشني ، الصمادحة ، النعامية ، آل جبيين ، آل بوحيه ، الهراشنة ، آل مقدام ، آل أبو هادي ، المشيرة ، المثمي ، المعافي ، الخديشي ، آل بومكي .

٢ ـ المحلة العليا   ٣ ـ المحلة السفلى .

وأشهر عشائرهما :
النمازي ، الزغيبي ، آل امصدام .

٤ ـ السلامتين العليا والسفلى وأشهر عشائرهما :

الشمامخة ، آل الكبش ، القباب ، الجواحلة ، آل الوالد ، الخواجية ، الهتانة ، المكاتلة .

٥ ـ عشائر قرية العشة :

العوامرة ، الجعابير ، الهتانة ، آل جبران ، النواصرة ، الغفافة ، آل حيدر ، آل علان .

٦ ـ عشائر قرية الجارة :

آل مهنا ، آل موسى بن علي عماري ، العمارين ، الخداشية ، السمانة ، آل عقيل ، الدلاكة ، المحاصة .

٧ ـ عشائر قرية الجمالة :

آل البِّر ، البكارية ، النمازي ، المناعة ، الجواهرة .

٢١ ـ قبائل السادة وأشهر قراهم :

١ ـ العالية   ٢ ـ الدهنا .

ورئيسهم الحسن بن عرار النعمي .

٢٢ ـ قبائل بيش وحاضرتهم قرية أم الخشب وأشهر عشائرهم :

١ ـ البناية | ٢ ـ الملاحة
٣ ـ الفقهاء | ٤ ـ العوارضة

ورئيسهم حسن بن قاسم عكفي .

٢٣ ـ قبائل بني شعبة وأشهر عشائرهم :

١ ـ آل هيازع | ٢ ـ آل شار بن مرعي
٣ ـ الصبانية | ٤ ـ الأشراف
٥ ـ آل حدرة | ٦ ـ آل زيد
٧ ـ آل إلياس | ٨ ـ آل أبي سلة

وحاضرتهم قرية الدرب ويرأسهم علي بن محمد الشعبي .

٢٤ ـ قبائل الشقيق وأشهر قبائله :

١ ـ المشايخ | ٢ ـ المطامية
٣ ـ الصبانية | ٤ ـ آل زياد
٥ ـ الفلاقية | ٦ ـ القِرَبْ
٧ ـ العصارة

وحاضرتهم قرية الشقيق ويرأسهم هادي قربي .

٢٥ ـ قبائل القحمة وأشهرهم :

١ ـ المنجحة | ٢ ـ المقبعة

تقدير السكـان والمساحة لمنطقة جازان

لم يجر - حتى الآن - إحصاء لسكان المخلاف السليماني ، ولكننا إذا رجعنا إلى بعض التقارير الرسمية عن قراه وقبائله ، وبعض الإحصاءات العامة المالية والإدارية فإننا نستطيع أن نقدر عموم السكان بما يقارب ستمائة ألف نسمة تقريباً .

أما عن مساحة المخلاف فقد سبق أن بينا حدودها في أول الكتاب ، طولها ٣٠٠ كيلا تقريباً ، وعرضها يتراوح بين ٤٥ و ١٧٠ كيلا تقريباً . ومتوسط عرضها ٨٠ تقريباً فتكون مساحته ٢٤٠٠٠ .

ونزيد هنا إيضاحاً تاريخياً هو أن ما كان يطلق عليه اسم بلاد حكم ، فى القرن الرابع الهجري ، يشمل الجانب الجنوبي من هذا الإقليم ، من الموسم إلى صبيا ، وما يطلق عليه اسم (مخلاف عثر) يشمل الآن ساحل قبيلة الجعافرة ، وما يطلق عليه اسم المخلاف الآن (أي ما بين صبيا وبيش) ويشمل أيضاً مواقع قبيلة بني شعبة والشقيق والقحمة .

لهجات بعض قبائل المخلاف

من المعلوم أن اللهجة العربية الفصحى هي اللهجة السائدة في هذه الجهات لما لتلك اللهجة من مكانة سامية في النفوس ، لنزول القرآن الكريم بها ، ولأنها هي وسيلة القيام بالشعائر الدينية الإسلامية التي يتعبد بها جميع سكان هذا الإقليم - كغيرهم من بقية أقاليم المملكة - ونحن لا نريد أن نتوسع في دراسة اللهجات غير أننا نود أن نشير إلى ملاحظتين جديرتين بالدراسة من المهتمين بدراسة اللهجات العربية :

أولاهما - أن كثيراً من المؤرخين ذكروا أن اللهجة العربية الفصحى بقيت صحيحة لم تتغير في هذه الجهات - منذ انتشار تلك اللهجة ، إلى عهد

قريب . فعمارة الحكمي المؤرخ والشاعر المشهور يقول في كتابه (المفيد) [1] : وجبلا (عكاد) [2] فوق مدينة (الزرائب) [3] ، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم ولم تتغير لغتهم ، بحكم أنهم لم يختلطوا بأحد من أهل الحاضرة في مناكحة ولا مساكنة ، وهم أهل قرار لا يظعنون ولا يخرجون منه . ولقد أذكر أنني دخلت (زبيد) في سنة ثلاثين وخمس مائة ، أطلب الفقه ؛ وأنا يومئذ دون العشرين ، فكان الفقهاء في جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن في شيء من الكلام ، فأقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمى بالله تعالى لقد قرأ هذا الصبي في النحو كتباً كثيرة ، فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا لقيته ، يقول : مرحباً بمن حنثت في يميني من أجله ، ولما زارني والدي وسبعة من إخواني في زبيد أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم ، فلا والله ما لحن واحد منهم لحنة واحدة أثبتوها عليه .

ثم جاء ياقوت الحموي (توفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) والفيروز آبادي مؤلف القاموس (المتوفى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ومرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس (المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) فكرروا ما قال عمارة ، بل أغرب صاحب التاج فقال بأن أهل « عكاد » لا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاثة أيام خوفاً على لغتهم .

والحقيقة أن كثيراً من عوام هذه النواحى ينطقون بجمل عربية فصيحة يظن من سمعها أنها جاءت عن دراسة للغة وقواعدها ، وهي في الواقع سليقة .

ثانيتهما ـ البون الشاسع بين لهجتي سكان الجبال وسكان السواحل والسهول فبينما نجد فى لهجة سكان السواحل والأودية القريبة منها فصاحة ووضوحاً وسهولة ، نجد في لهجات القبائل التي تسكن الجبال في المخلاف وفي أطرافه

---

(١) ص ٥٤ المطبعة المصرية .

(٢) بقرب وادى وساع .

(٣) انظر كتابنا المعجم الجغرافى فى حرف الزاى .

غرابة وخشونة في استعمال كلمات غريبة ، بلهجة لا يستطيع فهمها إلا من اختلط بأصحابها مدة طويلة من الزمن ، وقد لانجد لكثير من كلماتهم ذكراً في المعاجم العربية القديمة ، مما يحملنا على القول بأن العلماء الذين دونوا تلك المعجمات تركوا كثيراً من مفردات اللغة ، وفاتهم شيء من لهجات القبائل العربية ، ولا نريد أن نتوسع في هذا الموضوع ، فمحله القسم الأدبي - من هذا التاريخ - غير أننا سنورد هنا بعض أمثلة للهجات بعض القبائل . من قبيل التمثيل :

لهجـة قبـائل الحُـرَّث :

منازل هذه القبيلة تجاور سكان سلسلة الجبال من الشرق وسكان السهول من الغرب فلهجتها مزيج من لهجتي الجبال والسهول وهاهو أنموذج منها .

حسن امحسين ماتا قتولك أفه لاتزين ذهه الهني ، يايان صاه أشبحي لذهه الهني الزين حوله أمجفش .

يحـذفـون حرف النداء . ويرخمون الاسم الثلاثي ، فينطقون حسن ، حس بدون نون ويحذفون عين الفعل الثلاثي إذا أسند إلى ضمير المتكلم ، كما في « قتولك » بمعنى قلت لك .

المعنـــى :

ياحسن بن حسين قلت لك اتـرك لا تسوى هذا الشيء ، ثم التفت المتكلم يخاطب أمه قائلا يايان ، أي يا أم ، لأنهم يقولون للأم « يان » انظري لذلك الشيء الجميل عند الطفل وهم يقولون للطفل جفش ، بجيم وفاء وشين .

لهجـة قبـائل المســارحة :

تختلف لهجة قبائل المسارحة نسبياً عن لهجة المصاقبين لهم من بني شبيل في الجنـوب والحـرث في الشـرق وهـذا الفارق النسبي لايشعر به إلا المتعمق في دراسـات لهجـات المخلاف أو ممن تنقل بين أرجائه وأننا إذ ننقل هنا نموذجين للهجة المسارحة فإننا نسجل المفردات التي يلفظها المحافظون منهم على اللهجة القبلية الأصيلة وإلى القارىء بعض ألفاظ منها مع ما يقابلها في الفصحى .

الفصحى	العامية	
كثير	ذِيْرة	فهم ينطقون الجيم زاياً
جازان	زيزان	
عجوز	عزوز	
ياهذا	هَلَبْعَدْ	لمناداة من لا يعرف اسمه ـ للمذكر أو لتعمد عدم ذكر اسمه .
ياهذه	هَلَبْعْدا	لمناداة من لا يعرف اسمها ـ للمؤنثة أو لتعمد عدم ذكر اسمها .
هذا	ذَحَوْلَهْ	للإشارة القريبة
ذاك	ذَالَهْ	للإشارة البعيدة
هنا	هَنَحَوْله	اسم الإشارة للمكان
صغير	حِنِين	

لهجة قبائل بنى مالك :

يرخمون المنادى ويختصرون الاسم متى كان مركباً من كلمتين أي اسمين ويستعملون « أم » الحميرية في مقام ال ويستعملون النطق بالمثنى على القاعدة الصحيحة وهذا أنموذج من لغتهم الدارجة .

باؤ مسعه امحسن قد بودي تقابلني نَحْ امقاضى عَوْسَ جملنا ذا سُرق عاماً نَحَ بيت صالح امسلما بنته تعرْفهُ من نَحَ أوْصافه أنت ومَحَهَ امْريه وما تشهدان نحوه أنتما وشوفتين هنا يعرفانه .

معناه بالفصحى :

يامسعود بن حسن : أرغب أو أريد بودي تقابلني عند القاضي بشأن جملنا الذي سرق في العام الماضي من جهة بيت صالح بن سلمان وأنت تعرفه من جهة أوصافه ، أنت ومحمد بن مريم وما تشهدان به أنتما وامرأتان هنا ـ أي حاضرتان ـ يعرفانه .

أنموذج للهجة قبائل فيفـــاء :

ويزم قاسم وايزم أنت بادٍ وايز مالا خير وادع لجابر م سالم قلوا قال الأمير يَسْتلْ نحو دلحين وياهمها مرّه بها بحاجتوا ولا يلهي .

ينادي يزيد بن قاسم من حيث لم يسمعه من النداء الأول ناداه أخرى وزاد ألفاً بعد واو النداء ثم قال أنت باداي قد ظهرت وسمعت يا يزيد فأجابه فقال المنادى خير والقصـد منه أن تدعو جابر بن سالم تقول له : إن الأمير يطلب وصوله هذه الساعة ويعجل أن الأمير يحتاجه ولا يتأخر .

لهجـــة قبائل فيفـــاء :

وَيَزْ بِدْي أو اشعَك أيْلَ نَتْ هايش معي نح امشيخ وما انحن لا هلين .

أي يا يزيد مرادي أوافقك إذا أنت تمشي معي عند الشيخ وما نريد نمكث هناك .

فيه ترخيم يزيد وبدي بمعنى مرادي أو اشعك ألقاك أيْلَ بمعنى إذا ، هايش سائر ، نح عند امشيخ ابدال لام التعريف ميماً أنحن نحن لاهين مبطئين .

لهجـــة بنى جمـــاعة :

لا كان مَا منَّك هشت عند يحي وما رَيْكوا ها سمعت نت ونشْتَى ياباقى والسَّلامة تَدْعو أيْلُو في ابيت يَنَّحِى صلانا .

أي أفتتح كلامي عليك بأني سرت عند يحيي وما رأيته أي فطنت كلامي أنت ونريد يا طويل العمر ولك السلامة تدعوه إذا كان في البيت ينزل عندنا (هشت) مشتركة مع غيرهم فى الجهات القريبة وانفردوا فى إبدال التاء كافاً في رأيته و نشتى نريد وتدعَوْ بفتح العين وأيلوَ بمعنى إذا أبيت البيت إبدال اللام بتشديد الباء ينّحى ينزل صلانا عندنا .

خـــولان ورازح :

يا محـــم عبـــد الله يآرنـــى ما رَوْكَـــكْ طول أيّوم يا بيت وقـــلبـــي تَرَوْ أمّـى ذَحّيْكْ إلى ثَلىّ يآرْ النحـــا مُتـــوحيْة لك والنـــاس شاهـــدة لنـــا .

أى يا محّمد عبد الله تراني ما رأيتك طول يومنا هذا في البيت وقصدي ترد الشيء الذي عندك إلى ثمة ترانا منتظرين لك .

في هذا ترخيم محمد . يارني بمعنى تراني وإبداله التاء كافاً من رأيتك وحذف لام اليـوم .

وكذا البيت والهنى وإبدال اللام بالتشديد لما بعده . دَحُّيْك فيه إشارة هذا عندك ثلي ثمــه .

منبه الواقع جبلهم جنوب فيفاء وشمال خـولان :

يا جَبْهْ نَخُوْشهْ أرْوُ ليحم على يواحيني عند أمناظره بالشريعة وإلا وُرْني ميد انفذ علاه فانُّو مَهَاميْدْ يُقَّدِيْ وُرْتَهَرَه شَيْ يُزغْرْ .

أي يا جبار أنا أخوك أخبر يحيي على يحضر معي عند الأمير يقابلني بالشريعة وإذا لم يقابلني فتراني أريد أنفذ عليه لأنه ما يريد ينصف وترى بعض الأفعال كهذه يثير غضب .

فيه ترخيم جبار ، وجعل الكاف شينا في نخوشه (أخوك) ويحم أبدل الياء ميما وفي يواحيني : ينـاظـرني . ورني . تراني ميد سأفعل وإبدال الياء ألفاً من عليه يُقْدي يرجع إلى طريق الحق وُرْ ترى يهر بعض .

قبيلــــــة ســــــحار :

كبنى جماعة في صدر الكلام وينفردون عن بني جماعة بإبدال اللام في تعريف الأسماء بالميم ولينا بدل صلانا لَيْنَ بمعنى حتى .

محمــــــدي وحســــيني :

يبدلون الطاء تاء كاتلع أو نتالب بمعنى اطلع ونطالب .

اليمن الأعلى : يبدلون الدال طاء ويجعلون على الألف في آخر الكلام همزة ويبدلون لا النافية بمع كقوله يا احمعا يا خبيري هيا ماهْ جالسن نتبع بعدك في القفأر عآ تراعي لنا أو مع .

يا أحمد يا صاحبى ماذا تريد دائماً نتبع بعدك في القفار هل تراعي تنتظرنا نمشي رفقة أم لا .

اليمن الأسـفل :

ينفردون عن اليمن الأعلى بإبدال القاف غيناً مثل غاسم والدغيغ في قاسم والدقيق .

تهامة اليمـن :

تبدل العين همزة كيا علي يا ألى .

جبـل صبـر :

يبدلون الجيم قافاً مثل : يا رقال في يا رجال والقمل في الجمل .

* * *

نقـــــوش أثــرية

نقـوش أثـرية في موضـع يسمى « اللحـج المكتوب » شرق قرية « الحما » يقدر بخمسة أميال ويوجد في تلك الجهة كثير من النقوش الأثرية .

« نسخها السيد/ حسن بن أحمد المعافري الفيفي »

الفصـــل الرابـــع

الحكـــومات والأمراء فى المخـــلاف وتهـــامة واليمـــــن

تمهيـــد :

بعد أن أشرقت شمس الرسالة المحمدية وعم نور الإسلام شبه الجزيرة العربية توحدت أجزاؤها وأذهب الله عنها الإقليمية والعصبية القبلية وقسمت إدارياً على منـاطق يتولى أمرها حُكّام إداريون يبعثون من قبل الخلافة ، في المدينة أو في دمشق أو بغداد ، وكانت الخلافة تراعي في تعيين الحكام وضم أو فصل المناطق الأوضاع الإدارية وما يتفق وسياسة الوقت والمصلحة العامة لا الوضع الجغرافي أو الإقليمي أو العصبية التي أزالها الإســلام .

وكان إذا ولت الخلافة عاملاً على جهته وضمت إليه إدارياً جهات أخرى فليس معنى أن تلك الجهات هى تابعة لتلك الجهة التى بها مقر وقاعدة عمالته ، فإذا بعثت الخلافة عاملا على مصر وضمت إليه ليبيا والقيروان فليس معنى ذلك أن تلك الأقطار تابعة لمصر . ، فوالي ما كان يطلق عليه خراسان كانت ولايته تضم عدداً من الأقاليم المختلفة الجنسيات واللغات وإنما وحدها الإسلام فأصبحت جزءاً من أجزاء الخلافة الإسلامية بينما هي في الحقيقة تضم ما يعرف الآن بـ (بإيران) و (أفغـانستـان) و (بخـارى) وأجـزاء من التـركستـان ، هي الآن من الاتحاد السـوفيتي . وفي نفس الوقت تعتبر تلك الأقطار أن وَلاَءَها وبيعتها هي للخلافة الإسلامية لا للمنطقة أو القطر أو المدينة التي أقام بها الحاكم الإداري فمثلا كانت إدارة نجد تناط بحاكم أو عامل المدينة وربطت الجنوب بعامل تبالة ، وكانت كلمة (البحرين) تشمل أكثر من منطقة الأحساء والقطيف حالياً بينما هي الآن تنحصر من جزر البحرين (المنامة) . وما يتبعها من جزر .

وعلاوة على كل ذلك فقد كثر الثائرون في تهامة وفشى التشيع وأنصاره وعمت النواحي فرأى المأمون أن يبعث والياً من قبله على جنوب الجزيرة .

الدولـــة الزيــــــادية

مقــــدمة :

تولى (المـأمون) الخلافة عام ١٩٨ هـ ولم تمض سنتان على خلافته حتى قامت الثورة الرابعة للعلويين بظهور (إبراهيم بن موسى بن جعفر) واستيلائه على مكة وتهامة واليمن ونجران كما هو معلوم وقد تمكنت القوات العباسية من القضاء على تلك الثورة .

بيد أن المأمون بعد وفاة على بن موسى الرضا ، وتخليه عن أمر نقل الخلافة للعلويين نظر إلى بعد تلك الجهات عن مقر الخلافة وما يسود أرجاءها من النزعات والفرق المختلفة ـ بعين المجرب اليقظ .

وإذا سمحنـا للقلم بالبحث السـريع في دراسـة تاريخ جنوب الجزيرة ـ قبل الإسلام ـ نجده يستمد من تاريخه البعيد وتقاليده الرتيبة تقديس الأسر الحاكمة شأن من تأصلت قداسة الملكية بين شعوبها .

وجنوب الجزيرة مهد حضارات في عهد الدولة المعينية ـ قبل الميلاد بـ ١٣٠٠ ثم القتبانية والأوسانية والحضرمية والسبئية كما مر بك في هذا الكتاب .

ومن المعلوم أن نظام الطبقات كان سائداً في تلك الجهات ، وأن الشعب مقسم إلى طبقات .

جاء الإسلام بتعاليمه السمحة وهديه القويم لاجتياح تلك الأرستقراطية الزائفة والفوارق المجحفـة .

بيد أن تلك التقاليد العتيقة قد تعمقت ورسخت رواسبها على توالي الأجيال المتعـاقبـة كعـادة سائـدة وتقليد مألـوف ـ ولبعـد تلك الأقطار عن مركز الخلافة وضعف السلطة المـركزية المحلية استأنفت بعض الشيء حكومة الأسر نشاطها الأدبي والإداري ـ برغم أن النفـوس قد هذبهـا الإسـلام ، بل يخيل للمـطلع أن تلك الأسـر قد تناست أسس (التشريع) الذي تستمد منه سلطتها وسلطانها قبـل الإسـلام ، وأصبـح ارتكـازهـا على تقـاليد بالية فقـدت حرارة الاعتقـاد ،

وراح الشعب يبحث على ضوء تقليده إلى من يخلف تلك الأسر في سلطانه وكان والي الخليفة العباسي يكتفي في الأغلب بما تظهر له تلك الأسر من الولاء الإسمى مع دفع الخراج الذي يتقاضى أضعافه من الشعب وقد كانوا لا يدركون أن الأغلبية ترى أحقية الخلافة لغير بني العباس ، ويظهر أن المأمون تنبه إلى نشاط الـدعوة للعلويين في تلك الأصقاع ورأى بحزمه المشهور ضرورة تدعيم الحكم العباسي في تلك الجهات بشخصية يعول عليها في مثل هذا فوقع الاختيار على شخص من « آل زياد » يسمى (محمد بن زياد من ولد عبد الله بن زياد) بل اختار معه وزيراً شخصية أموية صميمة وهي من ولد(سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي) وكان قبل ذلك قد حمل البريد للمأمون خبر ثورة الأشاعرة وعك .

ابن زيـــــــاد :

تجهز ابن زياد إلى الجنوب ترافقه القوة الكافية ـ لأداء مهمته ـ فحج وأغذ السير فوافاه في أول عام ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م .

فتح ابن زياد تهامة واليمن ـ كما تقول تواريخ اليمن ـ مما يدل أنه دخله ظافراً بعد معارك حامية .

دان الجنوب لابن زياد واستتب الأمن في أرجائه ، وشمل سلطانه الجبال والسهول .

وباستقرار الأمور وعملا بوصية المأمون اختط مدينة (زبيد) ببلاد الأشاعرة عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، وقـد صدق حدس المأمون فإن انتصارات ابن زياد مهدت لدعوتهم في جنوب الجزيرة مائتين وخمسين سنة .

كان لابن زياد مولى يسمى (جعفر) على جانب من الدهاء والحصافة وحسن التدبير حتى ضرب به وبمولاه المثل فقيل ـ ابن زياد بجعفر ـ وقد نسب إلى جعفر هذا أحد مخاليف اليمن المسمى مخلاف جعفر .

في عام ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م بعد توطيد ابن زياد دعائم الحكم العباسي وَجّهَ مولاه جعفر إلى الخليفة المأمون بأموال وهدايا ، كبرهان على أداء مهمته وإنفاذ برنامج سياسته .

وفي عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م عاد جعفر من بغداد وبرفقته (ألف) فارس منهم تسعمائة من مسودة خراسان ـ أو بالأحرى الحرس الخاص ـ لتوطيد الأمن وتعزيز الإدارة المركزية ، فتعزز بذلك سلطان ابن زياد ، وعم نفوذه غالب جنوب الجزيرة وخطب له بصنعاء وصعدة وبيحان ونجران وعدن وجرش وحلي والمخلاف السليماني حتى أدركته الوفاة عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م .

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد :

تولى إبراهيم بن محمد الحكم بعد وفاة أبيه ويظهر أن عهده عهد استقرار وخمول بدليل أن مؤرخي عصره لم يعيروه كبير عناية سوى أنه تولى عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م واستمرت ولايته ٤٤ عاماً وتوفي ٢٨٩ هـ/ ٩٠١ م .

زيـــاد بن إبراهيم :

اختصر المؤرخون في تاريخ ولايته ودور ولايته لا يتجاوز سنتين .

أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم :

تولى حكم اليمن عام ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م وفي أيامه تقدمت جيوش (القرامطة) على رأس علي بن الفضل إلى (تهامة) وهاجمت مدينة زبيد ففر أبو الجيش ودخلت القرامطة زبيد عنوة وأعملوا السيف في أهلها وسبوا أربعة آلاف عذراء فأمر علي بن الفضل بذبحهن بموضع يقال له المشاحيط ، وقد تكون هذه المذبحة مبالغا فيها لسوء سمعة علي بن الفضل .

طالت مدة أبي الجيش حتى وهن عظمه وضعفت منته فعجز في آخر أيامه عن إدارة الحكم في ذلك العهد الذي كان الحاكم كل شيء في دولته فامتنعت عليه الأطراف وانقطعت عن اسمه الخطب في كثير من الجبال والسهول وممن أسقط اسمه من الخطبة سليمان بن طرف الحكمي أمير (المخلاف السليماني) .

وهو من « حَلي » إلى « الشرجة » وجعل الخطبة باسمه ـ بعد اسم

الخليفـة العبـاسي ـ وكذا السكة ، ـ وكان ارتفاع عمله خمسمائة ألف دينار عثرية ، نسبة إلى عاصمته الجديدة مدينة « عثـر » .

وخرج عن سلطته كثير من البلاد ، في الجنوب والشرق ، وإن كانت تعتبر نفسها ـ في نفس الوقت ـ تابعة للخلافة العباسية كبقية البلاد الإسلامية .

وقال ابن المجاور ص ١٨٤ جـ ٢ وممن امتنع عن أبي الجيش « سليمان بن طرف » صاحب « عثر » وهو من ملوك تهامة وبلاده « أعماله » مسيرة عشرة أيام في عرض يومين ، وهي من الشرجة ـ الموسم ـ حالياً ، إلى « حَلي » .

ابن أبي الجيـــــش :

خلف أبو الجيش طفلا اختلف المؤرخون في اسمه هل هو إبراهيم أو عبد الله أو زياد ، تولت كفالته عمته هند بنت إبراهيم تحت وصاية مولى من مواليهم يسمى (رشيد) حبشي الأصل ثم مات رشيد فقام بكفالة الطفل والوصاية عليه وصيف لرشيد يسمى (الحسين بن سلامة) .

الحســـين بن ســـلامة :

أصله من النوبة نسب إلى أمه ، ربي في كنف مولاه (رشيد) الذي اعتنى في تنشئته وتربيته وتأديبه فشب متعلماً على جانب من العفة والحزم ورأس من في الدار وتولى غالب أمور الدولة في حياة مولاه (رشيد) .

فلمـا توفى رشيد قام (الحسين بن سلامة) بالأمر على وصاية الطفل وكانت دولتهم قد سرى إليها الضعف والانحلال من أيام أبي الجيش وغلبت أمراء الجبال والمخاليف على الأطراف فكان هم هذا الوصي الحازم إعادة هيبة الدولة واستعادة ما انفرط من أطرافها فلم يقبض على زمام الإدارة حتى جهز البعوث وجند السرايا وجرد الجيوش على الخارجين على دولة بني زياد وحالفه التوفيق على استعادة غالب إمارة الزيادين .

إن الحسين بن سلامـة من طراز فريد في الـرجـال ممن يتـولـون الحكم في

فترات من التاريخ فما استقرت له الأمور وساد الاستقرار والأمن حتى أخذ في الإنشاء والتعمير وإشادة المدن ، وتسهيل سبل المواصلات وشق الطرق وإقامة الأميال والبرد وبناء المساجد والجوامع وإقامة المنائر مما يفخر التاريخ بتسطيره .

فأنشأ المدن الآتية :

١ ـ مدينة الكدراء على وادي سهام .
٢ ـ مدينة المعقر على وادي ذؤال .
٣ ـ أدار أول سور على مدينة زبيد .
٤ ـ جدد مسجد معاذ في رأس الوادي تحت الجبل .
٥ ـ شيد مسجد العارة في أسفل الوادي على ساحل البحر .
٦ ـ شيد مسجد الأشاعرة .
٧ ـ شيد جامع حلى .
٨ ـ سَهَّل عقبة كراء بين مكة والطائف .

روى (الديبع) من رجال القرن التاسع قال ، قال ابن عبد المجيد [1] رأيت اسم الحسين بن سلامة مكتوباً في ألواح في عدة مساجد أو أماكن كجامع زبيد ومسجد الأشاعرة وكجامع (حلي) وأماكن كثيرة وبمسجد الرباط بـ (أبين) وهو من أحسن المساجد وأوسعها ، وروى الديبع أنه رأى اسم الحسين بن سلامة في مسجد الأشاعر بزبيد في لوح من خشب الساج بالقلم الكوفي وهو موجود إلى الآن - أي في القرن التاسع - في الجدار القبلي ولم يكتف بتلك المنشآت بل نظر إلى الإصلاح والعمران نظرة عامة في مملكته الواسعة فيما يعود لمصلحة شعبه ورفاهية مملكته [2] .

شق الطرق وسهل السبل في الجبال والسهول وبني الأعلام وأقام الصوى والأميال والفراسخ والبرد من حضرموت إلى مكة مع توضيح مسافات الطريق كما يأتي :

---

(١) في تاريخه بهجة الزمن .
(٢) انظر عن بعض أعماله (تاريخ عمارة) ص ٣٩ وما بعدها .

١ ـ أولها من شبام وتريم إلى عدن وأبين ولحج والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة جامع ومنارة وبئر مع ما نصب على طول تلك المسافات من الأميال والبرد والفراسخ .

٢ ـ من عدن تفترق طريقـــان :

(أ) طريق تصعد الجبـــال .

(ب) تسلك تهامـــة .

قال عمارة اليمني : « فمن ذلك ما رأيته ومنها ما روى لي رواية إجماع ـ ويلاحظ هنا أنه بين عمارة والحسين بن سلامة نحو ١٢٠ سنة ـ فأما طريق الجبال فرأيت بها جامع « الجوه » وهو جامع كبير عمره حسين بن سلامة ورأيت جامع « الجند » وهو مثل جامع ابن طولون بمصر ، وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه معاذ بن جبل ثم جدده وزاد فيه حسين بن سلامة ، ثم جامع ذى أشرق مكتوب فوق بابه : مما أمر به عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ثم مدينة « إب » المشهورة ثم النقيل ثم مدينة ذمار ثم بين ذمار وصنعاء مسافة نحو خمسة أيام في كل مرحلة منها بناء . ثم من صنعاء إلى صعدة عشرة أيام ثم من صعدة إلى الطائف عشرة أيام . في كل مرحلة جامـع ومصـانـع للماء ثم عقبة الطائف وهي مسير يوم للطالع من مكة ، ونصف يوم للهابط ، عمرها الحسين بن سلامة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها ـ هذه الطريق العليا .

فأما الطريق التي تمر تهامة فهي تفترق إلى طريقين .

١ ـ طريق ساحليـة على البحر .

٢ ـ طريق متوسطة وهي الجادة السلطانية .

وفي كل مرحلة منهما الساحلية والوسطى جامع ومنارة وبئر .

١ ـ *الســـاحلية :*

أ ـ المخنق وهي على ليلة من عدن وبها بئر طولها ثلاثون باعاً ، أنا وردتها مراراً وجامع رأيته متهدم .

٢ ـ العارة بها جامع وبئر طولها أربعون باعاً .

٣ ـ عبرة

٤ ـ باب المندب

٥ ـ مدينة المخا

٦ ـ مدينة النجاري

٧ ـ مدينة الخوخة

٨ ـ مدينة الأهواب

٩ ـ مدينة غلافقة

١٠ ـ مدينة نبعة

١١ ـ مدينة الحردة

١٢ ـ القحمـة

١٣ ـ مدينة الدوعة

١٤ ـ مدينة الشرجة وبها جامع عظيم

١٥ ـ مدينة القنيدر

١٦ ـ مدينة عثر وهي مقر ملك عظيم

١٧ ـ مدينة حمضـة

١٨ ـ مدينة ذهبـان

١٩ ـ مدينة حلي

٢٠ ـ مدينة السِّرَّيْن

٢١ ـ مدينة جـدة

٢ ـ *الطريق الوسـطى :*

١ ـ ذات الخيـف

٢ ـ موزع

٣ ـ الجـدون

٤ ـ حيـس

٥ ـ زبيـد

٦ ـ فشـال

٧ ـ الضحِي

٨ ـ الكدراء وهي مقر ملك عظيم

٩ ـ الجثـة

١٠ ـ عـرق النشـم

١١ ـ المهجـم

١٢ ـ مـور

١٣ ـ الواديـان

١٤ ـ السـاعد

١٥ ـ حرض

١٦ ـ وادي تعشـر

١٧ ـ وادي خلـب

١٨ ـ وادي جـازان

١٩ ـ (بياض بالأصل) ثم تلتقي بالطريق الساحلية وتفترق من السرين .

٢٠ ـ بئر الرياضة

٢١ ـ الليـث

٢٢ ـ وادي الخضـراء المشهـور بالهضبـة وبـه قبائل هذيل ، وبه مآثر أبنية عتيقـة يصـل إليهـا الإنسـان من باب معقود تحت الأرض بالحجر وفي الموضع

شمالا على بعد ميل أو زيادة جبل على قمته تمثال لشخص ، يقال : إنه المؤسس لتلك الجهة » .

انتهى ما نقل عن عمارة ، وذكر الديبع أن الحسين بن سلامة كان عادلا في الرعية كثير الخيرات والصدقات ولم يزل حتى أدركته الوفاة عام ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م وقيل ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م .

عبد الله بن زياد :

انتقل الأمر بعد وفاة الحسين بن سلامة ـ ووفاة طفله الموصى عليه ـ انتقل إلى طفل آخر اسمه (عبد الله) ، وهكذا أصبح العصر عصر أطفال ودولة أوصياء من الموالي ، وأقيم على الطفل وصي من موالي الحسين بن سلامة اسمه مرجان استقر مرجان في الحكم بعض الوقت اليسير وكان لمرجان وصيفان قد قام بتربيتهما وتأديبهما وهما .

١ ـ نجاح . ٢ ـ نفيس

فولّى نجاح أعمال الكدراء والمهجم ومور والواديين .

وأناط بنفيس تدبير الإدارة العامة للدولة . أو بالعرف الحاضر رئاسة الوزراء .

وهنا وقع التنافس بين الرجلين على واردات الدولة وقد عرف الأول باللين وشهر بالعدل والرأفة بعكس الثاني الذي اتسم بالشدة والقسوة التي نفرت القلوب منه ولاحتدام البغضاء بينهما أخذ كل منهما يعمل في الخفاء للساعة الحاسمة .

وهنا اتصل بعلم نفيس أن عمة الطفل (عبد الله بن زياد) تكاتب نجاحاً وتميل إلى تأييده ضده فقام بدوره باستصدار أمر موقع من مرجان الوصي الشرعي بالقبض على العمة والطفل تمهيداً لإعدامهما وفي سنة ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م أي بعد القبض عليهما بيسير بنى عليهما جداراً في القصر الملكي وهما يناشدانه الله حتى ختم البناء عليهما وكان هذا الطفل آخر ملوك آل زياد حسب الجدول :

الاســـم	من	إلى	مدة الحكم
محمد بن عبد الله الزيادي	٢٠٣ هـ/٨١٨ م	٢٤٥ هـ/٨٤٥ م	٤٢
إبراهيم بن محمد	٢٤٥ هـ/٨٤٥ م	٢٨٩ هـ/٩٠١ م	٤٤
زياد بن إبراهيم	٢٨٩ هـ/٩٠١ م	٣١١ هـ/٩٢٣ م	٢٢
إسحاق بن إبراهيم	٣١١ هـ/٩٢٣ م	٣٧١ هـ/٩٨١ م	٦٠
ابن أبي الجيش بوصاية رشيد ثم حسين بن سلامة	٣٩١ هـ/٩٨١ م	٤٠٣ هـ/١٠١٢ م	١٢
عبد الله بن زياد	٤٠٣ هـ/١٠١٢ م	٤٠٧ هـ/١٠١٦ م	٤

قضى (نفيس) على الملك الطفل وعمته بتلك الصورة البشعة الوحشية التي هي من الفظاعة مما تثور له النفوس وتنفطر القلوب لاستبشاعه واستنكاره فهاج الرأي العام ضد جبروته فاستغل نجاح الأمر خير استغلال وقام مطالباً بثأر مولاه وعمته ، وعندما استكملت استعدادات نجاح الذي قد شهر أمر عصيانه على مولاه مرجان بحجة المطالبة بدم القتيلين تقدم نجاح بقواته على مدينة زبيد ، وبعد قتال مرير أسفر عن قتل نفيس على أبواب زبيد دخل نجاح ظافراً وتقدم إلى قصر الحكم الذي أقام فيه مرجان ينتظر مصيره المعروف .

دخل نجاح القصر على مرجان وكان أول سؤال وجهه إليه : أين مواليك وموالينا ؟ فقال مرجان مشيراً بأصبعه : تحت ذلك الجدار ، فأمر نجاح فوراً بهدم الجدار وإخراج الجثتين وصلى عليهما ودفنهما في احتفال مهيب وأمر بوضع مرجان في مكانهما من الجدار وأن يبني عليه حيًّا ففعل به ذلك في ذي القعدة سنة ٤١٢ هـ/ ١٠٢١ م .

نجـــــاح :

استقل نجاح بالملك وضرب السكة باسمه ودعى له على المنابر وبقي في الحكم ١٤ عاماً إلى أن توفي سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م مسموماً من قبل الصليحي الذي يدير الحركة السرية في جبال اليمن من قبل الفاطميين .

سـعيد الأحول بن نجـاح :

بويع لسعيد الأحول بن نجاح بعد موت والده بصفته أكبر أبنائه وكانت قد استفحلت دعوة الصليحي الذي لم يؤخر ظهورها إلا الخشية من حنكة نجاح وعدم الجزم بالفوز مع وجوده ، فلما توفق إلى سمه لم يقف في وجه دعوته التي التهب أوارها واقف ، فلم تمض سنتان إلا وقد قضى نهائياً على آخر معقل من معاقل النجاحيين وطرد سعيداً الأحول ففر هارباً إلى دهلك في

عام ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م واستمر الصليحي ملكاً على اليمن وتهامة وعدن كما امتد سلطانه على الحجاز كما سنوضحه في ترجمته بحوله تعالى حتى قتل على يد سعيد الأحول بعد ٢١ عاماً من تاريخ تغلبه على الدولة النجاحيـة .

في أواخر عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م رجع سعيد الأحول سرًّا إلى زبيد بعد أن مهد لهذا النزول وقتاً ليس بالقليل ووافته المعلومات الوافية عن الصليحي وعلاقته مع أهل تهامة خاصة مدار حكم النجاحيين ، ومن تلك المعلومات علم أن لا طاقة له ولا قدرة على التغلب على قوة الصليحي ، وأنـه لا أمـل في النجـاح إلا بقتـل الصليحي في حركة خاطفة يكون منهجها المغامرة الجريئة المتسمة بروح التضحية والفداء وعلى هذا الأساس رسم الأحول خطته .

في تلك السنة عزم الصليحي على الحج وإخضاع شريف مكة الذي تخلى عن طاعته وقطع الخطبة باسم الفاطميين بعد طرده السليمانيين الذين أنابهم الصليحي عنه في حكم مكة وخطب للخليفة العباسي .

خرج الصليحي في وجهتـه تلك من صنعاء في ألف فارس بعد أن أناب ابنه أحمـد المكـرم . خرج موكبه تظلله الأعلام الخفاقة في ألف فارس ترج الأرض بحوافر خيولها الفارهة وتملأ الأفق بصهيل أصواتها الصاخبة وصليل سيوف حماتها وقعقعة سلاح أبطالها تردد أهازيج أناشيدهم ودوي قرع طبولهم الجبال الشامخة والمخارم المتجاوبة فيردد صداها تتجاوبه الهضاب والآكام حتى غاب الموكب عن عيون سكان صنعاء الذين خرجوا لتشييعه وتوديعه فى جموعهم الزاخرة ومواكبهم الهادرة ، وكان في الموكب مائة وستون فارساً من آل الصليحى وهكذا مر الموكب تستقبله الحفاوة ومظاهر الأفراح في كل مدينة يجتازها وحي يمر بأرجائه تتقاطر على مواكبه الوفود وتحف بسيره الحشود حتى اجتاز المنطقة الجبلية التي هو أحد أبناء عشائرها النابهة قبل الملك .

وهبط على سهـول تهـامـة في بحـر من الجياد غوارب آذيِّهِ الأبـطال حتى وصـل ضاحية المهجم بضيعـة تدعى أم الدهيم وبئر تشتهر بأم معبد فحط الموكب ثقله وطنب الجيش خيامـه وتخفف من أسلحتـه وعـدده وركن بعـد ذلك السفر

المضني والـرحلة الشاقة ـ وقد أصبح الآن في السهول ـ إلى الدعة والاستجمام وأخذ كل جماعة في لهوهم أو مجاذبة الأحاديث حول ما مروا به في طريقهم .

أطـل الصليحي من رواق خيمتـه المنصوبة على مرتفع يشرف على المخيم المترامي الأطراف في ذلك السهل الأفيح وكان في أثناء الرحلة قد سمع بحركة سعيد الأحول في زبيد فاحتاط للأمر بأن انتدب خمسة آلاف جندي تترصده على طول طريق الساحل فلم تفت (سعيداً الأحول) الحيلة فارتاد لسيره المَهْيَعَ البعيد عن عيون الجيش المترصد وسار ومن معه متلصصين بين جذوع أشجار الشاطىء يغذون السير حتى شارفوا على مخيمه .

وفي تلك الساعة التي أطل منها الصليحي رمق على البعد أشباح قوم أضناهم الجوع وأوجاهم الحفا في أسمال بالية ليس عليهم من السلاح شيء إلا جريدة في رأسها مسمار وعددهم لايتجاوز السبعين شخصاً فظن الصليحي أنهم من بعض معتفي فضله ومنتجعي بره وما راعه إلا صوت أخيه عبد الله بن علي الصليحي وكان قريبـاً منه : اركب ، اركب ! فهذا والله الأحول فلم يبرح الصليحي مكانه حتى وصل اليه الأحول فقتله [1] وقتل أخاه وقتل من معه من سائر الصليحيين القريبين منه وصالح بقية العسكر قائلا لهم إنما أخذت بثأري وحز رأس الصليحي وأخيه واستـولى على جميع ما في مخيمـه من الأمـوال والـذخائر وآنية الذهب والفضة وخمسمـائة فرس محلاة بأسراج مذهبة ليزين بها موكبه في موسم الحج ، وأقام حرساً على امرأة الصليحي (أسماء بنت شهاب) المرافقة للحملة وسار من حينه إلى زبيد يتقدمه هودج زوجة الصليحي وأمامها رأس الصليحي ورأس أخيه ، وعلى رأس الأحول مظلة الصليحي وتحته فرسه وبين يديه كامل زينة الموكب حتى دخل زبيد ، وفي ذلك يقول شاعرهم العثماني :

بكـــرت « مظلتـه » عليه فلم ترح   إلا على الملك الأجـل سعيدهـا

---

(١) وفي رواية أن الذي قتله جياش بن نجاح وان عبد الله الصليحي اشتبك مع أحد الأحباش وقبض كل منهما الآخر فصاح الحبشي اقتلوني وهذا فشكهما سعيد الأحول بحربته واحتز رأس عبد الله .

ما كان أقبـح وجهـه في ظلهـا　　ما كان أحسن رأسـه في عودهـا
سود الأراقم فاتكت أسـد الشرى　　يا رحمتـا لأسـودهـا من سودهـا

أنزل الأحول أسيرته زوجة الصليحي في دار (نشخار) ووكل بها من يحرسها ونصب الـرأسين أمـام نافذة الدار فأقامت أسماء تحت الأسر سنة لم تتمكن من الكتابة في خلالها لابنها حتى استطاع رجل مشرقي من الدنو من الدار في زي فقير فأعطته رغيفاً في باطنه كتاب إلى ابنها أحمد المكرم الذي لايزال في مملكتهم على القسم الجبلي غير قادر على استعادة القسم التهامي من « الأحول » وقد احتوى كتابها أنها قد أصبحت حاملا من « الأحول » سفاحاً ، استثارة لحمية ابنها وإثارة لحفيظة قبائل قحطان التي هي منهم في الصميم وترمي من وراء ذلك للأخذ بثأر زوجها واستخلاصها من الأسر فقط وإلا فالحقيقة أن (الأحول) لم ير وجهها قط .

وصل الكتاب إلى ابنها « أحمد المكرم » فجمع كافة رؤساء القبائل ، وفي جمع القوم الحافل قرأ عليهم الكتاب فاستنكفوا لمضمونه وثارت حميتهم واستعدوا لأمر استخلاصها مهما كلفهم الأمر واجتمع له منهم ثلاثة آلاف فارس غير المشاة وسار بهم أحمد المكرم من صنعاء إلى زبيد ، فلما وصلوا إلى نصف الطريق وقف خطيباً في جموعهم وأنبأهم بأنهم قادمون على الموت ـ فمن يرى في نفسه الاستعداد فليسر في ركبه ومن أراد الرجوع فليرجع معذوراً من موقفه وتمثل بقول المتنبي :

وأورد نفـسـي والمهنـد في يدي　　موارد لايصـدرن من لا يجـالـد

فرجع من رجع وسار فيمن بايعه على الاستبسال إلى الظفر أو الموت .

بلغ سعيد الأحول تقدمهم فحشد جموعه ورابط بهم على باب المجرى أحد أبواب مدينة زبيـد .

أقبلت حشـود قحـطان فرسـانـاً تتحـرق إلى القتـال وغسـل « العـار » الـذي ظنـوه لحق أرملة ملكهم الراحل والذي تربطهم به لحمة النسب ورابطة الجنس وصلة الـدم ، وحملوا حملة صادقـة اكتسحت صفـوف الأحبـاش الـذين ولـوا

الأدبار تتأثرهم قبائل قحطان الخلص حتى أتوا على أكثرهم قتلا وأسراً وكان ذلك سنة ٤٧٥ هـ /١٠٨٢ م .

وكان سعيد الأحول رجل المباغتات والمغامرات قد أعد لكل شيء عدته من النصر والهزيمة ، قد أعد خيلا مضمرة على بوابة الجانب الآخر لمدينة زبيد فما شعر بالهزيمة المحققة حتى انسل انسلال الأرقم هو وذووه الأدنون وركبوا الخيل المعدة إلى السفائن المجهزة لفرارهم إلى معقل التجائهم الأول (دهلـك) .

دخل القحطانيون مدينة زبيد عاصمة النجاحيين عنوة وكان أول فارس وقف تحت نافذة « أسماء بنت شهاب » ابنها « أحمد [1] المكرم » قائلا : لبيك ، فلم تتميز شخصه لما عليه من عدد القتال ، ولما غشاه من رهج المعركة فسألته من ، فقال : أحمد بن علي ، فقالت : أحمد بن علي في الناس كثير ، وأمرته أن يحسر اللثام ويرفع المغفر فرفعه وهو يتصبب عرقاً من المعترك ، فأصابه ريح ارتعش لها واختلجت بشرة وجهه وعاش بعد ذلك سنين عديدة على تلك الحالة .

فدخل المكرم القصر وفتحت أبوابه على مصراعيها وجلست أسماء بجانب ابنها بارزة الوجه كما تعتاد ذلك في أيام الصليحي ، وأقبل قادة الجيش ورؤساء القبائل يهنئون ابنها بالنصر ويسلمون عليها بالفوز والخلاص .

وبعد أن استقرت الحالة أناب أحمد المكرم خاله أسعد بن شهاب على مدينة زبيد والأعمال التهامية ، ورحل إلى صنعاء وبرفقته والدته أسماء بنت شهاب ، ودخلها في موكبه الظافر ترفرف عليه ألوية النصر .

وقد عاشت أسماء في كنف ابنها بعد ذلك حتى أدركتها الوفاة عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م

---

(١) يروى أن جياشا أشار على أخيه سعيد الأحول يوم قتل الصليحي : أن يفك أسر زوجته ويعفو عن بقية آل الصليحي وغيرهم من ذويهم وأتباعهم وأن يكتب للمكرم : إننا أدركنا ثأرنا واستعدنا ملكنا وما عداه ، فقد أكرمنا والدتك وأعددناها إليك مكرمة مصانة وعفونا عن بني عمك وذويك وخاصتك : فإن فعلت لاتنازعك قحطان . فمنع وقال لا نعطى ذلك ورفض .

استقرت الأحوال عامين تقريباً ، وفي عام ٤٧٧ عاد سعيد الأحول إلى زبيــد .

لم يكن الأحول ممن يستكين للهزيمة أو يخضع للأحداث فما استقر في دهلك حتى استأنف نشاطه ضد الصليحي ، واتصل بمن يثق بإخلاصهم من رجال عهده ومن صنائعهم السابقين فمهدت الأمور حتى استكملت الأهبة وتم الاستعداد ، استـأنف الأحـول مغـامـراته وانقض على زبيد فطرد منها أسعد بن شهاب نائب الصليحيين ، ومن ثم بسط نفوذه على تهامة .

هزيمـة سـعيد الأحول وقتلـه :

في هذا التاريخ كان العقل المدبر للدولة الصليحية في القسم الجبلي الذي بقي تحت حكمهم السيدة « بنت [1] أحمد » زوجة أحمد المكرم كما سنوضحه في تاريخها ، وقد رأت بثاقب نظرها أن لا وسيلة ناجحة في القضاء على سعيد الأحول منافسهم العنيد وخصمهم اللدود إلا بإعمال الرأى وتدبير الحيلة الماكرة ، وفعلا قامت بالتنفيذ للخطة التي رسمتها لذلك العمل الخطير . استدعت عاملها [2] على حصن الشعـر أحصن معقـل للدولـة الصليحية وأقـواهـا منعة واتفقت معه على الترتيبات ورسم الخطة ، وكان بالطبع في سرية تامة .

وبعد عودة العامل إلى حصن الشعر شرع في الاتصال السري بالأحول يعرض عليه إخلاصه وإنه إن تعهد له بمقدار من المال وتعهد له بما يطلبه لنفسه من شروط سهل له سبيل الاستيلاء على المعقل الحصين الذي باستيلائه عليه يتم له بكل سهولة محاصرة (ذي جبلة) العاصمة الجديدة للصليحيين ومن ثم تملكها والقبض على السيدة بنت أحمـد وخزائنها ، صادف هذا العرض أمنية طالما هفت نفس الأحول إلى تحقيقها .

تعهـد الأحـول للعـامـل بتحقيق جميع مطالبـه ودارت المخـابـرة السرية في

---

(١) ويطلق عليها لقب بلقيس الثانية ولا بني أبي الحفاظ الحجوري شاعري اليمن في القرن الخامس مدائح طنانة في مدحها سوف نوردها في « التاريخ الأدبي » بحوله تعالى .

(٢) الحسين النبعي .

تفـاصيل الاتفـاقية حتى وثق الأحول بصدق العامل الماكر ولم يبق إلا تنفيذ خطة الاستيلاء على المعقل الحصين والتي تنحصر في نهوض الأحول على رأس قوة تصل إلى قرب المعقل فيسهل لها العامل الدخول إليه بدون مقاومة .

وبالرغم عن ذلك فقد جمع سعيد الأحول كل ما استطاع جمعه من قوة وعدد زيادة في الحيطة وتوجه برفقته زوجته « أم المعارك » .

أما السيدة بنت أحمد فقد أعدت له كميناً من أخلص رجالها وأعدت قوة أخرى رتبتها لقطع خط الرجعة وسد المضايق والشعوب .

أقبل الأحول بالجيش ولم ير ما يستدعي الريبة أو يوجب الحذر فشرع في التقدم صوب المعقل ممنياً نفسه فلم يشعر إلا وقد خرج عليه الكمين فبدد شمل جيشه وأطبقت عليه قوات الصليحيين من كل جانب وقتـل سعيد الأحـول في معمعان المعركة وأبيد جيشه قتلا وأسراً وأخذت زوجته أم المعارك أسيرة واقتيد هودجها إلى ذي جبلة ورأس الأحول أمام الهودج حتى وصلت إلى السيدة بنت أحمد التي أمرت بإنزالها في دار من دور مدينة جبلة وأن ينصب رأس الأحول أمام نافذتها .

وكانت السيدة بنت أحمد تقول : ليت لمولاتنا أسماء بنت شهاب عين ترى بها رأس الأحول أمام هودج زوجته ثم منصوباً أمام نافذة الدار المأسورة بها ، وكان قتل الأحول سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م .

ومن التدابير الناجحة لخطتها المحكمة في هذا الدور التي قامت بتمثيله خير قيام أنه في اليوم الذي تحقق لديها قيام سعيد الأحول على رأس قواته للاستيلاء المزعوم على المعقل أمرت أسعد بن شهاب أن يتحرك على رأس قوة كبيرة من صنعاء إلى زبيد وحددت له خطط السير بدقة فائقة حتى يتفق أن يكون وصوله إلى زبيد في اليوم والوقت الذي يصل فيه الأحول قرب المعقل بين شقي « الكماشة » وتم ذلك بكل دقة ووصل فعلا أسعد بن شهاب إلى زبيد واستولى على مدينة زبيد بدون مقاومة تذكر وفر من فيها من بني نجاح على رأس جياش بن نجاح ووزيرهم قسيم الملك أبي سعيد خلف بن طاهر الأموي إلى دهلك ـ ومنها إلى الهند .

جيـــاش بن نجـاح :

وصـل جياش ووزيره خلف بن طاهر الأموي الهند ومكثا بها ستة أشهر حتى هدأت الأحـوال فرجعـا سرًّا إلى اليمن فوصلا إلى ميناء عدن ، ومنها افترقا بعد اتفاقهما على خطة العمل .

١ ــ فوصل خلف إلى زبيد مستأمناً لنفسه ومذيعاً خبر وفاة جياش في الهند .
٢ ــ وصعد جياش مستخفياً إلى ذي جبلة ، مقر الدولة الصليحية الجديد .

وصل جياش إلى ذي جبلة في زي وقيافة فقراء « الهنود » متأبطاً هراوته وحاملا قدحه مطيلا شعر رأسه وساتراً عينه العوراء بخرقة سوداء إمعاناً في التنكر فدرس الحالة وسبر الأمور واطلع بنفسه على كل ما يهمه ، وقد ساعده زراية مظهره إلى ارتياد كل محل يهمه بصفته فقير غريب لا يثير منظره شبهة أو تشير حالته إلى ريبة .

وقـد رأى ما عليه « أحمد المكرم » من الانعكاف على لذاته والانغماس في شهواته وتفويضه أمور الدولة إلى زوجته السيدة بنت أحمد ، وانحدر بعد ذلك إلى مدينة زبيد .

عـودة جياش بن نجاح إلى زبيـــد :

عاد إلى زبيد متخفياً في زيه المستعار ، وأقام قريباً من دار الإمارة كأنه أحد المتسولين الهنود فإذا جن الليل آوى إلى مصطبة الوزير علي القمي - وزير والي زبيد أسعد بن شهاب - فسمع ذات ليلة الوزير على القمي يتفوه وهو محتدم غضباً ويقول : والله لو كلب من آل نجاح موجود لسلمته زبيـد .

وفي أحـد الأيام وجياش على المصـطبـة خرج من الـدار الحسين بن علي القمي وهـو يومئـذ رأس الـطبقـة الممتـازة في لعب الشطرنج بين أهالي زبيد ، فقـال له هل تلعب الشـطرنـج ياهنـدي ، فقـال له نعم فأدخله الـدار وتـلاعبا فغلبـه الهنـدي ، فثـار الحسين ابن الوزير غضباً وكاد أن يبطش به ، وفي أثناء

ذلك دخل الوزير ، فقال الحسين لوالده : غلبني الهندي الملعون ، فقال والده ما ظننت يابني أحداً يغلبك ما عدا المرحوم الأمير جياش بن نجاح ، الذي مات بالهند ، ثم قال الوزير ـ وكان من أساطين لاعبي الشطرنج ـ دعه يا بني أنا ألاعبه ، وهنا تداهى جياش وتعمد التساهل في لعبه حتى تم (الدست) مائعاً فاغتبط الوزير وخف الهندي على قلبه ، وقال يا هندي الزم الدار وسنكفيك مؤنة العيش ولا نكلفك شيئاً .

مكث الهندي عدة أيام في بيت الوزير ، وكان الوزير على غير انسجام مع نائب الصليحيين وكثيراً ما يصل إلى داره محتدماً من مخالفات تقع بينه وبين نائب الصليحيين أسعد بن شهاب ، فيسمعه يقول : عجل الله علينا بكم يا آل نجاح .

ظل الهندي ـ أو بالأصح جياش ـ يقضي سحابة يومه والقسم الأول من الليل في دار الوزير فإذا هجع كل من في الدار تسلل خفية إلى حيث يجتمع بوزيره السابق خلف بن أبى طاهر إلى قبل أذان الفجر فينسل إلى دار الوزير ، وفي ذلك الاجتماع السري يقومان بتدبير أمر ثورتهم ، ويطلعه الوزير خلف على مراحل العمل أولا بأول ويتلقى منه ما ينبغي أخذ رأيه فيه .

وهكذا ظل العمل سائراً في المرحلة التمهيدية حتى تم للوزير خلف الاتصال بكافة الأحباش من رجال آل نجاح المتفرقين في أنحاء تهامة ، ثم من يتوسم فيه مشايعتهم ، ومن ثم أخذ في إعدادهم للساعة الحاسمة وحشدهم سرًّا في الضواحي حتى بلغ عددهم خمسة آلاف محارب فأدخلهم مدينة زبيد ليلا متفرقين ووزعهم في أرجاء المدينة في بيوت المخلصين للنجاحيين وأخبر جياشاً بآخر مراحل العمل فسر بذلك وأمره بأن يصل إلى عمر بن سحيم أحد تجار زبيد وأن يستلم منه عشرين ألف دينار ويوزعها على الخمسة آلاف الموزعين في المدينة .

وقبل أن يتم كل ما ذكرناه بأيام قليلة عاد ذات ليلة الوزير على القمي إلى داره ودعى الهندي لملاعبته الشطرنج ، وبينماهما مستغرقان في الشوط دخل

ابن الـوزير الحسين بن علي القمي منفعـلا يطرد عبداً من عبيدهم فأدركه قرب الهندي فضربه بسوط نال الهندي طرفه وهو مستغرق في اللعب فاعتزى الهندي قائـلا : أبـو الـطامي [1] فالتفت الـوزير مستغرباً وسأله ما اسمك ؟ فقال اسمي « بحر » فقال الوزير مندهشاً : بحر يصلح أن يكنى أبا الطامي ؟ وساءت ظنون القوم به ، وقال : هذه ياسيدي كنيتي .

وفي ليلة أخرى لعب الهندي مع الحسين ابن الوزير ، والوزير مضطجع بالقرب منهما ، يرشد ابنه إلى مقاتل اللعبة فقال لابنه : إن غلبت الهندي أوفدتك إلى أحمد المكرم بخراج تهامة ـ وكان ينال من يوفد بها ألوف الدنانير ـ فتراخى الهندي في لعبه ليمكن ابن الوزير من الغلب حتى فاز فاستخفه زهو الانتصار وطاش به الفرح فشتم الهندي فاحتمل له ذلك فزاد في شتمه وإغاظته حتى مد يده لانتزاع الخرقة السوداء التي يغطى بها عينه فانتهره والده وقام الهندي يتعثر في مشيته من شدة الغيظ فارتـطم بشيء أمامه فاعتزى أنا جياش أبو الطامي بصوت مختنق لم يتميزهُ واضحاً إلا الوزير فجرى وراءه حافياً حتى أدركه فى الدرج فانتحى به إلى خلوة سرية وقال له : انتظر وأحضر مصحفاً وقال : أقسم لك بهذا الكتاب الكريم إن أنت كشفت لي حقيقة أمرك لكان عندي سراً لا أبوح به لأحد ، وبعد أن اطمأن الهندي أخبره بالحقيقة فتعاهدا .

وحـالا أمـر الـوزير بإخـلاء دار الأغـر الصليحي وفـرشت وعلقت عليهـا الستـور ونقلت إليهـا جارية هنـدية لجياش كان اشتـراها من الهند وأرسلها قبله إلى زبيد عنـد أحـد خلصـائـه وهي حامـل وعنـد منتصف الليل نقله إلى الدار فوجـد جاريتــه تنتـظره ، وبعـد قليل لحقـه الـوزير على القمي وقـال له : قد استـوثق كل منـا من الآخـر فاخبـرني بسـر حركتك ولا تخف عني شيئاً فأطلعه بجميع ما تم من أول مراحل الحركة إلى دخول الخمسة آلاف مقاتل وتوزيعهم في أرجـاء المـدينـة فقـال له الـوزير علي القمي : أعلن أمـرك ولا تخف فقال جياش إني أكـره قتل الوالي أسعد بن شهاب لأنه طالما ترفق في الانتصار على

---

(١) وهى كنية جياش ، وكان من عادته إذا استفز أن يعتزى .

ذوينا فعفى عنهم عفو القادر وأحسن إليهم ، فقال له الوزير افعل ما تراه أليق بك .

انصرف الوزير من عنده بعد منتصف الليل ، فأرسل جياش إلى وزيره خلف وأطلعه على ما جرى واتفقا على إعلان الثورة التي يتوقف أمر إعلانها على إعطاء الرجال الموزعين داخل المدينة الإشارة المتفق عليها وهي ضرب الطبول التي يستعمل قرعها الأحباش في مدة دولة النجاحيين لإعلان الهجوم في الحرب ومن انصراف خلف إلى داره أوعز بقرع الطبول فانطلق الرجال من مخابئهم وساعدهم كافة أهالي زبيد في الهجوم على الحامية الصليحية وقصر الإمارة بعد أن صدرت التعليمات لكافة الجنود بعدم قتل أسعد بن شهاب ولم تشرق شمس ذلك اليوم إلا وقد أقبلوا به مخفوراً إلى قصر جياش فلما دخل عليه قال أسعد بن شهاب : ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد والأيام سجال بين الناس ومثلى لايسأل العفو فقال له جياش : ومثلك لا يقتل وأولاه خيراً وسيره بجميع ما يملكه من أهل ومال إلى آل الصليحي .

ولم يمض شهر واحد حتى صار جياش يركب في عشرين ألفاً من حملة الحراب .

كان جياش بن نجاح أديباً بارعاً له أشعار رائقة وترسل بارع وهو المصنف لكتاب التاريخ المسمى « المفيد في أخبار زبيد » قال الديبع هو كتاب متسع الإفادة عزيز الوجود ، ومن شعره :

إذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإن الجهل أنقى وأروح
وفي العفو ضعف والعقوبة قوة ... إذا كنت تعفو عن كفور وتصفح

استمر جياش فى ملك تهامة ولم يكن من أحمد المكرم بعد ذلك كبير خطر أكثر من غارات غير ناجحة على أعمال زبيد وقد تولى جياش أمر تهامة من سنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩ م إلى ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤ م وتوفي في ذي الحجة من السنة نفسها .

اختلاف أبناء جياش بن نجاح :

خلف جياش أربعة من الرجال وهم :

الفاتك بن جياش ، منصور بن جياش ، إبراهيم بن جياش ، عبد الواحد بن جياش .

وكان رجال الجيش يميلون إلى عبد الواحد وبقية رجال الحكومة متفرقوا الرأي كل منهم مع واحد من الثلاثة الباقين وتقسمت الأهواء والتاتت الأمور إلى أن ظفر الفاتك بأخيه عبد الواحد فعفى عنه وأكرمه وأغناه واستقام الأمر نوعاً للفاتك .

مخالفة إبراهيم بن جياش :

بيد أن إبراهيم شَقَّ عصا الطاعة وخرج من زبيد سرًّا ونزل على أسعد بن وائل الكلاعي الحميري مستنصراً على أخيه فأكرم أسعد وفادته غاية الإكرام .

وفاة الفاتك بن جياش :

توفي الفاتك بن جياش عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م وكانت مدة ملكه سنتين تقريباً وخلف طفلا اسمه منصور دون البلوغ فبايعه موالي أبيه .

عودة إبراهيم بن جياش إلى زبيد :

علم إبراهيم بموت أخيه فجمع جموعه قاصداً مدينة زبيد وكان عبد الواحد أيضاً بدوره متحفزاً في داخل زبيد يغتنم اضطراب الأحوال واختلاف الآراء بين مؤيدي المنصور بن الفاتك وبين مستبشر بزحف إبراهيم بن جياش فاهتبل الفرصة وقام بالدعوة لنفسه بزبيد وتغلب على ابن أخيه منصور بن فاتك ومواليه وأخرجهم قسراً من زبيد ، فالتجأوا إلى الفضل بن أبي البركات الحميري صاحب التعكر[1] والسيدة بنت أحمد ، والتزموا لهم بربع الخراج إن نصروهم فنزل معهم الفضل على رأس رجاله كما سنوضحه .

---

(١) التعكر معقل مشهور في اليمن الأعلا .

ولما قرب إبراهيم بجيشه من زبيد وعلم أن أخاه عبد الواحد قد سبقه إلى تملك المدينة توجه إلى الحسن بن أبى الحِفَاظ الحُجُوْرِي .

عـودة منصور بن الفاتك إلى مدينة زبيـد :

عاد منصور بن الفاتك بقوة جديدة أمده بها الفضل صاحب التعكر ، والسيدة بنت أحمد وتغلب بها على عمه عبد الواحد واستقر له الأمر نهائياً في تهامة كأسلافه إلى أن أدركته الوفاة عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م .

إمارة الفاتك بن محمـد بن منصور بن الفاتك بن جياش :

تولى الإمـارة الفـاتـك بن محمد واستمر فيها إلى أن قتل على يد مواليه سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م وزالت الدولة بعد قتله على يد علي بن مهدي الحميري عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، ولم يكن لأولاد الفـاتـك بن جياش من الأمر إلا المظهر والخـطـبة بعـد الخليفة العباسي والركوب في أيام الأعياد والمواسم ، وأما الأمر والنهي فَلِمَوَالِيهِمْ كما سنوضحه بعده .

جـــدول ملوك آل نجـاح

الاســـم	من	إلى	المـدة
نجــاح	٤١٢	٤٥٢	٤٠
سعيد الأحول (١)	٤٥٢	٤٥٤	٢
سعيد الأحول (٢)	٤٧٣	٤٧٥	٢
سعيد الأحول (٣)	٤٧٧	٤٨٢	٥
جيـــاش	٤٨٣	٤٩٨	١٥
فاتك بن جياش	٤٥٠	٤٥٣	٣
منصور بن الفاتك	٥٠٤	٥٣٠	٢٦
الفاتك بن محمد	٥٣٠	٥٥٤	٢٤

الحـالة العامة فى العهـدين الزيـادى والنجاحى

نستشف من دراسة أحوال الإمارة « الزيادية » أن أوضاعها السياسية والإدارية أقرب إلى المنهج الأموي منها إلى العهد « العباسي » فمؤسسها الأول ينحدر إلى من ألحقه « معاوية » بنسبه ، ووزيره أموي صميم ، وإذا نظرنا إلى الغرض الأول في توليته أمر اليمن من قبل الخليفة المأمون وهو محاربة الدعوة العلوية في اليمن ، ظهر للقارىء الكريم أن اختيار الخليفة له يتفق ونزعة هذا الأمير .

ليس لدينا المصادر الكافية لدراسة الأحوال العامة في عهد تلك الإمارة ونسق إدارتها ووضعها الإداري والسياسي ، وإنما لدينا بعض ذلك عن الإمارة النجاحية التي هي في حقيقة الأمر امتداد للإمارة الزيادية ، فالنجاحيون هم موالى الزياديين انـطبعـوا بطبعهم وسـاروا على منهجهم وتـأثـروا بمبادئهم ، ولاشك أنهم كانوا يتخـذونهم المثـل الأعلى في منهجهم السياسي والقـدوة في الإدارة والحكم ، ونلاحظ أن المؤسس الأول للإمارة الزيادية كان مقلداً لسياسة جده الأول زياد مع الفارق بالطبع لمقتضيات سياسية الوقت والزمان والمكان .

وتشير بعض المصـــادر إلى أن قبـــل ولاية الــزيادي الأول انتشــرت دعـوة العلويين في الجنـوب ، فتخـوف اليمنيون عاقبتهـا ومـا يترتب على نجاحها من صدع الـوحـدة وتفـرق الجمـاعة ، وما ينجم من ورائها من التصدع وما يحدث من الثـورات ويحـالفهـا من الفتن والحـروب بين أبنـاء الأمـة الـواحدة التي قد استظلت تحت لواء الخلافة العباسية التي شمل سلطانها الوطن العربي العام ، فبعثـوا وفـداً إلى الخليفـة المأمون ، كان في مقدمتهم محمد بن زياد لاطلاعه على جلية أحـوال « اليمن » ووضـع حد لمـا يصـدع الوحدة ويفرق الجماعة ، وكـان الزيادي على جانب من اللباقة السياسية فتمكن من كسب رضاء المأمون وضمن له صيانـة اليمن من دعـاة العلويين ، كمـا يقـول ابن خلدون ، فأسـند

إليه أمر ولاية تلك البلاد ـ فهل محمد بن زياد قد ولد في اليمن حتى أصبح واحداً ممن يشترك مع ذوي الرأي في سياسته العامة ومقدراته الاجتماعية فيسير في مقدمة الوفد إلى مقر الخلافة ؟ وهذا مالا يستبعد فتشتت الأمويين بعد نجاح دعوة بني العباس شيء معروف ، ومع ذلك فالعربي ـ في حقيقة الأمر والوضع ـ أينما حل من الجزيرة أو بلاد العروبة ، فقد حل في أهله ووطنه ، وعلى كل فليس تحت أيدينا ما يشير إلى من انتقل من آبائه من العراق إلى اليمن .

تولى الزيادي إمارة اليمن فسار في سياسته على المنهج الأول فكانت إمارته أشبه بمشيخة القبائل منها بالإمارة المنظمة ، وكان فيها شيء من العنف والشدة واحتكار السلطة مما يروى عنه أنه منع على أهل جهاته اقتناء الخيل ، والملاحظ أنه لم يستطع القضاء على الإقطاعيات وإنَّما أخفت أصواتها وحد من سلطتها ، فدان لسلطانه من حلى ابن يعقوب إلى عدن ، وامتدت سلطته إلى الحجاز الأعلا ، ومخاليف اليمن الأعلا ، وبيحان ، ونجران ، وبالجملة فقد شمل أمره سهول اليمن وجبالها .

انقضت مدة الإمارة الزيادية ـ كما مر بك مفصلا ـ وخلفهم مواليهم النجاحيون فازدهرت الإمارة في أول عهدهم ، ثم تخللها كثير من الضعف والثورات الداخلية مما سهل التغلب لمواليهم والسيطرة على مقدرات تلك الإمارة حتى أصبح الأمير النجاحي رمزاً لا أكثر ولا أقل ، ولا غرو فقد اقتدى موالي النجاحيين بما هو سائر في مركز الخلافة ببغداد من استبداد الموالى الأتراك على الخلافة العباسية ، وأول استبداد وقع على الدولة النجاحية هو من أنيس الفاتكي مولى الأمير منصور بن فاتك النجاحي .

وزارة أنيس الفاتكي :

تولى الوزارة ، وكان أقل ما يوصف به أنه متجبر غشوم ، شعوبي النزعة نسى فضل العرب الذين تبوأ ذلك المركز الرفيع في بلادهم ، فأساء السيرة فيهم وأثخن القتل في جمهورهم فنزح أكثرهم من تهامة . وتناسى مكانة

أميره فاتخذ لنفسه من زينة الموكب ما كان مقصوراً على الأمير ، فعمل مظلة لركوبه وضرب اسمه على السكة ثم هم بقتل مولاه .

شعر الأمير منصور بن فاتك أو بالأحرى أفاق من غيبوبته فتنبه إلى الخطر الذي سيطوح برأسه فتذرع بالحيلة وعمل وليمة عامة واستدعى وزيره، فلما حضر احتال عليه وقتله ، فكان أول وزير حز رأسه منذ تأسست الدولة الزيادية ، واصطفى الأمير أمواله وحريمه في سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م .

وزارة من الله الفاتكـــي :

هو أيضاً من موالى فاتك بن جياش ، وصف بأنه كان جواداً ممدوحا من شعراء عصره ـ سوف نورد بعض ما مدح به في التاريخ الأدبي ، وهذا الوزير هو الذي هزم على بن إبراهيم المصري المعروف بابن نجيب الدولة على أبواب زبيد ، وقتل من أصحابه نحو تسعمائة في أواخر عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م . وله واقعة أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح ، قتل فيها من أبناء العروبة الأشواس نحو ألف قتيل ، فرفع ما حازه من النصر في الوقعتين مكانته ووطد مركزه فطمع في مركز الإمارة ، ودس السم للأمير منصور ، وكخطوة لتحقيق مطامعه أقام على الإمارة (طفلا) من أبناء الأمير منصـور .

البذخ في القصـور النجاحيـة :

كان النجاحيون مغرمين بتقليد البلاط العباسي ، فحشدوا في قصورهم الشامخة الكثير من السراري والوصائف وركنوا إلى التفرغ لشهواتهم وهيئوا لأنفسهم وسائل اللهو وأسباب الترف ويكتفي هنا بالإشارة إلى أن الأمير منصور بن فاتك توفي ، وفي قصره ألف (سرية) وهو في عهود تدهور تلك الإمارة واستبداد الوزراء بأمورها وتصرفهم في مقدراتها فما بالنا في عهود قوتها وعنفوان سلطتها .

نهاية الوزير من الله الفاتكـــي :

بمـوت الأمير منصـور مسمـوماً أقام الـوزير الأمير الطفـل واستبـد بالأمـر استبـداداً مطلقـا وتفـرغ لمـلاذه وشهـواتـه وأطلق لنـوازعـه العنـان ، واتخذ من

سرايا الأمير المتوفي مسرحاً لفجوره وموورداً لإطفاء سعار شهوته ، بل امتد فجوره إلى بنات مواليه ، فاحتالت عليه إحدى (حظايا) الأمير المتوفي وقتلته بالسم في ليلة ١٥ جمادي الأولى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م .

كان من الله مع ما هو معروف من فجوره وفحشه مقدراً للعلماء باَرّا بهم ، وقد يكون بر من يشتري صمتهم وعدم استنكارهم بإحسانه ، وهو الذي جدد بناء سور مدينة زبيد ، وبقتله قامتْ بالوصاية على الأمير الطفل أمه الحرة علم ، وكانت من فضليات النساء على جانب من التدين ، كثيرة البر والصدقات فأسندت منصب الوزارة إلى أحد مواليهم المسمى (زريق الفاتكي) .

وزارة زريق الفاتكـــي :

كان متصفاً بالشجاعة والكرم فأجزل العطايا للشعراء ، إلا أنه لم يستطع أن ينسجم في سياسته مع الجيش .

كان واسع الثراء وقد أنجب ثلاثين ولداً فتناسخت فريضة تركته وفريضة من مات من أبنـائه قبل تفريض تلك الثروة الضخمة وانتشرت واتسعت حتى أنه يقال لم يستطع أحـد من الفقهـاء في اليمن على طول باعهم وكثـرة اشتغالهم في علم الفرائض تفريضها إلى أن قدم إلى زبيد رجل مُسِنٌّ من حضرموت يسمى أحمد بن محمـد الحـاسب في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م قاصـداً للحج فأخرج فريضتهم وصحح حسابها وأعطاها الفقيه عمارة الحدقي ووضح له تقسيم حصصها فاستفاد عمارة من ذلك .

استمر زريق في الوزارة إلى أن أدركه العجز وأقعدته الشيخوخة ثم تخلى عن الوزارة فأسندت إلى أحد الموالي المسمى مفلح الفاتكي .

وزارة مفلح الفاتكـــي :

لقب من صغره بمفلح البغـل ، وكـان وهـو في الـوزارة ينبزه منافسوه بذلك فلا يغضب ويقـال أنـه من كبـار فقهـاء عصـره متحلياً بالأدب مشهـوراً بالجـود وفي وزارتـه قدم إلى زبيد أبـو المعـالي ابن الحبـاب ، من الـديار المصـرية ،

فابتاع وصيفاً حبشياً للخدمة فهرب الوصيف وتعلق بغلمان الوزير مفلح ، فكتب إليه أبو المعالي :

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه   وعاقته عن سقياي إحدى العوائق
فإن لم تجدني هاطلات غمامكم   فلا تدن مني محرقات الصواعق

فوصل البيتان إلى يد ابن الوزير فاستدعى الغلام وأعاده إليه مع أربعة من جنسه واستحضر أبا المعالي وطلب منه مدح أبيه ، وعندما وصل بالقصيدة أدخله عليه واستأذن له في الإنشاد وبعد أن انتهى من القصيدة أثابه الوزير بخمسمائة دينار وأعطاه الإبن ثلثمائة ثوباً على قصيدة أخرى مدحه بها .

استمر مفلح على الوزارة حتى وقعت الوحشة والشحناء بينه وبين قائد الجيش سرور ، فاحتال القائد على إخراجه من زبيد فلحق بحصن من حصون برع ظل منه يغادي ويراوح الغارات على زبيد إلى أن تمكن سرور من فل غاراته فلزم الحصن إلى أن أدركته الوفاة عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م . فخلفه على الحصن ابنه منصور أما الوزارة فقد تولاها إقبال الفاتكي .

وزارة إقبال الفاتكي :

تولى الوزارة بمساعدة القائد سرور ، وقد مر بك أنه بعد موت الوزير السابق مفلح خلفه على الحصن ابنه منصور فظل في قتال مع سرور وأخيراً تخلى عنه أصحابه فطلب الأمان من الأمير النجاحي ووزيره إقبال فأمناه ونزل إلى زبيد فخلع عليه الوزير وأنزله بدار أبيه ومن الغد قتله غيلة فأغضب ذلك الأمير والقائد سروراً فاعتذر لهما وأظهر الإنابة ثم دس السم للأمير فقضى نحبه في شعبان عام ٥٣١ هـ ١١٣٦ م .

بوفاة الأمير الذي لم يكن له عقب يخلفه ، اتفق رأى أعيان الدولة على مبايعة ابن عمه الأمير فاتك بن محمد وكان ضعيف الرأي خائر العزم ، كما أجمعوا على تنحية إقبال عن الوزارة .

وزارة سرور الفاتكي :

هو وزير لآخر أمير من النجاحيين ، وهو أيضاً من موالي الأمير الفاتك

النجاحي ، وعندما نجب واشتد ساعده تولى رئاسة الحرس وتدبير أمر القصور ولازال يرتقي المناصب حتى تولى قيادة الجيش .

إن في ملاك سيرته ما يعطينا صورة واضحة عن المثالية في الإمارتين الزيادية والنجاحية .

كان سرور متديناً ، قال عنه عمارة ـ وهو قد عاصره ـ كان يخرج من بيته إلى المسجد بعد نصف الليل أو ثلثيه ، وقد سئل عن أسباب خروجه ، فقال : أخرج لأجل من لايقدر على الوصول إليّ بالنهار من أرباب الستر وأهل البيوت لفرط الحياء أو لكثرة الناس ، فإذا صلى الفجر ركب إلى صالح يزوره أو مريض يعوده ، أو ميت يحضر جنازته ، أو عقد نكاح يشهده ، ولا يخص بذلك أحداً بل على وجه العموم ، ومن دعاه أجابه ، وإنها والله لمثالية ـ يستمدها من سيرة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ، إلى أن يقول : ويجفو عليه المتظلم ويغلظ له في القول وهو آمن من غضبه ، ومتى استدعي إلى مجلس الحكم حضر تواضعاً : ويقعد بين يدي الحاكم أي القاضي .

ثم بعد طوافه يرجع إلى باب الإمارة فيدخل ويسلم ويجلس فيقضي حوائج الناس إلى وقت الغداء فيذهب إلى بيته فيقيم فيه إلى الزوال ثم يخرج إلى المسجد فلا يشتغل بشيء ـ بعد الفريضة ـ غير سماع المسندات الصحيحة للحديث حتى تحين صلاة العصر فيصليها ويعود إلى بيته إلى غروب الشمس فيخرج إلى المسجد فيصلي المغرب فإذا انتهت الصلاة تناظر الفقهاء بين يديه إلى صلاة العشاء فيصلي ويرجع إلى داره ، ولم تزل تلك عادته إلى أن قتل ، بمسجده في الركعة الثالثة من صلاة عصر يوم الجمعة ١٢ رجب ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م .

سيرته العامة :

ومن سيرته العامة أنه يخرج من زبيد في آخر شهر شعبان فيصوم في مدينة المهجم فينفذ أمور الجهات الشمالية من دولتهم ـ ويتوسع في نفقاته وصدقاته في رمضان توسعاً يجاوز الحد بحيث تبلغ نفقات مطبخه في اليوم ألف دينار .

وفي آخر شـــوال يعود إلى العاصمة زبيد .

وصـــف اســــــتقباله :

يخرج الناس إلى استقباله على اختلاف طبقاتهم إلى خارج العاصمة ويقفون على تل مرتفع ويقبل الوزير في موكبه فإذا ناظر جموعهم ترجل عن جواده وصافحهم فرداً فرداً على الوجه الآتـي :

١ ـ أول من يتقدم إليه فقهاء الشافعية والحنفية والمالكية .
٢ ـ الأعيـان والتجـــار .
٣ ـ العســــاكر .

ثم يستأنف الموكب سيره إلى دار الإمارة فيقضي حق السلام على الأمير ثم يدخل إلى جناح الأميرة الوالدة ، فيتفرق من حولها إن كان لديه ما يوجب استشارتها من مهام أمور الدولة ، ما عدا امرأتين من خواصها تقفان في آخر المجلس ، الأولى تسمى غزال وهى أخت زوجة الوزير والأخرى من جواري منصور وهما مشهورتان بالتقى ، ثم ينصرف من حضرتها إلى صلاة الظهر فيصليها جماعة في مسجده ويدخل إلى داره .

بعض موازنة الإمارة

قال عمارة رأيت جريدة نفقاته المعتادة فقرأت بها :

١ ـ ما يدفع للفقهاء والقضاة والمتصدرين لأمر الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والمفتيين ١٢٠٠٠ دينار .

٢ ـ ما يدفع لحاشية الدار وأعيان الدولة وغيرهم ١٢٠٠٠ دينار .

٣ ـ ما يدفع إلى بيت الأميرة الوالدة (علم) وحاشيتها ومن بالمعية ١٥٠٠٠ دينار .

وروى عمارة أن المحمول إلى بيت مال سرور من أعماله في كل سنة ٦٠٠٠٠ دينار .

والمحمول من بيت مولاته وحاشيتها على وجه الهدية ١٥٠٠٠ دينار .

وفي أيام هؤلاء الوزراء عمل القاضي الرشيد أحمد بن الحسين الغسّاني الأسواني (المجاري) القنوات التي يجرى الماء فيها إلى داخل زبيد من الناحية الشرقية ، في عمل هندسي أدهش أهل عصره .

القرامطة أودعاة العُبَيــديين فى اليمــن

علي بن الفضل ينتسب إلى خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة الحميري ، ويظهر أنه من غلاة الشيعة ، قبل أن يتصل بالعبيديين فيروى أنه حج ، وبعد حجه توجه لزيارة قبر الحسين رضي الله عنه بكربلاء [1] .

وهناك حول الضريح التقى بميمون القداح ، الذي لم يأل جهداً في استمالته والتأثير عليه لما رأى فيه من ملامح الذكاء والشجاعة حتى جعله من خاصته ، ثم بعثه داعياً إلى اليمن يرافقه أحد رجال القداح المسمى منصور بن فرج بن حوشب ابن زاذان الكوفي ، وقد خصص لكل منهما منطقة عمله ودائرة نشاطه كالآتي :

١ ــ منصور لجهة عدن لاعــة .
٢ ــ علي بن الفضل لجهة يافع .

قال نشوان الحميرى في « الحور العين » صحيفة ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ: أول من نشر مذهب الاسماعيلية باليمن الداعي أبو القاسم بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي وهم ـ أي الاسماعيلية ـ يرون أن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، كان بالمدينة وولد له ولدان جعفر ، وإسماعيل وأقام حتى شهر أمره في عهد الخليفة هارون الرشيد . فبعث بحملة إليه وحُدّت [2] محمد فاتخذ سرداباً وهو أقدم من سرداب سامراء الثاني عشر الجعفريين ، وغاب فيه زمناً واستتر في داره بالمدينة ، ثم أنه بعد أن هدأ الطلب خرج مستتراً وخلف ولديه بالمدينة ، فصار إلى نيسابور ثم صار إلى الديلم ، وولد هناك ولداً يكتمون اسمه ويسمونه الإمام المستور ، وتوفي محمد بن إسماعيل بالمشرق ، وأوصى إلى ابنه هذا بالإمامة وهم يلقبونه بالمهدي ، ثم أوصى إلى ابنه الثاني بمثل ذلك وهو يلقب بالمقتدي ، ثم أوصى إلى ابنه الثالث

---

(١) وهذا من بدع الشيعة .
(٢) هكــذا فى الأصل .

بمثـل ذلـك وهـو يلقب بالهـادي ثم انتقـل الهـادي إلى الكـوفـة ، وبعث منهـا المنصور أبا القاسم بن فرج بن حوشب داعياً لليمن وأمره أن يدعو إلى ابنه عبد الله المهـدي وبعث معه علي بن الفضل الخنفري ، وكان قد وفد إليه من اليمن ، فخرجا جميعاً إلى مكة ، ثم افترقا فقصد المنصور عدن لاعة ، وقصد ابن الفضل إلى أرض يافع ، ثم إن المنصور طلع جبل مسور وافتتحه وأسر العامل الذى كان فيه للأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالي من حصن مسور ونزل فيه ، فبعث إليه الهادي بأبي عبد الله الحسين بن امرق الهرمزي ولقبه المنصور أيضاً وأمره أن يبعث أبا عبد الله هذا من اليمن إلى المغرب ، فلقب بالمعلم وعرف به ثم عرف بالشيعي وبالمشرقي وربما لقب بالصنعاني .

على بن الفضل بن الخنفري الحميـري :

قصد علي بن الفضل جهة « يافع » فألفاها تربة خصبة لبذور دعوته فارتدى ثوب الـورع وأظهر الزهد والتقى ، وأقام على قدم التجرد والعبادة والعزلة حتى أصبح مناط رجائهم وموضع اعتقادهم ، فبث دعوته وكثر مريدوه وأتباعه ، وعندما استوثق من قوة مركزه جند أتباعه وحشد مريديه وأشياعه وقادهم للأطراف القريبة ، ومنها أضاف من اتبعه وسار إلى (سلطان لحج) أبي العلاء الأصبحي .

تغلب على « لحج » وغنم خزائن صاحبها الذي كان أغنى ملوك اليمن في عهده فاشتد ساعده بالمال وكثر حشده بالرجال فقصد جعفر بن أحمد المناخي صاحب المذيخرة فقتله واستولى على بلده المذيخرة وجعلها عاصمة أمره ومركز حركته .

تحرك من المذيخرة إلى صنعاء فملكها لأول مرة عام ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م وأخرج منها ، ثم استعادها عام ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م ، ثم أخرج منها واستعادها عام ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م .

وعنـد ذلـك أمـاط اللثـام عن مذهبـه الهـدام وإبـاحيته السافرة وادعى النبوة وأمـر المؤذن أن يقـول أشهـد أن علي بن الفضـل رسـول الله ، ومما يروي

خذي العـود يا هذه واضـربي	نقـيم شرائـع هذا الـنبـي
تولـى نبـي بنـي (هـاشـم)	وجـاء نبـي بنـي يعـرب
أحـل الـبـنـات مع الأمـهـات	ومـن فضـله زاد حل الـصبي
وقـد حط عنـا فروض الـصلاة	وحط الـصـيـام فلم نتـعـب
إذا الـنـاس صلوا فلا تنـهـضي	وإن صومـوا فكـلي واشـربي
ولا تطلبي السعي عنـد الصفـا	ولا زورة الـقـبـر في يثـرب
ولا تمـنـعي نفسـك المعـرسين	من الأقـربـين ولا الأجـنبـي
فـكيـف	

كان بعـد فتحـه الأول لصنعاء قد انهمرت جحافله على تهامة والجبال تنهب الأموال وتنتهك الأعراض وتبيح لنفسها المحرمات ، فأراقت الدماء أنهاراً وتركت البلاد خراباً ، ودخل مدينة زبيد ففر من وجهه أبو الجيش الزيادي واستباحها ثلاثة أيام يقتل الرجال ويسبي النساء ، واصطفى من السبي أربعة آلاف عذراء ، وبعد أن خرج بهن من زبيد قتلهن في موضع يسمى المشـاحيط .

في تلك الأثنـاء انتقضت عليه صنعـاء ، ودخلهـا يحيي بن الحسين الـرسي الملقب بالهـادي ، ولم يلبث ابن يعفـر أن أخـرج الهـادي في عام ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م ، وفي نفس ذلـك العـام كر ابن الفضـل فأخرج ابن يعفر من صنعاء ، فاستدعى أهلها الإمام الهادي فطرد علي بن الفضل منها ، ثم بعد ذلك عاد ابن الفضل وطرد الإمام الهادي ، وهنا تقدم ابن يعفر فاستعاد مدينة صنعاء ، وفي عام ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م استعادت القرامطة مدينة صنعاء وطردت أسعد بن يعفر ، ثم رأى أن السياسة اصطناع أحد الخصمين فاصطلح مع أسعد بن يعفر على أن يتولى إمارة صنعـاء تحت رعايتهم فتولى لهم أمر المدينة وقطع الخطبة للعباسيين ، وخطب للعبيدي صاحب مصر واستمر أسعد على إمارته للقرامطة على صنعاء حتى عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ، السنـة التي مات فيهـا علي بن الفضـل مسمـوماً بمشرط متـطبب ، وصل من العراق لتلك المهمة ، واتصل قبل وصوله إلى المذيخرة برجل

بني العباس أسعد بن يعفر ، وشجعه على أداء القيام بمهمته وتعهد له بكل ما يطمئنه ويغريه ومما تعهد له به أنه يشاطره ماله إن بقي على قيد الحياة .

وصل المتطبب إلى عاصمة ابن الفضل « المذيخرة » ومكث وقتاً يمتهن الطبابة التي قد أتقن فنها فشهر عند الخاص والعام ، وقويت به ثقة الناس وتناقلت الثناء على فنه حتى وصل ذكره إلى علي بن الفضل فأرسل له يوماً ليتولى فصده وعندما مثل بين يديه أخرج المشرط ومصه علامة أن المشرط خالٍ من السم - وهي عادة يقوم بها الأطباء ، وفي حين فصدهم الملوك ، ومن في طبقتهم - فاطمأن علي بن الفضل ، بيد أن الطبيب قد جعل مادة سامة في شعر لحيته فمسح المشرط بالشعر يوهمه أنه يجففه من الريق الذي علق به فلم يكن في ذلك ما يثير ريبة علي بن الفضل ، وباشر بعد ذلك عملية الفصد وانصرف مسرعاً ، وهناك التهب الفصد ، فبحثوا عن الطبيب ، فلم يجدوه ، فثارت مخاوف علي بن الفضل ، وأمر بالقبض عليه أينما وجد ، واقتفاء أثره حتى عثروا عليه بعد أن قضى نحبه على بن الفضل فقتلوه ، وبموته جمع أسعد بن يعفر جموعه وحاصر المذيخرة ولم يفارقها حتى استسلمت ، وقتل ابن علي بن الفضل وأسر بناته الثلاث ، وذلك عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م .

منصـــور بن فرج بن حوشـــب :

تقدم منصور إلى منطقة نفوذه ونقطة نشاطه وبدأ في العمل حتى إذا استوثق من قوة ساعده ونجاح دعوته بعض الشيء وثب بمن معه على جبل مسور ، وأسر عامل إبراهيم بن محمد بن يعفر ، وجعل منه مركز استقرار لا مركز انطلاق يساعد زميله ضمن تلك الدائرة الضيقة ، وقد طغت مقدرة علي بن الفضل على مقدرة زميله وجعله كالعضو الأشل داخل منطقة ذلك الجبل .

ويظهر أن عمل ونشاط علي بن الفضل لم يرق في عين زميله ، وراح ينتقد عمله ويتهمه بالخروج عن طاعة العبيديين ، فلما لم يجد ذلك نفعاً وأخيراً ضاق ذرعاً بذلك التفوق والنجاح ، وران على قلبه الحسد ، فأعلن على زميله الحرب ، وكان علي بن الفضل بدوره محنقاً على ذلك الزميل الذي أكل

قلبـه الحسد ، فاتخذ من تلك المخالفة السافرة ، والعداء المكشوف حجة في القضاء عليه .

تحرك عليّ بن الفضل علي رأس قواته إلى زميل العمل وصديق السلاح ، وأقام على جبل « مسور » محاصراً حتى سعى بينهم من يهمه أمر مصالحتهم على أن يترك عليّ بن الفضل لزميله منطقة « مسور » فقط .

مكث منصور على إمارة الجبل إلى أن أدركته الوفاة ، فأوصى بالدعوة في مسور لابنه تحت وصاية عبد الله الشاوري ، ويظهر أن جهاز الاتصال بالمركز الرئيسي كان على غاية التنظيم والإشراف على الخلايا المنبثة في أنحاء الجزيرة العربية وفي إفريقية وبالطبع أن المركز الرئيسي لم يوافق على الوصاية بل صدر أمره بإسناد الأمر إلى عبد الله الشاوري بمفرده .

لم يرق في عين حسن بن منصور التخلي عن الإمارة ولم يكن من أولئك الذين يرون أن من أوجب الفروض إطاعة إمامهم المزعوم فما هو إلا أن جمع أمره ووثب على الشاوري فقتله ونفض يده من تلك النزعة الزائفة ورجع إلى مذهب السنة والجماعة .

بيد أن للقضية العبيدية أنصاراً ومتشيعين مخلصين ومتحمسين قد ران الباطل على بصائرهم فنظروا إلى تصرفه بعين السخط والازدراء والمقت وتآمروا على خلعه وأسندوا أمـرهم إلى أحد الأشياع المتحمسين المدعو إبراهيم بن عبد المجيد فتغلب عليه وطرده وأهله من مسور إلى بني عشب وهناك أغار المجاورون عليهم باسم أنهم باطنية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وبإخراج أبناء منصور من مسور اختلف إبراهيم بن عبد المجيد مع زميل آخر يسمى ابن العرجي ونشب بينهما القتال ، فانتقلت الدعوة إلى شخص يسمى ابن الطفيل ومنه إلى آخر يعرف برحيم إلى أن مات واستخلف لها رجلا من شبام يسمى يوسف بن الأشج ولا يبعد أن بعض أنظمة ودعـوة القـوم صادفت الاستجـابة عند الكثير من رؤساء العشائر والقوم في ذلك التاريخ لمقابلتها للكثير من مألوف بعض التقاليد .

لهـذا نجد أن يوسف الأشج يعهد بدعوتهم إلى شخصية من أصحاب أقوى الحصون في اليمن ، هي شخصية سليمان بن عبد الله الزواحي ، صاحب حصن كوكبان المشهور ، كما اعتنقها شخصية مماثلة في مركزها للأولى ، وهي شخصية الحسين بن عامر بن طاهر صاحب حصن حبابة .

وبإسناد الأمر إلى سليمان بن عبد الله الزواحي ، كادت القضية أن تبلغ ذروة نجاحها وساعد الرجل جاهه وماله ودهاؤه فلم يأل جهداً في الترويج والدعاية واستعمال كافة طرق الغواية والاستهواء والاستمالة والحيل الشيطانية ـ التي تلك الفرقة من أقدر خلق الله على استعمالها والزواحي هذا هو الذي اكتشف استعداد ذلك المريد الذي كان أبرز من لعب الدور الرئيسي منهم في اليمن أعني علي بن محمد الصليحي .

والصليحي هو الذي استطاع إخضاع كافة اليمن والحجاز لدعوتهم وعمل ما لم يقم به غيره ، فبعد استيلائه على جبل مسور استمال كافة القبائل من سنحان وهمدان وحمير ، وتحرك إلى صنعاء فملكها كما ملك حضور ، ثم هزم رئيس همدان الأعلا يحيى بن حاشد الضحاك ، كما أباد بني آل الفتوح الخولاني وآل الكرندي وآل معن وغيرهم من الأمراء الإقطاعيين .

الحَـوَالِيُّـــــونَ

الحواليون هم من بني عامر بن عوسجة ذي حوال الأصغر ، ينتمون إلى ذي حوال الأكبر بن يريم بن ذي مقار ، منهم الأمير يعفر [1] بن عبد الرحمن مؤسس الإمارة اليعفرية في صنعاء .

وكان يسكن قرية شبام اقيان ، من مخلاف إقيان بن زرعة بن سبأ الأصغر ، وقرية شبام يطل عليها جبل ذخار التي هي في عرضه ، وفي قمة الجبل مما يليها قصر كوكبان المشهور .

حروبه مع ولاة بنى العباس :

من تلك القرية العريقة حارب الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالي : قواد المعتصم والواثق والمتوكل ، وهم :

١ ــ منصور بن عبد الرحمن التنوخي .
٢ ــ الشير أو الشارباميان الفارسي .
٣ ــ جعفر بن دينار الخياط .
٤ ــ هرثمة .

ففل جموعهم ، وهزم جيوشهم ، من قريته ذلك المعقل الحصين .

---

(١) انظر فى الأكليل (ج ٢ ورقة ١١ وما بعدها) نسخة (برلين) المصورة بحثاً وافياً عن اليعفريين هؤلاء . وقد طبع الكتاب ، وأخبارهم فى الجزء الثاني من المطبوع .

الدولة اليعفرية باليمــــــن

في عام ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م في خلافة المعتصم العباسي كان واليه على اليمن هرثمـة في ذلـك التـأريخ قد نشطت الأسرة القوية في تثبيت وتكوين إقطاعيات بحسب قوة نفـوذ كل منهـا ، ومركز عصبيته ، وكان على رأس تلك الأسرة أسرة الحـواليين التي بدأ رئيسهـا الأمير يُعْفِرُ بن عبد الرحمن الحوالي بمقاومة الوالي العباسي ، وقد استمر على مقاومته إلى زمن خلافة المعتمد العباسي ، وكان قد قوى نفوذه فانتهز فرصة تولية المعتمد ، فأخذ له البيعة التقليدية ، وكتب له بذلك والـدولـة العباسية في تأريخنا هذا من الضعف بحيث تقنع بالمظاهر الشكلية ، والعهد التقليدي فوصله الأمر بالتفويض فتوطدت بذلك شرعية إمارته على صنعاء وأغلب مخاليف اليمن الأعْلىَ .

الأميـر يعفر بن عبـد الرحمن :

بعد سنتين من ثورته استطاع أن يجلي الوالي العباسي عن مدينة صنعاء ، ورغبة في مصانعة الوالي العباسي القوي محمد بن عبد الله بن زياد ، فقد رأى الأمير يعفر مهاداته وإظهار الطاعة الاسمية له والخطبة له بعد بني العباس ، ومصانعته بالهدايا وبعض الخراج ، فاكتفى ابن زياد منه بذلك . وقد تولى السلطة فى تلك الإمارة محمد بن يعفر الذي أرغم والده على التنازل له .

في أواخر عام ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م حج الأمير محمد بن يعفر واستخلف ابنه أبا يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر . وبعد عودته من الحج أنشأ جامع صنعاء .

استمـر إبـراهيم في مشـاركة أبيه في إدارة شئون الإمارة إلى عام ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م . فنجم الخلاف على أشده بين الابن وأبيه ، وكان الأمير الجد ـ يعفر بن عبد الرحمن ـ لايزال على قيد الحياة يزفر السخط على ابنه الأمير محمد .

فبـدلا أن يتـدارك الخـلاف بين ابنه وحفيده أخذ في توسيع الفتق وتحريض حفيده على قتـل أبيه ، وكـانت النتيجـة المـأسـوف لهـا قتـل الأمير الشـاب لوالـده بعـد غروب شمس يوم في صومعة بمسجد مدينة شبام ، وهنا اضطربت

الأمور واختل الأمن وكان لذلك الفعل الشنيع موجة من الاستياء والسخط وخروج كثير من أمراء قبائل همدان وغيرهم مثل :

١ ـ إبراهيم بن عبد الله الدعام سيد همدان [1] .

٢ ـ الفضل بن يونس المرادي بالجـوف .

٣ ـ جعفر بن أحمد المناخي صاحب المذيخرة .

بلغ الخلاف أسماع الخليفة العباسي فارتأى حسما لذلك أن يتنحى القاتل عن الإمـارة وأن يعهـد بهـا إلى ابنـه حتى لاتخرج عنهم - وهو حل رآه الخليفة إبرة (مورفين) مسكنة مؤقتاً .

يُعْفِرُ بن إبراهيم بن محمـد :

تولى الإمارة كما ارتأى الخليفة فقتل عام ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م بمدينة « شـبام » .

يُعْفِرُ بن عبد القاهر بن أحمد بن يعفر :

ليس فى المصادر التي تحت أيدينا تفصيل عن إمارته .

أسـعد بن أبى يعفر بن إبراهيـم :

تولى الإمارة تقريباً عام ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م ، دخل القرامطة على رأس علي بن الفضل مدينة صنعاء ، ففر أسعد إلى أحد معاقله ، وأخيراً اصطلح معهم وتولى لهم إمارة صنعاء ، وبذلك قطع الخطبة للعباسيين وخطب لعلي بن الفضل .

---

(١) كان من أخلص أصدقاء الأمير محمد بن يعفر ، فلما قتله ابنه وصل إلى صنعاء معزياً بادى الاستياء للواقع وعندما دخل على القاتل الأمير إبراهيم بن محمد صادفه مخموراً فعاتبه على سوء فعله فكان جوابه يجب أن تلطم على سوء أدبك فخرج حنقا يتميز من الغيظ فلما صحا الأمير أخبر بما كان منه فأمر باحضاره و أدنى مجلسه ولاطفه واعتذر إليه فقال له الدعام : لن ترقع - كرامة اليوم هوان الأمس ثم أظهر الرضا حتى خرج من عنده وارتحل إلى همدان فأعلن مخالفته ، وأيدته قبيلة بكيل ، فقويت شوكته ، ودخل صنعاء ، وطرد اليعفريين حتى استعـادوها منه بواسطة النجدة التى وصلت لتأييدهم من الخليفة المعتضد فتحالف بعد ذلك مع الإمام الهادى يحيى بن الحسين إلى آخر أيامه وأسلم إليه بلد همدان ، وفى ذلك يقول بعض أرحب :

سلبنا من حوال الملك قسراً ... بلطمـة شيـخ كهـلان الدعـام

بقي على موالاته لعلي بن الفضل ـ خوفاً من بأسه ـ حتى توفي علي بن الفضل مسموماً ، فجهز أسعد جيشاً قوياً وسار إلى المذيخرة عاصمة ابن الفضل ، وقد خلفه عليها ابنه أحمد بن علي بن الفضل ، فضرب عليها نطاق الحصار سنة كاملة حتى استسلمت فقتل ابن علي بن الفضل وسبا بناته الثلاث واستمر أسعد على الإمارة إلى أن توفي عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م .

أبو يعفر بن أسعد :

تولى بعد أبيه سبعة أشهر وأدركته الوفاة عام ٣٣٣ هـ / ٩٤٥ م .

علي وردان :

بموت أبي يعفر بن أسعد تغلب على الإمارة مولى لهم يسمى « علي وردان » يشاركه « أسمر بن أبي الفتوح الخولاني » صاحب حصن ناعط وبنو الضحاك الحاشدي ، إلى أن توفي عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م .

سابور أخو علي وردان :

استخلفه أخوه علي وردان عند وفاته فأقام بالإمارة سنة واحدة .

عبد الله بن قحطان اليعفري :

تولى الإمارة بعد سابور فقويت شوكته وأعاد للإمارة بعض أمجادها وفتح عدة حصون ، واستولى على مخلاف جعفر وغيره ، وكان يخطب للعبيدي الفاطمي ، توفي عام ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م .

أسعد بن عبد الله بن قحطان اليُعْفرىّ :

تولى الإمارة بعد وفاة والده في عام ٣٨٤ تقريباً فلم يستتب له الأمر ، وكان عهده عهد اضطراب وفتن ، وخرج الأمر عنه عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ، وتلاشت إمارته كلياً واستبد بها « جعفر بن أحمد الحميري المناخي » وكان مركزه المذيخرة التي عمرت أحسن عمران في عهده ، ودامت إمارته بها ٤٣ سنة إلى أن استولى عليها علي بن محمد الصليحي .

المفضـل بن أبي البـركات الحميـري :

المفضل هذا من بقية الأسر الإقطاعية الحميرية ، وهو صاحب « التعكر » وسبقت الإشارة في إخبار الدولة النجاحية إلى هذه الشخصية ، وما كان من التجاء موالي منصور بن فاتك بن جياش ، إلى المفضل والسيدة بنت أحمد وتعهدهم للمفضل بربع خراج تهامة إن قام بمساعدتهم على استعادة زبيـد .

وقـد استجـاب لذلـك الإغراء ونزل على رأس جيشه وساعدهم على هزيمة خصمهم عبد الواحد بن جياش ، وهنا دارت المطامع برأس المفضل ، وهمَّ بطرد منصور ومواليه والتغلب على زبيد وتهامة ، ويظهر أن موالى منصور على جانب من الدهاء والمكر ، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي انتظاراً للقيام بخطة الدفاع ، بل اتصلوا فوراً بالمنافسين له في ذلك المعقل الحصين وشجعوهم كما يظهر مادياً وحربياً ، وبينما هو يضع الترتيبات النهائية لتنفيذ خطته وافته الأخبار بأن جماعة من الفقهاء ثاروا عليه في معقله الحصين واستـولـوا على حصن التعكر موطن عشيرته ومهد عصبيته وموئل خزائنه وكنّ أسرته فاستطار هلعاً ورحل على رأس من معه على جناح السـرعـة لا يلوي على شيء حتى وصل إلى ذرى الجبل فألفاه أعز من أن ينال وأصعب من أن يرام ، قد حصن وسدت طرقه وأقيمت دون كل ثنية ومنعطف الحماة والـرمـاة ، ويقـال أنـه نظر إلى حظاياه وهن في أعلا قمة الطود يضربن الدفوف ويراقصن الثوار فمات غماً .

وفي إبان مجده وأيام سلطانه مدحه أحد شعراء وقته بقوله :

أيا حمـى الـدين والـدنيا وأهـلهـمـا ‌ ‌ ‌ ومـن بعـروتـه الإسـلام يمـتسـك
قد قيل جاور لتغني ، البحـر أو ملكـاً ‌ ‌ ‌ وأنـت يابـن الـوليد البحـر والملك

ومما تنسبه تواريخ اليمن إليه قوله :

غلبـنـا بنـي حواء بأسـاً ونـجـدة ‌ ‌ ‌ ولكننـا لم نستـطع غلب الـدهـر
فلا لومَ فيمـا لا يطاق وإنـمـا ‌ ‌ ‌ يلام الـفتى في ما يطيق من الأمـر

كان يشـارك السيدة بنت أحمـد في الأمـر كوزير لها ، توفى عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م فخلفه أخوه وتوفي أيضاً عام ٥٠٤ هـ/ ١١١٠ م .

آل الضحّـــــاك

من المعيدين وهمدان « وضحاك ورزام وسعيد الحوالي » أبناء العياش بن سعيد أبي معيد ، هم الذين قاموا لحرب بكيل والمترجم له هو محمد بن أبي الضحاك السابق ذكره .

تولى محمد رئاسة قومه وقتله مسعود غلام أبي يعفر قتله بأمره مولاه ، فغضب فيه همدان ، وقامت فيه حاشد وبكيل مع الدعام سيِّد حاشد فأزال مملكة آل يعفر، لما الإشارة إليه قبل هذا .

أو جعفـر أحمد بن محمـد الضحـاك :

كان أبو جعفر سيد همدان فى عصره فى أواخر القرن الثالث ، وهو ممدوح أبى محمد الحسن بن أحمد الهمدانى ، وقد كان الهمدانى مختصاً به ، وقد اعتنى بتقييد أيامه وتسجيل وقائعه وحروبه وشهد معه نحو مائة زحف ، كان أغلبها مع يحيي بن الحسين العلوي وأسر أبو جعفر محمد بن يحيى بن الحسين فى واقعة يوم « إتوه »[1] .

اتفق أبـو جعفر بعد وفاة يحيي بن الحسين مع ابنيه محمد المرتضي وأحمد الناصر . بيد أنه بعد ذلك وقع الخلاف بينه وبين القاسم ابن الناصر . وقد هاجم مدينة صعدة ودخلها ثلاث مرات وأخرجهما ودخل صنعاء مرتين .

قتل أبوه وهو ابن سبع سنين فراعى ثأره في آل يعفر سبعاً وخمسين سنة ثم قتل منهم خمسة بخديعة . ويروي الهمداني أن آل الضحاك هذا لايرون لهم كفواً في قبائل حاشد وأنه قد حاول محمد بن يحيي بن الحسين العلوى أن يصهر إليهم فأعياه ذلك .

---

(١) من مساقط وادى محصم من بلـد همـدان .

بنو المكرَّم وبنو الزُّريع

كان أمراء عدن من بني « معن » (١) فلما استولى على ملك اليمن على بن محمد الصليحي ، أقرهم مدة حياته أي إلى ٤٧٣ هـ على شريطة أن يدفعوا خراج عدن إلى أرحام ابنه أحمد المكرم والد وإخوان السيدة بنت أحمد ، الذين اشترطوا أن صداقها خراج عدن ، ووالدها هو أحمد المكرم اليامى الهمداني .

لما قتل الصليحي امتنع بنو معن عن دفع الخراج ، فحاربهم أحمد المكرم بن علي الصليحي ، حتى تغلب عليهم ونحاهم عن عدن ، وولى بدلا عنهم صِهْرَيْهِ العباس ومسعود ابني أحمد المكرم الهمداني ، وأمرهما أن يؤديا خراج عدن لزوجته السيدة بنت أحمد المكرم أختهما ، فكانا يحملان إليها سنوياً مائة ألف دينار ، وكانت ولايتهما على الوجه الآتـى :

١ ــ ولاية العباس على حصن التعكر وخارج باب عدن .

٢ ــ مســـعود على عدن .

مكث الأخـوان على ولايتهمـا طيلة حياتهمـا ، وعنـدمـا أدركتهما الوفاة آلت إمارتهما إلى أبنائهما كالآتى :

١ ــ أبـو السعـود وزريع ابنا العباس على ولاية أبيهما ، وتوسع زريع فضم « الدملوة » فى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م .

٢ ــ أبو الغـارات بن مسعود على عدن .

كان بين بني العم اتحاد متين واتفاق تام ، فقوي أمرهم واستبدا بولايتهما عن السيدة بنت أحمد بعد وفاة زوجها أحمد المكرم ، التى هي في الحقيقة عمتهما ومنعـوا بعث الخـراج المقـرر فأعلنتهم الحـرب وبعثت إليهم جيشاً تحت قيادة المفضل بن أبي البركات .

---

(١) ابتدأت امارة بنى معن على عدن عام ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م وانتهت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م .

سار لقتالهم ابن أبي البركات ، فوجد من اتحادهم وتماسك إمارتهم ما جعله يرضى بالمصالحة حلا وسطاً ، وهو أن يدفعوا نصف الخراج المقرر ، ورَضُوْا هم بذلك كخطوة أولى للتخلص تدريجياً .

مضوا على ذلك إلى أن توفي الوزير المفضل بن أبي البركات عام ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م .

وتمنعوا عن دفع الخراج فصالحهم منصور بن أبى البركات الذى خلف أخاه فى الوزارة للسيدة بنت أحمد على ربع الخراج .

سبأ بن زريع :

توفي أبو السعود وتبعه أخوه زريع فتولى شؤون الإمارة « سبأ بن زريع بن العباس ، ويلقب بالداعي لقيامه بشئون دعوة العبيدى الفاطمي باليمن في عهد السيدة بنت أحمد وسبأ بن أحمد المظفر الصليحي وتغلب على إمارته ابن عمه محمد بن أبي الغارات واستمر في الإمارة إلى أن توفي عام ٥٣٢ هـ ١١٣٧ م .

محمد بن أبى الغارات بن مسعود :

وبوفاة أبي الغارات تولي شئون الإمارة في عدن ابنه محمد بن أبي الغارات فاختلف مع ابن عمه اختلافاً أدى إلى القتال ، وكانت نتيجته تغلب سبأ بن الزريع الداعي على إمارة ابن أبي الغارات .

محمد بن سبأ بن الزريع :

قام بالإمارة بعد وفاة والده وتوفي عام ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م .

عمر بن محمد بن سبأ بن الزريع :

تولى الإمارة بعد وفاة والده واستطاع بحزمه وبسالته أن يصد جحافل أبناء مهدى عن إمارته ، ازدهرت الإمارة في عهده وقصده غير واحد من الشعراء توفي عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م .

وصاية ياسر بن بلال بن جرير :

خلف عمر بن محمد بن سبأ ثلاثة أطفال ، فقام بالإشراف على تربيتهم

وإدارة شؤون قصرهم مولاهم جوهر المعظم ، وقام بتدبير أمور إمارتهم ياسر بن بلال بن جرير واستمر على وصايته إلى أن تغلب على عدن « توران شاه » وقتل ياسراً .

وآل الزريع هم أحسن ملوك اليمن سلطاناً بعد آل الصليحي .

وقال الشاعر محمد بن زياد المأربي يمدح أبا السعود بن زريع :

يا ناظري قل هل تراه كما هوه   إني لاحسبه تقمص لؤلؤه
ما أن نظرت بزاخر في شامخ   حتى رأيتك جالساً في الدملؤه

* * *

إمارة آل المغلس الهمداني (1)

في عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م وفي آخر عهد سبأ بن أحمد الصليحي تقلص نفوذ الدولة الصليحية في كثير من المقاطعات اليمنية فحفز ذلك المتطلعين من رؤساء الأسر القوية وذي العصبية والنفوذ على الاستقلال على جهاتهم ، وكان من سياسة الصليحي إزالة تلك الطبقات من الأسر التي بقي لها النفوذ القبلي بين عشائرها منذ العصر الأول ولاتساع رقعة الجنوب كانت تكتفي الولاة في الغالب بإناطة أمور العشائر برؤسائها ليضمن لهم أولئك الرؤساء صدق الولاء والطاعة ولسهولة انقياد العامة للخاصة لما تحتمه التقاليد وتوجبه العصبية من تعود الطاعة وقوة النفوذ .

بيد أن قصارى ما قام به الصليحي لقصر مدته بالنسبة لما يحتاجه استئصالها من الوقت الكافي ، فإن ما قام به لم يكن إلا إجراءاً مؤقتاً انكمشت فيه سطوة تلك الأسر وعادت تستأنف نشاطها بعد ضعف إدارة ابن عمه أشد مما كانت .

وهكذا في عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م تقوم إحدى أسر « همدان » من آل المغلس بالاستحواذ والتغلب على أمر صنعاء ، كما قام غيرها ، فبعد أن كانت دولة موحدة القوى مرهوبة الجانب تذوب في خضمها العصبية وتتلاشى في محيطها الواسع المطامع والنعرات القبلية ، عادت إقطاعيات صغيرة جُلُّ همها التفاخر بالسلطة والتباهي بالعصبية والاشتغال بالمنازعات والمطامع الفردية حتى إذا أخفقت بهم عن بلوغ الغاية اتخذوا من الدين سلماً للمطامع ووسيلة للغايات .

حاتم الغشم المغلسي الهمداني :

تغلب على صنعاء عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م واستمرت إلى ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م .

---

(١) قال الهمداني في الجزء العاشر من الأكليل صحيفة ٣٩ : ومن أشراف همدان الآن آل أبي المغلس ملوك الجوه من أرض المعافر وآل أبي ارنبة بناحية صنعاء .

عبـد الله بن حاتـم :

بوفاة حاتم تولى في عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ابنه عبد الله بن حاتم إلى عام ٥٠٤ هـ/ ١١١١ م .

معن بن حاتـم :

تولى معن عام ٥٠٤ فخلفه على الإمارة قاضي همدان حاتم بن أحمد بن عمران ابن الفضل وجعل على الإدارة محمد بن أبي القبيب ، وفي عام ٥١٠ أزاح ابن أبي القبيب وجعل عليها شخصاً منهم اسمه هشام يساعده آخر اسمه حماس ، وقد توفق هشام إلى إقرار الأمن إلى أن توفي عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م فخلفه حماس .

حماس بن القبيب الهمـداني :

تولى الإمـارة حماس فأدار دفة الحكم بمهارة وضم إليها « جنب » توفي عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م .

حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي [1] :

بوفاة حماس شغر منصب الإمارة فأجمعت همدان على تولية رئيسها حاتم بن عمران بن الفضل اليامى ، فدخل مدينة صنعاء في سبعمائة فارس واستمر على إمارته إلى أن توفي عام ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م .

علي بن حاتـم :

خلف والده على إمارة صنعاء ، وكان أحد أعيان وقته ورجال زمانه مجداً وسؤدداً وسيادة ، وقد بقى سلطان هذه الأسرة على صنعاء ورئاستها إليهم في حال أن يتغلب عليها غيرهم من الأمراء أو الأئمة مدة غير قصيرة ، وشمل سلطانهم « ذى مَرْمَرْ » ، يشاركهم فيه بنو الأنف إلى أن تغلب عليهم على بن صلاح في القرن الثامن .

---

(١)يام بن أصبا بطن من همدان ، قال الهمدانى فى صفحة ٦٩ ج ١٠ من الأكليل يقول شاعرهم :

وأنى لكـم أن تبـلغـوا مجـد « يامنـا » ... وأرحـب حتـى ينفـد التـرب ناقـلـه
فهم أصـل همـدان الـوثيق وفـرعهـا ... قديـمـاً وأعـلى هضبـهـا وأطـاولـه

كانت يأم في الجاهلية تدعى « قتلة جبانها » وكان فيهم جبان يسمى اثيب فأقسموا الا يوجد له فيهم ولد إلا قتلوه ، ومرّ فتى من أهل الكوفة بالحجاج وهو يستعرض الجند ، فسأله الحجاج ممن أنت يافتى فأجابه : أنا من قوم لم يكن فيهم جبان ، قال : إذن أنت من يأم .

على بـن مهـــدى الْحِمْــيَرِي

على [1] بن مهــدي بن محمـد بن علي بن داود بن محمـد بن عبـد الله بن عبد الجماهر بن عبد الله بن الأغلب بن الفوارس بن ميمون الحميري الرعيني كان في بداية دعوته يسكن في قرية قرب زبيد يظهر النسك ويواظب على العبادة حتى خلب قلوب الناس وانجذبت النفوس إلى قبول دعوته ويظهر أنه كان يرى رأي غلاة المعتزلة في تكفير أصحاب الكبائر .

بدأ دعوته بتهيئة الرأي على استنكار ما بلغت الحالة في عهده من ـ الاضطراب والفساد ـ وما يجب من إنكار المنكر ويبث روح الاعتزال بما فيها من شدة وتطرف ، وقـد مكث وقتاً ليس بالقصير حتى استطاع أن يثبت جذورها ويمكن أصولها في محيط ذلك العصر الذي تتقاذفه شتى المذاهب والنزعات وتعصف به الأهواء والمطامع .

سرت دعوته فى سريَّة ، وانتشرت فى تؤدة وثبات في الجبال والسهول ، وكان له من الطاعة والنفوذ في أتباعه ما يفوق الوصف ، وعندما شعر بنجاح دعوته صعد من بلدة العنبــرة إلى الجبـال العليا وجعـل من حصن « الشـرف » من حصـون « أصاب » مركزاً لدعوته ونقطة للانطلاق حتى إذا استوثق أمره وعظم نفوذه في تلك الأصقاع ولم يبق إلا تهامة في عهد ملكها النجاحي فاتك بن محمد بن فاتك ، وعلى وزارته وزيره المعروف سرور الفاتكي ، أدرك علي بن مهدي صعوبة التغلب عليه فأوعز إلى أحد أتباعه باغتياله .

---

(١) جاء فى تاريخ « كارل بروكلمان ص ٢٢٨ ج ٢ » كانت سلطة صلاح الدين لاتزال بعيدة عن الثبات فى سوريا عندما حاول فى سياسة من النظر البعيد أن يمكن لحكمه فى مصر بالسيطرة على مفتاح البحر الأحمر الجنوبى أيضاً فوجه أخاه « توران شاه » إلى هناك سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ، وكانت السلالتان المسيطرتان على تلك الديار وهما ـ الحمدانية فى صنعاء والنجاحية فى زبيد ـ ونلاحظ هنا أن إسم السلالة الحاكمة فى ذلك التاريخ فى صنعاء الهمدانية لا الحمدانية ، قد أزيلتا على يد أحد الخارجين ، وتفصيل ذلك أنه ظهر فى تهامة حوالى سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م رجل زعم أنه المهدى كما زعم آخرون فى التاريخ الإسلامى وهم كثير ، فتبعه بعض الأعراب واستولى على زبيد ، واحتفظ حفيده عبد النبى الذى خلفه سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ونلاحظ هنا على المؤلف أن عبد النبى هو ابن مهدى لاحفيده ، وليس من شك أن صلاح الدين قد اعتبر القضاء على هذا المنصب عملا يرضى الله .

سار ذلك التابع المغامر واسمه « محرم » إلى زبيد لإنفاذ خطته وتربص للساعة المناسبة حتى أمكنته فاغتال سروراً في عصر يوم الجمعة ١٢ رجب عام ٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م فى الركعة الثالثة ، واغتال في موقفه جماعة من رجال الدولة لاشك أن قتلهم من ضمن مهمته [١]

وبقتل سرور والنخبة المختارة من رجال الدولة النجاحية أصبح الهجوم على تهامة ممهد السبيل ، وبعد ذلك توفيت « الحرة الصالحة » فأزيلت بذلك كل العوائق فما هى إلا غارات متتابعة على العاصمة زبيد حتى أجلى جميع رجال البادية التى تقوم بمهمة أمر الدفاع ودخلها ظافراً فى يوم الجمعة ١٠ رجب عام ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩ م .

أقام علي بن مهدى في زبيد يشيد قواعد ملكه حتى أدركته المنية في مستهل أمره يوم ٧ شوال ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م .

مهدي بن علي بن مهدي الحميري :

ولى الأمر يوم وفاة والده فى ١٠ شوال ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م فعظم أمره وتوطد سلطانه يساعده أخوه « عبد النبي » وتوفي في عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ، وفي عهده تقدم أخوه عبد النبى إلى المخلاف السليماني وملكه بعد معارك دامية بينه وبين السليمانيين انتهت بقتل الأمير « وهاس بن غانم » وسبي النساء والأطفال ، وفي ذلك يقول عبد النبى فى قصيدته المشهورة :

ألوت « بوهاس » ضحى ... فابتدرته مرحاً
فظل من تحت الرحا ... مضرجاً مرغماً

عبد النبي بن علي بن مهدي :

تولى الأمر بعد وفاة أخيه ، وكان أديبا ظريفاً مشهوراً بالشجاعة والإقدام استطاع الاستيلاء على كل ما استعصى على والده وأخيه ولم تمتنع إلا عدن التي استعان صاحبها ابن الزريع بعلي بن حاتم الهمدانى وقبائل جنب ، فتراجع عبد النبي بعد محاصرته لها .

---

(١) بمسجد سرور الفاتكى فى « مربّع العجور » بمدينة زبيد .

توجـه بعض الأمـراء من أسرة وهاس ملتجئين إلى السلطان صلاح الدين[1] الأيوبي ، كما وضحنا ذلك في أخبار الدولة الأيوبية ، فبعث أخاه توران شاه على رأس جيش لليمن ، فحالفه التوفيق وأسر عبد النبي ، ثم قتله شنقاً عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣ م .

وكانت مدة دولتهم ١٥ عاماً ، وقد اجتمع في خزائن عبد النبي ذخائر خمسة وعشرين إمارة من الإمارات التى استولى على ذخائرها هو وأبوه وأخوه .

(١) ويذكر صاحب « قلائد الجمان » إن صلاح الدين كان متخوفاً من نور الدين زنكى أن يطرده من مصر ، فبعث أخاه توران شاه على رأس جيش لفتح بلاد النوبة ، ثم علم أنها بلاد فقيرة فجهز أخاه إلى اليمن ، وكان يرمى من وراء ذلك أنه إذا تغلب عليهم نور الدين وطردهم من مصر يكون لهم مملكة أخرى ينتقلون إليها .

الدولة الصُّليحيـــــة
ومؤسّســها علي بن محمـد الصُّليحي

أبـو الحسن علي [1] بن محمـد الصليحي عربي صميم من بيت علم وفضل ورئاسة في قومه ، تولى أبوه القضاء في اليمن فعلمت الباطنية بما له من وجاهة ومكانة فأوعزت إلى داعيتها « عامر بن [2] عبد الله الزواحي » وهم هم في انتقاء واختيار ذوي النفوذ والرئاسة لأغراضهم ، وكان القاضي سني العقيدة فلم ير الداعي في قناته مغمزاً ، فاكتفى بإنشاء صداقة وصلة مودة بينه وبين القاضي ، يقيم في داره ضيفاً مدة إقامته الطويلة متظاهراً بالتقى والعلم ستاراً لدعوته ومبادئه الباطنية التي انتدب لبثها في تلك الأرجاء باذلا ماله وجاهه العريض لبث دعوته .

فلمح الداعي في بيت القاضي فتي يافعاً تلوح على محياه مخائل الذكاء ودلائل النجابة وعرف أنه ابن مضيفه فأظهر لوالده استعداده لتعليمه وتأديبه مكافأة لأياديه وتقديراً لمقامه ، فلم يمانع القاضي .

تتلمذ الفتى ـ وللقوم طرق خاصة في استمالة المريد وتشويقه إلى شتى المعارف بأساليبهم المعلومة دفعته إلى استيعاب ما يتلقاه بسرعة أدهشت أستاذه ، فتدرج به رويداً إلى تلقين مبادىء دعوتهم الباطنية حتى أصبح واحداً من أخلص دعاتها ، وعندما أدركت الأستاذَ الوفاة أوصى له بكتبه وأطلعه على طريقة الاتصال بمركز دعوتهم .

ظل يعمـل بعـد وفـاة أستـاذه تحت ستـار من الـزهـد والصـلاح وكخـطوة أولى للظهـور تزعم الحـج اليمنى خمسة عشرة عاماً ، وفي أثناء ذلك يوعز سراً

---

(١) ينسب إلى الا صلوح من بلاد « حراز » ثم من حمير .
وجاء فى الجزء العاشر من الإكليل صحيفة ٩٩ ـ فى أنساب بنى عريب ابن جشم بن حاشد من همدان قوله « من بنى عبيد آل الصليحي انجاد كرماء من بيت الا خروج » أى بلد الا خروج .

(٢) عامر الزواحى من امراء حصون اليمن .

إلى نقبـاء وخـاصة مخلصي دعوته بأن يشيعوا في الناس أنه سوف يملك اليمن والحجاز حتى إذا راجت وجوهر بها من بعض من يستبعد ذلك وينكره أظهر عدم الرضى لترويج مثل تلك الإشاعات ، وأنكر على من يقولون بها أشد الإنكار حتى تمكن وكثر أشياعه وآخر سنة حجها قبل إعلانه هي سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م ، وهناك في تلك ـ المشاعر العظام ـ طلب من ستين شخصاً من أخص أتباعه مبايعته على الموت حتى إذا بايعوه ووثق من صدق إيمانهم استصحبهم عائداً إلى اليمن .

وعندما وصل إلى اليمن طلع بأصحابه إلى قمة جبل مسور ، وهو من أعلى جبال اليمن وتحصن بذروته ، فما استقر حتى تسامعت به القبائل المجاورة ، وأقبلت في جموعها لمهاجمته وأنذروه بالنزول حالا وإلا ضربوا عليه الحصار فبعث إليهم من أصحابه من يقنعهم بأنه لم يفعل ما فعله إلا خوفاً من تملكه القبيلة المعادية لهم فإن سمحوا له عن طيب خاطر وإلا نزل ، ولم يكن بالطبع صادق القول ، وإنما هي المرونة السياسية لاسترخاء عواطف المقاومين ، ومع شيء من المال تمكن من إقناعهم ورجوعهم بسـلام .

وحـالا شرع في تثبيت قدمـه ببناء الحصون والمعاقل ، وعمل على استمالة القبائل وإظهار الدعوة لصاحب مصر .

توطـدت دعـوته في القسم الجبلي ، بيد أن الصليحي كان يهمه في الدرجة الأولى أن يستولى على تهامة التي هي الطريق الممهد في اليمن إلى توسيع رقعة مملكته إلى الحجاز من أقصر الطرق وللاتصال بالبحر الأحمر الذي هو الشريان الحيوي بمركزه الرئيسي ـ مصر ـ إن تعذر الطريق البري وكان يقف دون ذلك الرجل الـذي يعـرفـه الصليحي ويعـرف مقدرته السياسية والحربية وهو نجاح المعروف مؤسس الدولة النجاحية ، فرأى التمهل وإعمال الحيلة والدهاء قبل المخاطرة في اشتباك حربي مع رجل لا يجزم بالتفوق عليه فصرف النظر موقتاً عن تهامة ، وأخذ في علاقـات شبـه ودية مع نجاح وأخذ في مهادنته أولا ومهاداته ثانياً حتى تمكن من

إهدائه جارية فائقة الحسن رائعة الجمال ، كان قد دربها تدريباً خاصاً « لتدس السم » له ، وتم ذلك ومات نجاح مسموماً .

وهناك لم يبق ما يخشاه الصليحي ، فاندلعت دعوته تلتهم كل ما صادفها في تهامة ، واندفعت جيوشه تطوي البلاد اليمنية طياً ، انحدر على البلاد كالسيل الجارف والبرق الخاطف فاستولى على « الجند » ووقف خطيباً في جامعها المشهور يوم الجمعة وقال : فى مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن ـ ولم تكن عدن قد دخلت في ملكه وهي مشهورة بمناعتها الدفاعية فاستبعد كلامه الناس ، فقال أحدهم مستهزئاً ـ سبوح قدوس ـ فسمع كلامه فقال اقبضوا عليه ، واستصحبه معه إلى عدن وساعدته المقادير ففتح عدن وخطب على منبرها فى الموعد المحدد ففتن الرجل به ودخل في دعوته .

استقر ملكه باليمن واستولى على ظفار وجميع اليمن سهله وجبله وشرقه وغربه فى مدة يسيرة وأزال جميع سلطة سلاطين همدان وآل الكرندي وآل معن وآل التبعي ورؤساء خولان ، وأزال الإقطاعيات [1] المتأصلة وولى في حصون اليمن ومخاليفها أمراء من رجاله غير من كان يتولاها من أسرها بالتوارث ، وولى على تهامة صهره أسعد بن شهاب .

وفى عام ٤٥٥ هـ ـ ١٠٦٣ م توجه على رأس جيشه إلى الحجاز فدخله منتصراً في ذي الحجة من السنة المذكورة ، فأظهر العدل وأفاض البذل ، قال ابن ظهيرة في جامعه اللطيف ما نصه (استعمل الجميل مع أهلها فاستتب الأمن واطمأنت القلوب ورخصت الأسعار فى أيامه . . الخ) وكسى البيت ثوباً أبيض ورد إليه الحلي الذي أخذه بني الطيب الحسينيون لما تولوا الإمارة بعد شكر ابن أبي الفتوح ، وأمر أن يخطب للفاطمي صاحب مصر ، وعاد إلى اليمن بعد أن

---

(١) كآل الكرندى ملوك مخلاف « المعافر » وهم من أبناء الأبيض بن حمال الذى اقطعه « الرسول الكريم » ﷺ جبل « الملح » ثم استقاله منه فاقاله وكان إليهم سلطة مخلافهم ، وممن ازال سلطانهم الصليحى أيضاً أبو حاشد يحيى بن حاشد الضحاك سلطان همدان وإليه كان أمر صنعاء ، وآل أبى الفتوح سلاطين خولان ، وآل «معن» وآل التبعى أصحاب «حصن الشعر» ثم آل نجاح ، وبذلك دان الجنوب جميعاً لسلطانه، سهله وجبله وشماله وجنوبه فى أقصر مدة .

أناب عنه في حكم مكة أبا هاشم محمد بن جعفر وأقام معه حامية وزوده بالسلاح والمال ، واستمرت الخطبة للفاطميين بمكة والحجاز إلى أن قطعها أبو هاشم محمد بن جعفر عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م .

وفي عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م تجهز الصليحي إلى الحجاز في ألف فارس للحج واستعادته ، وهي الرحلة التي قتل فيها على يد سعيد الأحول بن نجاح ، كما وضحنا في أخبار الدولة النجاحية .

كان الصليحي متضلعاً من علوم عصره وبالأخص علم دعوته الباطنية وما ترتبط به من الفلسفة والجدل ، وله مشاركة في الأدب والبلاغة ، ومن شعره الحماسي :

انكحت بيض الهندسمر رماحهم ... ورؤوسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها ... إلا بحيث تطلق الأعمار

وقوله :

وألذ من قرع المثاني عندنا ... في الحرب اركب ياغلام واسرج
خيلا بأعلا حضرموت مجالها ... وصهيلها بين العراق ومنبج

أحمد المكرم بن علي الصليحي :

ذكرنا في ترجمة « سعيد الأحول » استخلاف الصليحي لابنه أحمد المكرم على شئون مملكته ، ونقول : عندما بلغ أحمد المكرم خبر قتل والده أخذ لنفسه البيعةمن رؤساء القبائل وأعيان الحواضر ، واكتفى بضبط القسم الجبلي الذي تؤيده فيه العصبية القبلية ، ولم تؤاته قوته لمهاجمة سعيد الأحول واستعادة تهامة ، وبقي يتحين الفرص حتى وافاه كتاب والدته الأسيرة عند الأحول بزبيد ، فجمع رؤساء القبائل وتلا عليهم مضمونه فاستثار حميتهم ولبوا داعيه واستعدوا لمناصرته ، وتم الهجوم على زبيد واستخلص المكرم والدته من أسر الأحول .

وبعد أن قرر أمور تهامة أناب على شئونها خاله أسعد بن شهاب

واستصحب والدته وعاد إلى عاصمته صنعاء . وصل صنعاء وقد زاد عليه « داء » الشلل وضعفت قواه العقلية ، فأقام زوجته السيدة بنت أحمد نائبة عنه لإدارة مملكته فكان أول ما أشارت به عليه الانتقال من صنعاء إلى مدينة « ذي جبلة » لمعرفتها بما عليه القبائل الضاربة حولها من الإخلاص للصليحيين وما تتسم به من الخلق العربي والمران الحربي .

مدينة ذي جبلة (١) :

مدينة حصينة وصفت أنها بين نهرين صغيرين جاريين في الشتاء والصيف اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ، فرحل المكرم إلى ذي جبلة ترافقه زوجته وخزائنه فما استقر بهما المقام حتى أمرت السيدة بنت أحمد باختطاط دار الإمارة المسماة « العز » وكانت تلك الزوجة من فضليات النساء تتصف بحسن التدبير وحصافة الرأي وبعد النظر فقامت خير قيام بتدبير مملكتهم المتزعزعة الأركان المتداعية البنيان ، وأخذت تعمل على رتق الفتوق وسد الثغرات حتى استقرت الأحوال وهدأت الأمور ، فعززت الثغور وحشدت المقاتلة على الحدود ، ونظمت جباية الأموال حتى أعادت لدولتهم بعض أمجادها ، وزوجها أحمد المكرم منعزل في قصره عاكف على لهوه مستغرق في ملاذه وشهواته ، وبعد ذلك قامت بحركتها البارعة وخطتها الفريدة التي أوقعت فيها سعيداً الأحول في شرك دهائها وأحابيل تدبيرها وأوردته حياض المنون ، وأسرت زوجته « أم المعارك » ونصبت رأسه ، أمام (هَوْدَجِهَا) ثم قبال نافذة القصر الذي أنزلت فيه الزوجة الأسيرة كما فعل الأحول مع حماتها أسماء بنت شهاب ، وكانت خطتها في غاية البراعة والشمول بحيث لم تقف عند القضاء على الأحول وسحق جيشه ، بل تعدت ذلك إلى احتلال عاصمة ملكه مدينة زبيد ، فقد أمرت كما وضحنا سابقاً في أخبار الأحول ـ أميرها في صنعاء ـ أسعد بن شهاب ـ بالتحرك على رأس قوته

---

(١) وفيها يقول شاعرهم .

ما مصر ما بغداد ما طبرية ... كمدينة قد حفها النهران

« خدد » لها شام وحب ـ مشرق ـ ... و « التعكر » العالى المنيف يمانى

إلى زبيد ، ورافقه في الحملة عمران بن الفضل اليامي ، وحددت مواعيد تحركاته بدقة وفي غاية البراعة الحربية بحيث يصل إلى زبيد في يوم وساعة وقوع الأحول في الكماشة الحربية المعدة الترتيب لوقوعه بين شقيها ! وكان ذلك في عام ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م .

وبعد عامين من ذلك الانتصار أي في عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م توفي أحمد المكرم في عاصمته الجديدة « ذى جبلة » .

سبأ بن أحمد الصليحى :

تولى سبأ بن أحمد على أمور الدولة الصليحية عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م وكان في حوزته الجبال المطلة على زبيد كوصاب والظفر وريمة ، وما والاها وظلت الحرب سجالا بينه وبين النجاحيين الذين استعاد ملكهم جياش بن نجاح بين كر وفر ففي الشتاء تنزل قوة الصليحي إلى زبيد ونواحيها وتحتلها ويفر جياش إلى دهلك ، فإذا أقبل الصيف أعاد جياش الكرة واحتل زبيد ، فتتفرق قوة الصليحي إلى الحواز والجبال ، وكان الظافر من الطرفين يحتسب للرعية ما استحصله الطرف الآخر من الخراج .

ضاق سبأ بن أحمد ذرعاً بتلك الحالة المائعة ، ورأى أن من الواجب وضع خطة حاسمة للقضاء على النجاحيين ، فأخذ في التأهب والاستعداد وحشد الجنود حتى اجتمع له ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف رجل .

وعندما تم له كامل الاستعداد انحدر على تلك القوة الهائلة إلى تهامة ووالي زحفة إلى قرب مدينة زبيد ، والنجاحيون داخل المدينة يتربصون ويعدون العدة في غاية السرية والتحفظ .

زحف سبأ إلى ظاهر مدينة زبيد فلم ير استعداداً ظاهراً للمقاومة مما جعله يستخف بالعدو المتحصن داخل المدينة ويعتد بكثرة ما أعده من الرجال والعتاد ، فنبذ الحزم وترك الاحتراس ، فلما جن الليل وغط الجيش الغافل وقائده المغرور في سنة النوم العميق تسلل الأحباش جند النجاحيين من المدينة وأحاطوهم من كل جانب ، ومن ثم تغلغلت فرقة منهم إلى وسط مخيمهم وصاحت صيحة منكرة

علامة الهجوم المعروفة عنهم ، فبثت الرعب والضوضاء ، فهب الجيش مذعوراً يقتل بعضهم بعضاً ظناً أن الأحباش قد خالطوهم وفر أكثرهم لا يلوي على شيء ، ومن خرج وقع في سيوف وحراب الأحباش حتى فنى أغلبه ، ونجا سبأ فاراً على قدميه حتى وجد من أركبه فرساً في آخر الليل .

وبذلك قضى النجاحيون على قوة الصيلحيين قضاءاً مبرماً ، ولم يستطع بعدها سبأ بن أحمد مهاجمة تهامة بعد ذلك حتى توفي عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م ، وكانت مدة ملكه ١١ عاماً .

وبموته انهارت الدولة الصليحية فآل قسم منها إلى آل الزريع بن أبي العباس أهل عدن من همدان بن جشم ، وبقيت رقعة صغيرة تتولاها السيدة بنت أحمد يشاركها في أمرها المفضل بن أبي البركات الحميري صاحب تعز حتى توفيت « السيدة » [1] عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م . وبذلك انقرضت دولتهم .

جدول يوضح مدة ملكهم

الاسم	من	إلى	المدة
أحمد بن علي الصليحي	٤٢٨ هـ/١٠٣٧م	٤٧٣ هـ/١٠٨٠ م	٤٥
أحمد المكرم	٤٧٣ هـ/١٠٨٠م	٤٨٤ هـ/١٩٠١ م	١١
سبأ بن أحمد	٤٨٤ هـ/١٠٩١م	٤٩٥ هـ/١١٠٢ م	١١
السيدة بنت أحمد	٤٩٦ هـ/١١٠٢م	٥٣٢ هـ/١٠٣٨ م	٣٦

---

(١) توفيت في التاريخ المذكور بعاليه في مدينة ذي جبلة ودفنت في جامعها ولها مآثر جليلة وسبل خيرية .

الحـالة العـامة في العهـد الصليحي

نستخلص من دراسة السياسة الصليحية أو بالأصح مذهبها [1] الرسمى أنها سياسة مستوردة حيكت خيوطها الأولى لتسخير العقول للإيمان بفرد وتقديس أسرة . ـ وأخلص معتنقيها لا يسعه إلا تقرير هذا ـ وراحت على ضوء هدفها تستمد من الفلسفات القديمة والمعتقدات الأجنبية وتأويل الآيات القرآنية وتحوير معاني الأحاديث النبوية تأخذ وتدعم على طريقتها الخاصة معتقدها فى أئمتها المزعومين . وهى مع ما يكتنفها من الإبهام والغموض وما تخلعه من القدسية على أئمتها توائم من بعض الوجوه الرواسب المتخلفة من بقايا الديانة (الوثنية) القديمة حول الزعامة ، التي بقيت رواسبها المتعمقة الجذور فى أغوار نفسية كثير من الشعوب مطمورة خنق أنفاسها الاسلام بهديه القويم وإن كانت تجد لها بعض المتنفس في العرف والتقاليد في بعض البلاد ـ ويتلمس لها فى يأس من الطبقة الارستقراطية ما يدعم حقها الذي تراه كحق مقدس في عرفهم الباطل وتتمحل . ما يبرره أو يدعمه في تأويل نصوص الدين سواء بالنص المفتعل إن أمكن أو بالتأويل الملتوي إن أعوز الحال .

لذلك نجد الاسماعيلية تسبق غيرها إلى (اليمن) ودعاتها بدأوا قبل النصف الثالث . فإنه قبل منصور اليمن الذي وفد إليها عام ٢٦٨ كان بها (أحمد بن عبد الله الخليع) الذي استرابت الإمارة اليعفرية في نشاطه فألقت القبض عليه « أو أعدمته » .

وصل (منصور إلى اليمن وكذا علي بن الفضل) كما مر بك مفصلا .

---

(١) الصليحيون هم من فرق الإسماعيلية الذين وصفهم جيتة الشاعر الألمانى فى ديوانه الموسوم « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » وصفاً شاعرياً نورده كدلالة على رأى مستشرق غربى فى الإسماعيلية على وجه العموم قال :

« وها أنذا أسمع فى آخر أيامى عن شيعة متوسطة بين الوثنية والمسيحية ، قد أعلن أصحابها أنهم على استعداد لأن يقدروا ويعجبوا ويقدسوا ما يصل إلى علمهم من كمال وسمو ، بل وأن يعبدوه . . . الخ. نعوذ بالله من زلل العقول وزيغ الحلوم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقول الشاعر إقبال حول تأويلاتهم الباطنيـة :

الحق أن التماس معانى باطنية فى شريعة أمة مسخ لتلك الشريعة . .

وتعـاقبت الـدعاة الاسماعيليون ومن بعد أن كان دعاتها إما ممن يوفدهم المركز الرئيسي أو بعد ذلك ممن جازوا الاختبار وبرهنوا على إخلاصهم . نرى بعد ذلك اعتناق غير واحد من الطبقة الارستقراطية لدعوتهم تلك فيعتنقها صاحب حصن (كوكبان) وصاحب حصن (حب) والأول هو (عبد الله الزواحي) الذي اختار الصليحي وهيأه لمركز الزعامة والقيادة ـ راجع أخبار الدولة الصليحية فيما تقدم .

ونلاحظ أن الصليحي استطاع فى مدة وجيزة أن يوحد اليمن بأسره تحت رايته من عدن إلى الحجاز وهو حدث له أهميته التاريخية والسياسية . فقد كان اليمن من الناحية السياسية قبله مقسما إلى دويلات وإمارات كالآتي :

١ ــ الدولة الزيادية ـ أو بالأصح النجاحية وتشمل عموم تهامه :
٢ ــ الإمارة اليعفرية فى صنعاء
٣ ــ الإمارة الزيدية في صعده .
٤ ــ إمارة آل الكرندي وتشـمل :

[أ] مخـلاف جعفر .
[ب] المعافــر .
[جـ] الجنـــد .
[د] حصن السمدان .

٥ ــ عدن ، أبين . حضرموت لبني (معن) .
٦ ــ إمارة بني عبد الواحـد (في برع) .
٧ ــ مخلاف وحاطة ـ لأسعد بن وائل .
٨ ــ حصون [حب] [بعدان] ـ حصن الشعر ـ في النادرة ـ حصن السحول ـ المخادر ـ لبني الأصبح .
٩ ــ مخلاف وصـــاب .

هذا من الـوجهة السياسية وهي في الغالب إمارات وراثية من قبل الإسلام أو مكتسبة توطدت من قبل قرنين كالدولة النجاحية ومن الوجهة الأخرى فهناك الناحية المذهبية التي تمس الروح والعاطفة مباشرة ـ فى وقت كانت تفوق كل نزعة سواها ونتبين ذلك من الصورة التقريبية الآتية (١) .

١ ــ [صنعاء] وأعمالها شافعية على مذهب السنة والجماعة .
٢ ــ [صعـدة] وأعمالها على مذهب الإمام [زيـد] :

---

(١) ج ١ ص ٦٢ وما بعده كتاب ظهر الإسلام للدكتور أحمد أمين .

٣ ـ [تعـز] و [إب] و [الجنـد] وجنوباً إلى حضرموت وعدن شوافع ولا يزالون إلى هذا التاريخ .
٤ ـ [تهامة] شوافع على مذهب السنة والجماعة .

والمذهب الاسماعيلي كما يعتقد أكثر المسلمين بعيد عن الدين . والصليحي نفسه داعية من دعاته والعاملين على نشر مذهبهم والقائم بنصرته . فماذا ينتظر من ولاء الشعب له . بعد ذلك أضف أن الصليحي مع حسن سياسته وبعد أفقه لم يستطع أن يتخلى عن مبدئه من الوجهة المذهبية بل طبق تعـاليمها[1] ويقول المكرم فى كتابه للخليفة الفاطمى بعد فتح [زبيد] : وأقام المملوك رسم الدعوة الهادية بزبيد على العادة الجارية .

١ ـ طبق تعليمات مذهبه فى الأذان والمراسم .
٢ ـ فرض على الرعية أخذ الخمس من أموالهم طبقاً لمذهبه .
٣ ـ أزاح أمراء الإقطاعيات ـ وحسن فعل ـ إلا أنه جعلها إقطاعية فولى أقاربه كالآتي :

١ ـ أحمد المكرم ابنه على [الجنـد] وما يليها .
٢ ـ عبد الله بن محمد الصليحي على [التعكر] وما يليه .
٣ ـ عمه السلطان عبد الله على [تعز] .
٤ ـ الحسين بن مهلهل الصليحي [الأخروج] .
٥ ـ سبأ بن أحمد الصليحي [أشيح] .
٦ ـ عبد الله بن يعلي الصليحي [خـدد] .
٧ ـ أسعد بن شهاب الصليحي [تهـامة] .

ويلاحظ أن كلا الناحيتين . المذهبية . والسياسية كانت من أقوى العوامل في زعزعة الحكم الصليحي .

ومـع أن الـصليحي قد قام بمجهـود فريد من النـاحية السياسية في توحيد

---

(١) من هنا اعتمدنا في التلخيص على كتاب تاريخ الصليحيين .

[اليمن] فى دولة موحدة قوية ضمت أقطاره وجمعت شتات إقطاعياته المتفرقة إلا أن تفـرق تلك الإقطاعيات كان يعتبر في ذلك العصر أجزاءاً موحدة ضمن دائرة الخـلافـة العباسية الإسمى ضمن الوطن العربي العام . ويعتبر كل توحيد عداه داعي تفرقة في عرف الأكثرية الساحقة التي ترى في الدعوات المذهبية المتطرفة صدعـاً للوحدة وخروجاً عن مذهب السنة والجماعة أضف إلى ذلك ما وصم به الباطنية مما ينفر القلوب ويثير الغيرة الدينية والخلقية .

ومع أن الصليحي عربي صميم . إلا أن دعوته طائفية باطنية لها طابعها الذي تنفـر منـه الغـالبية ويرمـون ذويهـا بالمـروق ، وخصمهـا الأول النجاحيون وهم [أحباش] استعربوا بحكم التربية والمولد وعرفوا كيف يكسبون ولاء الشعب من الناحيتين الدينية والسياسية فمن الناحية الدينية :

كانوا حملة لواء مذهب السنة والجماعة درسوا الفقه الإسلامى والعلوم العربية وتـرسموا المنهج السني في تواضع واعتدال فكسبوا ولاء الشعب الديني وهو من أقوى العوامل في التفاف أهل تهامة حولهم بإخلاص .

ومن الـوجهـة السياسية فهم متصلو الـولاء بخلافة بغداد العباسية التي تمثل الخلافة الإسلامية آنذاك وتدين لها الأغلبية بالولاء .

أشهــر المعــارك الصــليحية

معــركة صــواف :

حاول الصليحي أن يهادن ويصانع (صاحب صنعا السلطان أبا حاشد يحيى بن إبراهيم الصحاري) ؟ الذي خلف أباه على ملك صنعاء . كما كانت العلاقات مع والـده (إبـراهيم الصحـاري) ، بعث الصليحي إليه وفـداً للتعزية . فاعتبر أبو حاشد أن ذلك الوفد بعثه الصليحي إليه كأنه تابع له . فرد الوفد ونشب القتال بينهما . وكانت وقعة (الصواف) التي قتل فيها (أبو حاشد) وضمت (صنعاء) إلى الصليحي .

معــركة نجــد النجــاح :

استولى الصليحي على (صنعاء) ، وكان (أبو الفتح) الوافد من الديلم في سنة ٤٣٧ . قد ملك (صعدة) فخشى من استفحال أمر الصليحي فرأى أن لابد من محالفة جهة قوية فاتصل بـ (نجاح) ملك تهامة فأعانه . ونشب القتال بينه وبين الصليحي وانتهى بمعـركـة (نجـد النجاح) ببلاد (عنس) التي قتل فيها (أبو الفتح) وحمل رأسه إلى (صنعاء) .

معــركة الهــرابة :

الهـرابـة بالبـاء المـوحـدة التحتية . قام القاسم بن جعفر العياني . بمطالبة الإمامة . فاتصلت به رؤساء همدان وسار لقتال الصليحي والتقى الجمعان في قرية الهرابة . فهزمه الصليحي وحاصره سبعين ليلة حتى استسلم فأطلق سراحه .

معــركة الــزرائب :

كان الصليحي يتوقى العداء السافر والحرب العلنية مع (نجاح) خوفاً من تفوق قوته التي حملت لواء (السنة والجماعة) في (تهامة والجنوب الأعلى) . وكان يدرك أنه بدون القضاء على الدولة النجاحية فلا نجاح لسياسته .

كمـا أدركت الـزعـامـة (الـزيدية) على رأس أبي الفتـح « السـابق ذكـره »

بأن لا طاقة لها في الوقوف بمفردها في وجه (الصليحي) . وأنه لابد من الاستعانة بأكبر قوة في الجنوب (بجانبها) ضده . فعمل (أبو الفتح) كما سبق الإشارة على الاتصال بـ (نجاح) .

أخذ نجاح للأمر أهميته . وأمد (أبو الفتح) بالمال والسلاح وحثه على النهوض . إلا أن الصليحي أسرع في القضاء على أبي الفتح في وقعة (نجد النجاح) ثم التفت إلى الحليف القوي نجاح الذي كان قد سير جيشاً قوياً عن طريق (صعفان) فلاقاه (الصليحي) في السهل قبل أن يصعد الجبل وأرغمه على التقهقر إلى زبيد .

وبعد تلك المعركة جمع النجاحيون وابن طرف الحكمي عشرين ألفاً . وكان مركز تجمعهم في المخلاف السليماني في موضع يسمى الزرائب فسار إليهم (الصليحي) في ألفين وسبعمائة فارس ودارت المعركة في (الزرائب) من أعمال ابن طرف . وكانت الدائرة على النجاحيين وابن طرف والتجأ نحو ألف من فلول النجاحيين إلى جبل (عكوه) .

وفاة نجاح :

بعد معركة (الزرائب) بمدة يسيرة توفي (نجاح) وبوفاته تسهل كل صعب انفسح المجال أمام الصليحي فاستولى على عموم تهامة والقسم الجنوبي الأعلى . وباستيلائه على (زبيد) التجأ سعيد الأحول بن نجاح وأسرته إلى (جزيرة دهلك) .

تقدمه صوب الحجاز :

بعد الفراغ من أمر (اليمن) طمحت أنظاره إلى (الحجاز) فاغتنم فرصة قطع أمير (مكة) شكر الحسني . الخطبة للفاطميين فأخذ في الاستئذان من الخليفة الفاطمي لغزو الحجاز . وتهيئة وسائل التحرش ، وتبادل الرسائل مع (شكر) تحمل التهديد والوعيد فأجابه (شكر) بقصيدة مستهلها :

لتفليق الجماجم والرءوس ... وإقحامي خميساً في خميس

فأمر (الصليحي) شاعره (عمر بن يحيي الهيثمي) بأن يرد على (شكر) بقصيدة عن لسانه فأجاب بالقصيدة الآتية :

دم الأبطال في اليوم العبوس مدامي لا شراب الخندريس
ولهوي بالنشيج إذا تلاقى الوشيج بمعرك حامي الوطيس
أحب إلى من نغمات عود وصادحة تغرد غيطموس
ولولا فضل من لبى وجدوى معد ذي الندى الغمر المسوس
لكنت حليف إقتار حبيساً يدار صريع أفيون شريس
أفق عن عيب أجدادي ومجدي فما بأسي بمفلول الضروس
ولا بيتي بـ (همدان) بن زيد بمجهول الفروع ولا القنوس
أنا ابن حماتها وذرا قناها أنا بن عنابس الحرب الضروس
أنا ابن سراتها الحكام فيها ذوي الأفضال مرضِيٌّ المسيس
نَماني كل أغلب (حاشدي) عدو للخنا عنه شموس
بنوا وأتم مفخرهم بنائي وقوى حبل مجدهم فريسي
وكم ملك أسرت وكم خميس أباد سراته قتلا خميسي
وكم نقع أثارته رعالي فطير الجو منه في سدوس
بني حسن ألا تَنْهَونَ (شكراً) عن استمطاره سحب النحوس
أتاني السب عنه وقال : إني إذا أقسمت أحلف بالمجوس
إلى قسم بغير أبي تميم وأسرته البدور من الشموس
متى أذن الإمام بحرب شكر أتته بالردى خيلي وعيسى
بني حسن حذار إذا أتتكم جنود الله بالخطب الشكوس

استيلاء الصليحي على الحجاز :

ظل الصليحي يتحين الفرص وينتظر الموافقة من خليفته وفي تلك الأثناء توفي الأمير (شكر) فتقدم إلى الحجاز وضمه إلى حوزته وولى إمارتها (محمد بن جعفر) وخطب للفاطمي وأبقى حامية يسيرة وعاد إلى اليمن .

وظل الحال على ذلك ثم قطع صاحب (مكة) الخطبة للفاطميين ،

وطرد الحامية الصليحية ـ كما تقدم مفصلا ـ استمر الصليحي في إدارة ملك اليمن إلى أواخر عام ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٥ م .

قتل الصليحي :

في شهر القعدة ، سار الصليحي من صنعاء لاستعادة الحجاز ، بعد أن أناب ابنه (أحمد المكرم) وفي ذلك يقول الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي من قصيدة طويلة :

ما لمن فارق الأحبة عذر	إن نهي دمعه عن الفيض صبر
إن سيف الإمام كالبحر ذي الموج	له في البلاد مد وجزر
ولئن ساءنا فراق علي	فلنا في ابنه إذاً ما يسر
ذاك بحر سقى به مكة	الله وهذا لوفد صنعاء بحر

رواية المصادر الصليحية :

كان مسيره من صنعاء يوم الإثنين السادس من ذي القعدة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م في موكب حاشد .

وصف الموكب :

خرج في ألفي فارس . ويتقدم موكبه الخاص خمسمائة فرس مطهمة محلاة بالسروج المفضضة والمذهبة وخمسون هجيناً مزينة وغيرها من أدوات الزينة من الأعلام والطبول وأمامه مائة وخمسون أميراً من أمراء الإقطاعيات الذين غلبهم على أمرهم واستولى على بلادهم .

الحالة في تهامة :

ظل النجاحيون وعلى رأسهم (سعيد الأحول بن نجاح) يتربصون لأخذ الثأر واستعادة ملكهم الزائل . ـ وبصفتهم أنصار مذهب السنة والجماعة . التي يدينها سكان تهامة والجنوب الأعلى فإن السكان يدين لهم بالولاء الحقيقي ـ وكان من ورائهم أحد رجالهم المدعو (فرج السحرتي) يعمل لمصلحتهم جاداً . فبلغ الصليحي ذلك فاستقدم (فرجاً) ووبخه فأنكر كل شيء وطلب الإذن

له بأن يحتال في قتل سعيد الأحول فارتخت أعصاب الصليحي وسمح له بالعودة إلى زبيد .

عاد (فرج) إلى زبيد وأخذ في العمل الجدي لإبراز المؤامرة لحيز التنفيذ قائلا : للمتآمرين : الآن قد شهر أمركم فجدوا وإلا أهلككم . فرفعت الأخبار للصليحي فأمر عامله بـ (زبيد) بالقبض على (فرج) وبعثه إليه مكبلا . وبوصوله إليه أمر حالا بقتله وشعر النجاحيون وأنصارهم أن أمرهم قد فشى وأنه لابد من المبادرة فثاروا على عامله بزبيد وقتلوه .

علم الصليحي بالثورة بعد مغادرته لصنعاء وقد تقدمته الحملة في أمن ودعة . وأولها تقريباً في (هجر [1]) وآخرها في (المهجم) وهو يسير فى المؤخرة مع حرسه الخاص وجماعة من الصليحيين . وإن الثوار في طريقهم إليه فأنفذ قوة لقتالهم - ويقال إن القوة التي أرسلها هم من الأحباش . فاتفقوا بالثوار ودلوهم على مخيم الصليحي ومقدار من معه وقالوا لهم إن فاتكم اليوم السبت لحق بجيشه وامتنع عليكم نيله . فصحت عزيمتهم وقصدوه على علم وبصيرة .

وفي يوم السبت الموافق ١١ ذي القعدة هاجموا مخيمه على حين غرة وفتكوا به وبمن معه وبقي ابنه الموفق فاتجه إلى مكان الحرم للذود عنهم فحاصرهم الأحول حتى يوم الأربعاء ١٥ منه فاستأمنوا منهم ثم فتك بهم واستاق النساء أمامه إلى زبيد .

---

(١) هجر : قرية ضمد في ذلك التاريخ .

المعركة بين النجاحيين والصليحيين

سقنا ما ورد في كتاب الصليحيين ملخصاً وتحرياً للحقيقة وإيفاءاً للبحث فنسوق الرواية كما أوردها (عمارة) نقلا عن (كتاب المفيد) لجياش بن نجاح .

تسلل (الأحـول) إلى زبيد واستتـر في دار (ملاعب الخـولاني) وكان من المشايعين للنجاحيين .

واحتفر لنفسه (نفقاً تحت الأرض) يختبيء فيه . ومنه كان يدبر أمره ويتصل بأنصاره . ثم كتب لأخيه (جياش) في دهلك بأن يقدم إليه في زبيد فوافاه .

وبعد قتل فرج ـ على الصورة السابقة ـ ظهر سعيد الأحول في سبعين رجلا . قال عمارة :

حدثـني (أحمـد بن فلاح) صاحب ديوان التحقيق بزبيد . قال لمـا خرج الأحول مـن زبيد بأصحابه قتل جندياً على فرس كان تحته فركبه وكان خروجه يوم ٩ ذو القعدة سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م .

قـال جيـاش بن نجـاح :

خرجنا فى طريق الساحل وتركنا الجادة السلطانية مخافة العساكر أن تلقانا . وبيننـا وبين المهجم ، مسيرة ثلاثـة أيام للمجـد وكـانت الأخبار قد سبقتنا إلى الصليحي . والأسمـاع قد امتـلأت حتى لا تكاد المساجد والمدارس والأسواق تخلو من ذلك فلما سمع الصليحي . بخروجنا سير من ركابه خمسة آلاف حربة من الحبشـة . وأكثـرهم ممـاليكنـا وبنـو عمنـا . وكنـا قد سلكنـا طريق البحـر فخـالفنـاهم ولقـد أذكـر أن أظلم علينـا الليل ونحن (بالمـراوعـة) من أعمـال (الـكـدراء) فخـرج علينـا رجـل من تلال الوادى وقـال أظـنكم عريتم [1] الطريق فقلنا نعم . فقال اتبعوني . فما زال بين أيدينا حتى طلع الفجر ففقدناه

---

(١) هكذا ولعله يقصد ضللتم . وفي جهتنا يقال إلى الآن عريت السفينة إذا صدمت بشعب أو مرتفع في البحر أو جنحت على اليابسة .

ونالنا التعب والسغب بين مسير النهار والليل رجّالة حفاة وسعيد بن نجاح راجل بيننا والفرس يجنب وهو يقول يا صباح الخير والظفر ولم يزل يغذّ السير . على الرجا واليأس إلى أن دخلنا طريق المخيم . والناس يعتقدون أنا من جملة عبيد الصليحي وحواشيه . ولم يشعر بأمرنا إلا عبد الله بن محمد الصليحي . فإنه ركب وقال لأخيه يا مولانا اركب فهذا والله هو الأحول بن نجاح . العدو الذي جاءنا به كتاب أسعد ابن شهاب من (زبيد) . قال جياش فأدركه اليأس من الحياة فلم يبرح من مكانه حتى قطعنا رأسه بسيفه . وكنت أول من طعنه وشركني فيه عبد لنجاح وأنا الذي جززت رأسه بيدي ونصبته على رأس عود المظلة وأمرت بضرب الطبول والأبواق وركبت فرسه الحضرمي المسمى بالذيال .

وأما (عبد الله بن محمد الصليحي) وكان فارس العرب فحمل فينا وقتلٍ منا رجالا ثم اعتنقه رجل منا وسقط على الأرض . ونادى صاحبنا اقتلوني وهذا فشكّهما سعيد بحربة واحدة وجز رأسه . وهو يعتقده (الصليحي) ثم ركب فرسه والرأسان منصوبان أمامه على باب المسجد الذي فيه أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي . فقال لها : اخرجي فصيحي وصبحي على السلطانين . فقالت لا صبحك الله يا أحول بخير . ثم أنشدت ووجهها مكشوفاً قول امرىء القيس :

فإنــك لم يفخــر علينـا كفـاخـر ضعيف ولم يغلبــك مثـل مغلب

ثم أن سعيد أرسل رسولا إلى الخمسة الآلاف الذين قد كان الصليحي بعثهم في الليل لقتله يقول لهم أن الصليحي قد قتل وأنا رجل منكم والعز عزكم . ولم يبرح سعيد على باب المسجد والرأسان منصوبان أمامه والطبول تضرب حتى قدمت الحبشة فسلمت عليه وبهما استطال على عسكر الصليحي قتلا وأسراً ونهباً .

قال جياش : وعـزت نفس أخي سعيد من ذلـك المقـام وشمخ بنفسه حتى عَليَّ وإني أخـوه ابن أمـه وأبيه . وذلك أني أشرت إليه أن يحسن إلى السيدة أسماء ويعفـو عمن معهـا من بني الصليحي وهم مائـة وسبعـون ويعفـو عمن معها من

أمراء قحطان وقلت له لئن فعلت ذلك لا تنازعك قحطان في ملك تهامة ولئن كرهت ذلك لتهيجنَّ حفائظها ولتطلبن ذحولها . فأجابني بقول الشاعر :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها … إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

ثم أمر بالصليحيين فقتلوا عن آخرهم رحمة الله عليهم أجمعين . إلخ . واستولى على جميع ما في المخيم . . إلخ .

وقال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي راثياً الصليحي من قصيدة :

وأنشأ الحج إلى (مكة) … يبغي رضا الله وأجر جزيل ؟
وارتجت الأرض له هيبة … بمن بها بين فرات ونيل
وقام بالجيش وأضرابه … شم العرانين كرام الأصول
فصار في (المهجم) في عصبة … من قومه غالته دهياء غول
كالليث في الغابة دبت له … رقطاء. ليلا ذات جسم ضئيل
فإن يكن نيل على غرة … فالبدر لابد له من أفول

وقال الكاتب المنشيء والشاعر المحلق الحسين بن علي القمي على لسان السيدة (تحفة بنت محمد الصليحي) راثياً :

لعمري ما طارت طيور بأسعد … غداة دهتني الحادثات بأسعد
وذكرنى فقدى لأسعد إخوتي … ملوك من المستشهدين بسردد
رزيت من الأملاك كل متوج … كثير غبار الجيش طلاع أنجد
ملوك ترى الأملاك حول دستهم … صفوفا عكوفا من قيام وقعد
أأبكي علياً. أم أخاه الذي فدا … وأكرم مفدي هناك ومفتدي
أم الثالث اللاّقي الحراب بنحره … وقد نهلت من كل أغيد أصيد
فلله أسد صرعت بثعالب … ولله أحرار أديلت بأعبد
وهون وجدي أنهم ما تخرموا … بغير المواضي والوشيج المقصد

الحالة بعد قتل الصليحي :

قضى سعيد الأحول على الصليحي - في ضيعة أم الدهيم - على الصورة السالفة ، فثار اليمن بأسره تقريباً على نواب الصليحي وبلغ الخبر ابنه أحمد

المكـرم فى صنعـاء . فوقف في موقف حرج للغـاية ولم يبق تحت طاعتـه إلا صنعاء أوحصن التعكر ومن القبائل التي ثارت ضده في القسم الجبلي :

١ - أهل كحلان . ٢ - وهران . ٣ - عنس .
٤ - زَبيد . ٥ - يحصب .

وسرت نار الثورة حتى عمت ضواحي (صنعاء) وضربت عليها نطاق الحصار وبعد لأي استطاع فك الحصار وتعقب الثوار حتى (حضور) .

عـودة القـواد :

وهناك وافاه القواد العائدون ـ الذين كانوا في الحملة ـ متقدمين قبل الموكب وهم :

عامر بن سليمان الزواحي .
مدافع بن حسن الجنبي .
عمران بن الفضل اليامي .
الحسن بن عمران السنحاني .

فتنفس الصعداء بوصولهم وأخذ في تنظيم خطة الدفاع على الوجه الآتي :

١ - سير (الزواحي) إلى بلاد حمير ومغرب اليمن لإخضاع الثائرين .
٢ - إسماعيل بن يعفر الصليحي إلى يحصب وكحلان ورعين .

فتوفق القائدان في مهمتهما ، وبينما (المكرم) يحتفل بهذا النصر الذي عزز مركزه نسبياً . وافته الأخبار بقيام الداعي (حمزة بن هاشم وذلك في سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م).

ثورة حمـزة بن هـاشم :

استفحلت دعـوتـه . فزحف على (صنعـاء) بـ (خمسمائة فارس وعشرة آلاف راجل) حتى بلغ (المللوى) .

معــركة المــلوى :

خرج المكرم لصده وفي يوم الخميس الموافق ٢١ الحجة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م التقى الجيشان وفي يوم ٢٢ منه دارت المعركة التي انتهت بقتل (حمزة) وهزيمة جيشه .

ثـورة قبيلة بكيــل :

وبانتهاء المكرم من المعركة وافته الأخبار بثورة (بكيل) فأفرغ جهده لإخمادها حتى قضي عليها .

الهجــوم على زبيــد :

وأخذ في الاستعداد لأخذ الثار من النجاحيين . سار في ثلاثة آلاف فارس في شهر صفر عام ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨ م وهجم على (تهامة) من شرق (زبيد) ووالى زحفه السريع حتى دخل قرية (التربية) فجر يوم الجمعة ٨ منه فصلى وأسفر الصباح فإذا أوائل خيله قد أقبلت وعلى كل رعيل قائده فصار في المقدمة ووجهته باب الشبارق ـ من مدينة زبيد ـ الباب الشرقي للمدينة .

المعــركة :

وقبال المدينة عبأ جيشه على الوجه الآتي :

١ ـ القلب ويتألف من حمير وسنحان وتولى هو قيادته يساعده (أحمد المظفر الصليحي) .

٢ ـ الميمنة وتتألف من همدان ويام وجنب بقيادة (عمران بن الفضل اليامي) .

٣ ـ الميسرة وتتألف من أهل حراز بقيادة (مالك بن شهاب الصليحي) .

الدفـــاع :

اتخذ النجاحيون للدفاع خطة بارعة . يقوم أساسها على الدفاع مع احتفاظها بطريق التراجع وعلى أساسها عَبَّأ الأحـول ثمـانية عشـر ألف مقاتل رابطت على باب (الشبارق) على الوجه الآتي :

١ ـ ميمنة . يسندها احتياطي من ورائها يحفظ لها طريق تراجعها .
٢ ـ ميسرة يسندها احتياطي من ورائها يحفظ لها طريق تراجعها .
٣ ـ قـلب .
٤ ـ كمين في حائط السور .

المعـــركة :

وفي يوم الإثنين المـوافق ٢٩ صفـر سنـة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨ م دارت المعركة وانتهت بهـزيمـة النجـاحيين وانسحـابهم من المدينة ولا نجد أبلغ وصف لتلك المعركة من وصف الكاتب المنشيء (الحسين بن علي القمي) في الرسالة التي كتبها عن لسان الملك (أحمد المكرم) إلى الخليفة الفاطمي (المستنصر) . وإن كان بطبيعة الحال أن الرسالة (رسمية) ويستدعى الموقف من الكاتب إضفاء ذيول سابغة وإحاطة ذلك النصر بهالة من التمجيد والمبالغة . فإنا نراه قد حاول تصوير صور بارعة للمعركة . فضلا أنه قدم لنا نموذجاً من فن الإنشاء الرفيع والبيان العالي المونق للنثر الفني في اليمن في القرن الخامس .

ولنجتزء من الرسالة على ما يختص بالمعركة :

فوردنا مدينة زبيد يوم الإثنين الموافق ٢٩ صفر سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨ م ، وسبق النذير إلى العدو ، فألفاه صافًا على باب الشبارق .

قد نفـخ الشيطان ريح الطغيان في أنفه ، وأراه الحياة في حتفه ، قد عصب برأسه من الكبرتاجا ، ظن أن لا يستطيع له نزعاً ، وتردَّى من الجبروت بثوب لا يروم له ما عاش خلعا ، فقطع بالدابرة لنفسه على الله قطعاً ، ولم يعلم أن الله قد أهلك من القرون من هو أشد قوة وأكبر جمعاً ، فدلفنا إليه في جماعة من المؤمنين قاموا لله أنصاراً ، واتخذوا الصبر شعاراً ، والله عز وجل جار المتمسكين بسببه ، الذى لا ينقطع من تمسك بسببه ، جاهدين في ابتغاء رضاه وطلبه ، وخوف سخطه وغضبه .

فلمـا ترآءى الجمعـان ، وتـدانى الفـريقـان ، ماجت الصفـوف ، وسـالت

الـزحـوف ، ولمعت السيوف ، ووكفت الحتـوف ، وتـزلـزت الأقـدام ، وصـال الحمـام ، واغبر القتام ، وتداعت الأبطال ، وتدانت الآجال ، وكثبت الرجال ، وانقطعت الآمال ، واحمر الحدق ، وفاض العرق ، وشخصت الأبصار ، وألحمت الشفار ، وطلبت الأوتار ، ونقم الثأر ، وأعوز الفرار .

فتطاعنا بالرماح ، واضطربنا بالصفاح ، وتجاودنا بالأرواح ، وتدافعنا بالراح ، ودعونا نزال ، فأنزل الله سكينته على المؤمنين ، وأوقع الرعب في قلوب الكافرين ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا .

وطفقت سيوف الحق تلتحمهم ، وأيدي المسلمين تقتسمهم ، فتركوهم ضريج بدمـه ، وهارٍ ليديه وفمه ، وشارد لم ينجه سعى قدمه ، ونادم لم ينتفع بندمه ، وجـريح قد أنفضتـه الـرمـاح (المعـدية) ، وطـريح قد جنـدلتـه السيوف (المستنصرية) ، ومعقور نطيح ، ومطعون جريح ، قد عادوا فرصة لكل واثب ، وأكلة لكل ناهب ، مصرعين مصارع أمثالهم من الكافرين ، واردين موارد أعمالهم من الخاسرين .

قد قطع الله أوصالهم ، وبَتَّ من حبله حبالهم ، وسلط عليهم أولياءه ، ليبيدهم بعنادهم ، وحل بهم نكالهم .

وفلت (اللعين) بمن معه ، وقد أذن الله معه ، ورد كيده ودفعه ، وألبسه الخزي والعار ومن اتبعه ، بشلو مأكول ، وجسم مبذول ، وجمع مفلول ، وعسكر مخذول .

وكـان السبب لنجـاتـه ، والموجب في ذلك لحياته ، أن المملوك جعل أكثر همه ، من في الدار من حرمه ، فلم يتبع (المخذول) أحداً ، ولا أزمع له طرداً ، وغنمنا من الغنائم ما لا يمكن نعته ، ولا يتأتي وصفه .

وجعـل (العبـد)[1] ـ لا رحمه الله ـ يدنو بمن بقي معه من المدينة ويبعد ، ويبـرق بغير قوة بأس ويرعـد ، ويقـوم في غير عائـدة ولا تأثير ويقعـد ، يوهم

(١) يقصد سعيد الأحول .

أنه انهزم عنا قصداً ، وحاد عن لقائنا عمداً ، وأنه قد أحلنا بحيلته سجناً ، ويظهر أنه قد امتلأ بذلك فرحاً ، وقد ملأه الله حزناً ، ويركب في الإجلاب سهلا وحزناً ، والمملوك ـ يعني نفسه ـ يسمع جعجعته ولا يرى طحناً .

وسار (العبد) وهو على مسافة يوم والعساكر بالغنائم موقرة مثقلة ، وطريقهم بالأنفال والأفياء منتظمة متصلة ، فحين دنا (المملوك) منه راغ يمنة وقصده حيث هو فراغ يسرة . . إلخ ؟ .

ونلاحظ في هذه الرسالة من قوة البيان وأصالة فن الإنشاء الرفيع ما يغني عن كل إشارة بقيمتها الفنية .

ويظهر من فحوى مضمون الرسالة أن (المكرم) اضطر إلى مغادرة (زبيد) إلى (صنعاء) بسرعة لسببين [1] :

١ ـ مرض عامله وخليفته على صنعاء مرضاً أشرف منه على الموت .

٢ ـ إن قاسم بن جعفر العلوي الذي سبق أن ثار على الصليحي وعفا عنه بعد الظفر به في معركة الهرابة جدد الآن ثورته . وفعلاً قد غادر زبيد يوم ١٢ ربيع الأولى عام ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨ م ترافقه والدته واسيدات الصليحيات الذين استنقذهن من الأسر .

وبخروج (المكرم) إلى صنعاء ، استعاد (سعيد الأحول) مدينة (زبيد) .

عودة المكرم إلى صنعاء وبصحبته الملكة الوالدة :

وقد استقبل قدومه بمظاهر الإبتهاج واحتفل بعودة الملكة وحياها الشعرُ ومن ذلك قصيدة الشاعر عمر بن يحيى الهيثمي بقوله :

أوبـة (أسمـا) إلى قصـرهـا	بعـد فراق الـمـلك الأوحـد
وبعـد عوصـاء الخـطوب التي	رمت بني (قحـطان) بالمؤبـد

---

(١) ذكرهما في نفس الرسالة السابقة .

كرجعة الشمس وقد جنها دجن وسربال دجى أسود
فيالها من نعمة أصلها بأس ابنها باني العلى أحمد

وخرج المكرم من صنعاء فأطفأ ثورة (قاسم بن جعفر العياني العلوي) ولم يكد ينتهي من ذلك حتى وافته الأخبار بما يأتي :

١ - نزول (الحسين بن مغيرة التبعي) و (أبي العباس السخطي) و (أبي إسماعيل الكلالي) إلى (الحمراء) بقبائل (يحصب) و (رعين) ثائرين ضده .
٢ - تقدم (سعيد الأحول) من تهامة لمهاجمة (صنعاء) .
٣ - أحد إخوان الأحول بجيش آخر إلى « ذي أشرق » .

فانكفأ عائداً وفي عودته هاجم جبل (حملان) واستولى عليه ووالى سيره إلى (صنعاء) ومنها سار إلى (المخلاف) وانتهي إلى (بينون) وأخيراً استسلم له (التبعي) و (السخطي) فعاد إلى (صنعاء) في ٧ شعبان ٤٦١ هـ/ ١٠٦٩ م .

الاستيلاء على تهامة [١] :

عاد المكرم إلى عاصمته (صنعاء) وأكبر همه أخذ الثأر من (سعيد الأحول) فأخذ في تهيئة الرأي العام وإلهاب الشعور العام فأمر الخطباء بحض الناس على الجهاد ، والكتاب بكتابة الرسائل ووصف المعارك والإشادة بمواقف الشجاعة والتضحية ، وأوعز إلى الشعراء في تأجيج نار الحماسة فتيار المجهود العلمي يشيد بمواقف البطولة وشرف التضحية وفضل الجهاد وإذكاء نار الحمية ومن الشعراء المشهورين في ذلك الموقف الشاعر الحسين بن علي القمي الذي قال قصيدة نجتزئ منها بما يأتي :

أقحطان هزي البيض واعتقلي السمرا وردي العوالي من دماء العدا حمرا

في يوم الخميس الموافق ١٧ رمضان ٤٦١ هـ/ ١٠٦٩ م . قاد جيشه إلى (زبيد) فوافته الأخبار بأن (سعيد الأحول) قد تحرك بدوره إلى (المخلاف) أو إلى (عدن) .

(١) وهذه الرواية فى المعركة اعتمدنا فيها على ما ورد في كتاب الصليحيين والدعوة الفاطمية وهي تخالف ما أوردناه عن رواية عمارة الحكمي الملقب « باليمني » في تاريخه المفيد كما سبق وعلى القارئ أن يشاركنا في الاهتمام بالروايتين ، فإن لكل مصدر ميوله السياسية والعاطفية .

وهنا أخذ (المكرم) يقلب أوجه الرأي في الموقف . وأخيراً اهتدى إلى ما ترجح لديه صوابه . فبعث قسما من الجيش بقيادة (سليمان الزواحي) لصد تقدم (الأحول) وتابع هو السير فيمن بقي معه إلى جبل (حصن الشعر) . وعندما قرب من الجبل علم أن (سعيد الأحول) قد رابط به .

فعبأ المكرم كتائبه وهجم هجوماً خاطفاً ، أسفر عن قتل (الأحول) وأكثر جيشه فحز رأسه كما حز رأس أخيه (مالك بن نجاح) الذي قتل بجهة (نقيل صيد) في معركة مماثلة .

وبانتهاء (المكرم) من المعركة تقدم صوب (زبيد) فاستولى عليها يوم السبت غرة شوال ، بعد أن انسحب منها (جياش بن نجاح) إلى المقاطعات الشمالية . فأناب المكرم على (زبيد) (سبأ بن أحمد الصليحي) وتقدم شمالاً لمطاردة (جياش) حتى توقف في هجر ـ ضمد ـ التي بلغها يوم الجمعة ٢٨ شوال ولما علم أن (جياشاً) توجه إلى (الهند) أبقى في هجر (محمد وعلي ابني شهاب الصليحي) واتجه راجعاً . فوصل إلى (الساعد) وفيها مدحه الشاعر (أحمد بن محمد التهامي) بقصيدة بديعة قال فيها :

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب ... وقد سحبت أعطافه كل مسحب
بشعواء في (صنعاء) قرع طبولها ... وريعانها بالعرق دون المحصب
أدارت على درب الحصيب مع الضحى ... رَحاً ذات قطب حاشدي ولولب
فأضحوا على الأبواب صرعي كأنهم ... قبائل عاد في الصباح العصبصب
وجئت وأم المؤمنين وسربها ... كزينب يوم الطف حول المخضب
فإن ذكرت بالفخر يوم نسابها ... قريش كعمرو أو كعيسى ومصعب
أو الخرق عتاب أو المرء خالد ... أو الشهم مروان الخطيب المهذب
وإخوتنا الأزد اليمانون إن أتوا ... بغربني الأيام (آل المهلب)
أتينا بذي (السيفين) أحمد إنه ... يفوق على الحيين أد ويعرب

وسار من (الساعد) إلى (المهجم) فنبش جثتي والده وعمه وحملهما في تابوتين وسار إلى صنعاء وفي تلك الأثناء توفيت والدته أسماء بنت شهاب . فانتقل

المكرم من (صنعاء) (إلى ذي جبلة) فأسسها واتخذها قاعدة للمملكة وأناب على (صنعاء) (عمران بن الفضل اليامي) ثم تزايدت عليه علة الفالج ففوض أمر الدولة إلى زوجته (السيدة أروي بنت أحمد) واعتكف في جبل التعكر .

توحيد العملة :

كانت العملة المتداولة ، إما (سعيدية) نسبة إلى (سعيد الأحول) أو (عثرية) نسبة إلى مدينة (عثر) فأمر (المكرم) بصك الدينار الملكي الذي نسب إليه وكتب عليه ما يأتي :

(السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين) .

قال عمارة : وظل الدينار على تلك السكة حتى ولي الملك (عمران بن محمد الزريعي) فسك ديناراً وكتب عليه :

(أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد) .

وظل المكرم متخلياً عن الأمر ـ بأسباب علته ـ لزوجته الملكة السيدة إلى أن توفي عام ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م .

السيدة أروي بنت أحمد :

أروي بنت أحمد بن محمد الصليحي ولدت عام ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م وهي السنة التي بعث على بن محمد الصليحي والد السيدة أروي على رأس الوفد اليمني إلى المستنصر الفاطمي فتوفي بـ (عدن) .

نشأت في كنف الملكة السيدة (أسماء بنت شهاب) تحت أروقة المجد وبين رحاب الملك والسلطان .

وصفها :

بيضاء مشربة بحمرة مديدة القامة معتدلة القد مع ميل إلى السمنة جميلة الصورة جهورية الصوت .

معلـومـاتها :

قارئـة كاتبـة ، تحفظ الأخبار وتروي الأشعار . وتلم بالتاريخ وأيام العرب . واسعة العلوم في الفقه الإسماعيلي ومذهبها الفاطمي . لها تعليقات على كتب القوم تدل على غزارة مادتها كما أورد ذلك صاحب كتاب الصليحيين .

كانت تلقب بـ (بلقيس الصغرى) أدارت شئون مملكتهم بمقدرة ودهاء إبان نيابتها عن زوجها . وبعد وفاته واستقلالها بالملك مدحها شعراء عصرها بغرر القول وجميل الثناء . وديوان السلطان (الخطاب بن الحسن الحجوري) يزخر بمدائحها وفي زواجها بالمكرم يقول شاعر البلاط الصليحي (الحسين بن علي القمي) من قصيدة :

وكريمة الحسبين . يكنف قصرها	أسد تخاف الأسد من صولاتها
وتكـاد من فرط الحياء تغض من	تمثـلهـا المـرئي في مرآتهـا
ظفـرت يداك بهـا . فبخ إنمـا	لك تذخـر العلياءُ مكنـونـاتهـا

وله من قصيدة يمدحها إبان ملكها أولها :

أعـلمـت أن من الـرمـاح قدودا	ومن الصفـاح محـاجـرا ونهـودا
أعـلى الأنـام أبـاً وأكـرم طينـة	وأتـم أعـراقـاً وأصـلب عودا
لو كان يعبـد في الجـلالة في الورى	بشـر لكـانـت ذلـك المـعبـودا
أو كان في أثـوابـهـا . بلقيس ما	هابـت سليمـان ولا داودا
وإذا الـوفـود . تأخـرت . وفـدت	عطاياهـا . فكـانت للوفـود وفـودا
هي نعـمـة الله الـتـي ما ماؤهـا	ثمـد ولا معـروفـهـا مجـحـودا

أشرنا إلى توليها دفة الإدارة وتصريف شئون الدولة في حياة زوجها (الملك المكرم) وازداد نفوذها واتسعت سلطتها باشتذاد علته بالفالج . فتفردت بالملك وسلطة الدولة . وكانت تستعين برأي (القاضي عمران بن الفضل اليامي) وأبي السعود بن شهاب الصليحي ـ إلى أن توفي زوجها ـ كما سبقت الإشارة إليه في سنة ٤٨٤ هـ .

تفـــردها بالملك :

قال عمارة : أوصى المكرم بإسناد الدعوة إلى ابن عمه (سبأ بن أحمد) ، وقد خالفه صاحب كتاب (عيون الأخبار) بالرواية الآتية :

(كتمت الملكـة السيدة أمـر وفـاة الملك المكـرم ورفعت للخليفـة الفاطمي المستنصـر . ورجته إصدار مرسوم بتولية ابنها علي بن أحمد المكرم وأنه وردها المرسوم . وإنها تمكنت الملكة من القبض على زمام الأمور نيابة عن ابنها الطفل واستعانت بالأمير سبأ بن أحمد رئيساً للوزراء وقائداً عاماً .

الحرب بين القائد سبأ والأمير جياش :

كان (جياش) قد استعاد إمارة (تهامة) ـ بعد عودته من الهند ـ فاشتبك القتال بينه وبين القائد الصليحي (سبأ بن أحمد) وظل الموقف مائعاً والحرب سجالا . يحتل الصليحيون زبيد في فصل الشتاء ويرغمون (جياش على الانسحاب) . فإذا أقبل الصيف كر عليهم (جياش) وأرغمهم على الانسحاب .

قال عمـارة : « ان تهـامـة تستقبـل عودة جياش بمظاهر الأفراح وتتلقّاه بنشر المصاحف وابتهاج الفقهاء وسرور العلماء » لأن النجاحيين يعتبرون أنصار مذهب السنة والجماعة وحماتها بخلاف الصليحيين الذين يدينون بالمذهب الإسماعيلي .

معركة الكظائم :

معـركـة من المعـارك الفـاصلة التي تقـرر على نتيجتها تثبيت دعائم الحكم النجـاحي في تهـامة وانهيار بنيان الحكم الصليحي ـ راجع الفصل الخاص بالدولة النجـاحية ونضيف هنـا ، أن خلاصـة ما أورده (عمـارة) بأن (جياش) اتفق مع وزيره خلف بن طاهـر الأمـوي على خطة مؤامـرة تتـلخص في أن يعـلن الأمير جياش غضبـه على وزيره ويصـادر أمـوالـه ويسجنـه . ومن ثم يفر الوزير إلى الأمير سبـأ ، ويحفـزه على غزو تهـامة . ويوافي الأمير جياش بخطته وعدد قواتـه فإذا ما نزل إلى زبيد أطبقـوا على جيشـه إلـخ . وفعـلا نجحت المؤامـرة وطبقت الخطة بمهارة ودهاء وتم القضاء الساحق على الجيش الصليحي ، وممن

أعان النجاحيين في الاشتراك في الخطة والمعركة الأمير يحيى بن غانم السليماني صهر النجاحيين فقد استنهض قبائل المخلاف السليماني فشاركت في المعركة في صف النجاحيين .

وممن قتل في المعركة (القاضي عمران بن الفضل اليامي) قتله (يحيى بن حمزة السليماني) وقال في قتله قصيدة أولها :

أبلغ نزاراً حيث حل نزار

ومنها :

ونجا (الحجازي) الرئيس بطعنة — نجلا لها تحت القميص خوار

وكأن الأمير (يحيي بن حمزة) شعر بأنه تدخل في عداوة سافرة مع الصليحيين مما يعرضه لأحرج المواقف فيما لو انتصر الصليحيون في المستقبل - فرغب في الاعتذار وبعث بقصيدة أولها :

يا راكبا جسرة كالقارب القطم — هوى لقاربه الكدري من أمم

ومنها :

وقد يعز علينا ما أصابكم — منا . بغير رضا كف ولا قدم
والله يعلم أني يوم وقعتكم — لم أمس إلا على جمر من الندم
وأن فيض دم منكم كفيض دم — بكربلاء . وثأر الطف لم يرم

فأجابه الأمير عبد الله بن يعلي الصليحي على لسان الأمير سبأ :

يا راكبا راح لا يلوي على أحد — لقيت داعية التوفيق والنعم

إلى أن قال :

فليس (قيس) وإن جلت رزيته — وكان صنوى لحمي لحمه ودمي
ولا الهمام أبو موسى وصاحبه — محمد وهما من أوثق العصم
بأول القوم منا حم موتهم — بين الأسنة والهندية الخذم
والسيف يأكلنا حيناً ونرتعه — حيناً إذا شاء في الأعناق واللمم

وفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م توفي الأمير علي بن أحمد المكرم وتلاه أخوه محمد فهب سبأ بن أحمد الصليحي يطالب بالوصاية ويخطب زواج الملكة .

وأخيراً وبعد وساطة البلاط الفاطمي تم زواجها منه وظلت قائمة بالأمر وهو يساعدها إلى أن توفي في عام ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م [١] .

كان الأمير سبأ سيداً كريماً ممدوحاً من شعراء وقته متعلقاً بالمثاليات العربية ومن مدائح الشاعر الحسين القمي فيه القصيدة الآتية :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشْيَحَ أو	أزرى بك الدهر فاستمطر بنان سبا
ما جاءه طالب يبغي مواهبه	إلا وأزمع منه فقره هربا
تخال صارمهُ يوم الوغا قبساً	تضرمت من دم حافته لهبا
بني المظفر ما امتدت سماء علا	إلا وألفيتم في أفقها شهبا
إن امرأ كنت دون الناس مطلبه	لأجدر الناس أن يحظى بما طلبا

وله فيه غير ذلك من غرر المدائح . والأمير نفسه يقول الشعر واسع الإطلاع وكان مركزه حصن (أشيح) ومن مدائح القمي فيه :

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة الـ	ـعذول ولاجود ابن أحمد والجدب
كريم إذا جادت فواضل كفه	تيقنت أن البخل ما يفعل السحب
أجاز. فلا خوف. وأحْيَا فلا ردي	وجاد فلا فقر ورام فلا صعب
ويثني على قصاده فكأنه	يجاد بما يجدي ويحيي بما يحبو
كتبت إليه والمقادير بيننا	وكان جوابي جود كفيه لا الكتب

الوزير المفضل بن أبي البركات :

بوفاة الأمير (سبأ) أقامت الملكة السيدة (المفضل بن أبي البركات) على الوزارة وقيادة الجيش . كان والده والياً للصليحيين على التعكر وظل على ولايته إلى أن توفي فقام ابنه الأكبر (خالد) في ولايته وكان الفضل من الذين نشأوا في البلاط الصليحي وكان في خدمة الملكة من طفولته الأولى . وعندما اغتيل أخوه خالد ولته بدلا عنه على التعكر - راجع أخبار المفضل .

وزارة أسعد بن أبي الفتوح :

توفى المفضل بن أبي البركات عام ٥٠٤هـ/ ١١١٠م فاستوزرت أسعد بن

(١) لاحظنا فى وفاة بعض آل الصليحى اختلافات فى المصادر كالآتى : بعضها يؤرخ وفاة أحمد المكرم سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م أو ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م وفى وفاة ابنها على سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م أو ٤٨٢ م/ ١٠٨٩هـ، =

أبي الفتوح وكان قبلها والياً للصليحيين على (صبر) و (تعز) فأقام يساعدها بشئون الحكم وإدارة دفة الدولة إلى أن توفي عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠ م .

وبموته اضطربت الأمور وكانت الملكة قد أدركتها الشيخوخة فطلبت من خليفة (مصر) بعث مستشار يساعدها فبعث إليها (علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة) وبصحبته عشرين فارساً وقيل : إن قدومه إلى اليمن قبل وفاة الوزير (أسعد بن أبي الفتوح) .

كانت الدولة النجاحية قد استعادت بعض أمجادها السابقة . فضايق نجاحها الملكة (السيدة) فكان ذلك من الأسباب المباشرة لاستدعاء مستشار من الدولة الفاطمية .

وعلى كل فقد استطاع ابن نجيب الدولة أن يهديء الأمور ويحد من سلطة الطامعين في الداخل ويقف في وجه المتطلعين لابتلاع الدولة في الخارج ـ كأمثال النجاحيين ـ وقد رأى أن الجيش الصليحي ـ بعد معركة الكظائم ـ قد دب فيه الوهن وتلاشت معنويته فطلب من خليفة مصر بعث قوة يطعم بها معنوية الجيش الصليحي فوصلته بعض الإمدادات . فجند عليهم سبعمائة فارس من قبيلة (همدان وسنحان) وأخذ في إعدادهم . فقوى بهم مركزه . فأطمعه ذلك بأن يدعم مركزه في خارج حدود الدولة الصليحية ـ أي على حساب النجاحيين فغزى زبيد في عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م ـ وكان على وزارة النجاحيين الوزير منُّ الله الفاتكي ـ فأعد له العدة وهزمه شر هزيمة على أبواب زبيد فعاد إلى ذي جبلة مخضود الشوكة مفلول الحد .

وبعد هزيمته تضعضع مركزه وتألَّبت عليه العناصر الوطنية المعارضة التي تطلع إلى مركز الملكة . وكادوا له بالرفع ضده للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله فاستدعاه فتلكأ في المبادرة بالعودة فبعث الحاكم رسوله للقبض عليه فسلمته الملكة لهم .

= كذلك سبأ بن أحمد سنة ٤٩١ / ١٠٩٨ أو ٤٩٥ / ١١٠٢ ، في حال أن ولاية سبأ سنة ٤٨٤ / ١٠٩١ م ووفاة ابن المكرم بعد وفاة والده ـ أي ـ في ٤٨٥ / ١٠٩٢ م أو ٤٨٦ / ١٠٩٣ م ، وزواج سبأ من الملكة هو بعد وفاة ابنها فى أثناء ولايته التي دامت إحدي عشرة سنة فتكون وفاته سنة ٤٩٥ / ١١٠٢ م تقريباً ، وعليه جري التنبيه

فأنابت الملكة علي بن عبد الله الصليحي لإدارة ما بقي تحت إدارتها من البلاد إلى أن توفيت عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م .

الدولة الأيوبية في جنوب الجزيرة

بعد قتل « سرور » وزير دولة آخر طفل من آل نجاح استفحل أمر علي بن مهدي وقويت شوكته ، وبموت « الحرة أم منصور » كرر الهجمات على زبيد حتى فتحها ، وبذلك اندفعت جحافله على بقية أقطار تهامة وقد عاجلته المنية فأتم عمله ابنه علي بن مهدي ، الذي استولى على أغلب جبال اليمن ، واستولى على المخلاف السليماني بعد قتله للأمير وهاس في جهة حرض ، كما أشرنا إلى ذلك في جهته - بالتوضيح - وبعد قتل وهاس التفتت أسرته ، التي لم تجد من المتوكل أحمد بن سليمان صاحب « حيدان » الذى ظاهرها على المقاومة كبير غنى فالتجأ بعضهم إلى مصر التي قد تولى على مقدراتها « السلطان صلاح الدين الأيوبي » ورأى صلاح الدين أن في إرسال قوة إلى « اليمن » خير عمل لإشغال الرأي العام في مصر ، ثم إن في انتصاراتها تثبيتاً لمركزه وتوسيعاً لمجال ملكه وتأييداً لنفوذه الذي امتد إلى الحجاز التي أصبح يُدعى له فوق منابرها بعد الخليفة العباسي .

أرسل صلاح الدين جيشاً إلى اليمن تحت قيادة أخيه « توران شاه » شمس الدين الأيوبي ، وفي صحبته - منصور بن غانم ورفقاؤه من أسرة وهاس - .

وصل شمس [1] الدين توران شاه إلى اليمن وحالفه التوفيق وانتصر بعد

---

(١) روي صاحب « قلائد الجمن » عن المؤرخ المشهور « ابن الأثير » أن صلاح الدين سير أخاه توران شاه إلى بلاد النوبة ، وبعد عودته منها سيره إلى اليمن لقتال عبد النبي عن طريق الحجاز فتغلب على عبد النبي وملك زبيد وخطب للخليفة العباسي ، ومنها سار إلى عدن وقتل أميرها « ياسر » وأناب عليها « عز الدين عثمان الزنجبيلي » وعلى زبيد « سيف الدولة مبارك بن منقذ » ثم تقدم توران شاه إلى تعز ، وملك أغلب بلاد اليمن سهله وجبله ، وبعد أن دانت له البلاد توجه إلى مصر والشام ، وبعد رحيله توجه نائبه على زبيد : مبارك بن منقذ وأناب عنه أخاه حطان بن منقذ .

معارك دامية على عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري ، وتم له الإستيلاء علي أغلب اليمن في السهل والجبل ، وبعد إقامة ثلاثة أعوام في اليمن تمهدت له في أثنائها الأمور واستقرت الأحوال ، طلب من أخيه السلطان صلاح الدين الإذن بالعودة إلى مصر ، فأجابه برسالة تتضمن ترغيبه في البقاء ويشرح له الفائدة السياسية والحربية من وراء بقائه في مملكة اليمن الواسعة الأرجاء الغنية بخيراتها وأموالها ، وبعث الجواب مع أحد ثقاته ، فلما وصل الرسول إلى اليمن وسلم الكتاب لشمس الدين التفت شمس الدين إلى خازنه ، وقال : احضر الآن ألف دينار ، فلما أحضرت قال لأحد رجاله أحضر لنا به ثلجاً ، فقال يا مولاي لا يوجد الثلج هنا ، فقال لرسول أخيه معرضاً ـ وما يصنع الإنسان بالمال إذا لم يجد الكماليات لراحته ، ففهم الرسول غرضه وأخبر أخاه ، فعلم صلاح الدين أن لا فائدة في بقائه ، فأذن له بالتوجه إلى مصر ، ومن الرسائل الإخوانية التي كان يبعثها صلاح الدين إلى أخيه ويضمنها اشتياقه وحنينه إلى اللقاء ، وهي من إنشاء القاضي الفاضل ، هذه الأبيات الرقيقة :

لا تضجرن ـ بما أتيت فإنه	صدر. لأسرار الصبابة ينفث
أما فراقك. واللقاء فإن ذا	منه أموت ـ وذاك منه أبعث
حلف الزمان على تفرق شملنا	فمتى ـ يرق لنا الزمان ويحنث
حول المضاجع كتبكم فكأنني	ملسوعكم وهي (الرقاة) النفث

بعد وصول الإذن لشمس الدين استخلف أخاه « أيوب » ورحل إلى مصر .

أيوب الأيوبي :

استخلف على اليمن بعد أخيه شمس الدين ولم تطل مدة استخلافه أكثر من سنة واحدة من ٥٧٣هـ/ ١١٧٧ م إلى ٥٧٤هـ/ ١١٧٨ م .

بعد وفاة أيوب عام ٥٧٤ اضطربت الأمور وتنازع القادة أمر الزعامة واختلفت وجهات النظر ، وبعد منازعات ومخالفات أدت إلى إراقة الدماء وإهدار الأرواح اصطلحوا وساروا جميعاً إلى خطاب بزبيد ، فلما أدرك خطاب دنوّهم ارتفع إلى حصن قوارير .

وصول (خطلبيا) من قبل صلاح الدين عام ٥٧٤ / ١١٧٨ م :

دخل خطلبيا مدينة زبيد ومرض مرضاً أشرف منه على الموت فراسل خطاباً سراً خوفاً من منافسه « الزنجبيلي » فدخل خطاب إلى زبيد خفية واجتمع بخطلبيا وبقي معه في زبيد ، فعلم بذلك منافسه « الزنجبيلي » فسار على رأس جيشه وحاصر زبيد ، وذلك في أوائل ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ م .

مات خطلبيا في أثناء الحصار وبقي خطاب في زبيد إلى سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣ م .

وصول سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن :

علم صلاح الدين بما بلغت إليه الأحوال في اليمن فأرسل أخاه « طغتكين » في ألف فارس ، وخمسمائة راجل ـ بطريق الحجاز ـ فدخل مكة في إمارة قتادة ، فطاف وسعى وخلع عليه خلعة نفيسة وتوجه إلى اليمن فوصل مدينة زبيد في أواخر عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣ م وخرج خطاب لاستقباله والاحتفاء بمقدمه فخلع عليه ، وبعد دخوله زبيد بأيام قليلة استأذنه خطاب في السفر إلى الشام فأذن له فجمع خطاب جميع أمواله استعداداً للسفر في الحنابذ ضاحية من ضواحي زبيد ، فأمر طغتكين بالقبض عليه ومصادرة جميع أمواله ، ثم أمر بإرساله إلى تعز حيث أمر بخنقه هناك ، وأخذ طغتكين بعد ذلك في تعقب جميع الأمراء السابقين ، وألقى القبض على ياقوت ومظفر الدين الأول أمير تعز والثاني أمير جبلة وصادر أموالهم إلا الزنجبيلي فقد استطاع أن يجهز سفناً وفر بما جمعه إلى العراق .

دان أغلب اليمن سهلا وجبلا لطغتكين واستولى على جهات في اليمن لم تخضع لأسلافه واستولى على مدينة صنعاء في عام ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣ م . وشرع بعد ذلك في تشييد الحصون والمعاقل الهامة ومنها :

١ ـ جدد بناء حصن « التعكر » .
٢ ـ جدد بناء حصن « حَبّ » .
٣ ـ جدد بناء حصن « خدد » .
٤ ـ جدد بناء حصن « تعز » .

٥ ـ جدد بناء سور « زبيد » .
٦ ـ جدد بناء سور مدينة صنعاء بعد أن تهدم من رمي النفط أثناء مهاجمته للمدينة .

وبالجملة فإن تواريخ اليمن القديمة تصفه بحسن السيرة ، وإن المتظلم يتعرض موكبه ويمسك بعنان فرسه ولا ينصرف حتى تكشف ظلامته ويؤخذ له الحق ممن ظلمه ، ولما أحس بدنو « المنية » أناب مملوكه « دوريا » وأرسله إلى « البلاد العليا » .

توفي بقرية « المنصورة » بين الجند وعدن في شوال عام ٥٩٣ هـ/ ١١٩٧ م . ومدة ولايته ١٤ سنة .

معلـــوماته :

كان فقهياً له مقروءات ومسموعات قرأها وسمعها معاصروه باليمن .

مآثـره وإنشـــاءاته :

١ ـ بناء المؤخرين في جامع زبيد والجناحين الشرقي والغربي والمنارة .
٢ ـ اختط في اليمن مدينة أسماها المنصورة في ذي القعدة سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٦ م ، وابتنى بها قصراً أنيقاً .

أعمـــاله الإداريـة :

١ ـ قرر الضرائب السلطانية ووضع الأنظمة لجبايتها وقنن قوانين الأعمال الإدارية .
٢ ـ جعـل عشر زكاة النخل نقداً ، وكان في أيام بني زياد وآل نجاح وبني مهدي يدفع من الثمار ، فنفر كثير من أهل النخل فأخذ نخل من هرب صفياً لبيت المال . وهذا ينافي العدالة التي شهد بها مؤرخو عهده .

٣ - عزم على [١] شراء جميع أراضي اليمن الزراعية ، وأن يجعلها ملكاً (لبيت المال) ومن أراد حرث شيء منها استأجره من ديوان الأراضي الخاص بإدارة أملاك الدولة فأدركته الوفاة ، وقد شرع المثمنون في تقدير أثمان الأراضي .

ولاية المعز بن طغتكين :

كان المعز قد خرج إلى « مصر » مغاضباً لأبيه فأدركته الرسل في آخر مرحلة ، فرجعَ وتولى زمام الملك وتسلم حصن « تعز » وغيره من الخزائن والحصون وقتل جميع غلمان أبيه الذين حاولوا العصيان عليه بعد موت أبيه .

وبعد ذلك صعد إلى مدينة صنعاء وقبض على « دوريا » وقتله في المحرم عام ٥٩٤ هـ/ ١١٩٨ م ، ثم عاد إلى مدينة زبيد ، ويروي أنه داخلته « المنخوليا » وضعفت قواه العقلية ، فادعى الخلافة وانتمى إلى بني أمية وبلغ أعمامه ذلك بمصر فكتبوا له ينكرون عليه فلم يرجع وأخاف أكثر رجاله الأتراك فهربوا على رأس الأتابك سنقر ، وبقي معه الأكراد ، ولما تفاحش أمره قتله الأكراد على باب مدينة زبيد سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠٢ م ، ونهبت المدينة فكانت ولايته ستة أعوام .

معلوماته :

كان متضلعاً في فنون الأدب شاعراً له ديوان شعر معروف في عصره .

آثاره :

١ - يشهر بأنه أول من بني المدارس باليمن [٢]

٢ - أنشأ المدرسة المعروفة « بالميلين » شرقي رحبة الدار الكبير الناصري بزبيد .

٣ - أنشأ المدرسة السيفية بتعز نسبة إلى أبيه « سيف الدولة » .

---

(١) كانت الأراضي الزراعية في مصر كلها ملك بيت المال منذ الفتح الإسلامي إلى عهد الخديوي إسماعيل ، وكانت الحكومة تقيس أرض كل قرية مرة كل ثلاثين سنة وتختبر خصوبتها وتعيد النظر في مبلغ الإيجار الذي يؤخذ من القرية ، وكانت لكل قرية وحدة مالية من قبل دفع الضرائب التي تصدرها الحكومة وتسلم تلك القرية إلى ملتزم ترسو عليه .

(٢) سبق أن ذكر في الدولة النجاحية أن هناك مدارس للشافعية والحنفية ولن نستطيع تعليل ما ورد بعاليه لأن المعز الأيوبي هو أول من بني المدارس .

نيـــابة الأتـابك سنقـــر :

لما علم الأتابك « سنقر » وهو متحصن في حصون حجة نزل إلى تهامة فتلقاه الأكراد والجنود وجعلوه أتابكاً للملك الناصر أيوب بن سيف الدولة طغتكين والناصر طفل لم يبلغ الحلم .

وفي أيامه نزل برد « أبيض » واستمر يوماً وليلة وأظلم الأفق ، ونزل بعد ذلك رماد « أسـود » ووقعت هزات أرضية وسمي ذلـك العـام عام الـرمـاد وهو عام ستمائة هجرية ، واستمرت ولايته تسع سنوات تقريباً إلى وفاته عام ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠ م .

آثـــــاره :

١ ـ أنشأ جامع « المعز » وعمل به المنبر وهو من عجائب البناء في عصره .
٢ ـ أنشأ مدرسة للشافعية تعرف « بالعاصمية » نسبة إلى مدرسها الفقيه « عمر بن عاصم » .
٣ ـ أنشأ مدرسة في زبيد وهي تعرف إلى القرن التاسع بمدرسة « ابن حماد » نسبة إلى الفقيه محمد بن حماد مدرسها .
٤ ـ أنشأ جامع عبقر من أرض « أبين » .
٥ ـ أنشأ الصفتين والجناحين ومؤخراً في مسجد الجند .

الأتابك غـــازي بن جـــبريل :

أوصى « سنقر » قبل وفاته بأن يخلفه على الوصاية بالملك « الناصر » غازي بن جبريل وبعد أن استتب الأمر لغازي بن جبريل حمل الملك الناصر على الطلوع لصنعاء الذي لم يسعه إلا موافقته كارهاً .

جمـع غازي بن جبـريل ما استطاع جمعه وحشده من الجند ، وحمل أموالا جزيلة ورحل بالملك إلى صنعاء ، وبعد وصوله إليها احتال على قتل الملك بالسم في المحرم عام ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م ، فكان مدة ملكه تحت وصاية « سنقر » وتحت وصاية غازي ١٣ سنة .

صبرت جثة الملك الناصر وحملت إلى تعز حيث دفنت بميدان تعز .

استمال غازي بن جبريل بعد ذلك الجند ونصب نفسه ملكاً وأخذ البيعة ورحل على رأس جيشه إلى زبيد وكله أمل بالمستقبل الباسم والمجد الباذخ فلما صار « بالسحول » أحاطت القبائل بركبه فلم يستطع مقاومتهم فانتهبوا جميع ما معه ونجا بنفسه هارباً إلى مدينة « إبّ » وتفرق من معه من الجند ومن جملتهم مماليك الملك الناصر .

كانت أم الناصر والخواتين من نساء الأيوبيين مقيمين في حصن التعكر ، فطلع مماليك ولدها فشتمتهم وأنبتهم وطلبت منهم قتل غازي بن جبريل إذا كان بقي لديهم شيء من الرجولة والوفاء لمواليهم فرحلوا حالا إلى « ابّ » وهجموا على غازي في بيته واجْتزوا رأسه وحملوه إلى أم الناصر فكانت مدة وصايته إلى أن قتل ستة أشهر .

أم النـــاصر :

نزلت أم الناصر من معقلها حصن التعكر إلى مدينة « تعز » وقامت بتدبير شئون الدولة ستة أشهر .

سليمــان تقي الدين بن عمر شــاهنشاه :

قدم في تلك الأثناء سليمان المذكور في جماعة من الصوفية الفقراء قاصدين الحج وأمه من بني أيوب فاستدعته أم الناصر وبقية الخواتين وطلبن منه أن يتولى الوصاية على الملك فأجابهن إلى ذلك ، فلما استقر به الحال وغمرته نعمة الملك بعد جفاف العيش الذي مر به في عهد دروشته في سلك المتصوفة سرعان ما انغمس في ملاذه وانغمر في شهواته ، وغفل مع النساء والحظايا عن أمور الدولة حتى ضربت الفوضى أطنابها واستضرت جرأة القبائل حتى قتلوا من جنده في جبل « صبر » قرب العاصمة « تعز » مائة فارس وهو سكران في القصر لا يفيق يغني راقصاً بقوله :

أنظروا للملك غيري   أنا مشغول بـا . . . .

اتصل بالأيوبين في مصر ما آلت إليه الأحوال ووصلت إليه الأمور

باليمن فجهز الملك العادل ابنه المسعود وهو في سن البلوغ في جيش قوي وزوده بكل ما يلزم من العتاد والمال .

وصــول المسعــود إلى اليمن :

توجه المسعود على رأس جيشه من مصر إلى اليمن فدخل مدينة « زبيد » في ٢ محرم سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م وبعد أن قرر الأمور طلع إلى مدينة « تعز » وتسلم زمام الأمور وقبض على سليمان بن تقي الدين المعروف في اليمن بالصوفي في شهر صفر من تلك السنة ، وتزوج بالأميرة ابنة سيف الدين الأتابك ، وبعد أن وطد دعائم ملكهم في اليمن أناب أتابكه ومدير أموره جمال الدين قليم ورحل إلى مصر .

جمــال الــدين قلــيم :

تولي جمال الدين النيابة عن المسعود في اليمن ، وكان سيء التصرف فظاً ضاق الناس من شدته وغطرسته وأساء إلى بعض الشخصيات المحترمة فألبت عليه الرأي العام ، وكان هناك شخصية بجانبه مرنة عرفت كيف تستغل الموقف لصالحها وهي شخصية عمر بن علي الرسولي الذي كان يخدم مصلحته الشخصية وأغراضه الذاتية أكثر من مصلحة الدولة التي يخدمها ، فزاد ذلك في إحراج موقف جمال الدين الذي عاجلته المنية فحسمت التنافس .

عــودة المسعــود إلي اليمن :

اضطربت الأمور بعد موت جمال الدين مما أوجب المسعود إلى العودة بنفسه إلى اليمن وبوصوله هدأت الأحوال وساد الأمن ، وكان توجهه من مصر برًّا عن طريق الحجاز واصطدم في قتال مع أميرها «حسن بن قتادة» فانهزم ابن قتادة وفر هارباً ، وذلك في عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م أو ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م . وتولى المسعود أمر مكة وحج بالناس ، وبعد الحج أناب عمر بن علي الرسولي ، واستأنف رحلته إلى اليمن ومكث به إلى أواخر عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م . فأرسل لعمر بن علي الرسولي نائبه على الحجاز فوصل إلى اليمن فأنابه عنه وتوجه

إلى الحجاز وهناك أصابه مرض الفالج ، وفي بعض روايات تاريخ اليمن أن ابنه أمر من يدس له السم في طعامه وتوفي عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م .

جـــدول ملــوك الأيوبيين

الاسم	من	إلى	المـــدة
شمس الدين توران شاه	٥٧١هـ/١١٧٥م	٥٧٤هـ/١١٧٨م	٣
أيوب الأيوبي	٥٧٤هـ/١١٧٨م	٥٧٥هـ/١١٧٩م	١
خطاب بالنيابة	٥٧٦هـ/١١٧٩م	٥٧٩هـ/١١٨٣م	٣
طغتكين	٥٧٩هـ/١١٨٣م	٥٩٣هـ/١١٩٧م	١٤
المعز إسماعيل	٥٩٤هـ/١١٩٨م	٥٩٨هـ/١٢٠١م	٤
الناصر أيوب	٥٩٨هـ/١٢٠١م	٦١١هـ/١٢١٤م	١٣
المسعــود	٦١٢هـ/١٢١٥م	٦٢٦هـ/١٢٢٩م	١٤

الحالة العامة للعهد الأيوبي
في جنوب الجزيرة

أدخلت الدولة الأيوبية في اليمن عناصر جديدة وتقاليد غريبة من الأتراك والعرب والجراكسة وغيرهم حملوا معهم عادات وتقاليد أعجمية ، وأصبحوا قادة الرأي وعماد القوة ورجال الدولة ، والناس بطبيعتهم مقلدون للقوي الغالب .

أضف إلى ذلك أن الأيوبي الأول في اليمن « توران شاه » قضي على أغلب الحكام الوطنيين فقد شنق الملك عبد النبي بن علي بن مهدي ، وجل رجال دولته وقتل الأمير ياسر حاكم عدن ، وقضي على الحكام المحليين ، وأقام في محلهم نوابه ، وقد تمكن من التغلب على أغلب اليمن ، واستولى على صنعاء ، وبلغ سلطانه إلى الجوف وغيره ، فأصبح اليمن خاضعاً لسلطة نفوذه وبعد أن توطد أمره عاد إلى مصر بعد أن ترك نوابه في البلاد فعملت المنافسة الشخصية عملها فاضطرب الأمن وسادت الفوضى فبعث السلطان صلاح الدين إلى اليمن أخاه الآخر سيف الإسلام طغتكين فوطد الأمور فعظم سلطانه وشمل اليمن بأسره ، واستعاد مدينة صنعاء وبنى بها « الدار السلطانية » في البستان ، الذي يعرف في هذا التاريخ « بستان السلطان » وقد أحسن التصرف والإدارة وقرر الضرائب على غرار ما هو متبع في مصر ، وهَمَّ أن يجعل جميع الأراضي الزراعية ملكا للدولة وتؤجر على الأهالي للديوان ، وكان نوابه ورجال حكومته من العناصر التي قدم بهم رفقته إلى اليمن أو من بقايا رجال أخيه « توران شاه » فكان همهم ابتزاز الأموال والتشديد على الرعية في استحصال الضرائب الحكومية نقداً ، فهرب أكثر المزارعين عن مزارعهم لعجزهم عن تسديد ما تقرر عليهم ـ وكان قبل عهد الأيوبيين يستحصل الخراج على النخل والحبوب عيناً كزكاة شرعية ويظهر أنه كان ينالهم شيء من الرفق والتسامح والرأفة ـ بخلاف العهد الأيوبي الذي اتسم بالظلم وبزيادة التشدد في جباية الأموال وعدا ذلك فإن الإقطاعيات بقي لها نفوذها لا سيما

بين القبـائل البعيدة عن المدن الرئيسية أو في الجهات الصعبة المواصلات فكان الأيوبيون يكتفـون من الإقـطاعي بتـأدية الخـراج الـذي يستحصـل هو أضعافه وسيلاحظ القـاريء كيف أن (توران) قضى كمـا أشرنا قبله على أغلب الأمراء المحليين فما هي إذن الإقطاعيات التي بقيت ؟ فنجيبه أن هناك إقطاعيات كانت تتسم بالتـوثب وقـوة العصبية القبلية أو المذهبية والتي تحاول بسط سلطة إدارية أو نفـوذ روحي لإشادة دولة وقيام حكومة فهذا ما قضي عليه قضاءاًمبرماً وإنما عدا ذلك فكانت هناك إقطاعيات من لا يخشى بأسهم على سلطانه أو معارضة حكمه فيتغـاضى عنهم راضياً أو متجـاهلاً ولو عاد من جراء ذلك بأضرار على الأمن أو حاد في التخلي عنهم عن منهـج الحزم فانطلق عقال نشاط الصوفية ورجالها . والصوفية في تهامة اليمن وإن كانت وافدة إليها فإنها قد تأقلمت وانطبعت بطبع محلي إيجابي واتخذت لها زعامة روحية بين القبائل تذعن لها الرقاب وتطأطيء لسلطتها الزمنية الرءوس التي لا تنحني للسلطة الحاكمة ولم يكن للدولة مذهب ديني خاص أو مبدأ سياسي مدروس تفرض الأول أو تحاول تحقيق الثاني لذلك رأت في رجال التصوف أداة لتـوطيد سلطانها فاعتنت باحترام زعمائها وإعفائهم من الضرائب وعدم التعرض لأتباعهم أو الاعتراض على زواياهم وحلقات الذكر وريع النذور والفتوح التي كانت تنهال عليهم وينفقها [1] زعماء التصوف على إعانة المريدين ووفود الزوار وطالبي

---

(١) ومن زعماء التصوف في ذلك العهد :

١ - آل الحكمي في المخلاف السليماني .
٢ - موسى بن على عجيل في بلاد الزرانيق من تهامة اليمن .
٣ - على الأهدل
٤ - محمد بن أبى بكر الحكمي
٥ - عيسى البحر
٦ - الأســدي .
٧ - البجلي .

ومن زعمـاء الإقطاعيات :

١ - آل وهاس في المخلاف السليماني .
٢ - بنو الزين في الزيدية .
٣ - بنو امقمة .
٤ - بنو جـابر .
٥ - عمر عدنان الصريفي في بني الصريف .
٦ - بنو الخطاب .

التبرك ومستمطري الرحمات وقاصدي الشفاء ـ مما ينافي جوهر الإسلام ونص الفرقان فعرفوا الجميل للدولة ، وكانوا في جانبها ـ (راجع الفصل الخاص بالصوفية في اليمن [1]

أما في القسم الأعلا الشمالي الذي يدين بمذهب الإمام زيد ، فقد استطاعت الدولة أن تفرض سلطانها بالقوة وتقضي على كل مقاومة ، وقد بلغ سلطانها الجوف وصعدة وغيرها من الجهات التي يسود في أرجائها مذهب « الزيدية » .

وتشير بعض المصادر اليمنية إلى أن طغتكين هو أول من نظم الإدارة الحكومية وقرر الضرائب ، وبالطبع أن الدولة الأيوبية في اليمن فرع من الدولة الأيوبية في مصر التي ورثت أنظمة الإدارة من الدولة الفاطمية التي وضح صاحب « صبح الأعشي » قوانين إدارتها وأنظمة دواوينها ، فكان اتباع الدولة الفرعية لأنظمة الدولة الأم وتطبيقها في اليمن حدث جديد استدعى التسجيل من مؤرخي اليمن .

استمر عهد الدولة الأيوبية في اليمن من عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م إلى ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨ م ، ويهمنا هنا أن نشير إلى العادات والتقاليد الشعبية فى ذلك العهد في الجنوب ، وبما أن مدينة « زبيد » هي عاصمة اليمن زهاء أربعمائة عام في العهدين الزيادي والنجاحي ، وعهد علي بن مهدي وابنيه ، وفي أول عهد « توران شاه » فإن العادات والتقاليد السائدة في أرجائها تعطينا أنموذجاً وفكرة نستشف منهما الكثير من العادات الاجتماعية في بقية البلاد التابعة لإدارتها ، وبما أن الجنوب العربي متسع الأرجاء وتسوده عادات وتقاليد قد تتباين بعض الشيء في السهول عن الجبال ، فقد اتخذنا من زبيد وصنعاء مثالين ، الأولى للسهول والأخرى للقسم الجبالي .

---

(١) راجع الفصل الخاص بالصوفية في تهامة في كتابنا « التصوف في تهامة » . طـ ٢ .

زَبيد والعادات والتقاليد [1]

من عادات أهل زبيد حلق « رؤسهم » وأن يحنوا أيديهم وأرجلهم ، ومن عاداتهم تقديم الطرح أوما يسمى في بعض البلاد العربية « التقاديم » في مناسبات أفراح العرس والختان ، وللنساء فيهما وفي الولادة .

ومادة طعامهم الذرة والدخن والدجرة « اللوبيا » والبر والفول والجبن ويصنعون من الذرة والدخن طعاماً يسمى « الحفوش » ومن الدجرة « حساء » يسمى « الكبان » ويصنعون من الذرة والدخن « اللحوح » والفطير يأكلونه بعد أن يمرس باللبن والسمك ويسمونه « الملتح » وبعضهم يمرسه بالموز والقند و« الحليب » ويأكلون الدباء مشوياً في « التنور » وفواكههم وخضارهم « البطيخ » والموز والعنب والرمان والقثاء والخيار .

وأحاديث عامتهم تدور حول الطعام ، فإذا حدث زيد عمراً ـ مثلا ـ يقول له : اليوم « تَصَبَّحت » فطير دخن وقطيباً أو « ملتح » وأنت ما « تعوفت » فيقول عمرو « رغيف » خبز بفلس وقطعة حلاوة بأربعة فلوس ، ويقول جعفر أنا أكلت أكلة تكفيني ثلاثة أيام « فطير » و« حليب » و« قند » وترفت إلى أن شبعت ، ويستدل من ذلك أن هناك محلات عامة لبيع الطعام جاهزاً ومن طبيخهم « الملوخية » .

ويقول علي بن أبي علي السنوي في ذلك :

قد قلت يوماً لـ«ريم» ذات إعجاب ... وذات صدر رحيب ذات أكعاب
وذات قد رشيق كالقضيب إذا ... ما، ماد. من فوق دعص الرمل ربراب
وقد أشارت بـ«كف» وهي معرضة ... وأقبلت مثل ظبي بين أسراب
خذي «الشريد» إذا ما جئت مقبلة ... نحوي، ولا تأخذي، مسكاً بأطياب
واستعملي من فطير «الدخن» مع لبن ... وصبحيني به صبحاً على «الباب»
فإن «قلبي» إلى حب «الفطير» صبا ... وليس «قلبي» إلى حب «النساء» صابي

---

(1) من هنا إلى نهاية الفصل ملخص من تاريخ ابن المجاور .

النخيـل في زبيـد في العهـد الأيـوبي

النخل في وادي زبيد قديماً ، فسيمر بك مقدار خراجه في عهد النجاحيين وإن كانت تشير بعض المصادر إلى أن أول من غرسه علي بن محمد الصليحي ، وفي عهد الأيوبي كان في عشر مواضع :

١ ـ الأبيض . ٢ ـ الكديحا .
٣ ـ المجرشية . ٤ ـ المحلة ـ الأثيل .
٥ ـ وكروة . ٦ ـ المحجر .
٧ ـ القبـيرا . ٨ ـ المغـارس .
٩ ـ حجنة . ١٠ـ المجـازع .

أما أنواع رطبه فثلاثة أنواع « حُماري ، صفاري ، خُضاري » .

فإذا حان وقت ثمره يتقبل كل شخص على قدر استطاعته ـ أي يستأجر من الملاك ويجيء إليه من « حرض » إلى « أبين » ، وينزل أهل الجبال إلى تهامة ، ويقول ابن المجاور[1] : كم من امرأة تطلق من جهة النخل ، وكم تنكح امرأة ، قال الشاعر الشعبي من الشعر الحميني :

هذا الشَّقَـحْ واللُّقَـحْ والـطلَعْ منـه قد افتتحْ
يا غازلات اغـزلـوا فالـنـخـل قد صار بلح

وقال آخـر :

من عرف الـنـخـل والـقبـالـة أمـسـى وفـي قلبـه دبـالـه
وعـاش فيه معـاش سوء ونـالـه الـدين لا محـالـه

السبـوت :

يطلق اسم السبوت على نزهاتهم في موسم الرطب فكان إذا حان أوانه رحل القوم إليه في مواكب صاخبة بالزغاريد والطبول والرقصات الشعبية ويقيمون فيه مدة شهرين أو ثلاثة .

ويكـون غالب أكلهم أثنـاء إقـامتهم بين أشجـاره تنـاول رطبه الجني وأكلهم معـه المـوالـح والحـوامض وهم في لعب ولهـو وضحـك وشـراب ويعمل القوم

---

(١) انظر ص ٢٤٢ .

من التمر والبر والرطب نبيذاً يسمى (الفضيخ) يصح عمله في يوم وليلة ويشرب النساء مع الرجال .

فإذا انتهى موسمه خرج الجميع في مواكبهم الحاشدة وجموعهم الراقصة على قرع الطبول والمزامير بعد أن يلبسوا جملاً عدة تامة من الأجراس والقلاقل والحلي والجلاجل يسير أمام الموكب ويركب كل أربعة على جمل وبعضهم من أصحاب الثراء والجاه يركبون في الشقادف إلى أن يصلوا إلى مسجد مشرف على البحر في موضع يسمى الفازة فينزل القوم بجموعهم للبحر للهو والمرح والاستحمام ثم يعودون إلى المدينة زبيد .

خراج خارج النخل :

تتحصل الدولة على مائة وعشرين ألف دينار من النخيل باسم ضمان وكان خراجه في عهد النجاحيين ثم في عهد علي بن مهدي وابنيه سبعين ألف دينار وكان يؤخذ عيناً لا نقداً كما هو الحال في هذا العصر الذي تجلى صفحته ـ العهد الأيوبي ، ويقال أنه ارتفع إلى ذلك القدر في عهد طغتكين إلا أنه قال لعماله ارفقوا بأهل الحرث فإن الفلاح يحرث ويسقي ويعزق ويحصد ويذري في الهواء ويجد مشقة فالواجب الرفق به ، أما أصحاب النخيل فإنهم يجنون الثمرة من العام إلى العام بدون مشقة ولا عناء فوفروا عليهم في الخراج فشددوا عليهم ففر الكثير منهم وتركوا نخلهم فاصطفته الدولة وسمته الصوافي .

الأسماء : وأشهر أسماء عامتهم .

حنكاس ، يعفر ، غطيط ، زبرقان ، زنقل ، دعص ، محلس ، زبير ، حمسيس ، عطعط ، وطيوط ، دعدع ، شقداف ، مطعون ، جرباح ، صبيعة ، قبيع ، قعيش ، حنبل ، جحشوش ، سحدر ، كشكاش ، كركر ، كعدل .

اللبـــاس :

لباسهم لا يختلف واللباس السائد الآن في البوادي ، وهو المئزر والمدرعة وقطعة خام يعتم بها على الرأس ، ويلبس أهل البوادي غطاء على الرأس من الخوص يسمى « القبع » شكل رقم (٨) وفي شمال تهامة اللباس العام المئزر

والصديرية ، والشباب يكونون حاسري الرؤوس التي تزينها الشعور المسدولة أما المسنون فيعتمون بالعمائم على الكوفية غطاء الرأس المعروفة من الخيزران أو القماش ويتردون برداء يسمى اللحاف .

النواحي الإقتصادية :

إن مدينة زبيد بحكم كونها العاصمة تتركز فيها الحركة الإقتصادية والرخاء المادي والنشاط التجاري ومصانع النسج ، وقد شهرت اليمن بمنسوجاتها الممتازة وبردها المشهورة ، وكانت تصدر إلى أغلب الجهات بعد الاستهلاك المحلي ، وبها المدابغ والمصانع وعدا سوقها الزاخر بالحركة والبيع والشراء يومياً فلها سوق أسبوعي يقام يوم (الجمعة) يسمى « الوعد » يرتاده الناس من البوادي والحواضر والمحلات القصية ، واستمر الوعد يقام في ذلك اليوم إلى عهد الملك الأشرف الثاني ، فعدل بيوم الخميس .

وأكبر حركة لسوقها اليومي بعد صلاة الظهر ويتعاملون مع « الجند » العشرة خمسة عشر ـ وهذا هو الربا المنهي عنه شرعاً ـ .

السكة ، العملة المتداولة :

العملة المتداولة في زبيد فى ذلك التاريخ « العملة العباسية » والمصرية والدينار الملكي ، وهو من العملة الصليحية ، ويذكر أنه مما ضربه أحمد المكرم الصليحي ، والدرهم السيفي المنسوب إلى سيف الإسلام طغتكين الأيوبي ، وأول من جعل داراً للسكة المعز إسماعيل بن طغتكين ، وضرب الدرهم الذي وزنه ثلاثة عشر قيراطاً وبأدناه بيان العملة المتداولة في العهد الأيوبي في اليمن :

١ ـ الدينار الملكي ، ويساوي أربعة دنانير ونصف مصري .
٢ ـ الدرهم ، وقيمة كل أربعة دراهم دينار .
٣ ـ الجائز ، وقيمة كل جائز ثلاثة دراهم .
٤ ـ الفلس ، وقيمة كل ثمانية فلوس جائز واحد .
٥ ـ الدارس ، كل أربعة دوارس بفلس .

وبالطبع إن حركة البيع والشراء في أبسط المجتمعات البدائية تستدعي وجود « مكاييل » للكيل ومعايير للوزن فما بالنا بأسواق « زبيد » عاصمة « اليمن » الأولى والتي تجاوزت تجارتها أسواقها المحلية والتبادل التجاري مع البلاد العربية إلى « الهند وفارس والحبشة » بل والصين ، وقد كان في ذلك التاريخ المقاييس الكيلية والمعايير الوزنية كالآتي :

١ ـ المد ، وهو الوحدة الكيلية الأولى .

٢ ـ الثمن .　　　　　　٣ ـ الزبدي .

المعـــايير الوزنيـــة :

١ ـ المن ، رطلان .

٢ ـ الرطل ، وهو وزن مائة وعشرين درهما .

٣ ـ الدرهم ، عشرة قراريط .

ويباع السمن بـ (الجمنة) وهي عبارة عن تسعة أمنان .

المنســـوجات :

كانت في ذلك التاريخ مناسج مشهورة في زبيد تصدر الفائض بعد الاستهلاك المحلي وأشهر أنواع النسيج في العهد الأيوبي الذي نحن نحاول جلاء صفحته هي :

١ ـ (البرد) وطول الواحد منها ثمانية أذرع ويشد حملها من (١٢٢) برد لما يرحل إلى الشحر وغيرها .

٢ ـ (البيرم) نوع من المنسوجات وطول الواحد ٦ أذرع .

٣ ـ (السباعيات) هي نوع من الأردية ، وطول الواحدة سبعة أذرع في عرض ٤ وهي على صنفين .

(أ) من الحرير الخالص .

(ب) مشروك بالحرير والكتان .

٤ ـ (المـــلايا) .

٥ - شقق حرير وطول الشقة عشرون ذراعاً .
٦ - الفــوط .

معـــامل الدباغة :

وفي زبيد معـامل الدباغة وهي معامل كثيرة تتقاضى عليها الدولة رسوماً ثابتة ضمن موازنة إيراداتها وتصدر مصنوعاتها إلى البلاد العربية وغيرها .

الضرائب الحكـــومية :

تتقاضى الدولة الأيوبية رسماً داخلياً يسمى الضمان وهذا بيان ما أمكننا الوقوف عليه في منطقة (زبيد) .

دينـــار	
٩٠٠٠٠	ضمان سنابيق سفن الصيد والخضر والبقول التي تباع مع الغلال رسوم الحلقة سنوياً .
١٣٠٠٠	ضمان دار (الضرب) .
١٢٠٠٠	ضمان (النبيذ) .
١٣٠٠٠	ضمان (المدابغ) .
١٢٠٠٠	ضمان (النخيل) .

في مينـــاء العـــارة :

١ - يستحصل نصف وربع عشر (السنابيق) والصيادين والقفول الواردة من عدن والصادرة إليها .
٢ - يستحصل على مراكب أهل (زيلع) على كل مركب ١٢٠٠ دينار سنوياً .

حلـــي النســـــاء :

وكان النساء يتحلين بالحلي الثمينة ، وقد نظم أحد شعراء ذلك العصر أبياتاً تتضمن ذلك ، فقال :

يا بدر تم طلعـا ... ونــور فجــر سطعــا
ويا قضـيبـاً ناعــمـا ... على كثـيب مرعــا

ويا غـزالا مـر بـي	عصـراً يجـر الخلعـا
مخـلخـلا مدمـلجـاً	مسـوراً ممـلجـعـاً
ممـسـكـاً ، محـجـلا	معـصـبـاً مقـنـعـاً

قد شمل سلطان الأيوبيين صنعاء ، كما شمل غيرها من البلاد اليمنية . وإذا كان في العـادات والتقـاليد السـائـدة في مدينة زبيد ما يصور لنا فكرة عامة عن السهول ، فإن في عادات وتقاليد مدينة صنعاء ما يصور لنا الحالة في الجبال في ذلك العهد .

اللبـــــاس :

وبحكم طبيعة المنطقة الجبلية وبرودة جوها ، فإن لباسهم يختلف نسبياً بحكم الضـرورة عن لبـاس السهـول الشـديدة الحرارة ، وبالطبع إننا في البحث ننقل ما توصلنا إليه من لباس سواد الشعب لا الخاصة .

لباس العامة الخام المصبوغ وغير المصبوغ ويتكون منه للفرد .

١ ـ مـئزر .　　　　٢ ـ قميص مصبوغ بالنيلة .

٣ ـ ولباس شبابهم « الفتوحي » وهي القمصان الواسعة ويشد وسطها بحزام من الجلد .

٤ ـ قطعة من الخام المصبوغ يعتم بها على الشعر يسمى « قُبْعْ » بضم القاف المثناة وسكـون البـاء المـوحـدة التحتية وسكون العين المهملة ، ويلبس أهل الحواضر تحت القميص صدارية تسمى « الزنّة » .

الطعـــــام :

وغالب طعامهم « البر » والشعير واللحم والحلبة ، ويقول ابن المجاور أنهم لا يتركون الشراب لا صيفاً ولا شتاءاً القوي منهم والضعيف .

وهم يرتـادون في الغـالب « عدن » بمنتـوجـاتهم ويأخـذون منهـا « العـطر » و « العطب » القطن ، و « الهندوان » وما يرد من الهند وغيرها .

عـــدن الميـنـــاء الرئيســـي

هي الميناء الرئيسي لليمن ولها أهميتها الإستراتيجية والإقتصادية ، وقد كانت في عهد الدولة الزيادية يتولاها أمراء وطنيون يؤدون قسما من الخراج حتى استقل بها « بنو معن » الذين أخضعهم لطاعته على بن محمد الصليحي ، فظلوا يؤدون له الخراج إلى أن قتل ، فحالوا الإستقلال فسار إليهم ابنه أحمد المكرم وطردهم وولاهـا صهـريه العباس ومسعود ابني المكرم الهمداني الملقبين بآل « الزريع » فبقيت تتوارث فيهم إلى أن ضعف أمرهم وتغلب على شئونهم وزيرهم بلال بن جرير المحمدي ، ثم بعده ابنه ياسر بن بلال ، الذي أسره توران شاه ، واستولى على « عدن » منه ـ راجع الفصل الخاص بآل الزريع ـ وبعد أن استولى عليها توزان شاه أناب على حكمها أحد رجاله المسمى عثمان الزنجبيلي وظل على نيابته بها إلى أن وصل سيف الإسلام طغتكين ، فغادرها فاراً ، فأناب عليها طغتكين أحد رجاله ـ راجع الفصل الخاص بالأيوبيين .

إن إيرادات عدن فى عهد الإمارة « الزريعية » لا تتعدى المائة ألف دينار سنوياً ، أو المائة والخمسين الألف في الأكثر ، وقد ارتفعت إيرادتها في عهد الدولة الأيوبية إلى ستمائة ألف دينار بعد المصروفات وهو صافي المبلغ الذي يرسل إلى خزانة عاصمة الأيوبيين « تعز » وقد كان للرسوم في عهدهم تعرفة رسمية تحدد رسم كل صنف من البضائع والرقيق والحيوانات ، كما أن هناك بضائع استدعت حاجة البلاد الإقتصادية تشجيع توريدها فأعفتها من الرسوم ، وها نحن نوضح النوع الأول :

دينـار	الضرائب الرسومية المقررة في العهد الأيوبي
١١	على البهار «الفلفل» عشور ١٠ رسوم الفرضة ٢ رسم الشواني
٤	على قطعة «النيلة» أربعة دنانير شواني ربع رسم الفرضة ربع؟
٨	على بهار « الحلتيت » ؟
٣	على بهار « قشر المحلب » .

دينـار الضرائب الرسومية المقررة في العهد الأيوبي

١١ على بهار الطباشير عشرة واثنين من ثلاثة ودينار شواني .

٢٥ على فراسلة « الكافور » .

٧ على بهار « الهيل » .

١١ على فراسلة « القرنفل » .

٣ على فراسلة « الزعفران » .

٧ على بهار « الكتان » .

يؤخذ رسم مئوي على المراكب التي تباع في المائة عشرة .

يؤخذ على الحديد عشور النصف ـ استحدث ذلك في أيام « طغتكين » سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م .

١٢ على بهار « الفوة » استحدث أيام المعز بن طغتكين .

على بهار « الحمر » ثلاثة جوز .

على رأس الضأن ربع دينار .

٥٠ على رأس الخيل في دخوله إلى البلاد ـ استحدث أيام الناصر .

٧٠ على رأس الخيل في خروجه من البلاد ، وهي نظرة اقتصادية معمول بها في العصـر الحاضر في أحـدث الأنظمة الجمركية من حيث رفع الضريبة على الشيء الـذي لا تستغني عنه البلاد نسبياً فى أثناء التصدير وتخفيضها على ما يرد منه .

٢ على الرأس الرقيق .

هذا ما استطعنا إيراده لإعطاء القاريء الكريم صورة واضحة ـ بقدر الإمكان ـ عما تتقاضاه الدولة على الواردات وعداه ما يستحصل على الصادرات وهذا بعضه :

١ على شقق « الحرير » صنع زبيد .

على الثوب الظفاري ربع دينار .

على الشقة البيضاء صنع « زبيد » ثمن دينار .

٢ على كورجة الحوك صنع زبيد .

٢ على كورجة السباعيات صنع زبيد .

على قفعة الذرة والدخن ثمن دينار .

المعفيــات مـن الرســوم :

١ ـ الواردات من مصر وهي :

الدقيق ، الصابون ، زيت الزيتون ، السكر ، الأشنان ، زيت الحار ، الأرز ، العطارة ، كل ما يتعلق بالنقل إن كان قليلا .

٢ ـ المعفيات مما يرد من الهند :

الإهليلج ، السمسم ، المخاد ، الصابون ، الأرز ، المعز .

أشرنا في « تعرفة الرسوم » إلى رسم يتقاضى باسم « الشواني » وهنا من المستحسن الإشارة إلى ذكر تلك الشواني ، فقد أشير أن توران شاه استقدم عدداً من الشواني ـ نوع من السفن ـ من مصر وأبقاه لدى نائبه عثمان الزنجبيلي وعندما قدم طغتكين ، قال له بعض رجالـه : إن الشـواني قد أضـرت بأخشابها حرارة الشمس والأحسن أن تأمر بإنفاذها إلى البحر لحراسة التجارة في بحر الهند ويفرض رسم إضافي مقابل حمايتها لأموال التجار في حين ترسيم بضائعهم فاستحسن رأيه وأمـر بذلك فقرر وضع رسم إضافي في المائة واحد واستمر الحال إلى أن ألغاه الملك المسعود عام ٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م .

الآثـار العمـــرانية للأيــوبيين

من المعلوم في تلك العصور أنه لا يطلب من الحكومات تشييد الآثار العمرانية الخـالـدة والمـرافق الإنسـانية البـارة كالمعـاهد العلمية والجامعات والمختبرات والمستشفيات والمنتزهات والحدائق العامة فلم ترتفع المدارك في ذلك العهد إلى الرقي العقلي الذي يتسامى بالإنسان إلى ذلك الدرك الحيوي إلا قليلا في بغداد والقـاهـرة والأندلس وهي عواصم لدول عربية لها إمكانياتها ومقدراتها وما الدولة الأيوبية في اليمن إلا فرع للدولة الأيوبية في مصر وقد أشرنا في الفصل الخاص بها ـ إلى أنها أول من شاد المدارس في اليمن ـ كما سجل مؤرخو عصرها ـ وبنت الخانقاه والتكايا وإذا كنا في عصرنا نرى بعين العقل البصير أن تلك التكايا والزوايا دور للكسالى ومأوى للمتبطلين من الدراويش فقد كانوا في وقتهم وبحكم ما كان سائداً فى أغلب البلاد العربية من رواج لدعاة التصوف وتسلط نفوذه على النفوس كانوا يرونه أقرب القربات ؟ عدا ذلك فقد شادت الدولة الأيوبية في اليمن القصور وغـرست الحـدائق وبنت المعـاقـل وعمرت المساجد واختطت مدينة المنصورة مما نوضح بعضه .

١ ـ حاصر طغتكين حصن الدملؤة ستة سنوات ولم يتمكن من أخذه لمناعته فاضطر إلى أن اشتراه بمائة ألف دينار من القائد كافور مولى الداعي الإسماعيلي فاستلم القائد المبلغ وأبقا نائبه في الحصن وأخذ كل ما في الحصن من ذخائر وبعد أن وصل ميناء العارة وأبحر في طريقه إلى الحبشة بعث بخاتمه لنائبه حسب الشروط بتسليم الحصن فمنع النائب فاضطر طغتكين إلى تجديد الحصار ستة أشهر وأخيراً اشتراه للمرة الثانية بستين ألف دينار واستلم الحصن وهدمه ثم جدد عمارته وجعل له ستة أبواب وأنشأ به ثلاث برك أحدها شمسية في قلة الجبل وغرس به بستاناً سماه الجنان وميداناً وجعل الحصن في غاية القوة والصناعة .

٢ ـ اشترى طغتكين ماء تعز الذي ينزل من « صبر » بعشرة آلاف دينار وسبله .

٣ ـ أدار طغتكين سوراً على مدينة الجند سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٧ م .

٤ ـ أعاد بناء جامع الجند ورفع سقوفه وزوقها بالذهب واللازورد .

٥ ـ بني طغتكين درب القاضي بصعدة وجعل أبواباً لسوره .

٦ ـ بني طغتكين الدار السلطانية بـ « صنعاء » والتي تعرف إلى هذا التاريخ ببستان السلطان .

٧ ـ بني طغتكين المؤخرين في جامع زبيد .

٨ ـ اختط مدينة المنصورة قبلي الجند بينها وبين عدن سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤ م وبني بها قصراً .

الفصل الخامس

المخلاف السليماني
من القرن الخامس إلى القرن السابع

أشرنا إلى إمارة (سليمان بن طرف الحكمي) التي شملت مخلافي حكم وعثر فيما أطلق عليه بعد ذلك اسم « المخلاف السليماني » ومما لاشك فيه أن ذلك التوحيد وسع رقعة تلك الإمارة وأفسح مجالها الحيوي ، وقد يكون هذا التوحيد السياسي الأول من نوعه تحت إدارة حازمة أتاحت فرصة الازدهار والرخاء مما ارتفعت به إيرادات تلك الإمارة إلى خمسمائة ألف دينار عثرية .

وكان قبل هذا التاريخ ، كل من المخلافين منفصل عن الآخر على الوجه الآتى :

١ ــ مخلاف حكم تحت رئاسة آل عبد الجد الحكمي .

٢ ــ مخلاف عثر تحت رئاسة قوم من بني مخزوم .

وكما ألمعنا إلى ذلك قبله انتهت تلك الإمارة بالتلاشي والاضمحلال على يد الحسين بن سلامة الذي رأى في مؤسس تلك الإمارة الخطر الكامن الذي يهدد مستقبل تلك الدولة الزيادية نظراً لما يتمتع به مؤسسها سليمان بن طرف من عصبية قوية مِن حَكَم أقوى قبائل السهول التهامية حينذاك ، والتي تمتد عصبيتها القحطانية إلى مشارف [1] تلك السهول ، وبالقضاء على سليمان بن طرف وإمارته تعمد الحسين بن سلامة سلب الرئاسة الموروثة لآل عبد الجد ـ بحكم التقاليد القبلية ـ سواء في ما أطلق عليه المخلاف السليماني عامة أو رئاسة حَكَم خاصة التي هي موطن عشائرهم ومثوى عصبيتهم .

وهنا نتساءل من خلف تلك الأسرة في إمارة المخلاف ، وبالطبع أن

---

(١) لا يزال فى القسم الجبلى قبائل تنتمى إلى حكم ، ومن جملتهم فى جبل فيفاء ، راجع قبائل المخلاف بهذا الجزء .

الحسين بن سلامة لن يأنس ـ بعد ما كان من سليمان بن طرف ـ إلى إقامة أحد من أسرته .

وإذا رجعنا إلى المخطوطات التاريخية نجد أن أغلبها يشير إلى أن إمارة المخلاف آلت إلى العلويين في عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م أي في السنة التي زالت فيها إمارة سليمان بن طرف .

فمن المرجح أن الحسين بن سلامة رأى من مصلحة دولتهم نقل إمارة المخلاف إلى أسرة جديدة يؤمن شر انتقاضها بعد ما قاساه من انتقاض الأمير سليمان بن طرف على أن يكون الأمير الجديد ممن يقدر له حسن الصنيع ، وأن لا يكون خطراً يهدد الإمارة الأم ، ومن جهة أخرى فإن هذه الأسرة التي رشحها أو أسند إليها إمارة المخلاف هي موضع تقدير ونفوذ روحي تسند سياسته في استغلالها ـ وقد يكون رمى لأن يبذر منهم منافسين لخلافاء الرسى في الشرقي الشمالي من القسم الجبلي فمن يا ترى ولي المخلاف ؟

تشير بعض المخطوطات أن أول نازح من الحجاز إلى المخلاف السليماني هو داود [1] بن سليمان وأنه استولى على إمارته بمساعدة يحيي بن الحسين الهادي ، وهذا أقدم نص نقف عليه عن أول نزوح للسليمانيين من الحجاز . أما ما أشار إليه صاحب العقد المفصل من استقرار آل موسى الجون في المخلاف في عهد القاسم العياني ، فهو الأقرب إلى الحقيقة ، بيد أنه لم يوضح اسم المتولى لإمارة المخلاف منهم .

وبإمعان النظر في تنازع الإمارات في ذلك العصر المضطرب نرى أن المتولي لإمارة المخلاف مع ما يربطه بأئمة الزيدية من وشائج القربي ، فإنه

---

(١) جاء فى صحيفة ٥٦ من الجواهر فى الهامش بقلم المؤلف تعليقا على ما أورده فى المتن من استقرار السليمانيين فى المخلاف : « كان فى أيام القاسم العيانى وبمساعدته استيلاء السليمانيين على المخلاف عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م . وقبل ذلك التاريخ كان أمر المخلاف إلى الحكميين أو سليمان بن طرف الحكمى وإليه نسب المخلاف . وأخرج المؤلف فى الهامش . بل أول خارج من الحجاز داود بن سليمان واستولى على المخلاف بأمر يحيى بن الحسين الهادى . ونقول أن يحيى بن الحسين الهادى قام بدعوته فى الجبال عام ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م . وأن المخلاف بقى تحت رؤساء عشائره . كما ذكره الهمدانى فى صفة جزيرة العرب إلى القرن الرابع كما وصفوه .

كان على اتصال وصلة سياسية بالدولة الزيادية الممثلة لدور الخلافة العباسية ، ونرى أيضاً أنه قام بدور إيجابي في السعي والعمل عند الحسين بن سلامة في إزالة إمارة سليمان بن طرف والحصول على ثقته بإسناده الإمارة إليه .

ويفسر لنا ما نذهب إليه ذلك الإصلاح والعمران الذي قام به بعد ذلك الحسين ابن سلامة في شق الطرق وربط المواصلات بين حضرموت ومكة ولو لم يكن المخلاف ضمن سلطة الدولة الزيادية لما تمكن من شق الطريق الوسطى والساحلية ، وبناء المساجد وحفر الآبار وإقامة البرد في كل مرحلة :

١ ــ في القسم الجبلي عن طريق صنعاء ، صعدة ، الطائف .
٢ ــ في القسم الأوسط الذي يمر في قلب المخلاف السليماني .
٣ ــ في القسم الساحلي الذي يمر في سواحل المخلاف .

ومع ذلك فنجد أن المصادر التاريخية قد ضنت على الباحث بالكثير من الحقائق فلم تشر إلى :

١ ــ مقر تلك الإمارة واسم الأمير .
٢ ــ تفاصيل الحوادث والأخبار المتعلقة بالمخلاف في عهدها .
٣ ــ سنة وفاة الأمير الذي أسندت إليه الإمارة بعد سليمان بن طرف .
٤ ــ من الذي خلفه على إمارة المخلاف .

وهذا جميعه مما يفتقر الباحث إلى حقيقته وإن لم يكن هو كل ما يتطلبه التاريخ .

ومع كل ما سبق فإن الباحث يرى أن المخلاف السليماني لم يخرج عن محور فلك إمارة زبيد التابعة للخلافة العباسية .

١ ــ من أول عهد الدولة الزيادية إلى عام ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م يحكم بواسطة رؤساء عشائره كما سبق توضيح ذلك .

٢ ــ من عام ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م في أواخر إمارة أبي الجيش استقل بإمارته سليمان بن طرف الحكمي إلى عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م.

٣ ــ فى عام ٣٩٣ هـ فى إمارة السليمانيين الحسنيين على القول السابق .

٤ ـ في وصاية مرجان كان مولاه نجاح أميراً على الكدراء والمهجم ومور والوديان ، وقد يكون نفوذه يشمل المخلاف ، باسم الخلافة العباسية ويتولى رئاسة إمارته أحد السليمانيين .

٥ ـ في عهد نجاح الذي استمر من ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م إلى ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م وإن كان المخلاف ضمن نطاق دولته إلا أننا لم نقف على حقيقة من ينوب على إمارته أو يتولاها .

٦ ـ في عهد الدولة الصليحية الذي استمر من عام ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م إلى عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م وامتدت رقعة ملكه إلى مكة أصبح المخلاف جزءاً من المملكة الصليحية وقد كانت للصليحي وقعة مشهورة انتصر فيها على بعض الخارجين عن طاعته في جهة بيش يقول فيها شاعره .

قرنت إلى الوقائع يوم بيش   فكان أجلها يوم السباق

٧ ـ في الدور الثاني للدولة النجاحية الذي استمر من عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م إلى ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩ م كان المخلاف يتولاه بعض العلويين ومن جملتهم يحيي وعيسى ابنا حمزة إلى آخر أدوارها في عهد الفاتك بن محمد الذي تولى من عام ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م والفاتك هذا هو الذى كان يقوم على وزارته وتصريف شئون دولته سرور الفاتكي الذي استقطع منه المخلاف السليماني قاسم بن غانم واستسمح القارىء الكريم الرجوع قليلا إلى ما قبل هذا التاريخ للوقوف على ما جاء حول هذا المخلاف في تاريخ القسم الجبلي الذي يهتم في الدرجة الأولى بأخبار الأئمة الزيديين فنجد ما يأتى :

١ ـ جاء في اللآلي المضيئة لأحمد بن محمد الشرفي ما نصه (ممن وفد على الإمام القاسم بن علي العياني من تهامة محمد ويحيى ابنا أبي الطيب منتظرين لهبوطه إلى تهامة وفتحها [1] ، والقاسم العياني توفي عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م - وهنا ملاحظة نستوفيها على الشرفي لأننا نجد المؤرخ المكي السباعي يورد في أخبار عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م أن السليمانيين هاجموا مكة برئاسة أبي الطيب [2] داود بن الفاتك فهل ان ابنى أبي الطيب كانا في المخلاف قبل ذلك التاريخ هذا ما لم نقف عليه .

---

(١) تاريخ مكة صحيفة ١٣٢ كما أورد العبارة ابن ظهيرة فى جامعه اللطيف صحيفة ٣٠٥ .

(٢) انظر الجواهر اللطاف لمحمد حيدر القبى - مخطوط .

٢ ــ يشير الشرفي نفسه فى أخبار أحمد بن سليمان أحد أئمة الزيدية المتوفى ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م بأن أحمد بن سليمان تقدم من جهة حيدان إلى أحواز تهامة وأنه عندما دنى منها طلب منه الفقيه الحسن بن شبيب أن يكاتب غانم بن يحيى ابن حمزة بن وهاس وكافة بني سليمان ويوعظهم لأنهم كانوا على فسق وظلم وقد أجابه إلى ذلك وحط بموضع يقال له الصيابة أعلا وادي جازان في شق تهله إلى أن قال : فأرسل الإمام رسلا يطلب منهم الدخول في الطاعة والتوبة على يديه فلما بلغ غانم بن يحيى رد جواباً يعد فيه بالمساعدة والمعاضدة انتهى باختصار [١] وغانم ابن يحيى هذا هو والد وهاس بن غانم قتيل عبد النبي كما سنوضحه بعد هــذا .

إمـــــارة السليمـــــــانيين

في منتصف القرن الخامس تقريباً حاول الأمراء السليمانيون أن يستردوا إمارتهم على مكة فثاروا بزعامة أحد العلويين المسمى حمزة بن وهاس على أبي هاشم الذي أنابه الصليحي على الإمارة بمكة وأجلوه عنها بيد أن أبا هاشم تمكن من العودة إلى مكة ظافراً وأجلى حمزة بن وهاس وذلك في ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م .

ويظهر أن حمزة بن وهاس بعد ذلك لحق بتهامة واستوطنها وبالطبع أنه يحمل جذوة الكفاح المتأججة التي قد خمدت والأمل المشبوب الذي قد ذَوَى وضوى في صدور أبناء عمومته الذين استوطنوا تهامة قبله فَمَهَّدَ لنفسه سواء باتصالاته بحكومة زبيد وتقـربـه من رجـالها مع الشهرة التي سبقته في إمارته على مكة أو باستمالة الشعب المخلافي ويلوح أن المنية عاجلته قبل أن يدرك أمنيته فتمكن ابناه عيسى ويحيى من الاتفاق مع حكومة زبيد على تولى إمارتى حرض وعثر كالآتى :

١ ــ عيسى بن حمزة على حرض وأعمالها وبلد حكم .

٢ ــ يحيى بن حمزة على عثر وأعمالهـا .

قال عمـارة الحـدقي : أخـذت الغز يحيى بن حمزة أسيراً إلى العراق وبقي أخـوه عيسى يكـاتب ويبـذل الأمـوال لاستخلاص أخيه من العراق حتى فك

---

(١)انظر الجواهر اللطاف للقاضى محمد حيدر القبى .

إساره وعاد إلى عثر ، فأدار رحا مكره على أخيه عيسى وبئسما فعل ، قال المأربى : ما لمح إليه الشيخ عمارة ـ قصائد طويلة منها :

خنت المودة وهني ألأمُ خطة ... وسلوت عن عيسى ابن ذي المجدين

ياطف (عثر) أنت طف آخر ... يايوم عيسى أنت يوم حنين

قد كان يشفي ما بقلبي من جوى ... لو طاح يوم الروع في الخيلين

هيهات أن يد الحمام قصيرة ... لو هز مطرد الكعوب رديني

أبلغ بني حسن إذا لاقيتهم ... لا عن قلى وحللت باليمنين

أنى وفيت بعهد عيسى بعده ... لا لو وفيت قلعت أسود عيني

وكان محمد بن زياد المأربي لكثرة أسفه وحزنه على صديقه عيسى بن حمزة نذر أن لايرى الدنيا إلا بعين واحدة فغطى إحداهما بخرقة إلى أن مات ، فقال قرب موته :

قرت عيون الشامتين وأسخنت ... عينى على من كان قرة عيني

ولما بلغ يحيى بن حمزة مايقول من الأشعار غضب وقال لأسفكن دمه فبلغ المأربى فقال فيه :

نبئت أنك قد أقسمت مجتهداً ... لتسفكن على حرّ الوفاء ، دمي

ولو تخلدت خلدي ما غدرت ولا ... أصبحت ألأم من يمشي على قدم

وللحسن بن أبي الحفاظ الحجوري وأخيه الخطاب مدائح رائعة وأهاجي مقذعة في يحيي بن حمزة ، ونرجح أنه عاش في الثلث الأول من القرن السادس وقد تناوب على إمارة المخلاف جماعة من عقبهِ كما أورده صاحب الجواهر نقلا عن اللطائف السنية للكبسي .

وبعد وفاة يحيي بن حمزة خلفه ابنه غانم بن يحيي ، وهو الذي وفد على أحمد بن سليمان ، ويظهر أن تلك الوفادة لم تتقبلها حكومة زبيد بطيب خاطر فنرى بعد ذلك ابنه قاسم بن غانم يجدد صلته بحكومة زبيد ، ويستقطع منها من وادي « عين » إلى « بيش » وبعد ذلك التاريخ تنحدر جحافل أبناء مهدي

وتعصف بالحكومة النجاحية عصفاً ، وتنكل بالسليمانيين حلفائها ، كما سنوضحه ، وتقتل الأمير « وهاس بن غانم » في جهة حرض ، وتسبي ذراريهم ونساءهم بدون رادع ولا وازع ، ونستنتج أن السليمانيين ، يتولى منهم الشخص الأكبر أو يلتزم تلك الجهة ، ثم يوليها قرابته وذويه ، فإننا نجد صاحب اللطائف السنية وغيره يشير إلى أن منهم أمراء باغتة ، وجازان وليه مما يدل أنهم توزعوا الجهة ، وقد اتفقت أسماء الكثير منهم مما يصعب معه إخراج جدول بأسماء من تولى الإمارة العمومية في المقاطعة على وجه التدقيق وإن كانت تتفق جميع تواريخ المخلاف أن آخرهم وهاس بن سليمان الملقب « بالمقلم » .

ومما لاشك فيه أن أسرة الغوانم كانت على علاقة حسنة بالدولة النجاحية على الأغلب ، وهذا ما حمل علي بن مهدي بعد استئصاله جذور النجاحيين إلى إرسال جحافله على رأس ابنه عبد النبي إلى المخلاف السليماني للاستيلاء عليه وسحق أسرة وهاس أو الغوانم ، كما أن تلك الأسرة من جانبها لم تحاول التقرب إليه لما تقرر لديها من عداوته الجافة وقصده السيىء .

تقدم عبد النبي ، وهناك قرب مدينة « حرض » دارت المعركة الفاصلة التي خر في وسطها الأمير وهاس صريعاً ، وبذلك استولى الأمير عبد النبي على مقاليد المخلاف واصطفى أموال أسرة وهاس ، وسبى النساء والذراري وعاد إلى زبيد ، وبذلك طوى الدور الأول لإمارة هذه الأسرة .

الأمـراء الغوانم الملقبـون بالشـطوط

بعد إيقاع عبد النبي الحميري بالأمراء الغوانم ، وقتل الأمير وهاس في المعركة الفاصلة التي يقول فيها عبد النبي من قصيدته المشهورة :

ألـوت بوهـاس ضحـى ... فابـتـدرتـه مـــرحـا
فظل من تحـت الـرحـا ... مضـرجـاً مرغـمـا

استولى على أموالهم واستاق النساء والأطفال سبياً وسار بهم إلى زبيد فتم رأي من نجا من الغوانم على إرسال الأمير منصور بن أحمد ليرفع استصراخهم وما حاق بهم إلى الخليفة العباسي .

وصل الوفد إلى بغداد ، والخليفة العباسي مسلوب الحول والطول ، وإنما عملا بالتقليد الخليفي ونظراً لانتعاش الخلافة العباسية بدعوة صلاح الدين الأيوبي لها في مصر ، ورغبة في أن يرى الخليفة صلاح الدين أن مركز الخلافة لايزال الموئل الأول لكـل مظلوم ، فقـد كتب لهم إلى صلاح الـدين ليبعث جيشاً إلى اليمن للاستيلاء عليه باسم الخلافة والأخذ بنصرتهم .

وصـل الأمير منصور إلى صلاح الدين بكتاب الخليفة ، ورأى صلاح الدين بثاقب نظره أن الفرصة سنحت لامتلاك الضفة الأخرى للبحر الأحمر ، واستعادة أمجاد ونفوذ الدولة الفاطمية في اليمن ، فاهتبل الفرصة السانحة ورأى في سرعة الاستجابة لصريخ الغوانم ، تحقيق أمل الخليفة من جهة ، ومن الأخرى في ذلك استعـادة نفوذ مصر السياسي وتوسيع مجالها الحيوي وإشغال الرأي العام بأخبار وأنباء وانتصارات جديدة تضفي الروعة والجلال على العهد الجديد ، وعلاوة على كل ما سبق فإنها فرصة ذهبية لإبعاد من يرغب في إبعاده أو يشك في إخلاصه ليكون في تسييره في تلك الحملة عملية تطهير .

وقد أوضحنا الأعمال الحربية لحملة توران شاه في أخبار الدولة الأيوبية في اليمن .

قاســـم بن غــانم :

كان عميد أسرة الغوانم قاسم بن غانم ينتظر مستخفياً نتائج ما تسفر عنه الوفادة ، وما إن وصلت القوات الأيوبية إلى اليمن حتى سارع في الاتصال بها والعمل في صفوفها ، وبعد أن تكللت أعمال الحملة بالنجاح وتم القضاء على عبد النبي شنقاً أعيد الأمراء الغوانم إلى إمارة المخلاف تحت رئاسة قاسم بن غانم وبعد عودته إلى الإمارة كان همه الأول الأخذ بالثار من القبائل التي ساعدت ابن مهدي في نهب أمـوالهم وسبي ذراريهم ، فجمع من استطاع جمعه وأغار على « وادي عين » و « المهجم » ونهب الأموال وسبى الذراري ، ويقال : إنه طلب في جواز عمله هذا فتوى من أحمد بن سليمان إمام الزيدية فأفتاه بجواز ذلك .

توفي قاسم بن غانم ولم تشر المصادر التاريخية إلى سنة وفاته .

المرتضـــــى :

تولى المرتضي إمارة المخلاف السليماني بعد وفاة والده ، ولم يسر على سياسة سلفه من اللين والتساهل مع الأيوبيين ، فأخذ الجفاء والوحشة تحل محل التفاهم والوئام حتى أدى الأمر إلى مناوشات حربية كان نتيجتها قتله في عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م ، فقام مقامه أخوه « المؤيد » وأخذ يعمل على الأخذ بالثار من الساعة الأولى فاستنجد بإمام الزيدية عبد الله بن حمزة فأمده ببعض رجاله فهاجم بهم قرية المهجم ، فقـابله الأيوبيون بهجـوم مضاد أدى إلى هزيمة جيشه فاستبسل على صهوة جواده فرماه أحد الأيوبيين « بحجر » خر على أثر إصابته صريعاً فاقتيد أسيراً وبقي في أسرهم حتى رضوا عنه .

علي بن محمـــد بن ذروة :

في أثناء أسر المؤيد تولى الإمارة علي بن محمد بن ذروة ، وقد بقي في الإمارة حتى أطلق سراح المؤيد ورضي عنـه الأيوبيون وقسمت بينهما الإمارة من خلب وشمالا إلى علي بن محمد ، ومن خلب وجنوب إلى وادي « عيـن » إلى المؤيـد .

ويلوح أن المؤيد لم تطب نفسه بهذه القسمة ، فأخذ على العمل في استعادة القسم الآخر مما أوجب على بن محمد إلى الاستعانة بالملك المسعود الأيوبي الذي لا نشك في أنه ينظر إلى ما سبق من عمل المؤيد بعدم الرضى والاطمئنان فاغتنم الفرصة وسير معه « سرية » قوامها مئتا فارس على رأس أحد قوادها المسمى الخوارزمي .

القوات الأيوبية في المخلاف السليماني

دنت السرية من حدود المخلاف فشعر المؤيد بالخطر الداهم فانسحب إلى شعب الملح شمال وادي حرض ، وهنا يلوح أيضاً أن علي بن محمد شعر بمغبة خطر هذا التدخل المسلح فلم يسعه إلا أن يعتذر من القائد الخوارزمي باضطراب وقع جهة وادي صبيا ويتوجه من حينه ، وفي طريقه يكتب إلى المؤيد مشيراً عليه بمصالحة الأيوبيين نظراً لما يعرفه من ضآلة قوته ، وبدلا من أن يعمل بتلك النصيحة يهب مسارعاً لملاقاة الخوارزمي بمن استطاع جمعهم ، وفي أثناء السير يتخلى عنه جل أصحابه ، ومن جملتهم شخص يدعى منصور من قرابة الأيوبيين بعد أن أشار على المؤيد بالرجوع ولم يطعه ، فيقول المؤيد فيه :

فلو كان يا منصور عزمك من عزمي لما رغت لما قيل هذا الخوارزمي

وهكذا يلتقي المؤيد بالسرية الأيوبية ويكون الصريع الأول في المعركة وبذلك دخل المخلاف في حكم الأيوبيين المباشر ، ولم تطل بعد ذلك إقامة المسعود في اليمن فقد أناب عنه عمر بن علي الرسولي وتوجه إلى الحجاز في طريقه إلى مصر فعاجلته المنية في مكة واستقل بعد ذلك بملك اليمن عمر الرسولي الذي أصبح المخلاف جزءاً من مملكته التي أسسها ودامت لخلفائه ٢٣٤ سنة ، قال المؤرخ « الوشلي » في صحيفة ٢٣٤ الجزء ٣ بإسناده عن مؤرخي المخلاف السليماني ما نصه « إن أمر المخلاف السليماني كان إلى سليمان بن طرف الحكمي وأولاده إلى عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، ومن بعدها إلى العلويين ومنهم أبناء يحيى بن حمزة المشهورون بالغوانم إلى عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، واستقل

بالملك فى اليمن من هذا التاريخ عمر بن علي الرسولي ، واستمرت يده ومن بعده يد الرسوليين على المخلاف مدة ولايتهم وقدرها مائتان وأربعة وثلاثون عاماً ، وفي أثناء حكم الرسوليين كان ينوب عنهم من أشرنا إليه في القسم الخاص بالدولة الرسولية .

***

الدولـــة الرســـــولـيـة

عمر بن علي *الرســـولي* :

أناب الملك المسعود عمر الرسولي كما سبق توضيحه على اليمن في أواخر سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م وتوجه إلى الحجاز في طريقه إلى مصر وتوفي في الحجاز في أوائـل عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م وبذلك حانت الفرصة لتحقيق آمال ذلك الرجل الطموح فاستقل بملك اليمن ووضع أساس الدولة الرسولية التي دام ملكها على اليمن ٢٣٠ سنة تقريباً .

دان اليمن وتهامة لعمر بن علي الرسولي من حضرموت إلى مكة وخطب باسمه على المنـابر في سائر تلك الأقطار ونقش اسمه على السكة في عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م وتلقب بالملك المنصور ؟ .

وبالطبع إن عمله لم يقابل بالرضى في البلاط الأيوبي بمصر وتأزمت العلاقات بين مصر واليمن ، بيد أن عمر الرسولي أصبح من القوة والمنعة مما جعله يبادىء الدولة المصرية بالهجوم ليزيح خطر المعارك المستقبلة عن قاعدة ملكه إلى أملاك الدولة الأيوبية نفسها ـ فبعث جيشاً إلى مكة المكرمة ومعه قتادة بن راجح الذي التجأ إليه من منافسه على إمارة مكة .

توجه الجيش الرسولي في أوائل عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م يرافقه قتادة فتمكن من دخول مكة وإخراج نائب الملك الكامل ملك مصر ، وإنما لم يدم له هذا النصر ففي شهـر رمضـان من العام نفسه استعاد نائب الملك الكامل مكة ، وانسحب الجيش الرسولي إلى اليمن ومعه قتادة .

لم يفت هذا الانحدار من عزيمة الرسولي بل حفزه إلى إعادة الكرة فجهز جيشاً آخر وسيره إلى الحجاز يصاحبه قتادة بن راجح وتمكن الجيش الرسولى من طرد جيوش الملك الكامل ودخول مكة في صفر عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ، وفي هذه المرة أيضاً تمكن نائب الملك الكامل من طرد الجيش الرسولي ودخول مكة في أواخر سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م .

وفي عام ٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م تمكن الجيش الرسولي من الاستيلاء على مكة فاضطر الملك الكامل إلى إرسال قائده جفريل على رأس جيش قوي إلى الحجاز وقد توفق جفريل في دحر الجيش اليمنى الرسولي ودخول مكة وبقى الحجاز تحت ولاية نائب الكامل إلى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م .

في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م تجهز المنصور الرسولي بنفسه إلى الحجاز في جيش قوامه ألف فارس ووالى تقدمه إلى أن وصل الرياضة ، فلما علم المصريون بقوته واستعداده انسحبوا من مكة .

دخل المنصور الرسولي في رجب عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م معتمراً ملبياً ، وفرق العطايا والهبات ، وفي أثناء ذلك تقدم إليه جماعة من أمراء الجيش الأيوبي ، ومنهم الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس بطلب الأمان فأمنهم وقابلهم بالإكرام ، وبعد أن استقرت الأحوال قفل راجعاً إلى اليمن بعد أن أناب على مكة ابن الوليد وابن التعزي .

وفي عام ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠ م أرسل الملك الصالح الأيوبي جيشاً إلى مكة يرافقه الشريف شيحة فتمكن من إخراج الرسوليين ودخول مكة التي بقيت في ولايته إلى عام ٦٣٨ هـ / ١٢٤١م .

في عام ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م تجهز المنصور الرسولي بنفسه على رأس جيشه إلى الحجاز فلما دنى من مكة خرج منها نائب الملك الصالح فدخلها في رمضان ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م ، معتمراً ملبياً وبقيت في ولايته إلى أن توفي مقتولاً في عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م .

قتل المنصور على يد مماليكه في قصر الجند يوم ٩ القعدة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م بعد أن دام ملكه ٢١ سنة ، وفر الجناة إلى « فشال » وبايعوا ولد أخيه .

آثـــاره :

١ ـ المدرسة المنصورية الشرقية للشافعية بزبيد .

٢ ـ المدرسة المنصورية الغربية للحنفية .

٣ ـ المدرسة المنصورية المشهورة بالوزيرية نسبة إلى مدرسها الوزيري بتعز .

٤ ــ مدرسة نعتت بأنها مدرسة عظيمة في مكة المكرمة .

٥ ــ المدرسة الغرابية نسبة إلى مدرسها الفقيه غراب بتعز .

٦ ــ مدرسة في حد المنسكية بوادي سهام .

٧ ــ أنشأ مسجد النويرة بين زبيد وحيس وخصص لمن يسكنها مزرعة فعمرت وأصبحت قرية عامرة .

٨ ــ أنشأ بين مكة والمدينة حصوناً ومصانع للماء .

٩ ــ أمر بعمارة [1] قرية البرك ـ وهو جبل متصل بالبحر بين مكة واليمن .

المظفـــر بن عمـــر الرســـولي :

وصل الخبر إلى المظفر بقتل أبيه وكان مقيما في « سردد » فتقبل الخبر برباطة جأش ورتب أموره لمجابهة الواقع وتوجه لفك حصار مدينة زبيد التي تقدم لمحاصرتها ابن عمه الحسن على رأس المماليك الذين قتلوا المنصور وبايعوه .

تقدم المظفر إلى المحاصرين لزبيد فأدرك المماليك مبلغ القوة التي تحرك بها نحوهم وإقبال الناس على مبايعته ومناصرته ، فسرعان ما شرعوا في مكاتبته سراً يعرضون عليه طاعتهم واستعدادهم للغدر بابن عمه وتسليمه إليه كدليل على طاعتهم ، فأظهر لهم الموافقة ، وبذلك تمكن بسهولة ويسر من القبض على ابن عمه وقاتلي أبيه ، وذلك في الحجة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ، وبذلك دانت له البلاد ، وفي عام ثمانية وأربعين وستمائة تسلم حصن « حب » وفي عام ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م أخذ حصن التعكر ، وفي عام خمسين وستمائة استولى على الدملؤة وصنعاء .

وفي عام ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣م استرد جيشه الحجاز بمساعدة حليفه « راجح بن قتادة » وفي ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م ولى ابن برطاس ولاية مكة ، وفي العام نفسه أخذ مدينة صعدة .

ويروي الديبع أن المظفر حج في عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م وأنه خرج من اليمن في شوال براً تباري موكبه المراكب في البحر بما يحتاجه من الميرة والعدد والمال فدخل مكة في عسكره محرماً ملبياً وهو عاري البدن حتى أتى بالنسك

---

(١) قرية البرك معروفة بهذا الاسم بين القحمة وحلي .

وأتم حجه واجتمع إليه الناس فخطبهم وعلمهم المناسك ودخل البيت وحمل القربة على يديه وأفاض الماء فى جوانبه غاسلا ، وعم أفضاله وعطاياه كل بيت فى مكة وشملت كثيراً من الحجاج وكسا البيت ، وعاد بعد ذلك إلى اليمن .

واستولى على مدينة ظفار سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م وفي عام ٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م بعث محملا إلى الحج تلقاه أبو نمي بمزيد من الإجلال والتعظيم وخفقت أعلام المظفر على عرفات وتليت مناقبه على قبة زمزم على أسماع حشود الحجيج ووفود البيت الحرام وسلم أمير الحج اليمني هدايا المظفر إلى أبي نمي ، وقد حوت الكثير من طرائف اليمن ، والمال الجزيل والكسوة الفاخرة والطيب المحتوي على العود والمسك والصندل والعنبر والخلع النفيسة و ١٢٠٠٠ عدة من الغلال ، وثمانين ألفاً من الدراهم وهي أضعاف ما تبعثه الدولة المصرية إلى مكة سنوياً .

ووفد إليه بمدينة زبيد الأمير وهّاس الحسني من المخلاف السليماني وفي أثناء إقامته لديه بعث الملك المظفر سرية من الخيل لأخذ الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي الخزاعي لما بلغه من اتصاله بأمراء حلي ومدائحه فيهم ومن جملتها القصيدة التي عرض به في البيت المشهور :

إن الملوك بني يعقوب قاطبة   قطعا وكل ملوك غيرهم سوق

فلما علم ابن هتيمل بوصولهم لأخذه التجأ إلى بيت الأمير وهاس فمنعه منهم ابنه الأمير سليمان بن وهاس وهو في ذلك التأريخ في سن الشباب الباكر وقال لهم : إن ابن هتيمل قد استجار بنا والسلطان يحب رعايتنا ووالدي في حضرته فأرجو أن تتركوه وللسلطان رأيه فينا وفيه فلم توافقه السرية فمنعهم عن أخذه فانصرفت السرية وأبلغت السلطان أن ابن وهاس تعرض لهم بخيل ورجال واستخلص منهم الشاعر قسراً فلام السلطان الأمير وهاس فقال له إن في بيتي غلاماً لم يدرك ولا يعقل أن يقاومهم ولا أمرته بشيء ، فأمر السلطان بإحضاره فلما حضر أقر أنه استخلص الشاعر ، فعفا عن الفتى [1] وألزم الأمير بجلب الشاعر ، فأحضر إلى زبيد ومثل بين يدي السلطان فقال له أنت القائل :

إن الملوك بني يعقوب قاطبة   قطعا وكل ملوك غيرهم سوق

---

(١) انظر ملاحظتنا على هذه القصة فى دراستنا لديوانه تحت عنوان (القاسم بن على بن هتيمل الضمدي في كتاب مطالع البدور) وملاحظتنا على ذلك .

فقال الشاعر : أطال الله عمر السلطان ، إنما قلت ـ وكل ملوك غيرهم سبقوا فاستحسن السلطان تخلصه وعفا عنه رعاية لأمير جازان ، فقال ابن هتيمل فى الأمير قصيدته السينيَّة المثبتة في ديوانه ، ولابن هتيمل بعد ذلك مدائح رنانة في السلطان المظفر منها القصيدة الرائية الطويلة التي منها :

اسمع ـ بقيت مصاناً عن منافسة ال   أغيار فى الملك محروساً من الغير
أني امرؤ في فمي ماء وفي كبدي   جراحة ، من أمير غير مؤتمر
قد ذقت من غصص الدنيا وفجعتها   ما كان منه ـ جميل الصبر ـ كالصبر
إن جرجر العود فانظر ما بغاربه   فإنه إن رغا يرغو من الدبر
وانظر إليَّ بعين منك راحمة   لا تقصدن غير وجه الله فى النظر
والبس من الحبر الموشي مذهبة   ينسيك مذهبها موشية الحبر

في جمادي الأولى من سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م استخلف ولده الأشرف ممهد الدين عمر بن يوسف ، وكتب بذلك تقليداً كريماً بمشهد من رجال الدولة وأعيان المملكة ننقل نصه كأنموذج للإنشاء في ذلك التأريخ :

أما بعد فقد ملكنا عليكم من لم نؤثر فيه داعى التقريب على باعث التجريب وعاجل التخصيص على آجل التمحيص ولا ملازمة الهوى والإيثار على مداومة البلوى والاختبار ، وهو سليلنا الخطير وشهابنا المنير وذخيرتنا الذي وفق على المراد ونصرنا الذي نرجو به إصلاح البلاد والعباد ونؤمل فيه من الله الفوز والنجاة في المعاد ، وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما قد التزم بوفاء عهده ومضى عزمه بجده وجهده ، والمسئول في إعانته من الأعوان من عنده ، ولن نعرفكم من حميد خصاله وسديد فعاله إلا ما قد بدا للعيان وزكا مع الامتحان وفشى من قبلكم على كل لسان شعراً :

وشهدتم به وشاهدتموه   وحمدتم عقباه في كل أمر
من حناديس ظلمة شملتكم   كان في كشفها لكم ضوء فجر
سيفه مغمد عليكم ومسلول   على كل من رماكم بنكر
لم يزل منذ حل عن جيده الطوق   خليقاً بكل حمد وشكر

وقد حددنا له أن يكون بكم رؤفاً رحيما جواداً كريماً ما أطعتموه على المراد ومطاوعة الإنقياد ، فأما من شق العصى وبان عن الطاعة وعصى فهو بغض منه ولو مت إليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة يكن لكم بالبر والإحسان خير ملك ووال انتهى .

وتوفي في ١٣ من شهر رمضان من ذلك العام ، وشمل سلطانه اليمن الأسفل والأعلا ، وضم صعده قسراً إلى مملكته ، ولم يبق له في الأقطار اليمانية منازع .

مآثره :

١ - المدرسة المظفرية بتعز . ٢ - خانقاه في قرية حيس .
٣ - المسجد الجديد بمعزية تعز . ٤ - الجامع المظفري بالمهجم .
٥ - إنشاء جامع ذي عدينة . ٦ - جامع قرية المحالب .
٧ - المسجد المعروف بالنظامي جنوب دار السلطنة بزبيد .

وهو أكثر بني رسول إنشاءاً للمدارس والجوامع في عهده .

الأشرف الأول ابن المظفر :

تولى الأشرف الملك فلما علم أخوه المؤيد بوفاة والده وكان غائباً في الجبال تغلب على عدن وأبين فسير إليه الأشرف الجنود واستعاد منه القطرين وقبض عليه في عام ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م وسجنه في سجن دار الأدب بتعز .

في ذلك العام هطل مطر غزير لم يعهد مثله ونزلت حبة برد كالجبل الصغير بين بلد سنحان والراحة ومثلها ببلد خولان ، ونزل الجراد في ذلك العام فأتلف المزارع والنخيل مما دفع الأشرف إلى إعفاء الرعية من الزكاة ، وأمر بعد النخيل ، وإزالة الظلم عن أهله وانتدب العدول لتقدير زكاة الثمار والحبوب وتلافى بذلك الظلم المستمر على المزارعين من عهد طغتكين وقال للعدول إذا لم يبق إلا خراج نخلة واحدة بوجه الحق والعدل رضينا بها فشجع الرعية على الإكثار من غرس النخيل وانتعشت الزراعة في عهده .

توفي ليلة الثلاثاء ١٣ محرم عام ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٧ م بني المدرسة الأشرفية بتعز ودفن بها .

المـؤيد الأول ابن المظفـر :

اجتمع أعيان الدولة ورجال الحل والعقد وداود بن يوسف بن عمر بعد موت الأشرف على تولية أخيه المؤيد وبذلك أخرج من سجنه وبويع بالملك في اليوم التالي .

تولى المؤيد مقاليد الأمر واستوزر القاضي موفق الدين علي بن محمد المعروف بابن الصاحب وسار بعد ذلك إلى الجهات الشرقية واستولى على حصون حجة التي خرجت عن طاعتهم قبل ذلك .

وفي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠٢ م خالف طاعته أشراف جازان فأرسل قوات من الأتراك والأمراء المماليك لإخضاعهم فوصلت إلى اللؤلؤة ـ الشقيق ـ حالياً ـ والتقت برؤسائهم وتم الاتفاق بدون قتال بعودتهم للطاعة ودفع الخراج السنوي .

توفي ليلة واحد الحجة عام ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م ومدة ملكه ٢١ سنة .

معلـومـاته :

كانت له مشاركة في العلوم وشهر عنه أنه حفظ التنبيه في الفقه ومقدمة طاهر في النحو وكفاية المتحفظ في اللغة وأخذ الحديث عن مشايخ قطره .

الملـك المجـاهد ابن المـؤيد :

علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي :

بويع الملك المجاهد بعد وفاة والده مباشرة وبعد شهرين من مبايعته نزل من تعز إلى دار الشجرة فأغراه قائد جيشه شجاع الدين ابن منصور بالقبض على ابن عمه الناصر وسجنه في قلعة عدن وبإصغائه إلى ذلك القائد نفرت منه القلوب وثار عليه عمه واتفق مع المماليك والأمراء وتم لهم القبض على الملك المجاهد في شهر جمادي الآخرة من سنة ٧٢٢ هـ/ ١٣٢٢ م وتولى الملك عمه

المنصور وأطلق الناصر المسجون في قلعة عدن ، وبعد ثلاثة أشهر تآمر غلمان المجاهد وهجموا على المنصور ليلا وأجبروه على التنازل وأعادوا مولاهم المجاهد .

كان للمنصور هذا ولد اسمه الظاهر قد أقامه والده أميراً على مدينة الدملؤة فلما سمع بخلع والده دعى لنفسه وقويت شوكته .

ثـورة الظاهـر ابن المنصـور :

استفحـل أمر الظاهر وفي شهر ربيع الأول ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م استولى على مدينة عدن وانضم إليه أحد خلصائه المدعو (عمر بن باليال بن الدويدار) كما انضم إليه المماليك من زبيد وحاصروا الملك المجاهد في حصن تعز واستولوا على التهائم .

الـزعيم قائـد المجـاهـد يستعين بأشراف صعدة والمخلاف السليماني على محاربة المماليك :

أقبل الزعيم على رأس من استنجد بهم من صعدة والمخلاف السليماني وابن علاء الدين وابن الأسد وابن الشوع لمحاربة المماليك وهم زهاء ألف وثلاثمائة فارس وألف راجل وترددت الرسل بين الصعديين والسليمانيين من جهة والمماليك من الجهة الأخرى بدون اتفاق على نتيجة ، وفي ١٠ ذي الحجة من ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٤ م نشب بينهما القتال بجاحف وادي سهام وبعد قتال مرير انهزم المماليك وقتـل من قادتهم (السـراجي) و (أربـك الصارمي) وأسر آخرون منهم (أطنبا المحمودي) و (الصارم بن ميكائيل) والقصري بعد أن أبلوا بلاء حسناً ، ثم أطلق سراح القصـري وتمكن (أطنبـا المحمـودي) بعـد الأسـر من الفـرار إلى بلاد المعازبة ، وكان قبل ذلك التأريخ قد أثخن فيهم قتلا في إحدى الوقائع السابقة ومدح على ذلك من أحد شعراء عصره بالأبيات الآتية :

فارس الخيل أطنبـا المحمـودي ... ملتـقـي جنـده ببـأس شديد
علم النـاس كيف قتـل الأعـادي ... وحصـاد الـرؤوس قبـل الحصيد
فعـلت خيله بأهــل (ذؤال) ... مثـل فعـل الـرياح في قوم هود

أخـذتـهم صواعق التـرك فيمـا أهـلكـت جمـعـهـم بغـير عديد
لبـسـوا للوغـا (قلوب) حديد جعـلوهـا وقـاية للحـديد

ومن غريب ما رواه الجندي أن (أطنبا المحمودي) قتل من تلك القبيلة أخوين زوج أحدهما ولده على ابنة الآخر وتم العقد وتأخر البناء فانتهت مدة الحداد فدخل الفتى على ابنـة عمه فقالت كقطام : لا تقبل الصداق إلا رأس أطنبا ومنعته عن غشيانها فاستمر على الهجران حتى ساقته الصدف وساعدته المقادير وسمع بفراره من الأسر ، فأسرع الفتى في رفقائه واعترضوا الطريق التي سلكها في فراره وقتلوه واحتز الفتى رأسه وأقبل به فخوراً إلى عروسه وأقبلن فتيات الحي يضربن بدفوفهن وينشدن .

يا صبـية انهضي والعبي بالـدف أطنبـا المحمودي قدوقع في الكف

عاد المماليك بعد هزيمتهم على رأس أحد قادتهم المسمى (القصري) إلى زبيد وأطلق ابن علاء الدين ابن محمد وجهز زميله ابن طريطبة لمقاتلة الصعديين والسلمـانيين فوصل ابن طريطبة إلى بيت الفقيه وصالح القوم على يد ابن علاء الدين على عشرين ألفاً وكان المماليك ينتظرون من ابن طريطبة شيئاً من العطاء فحرموا فانصرفوا مغاضبين إلى قرية السلامة وفيها اجتمعوا بابن طريطبة وبالملك الناصر ، وأشاروا عليه بالقيام والمطالبة بالملك فسار معهم حتى أقبلوا على زبيد التي سبقهم إلى دخولها أبناء المظفر ، فرجع الناصر والمماليك إلى بيدحة ثم إلى الكدراء فاستولى على أموال الدولة التي بها ، وهناك وصل إليه ابن علاء الدين وابن الأسد وعاهدوه على الطاعة ، ومنها توجه إلى فشال فجبَى أموالها وانحدر إلى زبيد وعسكر بالنخل .

استمرت هذه الاضطرابات إلى شهر جمادى ، وفيه قدم ابن الشوع صاحب ذمـار على الملك المجـاهد بتعز فقويت عزيمة الملك المجاهد وجمع جموعه ونـزل إلى قرية السـلامـة ، وأعلن الأمـان للطائـع من الممـاليك وغيرهـم فوافاه عبـاس بن عبـد الجليل ونـور بن حسن وغيرهم من الممـاليك ورحـل منها إلى

الحائط ، فأقبلت إليه أكثر عساكر الناصر مستسلمة ، وفر الناصر في سبعين من المماليك إلى السلامة ، وفي أثناء ذلك استسلم ابن علاء الدين .

دخل السلطان المجاهد مدينة زبيد ، ومنها جهز ابن أخيه المفضل إلى السلامة للقبض على الناصر والأشرف فاستسلما بدون مقاومة ، وفي شهر رجب من ذلك العام توفي الناصر ، وفي ذلك يقول الشاعر جمال الدين بن محمد بن منصور العامري مادحاً السلطان المجاهد بقصيدة طويلة منها :

وعارض يحدو به راعد ... يحنّ في الجوّ ، حنين اللقاح
يسوقه البرق بأسواطه ... إذا وني ، مال عليه وصاح

ثم ذكر المعارك على لسان السلطان والمفضل :

لما تلاقينا وقد أثمرت ... بالموت أطراف غصون الرماح
وللمنايا سحب ماؤها ... يجري على حد متون الصفاح
سالت نفوس بين حد الظبا ... كالماء يجري بين خضر البطاح
ومضمرات الخيل ، كراتها ... كرات صب مبتلى بالملاح
وأقبلت خضرا « يمانية » ... عجاجها ، كالمسك والندّفاح
سفينة تحمل أثقالها ... تمشي رويداً مثل مشي الرداح
تغار في الأرواح أجفانها ... ولحظها يفري كحد السلاح
بلا ولي نكحت نفسها ... لا تنكح الهيجاء إلاّ سفاح
ملاحها لا يشتهي وصلهم ... ورب وصل فيه حتف متاح

ويظهر أن السلطان المجاهد في أثناء تلك الاضطرابات اتصل بحكومة مصر وطلب منها مساعدته فأرسلت حملة عسكرية إلى اليمن ، فقد ذكر الجندي أن في رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة وصل البشير إلى الملك المجاهد بقدوم الغارة أي النجدة إليه من مصر بألفي فارس وألفي راحلة وعشرين ألف جمل تحمل الأثقال والمؤن تحت رئاسة بيبرس .

خرج السلطان الملك المجاهد للقائهم وعند ما أشرف عليهم ترجل ، فنزلوا عن خيولهم وقبلوا الأرض ثم ألبسوه عمامة سلطان مصر ، وقد جعلت

في صندوق وأمروا ألا يفتحوا الصندوق إلا بين يد الملك المجاهد ، وبعد ذلك سلموه الخلع ، ثم والوا السير تحت لوائه إلى زبيد ، ومنها طلع الملك المجاهد إلى « تعز » يرافقه بعض قادة المصريين ، وهناك أمر بسمل عين والي جبل صبر .

سفــر القـــوات المصــرية :

أشاعت الجنود المصرية الخوف والإرهاب في اليمن إبان وجودها واستولوا على حاجاتهم بالثمن البخس ، وفي آخر الأمر تطاولت أيديهم إلى النهب والاغتصاب فانتهبوا بيوتاً كثيرة ، فاضطر التجار إلى إخفاء بضائعهم من الأسواق ، فارتفعت الأسعار وساءت الأحوال ، واضطرب الأمن ، وساد الإرهاب وعم الخوف وبلغت بهم الوحشية إلى نهب قرية من قرى تعز تسمى عقاقة وسبي حريمها ، وإتلاف جميع مزارع تعز ونواحيها ، وأخيراً هجموا على ناحية فقاومهم أهلها وأَرْدَوْا منهم أربعين جنـدياً فعادوا مهزومين ، وقبضوا على الصقر وعلى الغياث بن نور ، ثم تجهـزوا للسفـر في مستهـل شعبان عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م ، وتوسط السلطان المجاهد وتشفع لديهم في إطلاق سراح الغياث بن نور ، وبذل لهم مالا مقابل إطلاقه فلم يقبلوا .

سارت تلك الحملة عائدة إلى مصر فسلكوا طريق تهامة ينهبون ما صادفهم في طريقهم حتى أقبلوا على زبيد ، فمنعهم واليهـا « الخـرتبـرتي » من قبل الملك المجـاهد من دخولها فاستأنفوا سيرهم إلى الكدراء ، ومنها إلى حرض ، وهناك تركوا أسيرهم الغياث بن نور ، ومضوا في طريقهم إلى مصر عن طريق « الحجاز » .

المجــاهد بعد رحيـل القــوات المصــرية :

بعـد سفـر القـوات المصرية توجه الملك المجاهد من تعز إلى عدن ، ولما وصـل إلى « الـرعـارع » تلقـاه ابن الدويدار بمائتين وخمسين فارساً فخلع عليه الملك المجـاهـد وعلى «المعز استاداره» ، وجماعة من قبيلة الجحافل ، وذلك في نصف شعبــان ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، ودخـل عدن ، وبعـد دخـولهـا أمـر بالقبض

على ابن الدويدار والمعز استاداره وابن مكنون ، ثم رحل من عدن ودخل مدينة زبيد في شهر رمضان وأصدر أمره بشنق ابن طريطبة في مدينة تعز ، كما أمر بسمل عيني « ابن مبارز » من أهل « حرض » .

نهـاية الظاهر صاحب الدُمْلُوَة :

لما علم الظاهر نزول الملك المجاهد إلى زبيد خرج من الدملؤة إلى عدن وقبض على ابن الصليحي حاكم عدن من قبل الملك المجاهد وقتله خنقاً ، وقد تمكن الملك المجاهد بعد ذلك من القبض على الظاهر وسجنه إلى أن توفي في سجنه .

وفي شهر رجب ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م ، وصل أحد الأمراء المسمى « الزعيم » إلى الملك المجاهد بزبيد ، وفي جمادي الآخرة ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م أقطع الملك المجاهد ابن أخيه حرض ثم انتزعها منه وولاها « الزعيم » .

استمر الملك المجاهد في قمع الفتن إلى عام ٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م ، فعزم إلى الحج ورجع إلى تعز في أول عام ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م .

وفي عام ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م حج المجاهد في إمارة عجلان ، وفي عرفات تآمر عليه الأمير عجلان وأمير الحج المصري وهجموا على مخيمه شاهري السلاح ، ونشب القتال في ذلك المشعر الحرام ، ودافع رجال الملك المجاهد ، وإنما أعان المهاجمين رجال القبائل الطامعون في النهب ، فتغلبت الكثرة على الشجاعة فسلم المجاهد نفسه ، ونهب المهاجمون جميع ما في مخيمه من مال ودواب وأسلحة وهدايا ، أما المجاهد فبعد تسليم نفسه أسره أمير الحج المصري وتوجه به إلى مصر ومكث أسيراً إلى أن أطلق المصريون سراحه في عام ٧٥٢ هـ/ ١٣٥١ م .

في أواخر عام ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٨ م اندلعت نار الثورات على المجاهد ، وهاجَت القبائل واستولوا على قريب من سبعمائة رأس من الخيل الحكومية ، وهجموا على مدن فشال والقحمة والكدراء وقرية الدارية والتريبة بقرب « زبيد » وغدت زبيد شبه محصورة .

الأمير علي بن مجاهد الملقب بابن الجارية :

في سنة ٧٦١ هـ/ ١٣٦٠ م تقدم علي بن محمد على رأس جماعة من بني حمزة وعشائر المخلاف السليماني - متظاهراً بقدومه لمساعدة الملك المجاهد على قمع الفتن وإخماد أوار الثورة ، وبعد وصوله عسكر في المحالب ثم المهجم إلى ليلة ١٧ جمادي الأولى ٧٦١ هـ/ ١٣٦٠ م فهجم على مقدم « الغز » بالمحالب « الشرف بن خليل » في داره وقتله ونهب ما في الدار من مال وخيل وجمال ، وبلغ خبر هذا الحادث مدينة المهجم وأميرها عمر بن يعقوب الغزي وبها الأمير ابن حاتم المستخلص ، فجمعا من استطاعا واستنجدا بالأمير وهاس بن أحمد ، وكان يومئذ قد استولى على حازة وادي مور مقابل مال يحمله للمجاهد - وبذلك تم لهما حشد مائتين وأربعين فارساً هجموا بهم على « علي بن محمد » فأسفر الهجوم عن قتل القائد وهاس بن أحمد ، وانهزام الباقين ، وأخيراً اجتمعت قبائل المعازبة والرماة والقحرية والمقاصرة والزيديين وصدقوا على « علي بن محمد » اللقاء فانسحب من قرية المهجم عائداً للمخلاف السليماني وانتهب القبائل مدينة المهجم وأحرقوها .

وفي عام ٧٦٢ هـ/ ١٣٦١ م تغلب الأمير نور الدين بن ميكائيل الذي كان من أمراء الملك المجاهد ، على مدينة المهجم ونواحيها من الجهات الشمالية ، وتوفي الملك المجاهد يوم السبت ٢٥ جمادى الأولى ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م .

وصف المجاهد بأنه شاعر فصيح متضلع في الفقه ومشارك في عدة فنون ، وإنه أعلم بني رسول .

عرف الناس محبته للفنون وتشجيعه للعلوم ، فقصدوه من الآفاق بكل تحفة من الكتب حتى أهديت له نسخة من كتاب الأغاني بخط ياقوت الحموي فبذل فيها مائتي دينار مصرية ، ويكفيه فخراً أن خزانة كتبه اشتملت على مائتي ألف مجلد في عصر لم يعرف فن الطباعة ، وأنشأ بتعز القصور البديعة والمباني الرائعة .

الملك الأفضل العباس بن المجاهد :

تولى الأفضل وأطراف مملكتهم منتقضة والأمير محمد بن ميكائيل المتغلب على المهجم قد وسع منطقة نفوذه حتى شملت سردد ومَوْر وحرض وخطب له على منابرها في كافة الجهة الشامية .

أخذ الأفضل في رتق الفتوق وسد الثغرات وتهدئة الأحوال حتى استقامت له الأمور ، وفي أول عام ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٣ م جرد حملة قوية لتأديب الثائر محمد بن ميكائيل تحت قيادة الأمير فخر الدين بن أحمد الكاملي .

الأمير محمد بن نور بن ميكائيل :

كان والده نور الدين بن ميكائيل من أمراء السلطان المجاهد فأقطعه أعمال حرض ، وبوفاة والده بقي الولد في عمل أبيه حتى شعر بالاضطرابات التي توالت على المجاهد فنفض يده من طاعته ، وذلك في عام ٧٦١ هـ/ ١٣٦٠ م ، ويظهر من استقراء الحوادث أن ابن ميكائيل كان على سابق اتفاق مع إمام الزيدية المجاهد لدين الله علي بن محمد فشجعته تلك الاتفاقية واستشرى أمره واستولى على مور وسُرْدُدٍ ، وخطب له على منابرها ، واستمر على تغلبه حتى بعد مضي عامين من عهد السلطان الأفضل ابن المجاهد إلى أن جرد الأفضل عليه الحملة التي أشرنا إليها .

حملة الأمير فخر الدين بن أحمد الكاملي :

بعث الملك الأفضل حملة لتأديب ابن ميكائيل بقيادة الأمير الكاملي فالتقى به في القحمة ـ شمال زبيد ـ يوم ٢٢ جمادي الأولى ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٤ م ، وهزمه ففر ابن ميكائيل بعد هزيمته إلى صعدة عند إمام الزيدية المجاهد لدين الله ، وتقدمت قوات الأفضل فاحتلت حرض والجهة الشامية .

في سنة ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩ م أعان إمام الزيدية ابن ميكائيل بجيش استطاع بواسطته استعادة الجهات التي سبق تغلبه عليها وأسر الأمير فخر الدين زياد الكاملي وأطلقه بعد الأسر .

وفي عام ٧٧٢ هـ/ ١٣٧٠ م جهز الأفضل للمرة الثانية الأمير فخر الدين زياد الكاملي لقتال ابن ميكائيل ـ الذي تقدم إلى سردد ـ فهزمه الكاملي .

وفي عام ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م بعث الأفضل من اغتال شيخ « بعدان » أبا بكر بن معوضة ووصل إليه برأسه .

وفي عام ٧٧٧ هـ/ ١٣٧٥ م نزل الإمام صلاح بن علي وحاصر مدينة زبيد ثلاثة أيام وعندما علم تحرك الملك الأفضل نحوه من تعز قفل عائداً للجبال .

تحرك الملك الأفضل من تعز فوصل مدينة زبيد في أول رجب وأقام بها إلى يوم الجمعة ٢١ شعبان ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م وتوفي بها في قصره « الخورنق » وحمل إلى مدينة تعز ، ودفن في المدرسة الأفضلية .

مآثــــره :

١ ـ المدرسة الأفضلية بتعز ، وكان لا نظير لها في عهدها .
٢ ـ أنشأ مدرسة « بمكة المكرمة » تجاه الكعبة المشرفة .

وصف بأنه عالي الهمة شديد البأس حازم يقظ ومدة ملكه ١٤ سنة .

معــــارفه :

كان على جانب من المعارف الفقهية والنحوية واللغوية والأنساب والتاريخ ، له مؤلفات متداولة .

مؤلفــــاته :

ومنهـــا :

١ ـ بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم .
٢ ـ نزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون .
٣ ـ كتاب العطايا والسنن في معرفة طبقات فقهاء اليمن .
٤ ـ مختصر لتاريخ ابن خلكان .
٥ ـ مختصر لكتاب كنز الأخبار .

الملك الأشرف الثاني إسماعيل عباس الأفضل :

الأشـرف إسماعيل بن العباس الأفضل بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول وهو ممدوح المجد محمد بن يعقوب الشيرازي مؤلف كتاب القاموس المحيط في اللغة بقصيدته المشهورة التي منها :

مولى ملوك الأرض من في وجهه	مقباس نور أيما مقباس
بدر محيا وجهه الأسنى لنا	مغن عن القمرين والنبراس
من أسرة شرفت وجلت واعتلت	عن أن يقاس علاؤها بقياس
رووا الخلافة كابرا عن كابر	بصحيح إسناد بلا إلباس
فروى علي عن رسول مثل ما	يرويه يوسف عن عمر ذي الباس
ورواه داود صحيحاً عن	عمر وروي علي عنه للجلاس
ورواه عباس كذلك عن علي	ورواه إسماعيل عن عباس

أجمعت الأمة على مبايعته عقب وفاة والده الأفضل وتمت له البيعة في يوم الإثنين ٢٤ شعبان ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م ، وفي السنة الثانية من عهده توفي الأمير محمد بن ميكائيل الخارج عن طاعتهم فاستقرت الأمور :

وفيها أمر بإرسال المحمل اليمني إلى الحج برئاسة الأمير فخر الدين السنبلي وتفرغ بعد ذلك لعمارة المآثر الدارسة من المدارس والمساجد بمدينة زبيد وهي على قسمين قسم دثرت آثاره وعفت أطلاله وهو :

١ ـ المدرسة المنصورة للحنفية وعلم الحديث .
٢ ـ المدرسة السيفية الصغرى . ٣ ـ المدرسة النظامية .
٤ ـ المدرسة العفيفية . ٥ ـ المدرسة الميكائيلية .
٦ ـ مسجد الأتابك سنقر . ٧ ـ مسجد الطواشي فاخر .
٨ ـ مسجد خيلخان .

والقسم الثاني وهو ما أشرف على التلف فأمر بتجديده وهو :

١ ـ المدرسة المنصورية العليا للشافعية .

٢ ـ المدرسة السابقية . ٣ ـ المدرسة السيفية الكبرى .
٤ ـ المدرسة الناجية الفقهية . ٥ ـ مسجد السابق .
٦ ـ المدرسة قنديل . ٧ ـ مسجد الحاجه .
٨ ـ مسجد احثاثه . ٩ ـ مدرسة الميلين .
١٠ـ المدرسة العاصمية والمدرسة السمسمية والمدرسة الهكارية ومدرستي القراءات والحديث .
١١ـ المسجد الجامع بزبيد .

وفي تلك السنة أي ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨ م أمر بإنشاء القصر المسمى دار النصر في ناحية القوز من زبيد .

وفي شهر شوال عام ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤ م أمر بعمارة القيسارية في قرية المملاح لتكون مرفقاً للجيش المرافق له وإنشاء جامعها وفي شهر شوال ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨ م أمر بأن يكون وعد سوق زبيد يوم الخميس بدلا من يوم الجمعة كما أمر بحصر عدد المدارس والمساجد ، فبلغ عددها مائة وثلاثين ونيفاً .

وفي عام ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٤ م وصل إلى اليمن العالم المشهور مجد الدين الفيروز أبادي المتقدم ذكره ونزل في ميناء عدن فأمر الملك الأشرف على عامله في عدن بالمبالغة في إكرامه وصرف ألف دينار مصاريف القدوم وألف دينار أخرى لتجهيز سفره لمقابلته بزبيد وبوصوله استقبله الأشرف بالحفاوة والإكرام وخرج لاستقباله ، ثم أسند إليه وظيفة القضاء وتزوج بنته وكانت رائعة الجمال وفي أثناء إقامته باليمن ألف قاموسه المشهور وأهداه للملك الأشرف على أطباق أعادها له مملوءة دراهم وفي مقدمة القاموس يقول :

ولله صبابة من الخلفاء الحنفاء والملوك العظماء الذين تقلبوا في أعطاف الفضل ، وأعجبوا بالمنطق الفصل ، وتفكهوا بثمار الأدب الغض أنعشت الجدود العواثر ألطافهم واهتزت لاكتساء حلل الحمد أعطافهم راموا تخليد الذكر بالإنعام على الأعلام ـ وأرادوا أن يعيشوا بعمر ثان بعد مشارفة الحمام . بل

زعم الشامتون بالعلم وطلابه . والقائلون بدولة الجهل وأحزابه أن الزمان بمثلهم لا يجود فرد عليهم الدهر مراغماً أنوفهم فطلع صبح النجح من آفاق حسن الاتفاق . وتباشرت أرباب تلك السلع بنفاق الأسواق . وناهض ملوك العهد لتنفيذ الأحكام . مالك رق العلوم وربقة الكلام برهان الأساطين الأعلام سلطان سلاطين الإسلام . عاقد ألوية العلوم . مقلد أعناق البرايا بالتحقيق طوق امتنانه .

مولى ملوك الأرض من في وجهه مقباس نور أيما مقباس

إلخ .

وحمل إلى الأشرف بعد ذلك مصنف قاضي القضاة جمال الدين الريمي المسمى بالتفقيه في شرح التنبيه في أربعة وعشرين مجلداً فأجازه عليه باثنى عشر ألف دينار حملت في أطباق الفضة ملفوفة بأثواب الحرير والديباج .

وهكذا كانت حياة هذا الملك العظيم فيضاً من البر والإنعام على العلم والعلماء مما يسجله التاريخ بمزيد من الفخر والإعجاب وكان مع ذلك متفنناً في العلوم واسع المعرفة ـ توفي في ١٩ ربيع الأول ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠ م .

الملك الناصر الأول :

أحمد بن الأشرف إسماعيل العباس الأفضل علي المجاهد بن داود المؤيد بن يوسف المظفر تمت له البيعة أثناء مرض والده يوم الثامن من ربيع الأول عام ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠ م وفي ١٦ ربيع خرج إلى الجبال لتأديب بعض الخارجين على طاعته وعاد منصوراً وفي رجب نزل من تعز إلى زبيد ، فدخلها في شهر رجب وعاد إلى تعز في شهر القعدة ومنها سير قائده بدر الدين زياد الكاملي لإخضاع ريمة وأعمالها ، وقد توفق ذلك القائد في مهمته وعاد ظافراً .

وفي سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م استولى على مدينة دثينة قهراً .

ومن « دثينة » قصد في جموعه جازان التي تأخر أميرها عن دفع الخراج السنوي ، فدخلها وقد غادرها أميرها فأقام بها أياماً ، فعاد إليه أميرها مستسلماً فأرسله برفق الأمير محمد بن زياد الكاملي إلى زبيد ، وأقام أحد

أقـارب الأمير في الإمارة حتى عاد من تلك الغزوة إلى زبيد فاستشفع إليه الأمير بعلمائها وأعيانها فقبل شفاعتهم فيه وخلع عليه ووصله بعشرين ألف دينار وخمسين مملوكاً وأعاده لإمارته .

خـــروجـه إلى حـــلي :

ومن جازان سار إلى حَلي لإخضـاع أميرهـا المتأخر عن دفع الخراج فأسرع صاحبها إلى مقابلته في البرك يحمل الخراج المتأخر والهدايا والتحف ويطلب العفو فاشترط أن يبعث في كل عام خمسين « فرساً » فقبل الشرط الذي ليس من قبوله مهرب فأبقاه على إمارته .

وفادة أبنـــاء سعد الدين المجاهد الحبشي :

في عام ٨١١ هـ/ ١٤٠٨ م وفـد إليه أبناء سعد الدين مستنجدين على ملك الحبشة فأكرم وفادتهم ووعدهم خيراً ، وفي تلك السنة توفي معوضة بن تاج الدين .

وفي سنة ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م قدم مسلماً الشيخ « طاهر بن معوضة » فأنعم عليه وعلى من معه .

في عام ٨٢٠ هـ/ ١٤١٧ م غزا الإمام صاحب صنعاء بلاد بني طاهر التابعين للرسوليين فتحرك الملك الناصر على رأس جيشه والتقى بالإمام في موضع يسمى « الضرام » فهزمه وتعقبه إلى وادي حبان ، ومنها سار إلى بلاد « العجالم » ثم إلى أبين ودثينة وعدن ، ومنها عاد إلى تعز ومن تعز نزل إلى زبيد ، فبلغه عصيان قبائل وصاب فسار إليهم وأخضعهم وأخذ أربعين حصناً من حصونهم ، واستولى على حصن قوارير وبنى به قصراً حصيناً وعمائر أنيقة جعل سقوفها من خشب الصندل .

في سنـة ٨٢٢هـ/١٤١٩م ثار عليه أخـوه حسين واستـولى على مدينـة زبيد وتلقب بالـظافـر ، فنـزل الملك النـاصر من تعز ، واستعاد مدينة زبيد ، وقبض عليه وأرسله إلى سجن تعـز،وهنـاك تمكن من الخـروج من السجن واستـأنف الثـورة ، فسـار الناصر مجداً على رأس جيشه وضرب نطاق الحصار على أخيه وأصحـابـه حتى استسلموا قهراً فقبض على أخيه وأرسله إلى حصن ثعبات وأمر

أن تسمل عيناه ـ فكانت وصمة في تأريخه - ونقطة سوداء في سيرة حياته . نزل الناصر إلى زبيد وافتتح الميناء الجديدة بالعارة .

وصـــول وفـد الصين :

في عام ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠ م قدم إلى اليمن وفد من الصين تقله ثلاثة مراكب بحرية تحمل هدايا نفيسة تبلغ قيمتها عشرين لكاً من العملة الذهبية ، ويظهر أن تلك الوفادة كانت لتوثيق العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري .

استقبل الملك الناصر الوفد ـ فلم يقبل الأرض بين يديه ـ ويظهر أن الرسوليين اتخذوا في « بروتوكول » قصورهم تلك العادة الأعجمية المذمومة من تقبيل الأرض بين يديهم ـ بل تقدم رئيس الوفد قائلا بكل اعتداد : سيدك ملك الصين يهديك تحياتـه ويوصيك بالعـدل في رعيتـك . فأجابه الملك الناصر : مرحباً بك ونعم المجيء جئت واحتفا بهم وأمر بإنزالهم في قصر الضيافة وكتب الناصر كتاباً إلى ملك الصين وأعـاد الـوفـد مكـرماً وأرفقه بالهدايا النفيسة والتحف الفائقة ، ومن جملتها وحوش برية وثياب ملوكية من منسوجات اليمن وأمر بتشييعه إلى عدن .

وصول أبناء المجاهد الحبشي سعد الدين :

في عام ٨٢٥ هـ/ ١٤٢٣ م هزم ملك الحبشة أبناء سعد الدين فالتجئوا إلى الملك الناصر وعندما بلغه وصولهم إلى مدينة زبيد نزل الملك الناصر لاستقبالهم من تعز واجتمع بهم غير مرة ورغب في العبور إلى أفريقية للجهاد ثم عدل وجهز لهم مائتي فرس وأعـطاهم عطية مائتي فرس أخرى كاملة العدة والآلة واستمر في معاونتهم حربياً ومادياً حتى استعادوا مكانتهم .

ثـورة ابن نجـــاح :

ظهر في عهد الناصر ثائر اسمه (محمد بن أبي القاسم الأشعري ويلقب بابن نجاح) وعندما كثرت جموعه قصد الاستيلاء على مدينة زبيد فصدته قوات الملك النـاصـر ثم تمكن من دخـولها وأصبح بعد ذلك مقتولا ، فضربت العامة بملكه القصير الأمد المثل فقالوا : (ملك نجاح ساعة وراح) .

مآثـــره :

١ ـ إنشاء المرسى الميناء بساحل وادى زبيد وقد أنفق على إنشائه أموالا طائلة .

٢ ـ عمر حصن الفحص بقوارير وقصر الترنجة والقاهرة .

٣ ـ إنشاء القصر الناصري بزبيد ـ المنسوب إليه .

٤ ـ أنشأ ببيدحة قصرين عظيمين وبساتين أجرى إليها المياه من جهات بعيدة .

٥ ـ أنشأت والدته المدرسة الفرحانية في جهة الطواشي بزبيد .

أخـــــلاقـه :

شهر عنه الكرم والحلم وأنه ترفع إليه أمور لا تحتمل عند ملوك عصره فلا يستفز لذلك غضبه ولم يذم بسوى ما صنعه بأخيه .

شمل ملكه التهائم والجبال إلى أن توفي في آخر يوم الأحد ١٠ جمادي الأولى ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٤ م في حصن الفحص وحمل إلى مدينة تعز ودفن في مدرسة والده الأشرف .

المنصـــور الثـــاني :

عبد الله بن الناصر ، تولى الملك بعد وفاة أبيه ، وشهر بالعدل والشجاعة ومتانة الدين ، وعرف عنه إزالة منكرات كانت شائعة ، ومنع دخول محترفي الطرب من النسـاء إلى دار مملكته ـ مما يدل أن للطرب سوقاً ومحترفات من النساء ـ وكان ملازمـاً لصـلاة الصبـح جمـاعة بمسجد الأشاعرة بزبيد والجامع المظفري بذي عدينة ، وأنه دأب على الجد والنهوض بأعباء الملك مع صغر سنه حتى أدركته الوفاة يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٧ م بالدار الكبيرة بمدينة زبيد وحمل إلى تعز ودفن في مدرسة جده الأشرف .

المـلك الأشـرف الثـالث :

إسمـاعيل بن أحمـد النـاصـر تولى أمر الملك بعد أخيه « المنصور الثاني » ولصغـر سنه ألف مجلس وصاية من أعيان الدولة ، وبالطبع أن مجلس الوصاية

لم يكن إلا جماعة من أعيان الدولة أصحاب المطامع المتباينة ، فلم تمض مدة حتى نجم الخلاف واستعان كل منهم بصنائعه والمنتمين إليه ، فاختلت الأمور واضطرب الأمن واستبد المماليك بالقصر ، ويظهر أن ذلك الملك الطفل أراد أن يقوم بعمل يضع حداً لتصرفاتهم ، فقبض عليه المماليك في ٩ جمادي الآخرة ٨٣١ هـ/ ١٤٢٨ م بالقصر الملكي الأخضري بتعز وانتهبوا خزائن القصر وذخائره وما حواه .

الملك الظاهر :

انعقد إجماع ذوي الرأي على تولية الظاهر يحيى بن الأشرف فأخرج من سجن ثعبات صبح يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة ٨٣١ هـ/ ١٤٢٨ م وأخذت له البيعة ثم ركب إلى قصر العدل بتعز فأرسل بابن أخيه المخلوع الأشرف الثالث إلى حصن الدملؤة تحت الحراسة .

نزل الظاهر إلى مدينة زبيد ، فدخلها يوم الجمعة ٢ ذي القعدة في موكب فخم واحتفال رائع ، وقد شعر بنفوذ وخطورة المماليك الذين تآمروا على خلع ابن أخيه فأحكم التدبير في التنكيل بهم وأبادهم قتلا ونفياً ولم يتورع عن مصادرة وزير ابن أخيه القاضي شرف الدين إسماعيل بن عبد الله العلوي ، وبعد ذلك أظهر رضاه عنه وهنا يسجل التاريخ وصمة في تاريخ هذا الملك وهي أنه بعد إظهار رضاه عن الوزير راسل زوجته طالباً منها أن تطلق منه ـ لم يسع تلك الزوجة إلا أنها أطلعت زوجها على ماراسلها به الملك وتحت تأثير الخوف من سطوة ذلك الظالم طلقها .

علم الملك الظاهر بطلاق الزوجة فاستدعى الزوج وعينه والياً على مدينة المحالب ، وبعد انتهاء عدة الزوجة تزوجها الملك ، علم الزوج الأول بالأمر فترك ولايته وفر هارباً إلى مكة فأمر الملك بالقبض على أخيه الشهاب العلوي وأموالهم ودورهم ، فبلغ الخبر الشهاب العلوي فلجأ مستجيراً ببيت الشيخ الغزالي بن طلحة الهتار ، فقال له الشيخ : لا نقدر نجيرك من الملك فلجأ إلى مدرسة الملكة الوالدة المعروفة بالمدرسة الفرحانية ، فأمر الملك بإحضاره فساقته الجنود فحمل المصحف على رأسه حتى أوقفوه بين يدي الملك فأمر بضرب عنقه فوراً ، وهكذا ذهب ذلك الرجل ضحية بريئة ، ولم يقف ظلمه

لتلك الأسرة عند ذلك الحد ، بل صادر واصطفى أموالهم وهدم دورهم . وذلك في رجب عام ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م .

وفي عام ٨٣٥ هـ/ ١٤٣١ م قدم للسلام عليه الشيخ شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة وتزوج الملك الظاهر ابنته .

آثـــاره :

١ - المدرسة الظاهرية بتعز .
٢ - أنشأت زوجته المدرسة المعروفة بمدينة زبيد غربي الخان المجاهدي .

وتوفي في يوم الجمعة آخر يوم في شهر رجب ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٩ م بمدينة زبيد ، وحمل إلى تعز ودفن بمدرسته الظاهرية .

الأشـــرف الـــرابع :

بموت الملك الظاهر اجتمع رجال دولته وقرروا إقامة ابنه الأكبر إسماعيل باسم الأشرف الرابع ، وقد باشر إدارة مملكته بحنكة وإقدام ، وقام بعدة حملات تأديبية ضد قبيلة القرشيين من بوادي زبيد واشتهر فيها بالشجاعة والفروسية ولم تطل مدته أكثر من سنتين وثلاثة أشهر تقريباً ، توفي بمدينة تعز عام ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م ودفن في المدرسة الظاهرية .

المـــلك المظفـــر الثـــاني :

يوسف المـظفـر بن المنصور الثاني ، بعد مبايعته ثار عليه جماعة من جنوده الأتراك بقيادة يشبك الحاصلي ، وخرجوا من تعز معلنين العصيان إلى زبيد وهناك أقاموا المفضل أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الملك الأفضل ملكاً فدخل مدينة زبيد ووزع أموالا جزيلة على القبائل ، واستولت قبيلة القرشيين على نخل أهل وادي زبيد واضطرب حبل الأمن وساءت الأمور فأرسل المظفر قوة من تعـز قضت على ثورة المفضـل الـذي قتل في شعب الديارة ولم تزل البلاد في فوضى ، فنزل إلى زبيد وأمر جنوده بنهب المدينة ، ثم خلع في ربيع الأول عام ٨٤٧ هـ/ ١٤٤٣ م .

الملك المسعـــود :

الملك المسعود صلاح الدين بن الأشرف بن الناصر تولى الملك وعمره ١٣ سنة ليلة الإثنين ١٠ ربيع الأول ٨٤٧ هـ/ ١٤٤٣ م .

في عهده برزت مطامع بني طاهر سافرة في الملك ـ وكانت الدولة الرسولية في آخر أدوارها من الانحلال والتلاشي فاستغل بنو طاهر الموقف وأول شيء أظهروه في أول عهد الملك المسعود هو العطف والتأييد للمخلوع الملك السابق المظفر وساروا به إلى لحج .

تجهز الملك المسعود إلى عدن ومنها تقدم إلى لَحْج فهزمهم ودخل لحج ، فطلع المظفر فاراً إلى بعض حصون تعز وعاد بنو طاهر إلى جهتهم في انتظار الوقت المناسب للوثوب .

ومن لحـج تقدم المسعود إلى تعز لمحاصرة المظفر ، فاستنجد المظفر ببني طاهـر ، فنـزل الشيخ عامر بن طاهر على رأس قواته إلى دار القسطال لمحاربة الملك المسعود وحاصره حتى أبرم معهم صلحاً يتضمن مغادرته مدينة تعز في يوم الجمعة ١٥ رمضان ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م .

غادر المسعود تعز إلى عدن فوافاها يوم ٦ شوال ، فاقتفاه بنو الطاهر يرافقهم المـظفـر ، ونشب القتال بينهم وبين المسعود قرب عدن ، وكانت النهاية هزيمة المسعود ، وأخيراً سمحوا له بحصن تعز فتسلمه المسعود في عام ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م

وفي عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م سار الـطاهريون على رأس جيش قوي لمحاربة المسعود الذي يظهر أنه استعاد نشاطه الحربي ـ والحقيقة أن من عام ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م من عهد المظفر الثاني إلى سنة ٨٥٨ والحكم الفعلي في زبيد وأعمالها للعبيد وليس للمسعود أوغيره إلا الاسم .

وأخيراً وبينمـا المسعـود مشتغل بحروبه مع بني طاهر اجتمع العبيد في جهة زبيد ، وبـايعوا الحسين بن الملك الظاهر الذي تلقب بالمؤيد فعقد هدنة مؤقتة مع الطاهريين وتجهز إلى زبيد لمحاربة المؤيد ، وفي أثناء الطريق شعر بمؤامرة تدبـر ضده من جيشه فعاد إلى تعز واستأنف الحرب مع بني طاهر بمن استطاع

جمعهم ممن يخلصون لعهده ، ومن تعز رحل إلى عدن ، وهناك أصدقه الحرب الطاهريون حتى اضطر إلى التنازل لهم عن الملك في جمادى الآخرة عام ٨٥٨ .

جـــدول ملـــوك بني رســـول

الاســـــم	مــن	إلــى	المــدة شهر	سنة
١ ـ عمر بن علي الرسولي المنصور	٦٢٥هـ/١٢٢٨م	٦٤٧هـ/١٢٤٩م		٢١
٢ ـ المظفر الأول	٦٤٧هـ/١٢٤٩م	٦٩٤هـ/١٢٩٦م		٤٦
٣ ـ الأشرف الأول	٦٩٤هـ/١٢٩٦م	٦٩٦هـ/١٢٩٧م	٤	١
٤ ـ المــؤيـد	٦٩٦هـ/١٢٩٧م	٧٢١هـ/١٣٢١م		٢٥
٥ ـ المجــاهد	٧٢١هـ/١٣٢١م	٧٦٤هـ/١٣٦٢م		٤٣
٦ ـ الأفضـــل	٧٦٤هـ/١٣٦٢م	٧٧٨هـ/١٣٧٦م		١٤
٧ ـ الأشرف الثاني	٧٧٨هـ/١٣٧٦م	٨٠٣هـ/١٤٠٠م		٢٥
٨ ـ النـاصر الأول	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	٨٢٧هـ/١٤٢٤م		٢٤
٩ ـ المنصور الثاني	٨٢٧هـ/١٤٢٤م	٨٣٠هـ/١٤٢٧م	٩	٣
١٠ـ الأشـرف الثـالث	٨٣٠هـ/١٤٢٧م	٨٣١هـ/١٤٢٨م	٢	١
١١ـ الظـــاهر	٨٣١هـ/١٤٢٨م	٨٤٢هـ/١٤٣٨م		٩
١٢ـ الأشــرف الرابع	٨٤٢هـ/١٤٣٨م	٨٤٥هـ/١٤٤١م	٣	٣
١٣ـ المظفر الثـاني	٨٤٥هـ/١٤٤١م	٨٤٧هـ/١٤٤٣م	٤	٢
١٤ـ المسعـــود	٨٤٧هـ/١٤٤٣م	٨٥٩هـ/١٤٥٥م		١١

نظــرة عــامة في تــاريخ ملــوك آل رســول

إن تاريخهم مليء بالآثـار والأمجـاد ممـا مر بك منثوراً في صفحات الفصل السابق ، وقد أنجبوا ملوكاً لهم شغف بالعلوم والمعرفة وولوع بالآداب ـ وإن لم يكن بلغوا الغاية فلا أقل من أنهم يعدون في قائمة ملوك الطوائف العاملين في الأمة العربية الكريمة .

كان مؤسس دولتهم الأول عمـر بن علي الرسـولي ، قدوتهم الأولى في بناء المدارس وتشجيع العلم ، ويقول عنهم أصحاب دائرة المعارف الإسلامية : كان معظم سلاطين الرسوليين من بناة المدارس والمساجد ، وكان بعضهم من الكتاب .

إن ملك تلك الأســرة قد دام قرنين وثلث قرن ، وامتـد سلطانهم في أغلب عهدهم على أكثر اليمن وتهامة ، كما شمل وقتاً الحجاز والشحر وظفار عمان ودان لسـطانهم اليمن الأعـلا والأسفـل ، وقد مرت بهم عهود من القوة والضعف كما تقتضيه سنن الحياة ودساتير الوجود ، والتاريخ شاهد لهم وعليهم .

آثـارهـــم :

كان لهم الأثـر الخالد في بناء المدارس ونشر المعرفة وتشجيع العلم وإكرام العلماء ، فمن ملوكهم من ألف المؤلفات الخالدة مع اشتغاله بمهام الملك وإدارة دفة أمور الدولة ـ في عهود كان الملك فيها القائم بكل أمور الدولة ، ومنهم الكتاب المبرزون ، ومنهم من أسس المكاتب وشاد المدارس ومنهم من بلغ مجموع ما في مكتبته مائتا ألف مجلد من الكتب النادرة ـ في عهد لم تعرف فيه الطباعة ـ وبلغت شهرتهم في تشجيع العلم أن أهديت إليهم الكتب النادرة من العراق ، وراسلهم الملوك وتقدمت إلى سوحهم الوفود وقصدهم العلماء من أقاصي البلاد ـ وفي وفود « الفيروز ابادي » إلى بلاطهم أكبر شاهد ـ كما وفد عليهم الرحالة المشهور « ابن بطوطة » .

وفي إكـرامهم لوفـادة « الفيروز ابـادي » وإثَـابَتِهم « لجمـال الدين الريمي »

على مؤلفه الموسوم بـ « التفقيه في شرح التنبيه » باثني عشر ألف دينار ؛ ما يغني عن الإكثار .

نظـــام دولتهـــم :

كان الملك يتولى السلطة التنفيذية والإدارية ، وكانت البلاد تحكم على يد ولاة يعينهم الملك أو زعماء يقرهم على حكم عشائرهم وإدارة شئون جهاتهم يأتمرون بأمره ويدفعون لخزانته الخراج ، وفي أغلب المدن ولاة إداريون يسمى واحدهم الوالي أو الأمير ونظار للخراج يسمى أحدهم « المشد أو الزمام » وكان للملك ديوان للرسائل وآخر للخراج ، وكان كبار العمال يخرجون لاستحصال العوائد الحكومية .

الجيـــش :

إن الدولة الرسولية انبثقت عن الدولة الأيوبية ، فكان جل اعتمادها في مراحلها الأولى على جيشها المؤلف من المماليك والأكراد والغز ، الذين أبقاهم الملك المسعود للمحافظة على الأمن وتمكين دعائم الحكم وكان كتقليد سائد الاستعانة بتلك العناصر الأجنبية ، ثم بعد قتلهم لعمر بن علي الرسولي الذي هو لم يكن من مواليد اليمن استعان ابنه المظفر بحكم مولده ونشأته العربية بالمجندين من أهل البلاد ، وإن لم تنقطع تلك العناصر الذي قد أصبح الكثير منهم عنصراً مهماً في الجيش والإدارة .

كان جيشهم يتألف من ألف فارس وعشرة آلاف راجل على وجه التقريب .

تقاليد البـــلاط الرســولي

التحية : إذا دخل الزائر يمس الأرض بسبابته ثم يرفعها إلى رأسه ، ويقول : أدام الله عزك ـ وهي عادة أعجمية لا تمت إلى الإسلام ولا إلى العروبة بصلة .

وكـان مجلس الملك على دكـة عالية مفـروشـة بالـطنـافس المسترة بالحرير

الفاخر من منسوجات اليمن أو من منسوج الصين ، ويقف الحرس الخاص صفين شاكي السلاح على الوجه الآتي :

١ - يليه منهم أصحاب السيوف والدرق .
٢ - أصحاب القسيّ .

وبين الصفين الحاجب ورجال الدولة ويليهم كاتب « السر » وأمير ورؤساء الحرس والشاويشية ، فإذا قعد الملك صاحوا بصوت « بسم الله » فإذا قام فعلوا مثل ذلك فيعلم بذلك وقت قعوده وقيامه كل من في القصر .

وإذا استوى في مجلسه أذن بالدخول عليه لمن اعتاد ذلك فيسلم الزائر على الصفة - السابقة - ويقف حيث رسم له ولا يقعد إلا من يؤمر بالقعود ، فيقول الملك لرئيس الحرس : مر فلاناً يقعد . فيتقدم ذلك المأمور بالقعود قريباً من موقفه على البساط .

الموائد الملكية :

تم تحضر الموائد على درجتين :

١ - السماط الأول للملك وقاضي القضاة والطبقة الأولى من أشراف الدولة والفقهاء والضيوف الممتازين .

٢ - السماط الثاني للدرجة الثانية ممن ذكرنا .

وصف مهرجان ختان أبناء الملك الأشرف في سنة ٧٩٤ هـ/ ١٣٩٢ م :

للدولة الرسولية ولع بإقامة المهرجانات وإظهار أبهة الدولة وإقامة الزينات ومظاهر الأفراح في كثير من المناسبات بإقامة الولائم الفخمة والمواكب الرسمية واستعراضات الجيش وضرب « الطبلخانة » أي الموسيقى ، وقد سجل المؤرخ « الخزرجي » وصفاً شيقاً لمهرجان من تلك المهرجانات في حفل ختان أبناء الملك الأشرف فقال :

في أول شهر شوال عزم الملك الأشرف على تطهير أولاده فشرع في

تحصيل مالابد منه من الطيور وذوات الأربع والحنطة والسمن والعسل والأرز والرمان والعدس والقرطم والحمر والقرفة والسنبل والموز والجوز والسوسن .

ومن البقول على اختلاف أجناسها وأنواعها .

ومن التمور والليمون وسائر الفواكه .

ومن الحطب والسليط والشموع على اختلاف أشكالها الملونة والمزهرة شيء كثير ، ومن الآنية الصيني واليشم والقاشاني .

ومن آنية الفخار من الصحون والزبادي والأدراج والكيزان البيض والطباشير والقراريب والمطاهر ، ومن الرياحين والزهور كالفل والورد والنرجس والياسمين والمنثور والكادي وأشباهه .

ومن أنواع الطيب والعطور : المسك والعود والصندل والبنفسج والشند والند والعنبر وماء الورد .

وبعد وصف الشروع في الحصول على مؤن ذلك الحفل أخذ في وصف الوفود .

وصف مقدمة وفود المهرجان :

توافد الأمراء والمقدمون من سائر أنحاء المملكة ، إلى أن قال :

١ ـ وصل مشد وادي زبيد سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم .

٢ ـ وصل الأمير عز الدين هبة بن محمد الفخر .

صنع الحلوى للمهرجان :

ولما انقضى شهر شوال طلب صناع الحلوى فاشتغلوا منها شيئاً كثيراً فأخرج لهم :

١ ـ من الصحون الصيني خمسمائة صحن مما لم يستعمل قط .

٢ ـ من الفخار الزبيدي شيء كثير للحلوى « المضروب » .

إلى أن قال فجهز الصناع من أنواع الحلوى :

١ ـ المضروب .
٢ ـ المشبك .
٣ ـ القرعية .
٤ ـ القاهرية .
٥ ـ الشيزارية .
٦ ـ الخشخاشية .
٧ ـ الفانيذ .
٨ ـ البطاطيخ وأشباه الطير وغيرها

احتفـــال القصر :

واحتفل أهل الدار الملكية بل وسائر الناس احتفالا عظيما فأحضروا إلى القصر نحـو ثمـانين امـرأة واستـدعى لحضـور الحفل نساء الأمراء والمقدمين والقضاة والمتصوفين والأعيان والوجهاء ولم تتخلف منهن امرأة .

الهـــدايا :

وحمل الأمراء والمقدمون وكبار رجال الدولة « التقاديم » الهدايا النفيسة في يوم ١ ذي القعدة .

١ ـ هدية الأمير بدر الدين محمد بن علي الشمسي حملها ستون حمالا .
٢ ـ هدية القاضي شهاب الدين الوزير ووصفت بأنها تجل عن الوصف .
٣ ـ هدية الأمير صفي الدين أمير حصن تعز .
٤ ـ هدية القاضي رضي الدين بن عمر الصائغ .
٥ ـ هدية الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي .
٦ ـ هدية الأمير فخر الدين أبو بكر صاحب حصن صبر .
٧ ـ هدايا غيرهم من الأمراء والقضاة والمقدمين .

وتتقـــدم كل هدية من تلك الهـدايا رأسـان من البقـر الفـارهـة الفتية مجللة بالحـرير الملون وتـزف الهـدايا في موكب حاشـد بين قرع الـطبـول والأهازيج الشعبية والـرقص الـوطني تتقدم الجميع الأبواق إلى أن يصل الموكب إلى ساح القصـر الملكي فينـزع الجـزارون أثـواب الحـرير عن « الـرأسين البقر » وتذبح

ويتوزع لحمها من حضر هناك من « السواس » والفياليين والحمالين وأهل الأصطبل ومن في سلكهم وتدخل الهدايا إلى القصر .

الاستعـــراض :

وفي يوم ٦ ذي القعدة صدر الأمر الملكي بإقامة استعراض في الميدان السعيد بـ « ثعبات » ثلاثة أيام ، فتقدم إلى شهوده الوزراء والأمراء والقضاة والمشدون أمراء النواحي والمتقدمون وخدمة (الطبلخانة) أي الموسيقي وقام الجيش المؤلف من الفرسان والمشاة بالاستعراض وألعاب الفروسية وإقامة المهرجانات الشعبية ودام ذلك طيلة الثلاثة الأيام .

السمــــاط المــلكي :

وفي اليوم الرابع على بدء المهرجان أقام الملك وليمة كبرى حفل سماطها بما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين على الصفة الآتية :

١ ـ السماط الأول ويشتمل على أصناف الأغذية وأنواع اللحوم .
٢ ـ السماط الثاني ويشتمل على أصناف الحلوى .
٣ ـ السمـاط الثـالث ويشتمـل على أصنـاف المكسـرات من اللوز والجوز والقعقع والفستق والبندق .
٤ ـ السماط الرابع خاص بالطيوب والعطور والمباخر ويشتمل على المسك والعود والصندل والبنفسج والند والشند والعنبر وماء الورد والغالية .

وتقدم حشود المدعوين من الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساء الدواوين والمشدين والفقهاء والوجهاء وسائر طبقات الشعب ، وبعد أن غص بهم المجلس قاموا على السماط الأول وتناولوا ما لذ وطاب ثم تحولوا إلى السماط الثاني فالثالث فالرابع .

الحفــــل :

وبعـد ذلـك تحول الجمع إلى سرادق الحفل وقام الشعراء والخطباء يتبارون بالإشادة والمدائح ، ومن خطباء وشعراء ذلك الحفل الرائع :

١ ـ موفق الدين علي بن محمد الناشري .
٢ ـ سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي .
٣ ـ رضي الدين بن فارس. ٤ ـ عفيف الدين عثمان ابن أبي الأصبحي
٥ ـ نور الدين بن إياس . ٦ ـ برهان الدين بن أبي بكر المزوري
٧ ـ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الصيرفي .
٨ ـ برهان الدين الجحافي . ٩ ـ موفق الدين الطيني .
١٠ـ علي بن الحسن الحجازي .

ومع الأسف الشديد أن الخزرجي لم يورد شيئاً من تلك الخطب والقصائد إلا قصيدته التي نورد منها الأبيات الآتية :

هب النسيم معنبر النفحات ... وشدا الحمام بأطيب النغمات
وتضوع اليمن الخصيب بأسره ... بالطيب من عدن إلى عرفات
وتألق البرق الكليل فأشرقت ... أنواره في حندس الظلمات
فرحاً بتطهير الملوك الأكرمـ ... ـين الأعظمين الجلة السادات
فالدوح يخطر في غلائل سندس ... والأفق ينثر لؤلؤ القطرات
والروض معتم النبات بنرجس ... وشقائق تزري بكل نبات
والطير ذَا شادٍ وهذا زامِرٌ ... فوق الغصون بأفصح الأصوات

وفي الختام انهالت الخلع النفيسة والعطايا الجزيلة على كبراء الدولة ورؤساء الحرس الملكي والخطباء والشعراء .

الصيد والقنص والتنزه والنخيل :

اعتاد الرسوليُّون تقضية فترات للترويح عن النفس وممارسة رياضة الصيد وللاستحمام على شواطيء سواحل زبيد أوتمضية وقت في النخيل إبان حملها بالرطب الجني وتسمى أيام السبوت [١]

---

(١) وصف ابن المجاور في كتابه « صفة بلاد اليمن » سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م النخيل والسبوت فقال : النخل عشر قطع وهي : الأبيض ـ الكديحا ـ المجرشية ـ المحلة ـ الاثيل ـ المجازع ـ كروه =

أما رياضة الصيد فكانوا يخرجون إلى جهات الحسينية لصيد حمر الوحش أو في غيرهـا كما كانوا يخرجون في مواكبهم الملكية إلى شواطىء الأهواب وشواطىء المتينة فيستحمون في مياه البحر ويرتعون على الضفاف والرمال يفرغون من مشاغل الحياة وينعمون براحة البال .

أما نزهاتهم في إخراج النخيل فقد سجل لنا المؤرخ الخزرجي وصفاً لنزهة من تلك النزهات الملكية فقال (نزل الملك الأشرف في ٢ شعبان ٧١٧ هـ/ ١٣١٧ م للنخل وقد عمرت له دار من العراريش وأقيمت بجانبها الاصطبلات وجعل لحوية الـدار أربعـة أبـواب شرقي وغربي وشمالي وجنوبي فاحتوت الحوية على آلات السلطان كلهـا من الخيل والأفيال والبغال والحمير وسائر البيوتات والمستودعات كالخزانة ومستودع المفروشات ومستودع المطبخ والشراب (الشربخانة) ومستودع السروج (الركب خانة) والموسيقى (الطبلخانة) فازدان الموضع بذلك الترتيب والتنظيم حسناً . مما يوضح لنا أن رحلاتهم كانت في غاية الأبهة وكمال الاستعداد والزينة .

نفـــوذهم السيــــاسي :

شمـــل سلطانهم في أوج دولتهم اليمن والحجـــاز والشحـر وعـدن وظفـار ، ومـع ما تخلله من فتـرات الضعف فقـد ظل إلى عام ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م محتفظاً

= المحجر القهيرا ، المغارس وحجنة ، وكل واحدة من تلك القطع يكون عرضها وطولها ربع فرسخ ، ورطبها ثلاثة أصناف : حماري ـ صفاري ـ خضاري ، كلها ذات ألوان مختلفة فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره ويجى إليه الناس من باب حرض إلى آخر أعمال أبين إلى أن قال : ويقيمون الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة وغالب أكلهم الحموضات والموالح ، وهم في لعب وضحك وشرب ويعمل من التمر والبر والرطب نبيذ يسمى الفضيخ يصلح عمله في يوم وليلة ويبلغ خراجه ١٣٠ ألف دينار ، فإذا فرغ النخل ـ هكذا ـ خرج الصغار مع الكبار والأخيار مع الفجار بـ « الطبل والزمر » بعد ما يلبسون جملا عدة كاملة تامة من الأجراس والقلاقل ويشد في رقبته المقانع والحلي ، ويركب كل أربعة على جمل وناس منهم على الشقادف ويمشون إلى مسجد مشرف على البحر ، يقال أنه موضع نزل به معاذ بن جبل ويسمى الموضع « الفازة » وينزل فيه الرجال مع النساء وهم في شرب ولعب ورقص وقصف وما يخرج إلى هذا الموضع إلا في كل أسبوع يومين يوم الاثنين ويوم الخميس وإذا رجعوا من هناك دخلوا البلاد رأساً .

بنفوذه السياسي والإداري ، بل تجاوز الضفة الشرقية على البحر الأحمر إلى الضفة الغربية في إفريقية ، فقد ذكر المؤرخ الخزرجي في حوادث عام ٧٧٢ هـ/ ١٢٧٠ م ، أن الوالي الرسولي على زبيد وهو الطواشي أهيف ، كان ضمن منطقة ولايته من عدن إلى حرض ، بل وتشمل ما وراء البحر كـ « عوان وزيلع » وغيرهما من البلاد الشاسعة هكذا ، أي أن نفوذ الدولة الرسولية تجاوز البلاد العربية في اليمن وغيرها إلى إفريقية الشرقية .

العلاقات السياسية :

للدولة الرسولية علاقات سياسية بدول وملوك عصرهم تجاوزت البلاد العربية عامة ومصر إلى الدول الشرقية فكان عدا نفوذهم المباشر على شاطيء أفريقية الشرقي لهم علاقات سياسية مع سلطان الحبشة المسلم المجاهد سعد الدين ثم مع أبنائه من بعده ، بل تجاوز نطاق العلاقة السياسية إلى العون الحربي والمدد العسكري مما تراه مسطوراً في ثنايا الفصل الخاص بتاريخ « الدولة الرسولية » .

كما كانت لهم علاقات سياسية عن طريق الوفادة (الديبلوماسية) وتبادل الهدايا التي كانت العامل الأساسي في التفاهم السياسي في عرف ذلك العصر وعقد المعاهدات الودية بين الدول كما هو معلوم أو بالأحرى بين الملوك لما تقتضيه العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري وبالأخص لما لميناء عدن من الموقع الهام في استقبال تجارة الشرق وتصدير منتجات اليمن ، والذي كان في ذلك التاريخ ـ ولا يزال ـ من استقبال السفن الواردة من الصين والهند وسيلان وفارس إلى البلاد العربية وغيرها ، ومن تلك العلاقات السياسية والاقتصادية ما يأتي :

١ ـ وفد الصين الواصل إلى الدولة الرسولية ـ كما مر بك مفصلا في الفصل الخاص بالدولة الرسولية .

٢ ـ ملك السند ، وقد وصل آخر وفد منه في ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م إلى الملك الأفضل ، ومن جملة الهدايا غروس فسائل أشجار غير موجودة في اليمن .

٣ ـ وفد ملك « كاليقوط » ومن الهدايا التي حملها إلى الملك الأفضل الطيور النادرة وفسائل الأشجار والزهور التي أمر الأفضل بغرسها في حديقة الديباج بـ « تعز » .

٤ ـ وفد ملك سيلان في سنة ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧ م لتوثيق الصلات الودية والعلاقات الاقتصادية ومن بين الهدايا التي حملها أربعة أفيال وأشجار (العنبا) وغيرها ، وكان الكتاب الذي مع الوفد مسطوراً على رقيقة من الذهب .

٥ ـ أوفد ملك الهند بعثة لتجديد الصلات السياسية والاقتصادية إلى الرسوليين سنة ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩ م .

وهكذا كانت للدولة الرسولية صلات ودية واتصالات سياسية وارتباطات اقتصادية بدول الشرق في عهدهم فأمدته بجيش قوي تمكن به من استعادة عرش بلاده الذي دام كما سبق توضيحه ٢٣١ عاماً .

حضرموت والشحر وظفار :

امتد سلطان الدولة الرسولية إلى حضرموت والشحر ، بل تجاوزهما إلى ظفار ، ففي عهد المظفر الرسولي تقدمت القوات الرسولية بقيادة ابنه الأشرف فاستولت على حضرموت ثم عاد إلى ظفار بعد معركة قتل فيها ملكها سالم بن إدريس الحبوظي ، وذلك في سنة ٦٧٨ هـ وأنيطت إمارة ظفار بالأمير داود بن المظفر ، وقد استمرت إمارة الرسوليين على الشحر إلى نهاية القرن الثامن ، وقد ذكر المؤرخ الخزرجي في حوادث سنة ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م أن الأمير الرسولي على الشحر هو صارم الدين داود بن موسى بن حاجر ، وذكر في حوادث سنة ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٣ م أنه وردت إلى الدولة الرسولية كتب أهل الشحر بهزيمة أحد الثائرين بها فبعث لإمارة الشحر الأمير الشماسي .

أما ظفار فقد خرجت قبل ذلك عن تبعيتهم وإنما ظلت لهم علاقات ودية وسياسية كما يظهر ، فقد ذكر الخزرجي في حوادث سنة ٨٠١ هـ/ ١٣٩٨ م ، أن ملك ظفار المسمى المجاهد الذي تغلب عليه أحد الثائرين التجأ إلى الدولة الرسولية .

الدولة الرسولية والزيدية :

حاول غير واحد من أئمة الزيدية الثورة والخروج على الدولة الرسولية في القسم الذي يدين بسلطتهم الروحية ، ففي عهد الملك المظفر ثار الإمام إبراهيم بن تاج الدين سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١ م فأسره الجيش الرسولي في موقعة ذمار وسجن في تعز إلى أن أدركته المنية ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م .

وقبله ثار الإمام يحيي بن محمد السراجي فأسره القائد الرسولي سنجر الشعبي عامل صنعاء سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م .

وثار بعدها المطهر بن يحيي سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م فاستمر في حروب مع جيوش الرسوليين إلى أن توفي ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧ م فقام بعده ابنه المهدي واستولى على صنعاء وتوفي سنة ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م .

وفي سنة ٧٥٠ استولى على صنعاء وتوابعها المهدي علي بن محمد إلى أن توفي سنة ٧٧٣ هـ/ ١٣٤٩ م .

ونلاحظ في تلك الفترة أن سلطان الرسوليين كان يعم نفوذه أغلب جبال اليمن ، فقد أورد الخزرجي في صحيفة ٥٣ ج ٢ أن الملك المؤيد غزا بلاد خولان وأخربها .

وأورد في صحيفة ٦٧ ج ٢ أن الملك المجاهد سير جيشاً إلى ذمار مؤلفاً من ٤٠٠ فارس و ١١ ألف راجل فاستولى الجيش على ذمار وحصن هان ، وأناب عليهما الأمير زين الدين قراجا ، وأنه استمر على نيابتهما إلى سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م ثم عزل بابن الحجازي .

وفي سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م استولى الملك الأفضل على حصن الظاهر من بلاد عنس ، وقبض على ١٨ شيخاً من شيوخها وقتلهم .

وفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٦٤م بعث الملك الأفضل من اغتال رئيس جبل بعدان أبا بكر بن معوضة ووصله برأسه إلى تعز، فقام ابن المقتول محمد بن أبي بكر واستنجد بالإمام صلاح الزيدي فوصله وسارا لقصد غزو تعز وبلغا في تقدمهما إلى الجند في ٦ رمضان فأصدر الملك الأفضل أوامره على القبائل والأطراف

بحفظ الطرقات وقطع خط الرجعة على الإمام صلاح فكر الإمام راجعاً من الجند واعتصم محمد بن أبي بكر بمعقله ببعدان .

وفي سنة ٧٧٧ هـ/ ١٣٧٥ م غزا الإمام صلاح تهامة ووصل إلى زبيد في غرة شوال وحاصرها ثلاثة أيام وكان الأمير عليها الطواشي أهيف ، فكتب إلى قبائل بادية زبيد بالاستعداد لمهاجمة الإمام من الخارج وهو من الداخل ، فعلم الإمام بالخطة فانصرف في اليوم الرابع وفي نفس السنة تقدمت القوات الرسولية بقيادة ابن حناجر إلى ذمار فاستولت على عدة حصون فبعث الإمام بجيش تمكن من هزيمته وأسره ، وفي سنة ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م تقدمت القوات الرسولية بقيادة ابن إياس إلى حقل قرب صنعاء فأوقفت نشاط الإمام صلاح وأخذت في شن الغارات على بلاد الإمام ، وفي ربيع سنة ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩ م تقدم الإمام صلاح إلى الجهات الواقعة شمال زبيد ، فانسحب عمال الدولة الرسولية من حرض إلى المحالب فوصلوا إلى زبيد وقابلوا الملك الأشرف الذي أمرهم بالرجوع إلى مراكزهم وأمدهم بالقوات فانسحب الإمام عائداً ، وأعاد الإمام الكرة في شهر جماد الأولى وعسكر على باب سهام من زبيد وذلك في يوم ٢٢ جمادي الأولى سنة ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩ م وفي يوم ٢٧ منه علم بدنو القوات الرسولية الواصلة لنجدة زبيد من تعز فانسحب راجعاً .

وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة بعث الإمام صلاح جيشاً إلى تهامة بقيادة مولاه منصور وقريبه يحيى الباقر فاصطدم بالقوات الرسولية في المحالب وانتهت المعركة بقتل منصور ويحيى الباقر وهزيمة الجيش الإمامي .

وفي سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٩٠ م استولت القوات الرسولية على حصن نعم وفي سنة ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٥ م وفد على الملك الأشرف صلاح بن علي بن مطهر بن يحيى الزيدي وسلم للأشرف حصن دوران فأكرمه بأربعين ألف درهم .

ووجد ضمن ديوان الرسائل لعهد الملك المظفر رسالة من أهل ظفار مرفوعة له نوردها كلها للدلالة التاريخية ونموذج لفن الرسائل في ذلك التأريخ

وهذا [1] نصها الحرفي بعد البسملة والحمد لله والثناء : وبعد الرعية الداعون ينهون إلى المقام الأعظم . أعلى الله شأنه . أنه طرق البلاد طارق البلاء وقصدها هلاك لم يسمع بمثله ، وذلك أنه لما كان ليلة الثاني من شهر ربيع الآخرة سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م ضربت ريح عاصفة من الأفق الشمالي في غاية الشدة ودامت على ذلك إلى الصباح واستمر يومه إلى العصر ، وكان يأتي ألواناً ، فتارة أسود مدلهم ، وتارة أحمر شديد الحمرة حتى يظن أن النار تخرج منه ويظلم أخرى حتى لا يبصر المرء جليسه من شدة الظلمة .

فلما كان وقت العصر اختلف الريح فضرب من مطلع النسر فحصل المطر واستمر طول الليل مطر عظيم لم نشاهد مثله ، وهب الريح من مطلع العقرب فما انفجر الفجر إلا والسيول قد سالت من كل مكان فلم يلق السيل داراً إلا هدمه ولولا من الله سبحانه وتعالى بفتح جانب البلاد إلى البحر لغرق الناس .

وطلع البحر ليلة الأربعاء طلوعاً يعجز عنه الوصف حتى كسر الدرب الجديد وهدم الدور التي تتصل به ووصل في البلاد إلى نحو ثمانين ذراعاً وهدم سائر البيوت حتى سكن الناس في المساجد .

وأما ما كان حول البلاد من الأعمال والبساتين ، فإن الريح كسرت أكثر نخيلها من الفوفل والزنجبيل وأتلف الموز ، وأتى السيل على ما كان من الطعام على الإجراء وطلع البحر فأذهب جميع العبيد ووصل إلى مواضع مقدار المدينة مرتين أو ثلاث .

ومن أعظم ما جرى على الناس الدور تهدمت على أصحابها فقتلت الرقيق والمواشي والدواب ، وأصبح أكثر الناس فقراء من أموالهم لا يجدون ما يأكلون وأنزلت السيول من الجبال جميع الأنعام ، ومن الناس خلق كثير تركتهم مصرعين في كل جانب .

وصارت البلد بدون دروب ولا مانع إلا الله تعالى ، وعمارتها من أوجب

---

(١) تاريخ « وطيوط » ص ٢٤٥ مخطوط .

ما يكون والقيام فيه بالبذل والمال أوجب السُّؤل من تفضل مولانا وبره وحسن رعايته النظر في أحوالنا بعين الرعاية والشفقة وأن يرعانا بعطفه ويرفع عنا « الديوان » سنة كاملة ، وقد صرنا لا نقدر على شيء ، وإحسان مولانا عميم ، ونحن أحق من تصدق عليه ووصل إحسانه إليه وليس لنا ملاذ وملجأ إلا الله ثم عطف مولانا والسلام .

هذا غيض من فيض نستعرضه عن تلك الدولة وفي الرجوع إلى الفصل الخاص بتاريخها ما بقي .

كان الملك المظفر متضلعاً في المعارف والعلوم آخذاً من كل فن بنصيب وافر قرأ الفقه ودرس الحديث ، وتوسع في النحو واللغة ، ودرس علم الطب وبرع فيه وكان مقرباً للعلماء باراً بهم شغوفاً بإنشاء المدارس .

معارف وعلوم بعض ملوكهم :

نشأ الأشرف على طراز والده الذي ضرب في المعارف بأوفر نصيب فكان له من البيئة والقدوة بوالده أكبر حافز ، وقد اعتنى والده المظفر بتنْشِئَتِهِ وتعليمه وتهذيبه واتخذ له العلامة سعيد بن أسعد الحراري معلماً ومؤدباً ، فدرس الأشرف الفقه والحديث والنحو واللغة والأنساب والطب وعلم الفلك ولم تقف معارفه الواسعة عند التحصيل والدرس بل تجاوزها إلى الاختبار والتجربة والتأليف ، وقد سبق ـ في الفصل الخاص بالدولة الرسولية ـ الإشارة إلى مؤلفاته القيمة ونضيف هنا ما وقفنا عليه بعد كتابة ذلك الفصل :

١ ـ كتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب .

٢ ـ المعتمد في مفردات الطب .

٣ ـ التبصرة في علم النجوم .

٤ ـ المغني في البيطرة [١] .

---

(١) الأعلام للزركلي ص ٢٣٢ جـ ٥ .

وتظهر براعته في الطب من كتاب أرسله والده المظفر في حياته ـ والأشرف في مقتبل العمر وريعان الشباب ـ أرسله إلى الملك الظاهر بيبرس يطلب منه طبيباً قال فيه :

ولا يظن المقام العَالي أننا نريد الطب لأنفسنا ، فإننا نعرف من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة ، وولدنا عمر ـ يقصد الأشرف ـ من العلماء بالطب وله كتاب جامع ليس لأحد مثله .

وكان الملك المظفر معجباً بنجابة وذكاء ابنه الأشرف إعجاباً يتجلى في اعتداده بعلومه عامة وبالطب خاصة في كتابه إلى الظاهر بيبرس .

والأشرف من خيار ملوك بني رسول ، وكانت أيامه غرة في تاريخ الدولة الرسولية ويؤثر عنه من الحدب والبر بأهل مملكته ما يخلد له السيرة العاطرة .

ومن شعر الملك المجاهد :

أنا نلت العز بأطراف القنا
ليس بالعجز المعالي تجتني
نحن بالسيف ملكنا اليمنا
كل فخر تدعى الناس لنا　　　أعرق العالم في الملك أنا
أنا شبل الملك خدن الكتب
يوسف جدي وداود أبي
فالشهيد الملك زاكي الحسب
وعليّ الندب عالي المنصب　　　جدنا بعد رسول جدنا
إن تكن أضحت علاهم خبرا
فالعلى مني بالعين ترى
أنا كالليث إذا ما زأرا
أنا كالبحر إذا ما زخرا　　　المنايا في يميني والمنى
أبذل المال ولا أجمعه
كل عاف نحونا منجعه
وإذا القرن طغى أصرعه

وإذا ولــى فلا أتــبــعــه وإذا لاذ بحــقــوي أمــنــا
شيم للمــلك أضــحــت أنــجــمــا
يمــن لي من جدودي الــقــدمــا
ثم ملك الــشــام من ماء الــســمــاء
يعشــرون النــاس طرًّا رغمــا من هنــا أو من هنــا أو من هنا

وله قصيدة مطولة وصفت بأنها في غاية الجودة مستهلها :

تبــريح جوى ونــوى شجــنــي منــعــا عينــي من الــوســن

لم نظفر منها بغير مستهلها .

وله ترسل فائق ونقد في غاية الإبداع الفني منه ما أورده المؤرخ وطيوط قال : ومن ذلك ما كتبه بمسجد معاذ بشرقي وادي زبيد ـ اللهم كل صانع يحب إصلاح صنعته ـ وأنا صنعتك فأصلحني .

كان للملوك الـرسوليين غرام بالأدب ، وقد مر بك طرف في الفصل الخاص بالدولة الرسولية عن تشجيعهم للعلم ومكافأتهم للمؤلفين كمحمد بن أحمد الريمي شارح التنبيه ، ورعايتهم للفيروز أبادي ، أما الشعر خاصة فقد ظفر بنصيب وافر من عنايتهم ورعايتهم ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في أخبار المظفر الرسولي ، وقد سار ذلك كتقليد متبع في دولتهم مما حدا بفطاحل وزعماء ذلك العهد إلى التقدم لمدحهم وفي انتصار الملك الأفضل على الثائر محمد بن ميكال قال المطهر بن محمد بن مطهر يمدحه وينوه بذلك الانتصار :

لجهلك لم تخش الذي بأسه يخشى ولم ترهب الأفعى ولا الحية الـرقشا
وأرداك من منــاك بالــمــلك مثلمــا تردى ضحى من ظهـر ناقته الأعشى
ولجت طمـوم البحـر وهـو غطمـطم ومن ولــج (التيار) لاقى به الحـرشا
أغــرك أن أرخي (المجاهـد) ستره عليك ولم ينهـاك منـه الـذي تخشى
عفا عنك صفحاً في الظلام إذ انجلى بفضـل وإحسان وفي الليل إذ يغشى
فلمــا ثوى وابتــز في الملك (ابنـه) وربك يعطي الملك في خلقه من شا

ففـاجئـك (العبـاس) منـه بصـولـة ... فغشـاك منـه يا (محمـد) ما غشـا
ولـيت فلم تؤمـن سريًا ولـم تخـف ... غويًا ولم تنـه الفحـوش عن الفحشـا
فلما استوى العباس في الملك وانجلت ... دياجـر للنـظار في جنحهـا أعشـا
دعـانـا فلبـينـا نداه بعـصـبـة ... ترش الثـرى من ضربهـا بالدما، رَشًّا
أتـوك ببيض ضربهـا يقـطف الكلى ... ويختـطف الأشـلا ويخـترق الأحشا
فلمـا استقـرت في (فشـال) فشلتم ... كمـا فشلت للأسـد في رعيهن الشا
ثمـان ليال ظللت جندك الـقـنـا ... كما جعلت بيض المواضي لها فرشا
ألـم تَر أن الـمـلك يؤتـيه من يشـاء ... إلـه السمـا الجبـار مبتـدع الإنشـا
تأن وقف من حيث أوقفـك القضـا ... فمـن فاتـه (إيوانـه) سكن الحشـا

* * *

الـــــدولـة الطـــــاهرية

الملكان المجاهد شمس الدين علي وأخوه الظافر صلاح الدين عامر ابنا طاهر ابن معوضة بن تاج الدين الأموي القرشي .

على أثر تنازل الملك المسعود الرسولي دخل المجاهد شمس الدين علي بن طاهـر بن معوضة ليلة الجمعة ٢٣ رجب ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م حصن التعكر وفي الصباح دخل أخوه الظافر على رأس بقية الجيش ، وكان في الحصن المؤيد حسين ابن الملك الظاهر ، فاستسلم وقد قابل الأخوان استسلامه بالإكرام وخصصا له داراً يسكنها واشتريا منه ما بعهدته من الأسلحة والمعدات .

علم أهل مدينة زبيد بتنازل الملك المسعود فأسرعوا بإرسال وفد لتقديم طاعتهم إلى الملك المجاهد الذي قد توجه إلى عدن فأحسن استقبالهم ومنها تحرك في ٢ شوال إلى زبيد فتقدمت إليه وفود تهامة بالطاعة والولاء .

أطمع انهيار الدولة الرسولية أبا دجانة محمد بن سعيد بن فارس ملك الشحر في الإستيلاء على مدينة عدن فأبحر في شهر ربيع الآخر ٨٦١ هـ/ ١٤٥٧ م في تسع سفـائن وبـوصوله إلى الميناء باشر إنزال قواته فقاومته الحامية الطاهرية والأهالي مقـاومـة شديدة فتراجع إلى سفائنه وضرب عليه الحصار ، فهبت زوبعة شديدة حطمت مركبين من سفائنه ، ثم قدم الملك الظافر يوم ٢٤ من الشهر على رأس قوة كبيرة فانقطع رجاء ملك الشحر وأقلع راجعاً فانفتحت ثغرة في مركب القيادة الذي يستقله الملك ، فغرق المركب ونزل ناجياً بنفسه إلى ساحل المكسر فأسرع الملك الظافر على رأس جيشه فأسره وابن أخيه وجملة من رجاله الذين نجوا من الغرق ، وقتل منهم مبارك الفاسي من نقباء يافع الذي حفز ملك الشحر على غزو عدن وأطمعه في تملكها وعاد إلى عدن ظافراً فدخلها في موكب حاشد يتقدمه أسيره ملك الشحر على جمل .

في صفـر ٨٦٢هـ/١٤٥٨م تقـدم إمام صنعاء إلى حدود الدولة الطاهرية فنهض نحـوه الملك الـظافـر وعقـدت هدنة بين الطرفين عاد على أثرها كل منهما إلى

بلاده بيد أن تلك الهدنة لم يطل أمدها ، فقد نشب القتال بينهما في شهر رجب من تلك السنة ، وفي سنة ٨٦٦ هـ/ ١٤٦٢ م خطب للملك المجاهد على المنابر وضربت السكة باسمه وكانت قبل ذلك باسم أخيه الملك الظافر .

غـــزوة الملك الظافر لصنعـــاء :

في شهر رمضان ٨٦٦ هـ/ ١٤٦٢ م تقدم الملك الظافر إلى جهة صنعاء فتلقاه إمامها في موضع يسمى (رمم) ونشب بينهما القتال وقتل في تلك الموقعة سلطان الجوف من أصحاب الإمام وقتل من الطاهريين الشيخ محمد بن طاهر شقيق الملكين المجاهد والظافر ، وفي ذلك العام استولت القوات الطاهرية على ذمار .

وفي تلك السنة قبض الملك المجاهد على الشيخ العلامة إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي أحد علماء زبيد بتهمة مكاتبة أمير جازان وتحريضه على محاربة الدولة الطاهرية ثم تحقق للمجاهد عدم صحة التهمة فأطلق سراحه ، في تلك السنة أمر الملك المجاهد بحصر نخل الدبي فبلغ :

١,٠٠٠٠٠٠ ما يدفع عليه الخراج للدولة .
١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف لبني العجيل .
٤٠٠٠ لباقي الصوفية .

ومقدار خراج النخل دفع مقابله في تلك السنة ثمانون فرساً قيمة الفرس ثلاثة وستون أوقية .

وفي تلك السنة صدر أمر الملك المجاهد على قبيلة « القرشيين » بإعادة النخل الذي اغتصبوه في أواخر عهد الدولة الرسولية إلى أصحابه من أهل وادي زبيد .

غـــزوة الظافر لبـــلاد الشحـــر :

رأى الظافر فضلا من النشاط فأحب أن يوسع رقعة مملكته على الجار القريب ملك الشحر فجهز جيشاً قوياً وتولى قيادته بنفسه ، وسار قاصداً الشحر وعلى مقدمته الأمير زين الدين السنبلي ، وقد بلغت نفقة كروة جمال

الحملة اثني عشر ألف دينار وهو مبلغ له ضخامته من القيمة الشرائية في ذلك العهد وتقدم الجيش كما يأتي :

١ - المقدمة تحت قيادة الأمير زين الدين السنبلي .
٢ - القلب تحت قيادة الأمير عبد الملك بن داود الطاهري .
٣ - المؤخرة تحت قيادة الملك نفسه .

والت المقـدمـة تقدمها حتى دنت من أراضي الشحر ففر ملكها هارباً فوالى السنبلي زحفه حتى دخل المدينة وأرسل ابنه علم الدين بشيراً بالفتح ، وعلى أثر دخول السنبلي دخلها عبد الملك فنهب المدينة بدون خشية ولا وازع ، وبعد ذلك دخلها الملك الظافر ورتب إدارة البلاد وأناط إدارتها بالأمير أحمد بن إسماعيل بن سقر اليمني ، وعاد إلى عدن يوم الجمعة ١ ربيع الأول .

ابن الناصر إمام الزيدية والدولة الطاهرية :

بعد وصول الملك الظافر إلى عدن وافته الأخبار بأن إمام صنعاء ابن الناصر استولى على ذمار ، وأن قوات الأمير عبد الوهاب الطاهر تقاومه مقاومة يائسة حول المدينة فأسرع الظافر على رأس جيشه إلى ذمار فاستعادها في شهر رجب وتقدم يتعقب ابن الناصر إلى أن حاصره في حصن (هران) وشدد عليه نطاق الحصار حتى ضاقت به الحال وأخيراً أسره بعض القبائل القريبة من الحصن وسلموه إلى الإمام مطهر منافسه في الإمامة .

وفي جمادي الأولى ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٣ م نشطت القوات الطاهرية في الجبال ووالت تقدمها في غير موضع فاستولى الظافر على « بحرانه » وما والاها من الجبال والحصون وفي جمادي الآخرة استولى أحد قواد الإمام على حصن علب فأسرع الملك المجاهد في بعث الجيوش حتى استعاد الحصن في شهر رجب .

دخول الدولة الطاهرية صنعاء :

في شهـر شوال ٨٦٧هـ/١٤٦٣م استـولت القـوات الـطاهـرية على مدينـة صنعـاء ، وأنـابت على إدارتهـا أحـد أفـراد الأسـرة المـالكة الأمير عبد الوهاب

ابن داود الطاهري وتنازل إمامها وأقطعته الدولة الطاهرية بعض نواحيها يتولى أمرها تحت إدارتهم .

في عام ٨٦٩ هـ/ ١٤٦٥ م استعاد ابن الناصر مدينة صنعاء وطرد أميرها الطاهري محمد بن عيسى البعداني ، فخرج إليه الظافر في ألف وثلثمائة فارس فاستولى كلياً على مدينة صنعاء وأعمالها ، ويقول صاحب العقيق اليماني : إن محمد بن الناصر باع مدينة صنعاء مقابل شيء من المال ، ويظهر أن الطاهريين لم يطمئنوا إلى وجود ابن الناصر في صنعاء فأمر الملك الظافر عامله على صنعاء بإشخاصه إليه بمدينة زبيد فاطلع ابن الناصر على ورود الأمر فثار وطرد العامل واستولى على صنعاء .

وفي رجب من تلك السنة ولى المجاهد بن شعبان أمور تهامة .

قتل الملك الظافر :

وصلت الأخبار إلى الظافر بثورة ابن الناصر فتجهز قاصداً صنعاء على رأس جيش كثيف حتى وصل على رأس جيشه إلى ضواحي المدينة وضرب عليها الحصار ، وقد دفعه الغرور اعتماداً على كثرة جيشه عن عدم أخذ أهبة الحزم والاحتراس ، وعندما شعر الإمام باستحكام حلقة الحصار استنجد بأحد قواده المدعو محمد عيسى شارب فأقبل مسرعاً لنجدة الإمام على رأس رجاله فاقتحموا المعسكرات الطاهرية على حين غرة فاختل نظامها وأشاع الهجوم المباغت غير المنتظر الفوضى والاضطراب ، فكانت الهزيمة ، وشجع ذلك الارتباك ابن الناصر وأهل صنعاء على الخروج من المدينة والقيام بغارة عارمة أودت بالبقية الباقية من ثبات الجيش المذعور ، وتقول المصادر غير الزيدية : إن الظافر ثبت على رأس فريق من جيشه وقاتل قتال الأبطال حتى قتل .

في السابع من جمادي الأولى وقعت هزة أرضية بمدينة زبيد ، وفي ذي القعدة تزوج الأمير عبد الوهاب بن داود الطاهر بنت الشريف علي بن سفيان .

في سنة ٨٧٦ أقطع الملك المجاهد الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي البلاد الشامية - عن زبيد - .

وفي تلك السنة ظهر الذهب الأشرفي قريباً من قرية - واسط - من قرى زبيد وأباحه الملك المجاهد للشعب ، وفيها توفي الأديب أبو بكر بن أحمد بن عمر العقيلي الزيلعي .

وفادة أبناء المجاهد الحبشي سعد الدين ، على الملك المجاهد :

وفد أبناء المجاهد سعد الدين الحبشي على الملك المجاهد طالبين النجدة فأعانهم بمائة وخمسة رؤوس من الخيل العربية مع ما يلزمها من العدة والدروع والسلاح .

في ليلة ٢٧ رمضان ٨٧٨ هـ/ ١٤٧٣ م أقام الملك المجاهد في مدينة زبيد سماطاً دعى إليه كافة أهل زبيد على اختلاف طبقاتهم .

وفي ليلة ٢٩ أقام ابن أخيه الأمير يوسف سماطا وعمل ما يسميه « الديبع » « طلاعةً » على باب الدار - قوس النصر - زينها بأنواع الثمار والأشجار وضرب النفاطات المختلفة ، ويظهر أن هذه الاحتفالات كانت تقام في عهد الدولة الرسولية التي نقلت إلى اليمن من التقاليد السائدة في مصر في عهد الفاطميين ومن بعدهم .

وفي ٨٨١ هـ/ ١٤٧٦ م جهز الملك المجاهد كتيبة مؤلفة من خمسين فارساً كاملة العدة لأبناء المجاهد الحبشي سعد الدين .

وفي شعبان ٨٨٢ هـ/ ١٤٧٧ م خرج الأمير يوسف بن عامر من زبيد إلى البلاد الشامية واستحصل الخراج من الزيدية إلى حرض .

الملك عبد الوهاب بن داود الطاهري :

عهد الملك المجاهد في حياته إلى ابن أخيه الأمير عبد الوهاب بن داود ابن طاهر ، وبعد وفاته جددت له البيعة وتلقب « بالمنصور » فتوجه إلى عدن وفي صحبته جمال الدين القماط فدخلها يوم الثلاثاء ١٣ من الشهر وجمع الناس

وأعلن وفاة عمه وتوليته ، وفرق العطاء والهبات في الجيش وغيرهم وبعد شهر ولى قضاء عدن القاضي القماط وتوجه إلى تعز .

وفي عام ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م في أثنـاء إقامة المنصور بزبيد وقع الشغب بين موظفي إدارة زبيد وانقسموا إلى حزبين :

١ - الفقيه عبد الله الهبي ، عبد الرحمن المحالبي ، الفضل بن علي دغشر ، سعيد الرضاعة .

٢ - بنو الأحمر ، ومحمد الشجون .

فأدبوا وعزلوا من وظائفهم وولي في الإدارة :

١ - الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن العلوي والفقيه محمد البسام ، أعمال الديوان .

٢ - الفقيه أحمد البحلي الاستيفاء .

وبذلك حسم كل داء للشغب .

توفي المنصـور عشية الثلاثاء السابع من جمادي الآخرة ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٩ م ودفن صبح الأربعاء ببلدة « جبن » .

مـــآثره :

١ - تجديد مسجد الأشاعرة . ٢ - المدرسة المنصورة بزبيد .

٣ - أضاف زيادة إلى جامع مدينة زبيد ومنبر للخطبة نصبه في مكان الزيادة ليس له نظير في اليمن في عهده .

٤ - مدرسة بالمدرنة . ٥ - مسجد بمدينة إب .

الملك الظافر الثاني الطاهري : عامر بن عبد الوهاب الطاهري :

تولى بعد وفاة والده ، وبعد انتهاء ثلاثة أيام على الوفاة رحل إلى المقرانة ثم أقطع خاله الشيخ عبد الله بن عامر بن طاهر البلاد الشرقية .

ثورة الشيخ عبد الله بن عامر :

لم يلبث الشيخ عبد الله غير يسير في إمارته على البلاد الشرقية حتى أعلن الثورة والخروج على ابن أخته .

كان الملك الظافر قد رحل من المقرانة إلى تعز حينما بلغته ثورة خاله وأنه استولى على خزائنه بمدينة جبن وانتهب الدار المنيعة التي بناها المنصور وأخرب بعضها وصادر أموال التجار .

لم يسع الظافر إلا حشد ما أمكن حشده من المقاتلة وتوجه نحوه ، سار الظافر على رأس من تمكن من حشدهم فوصل « جبن » يوم الأربعاء ٢٢ جمادي الآخرة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٩ م والتحم القتال وانتهى بالصلح بينهما على يد الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي على أن يعطى خؤولته عبد الله بن عامر ، ومن بقي منهم ، أربعين ألف دينار من جباية عدن ويقطعهم جبل جرير والشعب .

وفي عام ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١ م تجهز السلطان عامر بن عبد الوهاب لمحاصرة صنعاء واستمر حصاره إلى المحرم ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢ م حتى أنقذها من حصاره الإمام الوشلي والأمير محمد بن حسين الحمزي .

وفي سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م أعاد الكرة لحصار صنعاء ودارت رحا المعارك الحامية بينه وبين الوشلي والأمير السابق ذكره حتى هزمهما وأسر الإمام الوشلي وأحمد بن الناصر ، ودخل صنعاء ظافراً وامتد ملكه على تهامة جميعاً وصنعاء وصعدة وما بينهما من الحصون .

كادت ثورة أخواله أن تأتي على ملكه لولا حسن سياسته وسعة تدبيره الذي مكنه من أسرهم مؤخراً وزجهم في السجن وبقضائه عليهم دان له اليمن أعلاه وأسفله واستولى على جميع الحصون القوية والمعاقل الحصينة ، وفي آخر أيامه وصلت قوات قنصوه الغوري اليمن وتقدمت إلى مدينة زبيد التي جعلها الظافر حصن الدفاع فلم تقو جنوده الكثيرة على مقابلة الجراكسة وأسلحتهم النارية التي لأول مرة في التاريخ يشاهدها اليمن ، وانتهت المعركة بقتل الظافر عامر بن عبد الوهاب واستيلاء الجراكسة على زبيد ورداع وتعز ،

وذلك في ربيع ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م وكان مُحِبًّا للعلم شغوفاً بجمع الكتب [١] .

بعد قتل الظافر اجتمع فلولهم في ما بقي لهم من إمارة عدن وأقاموا على الإمارة عامر بن داود بن طاهر وبقيت إمارته قائمة حتى استولى عليها القائد التركي حين استيلائه على عدن عام ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م وأعطى الأمان والعهد للأمير الطاهري ، ثم بعد ذلك دعاه لزيارة سفينة القيادة في أسطوله المتوجه إلى الهند وعندما وطئت قدم الأمير السفينة أمر القائد الظالم بقتل الأمير ورفع رأسه على سارية السفينة ، ثم بعد ذلك قتل جميع أفراد أسرته .

---

(١) وقد رثاه العلامة المؤرخ الديبع بقوله :

أخلاي ضاع الدين بعد ابن عامر ... وبعد أخيه أعدل الناس في الناس
فمذ فقدا والله واالله اننا ... من الأمن والإيناس في غاية الياس

الفصل السادس

المخلاف السليماني

الأمراء آل القطبي [1]

في أوائل القرن التاسع الهجري آلت إمارة جازان من الأمراء الغوانم إلى أبناء عمومتهم الأمراء آل القطبي الذين أول من تولى الإمارة منهم خالد بن قطب الدين ابن محمد بن هاشم بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيي بن حمزة بن وهاس ابن أبي الطيب الحسني ، وكانت تلك الإمارة مرتبطة بالرسوليين ، ثم بالطاهريين .

وفي عهد خالد القطبي هذا كان خراب مدينة المنارة التي خرج على ما يظهر أهلها عن طاعته فأرغمهم - بعد ما أغار عليهم وأخرب المدينة ، فنزح أهلها - إلى قرية ضمد .

توفي عام ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م .

دريب بن خالد بن قطب الدين :

خلف والده على إمارة جازان عام ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م .

وكان يبعث سنوياً إلى حكومة زبيد بألف دينار .

وفي الأمير دريب يقول الشاعر الغرباني :

دعوت الندى من رأس «غربان» دعوة ... وثنيت صوتي في جميع المشاهد
وثنيت صوتي معلناً فأجابني ... على البعد من كفي دريب بن خالد

---

(١) وهم أصحاب قلعة « المعتق » وكانت لهم مبانيهم بأعلا وادي جازان ولهم المعاقل الحصينة بالجبل المشهور بالجرد المستطيل إلى الخبت بجهة الجارة ومن مآثرهم بها القلعة الحصينة المسماة الثريا ، ودربها المشهور بدرب النجا ، ومدينتهم ضاربة شمالا في الحرة المذكورة ومستمدة إلى قرب ضفة الوادي ، وبها جامعها الكبير ، قيل : إن معاصر الزيت التي بها كانت خمسمائة معصرة .

أحمـــد بـن دريـب :

تولى الإمارة بعد وفاة والده دريب بن خـالد .

وفي عام ٨٨٢ هـ/ ١٤٧٧ م أغار على إمارته محمد بن بركات ، ويظهر أن السبب المبـاشـر لهذه الغارة مطامع محمد بن بركات في ضم تلك الإمارة إلى نفوذه ، وقد لمس ضعف الدولة الطاهرية وعجزها عن مساعدة صديقها أمير جازان .

تجهـز ابن بركـات من الحجـاز في حشـد من قوات القبـائل ، ويقال : إنه استصحب في غزوته هذه زوجاته وسراريه فوافى جازان في ربيع الأول ٨٨٢ هـ/ ١٤٧٧ م وبعث النذر إلى أحمد بن دريب طمعاً في إذعانه بدون قتال ورغبة في الاستجابة لمطالبه التي تنحصر في اعترافه بالتبعية له ودفع شيء من المال وقدومه إليه كدليل للاعتـراف ، فرفض ابن دريب الـوسائط واستعد للقتال ، فتقدم إليه محمد بن بركات ونشب بينهما القتال بقرب درب النجا ، فانهزم أحمد بن دريب فهجم ابن بركات على مدينته ، وقتل أغلب السكان وانكشفت العورات ، ويقول الديبع : جرى على نساء صاحب جازان من الذل والمهانة وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد بحساب وانتهبت خزائنه ، وفيها من الكتب النفيسة شيء كثير وأخذ من السـلاح ما جمعه أبوه وجده وأحرقت وهدمت دور الإمارة وسور البلاد وأصبحت جازان (١) خاوية على عروشهـا ، انتهى . وعاد ابن بركات بعد ذلك تاركاً البلاد بدون حامية .

وفي ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨ م بعث أحمد بن دريب ابنه إلى الدولة الطاهرية ويظهر أنه يحمل رسالة عتب على تَخَليها عن نصرته في تلك المحنة القاسية ، فوصل إلى مدينة زبيد فأحسن استقباله الأمير يوسف بن عامر الطاهري وأنعم عليه وجهزه إلى عمه الملك المجاهد بعدن فأكرم الملك المجاهد وفادته وأجزل له العطاء وأعاده إلى أبيه مكرماً .

ونستشف أن تلك السفارة لم تأت بالنتيجة المبتغاة ، مما حمل الأمير أحمد بن دريب نفسه عام ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م للقدوم على الملك المنصور بزبيد .

---

(١) مدينة جازان العليا المشهورة بدرب النجاء ، راجع الحاشية التي في أول هذا الفصل .

علم الملك المنصـور بقدوم الأمير ، فبعث في استحضار الآلات السلطانية والتحف الملكية ، ومـا يلزم لإبـداء أبهة الملك في عين الأمير الوافد والحليف العاتب ، وعندما بلغه وصوله إلى ظاهر مدينة زبيد خرج لاستقباله في موكب تخفق عليه الأعـلام وتحف به الفرسان وعندما تقابلا ترجلا وتعانقاً ، ثم ركبا واستأنف المـوكب سيره ، وأنـزلـه في قصـر أعـد لضيافته ، وجعل له حاشية من الحرس الملكي ، وكان محل رعايته وإكرامه إلى أن عزم الملك المنصور إلى تعز ، فخرج الأمير مع المشيعين وودعه في نصف الطريق وعاد في طريقه إلى جازان يوم ٢٣ من الشهر ، ويظهر أن تلك الزيارة قد وثقت العلاقات وأزالت أسباب الجفاء .

في شعبـان سنة ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٧ م هب إعصار شديد في ما بين المدب ، وخلب بحيث يراه من في القريتين ، والنار مشتعلة في أعلاه حتى بلغ حِلَّة بأعلا القريتين ، فطير عشتها مشتعلة بمن فيها ، ثم سار في طريقه إلى المشرق فأحرق الظباءَ والوحوش .

وفي عام ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م قتل العطاوية أبَا الغوائر أحمد بن جار الله بن خالد وانتهبوا المال وعقروا الخيل ، وقتلوا معه ابن أخيه خالد بن الحطيم .

في تلك السنة اجتاحت المخلاف السليماني مجاعة ضارية وامتدت إلى عام ٩٢٥ هـ/ ١٥١٩ م وأهلكت أكثر السكان ، وبالأخص في وادي جازان ووادي ضمد ، فلم ينج من سكان كل قرية إلا نفر أو نفران ، وفي صبيا والملحا أفنت ما لا يحصى .

المهـدي بن أحمـد بن دريـب :

الأمير المهدي بن أحمد واسطة العقد في أمراء هذا البيت يقول الشاعر الجراح بن شاجـر في مقـدمـة ديوانه (أن الذي مدح به من هزَّت به الممالك الجازانية أعطافها وأرضعته أخلافها ، وطبقت مكارمه البقاع ونطقت بمحامده الأفواه وامتلأت بشكره الأسماع وانعقد على سيادته الإجماع جمال الدين المهدي بن أحمد بن دريب) .

ويقول ذلك الشاعر الوفي في أيامه :

أيامنـــا بك يا عز الـهـدى غرر   وعـيشـنـا بك صفـو ما به كدر
وصـدعنـا بك يا مهـدي منشعب   وكسـرنـا بك يا مهـدي منجبـر
وحـالـنـا بك يا مهـدي حالـية   وحال أعدائنا يا بن الصفي[1] صبر

ويقول عنه صاحب العقيق اليماني : كان المهدي مشهوراً بالكرم الذي فاق به أهل زمانه ، وكان أديباً فصيحاً مدحه أكثر الشعراء منهم الجراح بن شاجر الذروي الذي له ديوان مشهور متداول بين أيدي الناس ومن شعرائه الذين مدحوه وأعطاهم أموالا جليلة الشاعر محمد الهبي الصعدي كان يصله من صعدة يمدحه وله فيه القصائد الطنانة . انتهى ونحن نثبت هنا القصيدة الرائقة التي هي من أحسن ما قاله في الأمير :

يا مربـع الـحـي بذات الـرنـد   بالله خبـر كيف كنـت بعـدي
هل وقـفـت فيك الـحـداة تحـدي   واحـر أكـبـادي وطـول وجـدي
نوحي ودمعي فيك أقصى جهدي

كنـت لعـليا ولـريا ملعـبـا   وكـل رعـنـا ذات ثغـر أشـنـبـا
أصبـحـت مأوى للنعـام والـظـبـا   وفـيك طير الـبـوم ليلا نعـبـا
جادك هطال صـدوق الوعد

أصبـحت بعـد الـظاعنين مقفـرا   مغـبـراً منـكـراً مدعـثـرا
فيك الـنـعـام والـظـبـاء والـفـرا   فدمـع عيني لمـا نلت جرا
سقـاك من مجلجـل مسـود

ينبـت فيك الـشـيح والـنيلوفـر   ويضحـك الآس بهـا والـعـبـهـر
إذا غدا يركض فيك الـسـنـبـر؟   والـزهـر فيك أبـيض وأحمـر
وعانق البـان غصون الـرند

فليت شعـري هل يعـود ما مضـى   ويرجـع العيش الـذي كان انقضى
رعـياً وسـقـياً لأثيلات الـغـضـا   هيهـات قد عاد سوادي أبـيضـا
وأبيضي قد عـاد كالمسـود

---

(١) نعت مختصر لمن اسمه أحمد وهـذا موجود في تاريخ البهاكلة للمنطقة وغيرهم فمحمد ينعت =

فرب هيفا كالقضيب قامه ظاهرة النعمة والوسامة
مليحة في ثغرها المدامة عانقت في نجد وفي تهامة
محبباً غير مضاع الود

يا عاذلي دع عنك عذلي واعذر في حب غيدا كالغزال المعصر
تدك كعباً مثل حق المرمر ابنة عشر وثلاث معصر
طوع العناق غير ذات نهد

جبينها مثل الهلال يزهر وشعرها إن أرسلته يستر
وثغرها ممسك معنبر معطر مكوثر مسكر
فيه مدام عاتق وشهد

إن بسمت تريك برقاً رفرفا أو لثمت أعطتك خمرا قرقفا
أو لحظت أرتك ظبيا شنفا أو خطرت أرتك غصنا أهيفا
أخفي هواها تارة وأبدي

حوت من الحسن عجيبا في عجيب أنالها رب السما أوفى نصيب
ليلا ووشما وقضيبا في كثيب بي ألم ليس له اليوم طبيب
إلا التي ملمسها كالزبد

من الخراعيب الرعابيب رداح إن صمت الحجل لقرطيها صياح
أو أشبعت دملجها جاع الوشاح تغار منها الحاجريات الملاح
تفاخر البان بلين القد

تريك من مبسمها زمردا ولؤلؤا وفي الخدود عسجدا
دعجاء نعسا ما تريد الأثمدا كن لها البيض الهراكيل الفدا
أيضا أنا من كل سوء أفدي

الشغر منها أشنب مفلج والطرف ساج أدعج وأدعج
والجيد سام والجبين أبلج كأنها بين النساء عوهج
أتلع أدما من ظباء نجد

لعساء نعساء لم تمخض بولد وكعبها غضة (ليم) ما نهد

(١) بعز الدين وبالبدر ، وأحمد بصفي الدين وعبد الرحمن بوجيه الدين وعبد الله بفخر الدين وهكذا .

كأنما أنيابها ماء جمد أو جوهر أو طلع نخل أو برد

أو لؤلؤ رطب مليح السرد

كأنها حمامة في غصنها رشيقة يا بعد قرط أذنها

حين تميس في مجال العقد

تعطيك ما تهوى لصغر سنها يذهل عقلي حين قطر دنها

قد صار فني في الهوى من فنها وموج بحري قد غدا من مزنها

أو مصطلاها من شرار زندي

مشيتها في الأرض مشية القطا ليست من الغبر الطويلات الخطى

يعجبني التخميش منها والخطى إن المحب لا يذم إن سطا

حبيبة إن لم تجد بوعد

في ثغرها المسواك منها يرشف كسلى من المضجع لا تنحرف

حتى إذا كاد النهار ينصف قامت كمن قد دب فيه القرقف

إلى سواك الراك لا للكد

وشادن أشرف لي من كلله ذو حمرة في خده من خجله

قبلته فصد عني قبله لما وضعت سكري في عسله

أعاضني أنساً بذاك الصد

لم أنس أيام أبي عريش حيث رياشي قد نمى وريشي

حيث انتهت خلاعتي وطيشي ما لذ لي نومي وطاب عيشي

إلا بإنعام الإمام المهدي

القطبي الخالدي الغانمي الحيدري الأزهري الفاطمي

القرشي الحسني الهاشمي حديث كل الناس في المواسم

ونقطة البيكار من معد

غضنفر الهيجاء طعان الثغر فارس عدنان إذا النقع انتشر

القمر التم لنا وابن القمر الواهب الخيل الصحيحات الغرر

المقربات الصافنات الجرد

محمد المهدي وما محمد إلا همام وخضم مزبد
وعارض يغنيك حين يرعد يفيض منه ورق وعسجد
فرد بهذا العصر أي فرد

سنانه يهوى النحور والكلا وسيفه يهوي الرؤس والطلا
من آل قطب الدين أرباب العلا دع غيرهم فإنهم هم الملا
أهل المعالي ورجال المجد

نال من المجد منالا لا ينال هو الزلال العذب والحلو الحلال
حاز البهاء والجمال والجلال وإن غدا في درعه يوم النزال
فدونه العباس وابن معدي

تلفت الغيد إذا ما التفتا وترهب الأسد إذا ماصمتا
هو لي ربيع ومصيف وشتا هو النقي هو التقي هو الفتى
لعقد حل ولحل عقد

لا زال خفاقاً عليك العلم سيفك ماض في الورى والقلم
فأنت في الناس جميعاً حكم يا حامي المجد ويا غشمشم
لواؤه فوق جباه الأسد

قال العلامة محمد بن سعد الشرفي رواية عن العلامة المحقق حسين ابن إسماعيل بن جغمان إن الشاعر محمد الهبي كان طالباً للعلم بمدينة صعدة ، وكان لأحد أغنيائها من ذوي الوجاهة بنت رائعة الجمال فأراد أبوها أن يزوجها بمن يمكث في داره ، ورأى في أخلاق ذلك الطالب للعلم ما قربه إلى قلبه ووافق شرطه فزوجه ، ومكثت الفتاة وقتاً تظن أن زوجها من الغنى وسعة الحال بما يتفق ومركز والدها حتى صارحها في خلوة من خلواته بحالته ظناً أن صدقه وصراحته أنفع له فأيقنت من أن والدها المجهز لعرسها والقائم بنفقة زواجها وانتهى الأمر بالمفارقة فندم ندامة الفرزدق حين فارق نوار وهام في التشبث بها حتى قال هذه القصيدة في المهدي ، فسأله المهدي هل هذا الوصف يوجد ، فقال له : نعم ، ووصف قصته فقال له : عَليَّ مساعدتك ، وتوجه المهدي إلى صعدة ، وخطب الفتاة لنفسه ودخل عليها ،

وبعد مشاهدته لها طلقها قبل الدخول بها وخطبها بعد ذلك لشاعره وبذل لوالدها ولها ما أوجب رضاهما هكذا باختصار .

غارة أمير حلي على جازان :

في عام ٩٢٤ هـ/ ١٥١٨ م في إمارة المهدي أغار أمير حلي قيس بن محمد الحرامي على جازان فاستعد الأمير المهدي لقتاله ، ودارت المعركة بينهما في الغوائر ، أعلا وادي صبيا ، فانهزم المهدي واستحر القتل في أصحابه وانسحب إلى « العالية [١] » أعلا وادي خلب ، ومنها انسحب إلى قلعته المشهورة بأعلا وادي جازان فعاثت جيوش أمير حلي في وادي جازان نهباً وهتكاً للحرمات إلى البحر واجتمع على الناس غلاء الأسعار والفتنة ، وبعد ذلك انسحب أمير حلي عائداً إلى وطنه .

---

(١) راجع كتابنا « المعجم الجغرافي ـ الطبعة الثانية » .

العلاقة السياسية بين المخلاف والدولة الطاهرية

كانت علاقة أمير المخلاف السليماني (المهدي بن أحمد) بالدولة الطاهرية علاقة وثيقة الصلة عميقة الولاء وفي ديوان (الجراح بن شاجر) شاعر الأمير قصائد متبادلة تدل على الولاء السياسي من الأمير للملك الطاهري وكان وضع المخلاف في ذلك التاريخ وضعاً دقيقاً فهو بين مطامع أمراء مكة وحلفائهم أمراء حلي بن يعقوب الذين غزوا المخلاف السليماني غير مرة ينتصرون في الأغلب ويستولون على المخلاف وينهزمون في الأقل ويعودون بدون تحقيق غاية ، وجارتهم في الجنوب الدولة الطاهرية القوية التي يمتد سلطانها من وراء عدن إلى المخلاف السليماني ولابد لإمارة بذلك الوضع من سند تحتمي به ولا يوجد ذلك إلا في جارته الجنوبية ولو بالمصانعة السياسية والمجاملة المادية اكتفاءاً للشر وإظهاراً للولاء .

ولا شك أن الأمير المهدي قد مرت به من حوادث التاريخ في المنطقة ما يرشده فقد أرادت أسرة وهاس الحاكمة للمخلاف في القرن السادس في سنة ٥٥٩ عدم الإذعان لحكومة على بن مهدي الرعيني في زبيد فسحقها جيشه في وقعة حرض المعروفة - راجع ما تقدم - ، فطمحت البقية من الأسرة بأبصارها إلى من يأخذ بناصرها فلم تجد في إمام الزيدية في وقتها أحمد بن سليمان ما يحقق النصر الذي ترجوه لأن سيادته الروحية تنحصر في القسم الأعلا الشمالي في جهات صعدة ، وكان هناك عدة عناصر في القسم الأعلا الجنوبي يناوئون أحمد بن سليمان وهم سلاطين همدان كآل اليامي وغيرهم من الحميريين .

فالتجأ الغوانم إلى مصر ، وكان أول مرة تصل إلى اليمن جنود من مصر للاستيلاء على اليمن ، أما قبل ذلك التاريخ فكان الارتباط روحياً وسياسياً كما كان في عهد الصليحي .

وهنا نجد التاريخ يعيد نفسه فنرى المهدي بن أحمد يشعر بأن الخراج المقرر على إمارته أرهقه فيطمح إلى ربط علاقته بمصر ويبادر إلى إنشاء علاقة

سياسية ظاهرها التظلم من الخراج ، وقد يكون باطنها طموح هذا الأمير في المستقبل إلى أعظم من ذلك وبعد تمهيدات واتصالات قاربت من النهاية يولد للمهدي طفل فيبادر إلى تسميته بقانصوه الغوري ويضع قدم الطفل في زنجفور ويطبعه على ورقة ويبعثها إلى قانصوه مع هدايا وكتاب يتضمن ما خلاصته :

١ - إعجابه بالسلطان الغوري وتسميته ابنه باسمه كتفاؤل لربط أمره بسلطانه .

٢ - شكواه من الخراج الجائر المفروض عليه من السلطان عامر بن عبد الوهاب .

٣ - الإلحاح في المبادرة بإرسال جيش للإستيلاء على اليمن وعرضه المساعدة والتسهيلات للجيش مقابل الإبقاء على إمارة جازان فقط .

وصل الوفد إلى مصر فأحسن الغوري استقباله ، وبعد ذلك أعاده بصحبة الجيش المصري إلى اليمن .

وصلت الحملة المصرية إلى جازان فأرفقها الأمير المهدي بأخيه عز الدين إلى زبيد لمحاربة الدولة الطاهرية . وذلك في سنة ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م .

نهاية الأمير المهدي :

عاد الأمير عز الدين بعد دخول القوات المصرية مدينة زبيد إلى جازان فكان همه الأول تدبير مؤامرة تتلخص في استمالة رجال الجيش بالمال والوعود واستغلال العناصر المناوئة لأخيه حتى إذا استوثق من نجاحه ومسعاه أعد عدته ، وفي ذات ليلة وعلى حين غرة هجم على قصر الإمارة واستولى على محتوياته من المال والسلاح والخيل واقتاد أخاه أسيراً إلى السجن وكبله بالحديد وقبض على حاشيته وقتل أغلبهم .

قتل الأمير المهدي في عام ٩٢٥ هـ/ ١٥١٩ م :

أصبح المهدي ميتاً في السجن ، ويقال : إنه أرسل إليه ليلا من تولى قتله خنقاً وهكذا طويت بذلك صفحة مشرقة من حياة ذلك الأمير الذي أوردنا

البعض من وصف حياته الأدبية في ترجمة شاعره الجراح بن شاجر الذروي [1] .

الأمير عز الدين بن أحمد بن دريب :

تولى الإمارة على الصورة السابقة في عام ٩٢٥ هـ/ ١٥١٩ م .

وفي ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠ م جدد الأمير قيس الحرامي حملته على جازان فقابله الأمير عز الدين بجيشه في موضع يسمى خضران قبلى وادي ضمد بثلاثة أميال أو أكثر فدارت الدائرة على عز الدين الذي انسحب في تراجعه إلى جازان بعد قتل أكثر رجاله ومنهم الأمير يحيي بن أحمد بن دريب وجملة من أعيان صبيا وشجعانها .

غارة الجيش المصري على جازان :

بلغ القائد المصري العام بزبيد أمر الانقلاب الذي قام به الأمير عز الدين ضد أخيه المهدي ـ ويظهر أنه على غير سابق اطلاع على مثل ذلك الأمر ـ فنرى الاسكندر في نفس العام يجرد حملة تأديبية إلى جازان تحت قيادة قائد اسمه الغوير وتصل إلى جازان أخبار تحركها فيسارع الأمير عز الدين إلى مغادرة البلاد إلى أحد الجهات النائية ويشعر أهل البلاد بعقم المقاومة فيغادرها أكثرهم إلى الجبال والغابات النائية ، وتوالي القوات المصرية تقدمها بدون مقاومة فتحرق وادي جازان من الجبل إلى البحر وتدمر وتخرب وتنهب ما وجدت وتعود إلى قواعدها بزبيد .

مقتل الأمير عز الدين :

قام الانقلاب الذي أشرنا إليه في الفصل الخاص بتاريخ الجراكسة فطوح بالإسكندر الناقم على خطة الأمير عز الدين ، وقد أودى ذلك الانقلاب بحياة الاسكندر فتنفس عز الدين الصعداء وكان له في نفس الحملة المصرية أصدقاء يعطفون على قضيته ويؤيدون رأيه وقد يكون كمال الرومي الذي

---

(١) نشرنا بحثاً في مجلة « اليمامة » الغراء يتضمن ترجمة وأشعار الجراح ابن شاجر ـ وهو فصل من الكتاب الذي نحضر مواده باسم التاريخ الأدبي للمخلاف السليماني ، وسيطبع قريباً بحوله تعالى .

نصبه الثائرون ممن يعطفون على الأمير بيد أن مدة كمال الرومي لم تطل زيادة عن عامين ونصف فخلفه الشخص المسمى الطويل وكان نصيبه الخلع كما أوضحنا ، وحل في منصبه الإسكندر شولي ، وهذا كان على معرفة واتصال شخصي بالأمير ، والإسكندر شولي هو الذي استنجد بالأمير عز الدين كما سبق ، وفي آخر الأمر اختلف معه وقتل الأمير في المعركة التي نشبت بينهما بين بيت الفقيه وزبيد ـ كما نقلت الرواية عن تاريخ الواسطي في العقيق اليماني ـ وكانت المعركة في عام ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م .

الأمير محمد بن يحيي القطبي :

بعد رجوع الجيش الذي استصحبه الأمير عز الدين من زبيد إلى جازان اختلفت أسرة القطبي في من يتولى الإمارة وبعد تفاقم الأمر تنازل أكثرهم وانحصر الخلاف بين الأميرين محمد بن يحيي وأحمد بن المهدي وبعد مناوشات بينهما استقام الأمر أخيراً لمحمد بن يحيي في شهر جمادي الأولى عام ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م .

وفاة شيخ الإسلام في تهامة :

في عام ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م توفي شيخ الإسلام القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن القاضي أبي المحاسن بن محمد المزجد بفتح الزاي المعجمة وتشديد الجيم المعجمة ، كان رحمه الله حجة في فقه الشافعية وله المؤلفات الجليلة التي من أشهرها كتاب « العباب المحيط بنصوص الشافعي والأصحاب » والذي يروى أن علماء مصر والشام في وقته أجمعوا أنه لم يصنف مثله في حسن ترتيبه وجمعه وتبويبه ، مكث في تأليفه وتهذيبه عشر سنين وهو القائل فيه :

ألا إن العباب أجل سفر ... من الكتب القديمة والجديدة
كتاباً قد تعبت عليه دهري ... وخضت لجمعه كتباً عديدة
وقربت القضاء لطالبيه ... وقد كانت مسافته بعيدة
وغصت على الخبايا في الزوايا ... فها هي فيه بارزة عتيدة
وكنت ركضت فيه جياد فكري ... ومرت لي به مدد مديدة

إلـى أن بلــغ الــرحمـــن مني
مــرادي مـن مــواهــبه الــحـمـيــدة

وكان رحمه الله على تضلعه وسعة معارفه متقللا من الدنيا إذا غسل ثوبه لا يجد غيره ، ومع ذلك لا يعلم حقيقة حاله إلا القليل وله بيتان مشهوران يشهدان بصدق حاله وهما :

أمــا والله لولا ضنــك عيش	وعــول ما وجــدت لهـم كفــاية
لمــا فارقت عشى طول دهــري	ولا أشــغـفــت يومــاً بالــولاية

مكث الأمير محمد بن يحيي في إمارته ، وكان يدفع الخراج المقرر لإدارة زبيد سنوياً إلى عام ٩٣٤ هـ/ ١٥٢٧ م فتخلف عن بعثه فاستغل ذلك منافسه أحمد بن المهـدي ـ المقيم في زبيد ـ فأخذ في تجسيم الإشاعة عن مخالفته لإدارة زبيد وخروجه عن الطاعة وجد في الكيد له والوشاية عليه عند الوالي سليمان .

شعر محمد بن يحيى بكيد منافسه فأحب أن يحبط كيده فبعث بهدية من الخيل والتحف للوالي سليمان فتقبل الهدية وصرف النظر عنه وقتاً بيد أن منافسه لم يتوان في موالاة الإغراء ومتابعة التأليب عليه في كل فرصة ولا يألو جهداً في إغراء قلب الـوالي وتحـذيره وأنـه لم يقدم الهدية إلا تخديراً وخدعة ليشغله لبينما يستكمل استعـداده وتتم أهبتـه مما أوجب الوالي إلى التيقظ والرغبة في سبر غوره ومعرفة حقيقته فأرسل رسولا إلى الأمير محمد بن يحيى ليكشف له الحال ، وزود الرسول بكتاب يتضمن طلب عدد من الخيل ويلوح باستعداده بإرسال القيمة .

وصل الرسول إلى الأمير محمد بن يحيى فقابله بعدم الاكتراث وقلة المبالاة ، وبعـد إقـامتـه وقتـاً صرفـه معتـذراً بقلة وجـود الخيل في جهته ، وقال له : قل لصاحبك : ليس له عندنا طاعة ولا مخالفة فإن تركنا تركناه وإن قصدنا قصدناه .

عاد الـرسـول إلى زبيد وأبلغ سليمـان منطوق الرسالة وأخبره بنتيجة تحرياته فثـارت ثائرة الأمير سليمان وفي التوّ استدعى أحمد بن المهدي وأظهر له الرضا

وأطلعه على بعض ما أسفرت عنه مهمة رسوله ، فقال له : هذا يحقق صدق نصحي وحقيقة إخلاصي ويوضح لكم سوء نواياه ، والرأي أن تبادره بالقتال قبل أن يستكمل أهبته ويصبح خطراً عليك يصعب تلافيه وأرجو منك ألا تقبل له عذراً أو تبرم معه صلحاً بعد نهوضك إليه فإنه خدعة لا يتورع إن رآك مقبلا ولم يتم استعداده أن يذعن ظاهراً حتى ترحل عنه ثم يعود لمخالفته عليك .

تجهز سليمان على رأس قواته إلى جازان فتلقاه الأمير محمد بن يحيى على رأس من استطاع حشدهم والتقى الجمعان في يوم ١٢ ربيع الأول عام ٩٢٤ هـ/ ١٥١٨ م بموضع يسمى القرن قريباً من المدب ، فأسفرت المعركة عن قتل الأمير محمد بن يحيى وهزيمة جيشه فتقدم سليمان إلى جازان وولى الإمارة حليفه أحمد بن المهدي بعد أن اشترط عليه لزوم الطاعة ودفع الخراج المقرر والمنكسر من عهدة سلفه .

أحمد بن المهدي :

تولى أحمد بن المهدي إمارة جازان في ربيع الأول ٩٣٤ هـ/ ١٥٢٧ م ولم يلبث إلا يسيراً حتى طالبه سليمان بالخراج المنكسر من عهدة سلفه فماطل وقتاً ولما شعر بالإلحاح رفض الطلب وأعلن استقلاله عن إدارة زبيد ؛ وبعد مكاتبات ووسائط لم تكلل بالنجاح ، تجهز سليمان من زبيد لإخضاعه .

وصل سليمان إلى أبي عريش على رأس حملته الحربية ، ومنها بعث الرسل إلى أحمد بن المهدي يحذره وينذره ويطالبه بدفع الخراج المنكسر والوفاء بما اشترط عليه فعادت الرسل بغير النتيجة المرتجاة ، تقدم سليمان إلى « درب النجا » مدينة آل القطبي ونشب القتال وبعد معارك حامية قتل الأمير أحمد بن المهدي وتقدم سليمان إلى المدينة ونهب جميع ما احتوته من الأسلحة والذخائر والأموال ، وأمر جيشه بتدميرها وأحرق جميع قرى جازان إلى البحر وقضى على إمارة القطبة كلها وعاد إلى زبيد ، ومن هناك بعث ابن أخيه المدعو مصطفى بيرم أميراً لجازان .

الإمـــارة القطبيـــة الثـــانيـة

إمارة عامر بن يوسف العزيزي في عام ٩٣٥ هـ/ ١٥٢٩ م :

بعد رحيل المدير مصطفى بيرم عن مقاطعة جازان اختل الأمن واضطربت الأمور وسادت الفوضى فأجمع رأي أعيان ووجهاء المخلاف على تأمير أحد الأسرة القطبية (عامر بن عبد العزيز) وتوجه وفد منهم إلى الدحن ـ بكسر الحاء المهملة ـ وعرض عليه تولي الإمارة فوافق ونزل معهم إلى أبي عريش وباستلامه مقاليد الأمور استقرت الأحوال ، وساعد الحظ باشتغال مصطفى بيرم عنه بحوادث اليمن ومناضلته لقتلة خاله ومنافسيه على الإمارة العامة .

ازدهرت مدينة أبي عريش في عهده واتسع عمرانها وعم الرخاء البلاد ولم يكدر من صفو عهده إلا حسد أقرباه أبناء المهدي بن أحمد فأخذوا في المجاهرة في منافسته على الإمارة ، وكان لهم من عطف الشعب على ما نال والدهم من المصير المحزن وكثرة الصنائع والأتباع ما أشعره بضعف مركزه أمامهم . فأخذ يعوض هذا النقص بالإكثار من اقتناء العبيد المجلوبين من السودان حتى بلغ عددهم ستمائة مملوك ، ووسع عليهم في الأرزاق ودججهم بالأسلحة وأطلق لهم العنان فتصرفوا في شئون الإمارة فاستشرى بهم البطر وعاثوا في البلاد فساداً ، فضج الشعب من شرورهم واختل الأمن ونجمت الفتن .

أطمعت الفـوضى الضاربة أطنابها أضداده من أمراء حلي وحليفهم أمير مكة أبا نمي بن بركات وشعر عامر بن يوسف بالخطر يهدده فأحب أن يؤمن جهته من ناحية الأتراك فبعث في عام ٩٣٨ هـ/ ١٥٣٢ م وفداً إلى زبيد برئاسة المهدي بن الهادي وغيره من آل الحكمي وصحبتهم الهدايا النفيسة من الخيل والمال ، فقام الوفد بمهمته وتوفق إلى إصلاح الشأن وإزالة سوء التفاهم .

هجـــوم أمـير حَلي على المخـــلاف :

شعـــر أمير حلي بالتـــدابير التي قام بهـا والاتصـالات التي تمت بينـه وبين

الاسكندر والي زبيد التركي وتجديد العلاقات ، فتريث وقتاً يتحين الفرصة المناسبة حتى عام ٩٤٠ هـ/ ١٥٣٣ م فتحرك على رأس قواته ووالى تقدمه وبدون مقاومة تذكر لأن الأمير عامر انسحب من أبي عريش إلى جازان الأعلى فأفسح الطريق أمام خصمه ليتوغل إلى داخلية البلاد .

والى الأمير قيس تقدمه حتى دخل مدينة أبي عريش واستجم أياماً ، ثم تحرك إلى جازان الأعلا تاركاً في أبي عريش أثقاله وأهله مستخفاً بقوة دفاع خصمه ظاناً سهولة القضاء عليه وعودته به أسيراً في ركابه .

أشرف الأمير قيس على مدينة جازان الأعلا ، وكله أمل في القضاء على تلك القوة التي تحصنت داخل المدينة ، ففاجأته تلك القوات التي تنتظر وصوله متحفزة لتثأر لشرفها المثلوم من التعديات المتكررة - وقابلته بهجوم مفاجىء شتت شمل قواته وطاردها مهزومة أمامه ، فولى الأمير قيس لا يلوى على شيء وبلغ به الهلع والخوف إلى سلوك طريق الحازّة عائداً إلى « حلى » تاركا في أبي عريش أثقاله ومخيمه وزوجته ليقعوا غنيمة باردة في يد عدوه .

وأقبل المطاردون واستولوا على المخيم فخرج المهدي الهادي الحكمي وأخذ زوجة الأمير قيس إلى داره وأجارها في وجهه ومكثت في جواره إلى أن حال الحول ، فجهزها مع الحجيج إلى وطنها معززة مكرمة .

غزوة الأمير قيس الثانية :

أخذ منذ أن عاد إلى حلي يفكر في غسل عار تلك الهزيمة وأخيراً اتصل بأمير مكة وراح يرغبه في الإستيلاء على المخلاف ويهون عليه أمر صاحبه حتى تمكن من إقناعه في إمداده بقوة من رجاله وحشد أمير حلي كل من تمكن من حشده وسار إلى المخلاف على عامر بن يوسف ، بتقدم الأمير قيس أخذ في الاستعداد والتأهب وتقدم لملاقاته وهزمه شر هزيمة وعاد ظافراً .

غزو أمير مكة لجازان :

لم تهن على أمير مكة أبي نمي هزيمة حليفه وجاره ، فأخذ في التأهب لغزو جازان بنفسه وفي عام ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م تقدم من مكة حتى إذا وصل إلى بيش توقف وبعث وفداً إلى الأمير عامر يعرض عليه الشروط الآتية :

١ ـ إعلان الطاعة .

٢ ـ تقديم الترضية وطلب العفو عما سبق منه على جيشه المرافق للأمير قيس .

٣ ـ تقرير دفع ضريبة سنوية .

رفض الأمير عامر تلك الشروط بكل شمم وعاد الوفد إلى أبي نمي برفضه فتقدم أبـو نمي واستولى على مدينة جازان الأعلا المشهورة بدرب النجاء مدينة الأمراء القطبية وهدم قلعتها المسماة الثريا وعاد إلى أبي عريش فأقام به بقية عام ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م وكر راجعاً إلى الحجاز . انسحب الأمير عامر مهزوماً إلى « الحُقَار » ومنه توجه إلى زبيد إلى الناخوذه أحمد وأقام لديه إلى نهاية عام ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م وكأنه لم يجد منه مساعدة ، فرحل إلى الإمام شرف الدين فأكرم وفادته وكتب له أمراً إلى ابنه الأمير عز الدين والي صعدة لمساعدته بقوة من رجاله لاستعادة الأمير لإمارته .

عــــودة الأمـــير إلــى المخـــلاف :

بوصوله إلى صعدة جهز معه الأمير عز الدين حملة قوية بقيادة قاسم بن عاهم وابن شربـه وصادف نزول الحملة في الوقت الذي غادر أبو نمي المخلاف فلم يتمكن نائبه من القيام بواجب الدفاع بل رحل حال ما سمع بدنو الحملة .

تقدمت الحملة الإمامية بدون مقاومة يمهد لها السبيل اسم الأمير عامر الذي يعتبره المخلاف أميره الشرعي ـ حتى دخلت مدينة أبي عريش في رجب ٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧ م .

وبدخولها إلى أبي عريش أقبل وجهاء وأعيان المخلاف أفواجاً أفواجاً على الأمير عامر مبدين من ضروب الحفاوة والابتهاج ما أجج نار الحسد وألهب لظى الغيرة في قلب القائدين فتآمرا على قتله وبعثا من يغتاله ليلا في قصر الإمارة فأصبح مقتولا على فراشه فجهزه آل الحكمي وواروا جثمانه في مقبرة أبي عريش .

الجـــراكسة المصريـــــون

أشرنا فيما تقدم إلى ما ذكره صاحب « العقيق اليماني » من اتصال أمير جازان بقانصوه الغوري ، وطلبه بعث قوة إلى جنوب الجزيرة ، إلخ . .

وتلى ذلك أو سبقه استنجاد سلطان اليمن عامر الطاهري بقانصوه من الإفرنج البرتغاليين ، وتعدياتهم بالسلب والنهب والعيث في شواطيء البحر الأحمر ، وما رفعه ملوك الهند المسلمون من طلب بعث قوات لمساعدتهم ضد أولئك الإفرنج .

وعلى ذلك وما قد سبق في مظان التأريخ ـ سابقاً ـ من اتصال وعلاقة الدولة الفاطمية بالصليحي وخلفائه ، ثم بعث صلاح الدين الأيوبي قوات إلى جنوب الجزيرة فليس الآن هناك ما يمنع قانصوه من الظهور بمظهر البطل الإسلامي والاقتداء بصلاح الدين الأيوبي وإعادة أمجاد الدولة الأيوبية ، وتوسيع مجال مصر الحيوي ونفوذها السياسي ، والتحصن ضد الزحف التركي المتطلع لوراثة الخلافة ، التي تحتضنها مصر آنذاك صورياً بوجود الخليفة العباسي الأسمى لديها ، واستغلال اسمه لمد سلطانها وتوسيع نفوذها واستقطاب المسلمين تحت اسم الخلافة ، ما دامت الفرصة سانحة والطلبات تترى من ملوك وأمراء المسلمين من جنوب الجزيرة والهند بطلب المساعدة ضد عدو من الإفرنج .

لذلك جميعه فقد اتصل قانصوه بالسلطان العثماني الذي كان أقوى دولة آنذاك ويملك أحدث الأسلحة الجديدة والفتاكة والذي كان مشغولا بالجهاد المقدس في أوروبا أكثر منه بآسيا ، وفي ذلك ما يرفع قانصوه في نظره ويطمئنه أن في ملوك المسلمين من يحيي سنة الجهاد وفريضة القتال في سبيل الله .

وفعلا حظى ببعض الرضا والمساعدة بالأسلحة النارية من السلطان العثماني ـ آنذاك ـ وبطبيعة الحال إن في ذلك ما يكمل قوته ويزيد في قدرته القتالية ، ويحقق أهدافه ومطامحه البعيدة .

الحـالة السيـاسية :

كان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري قد آل إليه ملك اليمن كما أسلفنا قبلُ ـ واستطاع بدهائه القضاء على الثورات الداخلية وبدأ في الضغط على سلطة الأمراء المحليين الذين كانوا يتمتعون بكامل السيطرة على جهاتهم لضعف الإدارة المركزية العامة تارة ولتساهل من سبقه أخرى نظراً لمقتضيات سياسة الوقت والاكتفاء بالمظهر الاسمي ، ما دام يؤدي لهم ولو بعض الخراج ويخطب بأسمائهم على المنابـر بيد أن دهاء السلطان عبد الوهاب أطمعه في أن يضع حدًّا لتلك الإقطاعيات ، وعدا ذلك فقد شدد الضغط ووالى الهجوم وضيق الخناق على إمام الزيدية الإمام شرف الدين الذي اتصل بدوره بالجراكسة في كمران وطلب منهم التقـدم واستعـد لمسـاعـدتهم في القضـاء على الـدولة الطاهرية ، وهكذا أتيح للجراكسة من المساعدة الداخلية في القضاء على الدولة الطاهرية ما أطمع المغير وسهل مهمته وجر الويلات على اليمن مما ستقرأه موضحاً .

حسين الكـردي والحمـلة الجـركسية المصـرية :

أشـرنـا إلى طلب كل من السلطان عامـر وأمير جازان وسلطان كجـرات إلى السلطان قانصوه الغوري ملك مصر ـ النجدة لمحاربة البرتغال الذين يعيثون سلباً ونهباً وسبياً في البحر الأحمر واحتلالهم جزيرة أم قشم وسقطرة ويريم وغيرها ، في الخليج والمحيط .

جهز السلطان قانصوه أسطولا مكوناً من نحو خمسين سفينة مسلحة بالمدافع والأسلحة النارية وشحنه بالمقاتلة من (اللوند [1]) تحت إمرة سلمان الرئيس وأسند القيادة العامة لحسين الكردي من كبار قواده بعد أن ولاه نيابة مدينة (جدة) وذلك في سنة ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م .

فوصل « جدة » وحصنها بسور قويٍّ ، سخر في بنايته الأهالي إلى أن أتمه ثم

---

(١) اللوند : هم من الجنس التركي وجاء في صحيفة ٤٢ من البرق اليماني عند ذكر تجهز الأمير سلمان قوله : وكتب له من اللوند الأتراك أربعة آلاف مقاتل .

توجه بالأسطول إلى الهند فوصل إلى « ديو » واجتمع مع السلطان (مظفر شاه) ووجـد منـه التجـاوب والتعـاون الإسلامي ضد البرتغال مما اضطر البرتغال إلى الانسحاب إلى (كوه) واكتفى من مهمته بذلك وعاد .

وصـل إلى جزيرة (كمران) بحملته ومعه الرئيس (سَلْمَان) ومنها بعث إلى السلطان عامر يطالبه بتأمين أرزاق الحملة التي يرى قائدها أنهم وصلوا حسب طلب السلطان عامر الذي استنجد بقانصوه من البرتغال وأرفق مع رسوله هدية سنية ، وبـوصـول الرسول والرسالة والهدية أراد السلطان أن يمده بالأرزاق ويتعاون معه فنصحه وزيره بأن ما يقدمه الآن من الأرزاق سيكون بمنزلة الخراج الذي يلزمه دفعه كل سنة ، فامتنع السلطان من إمداده بالأرزاق فتوترت العلاقات بينهما .

علم الإمام شرف الدين فاتصل بـ (حسين الكردي) فزاد النار وقوداً وبعث إليه وفداً للتفاهم والتعاون ضد السلطان ، وكذلك اتصل به (المهدي ابن أحمد) أمير جازان الـذي هو على علاقة مسبقة مع قانصوه فأيدهم بجيش بقيادة أخيه الأمير عز الـدين رافقهم إلى زبيد . ووفـد على (حسين الكـردي) صاحب مدينـة (اللحيَّة) الفقيه (أبوبكر بن مقبول) فخلع عليه فتعهد له بتأمين الميرة وتسهيل نزولهم إلى بلده والتقدم معه لغزو بلاد السلطان عامر .

كان لدى السلطان عامر جيش قوي وإنما لم تعرف الأسلحة النارية آنذاك في اليمن وتهامة وفي أول معركة أطلق الجراكسة قذائف مدافعهم ورصاص بنادقهم انهـزم السلطان وجيشـه وتعقبهم الغـزاة إلى أن احتلوا مدينة زبيد وساعدهم في حروبهم مع السلطان من أرسلهم الإمام شرف الدين من الزيدية ، وكان احتلالهم مدينة زبيد في عشر جمادي الأولى سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م .

- راجع الفصل الخاص بالدولة الطاهرية قبل -

ثم سار إلى عدن في الأسطول ومعه سلمان الرئيس - بعد أن ولى - على مدينة زبيد الأمير (برسباي) .

توجـه حسين الكـردي - كمـا أشـرنـا - إلى عدن وهـاجمهـا فامتنعت عليه

فأخذ ما وجده في فرضتها وأبحر يوم السبت الموافق ١١ رجب ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م إلى جدة بما استولى عليه من أموال الناس وظل حاكما بها إلى أن استولى الأتراك على مصر ، فصدر أمر السلطان سليم الأول إلى شريف مكة بقتل حسين الكردي فنفذ الأمر بإغراقه في خارج مياه جدة وذلك في سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م تقريباً .

برسبـــاي :

بعودة حسين الكردي إلى جدة بقي (برسباي) ومن معه من الجراكسة في تهامة اليمن فسار من زبيد إلى تعز ومعه جيش مؤلف من الجراكسة والأتراك والمغاربة وفرقة من الزيدية وفرقة من جيش أمير جازان فوصل إلى تعز في ٦ شهر صفر ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م فانسحب السلطان عامر بدون قتال إلى جهة « إب » فدخل برسباي تعز واستباحها ثم سار إلى (المقرانة) فدخلها واستولى على خزائن السلطان عامر واستباحها وأبقى فيها نائباً يسمى « اسكندر » وخرج لجهة (صنعا) والتقى بالسلطان عامر فهزم جيشه وقتله وأسر أبناءَهُ وذلك في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م .

وتقدم إلى صنعاء فأخذها عنوة ونهب ما وجده من أموال وما صادره على تجارها وأضافه إلى ما استولى عليه من خزائن السلطان ومن تعز وغيرها وبعد إقامة شهرين تحرك راجعاً إلى زبيد ترافقه ثمانية آلاف جمل مثقلة بالغنائم الحرام التي استولى عليها خاصة من النقود والذخائر والحلي والمجوهرات والأثاث الملوكي التي استولى عليها الملوك الطاهريون من ملوك الدولة الرسولية التي استمر سلطانها مائتي سنة ، سار بجيشه وأثقاله وغنائمه فلما توسط المضيق خرج عليه (بنو حبيش) ومن لف لفهم من العربان وقتلوه وقادة جيشه واستولوا على جميع تلك الغنائم ومن سلم من العسكر نجي برأسه ، ووصل فلّهم إلى زبيد في جمادى الآخرة سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م .

الأمـير إسكنـدر المخضرم :

بعد أمور يطول شرحها تولى ولاية اليمن إسكندر المخضرم ووصلته بعثة عثمانية تطالبه بالدخول في طاعة السلطان فأذعن لهم وتَزَيَّا بزيهم وقلدهم في

كل شيء ولهذا فقد قال الواسطي [1] صاحب الأرجوزة التي نظم فيها تاريخ تلك الفترة :

ومن هنا إسكندر تروما وصار في دولته مخضرماً .

بيد أن الجيش المصري الجركسي لم ينظر ـ بعين الرضا ـ إلى هذا الإذعان الظاهري فتنكر لقائده وكاد أن يعلن العصيان ـ لولا أن القائد كان على جانب من الدهاء فعمل على إحضار أكثر القادة في مؤتمر خاص ، وأظهر لهم أنه لم يفعل ذلك إلا عملا بمقتضى ما يستدعيه الموقف لأن مصر نفسها أصبحت مقاطعة عثمانية ومع ذلك فهو لا يزال على رأيهم ، وأن الحكم في تهامة اليمن واليمن الأسفل بأيديهم لا بأيدي الأتراك .

ويظهر من مجريات الحوادث أن الجراكسة قبلوا اعتذاره ظاهرياً وأخذوا في العمل ضده سراً حتى تمكنوا من إحكام تدبيرهم الذي انتهى في عام ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠ م بالهجوم عليه وقتله وإسناد الأمر إلى شخص منهم يسمى كمال الرومي .

ولاية كمـال الرومي :

أقام في الولاية سنتين ونصفاً ـ تقريباً ـ ثم ثار عليه مؤيدوه بالأمس وقتلوه ، وولوا في مكانه شخصاً منهم يسمى « علي بك الطويل » .

خلف عليٌّ « كمال الرومي » ولم تطل مدته ففي نفس سنة توليه ثار عليه الجراكسة ، وولوا شخصاً منهم اسمه اسكندر شولي .

حسين الثاني والي جدة :

الأمير حسين الثاني نائب جدة تركي الأصل ممن رافقوا السلطان سليم إلى مصر ولاه خيري بك والي مصر نيابة جدة بعد وفاة نائبها الأمير قاسم الشرواني .

وصل من مصر بوظيفة نائب لجدة فشاهد في فرضتها ومستودعاتها عدداً من المراكب والمدافع والآلات الحربية التي كان جهزها السلطان الغوري سلطان مصر السابق مع حسين الكردي لحرب البرتغال فتقدم بها إلى الهند

---

(١) « الواسطي » نسبة إلى قرية « واسط » : من قرى زبيد له تأريخ منظوم لتلك الفترة .

ثم عاد بها إلى تهامة اليمن ـ كما أشرنا قبل هذا ـ ثم رجع بها معه إلى جدة .

ولما علم هذا بحالة الجراكسة في تهامة اليمن من الفوضى والاختلافات بينهم واستبدادهم بتهامة اليمن رفع إلى والي مصر (خيري بك) يستأذنه في التوجه إلى تهامة اليمن للقضاء عليهم فوردته الموافقة ، فتوجه من جدة بحراً في سنة ست وعشرين وتسعمائة .

وصل إلى جهة زبيد فهم الأمير اسكندر للتصدي لقتاله فعاد إلى جدة .

قتل إسكندر المخضرم وولاية كمال بك الرومي :

وصـل كمال الرومي إلى تهامة اليمن من مصر مع حملة (سلمان الريس) ـ المتقـدم ذكـره ـ وظـل يترقى بها إلى أن تآمر الجراكسة على اسكندر المخضرم فاستعد للقيام بتنفيذ المأمورية وفي اليوم المتفق على التنفيذ دخل على اسكندر المخضرم واستأذنه في الاختلاء به وعندما اختلى به قطع رأسه وأعلن للعموم أن اسكندر كان ضد السلطنة ومنع رسول السلطان الأمير حسين المتعمد بولاية تهامة واليمن الأسفـل ، إلى غير ذلـك من المبـررات الزائفة وكان ذلك في سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

وتولى الولاية بعده وخطب للسلطان سليمان ، في زبيد ونواحيها ، وكان المتولي لأمر تعز الأمير رمضان ، تحت إمرته وبعد مضي سنتين ونصف على توليه تآمر عليه مؤيدوه بالأمس وقتلوه وولوا شخصاً آخر يسمى (علي بك الطويل) . ـ كما سبق الإلماع إلى ذلك قبل هذا ـ

تولى الـطويل الأمـر ولم تطل مدتـه ففي نفس تلك السنـة ثار عليه زمـلاؤه وولـوا القيادة قائداً آخر يسمى (اسكندر شولي) وذلك سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م . ـ كمـا أشـرنـا قبـل ـ وكـان في زبيد واليمن الأسفـل عسـاكـر من (اللونـد) يتـطلع قادتهم إلى الحكم فثـاروا على الأمير الـطويل ، وقتلوه ـ كمـا أسلفنـا ـ وولـوا واحـداً يسمى (اسكنـدر شولي) كمـا سار جمـاعـة منهم إلى تعـز وقتلوا محـافظها (رمضان) وولوا شخصاً منهم وذلك في شهر صفر ٩٣٠هـ/١٥٢٤م وخـطبـوا على المنـابـر للسلطان سليمـان وبعده للإسكندر ، وكانت الحالة غير

مستقرة والفوضى ضاربة أطنابها فصادر أموال الناس وسامهم أصناف الذل والهوان ، ومع ذلك فأمرهم لا يتجاوز المدن ، والقبائل العربية من أهل البلاد تتولى أمر البوادي وقطع الطرقات وتخيف السبل .

عودة سَلْمان الريس إلى اليمن للمرة الثانية :

وصل سلمان من (مصر) إلى (مكة) في أثناء فتنة وعصيان (أحمد باشا) ثم سار من مكة إلى (جدة) وتفاهم مع نائبها الأمير حسين الرومي على قتال الجراكسة واللوند في تهامة اليمن ، وشجعهما على التنفيذ ما يوجد في (جدة) من المراكب والذخائر التي عادت مع الأمير حسين الكردي إلى (جدة) بعد غزوته إلى الهند . ثم تجهز واستقلها إلى تهامة اليمن حسين الرومي - أيضاً - وعاد بها إلى « جدة » .

وفي تلك الأثناء استأنف البرتغاليون نشاطهم في البحرين الأحمر والعربي ، والمحيط وعادوا إلى التمركز في جزيرة كمران .

جمع سَلْمَان الريس وحسين الرومي العساكر الموجودة من جدة ومكة ورأسا الأسطول الموجود في ميناء جدة وأبحرا إلى كمران فطردا البرتغاليين منها وطارداهم في موانيء البحر الأحمر ثم توجها إلى ميناء زبيد (البقعة) .

وأرسلا إلى الإسكندر يطالبانه بالطاعة ، فطلب رؤساء الجند وأخبرهم بما وصله فاستعدوا للمقاومة والقتال فاتصل سرًّا بالقائدين وأخبرهما برغبته في الموافقة لولا تشدد الجند في القتال .

علم القائدان ، أن قوتهما لا تمكنهما من التغلب على القوات التي في (زبيد) فبعثا إلى قبيلتي (يافع) و (المهرة) يطلبان منهم مرتزقة .

كما كتبا لأمير جازان يطلبان مساعدته بقوة يقودها هو نفسه وبوصول المرتزقة وأمير جازان اتفقوا على ما يأتي :

١ - أن يقف (حسين الرومي) مع احتياطي الجيش في الأسطول لحماية المؤخرة .

٢ - أن يتقدم سلمان الرِّيس ببقية الجيش والمرتزقة وأمير جازان وجيشه على زبيد .

علم اسكَندر وجيشه بتقدم تلك القوات فتقدم لقتالهم فانهزم ودخل مدينة زبيد فتقدم الجيش وضرب نطاق الحصار على المدينة وضايقها حتى أرغم المحاصرين على طلب الأمان .

عندها طلب سلمان من أمير جازان الوقوف بجيشه خارج المدينة لحماية ظهره بحجة خوفه من الغدر وضمن له قسمه من الغنائم .

وبدخوله زبيد استولى على الغنائم ولم يفِ لأمير جازان بالشرط بإعطائه نصيبه ، فنشب القتال بين أمير جازان (عز الدين بن أحمد) و (سَلْمَان الرِّيِّس) ورجحت كفة الأمير عز الدين إلا أن استعجال أصحابه للحصول على النهب والسلب مكَّن سَلْمَان من هجوم مضاد أسفر عن قتل الأمير الجيزاني وهزيمة جيشه .

فعاد سَلْمَان إلى زبيد وأخذ في مصادرة التجار ومضايقة الأهالي وسومهم الذل ، فثاروا ضده فاستدعى (الأمير حسين) لتهدئة الحالة فأخذ الأمير حسين في استرضاء الأهالي واستمالتهم والتقرب إليهم فاجتنبوا (الأمير سلمان) ومالوا إلى (حسين) وشعر (سلمان) بقوة مركز الأمير حسين ومحبة الناس وإقبالهم عليه فخاف وترك زبيد وركب بعض قطع الأسطول وتوجه فارًّا إلى مصر وذلك في شهر رجب سنة ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م .

وفاة حسين الرومي :

وصف الأمير حسين الرومي بحسن السيرة والرفق بالرعية ، وإنما لم تطل مدته أكثر من نحو سنتين تقريباً وتوفاه الله في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة بعد مرض لازمه ، ووصية سجلها بإنابة مصطفى الرومي على البلاد .

وصول سلمان الريس للمرة الثالثة :

وصل سَلْمَان إلى مصر وصادف فيها وصول رئيس الوزراء إبراهيم باشا إلى مصر فاتصل به وشكى إليه من زميله حسين الرومي وأخذ في إغراء الوزير

والوشاية به ورغبته في استخلاص اليمن وقتال الإفرنج البرتغال الذين يعيثون فساداً في البحر فانتدب معه أربعة آلاف من (اللوند الأتراك) وأسطولاً من السفن فأبحر إلى جدة فوصلها في شهر رمضان ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٥ م يرافقه قائد للقوات اسمه (خير الدين حمزة) فمكث بها إلى أن حج وتوجه إلى تهامة اليمن فوصله بعد وفاة الأمير حسين .

الحــــرب :

بعث الأمير مصطفى رسولا إلى سَلْمَان الريس يستفسر عن أسباب قدومه فأجاب الرسول أن السلطان عين (الأمير خير الدين) والياً على اليمن وأن عليه أن يسلمه البلاد ويسلم نفسه لتجهيزه إلى الأستانة ، وبعودة الرسول فهم مصطفى أنه إن سلم نفسه قتله (سَلْمَان) فاستمال الجند الذي لديه وأجزل لهم العطاء فالتفوا حوله وأيدوه فأخذ في استمالة جماعة من (اللوند) الذين وصلوا مع سَلْمَان وبذل لهم جزيل العطاء وأغراهم بالمال فالتحقوا به إلا الأقل فخرج من مدينة زبيد إلى جهة (الصليف) والتحم القتال بينهم فهزم مصطفى واستمر في هزيمته إلى جهة (عدن) وبهزيمته انضم عسكره إلى (سَلْمَان) فاستولى على مدينة (زبيد) وكانت مقر الولاية ـ آنذاك ـ فصادر أموال أهل المدينة وأقام بها حاكما اسمه يونس ، وسار إلى تعز فقتل أميرها ثم سار إلى جهة (إب) و (جبلة) ونهب أموال أهل البلدين .

وكان شخص من (اللوند) يدعى (ابن حمزة) في (الزيدية) فثار عليه الأهالي فهرب ناجياً بنفسه فوصل سَلْمَان واستولى على أمواله .

فالتجأ ابن حمزة إلى حاكم بيت الفقيه (علي القرماني) واتفق رأيهما على التوجه إلى زبيد فسارا بقوة وأخذا المدينة وطردا الأمير يونس نائب سلمان فأقبل سلمان بقوته واقتحم عليهما المدينة ، وأخذ في قتل من ظفر به وسمل أعين البعض وفر البعض إلى الالتحاق بمصطفى في عدن فاشتد ساعد مصطفى بهم ، وخرج من عدن لقتال سَلْمَان .

وعندما علم سلمان بذلك سار لقتاله والتقى الجيشان في (التربية) فهزم

مصطفى وفر فلحقه وقتله سلمان وأسر ابن حمزة فسمل عينيه كما سمل وقتل أغلب عسكر مصطفى ، وانفرد بالأمر وذلك في سنة أربع وثلاثين وتسعمائة .

المخــلاف السليمــاني وسلمــان الريس :

كان من ضمن توسع النفوذ المصري الجركسي أولا والعثماني ثانياً امتداد نفوذها على المخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ كسائر جنوب الجزيرة العربية إلا ما قل أو بعد في الصياصي والجبال ، ومع أن أمراء جازان ساعدوا الحملة الجركسية ـ كما تقدم ـ فلم يكفيهم غزو المنطقة وقتل غير واحد من أمرائها ـ آنذاك ـ فقد غزاها اسكندر المخضرم كما غزاها سلمان الريّس في إمارته الأولى وغزاها أيضاً في إمارته الثانية وأقام ابن أخته مصطفى بن بيرم أميراً على المنطقة وربطها مباشرة بسلطته في زبيد ـ راجع ما تقدم من أخبار الإمارة القطبية .

سلمــان وخــير الــدين :

كما وقع بين (سَلْمَان) و (حسين الرومي) ـ كما سبق الإشارة إليه ، وقع الآن بينه وبين زميله (خير الدين) فقد استأثر سَلْمَان لنفسه بكل نفوذ وسلطة وترك زميله صفراً على اليسار ، وكان في أول وصولهما الأمر شورى بينهما ، وإن كان خير الدين هو قائد عموم الحملة ، أما سَلْمَان فهو قائد الأسطول فقط ، فصبر خير الدين على مضض ، وإنما بعد انتصار سلمان في معركة التربية وقتل الأمير مصطفى استبد بالأمر ولم يبق لخير الدين أي اعتبار ، وعند ذلك أخذ في التآمر عليه سراً .

المــــؤامــرة :

أخـذ خير الـدين في حبـك مؤامـرة حصيفـة وسـرية ضد زميله (سَلْمَـان) وعنـدمـا سنحت الفرصة بتوجه (سَلْمَان) إلى موضع يعرف بجزيرة المجاملة ؟ بعث رؤساء المتآمرين معه للتنفيذ فساروا في سرعة وتصميم إلى جزيرة المجاملة فهجمـوا على مكـان (سَلْمَـان الـريس) وقـطعـوا رأسـه وأسـرعـوا في العـودة إلى الأمير خير الـدين ، فأرسـل خير الدين رؤساء المتآمرين معه مثل (القبطان

سنان) و (كريم الحلبي) و (بالي الحلبي) مع فرقة من العسكر إلى مدينة زبيد ، فاستولوا على المدينة وأسروا أصحاب سَلْمَان وجميع أتباعه بها في أول شهر شعبان **٩٣٥ هـ/ ١٥٢٨** م وبعد ثلاثة عشر يوماً اقتحم عليهم المدينة مصطفى بن بيرم وقتل القبطان سنان ومن معه .

راجع ما تقدم ، عن غزو (سلمان) منطقة (جازان) وقتله أمير جازان وإلغاء منصب الإمارة المحلية ، وإرسال ابن أخته (مصطفى بيرم) أميراً للمنطقة وربطها مباشرة بإدارته .

تحـــرك مصطفى بيرم من جازان :

بوصول خبر قتل (سلمان) إلى ابن أخته مصطفى بيرم ـ كما تقدم سار إلى زبيد واتصل بالخواجه (صقر) نائب خاله على السفن والأسلحة وهو من رجال سلمان المخلصين فاستوزره ، وتقدم وأخذ مدينة زبيد ـ كما أشرنا ـ .

القتـــــال :

بسقوط مدينة (زبيد) في يد مصطفى بيرم جمع خير الدين من استطاع من الموالين له من القوات وخرج للقتال ودارت المعركة على أشدها بين الطرفين فهُزم جيش (خير الدين) ففر (خير الدين) هارباً فتتبعه مصطفى وقتله بيده ، واستولى على جميع البلاد ، واستقر في مدينة زبيد ، وأخذ في مصادرة أموال وقتل من كان من أنصار خير الدين أو من ساعده من الأتراك والجراكسة والأهالي ، وجمع من الأموال الكثير بطريق المصادرة والسلب والنهب والتغريم وبجميع الوسائل ، وبذلك لم تستقر الأمور ، واللوند وأشياع خير الدين يتربصون به الدوائر ، ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه ، فأخذ في تدبير أمره للفرار ، فجمع أمواله وذخائره ، وما استطاع أخـذه من السلاح والمدافع ومن يلوذ به من أهله والمخلصين من رجال خاله ، وأناب عنه على البلاد (علي الرومي) من أصحابه المقربين وجعل معه مساعداً اسمه أحمد بك وتوجه إلى جزيرة (كمران) موريا أنه سوف يقوم ببناء قلعة حصينة

جديدة لدفع عادية الإفرنج البرتغاليين وتوجه مع البنائين ، وآلات البناء وبوصوله أمرهم بمباشرة وضع الأسس ، وعندما حان سفر رجوع المراكب إلى الهند شحن جميع أمواله وأسلحته وأهله ومن يتبعه في سفن الدولة التي وصل بها خاله سلمان الرئيس ومعه الخواجه صقر وسار إلى الهند وذلك في سنة ست وثلاثين وتسعمائة وظل في خدمة ملوك دلهي أولا ثم في خدمة همايون شاه آخراً إلى أن توفي سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م .

نيابة علي الرومي :

في سنة ٩٣٦ هـ/ ١٥٢٩ م ومصطفى بن بيرم كان والياً على الجهة قام الجراكسة واللوند بحركة عصيان يتزعمهم (اسكندر) الذي كان حاكما لوادي (سهام) و(ذؤال) من قبل مصطفى نفسه فهب (مصطفى) وهو في (كمران) بتجريد حملة لإخماد تلك الحركة فهزمت شر هزيمة ، وعندها تشجع المتآمرون وفت في عضد مصطفى فتعجل بسفره إلى الهند ـ كما أشرنا قبل ـ .

وعندما علم اسكندر برحيله سارع إلى التقدم على مدينة زبيد ودخلها عنوة فأذعنت له جميع تهامة اليمن .

الاسكندر موز :

بخضوع تهامة اليمن لطاعته تجهز لإخضاع اليمن الأسفل فتمكن من طرد رجال (مصطفى بيرم) من (تعز) و(التعكر) وغيرهما ، ومع ما يشيد به مؤلف البرق اليماني من حسن تدبيره وجميل سيرته فإن مؤرخي المنطقة تذكر عكس ذلك وتصفه بالنزعة الطورانية ، وأنه كان سفاكاً للدماء مبغضاً أشد البغض للعرب الذين بزغ نجم مجده في أفق سمائهم ، وساد وقاد في بلادهم بعد أن كان جندياً في عسكر الدولة العثمانية ، وقد بلغ من تعصبه الذميم أنه اقتنى من الموالي السود أعداداً كثيرة ، علاوة على أصحابه اللوند ، وسام العرب بهم الذل وأذاقهم مرارات المسكنة والهوان ومع ذلك فقد وصلته المراسيم السلطانية بتأييد ولايته التي استمر فيها ستة أعوام ونصفاً ، وفي أيامه قوي أمر الإمام شرف الدين واستفحل شأنه ، واستولى على كثير من

الجبال اليمنية ، وكان الاسكندر موز يدافع من موقع ضعف حتى أدركته الوفاة سنة ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م وأوصى بأن يخلفه ابنه القاصر تحت وصاية الناخوذة أحمد وهو رجل من قدماء الأتراك في الجهة .

ولاية الناخـــوذة أحمـــد بالوصـــاية :

هو من قدماء الأتراك الذين وصلوا إلى جنوب الجزيرة فتأثل من المال وجمع ثروة طائلة شأن كبـار رفقـائه الذين يجمعون المال بشتى الوسائل الحرام ، وكان من المتنفذين ، تقلب في وظائف الدولة محلياً ولما نَزَا اسكندر موز على الولاية تقرب منه حتى أصبح وزيره ومشيره وأقرب أصحابه إليه فأوصاه على ابنه وولايته .

وفي أيامه عظمت قوات الإمام شرف الدين وتكاثرت جيوشه فبعث قواته إلى مدينة زبيد فضرب عليها نطاق الحصار أياماً حتى تمكن الناخوذة أحمد من استقدام نجدات من جهات عدن وأنحاء تهامة والتحم القتال ضارياً بين المعسكرين فهزم جيش شرف الـدين منسحبـاً إلى القسم الجبلي وذلـك في آخـر سنة ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م . واستمر الناخوذة أحمد على الولاية حتى وصل سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م .

الفصل السابع

العهد الأول للأتراك في جنوب الجزيرة

في القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن العاشر الهجري امتدت فتوحات « البرتغال » إلى الهند وبذلك انصرفوا عن طريق مصر التي تنقل عن جهتها تجارة الهند إلى السويس ومنه إلى الإسكندرية لتبحر إلى أوربا عبر البحر الأبيض ، وصاروا يقصدون رأس الرجاء الصالح في المحيط الأطلنتيكي الأمر الذي أضر بمصالح تركيا الاقتصادية .

وكان قد سبق أن استولت تركيا في عهد السلطان سليم على مصر في عام ٩٢٤ هـ/ ١٥١٨ م ، وفي عام ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٣ م بناء لما سبق أمر السلطان العثماني واليه بمصر بإنشاء أسطول قوي في البحر الأحمر وإرسال حملة حربية بحرية من السويس لمحاربة البرتغاليين وإرغامهم على إعادة الطريق التجاري إلى مصر .

وصل الأسطول العثماني إلى عدن في ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م واستدعى قائده سليمان باشا أمير عدن عامر بن داود الطاهري لزيارة سفينة القيادة فلبى الأمير العربي الدعوة وصعد السفينة ، وقبل أن يستقر به المقام أمر القائد بقتله ونصب جثته على السارية ، ومن ثم أنزل جنوده فاستولت على عدن بدون قتال وتأثر كل من يمت إلى الأمير بقرابة قتلا .

بعد الاستيلاء على عدن بتلك الطريقة الغادرة أناب على إدارتها أحد ضباطه المسمى « بهرام » وأقلع أسطوله إلى الهند .

وبعد انقضاء مهمته ـ تلك المهمة التي لم تكلل بالنجاح نظراً لتخوف ملك الكجرات محمود بهادر شاه ، من غدره لما سبق من عمله الغادر مع أمير عدن مما أوجب محمود بهادر شاه مؤخراً للاتحاد مع البرتغاليين ضد القائد العثماني فانسحب هذا عائداً إلى عدن وبوصوله إليها كتب له ملك الشحر طالباً ضم بلاده إلى أملاك الدولة العثمانية .

أقلع القائد العثماني من عدن عائداً إلى مصر ماراً بسواحل اليمن .

ودخل ميناء « المخا » وطلب من الناخوذة أحمد ـ راجع أخبار الجراكسة ـ الدخول في التبعية العثمانية فلم يستجب لطلبه فأبحر إلى ميناء الصليف وأنزل بها قسما من جيشه بقيادة أحد مرافقيه المدعو « سنان » وأمره بالتقدم إلى زبيد فالتقاه الناخوذة أحمد خارج زبيد ونشب بينهما القتال فانهزم الأخير وتحصن في مدينة زبيد ، فضرب عليه سنان الحصار حتى عدمت الأقوات وضيق عليه الخناق حتى أرغمه على طلب الأمان واستلم المدينة ، ثم ألقى القبض عليه وأعدمه شنقاً مع جملة من رجاله الجراكسة ، وبذلك ضم اليمن إلى أملاك الدولة العثمانية .

إن العربي ينفر بطبعه العربي الأصيل من الغدر ويمقت مقترفه لذلك فإن القبائل العربية العدنية تأثرت لقتل أميرها من الحامية التركية واتَّفقت مع البرتغاليين ضد الأتراك .

وصلت الأخبار إلى الأتراك فأرسلوا في نفس العام أسطولا حربياً للبحر الأحمر تحت قيادة « بيري » فاسترد عدن ، ثم استولى على مسقط وجزيرة هرمز ، وأرسل بالبشائر إلى القائد العام سليمان باشا المرابط في ميناء الصليف الذي اعتبر أن مهمته الرئيسية قد انتهت فأسند ولاية اليمن إلى مصطفى المعروف « بمصطفى غزة » وأقلع عائداً من حيث جاء .

الـوالي مصطفى غـــزة [1] :

أرسل هذا الوالي نوابه إلى الأقسام التهامية ومنها جازان ، وذلك في شهر ذي الحجة عام ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م .

---

(١) وذكره صاحب العقيق اليماني باسم مصطفى النشار وأنه وصل لولاية اليمن في عام ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م ووصفه بأنه صاحب شدة على مديري النواحي وأن مركزه كان مدينة زبيد ، وأشار إلى أنه وصل إلى اليمن ثلاثة مرات :

١ ـ المرة الأولى من عام ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م إلى عام ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م أي خمس سنوات ، وكان والياً على اليمن مركزه مدينة زبيد .

٢ ـ وصل في أيام « ازدمر » للصلح بينه وبين المطهر .

٣ ـ وصل إلى اليمن وتوفي في مدينة زبيد .

وفي عام ٩٤٦هـ/١٥٣٩م أخذ الأتراك في عملية التوسع في اليمن فوقع التصادم المسلح بينهم وبين الإمام شرف الدين ، وقرروا ـ وهم في مستهل عملهم التوسعي ـ استعمال الأساليب السياسية راجين بلوغ أهدافهم لعلها توفر لهم الرجال ـ الذين هم في أمس الحاجة إليهم ـ لأنهم إلى هذا التاريخ لم تردهم الإمدادات الكافية من الرجال ، لذلك أرسل الوالي شخصاً منهم معروفاً بسعة الحيلة والمكر والدهاء يسمى حسن [1] البهلوان إلى الإمام

(١) ذكر صاحب العقيق اليماني بصحيفة ١٢٢ مخطوط ما نورده بتصرف : في رجب ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م وصل إلى اليمن الباشا أويس بن سليمان خلفاً لمصطفى النشار ، وفي شهر شوال من السنة نفسها سار أويس على رأس حملة إلى الجبال فاستولى على تعز يوم الثلاثاء ١٠ ذي الحجة ٩٥٣ هـ/ ١٥٣٦ م ، ومن تعز ـ التي جعلها مركز انطلاق ـ استولى على جميع بلاد الشافعية في الجبال اليمنية ، وفي ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م سار من بلاد الشافعية إلى بلاد الزيدية ، فلما وصل إلى وادي حيان ، تآمر المدعو حسن البهلوان مع رفقائه من رجال الحملة وقتلوه ، وذلك في جمادي الأولى ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م .

علم المعسكر بقتل أويس باشا فطلب أكثرهم الرحيل إلى ذمار ـ التي يتولى إدارتها « ازدمر » للتشاور معه حول من يخلف أويس في مركز الولاية ويلوح أن حسن البهلوان كان يطمح إلى المركز ، ويؤمل أن ازدمر سوف يساعده في تحقيق أمنيته ، بيد أنه بوصول المعسكر إلى ذمار واتفاق حسن البهلوان ورفقته بازدمر خاب ظن البهلوان لأن ازدمر يرى نفسه أحق من كل إنسان بمركز القيادة والولاية ، وبعد المشاورات السرية بين بعض قادة الحملة وازدمر ـ وبدون اطلاع البهلوان طبعاً ـ قرروا اسناد الاتهام بحسن البهلوان وأنه هو المتهم بقتل أويس باشا ، وبذلك يعد خارجاً عن طاعة السلطان ، فمن كان في طاعة السلطان فليستظل بعلمه ، ومن كان خارجاً عن الطاعة ومشايعاً لحسن البهلوان فليبق معه عندها شعر البهلوان بما دبر ضده في الخفاء ـ وإنحاز أكثر الجنود إلى العلم السلطاني ، ولم يبق مع البهلوان إلا الأقل من خاصته سار بهم إلى الإمام شرف الدين .

وصل حسن البهلوان إلى الإمام شرف الدين وأظهر له حسن الطاعة حتى اكتسب ثقته وكان بارع التمثيل ويقول صاحب العقيق بصحيفة ١٢٣ : أظهر البهلوان الطاعة للإمام والتفاني في محبته ، وكان لا يجلس في حضرة الإمام بل كان يمتثل قائماً بين يديه فإذا تنخم الإمام أخذ النخامة في إحرامه ومسح بها وجهه فاستمال بذلك قلب الإمام وبمثل هذا المكر والنفاق مثل دوره المشين حتى شعر بتحرك أزدمر وجيشه من ذمار لقصد محاصرة صنعاء فأقبل بصناديق (١) محكمة الاقفال ثقيلة الحمل وأدخلها إلى بيت الإمام وقال له : قد عرفت محبتي وصدق ولائي وهذه خزانتي أضعها بين يديك برهاناً على صدق اخلاصي ، فقال له الإمام : قد عرفنا نصحك فبماذا تشير علينا ، فقال : الرأي يا مولاي أن تجهز لي جيشاً أقاتل به عدوك وعدوي ازدمر قبل أن يصل ويحصرنا جميعاً في هذه المدينة ، ويقول أيضاً صاحب العقيق إنما قصد خديعة الإمام بذلك وتسهيل الفرار لنفسه إلى زبيد للإلتجاء إلى الأمير حيدر التركي أمير زبيد الذي يشايعه على رأيه =

(١) العقيق ص ١٢٣ .

شرف الدين فاستطاع أن يبذر الشقاق ويوقع الفتنة بينه وبين ابنه المطهر ـ راجع الفصل الخاص بأئمة الزيدية ـ نشب القتال مروعاً بين الإمام وابنه واشتغلا ببعضهما عن أخذ الأهبة والاستعداد للعدو الغازي المتربص فسنحت له الفرصة فأخذ في الزحف والتوسع إلى سنة ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥ م ، والإمام وابنه محتدم القتال بينهما ، فرأى بعض العقلاء ما يجره هذا القتال من الفناء والإبادة للأمة على مذبح المطامع الشخصية والأثرة الفردية ، فسعوا للصلح بينهما وانتهى على تنازل الإمام شرف الدين لابنه المطهر .

استمر مصطفى غزة على ولايته حتى عزل عام ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م ، بأويس باشا .

أويس باشا :

وصل إلى اليمن خلفاً لمصطفى في عام ٩٣٥ هـ/ ١٥٢٨ م، وفي شهر شوال من تلك السنة سار على رأس حملة من زبيد إلى القسم الأعلا فاستولى على تعز يوم الثلاثاء الموافق ١٠ الحجة ٩٣٥ هـ/ ١٥٢٨ م وجعل من تعز قاعدة لغزو البلاد المجاورة وتمكن من الإستيلاء على جميع بلاد الشافعية .

وفي عام ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م سار إلى بلاد الزيدية ، وفي طريقه تآمر عليه رجال الحملة وقتلوه في وادي حيان ، واختلف المتآمرون فيما بينهم فيمن يلي القيادة ، وأخيراً أجمع رأيهم على قصد ذمار التي كانت تحت سلطتهم ، وينوب على إمارتها أزدمر ، وهناك تمكن ازدمر من التغلب على العناصر الطامعة في تولى القيادة وتولى هو نفسه رئاسة الحملة .

= ضد ازدمر الذي قد استمال العساكر وتولى القيادة العامة في القسم الجبلي ، وأنه عند وصوله إلى زبيد يضمر الإستيلاء على تهامة فجهز له الإمام جيشاً وتوجه على رأسه صوب ذمار ، وبعد خروجه من صنعاء نقض طاعة الإمام وسار بالجيش إلى زبيد ، وان الإمام لما اطلع على خيانته فتح الصناديق فوجدها مملوءة حجارة فتحقق حينئذ من خيانته .

علم ازدمر بتحرك البهلوان من صنعاء على رأس ذلك الجيش ، وأنه يقصد زبيد ، فبعث على جناح السرعة حملة خفيفة الحركة تحت قيادة أمير يسمى موسى ليسبق حسن البهلوان على زبيد ، وفعلا تقدمت تلك الحملة واستولت على زبيد علم البهلوان بسقوط مدينة زبيد في يد قوة منافسه ، فصرف وجهته عن زبيد إلى شمال تهامة وتسامعت القبائل بفشله فتألبت ونهبت أكثر سلاح أصحابه وقتلوه .

أزدمـــــر :

تولى أزدمر قيادة الحملة وسار قاصداً صنعاء ، وكان قد عرف نقطة الضعف في موقف المـطهـر وما بينه وبين إخوانه وقرابته من الشحناء والمنافسة فاستغلها خير استغلال ، واتصل سرًّا بكل من يهمه الاتصال به ، وأثمرت تلك الاتصالات في توسع شقة الخلاف وتفرقة الآراء واستمالة القلوب والوقوف على مقدار قوات المطهر .

وتقدم أزدمر بعد كل ذلك ، فكان الرجحان في كفته . وكل ما يهمه الاطلاع عليه من الوجهة الحربية ، وأشهر موقعة التحم فيها مع المطهر هي معركة يوم قاع صنعـاء وانتهت بانسحـاب المطهر إلى ثلا ودخل أزدمر صنعاء من خندق « باب السبخة » بمعاونة رجال الطابور الخامس ، وقتل في صنعاء نحو ألف نسمة ونهبت الدور وخدشت الأعراض ، وبعد ثلاثة أيام نادى بالأمان .

وبسقوط (صنعاء) توطد مركز الأتراك في الجبال وتم لهم الإستيلاء على كثير من البلاد (والمطهر) يقاوم مقاومة يائسة لا تجدي نفعاً واستمر الحال على ذلك المنوال إلى عام ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م .

أما عز الدين أخو المطهر فبعد محاصرته للحامية التركية في أبي عريش وإحراقه للمـدينة المذكورة على تلك الصورة التي وضحناها في الفصل الخاص بتأريخ تهامة في عهد الأتراك ـ ووصول الخبر إليه بسقوط صنعاء بيد أزدمر وأن أخاه ارتفع إلى ثلا انسحب مسرعاً إلى صعدة فوجد الناصر صاحب الجوف قد استولى عليها باسم الأتراك فتوجه إلى ظفار وهناك تعقبه الناصر وضرب عليه الحصار واستمال أهل حصن ظفار بالمال فقبضوا عليه وسلموه له ، فأرسله إلى أزدمر الذي أرسله بدوره إلى الأستانة .

وفي عام ٩٦٠هـ/١٥٥٣م خرج أزدمـر من صنعـاء في رحلة تفتيشية متفقـداً شئـون البـلاد إلى ذمـار ومنهـا إلى تعز ومنها إلى زبيد ثم إلى بيت الفقيه وطلع إلى ريمـة فَبُـرَع واستـولى على بعض الحصـون وتـوجه إلى لعسان ، ومنه نزل

إلى أبي عريش فوصله في ٢٠ صفر عام ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٣ م فوطد الأمور وأصدر العفو عن الخارجين على النظام ، وخفف الضرائب عن أهالي إقليم جازان وقفل عائداً منها إلى تركيا في ١٥ ربيع الأول ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٣ م فكانت مدة ولايته لليمن ٩ سنوات و٦ أشهر .

مصطفى النشار للمرة الثانية :

وصل إلى اليمن بَرًّا فدخل مدينة أبي عريش في شهر المحرم ٩٦٢ هـ/ ١٥٥٤ م وأقام بها أسبوعاً ، أصدر أمره في خلاله بشنق الرئيس محمد بن معبد ثم سار إلى زبيد بعد أن ولى إبراهيم كرد مديراً لإقليم جازان فوصل إلى زبيد يوم غرة صفر ومنه قصد تعز فأقام به خمسة أشهر ، ورجع إلى زبيد فتوفي بها يوم ٢٠ شعبان عام ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٦ م وأوصى بأن يخلفه الأمير سلمان فنازعه أحد القواد المدعو عبد ربه وتغلب عليه إلى أن وصل وال جديد من تركيا استمر على ولاية اليمن إلى عام ٩٦٧ هـ/ ١٥٦٠ م وعزل بمحمود باشا .

محمـــود باشـــا :

تولى اليمن في عام ٩٦٧ هـ/ ١٥٦٠ م واستمر إلى أن عزل برضوان باشا عام ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ م (راجع أخبار اليمن في عهد الأئمة) .

رضـــوان باشـــا :

وصل إلى صنعاء ، فازداد أمر المقاومة ، ونشط رجال اليمن تحت راية المطهر ، وأذاقوا الأتراك أمر النضال ، فرأى رضوان ، رأي من سبقه ، بأنه لا نجاح ولا قضاء على المقاومة إلا بالقضاء على المطهر فشن عليه الحرب السافرة ، وفي أثناء ذلك ورده الأمر بالعزل فنشط المطهر وبث سراياه في القسم الجبلي وقطع المؤن عن صنعاء ، وأكثر المدن الجبلية .

مـــراد باشـــا :

تولى ولاية اليمن عام ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م وأراد أن يكمل عمل سلفه ويقتفي أثره في شن الغارات على المطهر فهزم في الشلال وخر صريعاً في تلك المعركة وبالقضاء عليه تمكن المطهر من دخول صنعاء عام ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧ م وطرد الأتراك من أغلب المنطقة الجبلية وحررها من نيرهم ـ كما كان يطلق عليه ـ

حمـلة سنـــان باشـــا :

وصـل على رأس الجحـافـل التـركية المـزودة والمـدججة بأحدث الأسلحة الجهنمية في عصرها ، فدكت مركز المقاومة دكاً ، وتم لها النصر والغلبة بعد أن سالت الـدمـاء أنهـاراً فرتب سنـان الإدارة وجعـل عليها برهام باشا والياً في عام ٩٧٧ هـ/ ١٥٦٩ م وتوجه إلى الحج ومنه إلى تركيا . .

ولاية برهـــام باشـــا :

أقل ما يوصف به هذا الوالي الفظاعة والتعجرف وسفك الدماء ، ولذلك كثرت الفتن في عهده ووقع العصيان عليه من بعض جنوده وساءت الأحوال واضطرب الأمن .

وفي عام ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤ م توفي الخليفة العثماني سليم الثاني فخلفه ابنه مراد الثـالث ، فأصدر أمره في عام ٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥ م بعزل برهام باشا وتعيين مصطفى باشا ، وفيما برهام يتهيأ للعزل من مدينة تعز وافاه خبر موت خلفه فبقى على ولايته وشدد النكير على المتذمرين من عهده وقتل من تسبب في شكواه .

وفي نفس تلك السنـة علم الخليفة العثماني بوفاة مصطفى باشا فأصدر أمره بإرسال مراد باشا فتوجه على جناح السرعة فوصل صنعاء في نفس السنة واستقر على ولاية اليمن إلى عام ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١ م .

حســن باشـــا :

وصل إلى اليمن خلفاً لمراد باشا في عهده ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١ م وفي أثناء ولايته تمكن من القبض على الإمـام الحسن بن داود وأخيه وبعث بهمـا إلى الآستانة واستـولى على « ثلا » و « مدع » و « عفار » و « ذي مرمر » و « الشرفين » الأعلى والأسفـل و « صعدة » وقضى على معركة المقاومة في الجبال فترة من الوقت ثم استؤنفتْ بقيام الإمام القاسم ونشب القتال بينه وبين الوالي حسن باشا ، وقد توجه الوالي المذكور إلى تركيا وأناب في مكانه مساعده سنان باشا واستمرت نيابته على اليمن إلى عام ١٠١٧ هـ/ ١٦٠٨ م .

جعفــر باشــا :

وصـل والياً لليمن ، ثم تجهـز لمحـاربة الإمام القاسم ، واستولى على أكثر الجهـات التي تحت يده ، ولم يزل على ولايته حتى عزل في عام ١٠٢٣ هـ/ ١٦١٤ م بإبراهيم باشا الذي توفي على أثر وصوله بمدينة زبيد فبقي جعفر باشا على الولاية إلى عام ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ م .

محمـد باشــا :

وصل إلى اليمن خلفاً لجعفر باشا ، وكان من الولاة القلائل الذين ظفروا بثناء المحكومين لما يتصف به من حسن الإدارة وبعد النظر والتقدير الصائب ، وكان من مسـاعيه المـوفقـة الصلح الـذي تم بين تركيا والإمام القاسم وعزل في عام ١٠٣١ هـ/ ١٦٢٢ م بفضلي باشا .

ولاية فضلي باشــا :

في ولايته انتقض الصلح المبرم بين الأتراك وأولاد الإمام القاسم وعزل بحيدر باشا عام ١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٤ م .

حيــدر باشـــا :

استقر في منصب ولاية اليمن ونار الحرب مشتعلة الأوار في اليمن الأعلى وفي عام ١٠٣٦ هـ/ ١٦٢٧ م استولى الإمام المؤيد على أكثر البلاد اليمانية .

وفي عام ١٠٣٩ هـ/ ١٦٣٠ م وصل من مصر عن طريق الحجاز القائد قانصوه على رأس عشـرة آلاف جندي ، وفي عام ١٠٤٣ هـ/ ١٦٣٣ م استولت الجنود الإمامية على جميع أقطار تهامة ـ ما عدا زبيد والمخا وموزع التي رابطت بها فلول القـوات التركية وفي عام ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م هرب قانصوه ـ السابق ذكره ـ من معسكر الأتراك بزبيد إلى الحمى ـ شرق زبيد ـ في طريقه إلى الحجاز ثم مصر ـ فاتفق في الحمى بابن الإمام ثم والى سيره .

وفي تلك السنة نفسها سلم الأتراك للإمام زبيد ، وفيها انتهى أمر الأتراك من اليمن ـ راجع تاريخ الأئمة ـ .

وبهذا ينتهي الدور الأول للأتراك في اليمن .

الفصل الثامن

المخلاف السليماني

في العهد الأول للولاة الأتراك

استولت الدولة « التركية » في عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م على تهامة ، فأناب القائد البحري على ولاية زبيد مصطفى غزة فبعث هذا نوابه على البلاد التهامية ومنها جازان .

وفي عام ٩٤٦ هـ/ ١٥٣٩ م توجه من زبيد لقصد الحج واستصحب معه محملا يمنياً تضرب أمامه الطبول وتنفخ الأبواق مما يتنافى مع جوهر الإسلام وتعاليمه السامية ، وقد استمر تسيير هذا المحمل سنوياً من قبل الولاة الأتراك في زبيد ثلاثين عاما ونيفاً .

في عام ٩٤٦ هـ/ ١٥٣٩ م تعين الأغا ازدمر مديراً لإقليم « جازان » ويقول صاحب الجواهر الحسان : في هذا العام فتح الله بولاية الباشوات رحمة لأهل اليمن وتهامة مما اعتادوه من ظلم اللوند ـ الجراكسة ـ وجورهم ويحدد الوضع السياسي لليمن في ذلك التاريخ على الوجه الآتي :

١ ـ من تعز إلى جازان تحت إدارة الأتراك المباشرة .

٢ ـ من تعز وشمالا مما يوازي المنطقة الجبلية إلى صعدة للإمام شرف الدين .

وصل أزدمر إلى إقليم جازان واتخذ مدينة أبي عريش مركزاً لإدارته وأنشأ مسجده الذي في آخر محلة العين وحفر وعمر البئر المشهورة باسمه بين المحلة المذكورة ومدينة أبي عريش .

واستمرت إدارته إلى عام ٤٩ فتعين مصطفى عبد الله القصير خلفاً له إلى نهاية عام ٩٤٩ هـ/ ١٥٤٢ م وعزل هذا وتعين « مؤمنة » التركي في الإدارة وعزل في نهاية العام بحسن البهلوان .

ضمن أو التزم حسن البهلوان إقليم جازان من الوالي مصطفى باشا النشار في عام ٩٥١ وفيه توفي العلامة الزين بن الأمين شافع الساكن في قرية « الباحر » وكان له منزلة علمية ونفوذ ديني في وادي صبيا .

الأمـــراء الخواجيـــون

آلت إليهم الرئاسة في وادي صبيا بعد الأمراء الذروات ، أورد العلامة النمازي في مؤلفه « السلاف في تاريخ صبيا والمخلاف » بإسناده عن علي بن هادي المنسكي أن أول من اختط مدينة صبيا الحالية هو الأمير دريب بن مهارش الخواجي عام ٩٥٨ هـ/ ١٥٥١ م ـ وكانت قبل ذلك مساكنهم في أطراف الوادي من الغرب في مكان يسمى « أبو دنقور » وأول من تولى الرئاسة منهم هو عيسى بن حسين الخواجي المتوفى عام ٩٥١ هـ/ ١٥٤٤ م وخلفه على الرئاسة دريب بن مهارش .

في السنة الأولى من عهد حسن البهلوان أغار الأمير عز الدين ابن الإمام شرف الدين ، وأقام في « السنبوق » أسفل درب جازان المشهور من شهر رجب إلى أول شهر رمضان .

ساءت أحوال إقليم جازان في عهد حسن البهلوان الذي اختط منهجاً في الظلم والعسف يفوق حد التعبير فصادر أموال المتسببين وروع الآمنين ، ففر الناس ناجين بأنفسهم إلى الجبال والأماكن القصية ورفعت الشكاوى إلى والي زبيد فوصل الأمير أزدمر للتحقيق وفتح بابه للمتظلمين واستخرج من البهلوان ما ثبت عليه لأهله وانتهت مهمته بعزل حسن البهلوان وتعيين يحيى أربون في عام ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥ م .

وفي تلك السنة توفي الزاهد المشهور « أحمد بن عثمان الزيلعي » الملقب بصاحب المسواك .

الغارة الثانية للأمير عز الدين بن الإمام شرف الدين على جازان :

عزل المدير يحيى أربون بمدير آخر اسمه « بيرم » فأناب هذا عنه شخصاً يدعى الأحور، وفي شهر جمادي الآخرة ٩٥٤هـ/١٥٤٧م نزل الأمير عز الدين على رأس قوته وحاصر الأحور في قلعة جازان خمسين ليلة ، وفي أثناء ذلك بلغه أن للأتراك المحصورين ودائع عند آل الحكمي فطالبهم بتسليمها فأنكروا فاشتد غضبه وتكشفت حماقته عن تلك الغلطة الشنيعة والتصرف السيء ونكتفي

هنا بوصف صاحب « العقيق اليماني » لذلك الحادث المحزن قال : أمر الأمير عز الدين بإحراق مدينة أبي عريش وإخراج أهلها إلى « المدب » فأخرج أهلها وأحرقت المدينة ، إلى أن قال : وسار الناس إلى المدب ، وكان الأكثر يمشي على رجليه ويحمل على ظهره الأطفال والضروري من المتاع ، فانتهكت الحرمات وأسقطت الحوامل ، ومع كل ذلك كله لم يظهر للأمير عز الدين شيء من الأموال التي ظنها فلا حول ولا قوة إلا بالله ، كان وقوع هذا الحادث المحزن في أول شهر رجب ، وفي اليوم العاشر منه وصلته الأخبار بسقوط مدينة صنعاء في يد الأتراك وأنّ والده وأخاه فرا إلى « ثلا » فانكفأ مسرعاً إلى « ثلا » فلم يتمكن من دخولها لأن الأمير ناصراً صاحب الجوف ، قد استولى عليها فتوجه إلى ظفار فطارده ناصر الجوفي وضرب عليه الحصار حتى استسلم فقبض عليه وأرسله تحت الحراسة إلى القائد التركي أزدمر في صنعاء وقام القائد التركي بإرساله إلى تركيا وتوفي في طريقه إليها بساحل ينبع .

وبعد انسحاب الأمير عز الدين أمر المدير التركي بجازان بهدم :

١ ـ جامع جازان .

٢ ـ قبة الأمير أحمد بن دريب .

٣ ـ هدم كل بناية قريبة من القلعة .

لأن جنود الأمير عز الدين في أثناء الحصار كانوا يرتقون سطح الجامع وفوق المنارة والقبة ويرمون على الأتراك المحصورين بالبنادق والمنجنيق .

في ٢ من شهر شوال عام ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م وصل فرحات باشا إلى جازان في طريقه إلى اليمن ، وفي ١٨ ربيع الأول ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨ م وصل المدير فرحات الزنكي الملقب بالسكران إلى أبي عريش مديراً لإقليم جازان ترافقه قوة عسكرية فأكثر من الغارات والغزوات التأديبية فأثار بعمله ثائرة رؤساء العشائر ورجال القبائل وكانت كنتيجة لتلك الغارات الإرهابية وقعة « حنتر » .

وقعة حنتر[1]

هي في أساسها حملة من الحملات التأديبية في نظر ولاة الأتراك الظالمين ، وقد نشطت تلك الحركات في عهد المدير فرحات السكران ، ويظهر أنه طالب الخواجيين رؤساء « صبياً » بدفع العوائد الحكومية فلم يجد لديهم الاستجابة فجمع قواته وتحرك صوب وادي صبيا وتتألف قوته من :

٢٠٠ من الفرسان .
٣٣٠ من حملة البنادق .

علم الأمير دريب بن مهارش بتحرك المدير التركي فأخذ في الأهبة والاستعداد واستنخى قبائل وادي صبيا والمخلاف فتبادرت إليه في جموعها الحاشدة فتقدم بهم إلى « حنتر » الذي قد عسكرت فيه الحملة ، وكانت قوات رجال القبائل تتألف من :

٢٠٠ من الفرسان .
٢٠٠٠ من الرجال المشاة .

التحم القتال وشددت رجال القبائل العربية الباسلة الحملة ذياداً عن النفس والعرض ـ لما يفهمونه من مباذل الأتراك وفجورهم ، تدفعهم الغريزة الدينية والحمية العربية ، فولى الأتراك الأدبار فتأثرتهم رجال القبائل قتلا وسلباً وبذلك الانتصار تحطمت هيبة الحكومة واستضرى رجال القبائل فعاثوا يقطعون السبل ويخيفون السابلة .

عاد المدير التركي مهزوماً إلى أبي عريش وكتب إلى مرجعه بزبيد بالحادث مجسما خطر وعصيان قبائل صبيا والمخلاف مبرراً هزيمته بما عنَّ له من المبالغة والتهويش .

استدعاء الأمير عبد الوهاب القطبي

انقطعت المواصلات بين صبيا وأبي عريش وغيرها من أجزاء المخلاف السليماني واضطرب الأمن وعاث رجال القبائل يقطعون السبل فاجتمع أعيان

(١) حنتر بضم الحاء على وزن بلبل موضع قريب من قرية الحسيني .

وادي صبيا ومخـلافها لتبادل الرأي ووضع حد لتلك الفوضى وأجمع رأيهم على استدعاء الأمير عبد الوهاب القطبي نظراً لسابقة تلك الأسرة في الإمارة لتوليته أمرهم عسى أن يكون من وراء ذلك ما يرقع الفتق ويحقن الدماء ويضفي الأمن .

توجـه وفد من صبيا إلى قرية البداح ، وقابل الأمير عبد الوهاب وعرض عليه قرارهم فوافق وعاهدوه على الطاعة وحسن الانقياد وأنهم يبذلون أرواحهم ودماؤهم في سبيل اخراج الحامية التركية من أبي عريش لتكون مقراً لإمارته .

الإمـــدادات تصل من زبيـــد :

وصلت كتب المدير فرحات السكران إلى الوالي التركي بزبيد فجرد حملة قوية بقيادة « فرحات الجمليات » وفي يوم ١٨ جمادى عام ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨ م دخلت مدينـة أبي عريش وفكت الحصـار المضروب على فرحات السكران ، وبعد أن استجمعت ثلاثة أيام تحركت إلى صبيا .

وقعة المحجـــاة :

تقدمت الحملة التركية صوب صبيا فالتقاها رجال المخلاف السليماني وعلى رأسهم الأمير عبد الوهاب والرؤساء الخواجية والتحم القتال فانهزم الأتراك وتأثرهم رجال القبائل قتلا وأسراً وسلباً إلى غرب ساحة مدينة أبي عريش فلم يسع الأمير فرحـات إلا الرحيل بين من بقى من رجاله إلى قلعة جازان والتحصن بها انتظاراً للمدد ، فكانت المدة بين وقعتي (حنتر) وهذه الوقعة ٥٤ يوماً .

قتل المدير فرحات السكران :

تحصن المـــدير فرحـات في قلعـة جازان [1] وظـل يشن الغـارات على أبي عريش وأقلق بال الأمير عبـــد الـوهـاب فأعـد له كميناً تمكن من قتله والفتـك

---

(١) قلعة جـازان الأعــلا .

بأكثر رجاله في فجر يوم الجمعة ١٢ رجب عام ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨ م وسحب جثمانه إلى طرف الحلق (بحاء مهملة ولام وقاف مثناة موضع شرقي أبي عريش) ودفن هناك .

وقعـــة الأربعـــاء :

وردت الأخبار إلى زبيد بقتل المدير فرحات كما أيد ذلك وورود التوضيح من الشيخ محمد بن معبد مطالباً في الإسراع بإرسال حملة فجرد الوالي حملة قوية بقيادة الأغا فرحات الجمليات والأغا عبد ربه تتألف من :

٥٠٠ فارس .
٥٠٠ من المشاة حملة البنادق .

وقد تلقاها الشيخ محمد بن معبد ليكون الدليل لها في طريقها إلى أبي عريش وفي ليلة الثلاثاء الموافق ٨ شعبان ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م دخلت قلعة جازان العليا ولبثت إلى مساء الأربعاء يدير قائدها مع محمد بن معبد أوجه الرأي وقد هالتهم الجموع المحتشدة في أبي عريش وهدتهم الحيلة إلى أن يكتب الأخير كتاباً إلى الخواجيين وأهل صبيا ومخلافها يتضمن النصيحة والتحذير ، وأن الأتراك مصممون على مهـاجمـة صبيا وقتل الرجال ونهب الأموال ولهذا فهو يتقدم إليهم بالتحذير والنصيحة حتى لا يؤخذون على غرة ، وأن يبادروا للذود عن الحياض والذب عن الأعراض .

وصل الكتاب إلى أعيان صبيا المرابطين في أبي عريش هم وجل قبائلهم فأثار موجة من الرعب وبلبلة الخواطر وسارع أكثرهم إلى الرحيل من فور الساعة وبقي من بقي .

عبأ الأمير عبد الوهاب رجاله وبعث عيونه لمراقبة حركة الأتراك ووجهة سيرهم فعادت إليه فجر يوم الأربعاء بتحركهم إلى أبي عريش .

خف الأمير إلى تعبئة قواته وحشد رجاله وتوزيعها على جناح السرعة ، وأقبلت قوات الأتراك موزعة على الوجه الآتي :

١ ـ قوات الميسرة في مواجهة الأمير عبد الوهاب في شمال المدينة .

٢ ـ الميمنة من الجهة اليمانية للمدينة .

٣ ـ القلب وقد هاجم المدينة من الغرب .

دارت رحا المعركة ونشب القتال حامياً بين الطرفين فهزمت القوات المدافعة هزيمة منكرة ولم تجد لها منفذاً للخروج فالتجأت إلى صف آل الحكمي مستليذة بحرمتهم الدينية ، وبلغ عدد القتلى من أهل صبيا ألف وثمانمائة قتيل ، وقام آل الحكمي بمهمة جمعية (الهلال الأحمر) في حماية الملتجئين ومواراة القتلى فعجزوا عن دفنهم فاستعانوا بالبقر والمحاريث حتى أقاموا عليهم ربوتين عظيمتين غربي بئر الباشا « ازدمر » قبل مدينة أبي عريش وبعد ظهر ذلك اليوم أشرف قائد الحملة التركية من حصن الإمارة ومعه محمد بن معبد ، وفي تلك الساعة خرج الأمير عبد الوهاب متنكراً ليغادر المدينة فرمقه محمد بن معبد فأشار إلى القائد التركي قائلا : الأمير عبد الوهاب ، فأمر من يخرج إليه ، فأدركه الجند وقتلوه (تغمده الله برحمته) .

انتهت المعركة بتلك النهاية المحزنة ، وظل ذلك اليوم يضرب به المثل في المخلاف السليماني .

مكث القائد التركي في أبي عريش إلى نهاية شهر شوال ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨ م يهديء الأمور وانسحب عائداً إلى زبيد .

الأمير عيسى بن المهدي :

قام بعد مقتل أخيه يشن الغارات ويتابع الغزوات على مدينة أبي عريش حتى أقلق راحة السكان وأخاف الآمنين وبدلا من أن يوجه مجهوده الحربي إلى الأتراك ـ قتلة أخيه ـ جعل هدفه ووجه همه إلى السكان الوادعين .

ضاق سكان المدينة ذرعاً بغزواته ولم يجدوا من الأتراك ـ المتحصنين داخل معاقلهم ـ كبير عناء في دفع شره فاختل الأمن في المخلاف وقطعت السبل وأخيراً « صبح » مدينة أبي عريش وأحرقها ، فخرج أهلها وتشتتوا في النواحي الآتية :

١ ـ رحل أكثرهم إلى حلي ابن يعقوب .

٢ - رحل بعضهم إلى الحقار .

٣ - رحل بعضهم إلى طشة .

وتخلف الفقراء والمعوزون لعجزهم فخرج بهم أبو القاسم بن محمد الحكمي وكان من العباد وذوي التقوى إلى « جورا » ولم يعودوا إلى المدينة إلا في نهاية العام .

في أول عام ٩٥٩ هـ/ ١٥٥٢ م وصل الأغا (طاشفين التركي) مديراً للمخلاف وجعل مركزه مدينة أبي عريش ، وفي جمادى الآخرة غزا الأمير عيسى بن المهدي بندر جازان .

غزو عيسى بن المهدي بندر جازان :

هاجم مدينة جازان الساحلية وكانت تعرف في ذلك التاريخ باسم « بندر جازان » تمييزاً لها عن جازان الأعلى المدينة المشهورة بدرب النجاء ، وارتكب في البندر من القتل والسلب والنهب ما يفوق الوصف ، ودخل إلى محل الوجيه عقيل بن أحمد الزيلعي وانتهب أمواله وبعد كل ذلك أحرق البندر وانسحب مثقلا بالغنيمة الحرام إلى قرية « الباحر » وأقام بها خمسة عشر يوما ، والمدير طاشفين قابعاً في أبي عريش قد بث جواسيسه حول الأمير تترصد حركة خروجه من قرية « الباحر » وعندما وافته بخبر تحركه قام على رأس قوة من رجاله .

تحرك الأمير عيسى من الباحر قاصداً معقله « بالدحن » بالدال المهملة المكسورة بعدها حاء مهملة ونون موحدة ، سالكا طريق الحازّة حتى إذا وصل إلى موضع يسمى « محيدل » باغته « طاشفين » على غرة فهزمه شر هزيمة وقتل عددا من أصحابه وغنم أكثر خيله واسترجع الأموال المنهوبة لأهل (البندر) ونجا الأمير برأسه إلى « الدحن » وعاد المدير إلى أبي عريش ورفع بالواقع إلى الوالي (ازدمر) بزبيد وبدلا من أن يقترح اتخاذ ما يكفل وضع حد لمثل هذا الاعتداء الفظيع في المستقبل ، اقترح العمل على استمالة عيسى بن المهدي وطلب العفو عنه .

ورده مرسوم العفو مرفقاً بكتاب من الأمير المطهر بن شرف الدين ـ الذي يظهر أنه الدافع للأمير عيسى بن المهدي في كل ما ارتكبه ـ ويتضمن كتاب المطهر : انه قد تم الصلح بينه وبين ازدمر وينصح الأمير عيسى بالدخول في طاعة الأتراك ، وهكذا كانت الأمة مسرحا لتمثيل المطامع الشخصية تهدر دماؤها وتباح أرواحها في سبيل الغايات الفردية .

وبالطبع أن الأمير عيسى لم يبق لديه ما يمنعه عن قبول الاستسلام وانتهى الأمر بتقرير راتب له وسكن مدينة أبي عريش .

تعين في عام ٩٦١ هـ/ ١٥٥٤ م (محمد يوسف التركي) مديرا للمخلاف ، وفي عام ٩٦٢ هـ/ ١٥٥٥ م وصل مصطفى باشا النشار والياً لليمن للمرة الثانية وأقام في أبي عريش أسبوعا وفي أثناء إقامته أمر بشنق الشيخ محمد بن معبد وعين الأغا إبراهيم كرد مديراً للمخلاف ، وفيها توفي العلامة أحمد بن مقبول الأسدي ، وكان قد ألف تاريخاً للمخلاف ابتدأه من عام ٩٠١ هـ/ ١٤٩٥ م وانتهى فيه إلى عام ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٣ م غالبه في وقائع وحوادث المخلاف على وجه الإيجاز والاختصار ، وقد شهر هذا العلامة بين معاصريه بحسن الخط ، وله ترسل فائق وأشعار رائقة سنوردها في الجزء الخاص بالتاريخ الأدبي للمخلاف .

في سنة ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٧ م عين الأغا (شاغلي التركي) مديراً للمخلاف ويسجل التاريخ سيرة سيئة لهذا المدير الظالم الذي تفنن في ابتزاز الأموال وأخذ الأبرياء بالظنة والعسف ففر أكثر التجار وأرباب المصالح من بندر جازان إلى صبيا ، ونتيجة لذلك انتقلت الحركة الاقتصادية إلى صبيا ، وأخذت في النمو والازدهار .

وفيها توفي رئيس صبيا دريب بن مهارش الخواجي وخلفه في الرئاسة ابن عمه دريب بن عيسى ، وفيها توفي العلامة أبو الحسن صالح بن صديق النمازي ، ومن مؤلفاته :

١ ـ منظومة دينية سماها الأنوار الساطعة وله عليها شرح مفيد جمع فيه عقائد أهل السنة .

٢ ـ كتاب الأحاديث القدسية .
٣ ـ شرح على ألفية ابن مالك .

في سنة ٩٦٦ هـ/ ١٥٥٩ م وقعت فتنة بين المعافين من قبائل وادي ضمد فانفصل عنهم العلامة أحمد بن علي المعافا وانتقل إلى صلهبة وسكن بين الحوازمة ، وقد سجل ذلك في قطعة شعرية بعثها إلى علامة ضمد في عصره محمد ابن علي الضمدي منها :

اطمأنت بآل حازم داري ... وأساءت بنو المعافا جواري
فإلى الله أشكر الحسن البر ... وأشكو إساءة الأشرار

وهي طويلة سنوردها بحول الله تعالى كاملة في التاريخ الأدبي مع جواب العلامة الضمدي .

في عام ٩٦٨ هـ/ ١٥٦١ م وصل الوالي التركي الجديد « رضوان باشا » إلى جازان في طريقه إلى اليمن ، وبعد وصوله وردته الأوامر السلطانية بتقسيم ولاية اليمن إلى قسمين :

١ ـ القسم الأول من جازان إلى « نقيل سمارة » .
٢ ـ القسم الثاني من « النقيل » إلى أقاصي بلاد الشام من جهة « الحرجة » إلى جهات « الحقار » من « العر » وما يليه .

ويقول صاحب العقيق : إنه كنتيجة لذلك التقسيم الإداري استقال رضوان باشا .

المجاعة المشهورة بأم العظام :

في عام ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ م اجتاحت المخلاف السليماني مجاعة ضارية فتكت بالأغلب الأعم من سكانه وعزت الأقوات بل لم يجد الناس ما يقتاتون به فاضطر الأغلب من سكان البوادي إلى سحق العظام وسَفِّها وقلي الدم وأكلت الميتة والأطفال وتشتهر المجاعة في المخلاف بسنة أم العظام .

استئناف الفتنة بين الأمير عيسى بن المهدي والأتراك :

مكث عيسى بن المهدي وقتاً في مدينة أبي عريش انتقل بعدها إلى « البداح » بباء معجمة بعدها دال مهملة فألف وحاء ، من عام ٩٥٩ هـ/ ١٥٥٢ م حتى استأنف نشاطه الحربي في عام ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م - ونلاحظ هنا أن تحركه وقع في الوقت الذي قام فيه المطهر بن شرف الدين بالتجهيزات على الأتراك واستيلائه على الأطراف وضربه نطاق الحصار على أكثر المدن الجبلية - راجع أخبار ولاية الأتراك في اليمن - أما الأسباب الظاهرة فتنحصر فيما نوضح أدناه .

وقع خلاف بين رجل من أتباع الأمير وآخر من الجنود الأتراك التابعين لمدير الإقليم الأغا سنان طهمان أدى إلى قتل الجندي التابع للأمير فقام الأمير مطالباً بالقصاص الشرعي فرغب المدير في إنفاذ القصاص فهب الانتهازيون ممن تحاك بهم الدسائس وتثار بسعايتهم الفتن النائمة يشيرون على المدير بعدم قتل الجندي التركي برجل من أهل البادية ، وهنا أخذ المدير في التسويف والمماطلة والأمير في التشديد والمطالبة بالتنفيذ ، وأخذ دعاة التفرقة في توسيع الخرق وتأريث نار الفتنة ، وعلى أثر ذلك جمع الأمير جموعه وسار لمهاجمة أبي عريش فتلقاه الأتراك خارج المدينة فعادوا مهزومين ، وشعر الأمير بعدم قدرته على الاستيلاء على المدينة فعاد إلى البداح ، وكان للأمير أخ يقيم في المدينة فارتحل عقب الواقعة ، فأشاع الناس أن رحيله كان بإيعاز من أخيه لأنه سيصبح المدينة - ومدينة أبي عريش قد قاست الويلات من ظلم هذا الأمير ونزقه - فارتجت المدينة وشاع في جوانبها الخوف ، فلم يسع تلك الحامية انهزيلة من الأتراك ومديرها الرعديد إلا المبادرة بالرحيل إلى اليمن ناجين بأنفسهم .

علم الأمير برحيل الأتراك فسارع بدخول المدينة يوم الخميس ١٧ رجب ٩٧٤هـ/١٥٦٧م في جموع حاشدة من رجال صبيا والمخلاف فاستعرض رجاله في يوم الجمعة وأقام في المدينة شهرين في هدوء نسبي حتى توافدت الأخبار بتحرك الأتراك من اليمن إلى المخلاف بقيادة الأمير علي التركي ولم يمض أسبوع إلا وهي على مسافة يسيرة من أبي عريش وبدلا من أن يتقدم لقتالهم على حدود

المخلاف أو يفاوضهم في الصلح ليحقن الدماء ويوفر السلامة للوادعين ، خرج إلى التحصن في قلعة وادي جازان الأعلى .

أما الحملة التركية فقد والت تقدمها بدون قتال إلى أن خيمت شرقي المدينة ونادت بالأمان فتوافد عليها أعيان المدينة فلم يتعرض لهم القائد التركي بسوء .

في اليوم الثاني على وصولهم ساروا إلى قلعة « جازان » الأعلا فخرج إليهم الأمير عيسى واستمر القتال من الضحى إلى الظهر وعاد كل منهما إلى جهته ، وبعد يومين استأنف الأتراك هجومهم على القلعة والتحم القتال حامياً وقتل في المعركة الأمير العادل بن المهدي فانهزم الأمير وانتهب الأتراك قرية البداح وعادوا إلى مخيمهم ظافرين .

أما الأمير فطلع إلى « الحقار » من ليلته ومنه طلع إلى المطهر بن شرف الدين فأمره بالإقامة في « المحرق » فأقام به أشهراً ولم يطب له المكان فعاد أدراجه إلى « السلب » وأقام به إلى أن أدركته الوفاة .

حملة المطهر شرف الدين على الأتراك في المخلاف :

في عام ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧ م سير المطهر حملة إلى المخلاف بقيادة سراج الدين عثمان فحاصر الحامية التركية بقلعة جازان أياماً حتى استسلمت فأطلق الحامية وقائدها « سنان طهماز » وأخرب القلعة ، وقد بقيت خراباً إلى أن عمرها الأمير أحمد بن غالب في أول القرن الثاني عشر ، وبعد هدمه القلعة عاد إلى الجبال وعادت البلاد إلى سلطة الأتراك ، وفي تلك السنة ورد إلى أهل إقليم جازان خطاب من الوالي التركي يتضمن نصه :

إلى كافة أهالي جازان :

بلغنا خراب البلاد وتشتت أحوال العباد وتفرقهم عن أوطانهم من كثرة المال الثقيل عليهم وهو كان أولا ثلاثة عشر ألف ذهباً فلما اتصل بعلمنا ضعف البلاد رفعنا من ذلك أربعة آلاف وخمسمائة من الذهب فعليهم أن يتفرقوا المال

السلطاني على هذا القدر من غير زيادة ولا نقصان ولا ظلم ولا عدوان - إلى آخر ما في هذا المعنى وبهذا الأسلوب المهيض - وعممه إلى سائر البلاد .

في عام ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤ م وصل الأغا جعفر أحمد كخيا مديراً لجازان وعزل في عام ٩٨٤ بالأغا محمد بيلانجي وعزل الأخير عام ٩٨٥ هـ/ ١٥٧٧ م بالأغا حسين التركي ، وفي سنة ٩٨٦ هـ/ ١٥٧٨ م عزل هذا بالمدير جعفر أحمد كخيا الذي لم تطل مدته عن عام وعزل في عام ٩٨٧ هـ/ ١٥٧٩ م بالمدير « مراد التركي » .

حجـر أرض قرعـا ونخيـلان :

في عام ٩٨٧ هـ/ ١٥٧٩ م حجر القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي أرض قرعا ونخيلان في وادي ضمد وقد توفي القاضي في تلك السنة نفسها فاختلف الناس في تفسير أسباب الحجر وقد علله البعض بأن القاضي من المعمرين وأنه بحكم مركزه ومعرفته الطويلة يعلم أن لتلك الأراضي ملاكاً قد هلكوا بعد تفرقهم في البلاد في المجاعة المشهورة « بسنة العظام » وقال البعض : إنما حجرها لأنها مرتفق للاحتطاب والمرعى لأهل قرية ضمد الأسفل والذي نرجحه أن سنة أم العظام هي في عام ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ م وأن أربعة عشر عاماً لا تكفي لطمس معالم ملكية الأرض وعدم معرفة ملاكها وأن الأسباب الأخيرة أوجه وأقرب إلى معقولية الحجر ردعاً لطمع الطامعين لا سيما وهي مرعى ومحتطب .

في عام ٩٨٦ هـ/ ١٥٧٨ م كان جعفر أحمد كخيا مديراً لجازان وتحسنت الزراعة تحسناً ملموساً فاغتنم المدير من وراء ذلك مغنما لابتزاز أموال الرعية بمضاعفة الأموال الحكومية المقررة فجمع رؤساء العشائر وألزمهم باستحصال العوائد مضاعفة فامتنعوا فزج بهم في السجن حتى ضمنوا له ذلك وعند حصول الثمرة خرج بنفسه للاستحصال إلى جهة المسارحة فاسترحموه في التخفيف لأن المحصول لا يفي بما يطالبهم بدفعه فلم يصغ لاسترحامهم فهاجموه ليلا وأضرموا النار في المسكن النازل به وقتلوا من تمكنوا من قتله من أصحابه فلم ينجه إلا الفرار إلى أبي عريش .

خشي المتسببون من الجزاء المنتظر فالتجأوا إلى الأمير أحمد بن عيسى

المهدي في « الحقار » وكان الأمير قد ربط علاقته بعد وفاة والده بصاحب صعدة أحمد بن الحسين المؤيد .

خرج المدير جعفر يترصد لعودة المتسببين فلما وصل إلى جهة « عيّاش » وقع التصادم المسلح بينه وبين الأمير أحمد فعاد المدير مهزوماً إلى أبي عريش وتعقبه الأمير إلى قرية الحرجة وأقام فيها أياماً معلناً أنه سيهاجم أبي عريش فخشي من مهاجمته وطلب من آل الحكمي التوسط بينه وبين الأمير في الصلح فاشترط الأمير كترضية لرجوعه عن مهاجمة أبي عريش إطلاق جميع المساجين الذين في سجن المدير التركي وهي شهامة عربية نراها تستحق الثناء والتقدير ولم يقم من الحرجة حتى أطلق آخر مسجون .

الأمير أحمد بن عيسى المهدي القطبي :

رفعت هذه القضية منزلة الأمير في نظر أهل المخلاف وأعادت إلى أسرة القطبي شيئاً من أمجادها السالفة فرحلت أكثر القبائل من « الخبت » إلى « السَّلْب » موطن الأمير بيد أنه لم تمض عشرة أيام حتى تلقى أمراً من « صعدة » بمهاجمة مدينة أبي عريش فتحرك صوب المدينة وإنما انتهى الأمر بالصلح بينه وبين المدير التركي على دفع مبلغ من المال ، بيد أنه بعد ذلك هاجم المدينة وحاصر الحامية التركية حتى استسلمت فأرسل قائدها المدير أصلان إلى صعدة ورحل الجنود إلى اليمن وأخرب القلعة الكائنة في مدينة أبي عريش ، وفي أثناء ذلك وصلت القوات التركية عن طريق الحجاز فخف الأمير راجعاً إلى (الحقار) .

خيم الأتراك بظاهر مدينة أبي عريش وصحبتهم المدير السابق جعفر أحمد كخيا ، وكان جميع سكان وادي جازان قد غادروه خشية من مَعَرَّة الجيش التركي إلى صبيا فأرسل القائد التركي المدير (مراد) وآل الحكمي إلى الأمير دريب بن عيسى الخواجي لإقناع سكان الوادي بالعودة إلى أوطانهم فعاد جميع الموجودين في وادي صبيا .

القتـــال بين الخـــواجيين :

نشب القتـال بينهم بجهة الظبية وجرح جماعة من الفريقين ، وكانت السبب للافتراق بين آل مهارش وآل عيسى ، وبعدها قتل علي بن حسين بن عيسى مفيدَ ابن عيسى بن دريب فتحول آل مهارش من الغجارية [1] إلى منامة .

في عام ٩٩١ هـ/ ١٥٨٣ م صدرت أوامر والي زبيد بتعيين مراد مديراً للمخلاف بدلا عن جعفر أحمد كخيا الذي وجد مقتولا في خيمته بأبي عريش ووصلت سفينة إلى بندر جازان تحمل مواد البناء والمعماريين لعمارة قلعة أبي عريش .

وفي عام ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٦ م عزل المدير مراد بحسين بربر وعزل في نفس السنة الأخير بالمـدير إبـراهيم التـركي ، وفي عام ٩٩٦ هـ/ ١٥٨٨ م صدرت الأوامر بارتباط جازان بوالي (صعدة) فأرسل من لديه مديراً لجازان يدعى موسى عوض ، وعزل هذا في نفس العام بالمدير رضوان .

تجدد الفتنة بين الخواجية :

في سنة ١٠٠٠ هـ/ ١٥٩٢ م تجددت الفتنة بين الخواجيين بصبيا ، ونشب القتال بين الرئيس عبد الوهاب الخواجي وأبناء أخيه دريب بن عيسى الذي تخلى عن الإمارة لكبر سنه وضعف بصره ، وحصل في صبيا من انتهاك الحرمات وفظائع الأمـور ما تنفـطر له القلوب وأحرقت المدينة ، وخرج أبناء دريب بن عيسى إلى صلهبة والجمالة وأبي عريش ، وهذا أول خراب لصبيا منذ تأسست . واتصلت الأخبار بوالي صعدة حسين الضحاك فأرسل مندوباً من قبله وأمره أن يستصحب مدير أبي عريش على البارحي إلى صبيا فوصل إلى أبي عريش ومنها إلى صبيا يرافقه المدير علي البارحي والقاضي أحمد أبي الفضائل الأسدي وآل الحكمي وهناك عقدوا صلحاً بين المتحاربين يتضمن :

---

(١) غرب قرية صلهبة نحو ميلين .

١ - شرط عدم تقلد السلاح من الطرفين المتحاربين .
٢ - تخطيط جديد في المدينة لكل فريق لا يتعداه الآخر .
٣ - إخراج الفقيه عبد العليم شافع الذي يتهم بتأريث الفتنة بين الطرفين .
٤ - تستمر هذه الشروط سارية المفعول لمدة أربعة أعوام .

وقد استأنف القتال بين الطرفين في عام ١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٨ م بتوجه شمس الدين بن دريب بن عيسى إلى الحجاز وإنابته عنه أخاه مصاص الذي اغتنم غياب أخيه وأعادها جذعة .

نشب القتال بين مصاص وعمه فدارت عليه الدائرة وأصيب بجراحات خطيرة في يديه عاش على أثرها باقي حياته أعضب اليدين وخرج مهزوماً من صبيا إلى صلهبة .

وفي عام ١٠٢٦ هـ/ ١٦١٧ م توفي الشاعر البليغ عيسى الطفاري العريشي وكانت له أشعار رائقة في مدح ملوك الشحر وأمراء الأتراك وأشراف مكة وسنورد بعض مما عثرنا عليه من أشعاره في التاريخ الأدبي للمخلاف .

وفي عام ١٠٢٨ هـ/ ١٦١٨ م توفي الرئيس أحمد بن حسين بن عيسى الخواجي وخلف على رئاسة صبيا ابنه الحسن بن أحمد .

وفي عام ١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٥ م توفي رئيس قبائل بني شعبة سيار بن هزاع .

وفي عام ١٠٣٦ هـ/ ١٦٢٦ م انتقض الصلح المبرم بين إمام الزيدية المؤيد ابن محمد بن القاسم والوالي التركي حيدر باشا ، وعلى أثر ذلك كتب الإمام إلى رؤساء صبيا الخواجيين بالتخلي عن طاعة الأتراك وأنه مقابل ذلك يقرهم على ما هم عليه فأجابوه بالقبول وبعد ذلك نزل إلى المخلاف الأمير الهادي الديلمي لإبرام الاتفاقية .

وفي شهر ربيع الأول من تلك السنة نزلت إلى المخلاف الجنود

الإمامية ، وحاصرت المدير التركي في قلعة جازان حتى استسلم بعد عشرة أيام وبذلك تم لها الإستيلاء على المخلاف .

وفي أواخر العام وقعت مجاعة في المخلاف فتكت بنصف سكانه .

وفي سنة ١٠٤٦ هـ/ ١٦٣٦ م وقعِ غلاء في المخلاف ومجاعة ضارية ، وعدمت الحبوب ، ولم يوجد منها شيءُ إلا عند التاجر الصبياني المنسكي وشخصين آخرين فقط ، فاشتطوا في بيع ما لديهم بأغلا الأثمان مخلوطاً بالأتربة وغيرها .

في سنة ١٠٦٠ هـ/ ١٦٥٠ م عصفت الرياح الجنوبية بشدة وزاد مد البحر في بندر جازان وأغرق الفرضة ودخل المسجد وسوق العطارين وسائر الأحواش [1] وطم على السبخة وأحدق بجبل جازان من كل ناحية وكاد أن يغرق أهلها .

وفي ١٠٦٢ هـ/ ١٦٥٢ م توفي مفتي صبيا أحمد علم الدين شافع وكان شافعي المذهب .

---

(١) الأحواش : مستودعات البضائع ، ومنها حوش عيسى زيلعي الذي بقى إلى العهد الإدريسي الأخير مستودعا للذخيرة ، أما الفرضة : فهي مركز الجمرك وكان إلى سنة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م بعد أن جددته الأتراك كما فهمنا من المعمرين ، ثم أزيل وموقعه أمام حوش عيسى زيلعي المذكور قبله ، والذي هو الآن به عمارة مركز البريد ويفصل بينه وبين المسجد شارع ، ونفس المسجد جدد عمارته الشيخ محمد يحيي باصهى في سنة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م ثم جددته الحكومة السعودية عدة مرات آخرها على الصورة الموجود عليها الآن [1] ، أما سوق العطارين فهو القسم الجنوبي من السوق الحالية .

---

(١) أي في سنة ١٤٠٩ .

الفصل التاسع

المذهب الزيدي ودعاته

الإمام زيد بن علي :

صاحب المذهب المنسوب إليه : قال ابن أبي الدم في الفرق الإسلامية : كان زيد قد آثر علم الأصول فتتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وكان أخوه محمد الباقر يعيب عليه كونه قرأ على واصل وتتلمذ له وقبس منه ، مع كونه يجوز الخطأ على جده الإمام علي بسبب خروجه إلى حرب الجمل ولأن واصل كان يتكلم في القضاء والقدر .

كان زيد من كبار علماء الإسلام روي عن أبيه وأخيه محمد بن علي وأبان بن عثمان ، وروي عنه جعفر بن محمد ، ذكره جعفر بن محمد ، فقال : رحم الله عمي كان والله سيداً والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثله .

قال الزبير بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال دخل زيد مسجد رسول الله ﷺ في يوم حار من باب الشرق ، فرأى سعد بن إبراهيم في جماعة من قريش قد حان قيامه ، فقاموا فأشار إليهم وقال : ما هذا يا قوم أنتم أضعف من أهل الحرة؟ قالوا : لا ، قال : إنا شهدنا أن يزيد ليس شرًّا من هشام فما لكم، فقال سعد لأصحابه مدته قصيرة فلم يلبث أن خرج فقتل .

وفد على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فرأى منه جفوة فكانت سبباً لخروجه على بني أمية ومطالبته بالخلافة .

سار إلى الكوفة فانضمت إليه الشيعة ، فقاتل يوسف بن عمر الثقفي أحد قواد هشام فقتله وصلبه ثم أحرقه عام ١٢٣ هـ-٧٤١ م وله من العمر ٤٤ عاماً .

كان يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل للمصلحة .

لما قتل زيد في خلافة هشام قام بدعوته ابنه يحيى بن زيد ، فاجتمع عليه خلق كثير وبايعوه ووعدوه بالقيام معه ومقاتلة أعدائه ، فبلغ ذلك جعفر بن محمد فكتب إليه ينهاه عن ذلك فلم يسمع له حتى جرد الأمويون عليه الجيوش وقتل بأذربيجان :

وقد تفرقت الزيدية إلى ثلاثة فرق .

١ - جارودية . ٢ - سليمانية . ٣ - بترية .

الزيــــدية

جاء في كتاب « ضحى الإسلام » لأحمد أمين بعنوان « الزيدية » في صحيفة ٢٧ ج ٣ من الفصل الثاني المختص بالشيعة ما نصه :

الزيدية فرقة كبيرة من فرق الشيعة تتبع (زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) مَثَّلَ هو وهشام ثانية دور (الحسين) و (يزيد بن معاوية) .

كان زيد طموحاً إلى الخلافة نافراً مما يناله وقومه من ظلم الأمويين وذهب إلى العراق - إذ كان قد ادعى عليه خالد بن عبد الله القسري زوراً وديعة ستمائة درهم ، فألح عليه أهل الكوفة أن يخرج على الأمويين ووعدوه بالنصرة وكان هشام يخشى جانبه ، فأمر عامله على (العراق) يوسف بن عمر الثقفي ألا يدعه طويلا بالعراق فأمره يوسف بالرحيل فخرج ، ثم عاد وبث دعاته وعزم على الخروج على بني أمية .

كان زيد من قديم يرشح نفسه للخلافة ويكره الذل ، ويرى أنه أحق بالأمر من هشام ، قال مرة : (والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل) فبلغت هشاماً - وقال له هشام مرة : لقد بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة - وكانت أمه سندية - قال يا أمير المؤمنين : لقد كان إسحق ابن حرة وإسماعيل ابن أمة فاختص الله ولد إسماعيل فجعل منهم العرب فما زال ذلك ينمى حتى كان منهم رسول الله .

فلمــا كان في العــراق عام ١٢١ هـ/ ٧٣٩ م نفـذ خطتـه ونصحـه كثيرون ألا يفعـل ، نصحـه سلمـة بن كهيل فقال ناشدتك الله كم بايعك ؛ قال زيد : أربعون ألفاً ، قال فكم بايع جدك الحسن ؟ قال ثمانون ألفاً ، قال فكم حصل معه ؟ قال ثلثمائة ، قال أنت خير أم جدك ؟ قال جدي ، قال أقرنك الذي خرجت فيه أم القرن الذي خرج فيهم جدك ؟ قال بل القرن الذي فيه جدي ، قال أفتطمع أن يوفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك ؟ قال قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم .

وكتب عبد الله بن الحسن إلى زيد يقول : يا عم ، إن أهل الكوفة نفخ العلانية خور السريرة هرج في الرخا جزع في اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم لا يبيتون بعدة في الأحداث ولا ينؤون بدولة مرجوة ولقد تواترت كتبهم إليّ بدعوتهم فصمت عن ندائهم ، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم واطراحاً لهم وما لهم إلا ما قال على بن أبي طالب : إن أهملتم خضتم وإن حوربتم خرتم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم) .

لم تفده النصائح شيئاً وبعث الدعاة إلى أهل (السواد) وأهل (الموصل) وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس (إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وإقفال المُجمّر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا ، أتبايعون على ذلك ؟ فإذا قالوا نعم ، وضع يده على أيديهم) .

ولبث على ذلك بضعة عشر شهراً ، ثم أمر أصحابه بالخروج قبل الموعد المحدد لما أحس أن يوسف بن عمر يطلبه هو وأصحابه ، فلما جد الجد تفرق عنه أكثر من بايعه إلا ثلثمائة أو أقل وكانت بينهم وبين يوسف ابن عمر ملحمة ثبت فيها (زيد) حتى إذا جنح الليل رمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فلما انتزع منه قضى . فأخذ رأسه وبعث به إلى هشام فأمر به فنصب على باب دمشق ثم أرسل إلى المدينة ومكث البدن مصلوباً ، ثم أمر الوليد فأنزل وكان قتل زيد سنة ١٢٢ هـ/ ٧٤٠ م .

كان زيد واسع العلم بالدين قوي الحجة ، وصفه خصمه هشام بن عبد الملك فقال (رأيته رجلا جدلا لسنا خليقاً بتمويه الكلام وصوغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه وبكثرة مخارج حججه ، وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج . . إن أعاره الرجال أسماعهم حشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه مع مايدلي به من القرابة برسول الله ﷺ وجدهم ميلا إليه غير متئدة قلوبهم ، ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة عندهم أديانهم) .

وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان وصار إلى (بلخ) وأقام بها متوارياً يبث الدعاة ويتهيأ للثورة ، ثم خرج على الوليد بن يزيد ، فأصيب بنشابة أصابت جبهته ، فكتب الوليد إلى يوسف بن عمر أن انظر عجل العراق - يعني يحيى - وأحرقه بالنار ، واجعله في قوصرة ثم اجعله في سفينة ثم ذره في الفرات ، وكان ذلك في سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م .

وقد كان قتل زيد وابنه يحيي على النحو الذي روينا سبباً من أسباب زيادة البغض للأمويين والاستعداد للثورة عليهم .

وقد روي أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين أن أبا حنيفة كان ينصر زيداً وأنه أرسل إليه يقول : إن عندي معونة وقوة على الجهاد لعدوك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح وبعث إلى زيد بمال فقبله منه .

ولم يجتمع حوله الشيعة كلهم لنصرته لما ذكرنا عن أهل الكوفة ، ولأن كثيراً من الشيعة كانوا يقولون بإمامة أخيه محمد الباقر ، ثم لابنه جعفر بن محمد ولأنه كان معتدلا في تشيعه اعتدالا لا يرضي الغلاة ، اجتمع إليه جماعة منهم فقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل هذا البيت يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا فلم تطالب بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم ؟ فقال لهم زيد إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين ، وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا لهم كفراً ، قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قالوا فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ؟ فقال إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم ، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تُحيا وإلى البدع أن تطفأ فإن أنتم أجبتمونا سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل ، ففارقوه ونكثوا بيعته ، وقالوا جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ، ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة .

تعـــاليمه :

قال الشهر ستاني : أتباع زيد بن علي ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم أي كمحمد بن الحنفية إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج للإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواءاً كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين . . وزيد بن علي لمـا كان مذهبـه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ لواصل بن عطاء ـ رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل أن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب « الجمل » وأصحاب الشام ـ ما كان على يقين من الصواب ، وإن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه ، فاقتبس منه الاعتزال ، وصارت أصحابه كلها معتزلة ، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، ومن أجل هذا صحح إمامة أبي بكر وعمر ، ولما سمعت شيعته بالكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة ، وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن كان يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين ، ومن يتكلم في القدر على غير مذهب أهل البيت ، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً حتى قال على قضية مذهبك والدك ليس بإمام يعني علياً زين العابدين ، لأنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج ، انتهى ما نقل عن الشهرستاني .

إلى أن قال ـ ومن أهم ما بين أيدينا من كتبهم كتاب (المجموع) جمعت فيه الأحاديث التي رويت عن الإمام زيد وفتاويه ، مرتبة ترتيباً فقهياً وقد ذكروا أنه أول كتاب جمع في الفقه على مذهب زيد ، والروايات فيه كلها عن زيد عن آبائه من الأئمة ، فيقول مثلا حدثني عن زيد عن أبيه عن جده علي ، وأكثره على هذا النمط وبعضه فتاوى سئل فيها زيد ، مثل سألت زيداً عن الرجل يكون له أقل من خمسين درهماً ، قال ليس عليه صدقة الفطر ، وهكذا في كل أبواب الفقه ـ وبعض ما روي في هذا الكتاب

عن زيد عن أبيه علي زين العابدين عن جده الحسين عن علي ، يخالف ما يرويه الإمامية عن الإمام الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن جده علي ، ويعلل الزيدية ذلك بأن الرواة عن زيد عدول الزيدية الذين لا مطعن عليهم ، والرواة عن الباقر الإمامية لم تثبت لنا عدالتهم .

وهذا الكتاب يطلعنا على ناجيتين هامتين أحدهما الأحاديث المروية عن أهل البيت من زيد إلى علي مرتبة ترتيباً فقهياً ، وذلك يمكن من الاطلاع على أصولهم التي بنوا عليها الأحكام ، والثانية ترينا تشدد أهل البيت جميعاً في عدم أخذ شيء من الأحكام ولا رواية الأحاديث إلا عن الأئمة فلا تكاد تجد حديثاً في المجموع الكبير إلا ومرجعه الأخير زيد أو علي ، ولا شيء عن أبي بكر أو عمر أو ابن مسعود أو غيرهم من الصحابة .

انتهى ما ورد في « ضحى الإسلام » للدكتور أحمد أمين المصري تحت عنوان « الزيدية » .

الزيدية في اليمن :

قال نشوان الحميري في كتابه « الحور العين » أول من دعا باليمن إلى مذهب الزيدية يحيي بن الحسين الرَّسيّ ، فنزل من خولان وغلب على صعدة فخرج أحمد ابن عبد الله الأكيلي ، من اليمن إلى العراق وافداً على المعتضد العباسي في آخر أيامه يستنجد به على يحيي بن الحسين فوصل إلى العراق وقد بويع للمكتفي فأمده المكتفي بالجيوش ، في أثناء ذلك ورد كتاب والي الحرمين بأن يحيي بن الحسين قد خرج من صنعاء ، فعدل المكتفي عن بعث الجيوش .

وقال المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » تحت عنوان (ظهور الزيدية في اليمن) ما نصه : ولئن كان في استطاعة حكومة بغداد أن تفتح مصر من جديد بعد أن استقلت عنها زهاء أربعين عاماً لقد فقدت بالكلية ، في الوقت نفسه تقريباً سلطانها على بلاد العرب الجنوبية ذلك الإقليم النائي من الإمبراطورية ، عجز الإسلام عن تعديل

الأحوال الاجتماعية والسياسية تعديلا جوهرياً كاملا ذلك أن الحكام الأرستقراطيين ظلوا يحتفظون بقلاعهم ويفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم كما كانوا يفعلون في عهد (سبأ وحمير) من غير أن يجدوا معارضة من ممثل الخليفة في صنعاء ، ما داموا يؤدون نصيبهم من الخراج في شيء من الإطراد . ولقد ترك لنا أحد هؤلاء المحليين وهو الحسن الهمداني ، الذي توفي عام ٩٤٥ م ٣٥٢ هـ بعد اشتباكات متلاحقة مع القوى السياسية المسيطرة على طبقة الأرستقراطية ، صورة من موطنه المستغرق في الفخر بأمجاده الثقافية القديمة التي ليس لأي من الأقاليم الإسلامية ما يضارعها ، وذلك في كتابيه « الإكليل » ، و « وصفة جزيرة العرب » ، والحق أن الحكومة العباسية قد رأت من الخير ، فترة من الزمن ، أن تشجع نشوء القوى المحلية إلى جانب عملها الرسمي يدل على ذلك أن المأمون بعد أن أخفقت سياسته العلوية وجه إلى بلاد العرب الجنوبية قوة (خراسانية) تحت قيادة جندي مجرب اسمه محمد بن زياد ، وكان يدعى النسب إلى زياد بن أبيه أخي معاوية لأبيه فوفق محمد هذا إلى إخضاع المقاطعات الساحلية حتى الشحر في حضرموت ومشارف البلاد لسلطانه في حين ظلت الأراضي الجبلية خاضعة للحاكمين في صنعاء ، ومن مقره في زبيد استطاع هو وأعقابه أن يحتفظوا بسلطانهم في البلاد طوال مائة وخمسين سنة وإن لم يستقر لهم الأمر دواماً ومهما يكن من شيء فقد كبحت سلطة خلفه الثاني كبحاً شديداً على يد (يعفر بن عبد الرحمن) أحد الأشراف المحليين الذين شقوا عصا الطاعة على عمال المعتصم ، ولقد استطاع يُعْفِرُ من مقره في شبام أن يبسط سلطته في تجاه الجنوب في حين وفق ابنه إلى حمل الحكومة المركزية على الاعتراف به أميراً على صنعاء ، ولم يلبث العلويون أن أدلوا دلوهم بين الدلاء . فقد ظهر دعاة القرامطة وسيأتي ذكرهم في المنطقة الجبلية النائية ولكنهم عجزوا عن الاحتفاظ بمركزهم طويلا وإن لم ينقطعوا عن بث دعايتهم الدينية والسياسية هذا من ناحية ومن الناحية الثانية ، فقد نجح أحد أعقاب « زيد بن علي » في أن ينشيء لأسرته سلطة هناك استطاعت أن تصمد لعادية الأجيال ولا تزال إلى اليوم عنصراً قوياً في تاريخ العرب فبعد المغامرة التي نهض زيد بعبئها في العراق على سلطة الخليفة الأموي هشام انسحب أعقابه إلى

المقاطعات الواقعة في أطراف الامبراطورية واتفق أن كان أشراف طبرستان ومازندران على الساحل الجنوبي من بحر قزوين يلتمسون زعيما يستندون إليه تخلصاً من جور الأمراء آل طاهر ، فوضع الحسن بن زيد ـ أحد حفدة زيد ـ نفسه في خدمتهم . وكان ينزل في مدينة الري ويمتاز عن أجداده بقوة العزم وبراعة السياسة . ولقد وفق هو وأعقابه أن يثبتوا هناك مدة تزيد على نصف قرن (٢٥٠ هـ/ ٨٦٤ م ـ ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م) حفلت بالحروب المتطاولة . كذلك ظهر أعقاب زيد ـ يحيي بن الحسين المعروف بالرسي ، وعلقت عليه الآمال بسبب علمه وورعه في أن يبعث أثناء إمامته أمجاد البيت العلوي حتى إذا تبين له بعد زيارة قام بها لأبناء عمومته في (طبرستان) أن من المتعذر عليه أن يمكن لنفسه هناك وجه أنظاره إلى بلاد العرب الجنوبية حيث كانت الفوضى ضاربة أطنابها ، وكان خبر هذه الفوضى معروفاً في المدينة وفي ١٦ آذار سنة ٨٩٧ م ظهر مع خمسين رجلا ليس غير ـ أمام أبواب (صعدة) وهي الموقف الرئيسي القائم على طريق الحاج بين مكة وصنعاء ، ومن هناك دعا الناس إلى طاعته وقد وفق إلى عدد من الأنصار بسبب من الحكومة التي أصلح بها بين المسلمين والنصارى (هكذا) في أسقفية نجران القديمة أولا وما بين القبائل الضاربة في تلك المنطقة ، فيما بعد . ولكن سلطته ظلت مقتصرة على صعدة وما جاورها ، لأن القرامطة ورجال الدولة اليُعفرية في الجنوب كانوا ينازعونه نفوذه هناك ، ومهما يكن من أمر ، فقد ترك الهادي لأبنائه بعد أن توفي في ١٨ آب سنة ٢٩٨ هـ/ ٩١١ م مركزاً مكيناً لم يلبثوا أن انطلقوا منه ويسطوا سلطانهم . انتهى .

يحيي بن الحسين :

لما تفاقم أمر القرامطة باليمن توجه رؤساء بني فطيمة من صحار بن خولان إلى جبل الرس قرب المدينة المنورة إلى يحيى بن الحسين العلوي المشهور بالرسي وقدموا به إلى اليمن ، وهناك بايعوه بالإمامة وتلقب بالإمام الهادي وبعد أن وطن حكمه في جهات صعدة وخولان سار لمحاربة (اليعفريين) ملوك

صنعاء ، فلم يتمكن من الإستيلاء على المدينة فعاد إلى خولان وفي عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م استولى على مدينة صعدة وجعلها قاعدة حكمه ، وفي نفس العام استولى على مدينـة صنعـاء عنـوة فانحـاز اليعفريون إلى بلدة شبام ، ومنها أعدوا العدة وتحركوا لاستخلاص صنعاء ، واستعادوها وانسحب الهادي إلى صعدة وفي سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٦ م استولى القرامطة على صنعاء بعد أن طردوا منها (اليعفريين) فتقدم الهادي وأخرجهم منها بعد معارك دامية وإنما لم تطل عليها ولايته فقد تقدم أسعد بن يعفر في عام ٢٩٤ هـ/ ٩٠٧ م واستولى عليها بعد أن طرد منها قوات الهادي فكر القرامطة واستولوا على صنعاء وبقيت في حوزتهم إلى عام ٢٩٨ هـ/ ٩١١ م فاستدعى أهل صنعاء الإمام الهادي فتقدم على المدينة وأخرج القرامطة بيد أنه في نفس العام أخرجته القرامطة ثانية فعاد إلى قاعدته صعدة وتوفي بها في تلك السنة أي في عام ٢٩٨ هـ/ ٩١١ م .

***

الحالة الاجتماعية والوضع السياسي في اليمن الأعلى :

كان جنوب الجزيرة في سرار القرن الثالث ومستهل القرن الرابع في حالة من الاضطراب والفوضى تتنازعه شتى النزعات والمذاهب والميول السياسية في تيارات متعاكسة ، وقد مر بك طرف من وصف حالته العامة على وجه الإجمال في ما نقلناه عن المستشرق الألماني (كارل بركلمان) وزيادة في الإيضاح فكانت الإقطاعيات وزعامة الأسر لها المقام الأول وكل زعامة من تلك لها من العصبية والأتباع والأشياع ما يجعلها في شبه عزلة تضطرب في محيطها القبلي ، في مدرج من التفاوت الطبقي الموروث والذي لا يزال رسيس من بقاياه يدب في ثنايا العرف العشائري إلى ذلك التاريخ ، وفي أعلا ذلك المدرج تحتل أسرة الزعامة القمة ، وفي ذلك المضطرب وجدت لها الإسماعيلية أو القرامطة حقلا خصباً للتفريخ والنمو وشعرتْ بخصوبة ذلك الحقل وصلاحه للتجارب فهرعت إليه المطامع وبذرت في تربته شتى المذاهب والنزعات ، وعلى ضوء ذلك وكنتيجة لتلك المقدمات توزعت السلطة في اليمن إلى دويلات وإمارات عديدة أشهرها نتبينه من الوضع السياسي في ذلك التاريخ وهو كالآتي :

١ ـ تهامة وتعز وما يليها تحت السلطة الزيادية .
٢ ـ صعدة وخولان ونجران تحت سلطة الهادي بن الحسين العلوي .
٣ ـ صنعاء وشبام وما يليها لليعفريين في الأغلب .
٤ ـ منطقة حجة ـ حالياً ـ وغرباً إلى مناخة ـ حالياً ـ وما تجانف إلى إبّ وجنوباً إلى يافع للقرامطة .
٥ ـ إقطاعيات آلت إليها الزعامة بالتوارث في قبائل عديدة ضمن المناطق المذكورة أعلاه وخارجها ، وأشهر تلك الإقطاعيات :

(أ) إقطاعية آل الكرندي ملوك « المعافر » .
(ب) إقطاعية آل أبي الفتوح .

(جـ) إقطاعية آل المناخي في جهة المذيخرة .
(د) إقطاعية آل النّبْعي أصحاب « حصن الشعر » .
(هـ) إقطاعية آل الزواحي أصحاب « حصن كوكبان » .
(و) الدعام الهمداني .

وقد ظلت هذه الإقطاعيات محتفظة بسلطانها المتوارث وزعامتها المحلية ونفوذها القوي إلى أن أزالها « علي بن محمد الصليحي » في القرن الخامس الهجري وبعد وفاته مقتولا استأنف الكثير منهم سلطته واستعاد سلطانه ونفوذه .

توفي الهادي كما مر بك آنفاً بعد أن وطد لحكمه في القسم الشمالي وقد ساعده في تثبيت مركزه ما يتسم به من التقى والصلاح وميول قبيلة خولان إلى العلويين ، وكانت من أشهر قبائل اليمن وهي إحدي الثلاث القبائل المشهورة في اليمن الأعلا وهي :

١ ـ حمير ـ المشهورة المكانة في التاريخ ـ والتي منها الحكام اليعفريون في الإسلام .
٢ ـ خولان وهي قبيلة قوية معروفة المكانة في التاريخ في الجاهلية والإسلام وحاضرتها مدينة صعدة ، وقد كانت لها اليد الطولى في تدعيم حكم الإمام الهادي ، وهي التي استدعى بعض عشائرها الهادي .
٣ ـ همدان وتنقسم إلى جذمين عظيمين : حاشد ، وبكيل .

وهمدان هذه هي التي انضمت إلى جانب الإمام علي في حروبه مع معاوية بن أبي سفيان ، وفيها يقول الإمام علي :

تيمّمت (همدان) الذين هم هم	إذا ناب أمْرٌ جنتي وسهامي
وناديت فيهم ، دعوة فأجابني	فوارس من همدان غير لئام
فوارس ليسو في العجاج بعزل	غداة الوغا من شاكر وشبام
ومن أرحب الشم المعاطس بالقنا	ونِهْمٍ ، وأحياء السبيع ويام

وقد ظلت تلك القبيلة على ولائها المعروف للعلويين .

تمكن الإمام الهادي من تدعيم حكمه وتأسيس إمارته ، ونشر مذهبه في ذلك القسم من اليمن ، وتختلف الرواية في سنة دخوله إلى اليمن ، ففي رواية أنه دخله في عام ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م ـ وتقدم لفتح صنعاء فلم يظفر فعاد إلى جهته ثم استأنف الكرة عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م واحتل مدينة (صعدة) ومنها نشر سلطانه فعلى الرواية الأخيرة يكون أمد حكمه ١٤ عاماً تقريباً ، وقد استطاع بعد حروب ومعارك دامية بينه وبين القرامطة من جهة وبين الأمراء المحليين من جهة أخرى استطاع أن يرسي قواعد حكمه ويثبت دعائم سلطته الروحية ، ويقال : إنه اشتبك مع القرامطة في زهاء سبعين وقعة ، وقد أسر ابنه في أحد المعارك التي دارت بينه وبين سيد همدان محمد بن الضحاك وذلك في يوم (اتوه) [1] وبرغم تلك الحروب والمعارضات فقد تغلب على جميع الصعاب .

كانت عاصمته مدينة صعدة ، وقد نقش اسمه على السكة وتلقب كما سبقت الإشارة بالهادي إلى الحق ، وبعد وفاته بويع ابنه محمد بن يحيى .

خلف محمد بن يحيى والده وامتد حكمه على همدان ونجران وأخيراً تنازل لأخيه الناصر أحمد بن يحيى سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م .

أحمد بن يحيى الملقب بالناصر :

تولى الإمامة بعد تنازل أخيه محمد ، واشتبك في قتال عنيف مع الباطنية في أثناء رئاسة (عبد الحميد المسوري) ـ أنظر أخبار القرامطة ـ وقد عاصر الناصر علي بن الفضل ، ثم منصور بن الحسين ـ من القرامطة كما التحم في قتال مع اليعفريين في عام ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣ م فهزموه واحتلوا عاصمته صعدة مدة أربعة أشهر .

واستمرت الحال بينه وبين مناوئيه بين مد وجزر حتى توفي .

وبعد وفاته وقع الاختلاف بين إخوته وبني عمه وأخيراً تمكن ابنه يحيى بن أحمد من أخذ البيعة لنفسه .

---

(١) اتوه من مساقط وادي محصم في بلاد همدان ـ الإكليل الجزء العاشر .

المنصــــور يحيى بن أحمــد بن يحيى :

تولى السلطة كما قدمنا فخالفه أخوه القاسم الملقب بالمختار ونشب بينهما القتال ، وأخيراً استطاع أن يستولي على صنعاء فاصطدم مع أحد الأمراء من أشراف حاشد المسمى الضحاك ، فأسره الضحاك ثم قتله في عام ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م .

المنصــــور بن يحيى بن أحمــد :

اتفق مع قيس بن الضحاك السابق ذكره وتمكن بمساعدته من قتل والده الضحاك في أحد المعارك التي دارت رحاها بينهما توفي في سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م .

الهــادي الثــاني يوسف بن يحيى :

قام بدعوته في القسم الشمالي فنازعه القاسم بن علي العياني الوافد من الحجاز وكانت الاختلافات والمنافسة وبوادر الشقاق قد دبت في جماعتهم ، وأخيراً تمكن العياني من التغلب على الجهات التي تحت يدهم .

القـــاسم بن علي العيــاني العلــوي :

وفد من الحجاز وتمكن من التغلب على ما تحت سلطة الهادي الثاني وبعد ذلك استطاع الاستيلاء على صنعاء وعلى ذمار بيد أنه اضطر إلى التراجع بعد ذلك إلى جهة وداعة ومنها إلى عيان ـ بين خيوان وصعدة ـ واستقر بها إلى أن توفي عام ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٣ م .

الحسين بن القـــاسم العيــاني :

بويع بعد وفاة والده فنازعه محمد بن القاسم ، ويظهر أن سلطته كانت تقتصر على الهان وصعدة في فترة من الوقت ، لأن من عام ٣٩١هـ/١٠٠١م إلى نصف العقد الأول من القرن الخامس قد استعادت الدولة الزيادية الكثير من سلطتها على يد أحد أوصيائها الحسين بن سلامة في أغلب الأقسام الجبلية ، وإذا رجعنا إلى آثار الحسين بن سلامة العمرانية في القسم الأعلى ترجح أن تلك الأقسام ومن ضمنها مدينة صعدة كانت خاضعة له ـ راجع أخبار الدولة

الزيادية وإذا كانت هناك إمارات محلية قائمة ، فهي خاضعة لسلطة زبيد السياسية التي تستمد نفوذها السياسي والروحي من خلافة بغداد ، وعلى كل فقد تكون سلطة الحسين بن علي العياني في القسم الشرقي الشمالي ، فقد ذكر أنه قتل في حروبه مع الأمراء المحليين من آل الضحاك وآل حماد من أشراف حاشد . وبقتله خلفه على مكانه أخوه جعفر بن القاسم فلم يتم له شيء من الأمر ، وقد فت في عضده وصول أبي هاشم يحيى بن الحسين بن عبد الرحمن العلوي مع ابنيه حمزة وعلي ، وقد دعى أبو هاشم هذا لنفسه « بناعط » وتلقب بالمعيد لدين الله ، وهب لمساعدته الأشراف من رؤساء همدان ، واستمر على دعوته إلى أن توفي عام ٤٢٦ هـ/ ١٠٣٥ م ، وبعد وفاة أبي هاشم هب جعفر ثانية لاستعادة ما سلب منه فلم يسعفه الحظ .

أبو الفتح بن الناصر :

ونلاحظ أن المنافسة العائلية والمعارضات المحلية التي تنحصر في بعض الأسر الحاكمة قضت على الحكم العلوي ، أما النفوذ الروحي فلا يزال يكمن في نفوس الكثير من سكان خولان وهمدان وإنما يفتقر ذلك النفوذ إلى زعامة قوية توري أواره ، وقد وجدت أسرتان أو أكثر بعد أسرة الهادي وتلاشى نفوذها في تيارات الاختلافات والمنافسات العائلية أو خمدت جذوة سلطتها في مهب المعارضات من سراة الزعامات المحلية ، ولا شك أنه اتصلت أخبار ركود الدعوة الروحية للزيدية في اليمن بمن في الديلم ، فتحفز أبو الفتح إلى النهوض إلى اليمن فوافاه في عام ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٩ م ودعى لنفسه ، فاستجاب لدعوته الكثير من الشيعة فاختط حصن ظفار وتغلب على تلك المنطقة بيد أن قوة الصليحي ونفوذه المتأجج قضى على كل نجاح وأمل لأبي الفتح فظل مطارداً من قبل قوات الصليحي حتى قتل عام ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م ببلاد عنس .

الحسين بن عبد الرحمن بن يحيى :

حاول بعد قتل أبي الفتح أن يقود حركة المقاومة والتصدى لرد تقدم قوات الصليحي عن القسم الشمالي ، فقتل على يد أحد قادة الصليحي عامر بن سليمان الزواحي أخي السيدة بنت أحمد لأمها في عام ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م بناعط .

الشريف الفاضل ـ وذو الشرفين :

خرج على الدولة الصليحية فقتل غيلة بناحية الجوف عام ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٥ م فقاد الحركة أخوه ذو الشرفين ولم يعاود الغارة على أطراف الدولة الصليحية ، وكان يغذي حركته ويعضد مقاومته جياش بن نجاح خصم الصليحيين اللدود ، ويبعث له شهرياً بألف دينار .

انقضت فترة لم تكن ذات بال في تاريخ العلويين اليمنيين فإن الدولة الصليحية في عهد الصليحي وخلفائه استطاعت بنشاط دعاتها وقوة مركزها ومعرفة الصليحيين وهم من عرب اليمن الخلص بالأحوال السياسية في اليمن استطاعت في عهد المؤسس الأول لتلك الدولة القضاء على أغلب الإقطاعيات وحكومات الأسر واستبدالهم بمن ينتمون إليه بالمصاهرة أو الرحم ، فساعده ذلك على خفوت نشاط المذاهب والدعوات أو الحد من نشاط دعاتها ـ ومع أن الصليحي نفسه داعية من دعاة العبيديين المعروفين ببدعتهم الباطنية ـ إلا أن حزمه ومنهجه السياسي قرباه كثيراً إلى قلوب مواطنيه في القسم الجبلي .

ونرى أول نشاط يستأنف للعلويين في اليمن أو بالأحرى « للزيدية » في عام ٥٣٢ وهي السنة التي توفيت فيها (السيدة بنت أحمد) التي بموتها تقوضت دعائم تلك الدولة الصليحية ، وفي نفس تلك السنة نلاحظ قيام دعوة الإمام أحمد بن سليمان المعروف بالمتوكل .

أحمد بن سليمان المتوكل :

بويع بالإمامة في عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م وحكم صعدة والجوف ونجران ، ونشب القتال بينه وبين سلطان همدان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي ـ انظر أخبار الهمدانيين ـ وكتب إليه « حاتم » من جملة ما دار بينهما من المجادلات الكتابية :

أبالورق الطلحي تأخذ أرضنا ... ولم تشتجر فيها قنا ورماح
وتأخذ صنعا وهي كرسي ملكنا ... ونحن بأطراف البلاد شحاح

ويقال : إنه استطاع أن يستولى على صنعاء مرتين ويستعيدها من حاتم الهمداني .

وفي عام ٥٤٥ هـ/ ١١٥٠ م انعقد مجلس من العلماء تولى مناقشته لمعرفة مدى صلاحيته للإمامة .

وقد أغار على زبيد في أواخر عهد الدولة النجاحية ، ولم نر في تاريخ (الديبع) إشارة إلى استيلائه عليها وحارب القرامطة وانتصر عليهم وفي آخر عمره كف بصره وثار عليه « فليتة بن القاسم » ووقع الإمام أسيراً في يده وأخيراً أطلق سراحه وتوفي بحيدان عام ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠ م .

وبعد وفاته بثلاثة أعوام تقريباً كان تغلب الدولة الأيوبية على اليمن بقيادة توران شاه ، ويقول صاحب (قلائد الجمن) كان لشمس الدولة أكثر بلاد اليمن سهله وجبله ـ راجع أخبار الدولة الأيوبية بهذا الجزء .

المنصور عبد الله بن حمزة :

أعلن دعوته في عام ٥٩٣ هـ وحارب المطرفية ـ فرقة من المعتزلة ـ واستولى على ذمار ودخل صنعاء ، وبعد أمد قصير اضطر إلى الانسحاب أمام قوات الأيوبيين وتوفي بحصن كوكبان عام ٦١٤ هـ/ ١٢١٤ م .

ومن بعد وفاته يلوح أن صولة الدولة الأيوبية واستتباب الأمور لها قضى على كل حركة ذات بال لأئمة الزيدية .

عز الدين محمد بن الناصر :

بويع بالإمامة فنازعه آل المنصور وأدى النزاع إلى امتشاق الحسام وتوفي عام ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م بظفار .

أحمد بن المنصور الملقب بالمتوكل :

دعى لنفسه في عام ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٧ م [1] ثم بايع أحمد بن الحسين بن القاسم الآتي ذكره وكان شاعراً مجيداً ، ومن شعره القصيدة التي مدح بها الملك المظفر الأول الرسولي وهي :

---

(١) يلاحظ أنه يقوم إماماں أو أكثر في وقت واحد ، كل منهم في جهة .

لعل الليالي الماضيات تعود — فتبدو «نجوم» الدهر وهي سعود
عفى منزل ما بين نعمان واللوى — وجَرَّت به الرامسات برود
وكانت به العين الغواني أوانساً — فأضحت به العين الوحوش ترود
مجر أنابيب الرماح ، ومبتنى — قباب ظباء ربعهن برود
كأن غصون الدَّوح فوق عراصها — قنا الخط تهفو فوقهن بنود
فيادارنا بين العبيسة والحمى — هل الروض روض والزرود زرود
فكيف بمن أمسى ظفار محله — ومن بات قد حالت عليه زبيد
وإن فتى تبقى مواثيق عهده — على مثل ما لقيته لجليد
وإما سرى البرق الشآمي هاج لي — جوى واشتياقاً ليس فيه مزيد
فهل لجنوب الريح أن تلثم الثرى — بنشر تحيات لهن صعود
على أربع بين الصعيد وصعدة — وبين براش لي بهن عهود
مشاعر حج الطالبين فلا الأذى — قريب ولا نجح الرجاء بعيد

ومنها في المدح :

ولما قصدت الملك ذا التاج يوسفاً — علمت بأن الهم ليس يعود
دعوت ، فلباني فتى لا مقصر — ملول ولا واهى اليدين بليد
ومالي لا أزجى الركاب إلى ذرى — بها الشهب شهب والصعيد صعيد

هذا ما عثرنا عليه من هذه القصيدة في « مطالع البدور » .

أحمد بن الحسين الملقب بالمهدي :

قام بدعوته عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م في مستهل دولة عمر بن علي الرسولي الملقب المنصور الذي يذكر الديبع أنه ملك من حضرموت إلى مكة ، وأمر الخطباء أن يخطبوا له على سائر منابر اليمن ، ولم نستطيع التوفيق بين منطوق تاريخ القسم الأعلا الذي يشيد بتاريخ الأئمة الزيدية وبين تاريخ الديبع الذي يشيد بملوك آل رسول ـ وأقرب ما نستنتجه أن دعوته كانت محصورة في هذا التاريخ في بعض الأماكن القصية ، وقد ورد أنه نازعه أبناء المنصور عبد الله بن حمزة وقاومه أحد الرؤساء المحليين المدعو أحمد الرصاص وأنه

طالت إمامته أو مقاومته لمناوئيه حتى أدرك أيام المظفر الأول الرسولي فاستعدى عليه أبناء عمومته الملك المظفر فأمدهم بالجيوش حتى قتل بموضع يسمى « شوابه » عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م ، وبقتله قام أحد أسرة المنصور ودعى لنفسه وتلقب بالمنصور في عام ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م وتوفي المنصور هذا في « هجرة رغانة » عام ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١ م .

المهدي إبراهيم بن تاج الدين :

أشرنا إلى وفاة المنصور : ونجد في عام ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢ م قيام المهدي إبراهيم بدعوته ، ويظهر أنه لم يكن مرتبطاً بصداقة الرسوليين ، أو بالأحرى بالمظفر الرسولي الذي بلغت دولة الرسوليين أوج عظمتها في عهده .

لذلك نرى المظفر يسير الجيوش للقضاء على دعوته وقد أسرته جيوش المظفر غربي ذمار وقادته أسيراً إلى زبيد وبقي في الأسر إلى أن توفي في عام ٦٨٣ ويلوح أن الملك المظفر قد عامل أسيره بكرم وعطف قابلها المهدي على كل حال بالتقدير والشكر ، وأنطقت شاعريته الخصبة بعدة قصائد خالدة نورد منها البعض :

نوائب الدهر في أفعالنا عجب	والحرب لفظ ومعنى لفظها الحرب
والدهر إن سر يوماً في تصرفه	فعن قليل إذا ما سر ينقلب
وقد رمتني صروف الدهر عن كثب	بأسهم ماضيات عندها العطب
فلم تجدني جباناً حين تطرقني	ولا جزوعاً لدى البأساء انتحب

إلى أن يقول بعد وصفه لأسره :

وبعد ذلك جاءوا بي إلى «ملك»	له المفاخر والعلياء والحسب
أبو «الهزبر» نقي العرض من دنس	وباذل المال لا زور ولا كذب
فكان منه من الإحسان ما شهدت	بفضله فيه عجم الناس والعرب

ومن قصيدة أخرى بعثها إلى أسرته :

وإني إليكم للمظفر شاكر	عفى وحباني بعدها بالمواهب

الإمــام الســراجي :

قام عام ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م فسير المظفر جيشاً ـ للقضاء على حركته ـ بقيادة الشعيبي سنجر فأسره ثم سمل عينيه وهي بربرية ووحشية تتبرأ منها الشرائع .

المطهـر ابـن يحيى المـرتضى :

قام بدعوته والدولة الرسولية في عنفوان قوتها ـ وكان نائب الدولة الرسولية على صنعاء المؤيد بن المظفر ـ فاشتبك في قتال معه قرب « تنعيم » من جـ اللوز فانتصر عليه المؤيد واستولى على تنعيم وأخربها ، توفي المطهر عام ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م .

المهــدي محمد بن المطهــر بن يحيى :

بويع بالإمامة بعد وفاة والده في سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م ، كان واسع العلم وهو مؤلف (المنهاج الجلي في فقه زيد بن علي) ، ويقال : إن أكثر شيعته في الجبال لم يعترفوا بإمامته ويقول صاحب البدر الطالع ، ورد في كاشف الغمة : اعلم وفقك الله أن علماء الظاهر تحاملوا عليه وأنكروا فضله حتى يقال : إن بعض أفاضلهم كان يقول لا فرق بينه وبين صاحب ظفار معناه في الظلم كذا ، وأن مقعداً ركب دابة وجيء به إليه فمسح عليه فشفاه الله ، فقال أهل الظاهر هذه علة تزول بالهزهزة فلما ركب المقعد الدابة زالت العلة وهو الذي مدحه الشاعر المشهور القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي بقصيدته السائرة .

إذا جئت الغضـا ولـك السـلامـة	فطارح بالـتـحـية ريم رامـه
وقـل للوائـلية هل لسـقـمـي	ومـا أتـلفـت من جسـدي غرامـة
حللت (تهـامـة) وحللت «نجـداً»	فأين، وأين «نـجـد» من تهـامـة؟

واشتبك مع قوات الملك المظفر الرسولي في معارك حامية وتوفي عام ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م في حصن ذي مرمر .

الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد :

دعا لنفسه بعد وفاة والده المطهر بن محمد عام ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م واستولى على مدينة صنعاء عام ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٩ م ثم عارضه المهدي علي بن محمد ، فتنازل الواثق له عن الإمامة أو بالأحرى اضطر إلى التنازل واستمر مكبًا على العلم حتى أدركته الوفاة .

الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور :

ولد عام ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥ م في « هجرة الهان » ، ثم دعا لنفسه في عام ٧٥٠ هـ/ ١٣٠٥ م في مدينة «ثلا » ، واجتمع على بيعته أكثر علماء الزيدية وتنازل المتقدم ذكره وعارضه شمس الدين من أسرة أبي الفتح الديلمي ، وقد استقرت الأمور للمهدي واستولى على صنعاء وذمار وصعدة واستمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ٧٧٣ هـ/ ١٣٧١ م ، فخلفه ابنه محمد بن علي الملقب بالناصر الآتي ذكره .

الإمام المؤيد يحيى بن حمزة :

ولد بمدينة صنعاء عام ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠ م وتلقى بها العلوم حتى بلغ درجة الاجتهاد وألف المؤلفات العديدة في الأصول وفي فقه الزيدية وعلوم البلاغة الذي ألف فيه مؤلفه المشهور « الطراز » .

دعا لنفسه بعد وفاة الإمام المهدي ـ السابق ذكره ـ وكانت دعوته في عام ٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م وعارضه المطهر بن محمد وغيره ، ولم تطل مدته ، فقد توفي في عام ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥ م .

الناصر محمد بن علي بن يحيى المشهور بصلاح الدين :

ولد في ليلة الجمعة ١٧ صفر ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨ م وطلب العلم واشتغل به إلى أن بلغ درجة الاجتهاد وبويع بالإمامة من علماء الزيدية بعد وفاة والده عام ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، واتسعت سلطة إمامته وملك صنعاء واستقر بها وحارب الإسماعيلية في جبال اليمن واستباح أموالهم ، وكان يشن الغارات على أطراف

الدولة الرسولية ونستنتج من قصيدة البسامة [1] التي تشيد بمفاخر أئمة الزيدية وتنوه بآثارهم ووقائعهم بأن تلك الغارات عجالة الراكب الماضي إلى السفر أو أن حظ صلاح من الإمارة كذلك إذ يقول :

وكـان حظ صلاح من إمـارتـهـا	عجالة الراكب الماضي إلى السفر
لكنـهـا غرة في الـدهـر شادخـة	بيضـاء واضحـة التحجيل والغـرر
عج الـرسـولي منهـا في ممـالكـه	عجـيج حامـلة وقـراً على دبـر

وقد عارضه في دعوته يحيى بن حمزة المعروف بالمؤيد ، كما عارضه أيضاً أحمد بن يحيى المرتضى ، وقد تمكن الناصر من القضاء على مقاومة الأخير والقبض عليه وسجنه .

وقال العلامة الزحيف في « شرح البسامة » ما نلخص منه بتصرف القصة الآتية - شكى بعض فقهاء اليمن من رعايا الدولة الرسولية في عهد الملك الأفضل الرسولي إلى الإمام الناصر ما يلاقيه من جفوة الأفضل ، وضمن شكواه في قصيدة - وبالطبع إن المجافاة بين الإمام والملك الأفضل ، أو بالأحرى بين المملكة أو رعايا المملكة الرسولية التي تقلد الإمام الشافعي وبين رعايا القسم الشمالي الأعلي الإمامي الذي يقلد الإمام زيداً - جعل من تلك الشكوى معركة « قلمية » جال في ميدانها الشعر السياسي ، هذه الجولة .

وبورود تلك القصيدة إلى الإمام الناصر ، أمر أحد أسرته المقربين المطهر بن الواثق بالإجابة على ذلك الشاكي بقصيدة على لسانه يعد الشاكي بالتدخل لإنصافه ويتوعد الدولة الرسولية ويعرض بالملك الأفضل .

تناقل الناس القصيدة وجوابها حتى بلغت البلاط الرسولي . وكان للرسوليين غرام بالآداب وعطف وتشجيع للشعراء والأدباء ، فهب أحد المقربين من الأفضل المدعو ابن الداعي للإجابة على قصيدة المطهر بالقصيدة الآتية :

---

(١) البسامة قصيدة لصارم الدين إبراهيم بن محمد الوزيري عارض بها قصيدة ابن عبدون الأندلسي .

قفـي قبـل الـتـفـرق يا أمـامـا | نطارحـك الـتـحـية والـسـلامـا
فلي شوق إلـيك ولـي فؤاد | مذاب قد غدا بك مستـهـامـا
أكـلفـه الـتـصـبـر والـتعـزي | ولـيس يزيده إلا غرامـا
عدمـت الـصـبـر عنـك فلا سلواً | ولا وصـل لهـا يروي الأوُامـا
ومـمـا أضـرم الأحـشـاء آت | حكـى لي عن أخي حمق كلامـا
كلامـاً من أجـال الـفـكـر فيه | رآه عـنـد رؤيتـه حرامـا
لمعـتـوه تخبـل من « أصـاب » | أراد بدينـه يعـطي الـحـطامـا
فلم يحظ بمـا قد قال شيئـاً | ولـم يسـلم بمـا فعـل الأثـامـا
تبـصـر في أمـورك واختـبـرهـا | وسـل إن شئت، وارتفـد الكـراما
فأمـا من سألـت ، فغـير شيء ، | إمـام الجـوع لم يشبـع طعـامـا
اتـسـأل سائـلا . أبـدأ ملحـاً | ولا فضـل لديه ولا احـتـشـامـا
وكيف يجـود من عضت « عصـاه » | كلاب الـحـي أو يعـطي المـرامـا
لعـمـرك ما حذوت على مثـال | وقـد أحـرزت في الـدارين ذامـا
وأعـجب منـك أن حركت شخصـاً | يريد لنـفـسـه منا الـذمـامـا
تخـر له «بعـتـمـة» أو «أصَـاب» | تبـلغـه أمـانـيكـم بهـامـا
وكـيـف يطيق ، أم من ذاك يقـوى | يمس بكـفـه منـا خطامـا
وفـي أقـطارهـا ملك كريم | حمـاهـا أن تنـال وأن تضـامـا
على الأقـصى يحـامي بالمـواضي | ومـن قد رام عنـه لا يحـامـا
وقـلت : الـشـافـعيين اقـتـطعهم | وأوسـعـهـم ذمـامـاً واحـتـرامـا
أبـى الـرحـمـن إلا أن ترانـا | لأهـل الـمـلة الـغـرا سنـامـا
نولـى من أردنـاه بخـير | وفـينـا الله قد وهـب الإمـامـا
وأرضـك ، قلت قد شردت عنـهـا | ودمـع الـعين ينسجم انسجـامـا
وأنـك ترتـجـي بهـم انـتـصـارا | لقـد أيقـظت أمـواتـاً رمـامـاً
وقـال مطهـر[1] ، لمـا أتـاه | جواب بالـكـلام جزى كلامـا
ومـا عنـا ، بنـصـرك صاهـلات | وعن مضمـون شرحـك قد تعـامـا

(١) مطهر بن الواثق الذي تولى الجواب على صاحب القصيدة الأولى .

نفخت فكان نفخك في رماد ... غررت به ولم تنفخ ضراما
ألم تر أن في ثعبات[1] ملكا ... لصرح الشافعية قد أقاما
رسولي له في الملك أصل ... أصيل ، لا يرام ولا يساما
حمى الدنيا وأهلك معتديها ... وأمن أهلها يمناً وشاما
فنحن بملكه في خير حال ... نود له على الدنيا الدواما
رجوناه فأولانا جميلا ... وإحساناً وإنعاماً تؤاما
وهبنا ، من مواهبه مثيناً ... وأغنينا الأرامل واليتاما
ومن مدح «الملوك» ينال عزا ... ويلقي الذل من مدح الإماما
وما كَالأفضلِ العباس تلقى ... مليكا لا وراء ولا أماما
وكل متوجٍ وعظيم قوم ... يود بأن يكون له غلاما
تراهم عند ساحته وقوفاً ... يرومون السلامة والذماما
فقل لي للإمام (...) قولا ... يكون وراءه « العضب » الحساما
« عدمنا خيلنا إن لم تروها » ... على أبواب «صعدتكم» قياما
عليها الصيد ، لابسة دلاصا ... تعانق في الهياج ولا ترامي
تسير أمام ملك شافعي ... يقود الخيل والجيش اللهاما
ينقط بالرماح السمر صدراً ... ويشكل بالمواضي البيض هاما
وكل جدوده لكم استباحوا ... وسوف يكون في هذا لزاما

وقد أجاب على قصيدة ابن الداعي ، عن لسان حال الإمام الناصر ، يحيى بن حسن العَرَشي :

أتت تهدي إلى البدر الملاما ... وتستدعي من البحر الخصاما
مثلمة الجوانب خط فيها ... جنون كان في ظني مناما
تدل على وضاعة مبتديها ... وتكشف عن حماقته اللثاما
وتحمل نحونا منه خطاباً ... يقول لسان قارئه سلاما
منائرة الفصول كتبت فيها ... خبالا مثل عقلك لانظاما

---

(١) ثعبات متنزه شرقي جبل صبر كانت على ربوته الغناء قصور ملوك آل رسول .

تمنى المستحيل بها ضلالا ... وتكذب لا حياء ولا احتشاما
وما نفع الكلام لقائليه ... إذا لم يتبع الفعل الكلاما
متى سار الثراء إلى الثريا ... متى قد سامت الخف السناما ؟
متى أتت الرياح إلى « ثبير » ... فنالت منه أو هزت « شماما » ؟
متى أبصرت كلباً أو حماراً ... أخاف بصوته البدر التماما ؟
متى أشبهت يابن « حمار » طي ... بفسقك أو حماقتك الإماما ؟
وتنهض أن تساميه جنوناً ... يجل وحقه من أن يساما
هو « البدر » المنير بلا محاق ... إذا ما كنت يا غمر الظلاما
هو الملك المحكم في البرايا ... إذا ما كنت للأهوا غلاما
هو الجبل المنيع بنا أماناً ... لمن قد حل ذروته اعتصاما
هو الحتف المباح على الأعادي ... فلن يجدي لما صدع التئاما
هو المعطي إذا الأنواء ضنت ... كأن ببطن راحته الغماما
فتى فاق الورى فضلا وفخراً ... وسادهم وما بلغ الفطاما
له فضل يُقِرُّ به الأعادي ... وود لا يرون به انكتاما
فيابن التركمان بأي فضل ... تحوز الفضل خلفاً أو أماما
ويا ترب السفالة والمخازي ... متى أمسكت للعليا زماما
تفاخرني وباعك في المعالي ... قصير ما بلغت به مراما
أنا تاج المعالي وهي رأس ... ومضربها إذا كانت حساما
أنا السيف المهند قد علمتم ... إذا طاح الظلال إلي هاما
أنا بدر الظلام إذا تعامى ... أنا بحر العلوم إذا تطاما
أنا للمجد والعلياءِ فخرى ... إذا ما كان مفخرك الحطاما
أنا الداعي إلى التقوى احتسابا ... براني الله للتقوى إماما .
لقد أمعنت في « الأحلام » حتى ... إذا استيقظت أمعنت اهتزاما
جهلت حقيقتي فسعيت نحوي ... كما جهل « الطلى » الليث الهماما
وما « للشمس » في العميان ذنب ... إذا ما أبصر « الدنيا » ظلاما
بفيك الترب ، كيف طمعت فينا ... ويأبى مجدنا من أن يراما

ونحن الضاربون الهام شعثاً ... وموج الحرب يلتطم التطاما
وكنا فوق هام المجد « تاجاً » ... وكنا في محياه ابتساما
وقلتم نرتجي « الزكوات » منكم ... فلا فعلا صدقت ولا كلاما
عن الزكوات نزهنا فكانت ... على حتى موالينا حراما
وبالتشييع تنبزنا انتقاصا ... ولم نعلم بهذا الاسم ذاما
فهبوا للقاء ولا تحيدوا ... فإنّ لنا بلقياكم غراما
سنصبحكم بها شعث النواصي ... معودة فوارسها الصداما
فكم من وقعة دارت عليكم ... تركنا « المحصنات » بها أياما
فكنتم بين أيدينا ظهوراً ... وكنا نحن خلفكم سهاما
ويوم « زبيد » خيمنا عليها ... وأعقدنا معاقلها القتاما
دعوا هذا التجلد واستعدوا ... نراكم عن مقاصدنا نياما
وخذها تحمل الأعذار ، منا ... إليكم لا التحية والسلاما

وهكذا كانت الخصومة المذهبية تصدع الوحدة العربية وتفرق الجامعة الإسلامية بين أبناء هذه الأمة الكريمة ، فعسى أن يكون في الماضي عبرة وعظة ، ونحن بحمد الله تعالى في عصر نضج فيه الوعي وارتقت المدارك واتحدت الغايات وتوحدت الميول ، وقد أصبح شعار أبناء هذه الأمة الكريمة الوحدة العربية والأخوة الإسلامية فوق الجميع .

توفي الإمام الناصر عام ٧٩٣ هـ/ ١٣٩١ م في حصن ذي مرمر .

المنصور علي بن محمد الناصر صلاح الدين :

ولد عام ٧٧٥ هـ/ ١٧٣٣ م وبويع بعد وفاة والده الناصر عام ٧٧٣ هـ/ ١٣٧١ م ، ويقال أنها اتسعت رقعة إمامته وكثرت أجناده واستمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م .

المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان :

دعا لنفسه بعد وفاة المنصور المقدم ذكره ، في عام ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م واستولى على كحلان ثم ذمار وأخيراً أسر وسجن ، ثم بعد ذلك أطلق سراحه وما زالت أحواله بين القوة والضعف إلى أن أدركته الوفاة عام ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤ م بذمار .

الحالة السياسية والاجتماعية
في اليمن الأعلى والأسفل وتهامة

شرحنا قبل ـ أحوال وتاريخ أئمة الزيدية في اليمن منذ إمامة الهادي يحيى بن الحسين العلوي إلى نهاية إمامة المتوكل المطهر ، وتاريخ جنوب الجزيرة مرتبط الوشائج ببعضه وقد تصرف المؤرخون كل حسب ميوله ونزعاته ، وقد تقلبت على اليمن دول وحكومات وإمارات محلية وطارئة اصطبغت وتبلورت في المحيط المحلي بعد أن أثرت وتأثرت بالمحيط أو احتفظت ببعض خصائصها أو خلفت من الرواسب ما زال راكداً في نفسية الشعب .

وقد عاصرت الإمامة الزيدية منذ نشأتها الأولى إلى هذا التاريخ من الإمارات المحلية الذين ينحدرون من سلائل الحِمْيَرِيِّين « الملوك والأذواء » السابقين ـ ذوي الحضارات العريقة والمجد الأثيل ـ وان يكن قد تقلص ظلال تلك الحضارات وطواها الزمان في سجل طياته ، وإن لم يصل إلى من أشرنا شيء من تلك المدنية الزاهرة ، فلا شك أنهم ورثوا من خصائص الأسلاف وتقاليدهم الموروثة الكثير ، ومن ذلك :

١ ـ أن نظام الحكم في الدولة الحميرية وراثي محصور في أسرة واحدة لها آلهتها ومعبدها .

٢ ـ نظام الطبقات المعروف .

٣ ـ إنه كان يطلق على المدينة اسم هجرة وتنسب تلك الهجرة إلى رؤساء لهم من العصبية والمكانة ما يجعلهم في تجلة يقصر دونها التطاول ، ويمنعها من الاختلاط بمن عداها وإن من ساكنها ينسب إلى ولائها لا إلى تلك الأسرة أو القبيلة ، فيقال « أدم » بني فلان ، كأدم « جدن » أي أتباع أو خول جدن ، وأدم بني مرثد ، وهكذا .

٤ ـ إن للدولة أو الإمارة التي تتمثل في رئاسة الأسرة مطلق التصرف في وضع التشريع الكفيل بتثبيت مركز وبقاء نفوذها لا في مصلحة سواد وجمهور الأمة .

ومن سلالة الحميريين في الإسلام الأمراء آل يعفر كما أن هناك الأمراء الهمدانيين وغيرهم .

ومن أشهر تلك الأسر التي حافظت على سلطتها المحلية إلى القرن الخامس الهجري حتى قضى على نفوذهم علي بن محمد الصليحي :

١ ـ آل الكرندي ملوك المعافر ، وهم من أبناء الأبيض بن حمال ، الذي يقال : إنه أقطعه رسول الله ﷺ جبل الملح ثم استقاله منه وكان إليهم سلطان مخلافهم .

٢ ـ آل الضحاك سلاطين همدان وإليهم كان أمر صنعاء .

٣ ـ آل أبي الفتوح سلاطين خولان .

٤ ـ آل معن .

٥ ـ آل التبعي ، أصحاب حصن الشعر .

راجع تاريخ الدولة الصليحية ـ بهذا الجزء ـ وهناك غير هؤلاء من الأسر ـ راجع أخبار القرامطة بهذا الجزء ـ وأخبار الأمراء وعدا تلك الأسر فقد عاصرت الزيدية في اليمن الأعلا الدول الآتية :

١ ـ الدولة الزيدية من عهد إبراهيم بن محمد في عهد مؤسسها الأول يحيي بن الحسين العلوي .

٢ ـ الدولة اليعفرية التي تدين بالولاء السياسي للعباسيين ، وعدا اليعفريين فهناك دعوة القرامطة وتغلبها على أغلب اليمن الأعلا واعتناق الكثير من الأسر الكبيرة لدعوتهم أو بدعتهم .

٣ ـ الدولة الصليحية التي شملت سلطتها أغلب البلاد اليمنية واستطاعت التغلب أو كبت سائر الدعوات في اليمن سهله وجبله وقد حاول اثنان من الأئمة المقاومة فلاقيا حتفهما على يد قادة الصليحي ـ راجع تاريخ الزيدية في تاريخ أبي الفتح الحسين بن عبد الرحمن .

٤ ـ عاصرت الدولة النجاحية في عصريها الأول والثاني ، وكانت دعوتها روحية .

٥ ـ نلاحظ أن الإمارات المحلية ظلت ذات نفوذ في الجبال بعد انقضاء عهد الدولة الصليحية ، كإمارة آل المغلس الهمداني التي استمرت من عام ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥ م إلى ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م وضَمَّت في آخر عهدها في عهد الأمير جماس إلى حكمها بلاد « جنب » .

(ب) وفي إمارة اليامبين التي انبثقت عن الدولة والإمارة الهمدانية فنجد أنها احتفظت بسلطتها إلى أواخر القرن السابع الهجري في كامل إمارتهم ، ثم تقلصت سلطتهم بتغلب الـزيديين عليهم واحتفظوا بسلطتهم في معقلهم الشهير ذي مرمر حتى غلبهم عليه مؤخراً الإمام صلاح في القرن الثامن .

٦ ـ في عهـد الـدولة الأيوبية التي استطاعت الإستيلاء على صنعاء وغيرها انسحب الإمام عبد الله بن حمزة إلى كوكبان وقد بسطت الدولة الأيوبية نفوذها على أغلب البلاد ولم يبق لغيرها سلطة تذكر .

٧ ـ في عهد الدولة الرسولية الذي استمر زهاء قرنين ونصف على وجه التقريب أي من عام ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨ م إلى ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٥ م راجع ما سبق من تاريخ الدولة الرسولية بهذا الجزء .

والآن وقد وصلنا إلى هذا نستأنف تأريخ الأئمة في عهد دولة جديدة قامت في اليمن في النصف الأخير من القرن التاسع وهي الدولة الطاهرية والتحم تأريخها وحوادث عصرها بتاريخ الأئمة الزيديين ـ وقد ولى منهم الإمامة هداة أعلام تقرأ تواريخهم وتآليفهم مفرقة في ثنايا هذه الصفحات وكان المؤسس الأول منهم يحيى ابن الحسين على أكبر جانب من التقوى والصلاح بعيداً عن غلو المتأخرين ، كما روي العـلامـة المجتهـد محمـد بن إسمـاعيل الأمير في كتابه المشهور « سبل السلام » وأنه زوج بناته من الطبريين ، والطبريون ليسوا من الهاشميين كما يشير أن الغلو نشأ من أيام الإمام أحمد بن سليمان في القرن السادس .

الإمـام النـاصر بن محمـد :

دعا لنفسه في عام ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧ م فنشب الحرب بينه وبين ملوك آل طاهر الـذين في ذلك التأريخ قد أخذوا في الإستيلاء على أملاك الدولة الرسولية وقد تمكن الطاهريون من أسر الإمام الناصر في رجب عام ٨٦٥ هـ/ ١٤٦١ م بواسطة أهـل عرقب من بلاد الحيمة وقد خرج من ذلك الأسر فحبسه الإمام المطهر بن محمد بن سليمان في كوكبان حتى أدركته الوفاة عام ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٣ م .

وقد قام بعده الهادي عز الدين بن الحسن وتولى الإمامة على بلاد الزيدية ما عدا حاشد وتوفي في فلله من أعمال صعدة عام ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٥ م .

المنصـور بن علي المعروف بالسراجي :

دعا للإمامة عام ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٥ م وبايعه جماعة من علماء الزيدية وكثير من الـرعية والتحم القتـال بينه وبين السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري فأسرته القوات الطاهرية في عام ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م وأطلق السلطان عامر سراحه بعد ثلاثة أشهر وتوفي في نفس تلك السنة .

الإمام الناصر الحسن :

يقـال : في عهـد إمامته اكتشفت شجرة البن «القهوة» في اليمن. وذلك في عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م واستعمـل النـاس غلي ثمرتها ويقال: إن شجرة القات[1]

---

(١) (القات لمحة تاريخية ، جاء في بحث بهذا العنوان للأستاذ عبد الرحيم لقمان نشر في مجلة « فتاة الجزيرة » العدنية ـ استقاه من دائرة المعارف الإسلامية ورسالة القات للأستاذ المؤرخ عبد الله يعقوب خان نورده هنا لأنه أوفى بحث عثرنا عليه .

لم يحاول أحد من المؤرخين أن يستقصى البحث عن هذه الشجرة ومنابتها الأولى حتى أن كثيراً من المراجع الرئيسية كدائرة المعارف البريطانية لم تذكر شيئاً مطلقاً في هذا الشأن ، والسبب كما أرى في إغفال هذا الكشف القيم للقات هو الغموض الذي أحاط بكلتا البلدتين ، اليمن والحبشة سنين عديدة ، غير أن جماعة من الرحالة الغربيين ساحوا في البلاد اليمنية في سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م تحت رئاسة نيبر niebhur وكان من بينهم عالم سويدي مختص بالنبات اسمه « بيتر فورسكال » الذي مات وقبر في « يريم » في ١١٧٦ هـ/ ١١ يوليو ١٧٦٣ م .

اكتشف هذا العـالم هذه النبتـة فكتب أول تقـرير عنها حتى أطلق عليها اللفظ اللاتيني « كاتا ايدولس سكال » نسبـة إليه لكن هذا العالم لم يقل لنا أن اليمن هي موطن القات الأول ، وإنما تكلم عنها من الوجهة الطبيعية والعلميـة فقط وبقى أصلهـا مطمـوراً في صحراء الجهل لم يحاول أحد أن يكشف عنه ويستقصيه ، ومن يا ترى يستطيع أن يقول ذلك أو يقرره والأدلة قليلة والشواهد لا تكفى .

=

= تقول دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة قات ان « الامهارا » يسمون القات كاتو وكلفا ، وان الملك « عمدا سيون » قال سنة ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢ م لسوف أجعل من قصر جيرالدين ، مراضه ، قصراً لي وازرع فيه القات .

ويقول عبد القادر الجزائري بأن علي بن عمر الشاذلي ادخل « البن » من بلاد اللفتة عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م فاستعاض به الناس عن القات ، ويظن بعض الناس أن القات أدخل إلى « اليمن » من « الحبشة » ويقولون أنه نقل إليها عام ٨٣٤ هـ/ ١٤٣٠ م ، وأن الذي جاء به متصوف حضرمي اسمه إبراهيم أبو زربين ، وقد يكون هذا حقاً ، غير أني أظن أنه إما يكون نباتاً طبيعياً لم يأت به أحد أو أنه أدخل منذ عهد بعيد ، أي منذ الفتح الحبشي .

زراعته : ولقد كان الناس يظنون أن القات لا يزرع إلا حيث يزرع البن ولكن وجود « البن » في أراضي بعيدة أبطل هذا الزعم وقد رأيت في « العراق » في الحديقة الحكومية التجريبية في الزعفرانية التي تبعد بضعة أميال عن بغداد محاولة الاستاذ المختص بادارتها ، فقد جرب أن يزرع القات في أقفاص زجاجية في جو بعيد عن البحر مشبع بالرطوبة دواما ، وقد ذقناه ولكن لم أدر فيما بعد أنجحت التجربة أم لم تنجح .

والقات والبن نبتتان صعبتا المراس لا تلينان لكل غارس ولا تستطيبان إلا أجواء خاصة ، فإن نقلت من موطنها رفعت عقيرتها وأعلنت ثورتها بتغير حجمها ولونها وطعمها ، فهي شجرة مرهفة رقيقة الشعور ، وكأني بجميع الأشجار التي تستقطر منها المنبهات كذلك . وقد روى لنا الدكتور زكي مبارك ، في الجزء الأول من التصوف الإسلامي قصة اكتشاف الحشيش وحساسية هذه النبتة في الكلام عن الشيخ « حيدر الصوفي » الذي كان يقيم في نشاور من خراسان .

والقات لا يزرع إلا على علو يتراوح بين ٣٠٠٠ و ٦٠٠٠ قدم وليست البرودة أو الحرارة شرطاً لازماً فقد يزرع في مناطق شديدة البرودة كاديس أبابا وصنعاء ، أو حارة « كموجو » إلا أن طعمه يختلف باختلاف الأجواء ، وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أنه يزرع في مدينة « الكاب » حتى منطقة بحيرة « تانا » . والقات هو من فصيلة « اربتوس سيلا ستراشيا » وليس له زهر ولا بذر [1] ، وهذا دليل انحطاطه في سلم التطور الحيوي وأكبر سبب في عدم انتشاره وتكاثره لأن النبات الذي لا يستطيع أن يحتكر أكبر رقعة من الأرض نبات ضعيف ولابد أن القات سينقرض لولا عناية الناس به لأن الزهر أعظم وسائل التكاثر والانتشار وهو فوق ذلك نبات شره ظامىء ، فإذا أريد زراعته قطفت أعواده ثم عملت أخاديد في الأرض تسقي بماء غزير خلو من الرمل أو المواد الضارة ، ثم تغذى التربة بكمية وفيرة من السماد وتغرس الأعواد وتترك بينها مسافات تتراوح بين ٤ و ٦ أقدام فتنمو تلك الأعواد إلى أشجار تبلغ طوالها من ١٥ إلى ٢٠ قدماً لا تزيد ، وفي السنة الرابعة تقطف الأوراق وتبقى الشجرة تغل طيلة العام إذا زرعت بعناية ، وقد أخبرني الأستاذ إبراهيم راسم : أنه لا يمكن قطف أوراق القات في هرر اللهم إلا ٤٠ يوماً عند غروب الثريا وهو يزرع في كل مقاطعات الحبشة تقريباً، كما يزرع في اليمن،=

---

(١) المفهوم من بعض أهل الجبال التي يزرع بها القات أن لشجرة القات أزهار صغيرة جدا وأنه بعد سقوط الزهرة تطلع حبوب صغيرة مستطيلة يعتقد أنها شبه بذور وإنما لم يجرب زراعتها بل يتكاثر بعملية العقل والغرس .

= والأحباش يقدسونه ، وتختلف أنواع القات اختلافاً بيناً ، ولا يعود هذا إلى اخصاب هجيني أو إلى وسائل التطعيم ، لأن القات لا زهر له ولا تطعم أغصانه ، وإنما يعود إلى التربة والماء والبيئة على وجه العموم ، فإذا ما انتزع الإنسان من مدينة ما فسيلة من فسائله وحاول زرعها في مدينة أخرى لتغير طعمها ، وإذا ما زرع في سفح الجبل اختلف طعمه عما لو زرع في وسطه أو في قمته وقات الجو البارد أجود من قات الجو الحار ، كما هو الحال في قات صنعاء وأديس أبابا ، وهنا عوامل أخرى تعين طعم الشجر فالغصن الأوسط أحلى ورقاً من غيره والشجر الطويل أجود منتوجاً من القصير ، وتعيش شجرة القات ١٦ عاماً ثم يقطع رأسها وتعيد سيرتها الأولى .

أنواع القات : والقات أنواع والحبشى منه ينقسم إلى الجراجي ، والبستاني ، والهواشي وقات بلبليتي ، وموجو ، ووليسو ، وهذا هو قات أديس بابا ، والهرري .

والقات اليمني وأجود ما يزرع في صنعاء وهو أيضاً على أنواع ومنه : الوادي والعصري ، والحدى ، والروضى ، والعفشى ، والاحلسى وغيره ، ثم قات تعز ومنه ، النيداني والصناحفي والمشرعي والمقراضي والادودي ، وقات صبر ، ومن أنواعه : الشرو والمبرح والمثاني (١) .

أرقام : لا يعرف أحد ما تنتجه اليمن أو الحبشة من القات في كل عام ، وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أن اليمن والحبشة أصدرتا في أحد السنين ٣٠,٠٠٠ طناً من القات ، وجاء في العدد ٥٢ من فتاة الجزيرة أن عدن تصرف ما يقرب ٣٥٠٠ روبية (٢) يومياً في القات ، ومعنى هذا أن عدن تصرف في القات كل سنة أكثر من مليون وربع مليون روبية وهي قيمة ثلاثين فراسلة من القات يومياً فقط .

---

(١) هذه الأنواع المعروفة في عدن ، وهنا أصناف ترد من الجبال الشمالية إلى ميدي ومقاطعة جازان ـ قبل المنع طبعاً ـ وأشهرها الحجل الشريفي ، النظيري ، ابن الخاسية ، سلامي ، زهري ، دهواني ، عيباني .

(٢) هذا التقدير قبل ربع قرن ، أما الآن فقد تضاعف المبلغ أضعافاً .

مفعول القات وآراء بعض العلماء : ولكن ما هو السر في ولع الناس بهذه الأعشاب ، وما هي تلك العصارة الخضراء المرة المذاق الحلوة المستساغ لقد دلت أبحاث البرت بيتر من جامعة سترا سبورغ أن القات يحتوى على بلورات قلوية حادة الطعم عديمة الرائحة ، وقيل أنه استخلص منها : اسيتات القاتين وسلفات القاتين ، بروميد القاتين ، وساليسلات القاتين ، كما وجد فيه كمية من الزيت وحامض الثنيك وسكر المن .

ولفظة قاتين مشتقة من لفظة قات وهي من عائلة pilrin القلوية وتتألف من الكربون والهيدروجين والنتروجين ، ومن أمثالها الاستركنين والكافائين « القهوة » والنيكوتين (السجارة) والكوكائين .

ومن أضرار هذه المخدرات التي تختلف قوة وضعفاً اختلال الدورة الدموية وسوء الهضم وجفاف البول وازدياد خفقان القلب وتأثير شديد على الأعصاب .

وجاء في تقرير الكولونيل نيسن لعدن لعام ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م في صفحة ١١ ما يفيد أن الملاريا والقات هما أسباب تحجر الكبد وتضخم الطحال ، كما أن تشارلس موزر القنصل الأمريكي أشار إلى تأثيره على النسل ولم يهمل ذكره الكاتب العربي أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب ، انتهى .

والتبـغ اكتشفت واستعملت في اليمن بعـد أن اكتشف البن وذلـك حوالي عام ٩٥٠ هـ/ ١٥٤٣ م .

توفي الناصر عام ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٣ م .

الإمـــام الوشـــلي :

دعـا لنفسـه بعـد وفـاة الناصر وهو الذي هزم السلطان عامر بن عبد الوهاب الـطاهري قرب صنعاء ـ راجع تاريخ الدولة الطاهرية ـ وتفصيل الحادث أن ابن الناصر كان محصوراً في داخل صنعاء وقد شدد عليه السلطان عامر نطاق الحصار فقام الوشلي من خارج صنعاء ، بحركة التفاف على الجيش الطاهري أدت إلى الهزيمة الماحقة وتوفي في أثناء ذلك بن الناصر فخلفه أخوه أحمد بن الناصر ، فأعاد السلطان عامر الكرة على صنعاء وأسر الوشلي بعد أن استولى على المدينة واقتاد أحمد بن الناصر أسيراً إلى تعز .

المتــوكل شــرف الـدين :

دعا لنفسه في ١٠ جمادى الأولى عام ٩١٢ هـ/ ١٥٠٦ م في « ثلا » وهي غرب صنعـاء بمسـافـة يوم ومكث فيها إلى أن دعاه أهل صنعاء للهجوم على الحامية الجـركسية ـ راجـع أخبار الجراكسة في اليمن ـ التي بقيت في صنعاء بعد سفر قائدها الاسكندر .

وفي عام ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٣ م توفي منـافسـه النـاصر الحسين بن عز الدين . فانفسح أمامه المجال وتوفق من القضاء على الحامية الجركسية والاستيلاء على صنعـاء ، وقد مهد له قبل ذلك اكتساح الجراكسة لأملاك الدولة الطاهرية وإبادة جيشها ، والحقيقة أن قتل السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري ، وسع المجال للإمام شرف الدين ، وأخيراً باستئصال القائد التركي سليمان باشا للبقية الباقية من الطاهريين ـ الذين تمكنوا من إقامة إمارة هزيلة في عدن ، خلى له الميدان من كل منافس وبانفساح المجال أمامه بإزاحة الدولة الطاهرية التي كانت من عظم القوة وسعة المملكة بحيث تشكل خطراً على إمامته ، فقد أدرك ببعد نظره ورجاحة عقله أنه مني بعدو دخيل أشد خطراً وأعظم شراً وهـم الأتراك .

وبسقوط زبيد في يد القائد التركي سليمان باشا ، وتغلبه على الجراكسة الذين كانوا يتولون أمر تهامة أخذ القائد التركي في الزحف شمالا وشرقاً ، وقد أدرك بطبيعة المحارب المرن أن خطر المقاومة يتمثل في شخص الإمام شرف الدين الذي قد أخذ نفوذه يعم أكثر الجهات اليمانية بسرعة مدهشة ، وتعليل ذلك ميسور فإن جنوب الجزيرة ـ إذا استثنينا القسم الأعلى الشمالي أي من صعدة شمالا إلى ذمار ورداع جنوباً ، التي تدين بمذهب الإمام زيد ـ جميع سكانها شوافع وبينهم وبين إخوانهم من التباين المذهبي ما هو معلوم وتلك الأقسام أي التي أهلها ـ شوافع كانت مستقر حكومات قوية سيطرت على أغلب الأقسام الجنوبية من عصر الدولة الزيادية إلى عهد الدولة الطاهرية وشمل سلطانها في كثير من أدوار التأريخ القسم الذي يدين بسلطان الأئمة الزيدية ، أما الآن وقد غزى البلاد عنصر أجنبي الجنس واللغة ، وإن كان يدين بالإسلام فإن الحال ينطبق عليها المثل القائل « أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب » وبذلك التف اليمن جميعه حول راية الإمام شرف الدين ، وكان لعلمه الواسع وحنكته السياسية العامل الأول في توحيد الصفوف وائتلاف القلوب ، ويقول صاحب العقيق اليماني كان الإمام شرف الدين مجاملا للوالي التركي اسكندر موز في الظاهر اتقاء لشره ، محارباً له في الباطن فترصد للوثوب انتظاراً للفرصة المواتية .

بالطبع إنه لم يخف ذلك على القادة الأتراك فرأوا والحالة هذه أن من أنجع الوسائل لاستيلائهم على اليمن كلياً ، زعزعَةُ أركان ذلك السد المنيع وإثارة الفتن في ذلك القسم السليم الملتف حول ذلك الإمام الحازم الذي له من السلطة الروحية والمكانة الدينية ما يكفل التفاف اليمن بأسره حول رايته ، رأوا أن أنجع الوسائل الفعالة لاستيلائهم على اليمن هي استعمال المكر وسياسة التفريق التي قد يبلغون بها مبلغاً لا تحققه قواتهم الهزيلة أو على الأقل يهيئون بها الفرص لبينما تصل وتتوارد إليهم الإمدادات الكافية لتحقيق أغراضهم الحربية ، لذلك بعثوا حسن البهلوان إلى الإمام شرف الدين ، وقد استطاع ذلك الماكر أن يمثل دوره بغاية المهارة واستعمل من الدهاء والمكر ما تمكن به من إحداث النفاق والفتنة

بين الإمام شرف الدين وابنه المطهر [1] كما سنفصله في السطور الآتية :

---

(١) نعتمد في هذه الرواية على ما أورده الواسعي في كتابه « تاريخ اليمن » بصحيفة ٢١٢ . أما رواية صاحب « العقيق اليماني » فهي مخالفة لذلك - انظر أخبار ولاة الأتراك والذي نراه للتوفيق بين الروايتين : أن حسن البهلوان كان متفقاً مع حيدر باشا والي زبيد على تمثيل الدور المار ذكره ، وإنما كان البهلوان متأجج المطامع طموحاً مغامراً لا يحجم عن التوصل إلى غايته بأدنى الوسائل ، فلما قتل اويس كان يمنى نفسه بولاية اليمن فلما رأى منافسه ازدمر قد تغلب عليه رحل إلى الإمام ومثل ذلك الدور - وحينما شعر بمنافسه للمرة الثانية سوف يتقدم إلى صنعاء عمل ما عمله طمعاً في الإستيلاء على تهامة ، لأن الدولة التركية دائماً تقر المتغلب من ولاتها على ما يتغلب عليه كما مر بك في تاريخها - وتوضيحاً للأمر نورد ما يأتي :

وصل أويس باشا إلى اليمن في أول شهر القعدة سنة ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥ م ، وكانت الفتنة قد نجمت بين المطهر ووالده الذي ولى ولاية عهده ابنه (على) فنقم المطهر على أبيه لهذا التصرف ، واتصل بأويس يحثه على أخذ القسم الجبلي ، ووعده بالعون الأدبي والحربي .

اغتنم أويس نداء مطهر وتقدم من زبيد في أول شهر ذي الحجة من السنة نفسها فاستولى على (تعز) ، وسار منها إلى جهة صنعا ، واستمر في القتال مع قوات الإمام شرف الدين إلى أن وصل إلى وادي (حيان) في أواخر ربيع الآخر سنة ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م .

وكان في قواته جماعة من (اللوند) تحت قيادة شخص منهم اسمه (حسن البهلوان) فاتفق مع جماعته الذين قد نابهم التذمر من مفارقتهم للسلطة وانفراد الأتراك العثمانيين بها واستبداد أويس وإهماله لهم فتم الاتفاق - كما أشرنا - على قتل أويس ، والإستيلاء على الأموال وتوزيعها على جنود معسكره حتى يستميلوهم ثم يتولى حسن البهلوان الأمر .

نفذ حسن البهلوان المؤامرة وقتل أويس ، فانبرى له ازدمر ونصب العلم السلطاني ونادى في الجيش من كان سامعاً مطيعاً فليستظل بعلم السلطان ومن كان عاصياً مع البهلوان فليبق فانحاز المعسكر إلى العلم السلطاني ، ولم يبق مع البهلوان إلا جماعته من اللوند ففر إلى الإمام ومثل الدور الذي أشار إليه صاحب كتاب العقيق .

وإنما أزدمر لم يمهله طويلا فبعد أن نظم أمره ورتب أمور الجيش تقدم إلى صنعاء ، وشعر حسن البهلوان بحراجة موقفه فخرج من صنعاء كما خرج منها الإمام بعده فدخلها المطهر كما مر بك وفي خروج البهلوان قاصداً « زبيد » إلى زميله « حيدر » قتل في الطريق من قبل عربان الجبال .

وفي شهر القعدة من تلك السنة نفسها وصل فرهاد باشا الوالي الجديد إلى مدينة « زبيد » وتولى أمر الولاية . انظر ص ٢٩٣ من هذا الكتاب .

إن صاحب العقيق اليماني وهو من رجال القرن الحادي عشر وممن عايش الأحداث عن كثب ، فليس من المعقول أن يسجل ما لم يكن قد حدث فعلا .

ولنعد الآن إلى ما بلغه الإمام من اتساع الرقعة وعظم المكانة وقوة السلطان بعد أن خلى له الميدان من كل منافس وبالأخص بعد سحق الأتراك لقوات الدولة الطاهرية فنجد في عام ٩٣٩ هـ/ ١٥٣٢ م أن القوات الإمامية استولت على صعدة وتعز وجبلة وإب وما يتصل بتلك الجهات . وأخيراً ضم إلى تلك البلاد المخلاف السليماني وعندما دانت له تلك الأقطار أخذ في تقسيم البلاد أو توزيع إداراتها على أبنائه على الوجه الآتي :

١ ـ خص ابنه المطهر بأعمال ثلا وما يليها .

٢ ـ خص ابنه شمس الدين بأعمال بلاد كوكبان وما يتبعها .

٣ ـ خص ابنه عز الدين بصعدة وأعمالها .

أشرنا إلى توجه حسن البهلوان في مهمة إلى الإمام شرف الدين وتشير رواية الواسعي أنه بعد وصوله تمكن من إحداث الشقاق والفتنة بين الإمام وابنه المطهر والذي تطور إلى قتال مروع وحرب مدمرة كاد أن يأتي على قوة الطرفين واشغالهما الوقت الكافي لتوطيد دعائم الحكم التركي في اليمن ، ولولم يتيقظ العقلاء إلى لم الشعث وإصلاح ذات البين بين الإمام وابنه لأدت تلك الحروب باليمن إلى الدمار المحقق ، وانتهى الصلح بتنازل الإمام عن الحكم لابنه المطهر وبذلك استغل الأتراك الموقف واستولوا على الكثير من البلاد وصار من تعز إلى جازان للأتراك ، ومن تعز إلى صعدة للإمام المطهر الجديد .

المطهر بن شرف الدين :

كان المطهر في إمامة أبيه يتقلد أكبر المناصب ، تولى أعمال « ثلا » كما مر بك كإقطاعية خاصة به تأزمت الأمور بينه وبين أبيه ـ وقد تزايدت بينهما الوحشة أولا حتى هم والده بإلقاء القبض عليه بعد صلاة إحدى الجمع في مدينة القابل ، فاتصل به الخبر وهو في الجامع مع والده في انتظار الصلاة فحالا أخذ للأمر عدته وبعث من مكانه في المسجد من استدعى رؤساء رجاله وحرسه الخاص فوافوه على أكمل أهبة وأتم استعداد فما أكملت الصلاة إلا وقد

حضـروا بالسلاح فخرج من المسجد عقب التسليم مباشرة إلى الجبل ، فتوسط أخوه للصلح بينهما ولم تسفر تلك الوساطة عن نتيجة ، وعلى أثرها توجه المطهر إلى حصن « ثلا » مغـاضباً ورجع والده إلى « الجراف » ، ومن ثم نشب القتال بينهما ، وكان قائد جيوش الإمام ابنه الثاني شمس الدين .

غزا المـطهر الجراف محاولا إلقاء القبض على والده فلم يتمكن من غايته ، ووالى الحـرب على والده وتحت ضغطه المتزايد وتفوقه القاهر اضطر والده إلى التنازل والتسليم له فبسط سلطانه على البلاد .

وقد عاصر المطهر الولاة الآتية أسماؤهم من الأتراك :

١ ـ ازدمر واشتبك معه في قتال مرير في خلال عامي ولايته .

٢ ـ في ولاية ـ مصطفى باشا ـ كانت المناوشات بينهما موضعية وأقرب إلى الموادعة والمصالحة .

٣ ـ في ولاية محمود باشا تقدمت القوات التركية وجدت في قتاله وأحرزت تقدماً ملموساً .

٤ ـ في ولاية رضوان باشا جردت الحملات لمحاربة المطهر .

٥ ـ في ولاية مراد باشا نشطت قوات المطهر وتمكن من هزيمة مراد والقضاء على حملتـه وزحف رجـال العـروبة الأبطال على مدينة صنعاء ، وتم الاستيلاء عليها ، وبعد سقوط صنعاء شدد عليهم الحملات حتى أرغمهم على الانسحاب من الأقسام الجبلية فاضطروا إلى المرابطة في زبيد وسهول تهامة .

٦ ـ تمكن المطهر برجال العروبة الأبطال من الوقوف في وجه الأتراك إلى أن قدم سنـان باشـا بجيوشه الجرارة وعتاده الجهنمي وقضى على تلك الجهود المبرورة بالسيف والنار إلا القليل ـ راجع تاريخ ولاة الأتراك .

٧ ـ في ولاية بهرام أو برهام نشب القتال بينهما سجالا .

وتـوفي المطهر سنة ٩٨٠ هـ/ ١٥٧٢ م وبوفاته قام أبناؤه بحفظ معاقله حتى قبض عليهم حسن باشا وأرسلهم إلى الأستانة .

الحسن بن المؤيد :

قام بدعـوتـه عام ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م والأتـراك في عنفوان قوتهم فتمكنوا من دحره ، ثم محاصرته في حصن الصباب بحبل الأهنوم إلى أن ألقوا القبض عليه أسيراً سنـة ٩٩٣ هـ/ ١٥٨٥ م وأرسـل إلى الأستـانـة يرافقـه أبنـاء المطهر عام ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٦ م .

المنصور القاسم بن محمد :

ولد عام ٩٦٧ هـ/ ١٥٦٠ م وتلقى العلم عن شيوخ وقته حتى أتم التحصيل فتفرغ للتأليف ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب الأساس في الأصول ، وقد اعترض عليه فيه العلامة المكي الكردي بكتاب أسماه النبراس .

دعا لنفسه في المحرم عام ١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٧ م في جبل قارة ، وكانت دعوته روحية لعدم استقرار الأحوال ، ثم نشب القتال بينه وبين الأتراك في ولاية حسن باشا ، وأسر في تلك الوقائع عم الإمام فأمر حسن باشا بسلخ جلده ، وهي وحشية وهمجية تقشعـر لها الأبدان ، ففقدت اليمن في شخصه مناضلا عربياً كريماً ، وحوصر المنصور « بشهارة » وأسر ابنه محمد وجميع أهله وسجنهم الأتراك بحصن كوكبان .

وطارده سنان باشا وضيق عليه الخناق .

وفي عهد الوالي جعفر باشا استولت القوات التركية على معاقله وطاردوه مطاردة شديدة وكادوا أن يقبضوا عليه وأسر ابنه الحسن ، بيد أن المنصور بعد ذلك بقليل استعاد شيئاً من نشاطه بانتصاره في موقعة غارب ثلا .

وانتهت ولاية جعفر باشا ثم ولاية إبراهيم باشا على تلك الحال من الحرب حتى قدم الوالي محمد باشا فاستطاع بحنكته ودهائه أن يضع حداً لتلك المجازر البشرية فعرض على الباب العالي ما يراه من المصلحة في إبرام صلح مع المنصور بأن تقره الدولة على ما تحت يده لمدة عشر سنوات بعد اعترافه بسلطة الخلافة العثمانية يكف القتال في خلالها بين الطرفين فوزدته الموافقة وتم إبرام الصلح ، وبعد مدة وجيزة من إبرامه توفي المنصور فخلفه ابنه المؤيد محمد بن القاسم .

المؤيد محمد بن القاسم :ـ

ولد عام ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢ م وأخذ العلم عن شيوخ زمانه .

بويع بالإمامة بعد وفاة والده في عام ١٠٢٩ هـ/ ١٦٢٠ م فأمضى عقد الصلح المبرم بين والده والأتراك واستمر على العمل بشروطه حتى عزل الوالي محمد باشا وفي المحرم من عام ١٠٣٦ هـ/ ١٦٢٧ م بعث جيشاً إلى « الحيمة » بقيادة أخيه الحسن وتابع إرسال السرايا لشن الغارات على الأتراك حتى استولت قواته على البلاد الآتية : ريمة ـ عتمة ـ أصَاب ـ حُفاش ـ ملحان ـ بلاد خولان .

وكان أخوه الحسين في جهة صعدة يقاوم القوات التركية هناك فبعد انقضاء مهمته الحربية في الشمال انتقل إلى الجنوب وحاصر مدينة صنعاء وأخذ في تضييق الخناق على حاميتها .

أما الحسن فبعد أن انتهى من مهمة الاستيلاء على ما سبق توضيحه سار على رأس جيشه فاستولى على حصن كوكبان وبلاد ثلا ثم إبّ ، وبذلك انتظم الأمر للمؤيد من محمية عدن جنوباً إلى صعدة شمالا ، وفي عام ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م تم له الاستيلاء على جميع البلاد اليمنية والتهامية ، وهو أول من يمتد سلطانه على تلك الأصقاع .

توفي المؤيد عام ١٠٥٢ هـ/ ١٦٤٢ م في شهارة ، وخلفه أخوه أحمد بن القاسم ، ثم تنازل عن الإمامة لأخيه إسماعيل عام ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م .

المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد :

ولد عام ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠ م وتلقى على يد علماء عصره الفقه وسائر العلوم الدينية واللغوية والبلاغية وألف عدة كتب .

دعا لنفسه عام ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م ، وقد كان أخوه أحمد قد دعا إلى نفسه لأنه كان حاضراً وفاة المؤيد في شهارة ، أما إسماعيل فقد كان في ضوران ، فعند ذلك أخذَ في تهيئة أسباب دعوته حتى أعلنها في عام ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م لأنه يعتبر أخاه أحمد غير جامع لشروط الإمامة المعتبرة في مذهبهم .

أعلن إسماعيل بن القاسم دعوته وأقبل أكثر أهل الجبال لمبايعته وأخذ أمر أحمد في الضعف وأمر إسماعيل في الظهور والقوة ونشب القتال بين الأخوين فارتحل أحمد بن القاسم إلى « عمران » ؛ ثم إلى ثلا وأحاطت به قوات إسماعيل فتقدم جماعة للصلح بينهما ومهد له لعقد اجتماع بين الأخوين وانتهى ذلك الاجتماع بتنازل أحمد لأخيه إسماعيل عن الإمامة ؛ وعلى أثر ذلك استقرت الأمور للإمام المتوكل إسماعيل فاستولت جيوشه على يافع وحضرموت ثم غزت جيوشه لحج وأبين عدن وشمل سلطانه كثيراً من تهامة والمخلاف السليماني وكان عهده من أزهر عهود الإمامة الزيدية في اليمن .

قال صاحب بغية المريد : إن الإمام إسماعيل مات ومعه من أنواع الطيب ما قيمته مائة ألف أوقية فضة ما عدا ما خلفه من النقد والعروض التي لا يأتي عليها الحصر ، توفي في ليلة الجمعة ٥ جمادى الآخرة عام ١٠٨٧ هـ/ ١٦٧٦ م .

المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم :

تولى الإمامة بعد موت عمه المتوكل إسماعيل وعارضه قاسم بن المؤيد فتغلب المهدي عليه واستمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١ م .

المؤيد محمد بن إسماعيل المتوكل :

ولد عام ١٠٤٤ هـ/ ١٦٣٤ م بويع بالإمامة بعد وفاة المهدي أحمد بن الحسن المتقدم ذكره عام ١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١ م وبوجه الإجمال كانت البلاد في عهده أشبه بإقطاعيات موزعة بين :

١ ـ علي بن المتوكل إسماعيل
٢ ـ محمد بن أحمد بن الحسن
٣ ـ ابن الحسين بن الحسن
٤ ـ القاسم بن المؤيد

كل منهم يتولى جهة ويتصرف في شئونها وإيراداتها وليس للمؤيد غير الخطبة ويقول صاحب البدر الطالع عنه ما يأتي : كان كثير العبادة دائم الخشية لا يأكل إلا من النذور ، تصل إليه بعد أن يعلم أنها من جهة تحل له . هكذا .

توفي ليلة الجمعة ٣ جمادى الآخرة عام ١٠٩٧ هـ/ ١٦٨٦ م .

محمد بن أحمد المعروف بصاحب المواهب :

ولد عام ١٠٤٧ هـ/ ١٦٣٧ م تولى الإمامة بعد موت المؤيد المتقدم ذكره ويقول عنه صاحب البدر الطالع : إنه ملك من أكابر الملوك كان يأخذ المال من الرعية بلا تقدير وينفقه بلا تقدير وكانت اليمن بعد خروج الأتراك منها إلى أن ملكها هذا مصونة عن الجور وأخذ مال إلا ما يسوغه الشرع فلما قام هذا أخذ المال من حله وغير حله فعظمت دولته وجلت هيبته وتمكنت سطوته وصار بالملوك أشبه منه بالخلفاء ومع ذلك فهو يتزهد في ملبسه وكان يسمى صاحب السجدة لأنه كان إذا خرج من موكبه ورأى ما بين يديه من الأجناد ترجل عن جواده وسجد شكراً لله ومرغ وجهه بالأرض وكان سفاكاً للدماء بمجرد الظن والشك وقد قتل عالماً بذلك إلى أن قال : وكان يميل إلى أهل العلم ويجالسهم ويتشبه بهم وربما قرأوا عليه ولم يكن عالماً ولكن كان يحب التظاهر بالعلم فيساعده على ذلك علماء حضرته رغباً ورهباً وله تصنيف سماه الشمس المنيرة في مجلد لطيف وقفت عليه وفيه نقل مسائل من مؤلفات جد أبيه الإمام القاسم بن محمد ولكنها غير مرتبة ولا منقولة على أسلوب بل لا يدري المطلع على ذلك الكتاب ما موضوعه ولا ما غرضه ومع ذلك فكان يقرأه عليه جماعة من أكابر العلماء وليس في موسوعهم نصحه وتعريفه بالحقيقة لما جبل عليه من الطيش وتعجيل العقوبة ، وأنه إذا أراد الإيقاع بوزير من وزرائه أو أمير أمر جنده بانتهاب ماله ولا يأخذ منه شيئاً .

استمر على تلك الحال في إمامته إلى عام ١١٢٨ هـ/ ١٧١٦ م فثار عليه القاسم بن الحسين الذي لقب بالمتوكل ونجح في ثورته حتى اضطره إلى التنازل وخلع نفسه في عام ١١٢٩ هـ/ ١٧١٧ م أي في العام نفسه واستمر المتوكل على الإمامة إلى عام ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٧ م وفي عهد هذا الإمام كان وصول خليل باشا إلى اليمن وانتزاع تهامة من أحمد بن حمود وتسليم قسم منها لهذا الإمام .

شملت إمامته أغلب الأقطار التي امتدَّ إليها سلطان المتوكل إسماعيل وقد توفي عام ١٠٣٠ هـ/ ١٦٢١ م مخلوعاً .

المنصور الحسين بن المتوكل :

بويع بالإمامة بعد وفاة والده عام ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦ م وتغلب على منافسه محمد بن إسحاق المهدي بعد أن أسر ابنه وقرابته ورؤساء أجناده وغلب على أكثر الأقطار اليمانية ولم يبق له منافس إلا أخوه أحمد بن المتوكل الذي استقل ببلاد تعز والحجرية وتوابعهما ونشب القتال المروع بين الأخوين وقاسى اليمن الويلات والدمار المدمر من جراء مطامعهما ، وخربت مدن وأمصار وكور وأقطار وبلي العالم اليمني منهما بما يشيب له الأطفال في حروبهما وفيهما يقول شاعر العصر أحمد ابن الحسين الركيحي مواريا :

صنوان قد سقيا بماء واحد ... والفضل خال من كلا الإثنين

جرحا قلوب العالمين فما لها ... من مرهم إلا دم الأخوين

توفي عام ١١٦١ هـ/ ١٧٤٨ م .

المهدي العباس بن الحسين :

بويع له بعد وفاة والده وصالحه عمه أحمد بن المتوكل وبايعه ، وبذلك حسم الخلاف واتحدت مملكة اليمن المنقسمة واستمرت إمامته على أغلب البلاد اليمنية إلى أن أدركته الوفاة عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م .

ومن آثاره مسجد التقوى والنور بصنعاء .

المنصور علي :

تولى الإمامة عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م بعد وفاة المهدي وكان عصره عصر ضعف بتغلب أمراء النواحي والأطراف ـ راجع تاريخ آل خيرات في المخلاف السليماني ـ وتوفي في ١٥ رمضان عام ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٩ م وفي عهده كان امتداد الدعوة الإصلاحية الوهابية إلى الأقطار التهامية .

المتوكل أحمد بن المنصور :

تولى إمارة الجند في إمامة والده ثم ولاية صنعاء وبعد وفاة والده بويع بالإمامة ليلة ١٥ رمضان ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٩ م .

وقد استمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م وكان

عهده في أثناء قوة الدعوة الإصلاحية الوهابية فتقلص ظلال نفوذه عن المخلاف وكثير من الأقطار التهامية ، وقد تغلب عليه وزيره حسن بن حسن عثمان وساءت الأحوال وانقطعت السبل ومات كثير من المجاعة في البلاد التي تشملها إمامته .

المهدي عبد الله :

كان معروفاً بالميل إلى اللهو والتغافل عن الجد فَأُخِيْفَتْ في عهده السبل وانتهبت الأموال وقد قام ضده أحمد بن علي السراجي وحاصر مدينة صنعاء وكان عهد المهدي هذا آخر عهد الضعف والتلاشي لسلطة الأئمة الزيدية توفي عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م .

المنصور علي بن المهدي ، للمرة الأولى :

تولى الإمامة بعد وفاة والده عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م فنازعه الحسين بن المؤيد من صعدة في نفس العام وبعد انتهاء العام الأول من إمامته ثار عليه الجند وخلعوه ونصبوا بدلا عنه عبد الله بن الحسن .

الناصر عبد الله بن الحسن :

تولى الإمامة في عام ١٢٥٢ هـ/ ١٨٣٦ م وقتلته قبيلة همدان المشهورة في إحدى نزهاته عام ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م .

الهادي محمد بن المتوكل :

تولى الأمر عام ١٢٥٢ هـ/ ١٨٣٦ م في جهة غير الجهة التي قام بها الناصر وتوفي عام ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م .

المنصور علي بن المهدي ، للمرة الثانية :

ستمر بحوادث هذه الشخصية وكأنها إحدى شخصيات الأساطير وسيتردد عليك اسمه مرة ومرات وستقابلك أنباء إماماته المتكررة وحوادث توليته وعزله وإن لم ترعك بأحداثها المثيرة فسوف على الأقل تطرفك بأنبائها المستظرفة فبعد وفاة الهادي عام ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣ م أعيد المنصور علي بن المهدي إلى الإمامة فثار عليه قريبه محمد بن يحيي بن المنصور فتمكن علي بن المهدي من التغلب على الثائر وطرده .

محمد بن يحيى بن المنصور :

أشرنا في أخبار الحسين بن علي بن حيدر إلى التجاء محمد بن يحيى إلى ساحته وما قام به الحسين من مساعدة فعالة لاستعادة محمد بن يحيى لإمامته في الجبال وكنتيجة لتلك المساعدة الحربية تم لمحمد بن يحيى التقدم إلى الجبال والتغلب على علي بن المهدي وذلك في عام ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥ م وفي مقابل تلك المساعدة تنازل محمد بن يحيى للحسين بن علي عن تعز وجهاتها ، واستقر محمد ابن يحيى في القسم الجبلي إلى عام ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م وتوترت العلاقات بين حليفي الأمس ونشب القتال ونزل محمد بن يحيى على رأس جيشه إلى تهامة وتم له الاستيلاء على « باجل » و« بيت الفقيه » ثم الهجوم على « القطيع » وحصار الحسين بن علي في القطيع نفسها كما مر بك مفصلا .

كما أشرنا قبل إلى تخليص الحسين بن علي من الأسر واستدعائه للأتراك للوصول إلى اليمن ليسلم لهم البلاد التي تحت يده . وقد وصل بعد ذلك القائد توفيق باشا ، وبرفقته أمير مكة محمد بن عون فاستولى على جميع تهامة .

علم محمد بن يحيى باستدعاء خصمه الحسين بن علي للأتراك ثم استلامهم تهامة وكان خصمه الثاني علي بن المهدي قد اغتنم فرصة اشتباكه مع الحسين فأخذ في تأليب القبائل والاستعداد للوثوب وشجعه عودة محمد بن يحيي غير ظافر من غزوته لتهامة بشيء وقد تَضعضَعتْ قواته وتكبد الخسائر الفادحة في الرجال والعتاد مما هون أمره عليه ، وزاد القبائل جرأة على مناوأته ، فهب علي بن المهدي لمناوأته ، وخشي محمد بن يحيى أن يحرض الحسين عليه الأتراك ، فيصبح بين نارين ، لذلك سارع إلى استدعاء القائد التركي توفيق باشا طالباً منه التقدم إلى القسم الجبلي ليسلمه البلاد ، بل لم يكتف بتلك الدعوة فقط ، بل سارع بنفسه إلى ملاقاته إلى أطراف مملكته وانتظر قدومهم حتى وافوه فاستصحبهم إلى صنعاء .

وصل بالقوة التركية إلى صنعاء يوم الجمعة ٦ رمضان ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م وسلمهم المدينة وهنا اغتنم الفرصة خصمه علي بن المهدي ، وأخذ في تأريث نار

الثورة ضده بين القبائل مذيعاً أن محمد بن يحيى باعكم وباع البلاد من الأتراك الدخلاء الأجانب فانهمرت سيول القبائل على مدينة صنعاء من كل جانب وضاعف حماسها المغانم التي تنتظرها داخل صنعاء فاكتسحت تحصينات الدفاع وأبادت أكثر رجال الحملة التركية ، ولم يبق منها على قيد الحياة إلا من تحصن في القصر الحكومي أو في بستان السلطان ، وبعد كل جهد تمكن محمد بن يحيى من إنقاذ من سلم منهم وإعادتهم إلى تهامة تحت الحفظ والحراسة .

أما الثوار فقد هاجموا بيت الإرياني ناظر الأوقاف ، ونهبوا داره وكتبه الثمينة منها ألف كتاب من الكتب المخطوطة النادرة ثم بعد ذلك استأنفوا هجومهم على قصر محمد بن يحيى حتى اقتادوه أسيراً إلى علي بن المهدي الذي أمر بقطع رقبته بالسيف وتم الأمر بعد ذلك لعلي بن المهدي .

علي بن المهدي للمرة الثالثة :

إن علي بن المهدي كما أشرنا شخصية سوف تروعك أو تطرفك أخبارها وها هو يتولى الإمامة للمرة الثالثة بعد أن طوح برأس خصمه .

إن علي بن المهدي بعد أن تغلب محمد بن يحيي عليه بمساعدة الحسين ابن علي لم يستكن للهزيمة ، بل انسحب إلى حيث يمكنه العمل وأخذ في شن حرب العصابات على خصمه ، وبعد نشوب الحرب بين حليفي الأمس محمد ابن يحيى والحسين بن علي ظل يتربص منتظراً ، وعند عودة محمد بن يحيى من تهامة منهوك القوى مفلول الحد من جراء ما مني به نشط علي بن المهدي نشاطاً أحرج مركز خصمه ، فلم ير محمد بن يحيي حيلة أنجع من استدعاء الأتراك ليقطع الأمل على خصمه الأول الحسين بن علي بن حيدر في الاستعانة بهم ضده من جهة ومن الأخرى ليحرج بهم مركز خصمه الثاني علي بن المهدي ويقضي عليه بقوة الأتراك حلفائه الجدد وعلى ذلك الأساس خف لاستدعائهم بل وسارع إلى ملاقاتهم إلى قرب باجل ، بيد أن علي بن المهدي استغل الموقف خير استغلال فأثار حمية وحماسة رجال القبائل للجهاد ومحاربة خصمه الذي جر إلى البلاد الأتراك الأجانب واستدعائهم لتملك بلادهم ، وسرعان ما وجدت

دعايته الاستجابة الملتهبة ، وهب رجال القبائل العربية الباسلة ـ التي تنفر بطبعها العربي الأصيل من كل تدخل أجنبي ـ هبت إلى المسارعة تحت لوائه وتقدمت إلى صنعاء وأبادت أغلب الحملة التركية وحملت حملتها الصادقة على قصر محمد بن يحيى ، واقتادته أسيراً بين يدي علي بن المهدي الذي أمر بسجنه أولا ثم قطع رأسه .

وبعد ذلك بايعت علي بن المهدي البيعة العامة وتسمى بعد ذلك النصر بالهادي ـ ويظهر أنه رغب في تغيير لقبه الأول الذي لم يصادفه النجاح في إمامتيه السابقتين ـ غير أن الاسم لا يقدم ولا يؤخر ولله در الفرزدق القائل :

وقد تستوي الأسماء في الناس والكنى ... جميعاً ولكن فرقوا في الخلائق

وبالرغم من تغيير لقبه فلم يكن حظه في هذه المرة بخير من سابقتها ، فلم تمض مدة وجيزة حتى سادت الفوضى واختل الأمن وثار عليه ثائر جديد اسمه أحمد بن هاشم كما سيأتي :

المنصور أحمد بن هاشم :

في أواخر عام ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٩ م قام أحمد بن هاشم وتزعم الثورة ضد علي ابن المهدي فالتفت حوله رجال القبائل وتقدم بهم لحصار علي بن المهدي في صنعاء ، وبعث من يثير أهل المدينة ضده من الداخل أو على الأقل يبلبل الخواطر ويثبط الهمم ، وعلى كل فقد ثار أهل صنعاء ضد علي بن المهدي ، بايعوا إماماً جديداً هو العباس بن عبد الرحمن فاستدعى ذلك من أحمد بن هاشم تشديد الحصار وموالاة الهجمات حتى تمكنت بعض قواته من الدخول إلى بستان المتوكل ، فاضطر العباس بن عبد الرحمن إلى الانتقال من مقره في بستان السلطان إلى التحصن في القصر الحكومي ، ودارت رحا المعركة في قلب مدينة صنعاء ، وانتهت بتنازل العباس وحزبه لأحمد بن هاشم وذلك في عام ١٢٦٦ هـ/ ١٨٥٠ م .

وفي عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م قبض أحمد بن هاشم على سلفه العباس بن عبد الرحمن وزج به في السجن فتخوف الإمام الأسبق علي بن المهدي الذي ظل في صنعاء منذ خلعه ، وفر من صنعاء وتبعه رؤساء حزبه ومنهم العلامة الجليل

أحمد بن محمد الشوكاني والعلامة عبد الرحمن العمري وغيرهما إلى جهة الوادي على بعد ثلاث ساعات شمال غرب صنعاء وهناك بايعوا علي بن المهدي للمرة الرابعة .

اتصلت أخبارهم بأحمد بن هاشم فثارت ثائرته وأمر بمصادرة دورهم بصنعاء فلم يفت ذلك في عضدهم أو يقلل من نشاطهم ورجحت كفة علي بن المهدي وكان الوضع السياسي في اليمن في ذلك التاريخ على الوجه الآتي :

١ ـ تهامة وبعض الجبال تحت سلطة الأتراك .

٢ ـ حراز وأعمالها للمكرمي صاحب نجران .

٣ ـ قسم من الجبال تسيطر عليه قبائل بكيل .

٤ ـ صنعاء وأعمالها تتأرجح بين سلطات الأئمة الزيدية .

تقدم علي بن المهدي على رأس أنصاره وضرب نطاق الحصار على صنعاء وتسامعت القبائل ـ الطامعة في السلب والنهب ـ فأقبلت جموعهم تترى لمعاونته فشدد بهم الهجوم على المدينة البائسة حتى انهارت خطوط الدفاع ودخلتها القوات المهاجمة وأتت على كل ما في المدينة نهباً وسلباً مع ما يتتبع ذلك من إهدار الدماء وإزهاق الأرواح وكشف العورات ، أما أحمد بن هاشم فقد فر إلى بلاد « أرحب » شمال صنعاء بمسافة يوم واحد .

لم تقف الأمور عند هذا الحد بل زاد الحالة تحرجاً وسوءاً خروج ثائر جديد وهو غالب بن محمد بن يحيى داعياً لإمامة نفسه وتسمى بالهادي وهلك في عام ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥١ م فانقطعت السبل وأخيفت السابلة وتأججت نار الفتنة وكثر القتل والنهب .

وأخيراً تمكن غالب من دخول صنعاء وبسط سلطته عليها .

حل عام ١٢٦٨ هـ/ ١٨٥٢ م والحالة تمور في بركان من النار وبحر من الدماء ، فأراد غالب أن يعزز مركزه بغزوة ظافرة وبدلا من أن يكر على الأتراك المتربصين بالجميع ، غزى المكرمي في حراز على مسافة يومين عن صنعاء ، وأناب عنه على إدارة صنعاء أحمد بن عبد الله بن أبي طالب .

تقدم غالب على رأس قواته فاستولى على « مناخة » ، فكر عليه المكرمي بهجوم مضاد واسترد منه مناخة في الحال ، فرحل غالب إلى « حفاش » ، وظل الموقف في تيار من الفتن الجارفة كالآتي :

١ - رحل غالب بعد هزيمته من مناخة إلى حفاش على مسافة أربعة أيام في الجهة الغربية من صنعاء يدعو الناس إلى الدخول في طاعته .

٢ - وعلى الجانب الآخر من صنعاء على المسافة نفسها أقام علي بن المهدي في « يريم » يدعو الناس هو الآخر إلى طاعته .

٣ - وكان العباس بن المتوكل على مسافة يوم من صنعاء ثائراً على الخصمين - غالب - وعلي بن المهدي - وأخيراً اغتنم اشتغال كل منهما بالآخر فانقض على صنعاء واستولى عليها ، وفي قلب صنعاء افترق الناس فرقتين ، إحداهما تؤيد غالب بن محمد وتساعد نائبه أحمد بن عبد الله بن أبي طالب ، والأخرى تؤيد العباس بن المتوكل ، ودارت رحا المعركة في داخل صنعاء بين الفريقين وانقسمت المدينة إلى معسكرين وانحصر الموادعون في بيوتهم وأقفرت الشوارع إلا من أزيز الرصاص وعطلت المساجد والجامع الكبير من العبادة نحو شهرين .

عاد غالب بعد شهرين ، ودخل صنعاء عنوة فخرج منها العباس بن المتوكل وانحصر أمر غالب في مادون أسوار المدينة ، وسادت الفوضى وتغلب كل من أحس من نفسه القوة ومن عصبيته بأساً على جهته .

وأغرب من كل ما مضى أن في نفس مدينة صنعاء - التي ينحصر أمر غالب فيما دون سورها - استطارت نار الفتنة بين غالب ونائبه على المدينة أحمد بن عبد الله ابن أبي طالب ، وذلك في عام ١٢٦٩ هـ/ ١٨٥٣ م .

وامتشق الحسام وأطلق الرصاص بين غالب ونائبه ، فتغلب أحمد بن عبد الله على غالب فبايعه أهل المدينة إماماً وتسمى بالمهدي ، وذلك في عام ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٤ م .

بيد أن الأمور ازدادت سوءاً وتحرج الموقف وساءت الحالة في صنعاء فخرج جماعة من أعيانها إلى العلامة محمد بن عبد الله الوزير في قرية « السر » شمال شرق صنعاء ، وبايعوه إماماً .

المنصور محمد بن عبد الله الوزير :

من أفاضل عصره ، حجة في العلوم الدينية ، قبل البيعة التي تقدم بها إليه علماء صنعاء ، وبعث معهم أحد أقربائه علي بن محمد الوزير حاكما ونائباً عنه على المدينة ولقبه بسيف الخلافة .

دخل الحاكم الوزيري إلى صنعاء ورتب إدارتها ، فهدأت الأمور وأمنت السبل ، وفي ٧ صفر من تلك السنة دخل الإمام المنصور الوزير إلى مدينة صنعاء ـ وصعد منبر الجامع خطيباً وحث على الطاعة والاتحاد ، ثم خرج من الجامع إلى القصر وأخذ لنفسه البيعة العامة ، وبعد ذلك خرج إلى جهة الحيمة وطرد القبائل المتغلبة عليها ، وفي عام ١٢٧١ هـ/ ١٨٥٤ م تقدم إلى جهة « سناع » بمسافة ساعتين عن صنعاء ، وفي أثناء خروجه دخل إلى الروضة حسين بن المتوكل ، واجتمع عليه بعض قبائل أرحب وبايعوه إماماً وتسمى بالمتوكل .

حسين بن المتوكل :

أقبلت إليه القبائل الطامعة في السلب والنهب من كل صوب ، وقطعوا الطرق وأخافوا السبل ـ متظاهرين بالطبع بمساعدته وشد أزره ـ وأخيراً هاجم بهم المدينة ـ التي دائماً تخف القبائل لنصرة كل قائم طمعاً في نهبها قبل كل شيء ـ نشب القتال بين المهاجمين وبين أنصار الوزيري ، وفي النهاية اتفق مؤيدو الطرفين على خلع المنصور الوزيري ـ والمتوكل حسين ، وأن يرشح للإمامة محسن بن أحمد الشهاري ، فنهض وفد من الطرفين إلى الشهاري لأخذ رأيه فوافقهم .

الإمام محسن بن أحمد الشهاري :

بعد مبايعة القبائل له رحل إلى كحلان ـ على مسافة يومين من صنعاء ـ ومن هنا أخذ في دعوة أهل حجة ، ثم أقام في سناع .

أما الهادي غالب فقد بقيت صنعاء وما حولها في حوزته وأخيراً اختلف مع وزيره أحمد الحيمي ـ الذي قد اصطلح معه بعد الاختلاف السابق ـ فنزل أحمد الحيمي إلى تهامة يستدعى الأتراك للطلوع إلى الجبال ووضع حد لتلك الفوضى .

الهـــادي حسين بن أحمـــد :

في عام ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٩ م قام حسين بن أحمد بدعوته في صنعاء ، فالتفت حوله القبائل وضرب اسمه على النقود .

وفي عام ١٢٧٦ هـ/ ١٨٦٠ م ثار أهـل صنعـاء وضربوا على قصره الحصار فتمكن من فك الحصـار وخـرج من صنعـاء ، وعلى أثر خروجه استدعوا الإمام محسن بن أحمد الشهاري ، فتقدم إلى قرب المدينة بثلاث ساعات وأقام هناك .

أما الهادي حسين بن أحمد ، فبعد خروجه من المدينة أخذ في جمع القبائل حتى تجمع له جموع كثيرة فهاجم بهم صنعاء فلم يظفر بطائل ، فانسحب عائداً من حيث أتى .

نشـاط جمـاعة الإسمـــاعيلية :

في سنة ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦١ م نشط جماعة الإسماعيلية واستولوا على الحيمة فهب العلامة أحمد بن محمد الكبسي يستنهض القبائل لقتالهم ويهيب بهم إلى نصب إمام يرتضونه ليقودهم للحرب ، فاتفق الرأي على الإمام محسن الشهاري ، فتقدم وفد منهم إلى محل إقامته بذي مرمر ، فخرج معهم ودخل صنعاء ، فأعانه أهلها بالمال ، ومنها تقدم على مدينة الحيمة واستولى عليها .

وفي عام ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦٢ م بلغ الإمام محسن الشهاري أن رئيس الباطنية الإسمـاعيلية قد استمـال قبيلة بكيل ، فخـاف على نفسـه منهم ، ورحـل إلى صنعاء ، ومنها صعد إلى ذي مرمر وأقام بها .

على أثـر ذلك ثار الخصام بين الكبسي حاكم صنعاء من قبل الإمام محسن

وبين رئيسها محسن معيض فأرسل محسن معيض للحسين بن المتوكل وسلمه المدينة فتحرك الإمام محسن الشهاري من ذي مرمر ، وضرب الحصار على صنعاء وأخيراً تم الصلح بين رئيس صنعاء محسن معيض وبين الإمام محسن الشهاري على أن يقوم الأول بإخراج حسين بن المتوكل من المدينة وتقام له الخطبة على أن يكون حاكم المدينة وقاضيها من أهلها ، وتم ذلك إلى سنة ١٢٨٥ هـ/ ١٨٦٨ م ظلت الاختلافات والمنازعات بين أولئك الأئمة إلى سنة ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م فتقدم القائد أحمد مختار ـ انظر أخبار ولاة الأتراك في اليمن ـ واحتل صنعاء فخفتت دعوة الأئمة ، ودخل أكثر القسم الجبلي تحت سلطة الأتراك ، كما أوضحنا ذلك في تاريخهم ـ أي في تاريخ ولاة الأتراك في اليمن ـ إلى عام ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨ م .

لم يرق ذلك القرار للمنصور الوزير فخرج مغاضباً إلى قريته السر .

الإمام المتوكل محسن بن أحمد الشهاري :

بويع بالإمامة كما مر بك ، وبعد البيعة ظل في « حدة » على مسافة ساعة ونصف من صنعاء من الجهة الجنوبية الغربية .

إمام جديد أو إمامة غالب ، للمرة الثانية :

على أثر تطور تلك الأحداث اجتمع غالب بن محمد بن يحيى والعباس بن المتوكل وأحمد بن عبد الله بن أبي طالب ـ الثلاثة الأئمة السابقون ـ وقرروا بعد المداولة نصب أحدهم إماماً وتعاهدوا على معاونته ومعاضدته ، واتفقوا على تنصيب غالب ، فبايعه رفيقاه ، وأنصارهما وتسمى بالهادي ـ لقبه الأول ـ وبعد انتهاء مراسيم البيعة تحرك من الروضة على رأس أشياعه إلى بلاد « حضور » التي لا تبعد أكثر من مسافة أربع ساعات عن صنعاء ، ومن حضور تحرك إلى الحيمة وأدب بعض المتمردين ، وعاد أدراجه إلى صنعاء ، وذلك في عام ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٧ م .

اختلاف بين وزيرين :

في نفس تلك السنة وقع الاختلاف ثم القتال بين أحمد الحيمي وزير الهادي غالب ، وبين أحمد الشامي وزير المتوكل محسن بن أحمد الشهاري ،

ودام القتال بينهما ، وظلت الأمور تتأرجح في تيارات ذلك البحر المضطرب من الفتن والحوادث إلى عام ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧ م ، ثم وقع الخلاف بين الإمام الهادي غالب ووزيره أحمد الحيمي ، فاتصل الوزير بعلي بن المهدي الإمام الأسبق ، الذي كان يقيم على مسافة ساعة من صنعاء ، وتعهد له بمساعدته في ارتقاء الإمامة وتسليمه مدينة صنعاء ، فأعلن علي بن المهدي دعوته ودخل صنعاء في صفر عام ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧ م .

إمامة علي بن المهدي ، للمرة الخامسة :

تلقَّبَ هذه المرة بالمهدي وتمت له البيعة بصنعاء ، فعلم الهادي غالب المقيم بالروضة فجمع القبائل وهاجم بهم صنعاء فأقفلت أبوابها وصدته فضرب عليها نطاق الحصار مدة ـ ولم يظفر بفتحها ـ فرحل إلى بلاد خولان لجمع القبائل وحشد الأنصار ، وعلى أثر رحيله خرج علي بن المهدي من المدينة إلى الحيمة واستمرت الفتنة قائمة إلى شهر ربيع الآخر ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧ م وتم الصلح على خلع علي ابن المهدي وبقاء غالب في الإمامة .

وبالرغم من تنازل علي بن المهدي لغالب عن الإمامة فإن الأمور لم تستقر لغالب لأنه لم يتمكن من إرضاء القبائل لذلك تركوه ، أو بالأحرى تخلوا عنه واتجهوا نحو الإمام الأسبق محسن بن أحمد الشهاري ونصبوه إماماً فولى غالب إلى مدينة صنعاء وتحصن بها .

شرف الدين الهادي محمد :

قام بدعوته في جبل « الأهنوم » في عام ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨ م وفي السنة التي بعدها انتقل إلى هجرة صعدة ومن هناك قام بحركة المقاومة وجهز قواته إلى حصن « الظفير » و« حجة » وتوفي في عام ١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩ م .

الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين :

على أثر وفاة شرف الدين الهادي أعلن دعوته ، وذلك في عام ١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩ م .

وفي عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م بعث جيوشه فضربت الحصار على حصن الظفير

و « مسور » و « الشرف » و « يريم » و « حفاش » و « ملحان » ، و « الروضة » وغيرها من جهات صنعاء ، ثم ضرب الحصار على صنعاء كما حاصرت قواته تعز .

وفي تلك السنة - في ولاية إسماعيل حقي - كانت تلك الحركات الحربية ، فقام الوالي بتجريد حملة لإخماد الحركة الساخنة فباءت بالفشل ، وعلى أثر ذلك توفي الوالي إسماعيل حقي في نفس تلك السنة ، فازداد نشاط الإمام وقطعت الأسلاك الهاتفية ، وتحصنت الحاميات التركية في داخل صنعاء وذلك في عام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ م واشتد الحصار على صنعاء ، وعدمت الأقوات ، وفي ٦ المحرم ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ م التحم القتال بشدة بين رجال القبائل المناصرة للإمام ، وبين الأتراك المحصورين واشتد الحصار وأحكمت حلقاته ، فعدمت الأقوات داخل المدينة ، واضطر كثير من الضعفاء إلى مغادرتها وفي ١٦ من الشهر نفسه دارت معركة « الحرداء » على مسافة ساعة ونصف من صنعاء ، واستولت قوات الإمام على أسلحة وكبدوا الأتراك خسائر جسيمة ، ومن أشهر تلك المعارك التي دارت رحاها معركة « الحرف » .

معركة الحرف :

الحرف موضع على مسافة ساعة من صنعاء ، وفيه نشبت معركة عنيفة بين الإمام والأتراك سالت الدماء فيها أنهاراً .

أهل صنعاء :

كان أشد الناس بلاءاً ومحنة فى تلك الحروب أهل صنعاء ، فالأتراك يتهمونهم بممالأة الإمام والقبائل والإمام يتهمونهم بمساعدة الأتراك ، ومن خرج من المدينة ناجياً بنفسه وأهله من مجاعة الحصار وعنت الأتراك وقع في قبضة رجال الإمام يجردونه من كل ما معه من سقط المتاع ومن مانع أو قاوم قتل ، وسيل رجال القبائل الطامعة في السلب والنهب لا ينقطع حتى غصت النواحي والأطراف المصاقبة للمدينة بجموعهم الزاخرة يمعنون قتلا وسلباً وانتهاكاً للأعراض وتعدياً على الحرمات ، والإمام غير قادر على كبح جماحهم ووضع حد لتعدياته م .

تقدم أحمد فيضي :

دام الحصار شهرين ونصف وبعد ذلك تقدم القائد أحمد فيضي ، وبعد معارك دامية دخل صنعاء - راجع تاريخ ولاة الأتراك في اليمن - وعند ذلك ارتفع الإمام إلى معقل القفلة بجهة حاشد ، فتقدم أحمد فيضي إلى جهة حاشد فارتفع منها إلى جهة أخرى إلى أن عاد أحمد فيضي ثم رجع إليها .

توفي الإمام المنصور في ربيع الأول عام ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م .

الإمام يحيي بن محمد حميد الدين :

تولى الإمامة بعد وفاة والده بإجماع العلماء الموجودين في القفلة من صنعاء وذمار وصعدة ، وأعلن أمر دعوته في ١٩ ربيع الأول من السنة نفسها ، ثم وصلت إليه بيعة علماء « حوث » و« شهارة » ، وضرب اسمه على السكة (عصمتي بالله المتوكل) وجمع القبائل وهاجم أغلب مدن اليمن الأعلا وضرب عليها نطاق الحصار ، ووجه الهجوم الرئيسي على صنعاء ، وشدد عليها الحصار فنال تلك المدينة المنكودة الحظ ما تتفتت له القلوب والأكباد وعدمت الأقوات فخرج أهلها مع أطفالهم وأسرهم في حالة يرثى لها .

وكان من نتيجة ذلك الحصار المضروب على المدن الجبلية تعطيل المواصلات وانقطاع السابلة وصادف الحصار جفاف وقلة أمطار فارتفعت الأسعار إلى أرقام خيالية . ثم عزت الأقوات وعدمت المؤن ، واجتاحت المجاعة الضارية البلاد ووقع بأسبابها الموت المريع حتى أخليت قرى وأقفرت مدن من أهلها ، ويقول الواسعي في تاريخه :

١ - مما أقفرت من سكانها الذين ماتوا جوعاً فيما مساحته يومين بلاد « وادعة » .

٢ - وفي « آنس » و« تعز » و« إب » الذين ماتوا من الجوع واحد وستون ألفاً .

٣ - وفي جبلة وما حولها مات جوعاً ثلاثة وعشرون ألفاً .

٤ - وفي بلاد خولان اضطر الناس إلى أكل التبن .

٥ ـ وفي بادية صنعاء بلغ بأحدهم الجوع إلى أكل طفلته .

٦ ـ مات في قرية القابل خارج صنعاء ألف وستمائة شخص غير من مات في سائر القرى حولها .

٧ ـ مات من أهل صنعاء الذين رحلوا إلى « كوكبان » و« المحويت » خمسة آلاف شخص .

وفي داخل صنعاء أمر الوالي التركي الشرطة بمهاجمة بيوت التجار وذوي اليسار والإستيلاء على كل ما وجد لديهم من الأقوات وأكل الأتراك القطط والكلاب ، وبلغ قيمة الصاع من الحنطة ستمائة ريال ، ويقدر الذين هلكوا من أهل صنعاء جوعاً بمقدار النصف .

وعندما تفاقم الأمر بعث الأتراك الذين في صنعاء وفداً إلى الإمام في كوكبان يرافقهم العلامة عبد الله بن علي بن عبد القادر للمفاوضة في التسليم .

سلم الأتراك صنعاء لمندوب الإمام ـ الذي بعثه لاستلامها ـ أحمد بن قاسم حميد الدين ، فتسلم المدينة وما بها من معدات وعتاد وأسلحة وذخائر وبعد ذلك نزل الإمام إلى موضع يبعد ثلاث ساعات عن المدينة .

وفي عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٠ م دخل الإمام صنعاء بعد أن غادرتها الحامية التركية إلى مناخة حتى تصدق المعاهدة من الباب العالي .

كانت صنعاء خراباً ينعق البوم على أطلالها خالية من السكان غير القليل الذين لم يستطيعوا الرحيل ممن ليس معهم ما يخافون عليه ، وقد تفرق أهلها في البلاد ولم يعودوا إليها إلا بعد دخول أحمد فيضي .

نفخ ريح النصر في أنوف القبائل وامتلأت جيوبهم بالغنائم ، فقامت كل قبيلة تطالب بامتيازات لنفسها وإقطاعيات ، وتعذر كبح جماح المطامع على القائمين بالأمر ـ وفي تلك الأثناء وصلت القوات التركية بقيادة أحمد فيضي .

وبعد معارك طاحنة انسحب الإمام من صنعاء ، ودخلها أحمد فيضي وأصدر عفواً عاماً ، فعاد أهل صنعاء إلى مدينتهم .

وفي عام ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م وصل وفد من تركيا للمفاوضة مع الإمام يحيي ووضع شروط الصلح ، ثم تعاقب الولاة ـ راجع أخبار ولاة الأتراك ـ إلى أن وصل عزة باشا كما نوضحه أدناه .

وفي عام ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م تم توقيع معـاهدة الصلح بين الوالي عزة باشا وبين جلالة الإمام يحيي واجتمعا في « دعان » ، وبموجب بنود تلك المعاهدة عين الإمـام محاكم شرعية وموظفين للأوقاف ، وبعد ذلك عاد عزة باشا إلى الأستانة وخلفه في ولاية اليمن محمود نديم واستمر والياً على اليمن إلى أن صدرت الأوامر بتسليم اليمن للإمـام يحيي إنفـاذاً لما اقتضته شروط الصلح بين الحلفاء وتركيا وانسحب الأتراك من اليمن عام ١٣٣٦ هـ/ ١٩١٨ م ، وبذلك بدأ عهد الدولة المتوكلية بإمامة الإمام يحيي بن محمد حميد الدين ، تغمده الله برحمته .

* * *

الفصل العاشر
المخلاف السليماني (1)
وإمارة أحمد بن غالب

في جمادى الأولى من عام ١٠٩٩ هـ/ ١٦٨٨ م توفي أمير مكة أحمد بن زيد فاجتمع ذوو الرأي وكبار العسكر والأعيان على تنصيب سعيد بن سعد ، ورفعوا حسب العادة المتبعة إلى الخليفة العثماني يرجونه الموافقة .

وكان هناك من يترقب سنوح هذه الفرصة بفارغ الصبر وهو أحمد بن غالب البركاتي المقيم في ذلك التاريخ في ينبع - فبادر بالكتابة إلى والي مصر يبذل له الرغائب ويتعهد له بدفع مبالغ طائلة من المال إن هو ساعده وعمل على توليته الإمارة في الحجاز، فكتب والي مصر إلى حاكم جدة بموافقته على تولية أحمد بن غالب شرافة مكة .

صدع حاكم جدة بالأمر ونادى بأحمد بن غالب أميراً على مكة .

بلغ الأمير سعيد بن سعد ، فقال : دون مكة السيف ما لم يصدر أمر سلطاني ، فتجهز حاكم جدة يرافقه أحمد بن غالب نفسه على رأس حملة إلى مكة المكرمة وبعد مكاتبات ومساعي لم يكتب لها النجاح غادر الأمير سعيد بن سعد مكة إلى الطائف ، فدخلها حاكم جدة والأمير الجديد أحمد بن غالب ، وذلك في شوال ١٠٩٩ هـ/ ١٦٨٨ م .

حَلَّ عام ١١٠١هـ/١٦٨٩م فشب الخلاف بين الأمير أحمد بن غالب أمير مكة المكرمة ، وبقية الأشراف وراح كل فريق يرشح زعيمه ، وخرج ذوو زيد إلى ينبع وجماعة من العبادلة إلى القنفذة ، وقام ذوو الحارث وغيرهم من الأشراف ضد أحمد بن غالب فاضطرب الأمن وسادت الفوضى وتفاقم الشر

---

(1) المخلاف السليماني : يطلق على مقاطعة جازان بأسرها محليا وتاريخيا .
أما كلمة المخلاف أو المخلاف الشامي فيطلق على ما كان شمال صبيا إلى ما دون قرية السلامة .

فصـدرت الأوامـر بالموافقة على تعيين محمد بن الحسين بن زيد فأرسل رسالة من قبله إلى الأمير أحمـد بن غالب قبـل أثـرهـا أن يغـادر مكـة ، وخـرج إلى اليمن ليستنجد بإمام الزيدية الناصر لدين الله محمد ، وصل مدينة صبيا في أواخر شهر شعبان ، وبعد أن استجم والي سيره فوصل إلى « رداع العرش » في النصف من شهر رمضان ، فدخل على الإمام ورجاه مساعدته في استعادة إمارة مكة ممنياً الإمام بملك الحجاز وغيره مسهلا عليه أمر التغلب على تلك الأقطار ـ وكان الإمام على جانب من بعد النظر وتقدير الأمور ـ فوعده ببعض ما يطيب خاطره وجعله أميراً على المخـلاف السليمـاني فوصـل مدينة أبي عريش في نصف شهر صفر عام ١١٠٢ هـ/ ١٦٩٠ م .

نجم في صعـدة ثائـر جديد هو أحمد بن المتوكل ، وأخذ في الدعوة لنفسه ووردت كتبه إلى الأمير أحمد بن غالب وبعض رؤساء المخلاف يدعوه إلى الدخول في طاعته فلم يجبه الأمير .

توجه أحمد بن علي المتوكل على رأس أنصاره من صعدة إلى اليمن الأعلا بعد أن أناب عنه :

١ ـ على صعدة والياً من قرابته .
٢ ـ على جبل رازح ابنه القاسم بن علي .

وفي طريقه إلى اليمن الأعلا دخل مدينة « الهجر » وقبض على أميرها من قبل الناصر ـ وأرسله أسيراً إلى صعدة ، واستولى على شهارة وأقام ابنه الحسن بن علي نائباً عليها فدخلت في طاعته البلاد الآتية :

١ ـ السـودة .	٢ ـ بلاد الشَّرَفَين .
٣ ـ كوكبـان .	٤ ـ بـلاد حَجَّـة .
٥ ـ كحـلان .	٦ ـ عمـران .

وسار لمحاصرة صنعاء ، ثم كر راجعاً إلى صعدة بدون أن يتوفق .

أدرك أهل شهارة رجوعه خائباً ، وخشوا من عقاب الإمام الناصر فاحتالوا على عاملهم الحسن بن علي وقبضوا عليه وأرسلوه إلى الإمام الناصر .

في أثنـاء خروج علي بن أحمد المتوكل إلى اليمن الأعلا اغتنم الأمير أحمد ابن غالب فرصـة تغيبه فأخذ في الإغارة على أطراف البلاد الداخلة في طاعته ـ بصفته أحد الأمراء التابعين للإمام الناصر الذي قام هذا الثائر ضده ـ ومن جملة تلك الغارات سرية بعثها إلى «المُعَنَّق» بقيادة أخيه حسن بن غالب ، وكان أمير المعنق هو الأمير عز الـدين القـطبي من أمـراء المخلاف السليماني السابقين ـ فتمكن أمير المعنق من هزيمة السرية وطردها .

رد الفعـــل :

لم يهن على الأمير عز الدين القطبي غزو الأمير أحمد بن غالب للمعنق الذي هو موئل آل القطبي فاستصرخ بعامل جبل رازح القاسم بن علي مستنجداً واستدعى أكثـر القبـائـل القريبة فأقبلت مسرعة لداعيه وسار بها إلى تهامة ، ضرب الأمير عز الدين القطبي خيام معسكره في أرض شقر على مسافة أربعة فراسخ من أبي عريش ، فخرج الأمير أحمد بن غالب إليه في غرة رمضان ، فكانت الدائرة عليه وكان أحمد بن غالب في المؤخرة على بعد من الميدان فعلم بالهزيمة من فلول جيشـه فعاد مسرعاً إلى أبي عريش فوجدها خاوية على عروشها [1] فجمع فلول جيشه وتحصن في قلعة المدينة ولوتقدم الجيش المهاجم لاستولى على المدينة بدون مقاومة تذكر ، بيد أن القاسم بن علي قائد الجيش المهاجم انسحب عائداً إلى « البار » اسم موضع ، وهناك اتصل به خبر عودة أبيه إلى صعدة على الصفة التي مرت فعاد إلى رازح .

تلك الحركة الحربية والمقاومة من أحمد بن غالب رفعت منزلته في نظر الإمام الناصر .

الوضع الإداري للمخلاف في أول إمارة أحمد بن غالب :

في هذا التاريخ كان الوضع الإداري والسياسي في المخلاف على الصورة الآتية :

---

(١) وكان هذا أول خروج من المدينة في عهد هذا الأمير .

١ ـ إمارة أحمد بن غالب أو ما يشملها نفوذه وهي من شرق مدينة أبي عريش إلى ساحل البحر غرباً ، ومن بادية أبي عريش شمالا إلى حرض جنوباً .

٢ ـ إمارة آل القطبي وتشتمل على الحُرَّثِ والمعنق وما يليها .

٣ ـ إمارة صبيا ويتبعها ضمد والشقيري وينوب عليها الأمير محمد بن أبي طالب الخواجي ، ويتبعها مخلاف بيش .

في ذلك الحيز الضيق تشمل الإمارة التي أنيطت بالأمير أحمد بن غالب وهو صاحب مطامع وآمال واسعة دفعته إلى الرغبة في التوسع على حساب جيرانه شرقاً وشمالا وكخطوة أولى لتحقيق مطامعه .

أخذ أولا في العمل على زرع بذور الخلاف والشقاق بين جيرانه الشماليين الخواجية ، وكنتيجة لذلك بطش عامل الشقيري وهجرة ضمد حسين بن مطاعن الخواجي ببعض العابثين بالأمن في منطقته ، وكان هذا العابث قد دخل إلى قرية الشقيري في جوار أحد أبناء عم العامل ـ ولا يبعد هذا أن يكون أداة لأحمد بن غالب دبر معه هذه الخطة ـ أودع عامل الشقيري المجرم في السجن فأصبح السجين ميتاً ، فقام الذي أجاره باتهام العامل بقتله غيلة مدعياً أن العامل خاس بذمته ووصلت المرافعة بينهما إلى أمير صبيا ـ وكلاهما من قرابته ـ فتوسط بينهما على تسليم مبلغ من المال دية وترضية لأهل المقتول ، فتظاهر المطالب بالقبول والرضا . وبعد مدة وجيزة عدا ليلا على العامل واغتاله وهو نائم في بيته وفر .

وصل خبر الحادث إلى أمير صبيا فخرج يوم ٨ شعبان عام ١١٠٣ هـ/ ١٦٩٢ م إلى الشقيري وألقى القبض على قرابة القاتل ومن حامت الشبهة على مساعدته ، بيد أن المتهم الأول في التحريض ، وهو مطاعن بن أبي طالب بن دريب الخواجي، فر ملتجئاً إلى الأمير أحمد بن غالب ، وبذلك تمكن من إحداث ثغرة في صفوف جيرانه الشماليين .

الاتجــاه إلى النـاحية الشـرقية :

وهنـاك وجه اهتمامه إلى الناحية الشرقية فعمل على استمالة قبائل جبل رازح بالـرغـائب حتى دخلوا في طاعتـه فأرسـل من قبله عامـلا وقـوة تمـركـزت في الجبـل وبـذلك أصبح خصمه الأول عز الدين القطبي بين شقي الرحا وأضحى

منقطعاً عن الاتصال بمرجعه في صعدة ، بيد أن أمير صعدة لم يترك الاستمتاع بهذا النصر لخصمه ، فهب مسرعاً واستعاد جبل رازح واقتاد العامل أسيراً إلى صعدة .

العودة إلى حركة التوسع في الشمال :

اتخذ أحمد بن غالب من قضية الشقيري سبباً وذريعة إلى موالاة الرفع للإمام في الإذن له بضم إمارة صبيا إليه وراح من جهة أخرى يعمل جاهداً في استمالة أهل صبيا بشتى وسائل الإغراء والتقدم بالرفع إلى الإمام بأن مخلاف صبيا يمكن منه تجنيد خمسة آلاف مقاتل ومن السهل بهم التغلب على أمير صعدة وهي أمنية طالما طمح الإمام إلى تحقيقها ـ فحالا أوفد الإمام النقيب محمد بن سعدون إلى الأمير محمد بن أبي طالب الخواجي يطالبه بتجنيد خمسة آلاف مقاتل وإن بدا منه أقل اعتذار فعلى النقيب إبلاغه بإسناد إمارة صبيا إلى أحمد بن غالب وفعلا اعتذر عامل صبيا ـ لأن مثل ذلك غير مستطاع ـ فأسندت إمارة صبيا إلى الأمير أحمد بن غالب وقام حالا بفرض بدل نقدي على أهل المخلاف وصبيا قدره خمسة آلاف أحمر ـ عملة متداولة في ذلك العهد ـ مقابل الخمسة آلاف المقاتل ووزعها على الجهات المبينة أدناه .

١ ـ على هجرة ضمد والشقيري والقرى التابعة لها ألف وأربعمائة ،

٢ ـ صبيا وقرى المخلاف الشامي ثلاثة آلاف وستمائة .

وكتب إلى الإمام بأن أهل صبيا ومخلافها اختاروا تسليم بدل نقدي وأنه قرر عليهم مقابل الخمسة آلاف مقاتل خمسة آلاف أحمر فورده الجواب من الإمام بأن يبعث له أربعة آلاف أحمر وما زاد فهو له .

ولم يكتف بذلك بل استصدر من الإمام أمراً على أهل صبيا ومخلافها وسكان كافة المخلاف السليماني بما يأتي :

١ ـ إلزامهم بضيافة الجنود ورجال الحكومة في مرورهم بجهاتهم .

٢ ـ تقرير خرص المزارع .

وأناب عنه على عمالة صبيا وزيره سنبل .

اختطـــاط أحمد بن غـــالب قـــرية البَدَوِي :

في شهر شوال من عام ١١٠٣ هـ/ ١٦٩٢ م صدر إليه أمر الإمام بالنهوض من أبي عريش إلى وادي خلب ـ ويظهر أن الإمام شعر بحركة أمير صعدة إلى اليمن الأسفـل فرغب أن يعسكـر أحمـد بن غالب على ضفـة وادي خلب استعـداداً للطوارىء ـ فقام بفرض التجنيد على أهل المقاطعة ومن جملتهم أهل صبيا الذين قد دفعوا البدل النقدي ـ فرض عليهم ثلاثمائة مقاتل ـ وعندما توارد إليه المجندون نهض إلى وادي خلب وضرب خيامه على عدوة الوادي وبعد أن استقر ألزم مشايخ تلك الجهة بإحضار مواد البناء وبناء البيوت ومع طول إقامته استدعى التجار من صبيا وغيرهـا وأمـرهم بأن يؤسسـوا سوقاً أسبوعياً بالقرب منه ويرجح أنه من تلك التاريخ تأسس سوق الأحد في المسارحة ـ وأسس جامعاً في قرية البدوي وفي تلك الأيام ورده أمر الإمام بإسناد أمر ولاية الجهات الآتية إليه :

١ ـ بلاد الشرفين . ٢ ـ المحـــرق .
٣ ـ اللحب . ٤ ـ المعـــرس .
٥ ـ بلاد عاهم وضاعن . ٦ ـ مـــــور .
٧ ـ الضُحى .

وبذلك اتسعت رقعة إمارته ودائرة نفوذه .

وفي مستهل عام ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٢ م جهز حملة لتأديب قبائل المير [1] وقبيلة بني شعبة فلم تظفر بأحد منهم وبعد ذلك عزل سنبل عن عمالة صبيا .

وفي جمـادى الأولى من تلك السنة قام بعض قبائل بني شعبة بقيادة الرئيس علي بن محمـد المـوكلي فهـزمهم أهل الحسيني واقتادوا رئيسهم أسيراً وسلموه إلى عامل صبيا وكان قبل ذلك قد ألقى الأمير القبض على أحد رؤساء بني شعبة أيضاً المدعو (علي بن جابر الرزيقي) وأخذ أهل الحسيني في الحرص والسهر خوفـاً من بني شعبـة الـذين تحفـزوا لأخـذ الثـأر وفي ليلة الخميس ٢٦ رجب

---

(١) المـــير : الحـــزن .

١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣ م هجد الشعبيون الحسيني وقتلوا ثمانية وعشرين شخصاً وأحرقوا القرية وطموا الآبار وكانت هذه أول سطوة لبني شعبة .

غــزو الأمير علي بن أحمد المتوكل للمخلاف :

كان أمير صعدة ـ قبل هذا التاريخ بقليل ـ قد انتصر انتصاراً ساحقاً على جيش إمام صنعاء ـ الذي غزا مدينة صعدة ـ وقتل قائده إسماعيل ابن الإمام الناصر فاشتد ساعد الأمير الصعدي وأخذ في استمالة الأمير أحمد بن غالب للدخول في طاعته فلم يستجب لاستمالته فجرد حملة قوية لغزو المخلاف السليماني فرحل الأمير أحمد بن غالب من قرية البدوي للتحصين والاعتصام في قلعة أبي عريش ولحقه الوزير سنبل بحرمه وأمتعته إلى أبي عريش في اليوم الثاني وأذن الأمير لمن يرغب الخروج من أهل المدينة فغادرها [1] أكثر سكانها .

المعــــركـة :

قام الأمير أحمد بن غالب من ساعة وصوله إلى أبي عريش في العمل على إقامة التحصينات وبناء الاستحكامات في الأماكن الاستراتيجية وتوزيع الجنود في المراكز الهامة .

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣ م هاجمت القوات الصعدية المدينة وتقدمت فرقة إلى داخل المدينة فجاء طريقها شمال القلعة فأصلتها حامية الاستحكامات بنيران بنادقها وصدتهم عن التقدم نحو القلعة وتقدمت فرقة أخرى لنهب السوق فأمر الأمير أحمد بن غالب بإحراق البيوت القريبة من السوق فأحرقت النار بعضهم لجهلهم بمعرفة طرق المدينة وفر البعض إلى خارج المدينة وقاومهم من في القلعة والاستحكامات فاضطروا بعد خمسة أيام من بدء الهجوم إلى التراجع والانسحاب .

نال أهل مدينة أبي عريش من الخسائر المادية في هذا الهجوم ما يفوق التقدير لأنهم لم يستطيعوا تحميل أموالهم لعدم وجود الجمال فبقيت أموالهم

---

(١) وهذا هو الخروج الثاني لأهل مدينة أبي عريش في عهد أحمد بن غالب .

داخل المدينة فأتت الحرائق التي أمر الأمير أحمد بن غالب بشبها عندما تقدمت الفرقة وهاجمت السوق ـ على الكثير من الأموال وعلاوة على ذلك فإنه بعد انسحاب المهاجمين خرج الجيش المدافع إلى المتاجر والبيوت للنهب والسلب على مرأى ومسمع من أحمد بن غالب ويروي أن المنهوبات من سوق البانيان [1] خاصة بلغ ما قيمته ثمانية آلاف قرش (أي ريال) وهو مبلغ جسيم بحسب قيمة الشراء في ذلك العهد ويستدل مما سبق أن مدينة أبي عريش كانت مركزاً تجارياً ممتازاً وبه جالية هندية من البانيان لهم سوق مخصوص بتجارتهم .

بنــو شُعْبَــة :

تسكن قبائل بني شعبة قرية الدرب المنسوبة إليهم باسم دَرْب بني شعبة وكان سابقاً بل في القرن الحادي عشر يعرف أيضاً باسم درب مُلوَّح وقد ورد باسم درب ابن مُلوَّح في مغازي إمام الزيدية المتوكل إسماعيل المتوفي عام ١٠٧٨ هـ/ ١٦٦٩ م ويذكر صاحب « ذيل نفح العود » أنَّ هذا الاسم كان يطلق عليه قبل أن يسكنه بنو شعبة الذين كانت مساكنهم قبله بلاد « شهران » وبلاد بيشة وأنهم نسبوا إلى محل هناك يسمى شعبة وأن بني شعبة يزعمون أنهم من تغلب وليس لديهم على ذلك دليل وأنه فهم من رؤسائهم أنهم من (أكلب) ثم (من خثعم) .

ونحن نلاحظ عليه ما يأتي :

١ ـ ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ١٢٠ ما نصه : ثم مخلاف عثر . وعثر ساحل جليل ومدينة بيش وحصبة أبرق وفيه من الأودية :

(أ) الأمـــان .
(ب) بيش .
(جـ) عتـــود .
(د) بيض .
(هـ) ريم وعرمرم .
(و) زنيف .
(ز) العمـــود .

---

(١) هذا يدل أنه كان في أبي عريش جالية هندية لها سوق خاص .

وهو لخولان وكنانة والأزد إلخ وقرية الدرب هي على وادي عتود .

٢ - جاء في العقيق اليماني في حوادث عام ١٠٢٧ هـ/ ١٦١٨ م ذكر قبيلة بني شعبة ضمن قبائل حلي ضمن من جهزهم أمير مكة لإخضاع أحد المتمردين عليه في بيش - وهذا يوضح لنا أن بني شعبة كانوا يسكنون الدرب من قبل غزوة المتوكل إسماعيل بواحد وستين عاماً .

٣ - وجاء في حوادث عام ١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٦ م ذكر وفاة الفارس البطل شار ابن هيازع صاحب الدرب ونعته بأنه لا يوجد مثله في عصره فروسية وشجاعة وكرماً وورد في حوادث عام ١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٦ م ذكر وفاة ابنه علي بن شار باسم كبير بني شعبة وأنه كان رئيس بلده بعد أبيه .

وبذلك يكون شهرة الدرب في أواخر القرن الحادي عشر (بدرب بني ملوح) لا يعني أن بني شعبة لم تسكنه إلا بعد ذلك التاريخ ، بل يكون كما يلوح أنه كان يطلق هذا الاسم عليه وبنو شعبة سكانه .

تتفق أقوال مؤرخي المخلاف أن بني شعبة قوم أهل فروسية ونجدة . اتخذوا الغزو والسلب والنهب مهنة نحو مائة عام - أي من عهد الأمير أحمد بن غالب في المخلاف ١١٠١ هـ/ ١٦٩٠ م إلى دخول عرار بن شار في طاعة آل سعود عام ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨ م .

أدرك منهم في أول الأمر الأمير أحمد بن غالب عدم الانقياد والطاعة وقاومهم بالسطو والنهب في جهاتهم ففكر في تأديبهم فجهز حملة في محرم ١١٠٤ هـ/ ١٧٩٠ م بقيادة أخيه حسن بن غالب فسارت من أبي عريش إلى ضمد ومنه إلى قرية صلهبة ومنها إلى قرية الصنيدلي - قرية شرقي الملحا - وفي خارج تلك القرية عسكرت الحملة ولم يتخذ قائدها الحيطة والحذر رائده فغط العسكر في النوم العميق - ويظهر أن بني شعبة قد علموا بخروج الحملة فتقدمت سرية من الفرسان إلى جهة الملحا تستطلع الأخبار فعلمت من حالة الحملة وعدم حزم قائدها ما أطمعها في مباغتتها - فهجدوها فأشاعوا الرعب والهلع في رجالها وقتلوا منهم ١٣ شخصاً وغنموا الكثير من معداتها وأصيب حسن بن غالب برصاصة في يده وعاد مهزوماً إلى صبيا .

أكسبهم ذلك النصر شيئاً من الضراوة وعدم الهيبة والخشية من الإمارة المحلية فتمادوا في السطو والنهب ووسعوا رقعة نشاطهم إلى أبعد من حدهم القبلي ودفعتهم الجرأة إلى غزو الحسيني ففشلت طليعتهم الأولى وأسر قائدها ـ كما أشرنا إليه قبل هذا واقتيد أسيراً إلى صبيا فجددوا الغارة وهجموا على قرية الحسيني وقتلوا ١٨ شخصاً وأحرقوا البيوت وطموا الآبار وكانت هذه الغزوة أول غزو علني منهم على المخلاف وبذلك اشتدت دولتهم واغتنموا اشتغال الأمير أحمد بن غالب بصد هجوم (صاحب صعدة) فتجولوا في قري المخلاف وفرضوا ضيافتهم على سكان القرى وهموا بمهاجمة صبيا نفسها .

عودة مع أحمد بن غالب :

بعد انتهاء معركة « أبي عريش » أخذ بطريقة التشفي والانتقام يبطش بكل من توهم أنه مالأ صاحب صعدة ففرض الغرامات وزج بجماعة في السجن ـ منهم الأمير خيرات بن الحسن القطبي وصادر أمواله وسير وزيره (سنبل) إلى قرية ضمد والشقيري ـ بحجة أنهم تقاعدوا عن مساعدته إبان الحصار ـ وقد عزم على اصطفاء أموال أهل القريتين فرجح له البعض فرض الغرامات التدريجية حتى يأتي على جميع أموالهم بدون ضجة ؟ لذلك بعث وزيره سنبل ففرض الغرامات وقرر النكالات على كل فرد .

تعمير قلعة جازان الأعلى :

في شهر شعبان عام ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣ م ابتدأ في تعمير قلعة جازان ، تلك القلعة الحصينة التي تسمى (الثريا) معقل الأمراء آل القطبي ويقول صاحب العقد المفصل : إنه يظن أن أول من عمرها هو الأمير خالد بن قطب الدين لأنه لم ير فيما قرأه إشارة إلى عمارتها قبله مع أن « الديبع » ذكر آثار ملوك زبيد ـ الذين المخلاف كان تابعاً لسلطانهم كعمارة البرك وهي أقل منها شأناً أما الأحداث التي تعاقبت عليها والخراب الذي قد حاق بها فهو :

١ ـ الخراب الأول في إمارة أحمد أبي الغوائر القطبي ـ انظر أخبار الدولة القطبية .

٢ ـ الخراب الثاني في إمارة عامر بن يوسف القطبي .
٣ ـ الخراب الثالث في حملة الأمير عز الدين شرف الدين .

كانت القلعة أطلالا دارسة ورسوماً طامسة قد نبتت على عرصتها الأشجار وسترت ما بقي من مندثرها الأعشاب فأمر بأن تقطع الأشجار وتجرف عن وجهها الأتربة والآكام وأن تمسح مساحتها فبلغت .

١ ـ ثلاثة معاود إلا ثمن معاد وقيراط .
٢ ـ ذرع أساسها القديم من الجانب الغربي فبلغ سبعة أذرع ونصفا وكان بذلك الموضع باب فأمر بسده .

ومن ثم شمر وبذل غاية اهتمامه في إعادة بنائها وتصميم تشييدها في غاية الإتقان والإحكام وضرب خيمته في تلك الجهة وأشرف بنفسه على البناء وأمر بإحياء المزارع التي كانت حولها وصرف إليها المياه فأقبل الناس على سكني تلك الجهة فعمرت في وقت قصير بعد أن كانت قفراً .

غزو الوزير سنبل :

وفي نصف شهر شعبان أصدر أمره إلى سنبل بغزو قبيلة النحوس وقبيلة بني شعبة ـ وكانتا متجمعتين بناحية (بيش) وأمر حاكم صبيا بأن يهب لمساعدته كما كتب إلى النقيب قاسم غاضب الذي يقوم بعمل الحاكم في الحملة بأن يتحرك لمساعدتهما .

اجتمع الثلاثة وبعد التشاور تقدمت طليعة من الخيل لاستطلاع موقع القبيلتين فاستدلت الطليعة على مرعى نعمهم فاستاقت منها ما يقارب ألف رأس وعادت إلى المعسكر .

وصل الصريخ إلى مضارب القبيلة فأغاروا يتحرقون غيظاً حتى أقبلوا على المعسكر فهاجموه وقتلوا من رجاله خمسين رجلا وغنموا قسماً من أسلحته ومعداته واستاقوا نعمهم بعد أن شتتوا شمله وفرقوا جمعه فعاد سنبل إلى (الشقيري) يجر أذيال الهزيمة .

كان هذا الانتصار إيذاناً بإشعال روح المقاومة في المخلاف على حكم الأمير أحمد ابن غالب فهبت قبائل المخلاف وساء ظن الأمير وتوترت أعصابه فراح يأخذ البريء بجرم المذنب وانضم إلى بني شعبة غيرهم من الموتورين وقاموا لمهاجمة القرى وفي شهر رمضان ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣ م صبحت القرى الآتية : القوز ، الدهنا ، العدايا ، الأثلة ، بيش .

كل هذا والأمير أحمد بن غالب صارفاً كل اهتمامه إلى عمارة القلعة والوزير سنبل دائباً على الظلم والتنكيل ومن أمثلة نوادر حكمه القصة الآتية :

وقع غلام في بئر فأخرج سليما فاتخذ سنبل من الحادثة وسيلة لابتزاز المال بطريقة فرض الجزاء على الصورة الآتية :

١ ـ فرض على جيران البئر مبلغاً من المال .

فرض على أم الصبي جزاء باهظاً .

توترت الحالة وشعر الأمير بالخطر المحقق فأجرى بعض التعديلات في العمال عسى أن يخفف ذلك .

١ ـ نقل عامل صبيا إلى الزيدية وعين في محله علي بن خضير .

٢ ـ عين أخاه الحسن بن غالب على قرية صلهبة وقبائل الحسيني ليكون في خط الدفاع الأول أمام بني شعبة وحلفائهم .

عزز حامية الشقيري بقيادة سنبل .

هجـوم بني شعبـة :

وقبل غروب شمس يوم ٢٢ ذي القعدة ١١٠٤هـ/١٦٩٣م حملت فرسان بني شعبـة حملة صادقة على الشقيري فلم يقو الوزير سنبل على الوقوف في وجهها وتحصن في داره تحميه ذوو الحفـاظ والنجـدة وتمكن بعض المهاجمين من دخول جانب الحـرم في داره فنهبـوا كل ما وجـدوه وعـادوا ظافـرين وارتحل سنبل إلى الأمير في قلعـة جازان الأعلى وبـذلـك الهجـوم تصـدع خط الـدفاع وانسحب حسن بن غالب إلى صبيا بعـد أن هدد أهل صلهبة بأشد العقاب أن مالئوا بني

شعبة فارتحلوا عن قريتهم خوفاً من وعيده وتقدمت غزاة بني شعبة إلى أطراف مدينة صبيا وعادت مثقلة بالغنائم وهكذا أضحت البلاد مسرحاً للفوضى .

تحــرك الأمير أحمد بن غالب :

في شهر محرم ١١٠٥ هـ/ ١٦٩٤ م هب الأمير أحمد بن غالب لرد عادية بني شعبة ، وتجهز نحوهم في :

٦٠٠ من حملة البنادق .

٦٠٠ من حملة السلاح الأبيض .

وســار من قلعــة جازان . بطريق (الحارّة) . واستطاع أن يبطش بقوم منهم فخـافت سطوتـه القبائل الموالية لهم وفي أثناء ما لاح له الظفر وافته الأخبار بأن خصمه السابق (عز الدين بن الحسن القطبي) قد نزل يحمل أمراً إمامياً بتولية أمر المخلاف بدلا عنه وأن قاسم بن حسن المهدي ـ أحد قواد الإمام ـ وصل إلى بلاد الشرفين يقود جيشاً لتنفيذ الأمر الإمامي .

عاد الأمير أحمد بن غالب مسرعاً إلى قلعة جازان وأخذ على وجه السرعة في إتمـام ما بقي من تعميرهـا وأدار عليهـا سوراً خارجياً وشحنهـا بالأقـوات والمؤن والمقاتلة ومن جهة أخرى أخذ في ترجي واسترضاء الإمام في إبقائه على الإمارة فلم يظفر منه بموافقة .

الاستعــــداد :

أخذ في الاستعداد للساعة الحاسمة فأرسل .

١ ـ أخاه حسن بن غالب على رأس قوة لتعزيز حامية أبي عريش وأمره بطم الآبار وإقامة المتاريس حول المدينة .

٢ ـ بعث قوة لحماية بندر جازان .

الأمــير عز الدين :

وصل الأمير عز الدين إلى « حرض » ومنه توجه إلى «البدوي» وكتب إلى بني شعبـة يطلب وصـولهم لمسـاعـدتـه فأقبلت مسـرعة لتلبيته ، وعندما شعر عامل

صبيا بتحركها كتب لأحمد بن غالب فأمره بالانسحاب والوصول إليه . دخلت بنو شعبة مدينة صبيا ، وهناك قابلها عامل من قبل الأمير عز الدين فتسلم المدينة وأمرها بمقابلته في قرية « القرفي » ، ومن القرفي سار بهم لحصار قلعة جازان الأعلى ، وظل الحرب سجالا حتى اليوم الرابع والأربعين على بدء الحصار فخرج إليهم أحمد بن غالب وتمكن من إلحاق الهزيمة بالمهاجمين ، وعلى أثر ذلك انسحبت قبائل بني شعبة إلى صبيا وعاد الأمير عز الدين إلى حرض .

النشـــاط الأخـــير :

على أثر ذلك الانتصار نشط الأمير أحمد بن غالب ، وأرسل سرية إلى حرض لمطاردة الأمير عز الدين وأخرى إلى صامطة فرابطت السرية الأولى في وادي « لِيَةَ » ، وكان الأمير عز الدين قد وافته الإمدادات فهجم على الجيش المرابط في لية وسحقه ، ففرت السرية المرابطة في صامطة ، وبذلك قضي على كل مقاومة وأدرك الأمير أحمد بن غالب اليأس ففكر في الرحيل ناجياً بنفسه وأهله ، وفي تلك الغمرة وصله مندوب من قبل الإمام يحمل أمراً بترحيله ، فجهزه بما يحتاجه ، وفي يوم الثلاثاء الموافق ١١ رجب ١١٠٥ هـ/ ١٦٩٤ م ، ارتحل من أبي عريش إلى الحجاز ، وكانت مدة إقامته في المخلاف ثلاث سنوات ونحو عشرة أشهر .

ويقول صاحب « العقد المفصل » : إن يوم خروجه من المخلاف كان من الأعياد .

الأمـــير عـــز الـــدين :

في أول شعبان دخل إلى مدينة أبي عريش ، ثم والى سيره إلى صبيا وأقام بها إلى نهاية شهر شوال ، فكر راجعاً إلى أبي عريش ، إلى شهر ذي الحجة عام ١١٠٥ هـ/ ١٦٩٤ م .

كان بعيداً عن الحزم فاضطرب الأمن في المخلاف واضطرت القبائل إلى عقد ذمم بينها .

المخـــلاف السليمـــاني
وإمــــارة آل خــــيرات

بعد قيام الدولة القاسمية وعلى وجه التحديد في عهد الإمام المؤيد في النصف الأول من القرن الحادي عشر ـ بعد أن تمكنت من طرد الأتراك من جنوب الجزيرة امتدت سلطتها على جميع تلك الأصقاع ، واستمرت على ذلك حتى قيام الدولة السعودية الأولى التي بدورها شمل سلطانها بقيادة حمود أبي مسمار تهامة إلى باب المنـدب واستمـرت تحت سلطتـه إلى سنة ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٨ م ثم عادت إلى سلطان الأتراك عند وصول خليل باشا [١] .

وقد وضحنا في أخبار إمارة المخلاف في عهد أحمد بن غالب حالة المخلاف السياسية والإدارية إلى عام ١١٠٥ هـ/ ١٥٩٦ م .

أما الوضع بعد ذلك التاريخ لغاية إسناد عمالة المخلاف إلى آل خيرات فهو على الوجه الآتي :

١ ـ وادي ضمد ووادي صبيا مع المخلاف الشامي إلى بيش فيقوم بعمالته الخواجية .

٢ ـ من جنـوب حرض إلى جنـوب وادي ضَمَـد ، فيتولى عمالته عامل من المنطقة أو من رجال الإمام ، ومع ذلك فالأمن غير مستقر ، ونار الفتن مُتأججَةَ الأُوَارِ بين القبائل .

في أواخـر القـرن الحـادي عشر وصل من الحجاز إلى المخلاف السليماني الشريف خيرات بن شبير من ذوي زيد ، ويختلف المؤرخون في أسباب نزوحه والـذي يتـرجـح لنا أنه لأسباب الحوادث التي جرت في إمارة بركات بن محمد البركاتي ، ونستدل على ذلك بما يأتي :

ورد في تاريخ مكـة للسبـاعي صحيفـة ٢٦٤ : وهكـذا انتهت إمـارة سعـد

(١) راجع الدور الثاني لحكم الأتراك .

ابن زيد قبل نهاية ١٠١٣ هـ/ ١٦٠٤ م بعد أن حكم مكة خمس سنوات أناب أخوه أحمد عنه في سنتين منها ، وبذلك خرجت الإمارة من ذوي زيد لتعود إلى ذوي بركات ، وانقسم الأشراف في شأن ولاية بركات فحبذها أشياع بركات ولم يرضها ذوو زيد فارتحل بعضهم إلى نواحي الطائف وابتعد آخرون إلى أطراف مكة وبعضهم إلى خارج البلاد .

وصل خيرات إلى مدينة أبي عريش في عهد الإمام المتوكل إسماعيل ، فأبقى أسرته هناك وتابع سيره إلى صنعاء فأكرم الإمام وفادته ، وقرر له مخصصاً من فرضة جازان يقوم بأوده .

فعاد إلى أبي عريش واتخذها دار إقامة ، وكانت له مشاركة في الأدب وتضلع في العربية فانتفع بالتعليم على يده جماعة من أهل المدينة حتى أدركته الوفاة ولم تشر المصادر التي تحت أيدينا إلى سنة وفاته .

كان خيرات يتوق إلى تأسيس إمارة لنفسه في المخلاف ، فأخذ في التمهيد لنفسه بالتقرب إلى وجهاء المخلاف بيد أن غرسه لم يثمر إلا في عهد حفيده محمد ابن أحمد .

الأمير محمد بن أحمد بن خيرات :

هو الشخص الأول ـ في أسرة خيرات ـ الذي استحق أن يطلق عليه لقب الإمارة بعد أربعين سنة ونيف من استيطان جده للمخلاف السليماني وبذره البذرة الأولى لغرس نواة هذه الإمارة في نطاق العمل المستمر ، والدعاية في قبائل المخلاف والتقرب والتودد من الإمام ورجاله ونوابه ، ومناهضة سيادة الأمراء القطبية [1] والرؤساء الخواجيين الأسرتين المشهورتين في المخلاف والمعروفتين والناس بطبعهم مفطورون على تقديس الماضي ـ والنظر إلى ذوي السابقة والمجد في الإمارة والزعامة بعين التقدير وهم أقرب إلى التسليم لهم والانقياد إلى أوامرهم والالتفاف حولهم ـ ولا يقبلون على الجديد أو الحديث حتى يثبت لهم صلاحيته التي تكفل له البقاء وها هي قد مرت على هذه الأسرة جيلان وهي جادة في محاولتها .

---

(١) نسبة إلى مؤسس إمارتهم (خالد بن قطب الدين) .

في عام ١١٤١ هـ/ ١٧٢٨ م كان عامل الإمام المنصور على اللحية عبده جوهر وترتبط بعمالته كل من : الزيدية ومور والمخلاف السليماني ـ ما عدا صبيا ومخلافها .

ولاتساع نطاق هذه الجهات وعدم مرونة الجهاز الإداري ولبعد المخلاف نسبياً عن المركز الرئيسي للإدارة كثيراً ما يضطرب حبل الأمن في هذه الجهة وتحصل الفتن بين قبائل المخلاف الشديدي الشكيمة ، وإذا استثنينا ـ القسم الشمالي من المخلاف وهو من وادي ضمد إلى السلامة ، المناطة عمالته بالخواجيين فالقسم الجنوبي يتكون من :

١ ـ وادي جازان ، وأشهر مدنه : أبو عريش ، وبندر جازان .
٢ ـ وادي خُلَب ، وهو يمر في بلاد أكبر قبائل المخلاف المسارحة .
٣ ـ وادي تَعْشَر وغيره من الأودية التي تسقي أرض قبيلة بني شبيل .
٤ ـ مدينة حرض .

فكان قبل هذا التاريخ يقوم على إمارته أمير من الأمراء القطبية المحليين أو يصله عامل من عمالهم ومع ذلك فالأمن غير مستتب ، وهنا سنحت الفرصة لحفيد ذلك الوافد فأخذ في العمل على إتمام التمهيد لنفسه لمركز الإمارة ونتيجة لذلك تقدم أعيان وتجار الجهة بالرفع إلى الأمير عبده جوهر بالتماس السعي في إسناد عمالة هذا القسم من المخلاف إلى أحمد بن محمد الخيراتي .

وعولوا في قبول التماسهم ونجاح مسعاهم على أحد زعماء المخلاف العلامة علي سيد النعمي .

حظى ملتمسهم بالقبول وتكلل مسعاهم بالنجاح فورد الأمر بالموافقة على إسناد العمالة إلى أحمد بن محمد المذكور ، على أثر ذلك توجه الأمير أحمد إلى الأمير عبده جوهر لشكره والتفاهم معه حول ما يجب لتنظيم الإدارة ، ومن هناك جند سرية من أهـل الشحـر وحضرموت ، وعاد إلى أبي عريش وكأن الأمير رغب في بسط عمالته على القسم الشمالي فاصطدم بالخواجيين .

غـــزوة صبيـــا :

سار على رأس سريته المؤلفة من الشحارية والحضارم وبعض أهل أبي عريش وقبيلة سفيان وفي أطراف مدينة صبيا نشبت المعركة الأولى - بين الحزبين الخواجية وآل خيرات - وهي في الحقيقة إعلان لذلك الصراع الذي استمر وقتاً على سيادة المخلاف بين الأسرتين والذي أعرب عن نفسه في هذه المرحلة النهائية بشكل الغزو المسلح .

لم تستمر المعركة طويلا فقد انتهت بهزيمة الرئيس حسين بن محسن الخواجي وأهـل صبيا وإجـلائهم عن المـدينـة ولم يكتف الأمير أحمـد بالوقوف عند هذا الانتصار ، بل أمر بنهب المدينة وإحراقها ، وبعد أن أقام أياماً كر راجعاً إلى أبي عريش .

لم يسع أهل صبيا إزاء كل ما وقع إلا رفع شكواهم إلى الإمام الذي بالطبع لم يستسغ أو يرضى بمثل ذلك وبوصول شكواهم استدعى الأمير أحمد والأمير عبده جوهر وبوصولهما صرف عبده جوهر إلى عمله وأبقى الأمير أحمد لديه وأرسل بدلا عنه عاملا على المخلاف ، أما إمارة صبيا فقد أسندها إلى أحد الخواجيين .

العـــامل الجـــديد :

وصل العامل الجديد محمد المرتضى واستقر في أبي عريش وبعث أخاه إلى بندر جازان ، وصادف وصوله قيام ثائر من آل حبيب يسمى المخلدي - وقد تكون هذه الثورة موعزاً بها كرد فعل على عزل الأمير - واشتدت شوكة هذا الثائر وعاث في قرى المخلاف وأخيراً تقدم إلى بندر جازان فخرج إليه عاملها الحسين المرتضى ونشب بينهما القتال وانتهى بقتل المخلدي وانتهت حركته إلى الفشل .

وتتخـذ تلك الحـادثة وسيلة ويتقدم علماء وأعيان المخلاف بالتماس إلى الإمام بإعـادة الأمير أحمـــد ويستهـل عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م وتصـدر موافقـة الإمـام ويعود إلى أبي عريش وتستقر الأمور ، وفي عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢م يتوجه الأمير

إلى صنعـاء وينيب على العمالة ابنه محمداً ، ويعود الأمير في عام ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣ م إلى المخلاف ويقوم بغزو قبيلة من عبس في موضع يسمى جبيرة ، بضم الجيم المعجمة من بعدها باء تحتية مفتوحة وياء ساكنة وآخرها هاء فلم يظفر بطائل .

ولم يزل على القيام بعمالته حتى أدركته الوفاة يوم الأربعاء الرابع من شهر ذي القعدة عام ١١٥٤ هـ/ ١٧٤١ م بموضع يسمى « الحقلة » من بلاد « الواعظات » ونقل جثمانه إلى « حرض » ووري فيه .

الأمير محمد بن أحمد آل خيرات وإمارته في المخلاف السليماني

رفع بوفاة والده إلى الإمام ملتمساً إقراره إلى ما كان عليه والده فوردته الموافقة ؛ فاستمرت الأمور في مجراها الطبيعي . بيد أنه نجم تنافس بين أفراد تلك الأسرة وهو يعد الشرارة الأولى في الخلافات التي استمرت فيما بعد وهذا التنافس أو الخلاف الناجم هو نزوع حوذان بن محمد بن خيرات بطلب العمالة لنفسه بصفته الأكبر في إخوان الأمير الراحل ، إنما حزم الأمير الشاب والتمهيد الذي مهده والده بتوليه مهام المنصب في حياته قد وطد مركزه ، ونلاحظ أن نزوع عمه إلى طلب العمالة لم يكن في هذه المرة بالمجاهرة السافرة بل نزوع الرجل الذي يرى أحقيته ويطلبها بإعمال الرأي واستخدام الحجة ، فمتى اتضح له عدم انقياد الناس وموافقة المرجع جنح إلى التسليم بالواقع انتظاراً لفرصة مواتية ووقت ملائم .

في عام ١١٥٤ هـ/ ١٧٤١ م وصل الأمير الجديد إلى أبي عريش فتوافد عليه رؤساء وأعيان المخلاف معزين ومهنئين وأخذ في العمل بأن يكون منهجه استمراراً لسياسة والده .

عقم خريم :

كان الأمير محمد يشعر شعوراً قوياً بمنافسة (آل القطبي) وعلى رأسهم أحمد ابن خيرات القطبي الذي لا يزال له عصبية قوية ونفوذ في قبائل الحرَّث ونتبين من الحادث الآتي وضوح هذه المنافسة .

العقم يطلق في تهامة على السد الذي يقام لحجز مياه السيول وتنظيم تصريفها إلى جهـة ما ، وكان لآل القطبي أرض زراعية في الشريج المعروف أعلا وادي جازان قد خرب عقمها وتعطل مسقاها ، فاستأذن رئيس القطبة المذكور في إقامة العقم فأذن له فقام بمباشرة التعمير حتى أشرف على القيام .

وحقاً شعر الأمير ـ أو نبه ـ بأن في إقامة العقم انتعاشاً لحالة تلك الأسرة فأصدر أمره بمنع إتمام العقم بحجة أنه يصرف الماء عن أسفله كأهل العقدة [1] وغيرهم .

احتج القطبي فلم يسمع لاحتجاجه ، فطلب من الأمير إخراج هيئة من أهل الخبرة بشئون الزراعة لتقرير وقوع الضرر أو نفيه ، فعين الأمير هيئة للنظر وفي اليوم المقـرر لخـروجهـا خرج الأمير بنفســه في كوكبة من فرسانه ، وقد علمت الهيئة المقصودة من وراء خروج الأمير بنفسه فقررت نسف العقم ـ ويقول مؤلف خلاصة العسجد : وأكثر الناس ممن حضر يقولون : إن ذلك ، أى تقرير نسف العقم ، لم يكن منهم إلا مطابقاً لرغبة الأمير وللخوف منه وبمجرد نطقهم بقرار النسف كانت الضمائد (بقر الحرث) حاضرة فأمر بنسف العقم فوراً في التو والساعة .

لم يسع الرئيس القطبي إلا الانسحاب من الموقف إلى المعنق موئلهم ومأوى عصبيتهم وأخذ في استثارة قبائل الحرث وأشعلها حرباً على الأمير بعد أن رفع إلى الإمام بالواقع ، وقد أرسل الإمام من قبله من ينظر في الأمر فلم يتوفق فمكث يشاهد الحالة عن كثب .

قاد الأمير بنفســه قوة لتأديبهم ، ولسوء الحظ لم يكن لديه من القوة ما يكفي لإنهاء ثورتهم ـ إلا السرية المؤلفة من أهل الشحر وحضرموت فكادت الهزيمة أن تطوح بتلك السرية إلى الهاوية .

أول تـدخل لقبـــائل يـام :

في أثنـاء تسلم إمـام صنعـاء الإمـامـة صادف معـارضة مسلحة من أهل بيته

---

(١) العقدة قرية ومحرات على عدوة وادي جازان .

كادت أن تحرمه من الارتقاء إلى مركز الإمامة . وكان من أقوى الأسباب إلى رجحان كفته وتقوية مركزه استنصاره بقبائل يام بواسطة رؤسائهم آل المكرمي وتقديرا لموقفهم أقطعهم بلاد حراز وبعد استتباب الأمن واستقرار الأمور استعاد ما استقطعهم فثارت ثائرتهم ونشب بينهم وبينه القتال ، وعلى أثر ذلك نزلوا إلى تهامة التي هي تابعة لسلطانه وعاثوا في أرجائها سلباً ونهباً وانصرفوا بعد أن أثقلت عيابهم بالغنائم وعند وصولهم إلى مور والأمير محمد قد لزه الأمر وكادت الحرّث والقطبة أن تستأصل قواته ، علم بعودتهم ، فأرسل من يستدعيهم فلبوا دعوته وسارعوا إلى نصرته فدك بهم قبائل الحرث واصطفى أموالهم ومواشيهم وأتى على كل ما يملكون ثم قصد بهم المعنق ففتك بالقطبة فتكاً ذريعاً وأجلاهم عنه وهدم قلعتهم .

توجه القطبة إلى الإمام متظلمين مما حاق بهم ، وصادف أن الإمام لم يرق له اتصال الأمير محمد بيام الذين يناصبونه العداء ، على القطبة الموالين له والمحسوبين عليه .

بوادر الخلاف :

إن تصرف الأمير في قضية عقم خريم كان دعاية سيئة لسمعته فبدأ التذمر والاستنكار - ولآل القطبي مكانتهم - فكان لما حاق بهم مع وضوح الأسباب في موضوع العقم موجة من الاستياء والاستنكار ، وبعد عودته من الحرث شعر أن النعامية - وهم من سلف لأحد رؤسائهم جميل على والده في تسنمه مركز العمالة - بدأوا بالمجاهرة في انتقاد تصرفاته ، وكان لهم نفوذ في جهة بيش ، فقام بدوره بالحد من نفوذهم ، وعندما رفعوا عقيرتهم بالاحتجاج زج برؤسائهم في سجن أبي عريش ولم يطلقهم إلا بضمان وتعهد على حسن انقيادهم .

أضف إلى ذلك أن الحال بينه وبين قبائل بني شعبة أسوأ مما بينه وبين النعامية ، وقد أخذ في تشجيع أهل الحقو[1] المعادين لهم ومدهم بالسلاح ومظاهرتهم على الشعبيين علناً .

---

(١) قرية الحقو في ذلك التاريخ هي قاعدة بلاد قبيلة عبس الممتدة جنوبا من ضمد وقبيلة بن الغازي إلى جبال العزيين . انظر الفصل الخاص ببني شعبة في كتابي الأدب الشعبي في الجنوب الجزء الثاني .

أخذ الاستياء والتذمر يظهر في شكل من الغليان ينذر بالشر المستطير والانفجار المروع واستغل الموقف خصومه من الخواجيين والنعامية والقطبة في إثارة الرأي العام ، وقام العلماء والأعيان في المخلاف السليماني برفع استصراخهم وشكواهم إلى الإمام بصنعاء [1] واضطرم عليه المخلاف ناراً .

اغتنم الفرصة عمه حوذان وتم الاتصال بينه وبينهم ، وعندما لمس نجاح الثورة توجه إلى اليمن إلى صديقه الأمير عبد الرحمن الماس الذي تناط به إدارة المنطقة الجنوبية من تهامة أي من « المخا » إلى « الزيدية » وكان هذا يحرص على إسناد العمالة إلى حوذان من ساعة وفاة الأمير وبالطبع أن عدم توفق مسعاه يعتبره هزيمة أدبية أمام نجاح زميله عبده جوهر أمير المنطقة الشمالية ـ صديق الأمير الشاب والآن وهو من أعلم الناس بسياسة الإمام ، وقد علم غضبه على الأمير بسبب اتصاله بيام وعدم الرعاية من الأمير لحرمة آل القطبي أمراء المخلاف السابقين ومحسوبي الإمام حالياً ولفهمه أن السياسة التقليدية للإمام تقتضي بالإبقاء على العمال الأقوياء حتى تتأزم عليهم الأمور وتلتات الأحوال فيكون العامل حينذاك عون الإمام على عزل نفسه ، كما سيمر بك في حالة الأئمة مع هذه الأسرة ، وهنا تقدم وهو واثق من نجاح مسعاه ، وكان الإمام قد رأي الوقت مناسباً ، فحالا استجاب لمسعاه وأعطى حوذان بن محمد أمراً بعمالة المخلاف ، أو بالأحرى تفويضاً بأن يتصرف في إزالة ابن أخيه عن عمالة المخلاف .

عاد الأمير حوذان من اليمن إلى أبي عريش في أول عام ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ م يحمل الأمر السري بعمالته على المخلاف ومكث يوالي الاتصالات ويرتب الأمور ويشجع رجال المقاومة وعناصر المعارضة حتى تم كل شيء ، وعند ذلك استأذن ابن أخيه في الخروج إلى مزارعه ولم يتوقف إلا في صبيا .

---

(١) جاء في كتاب خلاصة العسجد : أكثر الرفع من أكابر المخلاف السليماني وعلمائه إلى الحضرة الإمامية بأن الأمير أهلك الرعية وسلك غير المسالك الشرعية وتعدى وظلم وتجبر وغشم . ولم يقبل نصائح النصحاء ولا راعي جناب الأفاضل والعلماء إلى غير ذلك إلخ .

الأمير حوذان في صبيا :

أدلج ليلا ، فلم يلح صبح يوم غرة جمادى الأولى عام ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ م إلا في مدينة صبيا فألقى القبض على عاملها وكبله بالحديد وأعلن أمر الإمام بعمالته على المخلاف فأقبلت إليه كافة أعيان ورؤساء صبيا ومخلافها ، وفي مقدمتهم الخواجية والنعامية . وبنو شعبة وكان بعض جموع بني شعبة قد وصل إلى قرية السلامة ومعهم حلفاؤهم من أهل صلب وبني جونة فاشتد بهم أزره وقويت شوكته .

وصلت الأخبار إلى ابن أخيه فكانت مباغتة غير منتظرة وإنما ادرع بالحزم وتجهز من وقته إلى صبيا فتقدم لملاقاته أحد أعمامه وأوقفه في هجرة ضمد بغية السعي في الصلح وانتهى السعي بأن يعود الأمير محمد إلى أبي عريش لمدة ثمانية أيام عسى تتمكن الوسائط السلمية إلى اتفاق .

انتهت الأيام الثمانية بدون الوصول إلى اتفاق ، وفي ليلة السبت الموافق ١٧ جمادى الأولى ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ م تقدم الأمير حوذان على رأس جموع أهل صبيا ومخلافها وبني شعبة ومن معهم التي هبت لمناصرته إعراباً عن استيائها وسخطها ضد سياسة ابن أخيه إلى أن وصل إلى قرية البديع ، وهنا وافاه الخصم الأول لابن أخيه وهو الأمير أحمد بن خيرات القطبي ، وانضم على رأس أنصاره إلى الجموع المهاجمة وبعد مناوشات وقتال انتهى بمعركة دارت رحاها قرب قرية العقدة انهزم الأمير محمد إلى أبي عريش التي حصنت واستعدت للحصار فتقدم الجيش المهاجم وضرب نطاق الحصار على المدينة إلى ١٠ شعبان عام ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ م وتم التسليم على الشروط الآتية :

١ ـ أن تسلم البلاد إلى أمير الإمام .

٢ ـ أن يخرج الأمير محمد إلى حيث أراد .

وفي يوم ١٥ شعبان خرج الأمير محمد من أبي عريش قاصداً نجران .

إمارة الأمير حوذان :

رفع النتيجة إلى الإمام فوصلته الموافقة والخلعة التقليدية ، وصفه صاحب

خلاصة العسجد البهكلي وصفاً موجزاً نستشف منه ملاك أخلاقه ومنهاج سياسته ـ وإن كان المغلوب تلقى على كاهله التبعات ويزج في سيرته بما يرضي الغالب ـ قال : كان سلس القياد سريع الانقياد ، فهل كان ذلك ، هذا ما ستوضحه سيرته ، تولى زمام الأمر في المخلاف فهدأت الأمور نسبياً ورأي الشعب في هدوئه ولينه وتواضعه ما حببه إلى الناس ، بيد أن النفوس قد ألفت الشدة والاستبداد فطمعت في أكثر مما حصلت عليه وهب أنصاره بالأمس يطالبون بقسط من السلطة والنفوذ إن لم يتولوه بأنفسهم .

استقر في أبي عريش إلى انتهاء شهر شعبان وفي مستهل شهر رمضان نهض إلى جهات صبيا وضمد وعاد قبل هلال شوال ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ م ، وفي شوال خرج إلى قرية البدوي ومكث بها إلى انسلاخ الحجة ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٥ م .

كان بنو شعبة قد شرطوا عليه أن يعينهم على صباح قرية الحقو ـ وقد ألمعنا قبلُ إلى العداء بين أهل الحقو وبني شعبة ومناصرة الأمير محمد لأهل الحقو ضد بني شعبة ـ فعاد من قرية البدوي إلى أبي عريش ومنها تجهز إلى الحقو والتقى ببني شعبة في قرية السلامة وسار بهم إلى الحقو .

علم أهل الحقو بالغزو الموجه ضدهم وأدركوا عدم قدرتهم على المقاومة فجلوا عن ديارهم فدخلت القوات المهاجمة على رأس الأمير فهدموا الدور ولم يبقوا على شيء منها حتى مسجد القرية ، وفي سلخ محرم عاد إلى أبي عريش وفي شهر ربيع الأول عام ١١٥٨ هـ/ ١٧٤٥ م وافته الأخبار بنزول ابن أخيه الأمير محمد بن أحمد على رأس قوة من يام لاستعادة إمارة المخلاف .

القتـــال :

أخذ الأمير حوذان في الاستعداد والتأهب وحشد أنصاره وأخذ أهل القرى اليمانية ـ من شمال حَرَض إلى خَبْتِ المسرحي في النزوح عن قراهم ونزح سكان بندر جازان إلى فرسان ، وفي آخر ربيع الأول تواردت الأخبار بوصول الأمير محمد إلى حرض ، وبعد محاصرته لمدينة حرض ثمانية أيام سلمت المدينة حاميتها ودخل المدينة .

خرج الأمير حوذان من أبي عريش على رأس حشوده حتى خيم في قرية « الدامغ » ، أما الأمير محمد فعند ما علم بنزول عمه في الدامغ خرج من حرض واحتل قرية البدوي ، وكانت منه حركة بارعة أوقعت الاضطراب في خطة دفاع عمه واضطره إلى الرحيل من قرية الدامغ والرجوع غربا لصد تقدمه حتى عسكر قبالته في قرية « جحا » ، وهكذا ظل كل منهما متهيباً الهجوم على معسكر الآخر .

وفي عصر السبت الموافق ٣ جمادي الأولى ١١٥٨ هـ/ ١٧٤٥ م ابتدأ الأمير حوذان بالهجوم وسرعان ما تراجع مهزوماً وتفرق أصحابه ، وتقدم جيش ابن أخيه واستحل مخيمه ونهب خيمته وأمتعته ، أما هو فعاد إلى أبي عريش وتحصن في القلعة ومكث ثمانية أيام واصل في خلالها ابن أخيه تقدمه إلى « مقاب » ، وعندها طلب حوذان الأمان لنفسه فأمنه ورحل إلى اليمن وكتب للإمام يرجوه إمداده بقوة فلامه الإمام على خروجه بمثل تلك السرعة ونسب أسباب هزيمته إلى ضعف همته وقلة غنائه فيئس حوذان من نصره وصالح ابن أخيه ، وعاد إليه ، وبخروجه دخل الأمير محمد بن أحمد مدينة أبي عريش ، وأخذ في استمالة الناس واستدعائهم للعودة إلى مساكنهم ورفع للإمام بالواقع وطلب منه التأييد على إمارة المخلاف فوردته الموافقة ولسان حاله ينشد :

فكلكم عندي عدو ومن يعش صديق ومن لي بالهلاك لكم معاً

أما صبيا ومخلافها فقد اشترط الإمام على الأمير أن تعود تحت عمالة (الخواجية) .

١ - **الانتقام :**

استأنف الأمير سياسته السابقة - بعد صمت وهدوء مؤقت اقتضته الظروف - وفي عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م أي في العام الثاني على عودته لعمالته أو بالأحرى في هذه المرة إلى إمارة المخلاف - بل في شهر شوال على وجه التحقيق نهض إلى غزو مدينة صبيا وعسكر في قرية «صَنْبَه» فقابله أهل صبيا بدورهم

للدفاع إلى قرية الظبيه ، وفي الظبيه يوافيهم رسل الأمير بمطالبه التي تنحصر في دفـع نصف متحصـل الجباية فرفض أهل صبيا طلبه محتجين بأن الجهتين يعود أمـرهما إلى الإمام الذي أناب الخواجية على صبيا مثل ما أنابه على الأخرى ، والتحم القتـال فانهزم أهل صبيا وبانهزامهم تحرك الأمير إلى هجرة ضمد ونهب دورها وأحرق مساكنها فتفرق أهلها ، وبعد إحراق المدينة أمر بأن يوضع له سرير يماني القرية هجرة ضمد استراح عليه قليلا وشاهد نتيجة تلك العملية المحزنة ، وبينمـا هو يسـرح طرفه في تلك الأطلال وصله الخبر بأن جماعة من أهل صبيا لقواعمه مبارك بن محمد ـ وقد أغار من قرية الريان إشفاقاً على أبنائه المشتركين مع الأمير عندما علم بالمعركة ـ فقتلوه فنهض لتعقبهم فلم يدركهم فحمل جثمان عمه وعاد إلى أبي عريش واكتفى في تلك الرحلة بضم ضمد .

ويلوح لنا أن الأمير استعمل دهاءه في تصديع جبهة أهل صبيا ومخلافها حتى استطاع إحداث ثغرة بين الخواجيين والنعامية فنرى أحد رؤساء النعامية يعلن براءته من أهل صبيا ويهتبل الأمير هذه الفرصة ويقتحم على صبيا .

تجهـز الأمير على رأس قواته في حركة خاطفة فما شعر أهل صبيا إلا بدوي رصاص بنادق أصحابه في قرية « الغرا » وبعد ذلك بقليل وصلهم رسول من الأمير يعرض عليهم الشرط الأول أي قبول دفع نصف الحاصلات فرفضوا ثم ساروا إلى « الغرا » لقتاله والتحم القتال فسارع من كان من أهل المخلاف مع أهل صبيا إلى الانهـزام وثبت أهـل صبيا ثبـاتـاً رائعـاً ضرب به المثل ببطولتهم وشجاعتهم في المخلاف السليماني وتغلبت القوة والكثرة على الشجاعة فانهزموا وعاد السالم منهم فأخـذ أهله وخـرج بهم بعضهم إلى قرى بيش والبعض إلى صلهبـة أما الرئيس أبو طالب الخواجي فقد توجه إلى بني شعبة ، وفي صبح تلك الليلة ـ التي دارت فيها المعركة ـ دخل الأمير محمد بن أحمد صبيا واستقر في قلعة المدينة ثم أمر :

١ ـ بنهب المدينة والاستيلاء على ما وجد فيها .

٢ ـ بإخراب قلعة صبيا .

٣ ـ بهدم بيت حسين بن محمد الخواجي وكان وثيق البنيان شامخ الأركان من آثار الخواجية الأولين فسوى بالأرض .

٤ ـ بإحراق المدينة فأحرقت يوم خروجه عائداً إلى أبي عريش .

وبذلك ضم صبيا إلى ولايته .

بالطبع إن عمله هذا لا يرضاه الإمام وقد هم فعلا بإرسال قوة لمساعدة أهل صبيا ، بيد أن وفاته أنهت كل شيء وخلفه ابنه الإمام المهدي فقاومه عمه وغيره من أهل بيتهم فاغتنم الفرصة الأمير السياسي وأخذ البيعة للمهدي في المخلاف وأعلن أنه من أول المؤيدين له وهكذا أصبح ممن ساهم في بناء الحكم الجديد فكافأه الإمام الجديد بضم مور إلى عمالة المخلاف .

٢ ـ *الانتقـــــام :*

والآن بقي دور النعامية ودور بني شعبة فنرى الأمير في أواخر شعبان من عام ١١٦٣ هـ/ ١٧٥٠ م يتجهز من أبي عريش يرافقه عمه حوذان في فرسان الحملة فأقام الأمير أياما ، في وادي صبيا متظاهراً بقصد غزو بني شعبة ومنه يوالي سيره إلى وادي بيش حتى عسكر بموضع يسمى « الدحل » ـ بضم الدال المهملة وسكون الحاء الحلقية وبعدها لام ـ قريباً من قرية « السلامة » فأقام أياماً ، ثم عزم على ما نهض من أجله وهو القبض على رؤساء النعامية ـ الذين ساعدوا عمه حوذان مع الخواجيين وبني شعبة ـ فشعر كبير النعامية الرئيس الحسن بن إبراهيم فنجا بنفسه إلى درب بني شعبة ـ وحالا قام الأمير بالتنفيذات الآتية :

١ ـ إرسال سرية بقيادة ابن عمه ظافر بن الحسين إلى قرية الدهنا ، ساقت أعيان النعامية مكبلين إلى سجن أبي عريش ونهبت جميع ما في القرية وأحرقتها .

٢ ـ أرسل سرية إلى « المحلة » فساقت من بها من أعيان النعامية ، وفعلت فيها عين ما فعل في الدهنا ، وذلك في شهر رمضان عام ١١٦٢ هـ/ ١٧٤٩ م .

٣ ـ الانتقـــام :

أشرنا قبل هذا أن الأمير حوذان كان ضمن فرسان الحملة وهنا عندما تم تنفيذ العقاب على النعامية أدرك أنه السبب المباشر وأنه لا شك آت دوره فشد الرحال ليلا ولم يصبح في محله .

ارتاع الأمير لفرار عمه ظاناً أنه لحق بخصومه الآخرين بني شعبة . فشدد وراءه الطلب فلم يدركه وأخيراً تحقق له أنه لحق « بالمروة » ـ بآلة التعريف بعدها ميم مفتوحة وراء ساكنه وواو بعدها هاء ـ من بلاد الحرث ، عاد الأمير إلى أبي عريش وأفرغ اهتمامه بشأن عمه حوذان الذي قام من المروة يشن الغارات على أطراف المخلاف الجنوبية فشكى المسارحة على الأمير من تعدياته فتبرأ منه وقال لهم قد أبحت لكم دمه فاقتلوه فقالوا للأمير إن له أهلا غيرك فإذا تبرأ من دمه جميع أقربائه قتلناه فأرغم الأمير جميع (آل خيرات) على البراءة منه .

اضطر الأمير حوذان تحت هذا الإرهاب إلى الرحيل إلى نجران والالتجاء إلى المكـارمة فأكرمه رئيسهم القاضي (إسماعيل المكرمي) وأخذ في مكاتبة الأمير محمد ساعياً في الصلح بينهما حتى توفق إلى ذلك وأخذ العهود والمواثيق على الأمير لعمه وبعثه مع وفد من رؤساء (يام) فاستقبلهم استقبالا حسناً واظهر لهم استعداده بالوفاء وقيامه بالعهد الذي قطعه للمكرمي بالعفو عن عمه وكان قد صمم على غير ذلك واستعد بقوم من أهل الجوف لقتل عمه غيله .

التنفيـــذ :

أخـذ بعـد مغـادرة الـوفـد يدبر المكائد للتخلص من عمه ومن جملة ما دبره أنـه أوعـز إلى بعض صنـائعـه أن يقـومـوا بغـارة ليلية قرب الحي الـذي يسكنه عمـه ورتب كميناً من أهل « الجوف » حتى إذا خرج عمه فازعاً يغتالونه فلم تفلح تلك المكيدة ، وبعـد ذلـك بأيام دخـل عمـه عليه كعـادته مسلماً وكان قد دبر الأمـر مع الجـوفيين وبعد أن سلم واستقر به المجلس قرب الأمير ، أشار الأمير إلى أحـد الجوفيين إشارة خفية فتقدم الجوفي موريا أنه يريد السلام على الأمير

حوذان وتناول يده وانكب على إبهامه بفمه حتى أبانها أو كادت ثم دفعه إلى الحائط فدفعه الأمير حوذان وهب واقفاً وهم أن ينتضي سيفه فلم تمكنه يمناه الدامية فانتضاه بيسراه وطعن الجوفي والتفت قاصداً ابن أخيه فضربه هذا بحد سيفه على أم رأسه فخر مغشياً عليه ثم طعنه أخر حتى فاضت نفسه وبهذه الطريقة الغادرة الممقوتة قضى على « عمـه » في مجلسه ، ثم تولى أحد أقربائه إخراج جثمانه من الدار وتجهيزه وموارااته تغشاه الله برحمته وذلك في ١٠ رمضان ١١٦٣ هـ/ ١٧٥٠ م .

الثـــائـر :

علم المكرمي بقتل الأمير لعمه وكان هو المتعهد لحوذان والضامن له على وفاء الأمير فنزل على رأس يام إلى المخلاف السليماني وانها لفرصة طيبة لمثله في أن يظهر بمظهر الوفاء ويملأ وطابه من الغنائم - وصل المكرمي مدينة حرض وقتل عاملها علي بن أحمد أخا الأمير محمد ومثل به أشنع تمثيل ثم والى تقدمه صوب أبي عريش وفي طريقه إليها كتب إلى رؤساء المخلاف بأن الإمام قد عزل الأمير فاستبشر الجميع وسارعوا إلى تقديم الأطعمة والذبائح للمكرمي وقومه وأقبلوا على الترحيب به ومقابلته ووفد عليه فارس بن أحمد القطبي صاحب المعتق بالضيافة وسار صحبتهم إلى أبي عريش وذلك في شهر رمضان عام ١١٦٣ هـ/ ١٧٥٠ م .

ومر المكرمي من شرق مدينة أبي عريش في حملته وقد فر أكثر أهلها إلى جهة صبيا وغيرها . أما الأمير فقد تحصن في القلعة .

عسكر المكرمي قبلي مدينة أبي عريش بين أبي عريش والعقدة وغادوه وراوحوه بالغارات وأقاموا على حصاره إلى شهر القعدة وتم الصلح بينه وبين المكرمي على :

١ - أن يصدر الأمير عفواً عن جميع أهالي المخلاف الذين أعانوا المكرمي .
٢ - أن يدفع للمكرمي مبلغاً من المال .
٣ - أن يقرر راتباً شهرياً لأبناء عمه المقتول .

وبعد ذلك عاد المكرمي إلى نجران .

ظهـور أبي عـلامة :

في رجب عام ١١٦٤ هـ/ ١٧٥١ م ظهر أبو علامة في قرية (الشجعة) من بلاد نُهم - بضم النون - وهو رجل مغربي الأصل يتظاهر بالورع لاستمالة قلوب العامة ودعى الناس لطاعته وكان صاحب شعوذة ودجل غرر بالعامة وادعى المهدوية أي أنه المهدي ففتن الناس به وتبادروا إلى الدخول في طاعته فتزعزع من صولته أمر إمام صنعاء وسلطان عدن ولحج وابتثت سراياه تحتل المواقع والحصون ولم تهزم له راية واستولت سراياه على :

١ - أكثر بلاد حاشد وخربت حصونهم ومعاقلهم .
٢ - على تهامة إلى بيت الفقيه .

في شوال أرسل أبو علامة سرية إلى المخلاف فوصلت إلى قرية الدامغ فطردها الرئيس أحمد القطبي وبعد ذلك تجهز الأمير لمحاربته والتقى بجيشه في مور وهزمه وأرسل برؤوس القتلى إلى إمام صنعاء فصدر أمر الإمام إلى الأمير بالعودة إلى أبي عريش لأنه بلغه أنه يطمع في الاستيلاء على مدينة اللحية فعاد حالا إلى أبي عريش في شهر محرم ١١٦٥ هـ/ ١٧٥١ م .

نهـاية أبي عـلامة :

استدعى أبو علامة قبائل قحطان فأقبل إليه منهم زهاء سبعة آلاف طمعا في المال وعندما وصلوا إليه شاهدوا درويشاً رأس ماله الشعوذة والدجل فطالبوه بالمال فاعتذر فطلبوا منه أن يقودهم إلى حيث ما أراد فامتنع أن يقودهم بنفسه للقتال - وكان قد اتخذ لنفسه عكفة غرفة لا يخرج منها أبداً ولا يقابل أحداً إلا من كوة في تلك الغرفة وعندما يئسوا منه أخرجوه قسرا من الكوة وقتلوه وأرسلوا برأسه إلى إمام صنعا وأخذوا منه جوائزهم وعادوا إلى وطنهم .

في عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م تجهز الأمير لقتال قبيلة بني شعبة واستعان بقبائل يام الذين هم عمدته في حروبه مع أهل المخلاف فوافوه ، وفي نصف محرم

سار إلى الدرب على الطريق العليا إلى أن هزمهم ودخل مدينتهم وكان لانتصاره هيبة في أرجاء المخلاف .

وفي عام ١١٧١ هـ/ ١٧٥٧ م كانت المجاعة المشهورة في المخلاف « بلَكَّةْ » وراح ضحيتها أكثر السكان .

في عام ١١٧٢ هـ/ ١٧٥٨ م اختط الأمير قلعـة في أبي النورة وأحيا بجانبها أرضا زراعية وبتعميرها عمرت تلك الجهة وساد بها الأمن .

وفي عام ١١٧٣ عزل ابن عمه ظافر بن الحسين عن عمالة صبيا وأسندها إلى ابنه أحمد بن محمد .

غـــزو جبـــال فيفـــا :

استدعى الأمير قبائل يام وسار بهم لغزو قبيلة بني شعبة وفي عودته ترجح غزو جبل فيفا ، وعندما وصل إلى قاعدة الجبل الأشم وصله رسل شيخ جبل فيفا قاسم ابن أحمد الملقب بالمعكوي راجيا منه المسالمة موضحاً أنه لم يحصل من سكان الجبل ما يستدعى الغزو والتأديب فلم يلتفت الأمير إلى رجائه وقام بالتعبئة الحربية وقسم الجند ثلاث فرق على الوجه الآتي :

١ ـ القسم الأول وطلع من الجانب الغربي .
٢ ـ القسم الثاني وطلع من الجانب القبلي .
٣ ـ القسم الثالث وطلع من الجانب الجنوبي .

على أن يكون الاجتماع في رأس الجبل .

وصـف حـــال أهـــل الجبـــل :

كان أهل الجبل في حال من البداوة والتوحش والضراوة فوق الوصف ، سلاحهم أعـواد الشجـر المبـرية المحـددة الأطـراف بمـا يفـوق حدَّ وذلاقـة الـرمـاح ويستعملون سلاحـاً بدائياً آخـر وهـو الـوصف بالحجـارة ، فلا تكـاد تخـطيء وضفـة أحـدهم الغرض ، ويقال أنه يعلق لأحدهم حلقة في دورة السوارفيرميها

بالمضيفة فينفذ الحجر من وسطها ولهم ثقة واعتقاد في شيخهم قاسم المعكوي الذي يمارس ضربا من التنجيم أو الزجر على عادة العرب في جاهليتهم الأولى .

تقـــدم قـــوات الأمـــير :

صعدت قوات الأمير على الترتيب السابق واستطاعت الفرقتان الغربية والشمالية في المرحلة الأولى التغلب على قوة أهل الجبل المقابلة لهما ، وبعد أن لاحت لهما بوادر النصر تجمع أهل الجبل عليهما من كل جهة بتلك الحراب الخشبية التي من طعن بها انكسرت في جسمه فإن لم تورده حياض المنون أبقته في عذاب أليم وألم مستطير حتى يدركه التسمم والموت البطيء ، بعد أن رموهم بالوضف التي تفلق الرؤوس وتدنى الأحياء من الرموس فانهزمت كل فرقة من جهتها ولم يسلم منهما إلا الأقل ، وأما الفرقة الجنوبية فقتل دليلها فضلت وأطبق عليها أهل الجبل من كل جانب فمن سلم من القتل تردى في مهاوي مزالق ذلك الجبل الأشم إلى مهـاوي الهـلاك ، وغنم الفيفيون جميع أسلحـة الجيش تقـريباً فلم يسع الأمير إلا الرحيل عائداً إلى أبي عريش .

في عام ١١٧٥ هـ/ ١٧٦١ م نزل القاضي إسماعيل المكرمي على رأس جموع يام للأخذ بثأر أصحابهم من أهل جبل فيفا فخيم قرب مدينة أبي عريش فخرج إليه الأمير محمد لاستقباله والترحيب بمقدمه ، وكان كل منهما على احتراس من الآخر وطلب المكرمي من الأمير الخروج معهم لقتال أهل فيفا ووافقه الأمير مكرهاً ، وبعد وصولهم إلى الجبل وصعودهم منوا بهزيمة منكرة أشد هولا وخسارة في الأرواح من الأولى .

في عام ١١٧٧ هـ/ ١٧٦٣ م عزل الأمير محمـد ابنه أحمد عن عمالة صبيا وولاها الرئيس مطاعن بن أبي طالب الخواجي ، وفي ربيع الأول عزله وسجنه بعد العزل في قلعة أبي عريش وصادر جميع ما يملكه ، وأعاد عمالة صبيا إلى ابنه .

الاستعـــانة بقبـــائل قحطان :

وفي تلك السنة بعث رسله لاستـدعـاء قبائل قحطان ليستعين بهم بدلا عن يام فتـــواردت إليه أخبـــارهم بأن سيوافيه منهم سبعـــة آلاف ، ويقـول صاحب

خلاصة العسجد : رغبة منه في الاستعداد لاستقبالهم بالميرة والأرزاق بطش بالرعية بطشاً عظيماً ، وأخذ منهم ما يصعب حصره ويعظم قدره واستخرج المدافن من الحبوب وجمع حبوباً كثيرة هي أكثر ما في أيدي الناس .

عادت رسله من قحطان وليس معهم سوى ألف وخمسمائة رجل فخرج بهم لتأديب قبيلة عبس فلم يظفر بهم فعقد معهم صلحاً ورجع إلى أبي عريش .

إحياء شريج البَيْض :

الشريج هو أرض شجراء ، وقد قام الأمير في عام ١١٧٨ هـ/ ١٧٦٤ م بإحياء ذلك الشريج وقطع أشجاره التي لا نفع فيها إلا أعوداها التي تستعمل في البناء ، وأقام له عقما لتحويل ماء السيل لسقيه ، ثم بنا فيه قرية اختارها لسكناه بدلا عن أبي عريش ، وأطلق عليها اسم الزهراء [١] .

وفي السنة نفسها أسند عمالة وادي ضمد إلى ابنه علي بن محمد فسكن قرية الشقيري ، وعمر به حصناً وأحيا أرضا واسعة على جانب الوادي في طرف « الجهو » .

الخازوق :

في عام ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨ م أمر الأمير محمد بن أحمد الخيراتي بصنع (خازوق) لمعاقبة من يريد معاقبته ، ووصف بأنه من الحديد والخشب ، وأن طوله قريب من طول قامة الرجل ، وطرفه في غاية الحد فيقعد عليه من أراد معاقبته فينفذ من الدبر إلى أعلى فإذا نزع من الشخص مات .

وقد فعل ذلك ببعض عبيده ، ثم برجلين آخرين فماتا .

الحرب بين يام والأمير :

كتب الحسن بن هبة الله المكرمي إلى الأمير محمد بوفاة أخيه إسماعيل ابن هبة الله طالباً منه تجديد العلاقات واستمرار الصداقة التقليدية ، فرد عليه

---

(١) وتعرف الآن بالبيض .

معزياً ومواسياً ، ولم يشر في جوابه إلى ما يشم منه رائحة الرغبة في تجديد العلاقات واستمرار الصداقة ، فحز ذلك في نفس المكرمي وأخذ في تأليب يام وحشد جموعهم لغزو المخلاف ليري لهذا الأمير الذي استهان بطلبه أنه أشد خطراً من أسلافه الذين تملقت عواطفهم الأمراء آل الخيرات ، ومن جملتهم هذا الأمير نفسه .

كان آل خيرات كما مر بك جل اعتمادهم في تركز نفوذهم وتثبيت سلطتهم على أهل الشحر والحضارم في أول إمارتهم ، ومن بعدها على يام ولم يستعينوا بأهل المخلاف الذين هم أهل البلاد إلا في النادر ومع غيرهم ـ لهذا عندما تواردت الأخبار بنزول يام بعث رسله لاستدعاء قبائل بكيل ، وفي أول عام ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠ م بدأت جموعهم تتوافد لتلبية ندائه حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف مقاتل .

وفي ربيع ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠ م نزلت يام بقيادة الحسن بن هبة الله المكرمي إلى حرض وعاثوا في البلاد سلباً ونهباً وقتلا ، واستاقوا المواشي ونهبوا الأموال واعتدوا على النساء وانداحوا في سهول تهامة ، ففر السكان من حرض إلى أبي عريش والأمير في أبي عريش متردد في الخروج حتى وافته القبائل التي استدعاها علاوة على بكيل وهي :

١ ـ وداعة وعبيدة .
٢ ـ صحار وواثلة .
٣ ـ قحطان .

ونهض بهم وبقبائل بكيل من أبي عريش إلى موضع يسمى حرف إبراهيم وفي أثناء ذلك تقدم قوم من يام كطليعة ، فبلغ الأمير فظن أن قبيلة يام قاصدة مخالفته إلى أبي عريش فانتدب جماعة من الفرسان بعضهم من النعامية ومن غيرهم ليعلموه خبرهم ووجهة سيرهم ، وعند طرف قرية البدوي فاجأتهم طليعة يام ، وهي لا تتعدى الخمسة عشر فارساً ومعهم عدد من الركائب وخيل الأمير في مثل عددهم ، فنشب بينهما القتال فانهزم أصحاب الأمير وأسر

بعضهم ، عند ذلك نهض الأمير من حرف إبراهيم إلى الملح ، بضم الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة ، فوق وادي تعشر . ومنه عزم على أن يعسكر في « المحصام » ، بكسر الميم وسكون الحاء المهملة بعدها صاد وألف وميم . فيقطع عليهم خط الرجعة إلى نجران ، فتنبه المكرمي فعبأ رجاله قبل أن ينفذ الأمير خطته .

التعبئة :

عَبَّأ المكرمي رجاله جناحين وقلب كالآتي :

١ ـ قبيلة مواجد .
٢ ـ قبيلة جشم .
٣ ـ قبيلة آل فاطمة .

وسارت شمال مدينة حرض حتى جاوزت مسيل الوادي .

وعبأ الأمير رجاله على الوجه الآتي :

١ ـ وداعة وعبيدة في مقابل مواجد بقيادة ابنه أحمد بن محمد .
٢ ـ بكيل في مقابل جشم بقيادة أخيه الحسن بن أحمد .
٣ ـ سحار ووائلة ومن في طبقتهم في مقابل آل فاطمة بقيادة ابنه حيدر .

يلاحظ أنه لم يكن في جند الأمير أحد من أهل المخلاف مع أنهم من أشجع رجال تهامة بسالة ونجدة إذا استثنينا بعض الفرسان الذين ورد ذكرهم أعلاه .

دارت رحا المعركة فانهزمت مواجد وكثر فيها القتل وأصيب الحسن المكرمي برصاصة في ركبته ، وكذلك تراجعت جشم ، أما آل فاطمة فقد هزمت من أمامها من سحار ووائلة وطاردتهم إلى وراء مخيم الأمير محمد ـ الذي انسحب منه قبل ذلك بدقائق ـ ونهبت آل فاطمة جميع ما في مخيم الأمير ، وبعد ذلك عادت بكيل ووداعة فشاهدت مخيم الأمير محمد

خالياً فاستنقذوا ما أمكنهم إنقاذه ، ولم تغرب شمس ذلك اليوم الخميس الموافق ٢٧ جمادي الأولى إلا وبعض المنهزمين في ساحة أبي عريش وقد قدر عدد القتلى من الفريقين بـ ٥٠٠ قتيل .

ودخل الأمير نفسه مدينة أبي عريش يوم السبت الموافق ٢٩ جمادي الأولى ، ومما يدل دلالة واضحة أن كفة يام هي الراجحة ما يأتي :

١ - أن الحسن بن أحمد قائد بكيل وغيرهم ، قد أسر في المعركة .
٢ - أن شمس يوم الخميس لم تغرب - يوم المعركة - إلا وبعض المنهزمين في ساحة أبي عريش .
٣ - وصول الأمير في صبح اليوم الثاني للمعركة إلى أبي عريش .
٤ - بقاء المكرمي في مدينة حرض إلى أواخر شهر رجب في تلك السنة .

وبعد عودة الأمير إلى أبي عريش ظل يتردد بين البيض وأبي عريش حتى وافته المنية في يوم الجمعة ٢٧ ذي الحجة عام ١١٨٤ هـ/ ١٧٧١ م ، وكادت بوفاته تنجم الفتنة بين أولاده من الساعة الأولى لدفنه بأسباب وصيته باستخلاف ابنه حيدر وأخيراً تم الرأي بينهم على أن يخلفه ابنه الأكبر أحمد بن محمد ورفع بالخبر إلى الإمام ورجوه الموافقة على إنابة الأمير الجديد .

آل خيرات :

توفي الأمير (محمد بن أحمد الخيراتي) وأوصى بأن يخلفه ابنه حيدر ولم يتم العمل بتلك الوصية - كما مر بك - وخلفه ابنه الأكبر أحمد بن محمد ورفع إلى صنعاء بخبر الوفاة والتماس الموافقة فوردت الموافقة مصحوبة ببعض التحفظات والتوصية على استخدام (يام) كجنود مرتزقة .

ومن جهة أخرى فقد غدا يتوسع في الأعطية والمقررات على إخوته وأبناء عمه عله بذلك يستأصل سخيمتهم ويسكن ثائرة منافستهم فلم تهدأ الأمور وأخذ كل منهم في طلب الاستزادة وكان تنقصه قوة الإرادة فقلت هيبته وبدلا من أن يستعمل الحزم إزاء مطامع ذويه أخذ في المداراة والتملق لعواطفهم

وتمادى في ذلك حتى وزع الرعية بينهم فاستولى كل واحد منهم على محصول الرعية المناط به أمرهم أي أن المخلاف أصبح إقطاعيات موزعة بين إخوته يسومون الرعية حسب أهوائهم ورغباتهم فتلاشت السلطة المركزية ونضبت موارد الإيرادات الأميرية وتأخرت أعطية من لم يكن لهم إقطاعيات فأعلنوا الخلاف وخرجوا ساخطين أو ثائرين إلى جهة بيش .

وعملا بتوصية صنعاء اضطر إلى استدعاء قبيلة يام لاستخدامهم وعندما وافته الأخبار بدنوهم من المخلاف تخوف منهم وانتابته عقدة نفسية وانهيار عصبي حتى إنه استدعى أخاه حيدر ، الذي سبق أن سيره إلى جهة الواعظات في مهمة ، وعندما وافاه على جناح السرعة كطلبه تنازل له عن الإمارة ودفع له مبلغاً من المال لسد نفقة الياميين ثم انسحب إلى بيته .

الأمير حيــدر بن محمد :

تسلم زمام الأمر ورفع بالواقع لصنعاء ، فوردته الموافقة ثم توجه على رأس (يام) إلى حرض ومنه وزع عليهم الأعطية وجهزهم للعودة إلى بلادهم وعاد إلى أبي عريش في أواخر ١١٨٦هـ/ ١٧٧٣ م .

النــدم :

وبعودة « يام » إلى بلادهم زالت العقدة النفسية عن الأمير أحمد واستعاد حالته الطبيعية وبدت عليه دلائل الندم والأسف على تنازله عن الإمارة وأخيراً تحصن في داره وأخذ في الاستعداد للوثوب فشعر أخوه بخطره فضرب عليه نطاق الحصار ومنع عنه الأقوات وانتهي الأمر بينهما بخروجه من أبي عريش إلى اليمن وفي طريقه إليه اتفق بعمه « الحسن بن أحمد » الذي هو بدوره قد خرج مغاضباً لابن أخيه الآخر الأمير حيدر فاتفقا على العمل ضد عدوهما أو خصمهما المشترك فوالي الأول سفره إلى اليمن وانتظر الآخر في قرية البدوي .

وصل الأمير أحمد إلى الإمام بصنعاء وبثه شكواه فكتب الإمام إلى الأمير حيدر بشكوى أخيه وأنه يرى من الخير لهما المصالحة فلم يسفر الكتاب

عن نتيجة ونزل الأمير أحمد إلى مدينة الزيدية يتحين الفرصة المناسبة للوثوب ثم لحق به عمه الحسن بن أحمد .

تخوف الأمير حيدر من هذه المناورة واستدعى « ياما » فأقبل إليه منهم ما ينوف على ثلاثة آلاف مقاتل وكرد على ما لمسه في ميل الإمام مع أخيه وعمه سار « بيام » إلى بلاد الإمام الشرقية غازياً إلى أن وصل إلى « عاهم » و« ضاعن » وبالطبع أن مثل ذلك العدد من الجيش يحتاج إلى المال فلم يتورع عن الحصول عليه من أموال الرعية ويقول صاحب النزهة في ذلك ما نصه (واستباح من أموال الرعية الظواهر والخفايا) ومع كل ما اقترفه لم يظفر فعاد إلى حرض وصرف نصف « يام » إلى بلدهم وذلك في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م وأبقى لديه نصفهم .

أما الإمام فكان رده على هذه المظاهرة الحربية أن أعطى الأمير الحسن بن أحمد أمراً بعزل ابن أخيه وتوليته على المخلاف فبعث هذا بالأمر إلى ابن أخيه فقبل التنازل مكرهاً واشترط بأن يتحمل عمه عنه الأعطية المستحقة لنصف « يام » الباقين في الخدمة فقبل عمه شرطه .

هبت جموع أهل المخلاف لاستقبال الأمير الجديد إلى حرض نظراً لما قاسوه من المحن والظلم في عهد حيدر .

الأمير الحسن بن أحمد :

في شهر ذي القعدة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م استلم زمام السلطة في المخلاف وأقام في حرض بعد أن بعث إلى أبي عريش للنيابة عنه من تسلم الإدارة من الأمير حيدر .

الاختلاف بين الشريكين :

أوضحنا ـ فيما تقدم ـ أن العمل كان مشتركاً بين الأمير أحمد وعمه الحسن بن أحمد ضد خصمهما المشترك الأمير « حيدر » والآن وقد تولى زمام الإمارة الحسن ، فقد قام شريكه يطالب بقسطه فلم يف له الشريك بكل ما تم عليه بينهما الاتفاق لذلك اغتنم إقامة عمه في حَرَض ، وسارع بالتوجه إلى أبي عريش وفي طرف المدينة قابله أخوه الأمير السابق حيدر خصم

الأمس وصديق اليوم وقد وحد بينهما الحرمان من الإمارة وتفاهما على العمل ضد عمهما .

في محرم ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م توجه الأمير الحسن بن أحمد من حرض إلى قرية (البدوي) وهناك استقبله من أسرته من لم يسبق له الاتفاق في حرض ومنهم ابن أخيه ناصر بن محمد الذي عطف عليه عمه وأسند إليه منصب عامل صبيا .

وفـــاة الإمـــام المهـــدي :

في رجب عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م توفي إمام (صنعاء) المهدي فأخذ القلق والخوف يساور قلب الأمير الحسن خشية أن يعضد الإمام الجديد ابني أخيه أحمد وحيدر بيد أنه تشجع وأخذ له البيعة وبعث له بأوراق البيعة مع المقرر السنوي من الخيل فوصله التأييد على عمالة المخلاف وهنا أدركَ خصما الأمير بأنه قد أسقط في يديهما وأن من الأفضل لهما الاستعانة بقبائل (يام) لإدراك قصدهما بالقوة فإن تم ذلك فموافقة الإمام مضمونة على الاعتراف بالواقع .

نزول قبيلة يام :

في شهر القعدة ١١٨٩هـ/١٧٧٦م نزل من يام خمسمائة محارب فأخذ الأمير في الاستعـداد والحذر ظناً منه بأنهم سيعلنونه العداء من الساعة الأولى لنزولهم تأييداً لابني أخيه اللذين استدعوهما وفاته أن (يام) بغاة مغنم ونجاع مصلحة ، وفعلا أنهم أخذوا في التروي وعدم الاستعجال حتى يستبين لهم سبيل المصلحة وكـــان لدى الأمير بعض الـمتجنـــدين من (يام) فطلب الأمير منهم نصيحـــة رفقـائهم الجـدد وإقنـاعهم بالعـودة إلى (نجـران) فكـان جوابهم : (إننا نقنع بمـا يحصـل وقـد طلبنـا أبنـاء أخيه ، ومنعنـا أن ننزل إلا إليه فإن قبلنا للخدمة حسب العـادة وإلاَّ سِرْنَـا إلى من دعـانـا) وهي إجـابـة مرنة تحتاج إلى التروي وإعمـــال الفكـــر ، بيد أن الأمير لم تسعفه البصيرة بالاستفـادة منهم فقـد كان شديد الريبة منهم وصمم على عدم استخدامهم أو اعطائهم ما يصرفهم راضين من حيث أتـــوا وهم يفـــاوضـونـه ويزحفـون إلى الأمـام حتى خيمـوا في زبـارة

(أم الغلف) وقضوا بقية يومهم وأمسوا وفي الصباح عندما يئسوا من بره مروا من أطراف مدينة أبي عريش في شبه استعراض حربي ووجهتهم إلى قرية البيض التي ينتظرهم بها الأمير السابق حيدر بن محمد وبوصولهم إلى البيض استدعوه ، وبعد المفاهمة ، أرسل إلى عمه يعرض وساطته بينه وبين يام ومن البديهي أن الأمير الذي قد صمم على ما صمم عليه ، لاشك أنه يعلم ما وراء تلك الوساطة فرفضها وعند ذلك خرج حيدر وضرب خيمته في معسكر يام كما أرسل الأمير أحمد ابنه حيدر بن أحمد وضربوا الحصار على أبي عريش ومنعوا عنها مواد التموين .

الأمير الحسن وحصار أبي عريش :

كتب الأمير الحسن إلى الإمام بالواقع مستنجدا وظل منتظراً حتى وافاه جواب الإمام ويرفقه كتاب أو بالأحرى أمر إلى أهل المخلاف السليماني يحضهم على الوقوف بجانبه والقتال في صفه .

هب أهل المخلاف لمساعدته ، وأكبر عامل لسرعة إجابتهم تخوفهم من عودة الإمارة إلى حيدر الذي ذاقوا أنواع الظلم في مدته ، وأقبلت كتائبهم تترى إلى أبي عريش للقتال في جانبه .

القتال :

نشب القتال بين يام المؤيدين للأمير حيدر وأهل أبي عريش ومن معهم من أهل المخلاف المؤيدين للأمير الحسن ففي يوم ١٣ذو الحجة ١١٨٩هـ/١٧٧٦م تقدمت (يام) بقيادة الأمير حيدر لمهاجمة المدينة فخرج إليهم المدافعون وهزموهم ، في أول الأمر ثم استعادوا معنويتهم بتشجيع الأمير حيدر وأعادوا الكرة على أهل المدينة وأنصارهم حزب الحسن فأزالوهم عن أماكنهم ثم هزموهم شر هزيمة وكان عدا الجيش المهاجم يوجد في المدينة ما يسمى في الوقت الحاضر الطابور الخامس يتولى قيادته الأمير أحمد قد ساهم بنصيب تحطيم معنوية المدافعين وشل حركتهم كما كان على اتصال بخاصة الأمير الحسن ومستشاريه ليشيروا عليه بآراء واستشارات خاطئة ويقللون في نظره غناء المدافعين وأنهم

غير مخلصين في الدفاع مما حدا بالأمير بأن يصرح في مجالسه بضعف دفاعهم وقلة غنائهم مما حز في نفوس المدافعين وأفقدهم الثقة بأنفسهم وقد حبس الأمير نفسه في القلعة الأمامية داخل المدينة لما قد ألقي في روعه من أنه محاط بالمترصدين لاغتياله وأخيراً ترك المدينة وانسحب إلى اليمن في شهر صفر عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م .

وبخروج الأمير الحسن من المدينة اختلف الأخوان في من يتولى الإمارة منهما فحيدر يرى أنه هو الذي امتشق الحسام وصال وجال في الميدان وأحمد يدعى أنه أحبط وسائل الدفاع وغل يد الأمير عن كل تصرف وتركه مسلوب الحول والطول وكادت المنافسة بين الأخوين أن تؤدي إلى القتال وأخيراً رجحت كفة الأمير أحمد ، لأن الناس قد قاست من سوء إدارة الأمير حيدر في عهد إمارته ما نفر القلوب من دعوته حتى أن أهل أبي عريش صمموا أنه إن عاد إلى الإمارة رحلوا بأجمعهم عن المدينة ، ومع ذلك فإنهم لم يرضوا بإمارة الأمير أحمد حتى جعل لهم على نفسه ضمناء من وجوه يام من الظلم والجور والعسف الذي اتسم به في عهده الأول .

الأمير أحمد بن محمد للمرة الثانية :

تولى للمرة الثانية وعلى أثر ذلك دخل الياميون على رأس الأمير حيدر مدينة أبي عريش فوزعهم الأمير على أهل المدينة كما جرت العادة منذ بلي بهم المخلاف وكانوا عبئاً ثقيلا على سكان المدينة وبعد أيام معدودة توفي الأمير حيدر بن محمد أي في شهر ربيع الأول ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦ م ففقدت يام بموته جل ما كانت تؤمله من المغنم والفائدة [1]

رفع الأمير أحمد لصنعاء بنبأ قبضه على زمام الأمور في المخلاف وطلب الموافقة على إقراره فوردته مراسيم التقليد وعلى أثر ذلك نشطت يام في المطالبة بأعطيتهم وتجهيزهم للعودة إلى نجران ، فأخذ الأمير يعتذر لقلة الواردات ويام تشتد في الطلب وتحت المطالبة منهم والاعتذار من الأمير تآمروا على نهب المدينة .

---

(١) الذهب المسبوك خ .

يام تنهب مدينة أبي عريش :

وفي يوم الأربعاء الموافق ١١ ربيع الآخر ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦م قرر الياميون نهب السوق والمدينة وفي ضحوة النهار وقد اكتظ السوق بالمسوقين من أرجاء المخلاف لم يشعر الناس إلا بهجوم اليامبين في أطراف السوق وقيامهم بالسلب والسطو وسرعان ما تأهب أهل الحوانيت في حزم بضاعتهم والقيام للدفاع .

شعر الياميون بفشل خطتهم ولم يكن قد تحصلوا إلا على بعض المواشي ، فكفوا وأعادوها وتقدم رؤساؤهم بالاعتذار من أعيان المدينة ووجهائها بأن ما وقع هو بدون اطلاع أو علم منهم وأنه من بعض سفهائهم وأعادوا المنهوب فسكنت النفوس وساد الاطمئنان وفتحت الحوانيت والمتاجر وأخذت حركة السوق في مجراها الطبيعي وأقبل المسوقون من أهل البوادي في قضاء حاجاتهم ومغادرة السوق فما راعهم إلا شبوب النار في البيوت القريبة من السوق وهجوم اليامبين على المتاجر والحوانيت مصحوباً بإطلاق الرصاص وإشهار السلاح الأبيض والناس على غير أهبة ولا سابق إستعداد بعد أن اطمأنوا إلى تعهدات رؤساء القوم واستمر السطو والسلب والنهب من بعد العصر إلى نصف الليل وقد شوهد أحمد بن إسماعيل المكرمي بنفسه يباشر أعمال السلب والنهب مع غيره من رؤساء يام وقد كانت صدمة شديدة على أهل المدينة أفقدتهم روح المقاومة وقادة الرأي من الأشراف قابعون في دورهم لم يحرك أحداً منهم ساكناً يشاهدون الحرائق والسلب والنهب .

ويقول صاحب « نزهة الظريف » تعليقاً على موقفهم في ذلك الحادث ما نَصُّه : (وجميع من عليه المعول من أولاد الشريف ، كل منهم جالس يشاهد الحريق في المدينة ، ويرون النهب الفظيع ، وكشف المُخدَّرات ، ووقوع كل أمر شنيع ، فلم يصدر من أحد منهم ما يجلي غمة أو يكشف مهمة) .

الدفاع عن النفس :

استفاق أهل المدينة من غشية تلك الصدمة الجارفة عند منتصف الليل وتلفتوا نحو قادتهم فلم يروا أحداً فقرروا الدفاع عن أنفسهم ومدينتهم وسرعان

ما هبوا في استماتة وحملوا على اليامیين حملة صادقة أرغمت القسم الأكبر من المعتدين على الاعتصام (بالجامع الكبير) وارتقى قسم من الأهالي إلى البيوت الحجر القريبة من الجامع وأصلوهم بنيران البنادق وحصروهم في داخل الجامع والقسم الآخر قصد القلعة الأمامية التي تحصن بها قسم من (اليامیين) وأرغموهم على الخـروج صاغرين من القلعة بعد أن كبدوهم خسائر في الأرواح وطاردوهم حتى ألجأوهم إلى الدخول مع أصحابهم في (الجامع) .

وهنا تدخل أحد الأمراء (علي بن محمد) ومعه ابنه يحيي بن علي وأمن اليامیين في وجهه وخرج بهم إلى (شعب الأملح) وقد استشهد صاحب النزهة في هذا التدخل لحمايتهم بهذا البيت المطابق لمقتضى الحال :

على كل حال أنت عنـدي حبيبة وعــذرك مقبــول وذنبـك مغفـور

استقــر الياميون في (شعب الأملح) حتى أفـرخ روعهم وأرسلوا إلى الأمير (أحمد بن محمد) معتذرين وطالبين إعادتهم إلى خدمتهم السابقة فلم يعرهم التفاتاً وصمم على طردهم فهب إخوانه في جانب (يام) حتى وافق على الاستعانة بهم في الخدمة كالعادة وأعادهم إلى المدينة ووزعهم في بيوت إخوانه وذويه .

رد الفعـــــل :

ذلك الحادث المروع نبه الشعب إلى واجبهم نحو أنفسهم وحفزهم للاستعداد والتيقظ للذود عن حوزتهم وعدم الركون على القادة ، الذين سبق أن أماتوا فيهم روح المقاومة وطبعوهم بطابع الرعية الخانعة ثم مع الزمن تخلوا عن حمايتهم لذلك أخذ الشعب في التأهب والاستعداد للطوارىء ومن جهة أخرى فإن تلك الفوضى قد أطارت بهيبة أولئك الأمراء ، وطوحت بما لهم من نفوذ فلم يبق لجنودهم من (يام) بأس القوة أو صولة الدولة فلم يجرؤ أي فرد من جند الإمارة إلى الخروج بدون سلاح .

وكـنتيجـة لذلــك ساءت الأحــوال وضعفت سلطة الأمير أحمــد وقلت إيرادات الإمــارة فعـزم الأمير على التـوجـه إلى وادي ضمـد ، الـذي تحسنت

زراعته في خريف ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م وأقام بقرية خضيرة ، للارتفاق والانتعاش أو بالأحرى للارتزاق من ثمرة تلك الزراعة وتكليف الرعية بكفايته وكفاية جنده فوقع منه على أهل الوادي ما أباد خضراءهم ففر أكثر أهله وأكبر من ذلك أنه هم باستباحة أموالهم وإنما رأى أن يبدأ أولا بصبيا وعزم على الرحيل ثم بداله أولا أن يستدعي أخاه ناصر بن محمد ، للتشاور معه بيد أن هذا الأمير يتميز بالتفكير الرصين وبصفته عامل صبيا ، فقد دفعه واجبه الإنساني وشهامته العربية لمقاومة هذه الفكرة الطائشة وتقبيحها لأخيه فصرفه وقد عزم على عزله وتولية علي بن مطاعن الخواجي الذي يمكنه أن يعتمد عليه في تنفيذ رغبته إلا أن ورود الأخبار بنزول الحسن بن علي المكرمي على رأس يام صرفته مؤقتاً عن تنفيذ رغبته وتحقيق نواياه .

بمجرد أن علم الأمير بأخبار نزول (يام) سارع بالعودة إلى أبي عريش ، ومكث بها بادي القلق مشبوب الاهتمام وفي أثناء ذلك اصطدم بعض جنوده من اليامين الدائمي الإقامة مع بعض أهالي المدينة فقتل أحد اليامين فكظم رفقاؤه غيظهم انتظاراً للفرصة المواتية .

وصـــول المكـــرمي :

وصل المكرمي حسن بن علي وعسكر في « شعب مشرف » ، ثم انتقل إلى قرية « العقـدة » ، ومنها قام بالغارات والسلب والسطو على قرى جازان ووادي ضمد حتى اضطر الأمير إلى استرضائهم بشيء من المال فأخذوه وانصرفوا إلى جهة اليمن للسلب والنهب .

التنـــازل الثـــاني :

عاودت الأمير بنـــزول (يام) ـ كمـــا يظهـــر ـ الحـالـة النفسية ويظهـر أنـه بعـد انصـرافهم إلى اليمن ظل متخوف الجـانب من عودتهم ونتـج عن قلقـه اضـطراب الأمن وتأزم الأمور وشغب من لديه من الجند وإلحاحهم في المطالبة بأرزاقهم المنكسـرة والمتـأخـرة فزاد به القلق والاضطراب وفي يوم (عيد الفطر)

١١٩١ هـ/ ١٧٧٧ م خرج أهـل المدينة إلى صلاة العيد وظلوا ينتظرون موكب الأمير فلم يخرج من دار الإمارة فيئسوا من خروجه فصلوا وانصرفوا .

بعد انصراف الناس من الصلاة خرج من داره حافياً فاتبعه حارسان من حراسه وهمـا لا يعلمان أين يقصد فاتبعاه حتى دخل « المقبرة » وجثي بين قبري والديه وأخيه حيدر ، ثم التفت حوله فرأى الحارسين فقال لهما : تروني تنازلت عن الإمارة لمن يريدهـا من إخـواني فهم أحد الحارسين بالإشارة له بالتريث فحاول الأمير البـطش به ثم اعتـرتـه نوبـة عصبية حمل على أثرها إلى داره في هيئة المريض المدنف ، فاجتمع إخوانه واتفقوا على إنابة أخيه علي بن محمد والرفع لصنعا بالواقع .

الأمير علي بن محمد الخيراتي :

تولى شئون الإمارة علي بن محمد وأخذ في العمل على محاولة تهدئة الأمور ثم خرج إلى الـواعـظات ـ وكـانت تابعـة للإمـارة المنـاطة بهم ـ وعاد منها إلى (حرض) وهنـاك قابله جماعة من يام فاصطحبهم إلى أبي عريش ثم إلى بيش فاليمن وأخيراً عاد إلى أبي عريش في عام ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م .

القتـال بين أهـل أبي عريش ويـام :

في جمادي الآخرة ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م نجمت الفتنة بين يام ـ حاشية الأمير وجنده ـ وبين أهل أبي عريش ـ قام يام وقد أنسوا من أنفسهم القوة بمطالبة الأمير بتمكينهم من القود بشخص زعموا أنه هو الذي قتل رفيقهم اليامي فى عهد الأمير أحمد ونزولا عند إرادتهم زج الأمير بالمتهم في السجن وتعهد لهم بتسليمه إذا لم يرضهم أهل المدينة في دم رفيقهم فضجت المدينة وأرسلوا من يراجع الأمير في غلطته فقال عليهم بمراضاة يام فاضطر الأهالي إلى بذل أكثر من الدية ليام فاشتط هؤلاء في الطلب وطالبوا بتعويض غير مستطاع ولا معقول فرفض أهل أبي عريش طلبهم .

وعند ذلك طلب الياميون من الأمير تسليمهم المتهم للقود به ونزولا على إرادتهم أمر الأمير بتسليمهم الرجل المتهم .

استلم الياميون المتهم وقادوه للقود منه بدون محاكمة ولا إثبات شرعي فأسرع وجهاء المدينة إلى الأمير راجين إرجاء التنفيذ فأمر بسجنهم ، عندها تجمهر أهل المدينة وساروا في شبه مظاهرة صاخبة ورابطوا قريباً من الجامع بحيث يشرفون على ساحة التنفيذ وما راعهم إلا إقبال يام بالرجل وإيقافه في وسط الساحة وتنفيذ رغبتهم ، فطوح السيف برأسه فأطلق المتظاهرون النار ونشب القتال .

المعـــركـة :

ابتدأت المعركة من أول النهار إلى بعد صلاة الظهر واضطر أهل المدينة إلى التحصن في البيوت الحجر ومنها أصلوا اليامبيين ناراً حامية فأراد الياميون لما نالهم من حرارة الشمس والعطش الدخول إلى بيوت الأمراء (آل خيرات) فظن هؤلاء أنهم يريدون الهجوم على بيوتهم فأصلوهم شواظاً من رصاص البنادق فوقعوا بين نارين وتحرج موقفهم فانسحبوا إلى خارج المدينة فخرج أهل المدينة لمطاردتهم ، وقد بلغ عدد القتلى من يام في تلك المعركة ٤٠ قتيلاً ورحلوا من يومهم إلى نجران .

أهل المـدينة والأمـير أحمـد بن محمـد :

رفع هذا الانتصار من معنوية أهل المدينة وشعروا بالعزة والكرامة ، وشعر آل خيرات أن في المدينة قوة لا يمكن إسقاطها من الحساب بعد الآن أو الاستعانة على امتهانهم بالمستأجرين ، وأدرك الأمير أحمد بن محمد الذي أخذ قلبه يرف إلى مركز الإمارة للمرة الثالثة والذي يرى في يام الشبح المرعب والحلم المفزع مما أوجبه إلى التنازل عن الإمارة مرتين ، رأي أن في أهل المدينة قوة يمكنه بعد الآن الاعتماد عليها ، وأن من الخير له أن يتفق معهم ضد أخيه الذي قد صمم أهل المدينة على تنحيته عن الإمارة نظراً لموقفه في قضية الرجل الذي اقتاد به الياميون ظلماً ، بيد أنه رأي كخطوة أولى لتحقيق رغبته حتى لا يظهر بمظهر المتهالك - الاتفاق مع أهل المدينة على أن يتولى الإمارة أخوه الآخر يحيي بن محمد بدلا عن الأمير علي بن محمد .

الأمير يحيي بن محمد :

اتفق أهـل المـدينة على الرضا به بدلا عن علي بن محمد إلا أن الأمور قد تطورت في المدينة تطوراً خطيراً ، وأخذ أهل المدينة خاصة وأهل المخلاف على وجه العموم في مقاومة نفوذ آل خيرات مقاومة نتميزها واضحة في الأمور الآتية :

١ ـ بالـطبـع كان لتلك الأسـرة المكـانة التي وطدتها لنفسها والسياسة التي رسمتها من احتكار السلطة في أبنائها ومناوأة كل من عارض خطتها وطبعت نفسها بالطابع الارستقراطي واعتمدت على الجنود المرتزقة من غير أهل المخلاف كما مر بالقاريء الكريم في الصفحات الماضية ، وكان لا يجرؤ أحد على التظاهر بغير الطاعة والإذعان والخضوع والاستسلام ، أما الآن فقد أخذ الشعب يبدي رغبته نوعاً ، ويعلن تذمره وتمرده أخرى .

وقع تصادم مسلح بين بعض (سفيان) التابعين لخدمة آل خيرات وبعض أهل المدينة فأغار بعض الأمراء كالمدافع فقوبل من أهل المدينة بالرد القاسي والكلام الجارح .

٢ ـ ان شريج خريم وشريج البيض اللذين أحياهما الأمير محمد بن أحمد وأصبحـا ملكـاً لورثته كانا من المزارع الخاصة التي تحوطها هيبة الإمارة وصولة الحكم ترمقها العيون خائفة وتتجانف عنها القلوب واجفة فأصبحت الآن مسرحاً للتعديات ومرتاداً لمن يمتهن السطو على الثمرات من جهال أهل المدينة بدون أن يقوي ملاكهما عن رفع عادية التعدي فنتج عن ذلك نضوب أكبر إيراد زراعي لتلك الأسرة تقوم عليه أحوالهم بعد الأعطية ومع تلاشي السلطة واضمحلال النفوذ نضبت منابع الإيرادات الأميرية التي منها توزع الأعطية التي هي بوجه العموم موزعة على تلك الأسرة بعد أعطية الجنود المرتزقة من (يام) .

٣ ـ اهتبـل الخـواجيون هذه الفرصة فقاموا بتأليب أهل صبيا ومخلافها ضد عاملهم ناصر بن محمد واتصلوا بأهل أبي عريش لتوحيد موقف المدينتين من إمارة آل خيرات .

٤ ـ تكونت في مدينة أبي عريش مجالس محلية من رؤساء المدينة ينوب كل عضو عن جماعة يتولى في نفس الوقت فصل المشاكل وحسم القضايا ضمن دائرة مرشحيه ويدافع عن قضاياهم فيّ المحاكم .

بذلـك تلاشت السلطة المـركـزية وتقلص نفـوذ الأمير يحيى وانتهت سنـة ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م على تلك الحالة .

نزول يام بقيادة المكرمي :

في ابتداء عام ١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م نزل المكرمي متذرعاً بقصد إبرام صلح بين أهـل مدينـة أبي عريش ويام وإن كان المقصد الحقيقي هو الأخذ بثأر أصحابه وإعـادة مكانة اليامبين وسلطتهم ونفوذهم ، وقد اتخذ المكرمي من قرية البدوي قاعدة لشن غارة مزعجة على أبي عريش بعد أن استولى على المحصول الزراعي لعموم « خبت المسرحي » .

استنجاد أهل أبي عريش بأهل المخـلاف :

شدد الياميون الغارات الإرهابية على المدينة فاضطر أهلها تحت إرهابهم إلى الإستنجاد بأهل صبيا وضمد فوصلهم أهل صبيا على رأس عاملهم ناصر بن محمد كمـا وافاهم أهل ضمد ، وشعر المكرمي بهذا التجمع فتأخر مؤقتا عن مهاجمة المدينة وشغل أصحابه بإكمال ما تبقى من غلال خبت المسرحي حتى اجتمعت لهم تلال من الحبوب في حين أن النجدات التي وصلت إلى أبي عريش أرهقت أهلها بنفقة إقامتهم فاضطر أهل المدينة للسماح لكثير من تلك النجدات بالعودة إلى أوطانهم ، وعند ذلك سنحت الفرصة للمكرمي فتقدم صوب المدينة .

هجـوم المكـرمي :

تقدم المكرمى إلى أن عسكر في زبارة أم الغلف التي تشرف على المدينة ، وفي يوم ١٧ محرم ١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م تقدم أهل المدينة على معسكر اليامبين على الترتيب الآتي :

١ ـ الأمير يحيى بن محمد على رأس جماعة من قبيلة بكيل في الميمنة .

٢ ـ أهل صبيا الذين سارعوا إلى مساعدة رفقائهم في القلب .

٣ ـ أهل أبي عريش في الميسرة .

ويظهر أن الأمير لم يخرج إلى المعركة من باب المجاملة لأهل المدينة الذين تولى بمساعدتهم كما مر بك الإمارة ، وإلا فهو على اتصال باليامين ، فإننا نلاحظ أن ياما وجهت قوتها إلى الميسرة والقلب ، فأما الميسرة التي تتكون من أهل المدينة ، فقد انهارت تحت وطأة شدة الهجوم وثبت أهل صبيا ثباتاً مشهوداً حتى هزمت أيضاً ، وأما الميمنة فقد تراجعت بدون خسارة ، ويقول صاحب النزهة تعليقاً على الموقف ـ وكان القصد إليهم يسير ـ أي أصحاب الميمنة وتأثر اليامون المنهزمين من أهلِ صبيا وأبي عريش وأثخنوا فيهم القتل ، وقد بلغ القتلى من أهل المدينتين ٨٠ قتيلاً ، ونصف ذلك العدد أسرى .

أما موقف الأمير يحيى بن محمد بعد التراجع فإنه تفسير صريح لموقفه الغامض نوعاً فقد تم الاتفاق بينه وبين اليامين على تحقيق كل ما يرجونه من مطالب تنحصر في :

١ ـ أن يستخدمهم كجنود مرتزقة حسبما كانوا عليه قبل الفتنة بينهم وبين العريشيين .

٢ ـ أن يشتري منهم الحبوب التي تحصلوا عليها بالنهب من مزارع خبت المسرحي وغيره ، وأن يرصدها لمؤنتهم .

بعد أن تم الصلح وأبرم الاتفاق طالبوه في أعطيتهم المنكسرة من عهد أخيه الأمير علي بن محمد ، وكان هذا قد تعهد لهم بالوفاء بتسديدها ـ أما الآن فقد أحالهم إلى غريمهم الأول وتساهلوا معه على كثرة لجاجتهم نظراً لامتنانهم من موقفه معهم وقاموا بالتشديد في مطالبة أخيه حتى اضطروه إلى الفرار منهم إلى أخيه عامل صبيا .

وبالرغم من موقف الأمير في جانبهم ـ فإنهم يشعرون بالتخوف من

جانب أهل أبي عريش ويرغبون في زيادة التحفظات في سلامة مركزهم في المستقبل بإضعاف حالة أهل المدينة ، وهذا ما يتفق عليه يام والأمير نفسه لأنه مهما بلغ من تثبيت سلطتهم ، فإن ذلك تثبيت لمركزه ، وعلى ذلك فإن ياما بقيت في معسكرها بزبارة أم الغلف ، ولم يدخل منهم إلى المدينة إلا البعض بصورة مؤقتة وعادوا بالثاني ، ورغبة من الأمير فى زيادة ترضيتهم ونزولا على رأي الأكثرية من أسرته ، فقد خرج الأمير إلى معسكرهم يرافقه الأمير أحمد بن محمد ـ والذي على عظم نفوره من يام ، فإنه يشارك أسرته في استحسان الإستعانة بهم ضد أهل المدينة ، بل وضد سكان المخلاف جميعه ـ وبعد اجتماع الأمير وأخيه بالمكرمي اشترط المكرمي كضمان نهائي لسلامة يام وإعادتهم إلى سابق خدمتهم ومساعدتهم للأمير وأسرته أن يقوم الأمير بما يأتي :

١ ـ هدم جميع المعاقل والحصون في مدينة أبي عريش .

٢ ـ اعتقال عدة أشخاص من أعيان المدينة يتهمهم المكرمي وتغريمهم مبالغ من المال .

فنفذ الأمير الشرطين ومن ثم طلب المكرمي منه مرافقته إلى صبيا فرافقه وهناك فرضت غرامة مماثلة على أهل صبيا .

الرحلة إلى اليمن ونكبة الأمير يحيي :

انتهى اليامیون من تنفيذ رغباتهم على غاية ما يريدون بمساعدة الأمير ومعاونته ، وبعد انتهائهم من استحصال الغرامة التي فرضوها بمساعدة الأمير على صبيا طلبوا من الأمير مرافقتهم إلى اليمن فاستصحب معه عمه الحسن ابن أحمد وسار معهم ، وبالرغم عن كل ما بذله في سبيل الحصول على رضاهم وتضحيته بإخلاص الشعب التهامي وأمواله وأرواحه في الحصول على إخلاصهم فقد اشتطوا في طلب المزيد واستغلوا ضعفه وقاموا بمطالبته بأعطيتهم في حال أنه هو الذي قدم لهم الخدمات وسهل لهم سبل الوصول إلى أغراضهم وعندما شددوا وألحوا عليه في الطلب احتال على الفرار منهم تاركاً مخيمه

وخيله وعبيدهُ وخدمهُ بين أيديهم ، وشعر عمه أن القوم سوف يؤاخذونه على فرار ابن أخيه ، فسارع إلى المكرمي متنصلا معتذراً مؤكداً أن ذلك بدون علم أو سابق اطلاع منه فقبل المكرمي الماكر عذره وعرض عليه تولي الإمارة في مكان ابن أخيه فقبل على شرط أن يؤجل طلبهم في دفع الأعطية إلى وصول الموافقة على توليته من صنعاء ، فقبل ، وعلى أثر ذلك انتقل من خيمته إلى خيام الأمير ، وفي ظهر ذلك اليوم وثبوا عليه ونهبوا كل ما في خيامه من متاع وخيل وعبيد ولم يخلص بنفسه إلا بعد كل جهد فأركبوه على حمار ورحلوا به معهم إلى حرض في طريقهم إلى نجـران ، وفي حرض أعاد له المكرمي بعض ما أخذ عليه وسرحه إلى اللحيَّة ، أما الأمير يحيى بن محمد فعاد بعد رحيلهم إلى أبي عريش وتنازل عن الإمارة لأخيه الأمير السابق أحمد بن محمد .

الأمير أحمد بن محمد ، للمرة الثالثة :

تولى الإمارة للمرة الثالثة وكان همه الأول الرفع لصنعاء . وفي شهر رمضان من تلك السنة ١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م استدعى جنوداً مرتزقة من وداعة وسنحان وقحطان للاستعـانة بهم في تثبيت مركزه بيد أن الأحوال لم تستقر ، وقد زاد الحالة سوءاً نهوض أخيه الأمير السابق يحيى بن محمد لاستعادة الإمارة مستعيناً بيام الذين وافاه منهم ألف مقاتل ـ وهنا نشب القتال بين أهل أبي عريش المؤيدين للأمير أحمد وبين يام أنصار الأمير يحيى ، وعندما شعر الأمير يحيى بالحاجة إلى المال أرسل بعض قرابته على رأس سرية إلى بندر جازان فاستباحت أموال أهله وأوصلوها إليه ، واضطربت أحوال المخلاف في حالة من الفوضى إلى عام ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م ، وفيها خرج إخوان الأمير أحمد وهم حمود بن محمد ومنصور بن محمد وبشير بن محمـد وابن أخيهمـا محمـد بن حيدر ثائـرين بأسباب تأخر أعطيتهم فعاثوا في الـطرقـات واستباحوا لأنفسهم السلب والنهب وقتل السابلة وأخيراً اعترضوا قافلة لأهل صبيا وأبي عريش ونهبوا ما تحمله فاضطر الأمير إلى استرضائهم ومصالحتهم واحتمل لمن يخشى بأسه من أهل الأموال ما نهب عليه .

وفي شهر ربيع الأول ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م ازداد تفاقم الفتنة بين الأمير أحمد وأخيه الأمير يحيى بن محمـد في وسط مدينة أبي عريش ، شعر الأول بأن أكثر أسرته تؤيد أخاه يحيى فأحرق حيهم المسمى (الديرة) وبعد ذلك وردت الأوامر من صنعاء بتولية الأمير يحيي فسلم إليه الأمير أحمد مهام الإمارة .

الأمير يحيي بن محمد ، للمرة الثانية :

بعـد استـلام مهام الإمارة سار على رأس (يام) لاستحصال زكوات صبيا ، وفرض غرامات عليهم للتخلص بها من طلبات (يام) الذين قاموا يتقاضون ثمن النصـر ، وأخيراً اكتفى باستحصـال الـزكوات من أهل صبيا وفرض الغرامة على مخـلافها أما أهل المدينة فقد تمنعوا عن دفع أي غرامة ولقوة شوكتهم ومعاضدة عاملهم ووقوفه في جانبهم فقد انصرف عنهم الأمير ويام ، وفيها توفي الأمير أحمد ابن محمد ، فقطع أخوه مقرراته فغضب أبناؤه وخرج أحدهم المسمى أبو طالب ، إلى بلاد (وداعة) وطلب تأييدهم فنزل معه جماعة منهم فبادر عمه إلى مقابلتهم في بلاد سفيان واسترضاء ابن أخيه واستلم قيادة تلك الجماعة وسار بهم إلى أبي عريش وفي أثناء الطريق بلغه أن أخاه الأمير علي بن محمد ، قد اتفق مع أهل المدينة على الثورة ضده فتوقف في قلعة (جازان) العليا وأرسل إلى وجهاء أهل أبي عريش للتشاور واسترضاهم متظاهراً بالرغبة في التفاهم معهم فوافاه عدد منهم فاحتجز لديه منهم خمسة عشر شخصاً وبعدها تصالح مع أخيه .

الفتنة بين أهـل المحـلة وأهـل الدهنـا :

في عام ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٧ م وقعت الفتنـة المروعة التي من جرائها أزهقت الأرواح وأحرقت القرى وكانت كارثة على المخلاف الشامي واستمرت وقتاً طويلاً أما السبب المباشر لتلك الفتنة فهو نزوع النعامية أهل الدهنا على فرض السيادة والنفوذ على أهل تلك القرى القريبة منهم وأخيراً أعقب ذلك الصراع الصامت هذه الحرب القبلية .

كان بين قبيلة (عبس) وأهـل (المحلة) ثارات ودمـاء فقـام أحـد النعـامية

وأرفق رجلا من عبس ومضى به إلى قريب من قرية المحلة فاعترضه أهل المحلة وقتلوا العبسي بحجة أنه ليس لأهل الدهنا ولا غيرهم حق إجارة عدوهم والمرور به في حماهم .

عاد النعمي إلى قريته صارخاً في عشيرته بأن أهل المحلة أخفروا جواره فاجتمع النعامية وأرسلوا إلى أهل المحلة طالبين الترضية الآتية :

١ - تحريق قرية (المحلة) زاعمين أن في تسويد القرية تبييضاً لوجوههم عند قبيلة المقتول .

٢ - الترضية مقابل دية القتيل .

بالطبع إن أهل المحلة رفضوا الطلبين ، اتصل الخبر من الجانبين بعامل (صبيا) الأمير ناصر بن محمد الخيراتي فكلف أهل المحلة بإحضار أربعة أشخاص كرهائن وأودعهم السجن - كضمان في دم القتيل حتى يحضر الجاني - بيد أن النعامية لم يروا في ذلك الإجراء الترضية الكافية واشترطوا أن يسلم لهم الأربعة الأشخاص الرهائن ليتولوا هم سجنهم في قرية الدهنا ودارت المكاتبة بينهم وبين عامل صبيا ولم تؤد إلى نتيجة .

وكنتيجة لعدم تسليم عامل صبيا لهم الأربعة الأشخاص الرهائن توجه بعض رؤسائهم مستنجداً بقبيلة بني شعبة لإعانتهم على تحريق قرية المحلة .

وهنا تخوف أهل المحلة وأدركوا أن تدخل طرف ثالث معناه النصر المحقَق لخصومهم فاستصرخوا بعامل (صبيا) فخرج لمساعدتهم قسم من أهالي (صبيا) وقسم من جنود العامل وظل الفريقان في تأهب لخوض المعركة وخشية من النتائج الوخيمة تقدم عقلاء الفريقين إلى العلامة (أحمد بن حسن البهكلي) للتوسط بينهما ، لبى ذلك العالم الطلب وسارع بالتوجه إلى الدهنا للتفاهم وللوقوف على وجهة نظرهم وبعد اجتماعه برؤسائهم والتفاوض معهم اشترطوا كأساس للصلح :

١ - أن يسلم لهم القاتل .

٢ ـ أن يسلم لهم من يطلبون إحضاره من المحلة .

وهما شرطان يمليهما منطق القوة بعد النصر لا الواسطة المتبرعة في إصلاح ذات البين ، بالطبع أنها قوبلت بالرفض من أهل المحلة ، وبرغبة من ذلك العالم الفاضل في الوصول إلى صلح تحقن به الدماء وتصان الحرمات أعاد الكرة مع أهل الدهنا وأخذ في استمالتهم وأمام إلحاحه تظاهروا له بقبول إحضار ثلاثة أشخاص كرهائن من وجوه أهل المحلة على سبيل الاعتراف والترضية والتعهد بالحق يقيمون عندهم ثلاثة أيام حتى يعلم أهل المخلاف أن أهل المحلة قاموا بالاعتذار والترضية وبعدها يودعون سجن عامل صبيا كرهائن لا يطلقون إلا بعد قيام أصحابهم بما يترتب عليهم بالوجه الشرعي أو العرف القبلي والخيار لأهل الدهنا في أحد الوجهين .

على ذلك الاتفاق وبعد وثوق العلامة الفاضل توجه إلى المحلة وعرض عليهم ما توصل إليه ورجاهم مساعدته في إتمام مسعاه وكنتيجة لإلحاح العالم الجليل وتحامله عليهم بجاهه وافقوا وسلموه ثلاثة أشخاص على مضمون الشرط فتهللت أساريره حبوراً وطفحت صفحته بشراً وظن أنه توصل إلى الصلح المنشود والغاية المرجوة وسار بالثلاثة الأشخاص إلى الدهنا .

استقبله أهل الدهنا بوجوه ينطق التشفي من قسماتها وبمجرد استلامهم للثلاثة لأشخاص كبلوهم بالحديد وقالوا للعالم الجليل : انصرف راشداً فقد نلنا بعض ما نريده ، عندها أسقط في يد الشيخ وراح يذكرهم بما يجب عليهم من حقوق الوفاء وواجب الرعاية لما اتفق معهم عليه ، فلم يجد منهم أذناً صاغية فانصرف يحمل من الحسرة والغم بين جنبيه ما الله عالم به إلى قرية الملحا وأقام بها أياماً يراجعهم ويكاتبهم ويناشدهم مرة ويلومهم أخرى ، فلم يقف منهم على طائل ، وفي أثناء ذلك تفرق المجتمعون من أهل صبيا إلى جهتهم .

قام رئيس أهل المحلة قاسم بن مهدي باتصالات ومراجعات إلى عامل صبيا وإلى أمير الجهة العام الأمير يحيي بن محمد راجياً اتخاذ ما يكفل إقرار الحق وحقن الدماء فلم تسفر اتصالاته عن نتيجة فرجع إلى قريته ورأى أن

يجرب الاتصالات المباشرة بأهل الدهنا عله يصل إلى نتيجة تحقن الدماء وتسد باب الفتنـة فأخفق ، بعد ذلك خرج أحد أبناء أهل الدهنا في حاجة إلى بعض القرى التي تمر طريقها بالقرب من المحلة ، فشعر المحليون بخروجه فاعترضوا سبيله وقادوه أسيراً إلى قريتهم كرهينة في أصحابهم فعظم الأمر على أهل الدهنا الذين كانوا يطالبون بدم جار أجاره أحدهم فكيف الآن وقد أصبح أحدهم أسيراً .

الحــــرب :

في يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ رجب من عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م جمع أهل الـدهنـا جمـوعهم وساروا لمهاجمة قرية المحلة وأمام قرية المحلة توقفوا لحظة ينتظرون حركة المدافعين فلم يروا أحداً وهنا اقتحمت خيالتهم القرية من الجهتين اليمانية والغربية وركضت في شوارع القرية فانطلقت عليها نيران البنادق من داخل زروب البيوت من كل جانب فولت الخيل الأدبار بعد أن بلغت خسارتها عشرين قتيلا وعشرين أسيراً .

الوســـاطة :

عظمت الخســائـر على أهل الدهنا فتقدم بعض أهل (الملحا) في السعي والوساطة بينهم وبين خصومهم وانتهى المسعى إلى إلزام أهل (المحلة) بالتحول عن قريتهم إلى الملحا وغيرها من القرى ليتقدم أهل (الدهنا) بتحريق (المحلة) ليكون بذلك سداً للفتنة ورتقاً للفتق ورضي أهل المحلة بذلك وتحولوا عن قريتهم .

١ - قسم تحول إلى قرية الملحا .

٢ - قسم تحول إلى البادية .

تقدم أهل الدهنا لتنفيذ عملية تحريق (المحلة) واكتظ أهل القرى للنهب وفي أثنـاء ذلـك وقـع اعتـداء على (امـرأة) من أهـل المحلة فاستصـرخت بأهـل (الملحـا) فهبـوا لنجـدتهـا والتحم القتـال بينهم وبين أهـل (الدهنا) فسارع (المحليون) إلى القتال في صفوف أهل (الملحا) ولذلك كثر عددهم وقويت

شوكتهم ودارت الدائرة على أهل (الدهنا) وانهزم جمعهم وكانت المصيبة عليهم أكبر بقتل رئيسهم في قلب المعركة .

في عام ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م توجه اثنان من رؤساء أهل الدهنا إلى الحجاز مستنجدين ببعض قبائله على أهالي الملحا فلم يسعفهم الحظ ببغيتهم وفي عودتهم عرجوا على قبيلة (بني شعبة) ورجوهم مساعدتهم فقبل بنو شعبة رجاءهم وساروا معهم وعسكروا في قرية السلامة .

تحـرك عـامل صبيـا :

علم عامل صبيا بتحرك بني شعبة ، مع أهل الدُّهنا فسارع بالتوجه إلى البيض للاستنجاد بأمير المقاطعة أخيه الأمير يحيي بن محمد فأمده بما لديه من جنود وتقدم بهم لصد غارة بني شعبة وحلفائهم أهل الدهنا وعندما شعر الشعبيون وحلفاؤهم بدنوه انسحبوا ووالى هو تقدمه إلى أن عسكر في قرية (السلامة) ووجه كتاباً بإحالة قضية أهل الدهنا وخصومهم إلى الشرع وإن ما قضاه بينهما الشرع أمضاه فلم يوافقوا ورحل من بقي من النعامية في قريتي (ناعس) و(الدهنا) إلى الشام بأطفالهم وحرمهم فأصبحت القريتان خاليتين فأذن الأمير ناصر بن محمد أو تغاضى عن أهل الملحا والمحلة فقاموا بإحراق القريتين وبعد أيام عقد الأمير ناصر حلفاً بين أهالي قرى المخلاف الشامي للتكتل والدفاع ضد الشعبيين وحلفائهم وعاد إلى صبيا .

وبرجوعه اغتنم الشعبيون وحلفاؤهم الفرصة وفي يوم الأحد الموافق ربيع الأول ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م هاجموا قرية الملحا فخرج أهلها ومعهم أهل (المحلة) وصبيا لصد المهاجمين فهزموا وقتل من أهل صبيا ثمانية عشر شخصاً ومن أهل الملحا اثنين ومن « الجاره » واحد وأحرق المهاجمون قرى الملحا والجاره و« العشة » .

كان الأمير ناصر بن محمد غائباً في قرية (البيض) فوصل مسرعاً على رأس قوته وعندما وصل إلى قرية «العدايا» قابله رسل أهل قرية السلامة طالبين الأمان ومعلنين براءتهم من بني شعبة وحلفائهم أهل « الدهنا » الذين سارعوا إلى الرجوع والعودة إلى الدرب .

الرئيس علي بن مطاعن الخـــواجي :

أشرنا في حوادث عام ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م إلى خروج الأمير أحمد بن محمد إلى وادي ضمد وعزمه على النهوض إلى « صبيا » لاستباحة أموال أهلها وأن أخاه ناصر بن محمد عامل صبيا لم يوافقه على خطته وأن الأمير استدعى علي بن مطاعن الخـواجي ، ووعـده بأن يسند إليه عمالة صبيا ولم يثنه عن تنفيذ عزمه إلا توارد الأخبار بنزول (المكرمي) وتعاقبت الحوادث بعد ذلك ضد سياسة الأمير أحمد وظل علي بن مطاعن يتطلع إلى عمالة صبيا بكرة وعشيا .

ثـورة أهـل صبيـا ضـد عاملهم :

في شهر رمضان ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م تزعزع مركز آل خيرات وتقلص نفوذهم وكثـر الخـلاف بينهم على مركـز الإمـارة فاغتنم تلك الفرصة (علي بن مطاعن الخـواجي) وراح يؤلب أهل صبيا ضد عاملهم وكنتيجة لذلك اجتمع أهل صبيا وأقاموا عليهم أحد الخواجيين ثم توجه جماعة منهم إلى أبي عريش لتوحيد حركة المقاومة ـ كما سبق توضيحه ـ وتم فعلا الاتفاق بين أهل المدينتين وأن تكون عمالة صبيا إلى الخـواجيين وبـذلك قوي عزم أهل صبيا على منع عاملهم من مباشرة سلطته ـ وكان من مظاهر الإمارة ضرب التمسية وهي قرع الطبل بعد صلاة العشاء إيذاناً بمنع الخروج وعلى أثرها يخرج الدورية أو حرس الأمن ومن وجد عدت عليه مخالفة وقبض عليه ، فقام أهل صبيا بإبطالها ؛ وكان ناصر بن محمد من أحسن آل خيرات سيرة كما تشهد كتب التاريخ ، فاضطر إزاء ذلك التحدي والمقاومة السافرة إلى إعـلان الحرب على أهل صبيا من قصر الإمارة في يوم عيد الفطر ، وأطلق الرصاص فارتاع أهل المدينة وطلبوا منه إيقاف إطلاق النار ، فعلم الأمير أحمد بموقف أهل صبيا من أخيه فسار على رأس قوته إلى صبيا وبعد مناوشات انهزم أهل المدينة وأباحها الأمير لجنوده وأحرق بعضها وقام عاملها ناصر بن محمد بإخراب بعض المعاقل التي يخشى تحصن أهل صبيا بها في المستقبل ثم توسط في كف النهب وعدم إحراق المدينة .

بعـد ذلـك الحادث شعر علي بن مطاعن بفشل خطته فخرج من مدينة صبيا

إلى موضع « المسيال » واستمال جماعة من أهل المخلاف لمساكنته واتخذ من ذلك الموقع وكراً للمقاومة ضد عامل المدينة .

ومن وكره الجديد قام في تدبير مؤامرة تتلخص في :

١ - أن يتجه من وكره إلى قرية الحسيني برفقة جماعة من الفدائيين - لأن وكره تحت مراقبة عيون العامل - وقد خرج موريا لقضاء بعض لوازمه وتسلل رفاقه ليلة التنفيذ منفردين .

٢ - يقوم بعض قرابته في صبيا بدعوة العامل للقهوة ليلا .

٣ - في تلك الساعة - بالطبع يكون قصر الإمارة - تقريباً خالياً من الحرس لاستصحاب العامل لأكثرهم لا سيما وهو قاصد إلى دار قوم لا يأمن جانبهم .

٤ - يتقدم علي بن مطاعن على رأس جماعته بهجوم خاطف فيستولى على القصر .

سارت الأمور طبقاً للخطة المرسومة وفي ليلة التنفيذ استدعي العامل لتناول القهوة وأجاب الدعوة بيد أن حركة علي بن مطاعن السرية وتجمع رجاله في قرية الحسيني فسرت في تلك الليلة في صبيا بأن جماعة من البدو يتجمعون قرب الحسيني لنهب المدينة فاحتاط أهلها وأعدوا جماعة من شبابهم للمرابطة بين صلهبه وصبيا ، وفي أثناء ذلك والعامل في بيوت الخواجيين تقدم علي بن مطاعن على رأس جماعته فأطلق المرابطون عليهم النار وأصيب من أصيب وفر الباقون وبقدر ما صاح علي بن مطاعن معرفا المرابطين بنفسه لم يجد في كف إطلاق النار وسمع أهل المدينة إطلاق النار فهبوا ثائرين وتعالت الضجة والجلبة إلى أن طرقت مسامع الأمير فخرج على رأس حرسه وقد شاع الخبر بأن علي بن مطاعن قتل فخرج الخواجيون إلى صلهبة فوجدوا علي بن مطاعن سليما ، ودخلوا به إلى بيته الذي في المدينة وكاد الخبر أن يتوارى ويقف عند هذا الحد ولكن في الصباح اتصل بعلم العامل أن دعوة الخواجية له ما هي إلا شرك لتنفيذ خطة المؤامرة .

وسرعان ما بلغ الغيظ والغضب بالعامل إلى الكتابة إلى أخيه الأمير أحمد وسائر إخوانه وقومه شارحاً لهم خطورة ما كاد أن يحيط به طالباً منهم المسارعة بالحضور ، وعلم ابن مطاعن ففر وأقبل آل خيرات وهدموا دار بن مطاعن وانتهكوا حرماته وكشفوا عوراته وأخرج العامل جميع الخواجيين من صبيا وحرض أهل صبيا على مقاطعتهم والإجماع على عداوتهم فتفرق الخواجيون في قرى بيش ، ثم بعد ذلك صدر أمر الأمير أحمد على أخيه بالسماح لهم بالعودة إلى صبيا .

أما علي بن مطاعن فإنه أخذ يشن الغارات على صبيا أياماً ثم ارتحل بعدها إلى جهة وداعة في الجبال ولم يعد إلى صبيا ، وقد تقلبت به الأحوال إلى أن أدركته الوفاة في بلاد « الجرابح » في أعلا « الضحي » عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٨ م .

الفصل الحادي عشر

السعوديون والدعوة الإصلاحية
في المخلاف السليماني وتهامة واليمن

أشرنا فيما سبق إلى إمارة الأمير يحيى بن محمد الخيراتي ، إلى عام ١٢٠٤ هـ/ ١٧٨٩ م ونقول هكذا ظلت إمارة المخلاف في تجاذب بين هذا الأمير وإخوانه ، فتارة يجتمع رأيهم على تولي أحدهم وأخرى يختلفون ، وهم بين اختلاف ونزاع وقتال ، قاسى أهل المخلاف من جرائه أشد الأهوال حتى اجتمع رأي كبار تلك الأسرة على تولي الأمير علي بن حيدر بن محمد الخيراتي .

الحالة العامة في المخلاف السليماني :

نحن في عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م وأمير المخلاف الأمير علي بن حيدر ، والحال في المخلاف بوجه عام في موجة من الفوضى والاضطراب والأمراء الخيرات قد أنهكت قواهم الإختلافات والمنازعات العائلية على الإمارة والشعب يلتمس الخلاص وهو في ديجور من الحيرة ، وعامل صبيا ناصر بن محمد الخيراتي ـ على حصافة رأيه وبعد نظره مسلوب الحول لتعطل الجهاز الإداري العام ـ ولا يعدو دوره في صبيا ، مع وجود المنافسة القوية له من الخواجيين ، دور المداراة ومقاربة الأمور ، وقد أدركته الشيخوخة فتنحى عن مركزه لابنه الشاب الأمير منصور بن ناصر ، وراح من بعد يشرف على توجيهه ويمحضه اختباراته وتجاربه ، ونفس الخيرات ، ينفسون على قريبهم هذا تفرده واستقراره في إمارة مهما بلغ ضيق نطاقها لأنها ـ في نظرهم ـ خير من لا شيء .

أما مخلاف صبيا فمنازعات أهل المحلة وأهل الدهنا ، قد أحالته إلى جحيم وقبائل بني شعبة الذين امتهنوا الغزو والغارات وقتاً ليس بالقصير ، فصبرت

القبائل المجاورة مدة ـ وهي تحت وطأة آل خيرات الذين أماتوا فيهم روح المقاومة ـ ولما لم يجد الصبر استفاقت من غشيتها وهبت للدفاع عن النفس حتى إذا تمكنت من الدفاع أخذت بدورها في التحفز للغزو مما جعل حركات بني شعبة ـ التي كانت سهلة في أول الأمر ـ محفوفة بالخطورة والغرم ، لذلك سأم الشعبيون مهنة الغارات والغزو ، وراحوا يتطلعون إلى مستقبل يفضي بهم إلى الأمن والخير .

أضف إلى ذلك قبيلة يام الذين اتخذوا من اجتياح المخلاف وقتاً بعد آخر ، يساعدهم أويسهل مهمتهم احتياج آل خيرات إلى مساعدتهم الحربية في توطيد مركز إمارتهم وتدعيم نفوذهم ومكانتهم ، والياميون يقومون بأدوار من البربرية والسلب والقتل وفرض غرامات يباشر استحصالها ـ في بعض الأدوار ـ أحد الأمراء الخيراتيين أنفسهم كما وقع في الغرامات المفروضة على أهل صبيا وعلى أهل أبي عريش وغيرهم .

وفوق كل ذلك فقد شجع سطو يام القبائل الأخرى التي يحتاج إلى عونهم الحربي آل خيرات ، كسنحان وقحطان ووداعة على التسلط وابتزاز خيرات المخلاف فأصبح والحالة هذه يتطلع إلى بارقة أمل تنير سبيله المظلم .

أثناء ذلك كانت أشعة الدعوة الإصلاحية السلفية قد تسللت بوهج أضوائها علي سماء عسير الحالكة في الجهالة ، بيد أن غلظة وصفاقة تلك الجهالة كانت بحيث تحتم الضرورة الإصلاحية إحداث صدوع في سجوف غياهبها المترادفة لتتسرب أشعة النور متدفقة بقوة ، وعملية البتر في جسم الفرد أو المجموع قد تكون ضرورية تستدعيها سنن البقاء ودساتير الحياة .

كلمة عن الدعوة الإصلاحية :

قد يتهمنا البعض بالمبالغة عما أوردناه من أثر هذه الدعوة وما يترتب عليها من بعث الروح الإسلامية واليقظة القومية ، فنكتفي بالرد على ذلك بابراز بعض ما كتبه أساطين العلم في العالم الغربي .

جاء في كتاب « حاضر العالم الإسلامي » تأليف « لوثروب ستودارد

الأمريكي » في الفصل الأول بعنوان « اليقظة الإسلامية في القرن الثامن عشر » ما نصه :

كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدلي والانحطاط أعمق دركه فاربدَّ جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرق الإسلام في اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم والفضيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، إلى أن قال :

وأما « الدين » فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبون في حج القبور ، قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل « القرآن » فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت الحرمات على غير حشمة ولا استحياء ، ونال « مكة المكرمة » و « المدينة » المنورة ، ما نال غيرهما في سائر مدن الإسلام ، فصار « الحج » المقدس ضرباً من المستهزئات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان دهي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان .

وفيما الإسلام مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته إذا بصوت قد بدا يدوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور (محمد بن عبد الوهاب) الذي أشعل نار الدعوة فاشتعلت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ،

ثم أخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد فتبدت تباشير الإصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في العالم الإسلامي .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد حوالي سنة ١١١٢ هـ/ ١٧٠٠ م ، وكانت نجد في ذلك العصر ـ على انحطاط الإسلام وتدليه ـ أنقى البلدان إسلاماً ، وقد عرفنا فيما سلف من الكلام كيف كانت تنقل الخلافة من دور الشورى إلى دور الاستبداد الشرقي ، وأخذ على أثر ذلك العرب الأحرار أباة الضيم يعودون أدراجهم إلى الصحراء حيث يتمتعون بحريتهم في حريز بلادهم وموطنهم ، وصدوا عنها كل حامل عليهم فلا خليفة ولا سلطان غرر بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحاري الرملية المحرقة والتوغل في فيافيها المهلكة حيث الموت الكريه كامن على الدوام لكل طامع غريب دخيل ، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم بل دأبهم دواماً الحل والترحال وارتياد المنتجعات في مختلف الواحات في قلب الصحراء ، وفي هذا الحصن المنيع استطاع العرب منذ القديم الاحتفاظ بنقاء نبلهم العربي لا يشوبه شائبة ورابطتهم السياسية لا تنفخ في بنيانها ريح ، أما البدو الرحل فالزعامة فيهم لشيوخهم الذين يتولون القيام على أحكامهم وتدبير شؤونهم ، وأما الحضر في الواحات فالزعامة لشيوخ الأسر العليا منزلة ومكانة ، بيد أن مبلغ ما في يد هؤلاء الشيوخ في السلطة والطاعة إنما هي صورة واهنة لا تقوى على الدوام على الوقوف في وجه تيار العادات القومية المعروفة ، وجل ما استطاع « الترك » إخضاعه في بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر ، أما « نجد » البلاد الداخلية ، فقد ظلت حرة مستقلة ، وما برح عرب الصحراء فيها يغالون في الاحتفاظ بما تحدر إليهم من آبائهم وأجدادهم من فضائل الدين ووحدة السياسة وعروة الجامعة .

هكذا كانت حالة « نجد » لما ولد فيها ابن عبد الوهاب ، وإذا كان منذ نشأته شديد الميل إلى الإطلاع والفقه في الدين سرعان ما اشتهر ذكره وذاع اسمه فعرف بعلم وافر ، قوام على التقوى ، فحج في أول عمره وطلب

العلم في المدينة المنورة ، وساح إلى كثير من البلاد المجاورة حتى فارس ، ثم عاد إلى نجد مشتعلا غضبا دينيا لما يراه بأم عَينه من سوء الحالة الإسلامية فصحت عزيمته على القيام بدعوة الإصلاح ، قضى سنين عديدة راحلا من بلاد إلى بلاد في شبه الجزيرة فبشر بالدعوة موقظا النفوس حتى استطاع بعد جهاد طويل أن يجعل محمد بن سعود وهو أكبر أمراء نجد وأعلى زعمائها كعبا وشأنا يقبل الدعوة ، ويدخل فيها فاكتسب ابن عبد الوهاب بذلك مكانة أدبية عالية ومنزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يستهان بها ، فاستفاد من ذلك استفادة جليلة قد مكنته بلوغ غايته فكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التي أنشأها صاحب الرسالة ، وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبد الوهاب ليشبه شبها كبيراً ذلك النهج الذي نهجه الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر ، ولما مات سنة ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٧ م خلفه ابن سعود ، فكان خير خليفة للمصلح الإسلامي الكبير ، واقتفى الوهابيون آثار خلافة الراشدين وعلى ما كان في يد ابن سعود من القوى الحربية العظيمة ، فإن ذلك ما كان ليعرضه أن يكون على الدوام نازلا على رأي الجماعة ودستورها فلم يمتهن حرية أتباعه وبني قومه . وكانت حكومته على عنفها مكينة عادلة فانقطع التعدي وأمن الناس السرقات وانتشر الأمن وسادت الطمأنينة والراحة وعكف على العلم والتهذيب ، وكان في كل واحة مدرسة وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين .

وجاء في كتاب « العقيدة والشريعة في الإسلام » للمستشرق « أجناس جولد تسيهر » ترجمة الدكتور حسين عبد القادر مدير المركز الثقافي بلندن ورفيقه ص ٢٣٧ ما نصه :

من أهم الحركات الدينية الحربية التي قامت بها الأمة العربية تلك التي أثارها في الأزمنة الحديثة في أوسط بلاد العرب محمد بن عبد الوهاب المتوفي ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية، وقد أقبل عليها بشغف زائد أثار في مواطنيه حركة دينية وسرعان ما عظم أثرها وكثر أشياعها وأنصارها ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب إلى خوض غمار القتال فأحرزت

عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها حتى تجاوزت شبه الجزيرة إلى بلاد العراق .

وقد أفضت هذه الحركة إلى تأسيس دولة لا تزال مع ما مر عليها من التقلبات الكثيرة والمنافسات والمنازعات الداخلية التي أضعفتها قائمة في أوسط بلاد العرب وتعد عاملا ذا أثر قوي في سياسة شبه الجزيرة ـ إلى أن قال :

والحركة الوهابية ، هي التحقيق العملي لانتقادات ابن تيمية واحتجاجاته الحنبلية على البدع المخالفة للسنة التي أقرها الإجماع ، وعلى الصيغ التي تقررت خلال التطور التاريخي الإسلامي ، وعلى البدع المستحدثة في الحياة اليومية .

إلى أن قال : وقد أتي الوهابيون هذه الأعمال كلها باسم السنة والعمل على إحيائها وإعادتها وهم في جهادهم هذا متمثلون بالسلف الصالح ، على أنه فيما يتعلق بقبر النبي نرى أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي قد سبقهم في هذا المضمار فقد عمل استمساكاً بالسنة على توجيه قبر النبي عندما أمر بعمارته وجهة غير الوجهة الأصلية للقبلة خوفاً من أن يجعل الناس في هذا الأثر موضعاً للعبادة ، وهذا ما أراد منعه عندما جعل اتجاه موضع الضريح مخالفاً الاتجاهات المتبعة في المساجد ، انتهى .

وجاء في كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية » تأليف (كارل بروكلمان) تحت عنوان « الحركة الوهابية » : لم يحالف التوفيق محمد علي ـ والي مصر ـ في شبه الجزيرة العربية بقدر ما حالفه في مصر وسوريا ، فهناك اصطدم سلطانه بحركة انبعاث وطنية كبرى ، وتفصيل ذلك أنه ولد في نجد قلب الجزيرة العربية ، محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم فنشأ محبا للعلم واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة .

إلى أن قال : فلما آب إلى بلده سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلامية صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق ، وفي سنة ١٨٤٠ التجأ

إلى محمد بن سعود ، وهناك لقي حفاوة وترحيباً حتى إذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصارا ومريدين ، ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره ـ وكان قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليداً للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأخرى ـ راميا بالشرك أولئك المسلمين الذين يشاركون في التقديس أو الذين يقضي القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم أو يبادوا ، وأخذ محمد وأتباعه بأداء صلاة الجماعة في صرامة إلخ .

وقال المستشرق السويسري (بركهات) : (ما الوهابية إذا جئنا نصفها غير الإسلام في طهارته الأولى) .

وهي شهادة قوم من علماء الغرب الأجانب اتصفوا بالنزاهة والأمانة التاريخية بعيدين عن الأغراض والتمييز المذهبي .

أما في الشرق العربي فبالرغم عن الدعايات المغرضة ، فقد أنصفه غير واحد ومنهم العلامة الجليل محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني الذي كتب إليه قصيدة طويلة منها :

سلام ، على نجد ومن حل في نجد	وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد الربع في السرى	ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها	به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد	فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي

عسير :

وقد تقدمت السرية الأولى من السعوديين إلى عسير ، فكانت النتيجة الحتمية دخولها في الطاعة وجعلها قاعدة النفوذ لنشر الدعوة (السلفية) الوهابية في جنوب الجزيرة العربية ، ومن عسير تسربت إلى قبائل بني شعبة ثم إلى المخلاف كما سيمر بك مفصلا .

فقبلها أهل المخلاف ـ كما سيأتي موضحاً ـ ورأوا في الاستجابة لتقبلها إذكاءاً للروح الإسلامية وإحياءاً لمعالم الشريعة السمحة وتحقيقاً عملياً للعدل

والمساواة ورفع الحواجز الإجتماعية والفروق الطبقية ـ التي تسربت قبل هذا العهد بنحو قرن ـ وهم عرب صميميون من أبرز صفاتهم الشمم والإباء والحرص على تمشي روح المساواة بين أفراد المجتمع .

الداعية الأول أحمد بن حسين الفلقي :

هو من أهل صبيا بهره نجاح الدعوة الوهابية واستهوته أخبار توفيقها في قبائل عسير وبني شعبة ، وقارن بين ما سمع وما يراه من حالة أهل المخلاف ، وما يسود أرجاءه من الاضطرابات والفتن ، فخف مهاجراً إلى الدرعية ليتلقي الدعوة من منبعها الصافي وموئلها العتيد .

وبعد وصوله إلى الدرعية وتحصيله مبادئها اتصل بالإمام عبد العزيز بن سعود ، ورجاه انتدابه لنشر الدعوة في المخلاف السليماني ، فاستجاب له وأرفقه بالكتاب الآتي :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني خصوصاً الأمراء أبناء محمد بن أحمد وحمود وناصر ويحيى وسائر إخوانهم وآل النعمي وكافة أهل تهامة وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق وجنبنا وإياهم طريق الشرك والغواية ، أما بعد فالموجب لهذه الرسالة أن أحمد بن حسين الفلقي قدم إلينا فرأي ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك فالتمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه .

فاعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ على فترة من الرسل بالدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكده ، وزبدته إخلاص العبادة لله تعالى لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الخلق لأجله ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ ، وإخلاص الدين هو إخلاص العبادة لله تعالى وصرف جميع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وذلك بأن لا يدعي إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يذبح إلا لله ولا يخشى إلا الله ولا يرجى سواه ولا يرهب ولا يرغب

إلا فيما لديه ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه وأن كل ما كان لله تعالى لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبي مرسل وهذا بعينه توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم دون الكافر وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

فلما مَنَّ الله علينا بمعرفة ذلك وعلمنا أنه دين الرسل اتبعناه ودعونا الناس إليه وإلا فنحن كنا قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب المحرمات وترك الصلوات وترك شعائر الإسلام حتى أظهر الله الحق بعد خفائه وأحيا أثره بعد اندثاره على يد الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) أحسن الله له في آخرته المآب ، فأبرز لنا جهة الحق ووجهة الصواب من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فبين لنا أن الذي نحن عليه وهو دين غالب الناس من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب إليهم والنذر لهم والاستعانة بهم في الشدائد وطلب الحاجات منهم أنه الشرك الأكبر الذي نهي الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ . وقال تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ .

فحين كشف الله لنا الإسلام وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله وكلام أئمته الأعلام الذين أجمعت الأمة على روايتهم عرفنا ما نحن عليه وما كنا ندين به أولا أنه الشرك الأكبر الذي نهي الله عنه وحذر ، وأن الله أول ما أمرنا به أن ندعوه وحده وذلك كما قال تعالى : ﴿ وأَنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ . وقال تعالى : ﴿ومن أظلم ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب

له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ ، إذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله أن الدين الذي ندين لله تعالى به هو إخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك وإقامة الصلاة جماعة وغير ذلك من أركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا يخفي على ذوي البصائر والأفهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فمن قبل هذا ولزم العمل فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظ الإسلام ومن أبي غير ذلك واستكبر فلن يقبل منه قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .

وقصدنا بهذه النصيحة إليكم والقيام بالواجب ، قال الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ وصلى الله على محمد ، والسلام .

وصل الفلقي بالكتاب ، وكان يحمل معه مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعد ذلك استوطن أسفل وادي بيش عند قبائل الجعافرة ، وقام بالوعظ والإرشاد فالتف الناس حوله واجتمعت القلوب عليه وفشت الدعوة بين المجاورين لتلك القبيلة .

كان الفلقي يقوم بدور المعلم والمرشد والزعيم الديني فيرسل الدعاة ويفصل في القضايا ، وسرعان ما سرت دعوته إلى كثير من قرى المخلاف واجتمعت القلوب بعد الفرقة فأنس القوم من نفوسهم قوة ومن الدعوة سنداً ومن الوازع الديني سلطاناً فأجمع رأيهم على التخلص من سلطة أمير صبيا الذي سلطته اسمية بالنسبة إلى قرى الجهة الشمالية من المخلاف ـ وقد مر بك في حادث قريتي المحلة والدهنا الدليل الكافي على عدم وجود القوى الفعلية أو السلطان النافذ لتلك الإمارة وأصبح القوم يرون أن لا سلطان عليهم لمن لم يعتنق الدعوة بل يرون واجب الخروج عن طاعة من خالفها وأخذ أهل صبيا أنفسهم يتصلون بالفلقي

ويعربون له عن رغبتهم في الاستجابة للدخول في الدعوة لولا خوفهم من أميرهم ناصر بن منصور الذي يرتبط إدارياً بسلطة ابن عمه علي بن حيدر أمير المخلاف العام .

شعر أمير صبيا بالخطر يزحف نحو منطقته في تؤدة وثبات فسارع إلى الاتصال والاستنجاد بمرجعه فورده الرد بالتريث ، وفي تلك الأثناء حان وقت خروج خراص المزارع فبعث أمير المخلاف العام الخواص إلى الجعافرة فمنعوهم عن مباشرة الخرص ، فعادوا أدراجهم ، عند ذلك تأكد للأمير مخالفتهم فتحفز لغزوهم .

التجهـــــيز :

جمع الأمير ابن حيدر جموعه من يام وغيرهم وكتب إلى عمه حمود بن محمد الذي كان متغيباً في مزارعه بوادي تعشر يحثه على الإسراع للإشتراك في الحملة وكان لديه عدد من الخيل ، فوصل على أهبة الاستعداد على رأس مقنبه ومن أبي عريش سارت الحملة إلى غربي وادي صبيا وعسكرت بموضع يسمى « الحجرين » وهناك قابلهم أمير ضبيا على رأس من استعد بهم للاشتراك في الحملة .

شعر الجعافرة بهذا الغزو الذي يهدد كيانهم ويقضي على الدعوة التي تشربوا مبـادئهـا ، فصممـوا على الـدفـاع ، وأقبـل أهل الجهة الشمالية من المخلاف لمساعدتهم وبعد أن تم تجمعهم في قرية « الجارة » نهضوا إلى قرية « البطيح » ، ومنها تقدموا لمهاجمة الحملة العسكرية في الحجرين .

المعـــــركة :

بالـطبـع انـه لم يكن لدى الجعـافرة وحلفائهم الاستعداد الكافي لصد القوة المهـاجمـة والتي يقودها أمير المخلاف السليماني العام نفسه والتي هي على كامل الأهبـة والاستعـداد لمعركة يترتب على نتيجتها بقاء سلطته ونفوذه ، وقد اشترك في تلك الحملة كافـة آل خيرات بخيلهم وأتبـاعهم لعلمهم أنهـا معـركة الحياة

أو الموت بالنسبة إلى نفوذهم العائلي وسلطتهم المحلية ، لذلك فالنتيجة معروفة من المقدمة ، فقد انتهت المعركة بهزيمة الجعافرة وحلفائهم .

وبعد انتهاء المعركة عاد الأمير إلى معسكره بالحجرين ظافراً وأقام به زهاء شهر حتى اطمأن إلى استقرار الأحوال ثم انصرف عائداً إلى أبي عريش .

الخلاف بين الأمير علي بن حيدر وعمه حمود بن محمد :

لم تمض إلا أيام قلائل على عودة الأمير حتى نشب الخلاف بينه وبين عمه حمود بن محمد على الإمارة ، وتطور الخلاف إلى قتال استمر نحو ثمانية أشهر .

عــرار بن شـــار الشعبي :

قد مر بالقاريء الكريم في ثنايا الصفحات الماضية الكثير من حوادث وأخبار قبيلة بني شعبة واتخاذها الغارات والسطو مرتزقاً فشبت أجيال منهم على الغزو وروح الفروسية والكفاح وقد أصابت وأصيبت من جراء ذلك بما يصاب ويتعرض له أمثالها من الغـرم والغنم ، وكـانت روح الفـروسية والنزعة الحربية المشبوبة في أفرادها بالـطبع لا تهدف إلى سلطان أو غاية سامية من مذهب ديني أو مبدأ سياسي مما يرتقي بتلك الـروح إلى ما يصبـو إليه أصحـاب المبـاديء القـويمـة أو الغـايات السامية ، ومن البديهي أن مثل تلك الروح مهما تأججت جذوتها واشتدت قوى نزعتهـا تحـور إلى الخمـود والتلاشي ، لهذا قابلت القبائل الأخرى تلك النزعة العدائية بمثلها حتى أصبحت مهمة الأولى تحفها الصعوبة والمخاطر فجنحت إلى تلمس سبل الخلاص وأخذ نفر من أفرادها يفكر في منهج وغاية تصرف إليها قوة طاقتها الكفاحية ونزعتها الحربية .

وفي تلك الأثنـاء كانت تبـاشير الـدعـوة الـوهابية قد سرت تياراتها إلى قبائل شهـران ، وامتـد نفـوذها إلى عسير فدفعت بعرار بن شار بصيرته النفاذة وروحه المتعـطشـة إلى اليقين أو السيادة إلى اعتنـاق الـدعوة ـ وبالطبع أنه علم بهجرة الكثير ممن نالـوا التـوفيق والحـظوة كآل المتحمي وغيرهم ـ لذلـك اتصل بأمير بيشـة وعـاهـده على اعتناق الدعوة والقيام على بثها في قبائل بني شعبة وانتهى ذلـك الاتصـال بعـودتـه إلى قومه داعية من دعاة الدعوة الوهابية ، فأطاعه ذووه

الأدنون والبعض من قبائله ووقف الآخرون ضد ما يدعو إليه فتوقف ورفع بالواقع فوصله الأمر بالانتظار ، وصدرت أوامر الدرعية إلى حزام بن عامر العجماني بالتحرك إلى الجنوب على رأس مائة فارس وخمسمائة « ذلول » .

وصلت سرية حزام إلى درب بني شعبة فالتقاها عرار وسار بهم إلى المتخلفين فصبحهم واستولى على دورهم وأرغمهم على الدخول في الطاعة وبذلك استوثق له الأمر وأصبح الزعيم المطاع وشملت منطقة نفوذه بلاد آل موسى وأهل قنا وبني زيد وغيرهم من أهل سافلة الحجاز إلى الشقيق وعتود .

تقدم حزام إلى المخلاف :

وفي الدرب وافاه الداعية الثاني (أحمد بن حسين الفلقي) وصحبه إلى المخلاف وفي « خَبْتِ السَّيِّد » ، اشتبكت السرية في قتال مع أهل الخبت فهزمتهم ووالت تقدمها .

السرية السعودية في المخلاف :

هرع سكان المخلاف إلى أمير صبيا منصور بن ناصر يطلبون منه مصالحة حزام ابن عامر تجنباً لإراقة الدماء وصوناً للحرمات فجمع الأمير كافة أعيان المنطقة وأخذ معهم في استعراض الموقف والتشاور في الأمر ، وفي أثناء اجتماعهم وصل الفلقي يحمل إنذاراً من حزام فاجمع رأي المؤتمرين إلى إرسال وفد إلى الأمير العام للمخلاف السليماني لعرض الإنذار وتلقى أمره النهائي حيال الموقف ، وفي أبي عريش تقرر أن يرسل من يمثل جهات المخلاف ليقابل حزاماً وفعلا تألف الوفد من :

١ ـ الأمير يحيي بن محمد الخيراتي عن منطقة أبي عريش .

٢ ـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله الضمدي عن منطقة ضمد .

٣ ـ الأمير منصور بن ناصر بن محمد عن منطقة صبيا .

وصل الوفد إلى معسكر حزام في الحجرين ، وبعد المقابلة تم الاتفاق بينه

وبينهم على الدخول في الطاعة وأعطوه العهد والبيعة للإمام عبد العزيز بن سعود فأنابهم على جهاتهم كالآتي :

١ - يقوم الأمير يحيي بالإمارة والدعوة في منطقة أبي عريش .

٢ - يقـوم الأمير منصور بالإمارة والدعوة في منطقة صبيا ، عدا منطقة بيش والجعافرة التي داعيتها الفلقي .

٣ - يكون شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله مرجعاً لكليهما في الأمور الدينية .

وبذلك اعتبر حزام أن مهمته انتهت فقوض خيامه عائداً إلى نجد .

الاتفاق بين الأميرين علي بن حيدر وحمود بن محمد :

بعد رحيل حزام لم تستقر الأمور لأن المنازعة بين الأميرين استؤنفت على أشد مما كانت وأخيراً تنازل على بن حيدر لعمه عن الإمارة ، ورفع بتنازل الأول وتولية حمود إلى إمام صنعاء فوردت الموافقة .

إمـــارة الشـــريف حمــود بـن محمــد

تولى الإمارة كما مربك آنفاً ـ على أثر الصلح الذي تم بتنازل ابن أخيه علي بن حيدر ـ وكان الوضع السياسي في المخلاف السليماني كالآتي :

١ ـ من وادي ضمد وجنوباً تحت سلطة حمود .
٢ ـ وادي صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر .
٣ ـ من صبيا شمـالا وغـربا إلى بيش تحت سلطة أحمد بن حسين الفلقي ما عدا قرية الملحا فإنها عائدة لصبيا .
٤ ـ من بيش شمالا إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار .

أول ســرية يبعثهــا الأمــير حمــود :

استصـرخ أهل (الملحا) حمودا على الفلقي الذي اتفق مع عرار على غزو قريتهم فبعث سرية بقيادة ابن أخيه يحيي بن علي ووزيره حسن بن خالد الحازمي فتقدمت السرية إلى أن شارفت مدينة صبيا وطلبت من أميرها (منصور) الاشتراك في القتـال فاعتذر فوالت سيرها حتى عسكرت في قرية السلامة السفلى فتحرك الفلقي ـ الذي كان يقوم بنشاط تجمعه في قرية (أم الخشب) ـ لمقابلتهم وعسكر في موضـع يسمى (مشرف) غربي (قرية السلامة العليا) ونشب القتال فانهزم الفلقي متقهقراً إلى « أم الخشب » .

حــركة عــرار بن شـــار :

علم « عرار » بهـزيمة الفلقي فسارع على رأس جموعه نحوه ، وهنا سنحت الفرصة لأمير صبيا ـ الذي كان على غير وفاق مع عمه حمود ـ فتظاهر بالرغبة فى إنقاذ الموقف فكتب إلى كل من عرار وقائده حمود يرجوهما التوقف عن القتال حتى يصل إليها لتسوية الموقف ، فاستجابوا لرجائه .

وفي يوم ١٥ ذي القعـدة عام ١٨٠١/١٢١٦م خرج منصور من صبيا في زهاء ألف مقاتل وضرب خيامه بين المعسكرين وقام بالاتصالات والتوسط بين الفريقين

حتى تمكن من عقد هدنة بينهما تقضي برجوع كل فريق إلى جهته ، وعملا بمقتضاها ، عادت سرية حمود إلى أبي عريش .

أما عرار فبدلا من أن يعود إلى الدرب تقدم على رأس كوكبة من فرسانه واحتل حصن السلامة السفلي وهناك اجتمع به منصور بن ناصر وتم بينهما في هذا الاجتماع العهود والمواثيق وتقبل الأخير الدعوة الوهابية والبيعة السعودية وتعهد بأن يقوم بالدعوة لها في المجاورين لمنطقته وعلى أثر ذلك عاد كل منهما إلى جهته .

الأمير منصور بن ناصر :

عاد إلى صبيا بعد اجتماعه بعرار معلنا انضمامه إلى الإمام عبد العزيز بن سعود ونادى بمنع تعاطي التبغ وكان قبل ذلك من أكبر متعاطيه فصمم على تركه وقال : قبيح بنا أن نؤدب الناس على تعاطي التبغ ونحن نتعاطاه .

الخلاف بين الأمير منصور وعمه الأمير حمود :

علم حمود أبو مسمار بموقف ابن أخيه فثارت ثائرته وعزم على مبادأته القتال فأشار عليه إخوانه بالتريث ، قائلين له : إنه ابن أخيك ، فعليك أولا بقتال الفلقي وعرار فإن تم لك التغلب عليهما فنحن نضمن لك طاعته .

استعداد منصور :

اتصلت الأنباء بمنصور فأخذ في الاستعداد والأهبة وأجرى القِلْمَة على أهل منطقته أي عملية احصاء حملة السلاح فبلغ عددهم ثلاثة آلاف محارب واستدعي أهل الخيل فاجتمع له ما يريد فأمر بالتعبئة وانتظر على قدم الاستعداد وكتب لحليفه عرار مستنجداً فتحرك نحوه على رأس جموعه ورابط في بيش .

تقدم حمود :

تقدم من أبي عريش على رأس خمسمائة محارب وسبعين من الفرسان في آخر شهر ذي الحجة عام ١٢١٦هـ /١٨٠٢م وفي أثناء الطريق بعث بعض إخوانه إلى

(منصور) يطلب منه أن يلزم الحياد ولا يتدخل فيما بينه وبين عرار والفلقي ووالى تقدمه حتى عسكر (بالدُّحْل) بضم الدال المشددة وسكون الحاء المهملة بعدها لام ساكنة موضع بين قريتي السلامتين العليا والسفلى .

المعـــركة :

وبمجـرد أن علم عرار بوصـوله الدحل تقدم لمهاجمته ونشب القتال وانتهت المعركة بهزيمة عرار إلى حصن السلامة السفلى وعاد حمود إلى معسكره أما عرار فقد رحل من حصن السلامة عائدا إلى الدرب .

أقام حمود عشرين يوماً في معسكره السابق ، ثم رحل عائداً وعسكر في قرية الباحر ومنها قام بمناورة حربية لقصد التأثير على منصور وإرهابه بيد أن هذا قد استعـد لمـا هو أكبر من مناورة ، فلم تسفر عن التأثير المطلوب ، وبعد واسطة ومساعي من قرابة الطرفين اتفق منصور بعمه في قرية الباحر وهو في أهبة وحذر ولم تسفر المقابلة عن نتيجة وارتحل حمود إلى أبي عريش في محرم ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٢ م .

السرايا السعــودية في المخـــلاف :

على أثر تلك الحركة التي قام بها حمود في شهر ربيع الأول من تلك السنة تحركت عدة سرايا إلى المخلاف بقيادة حزام بن عامر العجماني وزبران القحطاني وكـان وجهتهـا قبـائـل الحسيني وضمـد المـوالية لحمود وعسكرت أولا في قرية الحجرين ، واستدعى قائداها كل من عرار والفلقي ومنصور بن ناصر فأقبل كل منهم على رأس أهل طاعته على غاية الاستعداد وهناك عقد مؤتمر لتوحيد وتنسيق خطة الهجوم وتحديد الهدف فاتفق الرأي على مهاجمة ضمد بصفته في نظرهم مركز النشاط الروحي والعلمي للزيدية في ذلك التاريخ .

زحفت القـوات على ضمـد وبرغم المقاومة الشديدة من أهله والجنود الذين بعثهم حمـود فقـد لحقت بهم الهزيمة الماحقة والقتل المروع وأحرقت المدينة وانتهبت الأموال .

عادت القوات السعودية إلى صبيا وهناك تجدد العهد بين كل من عرار ومنصور والفلقي واتحدوا على تأليف جبهة مشتركة ضد حمود والموالين له وانصرفت السرايا عائدة إلى نجد .

كتب حمود إلى إمام صنعاء مستنجداً بعد أن وضح له كل ما وقع وما يتخوف منه مستقبلا فلم يظفر بسوى المواعيد ورفعت الجبهة المشتركة إلى الدرعية عما علموه عن اتصالاته بصنعاء وما يخشونه من وصول الإمدادات إليه فصدرت أوامرها إلى عبد الوهاب بن عامر بالتحرك لإخضاع حمود فاستنفر جميع قبائل عسير وشهران وقحطان كما صدرت الأوامر إلى منصور والفلقي وعرار بالتأهب والاستعداد والتقدم إلى أبي عريش تحت قيادة عبد الوهاب الذي وصل صبيا في ١٢ رمضان في عشرين ألف مقاتل غير من انضم إليه من أصحاب الزعماء الثلاثة .

ومن صبيا تقدم إلى أبي عريش حتى عسكر قبليها بنحو ميلين وامتد عسكره من غرب المدينة إلى الجبل المعروف (بالجرد) .

استعدادات الدفاع :

استعد الأمير حمود للدفاع فرتب الحصون وأقام الاستحكامات وحشد المقاتلة في الخطوط الأمامية خارج المدينة وفي أطرافها الشمالية ، وعبأ فرقة من الفرسان رابطت في غرب المدينة لصد غارة الخيل المهاجمة عن اقتحام (محلة الديرة) حي الأمير وأسرته من آل خيرات وأناط قيادتها بابن أخيه (علي بن حيدر) .

خطة الهجوم :

أراد عبد الوهاب أن يوجه الهجوم الرئيسي على محلة (الديرة) فإن سقطت فأمر الاستيلاء على المدينة مضمون واتفق معه على هذا الرأي عرار ابن شار الذي قد اتصل به شخصياً رؤساء تلك المدينة موضحين له أنهم مرغمين على القتال وكان قد بلغ حمود خبر هذا الاتصال فقبض على أولئك الرؤساء وزج بهم في السجون ، بلغ منصور بن ناصر خطة الهجوم فأدركته

عاطفة القرابة ودفعه الإشفاق على عمه وذويه ، فسارع إلى (عبد الوهاب) وما زال به حتى تمكن من حمله على تعديل خطته وتوجيه الهجوم على المدينة وتعهد له في حال تسليمها أنه يضمن خضوع عمه وبقية أسرته ، وهكذا اصطلى أهل المدينة بسعير نار المعركة الساحقة وكانوا دريئة للسيف ووقاية للعنصر الارستقراطي المتحكم .

الهجـــوم :

عبأ عبد الوهاب جيشه وقسمه إلى ميمنة وميسرة وقلب وجعل الخيل في الطليعة في مقابلة خيل حمود وجعل من وراء الخطوط رجالا تسوق الفرق المهاجمة وتحثهم على التقدم بل تدفعهم إلى الهجوم الخاطف .

وقبل فجر يوم الجمعة الموافق ١٥ رمضان عام ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٣ م لعلعت أصوات المؤذنين في ذلك المعسكر المترامي الأطراف فدوت أصواتهم تردد صداها الروابي والآكام ثم صلوا الفجر جماعات وتقدموا صوب المدينة تدوي أصواتهم بالتكبير وتـردد شعـار الهجـوم : (يا مالـك يوم الدين إياك نعبد وبك نستعين) فاكتسحت الخطوط الأمامية واندفعوا نحو (الحصون) واحتدمت المعركة وسالت الـدمـاء جداول ، واستبسـل المـدافعـون استبسـالا يفوق الوصف بيد أن إقدام المهاجمين وارتقائهم إلى الحصون على جثث القتلى سهل كل صعب فسقطت في أيديهم حصنا حصنا ونجا من نجا من المدافعين إلى (الديرة) ففت ذلك في عضد المتحصنين داخلها وقاموا على حمود يرجونه طلب الأمان والتسليم فامتنع وعده منهم ضعفاً ، عند ذلك أرسل علي بن حيدر وأبو طالب بن أحمد وغيرهم مندوباً يطلب لهم الأمـان فأرسـل لهم عبـد الوهاب رجلا من أصحابه ليتولى حمايتهم ويؤمنهم ، وبوصوله صاح بأعلى صوته : (أخبركم وأنا فلان أن علي بن حيدر قد دخل مع المسلمين) فكفوا الحرب عن داره .

أسقط في يد حمود وساوره الوهم بأنه ربما يكون تسليم علي بن حيدر مما يهيء له تولية الإمـارة فسارع بإرسال مندوب يطلب الأمان فأعطى له ، وبذلك انتهت المعركة بالتسليم والخضوع .

في يوم الأحـد الموافق ١٧ من ذلك الشهر سار حمود من بيته إلى المعسكر السعودي ودخل على عبد الوهاب فلم يحفل به في باديء الأمر فكاد أن يعود من حيث أتى بيد أنه تمالك نفسه ومد يده للمعاهدة (على دين الإسلام والتبرىء من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز بن سعود ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه والقيام بالدعوة) فبعد ذلك أقبل عليه عبد الوهاب وتلطف معه في الحديث ، وانصرف حمود عائداً إلى بيته .

الرحيـل وإنـابة من يقـوم بالإمـارة :

أخذ كل من القادة المرافقين لعبد الوهاب يتقدم باقتراحه حول من ينوب على إمـارة المخـلاف فكـان رأي منصور أن يتولاها (علي بن حيدر) وعرار والفلقي يقترحان إعادتها إلى (حمود) وبعضهم أشار بتولية (يحيي بن محمد) الذي سبق أن أعطى العهد (لحزام بن عامر العجماني) وأخيرا ترجح لعبد الوهاب أن يعيدها (لحمود) صاحبها الأول فاستدعاه إلى المعسكر وبحضور القادة وكبار أسرة (آل خيرات) استدناه وطلب منه العهد على القيام بأمور الإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير على كتاب الله وسنة رسوله وقتال من وراءه من أهل اليمن ومباينة إمـام (صنعاء) وقال له : إن شرط تثبيت إمارته يتوقف نهائياً على موافقة الإمام (عبـد العزيز بن سعود) ، وطلب من الحضور السمع والطاعة له واعتباره أميراً عليهم ، وفي يوم الخميس ٢٩ شوال ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٣ م ارتحل من أبي عريش عائداً فمر بالدرب ومنه تقدم إلى الحجاز .

الأمـير حمـود بن محمـد :

يعـد رحيل القـائـد السعـودي خرج في حركة تأديبية لجهة بني الحرْث فأخذ منهم الـرهـائن وبعد تجوله في تلك الأنحاء سير (سرية) من الخيل بقيادة ابن أخيه علي بن حيدر إلى اليمن ، وكـان حمود وهو المحارب المعروف المجرب والشجـاع المشهـور قد استفـاد من أسـاليب وتكتيك وخـطط الـدعـوة الـوهابية وحـركـاتهـا الهجـومية ما سهـل له سبيل الاستيلاء على الكثير من أنحـاء اليمن

باسم الإمام عبد العزيز بن سعود [1] .

كانت هيبة السعوديين قد سرت في أرجاء اليمن بل الجزيرة العربية وهيئت النفوس لتقبل الدخول في طاعتها وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة تقدمت تلك السرية إلى الجهات الجنوبية تعرض على الناس الدخول في الطاعة فمن قبل أخذ منه العهد ومن أبي وامتنع أعلنته الحرب وما وراءه من غارات السرايا السعودية وبتلك السرية التي قوامها ثلاثون فارساً دخل بنو مروان على قوة شوكتهم في الطاعة فأخذ منها العهد ومقاتلة من وراءهم ثم أمّرت عليهم شخصاً منهم يسمّى علي بن أحمد معوز واستصحبت مجاهديهم وتقدمت تلك السرية صوب الجنوب فأقبلت إليها قبائل بني حسن وعبس تعلن الطاعة فولت عليهم شخصاً من آل ثواب ووالت تقدمها .

وهنا ملاحظة يجب الإشارة إليها ، وهي أن قبول تلك الدعوة تجعل القبيلة تشعر بأهمية مكانتها ومشاركتها الفعلية في الحكم فأميرها منها وعليها أن تقوم بإحياء رسوم الدين عملياً من أداء الفروض جماعة وتأديب المتواني والمتخلف فتهذب بذلك طباعها وتلين بالتقوى قلوبها وتتوحد عقيدتها وتتقارب ميولها وتتجه إلى خالقها في الشدة والرخاء غير متوسلة بواسطة ، فالنافع والضار هو المولى تعالى فتزول الفوارق الطبقية ويصبح لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ويصبح الفرد لبنة في البناء القومي والصرح الاجتماعي وتقرأ عليهم مباديء التوحيد في المساجد بصورة سهلة مبسطة وبمشاركته في الجهاد تتنبه فيه العزة ومعاني الكرامة - وقد اعتادت الإمارات السابقة أن تستعين بمرتزقين لتوطيد سلطانها كما مر بك - لأنها لا تعول أو لا تثق بأبناء إمارتها .

---

(1) بعد رحيل عبد الوهاب الذي علق أمر تثبيت إمارة حمود بموافقة ابن سعود ظل حمود متخوفاً وأخيراً بعث وفداً إلى الدرعية برئاسة الحسن بن بشير وأصحبه بكتاب يتضمن قبوله للدعوة وإخلاصه في الطاعة وأن الله قد شرح صدره لتقبل الدعوة إلخ ، وأوعز إلى رسوله بأنه إذا رأى الفرصة سانحة أن يرجو الإمام فصل إمارته عن عبد الوهاب وربطه بالدرعية مباشرة ، وقد عاد رسوله يحمل رسالة شفهية من الإمام تتضمن الثقة به والتعويل عليه وعلى أثرها شمر واجتهد في غزو اليمن لينال الحظوة لدى الإمام عبد العزيز .

وهكـذا تم لتلك السـرية ضم تلك البلاد وإدخالها في الطاعة إلى أن بلغت الـواعظات وبعدها أخذ قائدها في العمل على عودة قبائل وادي مور ، حتى إذا اطمأن إلى صدق استجابتهم ، كتب إلى عاملهم يطلب منه التسليم ـ وشعر العامل بحـراجـة موقفه ، فليس لديه القوة الكافية للمقاومة وقد لمس جنوح القبائل إلى الدعوة ومرجعه في صنعاء في شغل شاغل عنه ، فاضطر إلى مغادرة مركزه إلى عامل اللحية الأمير صالح بن عبد الملك . وبذلك انضم وادي مور إلى حمود كما أن اللحية نفسهـا غادرها عاملها ناجياً إلى الحديدة فكتب الأهالي إلى قائد السرية بالواقع ويطلبون منه إرسال من ينوب عليها من طرفه .

وصلت البشـائـر إلى الأمير حمود بدخول وادي مور في الطاعة وقبول الدعوة فسارع بالتحرك وفي اليوم الذي وصل فيه مور وصل كتاب أهل اللحية بفرار عاملها وطلب إرسـال نائب لاستلامها فتقدم بنفسه ودخلها وطالب تجارها أموالا جزيلة بحجة إرسالها للإمام عبد العزيز بن سعود فاضطروا إلى دفعها له مرغمين ، وبعد أن أقام بها أسبوعاً أسند إمارتها إلى محمد بن قيراط ورحل عائداً إلى مور ومنها بعث ابن أخيه يحيي بن حيدر غازيا إلى جهـة الحـديدة في آخر الحجة ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٣ م ، أقبلت إليه رؤسـاء عشائر تهامة من (صليل) إلى القحرية معاهدين على دين الإسلام والتبري من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز وهكذا أصبح أمر تلك الجهات عائداً إليه إلى بيت الفقيه وبعد أن انتهى من ضمها وذلك في أول المحرم ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م عاد إلى أبي عريش ومنها خرج إلى قرية « الجَنَّة » من قرى وادي خلب كان اختطها عمه الحسن بن أحمد وبنى بها معقـلا منيعـاً ، وفي أثنـاء إقـامتـه بها تواردت عليه السرايا السعودية من قحطان والدواسر والعجمان وشهران يطلبون منه مصاحبته لغزو اليمن .

الغـــزو :

سار حمـود على رأس السـرايا السعـودية لليمن وكـانت الأمنية التي تداعب فؤاده هي الاستيلاء على مدينـة الحـديدة فوالى تقـدمه حتى خيم على أطرافها وكتب إلى عاملهـا صالـح بن يحيي العلفي وقـاضيهـا محمـد بن أحمد مشحم

يدعوهما إلى الدخول في الدعوة والخضوع للطاعة فعاد الرسول إليه بدون جواب .

وعلى الأثر خرج العامل لقتاله فقابله على رأس السعوديين فولى العامل مهزوماً والتجأ إلى قلعة (الصديقيه) أعظم معاقل المدينة المجهز بالمدافع وحالا صبت نيران مدافعها على المهاجمين فأرغمتهم على التراجع وأصيب حمود بمسمار قذيفة في صفحة عنقه فطلبت منه السرايا العودة والاتجاه إلى جهة أخرى فتقدم بهم عن طريق الساحل إلى (غلافقة) ثم إلى (المجيلس) إلى أن بلغوا قرية (التحيتا) من قرى زبيد فانتهبوا مواشيها وعاد بهم إلى المخلاف السليماني بالطريق العليا .

المطالبة بالانفصال عن إدارة عسير :

كان حمود كما مر بك غير راض عن ارتباطه بعبد الوهاب بن عامر وكانت ترد إليه رسل ابن عامر وتقابله بشيء من الاعتداد وعدم الخضوع الذي قد ألفه منذ إمارته الأولى من أهل جهته وكان عدا ذلك واسع المطامع يرى في هذا الارتباط ما يحد من آماله ويقف في سبل أغراضه فاستدعى ابن أخيه منصور بن ناصر أمير صبيا ، فوصل إليه وهنالك تبادل معه الرأي حول رغبته في مراجعة الإمام عبد العزيز ابن سعود، في فصل المخلاف عن عسير وحبذ له أن يسعى في المراجعة لنفسه هو أيضاً في الفصل من عسير وأن يرتبطا سوياً بالدرعية مباشرة وبعد المشاورة تم الاتفاق على بعث وفد مؤلف من الوزير الحسن بن خالد ، وأحمد بن حيدر ، يرافقهما منصور عن نفسه للسعي في المطالبة في الانفصال عن عسير أو بالأحرى عن عبد الوهاب وفي تلك الأثناء وردت الأنباء بوفاة الإمام وتولى ابنه سعود فتقرر أن يكون مهمة الوفد التعزية في الإمام الراحل وتهنئة الإمام الجديد في الظاهر ثم السعي بعد ذلك في المهمة الحقيقية وأرفقهم بجليل الهدايا ونفيس التحف ، ومما أوصى به وفده :

١ ـ درس الحالة ومعرفة حقيقة الوضع في العهد الجديد وما يجب عمله للتقرب من سياسة الدرعية .

٢ - السعي في فصله عن إدارة عبد الوهاب وارتباطه مباشرة بالإمام سعود وأن يتعهد باسمه مقابل ذلك .
(أ) بدفع الخراج المعتاد السنوي .
(ب) بجهاد اليمن ونشر الدعوة بربوعه .

واحتياطاً لئلا يتسرب الشك إلى قلب عبد الوهاب ، في الحقيقة السرية لمهمة الوفد فيعمل على تأخيره أو إحباط خطته كتب إليه مقدماً يحيطه بأنه عازم على إرسال وفد إلى الدرعية للتعزية وتجديد البيعة وبالطبع لم يسع عبد الوهاب إلا السماح له .

وصل الوفد إلى الدرعية فاستقبله الإمام استقبالاً حسناً وبعد تقديم التعزية وتجديد البيعة أخذ في العمل حول مهمته الرئيسية واتصل بأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم حسين وعبد الله وعلي ، وتقدم إليهم بما يحمله من الهدايا باسمهم وشرح لهم موقف حمود من مناصرة الدعوة والعمل على تفانيه في نشرها مستدراً بذلك عطفهم وراجياً مساعدتهم في فصله عن عبد الوهاب وارتباطه بالدرعية وسعي الوفد السعي الحثيث إلى أن تمكن من موافقة الإمام على الفصل كالآتي :

١ - فصل إمارة المخلاف عن عبد الوهاب وربطها بالدرعية مباشرة .
٢ - فصل إمارة صبيا عن عبد الوهاب وربطها إدارياً بالدرعية ما عدا أمر الجهاد فهو مرتبط بعبد الوهاب .

عاد الوفد إلى حمود يحمل الموافقة بالانفصال عن عبد الوهاب والارتباط بالدرعية فكان ذلك صدمة لعبد الوهاب ومن تلك الساعة أخذت المنافسة تحتدم وتتحول إلى مؤامرة ودسائس وتشكل من الحرب الباردة اجتذاب الأنصار وحشد القوى استعداداً للساعة الحاسمة .

وفي شهر رمضان ١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م حشد الجيوش لغزو قبيلة «بني حريص [١] وجعل مركز التجمع بأعلا وادي جازان وأسند القيادة إلى ابن

---

(١) قبيلة في شرق العارضة معروفة إلى الآن بهذا الاسم لا قبيلة حريص امحشر التي في جهة « هروب » .

أخيه علي بن ناصر وبعد أن استكمل الحشد تقدمت الجنود إلى جهة تلك القبيلة ووقعت مناوشات وصل على أثرها عرفاء تلك القبيلة مستسلمين وانتهى الأمر بدخولهم في الطاعة .

وصلت الأخبار إلى حمود باستيلاء عامل الحديدة صالح بن يحيي العلفي على قلعة الزيدية فأرسل في الحال قوة لاستخلاصها بقيادة ابن أخيه علي بن حيدر ثم سار بنفسه في عام ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ م وتمكن من هزيمته واستخلاص قلعة (الزيدية) منه وعقد بينهما صلح تقرر بموجبه أن يكون من (سهام) وشمالا تحت سلطة حمود ومنه وجنوباً تحت سلطة (إمام صنعاء) وبذلك عاد صالح بن يحيى إلى مركزه في (الحديدة) وعاد الآخر إلى أبي عريش .

في عام ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م صدرت الأوامر من الإمام سعود على أمير صبيا منصور بن ناصر ، وعرار بن شار أمير بني شعبة بالنفير إلى الحجاز ، مع عبد الوهاب بن عامر فسار منصور على رأس مجاهديه وبعث عرار أخاه عيسى بن شار على مجاهدي بني شعبه ولم يلحق الأخير بعبد الوهاب إلا بعد وصوله إلى « الليث » وكأن عبد الوهاب قد شعر بميل عرار إلى صف خصمه أومنافسه حمود فاتخذ من تأخرهم هذا حجة للنكاية بعرار فوبخ عيسى بن شار ورؤساء أصحابه وقد توفق في هذه الغزوة ضد أمير مكة وعندما بلغ حلي في عودته أخذ خيل بني شعبه عقاباً لهم على ذلك التأخر وكان عمله هذا من أقوى الأسباب إلى ما وقع بينه وبين عرار كما سنوضحه .

عاد مجاهدو بني شعبه بعد أن أخذت خيلهم فأنف عرار مما صار على عشائره ويظهر أن حمودا قد شجعه على الانفصال عن عبد الوهاب وتعهد له بالمساعدة وأوضح له أنه لا يقل أهمية في نظر الإمام عن عبد الوهاب وحثه على العمل لذلك ، وقد دفع حمود إلى هذا أنه لا يأمن من تغلب عبد الوهاب عليه لمكانته وسابق مواقفه وإخلاصه وما ناله مؤخراً من النصر في غزوة الحجاز مما قد يجعل الإمام سعود يرى في إعادة ربط المخلاف به مكافأة لإخلاصه وتمكيناً لضمان طاعة حمود الذي فيما سبق كان من حزب إمام صنعاء

لهـذا نرى عراراً يجـاهـر بأنفتـه من الارتباط بعبد الوهاب وعلى أثر ذلك توترت العلاقات بينهما ويظهر أن أخذ عبد الوهاب لخيل مجاهدي بني شعبه عدا ما فيه من النيل والإهـانـة الموجهة لعرار كان أيضاً يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو الاستيلاء على معدات عرار الحربية مقدما .

وعلى كل حال فقد اتصل عرار برؤساء قبائل رجال ألمع واتفق معهم على الثورة ضد عبد الوهاب خاصة وكان المقصد من وراء تلك الحركة أن يناوىء سلطته حتى تصـل الأخبـار بسعـود فيرسـل من ينـظر في الأمر وهناك تسنح الفرصة في رفع استصراخهم وتظلمهم من عبد الوهاب وطلب رفعه عنهم أو على الأقل فصلهم عنه وجعل عرار أميراً منفصلا على رجاله وبني شعبه مرتبطاً بالدرعية أسوة بحمود .

وكان واسطة الاتصال بين عرار وحمود أمير صبيا منصور بن ناصر وقد سرا بهذه الخطوة من عرار بيد أن عراراً ظل متخوفاً من الخطوة الثانية ، فتوجه إلى أبي عريش لمعـرفـة مدى المعـاونة والمساعدة من حمود فطمأنه هذا وعاهده على المعاونة والمقاومة وتأليف جبهة موحدة تقف في وجه عبد الوهاب إن حزب الأمر ، فعاد عرار إلى جهته ولديه بعض الاطمئنان .

لم تخف هذه المحالفات والمؤامرات على عبد الوهاب فرفع بالواقع للدرعية وسـار بعـد ذلـك لمهـاجمة رجال ألمع التي سارعت في الكتابة لعرار تستعجله الوصول لنجدتها .

سارع عرار إلى رجـال ألمـع على رأس من أطـاعـه من بني شعبـة بعـد أن كتب إلى حليفـه حمـود يستمـده حسب الاتفـاقية ورفـع إلى الـدرعية راجياً إرسـال وفـد للنـظر والتحقيق في ما يدعيه من تعـديات عبد الوهاب وكان يؤمل أن في استـطاعته المقاومة إلى أن يصل الوفد وبوصوله إلى رجال ألمع تقدم منها إلى الشعبين فلم يصـل إلى أطـرافها إلا وقد قبض رجال عبد الوهاب على زمام الأمـر فيهـا وقـام المـطاوعـة والفقهاء في الأسواق منددين بعرار معلنين أنه ممن يسعى في الأرض فسـاداً ، فعـاد إلى رجـال ألمـع فوجـد أن الدعاية قد سبقته

والرعب قد عم أهلها فانسحب عائداً إلى الدرب بصحبته بعض رؤساء رجال ألمع ممن يخاف على نفسه من المؤاخذة والعقاب .

علم عبد الوهاب بفشل عرار وانسحابه فتقدم إليه على رأس عشرة آلاف مقاتل سالكاً طريق عقبة مناظر ووالى تقدمه حتى انتهى إلى مسيل وادي عتود فسار في مجراه إلى أن وصل إلى موضع يسمى « الجنبين » تثنية جنب وجعل جبل عكاد على يساره وطرح في الجنبين المار ذكرها .

عرار ينسحب من الدرب :

أدرك عرار أن لا طاقة له بالمقاومة فارتحل بأهله وحاشيته وخيله وما استطاع حمله وبرفقته خمسمائة من أهل رجال ألمع قاصداً حليفه حموداً ، وتقدمت طلائع عبد الوهاب على قرية الدرب فألفتها خالية وعلى أثر ذلك دخلها الجيش فهدم الحصون وأحرق الدور واستولى على كل ما وجده وأقبل إليه قبائل بني شعبة والشقيق وعتود فأخذ منهم السلاح وأمنهم وجعل عليهم أميراً من قبله .

عزم عبد الوهاب على غزو المخلاف السليماني ثانية :

عزم على غزو إمارة حمود فبدأ بتجهيز السفن من الشقيق لغزو اللحية وفي أثناء ذلك أقبل وفد من الدرعية للنظر في الخلاف فتوقف .

الوفد :

وصل الوفد واتفق أولا بعبد الوهاب وسلمه أمر الإمام سعود وأمره حالا بالرحيل إلى عسير وتسريح الجند والتوجه إلى الدرعية فصدع بالأمر وعاد إلى عسير ومنه تأهب للرحيل إلى الدرعية .

ووالى الوفد سيره إلى أن وصل صبيا فقابل أميرها منصور بن ناصر ـ الذي تلقاه بغاية الحفاوة والتكريم ، فسلموه أمر سعود بمثل ما صدر إلى عبد الوهاب فتلقى الأمر بالامتثال والقبول وسار الوفد إلى أبي عريش .

الوفـد في أبي عـريش :

وصل الوفد فقابله حمود بالحفاوة والإكرام ـ وكان سخياً بالمال في تلك المواقف فغمر الوفد بالإكرام وحسن المقابلة وجميل الإنعام ، ثم تخابر مع الوفد بشأن مهمته فسلموه الأمر الذي يقضي بتوجهه إلى الدرعية ومعه عرار بن شار ، فلم يسعه إلا التظاهر بالامتثال والقبول ـ وقد عظم عليه الأمر وتحرج الموقف ـ وراح يعمل جاهداً على استمالة الوفد بشتى الطرق محاولا إقناعه بضرورة بقائه متعللا باضطراب الأمور والتخوف من استرجاع إمام صنعاء للبلاد الجنوبية التي استولى عليها منه باسم الإمام سعود ومظهراً له استعداده ببعث ابنه أحمد مع عرار ، بدلا عنه إلى الدرعية فوافقه الوفد فتنفس نسبياً .

سفـر الوفـد :

استصحب الوفد أحمد بن حمود والوزير حسن بن خالد وعرار بن شار وسار إلى صبيا واستصحب أميرها وتوجه إلى الدرعية .

المحـاكمة :

وصل الوفد ومن برفقته إلى الدرعية ، فأمر الإمام سعود بانزال أحمد بن حمود وحسن بن خالد ومنصور بن ناصر في دار الضيافة وأمر بإكرامهم وكان هناك ينتظرهم عبد الوهاب للمحاكمة .

بدأت المحاكمة بين عبد الوهاب من جهة وعرار وأحمد بن حمود ومنصور بن ناصر من جهة أخرى ، فاتهم الأول عراراً بإثارة الفتنة واتهم الآخرين بمؤازرته وتحريضه ، وأيد دعواه بإبراز وثائق خطية صادرة من حمود ومنصور بن ناصر إلى عرار ، وانتهت القضية بإدانة عرار في الدرجة الأولى فاكتفى الإمام بإبقاء عرار لديه والعفو عن الآخرين والسماح لهما بإبقائهما على إمارتيهما على أن يرسل معهم عمال من قبله يشرفون على الإدارة في منطقة حمود وأن يتولى أولئك العمال استحصال الخراج وأن يسلموا منه مبلغاً معيناً لحمود ويرسل الباقي إلى الدرعية واشترط على وفد حمود :

١ ـ عدم استخدام رجال همدان إلا إذا دخلوا في الدعوة واستعدوا باجابة داعي الجهاد .

٢ ـ أن لا يصالح عمال إمام صنعاء ولا يعقد لهم هدنة .

٣ ـ أن يصرف لأمير صبيا مبلغاً من خراج اللحية .

أما منصور فقد أعاده لإمارة صبيا كعادته على أن يرتبط في شئون الجهاد بعبد الوهاب كما كان سابقاً بيد أن عمه حمود لم يف له بالشرط الأخير مما أوجب الخصومة بينهما كما ستقرأها مفصلا .

حمود بعد رحيل الوفد :

بعد رحيل الوفد كما مر بك قبله ـ توجه حمود إلى اليمن وكان عامله على حجة قد ألح عليه في إرسال النجدة ، موضحاً أن الإمام قد جرد جيشاً قوياً لاستعادتها فسار إلى مور ومنه سير قوة إلى الصلبة موضع قريب من حجة ـ فتمكنت من شق الطريق لعامله المحصور فانسحب من حجة على رأس الحامية بسلام .

وفي عام ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م ابتدأ في إقامة الحدود الشرعية ـ ونرى أن في إقامتها من قطع يد السارق وقتل القاتل وجلد الزاني المحصن ، ما يشعرنا برغبة في التقرب من السعوديين الحريصين على إقامتها ، كما يوضح لنا أن تسجيل مؤرخي ذلك العهد لها دليل على عدم إقامتها قبل ذلك التاريخ ، وكان لإقامتها هيبة قطعت دابر الإفساد ووطدت دعائم الأمن في أنحاء إمارته ، وبعد أن استنقذ عامله عاد إلى قلعة مور ينتظر ما تسفر عنه نتيجة مهمة وفده إلى الدرعية .

في أثناء تلك المدة انتهى أمد الهدنة المعقودة بينه وبين عامل الحديدة صالح ابن يحيى العلفي الذي استدعى جماعة من يام كجنود مرتزقة فوصلته الكتب من الشيخ علي بن حميدة رئيس قبائل القحرية بأن صالحا عازم على مهاجمة معقل القحرية فبعث إليه بقوة من رجاله ووعده بالوصول بنفسه بعد ذلك .

الحــرب بينـه وبين صـــالح العــلفي :

ولي صالح ابْنَ أخيه قيادة الجنود المرتزقة من يام وسيرهم لمهاجمة معقل الرئيس علي حميدة وفي أثناء تسيير تلك الحملة توفي علي حميدة فسار الأمير حمود بنفسه من مور إلى القحرية في أوائل شهر رمضان من تلك السنة .

المعـــــركـة :

وبالقرب من مدينة باجل التحمت المعركة بينه وبين جند عامل الحديدة صالح وقبائل من يام ـ فانهزمت يام بيد أن فريقاً منهم لم يشترك في المعركة أغار على ساقة حمود واستولى على خزانته وجميع الذخيرة والمؤن والرقيق .

الخـــــداع :

كان الأمير حمود يراسل اليامين المتجندين مع صالح ـ عاملا على استمالتهم لجانبه ، وكان صالح بدوره يعمل جاهداً على استمالة جند حمود ـ الذين هم من قبائل بكيل ـ وأخيراً تمكن صالح من استمالة بكيل وفعلا انضموا إلى معسكره .

وقـامت يام كنتيجـة لمساعي الأمير حمود بالشغب على صالح والإلحاح في مطالبته بأعطيتهم ، وأخيراً اتفق معهم على أن يسلمهم أعطيتهم على أن يتوسطوا بينه وبين الأمير حمود على هدنة لعام واحد ، فقاموا بذلك وأعادوا إليه ابن أخيه واستلموا أعطيتهم وتوجهوا إلى نجران .

تعمـــير حصـن باجـــل :

أقام الأمير حمود في باجل إلى أن تم تعمير حصن باجل ورتب أمورها ، وفى أثناء ذلك وصله الوفد الذي بعثه إلى الدرعية لقضية المحاكمة يرافقه نواب الإمام سعود الذين بعثهم للإشراف على الإدارة واستحصال الخراج .

عمـــال الإمـــام سعـــود في تهـــامة اليمن :

استقبلهم الأمير حمــود أحسن استقبـــال وأظهـــر استعـــداده لإنفـــاذ كافـــة أوامـــر سعـــود ووزع العمـــال ومـــأموري الخراج في اللحية وغيرها وبعث جماعة

لاستحصال زكوات المواشي ، وعدا ذلك فقد أجزل لهم الصلات مما دفعهم إلى الرفع لسعود بصدق ولائه وقيامه بإنفاذ الأوامر ووفائه بكافة الشروط التي اشترطها وتعهد بتنفيذها نيابة عنه وفده مقابل إقراره على الإمارة . وعند إطلاعه على مرفوعات إلوفد اطمأن وأخذ في العمل على توسيع رقعة إمارته ضاربا بالصلح المبرم بينه وبين صالح العلفي عرض الحائط ، وبعد أن وصل إلى تحقيق بعض رغباته في التوسع جدد الصلح مع صالح وعاد راجعاً إلى أبي عريش بعد أن أناط أمر القبائل برؤسائهم المحليين كالآتي :

١ ـ على إمارة القحرية ابن علي بن حميدة .

٢ ـ على إمارة العبوس محمد جماعي .

٣ ـ على إمارة الرماة علي بن محمد الرامي .

وبعد وصوله مور رغب في الإقامة واستصلح مساحة واسعة من الأرض وساق إليها المياه ، وفي نفس تلك السنة أي ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م اختط مدينة الزهرة وأمر الناس بسكناها وشيد بها معقلا حصينا .

صالح العلفي عامل الحديدة :

في المحرم عام ١٢٢١/١٨٠٦م وصله كتاب من غالب أمير مكة ـ ويظهر أنه على صلة صداقة به قبل ذلك ـ يذكر له دخوله في طاعة السعوديين ويلمح له أنه يرى من مصلحته أن ينضم إلى السعوديين ويشير عليه أن يتصل بعبد الوهاب ابن عامر ـ وكان صالح في تلك الأثناء قد شعر بسخط إمام صنعاء عليه وعزمه على مصادرة أمواله ـ فكتب صالح لمرجعه بأن مهام مركزه تحتم عليه الخروج من الحديدة إلى بيت الفقيه لتفقد أحوالها وإصلاح أمور قبائلها ـ وكأن غالباً كان على اتفاق مع عبد الوهاب فيما كتبه صالح ، فما وصل هذا إلى بيت الفقيه حتى وردته كتب عبد الوهاب يطالبه بالدخول في الطاعة كما دخل أمير مكة ، ويحذره وينذره من التواني والتخلف ، وأنه قد أمر عمال الإمام سعود في اللحية بالوصول إليه كما أمر السرايا السعودية أن تتصل به وتتبع أوامره ، عند ذلك سارع إلى الدخول في الطاعة وكتب بذلك

لعبـد الـوهـاب وألحقه بآخر يستمده لغزو الحديدة ـ لأن رجال إمام صنعاء عند ما علموا باتفاقه مع عبد الوهاب حجزوا أمواله وأولاده بها ـ وكان قد وصله مشايخ بادية زبيد يطلبون منه إرسال عمال إلى جهتهم باسم الإمام سعود وتعهدوا بقبض عامل إمام صنعاء وتسليمه للسعوديين فأرسل معهم من لديه من الجنود السعوديون .

علم أهل مدينة زبيد بالواقع وتقدم السرية السعودية إليهم فانحازوا إلى القلعة وتركوا المدينة فاستولى عليها السعوديون ونهبوا ما وجدوه وعادوا إلى صالح ـ بعد أن أبقوا حامية في قرية التحيتا .

رفع صالح بالواقع لعبد الوهاب واستمده بإرسال الجنود فصادف اشتغاله بغزو نجران الذي عاد منه بالهزيمة فوعده بإرسال الجنود ، وذلك في شهر رجب عام ١٢٢١ هـ/ ١٨٠٦ م .

الأمـــير حمـــود بن محمـــد الخيراتي :

أمـا حمـود فكان مشتغلا في حرب شيخ قبيلة صليل الكلفود ، وكان الوضع السياسي في تهامة :

١ ـ من أبي عريش إلى بلاد صليل تحت إمارة حمود بن محمد .
٢ ـ بيت الفقيه إلى التحيتا تحت إدارة صالح بن يحيى العلفي .
٣ ـ الحديدة إلى باجل تحت طاعة إمام صنعاء .

اغتنم الأمير حمود الفرصة ـ وكانت المنافسة بينه وبين صالح بن يحيي العلفي على أشدها ـ فأرسل سرية للاستيلاء على الحديدة ـ وكانت ضمن المنطقة التي صدرت الأوامر السعودية باناطة أمر الدعوة في أرجائها إلى صالح بن يحيى العلفي ـ فاستنكر ذلك عمال سعود ، فأجابهم حمود أن المسلمين يد على سواهم وأنه هو وصالح في طاعة الإمام سعود .

نظر صالـح إلى هذا التصـرف من حمـود بعين الـريبة ـ لأن الحديدة ضمن المنـطقة التي خصصت لعمله حسب الاتفاق المبرم بينه وبين عبد الوهاب الذي

بموجبه تخلى عن طاعة إمام صنعاء وانضوى على أساسها تحت الراية السعودية .

في ذلك التاريخ وصل وفد من عبد الوهاب إلى صالح يحمل كتاباً وهدية ومهمته الحقيقية التعرف على أحواله ومعرفة مدى إخلاصه وصدق ولائه ، مر الوفد بحكم اتجاه سيره على حمود ، فتلقاه بالحفاوة والتكريم والصلات الجزيلة واستعرض لهم ما قام به من الأعمال في نشر الدعوة وما ضمه من البلاد إلى طاعة الإمام سعود وما يزمع على عمله في مستقبله ، ومن ضمن ذلك أنه بعث سرية إلى الحديدة لإنقاذ أموال وأبناء صالح بن يحيي العلفي والاستيلاء عليها ، وأنه عند الإستيلاء عليها سوف يرفع للإمام فإن أناط أمرها به أو بصالح فالأمر له وبالطبع إنه منطق عليه مسحة من الإقناع فلم ير الوفد في عمله ما يوجب الانتقاد ، وكإظهار لما هو عليه من القوة والإخلاص بعث في الوقت نفسه وتحت أنظار الوفد سرية بطريق البحر لمساعدة صالح وحماية حصن الدريهمي من أي قوة لإمام صنعاء تحاول مهاجمة صالح في بيت الفقيه ـ قبل وصول الإمدادات إليه من عبد الوهاب ـ إلا أنه بعد ذلك وصلت الإمدادات من عبد الوهاب لصالح فاستتب له الأمر نسبياً .

الاستيــلاء على مدينة الحــديدة :

انتهى حمـود من إخضـاع قبيلة صليل ، وقـام ببنـاء حصن في « القناوص » وتـرك به حامية وسار إلى أن عسكر في ظاهر قرية «القطيع» من الشرق ـ ليقطع إمـدادات إمـام صنعـاء عن حاميته في مدينة الحديدة المحاصرة من قبل سريته الأولى ـ وكتب من معسكــره إلى عمـال الإمـام سعـود يستحثهم في الـوصـول بجميع من في تهـامـة من غزاة الـدواسـر وقحـطان ، ورجـا منهم أن يطلبوا من الجنـود العسيريين المـرابطين في الدريهمي الانضمام إلى قواته فاستجاب الجميع لنـدائـه ، وبـذلـك اشتـد زنـده وقـويت شوكتـه ، وكـان جواسيسـه يوافونه أولا بأول عن تحـركـات قوات إمام صنعاء القادمة لنجدة حامية الحديدة ، فلم تدن إلى تهـامـة إلا وهو على غاية الأهبة لملاقاتها والدراية التامة والمعلومات الوافية بكـل ما يهمه عنها من الوجهة الحربية ، فهزمها شر هزيمة وأعادها مدحورة على الأعقـاب ، وهنـاك تفـرغ لأمـر الاستيلاء على الحـديدة ، فبعث أغلب الجنود

لشد أزر القوات المحاصرة لها وتضييق الخناق على حاميتها المحصورة حتى أرغمت على التسليم فاستلم المدينة قائده يحيي بن حيدر ، وبعدها دخلها الأمير حمود في موكب حافل وأظهر شعار الدعوة السعودية واستدعى عمال الإمام سعود لحصر الأموال وأعلن أنه استولى عليها باسم الإمام سعود .

ومن ثم أخذ في العمل الجاد في ضم ما هو داخل بعهد صالح بن يحيي العلفي وإنفاذاً لخطته تلك بعث أحد أقربائه محمد بن علي فارس على قوة من أهل نجد والدواسر - وأمره بأن يتظاهر بأنه مدد ونجدة لمساعدة صالح العلفي على أهل زبيد - وزوده بكتب إلى مشائخ الزرانيق والقرشيين وأهل التربية يطلب منهم أن يعاهدوا قائده على السمع والطاعة والدخول فى الدعوة السعودية وتعهد لهم بأن يولي كل شيخ منهم على إمارة جهته - في حال أن القوم قد عاهدوا صالحاً على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية - فمنهم من استجاب لقائد حمود ، ومنهم من تردد ، علم صالح فتقدم على رأس من لديه من عسير وقحطان مسرعاً للاستيلاء على زبيد قبل أن تسبقه عليها قوات حمود فلم يصل إلى ضواحيها إلا وقائد منافسه يباريه من الجهة الأخرى فسارع بالهجوم على قلعة زبيد التي تحصن بها عامل إمام صنعاء ، فاتصل هذا العامل بقائد حمود وفاوضه في أمر تسليمه القلعة على شرط أن يحتفظ بأمواله والأموال الحكومية فرفع القائد إلى حمود فوردته الموافقة مع مدد من الجنود لطرد صالح وإرغامه على الانسحاب من الميدان ، فصدع القائد بالأمر واستعد بالهجوم على قوات صالح ومباشرة طردها فحجز عمال الإمام سعود بين الطرفين وأشاروا على صالح بالرجوع والرفع إلى عبد الوهاب فرجع إلى بيت الفقيه .

وصلت رفعيات صالح إلى عبد الوهاب بن عامر ، وصادفت عزمه للحج وبعد أن أتم نسكه عرضها على الإمام سعود وأدلى برأيه للإمام نحو ما يراه من ضرورة تأييد صالح ليكون في ذلك حفظ لكفة التوازن في تهامة بخلق منافس لحمود حتى لا يخلو له الميدان موضحاً ما يخشاه من مطامع حمود وما

يلمسه من عدم إخلاصه ، فأمر الإمام بإرسال طامي بن شعيب على رأس وفد إلى اليمن لدراسة الموقف وتسوية الخلاف .

اتصل ذلك بعلم الأمير حمود فسارع بالتقدم إلى زبيد لادخال القبائل التي لم تدخل في طاعته حتى إذا وصل طامي لم يبق لصالح إلا بيت الفقيه .

وصـــول طامي بن شعيب :

وصل طامي إلى الدريهمي ، وهي تحت سلطة صالح ، وكتب له في الوصول لمقابلته فوصله صالح وتفاوض معه حول ما انتدب له ، وكان صالح في ضيق من الحال لم تمكنه من إضفاء كرم الضيافة ، ويظهر أنه رجل يعتمد على إخلاصه وصدق ولائه ، وليس هذا كل شيء في عرف طامي ، ويقال أن طامي صرح بعد تلك المقابلة قائلا : كنا نظن صالحاً أحد رجلين ، إما صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيل حتى يصل إلى ما يطلبه ، وإما طالب ملك فيسمح للجنود بما عنده من مال حتى يتوفر له إخلاصهم ونصرتهم . ولم يكن أحد الرجلين . فالدين هو عنه بمعزل ـ وأما الملك فما قام بحقه ، وهذا حمود يستميل الناس إلى طاعته بإظهار العدل وبذل المال ونشر الدين فما يتخلف أحد عن إجابته .

ويقال أن أحد خواص صالح أشار عليه إذا كان لديه شيء من المال يتألف به طامياً ورؤساء عسير الذين برفقته وأن يقوم بكفايتهم وواجب ضيافتهم ليكونوا في جانب حقه الواضح فلم يصغ إلى مشورته .

اتصل طامي بالأمير حمود فوجد لديه كل ما تصبو إليه نفسه . وقال له كلنا تابعون لسعود ، وما تقدمنا إلى الحديدة وزبيد إلا لما نعرفه من ضعف همة صالح وخشية من تمادي يد قوات الإمام الزيدي وهي الآن بتدبير الله ، ثم تدبير الإمام سعود ، وشفع ذلك بكرم الضيافة وضافي البر وعرض استعداده بكل ما يلزم لطامي ورفقته من مال وزهاب وركائب وغير ذلك . فلم يكن همه بعد ذلك إلا الطلب من حمود في عدم التعرض لما بقي تحت يد صالح في الوقت الحاضر ـ حتى يعرض لسعود ما لديه ـ ثم رتب منطقة صالح ورحل مثقلا بوافر العطاء وجزيل الصلات .

وكانت النتيجة لمهمته وصول الأوامر بتأييد الأمير حمود على الحديدة وزبيد وكل ما استولى عليه فلم يسع صالح إزاء ذلك إلا الانضمام إليه والرضوخ لمصالحته على أن يقره على إمارة بيت الفقيه فقط .

بذلك استتبت الأمور لحمود فأناب ابنه أحمد بن حمود على زبيد بعد أن عمر سورها وعاد إلى أبي عريش وقد امتدت إمارته من زبيد جنوبا إلى الدرب شمالا ، وذلك في عام ١٢٢٢ هـ/ ١٨٠٧ م .

في أواخر تلك السنة توجه الأميران منصور بن ناصر وعلي بن حيدر للحج والشكوى على سعود من قريبهما الأمير حمود فأرسل معهما محمد بن دهمان على رأس ثلاثة آلاف رجل فخيم بظاهر مدينة الزهرة ، وأصلح بينهما وبين الأمير حمود وأخذ على كل منهما العهد ، ثم سار بهم إلى غزو قبيلة قيس ، وعاد الأمير منصور إلى إمارته في صبيا في صفر عام ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨ م .

بوادر الخلاف :

في عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨ م بدأ حمود يسفر عن صفحته ويفصح عن مقاصده في أمر استقلاله بتهامة عن السعوديين وصرح لرسلهم بما يفهم منه الخلاف ، واتصل الخبر بعبد الوهاب بن عامر ، فسر بذلك آملا أن تسنح له الفرصة في حمود الذي لا يزال في ريب من إخلاصه منذ أخذ في محاولة التخلص من ربطه بإدارته .

وصلت الأخبار إلى الدرعية بخلافه ، فصدرت الأوامر إلى عبد الوهاب بغزوه ومضى عام ٢٣ في الاستعداد والتأهب من الجانبين ، وفي عام ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٩ م تقدم عبد الوهاب بن عامر على رأس حشوده المتكاثرة صوب المخلاف وخرج حمود من الزهرة لملاقاته على غاية الأهبة والاستعداد ، فوصل أبا عريش ، ومنها نهض لصده وملاقاته .

المعركة :

التقى الجمعان في وادي بيش وكانت معركة من أشد المعارك هولا ـ ولا يقل المشتركون فيها عن أربعين ألفاً ـ وبين الخصمين من العداوة والبغضاء

ما جعل كُلاًّ منهما يفرغ جهده ويستعد لهذه المعركة بكل ما أوتيه من قوة واقتدار ـ ودارت رحا القتال كأشد ما يكون هولا وانتهت بعد ما حقلت الدماء غدرانا وملأت الأشلاء رحاب ذلك الوادي الخصيب انتهت المعركة المهولة بهزيمة حمود وانسحابه إلى صبيا بعد أن تمزق شمل جيشه ، وفي مساء ذلك اليوم جيء إلى الأمير منصور بن ناصر ـ الذي كان مشتركاً مع عمه ـ بسلب نفيس وفرس كريم ادعا حامله أنه قتل صاحبه فعرف في الحال أن الفرس فرس عبد الوهاب والسلاح سلاحه فأخبر منصور عمه حمود ، فخفف ذلك لديه مرارة الهزيمة ، وكان له بذلك أكبر العزاء فيما أصاب جيشه ، وسارع حمود إلى أبي عريش ليحصنها ويستعد فيها للمقاومة ، وبقي منصور في صبيا .

اجتمع رأي قادة الجيش السعودي بعد قتل قائده على إقامة من ينوب عنه ورفع الخبر إلى الدرعية ، ووالوا الزحف لتعقب فلول الجيش المنهزم واستولوا على صبيا فوالاهم منصور بن ناصر ، بيد أن اتفاقه معهم لم يطل ، فقد التجأ بعده إلى عمه حمود في أبي عريش فترك الجيش السعودي حامية في صبيا وعاد إلى السراة .

الحالة بعد المعركة :

بعدها ظل المخلاف مسرحاً ومراحاً للغارات السعودية إلى عام ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠ م الذي تقدمت فيه القوات السعودية بقيادة عثمان المضايفي إلى تهامة إلى أن بلغت العبسية مجتاحة كل ما أمامها وعادت مثقلة بالأسلاب والغنائم ، كما غزى طامي بن شعيب اللحية ونهب أموال أهلها نهبا فادحاً وارتكب من القسوة وإهدار الأرواح البريئة ما أورث الرعب في تهامة بأسرها ، وقد اعترض الأمير حمود له في أثناء قفوله والتقي به في موضع يسمى « بربر » ، بباء موحدة بعدها راء مهملة فباء موحدة وراء مهملة على وزن جعفر غرب جنوب أبي عريش ، فلم يظفر وعاد مهزوماً ، وواصل طامي سيره ، وفي طريق عودته لاقاه مجاهدو رجال ألمع ـ الذين تأخر خروجهم معه ـ فخيرهم بين غزو قلعة ضمد أو قلعة بندر جازان ، فاختاروا الأخيرة وتقدموا فاستأصلوا حاميتها .

وفي تلك السنة أيضاً عاود طامي بن شعيب غزو اللحية ، ثم تقدم فغزا الحديدة ، كما وصلت قوة أخرى بقيادة محمد بن أحمد الرفيدي واستباحت قرية الشقيري .

الوضع السياسي في تهامة :

في عام ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠ م كان الوضع السياسي كالآتي :

١ ـ من صبيا وشمالا تحت السلطة السعودية .
٢ ـ من أبي عريش وجنوباً إلى زبيد تحت سلطة حمود ـ تراوحه وتغاديه الغارات السعودية .
٣ ـ القسم الأعلى تحت سلطة الأئمة الزيديين .

وكان الأمر غير مستقر في القسم الثاني نظراً للغارات السعودية المتكررة وقد شعر الأمير حمود بخطر الموقف فتدخل بالوساطة أمير صعدة ـ الذي كان موالياً للسعوديين ـ بين الإمام سعود والأمير حمود بأن يتنازل الأخير عن صبيا وبيش ويدفع خراجاً سنوياً للإمام سعود عن ما يملكه من أبي عريش إلى زبيد .

وكنتيجة لتلك الاتفاقية استقرت الأمور في وضعها الطبيعي ، فالتفت حمود إلى صلاح ما أفسدته الحرب ، وتفقد مزارعه الواسعة وأملاكه الشاسعة وتعمير المعاقل والحصون ـ أما الشعب في تلك العهود فليس له حظ في الإصلاح ولا نصيب في دخل الدولة ، أو بالأحرى في إيرادات الإمارات ـ وحسبه الأمن والاستقرار .

اشتغل السعوديون من ابتداء عام ١٢٢٦ هـ/ ١٨١١ م بحروب محمد علي ـ الذي انتدبته تركيا للقضاء على تلك النهضة العربية ، فبعث ابنه طوسن ، اشتغلت الدولة السعودية بذلك طبعاً عن حمود وما هو أهم من ذلك .

وفي عام ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م اختط حمود قرية مختارة في بلاد الشرف ، وبني قلعته بها واختارها لسكناه ، وفي عام ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م توفي الإمام سعود ، فخلفه ابنه عبد الله بن سعود .

غـزو جيـوش إمام صنعـاء :

لم ينس إمـام صنعاء ما أسلفه حمود ، فاغتنم فرصة انفراده بالحكم ومباينته للسعوديين ، وبعث جيشاً قوياً لمهاجمته في مقره بقرية مختارة ، فواصل الجيش تقدمه حتى أشرف على القرية فبرز إليه حمود ، والتحم القتال فمني جيشه بخسائر جسيمة ، وجرح الأمير نفسه وحجز بينهم الليل ، فعاد كل فريق إلى معسكره ، وشعـر حمـود بأن الجيش اليمني سوف يباكره القتال فاستعمل دهاءه المعروف ـ الذي طالما أسعفه في أحرج المواقف ـ فدس إليهم تحت جنح الظلام من تمكن من إيصـال الـرشـاوي الجزيلة فلم تشرق الشمس إلا وقـد سوى الأمر وتمت الصفقة ، وبعد أيام معدودة قوض الجيش المهاجم خيامه وعاد من حيث أقبل .

التنـافر والشحنـاء بين الأمـير وقـرابته :

بالـرغم عن الصلح المبـرم بين الأمير وابني أخيه علي بن حيدر ومنصور بن ناصـر على يد القائد السعودي محمد بن دهمان، فإن الصفاء لم يسد علاقاتهم، ففي عام ١٢٣٠هـ/١٨١٥م لمس الأمير من ابن أخيه الآخر يحيي بن حيدر ما أوجب الـزج به في السجن فغضب الأميران علي ومنصـور، ورحلا إلى مكة المكرمة، وهناك اتصلا برجل محمد علي ونائبه على الحجاز حسن باشا ، وبثاه شكواهما من الأمير حمـود وشـرحا له أن الظلم لا يزول عن اليمن إلا بالقضاء عليه ، ممنيانه ضم البـلاد إلى دولته إذا ساعدهما ضده وطلبا منه إمدادهما بجيش ليستوليا على اليمن باسم دولتـه ، فوعـدهما بإجابة طلبهما متى انتهت حربهم مع السعوديين وخيرهمـا في الإقـامة تحت رعايته في أي محل يختارانه من الحجاز ، فاختاروا الإقـامـة في حلي ، فأجرى عليهما المقررات من حاصلات القنفذة ، فمكثا هناك إلى أن سار سنـان باشا ، إلى عسير على رأس حملته المعروفة ، فرافقاه ، وبعد دنـو الحملة من عسير رجـع علي بن حيدر إلى حلي وبقي منصـور مع الحملة فقتل

مع سنان ـ كما سيمر مفصلا في أخبار عسير ـ وقد ظل علي بن حيدر في حلي إلى أن سار بعد ذلك مع خليل باشا إلى اليمن ، كما سيأتي مفصلا .

وفي عام ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٥ م توجه الأمير حمود من مختارة إلى القسم الشمالي ، ولم يدخل مدينة أبي عريش بل عسكر في قرية « الجربة » في طريقه لغزو جبل سلا .

فرار طامي بن شعيب إلى المخلاف السليماني :

وصل طامي فاراً من قوات محمد علي ـ راجع أخبار عسير ـ وصل إلى قرية « مسلية » ومنها فر إلى قرية الحقو ، ثم نزل إلى قرية الدهنا ، عند العلامة يحيى ابن حسن النعمي ـ وكان من ذوي المكانة العلمية والجاه المكين في المخلاف فبثه ما قاساه من الشدائد وطلب رأيه في القدوم والالتجاء إلى حمود فأشار عليه بعدم الركون إليه ونصحه بأن يختفي في الجبال الشرقية ، فلم يصغ لنصيحته ويمم قاصداً حمودا في مختاره ، وكان النائب على المخلاف وزيره العلامة حسن بن خالد مقيما في حصن ضمد ، فاتصل به خبر وصول طامي إلى المخلاف فسارع على رأس قوته واحتل صبيا ، وبعث من مكانه سرية إلى الدهناء للقبض عليه فالتقت به السرية ، صحبة صديقه النعمي فاقتادوه أمامهم إلى صبيا ، وبمجرد وصولهم به إلى الوزير أمر بتكبيله بالحديد ـ وبعد ساعات قلائل وصلت سرية من فرسان محمد على انتدبت لمطاردته ـ ساعة فراره من السراة ـ فدخلت صبيا فسلمه لها حسن بن خالد ، فعادوا به إلى عسير .

حمود بن محمد :

بعد هذا التاريخ عظم أمر حمود وأصبح ملكاً مطلق التصرف مرهوب المكانة ، وقد اتسعت رقعة مملكته حتى امتدت حدودها من زبيد جنوباً إلى أقصى جبال السراة شمالا .

اتصالاته بمحمد على :

إن انتصارات محمد على قضت على الملك حمود بالاتصال به وإنشاء العلاقات الودية ـ وكان بالطبع بداية تلك العلاقات تسليمه طامي بن شعيب

لرجال محمد علي ـ بدون مساومة ولا تردد ـ وبعدها بأيام قلائل كتب لمحمد علي ، ثم شفع ذلك بإهدائه أربعة رؤس من كرائم الخيل مع كتاب لم نظفر بنصه وإنما نستشف مضمونه من نص جواب محمد علي باشا الذي ننقل لك نصه :

وبعد فقد وصلت إلينا كتبك الثلاثة مشعرة باستقامتك مسفرة عن سلامتك وشهامتك منبئة عن طلب جزيرة فرسان ، وعن حال رجال المع ، وأهل الدرب ، ومن قدمناه على بني شعبة وبالأخص (هكذا) عن مسلية وأم الخشب والسلامة ، وأن المذكورات كانوا بأجمعهم لأمرك منقادين وأحلت معرفة ذلك جميعه على الحاضرين والبادين ، فليكن في علمك أنه قد بلغنا ظلمك في الرعية مركباً من الراحة عرية والظلم مرتعه وخيم وهو إن دام دمر كما أخبر به النبي الكريم ، ونحن ما بلغنا من تلك الأراضي المبالغ وطوعنا منهم العاصي فلا فرق بين الشيخ والبالغ إلا طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى باستماحة أهلها من النصب والوصب وتسبباً لابتهاج ولي نعمتنا الذي أفاض الله علينا بملاحظته بفيوض الفتوح وصب ، وقد استشعرنا من الواردين علينا أنك ماحملك على ما حمل وأركبك الوعر بظلم من قل وجل إلا توارد الوهابية إلى جهاتك وطلبهم من الدنيا الدنية ما لم يكن مقدوراً لك ولا لمن بمواجهتك فعذرناك فيما سلف من الأمور وأدرجناه في خبر زيد لعمرو ، وبعد اليوم إن استرعيت رعيتك بالرفق والشفقة وهم أهل بلدك الذين قلوبهم على محبتك متفقة غير مفترقة وسمعنا من الصادر والوارد استعذبوا منك ما أجن من الموارد ، نترجى لك عند حضرة ولي نعمتنا في استرعائك على من أخبرت أنهم من سابق رعاياك وأنه لم يخرجهم من طاعتك إلا من مانعك من الوهابية وعايك فلعله لا يرد طائر رجائنا مهيض الجناح ، وعساه أن يداوي مريض آلامك بمرهم النجاح ، فإن مولانا السلطان نصره الله هو مالك زمام حلنا وعقدنا ومرجعنا في كل الأمور إليه ولا نستطيع نحدث أمراً من عندنا ، فكن رعاك الله من الرعية الذين راعوا من استرعاهم وما راعوا بالمخالفة من رعوه ورعاهم ، ونطلب سلامة العقبى بدعاء الفقير لك ، إياك وإياك أن

تهلك باقحام الأخطار فيمن هلك ، فإن شمس العدالة بها تنزاح ظلم الظلم وتنجاب واحذر دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يبلغنا عنك صدور ما يوغر الصدور ظاهراً وباطناً ويستثير ما كان في الأفئدة كامناً فالحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من أولاد الحسنين أسوأ وأخشن ، والمأمول هو الله سبحانه أن تجد هذه النصيحة لك كافية « فإن العصا تقرع للحليم » والحكيم من شاهد الأمور قبل وقوعها كما هيه .

هذا وقد وصلنا كتابك الرابع متضمناً لإرسال هديتك ذات الحسن الرائع وهي الأربع الخيول التي لها من الحسن غرر وحجول ، فقد حلت عندنا محلا بالقبول محلى ما أظرفها من هدية جميلة مقدمة عندنا على كافة الهدايا الجزيلة .

وما أحسن الشيء النفيس إذا أتى إلـى أهـله من أهـله في محـله

وفيما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا كما هو المعهود من شيمتك البهية ، وفقك الله لكل محمده سنيه بمنه وكرمه ، وذكرت لنا حفظك الله تعالى أنا لا نسمع فيك كلام الحساد الذين يسعون في الأرض فساد ، فنحن ما أصغينا سمعاً قبل ذلك ونكره ذلك طبعاً غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات مفصلا عندنا من قبل ست سنوات ولو كشف الغطاء ما زدت على علمي يقيناً والسلام ، انتهى .

غزو محمد بن أحمد المتحمي :

في عام **١٢٣١** هـ / **١٨١٦** م تحرك محمد بن أحمد المتحمي لغزو المخلاف ليثأر من الأمير حمود بقريبه طامي بن شعيب الذي سلمه الأخير لرجال محمد علي باشا .

اتصل خبر هذا الغزو بعلم الأمير حمود فأخذ في الاستعداد وتقدم إلى جهة الدرب لملاقاته ، وهناك في يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب **١٢٣١** هـ/ **١٨١٦** م دارت رحا المعركة وانتهت بهزيمة المتحمي وعودته إلي عسير .

عاد حمود تخفق على رأسه ألوية النصر فتفرغ لشئون إمارته ، وأطلق يد

وزيره الحسن بن خالد في تدبير أمورها وإدارة شئونها فشمر هذا عن ساعد الجد وألف رسالة في التوحيد ونشرها في البلاد ، وألف هيئات تتجول للإرشادات والحث على إقامة الشعائر الدينية .

وفيها غزى الجبال اليمنية واستولى على جبل كحلان ، وعاد إلى « المختارة » ظافراً واستمر على إدارة البلاد إلى عام ١٢٣٢ هـ/ ١٨١٧ م ، وفي تلك السنة بلغه أن محمد أحمد المتحمي يقوم بحركة تجمع لغزوه فتقدم حمود إلى وادي بيش وأقام زهاء شهرين وعندما أطمأن إلى عدم نزوله سار غازيا لقبيلة عبس المعروفة في شرق المخلاف السليماني وبعد أن ظفر بهم عاد إلى مدينة أبي عريش .

وفي عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م كان غزو حسني باشا لبلاد عسير - راجع أخبار عسير - وبعد استيلائه عليها عاد إلى الحجاز فوقع الخلاف بين العسيريين وتحزب أكثرهم مع الحامية التركية ضد رئيسيهم محمد بن أحمد المتحمي وعلي بن مجثل فاتفق الرئيسان على الاستعانة بحمود واستدعائه لتولي أمر عسير ، وصادف هذا رغبة جارفة في نفسه وأمنية طالما خفق لها قلبه الطموح فسارع إلى بعث جيش لنجدتهما بقيادة الوزير الحسن بن خالد الحازمي .

تقدم الحسن بن خالد إلى عسير :

سار ذلك الجيش بقيادة الوزير تتقدمه طليعة من الفرسان برئاسة القاضي حسن ابن عطيف الحكمي حتى استقرت الطليعة في رجال ألمع والحسن بن خالد في « الحمة » ، وهناك علم أن قوة من الجيش التركي بقيادة جمعة باشا يرافقها الأميران منصور بن ناصر وعلي بن حيدر تزحف إلي عسير فلاقاهم واشتبك معهم في معركة أودت بهزيمتهم ، وتقدم إلى عسير تتقدمه طليعته بقيادة حسن بن عطيف الحكمي حتى إذا توسط في جبال السراة شعر بما يتهدد جيشه من العسيريين ، وتحرج موقفه فلم يستطع التقدم ولم يقدر على الانسحاب ، فاستنجد حمود فسار بنفسه على رأس جيش قوي لنجدته وتمكن من إخضاع عسير لأمره .

وفي عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م إنهـالت عليه قبائل جبال السراة وتظاهروا بالانتظام

في سلك طاعته ، ويقول صاحب الديباج الخسرواني الحسن بن أحمد العاكشي : إن قبائل السراة أظهروا الإنضمام في سلك طاعته مع أن قلوبهم مريضة ويعتقدون أن قتاله مع القدرة فريضة .

وبينما هو يؤلف القلوب ويوطد الأمور ، وافته الأخبار بتحرك سنان باشا على رأس حملة قوية وبرفقة خصماه الأميران علي بن حيدر ومنصور بن ناصر - وقد شاءت الأقدار أن يتأخر علي بن حيدر ، ويعود من أثناء الطريق ويبقى منصور في صحبة الحملة .

زحف الجيش الجرار صاعداً قمم السراة فاستعد حمود لمواجهته ، وكان قد ألم به المرض ، ومع ذلك فلم يهن ولم يتضعضع وجابه الواقع بما ينبغي من البسالة والحزم .

المعــــركـة :

التقى الجمعان ودارت رحا المعركة واستعمل السلاح الأبيض فولي الجيش التركي الأدبار ، وكان أهل السراة متربصين بالفريقين في رؤوس الجبال وفي مضايق الأودية وأطراف الشعاب - ينتظرون بفارغ الصبر لمن تكون الغلبة - لينقضوا على المنهزم قتلا وسلباً ، فلما اتضح لهم انهزام الأتراك انقضوا عليهم وتعقبوا فلولهم المذعورة ، ومن جملتهم فريق من الحملة على رأس سنان باشا ومنصور ابن ناصر لحقهم العسيريون في العقبة المسماة (تيَّة) فقضوا عليهم قضاء مبرما بما فيهم سنان ومنصور .

بعــد المعــــركة :

عاد الأمير حمود إلى معسكره ظافراً وقد تزايدت عليه علة المرض فلزم الفراش حتى أدركته الوفاة في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول عام ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٨ م فدفن في موضع يسمى الملاحة من بلاد بني مالك في السراة - تغمده الله برحمته .

الأمـــير حمـــود :

إن سيرته الشخصية سلسلة من البطولة والبطولة الفائقة استطاع كأمير وقائد أن يقف في القمة من أحداث زمنه وسياسة عصره ، وهو ألمع شخصية في أسرة آل خيرات .

اختط مدناً وضرب اسمه على السكة - ولم يسبق لأحد من أسلافه ذلك ، كان سكة نقوده عليها اسم أبي عريش ، ثم ضرب السكة الثانية في عام ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م في مختارة ، وثالثة ضربت في مدينة الزهرة ، ورابعة باسم زبيد ، أيام عمالة ابنه أحمد بن حمود عليها .

ومن آثاره :

١ - اختطاط مدينة الزهرة في وادي مور سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م .

٢ - اختطاط مدينة مختارة في بلاد قيس عام ١٢٢٧ هـ/ ١٨١٢ م .

٣ - عمر قلعة بندر جازان التي الآن في قسم منها مركز اللاسلكي وعمرانها الحالي على يد الأتراك الذين جددوا عمرانها بشكلها الحاضر .

٤ - جدد عمارة سور مدينة زبيد .

٥ - عمر سور مدينة الحديدة .

٦ - أنشأ جامعاً في باطن سور الديرة على القباب وأتم بناءه على شكله الباقي إلى حال تاريخه الأمير الحسين بن علي بن حيدر - ولا يزال محتفظاً بشكله إلى هذا التاريخ في الجنوب الغربي من مدينة أبي عريش .

٧ - أوقف خمسمـــائـة معـاد على الثمـانية الأصنـاف وأوقف على العلمـاء والمتعلمين وقفا آخر .

ولد عام ١١٧٠ هـ / ١٦٥٩ م وتوفي عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م .

وثيـــقة تـاريخيـــة
عن العهــد السعــودي الأول في المخــلاف [1]

بســــــم الله الرحمـن الرحيـم

من حسن بن خالد إلى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل سعود (. .) وإياه بالبـاقيات الصـالحـات سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فموجب الخط إبـلاغكم السلام والسؤال عن حالك وأحال الله عن الجميع كل مكروه ، وحسن شداد وصــل والخـطوط التي صحبتـه وصلت والحمـد لله على عافيتكم كان وصــول الخــطوط بعـد أن اختـار الله للشـريف ما عنـده وانتقـل من هذه الـدار الفانية إلى الدار الباقية على حسن حال (. . .) وكان وفاته لعشر مضين من شهـر ربيعي الأخـرى فالله المسئـول أن يرحمـه وأن يكـرم نزلـه فلقـد مات مجـاهـداً في ذات الله وكـان وفـاتـه بعـد أن جمع الله بيننا وبين أعداء الله من التــرك وغيرهم لأربـع وعشـرين مضين من شهـر ربيع الأولى وأخـذ أعـداء الله من الأروام واستــولى على كل ما جروه من المـدافـع والقنبـر ، وقتـل باشتهم سنـان أغـا وقتـل منصور بن ناصر ومن لا يحصى من أهل الفجور وأخذهم الله كمـا أخـذ القـرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقتل من الترك أكثر من ألف قتيل فالحمــد لله وحــده صدق وعــده ونصـر جنـده وهـزم الأحـزاب وحـده ، وتـوفـاه الله بعـد أن أخـذ الله الجنـود الفاجرة على يديه وبعد ذلك من كان من العسـاكـر من الجنـود الـذين جمعهم من أهـل الـدينـار والـدرهم ، رجعوا إلى بلادهم وأخـذهم الله كمـا أخـذ التـرك ومن بعـد نفـوذهم أعاننا الله على جمع شمـل المسلمين وعاهد الجميع من عسير وغيرهم على العمل بكتاب الله وسنة رســول الله والمـوالاة والمعـاداة والسمـع والـطاعـة ومـوالاة المسلمين ومعـاداة عدوهم وعلى السمـع والطاعة في العسر واليسر ومن بعد ذلك وجهنا المسلمين

---

(1) راجع كتابنا « محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية » ص ٩ بعنوان الدولة السعودية الأولى ففيها نوضح فحوى هذه الرسالة التأريخية .

إلى من تمتن من أهل وادي شهران من أهل « تندحة » ودمر الله جملة قرى في وادي تندحة وشهران وبلاد عسير وحال نخط الخط والسجن ملآن من أشرار أهل الردة وباشات الترك والخيل التي بأيدي كل من والى الترك صارت بأيدينا وأخذنا حلقة من رأينا أخذ حلقته ، وتاريخه وقد عاهدنا (عبيدة) و (رفيدة) اليمن بعد أن أخذنا ديار من أراد الله ، وعاهد جميع شهران وبني شهر وعاهد جميع بني بشر وبالأحمر والأسمر وصار حد المسلمين إلى شريف وسنحان وهم يكتبون إلينا ورجال ألمع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله كما قد ذكرنا لكم وتاريخه والمناخ الذي نحن منه قد اجتمع فيه من المسلمين أكثر من عشرة آلاف وصدرت ونحن مستعينون بالله ومستنصرون ومؤذون لجهاد أعداء الله نسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأن ينصر دينه وكتابه وما النصر إلا من عند الله وقد بلغنا استيلاء هذه الطائفة الكفرية على « الوشم » و« القصيم » و« سدير » ودخولهم واضطراب العارض وهذه ثمرات الذنوب نسأل الله جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ويثبت أقدامنا وينصرنا على القوم الكافرين والعبد المسلم لا يستوحش في طريق الهدى لقلة سلاكه والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو رأس النجاة ولا ينبغي للمسلم أن يفتقر إلى غير ربه نسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم جواباتك صحبة محمد الحويك وصلت بعد وفاة الشريف وأرسلنا الخط الذي منكم إليه إلى الولد أحمد بن حمود وصدر إليكم جوابه وهو معكم إن شاء الله وقائم على الهمة في جهاد أعداء الله نسأل الله أن يثبته ويسدده وأن يأخذ بناصيته إلى ما فيه الخير والولد شبيب وصل إلينا بعد الحرب (نحو عشر كلمات غير مفهومة لتآكل الورقة) انتهى .

[illegible] من [illegible] [illegible]

وإياه بالباقيات الصالحات السلام عليكم [illegible]

الخط [illegible] السلام [illegible]

[illegible] وصل [illegible] الخطوط التي [illegible] والحمد لله على [illegible]

[illegible] الدار [illegible] [illegible]

الله وكان وفاته لعشر [illegible] من شهر [illegible] الأول فالله [illegible]

يرحمه [illegible] [illegible] ما [illegible] وكان وفات

[illegible] الله [illegible] أعدا الله من الترك [illegible]

[illegible] الله من [illegible]

ما جرى من [illegible] وقتل [illegible]

[illegible] من أهل [illegible] خذلهم الله كما أخذ القرى وهي ظالمة

إن أخذه أليم شديد وقتل من الترك أكثر من [illegible] قتيل في [illegible]

[illegible]

الله [illegible] الجنود [illegible] على [illegible]

من العساكر من الجنود الذين [illegible] من أهل الدينار والدرهم رجعوا إلى

بلادهم وأخذهم الله كما أخذ الترك ومن بعد [illegible]

على [illegible] المسلمين [illegible] على [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] المسلمين [illegible] على [illegible]

[illegible] ومن بعد [illegible] المسلمين [illegible] من أهل الردة

من أهل [illegible] وقد [illegible] الله [illegible]

[illegible] الخط [illegible]

[illegible] من [illegible] أهل الردة [illegible] الترك والخيل [illegible]

[illegible] بلدنا وأخذه [illegible]

[illegible]

[illegible] من أراد الله [illegible]

[illegible]

[illegible] المسلمين [illegible]

[illegible] على [illegible]

ذكرنا [illegible]

[illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible]

الحـــالة العـــامة في اليمـــن وتهـــامة

الـــدور الثـــاني لحكـــم الأتـــراك

تقلص ظل الحكم التركي عن جنوب الجزيرة العربية ، كما مر بك .

ومن عام ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م بسط الأئمــة الـزيديون حكمهم على أغلب الأقسام الجنوبية مباشرة أو بالوساطة بين الاستقرار والقوة والاضطراب والضعف كما تقتضيه نواميس الوجود .

توفي المؤيد عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م الذي بلغت به سلطتهم الذروة وتمكن بمهـارتـه وقـوته ودهائه وحنكته من إجلاء الأتراك من اليمن ، وقد شمل سلطانه أوسـع رقعة استظلت تحت رعاية حكمهم من أول تاريخهم إلى الآن ، فكانت حدود مملكتـه من صعـدة شمـالا إلى عدن ولحـج جنـوبـاً ـ وإذا استثنينا عهد المتـوكـل إسمـاعيل الـذي أخضـع بلاد يافـع وحضـرمـوت لسلطتـه وقد خلف أخـوه أحمد بن القاسم عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م نحو عامين تقريبا كانت في خلالها الأمـور غير مستقـرة حتى تنـازل لأخيه الآخر إسماعيل المتوكل عام ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م، وفي عهــد إسمـــاعيل هذا تأثلت سلطة الإمـــامـــة واتـرعت خزائنـه بالأمـــوال ووســـع على مركـــز الإمـــامـــة في الـنـفقـــات الخـاصـــة ـ انـــظر ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ من هذا الجـزء وانقضت مدة المهـدي أحمـدالتي لم تتعـد الخمســة الأعـــوام ، ومـــدة المؤيد محمـــد بن إسمـــاعيل ، التي هي بدورهـا لم تتجـاوز الخمسـة الأعـوام أيضاً ، والأمور على استقرارها النسبي بالرغم مما شاب عهـــدهـــا من الاضـــطراب والخـــلافـات ، ففي عهـد الأول هب قاسم ابن المؤيد لمعـارضتـه ولم يتغلب على تلك المعارضة المسلحة إلا بقتال عنيف ، وأمـا في عهد المؤيد محمد بن إسماعيل فقد تقسمت البلاد إلى إقطاعيات بين أسـرتـه ، وكـان ليس له غير الخـطبـة ، وبـوفـاة الأخير تولى الإمـامـة صاحب المواهب الذي ساد في عهده الإرهاب وحكم القوة . فقد أناب على المخلاف السليماني أحمد بن غالب البركاتي ـ راجع أخبار المخلاف السليماني لعهد أحمد ابن غالب ـ كمـا انفصلت صعدة وأكثر القسم الشمالي من الجبال تحت سلطة

علي بن أحمد ـ وخلف صاحب المواهب في الإمامة الثائر عليه المتوكل القاسم ابن الحسين الذي استمر عهد إمامته من ١١٢٩ هـ/ ١٧١٧ م إلى ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٧ م وقد ثار عليه هو أيضاً جماعة من أسرته منهم محمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ومحسن بن المؤيد ، وكان سبب ثورتهم عليه كما ذكره صاحب البدر الطالع أن بعض عماله المسمى الشجني أراد التسوية بين السادة وغيرهم من الشعب في الضرائب الحكومية .

خلف المتوكل في الإمامة ابنه المنصور الحسين بن أحمد عام ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٧ م فنازعه أخوه أحمد الأمر وظل الشقاق والخلاف والحرب مشبوب الأوار بينهما إلى أن توفي الأول عام ١١٦١ هـ/ ١٧٤٨ م ، وكان اليمن في عهدهما قسمين ، أما المخلاف فقد تولاه بالنيابة عن المنصور هذا ، من عام ١١٤١ هـ/ ١٧٢٨ م أحمد بن محمد الخيراتي ، ثم أسرته الذين ظلوا يتوارثون إمارته بعد ذلك ويسيطرون على أموره ومقدراته ، وليس للأئمة إلا الاسم في الخطبة أو التأييد الروحي لأحد أفراد تلك الأسر على الآخر ممن يشعرون بتحوله عن تلك التبعية إلى سنة ١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠ م ، وهي السنة التي امتد فيها نفوذ الدعوة الإصلاحية الوهابية على المخلاف السليماني ثم انضوى تحت لوائها بعد معركة أبي عريش في يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٣ م التي انتهت بانتصار قائد الجيش السعودي وإناطة حكم المخلاف بالدرعية وإبقائه على حمود بن محمد في إمارة المخلاف كما كان قبل ذلك على أن يحارب البلاد الخاضعة لحكم إمام صنعاء بعد أخذ العهد عليه بالسمع والطاعة ، وقد ظل حمود على ولائه حتى شعر بغزو محمد علي ، وتقدم جحافله إلى الدرعية فاستقل بأمر المخلاف ـ راجع أخباره بهذا الجزء ـ وبعد وفاة حمود وتولى ابنه أحمد بن حمود كان وصول توفيق باشا وابتداء الدور الثاني لحكم الأتراك لليمن .

الدور الثاني لحكم الأتراك في اليمن :

إن هذا الدور يعتبر في الحقيقة من عام ١٢٣٤ هـ/١٨١٩م وهو العام الذي انتزع خليل باشا إمارة تهامة من أحمد بن حمود الخيراتي ـ راجع الفصل الخاص بهذا الأمير ، والفصل الخاص بالأمير علي بن حيدر ـ وبعد استلام خليل باشا للبلاد كما ستقف عليه مفصلا ـ سلم قسما إلى إمام صنعاء مقابل اشتراط

دفع اليسير من الخراج ، وقسما إلى الأمير علي بن حيدر ، ثم عاد خليل على رأس قواته إلى الحجاز ، وقد ظل أمر علي بن حيدر مناطاً في المهم بوالي الحجاز ، واستمرت الحالة على ذلك المنوال مع ما يتخللها من غزو العسيريين ـ كما سيأتي بعده ـ إلى عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م أي العام الذي استنجد فيه الأمير المذكور بوالي الحجاز أحمد باشا الذي سير حملة قوية إلى تهامة وأرفقها بكتاب إلى الأمير بأن يرسل معها ابنه إلى اليمن لمناجزة القوات العسيرية المتغلبة عليه وفعلا تم لتلك الحملة الاستيلاء على سهول تهامة بقيادة محمد أمين ، ثم خلفه أحد أقرباء محمد علي المسمى إبراهيم باشا ، وصل بحراً على رأس حملة أخرى من مصر فجعل هذا في مدينة الحديدة مركزاً لولايته واستمر على ولاية اليمن إلى عام ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م ، فصدرت إليه الأوامر بتسليم البلاد إلى الأمير الحسين بن علي بن حيدر كنتيجة لتنفيذ قرارات مؤتمر (لندرة) القاضية بانسحاب قوات محمد علي من البلاد العائدة لتبعية الدولة العثمانية .

وبعد ذلك ظل أمر تهامة بيد الأمير الحسين بن علي إلى عام ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م وهو العام الذي وصل فيه توفيق باشا واستلم تهامة من الأمير الحسين ـ راجع أخبار هذا الأمير .

توفيق باشـــا :

وصل توفيق باشا يرافقه محمد بن عون أمير مكة إلى اليمن في عام ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م فاستلم تهامة من الأمير ، وعلى أثر ذلك اتصل به الإمام محمد بن يحيى ، ثم قابله في أطراف القسم الجبلي وسار بتلك الحملة إلى صنعاء واستولى الأتراك على مدينة صنعاء بيد أنه كر عليهم الإمام علي بن المهدي ـ المناوىء لمحمد بن يحيى وأرغمهم على الانسحاب إلى تهامة بعد أن اقتحم المدينة وأباد أكثرهم وقبض على خصمه الإمام محمد بن يحيى وقطع رأسه ـ راجع أخبار أئمة صنعاء ـ وبعودة الحملة إلى الحديدة عاد محمد بن عون ، وظل توفيق باشا على ولاية البلاد إلى أن أدركته الوفاة فوصل سري باشا خلفاً له .

بعد انتهاء جحافل الأتراك من القضاء على إمارة آل عائض حول قائدها

أحمد مختار أعماله الحربية إلى جنوب الجزيرة وأخذ في التقدم والزحف الوئيد إلى أن وصـل « مناخة » فأرسل إليه الإمام علي بن المهدي وفداً لاستقباله مؤلفاً من السادة أحمد بن محمد الكبسي وحسين غمضان وزيد أحمد الكبسي .

وصـل الـوفـد الإمـامي إلى منـاخـه وشاهد الفيالق الجرارة وما هي عليه من الاستعـداد والعـدد ؛ فقـابلوا القائد أحمد مختار وأبلغوه تحيات الإمام وتقديمه فروض الطاعة واستعداده بتسليم صنعاء ؛ وكان أحمد مختار يحمل أوامر سلطانية بالتقدم إلى صنعاء وتأديب المتمردين وإقرار الأمن وجعلها مقراً للولاة العثمانيين في اليمن وأشـار إليه الـوفـد في تلك المقابلة برغبة الإمام عند استقرار الأحوال في تفويض أمر البلاد إليه تحت الرعاية السلطانية فلم يزد أن هز رأسه وغمغم بكلمات تركية ـ لم يفهم الوفد معناها .

والت القوات التركية تقدمها إلى أن وصلت (نقيل عصر) غرب صنعاء بمسافة ساعة ونصف ؛ فخرج إلى ملاقاته كل من الإمامين علي بن المهدي وغالب بن محمد وحسين بن المتوكل وغيرهم من الرؤساء والعلماء فقابلهم أحمد مختار ؛ ثم طلب من الإمام علي بن المهدي بواسطة رئيس مدينة صنعاء محسن معيض إخلاء المعاقل والقلاع المحيطة بالمدينة وقصر غمدان .

وفي ١٦ صفر ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م دخلت القوات التركية مدينة صنعاء واحتلت المعاقل والحصون .

أحمـــد مختـــار في صنعـــاء :

تمـركـز في عاصمـة اليمن وأخذ على العمل في توطيد الأمن والقضاء على الخلافات وطلب من الإمام علي بن المهدي السجلات والوثائق الحكومية وبدأ في تنفيذ برنامج سياسته التي تتلخص في :

١ ـ استرضاء الرأي العام والتقرب من عامة الشعب دون الخاصة من الأسر الحاكمة ورجال العهد السابق .

٢ ـ حصـر نفـوذ الأئمـة ورجـال دعوتهم وجعلهم في شبه عزلة تحول دون اتصالهم المباشر بالشعب ورؤساء القبائل .

٣ ـ منع دفع عوائد الزكاة التي تدفع للإمام ، وتقرير ثلاثة آلاف ريال راتباً شهريا للإمام وأسرته .

٤ ـ إقصاء الموظفين الوطنيين وإشغالها بالموظفين الأتراك .

٥ ـ استحصال الضرائب المتأخرة بدون إهمال .

٦ ـ تشكيل إدارة مدنية في جميع أنحاء اليمن تكون ولايتها بصنعاء .

وهي سياسة استعمارية تفضي إلى تتريك اليمن : وبعد أربعة أشهر جرد حملة بقيادة موسى كاظم يعاونه فضلي باشا إلى كوكبان التي لا تزال سلطة أحمد بن شرف الدين عليها .

شعر أمير كوكبان بتحرك تلك الحملة فقام بتحصين ذلك الجبل الأشم وسد ثنياته ولصابه ونصب العوائق وإغلاق المنافذ في وجه الحملة التركية واشتبك معهم في معارك حامية اضطر في نهايتها إلى التسليم .

ولاية أحمد أيوب باشا :

تسلم إدارة البلاد من سلفه أحمد مختار باشا الذي تحرك للعزم إلى تركيا ، وذلك في عام ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م وفيها وقع زلزال في بلاد الحيمة شقق الجبال وغيض الأنهار ، وقد استمر هذا الوالي على ولايته إلى عام ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م وعزل بمصطفى باشا .

ولاية مصطفى باشا :

وصل صنعاء في عام ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م وتسلم الإدارة من سلفه في جمادى الآخرة من تلك السنة ، ولم يكن في عهده أحداث جسام وجل ما وقع ثورات محلية تمكن من القضاء عليها ، وفي عام ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨ م وقع زلزال شديد في ذمار ، وامتد إلى يريم ومخاليفها وفيها عزل مصطفى باشا .

ولاية إسماعيل حقي :

في عام ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨ م وصل إلى صنعاء الوالي الجديد وكان من أول أعماله :

١ ـ نشر العدالة وقطع دابر المظالم .

٢ ـ الضرب على أيدي الموظفين من الارتشاء .

٣ ـ تأسيس مجالس إدارية .

٤ ـ تشكيل أربع كتائب من أبناء اليمن أطلق عليها اسم (حميدية) كحرس وطني أسند إليها مهمة المحافظة على الأمن الداخلي ، فقامت بمهمتها خير قيام ، وقد شجعه نشاطهم وما تجلى فيهم من البسالة وسرعة إلمامهم لما يتلقونه من التدريب إلى تأليف فرقة كاملة منهم فرفع تقريراً للباب العالي الذي تخوف من نتائج ذلك وأصدر أمره بحل الأربع الكتائب وعزل الوالي .

الوالي محمد عزة باشا :

وصل إلى اليمن في عام ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢ م ولم تطل مدته فقد توفي في عام ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٥ م .

ولاية أحمد فيضي :

وصل إلى صنعاء في عام ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٥ م وكان عهده عهد جفاف وقحط وسوء إدارة حتى تجرأ الجنود على ابتزاز أقوات الأهالي وتفشت الرشوة فضج الشعب بالرفع إلى السلطان وانتهى الأمر بعزله عام ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٦ م .

عزيز باشا :

تسلم الإدارة من سلفه عام ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٦ م فأخذ على العمل في نشر لواء العدالة وإزالة المظالم المتفشية والضرب على يد الموظفين المرتشين ، وتلقى الأوامر بالهجوم على شرف الدين إمام صعدة ، فأرسل حملة بقيادة حسين خيري فمنيت بالهزيمة وأرغمت على التراجع إلى « عمران » ، وعلى أثرها عزل في عام ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٨ م .

ولاية عثمان باشا :

وصل إلى اليمن في عام ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٨ م فاستجدت الرشوة واستؤنفت المظالم أشد مما كانت في عهد أحمد فيضي الأسبق ، وعزل في ١٣٠٧ هـ/ ١٣٩٠ م .

عثمان نوري باشا :

خلف سَمِيَّهُ في ولاية اليمن ، وكان من خيرة الولاة الأتراك مكارم

أخـلاق وحسن إدارة حتى شهر في أنه لم يكن له ضريع في جميع ولاة الأتراك باليمن وقد لقب بالفقيه لتدينه وكثرة صدقاته ، فلم يرق عمله لبقية رجال الدولة ورأوا فيه القضـاء المحقق على مآربهم ومصـالحهم الخاصة فرفعوا مضبطة إلى الباب العالي بأنه ضعيف الإرادة سيء الإدارة لا يصلح لولاية اليمن ، وفي عهده نشط الإمام شرف الدين الهادي وملك « الظفير » و « حجة » وغيرها ، وكان ذلك من الأسباب التي أيدت ما رفع فيه ، وكان عزله في عام ١٣٠٧ وهي التي توفي فيها شرف الدين الهادي ـ راجع أخبار الأئمة ـ .

إسمـاعيل حقي باشا للمـرة الثانية :

وصـل إلى صنعاء في عام ١٣٠٧ هـ/ ١٣٩٠ م وهي السنة التي نصب فيها الإمام المنصور محمد خلفاً لسلفه شرف الدين ، وقد استطاع هذا الإمام الحازم أن يضـرمهـا عليه حربـاً لا هوادة فيها حتى فل سلطته وتركه مشلول الحركة في صنعـاء ـ راجـع أخبـار أئمـة اليمن ـ توفي في عام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩٢ م ونطاق الحصار مضروب على صنعاء .

أحمد فيضي باشا :

تقدم إلى صنعاء في أوائل عام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩٢ م على رأس قوة عظيمة من الأتراك ووالى تقدمه إلى (مفحق) ، فالتحم القتال بينه وبين قوات الإمام المنصور وبعد معارك طاحنة دارت رحاها في سوق الخميس ، تقدم ودخل مدينة صنعاء وفور دخوله أصدر أمره بالعفو العام ، فهدأت الأمور واستقرت الأحوال .

وفي آخـر رجب من تلك السنـة تجهز لقبيلة (حاشد) ومحاولة القبض على الإمام إن أمكنه فدخل بلاد حاشد وكان الإمام في (القفلة) فارتفع عنها إلى موقع حصين آخـر فاكتفى أحمـد فيضي بتـأديبهم وعـاد إلى صنعـاء وأمـر بإقـامـة الاستحكامات والتحصينات فوق المرتفعات المحيطة بالمدينة .

وفي عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م قبض على خمسين عالمـاً ورئيساً من قادة الرأي في اليمن الأعـلا منهم سعـد الدين الزبيري ويحيي الكبيسي ومن آل الإرياني ومن آل الحـرازي وغيرهم بتهمـة اتصـالاتهم بالإمـام وأرسلهم تحت الحـراسـة إلى

الحـديدة ومنهـا إلى (تركيا) وفي شهر شوال قام برحلة تفتيشية ورجع في شهر الحجة من السنة نفسها .

وفي عام ١٣١١ هـ/ ١٨٩٤ م أخذت المقاومة للحكم التركي الغاشم شكلا جديداً وهي نسف بيوت المأمورين « بالدنميت » والموظفين الأتراك الذين يسيئون استعمال سلطتهم ، وفي عام ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م وصل الأمر بعزل أحمد فيضي وتعين خلفه (حسين حلمي باشا) ؟

الوالي حسين حلمي باشا :

قدم إلى صنعاء في عام ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م وكان من الولاة الأكفاء ، متضلعاً من المعـارف والعلوم ، مشجعاً للعلم ، حدباً على ذويه ، وعلى أثر وصوله قام بتوزيع الصدقات التي حملها من السلطان ، ومن أعماله المأثورة .

١ ـ الضرب على يد موظفي الدولة المرتشين .

٢ ـ استقبال الشكاوي وإزالة المظالم .

٣ ـ تقدمت إليه الشكاوي ، « بياور » الوالي السابق محمد هاشم فأمر بسجنه ثم أقاله من وظيفته ورحله إلى سورية كما فعل كذلك بموظف آخر يدعى (مرزاح) .

٤ ـ أسس إدارة مستقلة للمعارف وعمل على إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية ومكتب الصناعات .

٥ ـ وأخذ في تقريب وتقديم أهل العلم والفضل .

كان لذلك الوالي مجلس استشاري يرأسه (حسني بك) الذي شهر عنه أنه على جانب من العلم والتضلع في الشئون الإدارية وقد بلغ من شغفه باقتناء الكتب أنه جمع مكتبة نفيسة من المخطوطات واستنسخ من الكتب التي تعذر عليه شراؤها الشيء الكثير .

وممـا يلاحظ أن سياسـة الحكـومـة في هذه المـرحلة كانت سياسـة التقرب لاستمـالـة عواطف الشعب فقـد صدر أمـر الباب العالي على الوالي والمجلس

الاستشاري والموظفين الملكيين بلبس (العمائم) عرباً كانوا أم أتراكاً ، تقرباً للشعب ومراعاة لشعوره الوطني .

عزل (حسين حلمي باشا) عام ١٨ وتوجه إلى تركيا ترافقه اللجنة الاستشارية وتسلم أعمال الولاية خلفه المشير عبد الله باشا .

الوالي عبد الله باشا :

تولى كما مر بك آنفاً ومن أعماله تنسيق بعض شوارع صنعاء ومد الهاتف السلكي إلى عدة جهات في اليمن الأعلى وعزل في عام ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م وأسباب عزله تساهله وموقفه غير الحازم تجاه تعدي الإنكليز على الضالع .

توفيق باشا :

خلف سلفه السابق على ولاية اليمن في عام ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م واستمر على ولايته حتى توفي الإمام المنصور وتولى بعده ابنه الإمام يحيى في عام ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م فالتحم القتال وضرب الأخير الحصار على مدن اليمن الأعلى فاختل الأمن وسادت الفوضى ـ راجع أخبار الإمام في محله من هذا الكتاب ـ فأرسلت الدولة التركية (أحمد فيضي) للمرة الثالثة على رأس حملة عسكرية قوية فوصل الحديدة في عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م ومنها والى تقدمه إلى الجبال وبعد معارك دامية ودماء جارية انسحب الإمام من (صنعاء) فدخلها أحمد فيضي وأعلن العفو العام فرجع أهل صنعاء المتشتتون إلى مدينتهم فانتعشت نسبياً واستمر الهدوء إلى عام ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م وهي السنة التي عزل فيها أحمد فيضي بحسن باشا .

حسن باشا :

وصل إلى صنعاء في عام ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م ، وكان متصفاً بالتعقل ، فسكنت في عهده الفتن ، واتفق مع الإمام يحيى على عقد هدنة ، وعدم تَعَدِّي وسمح لمن يرغب في زيارة الإمام في كوكبان وأنشأ علاقات ودية مع الإمام ورخص لمن يرغب في التقاضي لديه مما رغب الإمام في إقامة محاكم شرعية في نفس البلاد التي يسيطر عليها الأتراك كالحيمة وصنعاء وفي عام ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م عزل بكامل بك الذي وصل صنعاء في ١٧ صفر وعزل في جمادى الأولى بمحمد علي باشا .

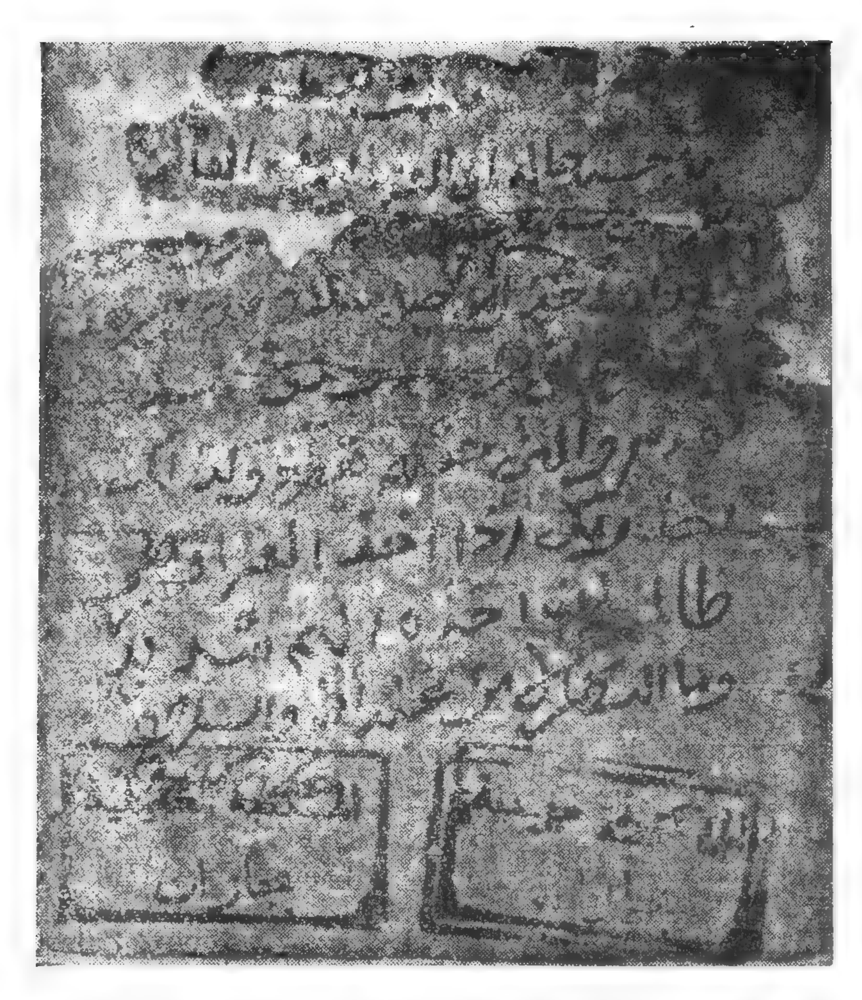
الوالي محمد علي باشا :

وصل إلى اليمن عام ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م ، وصف بأنه متعجرف شرس ، وأن سياسته تتسم بالقسوة والجبروت فنفر القلوب فهب الإمام يحيي لمناهضته واستدعى القبائل النافرة من غطرسته وتعجرفه فأقبلت من كل صوب ، وضرب الحصار على صنعاء وبقية مدن اليمن الأعلى ـ راجع تأريخ الإمام يحيي في هذا الكتاب ودام الحصار إلى آخر شهر الحجة وانتهى بدخول عزة باشا لصنعاء في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م .

أحمد عزة باشا :

دخل (صنعاء) كما مر بك آنفاً في ربيع الأول عام ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م وبعد أن استقرت الأمور اتصل بالإمام (يحيي) لإبرام الصلح على يد الحسين العمري والقاسم بن حسين ثم اتفق بالإمام واستمرت المفاوضة إلى غرة شهر القعدة سنة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ وعادت مسودة الصلح بالموافقة من الإمام وتقرر الاجتماع النهائي في (دعان) وفي الموعد المقرر اجتمع (عزة باشا) بالإمام ووقعت المعاهدة من جلالة الإمام نفسه ومن عزة .

وفي عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م قرر الأتراك رواتب شهرية لرؤساء قبائل حاشد وأرحب وللعلماء من أهل صنعاء وفي شهر الحجة من تلك السنة توجه (عزة باشا) إلى تركيا وسلم إدارة اليمن إلى (محمد علي) وفي رجب من عام ١٣٣١ هـ/ ١٩١٣ م توجه هذا إلى تركيا وأناب عنه رئيس مكتبه وفي شهر القعدة صدرت الأوامر السلطانية بتعيين (محمود نديم) والياً على اليمن وقد استمر على ولايته إلى أن صدرت الأوامر بانسحاب الأتراك من البلاد عام ١٣٣٦ هـ/ ١٩١٨ م .



صورة وثيقة تاريخية من عهد حسن بن خالد
وزير أحمد حمود الخيراتي أمير المخلاف سنة ١٢٣٣ هـ

الأمـــير أحمـــد بـن حمـــود

بعد وفاة الأمـير (حمود) في السراة اختلفت كلمة الجيش وتفرقت أراء قادته وبقدر ما حاول وزيره الحسن بن خالد الحازمي لم الشعث وجمع الشمل وتوحيد الصفوف ودعوتهم إلى البيعة لابنه الأمير أحمد بن حمود لم يستطع السيطرة على المـوقف ، وقد أشيع في المعسكر بأن الوزير يحاول البيعة لنفسه واشتعلت نار الفتنة وساد الاضطراب وكثر الشغب فانحاز الوزير عنهم إلى ناحية أخرى مع من ظل على وفائه له من الجيش فقوض الجيش خيامه ونزل إلى (أبي عريش) .

وبوصول الجيش إلى أبي عريش تقدم رؤساؤه وقادته بإعطاء البيعة للأمير وكان قد سبق وصولهم إعلان توليه خلفاً لوالده فاستمرت الأمور على ما كانت عليه في أقطار (تهامة) .

الوزيـر الحسن بن خـــالد :

بعد رحيل الجيش من عسير ـ على الصفة المتقدمة ـ تحرج موقفه في عسير فنزل إلى تهامة واستقر في موطنه (ضمد) وكتب للأمير بنبأ وصوله وأنه على عهده لأبيه وعلى الاستعداد لمبايعته ـ إن أحسن الظن به وعاهده على الوفاء ـ فسعت بينهما الوسائط وتقرر أن يجتمعا في موضع ما بين وادي (بلاج) [1] و (جازان) .

الاجتمـــاع :

وفـي الـيوم الـمـقـرر للاجتمـاع خرج الأمير من أبي عريش على رأس قوة من الجيش تتقـدمـه سرية من الفـرسـان وخرج الوزير من قرية (ضمد) يرافقه من ظل على وفـائـه من رجـال الجيش ـ وكـاد المـتـطرفـون من الفـريقين أن يشعلوا نار الحـرب لولا أن الأمير أشـار على المتهـورين من فرسـانـه بالتـوقف والإخـلاد إلى السكينـة ، فوقف الفـريقـان على مرأى العين ثم عقـد الاجتماع

---

(١) راجع الفصل الخاص بأودية المخلاف في (المعجم الجغرافي) لبلاد جازان .

وتقابلا منفردين تحت ظل شجرة باسقة وتعاهدا ثم اتحد الموكبان في موكب واحد يتقـدمه الأمير والوزير إلى مدينة أبي عريش فاستقبلت المدينة الموكب استقبالا حافلا وضربت المدافع إيذاناً بالتصافي والوئام .

الحـــالة السيـــاسية في تهـــامة :

في أول عهد الأمير أحمد ـ القصير ـ سارت الأمور في مجراها الطبيعي وكان على جانب من الطيبة واللين قربتاه من القلوب ، وكان في ذلك التاريخ قد أشرف جيش (محمـد علي) على انتهاء مهمته الحربية في (نجد) وقد أمسى سقوط (الـدرعية) في حكم الـواقع فنشطت حركة عملائهم في أنحاء الجزيرة العربية وبـالأخص في الجنـوب كتمهيد لأمـر الاستيلاء عليه ، وقد اتصل بعض أولئك العمـلاء بالأمير أحمد بن حمود وروج له الاتصال بقادة محمد علي في الحجاز مقدماً ـ ملوحين له في نفس الوقت أن قريبه الأمير علي بن حيدر ـ الخصم الأول له ولأبيه من قبله ـ لا زال يطالب القـادة الأتـراك بوعـدهـا بتـوليه أمـر المخلاف السليماني فتأثر الأمير برأيهم ورغب في الاتصال بهم لا سيما وأن أولئك العملاء قد أطمعـوه مقـدمـاً ، وأن الأتـراك سيقنعون منه بالطاعة الإسمية ، وكان لوزيره الحسن بن خالـد من الخبـرة والتجـربـة والحنكـة السياسية ، ما لم يكن للأمير بالطبع ، فنصحه بعدم الإصغاء إلى تلك الترويجات محذراً له من التورط في مثل تلك العلاقات حاثاً له على الابتعاد والتأهب في نفس الوقت لساعة الخطر بقدر الإمكان ، فلم يعر رأيه شيئاً من العناية .

غـــزو الأمـــير أحمـد لقبـــائل الخميسين :

في خلال ذلك أناب على البلاد الوزير حسن بن خالد ، وتحرك لقتال قبائل الخميسين ، الذين قتلوا جنده وقائدهم القاضي حسن بن عطيف الحَكمي ، توفق الأمير في تلك الغـزوة فأخضع القبائل العاصية ، وازدهاه النصر فتوغل في غزو القسم الجبلي إلى أن بلغ تقدمه جبل كحلان ، وقُبيل ذلك بيسير وافته الأخبار بسقوط الدِّرْعية ، وبالطبع بعد سقوطها لم يبق للجيش التركي إلا التوسع في جنوب الجزيرة .

استهل عام ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٦ م وبدأت العَمليات الحربية تتحول من الميدان النجدي إلى الجنوب وتحرك خليل باشا من الحجاز إلى اليمن .

خليـــل باشـــا :

تلقى الوزير حسن بن خالد بدهشة بالغة نبأ تحرك حملة خليل باشا إلى تهامة ، بيد أنه وهو الرجل المجرب ، لم يبهظه هول الصدمة أو يشل حركته عن العمل للدفاع الواجب بقدر المستطاع فبعث بالخبر حالا إلى الأمير في جهة كحلان ، يستحثـه على الإسـراع في العودة ويحيطه علماً بما سوف يتخذه من الاستعداد للمقاومة ، وقد باشر الوزير بالفعل حشد الجنود ، ونشر البنود ، وتقدم لملاقاتهم إلى السراة ليرابط في أطوادها المنيعة ويجعلها خط الدفاع الأول وبينما هو يعد العدة في السراة ، وافته الأخبار بأنّ الجيش التركي عدل عن الطريق وتقدم إلى أبي عريش في حركة خاطفة فأسقط في يده إلا أنه لم يهن فقد بادر إلى الإسراع في تعقبـه مؤمـلا الاشتبـاك معه ولو للتعويق وتأخير تقدمه الوقت الكافي على الأقل لاستعداد الأمير ، إلا أن جيشه قد دب إليه الفشل والوهن فكان كلما وصل إلى مرحلة انخـزل فريق منـه فلم يصل إلى وادي « بيض » إلا وقد تفرق أكثر جيشه مما عاقه عن المبادءة ، وهناك وقع في علة التردد بين أن يسبق الجيش التركي إلى قلعة ضمد ويركز بها خط دفاعه ويقود منها حركة المقاومة أو يعود إلى بلاد السراة ، وكان في جنده جماعة من بني « مغيد » على رأس « سعد بن مسلط » وأخيه لأمه علي بن مجثـل فرجحـوا له أمـر العودة إلى السراة واستعدوا أن يعقدوا له البيعة ويعاهدوه على الدفاع عنه إلى النفس الأخير ، وهنا واتته الفرصة للإبانة عن أمنية تداعب قلبه وطالما تاق إليها فاتخذ من تلك الفرصة نواة لتأسيس إمارة فرجع معهم إلى عسير السراة ، وظل هناك يعمل لتوطيد مركزه فلم يتوفق فرأي أن يعزز مركزه بغـزوة ظافـرة تعلي مكـانته فجمع جموعاً من عسير وغزا بهم إلى قرب الطائف فاستفزت حركته والى الحجاز فجرد له حملة قضت عليه في تلك الغزوة .

نهاية الحسن بن خالد :

بوصول الحسن بن خالد إلى عسير أخذ لنفسه البيعة من العسيريين ومن حولهم وكان مع علمه وفضله إدارياً حكيما وقائداً شجاعاً قد تمرس في إدارة ما كان يسنده إليه حمود ، والحكم فن ودراية ، وتمرين عملي فإذا أخذ الإنسان أموره عملياً على يد ملك موفق أو أمير ناجح أو شك أن يكون النجاح حليفه .

فكيف بـ (حسن بن خالد) الذي تدرب مع حمود ما يقارب ١٩ سنة فهو بحكم خبرته وتجاربه السياسية والإدارية والحربية يكاد أن يكون الثاني بعد حمود .

لهذا لما تولى الأمر في عسير لم يكن عليه بغريب ، وكان يغاير حمود في الناحية العلمية والدينية فلقد شغف بخطة الإصلاح الديني في الدعوة السلفية فاحتذاها ، في بعض نهجه واستفاد من تكتيكها ، ولو أنه رحمه الله من غير مدرستها .

وبينما هو في مهمته الإصلاحية يؤلف النافر ويتألف الشارد ويشيد البنيان والظروف غير مؤاتية ، والأسباب غير مناسبة ، والأمور مضطربة ، ومطامع محمد علي وتطلعاته لبسط سلطانه على الجزيرة وذلك السور الذي كان يحيط الجزيرة من المطامع قد انْهَدَّ ، وشرافة مكة رأت في السير في زخم محمد علي ومواكبة جحافله ما يحقق لها آمالها ولو بالتبعية ، وقد رأت في سقوط الدرعية ، ثم من بعد ذلك موت حمود وقبض خليل باشا على خليفته أحمد ابن حمود ، وتأمير علي بن حيدر ابن عمه تحت التبعية لمحمد علي ما يطمئنها على لعب دورها بمساعدة محمد علي ، فإذا حسن بن خالد يستولى على عسير ويقيم هناك إمارته ، ولم يكتف بذلك بل قام بغزوة موفقة على جهة « بيشة » قرب جنوب الطائف ، فاتفق محمد بن عون مع والي محمد علي على تسيير حملة إلى عسير تجهض تلك الحركة الناشئة قبل أن يستفحل أمرها لاسيما وحسن بن خالد ينهج نهج النهضة الإصلاحية التي يَفْرَقُون من عودتها إلى

الحياة وكان على رأس الحملة القائد التركي سليمان سنجق تحت إمرة محمد بن عون نفسه وكانت تتألف من :

١ ـ الأتراك .
٢ ـ عربان الحجاز .
٣ ـ عربان بِيْشة برئاسة فهد بن سالم بن شُكْبَان البِيْشي .

تحركت الحملة من مكة إلى الطائف ومنها إلى بيشة فضمت إليها ابن شكبان ـ كما قدمنا ، ومن بيشة تقدمت إلى عسير ووالت تقدمها حتى وصلت إلى جبل (شَكَر) .

وشعـر الحسن بن خالد فهب يتصدى لمقاومتها فجمع من استطاع من قبائل عسير ، والتحم معهم في موقعة فهزمها وبقي جيب متحصن في بعض الشعاب يترقب الليل لينسحب ويلحق ببقايا المنسحبين .

وبينما الحسن بن خالد يتفقد ميدان الموقعة على جواده عرفه من عرفه في ذلك الجيب فأطلق عليه طلقاً ناريا أرداه قتيلا رحمه الله .

وبقتله اختل نظام جنده وتفرق جنده وعاد كل منهم إلى قريته .

* * *

رســالة من حســن بـن خــالد

سمع الله عنكم السار ووفقنا وإياكم . . . .

عافيتكم ووصول خطوطكم يوم الأحد . . . .

من تهامة واستيلاء المسلمين على جمع . . . .

. . . .

. . . . وصلوا من تهامة كتبوا إلى . . . .

ويكن وجههم إلينا والطائفة . . . .

واصِلْه من مصر وكفى الله المسلمين . . . .

وأما جمعة ومن معه فقد انهزم . . . . بسماعه بهزيمة أصله وقصتهم هذه أشبه بقصة الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم أخذ الله الأصل وبقي الذين ظاهروهم وهم الطائفة المشرقية فنظر ما ذكر الله لرسوله في قصة الأحزاب وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم إلى آخر الآية وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب الآن . . . فنجن ننتظر ما رتب الله لرسوله من النصر علا ؟ قصة الأحزاب فإن سنة الله في السابقين واللاحقين واحدة كما قال تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وما . . في المستقبل إلا وجدت مثله في الماضي وإنما أسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة علا ؟ الرشد والهداية إلى الصراط المستقيم فبذلك ينال ما رتب الله عليها من الصفات العاجلة والآجلة وما حققتم من حال رجال حاشد والقاعدة الواصلة منهم فنسأل الله الثبات لنا ولهم في الأمر الذي يرضاه والعزيمة على الرشد وقد كتبنا إليهم خطوط صحبة الأخ أحمد الشرفي وإلى كافة همدان وصدر تسويد خط حاشد وكلية المراد الاستجابة لله ولرسوله ففيها الفوز في الآخرة والعز في الدنيا فإن العز في طاعة الله والذل في معصيته والدنيا إنما هي تبع لطاعة الله وأمر الدنيا فأمرها هين ونحن فإن فتح الله اليمن كما هو المأمول في الله جل وعلا فمال الله البذل فيه ما هو إلا للمجاهدين منهم ومن غيرهم ولهم فضيلة السبق في هذا المقام ومن بادر إلى الله جل وعلا في الإجابة بادر الله إليه بالإتابة في الدنيا والآخرة

قال تعالى : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر ﴾ وصدورها وطوائف المسلمين في نشاط الله به عليم نسأل الله جل وعلا أن يشرح صدورنا وصدورهم للحق وأن يجعل رغبتنا فيما عند الله فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وجعل الثمن في ذلك الجنة وجعله وعدا عليه في التوراة والإنجيل والقرآن فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم نسأل الله الإخلاص في العمل وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثلاثا في هذه الدنيا ولأجر الآخرة أكبر فقال : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ﴾ ومحط الفائدة العبادة ولا تكبر في صدرك هذه الحوادث فلابد لمدعي الدين من بلوى يتبين منها الصادق من الكاذب والمجاهد من القاعد والقرآن مملوء من هذا وتأمل قصص الأنبياء وقد أخرج الرسول ﷺ من مكة ثاني اثنين واجتمع اليهود على قتل عيسى فرفعه الله وخرج موسى من مصر خائفاً يترقب وقول قومه له من بعد أن بعثه الله ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ واستحضر أسر بخت نصر المجوسي لدانيال النبي وقد جعل الله العاقبة للمتقين وللتقوى وأخبر أنه مع الذين اتقوا نسأل الله أن يرزقنا تقواه وتأمل بقاء النبي ﷺ ثلاث عشر سنة يدعو الخلق إلى الله وبالمدينة عشرا لم يفتح الله عليه مكة إلا في الثامنة منها لاحدى وعشرين سنة من بعثته وما جرا ؟ عليه بمكة والطايف حتى كان سفهاء أهل الطايف يقيمونه ويرضخون رجله بالحجارة كما ذكر موسى بن عقبة وغيره ولم يزل ربه يسليه ويذكر له قصص الأنبياء كما في قوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) أي لا ناقض لحكمها وقد حكم بنصر أنبيائه ولقد جاءك نبأ المرسلين ونبأهم كما قال الله ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء

وأهلكنا المسرفين ﴾ وقال في آخر هود ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ ولأتباع الرسل من هذه الوراثة بقدر الاتباع من بلوى ونصر وعاقبه ونسأل الله جل وعلا أن يعافينا في الدنيا والآخرة فإن عافيته أوسع لنا وما ذكرتم من جهة أيام بقاءكم في أبي عريش ووصول أحمد إليكم وما جرى في ضمد وغيره فهذه أمور جفت بها الأقلام وطويت عليها الصحف وأنت فما تركت جهداً ولا أبقيت وسعاً ولا أنت عنده وعند كل من يعقل إلا محمود مشكور ولا يلحقك لائمة في شيء من هذا ولا كنت أظن أنه يدخل في نفسك أني أنقد عليه في أمر ضمد والشرهة [1] على من كان فيه كونهم لم يتسببوا الأسباب التي أمر الله بها وما قد أعد فيه من القوة لقتال العدو ومع هذا فهم لا يدفعون قدراً إنما سبقك الأقدار ليس فيها عذراً [2] للمكلفين ولو كان سبق القدر عذراً لما بعث الله رسولا ولا أنزل كتاباً ولا فرض جهاداً ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض وأنت فقد فعلت الذي يلزمك في أبو عريش حتى جاء من إليه الأمر فيه وكان ما كان ومما يشرح صدري كونك هدمت بيت علي بن حيدر من غير إذن من أحد من الأشراف وهذه الطائفة التركية فمن أسباب وصولها إلى مصر دفع أيدي الأشراف عن اليمن ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وكذلك الأخ علي محمد فلا عليه منقود وبعد خروج جميع من في البيت والأمر قريب في جميع ذلك والدنيا فما خلقها الله إلا ليخربها وفي كل شيء عوض غير الله فليس فيه عوض والمراد نصر هذا الدين وقد تكفل الله بنصره على يد من شاء من خلقه والحقيقة إليكم إنشاء الله بعد الوصول إلى بيشه راشه ونرجو الله يأخذ من فيها من عداه وصدر خط إلى حاشد كما تراه وخط إلى الأخ يحيى إسماعيل وخط إلى الأخ أحمد بن يحيى الأغطب وخط إلى الأخ أحمد بن زيد كما تراها .

في أول رجب ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٦ م أو ١٣٣٥ هـ/ ١٩١٦ م

« ويظهر أنه كتبها قبل مقتله بشهر لأنه قتل في شهر شعبان سنة ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٦ م أو ١٣٣٥ هـ/ ١٩١٦ م على اختلاف في تحديد العام » .

---

(١) شره : من باب طرب ، فهو شره ، والشره : غلبة الحرص ، وشدة النهم .
أما في مصطلح جهتنا : فالشرهة : الملامة والعتب ، وفي مصطلح نجد ـ الشرهة : العطية والهبة والصلة .
فَشَرَّه الأمير فلان : أي ـ وصله بصلة . (٢) هكذا بالأصل .

تحليل وتعـــريف :

الرسالة مرسلة من حسن بن خالد وزير حمود بن محمد أبي مسمار المصورة بهذه مقطوع من أولها ما يأتي :

١ - اسم المرسل إليه :

٢ - ومقطوع منها نتيجة تآكل الورق وتهرئها سبعة أسطر .

٣ - انها رسالة جوابية بدليل بقية السطر الثالث وورد فيه (ووصول خطوطكم يوم الأحد) .

وأول القسم السليم من الرسـالـة يبـدأ : بـ (وأما جمعه ومن معه فقد انهزم بسماعه بهزيمة أصله [1]) و (جمعه) هذا هو جمعة باشا أحد قادة محمد علي والي مصر ومن رؤساء قادته في الحجاز ، ومعلوم أنه توجه يقود حملة إلى عسير يرافقـه (علي بن حيدر) و (منصور بن ناصر) ابنا أخوي حمود الملتجئين إلى حاكم مكة من قبل محمد علي واشتبك مع جيش حمود الذي أرسله إلى عسير بقيادة حسن بن خالـد في (الحمة) من بلاد رجال ألمع . وكأنه عاديقود حملة أخرى في هذا التأريخ .

ثم يذكر في الرسالة وقعة الأحزاب . . ويورد الآيات القرآنية وبعد ذلك يشير إلى ما جاء في الرسالة التي يجيب عليها : (وحققتم من حال حاشد والقاعدة الواصلة منهم ، - والقاعدة هنا أظن أنها الجماعة أو الطائفة الواصلة منهم - ، ومعلوم أن حمود أبا مسمار كان يستعين بجنود مرتزقة من حاشد وهمدان كما يستعين بغيرهم .

ثم يذكر أنه كتب لتلك الطائفة خطوط - رسائل - مع أحمد الشرفي ، وإلى كافة همدان ، ثم أرفق صورة من رسالته إلى (حاشد) .

ثم يمضي يرشـــد إلى عز الـطاعــة وذل المعصية . . إلـخ ولا يطيل كثيراً فيقـول بعـد ذلـك مباشـرة : ونحن فإن فتح الله اليمن كما هو المأمول (كلمة غير مفهـومـة) قد تكـون (فمال الله الذي فيه ما هو إلا للمجاهدين منهم ولهم

(١) هكذا بالأصـــل .

فضل السبق) ـ وكأن الضمير يعود إلى مرتزقة حاشد وهمدان ـ والمعروف في التأريخ أن حسن بن خالد في توجهه إلى عسير عام ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م يقود جيش حمود لم يعود إلى وطنه إلا بعد موت حمود أي في عهد ابنه أحمد بن حمود ـ راجع ص ٨٦ وما بعدها جـ ١ من كتابنا أضواء على الأدب والأدباء .

وجاء في الرسالة (وصدورها وطوائف المسلمين في نشاط الله به عليم ؟ ، ويمضي ينوه بفضيلة الجهاد ويدلل على ذلك بالآيات القرآنية وقصص الأنبياء ويورد قصة دانيال عليه السلام مع بخت نصر) وجهاد الرسول ﷺ ثلاثة عشر سنة بمكة وعشر سنين في المدينة إلخ .

ثم يوجه الخطاب إلى المرسل إليه الرسالة يقول : وما ذكرتم من جهة أيام بقاءكم في أبي عريش ، ووصول أحمد ـ ولا نعلم من هو أحمد ـ « هذا » ـ إليكم في ضمد وغيره فهذه أمور جفت بها الأقلام وطويت الصحف وأنه يعذره ويشكره ، وأنه لا ينتقده في أمر ضمد ، وأن الانتقاد على من كان في ضمد الذين لم يدافعوا عنه ولم يستعدوا بالقوة اللازمة للدفاع ، وإنه أي المخاطب قد قام بما يجب عليه في أبي عريش حتى جاء من إليه الأمر إلخ . .

وإنـه كان مما يشـرح صدره لو أن المخاطب هدم بيت (علي بن حيدر) إلخ . . . وأن وصول جيش محمد علي ما هو إلا لخلع الأمراء آل خيرات من إمارة المنطقة ـ إلى أن يقول والحقيقة إليكم بعد الوصول إلى (بيشة راشه) ولا نعلم أنه وصل إلى تلك الجهة إلا بعد توجهه الثاني إلى عسير عندما علم بتحرك خليل باشا إلى المخلاف السليماني فسار على رأس جيش لصده في (السراه) ظناً منه أن خليل سيكون طريقه على عسير بينما خليل وصل بطريق الساحل .

وعندها تفرق أصحاب حسن بن خالد وتوجه هو إلى عسير وقام هناك بحركة المقاومة التي انتهت بقتله في شعبان سنة ١٢٣٤ .

والخـــلاصة ما يأتي :

١ ـ أن الرسالة من حسن بن خالد وبقلمه .

٢ ـ ونقدر أنها موجهة إلى أحمد بن حمود لأنه هو الذي يستطيع ـ لو أراد ـ هدم بيت علي بن حيدر ابن عمه .

٣ ـ ان لهجة الرسالة ومضمونها يدل على أن حسن بن خالد كتبها قبيل غزوته الأخيرة إلى بيشة ، هذا ما يبدو لنا حالياً حتى يظهر لنا أو لغيرنا ما يوضح الحقيقة .

[illegible] وصلوا من تهامة كتبوا الى [illegible]
[illegible] وحضهم البنا والطائفة [illegible]
[illegible] صلى من حضر [illegible] الله [illegible]

[illegible] ومن معه عند العزيمة لنبينا محمد بعزيمة أصله وقصتهم هي أشبه بقصة الأحزاب [illegible]
جميعا وكر من فوقكم ومن اسفل منكم خذ الله الأصل وبقي الذين ظاهروهم وهم الطائفة التركية فننتظر [illegible]
[illegible] ورسوله في قصة الأحزاب على الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم الى [illegible]
[illegible] يوم الأحزاب الآن [illegible] حتى [illegible] فنحن ننتظر ما رتب الله ورسوله من النصر على [illegible]
[illegible] سنة الله في السابقين [illegible] واحده كما قال تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل [illegible]
لسنة الله تبديلا [illegible] المستقبل الا وجدت مثله في الماضي وانما اسأل الله الثبات
في الامر والعزيمة على [illegible] الى الصراط المستقيم [illegible] ما كتب الله [illegible]
الصفات العاجلة والآجلة [illegible] من حال رجال [illegible] القاعدة الواصلة [illegible] نسأل
الثبات لنا ولهم في الامر المرضاة والعزيمة على الرشد [illegible]
[illegible] وكلمة [illegible]
ورسوله [illegible] الفوز في الاخرى العز في الدنيا [illegible] في طاعة الله والذل في معصيته
والدنيا انما هي تبع لطاعة [illegible] الدنيا [illegible] فان فتح الله [illegible] كما هو لله
[illegible] الله جل وعلا [illegible] منهم ومن غيرهم ولم يفضله [illegible]
في هذا المقام ومن بادر الى [illegible] في الاجابة بادر الله اليه بالاثابة في الدنيا والاخرى كما قال
[illegible] في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر وصدورنا وطوائف المسلمين [illegible]
[illegible] الله جل وعلا ان [illegible] وربنا وصدورهم [illegible] وان يجعل [illegible] فيما عند الله فان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم [illegible] وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل
والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم [illegible] الله
الاخلاص في [illegible] وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات [illegible] في هذه الدنيا [illegible] الاخرى
[illegible] فقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني [illegible]
[illegible] فلا بد [illegible] الله من [illegible] الصادق من الكاذب [illegible]
من القاعد [illegible] اخرج [illegible] مكة [illegible]
واجتمع [illegible] موسى من مصر [illegible]
من [illegible] ان [illegible] من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا [illegible]
عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون [illegible]
النبي [illegible] الله العاقبة للمتقين [illegible]
لقواه [illegible] ويدعو [illegible]
[illegible] مكة [illegible] عشرين سنة [illegible] مكة [illegible]
حتى كان [illegible] بالحجارة [illegible]
ربه [illegible] ويذكر [illegible] لقد كذبت رسل من قبلك [illegible]
واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله [illegible]
[illegible] المرسلين [illegible]
[illegible] من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك [illegible]
من [illegible]
[illegible]
[illegible]

موقف الأمير أحمد :

أما الأمير أحمد فبحال ورود كتاب الوزير إليه سارع بالنزول إلى تهامة فوصل أبا عريش بعد تحرك الجيش التركي من قرية أم الخشب ، وقبل أن يستقر في المدينة وصلته حامية قلعة ضمد التي فرت من القلعة قبل وصول الجيش إليها بل بمجرد علمهم بوصوله إلى صبيا .

وكان قد تخمر في عقل الأمير من الترويجات والدعايات السالفة أن مقصد خليل باشا هو فرض السيادة العثمانية على البلاد ، وأما هو فسيظل الأمير الفعلي مما هون عليه عدم الجد والأخذ بالحزم في أمر المقاومة وأخره عن واجب الأهبة والتحفز للدفاع ، وإلا فلديه جيش من رجال همدان وغيرهم من الجنود المرتزقة يستطيع بهم المقاومة على الأقل حتى يحصل على صلح شريف ، بيد أن ضعف إرادته جعلته يجنح إلى الخضوع والاستكانة والركون إلى السلامة والدعة فتحرك الجيش من صبيا فاستولى على قلعة ضمد ومنها بعث إليه رسالة برفق راجح بن عون الشنبري الذي كان نفعي المسلك فما لمس من الأمير الرغبة الأكيدة وتحقق بأن جل ما يطلبه من القائد خليل هو الوعد ولو شفهياً بإبقائه على مركز الإمارة حتى طمأنه وأقنعه بأنه متى وصل معه إلى القائد سوف يحصل على كل ما يرجوه وبينما الناس تنظر ما تسفر عنه المقابلة بين الأمير ورسول القائد فما راعهم إلا خروج الأمير بنفسه صحبة الرسول ، فشعر عند ذلك كل من له قليل من الإدراك بالنهاية المحتمة لإمارة الأمير وحياته المنتهيتين ؟

الأمير علي بن حيدر :

أشرنا في آخر الكلام على دولة حمود إلى حملة سنان باشا التي تقدمت من الحجاز إلى عسير ، وأنه كان يرافقهما الأميران علي بن حيدر ومنصور بن ناصر كما سبق الإشارة قبله إلى خروجهما من اليمن مغاضبين لعمهما الملك حمود . وألمعنا إلى تأخر الأمير علي بن حيدر عن الحملة في آخر من طلع قمم السراة ، وأنه عاد إلى حلي بن يعقوب ومنه توجه إلى الحجاز وظل يعمل جاهداً حتى أسعده الحظ فرافق حملة خليل باشا .

خليـــل باشـــا :

وصل خليل على رأس حملته القوية يرافقه عليّ بن حيدر ـ إلى أبي عريش ولم يكن الأمير أحمد في بسالة أبيه ومركزه الحربي ، وبمجرد أن وصل مندوب خليل باشا ـ الذي بعثه من معسكره بضمد ـ كما سبق الإشارة إلى ذلك ـ سار معه إلى معسكر الباشا وقدم خضوعه واستسلم مستكيناً فأمره خليل بالعودة إلى أبى عريش رفق مأمور يتولى إدارتها من قبله ، وفي صباح اليوم الثاني بعد أن دخل خليل باشا مدينة أبي عريش أخرج المدافع من حصونها وضرب خيامه قبلي المدينة ثم أمر الأمير بأن يكتب إلى كافة عماله وحامياته في المدن والمعاقل بالتسليم فصدع بالأمر وبعث خليل رجاله لاستلام البلاد من أبي عريش إلى زبيد ، وظل الأمير أحمد على مواصلة القائد في الأصائل والبكور وطلبات خليل تترى وتتجدد للخيل والسلاح الذي في حوزته حتى أتت على جميع ما لديه .

وبعد استلام رجاله لمدن ومعاقل تهامة بعث رسولا إلى إمام صنعاء يحمل كتاباً منه ويعطيه خطاب من محمد علي باشا مضمونه : أنه حسب الأوامر الشاهانية قد جهـز الجنـود لانتـزاع البـلاد من ورثـة الأمير حمـود وفيه الوعد بتسليمها إليه ، وأما مضمون خطاب خليل فهو طلب إيفاد مندوبين لمقابلته للتفاوض معهم .

بعث إمام صنعاء وفداً فرجع يرافقه وفد من الأتراك برئاسة يوسف أغا فتفاوض مع الإمـام حول شروط التسليم التي تنحصر في طلب الاتفاق على دفع مبلغ من الخراج سنوياً فوافق الإمام وعلى أثر ذلك بعث الإمام عماله لاستلام البلاد باستثناء البلاد العائدة لإدارة أبي عريش التي اشترط الوفد أن يكون تسليمها لعلي بن حيدر ، وبعودة الوفد ألقى خليل باشا القبض على الأمير أحمد وأرسله أسيراً إلى مصر .

إمـــارة علي بن حيـدر :

بعـد أن سلم خليل البـلاد اليمنية لنـواب « إمـام صنعـاء » والقسم التهـامي

الشمالي لعلي بن حيدر جمع جنوده وتحرك عائداً في شهر القعدة عام ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩ م إلى الحجاز فشيعه الأمير علي بن حيدر إلى قرب الشقيق .

تفرغ الأمير لإدارة شئون إمارته وفي عام ١٢٣٥ هـ/ ١٨٢٠ م وصلت الأخبار بوفاة الأمير أحمد بن حمود بمصر .

في تلك السنة ثار عليه ابن عمه محمد بن منصور بن ناصر في قرية الحسيني فسار الأمير على رأس قوة لتأديبه ، ففر الثائر إلى بلاد الحُسَّاب ، وفي عام ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م أسند الأمير عمالة صبيا إلى ابن عمه زيد بن ناصر وأشرك معه إخوانه في حاصلات البلاد ـ لأن الأموال الحكومية في ذلك التاريخ الهزيل كانت حقاً من حقوق الأمير ، وقد ثار هذا العامل على الأمير محاولا الاستقلال بإمارة صبيا فتمكن الأمير من إخضاعه ثم عزله وأسند العمالة إلى غيره ثم أسندها إلى ابنه الحسين بن علي في عام ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٣ م .

وفي عام ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م ثار أهل صبيا على عاملهم الحسين بن علي وحاصروه في قلعتها ، وكان الأمير غائباً في جهة الشقيق فعاد في أثناء الحصار فشعر أهل صبيا بحراجة موقفهم ، وإنما أدركوا أن لا فائدة من التردد فصمموا على قتاله فرأى الأمير أن السياسة تقضي بالعمل على ترضيتهم بعزل ابنه ، فقبل أهل صبيا وفاءوا إلى السكينة وبعد ذلك بعث رسله لاستدعاء (يام) مبيحاً لهم غزو صبيا ومخلافها .

غــــزو يــــام :

خف الياميون لاستجابته ، وهم من عرفت فيما مر بك في تاريخ هذه الأسرة ـ فلم يشعر أهل صبيا إلا بنزولهم عن طريق بيش ـ وهم على غير أهبة ولا سابق استعداد ـ فهبوا على تلك الحال للدفاع عن أنفسهم ، فلم تجد مقاومتهم فوطئهم الياميون وقتلوا الكثير منهم وانتهبوا أموالهم وذلك في صفر عام ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م ولم يكتف الأمير بما وقع بل ضاعف عليهم الخراج نكالا وعقوبة على ما أسلفوه من الثورة على ابنه .

في تلك السنة امتدت سلطة أمير السراة علي بن مجثل على قسم من المخلاف

ولم يكن في وسع الأمير علي بن حيدر مقاومته فعقد معه صلحاً تنازل بموجبه عن صبيا ومخلافها على أن تبقى في قلعة صبيا حامية الأمير إلى مدة معروفة يرفع في خلالها إلى مرجعه في الحجاز أحمد باشا فإن وصلته نجدة فالصلح نافذ المفعول وتنسحب الحامية من القلعة . بيد أنه قبل انتهاء المدة وصلت سرية من الأتراك مؤلفة من سبعمائة جندي . فاشتد بهم أزر الأمير وتعزز مركزه وتقدم بهم إلى ضمد لتأديب الحوازمة الذين كانوا ممالئين علي بن مجثل ففر رؤساؤهم إلى السراة .

نزول علي بن مجثل :

على أثر ذلك نزل الأمير علي بن مجثل إلى صبيا وحاصر حاميتها حتى استسلمت فأطلق سراحهم وأبقى بها حامية من قبله وعاد إلى بلاده .

وصول نجدة تركية :

أدرك الأمير أن السرية التركية التي لديه غير كافية لاستعادة صبيا فأرسل يستنجد بوالي الحجاز أحمد باشا فأمده بسرية أخرى عن طريق البحر وبوصولها قادها الأمير لاستعادة صبيا وضرب قلعتها بالمدافع حتى أرغم الحامية العسيرية على الاستسلام فاستلم المدينة وقلعتها وجعل بها حامية وعاد إلى أبي عريش .

الحملة العسيرية الثانية :

لم يهن على ابن مجثل أمر استعادة صبيا فتقدم لغزو أبي عريش وضرب عليها الحصار حتى رضخ الأمير علي بن حيدر وتنازل له عن صبيا ومخلافها وذلك في عام ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م .

غزوة ابن مجثل الثالثة :

وفي عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م غزا ابن مجثل تهامة اليمن واجتاح المخلاف السليماني إلى أن وصل بلاد صليل وحاصر قلعة الكلفود المسماة « ودعان » شرقي « القناوص » حتى استسلم أصحابها فاصطفى أموالهم وسلاحهم وأخرب القلعة وعاد إلى عسير .

حملة ابن مجثل الرابعة :

وقع اختلاف بين نائب ابن مجثل على مور وصليل وبين عامل الزهرة ـ من قبل علي بن حيدر ابنه الحسين بن علي أدى إلى امتشاق الحسام ، قتل فيه أحد رجال ابن مجثل .

فتقدم ابن مجثل وحاصر مدينة أبي عريش ، وكان الأمير علي بن حيدر قد استعد لذلك وحصن المدينة ودارت المعارك سجالا وإنما ساعد ابن مجثل في إحراز النصر ـ وصول الألبان الفارين من الحجاز على رأس (تركجة بلماز) الذين حين علم ابن مجثل بدنوهم من أبي عريش أرسل من يستطلع خبرهم فأخبره رئيسهم أنهم مستعدون لمساعدة ابن مجثل فعقد معهم حلفاً ـ انظر أخبار عسير ـ فانضم الألبانيون إلى جيشه وتم له احتلال المدينة صلحاً على الشروط الآتية :

١ ـ أن تحتل مدينة أبي عريش عسكرياً بحامية عسكرية عسيرية في قلعتها المسماة دار النصر .

٢ ـ أن يرحل الأمير علي بن حيدر الجنود الأتراك إلى الحجاز .

٣ ـ أن يبقى علي بن حيدر في الإمارة كنائب .

ويقال أن ابن مجثل لم يف للأمير بالشرط الثالث بل استولى على البلاد كلياً إلى أن توفي ابن مجثل في عام ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣ م ـ راجع أخبار عسير .

وبوفاته استعاد الأمير سلطته على الإمارة فوصلته رسل الأمير (عائض) ـ الذي خلف ابن مجثل في الإمارة ـ لأخذ العهد وتجديد البيعة فامتنع .

غزو الأمير عائض للمخلاف السليماني :

عاد رسول عائض وأخبره بتمنع الأمير عن بيعته فتجهز لغزوه ، وفي شهر ذي القعدة ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٤ م وصل على رأس قواته (صبيا) ومنها تقدم حتى عسكر بساحة أبي عريش ودارت المعارك بينه وبين الأمير فلم يظفر بطائل فانسحب عائداً من حيث جاء بعد أن ترك في صبيا جنداً لحمايتها .

وصول الإمدادات من والي الحجاز :

كان الأمير قد رفع لأحمد باشا والي الحجاز يستمده في إرسال النجدات فوصلته بعد انسحاب الأمير عائض فتقدم بهم إلى الحامية العسيرية بصبيا في حال أن عمال عائض أو بالأحرى عمال علي بن مجثل الذين آل أمرهم إلى عائض يبسطون سلطانهم من الزيدية إلى المخا .

وفي عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م وصلت حملة تركية بقيادة قائد يسمى محمد أمين يحمل كتاباً إلى الأمير علي بن حيدر يقضي بإرسال ابنه الحسين بن علي مع الحملة إلى اليمن لاستخلاصه من العسيريين .

سارت الحملة يرافقها ابن الأمير ووالت تقدمها حتى عسكرت على ماء الحديدة وشددت الهجوم على الحامية العسيرية إلى أن سلمت المدينة ، فرحل حاكمها العسيري ابن مفرح عائداً إلى عسير ومن ثم تم للحملة الاستيلاء على كافة تلك الأقطار إلى المخا في تلك السنة نفسها .

دانت تهامة للقائد محمد أمين فرفع إلى مرجعه والي مصر محمد علي باشا فأرسل أحد أقربائه المسمى إبراهيم باشا ـ ويقال انه ابن أخت محمد علي باشا ـ والياً لليمن فوصل إلى الحديدة عن طريق البحر وجعلها مركزاً لحكمه ومقراً لإدارته فأذن هذا للأمير الحسين بن علي بن حيدر ، فاستقر الأمير الحسين بمدينة الزهرة واتخذها داراً لإقامته وذلك بأمر محمد علي الذي قرر له راتباً شهرياً من حاصلات اللحية فتفرغ الأمير في تلك العزلة للدرس والمذاكرة وتزويد نفسه وفكره بالمعارف الأدبية .

أما والده فظل على إمارة أبي عريش من قبل والي الحديدة إلى أن توفي في عام ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م كما سنوضحه بعد هذا .

تحــرك يام لغــزو تهــامة :

في أثناء ذلك الاستقرار النسبي الذي ساد البلاد التهامية في عهد الوالي إبراهيم باشا لم يشعر إلا وقد وافته الأخبار بتحرك يام لغزو تهامة ـ عن طريق بيش ، فانتدب الأمير الحسين بن علي مع قوة من الألبان الأتراك لصدهم

فتقـدم الأمير بتلك القـوة إلى أبي عريش وهنـاك قابـل والده ثم تقدم إلى صبيا والياميون قد عسكروا في قرية العدايا ومنها خرج لقتالهم فلم يشعروا إلا بهجومه بتلك القوة المجهزة بالأسلحة الحديثة ـ في ذلك العصر ـ من المدافع والرشاشات والبنادق فولوا الأدبار وتشتت جمعهم أشتاتاً بعد أن حصد منهم الكثير عاد الأمير الشاب ظافراً إلى أبي عريش فرفع هذا النصر شأنه لدى إبراهيم باشا وبعد أيام قلائل رحل إلى الحديدة بحملته واستأذن ثم انصرف إلى الكاملية وابتنى بها قلعة حصينة واستقر بها إلى عام ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م وهي السنة التي توفي فيها والده فاستدعاه الوالي إبراهيم باشا واسند إليه إمارة أبي عريش خلفاً لوالده فسار إليها وقام بواجب تلك الإمارة على الوجه المرغوب .

الخــــلاف :

استقر الأمير الحسين بن علي في إمارة أبي عريش وأخذ في توطيد مركزه وتقوية نفوذه مما جعل إبراهيم باشا ينظر إلى تصرفه بعين القلق والارتياب ، وكنتيجة لذلك توترت العلاقات بينهما ثم آلت إلى العداء السافر ، وكان الخلاف الذي وقع بين والي الحجاز المصري وشريف مكة الأمير محمد بن عون قد أفسح المجال أمام الأمير عائض بالإضـافـة إلى اشتغـال والي مصـر بالأعمـال الحـربية في سوريا وفلسـطين ـ فشجـع كل ذلك الأمير الحسين إلى التحفز والمقاومة والوقوف ضد سياسة والي تهامة التركي إبراهيم باشا الذي أخذ بدوره في الاستعداد لتجهيز حملة لإخضاعه وتأديبه .

علم الحسين بذلك وشعر بحراجة مركزه فاتصل بالأمير عائض واتفق معه على محاربة الأتراك في تهامة فكان لصدى هذا الاتفاق وقع شديد لدى الوالي بيد أن الأمير عائضاً تخوف من مغبة التسرع من جهة ومن الجهة الأخرى فإن الطرفين لم يتـوصـلا إلى الاتفاق فى تحديد المبلغ الذي تقرر بموجب الاتفاقية دفعه سنوياً للأمير عائض الـذي اتخـذ من ذلـك وسيلة ومبرراً لتريثه ، فرأى الأمير الحسين خطورة الموقف وما يتطلبه من العمل السريع فبعث بابنه محمد بن الحسين إلى عائض ليكون لديه كرهينة على صدق نواياه وبرهان وفائه .

في أثناء تلك الأحداث كانت قد أسفرت بعض الحقائق لنتيجة مؤتمر لندرة المنعقد عام ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م الذي انتهت قراراته باعتبار محمد علي تابعاً للدولة العثمانية وتعهد المؤتمر بتنفيذ قراراته بالقوة في حال عدم رضوخ محمد علي .

وبالطبع أن الأخبار ترد إلى اليمن متأخرة لعدم انتظام المواصلات في ذلك التأريخ ، فحفزت تلك الأخبار الأمير عائضاً فأرسل حملة بقيادة محمد بن مفرح للاشتراك مع الأمير الحسين في طرد الأتراك من اليمن .

وقبل وصول الجيش العسيري بأيام وبينما الأمير الحسين في غاية الاضطراب والقلق وهو ينتظر هجوم الأتراك في شروق كل يوم وغروبه ـ كانت الدولة البريطانية قد أخذت على عاتقها ، خدمة لمصالحها الاستعمارية البعيدة الأمد ، القيام بتنفيذ قرارات المؤتمر بالقوة ، فأرسلت بعض القطع من أسطولها وجيوشها إلى صيدا فتقهقر إبراهيم باشا بن محمد علي إلى الجليل فضرب الأسطول البريطاني بيروت ثم احتلها كما هو معلوم ـ ثم تقدم (الأميرال نابيه) على رأس ست قطع حربية إلى الإسكندرية وعرض على محمد علي شروط مقررات المؤتمر فلم يسعه إلا قبولها ، ومن المعلوم أن من ضمن تلك المقررات رفع سلطته عن جميع ما امتدت إليه يده من الأملاك العثمانية وإنفاذاً لذلك أصدر محمد علي أوامره على قائده في اليمن بتسليم البلاد للأمير الحسين بن علي باسم الدولة العثمانية .

إمارة الحسين بن علي بن حيدر :

بعد أن بعث الأمير حسين ابنه إلى الأمير عائض أخذ في حشد الجنود ، ثم وصلته القوات العسيرية فضمها على حشده وتقدم إلى الحديدة ، فوصلت الأوامر للقائد إبراهيم باشا والي اليمن بالتسليم فسلم له الحديدة وتوجه عن طريق البحر ، فرتب الأمير أمرها وتقدم نحو المخا وضمها إلى إمارته فأصبحت إمارته تمتد حدودها من المخلاف السليماني شمالا إلى المخا جنوباً .

ومن المخا تحرك صوب زبيد و « حيس » وضمهما إلى إمارته ، وهم بغزو عدن ثم عدل عن ذلك لما بلغه عصيان رئيس قبيلة القحرية علي حميدة ، الذي رفع

شكواه من الأمير إلى الأمير عائض فبعث هذا من يتوسط للصلح فلم تسفر الوساطة عن نتيجة ، فتقدم الأمير من زبيد لحرب الرئيس وعندما دنى من باجل جنح الرئيس للمسـالمة وطلب الأمان وانتهى الأمر بالعفو عنه وذلك في شهر ربيع الأول عام ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م فعاد الأمير إلى الحديدة ومنها إلى الزهرة ووالى سيره عائداً إلى مدينة أبي عريش ، وكانت العلاقات بينه وبين الأمير قد ران عليها شيء من التـوتـر والفتور ، فاتصلا ببعضهما وتقرر الاجتماع في وادي بيش ـ وهناك جددا المعاهدة وسويا الخلاف وعاد كل منهما إلى جهته .

بنـاء قلعة نجـــران :

في شهر رمضان من تلك السنة ابتدأ في بناء قلعته المعروفة باسم نجران في مدينة أبي عريش ، وقد وصفت بأنها من أمنع المعاقل في تهامة وأنها تشتمل على أربعين بيتاً على أحسن نسق بلغه فن العمارة في عصره في تهامة وحصنه بثلاثة أبراج مجهزة بالمدافع الحربية التي أهدادها إليه سعيد بن سلطان ونقل إليه محاسن وذخائر ثمينة ومكتبة تحتوى على ثلاثمائة مجلد ، ووصفه صاحب التاريخ الموسوم « بالذهب المسبوك » بقوله ـ ابتدأ في بنائه في شهر رمضان قبلي مدينة أبي عريش إلى أن قال : لم يبن مثله في هذه المدينة في سالف الزمان ، وهذا المعقل حصن حصين وعلم شامخ العرنين نسيم أعاليه سجسج ومصباح أعاليه من قناديل المجرة تسرج له لون يدعو الأرواح إلى الأفراح ـ انتهى ولا تزال أطلال هذا القصر ماثلة في مدينـة أبي عريش [1] وقـد وصـف ذلـك القصر أدباء ذلك العصر ومنهم العلامة الحسن بن أحمد عاكش والعلامة المكي أبو بكر بن عبد الوهاب الزرعة .

في عام ١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢ م غزا قبيلة أسلم وأخضعها لطاعته وبعدها أقام في مدينة الزهرة وفيها ورده التأييد السلطاني من السلطان عبد المجيد بواسطة محافظ جدة وأمير مكة على أن يخطب له على المنابر فتلقاه الأمير بالقبول والامتثال .

إحيـاء الشـــريج الذي شـــرق وادي ضمـــد :

في عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م قام بإحياء تلك الأرض، وكان قد سبق أن استأذن

---

(١) أي إلى سنة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م ومن بعد ذلك نقب بعض المحتاجين على أحجاره لبيعها لعمارة الآبار والدور إلى أن أتوا على كل أساساته ولم يبق إلا فتات بقايا الآجر وصغار الحصى التى غطت عليها سوافي الرياح .

من حكـام وأعيان الجهـة وصـدقـه من والـده قبـل وفـاتـه ـ ولم يبـاشـر إحياءه إلا في هذا العام وصرف لإصلاحه مبالغ جزيلة وبنى به قلعته المعروفة بالحمى ومن ذلك التأريخ تأسست قرية الحمى المعروفة بهذا الاسم إلى هذا التاريخ ، وفيها عاد من القسم الجنوبي إلى أبي عريش واستقر في قصر نجران لأول مرة بعد انتهاء بنائه . .

قـدوم محمـد بن يحيى بن المنصـور :

في عام ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٦ م قدم إلى أبي عريش محمد بن يحيى فاستقبله الأمير بالإكرام وكان الأول قد ثار في جهة صنعاء على الإمام المهدي وهزم فخرج من الجبال إلى مصر وغيرها راجياً النجدة ، فلم يظفر بما يؤمله فعاد إلى الجهة ونزل ضيفاً على الأمير طالباً مساعدته ويظهر أن الأمير كان على خلاف مع خصمه فرأى في الاستجابة له ما تقتضيه سياسة التوسع .

غـزو القسـم الجبلي :

اتفق الأمير مع ضيفه على شروط المساعدة ، ومن ثم أخذ في الحشد والتجهيز والاستعداد حتى استكملت أهبته وتم استعداده فسار يقود جيشه إلى زبيد ومنها عقد لواءاً لمحمد بن يحيى على قسم من الجيش تقدم به إلى جهة ريمة فاستولى عليها .

أما الأمير الحسين فقد انتظر على رأس القسم الآخر لما تسفر عنه حركة القسم الأول ، وعندما وصلته البشائر باحتلال جبل ريمة تحفز للنهوض .

وفي مستهل شهر الحجة ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٦ م عقد الألوية لأقربائه وسار هو في المؤخـرة التي يتـألـف جنـودهـا من يام فاستولى على حيس وقضي بها أيام عيد الأضحى ثم تقدم صاعداً مشارف الجبال فأقبل أهلها للانضمام إلى جيشه فوالى تقدمه حتى عسكر على تعز التي كان بها حامية لإمام صنعا المهدي ـ معتصمة بقلعتها فضربها بالمدافع حتى أرغمها على التسليم واستولى على المدينة ، وفي عام ١٢٦٣ هـ/ ١٨٤٧ م ضم إليه مخلاف تعز والجند إلى حدود (إب) ومن ثم

أخذ في تنظيم شئونها وتعيين العمال على إدارتها ثم أخذ في التفرغ لشأن حليفه الذي يؤمل في انتصاره على قوة مقاومه إمام صنعاء تقرير الوضع النهائي للموقف في الجبال .

كان الهدف الرئيسي للجيش الذي يقوده محمد بن يحيى هو احتلال صنعاء وقد أصبحت تحت طائلة الحصار فأسند الأمير الحسين القيادة العامة لحليفه ، وعاد إلى تهامة ، وكان لا يزال تراوده فكرة غزو عدن بيد أنه لم ير في جيشه الكفاية لأداء تلك الغزوة المحفوفة بالخطورة فعدل عنها .

استقر الأمير فى مدينة زبيد وهناك وافته البشائر باحتلال حليفه لصنعاء وبعد ذلك وصلته الهدايا من حليفه ومن ضمنها خزانة كتب تشتمل على مخطوطات كانت في حوزة آل الإمام ـ وكان الأمير شغوفاً بالكتب النادرة فضمها إلى مجموعته الثمينة .

بوادر الخلاف بين الأميرين الحسين وعائض :

في عام ١٢٦٣ هـ/ ١٨٤٧ م تأخر الحسين عن بعث المبلغ الذي يدفعه لخزينة الأمير عائض بأسباب ما يبهظه من نفقات الحرب في القسم الجبلي ـ ولم نر أحداً من مؤرخي عهده أشار إلى اشتراك العسيريين فى حملة الأمير على الجبال مع أن عائضاً في أوج قوته في ذلك التاريخ ، وكل ما قام به في تلك الأثناء هو غزو باقم العائدة لإمام صنعاء وإخضاع قبائل بني جماعة . وأخذ في تشديد الطلب على الأمير الحسين في المال المقرر ، مما يظهر أنه لم ينظر بعين الرضا إلى حركة التوسع التى قام بها الأمير .

ونرى الأمير الحسين من الجانب الآخر يدرك أنه أصبح على جانب من القوة ويستند في نفس الوقت إلى حليفه محمد بن يحيي ، فأخذ بدوره في المماطلة والتسويف لتلك الطلبات ، بيد أن الحلف الجديد الذي استند إليه مبدئياً لم يدم ، فقد لمس الأمير من الحليف الجديد بوادر العداء والخطر المحقق فأجفل ناظراً إلى ورائه فإذا عائض مكشر الأنياب متحفز للوثوب ، فلم ير من حسن التدبير أن يجعل نفسه بين شقي الرحا ، وترجح له أن مصادقات عائض أجدى فائدة وآمن غائلة من الحليف الجديد ، فبعث

ابن أخيه الحسن بن محمد إلى عسير فعمل ما وسعه حتى تمكن من إعادة حسن العلاقات وعقد معاهدة دفاعية تعهد الأمير عائض بموجبها من دفع كل اعتداء على بلاد الأمير .

الخـــلاف بين الحليفين الحســـين بن علي ومحمـد بن يحيى :

باستيلاء محمد بن يحيي ، على صنعاء واستتباب الأمر له في الجبال أخذ في العمل على ضم القسم الجنوبي كتعز والجند وغيرهما ، مما استولى عليه الأمير وعين له العمال وأناط إدارته العامة أو الإشراف عليه لحليفه ظناً منه أن ذلك الحليف سيكون على الأقل يدين له بالولاء الاسمي ، لأن ما استولى عليه ذلك الحليف في القسم الجبلي الشمالي لم يكن إلا بمساعدته واشتراك جيشه ، أما القسم الجبلي الجنـوبي فقد فتحه الأمير أو بالأحرى استولى عليه بنفسه فله حق الفتح وبذلك تكون إمارة محمد بن يحيي مؤلفة من قسمين ، قسم ساعد الأمير حليفه بالمال والرجال في الاستيلاء عليه وقسم استولى عليه بنفسه ، بيد أن محمد بن يحيى لم ير إلا أنه صاحب الحق الشرعي اضطرته الأحوال وأرغمته الظروف إلى الاستعانة بأمير كان أسلافه تابعين لأئمة الجبال ، وأنه قد قابل جميل الأمير بالمثل عندما بعث له الهدية النفيسة التي سبقت الإشارة إليها ، وعلى الأمير بعد ذلك سحب جنوده من القسم الجنوبي وإعادته إليه وهكذا اختلفت النظريتان ، وأخذ كل منهما ينظر إلى الحق بعين مصلحته ورغبته أو أطماعه السياسية .

وكنتيجـة لتلك المقدمة توترت العلاقات بين الحليفين واستشعر الأمير بخطر ذلـك الحليف يهـدد إمـارته فبعث قوة وعاملا جديداً ليتمركز في تلك الأنحاء ، أما محمد بن يحيى فقد والى اتصالاته بالعناصر المناوئة لحكم الأمير في تهامة ـ وكان أقواهم وأشدهم كراهية للأمير هو رئيس قبيلة القحري علي حميدة ـ الذي مر بك بعض مخالفاته وعصيانه ـ واتفق معه على النزول إلى تهامة عن طريق باجل ، التي هي تحت طائلته وسيطرة قبيلته .

الهجـــوم :

أشرنا قبله إلى إعادة العلاقات الودية بين الأمير الحسين والأمير عائض وإلى عقد معاهدة دفاعية تعهد بموجبها الأخير بحماية إمارة الأول من كل اعتداء ، وقد رأى الأمير الحسين أن في ذلك الضمان الكافي من أي هجوم خارجي فركن إلى الدعة وسرح من لديه من الجنود المرتزقة من يام وهمدان ـ لأنه احتذى سياسة أسلافه من الاستعـانة في توطيد مركزهم بغير سكان المخلاف ـ وأقام في الحديدة في دعة وخفض غير حاسب أي حسـاب لخصمـه وبقيت لديه بقية من الجنـود المرتزقة الهمدانيين بمثابة حرس خاص له وهم بالطبع يدينون بالولاء الديني والروحي للإمام الزيدي خصمه الأول ، وعلى تلك الحالة فاجأه خصمه محمد بن يحيى بهجوم خاطف لم يفق منه إلا على ورود الأخبار المزعجة من فلول حامياته الهزيلة التي اجتـاح مراكـزهـا على الحدود الجيش المهاجم في باجل بمساعدة الرئيس ابن حميدة ، فلم يسعـه إلا المبـادرة بالتحفز ، وهو مضطرب الفكر متوتر الأعصاب وعلى تلك الصـورة تقدم على رأس حرسه ومن تمكن من حشدهم محاولا صد المهاجمين وكتب إلى عامله على « بيت الفقيه » بأن يلاقيه مع من لديه في قرية الخليفة .

خرج الأمير من الحـديدة مسرعاً ـ كل غايته أن يلتقي بالجيش المهاجم قبل تمركزه في باجل بيد أنه لم يصل إلى قرية شجينة إلا وقد لمس الخيانة تدب في جيشه الصغير ـ الذي جله من همدان ـ وبالرغم عما لمسه فقد أراد ألا يتسرع بسوء الـظن أو بالأحرى فاته الأخذ بالحزم ، فتقدم من شجينة ليلا فتعمد الهمدانيون تضليل اتجاه سيره حتى لا يصل باجل إلا في وقت متأخر يكون محمد بن يحيى فيه قد انتهى من أمر باجل وتحصينها وفعلا كان ذلك .

علم الأمير أن الجيش المهاجم قد سبقه إلى أهدافه فقصد أن يركز خط دفاعه قرب قرية الغانمية فلم يبلغ أطرافها إلا والعدو قد احتلها فانسحب متراجعاً وعسكر قبـل قرية القـطيع فتعقبـه محمـد بن يحيى وتم الاتفـاق بينهم وبينه على إشارة مخصوصة متى ما أطلقت انسحبوا من الميدان .

المعـــركة :

عبأ الأمير جيشه ورتب كتائبه وزحف على جيش محمد بن يحيي في يوم السبت الموافق ١١ محرم ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م ، وعندما تراءى الجيشان شعر الأمير بحقيقة خيانة جيشه فهجم مستعيناً بكل ما واتته شجاعته فأطلقت الإشارة المتفق عليها بين الهمدانيين ومحمد بن يحيى فانسحب من انسحب من الهمدانيين وبقي قسم منهم مع الأمير وبعد ساعة من الهجوم أصيب الأمير برصاصة في ركبته انسحب على أثرها من الميدان إلى مخيمه في حراسة من بقي معه من الهمدانيين وتشتت جمع جيشه فاضطر إلى الانسحاب من المخيم إلى قلعة القطيع فيمن بقي على وفائه له .

الحصـــار :

وبالتجائه إلى القلعة ضرب عليه محمد بن يحيي نطاق الحصار ثم شدد الهجوم كما استمات الأمير وصحبه في المقاومة والدفاع وأخيراً ضاق الحال بالأمير وصحبه من شدة وطأة الحصار ونفاذ المؤن وبدا التخاذل في أصحابه فاضطر إلى قبول شروط التسليم والتي تتلخص في تنازله عن البلاد التهامية لقاء سلامته وإطلاق سراحه وكتب وثيقة التنازل وأصدر أمره إلى ابنه محمد ابن الحسين المقيم في الحديدة ، وإلى ابني أخيه الحسن بن محمد عامل المخا وحيدر عامل أبي عريش بتسليم ما تحت أيديهم ، وكان عامل المخا قد وصل إلى الحديدة كما وصلها حيدر ، وبعد درس الموقف أجمع رأيهم على إجابة محمد بن يحيى باستعدادهم لإنفاذ أمر الأمير بتسليم البلاد بعد إطلاق سراحه ، ووصوله إليهم سالماً إلى مدينة الزهرة ، وانصرفوا بعد بعث الجواب إلى الاستعداد والتأهب للدفاع وأخذ البيعة من الجند ، وصرفوا بعض أعطيتهم المتأخرة فاستقرت الحالة في الحديدة بعد الاضطراب والفوضى ، واتفق الثلاثة على أن يتولى مهمة الدفاع عن الحديدة الحسين بن محمد ، وأن يتوجه الأمير محمد بن الحسين إلى مدينة الزهرة وأن تناط بحيدر بن محمد مهمة أمر منطقة أبي عريش .

علم محمد بن يحيى بتلك الإجراءات وتحصين مدينة الحديدة ، فاكتفى بما تم

له من الاستيلاء على الضحى والزيدية واقتاد الأمير أسيراً بين يديه وتحرك على رأس جيشه إلى جهة زبيد فاستولى عليها وعلى حيس ، وأبقى أسيره الأمير الحسين تحت الحراسة في احدى قرى زبيد المسماة « البشيشية » وتقدم فاستولى على مدينة المخا وبذلك امتد سلطانه في تهامة من المخا جنوباً إلى الزيدية شمالا .

الحالة في القسم الشمالي من تهامة :

بعد أسر الأمير ظل القسم الشمالي تحت إدارة ابنه الأمير محمد بن الحسين ولم يكن في مقدوره أثناء تلك الأحداث أكثر من المحافظة على البلاد والتحفز للدفاع وبالطبع إنه لم يهن على الابن بقاء أبيه في الأسر ، ورأى أنه لابد من القيام بعمل سريع ، وإنما أعوزه كل شيء للقيام بذلك العمل ، وإذن ، فليس للموقف إلا حليفهم الأمير عائض الذي قد تعهد بحمايتهم من كل اعتداء خارجي مقابل الخراج السنوي الذي يدفعونه لخزينته فتم الرأي بين الأمير وأبناء عمه على إرسال عامل اللحية علي بن محمد إلى الأمير عائض ، وفعلا توجه إليه ومكث لديه برهة من الوقت ، فلم يظفر بنتيجة فاستأذنه في السماح له بالتوجه إلى نجران للاستعانة بيام في تخليص الأمير من الأسر فلم يأذن له إلا بالعودة إلى تهامة فقط ، فعاد إلى أبي عريش وفي شهر صفر ١٢٦٤ توجه إلى نجران بطريق حرض .

الاستعانة بقبائل يام :

وصل علي بن محمد إلى نجران وطلب من يام ـ بواسطة رؤسائهم المكارمة النزول معه إلى تهامة لاستخلاص الأمير ، فلبوا داعيه وسار معه منهم جيش كامل العدة إلى أن وصل بهم إلى الأمير محمد بن الحسين في مدينة الزيدية فعقد له الأمير لواء القيادة عليهم وتقدم بهم إلى زبيد كما تقدم عامل الحديدة الحسين بن محمد بمن لديه من الجنود والتقى بأخيه واتحد الجيشان وزحفا على مدينة زبيد وتم الاستيلاء على المدينة ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م ومن ثم أخذا في مفاوضة الحراس الذين في حراستهم الأمير الأسير والعمل على استمالتهم على تسليمه مقابل مبلغ من المال ، وفي يوم الثلاثاء الموافق ٨

رسالة من محمد بن إسماعيل المكرمي الرئيس الروحي للنجرانيين إلى أحد أمراء آل خيرات

الحمـــد لله وحـــده

من أحمد بن إسماعيل المكرمي إلى الأخ الأجل الأكمل الأكرم المكرم حيدر ابن علي حرسه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صدرت للسلام . كتابكم وصل وعرفنا به ونحن ما أمكن لنـا الخـروج إلا صبـاح يوم الجمعـة نحن ومن سايرنا من الجبل وأما الغير فما لهم أمل لذلك مما كان أملهم إلا سداده وقد أعذرناهم ونحن إنشاء الله ما نمسي الليلة إلا لديكم فقـد أنت تلزم من ذكـرت يلقـونـا إلا هنـالك في (مقاب) حسبما عرفته سابق وغدا ونحن انشاء الله في الساق يكون معلوم والله يجملنـا والسـلام . والحمـال الـذي يرافقنا والأولاد يسلمون عليك ، تاريخ يوم الجمعة ١٩ شهر القعدة سنة ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٨ م .

الختـم

جمادي الأولى خرج الأمير من معتقله ، فاستقبله أبناء أخيه بحفاوة بالغة واستقر في مخيم الجيش المنقذ له وتولى قيادته واستولى على المخا في آخر شهر شعبان ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م .

غـزو الأمـير عائض تهـامة :

اغتنم الأمير عائض فرصة أسر الأمير الحسين وأخذ في إعداد العدة لضم تهامة نهائياً إلى عسير وعندما وصله علي بن محمد طالباً باسم ابن عمه النجدة إنفاذاً للمعاهدة صرفه ـ كما مر بك ـ معتذراً وبعد انصراف الرسول جد في استكمال الأهبة ـ وعندما علم بنزول يام اعتقد أنهم لا يستطيعون استخلاص الأمير من الأسر ولم يشك في أنهم سيعودون مهزومين ، لذلك تقدم إلى تهامة بعد أن اتفق مع أحد اخوان الأمير المسمى حمود بن علي بن حيدر ، بيد أن الأخبار باستخلاص الأمير من الأسر قد وافته وهو معسكر في قرية « مسلية » فتوقف في مكانه وصرح أنه لم يعلم أن الأمير على قيد الحياة وأخيراً تم الاتفاق بينه وبين الأمير الحسين على أساس الاتفاقية المعقودة بينهما سابقاً .

المرحـلة الأخـيرة :

إن ذلك الحادث أثر على نفسية الأمير ورأى أنه قاسي من الشدائد ما زهده في كل مجد ، أضف إلى ذلك ما لاقاه من جحود محمد بن يحيى ، وعدم وفاء الأمير عائض وخيانة جيشه ، فخلف كل ذلك لديه عقدة نفسية وصدمة عصبية أثرت أبلغ التأثير في مجرى حياته وأسدلت على فكره حجباً قاتمة من اليأس ودفعته إلى تحقيق المثل القائل : (وعلى أعدائي يا رب . .) يضاف إلى كل ذلك سعي الإنكليز الحثيث لدى السلطة بإزاحته عن الحكم لما سبق من تجهيزه لغزو مستعمرة عدن .

عـودة العثمـانيين إلى اليمن :

قابـل البـلاط الهمـايوني الطلب بالارتياح وأصـدر أمـره إلى والي الحجـاز توفيق باشا وأمير مكة محمد بن عون بالتحرك إلى اليمن مع قوة الجيش فوصلوا إلى اللحية ومنهـا إلى الحـديدة فقابلهم بها الأمير مرحبا . . وبلغ خبر دخولهم الحـديدة إمـام صنعـاء محمد بن يحيى فلم يحب أن ينفرد خصمه بالتزلف من

الأتراك ، فسارع بدوره إلى الاتصال بهم مرحباً بل استقبلهم في أطراف القسم الجبلي وصعد بهم إلى صنعاء التي سبق أن استولى عليها منافسه الإمام علي بن المهدي ـ في تلك الأثناء ـ فأدخلهم إليها عنوة ـ راجع أخبار أئمة صنعاء .

النهـــاية :

بعد استلام الأتراك لتهامة أرسله القائد توفيق باشا على رأس حملة لإخضاع قبيلة (أسلم) وبعد إنهائه لتلك المهمة توجه إلى وطنه الأول مدينة أبي عريش وأقام بقصره المسمَّى نجران إلى أن صدرت الأوامر من الآستانة بترحيله إليها وبعد وصوله إلى الآستانة قرر له راتب شهري وخير في الإقامة في أي محل أراده من البلاد العثمانية فاختار الإقامة بمكة وأقام بها إلى أن أدركته الوفاة عام ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م تغمده الله برحمته .

إمـــارته :

كانت مدة إمارته نيابة وانفراداً ثمانية وعشرين عاماً ، وكان مشجعاً للأدب مقرباً لذويه فانتشر ذكره في البلاد المجاورة فتقدم إليه بالمدائح غير واحد من الحجاز واليمن الأعلا وممن مدحه بالمراسلة العلامة المكي أبوبكر الزرعة مدحه بقصيدة رائعة عورضت من شعراء عصره ـ سننشرها مع المعارضات في التاريخ الأدبي ـ وقد ازدهرت الآداب نسبياً في عهده والتف حوله جماعة من أدباء الوقت ومدح بغرر المدائح ، وكان يقلد الصاحب ابن عباد في اقتراح وصف ما يروق لخاطره ويجعل من اقتراحه حلبة أدبية تجري في ميدانها القرائح وتجول في مضمارها الأقلام ـ مع الفارق بين العهدين بالطبع ـ وكان إبان إقامته بزبيد يخرج في موكبه إلى النزهة في بساتين النخيل وقد اقترح على الأدباء وصفاً لنزهته تكون على غرار المقامات الحريرية والبديعية وقد دونت تلك المقامات في كتاب مخطوط وسنورد بعضها في التأريخ الأدبي كأنموذج لفن المقامات في تهامة في القرن الثالث عشر .

المخـــلاف السليمـــاني
في العهـــد الثـــاني للأتـــراك

بعد استلام الأتراك للبلاد التهامية على يد القائد توفيق باشا كما سبق توضيحه ، وترحيلهم الحسين بن علي بن حيدر إلى تركيا ، ضربت الفوضى أطنابها في المخلاف السليماني ثم نشب الخلاف في مدينة أبي عريش بين الأميرين الحسن ابن حسين وابن عمه الحسين بن محمد بن علي بن حيدر وانقسم أهل المدينة إلى فئتين كل فئة مع أمير منهما وبذلك انقسمت إلى معسكرين فاتخذ الأول قصر والده المسمى نجران معقلا يطلق منه المدافع على خصمه المتحصن في قصره المسمّى الشامخ الذي بدوره يطلق منه قذائف مدافعه على قصر نجران ، وكانت قذائف الفريقين تتساقط وسط المدينة تحصد الأبرياء ، وأخيراً أرسل الحسين بن محمد جماعة من رجاله اغتالوا الحسن بن الحسين في قصره وبذلك أمكنه التفرد بحكم المدينة والأتراك في شغل شاغل بتوطيد سلطانهم عن كل ما هو جار في أبي عريش .

استقر حكم الحسين بن محمد بن علي في أبي عريش ، فضج أهلها من ظلمه وجبروته ، ورفعوا استصراخهم إلى الوالي التركي في الحديدة فاستدعاه فتوجه إليه وعندما بلغ منتصف الطريق وصلته قصيدة من الشاعر المعروف بالإِبِّي ، فتقدم رسول الشاعر وقرأ القصيدة بين يديه حتى وصل منها إلى هذا البيت :

كأنما الردف منها وهي تحمله ... غوائل الروم أوسرٌ هُنَاك خَفِي

فقال الحسين للمنشد : حسبك ، وصرف ركبه عائداً إلى أبي عريش .

ظل الحسين يحكم المدينة وكان سيء السير ظالماً ، استصرخ الأهالي من ظلمه إلى الوالي التركي ـ كما مر بك آنفاً ـ فلم تكن النتيجة بعد قطع رحلته من نصف الطريق وعودته إلا أسوأ من قبل ، فاضطر رئيس مدينة أبي عريش أحمد بن حسن الحمزي إلى استدعاء الأمير محمد بن عائض وتعهد له

باسم أهل المدينة بالتمهيد والمساعدة ، ومن الجهة الأخرى فقد أطمع ابن عائض وأغراه بسرعة الاستجابة اشتغال الأتراك بتسكين الفتن المتأججة عليهم في اليمن فتقدم صوب أبي عريش ، فأدرك الأمير تخلى أهل المدينة عن الوقوف في جانبه فتحصن داخل حصنه المسمى الشامخ فاقتحمه الجيش العسيري ففر الأمير الحسين إلى اليمن وبفراره استولى ابن عائض على المدينة وهدم قصر الشامخ وذلك في جمادي الأولى عام ١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣ م .

تقدم الأتراك لاستعادة سلطتهم على أبي عريش :

في عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤ م تقدم الأتراك بقيادة أحمد باشا السليماني لاستخلاص أبي عريش وتمكنوا من طرد الحامية العسيرية منه ثم من بندر جازان وجميع أنحاء المخلاف السليماني وأقاموا محمد بن حسين بن علي بن حيدر باسم قائم مقام ، وقد استمر هذا على عمله إلى أن عزل في عام ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٧ م بأخيه زيد بن حسين ثم عزل الأخير بحاكم تركي ، فاتصل آل خيرات بقبائل يام وحشوهم على غزو المخلاف فنزلت تعيث في أرجائه فسادا واقترفت من السطو والسلب والقتل ما يفوق الوصف وكان معسكرهم الرئيسي في صامطة فبعث الأتراك قوة تولت طردهم .

غزوة الأمير محمد بن عائض :

في سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م غزا محمد بن عائض تهامة فاستولى أولا على المخلاف السليماني وطرد منه الحاميات التركية ورحلها بحراً - إلى الحديدة وتقدم إلى تهامة اليمن يعيث في أرجائها سلباً ونهباً وقتلا واستولى على مدينة الحديدة - ويقال إن طلائعه وصلت إلى المخا - وارتكب جنده من الفظائع ما تقشعر له الأبدان ، وإنما كر عليهم الأتراك وهزموهم فارتد منهزماً وارتكب في أثناء تراجعه من السوابق والفظائع والمنكرات ما يعف القلم عن تسجيله إلى أن وصل ابن عائض مدينة أبي عريش فأناب به أحد رجاله المسمى لاحق وانكفأ عائداً إلى عسير .

وصلت أخبار غارته البربرية إلى الآستانة فجردت الجيوش لقتاله ـ في نفس تلك السنة ـ بقيادة رديف وأحمد مختار ـ راجع التفاصيل في الفصل الخاص بأخبار عسير ـ واسترد الأتراك سلطتهم على المخلاف السليماني ففر نائبه المسمى لاحق إلى عسير ومن ذلك التاريخ أنيطت إدارة المخلاف السليماني بالأتراك إلى قيام الدولة الإدريسية .

الحالة العامة في المخلاف السليماني :

استعاد الأتراك سلطتهم على المخلاف ـ كما مر بك آنفا ـ فضربت الفوضى أطنابها ، وكانت سلطة المدير التركي لا تتعدى بناية المركز الحكومي ـ في الأغلب الأعم ـ والقبائل تشن الغارات على بعضها وشبت الحروب القبلية تتأجج نيرانها ، ونشب القتال بين أهل أبي عريش وأهل ضمد إلى سنة ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م ثم بين المسارحة وأهل أبي عريش ومن الجانب الشرقي بين الحرث والمسارحة وفي الجنوب بين بني شبيل والمسارحة وفي الجنوب الغربي بين الحكامية والخرم وفي الشمال بين أهل صبيا والجعافرة وظلت الفتن والحروب في طول المخلاف وعرضه بين كل قبيلة والقبيلة المصاقبة لها وزاد الفتنة والحروب ضراوة وقسوة ترخيص فرنسا ببيع الأسلحة في مستعمرتها ميناء جيبوتي فنشطت تجارة الأسلحة في تهامة وزادت مقاومتهم للأتراك وفي عام ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م وقع حرب طرابلس الغرب فضرب الأسطول الإيطالي موانيء البحر الأحمر العربية ، واستمرت الفوضى والفتن إلى عام ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م الذي فيه قام الإمام محمد بن علي الإدريسي ـ كما سنأتي على تفصيل ذلك في الجزء الثاني بحوله تعالى .

***

مـــوجـز
تــاريخ بـــلاد عســير

عسـير . لم يكن واضـح معالم التأريخ في العصر الجاهلي ولا في صدر الإسلام وكل ما عثرنا عليه عن ذلك الإقليم العربي العزيز ، هو ما ذكره الهمداني في كتابه المشهور « صفة جزيرة العرب » قال : ثم يُواطن حزيمة من شاميها ، قبائل من عنز ، وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز ، فأوطان عسير إلى رأس تيه ، عقبة من أشراف تهامة وهي :

١ ـ أبهـا .
٢ ـ الـدارة .
٣ ـ الفُتيحـا .
٤ ـ اللصبـة .
٥ ـ الملحَـة .
٦ ـ طبب .
٧ ـ أتـانة .
٨ ـ عبـل .
٩ ـ المغْـوث .
١٠ـ جُـرَش .
١١ـ الحَـدبَة .

هذه أودية عســير .

وفي نجدها أوطان :

١ ـ الرفيد بلد حصون وزروع .
٢ ـ وادي سعيا ويسكنه البشريون من الأزد ، ويقال : إنهم من بني الحارث .
٣ ـ عُنْقة ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز .
٤ ـ تَندحة ، وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار يسكنها بنو أسامة من الأزد .
٥ ـ العَيْـا ، بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنـز ويليهـا وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز .
٦ ـ القرعا لشيبة ، من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد يقال لها المسقى .

٧ ـ تمنية ، ويسكنها بنو مالك من عنز .
٨ ـ طبب .
وتسمى هذه أرض الطود .
غورها ـ وأما غورها إلى ناحية أم جحدم فهي :
(١) الذِّيْبَة .
(٢) الســاقة ـ لبني حائرة من شيبة .
(٣) رأس العقبة ، عقبة ضلع . وهي لبني النعمان .

وورد في الكتاب بعنوان أرض الســراة :
(١) سراة بني علي وفهم . (٢) سراة بجيلة .
(٣) سراة الأزد بن سلامان بن مفرج . (٤) ســراة ألمع .
(٥) ســراة بارق . (٦) ســراة دوس .
(٧) ســراة غــامد .

إلى أن قال فأول بلاد الحجر من يمانيها عبل وادٍ فيه الحبل ساكنه بنو مالك ابن شهر الخ .

وبالرغم من هذه المعلومات التي ننقلها عن الهمداني والتي مضى عليها ١٠٤١ عاماً فلا زالت أكثر تلك القرى تحتفظ بأسمائها .

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في تحديد جبال الحجاز الجنوبية عن الـطود حكـاية أو رواية عن الأصمعي : الـطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى « صنعاء » يقال له السراة وإنما سمي بذلك لعلوه وسراة كل شيء ظهره ، يقال سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان . ثم سراة الأزد ، وحدد جبال الحجاز من الجنوب ببلاد مذجح ووادي تثليث .

وعلى كل فعسير قسم من البلاد العربية التي تشتمل عليها جزيرتها ، وقد شملها أمر الخلافة منذ سطعت أنوار الهداية المحمدية ، وظل كبقية أقسام الجزيرة في خلافة الراشدين والعصر الأموي ثم العصر العباسي إلى أن ضعفت سلطة بغداد وتقلص ظل نفوذها فتولى أمره رؤساء عشائره ولم تتساقط عليه أضواء التأريخ بأنوارها الساطعة إلا بعد النهضة السعودية الأولى .

في عهـــد الدولة السعـــودية الأولى

محمد بن عامر من سنة ١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠ م إلى ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٢ م .

في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ـ كانت بلاد عسير ـ كما يظهر تحكم برؤساء عشائرها المحليين وعندما اندفع تيار الدعوة الوهابية إلى الجنوب ، هاجر إلى الدرعية محمد بن عامر المعروف بأبي نقطة وأخوه عبد الوهاب بن عامر ـ من آل المتحمي ، من قبيلة ربيعة رفيدة ـ طلباً للعلم ورغبة في الدعوة وفوزاً بالزلفي في أخذ مبادئها ـ التي عدا الهداية والمثوبة ، تتيح لمريدها السيادة والمجد ، وهما في قبيلتهما محل الرئاسة والرجاء .

وما هي إلا مدة يسيرة حتى كان الطالبان في مقدمة الناجحين من زملائهم من الطلبة .

جهز الإمام عبد العزيز سرية لإخضاع عسير بقيادة ربيع بن زيد وسير برفقته ، محمد وعبد الوهاب ابني عامر وكتب لتلك السرية النصر فلم ينتصف عام ١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠ م إلا وقد تم إخضاع عسير ؛ فكان منها نقطة الانطلاق لنشر الدعوة السلفية الوهابية في القبائل المجاورة لها وبالتالي إلى المخلاف السليماني وتهامة اليمن .

ويتوطيد دعائم الحكم السعودي وانتشار الدعوة بين قبائل عسير والقبائل المجاورة لها أسند الإمام إمارتها إلى عبد الوهاب أبي نقطة ، وكان من أعماله إخضاع قبائل رجال ألمع ، ومن ثم رحل إلى الدرعية لقضاء بعض مهام مركزه : وفي عودته توفي على أثر إصابته بالجدري في عام ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٢ م ومدة إمارته سنتان تقريباً .

عبد الوهاب بن عامر من ١٢١٧ هـ/ ١٨٠٢ م ـ ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٩ م .

على أثر وفاة أخيه أسند إليه إمارة عسير وصدرت إليه الأوامر بغزو أبي عريش ـ راجع الفصل الخاص بإمارة حمود ـ وأهم أعماله الحربية :

١ ـ غزو إمارة أبي عريش التي يحكمها الأمير حمود بن محمد تحت سيادة إمام صنعاء .

٢ ـ غزو الحجاز ومشاركته الحربية في ثلاثة عشر هجوم على قوات أمير مكة (غالب بن مساعد) كان له في جميعها النصر .

توفي قتيلا في غزوته الثانية للمخلاف السليماني في جهة وادي بيش كما فصلناه في تاريخ إمارة حمود بن محمد .

إمارة طامي بن شعيب ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠ م ـ ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٥ م .

بعد قتل عبد الوهاب صدر أمر الدرعية بإقامة طامي بن شعيب أميراً على عسير ، ومن أشهر غزواته :

١ ـ غزوته التي تم له فيها استرجاع القنفذة من قوات محمد علي باشا وإبادة غالب رجالها واستيلائه على ذخائرها وعددها الحربية ومن جملتها خمسمائة رأس من الخيل في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٩ هـ/ ١٨١٤ م .

٢ ـ هزيمته لجيش محمد علي باشا في بلاد غامد هزيمة ساحقة واستيلائه على جميع معداتها .

٣ ـ اشتراكه مع عثمان المضايفي لغزو تهامة واشتباكهما مع حمود بن محمد في وقعة (بربر) التي انتهت بهزيمة الأخير ، وقد قتل في تلك الموقعة سعيد المضايفي أخو عثمان المضايفي ـ راجع تاريخ إمارة حمود .

نهـــايته :

في سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م تحرك من مصر محمد علي باشا نفسه ـ بعد فشل ابنه طوسن وهزيمته ـ فوصل الحجاز ومنه تقدم يقود جيشه صوب عسير ، وفيما بين الطائف و «تربة» التقي بالقوات السعودية بقيادة فيصل بن سعود وطامي ابن شعيب ، وبعد معركة ضارية انهزم السعوديون ، على أثرها عاد طامي بن شعيب إلى عسير ، فجمع من استطاع حشده من قبائله ، وتقدم لصد القوات الزاحفة فلم يغن تصديه شيئاً ووالت تلك القوات تقدمها حتى وصلت قرية طبب مقر طامي وعشيرته آل المتحمي ، ففر طامي بمفرده إلى حصن مسلية ، ولا تزال آثار الحصن ماثلة إلى هذا التأريخ ، ثم تحول منه محاولا الالتجاء

إلى الأمير حمود بن محمد ـ أمير أبي عريش وتهامة ـ وفي طريقه إليه نزل ضيفاً على صديقه يحيي بن محسن النعمي ، وفاتحه مستشيراً بقصده فأشار إليه بأن يختفي في الجبال الشرقية إلى الوقت المناسب مذكراً له بما سبق بينه وبين حمود فأصر على رأيه وطلب من ذلك الصديق مرافقته إلى صبيا ـ التي لا تزال بها حاميته العسيرية ـ بيد أنه في تلك الأثناء قد وصلت الأخبار إلى المخلاف باستيلاء القوات المصرية على عسير ، فتقدم نائب الأمير حمود ووزيره الحسن بن خالد على رأس قوة من قلعة ضمد ، فطرد الحامية العسيرية من قلعة صبيا ، واستولى على المدينة وبعث قوة من رجاله إلى قرية الدهنا ـ الذي بلغه أن طامياً بها فلاقته تلك القوة في الطريق فألقت عليه القبض وقادته إلى الوزير حسن بن خالد فأمر حالا بتكبيله بالحديد .

كانت القوات التركية التي احتلت طبب قد بعثت كوكبة من الخيل لمطاردته واقتصاص أثره والقبض عليه فوصلت صبيا ـ بعد الوصول به وتكبيله بقليل ـ فسلمه لها الوزير حسن بن خالد بدون شرط ولا قيد ، فعادت به في تلك الكوكبة إلى محمد علي باشا الذي أمر بإرساله إلى مصر ، فسجن بها مدة ثم أرسل إلى الأستانة وهناك طوف به في شوارعها ثم حز رأسه بالسيف ، بدون رعاية لمركزه ولا تقدير لبطولته العربية .

وباحتلال طبب والقبض على طامي بعد ذلك أبقى القائد التركي حامية بها وعاد على رأس جيشه إلى الحجاز .

محمد بن أحمد المتحمي ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٥ م ـ ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٨ م :

في شهر رمضان ١٢٣٠ تولى إمارة عسير محمد بن أحمد المتحمي ، وبعد أيام قليلة من توليه هجم على الحامية التركية في طبب فأبادها عن آخرها فاشتد بذلك ساعده وقويت شوكته فأعاد للإمارة شيئاً من صولتها ، وكأنه أراد أن يشفع ذلك الانتصار بآخر يعزز مركزه ، وكان يضطغن على أهل محائل موالاتهم لجيش محمد علي فغزاهم ونهب أموالهم وأحرق قريتهم ، ثم عاد إلى معقله وأخذ في الأهبة والحشد لأخذ الثار من الأمير حمود الذي يعتبره الغريم

والمسئول الأول عما أصاب ابن عمه طامي بن شعيب الذي فرط في حرمته ولم يراع في شخصه واجب الجوار ، وحق الوفاء لمن التجأ به ، وفي عام ١٢٣١ هـ/ ١٨١٦ م تقدم لغزوه وعلى مقربة من درب بني شعبة التقى بحمود الذي تقدم من أبي عريش لملاقاته - ودارت رحا المعركة عنيفة بين الجيشين وانتهت بهزيمة الجيش العسيري وعودته إلى قواعده . .

اتصلت أخبار استئصاله لحامية طبب وهجومه على محائل برجال محمد على في الحجاز فاستفزتهم حركته فأخذوا في تدبير الأمر وتبادل الرأي للقضاء عليه قبل استفحال أمره وإنما أخرهم قليلا تهيبهم من عدم الجزم بفوز القوات التي لديها نظراً لقلتها - وكانت غالب القوات إلى ذلك التأريخ في نجد بيد أن هزيمته أمام جيش حمود في المعركة الآنفة الذكر شجعتهم على المبادرة ووضعت حداً لتهيبهم وأعطتهم فكرة واضحة عن حقيقته ومدى قوته فقرروا إرسال حملتهم إليه بقيادة حسني باشا .

حملة حسني باشا :

تقدم حسني باشا بحملته عن طريق بيشة ، ووالى تقدمه إلى أن دخل قرية طبب - معقل الأمير - ففر إلى جهة غير معلومة ، وبفراره رأى ذلك القائد أن مهمته قد انتهت فأبقى حامية في تلك القرية وبعد أخذ العهود والمواثيق من رؤساء عسير عاد إلى الحجاز .

ظهور محمد بن أحمد المتحمي :

اختفى الأمير محمد بن أحمد المتحمي - كما مر بك - بعد استيلاء حسني باشا على معقل طبب ، وظل مختفياً إلى أن عاد حسني فاستدعاه من بقي على ولائه وتحرك للهجوم على الحامية التي في طبب ، إلا أن أغلب رؤساء عسير تخلوا عن مساعدته وامتنعوا عن الاستجابة لمشاركته فدفعه نكوصهم وتخليهم عنه للتشاور مع علي بن مجثل على الاستعانة بأمير تهامة حمود بن محمد ضد قبيلتهما المتخلفة عن طاعتهما ، فوافقه على ذلك وكانت النتيجة استجابة حمود لدعوتهما وإرساله جيشاً إلى عسير بقيادة وزيره حسن بن خالد - راجع

التفصيل في الفصل الخاص بتاريخ حمود ـ وكان تقدمه بعد ذلك بنفسه واستيلائه على عسير وبذلك طويت صحيفة آل المتحمي ، أما محمد بن أحمد فقد أسره الأتراك بعد موت حمود وقتلوه .

إمارة سعيد بن مسلط المغيدي ١٢٣٩ هـ/ ١٨٢٤ م-١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٧ م :

بعد قتل الأمير محمد بن أحمد المتحمي توالت غارات قوات والي مصر بمساعدة أمير مكة محمد بن عون واستمرت أحوال عسير في فوضى واضطراب بين فتن قبلية وغارات متكررة من جانب قوات والي مصر والأتراك وأمير مكة إلى سنة ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٣ م التي فيها غزا أمير مكة وادي الدواسر ، وقد جند لهذه الغزوة رجال القبائل ومن جملتهم قبائل عسير الذين قبل ذلك قد فاءوا إلى الخضوع ـ وكان على رأس عسير في تلك الغزوة سعيد بن مسلط نفسه وفي أثناء تلك الغزوة لحق بسعيد بن مسلط بعض إهانة من قائد الحملة العام أمير مكة فرجع ابن مسلط مغاضباً ، وبصحبته قبيلته ورجال ألمع وبعض قبيلة علكم وهجم بمن معه على حامية أمير مكة في طبب وأميرها المسمى هزاع وطردهم وأحرق المركز ، فأسرع أمير مكة من وادي الدواسر إلى عسير ، فعندما وصل إلى خميس مشيط التقى سعيد ابن مسلط وهزمه كما هزمه بعد ذلك في معركة أخرى في وادي عتود ، فرضي أمير مكة من الغنيمة بالإياب وعاد راجعاً إلى الحجاز ، وبهذين الانتصارين ارتفع قدر سعيد بن مسلط ، وعلت مكانته في نظر قومه العسيريين فأمروه عليهم .

وبالطبع لم تهن على أمير مكة الهزيمة فأخذ في العمل على تجسيم خطر سعيد ابن مسلط في نظر والي الحجاز حتى استجاب لإغرائه ـ خشية المسئولية ، وخوفاً مما يجره خطر التهاون في المستقبل فرفع بدوره لمرجعه ، ثم تقدم الوالي نفسه يقود حملة تأديبية ـ . كما سنوضحه في الدراسة التحليلية بعد ـ .

محمد بن عـون وسعيد بن مسلط :

بقتل حسن بن خالد وتشتيت جيشه لم يبق أمام الحملة ما يعوق تحقيق النصر والاستيلاء على بلاد عسير برمتها ، وبما أن القيادة الفعلية لتلك الحملة

لمحمد بن عون بحكم مركزه الاجتماعي ومكانة أسرته ومعرفة القبائل شخصيته فقد كان المتصدر للأمور السياسية والإدارية في قيادة تلك الحملة التي من مصلحتها التواري وراء شخصيته .

لهذا فقد طلب محمد بن عون البيعة من العسيريين فأعطوها ـ وليس لهم خيار فضرب معسكره في بلدة (طبب) قاعدة بلاد عسير في ذلك التاريخ .

كان أبرز العسيريين آنذاك محمد بن أحمد المتحمي الذي سبق له الإشتراك في الوقائع في العهد السعودي الأول ، وهو من أسرة الْمَتْحِمِي التي كان منها القادة في عسير للدولة السعودية ، تبدأ من محمد بن عامر ثم تلاه عبد الوهاب وغيره ، فشعر محمد بن عون بتطلعاته وتحركاته للقيام بحركة ضد تلك الحملة فيما إذا انسحبت قوات تلك الحملة .

اتفق مع القائد سليمان سنجق ، الذي يشاركه توجُّساته من نوايا محمد بن أحمد المتحمي ، على القبض عليه ثم ترحيله إلى الحجاز ومن هناك نُفِي إلى مصر مع ابنه المسمى « مُدَاوي » .

وبعد أن اطمأنت الحملة إلى نجاح مهمتها بخضوع أهل عسير أبقت حامية مع محمد بن عبد المعين بن عون ، لتوطيد سياستها في عسير وما حولها وذلك في ابتداء سنة ١٢٣٦ هـ/ ١٨٢٠ م وأناط الأمور الإدارية بأخيه هَزَّاع بن عبد المعين ابن عون ، ليتفرغ لإدارة الأمور السياسية ، واستقطاب القبائل التي تتاخم عسير ، وأراد أن يوسع دائرة نفوذه لناحية وادي الدواسر ، فجند قبائل عسير وشهران وغيرها لغزو وادي الدواسر ، فبلغ في وجهته تلك إلى (السُّلَيِّل) فتفقد شوكة بني مغيد ، فوجد الكثير منهم قد تأخر عن الجيش ما عدا رئيسها سعيد بن مسلط مع عدد قليل من قومه فاستدعاه وأنبه واشتد في توبيخه أمام الغزاة فثار لكرامته وانسحب خفية وعندما وصل إلى « السقا » أعلن الثورة عليه ، فالتفت حوله قبيلته فهاجم بهم الحامية التي في بلده (طبب) واستولى على البلدة .

ثـورة سعيـد بن مسلط :

نجحت ثورة ابن مسلط فنصب نفسه أميراً على عسير ، ومضى (ابن عون) إلى وجهتـه نحو وادي الدواسر ، وعندما وصلته الأخبار باستيلاء (ابن مسلط) على (طبب) وإخراج حاميته منها بعث بحملة لقتاله فوصلت إلى أخيه هزاع والحامية التي أخرجت ، فقادها لمحاربة (سعيد بن مسلط) ، ودارت معركة بينهم وبين (ابن مسلط) في وادي عتود انتهت بهزيمة الحملة وقتل هزاع بن عبد المعين وذلك في شهر رجب من سنة ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٣ م .

عزز ذلك النصر مكانة سعيد بن مسلط فتوطدت إمارته في عسير واتخذ من قريته بلدة (السَّقاء) مقراً لإمارته واتسعت إمارته على بلاد عسير وما جاورها من حدود بلاد « وادعة » جنوباً إلى بلاد « الحجر » شمالا .

لم يهن على (محمد بن عون) هزيمة حملته وقتل أخيه ، فأخذ في تجسيم خطر الإمارة الجديدة ، لدى حاكم الحجاز - من قبل محمد علي - أحمد باشا وأن هذه الإمارة الجديدة هي بعث جديد لنهضة آل سعود ، فرفع أحمد باشا إلى مصر كما رفع محمد بن عون بدوره مبالغاً في خطر تلك الثورة ، فصدر الأمر من محمد علي بتجهيز حملة قوية يقودها (محمد بن عون) .

وفي منتصف سنة ١٢٣٩ هـ/ ١٨٢٤ م تحركت نحو عسير ، وتسلقت الحملة « عقبة شعار » فتصدى لها سعيد بن مسلط على مسافة نحو ثلاثين كيلا - تقريباً - من بلدة (طبب) واشتبك معها في موقعة ، وبعد قتال مرير مع حملة مزودة بأسلحة حديثة - بالنسبة إلى ذلك التاريخ . انسحب سعيد بن مسلط منهزماً ، إلى الداخل وأخذ في تنظيم صفوفه واستعداده للمقاومة الطويلة .

بهـزيمة سعيد بن مسلط تقدم محمد بن عون بقوة من الحملة واستولى على بلدة (طبب) ، وأخـذ سعيد بن مسلط من موقعـه الجـديد يقاتل الحملة حتى تمكن في شهر شعبان سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م من استعادة مدينة (طبب) ودحر الحملة ومضـايقتهـا وإلحـاق الخسـائـر بها وشل مجهودها الحربي ، وإصلائها بالغـارات المـزعجة ، فلم يسع محمد بن عون إلا الإنسحاب من عسير صلحاً

صيانـة لمـاء الوجه وإبقاء على سمعة الجيش وعاد بالحملة إلى الحجاز انتظاراً لفرصة أخرى .

وفي أوائل سنة ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م تقدم محمد بن عون على عسير ، وإنما في هذه المرة أصبح سعيد بن مسلط قد توطدت مكانته وقوى جانبه ، وعندما بلغه دنو الحملة من عسير خرج لملاقاتها في بلاد شهران وهزمها ، فنكصت على أعقابها عائدة إلى الحجاز .

ورفع ذلك الانتصار من مكانته الحربية والسياسية فتفرغ لإدارة عسير حتى وافته المنية في عام ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٧ م .

الأمير علي بن مجثل ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٨ م - ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣ م :

هو ابن عم سعيد بن مسلط تولى الإمارة إبان اشتغال والي مصر بحملته على سورية وكان ابن مجثل متشبعاً بالدعوة الإصلاحية السلفية فأخذ بالعمل على غرار آل سعـود من التقدير لرجال العلم وقد خص علماء الحفاظية بالمكان الأول في إمـارتـه ، وأول عمـل حربي له غزوة قبيلة عبس في عام ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٨ م وشاطرهم أموالهم ثم غزى في نفس العام صبيا وأخرج الحامية التركية منها ، ومن صبيا تقـدم لغـزو أبي عريش فخرج لقتاله أميرها علي بن حيدر فتوسطت بينهما الوسائط بالصلح وعاد إلى عسير .

وفي عام ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩ م غزى قبيلة وداعـة وأخضعهم لطاعته وفي عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م غزى تهامة اليمن واستولى على بلاد صليل وما يجاورها وهدم قلعة رئيسها الكلفود المسماة « دوعان » وأزال ما بتلك البلاد من القباب والمزارات وعين في جهاتها أمراء من قبله وجعل الشيخ عبد الرحمن الحفظي مرشداً ومرجعاً للأمور الدينية وفي عام ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١ م غزا (حباطة بيش) فاستولى على :

١ - قبيلة الصهاليل .

٢ - قبيلة الريث وجبلهم المسمى القهر .

وفي سنة ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢ م تقدم لغزو إمارة أبي عريش ، فاستولى عليها

صلحاً وقد ساعده على استسلامها الجنود الألبان [1] فبني بها القلعة المعروفة بدار النصر ورتب بها حامية كما اتفق مع الجنود الألبان على غزو اليمن باسمه مقابل أن يمدهم بما يلزم من المؤن والعدد ، وعاد إلى عسير وقد تم للألبان الاستيلاء على تهامة اليمن ، ثم أخذوا في الاستيلاء والظلم والتمرد فنزل لمحاربتهم وتم له القضاء عليهم وتمزيق شملهم وطردهم كلياً ، وبعد أن تم له النصر أناب محمد ابن مفرح على البلاد وجعل مقره مدينة الحديدة وعاد وقد علقت به العلة التي توفي بها ، فحمل على محفة على أعناق الرجال وبعد شهرين من عودته إلى عسير أدركته الوفاة .

---

(١) هم جماعة من الجنود « الألبان » الذين قدم بهم محمد على باشا إلى الحجاز أثناء وصوله لحرب السعوديين . وقد ظلوا هناك إلى عام ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١ م وفيها ثاروا على والى الحجاز وسطوا على ما أمكنهم أخذه من المؤن والذخيرة واغتصبوا بعض السفن الشراعية وأبحروا إلى سواحل اليمن يعيثون فساداً ، وفي أثناء حصار « ابن مجثل لمدينة أبي عريش » كان وصولهم إلى جازان فعرض قائدهم « تركجة بالماز » المساعدة والمعاونة لابن مجثل فقبل مساعدتهم ، وكان له بذلك استلام مدينة أبي عريش وخضوع أميرها على بن حيدر ثم عقد معهم اتفاقية على أن يدخلوا في دعوته ويقوموا بغزو تهامة اليمن وقد قام هؤلاء الألبان في تلك الغزوة بالاستيلاء على الحديدة - المخا - زبيد وأعمالها ، وبذلك بسطوا سلطانهم على مدن تهامة كافة ، وقد أغراهم هذا الظفر بارتكاب فظائع في البلاد وأخيراً نفضوا أيديهم مما اتفقوا به مع ابن مجثل فسار لقتالهم فاستولى على الحديدة صلحاً ، والمخا . وزبيد بعد معارك حامية وتعقب فلولهم قتلا وأسراً ، أما رئيسهم « تركجة بالماز » فقد تمكن من الفرار بحراً .

دراســة وتحــليل

الأحداث تخدم الرجال ومن حسن حظ علي بن مجثل فقد شغل محمد علي بحروبه مع الدولة بغزوه لسوريا ، واشتغال أشراف مكة بخلافاتهم وعلى رأسهم الرجل النشيط صاحب المطامع محمد بن عون الذي كان أبرز أبناء أمراء مكة ، من ذوي زيد والذي يرشح نفسه للإمارة ، فقد تربع كرسي الإمارة واشتغل بها عن الاشتراك في الغزو مع قوات (محمد على) ولو إلى حين .

أتاحت تلك الفترة من الهدوء لعلي بن مجثل توطيد قوته في إمارة عسير واستغلها بعد تثبيت أمره في عسير إلى التوسع جنوباً في (المخلاف السليماني) وبعده في تهامة اليمن .

وفي المخلاف السليماني كانت إمارة علي بن حيدر ، التابع سياسياً لإمارة مكة التابعة بدورها لمحمد علي والي مصر ، وله حاميات تركية في صبيا ومدينة جازان وفي عاصمة أبي عريش ، وكان علي بن حيدر ، لا يهتم بأمور قبائل البوادي التابعة لإمارته كقبيلة عبس القوية ـ آنذاك ـ والممتد مجالها القبلي من شمال الحقو إلى شمــال وادي ضمــد ، فأخـذت تلك القبيلة تعبث بالأمن ، وكـان المخـلاف السليماني سوقاً لتصريف منتجات تهامة عسير مثل الأُدُم والسمن والعسل والحنطة وبالأخص سوق صبيا الأسبوعي وموقع تلك القبيلة يشرف ويسامت في غير بعد طريق عسير صبيا ، والعداء قديم بين تلك القبيلة وقبيلة بني شعبة ـ راجع كتابنا الأدب الشعبي ٥ جـ ٢ .

فاتخذ من قطعهم الطريق وسيلة للتوسع وسبر غور لمدى قوة جاره تمهيداً لتوسع آخر في تهامة اليمن كما سيأتي :

فجمــع جمـوعـه وغـزا قبيلة عبس ، وبـالـطبـع أن قبيلة بني شعبـة العـدو

التقليدي لقبيلة عبس من القبائل الذي شملها أمر علي بن مجثل بالاشتراك ، وهي أمنية طالما تمنوها .

ومن المعروف أن قبيلة واحدة مهما كانت قوتها فلا تستطيع مقاومة إمارة جندت لهم عددا من القبائل ، وعلى كل فقد انتهت الغزوة بإخضاع قبيلة عبس ونهب أموالها وقتل أبطالها ودخولها في الطاعة ، ولم يحرك أمير المخلاف السليماني ساكناً .

وبذلك أمكن لعلي بن مجثل الزحف على مدينة صبيا واحتلالها وإخراج الحامية الألبانية فانسحبت إلى أبي عريش ، وذلك في النصف الأول من عام ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٧ م وأبقى حامية في قلعة صبيا من قومه .

استعادة أمير أبي عريش لصبيا :

لم يهن على « علي بن حيدر » أخذ مدينة صبيا فرفع إلى أحمد باشا بمكة بالواقع وطلب منه المدد فبعث إليه بقوة بحراً ، يصحبها مدفعية تضم عليها مما لديه من قوة من الألبان في مدينة جازان وفي (أبي عريش) وتقدم بنفسه وهاجم الحامية العسيرية في قلعة صبيا فقاومته برهة ، فأخذت مدفعيته في قصف القلعة قصفاً شديداً أرغم الحامية لطلب الصلح والانسحاب فاستجاب لهم فغادروا صبيا إلى عسير ، وبمغادرتهم صبيا دخلها جيشه فأبقى بها حامية وعاد إلى أبي عريش .

ساد منطقة المخلاف السليماني الهدوء بقية عام ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٧ م وشهور معدودة من سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م ثم تقدم (علي بن مجثل) يقود قواته لغزو المنطقة فاحتل مدينة صبيا وتقدم منها إلى مدينة أبي عريش .

الاستعداد :

استعد الأمير علي بن حيدر ، وشحن الحصون بالمقاتلة وانتظر لقتاله وصده وبدنو (علي بن مجثل) خرج لقتاله وتقابل الجيشان فتقدمت واسطة خيرة للتوسط في الصلح ، وكان لبعض رجال (علي بن مجثل) السعي الحثيث في المبادرة للوساطة ، وبطبيعة الحال لولا رغبة (علي بن مجثل) في صلح

مشرف لما تقدم أولئك الرجال ، أما الأمير (علي بن حيدر) فبطبيعة الحال أنه برجوع جيش خصمه عن القتال اعتبره فوزاً ولو مؤقتا ، وكان الصلح ينص على :

١ ـ تنازل الأمير علي بن حيدر عن مدينة صبيا .

٢ ـ عودة علي بن مجثَل بجيشه إلى عَسير .

وعاد علي بن مجثل بعد أن أناب على إمارة صبيا محمد بن علي بن خالد الحازمي الضمديّ ، وأبقى معه حامية عسيرية في صبيا .

علي بن مجثل بعد عودته من المخلاف السليماني :

من سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م كانت الحالة المضطربة في الحجاز لا تسمح بالتفات محمد علي أن يتحرك لا لعسير أو غيرها من جنوب الجزيرة ، فقد وقع الخلاف بين أمير مكة الجديد عبد المطلب ، وقائد حامية محمد علي ، في مكة ، وأسبابها أن محمد علي لم يوافق على تنصيب عبد المطلب ، ورغب في تعيين محمد بن عبد المعين بن عون ، فأبلغ قائد الحامية عبد المطلب بذلك فأعلن الحرب على الحامية الألبانية ونادى بالجهاد فهبت البادية لندائه ، واستدعى (يحيي بن سرور) وظلب منه توحيد جهودهما لإخراج الجيش المصري من الحجاز فوافقه ، وتواعد على مهاجمة مكة في ١٩ جمادي الأولى سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م .

وفي أثناء الإعداد للهجوم على مكة وصل محمد بن عبد المعين بن عون من مصر بأمر محمد علي . فكان لوصوله الأثر في إحباط خطط الهجوم والمهاجمين وإرباكهم ، وفي نفس الوقت قوي موقف الجيش المصري ورفع معنويتهم للمقاومة .

وفعلا انسحب عبد المطلب من (مِنى) إلى الطائف وتراجع يحيي بن سرور من « وادي فاطمة » إلى البادية البعيدة .

نادى محمد بن عون بنفسه أميراً لمكة وأبرز أمر محمد علي بذلك ،

فأقبل عليه الناس ، ورفع لمحمد علي بفك الحصار عن جيشه وتسلمه مركز الإمارة ، وطلب منه إرسال نجدات سريعة لمطاردة خصمه ، وبوصول النجدة من مصر جمع ما استطاع جمعه من عربان البادية ، وسار مع القوة التي لديه من الجيش المصري إلى الطائف ، فتحصن عبد المطلب في الطائف ، فهاجمه حتى اضطره إلى التسليم .

ثم وقع وباء جارف في مكة والحجاز فشغله عن كل تحرك وذلك في سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م وما انحسرت موجة الوباء في سنة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١ م حتى ثارت أقوى فرقة في جيش محمد علي بقيادة « بلماز » وفر محافظ مكة « خورشيد » إلى جدة ناجياً بنفسه من بطشهم ، وحاول محمد بن عون تسكين فتنة الفرقة الثائرة فأعياه ونزح إلى الطائف ، فقام الثائرون بحصار بقية الجيش الذي لم يشترك معهم ويقاوم فتنتهم وذلك في سنة ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢ م .

وأخيراً انسحب الثائرون إلى جدة ، ونهبوا الأموال الحكومية وخزينة الدولة وركبوا أحد السفن العائدة لمحمد علي وحملوها بغنائمهم الحرام وساروا إلى جازان ثم اتفقوا مع علي بن مجثل كما سبق توضيحه .

انشغال محمد علي :

وأما محمد علي والي مصر فإنه باستيلائه على مكة سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م ـ بعد حرب ضروس خاض غمارها سنتين فلم ير أن يعيد إليها حكم الأشراف المطلق بل جعل إدارة الحجاز تحت سلطة مصر التابعة للسلطة العثمانية على الوجه الآتي :

١ ـ قيد أمر الشخص الذي يتولى الأمر بموافقته ، وحصر نفوذه بأمر العربان والشئون الداخلية .

٢ ـ يناط أمر الدفاع والسياسة بقائد حاميته في الحجاز الذي يطلق عليه تواضعاً أو سياسياً اسم المحافظ .

لقد انتهى من حربه مع السعوديين بسقوط الدرعية سنة ١٢٣٣ فلم يبق له ما يشغله آنذاك ، فراح يمد نظره إلى أمجاد وتطلعات جديدة ـ جعل

شبه جزيرة العرب ـ أمراً لا يحظى بجل اهتماماته ، وبعودته إلى مصر أخذ في :

١ ـ الاشتغال بأمر تجهيز حملة حربية لغزو السودان وضمه إلى مصر بقيادة ابنه إسماعيل وذلك في سنة ١٢٣٥ هـ/ ١٨٢٠ م .

٢ ـ بتجهيز ابنه إبراهيم إلى (الموره) من بلاد اليونان في الأسطول المصري فتألبت أساطيل الدول الأوروبية على الأسطول المصري كما هو معروف وذلك في سنة ١٢٣٩ هـ/ ١٨٢٤ م .

٣ ـ من سنة ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م اشتغل بالإعداد والتجهيز لحربه مع الدولة العثمانية في سوريا وعندما استكمل أهبته سير ابنه إبراهيم على رأس جيشه إلى (غزة) ثم (عكا) فدمشق وحلب وحمص وذلك سنة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١ م والتي انتهت باتفاقية (كوتاهية) سنة ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣ م .

٤ ـ ثم شبت الفتن في سوريا وفلسطين فاضطر محمد علي إلى التوجه بنفسه لتسكين ثائرة الثائرين ثم لإدارة معركة زيب بين جيشه والجيش العثماني التي انتهت بهزيمة الأتراك ، ثم تألب الدول الأوربية خدمة لمصالحها على (محمد علي) ، وعقد مؤتمر لندره سنة ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م الذي أرغم محمد علي بصفته تابعاً للدولة العثمانية بالتراجع وحصر أمر ولايته في مصر فقط .

هذه الأحداث سواء ما كان منها على مستوى الحجاز أو على المستوى الدولي هي التي هيأت الفرصة لنجاح ثورة العسيريين باشتغال محمد علي مؤقتاً بما هو أهم .

وسعيد بن مسلط ـ ثار وامتدت إمارته على عسير من ١٢٣٩ هـ/ ١٨٢٤ م ـ ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م .

وعلي بن مجثل خلف سابقه من سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م ـ ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣ م .

الأمير عائض بن مَرْعى المغيدي ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م ـ ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٧ م :

عهد إليه سلفه بالإمارة وهي المرة الأولى منذ تأسست الإمارة في عسير بعد أن كان يتعين الأمير بأمر من الأمير القائم من آل سعود ـ كما في عهدها الأول ـ أو يختار من قبل ذوي الرأي كما كان يجري في العهد الأخير .

والأمير عائض هو المؤسس الأول لحكم أسرة آل عائض .

لم يستقر على كرسي الإمارة ـ حتى عادت إليه رسله الذين بعثهم لأخذ البيعة ـ بخبر تمنع الأمير علي بن حيدر صاحب أبي عريش ، فتقدم على رأس جيشه لفك الحصار عن حاميته المحصورة في قلعة دار النصر ، فلم يوفق في هذه الغزوة وعاد مهزوماً ، وقد اضطرت حاميته بعد عودته إلى التسليم وشجع هذا الانتصار الأمير علي بن حيدر على غزو صبيا وطرد الحامية العسيرية من قلعتها .

تقدم الأتراك على عسير :

أزعج الأتراك أو بالأحرى جيش والي مصر التفاف قبائل عسير حول أميرهم الجديد عائض بن مرعي ، فرأوا أنه من الحزم وخدمة مصالحهم وأد هذه الحركة في مهدها قبل استفحال خطرها ـ وهم الحريصون على إخماد كل حركة عربية ـ وقد شجعهم حليفهم التقليدي أمير مكة ـ الذي يتراءى له في كل حركة تحررية خطر النهضة الوهابية ـ فبذل من جانبه القيام بدعوة مرتزقة القبائل للتجنيد وقيادتهم ، وفي عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م تقدمت الحملة مؤلفة من الأتراك والمرتزقة على رأس أمير مكة وسلكت طريق بيشة إلى بلاد شهران واشتبكت في معركة هائلة مع الأمير عائض في أعلى وادي عتود ـ بين أبها وخميس مشيط ـ فكانت الدائرة على العسيريين فانسحبوا إلى « السقا » فتقدم الأتراك واحتلوا أبها وخيمت قوات المرتزقة الذين بقيادة أمير مكة في طبب ، وبانهزام عائض إلى « السقا » نظم صفوف رجاله واستثنى المتخلفين والمتوانين من قبائل عسير وهاجم بهم القوات الغازية في أبها وطبب ، وأرغمها على الانسحاب فانسحبت إلى « باحة تنومة » ـ من بلاد شهران ـ ورابطت بها .

وفي خلال ذلك تقدمت حملة أخرى من الحجاز إلى تهامة اليمن أرغمت محمد بن مفرح نائبه على تلك الجهة ، على الخروج منها بموجب صلح ـ يخوله الانسحاب بما تحت يده من مال وسلاح .

وفي أواخر تلك السنة زحفت الجحافل التركية على عسير من جهات عديدة .

١ ـ من بلاد شَهْرَان .
٢ ـ طريق القحمة .
٣ ـ من طريق درب بني شعبة .
٤ ـ من طريق الحجاز على رأس محمد بن عون أمير مكة إلى السقا .
٥ ـ من طريق الشعْبَين .

واستهل عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م والحرب مشبوبة الأوار وفي شهر صفر بدأ الأمير عائض في تنفيذ خطط الدفاع على الوجه الآتي :

١ ـ بعث جيشاً للهجوم على معسكر الأتراك في السقا فحالفه التوفيق وقضى على قوات ذلك المعسكر قتلا وأسراً ـ وكانت تلك الموقعة استهلالا للانتصارات المتتابعة بعده .

٢ ـ أصدر أوامره على قبائل رجال ألمع بالإغارة على منازل قبيلة ربيعة رفيدة ـ الموالين للأتراك ، وعلى الحامية التركية المعسكرة لديهم فنجحت في مهمتها وأثخنت قتلا فيهم وفي الحامية .

وحفز الانتصاران ، قبائل عسير فقامت توالي الغارات الموفقة على معسكرات الأتراك ومراكز حامياتهم بشكل أوقع الاضطراب والهلع في معسكراتهم العديدة ، وقطع عليهم خطوط التموين فاضطروا إلى الانسحاب إلى خارج حدود عسير ، متقهقرين تحت ضغط غارات العصابات وهجماتها الخاطفة .

وإذا دققنا النظر واستقرينا الأسباب وعللنا الأمور بمسبباتها أرجعنا انهيار تلك القوات والجحافل الزاحفة من كل صوب ، أمام قبيلة من القبائل العربية الباسلة حصرت من كل جهة وفقدت كل معين إلا إيمانها وثقتها بالله ثم بقائدها وشجاعتها العربية الأصيلة ، ثم ترجع تلك الجحافل متقهقرة ، لوجدنا أن خللا طرأ على جهاز القيادة العليا ، وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية نجد أنه ورد في كتاب (قلب الجزيرة) نقلا عن«هوغارث»أن خلافاً نشب بين رديف

باشا القائد التركي المعروف وبين الأمير محمد بن عون وأحمد باشا والي الحجاز من قبل محمد علي باشا ، لأسباب رغبة الأمير محمد بن عون في بسط نفوذه على قبائل عسير ، وأنه على أثر ذلك صدر أمر محمد علي على الأخيرين بالتوجه إليه بمصر وفعلا وصلا إليه في عام ١٢٥٢ هـ/ ١٨٣٦ م .

ونتج عن ذلك الاختلاف تأخر الحملات التركية عن عسير ثلاثة أعوام أي من عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م إلى عام ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م تفرغ خلالها الأمير عائض لتنظيم شئون إمارته وإجراء بعض الإصلاحات المحلية من التشجيع على التفقه في الدين على يد العلماء الحفاظية وقام بالغزوات الآتية :

١ ـ غزوته « لبيشة النخل » وإخضاعها لطاعته .

٢ ـ إرسال سرية إلى درب بني شعبة للمحافظة عليها من غارات قبائل يام التي انحدرت إلى تهامة للسلب .

٣ ـ غزا بنفسه غامد وزهران وأخضعها لطاعته ، وقد استردها عقب ذلك والي الحجاز أحمد باشا .

٤ ـ تقدم يقود عشرين ألف مقاتل لاسترداد غامد وزهران فمني بهزيمة منكرة فنى فيها أغلب جيشه وتشتهر هذه المعركة بمعركة رغدان .

٥ ـ غزا قبيلة الجهرة من قبائل شرقي وادي بيش ثم هجم على أهل الحقو وأثخن فيهم قتلا في الرجال والنساء بحجة أنهم آووا قبيلة الجهرة .

وعلى أثـر انسحاب قوات محمد علي من الحجاز ـ كنتيجة لنصوص معاهدة (لنـدرة) ورجوع أمر أمير مكة محمد بن عون إلى الأتراك عقد بينه وبين الأمير عائض صلحاً يقضي باحترام كل من المتعاقدين لسلطة الآخر ، وقد أطلق الأمير محمد بن عون جميع أسرى عسير ، الذين أسروا في وقعة رغدان ، وهكذا ابتسم الحظ للأمير عائض فوطد أركان إمارته وامتدت سلطته على كثير من البلاد .

وفي عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م اتفق مع الأمير الحسين بن علي بن حيدر أمير أبي عريش على محـاربة قوات محمد علي في تهامة اليمن ، وعملا بذلك أرسل جيشاً

بقيادة محمد بن مفرح فاشترك في حصار الحديدة ، إلا أنه في أثناء الحصار وصلت الأوامر لوالي تهامة إبراهيم باشا بالانسحاب وتسليم البلاد لأهلها ـ راجع الفصل الخاص بأخبار الأمير الحسين بن علي .

٦ ـ وفي عام ١٢٥٧ هـ/ ١٨٤١ م غزا « المقاطرة » جنوب وادي بَيْش ، ومنها انحدر إلى أبي عريش لتأكيد ما بينهما من المعاهدة .

٧ ـ وبعد اتفاقه بأمير أبي عريش غزا قبائل عَبْس ونهب أموالهم .

٨ ـ وفي سنة ١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢ م غزا بالاشتراك مع أبي عريش قبائل (الحُرَّثِ) وفي رجوعه غزا صدر وادي بَيْش حتى بلغ جبل الْقَهْر .

٩ ـ وفي سنة ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣ م أخضع قبيلة وداعَة لطاعته .

وفي سنة ١٢٦٠ هـ/ ١٨٤٤ م بدأت تتداعى بنود الصلح المعقود بينه وبين أمير مكة ، فبعث سرية لغزو بيشة ، ثم تقدم بنفسه إلى بلاد غامد وبلا سمر وبلقرن ، فأخضعهم لطاعته ، ولم يحرك أمير مكة ساكناً لضعف قوته أو بالأصح لأسباب الخلاف الواقع بينه وبين الوالي التركي .

١٠ـ وفي عام ١٢٦٣ هـ/ ١٨٤٦ م غزا « باقم » .
وفيها جدد إحياء مزارع مُسْلية التي أنشأها طامي بن شُعَيْب .

١١ـ غزا صبيا ومنها غزا الحُرَّث ، واستاق أكثر نعمهم .

١٢ـ وفي عام ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٩ م بعث محمد بن مفرح للاتفاق بالأمير عبد الله بن محمد بن عون ، في بيشة ، لتجديد الصلح وتَحديد الحدود ، إلا أن عائضاً نقض الصلح في العام الذي بعده بغارته على بِيشة ، ومنها تقدم إلى بلقرن ، وسراة تهامة فصالحوه على ما يُريد بدُون قتال ومن تلك الجهات غزا « تَثْلِيث » .

١٣ـ وفي عام ١٢٦٨ هـ/ ١٨٥٢ م جَدَّد غارته على بلاد غامد وزهران وضمها إلى إمارته وأقام عليها ابنه محمد بن عائض .

وفي عام ١٢٦٩ هـ/ ١٨٥٣ م وقع الوباء الجارف في عسير ، وامتد إلى عام

١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٧ م وتوفي به الأمير عائض عام ١٢٧٣ وكانت قد بلغت حدود إمارته من تثليث في الشرق الشمالي إلى بيشة وغامد وزهران شمالا وغربا إلى البحر الأحمر وجنوبا إلى المخلاف السليماني .

محمد بن عائض ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٦ م - ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م :

هو أول أمير عسيري تؤول إليه الإمارة بالوراثة من والده ، وقد كانت قبل ذلك تؤول إلى الأرشد من القرابة ، أولا في آل المتحمي من قبيلة رَبيعة ورُفَيدة ثم في بني ناجح من قبيلة بني مغيد .

وإنما انتصارات والده عائض بصد هجمات الأتراك على عسير ، أكسبته مجداً في قومه ، توظف في مصلحته ابنه الذي ترشح بعد وفاة والده مباشرة بتولي الإمارة فبايعه أولا قومه الأدنون ثم بقية شيوخ عَسير .

كان حزم عائض قد وطد الأمور ، وسكن الأحوال ، في إمارته التي ظلت قوية متينة بالنسبة إلى ما حولها من الإمارات المحلية ، فمكن ذلك لابنه الاستقرار والامتداد جنوباً .

فانصرف من بداية توليه إلى القيام في التوسع الزراعي ، وإنشاء مزارع جديدة خاصة بشخصه ، وإشادة بعض القصور ، إشباعا لحب المظهر وإظهاراً لِلأُبَّهَة .

كانت بلاد غامد وزهران ضيعة الحجاز الزراعية ، وحقل الميرة لمكة المكرمة ، بمحصولاتها الزراعية الوفيرة ، التي ليس لها سوق لتصريف مُنْتَجَاتها - آنذاك إلا الحجاز ، يضاف إلى ذلك اشتغال أهلها بالأعمال في الحجاز ، وبالأخص في مكة المكرمة ، و« جُدَّة » في خلال السنة عامة ، وفي موسم الحج خاصة ، وكانت حاصلاتهم الزراعية من الحنطة والشعير ، والسمن والعسل واللوز والفاكهة هي عماد ما يسد الحجاز طيلة السنة .

لقد ضم عائض بلاد غامد وزهران إلى عسير ، وبوفاته رأى الأتراك وأمير مكة أن الوقت قد يكون مناسباً للاستيلاء عليها ، والأتراك ومحمد

علي وأمراء مكة قد مر بالقاريء الكريم وصف موقفهم ضد كل إمارة عربية ، ومن إمارة عسير في ذلك التاريخ خاصة قبل عائض وفي عهده .

لذلك فقد أرسل الأتراك قوة بقيادة أمير مكة للاستيلاء على بلاد غامد وزهران ويعلم محمد بن عائض بتحركها تقدم على رأس قواته وتقابل الجيشان في (المخواه) وإنما شعر من الساعة الأولى بضعف قوته أمام الحملة ولكون تلك التجربة - قبل ذلك - لم تمر به عملياً فقد رأى الجنوح إلى السلم أقرب إلى مصلحته فتقدمت الوسائط للصلح الذي انتهى بتنازل محمد بن عائض عن بلاد غامد وزهران ، وبإبرام الصلح صار أمير مكة إلى بلاد غامد وزهران لترتيب إدارتها وتعيين من يقوم بشئونها ثم نزل إلى مكة .

أما محمد بن عائض فقد عاد مباشرة إلى عسير وذلك في سنة ١٢٨١ هـ/ ١٨٠٤ م . ظل الأمير محمد بن عائض بعد القضاء على ثورة رجال ألمع التي دبرها الأتراك وأمير مكة - كما سيأتي - يحول ما بين السراة وتوابعها ، ويتجاول حربياً وسياسياً مع أمراء المخلاف ، ويتوقى بحذر دسائس الأتراك من الجنوب كما سيمر بالقاريء الكريم بذلك مفصلا في الفصل المعنون (العلاقات بين عسير والمخلاف السليماني) .

إن الأتراك قد أحاطوا بإمارته من الشمال والجنوب ويتحينون الفرصة المناسبة لسحق تلك الإمارة العربية ولم يكن الأمير في مرونة والده فشغل نفسه بالأتراك في تهامة بصورة استفزتهم للتحفز للقضاء عليه .

وكان لهزيمته من تحت أسوار مدينة (الحديدة) مع ما ارتكبه جنده المهزوم في تهامة عامة وفي بلدة « الزيدية » خاصة من ارتكاب أشنع المنكرات وهتك الأعراض وكشف الأستار ونهب الأموال ما تقشعر له الأبدان وتتفطر لهوله الأكباد وذلك في شوال عام ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م فتحفز الأتراك بدورهم مجدين في استئصال شأفته والقضاء على إمارته وتقدمت جحافلهم كما سيأتي :

الزحف التركي على عسير :

وصلت القوات التركية إلى القنفذة بقيادة محمد رديف باشا وأحمد

مختـار باشا في حملة قوامها عشرون ألف جندي وتقدم الأول من ميناء القنفذة صوب حَلْي كما تقدم أحمد مختار من ميناء (الشقيق) .

احتل رديف باشا بلدة (حلي بن يعقوب) أول مركز للحدود العائضية ثم والى زحفه إلى (محايل) فاحتلها يوم ١٠ ذو الحجة سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧٢ م ، عندها تحـرك ابن عائض بحشـوده من القبائل ورابط في (باحة شعار) وأخذ في إقامة التحصينات وتهيئة خط الدفاع الأول ، ظناً منه أن الأتراك سيتقدمون من تلك الجهة .

وسبق أن استنهض ابن عائض قبائل رجال ألمع وتهامة عسير كافة ورابطوا في جهة حلي بن يعقوب فلم يغنوا شيئاً في صد الزحف التركي وولوا منهزمين .

أمـا رديف فبعـد إلحـاقـه الهـزيمة بالألمعيين والى زحفه حتى وصل « وادي العوص » ومنه تسلقت قواته العقبة الصعبة ونصبت خيامها في سطح تهلل ، فأسقط في يد الأمير واختل ميزان حسابه وارتبكت خطة دفاعه فاضطر إلى الانسحاب من خطوطـه والقيام بحـركـة سريعة لمبادأة الأتراك بالهجوم ، فلم يسفر هجومه عن نجاح ، وظل القتال سجالا حتى أرغم على الانسحاب من ذلك الميدان فتقدم رديف واحتل السقا .

أما الأمير ابن عائض ، فقد انسحب متراجعاً إلى « الحفير » ـ قرية غرب السقا فضيق عليه الأتراك الخناق فالتجأ إلى قرية « ريدة » وتحصن بها .

رَيْـــــدَة :

تحصن الأمير في ريدة ولحصـانتها ومنعتها الطبيعية وما أعده فيها من وسائل الدفاع لم يظفر الأتراك من هجماتهم المتكررة عليها بطائل ، فأصدر القائد رديف أمـره على قسم من الجيش الاحتياطي المـرابط في مينـاء القنفذة بأن تبحر إلى الشقيق بقيادة أحمد مختار وتزحف إلى ريدة من جهة الغرب .

تقـدم أحمـد مختـار :

تقدم من ميناء الشقيق ووالى زحفه إلى أن عسكر غرب ريدة وبذلك أمست بين شقي الرحا .

شدد الجيشان ـ من الشرق بقيادة رديف ، ومن الغرب مختار ـ الهجوم واستمر خمسـة أيام متوالية فزلزل بهوله قلوب رجال المقاومة ، فدب اليأس والفشل في نفـوسهم وأخذت الخيانة تعمل عملها في أقارب الأمير فخرج منهم من كان في حصن شهران ثم استسلم آل مفرح ، ولم يبق إلا القصر الذي تحصن به الأمير ، فتضعضعت معنـوية حرسه الخاص ورجاله المقربين ، ولم يجد منهم الشجاعة للمثابرة على المقاومة والدفاع ، ولم يجد في رفع معنويتهم المهيضة رجاء الأمير واستنهـاضـه لهممهم ، وقد أحاط الأتراك بالقصر من كل جانب فطلب أكثرهم الأمان وانحازوا إلى الأتراك فلم يبق مع الأمير غير مواليه فاضطر حينئذ إلى طلب الأمان من أحمد مختار على شروط منها الأمان لنفسه وأهله فتعهد له بالقبول .

وبموافقة أحمد مختار وتعهده بقبول شروط التسليم ، سلم الأمير نفسه ودخل الأتراك إلى القصر ، وبالرغم عن تعهد أحمد مختار بسلامة الأمير وأهله ومواليه وعدم أخذ سلاحهم ، فقد ألقوا القبض على جميع من معه وجردوهم من سلاحهم وأودعوهم السجن .

نزل رديف من السقا ودخل ريدة في اليوم الذي دخلها أحمد مختار ، وعندما شاهد محمد بن عائض قاعداً بجوار أحمد مختار أمر حالا بالقبض عليه وإيداعه السجن غير مراع لما قطع له من العهود من قبل زميله ، وفي مساء تلك الليلة أمر بقتله مع خمسة وثلاثين شخصاً من رؤساء رجاله وذلك في صفر عام ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م .

فطويت بقتله صفحـة تلك الإمـارة العـربية واستـولى الأتـراك مبـاشـرة على إدارة عسير ، وكـان حكمهم لعسير من نوع حكمهم للجـزيرة العربية ضرباً من الفـوضى وعـدم الأمن والاستقـرار ، إذا استثنينا عهد الوالي محيي الدين الذي

امتد من عام ١٣٣١ هـ/ ١٩١٣ م - ١٣٣٧ هـ/ ١٩١٩ م والذي اتسم نسبياً بشيء من الإصلاح وإقامة بعض المنشآت العمرانية ، مما سوف نتعرض له بالتفصيل في الجزء الثاني ، بحوله تعالى .

دراســـة وتحليـــــل

إن الأتـراك قد ضاقُـوا ذرعـا بتلك الإمارة العربية في عسير فأخذوا يخططون للقضـاء عليها مبكراً منذ عهد محمد علي وإنما لم تمكنهم الفرص من القضاء عليها ، وبقدر ما حاولوا في عهد (سعيد بن مسلط) ثم في عهد (على بن مجثل) ثم في عهد (عائض) - وقد مر بك ذلك أيها القاريء الكريم فلم تسفر محاولتهم عن فوز يذكر ! .

وجـاء عهـد محمـد بن عائض فأخـذوا في تدابير جديدة فبدلا من المواجهة المبـاشـرة أخـذوا في التـدابير السياسية وإثـارة الحـركـات غير المباشرة وحياكة المؤامرات وبث الدسائس ، ومن ذلك ما كان يحاك بين أمراء المخلاف السليماني وابن عائض فأصبح والي الحديدة هو بؤرة المؤامرة في الجنوب وأمير مكة المحرك في الشمال - مع الوالي التركي بالطبع .

وفي سنة ١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣ م أصبح لدى الأتراك في تهامة اليمن قوة تمكنها من المـطالبة ببعض مطامعها ، ويشعر محمد بن عائض بذلك ضمناً فيستجيب لبعض مطالب والي الحديدة التركي ، ويتنازل له عن ما كان له من سلطة في تهامة اليمن وهو من شمال صليل إلى (حرض) ولم تكتف الأتراك بذلك بل طلبوا منه التنازل عن النصف الجنوبي من المخلاف السليماني أي من شمال حرض إلى جنوب وادي ضمد . ولم يقف الحال عند ذلك أيضاً بل أرسلوا قوة محمولة بحراً إلى جازان فاحتلت المدينة فأرسل محمد بن عائض قوة فأخرجتها .

وبطبيعة الحال أنه احتسب ذلك لدى الأتراك عليه للوقت المناسب .

وفي سنـة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م حركـوا أمير مكـة بأن يدير حركة فتنة على بن عائض في قلب منـطقتـه أي في بلاد رجـال ألمع وهي الجناح الثاني لعسير ،

فأخـذ أمير مكـة في مباشرة التحريض والتأريث لا في رجال ألمع فقط بل وفي النصف الشمالي لمنطقة المخلاف .

وتحرك أهل رجال ألمع ونصبوا لهم إماما يقاتلون تحت رايته ، مما يدل أن الثورة مدبرة بتدبير ـ راجع ص ٢٩ جـ ٢ من كتابنا الأدب الشعبي في الجنوب .

وتحرك أمير مكة نفسه على رأس قوة إلى بلدة (القنفذة) ينتظر الفرصة فيما لو صمدت ثورة رجال ألمع ليزحف هو بدوره وإنما عدم تماسك ثورة رجال ألمع ثم انهيارهـا أمـام قوة ابن عائض جعلته يقف عن التحرك وإنما ظل على تحفزه ومناورته ، وكان لانتصار ابن عائض على ثورة رجال ألمع عامل مهم في احتواء خلفيات تلك الثورة ـ ولو مؤقتاً ـ هذا عند أمير مكة .

أما عند الدولة العثمانية فهي تدابير خفية ناجحة في عمق إمارةابن عائض يمكن توظيف مثلها في المستقبل واستثمار مردودها في صورة أتقن وممارسات أجدى ، ومنطلقات أمضى .

وإنما ابن عائض نفسه شعر بمعاناة تلك الثورة وما كلفته من مغارم وما أحْدَثته من تمـزقـات داخلية ومـا أفـرزتـه بالنسبـة إليه من اختبارات ، وأسفرت عنه من تصورات ، وطروحات جديدة ، ومن أهمها توظيف انفجارات لثورة جديدة وقيام الـدولة العثمانية بتمتين ارتباطات في عمق داخليته مع قبيلة أو قبائل أخرى تقوم بتحديات قد تنجح فيما فشلت فيه ثورة رجال ألمع .

لهذا ترى ابن عائض يبادر بإجراء مفاوضات مع أمير مكة بغية تجميد تحركه وقد قدم مع مبادرته تنازلات في الحدود من جهة غامد وبيشة ووعود أكيدة .

فنرى أمير مكة يطلب عفواً عامًا عن متولي أمر ثورة رجال ألمع فيجاب مع علم ابن عائض بتدبير ابن عون لتلك الثورة وتحركه إلى القنفذة لمساعدتهم .

وكل ما قدمه ما كان إلا نتيجة ضغوطٍ ، شعر بعدم قدرته على تحملها أو تفادياً لتوقعات مستقبلية يرغب في عدم حصولها حالياً أو إرجائها إلى وقت يكون أقدر فيه على مجابهتها .

وفي نفس السنة جردوا حملة إلى المخلاف السليماني طردت الحامية العسيرية الرمزية من أبي عريش .

كل تلك العوامل كانت فعالة في نفسية ابن عائض وذات تأثير عميق على معنويات العسيريين ، ومقدمات وطلائع أدبية وسياسية قبل الطلائع الحربية .

وفي نفس الوقت كانت الاستعدادات جارية والحشود العثمانية تساق ولم يكن يخفى ذلك علي ابن عائض ويظهر أنه أخذ في الاتصالات مع والي مكة ومع باشا اليمن في الأكثر ، بغية تلطيف الجو وتهيئة المجال لمفاوضة صلح تبقى له ولو على إمارة عسير ، ولم نقف على تفاصيل تلك الاتصالات ، إلا أن صاحب (الدر الثمين) يقول : وفي يوم الخميس عاشر شوال سنة سبع وثمانين ومائتين وألف وصل محمد بن بعقق من إسماعيل باشا بما لم يطلع عليه من مكاتبات وكاتبه بما لا يعلم أنه أشرف عليه قريب أو بعيد .

رسائل من أمراء عسير :

عثرنا على رسائل من أمراء عسير موجَّهٌ بعضها إلى (الحوازمة) وإلى الأمير علي ابن حيدر وآخرها عهد إلى رئيس جزيرة (دهلك) وإيصال باستلام جباية .

وتلك الرسائل كانت لدى أحد الحوازمة وقد وصل بها إلى جازان من قرية ضمد ليعرضها على معالي الأمير تركي السديري . أمير منطقة جازان يقصد من ورائها أن لأسلافه ماض واتصالات بأمراء عسير ويرجو التوسط له لدى الحكومة في مقرر ، وقد طلب مني الرأي حول تلك الرسائل التي يحرص شخصياً عليها ويرى أنها تراث تاريخي بالنسبة لأسرته فأشرت عليه بأن يأخذ لها صورا طبق الأصل وأن يعطي الأصل لمعالي الأمير مع معروض يطلبه فرجاني بأن أنتسخ له صوراً طبق الأصل منها فوافقته على ذلك على

شريطة أن يسمح لي بأخذ صورة منها ، فوافق وفعلا نسختها على صورتين صورة احتفظت بها لدي والثانية بيده . أما الأصل لتلك الرسائل فقد سلمها لمعالي الأمير تركي السديري وقد رفعها معاليه إلى الجهات العليا . وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م .

وقد نشرت الرسالة الموجهة إلى رئيس دهلك مع التعليق عليها في صحيفة اليمامة الغراء صحيفة ١١٥ في ٣ رمضان سنة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م وأشرت إلى مصدر تلك الرسائل .

إن لهذه الرسائل قيمتها التاريخية فهي تعطينا صورة واضحة لطريق الترسل في دواوين الأمراء العسيريين إذا حق لنا مجازاً أن نطلق اسم ديوان الرسائل لما يصدر منهم من مكاتبات وإلا فالحقيقة أن الإمارات العسيرية برغم الدور النابه الذي قامت به في جنوب شبه الجزيرة ـ عسير ـ والمخلاف السليماني . وتهامة اليمن ، حقبة من الزمن ، كان له أهميته بالنسبة إلى تلك الأقطار في الناحيتين الحربية والسياسية . إلا أنه كان من ناحية التنظيم والإدارة يمثل السذاجة الفطرية للبداوة القبلية ، وهم وإن كانوا يتمسكون بالدعوة السلفية تمسك المقلد لا الأصيل فإنه يعوزهم الكثير مما اشتملت عليه حركة تلك الدعوة الإصلاحية .

وتجد في هذه الرسائل نمطاً تلمس منه منهج سياستهم وطريقة مكاتبتهم وملامح نفسيتهم .

أما من الوجهة البيانية فمنهج تلك الرسائل إلى العامية أقرب منها إلى العربية الفصحى ، والوجهة الشخصية أبرز فيها من السمات الرسمية ويغلب على طابعها سذاجة البادية والصراحة الفطرية وإن لاح في ثنايا بعضها لوامع الدهاء العشائري في مجال لا يعدو الغزو والتسلط ، وعلى كل فإن الظفر بمثل تلك الرسائل يلقي ضوءاً يتطلبه التاريخ . وصاحب هذا الكتاب هو أول من نشرها .

وقد نقلناها طبق الأصل محافظة على الأمانة التاريخية والاحتفاظ بصورة صادقة واضحة من النمط الترسلي لأولئك الأمراء وتشتمل على ما يأتي :

١ ـ خمس رسائل من الأمير عائض .
٢ ـ أربع رسائل من علي بن مجثل .
٣ ـ رسالة من سعيد بن مسلط .
٤ ـ رسالة من محمد بن عائض .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعيد بن مسلط إلى حضرة الحبيب الهمام محمدبن حسن بن خالد . سلمه الله من آفاه ؟ وآمنه من كل ما يخافه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطابكم الكريم وصل وصلكم الله رضوانه . وما ذكرت صار لدينا معلوم . ومن جهة حجكم نسأله أن يجعله حج مبرور . والحمد لله بسلامتك . وأما ما جرى فالأمور مقدرها الله وسببها الذنوب . نسأل الله أن يتوب علينا . وأما العدو فقد أوقع الله به ما لم يصب به غيره والحمد لله الذي هو أهله .

ولا يخفاكم أن إخوانكم تاعبين مغربلين ودنا بتسديد الأمور . وقد كتبنا إلى الأمير علي بن حيدر خطوط وذكرنا له إن كان رد عليكم ما بقا من مالكم وأرضاكم ويؤمر من ترضون ولا يؤخذ من المخاليف الزكاة .

وأنت الله يسلمك . إن كان وصل الخط ومعه حصل بعض القبول . فلا تكره ، وإن كان لم يحصل شيء فما قدر بنا يكون .

حيث أن إخوانك .. تعبوا تعب عظيم وبعضهم ستة أشهر لم ير أهله . ( ) ما عادهم على ما تعهدونه . والله ما بقي معنا من سمت أهل السراة . من بلاد بالسمر إلى عريعر . في بلاد وادعة . إلا تسعين أوثمانين . إلا بني مغيد . فدل حين مرادنا إصلاح ذات البين . وبعد المخرج إن شاء الله يحصل . أما صلح أهل الشام فلا نعمل عليه . ونعرف أن الله سبحانه وتعالى . أوقع بهم الخزي . والذي لم يصيب غيرهم بحول الله وقوته ترون ما يسركم عن قريب . وأنتم ألزموا أنفسكم . وترون إن شاء الله ما نفعل . والقلب مشغول

معكم كما يعلم الله . وإذا رأينا أن معنا تحرك في اليمن فلا نغفل إن شاء الله يكون لديكم معلوم . وسلم لنا على ابن محسن ومن يعز عليكم ونسأل الله العظيم يجمع الشمل على ما يحب ويرضاه ( ) وإذا طابت النفس وركدت البلاد فالجهاد فريضة ولا منه عذر إلا من عذر الله في محكم كتابه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكذلك فاقرأ جمع ( ) من رأس محمد بن ناصر وسلموا على أحمد ابن حسين وكافة الجماعة .

الختم
سعيد بن مسلط
١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن مجثل إلى حضرة الشريف الهمام محمد بن حسن بن خالد سلمه الله وعافاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعد الحمد لله . فإنه وصل خطك الكريم وصلك الله إلى رضوانه . وما ذكرت صار لدينا معلوم والله المسئول أن يكتب الاجتماع على خير وتمكين وزوال المفسدين من القريبين والبعيدين آمين .

وذكرت من أحوال تهامة وفسادها وفساد ولاتها فهو عندنا معلوم . ولا أخر أخيك من أمثال التوجه إليها إلا ما ابتلا الله به من تحت أيدينا من القحط وشدة المؤنة . وذلك بسبب الذنوب نسأل الله غفرانها في رعايانا .

وإلا فليكن لديك معلوم إنا حريصين على صلاحها ونزع الفساد منها . كما لو أنه في رعايانا .

ولكن لله في كل ساعة شأن . ويوم يجيء لنا إن شاء الله نزول أو حركة إلى تلك الجهات المذكورة يجيئكم نبئنا معجل ولا يقع لنا إن شاء الله ممشا إلا وتعريفنا أول واصل إليكم . ونسأل الله العظيم أن يرحم البلاد والعباد ويزيل الفساد بحوله وقوته . وأيضاً ما ذكرت من جهة المركوب فاعلم أن والله ما عند أخيك إلا أربع من الخيل .

ونحن إن شاء الله ننتظر لبعض الدواب الطيبة أو لبعض الحصن الجياد وتصل إليك . وإنا ولله الحمد حريص عليك ولا نرضى بك . فطب نفس . لكن حال التاريخ . ما نجدها في الحال . هذا وسلم لنا على أحمد الحسين وعلى الحسن وكافة الأولاد وأنت سالم والسلام ختام . وحال التاريخ وحسين بن محمد الجوفي في صلب مزوج وأحواله طيبة وخطابكم أرسلناه إليه وإن شاء الله جوابه يصل والسلام .

الختم
يا من عليه التوكل ـ هذا عبدك
علي بن مجثل ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م

وبأعلا الورقة الأصل الحاشية الآتية :

الولد الشهم الهمام العزي .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
صدر إليك الجواب صحبة السائق له . إذا رأيتم له شيء حق نصف أو ما رأيتم حيث والرجل لم يحصل شيء . وإذا رأيتم بعد أيام أنكم تذكرون له هو يمشي إلى هناك حيث وهو حجة وتركنون عليه في الذي من عليكم والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن مجثل إلى حضرة المحترم المكرم محمد بن حسن سلمه الله تعالى . .

سـلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعـد وصـل الخط . وصـل الله الجميع رضـاه . ومـا ذكـرتـه صار لدينا معلوم . كذلـك خط على حميدة وصـل . وأصبت بإبقـاء المكتب لديكم وإرسال الخط . وأما جوابـه الـذي ذكـر . فجـوبنا عليه . وهذا خطه تشرف عليه . وبعد ما تشرف عليه تختمه . وأرجعنا خطوطه التي لدينا صحبة مكتبك . حتى تشرف عليها وتشرف على جوابنا له . وتجوب له بعد ما نعرفك بحقائق

ما نحن عازمين عليه إن شاء الله . قد أنت تراه في الملحق . وقد ذكرنا له أن كل حقيقة . في خطكم .

وأما ما ذكرت من جهة المعيشة والرحمة التي جعلها الله على بلاد المسلمين فالحمد لله رب العالمين والله المسئول أن يوزعنا شكر نعمته ويكفينا صروف نقمته . وكذلك جميع بلاد المسلمين الرحمة عليها . ما والله نعلم بوادي منها إلا ما سال ، في حد ما وصلنا علمه ، من بلاد همدان إلى بلاد بني شهر . وتاريخه قد لنا إثنا عشر نهاراً ما نخرج من البيوت كذلك ما ذكرت من جهة خوض الشريف حسن بشير من جهة بندر اللحية . فأنت عارف . أن هذا أمر لا يستحمله عاقل . ولا لنا فيه قدرة . ولا والله يحصلون منا ربقة واحدة . إلا إن كان تم الخوض بيننا وبينهم . فلا نحن غادرين . ولا يحصل منا شيء حتى ننبذ إليهم . إذا لم يتحرون ما اشترطناه عليهم . وإن صار في الأمر انتقاض فللّه في ذلك حكمه . وأرجو أن الله يمد يد المسلمين عليها وعلى غيرها . والشرط فلا شرطنا عليهم شيء في القاعدة من أمر الدنيا . إلا إنا قيدناه بشرط الاستقامة على ما يرضي الله والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وتعلم أن هذا الأمر ما هو حاصل منهم . فأما جواب الشريف حسن جزاه الله خير فقد . . ما يسدهم من التعب من غير أن تزيد سبع عشر مائة . ومقرر سنوي خمسة آلاف نتحملها . فهذا أمر لا تلقي له بال . والشريف أذكر له لا عاد يفتح في هذا باب . أردنا تعريفكم .

وهذا الملحق لا يشرف فيه أحد إلا أنت . . لأن لنا مراد إذا فيه مدابره ويعود جوابه . ومن لدينا الولد عائض ومحمد يسلمون عليكم والسلام .

الختم
الله الملك - وعلي عبده
١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م

الواصل بيد محمد بن حسن بن خالد معاونة إلى أخينا الأمير علي بن مجثل عشرة آلاف ريال. ألفين منها رسالة في «البرك» تصل إن شاء الله يوم الخميس

وثمانية آلاف ريال . محولة ستة آلاف في المخا . وألفين في الحديدة على نظر أخينا يوسف يسلم ذلك إلى الأمير يعلم ذلك تاريخه خمسة وعشرين ذي القعدة سنة ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢ م .

الختـــم
الله المـــلك
وعلي عبـــده

الحمد لله

إلى حبيش بن موسى وكافة أهل جزيرة دهلك .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وخطكم إلى الأخ محمد بن حسن وصل ذكرتم قصدكم الدخول في الإسلام والإنحياز إلى دعوة أهل الإسلام فلا بأس هذا من أحب ما إلينا . والصاير إليكم عمالنا مفرح والقاضي عبد الله لأخذ العهد على دين الله ورسوله والسمع والطاعة لله ثم لنا . وهذا خط لكم منا بأيديكم لجناب تركي بلماس إن قد حالكم حال المسلمين . وأيضاً يكون بأيديكم شاهد من التعرض لكم فإن كلفتم به أحد من طرفكم في طريق البحر وإلا فقد ألزمنا الأخ إبراهيم سيفين يكلف به وقد جعلنا نظركم إلى الأخ محمد بن حسن . فأنتم اسمعوا له وأطيعوا فيما أمركم به من أمر الله وأمر رسوله وهذا لعمالنا ينتزعون فريضة الزكاة من القرش والعروض والله يهدينا صراطه المستقيم والسلام ختام .

الختـــم
الله المـــلك
وعلي عبـــده

شـــــاهـد

هذا خطابنا بيد حبيش بن موسى وكافة أهل دهلك سلمهم الله . بأن عاهدونا على الإسلام والعمل بكتاب الله وسنة رسوله وإقامة ما أمر الله به وترك ما نهى عنه . يعلم ذاك كل واقف على خطنا تاريخه غرة شهر رمضان عام ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢ م .

الختـــم
الله المـــلك
وعلي عبـــده

صور من رسائل أمراء عسير :

ننقلها بنصها الحرفي ورسمها الخطي بما فيها من خطأ نحوي وغيره :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عائض بن مرعي إلى جناب الأخ في الله والمحب فيه حسن محمد بن حسن ابن خالد الحازمي سلمه الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعد حمداً لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه . خطكم المكرم وصل وما في طيه من الملاحيق تحققناها جميع . وكذا خط والدك على حسن فهمناه وما ذكرت من توجهه إلى بيت الله الحرام وأنه يطلب المسامح منا فالله يبلغه المراد ويصحبه السلامة . وهو مسامح ومعفي عنه ظاهر وباطن . ونحن وأنتم غير الناس . والحال واحد والمنزلة صافية . وأما الفرس فهي وصلت بيد الأخ حسن أحمد وقد حقق لنا من رأسه بما أوصيته به . فأما الفرس فهي عندنا على الذي بيننا وبينك فيها . كل على حصته فيها . هذا والحال واحد . وسلم لنا على كافة من لدينا يسلمون عليكم والله يرعاكم والسلام .

الختم

الله الملك

١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م

من عائض بن مرعي إلى الشريف المكرم علي بن حيدر .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعد صدورها يوم الأحد لعله رابع وعشرين في شهر جماد أول بعد أن انفصل الصلح بيني وبين أحمد باشا والشريف ابن عون يوم الجمعة ٢٣في الشهر بعد الحروب العظيمة في «مناظر» وانتقل أحمد باشا بمطرحه وعاد من حيث جاء معه أحد عشري صحيب من عسير يحفظونه لا أحد يخالف على أصحابه وكان في شرط الصلح أن لنا من صبيا إلى وادي حلي وبارق والمحدود داخل في الحد إلينا والحوازمة ومن يعلق بهم إلينا وجميع أراضيهم باليمن داخلة في الصلح بأيديهم وفي ذلك قاعدة بأيدينا ورشومهم عليها وما حدث

من تاريخ الصلح منك في المحدود لنا فترانا لازمينك به وقد شرطنا على أحمد باشا ذلك وأعطونا فيه فلا يكون عليك الحال يعتبر هذا تصرفك والسلام .

الختم
الله الملك
وعائض عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

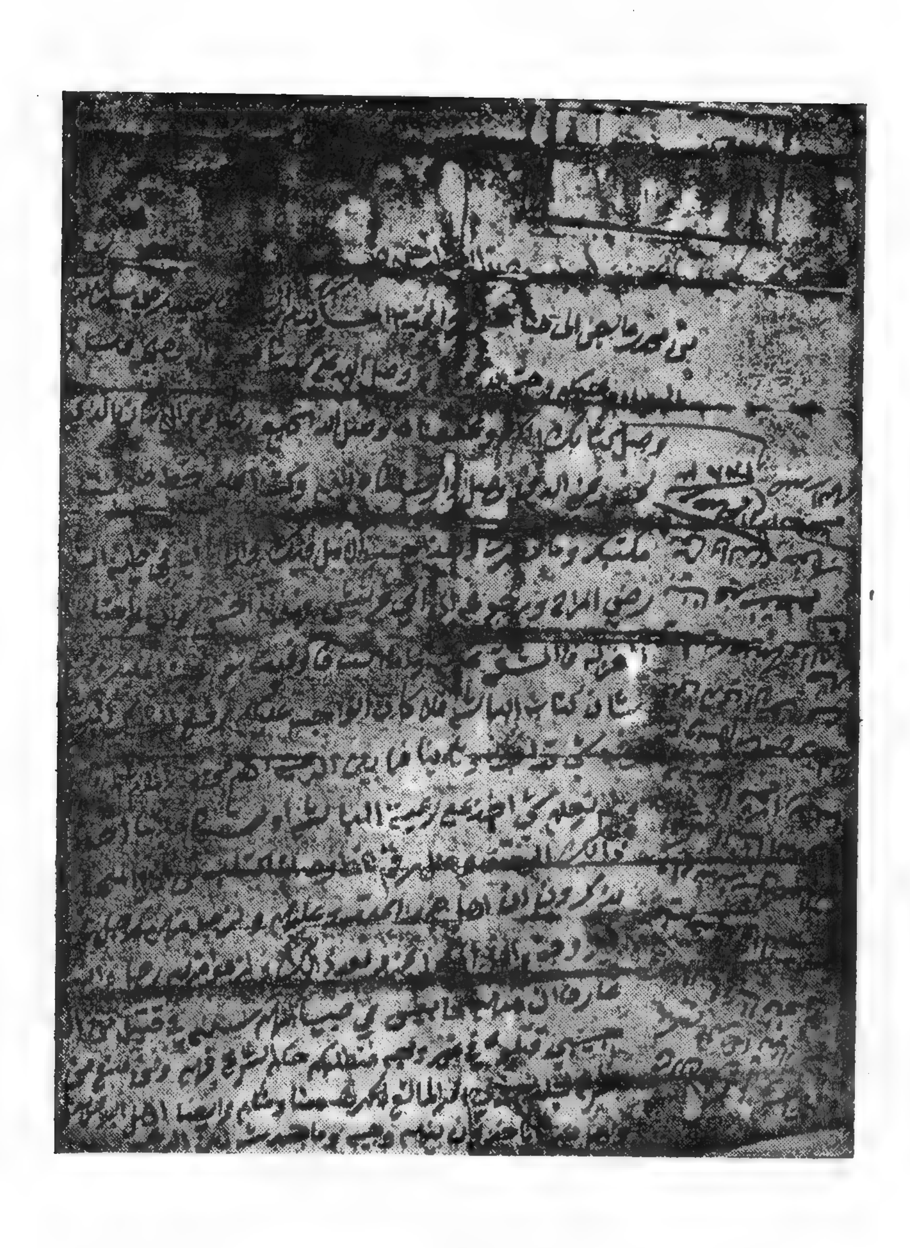
من محمد بن عائض إلى جناب الأخ المحترم المكرم حيدر علي سلمه الله تعالى . .

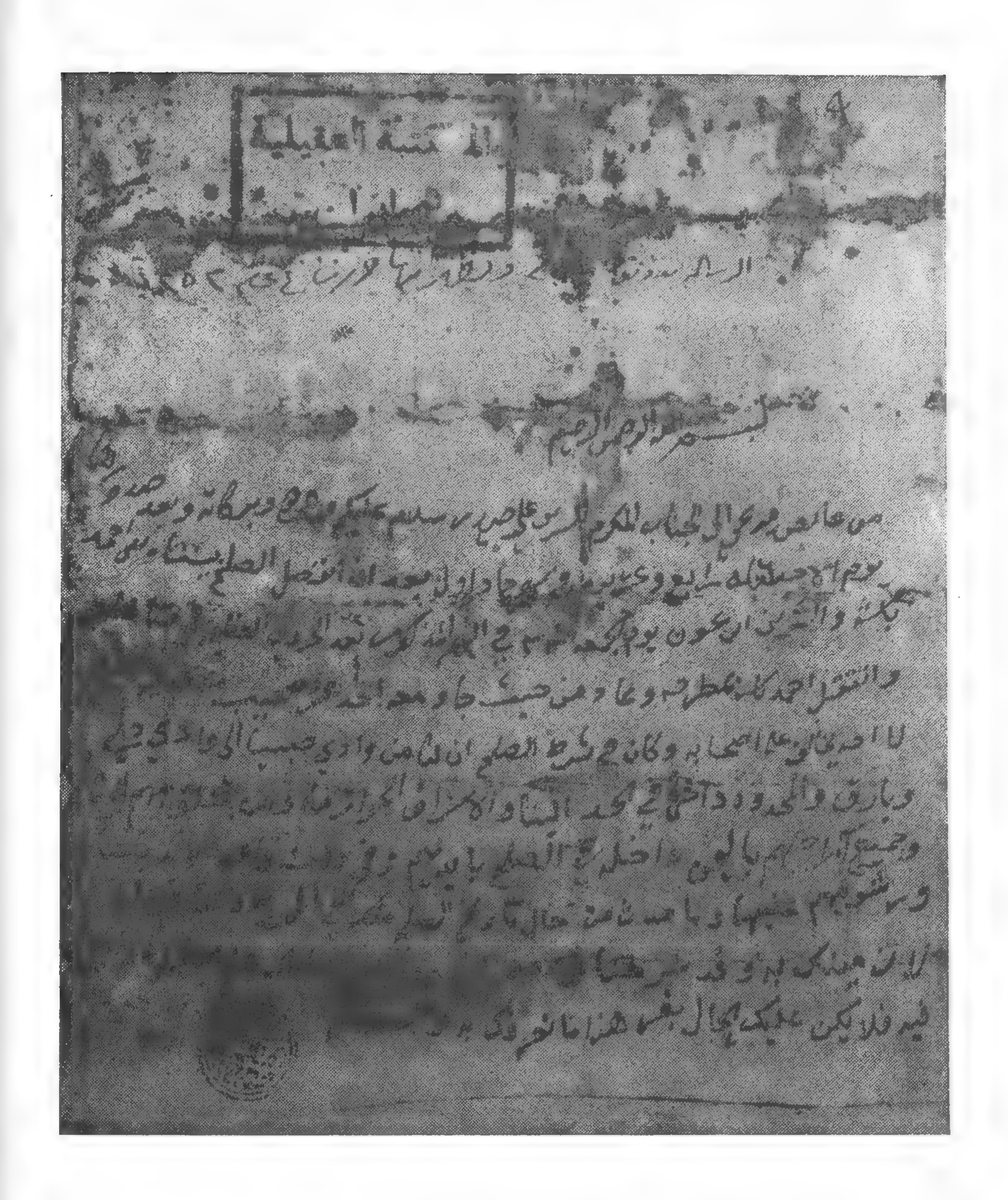
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وصل كتابك المكرم وتحققناه وصل الله الجميع رضاه والأمانة الذي لحسن بن عز الدين وصل وأرسلناه إليه وكتبنا عليه خط صحبة مكتبك وما قصرت وهذا حسب الأمل فيك والأمان في طيه أن رضي المراح ورجوعه إلى أبي عريش فهو له أحسن وإن اختار الغربة فالمشقة عليه وأما أنت فأوفيت بواجبنا عليك وعن شأن كتاب الباشا فلا كان الواجب عليكم رفع الشكية إليه في شيء قد أبطأ وثانياً فما بين الرعية أهم من دراهم علي عقيلي ولم نعلم شيء أخذ على رعية الباشا أو شكا علينا أحداً ذلك الوقت وحال رقم الخط وصلنا كتاب في أهل الملحا يذكرون أهل ضمد اعتدوا عليهم ولزموا منهم رجل في غير وجه وأهل الملحا غزوا بعد ذلك ولزموا منهم رجل وأنت عارف أن منهم محابيس في صبيا لهم سنة في قتيل قتل من أهل صبيا قتلوه في غير وجه فنطلبكم حكم الشرع فيهم ومن منع في الشرع فيلزم ولي أمر المانع إكراهه منا ومنكم وأيضا أهل أبوعريش وأهل صبيا يأخذون بينهم وجهه وما حدث بين الرعية فالأمر يكفي ولا يجب عليكم الرضا بذلك وأما الباشا فنحن مجوبين عليه حيث والمكتب استعجل والآن نرسل جوابه إليكم إن شاء الله وإن وجدنا ثقة أرسلناه به وسلام منا على من لديكم ومن لدى الإخوان المسلمون عليكم والأخبار بيننا غير منقطعة إن شاء الله تعالى والسلام جواب الباشا صدر إليكم .

رجب الحرام
١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م
الختم

(صورة للأصل المحفوظ لدينا)





ولاة الأتـــراك في عســـير

رديف من ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م - ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م (تسعة شهور فقط)

بعد قتل محمد بن عائض و ٣٥ رجلا من رؤساء عسير صبراً ، وبقتل تلك النخبة العربية لم يبق من رفع عقيرته للمقاومة في بلاد عسير .

فأخـذ قائد القوات التركية (رديف باشا) ينظم إدارتها ويثبت دعائم السلطة التركية في ربوعها وإنما في شدة وتغطرس وجبروت .

فقتل كل من توسم - ولو بالظن - أنه سيقف في وجه سياسته الغاشمة ، ونفي إلى تركيا ستمائة شخص منهم من رؤساء وشيوخ ووجهاء عسير .

وجعل أبها مقر إدارته بدلا من السقاء أو طبب ، وضم مدينة صبيا إلى إدارته ، وإنما سياسته المتطرفة أثارت سخط الناس فأخذوا في إثارة القلاقل في وجهه ورفع الشكاوي ضده .

وصدر الأمر إلى أحمد مختار باشا بالتقدم مع أغلب الجيش علاوة على الفرق التي وصلت إلى الحديدة بالزحف بالجميع إلى صنعاء - راجع أخبار ولاة الأتراك في اليمن - ووالى تقدمه حتى دخل مدينة صنعا في أوائل سنة ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م .

وظل رديف باشا علي حكم بلاد عسير حتى أزيح بأحمد مختار باشا .

أحمـــد مختـــار(١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م - ١٢٩١ هـ/ ١٨٧٥ م):

وفي شهر رمضان ١٢٨٩ سلم أحمد مختار ولاية صنعا لخلفه (أيوب باشا) وتوجه إلى عسير لاستلام إدارتها من رديف باشا ، فساد الهدوء ربوع عسير نسبياً ورأوا في سياسته الشبه الناعمة بعد بطش وشدة رديف ما خفف من شدة سلفه وإن لم يكن هنـاك فارق يذكـر واستمـر على حكم عسير إلى نهاية سنة ١٢٩١ هـ/ ١٨٧٥ م فأبدل بعثمان بك .

عثمـان بك (١٢٩١ هـ/ ١٨٧٥ م - ١٢٩١ هـ/ ١٨٧٥ م):

تسلم من سلفه الإدارة وقد سَئِمَ العسيريون من حكم الأتراك الاستبدادي ، الأجنبي الذي يباينهم لغة وأخلاقاً وطبعاً ، وبعداً عن روح الدين وقدسيته التي فطر عليها العربي وتمسك بواجباتها الدينية ، وعايشها سلوكاً وعبادة وتعاملا ، فشبت الفتن في أغلب أنحاء عسير تفصح عن ضيقها ، وتعرب عن تبرمها بذلك الحكم الدخيل ، والضرائب المفروضة على الناس وكان أبرزها ثورة قامت بها بلاد ألمع ، وعلى أثر سوء تصرفه وضعف إدارته صدر الأمر بفصله وتعيين حيدر بك محله .

حيـدر بك (١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٦ م - ١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧ م) :

لم يكن هنـاك من يدون تاريخ المتصـرفيات ويسجـل يومياتها ، والمؤرخون لا يعتنون إلا بأخبار وحوادث الامبراطورية العثمانية وصلاتها وعلاقاتها بالدول حرباً وسلمـاً أو الأحـداث التي على المستـوى العـام ، والصحـافة العثمانية لا تهتم إلا بتغطية أخبار الثورات - إن وجدت - في أطراف الامبراطورية الواسعة . وإبراز الجانب المضيء .

وكل ما وقفنا عليه من متصرفية عسير في عهده أنه وصل إلى عسير خلفاً لعثمان بك وظل فيها إلى عام ١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧ م .

أحمد فيضي باشا (١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧ م - ١٢٩٧ هـ/ ١٨٨٠) :

من بشـوات الأتـراك البـارزين شهر عهده في عسير بالجور والعسف ، وأخذ الأهالي بالشدة في دفع الضرائب ، وتسليم العوائد الحكومية .

وفي عهده ثار الأمير علي بن محمد بن عائض ، وكان من أشد من أصلى بنارها وقدح زنادها عسير تهامة قبائل رجال ألمع بالمشاركة مع قبيلة ربيعة ورفيدة ، فهب أحمد فيضي على رأس الجيش التركي المرابط في أبها وسحق المقاومة بقسوة ، وكانت مدته كعهد من سبقه من متصرفي عسير ، وعزل بـ (تحسين باشا) .

تحسين باشا (١٢٩٨ هـ/ ١٨٨١ م - ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٣ م) :

عهده انقضى بين الفتن واضطراب حبل الأمن ، وغارات على معسكرات الدولة في أطْراف قاعدة المتصرفية مدينة أبها واستمر على تلك الحالة ثلاث سنوات ونقل بـ (رفعت باشا) .

رفعت باشا (١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٣ م - ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٨ م) :

لم يكن عهده خيراً من عهد أسلافه ومع ذلك فقد استمر في المتصرفية خمسة سنوات وخلفه (محمد أمين باشا) .

محمد أمين باشا (١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٨ م - ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٣ م) :

استلم أعمال المتصرفية من سلفه وظل على رأس الحكم خمسة سنوات .

يوسف باشا (١٣١٠ هـ/ ١٨٩٣ م - ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ م) :

يتسم عهده بالهدوء وخمود نار الفتن وعزل بـ (موسى كاظم) .

موسى كاظم (١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م - ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م) :

لم تطل مدته عن سنة واحدة وخلفه على المتصرفية إسماعيل حقي باشا .

إسماعيل حقي (١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ م - ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٣ م) :

من القلائل الذين ظفروا بحسن الثناء فقد حمدت سيرته ومع ذلك فقد استضعفه أهل عسير وثاروا مع علي بن محمد بن عائض الذي استنهضه الإمام يحيى في أن يثور على الأتراك في عسير بغية إشغال الأتراك بثورة جانبية في عسير وتخفيف الضغط عليه .

فتمكن المتصرف إسماعيل حقي من مجابهة الموقف بحزم وروية وعزم وأرغم علي بن عائض على فك الحصار عن أبها واستمر على متصرفيته نحو خمسة سنوات .

كـــاظم بـاشـــا :

استلم من سلفه الإدارة في أوائل سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م وانتهت مدته باستلام سليمان شفيق باشا .

حيدر بك (١٣٣١ هـ / ١٩١٣ - ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤) :

في شهر صفر سنة ١٣٣١ أقيل (سليمان شفيق كمالى باشا) من وظيفته كمتصرف عسير وملئ منصبه بـ « حيدر بك » ، وكان ذلك في قوة زخم الثورة الإدريسية ، واستقطابها لجل قبائل عسير ، وتوظيفها نفوذها في القبائل المتاخمة لعسير من بلاد غامد وزهران إلى حدود وادعة فلم يستطع الوقوف في وجه تيار تلك الثورة العارمة وشعرت الدولة بضعف موقفه فأبدلته بـ (محيي الدين باشا) .

محيي الدين باشا (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤) :

وصل والأحوال ليس في غير صالحه بل وفي غير صالح الدولة العثمانية نفسها وذلك بأسباب الحرب العظمى التي قد وضح ابتداء انهيار جبهات دول الائتلاف ألمانيا وتركيا والنمسا ، وتصدعت جبهات القتال التابعة لهم في غير ميدان ، وفي الجنوب بل وتحيط بعسير ثورة الإدريسي من جميع النواحي وتراوحه وتغاديه بالغارات ، ونصف قبائل عسير أو بالأخص عسير تهامة مع الإدريسي وفي الشمال الغربي ثورة الحسين بن علي شريف مكة التي قطعت بقيامها كل اتصال بين تركيا والحجاز وعسير بل وجنوب الجزيرة برمتها ، ومع أن (محيي الدين) من أبرز الكفاءات التركية إلا أن الوقت والظروف ضد تحركاته .

ولا يجديه مع كل تلك الظروف المعاكسة إلا محاولة الصمود والمقاومة .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

فجهز قواته واستعان بمجندين وطنيين وجعل قيادتها تألفاً لقلوب العسيريين في أحد « آل عايض » وهاجم مركز الشعبين القويّ في بلاد رجال ألمع واستطاع احتلاله ، وبنى بعض القلاع في أعاليه وإنما كل ذلك لم يجد نفعاً فجعل فائدة تلك الحركة هي تأخير القضاء عليه فقط إلى وقت محدود .

يضاف إلى ذلك نشاط ثورة شريف مكة ، وهو كعربي وله علاقاته العائلية التأريخية بعسير ، فقد استقطبت ثورته أنصاراً محليين أخذوا يقومون بالدعاية

لصـالحـه وضد الأتراك والإدريسي وتبني حركة انقلاب في قلب العاصمة تعمل لصالحه كما أن هناك جماعة تعمل في نفس العاصمة لصالح الإدريسي .

فكـان يقـاتـل القوات الإدريسية ، ويقاوم المؤامرات في الداخل التي تعمل لصالح الإدريسي والأخرى التي تعمل لصالح شريف مكة ، حتى صدر الأمر إليه بالتسليم .

* * *

العلاقات بين عسير والمخلاف السليماني

بِتَوَلِّي عائض بن مرعي إمارة عسير خلفاً لعلي بن مجثل بلغه أن الأمير علي بن حيدر أعلن إلغاء الاتفاق المبرم بينه وبين سلفه ، فبعث وفداً إلى علي بن حيدر لتجديد ذلك الاتفاق ، وبوصول الوفد وعرض مهمته رفض علي بن حيدر بحجة أن ذلك الاتفاق أرغمته الظروف على إبرامه ، وأن المخلاف السليماني منطقة لم تكن في يوم من الأيام تابعة لعسير وأن عمه حمود أبا مسمار بالرغم أن عبد الوهاب أبا نقطة قاد الحملة السعودية لإخضاعه وانتصر عليه ، فقد رفض حمود ارتباطه بعبد الوهاب ، ورفع للدرعية فصدر أمر الإمام سعود إلى عبد الوهاب بارتباط حمود بالدرعية مثله مثل عبد الوهاب وابن شكبان ورئيس وادي الدواسر ، فعاد وفد عائض .

فاتخذ عائض من رفض تجديد الاتفاقية ذريعة لغزو المخلاف السليماني وفي شهر القعدة سنة ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣ م تقدم (عائض) على رأس جيشه ووالى تقدمه حتى أطراف مدينة أبي عريش وبعد قتال [1] دام شهراً تقريباً عاد بجيشه إلى عسير مهزوماً .

وبانسحاب عائض بجيشه قام (علي بن حيدر) بالإجراءات الآتية :

١ - طرد السرية المرابطة في قلعة دار النصر من عهد علي بن مجثل .
٢ - استعادة مدينة صبيا وترحيل الحامية الموجودة في قلعتها .
٣ - استعادة النصف الشمالي من المخلاف السليماني - أي من شمال صبيا إلى درب بني شعبة .

وظلت الحالة على ذلك إلى أن توفي « علي بن حيدر » ، أما في عهد إمارة الحسين بن علي بن حيدر- فراجع الفصل الخاص بالحسين بن علي - وفي سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م توفي الحسين بن علي بن حيدر فوقع التنازع على

---

(١) كانت لدى علي بن حيدر قوة من الأتراك من طريق حاكم مكة .

الإمارة بين ابنه (الحسن بن الحسين) وابن عمه (الحسن بن محمد) وتحصن كل منهما في حصنه وانحاز إليه جماعة من أهل مدينة أبي عريش وتبادلا القتال وأقفرت المدينة من الحركة والأخذ والعطاء والداخل والخارج إلا في أضيق نطاق وفي الليل .

وكـل منهما أخذ يتملق الأمير عائض ويطلب تأييده (وعائض) يتربص بهما الدوائر ويتحين فرصة ضعفهما حتى تأتي الحرب على ما لديهما من سلاح ومال ومعنـويات ، واستمـرت الحـالـة نحو ثلاثة أشهر ، وعندما شعر عائض بالفرصة المناسبة نزل من طود السراة يقود قوة من جيشه حتى خيم في ساحة مدينة صبيا ومنها بعث بإنذاره مع رسله إلى (الحسن بن الحسين) و(الحسن بن محمد) وذلك في يوم الخميس غرة جمادي الأول سنة ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٦ م .

وفي اليوم الثالث وصلا إليه مذعنين باذلين البيعة فاشترط عليهما إخلاء الحصون والقلاع التي يتقاتلان منها في مدينة أبي عريش وهي :

١ ـ حصن الشـامخ .	٢ ـ نجـــران .
٣ ـ دار النصر .	٤ ـ الحـــاكم .

فوافقا فتحرك بجيشه إلى (الخضرا) ومنها أرسل ستمائة جندي للتمركز في القلاع المذكورة ثم استصحب المذكورَيْنِ وبعض أقاربهما إلى تهامة اليمن .

وكـان الـوالي التـركي محمـود باشـا مقيما في مدينة الحديدة فارتجت تهامة لتحركه ، وأقبل إليه الناس رغبة ورهبة ، وضرب مخيمه في (الزهرا) واستولى على قلعتهـا وأقام فيها حامية قوية ، ثم سار إلى « الحديدة » ، حتى وصل إلى قرية « الجبَّانة » على مسافة خمسة أكيال ـ تقريباً ـ من مدينة الحديدة ، فأخلى السكان المدينة ناجين بأنفسهم وظل فيها الوالي محمود باشا متحصناً بها بعد أن أحرق ما حول المدينة من بيوت القش وكان عائض يغادي ويراوح المدينة بالحرب ، وبعد أيام تفشى في جنده الوباء الجارف ، ويقال : إن محمود باشا أمر بتلويث الآبار بمكروب الطاعون ، وقد هلك أغلب عسكره ، فأشار إليه رؤساء أصحابه بإنقاذ البقية الباقية بالانسحاب .

ووصـل إلى مدينـة أبي عريش يوم الخـامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٢٧٢ وأقام بها ثلاثة أيام ثم أمر بأسر كبار أمراء أبي عريش .

١ ـ حيدر بن علي .　　　٢ ـ الحسن بن محمد .

٣ ـ أحمد بن الحسين ـ أخذه بدلا عن أخيه الأمير الحسن بن الحسين [١] وبوصوله إلى عسير أبقى أولئك الأمراء تحت الإقامة الجبرية .

في يوم الأربعاء ٢٣ من شعبان أدركته الوفاة في بلدة السقا من أعمال عسير بعد أن تأمر نحو ٢٣ سنة .

وفي يوم وفاته بايع عشيرته الأقربون ابنه محمد بن عائض .

إمـــارة محمـــد بـن عـــائض

كان أول إجراء قام به ـ بعد أخذ البيعة وترتيب أمور الإمارة ـ أمره بإطلاق أمراء أبي عريش بعد التشاور مع رؤساء إمارته ـ على أن يجعل كل أمير منهم رهينة وأن يوافقـوا على هدم قلاع المـدينة وحصونها ، ما عدا (دار النصر) الذي هو مقر الحامية العسيرية .

ونزل الأمير على رأس جيشه ويرافقه الأمراء المذكورون وذلك في يوم ٢٧ القعدة سنة ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٦ م فوصل إلى أبي عريش في ١٥ الحجة سنة ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٦ م وفي يوم السبت الموافق ١٦ الحجة بدأ بهدم حصن (نجران) ثم أتبعه ببقية الحصون ما عدا حصن دار النصر وأناب على إمارة أبي عريش (الحسن بن محمد بن علي بن حيدر) من حدود وادي مور إلى حدود وادي ضمد ، كما أسند إمارة صبيا ومخلافها إلى الأمير (الحسن بن أحمد بن حمود أبي مسمار) ثم عاد إلى عسير .

أمـا الأمير الشـرعي (الحسن بن الحسين) فقد ظل متوارياً حتى قفل الأمير محمد بن عائض إلى عسير فتوجه إلى نجران يطلب مساعدة قبائله اليامبين على استعادة إمارة أبي عريش .

---

(١) يقول صاحب « الدر الثمين » : وكان يرجى وصول « الحسن بن الحسين » ولكن تعلل بمعاذير فاخذ أخاه أحمد بن الحسين بدله .

علم خلفه (الحسن بن محمد) بتوجهه إلى نجران فرغب أن يلعب دوراً سياسياً لعله يجد فرصة يتمكن فيها من استقطاب اليامين والتخلص من ابن عمه ومنافسه فكتب للنجرانيين يستحثهم على الوصول ويلمح لهم برغبته في امتناعهم وتوظيفهم ، كما كتب للحسن بن الحسين أنه بوصوله مع يام سوف يسلمه المدينة ، كما كتب أيضاً للأمير ابن عائض بأنه بوصول الحسن بن الحسين سوف يقبض عليه ويرسله ـ تخديراً له ومخادعة منه للأمير .

فكتب الأمير محمد بن عائض إلى الحسن بن محمد جواباً على رسالته بما يأتي :

ويقتضي أن تكون يقظاً ومستعداً لمقاومته وعندما تعلم بنزوله مع قبائل نجران إلى تهامة فارفع إليَّ وسوف نوافيك بالنجدة والقوة التي نَقضي عليه .

إلا أن الحسن بن محمد قد ركن إلى اتفاقه مع يام ـ كما سبق ـ ولم يوفق بالرفع إلى الأمير محمد بن عائض ، ولما لم تلمس منه الحامية العسيرية الإخلاص في المقاومة ، انكشفت لهم حقيقة أمره .

فوصل الحسن بن الحسين إلى أطراف مدينة أبي عريش يرافقه بعض قبائل نجران ، ليس في استطاعتهم التغلب على من في مدينة أبي عريش إلا أن الحسن ابن محمد ركوناً على ما علم به من قبائل نجران لم يباشر الاستعداد للقتال .

وكتب الحسن بن الحسين من معسكره في خارج أبي عريش إلى رؤساء المدينة يطلب منهم الطاعة فأجابوه بالقبول ، ما عدا من كانت مساكنهم حولِ حصن الشامخ مقر الحسن بن محمد .

أما رئيس الحامية العسيرية ورجاله المقيم في حصن دار النصر فقد عرف مخادعة الحسن بن محمد وميول أهل المدينة إلى أميرهم الشرعي الحسن بن الحسين .

وفي ليلة السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٣ وصل الحسن ابن الحسين وجنده من النجرانيين إلى طرف المدينة ، فسقط في يد الحسن

ابن محمد فلا هو على إخلاصه لابن عائض فيضم إليه الحامية وينهض برجاله القليلين والحامية العسيرية للمقاومة ، ولا أهل المدينة معه فيشدون أزره ، فقد انضموا إلى أميرهم الحسن بن الحسين .

فلم ير له سبيلا إلا أن يكتب للحسن بن الحسين ويطلب إليه بعث ثلاثة من رؤساء النجرانيين للتفاهم ظناً منه أنه سيتمكن من استمالتهم إليه فبعث إليه الحسن بثلاثة من رؤساء النجرانيين تحت جنح الظلام فوصلوا إلى تحت حصنه (الشامخ) المتحصن فيه ، ونزل إليهم وأخذ في التفاهم معهم ومحاولة استمالتهم ، وذكرهم بوعدهم أنهم متى وصلوا إلى أبي عريش تخلفوا عن الحسن بن الحسين وولوه ، وأوعدهم بجزيل العطاء ، فلم يصغوا إلى إغرائه ، ورفضوا الانضمام إليه ، وأفهموه أنهم لا يتخذون بمن وصل إليهم ونزلوا معه بديلا ، ففارقهم وصعد إلى حصنه .

فلا أهل المدينة معه ولا الحامية العسيرية في صفه ، ولا أهل نجران أجابوه ، ودخل الحسن بن الحسين المدينة من غربها ، وعلمت الحامية العسيرية فأطلقوا ثلاثة قذائف من مدفع لديهم ثم توقفوا .

وأوعز الحسن بن الحسين إلى رئيس المرتزقة النجرانيين « على بن الحسن » المكرمي بأن يتصل بـ (الحسن بن محمد) ويستميله للدخول في الطاعة ، فلم تنجح المحاولة وبفشلها ، اعتصم الحسن بن محمد في حصنه الشامخ مع حاشيته وبدأ في إطلاق النيران على الحسن بن الحسين وجيشه النجرانيين .

ورأى الحسن بن الحسين أن خير وسيلة لمضايقته ، وإخضاعه ، هو الإستيلاء على البئر المحاذية لحصن الشامخ والتي هي المورد للحصن ومن فيه ، والتي لم يجعل عليها الحماية الكافية ، وبينما هو معتز بمناعة حصنه وما استعد به من المؤن والذخيرة التي يعتقد أنه اعتماداً عليها يمكنه الصمود أياماً حتى يرغم خصمه على الانسحاب من المدينة ، وبينما هو محلق في سماء أمله فإذا هو يسمع منادياً من أهل المدينة يحذره قائلا بأن سرية من معسكر النجرانيين متقدمة للاستيلاء على البئر ، فحالا أمر بإغلاق أبواب الحصن وأمر بأخذ مواقع الدفاع حوله .

زحف مرتزقة النجرانيين نحو البئر والحصن فما قربوا منه حتى تصدى لهم جيران الحصن من أهل المدينة ، وقتل جندي من رجال المكرمي وحز رأسه ورفع على عمود فساء ذلك (المكرمي) وأغاظه فأمر جماعته بالتراجع قليلا عن مرمى النيران ، وعندما دجى الظلام استولى ليلا على البيوت والمساجد القريبة من حصن الشامخ ، ولم يشعر الحسن بن محمد في الصباح إلا والنار تطلق على الحصن من كل جانب وأحكم عليه الحصار حتى لم يتمكن واردهم من ورود البئر .

وعندما اشتد عليه الضيق ، أخذ في مكاتبة الحسن بن الحسين في طلب الأمان فاشترط عليه ما يأتي :

١ ـ الدخول في الطاعة .
٢ ـ أن يقوم بإخراج الحامية العسيرية من حصن دار النصر .
٣ ـ أن يقدم اثنين من إخوانه رهناً يبقون في معسكر الحسن بن الحسين إلى أن يقوم بإخراج الحامية .

أخذ الحسن بن محمد في تدبير الحيل مع رئيس الحامية العسيرية (سعيد بن مرضي) حتى تمكن من إقناعه بالخروج من الحصن والتوجه إلى صبيا في طريقه إلى عسير ، وبخروجه دخل الحسن بن الحسين حصن (دار النصر) .

علم الأمير محمد بن عائض بمخادعة (الحسن بن محمد) وما دبره من الحيل وفشله ، وعمله على إخراج الحامية العسيرية ، فقدم كوكبة من الخيل تتقدمه وأخذ هو في الاستعداد بالنزول إلى أبي عريش على رأس جيشه .

وصلت الكوكبة إلى صبيا فإذا الحامية المطرودة تقابله في صبيا فأنب قائدها سعيد بن مرضي وجنوده وانتظر قدوم الأمير محمد بن عائض .

وفي يوم ٢٤ الحجة سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م وصل إلى صبيا وعلم بما تم مفصلا فوالى سيره فوصل إلى ضواحي مدينة أبي عريش السادس والعشرين

من شهر ذي الحجة وضرب معسكره حول المدينة وأخذ يدير أوجه الرأي فإذا الوضع :

١ - المدينة تحت سلطة الحسن بن الحسين وقد حصنها تحصيناً لا يمكن أخذها إلا بتضحية .
٢ - إن أهل المدينة ملتفُّون حول أميزهم .
٣ - الحسن بن محمد الذي كان أسند إليه الأمر قد مال إلى النجرانيين طمعاً في أن يبقوه فانخدع ، كما خدع هو ابن عائض نفسه وهو الآن تحت طائلة الحصار .
٤ - حاميته قد أخرجت من الحصن الذي كانت تتمركز فيه .

كل ذلك جعله يميل إلى الحل الأوسط ، وهو إبرام الصلح مع (الحسن بن الحسين) على ما يأتي :

١ - أن يقر الحسن بن الحسين على إمارته حسب ما كان عليه سابقاً .
٢ - أن يدفع له الحسن بن الحسين مبلغاً سنوياً من المال .
٣ - أن يظل الحسن بن أحمد بن حمود على إمارة صبيا وتوابعها تابعاً للأمير ابن عائض وتوجه عائداً إلى عسير يوم ٢٧ الحجة سنة ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٨ م .

انتظر الأمير عائض وصول الخراج ، فلم يصل وكتب فكان الجواب من الحسن بن الحسين المماطلة ، فأرسل من لديه على هادي بن أصلين للمطالبة بالعائدات الحكومية فلم يجد من الحسن بن الحسين إلا المعاذير ، وأن حاصلات فرضة جازان والزكوات لا تفي برواتب جنده فضلا عما يصرف للحامية العسيرية المقيمة في جازان ، وكان مما تم عليه الصلح أن يصرف من حاصلات فرضة جازان راتب عامل صبيا الحسن بن أحمد بن حمود علاوة على زواتب الحامية العسيرية كما أشرنا قبله .

عاد رسول ابن عائض (بِخُفَّيّ جنين) فأشار بعض المقربين من الحسن ابن الحسين أنه برجوع رسول الأمير بدون المبلغ المتفق عليه سيكون له

خلفيات ومرود عكسي في غير صالحه ، وأنه من الأجدى والأنفع أن يتدبر في جمع مبلغ ويلحق به رسول الأمير بن عائض في الطريق ففعل على مضض .

بعد ذلك أخذ ابن عائض في إعمال الرأي وإحكام التدبير ضد الحسن بن الحسين وإزاحته عن الإمارة بحجة سوء سيرته وعدم القيام بواجب الإمارة وما يسود المنطقة من الفوضى وعدم الأمن .

ورأى أنه من الأنسب أن يصطاد الحسن بن الحسين بقريبه أمير صبيا الحسن ابن أحمد بن حمود . الذي يطمئن إلى إخلاصه له ومنافسته للحسن بن الحسين فاستدعاه إلي عسير ، وتفاهم معه بأن يستميل مشايخ القبائل ووجهاء البلاد ويفضي إليهم بأنـه بلغ الأمير ما يعانون من ظلم واستبداد الحسن بن الحسين وإرهاقهم بمطالب الأمير وما يعانونه من ظلمه وبطشه ، ولهذا فإن الأمير ـ ابن عائض ـ قد عزم على إقصائه عن الإمارة ـ وأن الجنود على أثره للتنفيذ .

أما الحسن بن الحسين فإنه بعد انصراف رسول ابن عائض فكأنه قد أرضى نفسه بما ألحق به رسول ابن عائض من بعض النقود ، فتوجه إلى بلدة (الزهرا) من بلاد وادي مور ـ وأناب عنه في مدينة أبي عريش من يدير شئونها ، وكانت « الزهرا » تابعة لإمارته فأقام هناك ، وذلك في أول سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٩ م .

وبعد تحرك الحسن بن الحسين إلى بلدة (الزهرا) ـ كما أسلفنا ـ وصلت طلائع جيش ابن عائض إلى صبيا فاستقبلها عامل (صبيا) الحسن بن أحمد بن حمود فقويت بهم ظهور المعارضين وتخوف نائب الحسن بن الحسين أو استميل ، فكتب إلى ابن عائض ، واستعد بدفع بعض الخراج المقرر على المنطقة ، وفعلا أرسل ابن عائض رسولاً يستلم ما تقرر دفعه .

ومـا عاد الحسن بن الحسين من بلدة الزهـرا إلى أبي عريش في يوم

التاسع عشر من جمادى الأولى . واستقر في حصنه المسمى (نجران) ـ وقد سبق أن أشرنا أن الأمير محمد بن عائض باشر هدم حصون أبي عريش وابتدأ بهدم حصن نجران ـ ويظهر أنه بعد ذلك رمم ذلك الحصن ـ ومعه سرية من مرتزقة يام أهل نجران ـ وباستقراره في المدينة أخذ في مصادرة أموال التجار ، ليصرف بها رواتب المرتزقة من الياميين ، وسرح من سرح منهم وأبقى جماعة منهم ليجعلهم حامية لقلعة (دار النصر) بدلا من المجندين من أهل المدينة ، فأثار تصرفه هذا سخطهم مع ما سبق من غضب التجار الذين صادر أموالهم .

استغل كل ذلك خصمه وابن عمه (الحسن بن محمد) فتحرك للعمل واستمالة الساخطين واستقطب نحوه حامية دار النصر من أهل المدينة الذين يريد الحسن بن الحسين إبدالهم بالياميِّين ، والحسن بن الحسين غير متيقظ لما يدبر له من المكائد ولا صاغي إلى من يدلي له بالنصيحة ، قد اتخذ له « مبرزاً [1] » من القشاش في بعض حي (الديرة) حي الأسرة (آل خيرات) جعله مكاناً خاصاً لراحته .

ووصل إلى علم (الحسن بن محمد) بأن الحسن بن الحسين يتحين الفرصة لقتله ، فأخذ بدوره يترصد حركته ويتتبع أثره بعيون من خاصته تمهيداً لسبقه في إلقاء القبض عليه أو قتله قبل أن يباشر هو ذلك به .

وفي يوم الثلاثاء ٢١ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٩ م ارتفع صوت صريخ بطلب غارة في أبي عريش ، فركب الحسن بن الحسين في كوكبة من الخيل يرافقه رؤساء المدينة إلى أن وصلوا قرب ساحل جازان ، وعادوا إلى المدينة ليلة الأربعاء .

وفي يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٩١ م رفع إليه

---

(١) المبرز : بفتح الميم والراء وآخره زاي . يبنى من القش أو من الحجر ، مكان للجلوس ، فإذا كان من الحجر فيتكون من غرفة واحدة ، وإذا كان من القش فهو كناية عن عريش .

أن حامية قلعة (دار النصر) قد استميلت وإنهم يساومون على تسليم القلعة للحسن بن محمد ومعناه أن من استلم القلعة فقد استولى على المدينة .

فحالا ألقى القبض على رئيس حامية القلعة ومساعديه وزج بهم في السجن وبعث جماعة من رجال أسرته لاستلام القلعة وحفظها .

وهنا اكتفى بإيراد عبارة مؤلف الدر الثمين الحرفية قال : (وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم خرج إلى ذلك المبرز القشاش ، حسب العادة ، وانفرد في ذلك المكان ، واختلى بابن عمه أبو طالب بن حيدر ، وطرد عنه عبيده والأعوان ، فما شعر بعد صلاة المغرب إلا وجماعة من عبيد الحسن بن محمد قد هجموا عليه في ذلك (المبرز القشاش) وأمسكوه باليدين ، فما وجد حيلة يلوذ بها ، غير أنه مع خروجه من المكان تمسك بعضادتى باب البيت البراني ومنع من مطاوعة العبيد خشية من شماتة الأعداء والشواني ؟ ، وهم في أثناء إمساكه يقولون : امش معنا إلى الحسن بن محمد ولك السلامة ، ولم يستعد وضرب الصوت ؟ في الأماكن فبادره بعض العبيد فطعنه في خاصرته طعنة وفي ظهره أخرى فطاح في الأرض وقد أثخنته الجراح ، فأما أبو طالب فرمى ببندق من وراء البيت فأصابته رصاصة كان فيها إزهاق روحه وخلاصه ، وأما الحسن بن الحسين فبقى ساعة يعالج سكرات الموت وقضى نحبه ، وحمل إلى قلعة (نجران) ودفن في جانب من البيت وذلك في ثالث وعشرين جمادي الآخرة سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٩ م .

وبقضاء الحسن بن محمد على خصمه وابن عمه بتلك الصورة الشائنة طلب من الناس مبايعته فبايعوه ، ورفع للأمير ابن عائض بذلك الواقع ، فلامه الأمير على فعله ، ولم يزل يوالي رسائله إلى الأمير ملتمساً رضاه وراجياً موافقته ومساعدته على حسب العادة المتبعة من الانتماء ، وكان عمله ومؤامراته بتلك الصورة مستنكرا فساء عمله وساءت ظنونه بالناس ونفر الناس منه ، ومع علمهم بعدم موافقة ابن عائض على إمارته ، تنكر عامة الرعية لإمرته وظهرت المخالفة عليه ، وقام الخُرَّاب بقطع الطرقات وفسدت الأحوال

واضطربت الأمور ، وأخيراً احتجب في حصنه (الشامخ) وأناب في تصريف الأمور الشيخ أحمد بن حسن ـ أحد شيوخ المدينة ونفس أحمد بن حسن شارك الناس تبرمهم ومللهمّ ونفورهم ، فرفع الشيخ أحمد بن حسن بالواقع إلى الأمير محمد بن عائض وكاشفه بالحقيقة والحال التي آلت إليه الأمور ، وظل يكاتبه سراً .

وكان الحسن بن محمد [1] قد عرضت له عوارض نفسية جعلت اليأس يتسرب إلى نفسه كالتيار ، وقد يكون ذلك نتيجة تأنيب الضمير فقلص من إقامته في أبي عريش وأطالها في قرية « المجصص » ، بين مزارعه يباشر عمل الحراثة .

وعندما علم الأمير محمد بن عائض بحقيقة الواقع في المنطقة ، وأن الناس ضد الأمير ما عدا قرابته الأدنين أو بعض صنائعه في المدينة وعدد من مرتزقة قبيلة (سحار) ليسوا مؤهلين لخوض معركة ولا صمود لطائلة حصار .

تقدم على رأس جيشه مطمئناً حتى ضرب معسكره في غرب المدينة فأقبل عليه أهل مدينة أبي عريش للسلام وتقديم السمع والطاعة ، فكتب من معسكره إلى الحسن بن محمد يدعوه للسمع والطاعة والحسن بن محمد ينوع المعاذير ويماطل في المواعيد فطلب حامية حصن نجران حصن الأمير المغتال الأمانَ ، وفضل الموقف على حاميتي (دار النصر) وقصر الشامخ .

فأمر الأمير بالهجوم على (دار النصر) فاستسلمت حاميته ، وعندها أمر بإطلاق قذائف مدافع (دار النصر) على قصر الشامخ وضرب حوله نطاق الحصار فاستسلمت الحامية ، وبقي الحسن بن محمد في قصر له ملحق بالحصن حتى إذا جن الليل خرج متسللا مع بعض مواليه في غفلة وغرة من المحاصرين ونفذ إلى الجبال ، وفي الصباح اقتحم الجند قلعة الشامخ وغنموا

---

(١) ظفرنا برسالة خطية مرسلة من هذا الأمير إلى علامة المنطقة « الحسن بن أحمد بن عبد الله » ترفق صورتها في آخر الفصل .

جميع ما فيها وبعدها أمر الأمير بهدم القلعة ، ورحل إلى تهامة اليمن ، وأمر من يهدم (دار النصر) وقصر نجران .

التقـدم إلى تهامة اليمن :

وصل في وجهته تلك إلى بلدة « الزهرا » وهناك بعث الوالي التركي المقيم في مدينة الحديدة وفداً إلى الزهرا وتم الاتفاق بأن تكون « الزهرا » ووادي مور وغيرها إلى محمد بن عائض وما كان منها وشمالا إلى الأتراك وانتهى الصلح على ذلك ، ورتب عليها « عُمَّالا » وعاد راجعاً فوصل إلى مدينة أبي عريش يوم ٢٥ جمادي الآخرة سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٩ م .

وبعد أن أقام ثلاثة أيام سار إلى مدينة جازان ، وتوقف في قرية الواصلي وكان في مدينة جازان حامية قليلة من الترك وعندما علم رئيسها بتحركه إليهم وصل إليه مستسلماً في قرية (الـواصلي) فهيىء له وسـائـل الرحيل وبعث قوة من رجاله لاستلام المدينة والتمركز في قلعة جازان ، وسار إلى صبيا في طريقه إلى عسير ، وبعد أن أناب على حكم مدينة أبي عريش وجميع المنطقة الشيخ أحمد بن حسن .

وفي شهر شعبان من سنة ٧٧ بعث باشا اليمن سفينة حربية للاستيلاء على ميناء جازان فأسـرع الشيخ أحمـد حسن من أبي عريش لصـدهـم فهزم وعاد إلى أبي عريش ، وقـد توفي في آخـر تلك السنـة فتولى أخوه مكانه ورفع للأمير بالواقع فوصلت قوة أجلت الأتراك عن جازان وحلت محلهم وسار إلى أبي عريش وبقى بها .

رأى محمد بن عائض تطلعات الأتراك إلى المخلاف السليماني وما يتولى أمره من تهامة اليمن وما يقومون به من تحركات ، وجلب قوات فتم الصلح بينه وبين باشا اليمن على ما يأتي :

١ ـ أن يعيد إلى الأتـراك أمـر تولى السلطة فيما تحت يده من تهامة اليمن ونصف (المخلاف السليماني) أي من جهة ضمد جنوباً إلى الدولة العثمانية .

٢ ـ من جنوب صبيا وشمالا إلى ابن عائض .

وفي أول سنة ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤ م أوعز أمير مكة إلى بعض قبائل رجال ألمع بالمخالفة وشجعهم على ذلك ، ثم وصل إلى القنفذة على رأس قواته وشعر ابن عائض بالأمر ، وجرت المفاوضات في الصلح ، فطلب أمير مكة العفو عن المخالفين من أهل رجال ألمع وسوى الأمر بينهما .

على أنَّ قبيلة الريث قد غزاها قبله (علي بن مجثل) وأذعنت بعض الوقت وقامت كما هي عادتها بالإغارة والغزو على من حولها ، فغزاها محمد بن عائض في جبلها القهر وأجبرها على الإذعان بعد أن حز رؤس جماعة من كبارهم .

وبعدها نجمت فتنة أهل رجال ألمع ونصبوا لهم إماماً وأعطوه البيعة وانتشرت الفتنة وتمادى العصيان إلى أهل الدرب ووصل إلى النصف الشمالي من المخلاف السليماني فزحف عليهم جيشه بقيادة سعيد [1] بن عائض فأخمد فتنتهم ، ثم تقدم الجيش إلى درب بني شعبة فاستباحها وأحرقها ثم فعل ذلك بقرية أم الخشب .

ظل محمد بن عائض على إمارة عسير وقد شمل سلطانه من منتهى عامد وزهران وبيشة إلى صبيا جنوباً وحلي بن يعقوب غرباً .

وفي سنة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م انقطعت المفاوضة بينه وبين الأتراك وتصعدت الخلافات فتقدم بجيشه إلى مدينة (الحديدة) وضرب معسكره حيالها ، فبعث الوالي التركي من الحديدة كتاباً إلى (الحسن بن أحمد عاكش) عالم المخلاف السليماني وآخر إلى علامة تهامة اليمن محمد بن عبد الباري ، وثالث للشيخ فائز يطلب منهم إقناع الأمير محمد بن عائض بالرجوع إلى عسير ورفع الحصار عن الحديدة . وكف الحرب مع الدولة العثمانية ، فلم يصغ الأمير إلى ذلك .

وأخذ من يومه في الأمر على طلائع جيشه بتشديد الغارات والحملات ، والتضييق على الأتراك في مدينة الحديدة ليجبرهم على الاستسلام ، فخرج الجيش العثماني وهزمه شر هزيمة .

---

(١) راجع ص ٢٥ جـ ١ من كتابنا الأدب الشعبي .

وتقدم العلامة محمد عبد الباري ، للصلح بين الطرفين على انسحاب محمد ابن عائض إلى عسير بدون أن يتعقبه الجيش العثماني ، وفي أثناء انسحابه ارتكب جيشه من المفاسد والسلب والنهب وانتهاك الأعراض ما يندي له جبين الإنسانية .

ورفع للأستانة بالواقع فأمرت بإرسال حملة قوية لغزو عسير والقضاء عليه - راجع الفصل الخاص بـ - محمد بن عائض - .

* * *

من رســالة الحســن بن محمــد بن علي
إلى الشيــخ حسن بن أحمــد (عــاكش)

بســـم الله الرحمن الرحيـم

من الحسن بن محمد . . إلى القاضي العلامة . . . . الفهامة شرف الإسلام حسن بن أحمد بن عبد الله سلمه الله .

السـلام عليكم ورحمـة الله وبركــاته . .

وبعد حمد لله حق حمده ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه . صدرت للسلام والتهاني وتأكيد الوداد عن أحوال . . . . والرسالة العظمى وصلت وبحبل المودة اتصلت . . . . أن الخط الأول وما فيه فهو على الغرض ولــقــد أفــدت جزاك الله خير الــجــزاء وكــفــاكــم كل ضير . . . . وأخيك . . . . إلا أنــه على الغــرض . . . . عن تعـرض على مثـل هذا . . . . التي هي الترياق داء الجهل وما لمحت إليه . . . . . . لم نطلب منكم إنجاز الوعد على الوجه الذي افترقنا عليه ، فأنا والله حاذرت أمور عظمى في جانبك فإني . . . . لسهام الألسن وعسى الله يقدر الاتفاق على أحسن وفاق . . . . . . وإن كنت ما تحتاج . . . . نعم أدام الله النعم وأزال النقم وهذا بيد الأخ أحمد على عواجي وبيده النصف الأخير من القاموس أو هو أقل من النصف دخل علينا قاموس جزئي الأول إلى باب العين . . . . في الباب بفصل السين لآخر تمامه وفيه أكل أرضه في أوله تمام الباب ومن آخره كما ترو وأرجو أن يصـادف وصـولـه وأنتم . . . . . كمـا تراه يليق وكل الفضل في احتمال المشقة وتـفـضـلوا عجـلوا . . . . بد الـمـتـطوع به أن سيد الـجـميع أدام الله علاه لا عذر . . . . . القاموس . . . . . عرفتوه النسخة وما تحتاج من تصليح وهو مانعه وساعد المذكور كونه لم يحضر النسخة حقنا لأجل المقابلة وتفضلوا عجلوا لنا ذلك . . . . . الحسنى وصدرت ربع شدة بياض من الموجود ---------- والبياض قليل وعلى كل حال . . . . . هذا وسلم لنا على من حواه مقامكم الشريف سيما الأخ الجمالي والأخ المغربي وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الختـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

فهــرس هــذا الجــزء

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



وثائق تاريخيـــة فى هذا الجـــزء

يحتوى هذا الجزء على نحو ١٧ وثيقة أوردنا نصوصها فى محلها من هذا الكتاب ، مما لانرى القارىء بحاجة إلى ذكر مواضعها . وكنا نود إبراز صورها كلها غير أنها لم تتضح بعد التصوير وأصولها محفوظة فى مكتبتنا .

مكتبة الرياض

مطابع الوليد
ت: ٢٨٣٦٨٤١ - ٢٨٣٧١٨٦

تاريخ

المخلاف السليماني

تاريخ

المخلاف السليماني

محمد بن أحمد العقيلي

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة

منقحة - مزيدة - موسعة - مزودة بالوثائق والصور

الطبعة الثالثة
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن اتبع سنته ووالاه .

أما بعد فهذه هي الطبعة الثانية من الجزء الثاني من كتابنا «المخلاف السليماني» أو «الجنوب في التاريخ» الذي طبع قبل عشرين عاماً - تقريباً - في القاهرة في مطابع دار الكتاب العربي ، وقد نفدت تلك الطبعة قبل مدة طويلة وأصبح غير موجود في المكتبات أو غيرها .

وقد أشار الكثير بإعادة طبعه وإنما لم تساعد الظروف والأحوال على إعادة طبعه .

وأخيراً استعنت بالله سبحانه وتعالى على القيام بدراسته من جديد وتنقيحه وإضافة ما اجتمع لديّ من استدراكات وتعقيبات ووثائق ومنشورات استحصلت عليها بعد الطبعة الأولى ، منها :

١ - مذكرات الشيخ تركي بن محمد الماضي [١] أحسن الله مثوبته ، وأسبغ عليه وابل رحمته ، الذى تفضل مشكوراً فبعثها إليّ لنسخها والاستفادة منها في الطبعة الثانية لهذا الكتاب .

٢ - مذكرات متصرف عسير سليمان شفيق كمالي باشا ، التي أسدى علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر يداً على التاريخ بنشر ما وجد منها في مجلة «العرب» الغراء .

٣ - «الرحلة اليمانية» للبركاتي عن فك حصار أبْها ، والمعارك التي دارت بين جيش الإدريسي والجيش المتقدم لفك الحصار .

٤ - «الدر الثمين في مناقب أمير المسلمين» لعلامة منطقة جازان في القرن الثالث عشر الشيخ الحسن بن أحمد (عاكش) .

---

(١) هو الشيخ تركي محمد الماضي ، من رجال الدولة البارزين واشترك فى أول لجنة توجهت لصنعاء كعضو فى المفاوضات مع الإمام يحيى فى المسائل العالقة بين الرياض وصنعاء ، ثم اشترك كعضو فى عموم لجان المفاوضة بين الرياض وصنعاء وأخيراً مع لجنتى المفاوضة التى عقدت فى مدينة أبها بين السعودية=

٥ ـ وثائق تحصلت عليها يَصْعَدُ تاريخ بعضها إلى ما يقارب المئتي سنة والبعض إلى مئة سنة ، والبعض إلى ستين سنة من تاريخنا الحاضر .

٦ ـ « الكتاب الأخضر » الذى أصدرته وزارة الخارجية العربية السعودية فى سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م .

وقد استدعى الأمر كتابة فصول جديدة ، وإعادة وكتابة كثير من الفصول السابقة بما أدع تقدير المجهود الذي قمت به إلى القارىء الكريم .

وقد زاد الجزء الثاني بعض الإضافات الجديدة والاستدراكات الكثيرة والفصول المستجدة ، والوثائق الملحقة نحو الثلث عمَّا كان عليه في الطبعة الأولى .

وختاماً أشكر لأستاذنا الجليل علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر عنايته وتفضله بالقيام بطبع هذا الكتاب ، كما قد سلف له أن قام بطبع الجزء الأول منه وأسأل الله أن يجعل هذا الكتاب من العلم النافع كما أسأله التوفيق في جميع الأعمال ، والإعانة والسداد .

جازان : محمد بن أحمد العقيلي

= واليمن . وقد دون مذكراته منذ ضم الحجاز إلى المملكة أثناء حصار جدة ، كما دون فى تلك المذكرات حركات الحرب السعودية اليمنية فى الميدان الشرقي الجنوبي . وقد تكرم مشكوراً ـ رحمه الله ـ بإهدائي تلك المذكرات لأستنسخ منها صوراً لى وأعيدها إليه ، وقد فعلت وأعدت له الأصول ثانية .

بســــــــم الله الرحمــن الرحيــم

مقـــــدمـة

هذا هو الجزء الثاني من كتابي «الجنوب العربي في التاريخ» أقدمه لإخواني أبناء العروبة الأمجاد شاكراً لهم ما حبوني به من تقدير وتشجيع متمثلاً فيما استقبل به الجزء الأول من المنصفين وحملة مشاعل الفكر .

وقد بدأت في هذا الجزء من حيث توقفت في سابقه ألا وهو أواخر العهد التركي الذي بُلي باستعماره الوطن العربي ، زهاء أربعة قرون .

وبما أن انقشاع ضباب ذلك العهد سبقه أشعة صحو هذه النهضة وتعقبه تخمر الوعى العربي واليقظة القومية الصاعدة فإن ذلك يعتبر نهاية عهد مضى واستقبال عصر أضاء . بدأ بالكفاح التحرريّ من نِيْرِ الأتراك وتكوين تلك الإمارات في عسير وتهامة وغيرها وانتهى بقيام (المملكة العربية السعودية) العتيدة التي انتظمت تلك الإمارات في سلك وحدتها ووحدت في ظل رايتها أغلب أجزاء شبه الجزيرة كنتيجة للكفاح البطولي والنضال التحرري بقيادة المؤسس الأول جلالة المغفور له (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود) تغمده الله برحمته .

وبطبيعة الحال إن أحداث الحاضر مهما تحققت غاياتها وقويت نتائجها واشتد مدّهـا وارتفعت أمواجها تعتبر تيارات مندفعة من خضم الماضي البعيد تجمعت روافدها في شتى مراحل الكفاح البطولي لأمتنا العربية الكريمة حتى كونت هذا الوعي الزاخر والبعث الصاعد في شتى أجزاء الوطن العربي .

إن مهمـة التـاريخ كشف حوادث المـاضي وعـرض اختبـاراتـه واستخـلاص تجاربه ورسم خطوطه فى إطار من الحقائق تنبض بعوامل المجد وحوافز التقدم في مشـاهـد توحى العبـرة وتلهم القـوة وتحقق أهداف الوحدة وتواكب الإنسانية

وتبعث في روع الأجيال نشوة الاعتزاز بالماضي وروعة التطلع إلى آمال المستقبل المرموق .

ولست أدعي لنفسي بلوغ تلك الغاية ، وإنما في حدودها ـ أحاول السير وعلى ضوئها أستنير ـ في نطاق جهودي المتواضعة ولكل مجتهد نصيب .

لقد بذلت من الجهد والوقت والمادة في الحصول على الكثير من مصادر هذا الجزء بما لا يقل عما بذلته في تأليف وجمع مصادر الجزء الأول فالله أسأل أن يجعل هذا المجهود المتواضع نافعاً وللحقيقة والخير حاوياً .

إن هذا الجزء قد استوعبه بكامله تاريخ (المخلاف السليماني) ـ مقاطعة جازان حالياً ـ وعسير وتهامة من سرار العهد العثماني وما ملأ الفراغ بعد زواله من إمارات في تلك المناطق من مَنْشَئها إلى اضمحلالها واندماجها في المملكة العربية السعودية العتيدة .

وبحوله تعالى سيكون الجزء الثالث خاصاً بتاريخ اليمن والمحميات (عدن) والسلطنات التابعة لها وحضرموت وعمان كما سيكون الجزء الرابع خاصاً بالتاريخ الأدبي لتهامة عامة [1].

وختاماً يسرني أن أشيد بفضل إرشاد وتشجيع الكاتب الكبير والبحاثة الشهير الأستاذ حمد الجاسر وأن أتقدم بخالص الشكر والامتنان للشيخ العلامة (عبد الله بن علي العمودي) على تفضله بإعارتى الجزء الثاني من تاريخه المخطوط اللامع اليماني مصحوباً بإذن خطى [2].

---

(١) إن الوقت وكثرة أعمالى جعلتنى أصدف عن ما عزمت عليه باسم الجزء الثالث المختص بتاريخ اليمن والمحميات والسلطنات التابعة لها وحضرموت وعمان ، وقد أصبح فى تلك الأقطار الشقيقة من يقوم بمثل هذه المهمة وبعضهم قد قام بها فعلا ، أما التاريخ الأدبي لتهامة فهو لا يزال فى قصاصات وأوراق فى ملف خاص باسم التاريخ الأدبي لتهامة واسأل الله فسحة من الأمد لأتم مهمتى التاريخية والأدبية ، والله المستعان .

(٢) هذا نصه : حضرة ولدنا الهمام الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي .

تشجيعاً وتقديراً لما تقومون به من مجهود علمى بارك الله فيكم نبعث لكم رفقه الجزء الثانى من كتابنا التاريخي اللامع اليماني المشتمل على سيرة الأدارسة وقد سمحنا لكم بطيب خاطر أن تأخذوا منه ما لم يصل إلى علمكم وأن يكون من المصادر التى تشيرون إليها تنويهاً بالكتاب وإشارة إليه وجعلنا هذا إذناً لكم رقم فى ١١/٤/٧٨ هـ .

التوقيع

والدكم عبد الله بن علي العمودي

كما أسدي خالص الشكر والتقدير إلى أولئك الأفاضل الذين أمدوني برسائل بخط أيديهم ـ وهم ممن شهدوا العهد الإدريسي وخبروا أحواله وتمرسوا بأعماله ـ وقد أوردت أسماءهم في قائمة المصادر المذيلة بهذا الجزء .

وإتماماً للفائدة فقد ذيلت هذا الجزء بقوائم المصادر المخطوطة والمطبوعة التى استقيت منها معلومات مواد الجزأين كالآتي :

١ ـ قائمة بأسماء المصادر المخطوطة للجزء الأول .
٢ ـ قائمة بأسماء المصادر المطبوعة للجزء الأول .
٣ ـ قائمة بأسماء المصادر المخطوطة للجزء الثاني .
٤ ـ قائمة بأسماء المصادر المطبوعة للجزء الثاني .

هذا عدا ما أشرت إليه في المتن والهوامش للجزء الثاني من أسماء رواة أفادوني بما وعته ذاكرتهم وإنى أرحب بالنقد النزيه والتوجيه البناء من كل ناقد وموجه والله أسأل أن يجعل العمل خالصاً لوجهه تعالى .

جــازان في ١ / ١١ / ٧٩ هـ

محمد بن أحمد عيسى العقيلي



الفصــل الأول

الحــالة العــامة في المخــلاف السليمــاني

مــن ١٢٤٥ - ١٣٢٦

وصل الأستاذ الجليل أحمد بِن إدريس كما أسلفنا - إلى صبيا عام ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م في إمارة عليٍ بن مُجَثّل - راجع الفصل الخاص بتاريخ عسير - والفصل الخاص بإمارة علي بن حيدر - الجزء الأول - فاحترم (ابن مجثل) وفادته وقرر له راتباً من مملحة [1] جازان .

كانت - في ذلك العهد تتنازع المخلاف تيارات وعوامل دينية وسياسية .

فهناك الدعوة السلفية الوهابية التي فقدت في ذلك التاريخ قوة تدفق ينبوع معينها الصافي ، من بعد قضاء محمد علي باشا على (آل سعود) النصير الحقيقي لتلك الدعوة ، وبقى الأمراء العسيريون محتفظين بتعاليمها على طريقة (المقلد) الذي يرى في الاحتفاظ بمنهجها ، النجاح الحربي والسياسي ، فقط لا عن إخلاص في حقيقة مَبْدَئها وجوهر عقيدتها .

وكـانت هنـاك أيضـاً الـزيدية التي يعضـدهـا (آل خيرات) - أمراءُ المخلاف حينذاك - لا عن عقيدة كأئمة (صنعاء) بل شأنهم شأن العسيريين من حيث التقليد السياسي فقط وهم يتمسكون بالاحتفاظ بمنهجها الظاهري أو السياسي لأنها تجعل الأفضلية في تولى الأمر للعلويين - راجع الجزء الأول - وكان من وراءهما حكومة (محمد علي باشا) التي تستند إلى القوة والسيطرة وعلى تلك الطريقة تناصر أحد الأمراء على الآخر .

وبين تلك العـوامـل مجتمعـة وجـدت (الطريقة الصوفية الأحمدية) وشيخها الـطريق ممهـداً لمـدّ سيادتهـا الـروحية إلى نفسية الشعب - الـذي قد فاته كل شيء - فوجـد في العـزلـة والتبتـل الصـوفي والاشتغـال بتـلاوة الأذكـار والركون

---

(١) معدن الملح بجازان هو موضع معروف جنوب الجبل الأحمر ، والآن قد ردم واستعيض عنه بمعدن الملح في الجبال الجنوبية جنوب قلعة الدوسرية ٢٩/ ١/ ١٤٠٩ .

إلى الغيبيات والأمل فيما ينتظر من الكرامات المزعومة ـ خير عزاء وأكبر سلوى في محنته ، فأصبحت (صبيا) محط الرحال ، ومنتجع القصاد لبغاة التبرك والابتهال الصوفى .

السيـد أحمـد بن إدريس المغـــربي :

هو الجد الأول للأسرة الإدريسية بتهامة ترجم له تلميذه العلامة حسن بن أحمد عاكش في مؤلفه الموسوم بـ (حدائق الزهر ، في ذكر أشياخ أعيان الدهر» بما نلخصه :

(ولد في بلدة «العرائش» من أعمال القيروان ، وأخذ العلم عن شيوخ وقته وأكبر شيوخه عبد الوهاب التازي ، ثم توجه من وطنه بطريق البحر إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٤ ولم يزل متفرداً للعبادة جاعلاً همه الاشتغال بالتفسير عن لطائف الكتاب العزيز ثم التفت إلى السنة النبوية) وبعدها عاد إلى مصر فمكث بها خمس سنوات ثم رجع إلى مكة فأقام بها ١٢ سنة ثم توجه إلى اليمن إلى أن قال ما نأتي على تلخيصه :

(وكان مدة إقامته بـ «مكة» تجري بينه وبين علمائها المناظرة وكان ملحوظاً بعين الاحترام من أمرائها ويحيا حياة طيبة من سعة العيش وانثيال الأرزاق عليه مما يأتيه من الفتوح) هكذا ؟؟

إلى أن قال : (وسمعته عندما جرى الحديث في مثل هذه المادة قال : نحن ضيوف الله في أرضه ، والضيوف بوجه مضيفهم ، ومن حمل الزاد إلى منزل الكريم أو سأل شيئاً منه وهو فى منزله عُدَّ لؤماً) .

وهـذه النـزعـة الصوفية لا تنطبق وجوهر الدين الإسلامي ، الذي يحث على الكسب المشروع والعمل المثمر .

(خـرج في آخـر مدتـه ـ رحمـه الله تعـالى من مكـة المكـرمـة ، إلى اليمن وكـان سفـره من (الليث) ونـزل في بنـدر (جـازان) في طريقـه إلى (الحُـدَيْدَةِ) وكـان منتهى سيره إلى (زبيد) فتلقـاه عالمهـا الحـافظ (عبـد الـرحمن الأهدل)

90375

بالتجلة والإكـرام ومكث في زبيد متجـرداً للوعظ والإرشاد والإفادة والإقبال عليه متزايد وكان يخرج إلى بوادي ونواحي زبيد وإلى المخا ومَوْزَع).

ثم ارتحـل إلى مدينـة (صبيا) وكـان وصـولـه إليهـا فى شهر رمضان من سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩ م فأقام بها للهداية والإرشاد إلى أن أدركته الوفاة ليلة السبت ٢١ رجب عام ١٢٥٣ تغمـده الله برحمتـه ورضـوانه ، وبعد موته تفرق أصحابه في الجهات وكان عقبى ذلك الجمع المبارك الشتات) انتهى .

وقد ترجم له المؤرخ الوشلي فى الجزء الثانى من تاريخه الموسوم بـ «نشر الثناء الحسن» بقوله :

(كان خروجه من وطنه إلى صعيد مصر فأقام هناك وتزوج وولد له أولاد ثم خرج إلى (مكة) ثم إلى اليمن ناشراً مما منحه الله من العلوم الدينية والمعارف الربانية وقـد ترجم له جهابذة من علماء عصره كتلميذه العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل في كتابه «النفس اليماني» فقال : وفد شيخنا الإدريسي إلى مدينة زبيد عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م [1] ناشـراً ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسنة كاشفاً إشارتهما الباهرة ولطائفهما الزاهرة وقد أملى من تلك الرقائق والحقائق ما استنارت به قلوب سليمة وتداوت به من جراحات غفلاتها نفوس أليمة .

وكانت مدة إقامته أولاً عشرين يوماً ثم بدأ له التوجه إلى (المخا) ثم إلى جهة (مـوزع) فانتفع بإرشاده خلق كثير ولما وصل إلى تلك الجهة أتى منه كتاب لي ولسائر الإخوان مذيلاً بالأبيات الآتية .

فيا أهـل زبـيد حبـكـم ووداكـم ... عظيم وإنى فى الـوصال على العهد
لقـد مال منى القلب شوقـاً إليكم ... وفـيه أمـور زائـدات على الـحـد
وراج من الـمولى الكـريم عنـاية ... تقـربـنـا قربـا نزيهـا عن البعـد
ويجمـع منـا الشمـل بينى وبينكم ... على بسط الأنس الـمنـزه عن ضد

(١) لاحظنا ارتباكاً فى تاريخ وصول الإدريسى إلى مكة وخروجه منها فى كل ما ورد فى ترجمته فى مخطوط «عقود الـدرر» فمثلاً يقول فى أول ترجمته انه وصل إلى مكة ١٢١٤ وأقام بها أربعة عشر يوماً ثم رجع إلى مصر وأقام بها نحو خمس سنوات ثم رجع منها إلى مكة وأقام بها اثنا عشرة سنة إذا حسبنا هذه المدد من ١٢١٤ نجدها=

ولم يورد الوشلي نص الرسالة لنستشف من ديباجتها ومفهوم ألفاظها منهج ذلك الحبر في فن الترسل ومنهج البيان .

أما الأبيات فيتبادر إلى ذهن المطلع أنها من نظم علماء الصوفية وسطاً بين (الجودة والرداءة) وقد أجبناه على الرسالة وأجاب على الأبيات العلامة الشاعر عبد الكريم بن حسين العُتْمي بهذه الأبيات الفريدة :

نسيم سحيق المسك أم عابق الند ... أم الروض فاحت منه رائحة الورد
نظام أتي في غاية اللطف ناشراً ... لطيِّ الثنا من حضرة العلم الفرد
صفي الهدى بحر المعارف شيخنا ... حليف الوفا في القرب منًا وفي البعد
يقول وقد زادت به مدة البقاء ... بأرض (المخا) قولا يصرح بالوعد
فيا أهل زبيد حبكم ووداكم ... عظيم و إني في الوصال على العهد
لعمرك إنَّ الشوق منا لزائد ... يهيج إذا مرت عليه صبا نجد
وأبهمت ما في القلب إذ قلت سيدي ... (وفيه أمور زائدات على الحد)
وما أحسن الإبهام هذا وإنما ... سررنا به إذْ كان من خالص الود

ثم عاد إلى زبيد فأقبل عليه الخاص والعام ، ولم تزل الأيام والليالى زاهرة رياضها بلطائف العلوم ، معمورة أوقاتها بالعبادة ، والأقلام تكتب من إملائه من الفرائد والشوارد ما ملئت منه الدفاتر .

ولما أزف الوداع برحيله إلى (صبيا) اجتمع خلق كثير لتشييعه وأنشد العلامة الشاعر عبد الكريم العتمي هذه القصيدة :

أما آن أن يستوقف الركب منشد ... وينجد ملهوف الشكاية منجد
على رسلكم لا تعملوها فإنما ... مواطِئُها أحشاء قوم وأكبد
خذوا من ثرى آثارها قبضة لنا ... فطيب ثراها للنواظر إثْمِدُ
ألم تعلموا أن العقيق تشعبت ... مجاريه فى خد الحزين تخدد
ذخرتُ دموعَ العين قبل فراقكم ... لما بعده فاليوم للأمس مسعد
ألا فاذكرونا طول الله عمركم ... فقد قال مخدوم الصبا غاب هُدْهُد

= ١٢١٤ + ٥ + ١٢ = ١٢٣١ وإذا رجعنا إلى الصفحة التى بعدها نجد المؤلف يورد ما نصه : وأقام مدة هناك ـ يقصد مكة ـ وكان خروجه منها سنة ١٢٤٣ . فيفصل معنا بين قوله هذا وما قبله ١٢٤٣ ـ ١٢٣١ = ١٣ سنة ، فأين كان الإدريسي فى ما بين ١٢٣١ وسنة ١٢٤٤ ، هذا مالم نهتد إليه .

على أننـا لا نعـرف الخبء إنمـا بنـا ما بنـا ممـا يقـيم ويقـعـد
ونـحـن وإن كنـا شيوخـاً فإنـمـا لأحـلامنـا مهـد الأصاغـر تمهـد
وقد رضعت من حافل الفيض عنكم لبـان هُدًى يروي الـغـليل ويرشـد
وقـد تعلمـوا أن الـرضـاع لمـدة ومـا كملت فاستكملوهـا وأسعدوا
أبي الله أن ينْـأى بنـا طلب العلى على كيف ما كنـا وأحمـد أحمـد
نزلـتـم بنـا لا بَلْ نزلـنـا لأنـنـا وردنـا حياضـاً لم تكـن قبـل تورد
كأنـك حوض المـزن طأطأ رأسـه فياحـبـذا منكـم شهـود ومشهـد

وكـان توجهـه إلى بنـدر (الحديدة) فتلقاه أهلها بالإعزاز والإكرام ، وامتدحه أدبـاؤهـا ثم سار إلى (صبيا) فتلقاه أهلها بالإجلال والتكريم ، فازدهرت ربوعها بسيادته مما أنطق الشاعر العلامة محسن بن عبد الكريم فقال :

شرفـتْ (صـبـيا) بكـم فغـدت موردأ للعـلـم والـنـزل
ليت شعـري ما الـذي فَعَـلَتْ فَعَـلَتْ قَدْراً على (زُحَـل)

إن القارىء الكريم ليرى فيما أوردناه عن عاكش والوشلي ثناء عاطراً وإشادة فواحة ، وإنما يعوز الباحث المدقق أشياء وأشياء عن حياة ذلك الأستاذ الجليل عن حياته العامة والخاصة وإن يكن فيما أوردناه عنهما أشياء عن حياته العامة فهو من الشهرة بالتقى والصلاح بالمحل الأرفع وإنما يتطلب البحث العلمي إبراز صفحة ناصعة وافية عن كيف كان يحيا وكيف، يقضي يومه وكيف يلقي دروسه وتعاليمه على مريديه وينشر فوائده على المستفيدين ومنهج تعاليمه وطريقة إرشاداته ومواقف وعظه ومقامات مناظراته ومدى تأثيره في الحياة العامة في عصره وبعده ، وغير ذلك مما يتطلبه منهج البحث والدراسة لحياة أمثاله من صلحاء الرجال .

وجاء في كتاب «ملوك العرب» للريحاني بعنوان (أحمد بن إدريس والتصوف) ، بعض ما يتطلبه البحث فقال :

إن فى العالم الإسلامي موردين للصوفية هما (إيران) وبلاد المغرب وفي الثاني ولـد ونشـأ أحمـد بن إدريس ثم ذكر شيوخه في التصـوف وهمـا (التـازي) و (المجيدري) الخ . .

إلى أن قال «وقد سمى طريقته (أحمدية) نسبة إلى اسمه وهي تدعى كذلك في تهامة وعسير أما عنوانها فعنوان الطريقة الشاذلية لأن أتباعها يسلكون بالتهليل والأدعية مسلك الشاذليين» وجاء في المصدر نفسه بعنوان (الأدارسة في عسير).

(إن الرجل الذي توفي في صبيا سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م وشيع إلى قبره وليًّا لم يبغ السيادة على أحد من الناس ولم يكن على ما أظن يحلم بملك إدريسي في البلاد العربية أو خارجها).

إلى أن قال : يموت الرجل الصالح ولم يرغب في غير العبودية لله الخالصة المجردة من الربوبية على أحد من خلق الله فيرفع إلى مقام الأولياء ويؤخذ من ضريحه حجر الزاوية لملك عربي جديد .

كانت (تهامة) و(عسير) يوم توفي الإدريسي الأول في حكم مضطرب لا تُرْكيًّا يعرف ولا مصرياً ، ومع أن البلاد من القنفدة إلى المخا كانت تحت حوزة إبراهيم ابن محمد علي الكبير الذي احتلها باسم الباب العالي العثماني فالأهالي ظلوا نافرين منه ثائرين عليه .. الخ ؟ انتهى .

وفي ذلك المضطرب السياسي وجد السبيل ممهداً أحمد بن إدريس ، لنشر طريقته وتثبيت مركزه الروحي ، وإنما بعد موته تفرق جل أصحابه ومريدوه ، ولم يكن ابنه الذي خلفه في قوة شخصية والده فعاش على حساب ذلك التراث الصوفي الموروث ، ونلاحظ أن المدة التي عاشها أحمد بن إدريس من حياته الأخيرة في صبيا لم تكن المدة الكافية لترسيخ جذور طريقته في نفسية الشعب جميعه ؛ فكان جلُّ تأثيرها القوى في مدينة (صبيا) وضواحيها ولم يكن تأثيرها بقوة إيمان في نفوس مريديه ، وإنما عن اعتقاد في صلاح وتقوى شخصيته ، وفرق واضح بين العقيدة والاعتقاد .

ونلاحظ أن ابنه محمد بن أحمد وخليفته في طريقته قد توجه إلى (الحُدَيْدَة) وأقام بها ولم يَعد إلى (صبيا) إلا قبل وفاته بثمانية أيام وفي مغادرته المركز الروحي ونزوحه إلى الحديدة ما يوضح ما أشرنا إليه .

ويقــول المؤرخ الـوشلي : (ثم إنـه توجـه إلى بنـدر الحـديدة ، وأقـام به مدة مديدة مع الخمول والصلاح والإقبال على الله بالكلية إلى قرب أجله فسار إلى صبيا قبل وفاته بثمانية أيام وتوفي بها يوم الثلاثاء ٢٣ رجب عام ١٣٠٦هـ / ١٨٧٧م .

علي بن محمد بن أحمد بن إدريس :

أدرك جده وطلب العلم على شيوخ وقته وخلف والده في مركزه الروحي وكان قليل الاختلاط بالناس يختفي عن المقابلة نحو العامين ، ويظهر لمقابلتهم نحو الشهر ويعود لعزلته حتى أدركته المنية في ١٧ الحجة عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٥م [١] بعد عودة ابنه (محمد) من مصر والسودان وخلف أبناء أربعة وهم :

محمد والحسن وأحمد والحسين .

وقد توفي الأخيران في أول حركة أخيهما .

---

(١) نشر الثناء الحسن،والوشلي .

الفصل الثاني

الإمام محمد بن علي بن إدريس

ولد بصبيا عام ١٢٩٣ ترجم له المؤرخ الوشليُّ وقد عاصره فقال : (نشأ في حجر والده على أحسن الأحوال ثم حفظ (القرآن) غيباً ثم أخذ في فنون العلوم الدينية واللغوية على يد العلامة سالم بن عبد الرحمن باصهي بـ(صبيا) ثم خرج إلى مدينة (أبي عريش) فقرأ بها على العلامة (إسماعيل بن حسن عاكش) وتزوج هناك ثم رجع إلى (صبيا) فمكث بها مدة ثم قصد الديار المصرية طالباً التوسع في العلم فمكث بالجامع (الأزهر) مدة طويلة حتى برع وتضلع من منطوقها والمفهوم فرحل إلى السودان وتزوج هناك وولد له ، وقد اطلعت على (ثبته) الذي جمع فيه ما من الله به عليه فرأيته حاوياً لفنون شتى من الأصول والفروع والآلات وعلوم الحديث والتفسير والشريعة والحقيقة جامعاً لإجازات له من مشايخ جلهم من علماء المغرب والجامع الأزهر من الديار المصرية وكذا بعض علماء اليمن وقد أخذت ذلك (الثبت) عنه بطريق المكاتبة والإجازة ـ لكوني وقت رقم هذا لم يتفق لي لقياه ـ وقد أسعفني بنقله:بعضه بخط يده وبعضه بنقل غيره بأمره ، ثم أرسله إليَّ وهو بمرسى (مَيْدي) إلى أن قال ما ننقله بلفظه مختصراً :

(وكان رجوعه إلى صبيا والبلاد قد ملئت جوراً وظلماً وقتلاً وغيره ، ولما استقر بصبيا قام يدعو الناس إلى الله وإقامة الشريعة فانجذبت إليه قلوب الخلق من كل بلد ، وكان يرد إليه كل يوم نحو أربعة أوخمسة آلاف نفر ، ثم إذا صلوا معه المغرب والعشاء قعد معهم في محل واسع ، فأخذ يعظهم ويذكرهم ويعلمهم الأمور الدينية إلى أن يمضي من الليل أكثره ، وكفاية هؤلاء الوافدين [١] عليه وإن كثروا ولا يلتفت إلى ما يصلون به من الصلات

---

(١) ومثل هذا العدد الضخم يحتاج في كفايته إلى معين من المساعدات المالية مع ما يتحتم من الصلات للوفود بالطبع .

ولا من زكاة أموالهم وإن كثر بل يقبضه وكلاء من طرفه . . إلخ) .

نتقل هذا من تاريخ المؤرخ الوشلي المعاصر للمترجم ، لنبرز للقارىء صورة من تصـور ذلـك المؤرخ لقيام الإدريسي في نظره وهذا مع الاختصار وتركنا من الأصل ما يمت إلى المبالغة أو المغالاة .

وجاء في «اللامع اليماني» للعلامة عبد الله بن علي العمودي ـ وهو من رجال العهد الإدريسي ما يأتي :

كان بعـد أبيه دأبـه الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر ، والشعب في غاية الهمجية لعدم الضغط من الحكومة التركية وأمرهم مقصور على المراكز البحرية وبـطور السـراة والأراضي النازلة التي أيديهم عليها وسطوتهم تنالها ، ففي شهر الحجـة عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م كان قيام الـدولة الإدريسية فدعا بهذه السهال بمدينة صبيا لما كثر الدُّعار وتمادوا في الفساد جهاراً وانتهكت الحرمات وغطت البليات ، والقـوى يقتل الضعيف وصارت العشائر والشعب همجية فتجرد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصادف سبب الدعوة أنه جرى حرب ما بين أهل صبيا والجعافرة فتوسط بالصلح على هدنة بينهما فاقتضى الحال إن أناساً من الجعافرة أرادوا السـوق بصبيا عمـلا بالصلح من السيد محمد المذكور فاعترضهم بعض سفهاء أهل صبيا خارج المدينة وصالوا عليهم وأرادوا قتلهم فاستسلموا فأخذوا منهم السلاح وحضرهم السيد في وجاهته فلما علم بذلك جَمَع أهل مراكز صبيا ووعظهم وثبتهم وقال : من يبايعني على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجرد سيفه وقصد أهل الفساد فخذلهم الله فوصلوا بهم إليه فأمر بتعزيرهم وبايعه باقي أهل صبيا والمخلاف .

العـلاقات الإدريسيـة الإيطالية :

قَبْلَ عودة (الإدريسي) إلى وطنه ومسقط رأسه صبيا كان على اتصال بـ (محمد علي علوي) مترجم السفارة الإيطالية بـ (القاهرة)ـ الذي كان على صلة صداقة به قبل ذلك .

ويقـال أن ذلـك الاتصـال السياسي كان في عام ١٣٢٣ ـ ١٩٠٥ وإيطاليا

تعد العدة لغزو (طرابلس الغرب ـ ليبيا)، فقد أرادت إيطاليا أن تشغل تركيا بإشعال نار حرب في جهة من الجهات التابعة لها مقدماً .

كان على وزارة إيطاليا آنـذاك (السنيور جوليتى) السياسى الإيطالي المعروف ومن المعلوم أن لإيطاليا مستعمـرة (أرتيريا) وقاعدتها مدينة مصوع على الضفة الغربية من البحر الأحمر ، مقابلة (لتهامة) والحكومة الإيطالية على معلومات تامة ودراية كاملة بأحـوال منـطقة (المخلاف السليماني) وما للأدارسة فيها من النفوذ الـروحي آنذاك أضف إلى ذلك أن الإدريسِيَّ نفسه في رحلته إلى مصر مهاجراً لطلب العلم كان بدأ رحلته إلى مصوع بحراً ومنها قصد (الحجاز) لأداء فريضة (الحج) وذلك في عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م ومن الحجاز سار إلى مصر .

وسيادة الإدريسي على أكبر جانب من قوة الشخصية وسمو المدارك والتحصيل العلمي وقـد ساعده ذكاؤه الخارق إلى الاستفادة من رحلته إلى مصر واستكمال دراسته في كلية الأزهر واطلاعه على مجريات السياسة الدولية مما تسامى بدائرة تفكيره عن نطاق دائرة أسرته الموروث في نطاق مجال التصوف بين حلقات الطريقة ونفحات التبرك ، وقد ألهمته مشاهدته في (السودان) وما خلفته ثورة (مهديها) من شهرة مدوية وقبل المهدي (محمد علي الكبير) وما أحرزه من نجاح وأنه لولا تآمر الدول على خضد شوكته خوفاً على مصالحها الاستعمارية لتقدمت جيوشه واحتلت (الآستانة) وبالرغم من كل ذلك فقد أبقى لأسرته مسلكاً موروثاً وإرثاً ضخماً من المجد .

فدفعه طموحه الملتهب وارتقت به همته المشبوبة إلى محاولة ما يعتلج في عقله البـاطن وأَهَّلَهُ لموع اسم أسرته فى المخلاف وبروز شخصيته وما يتحلى به من العلم والتقوى ـ وهو الخبير العارف بأحوال مسقط رأسه ، وبطباع قبائل المخلاف السليماني ، دفعه كل ذلك إلى تحقيق أهدافه يضاف إلى ذلك اتفاقه مع إيطاليا وإهمـال الحكومة التركية لأكثر داخلية البلاد العربية عامة والمخلاف السليماني خاصة حتى شاعت الفتن بين قبائله وانعدم الأمن وسادت الفوضى .

وقد وجد الآن ما يغذي [1] طموحه ويحقق حلماً يتراءا في ضباب أحلامه إذاً فليقبل العرض الإيطالي والعون الحربي وضمانها لمساعدة ثورته مادياً وحربياً .

توجه إلى اليمن ونزل بمدينة (الحديدة) في طريقة إلى صبيا ويقال أن الحكومة التركية قد خامرها بعض الشك حول اتصالاته بحكومة (إيطاليا) فجعلت عيونها تترصده من ساعة وصوله بيد أن الرجل من حصافة الرأي وبعد النظر بحيث استطاع أن يضلل عيونهم ويبدد ما يحوم حوله فنزل في مسجد جده المعروف في أطراف (الحديدة) وانصرف إلى العبادة والاشتغال بالعزلة عن كل أمر حتى أثبت لهم بحسن سلوكه وانصرافه بشؤون العبادة والزهد عن كل أمر وفتر حماس ترصدهم لحركاته ، فانصرف من الحديدة عائداً إلى صبيا للعودة إلى والده وأهله وبوصوله كانت الاتصالات بينه وبين الحكومة الإيطالية بواسطة (محمد سالم المصوعي وطاهر الشنيتي) التاجران المعروفان والذي له اتصالات ومعاملات تجارية بكثير من أهل الجهة وذلك عن طريق مرسى (قوز الجعافرة) الذي لا يبعد عن صبيا إلا بمسافة ثلاث ساعات سيراً على البهائم .

الإدريسي في صبيا :

إن وصوله إلى وطنه بعد (١١) عاماً وهو في أسرته وشخصيته ومراسلاته لوالده من (مصر) وقصائده الفرائد التى أرسلها لوالده في الحنين إلى الوطن وكانت لاشك تقرأ في حلقات (المريدين) ووفود الزائرين وتتناقلها الدعاية من المحبين والمتقربين مع شيء من المبالغة بما بلغه من سمو العلم والصلاح أحاط شخصيته بهالة من التقدير وهيأ النفوس بحرارة الشوق ودفء الحماس لارتقاب عودته ومع احتفال أهله بقدومه لما بلغه من النجاح العلمي سرت

---

(١) أخبرنى بعض خواص خدمه وهو لا يزال على قيد الحياة إلى الآن وقد سافر هذا الخادم مع أحد أقربائه إلى مصر ووصل إلى قرية الزينية فى الصعيد ، أن سيادة الإدريسي قام فى أحد قرى الصعيد بنوع من هذه المحاولة ففشل وكاد أن يقبض عليه من الحاكم المحلي فشفع فى الافراج عنه وأشاروا عليه بالسفر حالا إلى السودان وقد ورد فى بعض قصائده المنشورة فى هذا الكتاب وهى التى أرسلها إلى والده من مصر ما يشير إشارة خفية إلى هذا الحادث .

عدوى الاستبشار إلى المريدين والمقربين ومنهم إلى غيرهم وهكذا وبالطبع أن النبيل الغائب ترتقب أوبته وتنهال وفود المهنئين عليه فكيف الحال بقدوم من هيأ نفسه لأمر عظيم وصمم أن يلج التاريخ من أوسع أبوابه، استقبل المهنئين بكريم الخلق وجميل المقابلة مع الاعتداد وفرض الشخصية وكرم الضيافة وجزيل البر، والناس مفطورون بطبعهم على التعلق بالمثاليات وجعلها مضرب المثل وتعظيم المتصفين بها والإدريسي على أوفر جانب منها فخلب ألباب الأصدقاء والمريدين وفاز بإعجاب المعتدلين وحير أفكار المعارضين .

الـــدور الأول :

تسامع (المخلاف) بمقدمه وماهو عليه وما يقابل به زواره من كرم الضيافة والبر وما يقوم به في مجالسه من الوعظ والإرشاد ، فأحب السامع أن يكون مخبراً والغائب أن يكون شاهداً فانهالت وفود المهنئين على صبيا ، وضاقت بهم داره ، فأشير على الجيران القريبين ، بأن يتسعوا في دورهم للضيوف ، للاستراحة والإقامة المؤقتة ، أما تناول الطعام وكفاية الضيوف ففي داره وعلى حسابه فانتعش سوق (صبيا) وازدهرت تجارتها نسبياً ومع تزايد الوافدين وضيق المجلس بهم جميعاً فكان يخرج إلى الوادي اليماني فتنكفىء الجموع وراءه من بعد العصر أو المغرب ويأتم بالناس في المفروضات ويقوم في تلك الجموع واعظاً ومرشداً ومحدثاً بالمعروف وناهياً عن المنكر فيخلب ألباب الجماهير ببلاغة لفظه وسحر بيانه وقوة منطقه ونبرات صوته الجهوري والجماهير أشد تأثراً وأسرع انقياداً فيحلق بهم في أجواء فسيحة وأرجاء بعيدة وروادع زاجرة ونواه مانعة ويطوف بهم في آفاق وآفاق من النعيم الأبدى والثواب السرمدي ويرغبهم فيما أعد للمحسن من المثوبة العاجلة والنعيم الآجل وكان في ثنايا مواقفه يشير ويلمح بما يجب من إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فانسالت عليه الوفود من البلاد المجاورة وأخذوا يروجون له في ظهور الكرامات ووقوع المعجزات في عهد سادت فيه الجهالة وراجت البدع ونظر الناس إلى الدين من خلال شخصيات لها من الصلاح بزعم ما روج لها بين العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فان الكفلاء احمد بن محمد الضحوي وابراهيم بن يحيى بن كوري كفلا للشريف حمود بن علي الحسني على القاضي حسن ابن احمد فيما يحدث منه من الامور المغايرة على الدولة يعلم ذلك بتاريخ ٣ شهر الحجة الحرام سنة ١٢٨٤

كتبه احمد بن محمد الضحوي عفا الله عنه آمين

ابراهيم بن يحيى [illegible]

وثيقة كفال بخط العلامة احمد بن محمد الضحوي لحاكم أبي عريش

الحمد لله

اما بعد حضر لدينا احمد امغرم بعد ان مشا صلح بين بني شبيل والمجارشه ومشا برفقة احمد علي
مغرم وتم الصلح بينهم سنة كامله اولها شهر ربيع اول وكان الصلح بين محمد يحيى وعلواني
وعبيد الامره اهل المعنق فالمذكورين وبني شبيل بينهم صلح سنه اولها شهر ربيع اول
وكان الوسيط على العلاوي وعبيد لمره علي جبلي وسيط منتق على علواني وعبد الاسرع
والمجارشه جعلا احمد مغرم الوساطه عند موسى امحواس ما فيها مخرج وسيط فيها
على امحوسى ومنتق وحسن ابو عايده وسيط ومنتق على اهل الملقطب ومن حلّ
فيها جار وقرر بعلم ١٦ الاخ شهر ربيع اول

١٣١٢ هـ

ناظر ابن احمد
وفقه الله

وثيقة هدنة صلح بين قبيلتي بني شبيل والمجارشة

واستحكم في عقول بعض الخاصة في كثير من البلاد من قدرة التصرف وإحداث المعجزات ما شاءت لهم أوهامهم أن تخلقه في دنياهم التي بعدت حينذاك عن حقيقة الدين ومفهوم اليقين وسبيل العلوم ، فاستغل الذكاء الوقاد والعقل النير سذاجة الميول واستخدمها في مهمته التاريخية .

الحالة العامة في المخلاف السليماني :

أشرنا في آخر الجزء الأول إلى ما بلغته الحالة العامة في المخلاف لغاية عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م مجملاً وهنا نتناولها بشيء من التفصيل قبل ثورة (الإدريسي) .

في ذلك التاريخ فصل المخلاف السليماني - إدارياً - عن الحديدة وربط (بمتصرفية عسير) إلا أن الحالة لم تزد د إلا سوءاً وماج المخلاف في تيارات من الحروب القبلية كالآتي :

١ - نشبت الفتنة بين قبائل الشُّقَيق والمنجحة .

٢ - بين قبائل بني شعبة وعبس .

٣ - بين أهل بيش والسادة .

٤ - بين الجعافرة وأهل صبيا .

٥ - بين أهل أبى عريش وأهل ضَمد ثم بين أهل أبي عريش والمسارحة .

٦ - بين أهل الحسيني وعبس .

٧ - بين الحَكَامِيَّة والخرم .

٨ - بين سفيان والحُرَّث .

٩ - بين المسارحة وبين بنى شبيل وبين المسارحة والحرث [١] .

وكانت القبائل تعقد مع بعضها صلح هدنة مؤقتة بضمانة أشخاص لهم اعتبار قبلي (راجع نموذج من تلك المعاهدات في هذا الفصل) وهكذا أصبح المخلاف ناراً تتأجج بالفتنة وتموج أرضه بالدماء وانعدم الأمن وسادته الفوضى ، والأتراك في مركز (جازان) لايتعدى حكمهم أول السبخة بل القبائل

---

(١) انظر توضيحات عن تلك الحروب القبلية باسهاب في كتابنا الأدب الشعبي في الجنوب بجزئيه .

تغزو جازان ذاتها وتستاق جمال الماء بين فينة وأخرى وكان قبل ذلك لهم حاكم صوري في صبيا قابعاً في قلعتها [1] لا يتعدى نفوذ حكمه أسوارها ثم رفع واكتفى بمركز جازان التى إذا غربت الشمس مسك الأتراك النوب والقلاع ومن خرج لاقى حتفه ففي صبيا نفسها عدا الفتنة بين قبائلها وقبائل الجعافرة فالعداء واقع بين عشائرها بالذات فلقد تقدم شيخ المركز الأعلى المدعو (علي بن أحمد شافع) إلى بيت شيخ المركز الشامي (يحيى بن شيخين) ودعاه فخرج إليه فبادره الأول برصاصة أردته قتيلاً وانصرف القاتل إلى بيته في المركز الأعلى وهما هنا في مدينة واحدة ـ التي هي صبيا ولم تستطع عشيرة الشيخ المقتول مقاضاته لعدم وجود سلطة حاكمة فعولت على أخذ الثأر ، وفي يوم من أيام السوق الثلاثاء تسلل ابن أخت الشيخ المقتول واسمه (يحيى جوبحي) إلى (حانوت) الشيخ على بن أحمد شافع وأطلق عليه طلقاً نارياً خر على أثره يتشحط في دمه قتيلاً وفر القاتل فتأثرته عشيرة القتيل فأطلق عليهم الرصاص وقابلوه بالمثل إلا أنه استطاع الفرار منهم سالما والتجأ إلى (دار أحمد شريف الخواجي) فمنعه حتى جن الليل فأخرجه إلى حيث يأمن من شر مطارديه وهذا الحادث ـ في حد ذاته ـ واحد من عشرات مثله .

وفي جازان قتل جندي من الأتراك أحد أفراد قبيلة (المقارية) هو خال شيخ المقارية المعمر إلى التاريخ [2] وقد روى لي الرواية ـ وهي معروفة ـ ذلك الشيخ نفسه فقال :

كان خالي فقير الحال يتصل بالأتراك وينتفع معهم وفي ذات يوم أطلق عليه أحد الجنود الأتراك النار ـ وأظن أنه قال أطلق بندق أحد الجنود فأرداه قتيلاً ـ فحمل المقتول إلى قرية المقارية التي تبعد عن جازان بساعة ونصف سيراً على الأقدام تقريباً ، قال محدثي : كنت فتى يافعاً في أول أدوار الشباب شهرت بين أهل القرية بالدعة والخمول لاهم لي إلا القعود في الدار والعناية

(١) قلعة صبيا هدمت فى سنة ١٣٧٧ وبنى فى مكانها المدرسة الابتدائية والمتوسطة .

(٢) هو علي بن جده مقري : توفى سنة ١٣٨٣ .

بترجيل شعر رأسى حتى أن أهل الحي كانوا ينظرون إليَّ مزدرين وكان خالي عطوفاً علي بعد أن فقدت والدي وأنا طفل ، فكان قتله ووصولهم به محمولاً على جمل جثة هامدة أثار بين جوانحي من الأسى والحسرة ما أفقدني الصواب وإنما سرعان ما عاودني الصبر فكتمت ما بقلبي وانصرفت إلى تجهيزه حتى انتهى كل شىء فحملناه إلى القبر وقبل مواراته التراب انتزعت نصلي ـ أى خنجري ـ وقطعت جديلة من شعري ودسستها مع الجثمان قائلاً هذاميثارك [1] ياخالي اني انجزي بك ـ أي آخذ بثارك ، فنظر إليَّ المشيعون بنظرات كلها سخرية وازدراء لما يعرفونه من حالتي السابقة ، فلم أبال بتلك النظرات وانصرفت .

كان أول همي أني جززت رأسي ـ أى شعر رأسه ـ ومن ثم أخذت نفسي في الخروج وراء إبلي والتغيب عن الحي والتعود على حياة الشظف والحرمان حتى تعودت على ما أريده .

وفي ذات يوم وصلت إلى الحي حاملاً بندقيتي وطلبت من مولى لنا أن يصاحبنى وأخبرته بعزمي وشرطت عليه شرطاً وهو أن يكون دريئة ليحمي ظهري فقط .

وبت أرقب الفجر حتى إذا شعشعت في الأفق لوائح أنواره نبهت المولى وبكرنا صوب (جازان) فوصلنا السبخة والشمس قد ظهرت في الأفق فوجدنا صاحب حطب يسوق جمله فكنت أمشي مستذريا بالجمل أحادث صاحبه حتى لا يستريب في قصدي حتى قاربنا النوبة الوسطى [2] فخرج أحد الجنود الأتراك ليأخذ حزمة الحطب من الجمال ـ كما هي العادة ـ فطلع الجمال وفتح الحزمة التي استعد بها حسب العادة ، وناولها للجنديُّ فرفع الجنديُّ يديه لِيَتَناوَلَ الحزمة فاقتحمت عليه بالخنجر وأرديته

---

(١) الميثار رهن رمزي ـ راجع ص ١٠٩ ج ٢ من كتابنا «الأدب الشعبي» .

(٢) لا تزال آثار هذه النوبة موجودة حول المطار ـ لأن الأتراك بنوا ثلاثة أبراج ويطلق عليها اسم (نوبة) لحماية الجمال التى تجلب الماء من (الحفائر) الأولى فوق (المطَلَّع) ولا تزال باقية عامرة والثانية موقعها وراء المستشفى القديم ، والثالثة موقعها حول المطار ، ولا تزال الأخيرتان باقيتين ، أما القلعة التى فى موقع (الحفائر) فقد بنيت فى العهد السعودي سنة ١٣٥٢ هـ .

قتيلاً وأطلقت ساقي للريح وانطلقت عليّ نيران بنادق الأتراك من النوبة وبعضهم خرج وإنما المولى استطاع أن يشغلهم عن تتبعي حتى بعدت ونجوت ثم نجا الرجل بنفسه ، وفر إلى (المسارحة) على بعد خمس ساعات عن (جازان) ولم تستطع الحكومة القبض عليه وقد ظل طليقاً حتى قام الإدريسي فانضم إليه .

هذه قصة نرويها كصورة من غيرها التي تتكرر بين حين وآخر عن عدم استقرار الأمن وضعف الحكومة التركية عن تركيز سلطتها فإذا كان هذا عن فرد من قبيلة أو عشيرة على الأصح على مسافة ساعة ونصف عن مركز الدولة فكيف يكون الحال مع قبيلة ذات عدد وبأس في داخل المقاطعة ؟

الـــدور الثـــاني :

مضى الدور الأول في التمهيدات الأولى ، والاختبارات وسبرغور نفسية الشعب ومعرفة مدى قابليته والطريق الأيسر والأسهل لمعرفة مدى سرعة انقياده ـ وإن كان كما أشرنا قبل هذا أنه على معرفة بطباع قبائل المخلاف ـ إلا أن معرفة التخمين والحـدس شيء والتـطبيق العملي شيء آخـر والانقياد اعتقـاداً في زهد الرجل وصـلاحـه-الذي لايتجاوز التماس البركات أو إجزال النذور والتماس القبور-غير الانقياد للتغلب وخوض الأخطار واقتحام الأهوال ، وقد ساعده ذكاؤه ونفعه العون الإيطالي الـذي كمـا يقـال كان هو المال الوفير ولا شيء غيره في هذه المرحلة التجريبية الأولى .

وقد استغرق الدور الأول عاماً كاملاً أي طيلة عام (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) وجاء الدور الثاني دور التطبيق والتجربة العملية فأخذ أولاً في الجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحض الناس على ختان السنة ـ كانت قبائل المخلاف تسلخ جلد القضيب ومنـابت الشعر ـ واقترح كاقتراح على العقلاء ـ وقد أدرك قوة تأثيره عليهم أن ختان أبنائهم ومن يلوذ بهم في داره خير طريقة لقطع دابر تلك العادة السيئـة وبـذلـك يكـون تطبيق ختان السنة عملياً ويؤمن شر المخالفة فاستجاب الخاصة واتبعهم العامة .

وقبلها كان أمر أو نصح على الأصح بقتل الكلاب المنَمَّرة ـ أي الكلاب السود التي على أجفانها بقعة من الشعر بيضاء ـ فأفني ذلك النوع في أقل وقت وهنالك لمس أن سلطانه قد تغلغل في النفوس ـ نوعاً ـ وأن جذوره قد أخذت في التشبث بتربة الحياة وإنما هنالك نقطة حيوية بالنسبة إلى مشروعه ، الطريق الحيوي المباشر بالحليفة (إيطاليا) في مصوع ـ عبر البحر الأحمر ـ وهو (قوز الجعافرة) المرسى الطبيعي لـ (صبيا) وإلى تاريخنا هذا ، وما يرده إما نقود وهي شيء من العملة الغالية الثمن الخفيفة المحمل أو مثل ذلك من العملة الفضية ، وفي إمكان الجعافرة غض الطرف عن مرورها إكراماً لخاطره .

أما هذه المرحلة وهي مرحلة التَّهَيُّؤ العملي للمرحلة الثالثة التنفيذية والعمل لإعلان الثورة لابد من الاستعداد قبل إعلانها بورود مؤن وعتاد عن طريق مفتوحة ، له السلطان المباشر عليها وبطبيعة الحال فنزول المؤن (من قوز الجعافرة) وترحيلها إلى (صبيا) ـ على ما بين أهل صبيا والجعافرة من الفتنة والقتال ـ عملية محفوفة بالخطورة ـ لأن الجعافرة سيرون أن السلاح الذي ينزل في ساحلهم يرحل إلى أعدائهم أهل صبيا .

إن الإدريسي من حصافة الرأي وبعد النظر كما أسلفنا بحيث يعرف كيف ومتى يصل إلى ما يريده ، والآن جاءت المرحلة (العملية) أو قرب وقتها .

فهل يبادر (الجعافرة) مباشرة في واسطة الصلح بينهم وبين أهل (صبيا) ، فقد يشتطُّ الجعافرة وقد يفسر من أهل (صبيا) بما يأتي بعكس النتيجة ، وهناك (أحمد شريف الخواجي) الذي قد عيل صبره وقطع حبل الصمت وأصبح يصرح بانتقاد حركاته .

إذاً فالأمر يحتاج إلى الروية والتفكير .

وبدأت هذه الحرب القبلية بين الجعافرة وأهل صبيا عام (١٣٢٠ هـ)

و(الإدريسي) نفسه ينسب تأريث شرارات نارها إلى (أحمد شريف) [1]، فاتخذ في سبيل التمهيد للصلح منبر وعظه في الجماهير الزاخرة في إغلاق باب الفتنة كما ورد في الأثر (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) والترغيب في الإصلاح بين الناس بعبارات أشد قوة وأبلغ تأثيراً وهكذا دأب أياماً حتى هيأ النفوس لقبول ما سوف يقوم بالعمل في سبيله .

ثم بدأ في الاتصالات غير المباشرة برؤساء الطرفين حتى إذا شعر أن النفوس من القبيلتين قد تَهَيَّأَت ترك الفكرة تتخمر أياماً .

رغب في أن يكون السعي في الإصلاح بين القبيلتين بواسطة أناس بعيدين عن الجانبيين ليكون أضمن لحسن السعي وأبعد عن كل قصد ، وفوق ذلك فليستفد من الصلح بضم طرف ثالث يكون واسطة ضمان حربي ضد من يخل بالشروط ويعبث بالصلح ، يصبح في يده سلاحاً يجرده على المخالف إذا لزم الأمر وإن لم يحزب من الأمر ما يوجب ذلك فيكفيه أن ذلك الطرف أصبح ضمن منطقة نفوذه .

هنالك المخلاف الشامي من شمال صبيا إلى (بيش) وشيخ شمله (مفرح بن حسن القبي) وهناك غرب المخلاف (قبيلة السادة) وشيخ شملهم (محمد بن عرار) وكلاهما من ذوي المكانة والجاه ، فاستدعى الشيخين ووجوه قبائلهما وفاتحهما برغبته في سعيهما بالصلح بين الطرفين المتحاربين ، وقال لهم لن يسد باب هذه الفتنة إلا أمثالكم ووضع لهما ما يراه وما يتلخص فيما يأتي :

١ ـ السعي الجدي في ما يصلح ذات البين ويطفىء نار الفتنة .

٢ ـ أن تتكافأ الدماء بين الطرفين وما يزيد أو ينكره الطرف الآخر فإما نستوهبه أو أضمن أنا ديته عن كل طرف منهما .

٣ ـ يضمنون لكم رؤساء الجعافرة على جميع قبائلهم وتأخذون منهم المواثيق بعدم التعدي وإذا وقع ما يخل بذلك فأنتم الملزمون عنهم لأهل صبيا

---

(١) راجع نص كتابه الموجه إلى والدى ص ٧٦٥ .

فإن وقع مخالفة أو تعدي أو إخلال بشرط من الشروط فأطالبكم أنا عن أهل (صبيا) وأنتم تطالبون الجعافرة بإعادة المنهوب وتسليم القاتل مثلاً وتأديب المعتدي فإن وفى الجعافرة عند ذلك بتعهدهم فَبِهَا ونعمت وأن أخلوا بالعهد وخاسوا بمواثيقهم وخفروا ذممهم فأنتم وأنا وأهل صبيا يد واحدة عليهم حتى يفيئوا للحق .

٤ - يضمنون لي رؤساء ووجوه صبيا على عشائرهم ويتعهدون بمواثير [(١)] ووجوه في كل خلل ونقض للصلح ومن كل اعتداء أو مخالفة من صغير أو كبير منهم على الجعافرة وأنا بدوري أضمن عليهم أمامكم للجعافرة فإن حصل من أحد منهم أو من جماعة أو فرد تعدى على (الجعافرة) فالجعافرة يصلون إلي أنا ، وأنا المسؤول والمتعهد برد المسلوب وتأديب وردع المعتدي بمثل ما الجعافرة ضمناء لكم وأعود في ذلك إلى ضمناء ووجوه عشائر (صبيا) المتعهدين والضمناء لي على أصحابهم فإن قاموا بالتزاماتهم فوراً والوفاء بعهودهم فَبِها ونعمت ومن تخلف أوخاس أكون أنا وأنتم والوفي من صبيا عليه حتى يفيء للحق ويذعن .

سعى أولئك الرؤساء وتكلل مسعاهم - والذي هو في الحقيقة مسعاه - بالنجاح وعقد الصلح بين القبيلتين ، وبذلك امتدت سيادته لا على (صبيا) . كما كان قبل الصلح مع وجود المعارضين . بل على صبيا والمخلاف والجعافرة وحلفائهم الطمحة فأصبح نفوذه يمتد من بيش شمالاً . إلى سبخة بندر (جازان) وافتتحت طريق مواصلته بحراً مع (مصوع) وذابت وتلاشت أصوات المعارض في خضم المجموع ، بهذا النجاح وباتساع النفوذ تبددت أصوات (المعارضة) القليلة في صبيا واستطاع أن يوفق كل التوفيق في إبرام ذلك الصلح ويجعله مرناً مضمون النجاح يضم طرفا ثالثاً أصبح كجيش احتياطي عند الحاجة ، وقد وفق ورضي به وأعطاه العهود والمواثيق جميع رؤساء (صبيا) ليكون هو الضامن الرئيسي عليهم ، ماعدا (أحمد

---

(١) المواثير : بالمصطلح المحلي هو وضع الرجل شيئاً من سلاحه أو مقتنياته الشخصية كرهن على وفائه

شريف) وعـدد لا خطر منـه فأصبح بذلك المعارض الأول خارج الدائرة ، وظن (أحمد شريف) أن ذلك الصلح هزءٍ وسخرية . ما دام لم يُسْتَشَرْ ولم يشترك فيه . إلا أن العمل الجماعي دائماً يتغلب على كل نزعة فردية (والبقاء للأصلح) على أن (أحمد شريف) لم يكن مطاع الكلمة في قبائل صبيا ، بل إنه غير محبوب من الأكثرية وهو يعتمد في معارضته على شجاعته وعلى أفراد معدودين ، لهم الجرأة الكافية . قبل وقتنا هذا ، يُستعين بهم على مناوأة من يقاوم رغبته من أفراد أو عشيرة محدودة العدد ، أو ما كان له من صلات بالأتراك قبل هذا (التاريخ)، أيضاً ـ والآن قد تقلص ظل الأتراك . لا عن صبيا ، بل من بيش إلى تحت جبل بندر (جازان) ، أضف إلى ذلك أن (الإدريسي) قد استمال قبائل (الحسيني) حتى أصبحوا أطوع له من بنانه ، رغبة منه أن يجعل من قرية (الحسينية) خط الدفاع الثاني فيما لو حزب الأمر وغلب على (صبيا).

وهنـا نرى خمسة من شباب [1] (صبيا) يعتدون في ساحة المدينة على نسوة وأحـداث من (الجعـافـرة) مسـوقين للسوق ، ويسلبون حلي النسوة ويسومونهم الخسف ، وذلك اليوم يوم سوق مدينة (صبيا). وكفيل قبل هذا العهد أقل من هذا الاعتداء أن يعيد الحرب جذعة .

وهــذا ما كان مرتقبـاً ليطوح بذلـك الصلح ويجتثـه ومن أبـرمـه في حسـاب (المعارضين) وفاتهم أن الجو قد تغير والحال قد تبدل وأن الثقة في تلك الشخصية وقوة مركزها قد أصبح ذا سلطان فرأى أولئك الأحداث المرافقين للنسوة ألا لزوم للتسرع فأعطوا المعتدين ما معهم من سلاح ومضوا ترافقهم النسوة إلى (الإدريسي) وقد لقي الشبان المعتدون من ينكر عليهم تعديهم في نفس الموقف ويحذرهم من مغبة ما ارتكبوه ، فانسحبوا بما معهم إلى المركز الشامي ، ينتظرون ما يكون .

---

(١) وهم أحمد زمري ، أحمد بن علي شبعاني ، إبراهيم شوشو ، عوض الشهري ، حسين كباس حكمي .

الـــدور الثـــالث :

أشرنا في الدور الثاني إلى إبرام الصلح بين الجعافرة وصبيا والنتيجة المترتبة لإبـرامـه كفتح مرسى (القوز) أمام سيادته وضمان سلامة مواصلاته وتأمين طريق إمـداده وقـد كان من وراء الكسب المادي كسب أدبى وكسب سياسى فقد ضم المخـلاف الشـامي كجيش احتياطي وأثـر على خاصتهم وعـامتهم ، كمـا ضم الجعافرة إلى دائرة سيادته . أما الكسب الأدبى فقد رأى أهل صبيا في نفوذ كلمته واتسـاع سيادتـه ما طأطـأ له كل رأس ماعدا (أحمد شريـف)، و أفراد على عدد الأصابع ، وغدا القوم على يقين أن له أنصاراً وكلمة مسموعة عند مثلهم وأكثر منهم عدداً وعدة ، وفوق ذلك فقد سارع واستمال قبائل (الحسيني) فأصبحوا بين عشية وضحاها أطوع له من بنانه وقد اتخذ البعض من تلك القبيلة كحرس بين يديه ، ووزع مالديه من السلاح إلى الحسينية ، كما أنه وسع نفوذه . شرقاً ـ لجهة جبال (هروب) واشترى أرضاً زراعية ، ليكون له خط دفاع ثالث إذا اقتضى الحال .

التجـــاء الجعـــافرة إلى الإدريســـي :

وصلت النسوة صارخات ، برفق الأحداث المسلوبي السلاح ، وعددهم جميعاً سبعـة ، فاستقبلهم فشكـوا إليه ، وقـالوا : نحن وجميع الجعافرة نسوِّق حسب الصلح المبرم على ضمانك والآن وقع التّعدي علينا في ساحة صبيا فنرد الأمر إليك فإما تأخذ لنا الحق أو نرجع إلى أصحابنا وهم يطالبون ضمناءهم .

أدرك الإدريسي ما يراد من وراء ذلك الخرق للاتفاق ، وهو البعيد النظر ، وشعر أنه من القوة بحيث يستطيع أن يجابه الواقع بما ينبغى من الحزم ويتخذ منه وسيلة إن أمكن لما هو أكبر من رد ما أخذ على المعتدى عليهم ، فحالا أخذ للموقف أهبته ، واستبقى المستجيرين به لديه . وقام بما يأتي :

استدعى رؤساء صبيا ، الضمناء له وهم :

١ ـ عبده بن أحمد مسعود ٢ ـ ناصر مريع

٣ ـ علي شامي شافع
٤ ـ حسن فاسخ
٥ ـ رشيد بن ناصر سهل
٦ ـ محمد يحيى باصهي
٧ ـ عيسى سرحان
٨ ـ يحيى زكري
٩ ـ علي إبراهيم مفرح
١٠ـ يوسف بن علي بن حسن عقيلي
١١ـ حسن عابدين
١٢ـ جبريل إسحاق
١٣ـ أحمد بن ناصر خواجي
١٤ـ محمد طاهر رضوان
١٥ـ حمود بن محمد سرداب
١٦ـ رشيد الصم

وغيرهم من ذوى العصبية والمكانة في المجتمع .

وسمع الناس فاكتظت الجموع ، وهناك احتد وقابلهم بالتأنيب والملام وقال لهم : أنتم ضمناء لي على أهل صبيا على الوفاء وعدم التعدي في الصلح الذي أبرمناه بينكم وبين الجعافرة ، والآن وقع الخرق والتعدي منكم فإما تخبروني أنكم مالكم (وجوه) ولا (وفاء) والآن أرحل إلى (الحسيني) وأعلن للناس أنكم مالكم عهد ولا ذمة أو تقولوا : انكم رجال عند كلمتكم و(وجوهكم) وتحضرون المعتدين واحتد وانفعل ، ووعظ وحذر ، فاعتذر الحضور بأن ما وقع من سفهاء لا يعتد بهم ، ويدون اطلاع أورضا أحد منا ، والمعتدون شعروا بما يدبر ، فتجمعوا في المركز الشامي ، متأهبين للدفاع فوصلهم رسل الإدريسي فمنعوا ، وعندها اشتد حماسه وقال له الجميع : نحن جميعاً تحت أمرك فاستل حسامه ، وخرج من داره يتقدم القوم وسارت (صبيا) كلها تقريباً وراءه بأسلحتهم حتى أشرف على المركز الشامى من المرتفع الذي وراء السوق بقرب الجامع وهناك أسرع بعض القوم إلى (المعتدين) وقال : انظروا هذه (صبيا) بأسرها أقبلت نحوكم ، فنظروا فإذا هم يرون ما لم يكن يدور بخلدهم من الجمع الحاشد الشاكي السلاح فأسقط في أيديهم ، وخارت معنويتهم فاختاروا الاستسلام ، وأقبلوا يسعون حبواً على الركب ، وأقسم : أنه لابد من قطع رءوسهم ، نكالا بما اقترفوه ، وعبرة لغيرهم ، وأخذ الناس في استرضائه واستعطافه وتقدم محمد بن عيسى

قاضي النعمي منه ، قائلاً : إنك أقسمت أن تقطع رءوسهم ، وهاهم أقبلوا إليك طائعين قبل أن تقدر عليهم ، فجز نواصيهم ، براً بيمينك وأوهبهم عفوك ، فرضي ، وجزت شعورهم ، في الموقف أمام ذلك الجمع واقتيدوا بين يديه ، وعندها قرعت الطبول وأطلق الرصاص استبشاراً وعاد إلى داره ظافراً تحف به الجماهير بين مظاهر الإكبار والإجلال .

وفي عودته عاهده الجميع على السمع والطاعة وأعلن دعوته وذلك يوافق ٣٠ القعدة ١٣٢٦ هـ ونَفَرَ أهل الجهات القريبة والبعيدة ممن حضروا يوم السوق الأسبوعي بـ (صبيا) يروون الحادث في تهويل ومبالغة .

الثـــــورة :

رفعت تلك القضية شأنه ، وعرف هو ما بلغه من القوة والنفوذ ، فأخذ البيعة لنفسه من أهل (صبيا) وبعث رسله إلى قبائل المخلاف وقد سبقهم (الخبر) فلم تشرق شمس اليوم الثاني الموافق ١ ذي الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م إلا وقد أقبلت قبائل (الحسيني) في حشودهم تتقدمهم الطبول وطلقات الأعيرة النارية وفي مقدمتهم رؤسائهم .

١ ـ عبده حسن الذروي
٢ ـ حمود الذروي
٣ ـ حسين أبو طالب
٤ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن
٥ ـ محمد بن محسن السبعي
٦ ـ عبد الله هباشي

يرافقهم وجهاء وعرفاء قبائلهم ، فأمر باستقبالهم واستضافتهم وأخذ منهم (البيعة) وأجزل لهم الصلات ثم أبقى الرؤساء لديه وأذن للباقين .

وبعدهم وصلت قبائل (المخلاف الشامي) يتقدمهم رؤساؤهم :
١ ـ أحمد بن مفرح شيخ شمل المخلاف .
٢ ـ محمد حيدر القبي
٣ ـ حسن بن مصادم
٤ ـ محمد بن عرار شيخ شمل قبيلة السادة
٥ ـ يحيى بن عرار
٦ ـ أحمد بن غميض
٧ ـ عبد الرحمن بن ظافر
٨ ـ إبراهيم بن عطيف

مع وجهـائهم وعـرائف قبـائلهم ، فأحسن استقبالهم وأخذ منهم البيعة وأكرم وفادتهم وأبقى لديه الرؤساء وأذن للباقين .

وتـلاهم قبـائل (الجعافرة) يتقدمهم شيخ شملهم علي بن محمد الأخرش ، ووجوه قبيلته فعمل معهم نفس ما تقدم وأبقى الرؤساء لديه .

واقتفاهم قبائل وادي (ضَمَد) يتقدمهم شيخ شملهم (أبو حليمة) وعلي بن أحمد الشبيلي الحازمي وابن عمه حمود بن حسن وعبد الرحمن الحفاف وعلي بن حسن أبو زنبيل وغيرهم فعمل معهم كما عمل مع من تقدمهم وأبقى لديه الرؤساء ، وقد تخلف من عرايف (ضمد) شخص يدعى (أحمد الهوداني) وتظاهر وهزأ ممن وفد فاستدعاه الإدريسي فامتنع .

التـــأهـب لضمـــد :

رأى الإدريسي أن في تخلف أحمد الهوداني ، نشوزاً ومخالفة قد تجرىء غيره وتجعـل للمعارضة صوتاً مرفوعاً فأمر بالتَّهَيُّؤ للسير إلى (ضمد) فطلب من رؤساء القبائل الذين أبقاهم لديه كحرس شرف باستدعاء قبائلهم مع أهل (صبيا)، وسار بالجميع إلى (ضمد) وهو أول جيش يقوده لإخضاع مخالف ومع الجيش (مدفع) صغير أمدته به (إيطاليا) وما أن أشرف الجيش على قرية (ضمد) حتى أقبل أهل القرية بالهوداني يقاد صاغراً (بحبل) فدخل القرية ثم عاد إلى (صبيا) ظافراً .

تشكيـــل الحكـــومة :

أصبـح قوة لهـا من مظاهـر السلطان ومؤهـلات النفـوذ الحـربي ما يحسب حسـابـه كل من تسـول له نفسـه المخـالفـة أو النكوص عن المبادرة عن تقديم فروض الـطاعـة من قبـائـل المخلاف ، وكما أصبح لديه من الرؤساء والوجهاء الـذين أبقـاهم كضمـان على طاعة أصحابهم وأداة قوة يحركهم بها متى أراد ، وعـدا ذلـك فيتـألف من مجمـوعهم كتيبة من حرس الشرف تحف بموكبه حيث سار ويكلفهـا بمهـام الأمـور فأصبـح وجـودهم لديه مظهـراً من مظاهـر القـوة والسلطان فإذا كان أحمـد شريف المعـارض والمجـاهـر الـوحيد برأيه هو من

رؤساء المركز الأسفل وذو مكانة في (صبيا) فهاهم رؤساء (صبيا) ووجهاؤها بل وشيوخ شمل ورؤساء قبائل المخلاف وذوو العصبية والمنعة تأتمر بأمره سامعة مطيعة تسير بين يديه وتمشي في ركابه فلم يبق لمعارضة أحمد شريف من صوت مسموع ، أومكانة ذات خطر يؤثر على مجرى سياسته لا في مدينة (صبيا) فقط ، حيث اعتداده بنفسه بل في المخلاف السليماني بأسره ، التي مدينة (صبيا) واحدة من مدنه وأهلها قبيلة من قبائله العديدة .

بعد عودته من تلك (الغزوة) بل في أواخر ذي الحجة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م شكل حكومته وجعل له وزراء من السادة الآتية أسماؤهم .

١ ـ حمود بن محمد سرداب الحازمي ٢ ـ محمد يحيى باصهي

٣ ـ يحيى زكري حكمي ٤ ـ محمد طاهر رضوان

كما أقام محكمة شرعية عليا مؤلفة من القضاة الشرعيين السادة :

١ ـ محمد حيدر القبي ٢ ـ إبراهيم بن عطيف النعمي

٣ ـ علي بن حسن أبو زنبيل ٤ ـ عبد الرحمن الحفاف

٥ ـ محمد عبد الله مبجر السمان

لتنظر في القضايا وتبت في الخصومات وتقرر الأحكام بالوجه الشرعي .

وعلى أثر ذلك انثالت عليه وفود القبائل من (رجال ألمع) و(حَلي بن يعقوب) وشهران وبني شهر وغامد ، وزهران و(قنا والبحر) و(القحمة) و(الشقيق) وتهامة اليمن وغيرها معاهدة ومقدمة طاعتها .

أحمد شريف الخواجي :

مَرَّ بالقارىء الكريم (في القسم الثاني من الجزء الأول) تاريخ أمراء (صبيا) من الخواجيين وأن مؤسس مدينة (صبيا) الحالية هو الأمير دريب بن مهارش الخواجي ، كما وضحنا كيفية تلاشي إماراتهم على يد الأمراء (آل خيرات) وأشرنا إلى آخر شخصية منهم برز اسمها في حوادث (صبيا) عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م وهي شخصية علي بن مطاعن الخواجي .

ومن بعد ذلك التاريخ لم نعثر على شخصية منهم ذات شأن في حوادث

صبيا ، وإن بقوا كعشيرة من عشائرها المعدودة المعروفة ـ حتى هذا العصر الذي نؤرخ له ـ الذى برز فيه (أحمد شريف) بروزاً أهلته له شجاعته وشخصيته القوية وأبرزته ظروفه مع الإدريسي .

مولـــده ونشــــأته :

ليس لدينا المعلومات الدقيقة عن سنة مولده (١) وكيفية نشأته على وجه الدقة والتحقيق وكل ما توصلنا إليه ، ممن بقي على قيد الحياة ممن أدرك حياته ، أنه مات والده وهو صبي فتزوجت أمه (شرف) بأحد أقاربها وأنجبت منه أبناء آخرين ولا يزال بعض إخوانه من أمه على قيد الحياة .

نشأ (أحمد شريف) يتيماً ـ كما مر بك ـ وإنما عرف كيف يشق طريقه .

معلومـــــاته :

كان (٢) قد تعلم الكتـابـة والقراءة ، ومن المعروف ممن عرفه أنه كان يلذ له مطالعة كتب الأدب والشعر وكان لديه دواوين بعض الشعراء كـ (البحتري)و (أبي تمام) و(المتنبي) واقتناؤها يدلنا أن للرجل ذوقاً أدبياً .

وقد برزت شخصيته واتصل برجال الأتراك ، ووقع عليه الاختيار ليمثل (صبيا) في (مجلس المبعـوثان العثماني) فكان أحد ثلاثة أشخاص وقع عليهم الاختيار ليمثلوا (المخلاف السليماني في الآستانة) وهم .

١ ـ أحمد شريف الخواجي ، عن صبيا .
٢ ـ منصور الصعدي عن أبى عريش .
٣ ـ علي سويد الأنصاري عن جازان .

وقـد مكثـوا هنـاك إلى انفضاض المجلس وإلغائه فعاد مع رفقائه ، عاد وقد انطبعت في نفسيته عظمة تركيا وخلافتها .

---

(١) أفادنا غير واحد بأنه في سن باصهي والإدريسي .

(٢) استقينا هذه المعلومات من محسن مشارى في الدرجة الأولى ومن محمد بن أحمد شريف وعدد من الأحياء .

حيـاته العمليـة بعد العـــودة :

أمضه النجاح التجاري الذي أحرزه منافسه ـ في ملعب الطفولة ومزاحمه في مدارج الشباب ودنيا الرجولة ـ محمد يحيى باصهي ، ونظر إليه وقد أصبح تاجراً قد توسعت تجارته وتأثلت حالته واكتسب أضعاف الضياع على ما ورثه من والده وقد جعل له أنصاراً وأعواناً وأخداناً وموالِيَ وخدماً فمهد له سبيل الشهرة ومكن له المال كأحسن ما تمهد قوة العصبية والقدرة ، فرغبه كل ذلك بأن يختصر الطريق لبلوغ أمنيته وتحقيق غايته عن طريق المال الذي هو عصب الحياة ، فرحل إلى (مصوع) ثم إلى (عدن) وعقد صفقات تجارية مع أشهر بيوتها التجارية وقد مهد له الحصول على تلك الصفقات ، اسمه كعضو سابق في (مجلس المبعوثان)، ثم عاد إلى صبيا مشتغلاً بالتجارة وعزم على بناء قصر في الأكمة التي غرب داره شمال (حارة الموابلة) ، غير أنه لم يحالفه التوفيق في الأعمال التجارية فتوقف أصحاب الأموال عن موالاة إمـداده بالبضـائـع ، وقـد يكـون لمنـافسـه يد في ذلك ، فتوجه إلى (الحديدة) وقام بنفس ما أجراه مع تجار عدن ومصوع ، وعاد ثانية إلى (صبيا) فلم تنتعش حالته ، فتوقف عن مواصلتهم ومعاملتهم على ماعنده ، وهذا هو حقيقة ما ورد في حاشية كتاب السيد الإدريسي الذي أشار إليه بقوله : إنه يأخذ أموال رعايا الأجانب . . الخ [١].

إن أحمد شريف والإدريسي وباصهي قد ولدوا ونشأوا في (حيّ) واحد من أحياء مدينة (صبيا) ونخال أن بذرة التنافس بينهم كانت في مدارج الطفولة ومراتع الصبا ، وكـان الأول ـ برغم كل شيء من المـركـز الـروحي للإدريسي والتبجيل والتجلة لأسرته ، والمركز المالي لباصهي ، ونظرة الاعتبار لأسرته يراهما ـ بالنسبة إليه ـ حضريين غريبين ـ ليسا بقبيليين مثله ، نظرة بدوية ضيقة المجال ، وهما ينظران إليه أنه من أسرة متوسطة الحال ، تعيش على حساب الماضي البعيد ، واستجرار ذكرياته ، والمنافسة تذكي شعور كل منهم للتفوق بقدر سمو همته ، وبذور الوراثة الدفينة في أعماق عقله الباطن ، ولندع التفسير للحوادث المستقبلة ولنترك الحكم للتاريخ .

---

(١) انظـر ص ٧٦٥ .

محمــد يحيى باصهي :

هو من أسرة باصهي المعروفة المكانة التجارية بـ (صبيا) وصل جده عوض بن محمد باصهي ، من بلدة شَبَام بحضرموت ، فازدهرت تجارته فاتخذها دار مقام ، وولد له بها يحيى بن عوض ، فسار على نهج والده .

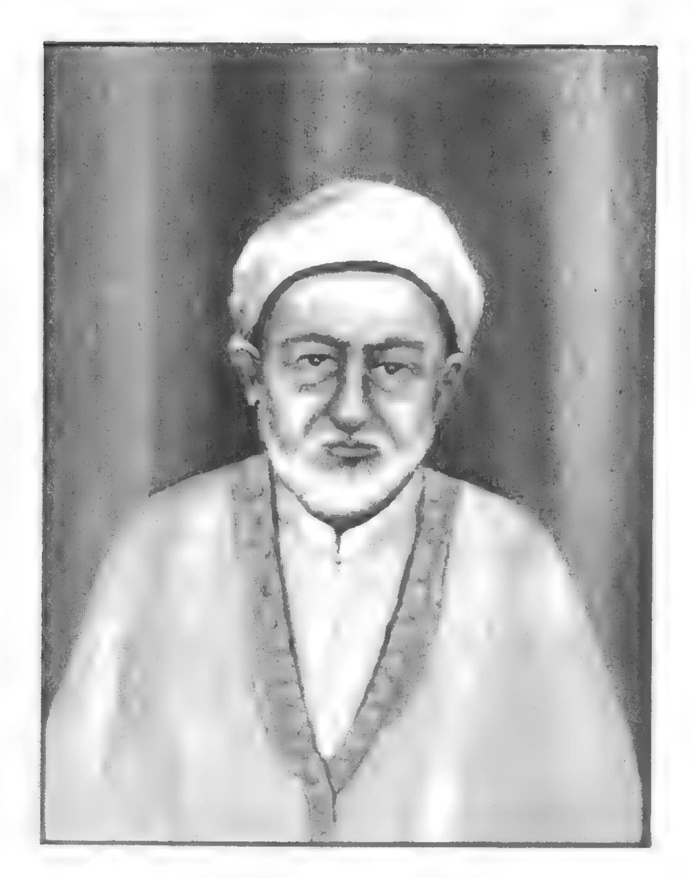
وولد محمد يحيى في صبيا في سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م فقرأ مبادىء الفقه على قريبه العالم سالم بن عبد الرحمن باصهي ، بعد أن تعلم القراءة والكتابة وطالع بعض الكتب الأدبية والدينية والتاريخية ثم اشتغل بعمله التجاري ، وأقبل عليه بروح الشباب المتطلع .

نشـــأته :

ترعرع ويفع في ظروف وأحوال (ذلك المجتمع) في صبيا ـ من الفوضى وعدم الأمن ـ فرأى أن حالته كتاجر مسالم تدفعه إلى المصانعة والمجاملة لكل قوي من ذوي العصبية في صبيا ، أضف إلى ذلك أن والده عاش كتاجر بعيداً عن المشاركة الفعلية في حوادث الوطن الذى ولد به .

لم يرق لذلك الشاب المتطلع الطموح أن يقف موقفاً سلبياً من أحوال مجتمعه وشؤون بلده فأضاف إلى صنائع والده ممن كان يستعين بهم في عمله التجاري عناصر جديدة يمكنه الركون إليهم والاعتداد بهم وبدلاً من أن يستخدمهم فقط في عمل التجارة اتخذ منهم حلفاء سلاح واقتنى العبيد الشجعان ليسد بهم نقص العصبية ونهج في عمله نهج التاجر الشجاع الذي يسعى إلى أغراضه ويباشر أعماله محمي العرض مأمون الجانب ، وكان جده ووالده قد اشتريا الأراضي الزراعية ، فمع نشاطه وازدهار تجارته أضاف إليها مثلها إلى ذلك التاريخ ـ قبل قيام الإدريسي .

والمشاركة الفعلية في ذلك المجتمع ـ المضطرب ـ لمثله ومن في مكانته تقضي بالاشتراك الفعلي في الحروب القبلية ، وقد نشبت الحرب بين أهل (صبيا) و(الجعافرة) .



الشيخ محمـد يحيى باصهي

حيـــاتـه :

وليبرهن لمواطنيه أنه لا يقل عن الرؤساء ذوي العصبية ، اشترك فعلاً معهم في الغـارات والاشتبـاكـات مع الجعافرة ، فإذا خرج رؤساء صبيا في إخوانهم وبنى عمومتهم وذويهم ، خرج هو على فرسه بين صنائعه ومواليه واشترك في المعركة كغيره .

كان بينه وبين (أحمد شريف) من المنافسة شيء معروف بين معاصريهما ، وقد أشرنا إلى ذلك في حياة الأول ، وبالطبع أن المنافس يحلوله أن ينبز منافسه بما يتراآى له فيه من نقط الضعف أو النقص ، ومجتمعهما ـ ما مر بك من المجتمع القبلي ـ فكان الأول ينفس عليه نجاحه المالي ، أما الآن فإن اشتراكه في أمور وأحـوال المجتمع مالياً وحربياً قد أجج نار المنافسة فراح ينبزه بأنه (صاحب بيع وشراء) وأنه حضري شأن القبيلي الذي ينبز الحضري بأنه ليس رجل حرب وطعان ـ وتارة يقول له : ما أنت من أهل (صبيا) لأنه يرى أن أسرة باصهي وافدة ليس لها مكانة قديمة ، وهي نظرة ضيقة يمليها الطبع العشائري لاتعيش في الأفق العربي الفسيح بله الأفق الإنسانى الأفسح .

كانـا يحضران للصلاة في مسجد (آل باصهي) القريب من داريهما فيحصل بينهما التنابز والتلاحي ويظهر أن اختيار أحمد شريف لعضوية (مجلس المبعوثان) لم ترق لمنافسه ، وبقدر ما تقرب الأول من الأتراك وحصل على ثقتهم نرى الثاني بعيداً عن أي حظوة لديهم .

وكـان (باصهي) على صلة حسنـة بالأدارسـة ، وفي عصـر كل يوم جمعـة يحضـــر مع زميل صبـاه محمـد حيدر القبي ، الـذي يزوره في ذلـك اليوم من قريتـه (الملحـا) ويحضر معهم غيرهم من شباب صبيا مثل يحيى زكري وحمود سرداب وغيره لمـزاورة علي بن محمد الإدريسي ، ويتناولون طعام العشاء معه

---

(١) استقينا جل هذه المعلومات من علي بن عطية قنش وأخيه محمد بن عطية ومن محسن مشاري رحمهم الله تعالى .

تشرفاً بمركزه الديني والروحي في ذلك العصر ـ وقد يتحفهم باصهي ، ببعض الهدايا نظراً لما تجلبه تجارته من الطرف ، ولا نعتقد أن ذلك منه على سبيل «التبرك» فقد كان رجلاً عملياً في نزعته الدينية ، وإنما بحكم ما تقتضيه الظروف والسلوك التقليدي في عرف مجتمعهم .

أما أحمد شريف فكان بعيداً عن مجاملتهم ، بعكس منافسه .

قضية أحمد شريف :

لم يكن (أحمد شريف) يظن أن مساعي الإدريسي تبلغ ذلك المجال الذي بلغته من النجاح .

بيد أن ظهور الإدريسي) ونجاح سياسته وتغلبه على كل معارضة خفية أوعلنية وتوفقه في الصلح أولا بين الجعافرة وصبيا ، وثانية في تغلبه على تلك المحاولة التي أريد بها نقض ذلك الصلح أوبالأحرى القضاء على خطة رئيسية من خططه واتخاذه مما دبر لهدم مشروعه مرقاة بل منفذاً للفوز والنصر ثم لإعلان ثورته وإشهار أمره وتثبيت سلطانه .

ويقال إن بعض وجهاء صبيا اتصل بأحمد شريف مستشيرين ، رغبة منهم في الوقوف على رأيه حول طلب الإدريسي إحضار الخمسة الأشخاص المعتدين على (الجعافرة) وأنه يهدد بالرحيل إلى الحسينية ويرجون منه معاونتهم على القبض على أولئك الأشخاص ، فقال : هذا رجل غريب ما هو من أهل صبيا اتركوه يرحل ما يضركم منه .

لم يكن أحمد شريف صاحب فكرة اجتماعية أومبدأ سياسي أودعوة دينية أوحتى سيادة قبلية قوية ، على الأقل من الخطورة والقوة بحيث تفرض وجودها أوتملي إرادتها على مدينة (صبيا) بأسرها فضلاً عن المخلاف ، وتصرفاته الجريئة مستمدة من شجاعته قبل كل شيء واستعانته بحاشية تسيرهم إرادته القوية في الإيعاز الخفي بما يريده ثم مكانته عند الأتراك ثم عشيرته التي مثل غيرها من عشائر (صبيا) المعروفة المكانة ، والتي وإن لم تكن

تشاركه ما يراه أو تتهالك على الانقياد أو الائتمار بأمره ، ولم تتغير حالة عشائر صبيا حتى الآن تغيراً جوهرياً عما كانوا عليه فى أثناء قيام الإدريسي .

فعندما ظهر الإدريسي ذلك الظهور وانتصر أدبياً وسياسياً وحربياً وأسقط في يد أحمد شريف وظهرت له الحقيقة المرة وأنه أضعف من أن يقاوم تلك الشخصية الخارقة ، وليس له من الحول والقوة ما يمكنه من أن يعلن الخلاف المسلح أو يبدي الاعتراض العلني عملياً ، فلزم بيته حانقاً متفوهاً بعبارات هي إلى الشتم أقرب كقوله : ياأهل (صبيا) أنتم خبلان ، مثل هذا العبد يقاوم الدولة العثمانية كأني بالدولة قد قادته مكتوفاً وحرقوا بيوتكم وشردوا عيالكم .

وهيهات فالمبدأ إذا كتب له الانتشار لاتستطيع قوةُ مقاومةَ تياره ، والإنكار في هذه المرحلة المتأخرة ليس على الإدريسي بل على الجمهور ، الذي اعتنق مبدأه وسلم له زمام قيادته .

كان الإدريسي قد أخذ لنفسه البيعة كما أسلفنا ، وأصبح ذا سلطان شرعي وقد خلب ألباب الجماهير ، وأصبح لهم من الاعتقاد في شخصيته ما يفوق كل وصف .

ليس في صبيا إلا الإدريسي والجماهير الموالية له اعتقادياً وعاطفياً يرون فيه (المهدي) بتعبير العامة في ذلك العهد ، وإلا أحمد شريف الذي أصبح تقريباً بمفرده ليس له قوة في التظاهر ضد الرأي العام .

وأحمد شريف الآن لايعيش إلا على حساب جرأته السالفة وقد أصبح مشلول التصرف ما عدا الكلام ، أمام رجل عمل المستحيل بالنسبة لعصره وسياسة عهده ومحيطه .

وتطلع الناس لصمت الإدريسي ، أمام شخص لايزال على معارضته ، ومجاهرته بالخلاف ، ولم يدخل فيما دخل فيه عامة سكان المخلاف ، من تقديم الطاعة وإعطاء العهد وهو بصمته يستدرُّ عواطف الجماهير ، وهنا بدأ الإدريسي يصرح أن أحمد شريف ممن يسعون في الأرض فساداً ، وأنه جاسوس

للأتراك المشركين ومثل ذلك ، فتحاماه الكثير ، وأصبحت حركاته وسكناته تلاحظ بكل دقة ، وتفسر شَر تفسير .

إن الإدريسي الآن أصبح صاحب السلطان ، وقد بايعه الجمهور وشكل حكومته وعين وزراءه ، ونصب (محكمة عليا شرعية) وبعث نوابه على البلاد ، وفوق كل ذلك فقد اعترفت به ضمنياً الحكومة التركية ـ كما سيمر بك ـ بموجب معاهدة (الحفائر) .

القبض على أحمد شريف ومحاكمته الصورية :

ظلت تطرق مسامع الإدريسي أنباء أحمد شريف وتفوهاته ، وهو الشخص الوحيد ـ من الشخصيات البارزة الذي لم يبايعه ـ وهناك منافسه الأخير محمد يحيى باصهي ـ الذي قد أصبح وزيراً للإدريسي وصديق باصهي محمد حيدر القبى ، الذى أصبح رئيس المحكمة العليا الإدريسية .

كان أحمد شريف يتاجر في الرقيق ، فدخلت في حوزته (أمة [1]) يقال إنها من (يام) الساكنين في جهة العارضة وقبل هذا التاريخ لا يستطيع شخص أن يتدخل في تصرفاته ـ والآن تغيرت ظروفه بطبيعة الحال ، فوصل أخو (الأمة)ـ أو بالأحرى استدعي ـ وقدم شكوى إلى (الإدريسي) مفادها أن له أخت حرة استولى عليها أحمد شريف وباعها من أحد التجار الموجودين في صبيا .

في الحال أمر الإدريسي ، على التاجر بإيداع الجارية عند (باصهي) حتى يصدر أمر الفصل في القضية ، استدعت المحكمة التاجر وأقام صاحب الدعوة ادعاءه على التاجر فدافع التاجر بأنه اشترى من أحمد شريف وطلب تكليف أحمد شريف برد القيمة إليه ، بالطبع أن أحمد شريف ليس تحت طائل المحكمة ، وكخطوة أولى أُوعِزَ إلى التاجر أو قام التاجر بطلب القيمة منه أو مقابلته لدى الشرع فقال أعد إلى مابعته منك وأنا أدبر لك القيمة .

---

(١) إن زوج الأمة لا زال على قيد الحياة ويدعى أمان بارزيق نسبة إلى مولى أعتقه التاجر أحمد محمد بارزيق وقد استفدت منه كثيراً من التفاصيل الواردة بهذا الفصل .

واخيراً فى حوالى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م توفي هذا الشخص المعمر رحمه الله .

فتشعب الموضوع فأخ يطلب بأخت حرة سرقت وبيعت ويريد إعادة أخته ومعاقبة من سرقها أو استرقها ، وتاجر بدوره يتنصل من كل تبعة ويحيل ذلك إلى من باعها منه وهو أحمد شريف ، وأحمد شريف لا يرى بدوره إلا أن جارية دخلت في حوزته وباعها ، فعلي المشتري إذا لم يرغب الجارية بأن يعيدها إليه ، وهو يدبر له أمر القيمة ، ولا يعترف لا بالمحكمة وحكمها ولا بالإدريسي نفسه .

فعاد التاجر إلى المحكمة فاستدعت أحمد شريف ، فامتنع [1]، وأخذت الدعاية تروج للخطوة الثانية لدى الرأي العام بأن أحمد شريف لا يريد الإذعان للشرع ، وأن هذا تعطيل لحكم الشريعة إذا لم يكلف وينفذ عليه مثل غيره ، وعصيان منه ومخالفة وأشيع بأنه سيقبض عليه قسراً وكثر تردد الرسل فامتنع في داره ، واستعد للمقاومة وهو من الشجاعة بحيث لا يستطيع من يقسره أو يدخل داره إلا جثة هامدة .

فكان امتناعه في داره نقطة تحول ضده فجعلت الأرصاد حول الدار تراقب حركاته وسكناته ومن يتصل به ، فأصبح شبه محصور ، وأحكم التطويق على داره حتى تعذر عليه الخروج .

ولازال الضغط يشتد والإدريسي يهيىء الرأي العام، ويلهب الشعور، والناس بطبيعتها تستعجل النتيجة مهما كانت وإزاء إصراره ، رأى الإدريسي ـ وقد أدرك ما أحدثه على نفسيته ضغط الحصار ـ رأى أن يتصيده بأقرب ذويه فإن انقاد ، فلا يصبح الملام على أحد غيرهم ولا يأنفون من الغير أنه هجم أو اقتاد ابن عمهم ، وإن امتنع كانوا شهوداً على عصيانه وحز فى أنفسهم مخالفته لهم فأصبحوا عون الإدريسي عليه ، فبعث إليه :

١ ـ حمود سرداب ، والخواجية أخواله ويعتبر كواحد من وجوههم في ذلك التأريخ .

---

(١) رواية محسن مشاري وعبد الله بشيري وأحمد طامي ومحمد أحمد شريف وأمان بارزيق .

٢ ـ أحمد بن ناصر الخواجي ، وهو من رؤساء الخواجية في المركز الأعلى
٣ ـ محسن بن علي خواجي من أبناء عمومته الأدنين .
٤ ـ محمد إبراهيم ، مع غيرهم ممن تربطهم به وشائج القربى .

تقدموا إلى داره ، ونادوه فعرفهم ، فقالوا : نريد مقابلتك ، ومن المعلوم أن الرجل مهما كانت قوة إرادته ، فإنه يوهن في عضده ويسقط في يده ، متى عرف أن أقرب الناس إليه ، يقفون منه الموقف السلبي ، أو يؤيدون أدبياً جانب خصمه .

أذن للقوم فدخلوا عليه ، وبعد التحية والمجاملة ، قال حمود ما معناه : يا أحمد ، نحن أقرب الناس إليك ، والبلاد كلها عليك وأنت محصور في دارك ، فنرجو منك ـ وأنت من نعرفه سداد رأي ـ أن تساعدنا فيما يصلح الموقف ، ويعيننا لمصلحتك تقوم معنا إلى (الإمام) وأنت في وجوهنا من كل أمر ومتى وصلت إليه وقابلته انتهى كل شيء وعدت بعد ذلك إلى بيتك ، مرفوع المكانة مرموق المقام ، ولا زالوا به حتى وافقهم .

فكان ذلك أول وَهْنٍ تسرب إلى نفسيته القوية .

سار معهم وبيده سيفه يرافقه أخ له من أمه ، حتى وصلوا به إلى باب الإدريسي ، وهنا تختلف الرواية .

فالرواية الأولى تقول : إنهم أوقفوه على الباب ودخلوا يطلبون له الإذن فلم يسمح له الإدريسي بمقابلته وقال : يسجن أولاً ومتى دخل السجن صفحنا عن مخالفته ونظرنا في أمره .

والرواية الثانية : تذكر أنهم دخلوا به على الإدريسي فوقف أمامه بدون أن يسلم فابتدره الإدريسي قائلاً : سبحان الله عليك يا أحمد ، الناس جميعهم عاهدوا ودخلوا في دعوتنا إلا أنت فمن تكون ، ومع ذلك لا تسلمنا من شتمك وثلبك وتقول : أنا عبد حبشي أشعوذ على الناس ، وتجاهر بالمخالفة

ولا تذعن للشرع الشريف ، ليس لدينا بعد ذلك إلا ما يقرره الشرع في أمرك ، خذوه للسجن فلم يجبه بشيء ، وانصرفوا به من حضرته .

وتتفق الروايتان ، على خروجه من باب الإدريسي باسم السجن ، فالتفت فإذا وراءه ما ينوف عن خمس مئة شخص قد أحدقوا به من كل جانب ، وقد ظن أنه متى فارق باب الإدريسي سار إلى بيته ولا يستطيع أحد منعه ، وهيهات .

وعنـدمـا توسط السـاحـة التى بين بيت الإدريسي وبيت باصهي ، وتسمى (المجلبة) والتى تتفرع منها عدة طرق وكانت وجهة الجماهير المحدقين به طريق بيت باصهي الـذي السجن خلفـه (في بيت السجّان عيسى أبى فايع) فأراد هو مخـالفتهم والانصـراف إلى الـطريق المؤدية إلى داره ، فحيل بينه وبين ذلك ، فانتضى سيفــه فتفـرق المحـدقـون به يمنـة ويسـرة ، وكـان فيهم ذوو النجـدة والشجاعة ، فشعروا أنه من العار عليهم أن يتحدّى رجولتهم ، وفيهم حمود سرداب ورفقاؤه وجلُّ وجوه صبيا وغيرهم وانتضى أخوه جنبيته [1] فأطار ما بقى من صبرهم على هذا التحدي ، وخرج الموقف عن حدود الاعتبارات إلا من رجلين يتحديان الجمهـور أو الجمـاعة فانتضيت السيوف واتخذ حمود وأهل البسالة من أرديتهم تروساً ودرقاً ، وحملوا عليهما وتسلل رجل من الخلف واحتضن أحمد شريف بقوة فأسرع إليه الآخرون واختطفوا السيف من يده وأوثقوه بردائه ، وانتزعوا السلاح من أخيه ، وقادوه إلى السجن وقيدت رجلاه بالحديد .

أشرف الإدريسي من بيته مبتسماً وقد قيد الخصم العنيد صاغراً بعد فشله الفشل التام في جولته الأخيرة فأمر حالاً باستدعاء قضاة المحكمة ووزرائه وذوي الرأي من رجـالـه وأمـر بإحضار سيف أحمد شريف ، وهنا وجه سؤاله إلى قضاة محكمته قائلاً : ماذا تقولون في صولة أحمد شريف وإشهار سلاحه فأجاب محمد حيدر القبي : (يُكْسَرُ السَّيْفُ وتُقْطَعُ يداه شَرْعاً) .

---

(١) خنجر يجعله المرء فى حجزة مئزره .

التنفيــذ :

قضي بقية يومه في السجن وفي الليل استحيط بزيادة الحراسة عليه من أهل الحسيني وغيرهم وفي الصباح حضر القضاة والوزراء ووجهاء صبياء ورؤساء (قبائل المخلاف) في بيت (بَاصهي) الملاصق للسجن وأحيطت بحراسة شديدة وأغلى الـزيت ، وأحضر القطاع ، ثم اقتيد أحمد شريف إلى بيت (باصهي)، وعندما شاهد الجمع الشاكي السلاح والقضاة والوزراء والرؤساء التفت إلى وجوه صبيا وهم شاكو السلاح قائلاً لهم : نقائصكم عند الجعافرة ما هي عند أحمد شريف .

ثم بلغ أن الشـرع حكم عليه بقطع يديه ، فقال : أمهلوني أصلي ركعتين ، فصلى ثم أفرش له بساط وتناول القطاع يده اليمنى ، فأبانها من الرسغ ، وقُرب منه الزيتُ المغلي ، فأدلى هو يمناه ، وقال للقطَّاع : دونك !! فتناول اليسرى فأبانها من الرُّسْغِ أيضاً ، فرفع معصمه الأيمن من الزيت وأدلى الأيسر .

وعنـدها سمح له بالخروج إلى بيته فحمله أحد مواليه ، وذلك في أوائل عام ١٣٢٧ / ١٩٠٩ وكان لقطع يديه وقع شديد من الرعب ، حسم كل معارضة أو خلاف .

إن الصبر على النوائب وتحمل الآلام والتجلد للشدائد يرفع الإنسان إلى أوج الشـرف وعلياء السؤدد ، والإقبـال على التضحية المحتَّمـة بهدوء الصابر ورزانة المتجمل ، قمينة بكل تبجيل وإجلال ، والاتخاذ من بطولة صاحبها مضرب المثل .

والناس شغفون بفطرتهم بالمثاليات في مواقف التضحية والصبر والشجاعة ومن استـطاع اجتياز اختبـارات الشـدائـد وتحمل آلام التضحية أصبح مثلاً من أمثلة البطولة ، فأصبح أحمد شريف بعد ذلك أنبه ذكراً وأبعد صيتاً وهكذا يدخل التاريخ البعض بما يسديه إلى الإنسانية والبعض بما يحرزه من انتصار والبعض بما يبذله من تضحية والبعض بما يتحمله من آلام .

في الميـــدان الشـــرقـي [1]

إن الإدريسي شعر أن سهول تهامة سهلة الاكتساح متى اتجهت إليها قوة الأتراك وقد أشرنا قبل أنه تطلع بنظره إلى جبال هروب في الناحية الشمالية الشرقية من صبيا وأخذ في شراء بعض الأراضي الزراعية كما أسس حصناً هناك وإنما جبال المنطقة الشمالية للمخلاف ليست من المناعة ولا الخصوبة بحيث تصلح للاعتصام في حرب قد يطول مداها .

إذاً فليتجه بنظره إلى جبال الناحية الشرقية الجنوبية وهي من « بني مالك » إلى « الـظاهر » فإنها من المناعة والخصوبة وكثرة السكان والسذاجة الفطرية وتخلى الأتراك عنها وبعدها عن النفوذ الروحي للإمام يحيى آنذاك بحيث يمكنه ـ بعد فشل دعوة (القاسمي صاحب أم ليلي) الذي من بقى لديه له بعض الولاء أغرته دعوة الإدريسي إلى التخلي عنه نهائياً ـ أن يعمل على تغلغل نفوذه فيها أولاً ثم إلحاقها بما ينويه من إمارة فبعث دعاته وإغراءاته فانثالت عليه وفودها تترى وذلك في عام ١٣٢٧هـ وشجعه نجاح الخطوة الأولى في الاستجابة والوفادة إلى طلب دخولهم في الطاعة فبذلوها راغبين وقدم البعض رهائنهم كما هي العادة في القسم الجبلي واستعـدوا بأداء الـزكاة فشكرهم وأرسل معهم من يستلمها مع التساهل في عدم الاستقصـاء وأن يوزع نصفهـا على المؤلفة قلوبهم بالنسبة لسياسته وذوي النفوذ والحاجة فيهم .

وبعد معاهدة الحفائر بين الإدريسي وسعيد باشا ، كما سيأتي ـ بعث الإدريسي عرار بن ناصـر إلى الجبال الشرقية ـ بني جماعة ـ كما أناط الأعمال في «شذا» و«العر» و«النظير» إلى السابقين في الاستجابة لدعوته من بيوت الرئاسة والشرف من أهلها فما انتهى عام ١٣٢٧ إلا وقد شمل نفوذه أغلب ما يطلق عليه اسم «ساق الغراب» وهو من الظاهر تقريباً إلى مشارف عسير متغلغلاً إلى هجرة (فلله) .

---

(١) استفدت الكثير من معلومات هذا الفصل من الصديق الأستاذ الأديب اللامع محسن بن أحمد بن حسن أبو طالب من أسرة الأئمة القاسمية الكريمة باليمن وهو أديب ضليع متحرر الفكر واسع الثقافة .

وفي عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م بالأخص عندما شعر أن الأتراك جادة في التجهيز لاستئصال شأفته ، ثم تمكنت قواتهم بمعاضدة أمير مكة من الزحف إلى قمم السراة لفك حصار «أبْها» أخذ يتطلع إلى ميدان جديد ومنطقة غير منطقة «عسير» يعمق بها خط دفاعه شرقاً لتقف في وجه الأتراك فيما لو حاولوا غزو المخلاف السليماني .

وكان على علم بما يسود تلك الجبال من الناحية المذهبية إلا أنه يفهم أنها لم تكن متغلغلة في النفوس إلى الدرجة التى عليها قبائل المشرق الداخلية كحاشد وبكيل وهمدان ، وهؤلاء وإن كانوا من قبائل خولان إلا أنهم يعرفون في التاريخ بخولان السافلة وكمقدمة للعمل الجاد في تلك المنطقة استدعى كبار رؤساء قبائلها وزعماء الأسر ذات المكانة من أهلها فوفد إليه أغلب شيوخ رازح : ومنهم الرؤساء :

آل غلفان : وآل فرح ، وآل مناع ، والسادة : الحسين بن على بن أحمد القاسم ومحمد بن على أبو طالب ، وأحمد بن حسن أبو طالب وعبد الله بن حسن نجم الدين .

وبعد أن استوثق منهم وكلف من لم يقدم الرهائن بتقديمها أسند عمالة تلك الجهات :

عبد الله بن حسين نجم الدين عاملاً } - لرازح ومركزه النضير
على بن الحسين الحولى قاضياً }

مطهر بن عبد الله عاملاً لشذا

ومن ثم أخذ في الاستعداد للقيام بجولة إلى تلك المنطقة يوضع بها الشرفة النهائية لصرح نفوذه وسلطانه .

وفي جمادى الأولى عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م تحرك في حشد حاشد صوبها يرافقه محمد حيدر القبي ومحمد إبراهيم مبجر السمان وغيرهم من أعيان رجال حركته .

الإدريسي في شذا :

وصل موكبه إلى سفح جبل شذا وكانت قد تقاطرت وفود المستقبلين من كافة رازح للقياه واستقباله في مظاهرة رائعة وحماسة ملتهبة .

وارتقى الجبل في مقدمة الموكب بقامته الفارعة وبنيته الوثيقة فأثار كوامن الإعجاب في نفوس جموع القبائل التي سبقته إلى قلوبها الدعاية الخلابة .

ووالى صعوده إلى أن استقر في قرية «تاهر همدان» قرية في مكان متسع من جبل شذا وبها مسجد جامع أسسه «علي بن طاهر» الرجل الخير الذى كانت له أعمال خيرية في الجبال من بناء المساجد وشق الطرقات وبناء الاستراحات للمسافرين ابتغاء وجه الله وبعد استراحته في القرية المذكورة قام بجولة في أرجاء الجبل الأشم الذي بحكم وضعه الطبيعي يتحكم في موقع استراتيجي هام يسيطر على الطرق والمنافذ نحو أغلب الجبال الشرقية وفى جولته في الجبل شاهد أطلال حصن (كحلان) في قِمَّةِ جبل شذا فأمر بإعادة بنائه كما أمر بحفر ثلاثة صهاريج لتكفي حاجة الحصن من الماء إذا استدعى الأمر إلى حصاره فبنى الحصن على أحصن وضع من المناعة والقوة بالنسبة لذلك العهد ، ثم عاد إلى القرية المذكورة ووقف فى الجموع الحاشدة التى انهالت للسلام عليه من جميع جبال رازح ووداعة وغيرها واعظاً ومرشداً فخلب الألباب وأخذ بمجامع القلوب .

ثم انحدر من الجبل في موكبه الرائع قاصداً جبل النظير ومر موكبه على «بيت الصوفي» وكان به ضريح يقصده العوام ، على ما كان معروفاً في ذلك العهد من التوسل بالقبور بدعة وشركاً فأمر بهدمه ومنع الناس من قصده ثم والى سيره إلى الضيعة .

الضيعة :

أقبل موكبه على قرية الضيعة وكانت في غاية الأهبة والابتهاج بمقدمه فتلقاه

رئيس قبـائلها محمد بن غلفان ومن صاحبه من بقية رؤساء وزعماء النظير ورازح فدخلها في استقبال رائع وقضى يومه وليلته .

وغصت السفـوح والساحات والطرقات بجموع المستقبلين وكان قرع الطبول ودوي الرصاص يصم الآذان .

إلى النظـــير :

وفي صبـاح اليوم الثاني غادر الضيعة إلى «النظير» يشق موكبه الكتل البشرية المتزاحمة والجموع الحاشدة وأطلع معه مدفعين كبيرين جعلهما في قلعة النظير .

واستقبله جبل النظير بمظاهر الولاء والابتهاج وأوقدت النيران ليلاً في كل مرتفع وثنية في الجبل فأمسى الجبل يتوهج في حلة من النيران .

فأغدق الصلات واستمال القلوب وسهل بمقدمه كل صعب وبعد أن أقام بالنظير نحو أسبوع انحدر إلى تهامة .

رد الفعـــل :

انتقلت أخبـار تلك الجـولـة الإدريسية ومـظاهـر الـولاء التي قوبل بها بشتى المبالغات والتهويلات ، والإمام يحيى يعتبر المنطقة الجبلية مجال نفوذه الروحي وقابلها الأتراك بالغيظ والتحفز .

واتفقت جهـود الطرفين على الأخذ بالحزم ومقاومة ذلك النفوذ بما ينبغى من الحزم والمقاومة المسلحة .

وأتيحت الفرصة للإمام يحيى في أن يخضد شوكة النفوذ الجديد في تلك الجهة قبل أن تتشبث جذوره بتربة الحياة وأن ينكل بالموالين له كما سترى .

وقد بلغ النفوذ الإدريسي في المنطقة الجبلية إلى حدود «فللة عذر» شرقاً ومن الظاهر جنوباً إلى بلاد «سحار» شمالاً فبعث الإمام يحيى بقوة من رجال قبائل حاشد وهمدان بقيادة «محمد الهادي أبو نيب» للتنكيل بقبائل خولان التي والت الإدريسي ورضخت لطاعته .

القتـــال :

التحم القتال بين الإدريسي المتمثل في قبائل خولان وسحار وبني جماعة ومن معهم من المخلاف وبين قواد الإمام يحيى وكادت ترجح الكفة الإدريسية لولا إسراع الإمام يحيى بإرسال مدد بقيادة عمه «أحمد بن قاسم حميد الدين» ووالى الإمام إرسال الإمدادات إلى صعدة ونواحيها وبذلك استطاع الإمام يحيى إيقاف الزحف الإدريسي الصاعد الذي كاد أن يستولى على صعدة وغيرها موئل الأئمة الزيدية ومركز نفوذهم الروحي .

وبقى القتال مشبوب الأوار في قطاعات محلية على حدود الجبهتين وقد توقف الإدريسي في غير موقعة دفاعية بدون أن يحرز أي تقدم جديد ما عدا الحفاظ على ما يليه نفوذه السابق :

منبه ـ العـر ـ فيفـا ـ بني مـالك ـ رازح

وفي عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م استطاعت قوات الإمام يحيى احتلال جبل (حُرم) الموقع الهام في أطراف رازح وأنزل القائد المتوكل بعض قواته إلى غرب الجبل المذكور في الوادي المسمى عمق لاحتلال قرية (غمار) المعروفة .

المـــوقعة :

وفي الوادي اصطدم بالقوات الإدريسية بقيادة علي بن أحمد الحازمي وعبد الله ابن حسين وكان القتال مريراً انتهى بتراجع الجيش المتوكلي إلى قواعده بعد أن تكبد خسارة فادحة تقدر بخمس مئة قتيل ولو استطاع الجيش الإدريسي التقدم على أثر تلك الهزيمة لقضى على القوة الفعالة للجيش المتوكلي في تلك المنطقة ، ولتغير الموقف تغيراً يقلب الوضع في الجهة .

بقيت الحـدود الإدريسية على الـوضـع المبين قبله ، إلا أنـه في أول عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م احتـل الجيش المتـوكلي جبل النظير وقد أدركت الإدريسي الوفاة في شعبان عام ١٣٤١ وهو يحاول استعادته ، ولم تفلح المحاولة بعد مماته في عهد الإمام الجديد كما ستقرأ ذلك مفصلاً في تاريخ الإمام الابن .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد علي الادريسي — الى السيد الجليل مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والتحية
والاكرام كتابكم الكريم وصل وصحبته الينا دق والمحاير وصلت وجزاكم الله خيرا ويوم تاريخه وصل لنا من
الشريف حمود جوابات صدرت منكم اليه وردها وانتهجنا بكم ثم خصصناكم الراتب يوم الاثنين والمحصل من الانتصار الرباني وبعده لكم
وصل الينا قومندان العسكر الخارجي ... ياخالفنا تماما من الاحوالات هذا القتال الحاصل كان من الحجاز
لانه في مسافة قليلة حصل النصر وهلك من الترك زيادة عن الالفين وبلغت المجاريح خمسمائة والحاصل كما اخبرنا
هذا القومندان انه كسر الشريف من القنفذة كتب للترك الى ازوجته مكلور اخذه السيد الحرمي فحصل التجهيز
من جهتين من القنفذة ومن جيزان فالوالي صلح ... ومن ... الا من جيزان وقد حصلت في جيزان اقرب
بخمسة الاف ووقع عليها بطش الله وما نجا منها الا القليل وما نجوا الا بالانكسار والهرب داخلة حارتهم
باخذوا النعال وغيرها ولا فيهم قدرة على المدافعة انما الذي من طريق القنفذة فاقل من الذي من جيزان
مع ترك فيما نشأ من ... واخبرنا القومندان ان هذه التجهيزات انما الحاصلة من ضعف من الحكومة وعساكر جيزان
من اليمن ماخوذة والا تقدر الحكومة تاخذ من اليمن الآن ولا تجهز من اصطنبول دولة مشغولة في بلاد
ولو جهزوا فبعد مدة واخبرنا هذا القومندان انهم وقعة جيزان مخوفة للحكومة جدا اعلمناكم بهذا
ولتعرفون ان جهة جيزان بفضل الله صارت صعبة على الترك والتجهيز الذي كانوا يقدرونه
شتته الله واعظم شتة الان جهة القنفذة مع الفساد الحاصل من تهامة جهتكم فاهاليها
امرهم مفهوم وصل كتاب الشريف حمود المنظور وكذلك جواب من السيد يحيى بن عراس
وهم يشكون من اهل محائل ومن اهل قنا وعلى ما نرى من الاخبار ان الناس من بعد توجهكم
للمحاصرة حصل خلل كبير فيهم ونقضوا عهد الله وتقربوا من اعداء الله الذين
عادينا هم من اجل هؤلاء القبائل وراحتهم وهذا حال محائل والقريب منهم

(رسالة من رسائل الادريسي الى قائد وعامله في المنطقة الشمالية

الفصـــل الثـــالث

الـــدولـة العثمـــانية والإدريســـي

المـــوقف الأول :

لم يدر بخلد ولاة (الأتراك) أن الإدريسي يحصل على ما حصل له من النجاح ، وبرغم ما اتصل بقلم استعلاماتهم عن اتصاله بحكومة إيطاليا ووضعه تحت الرقابة في الحديدة ، واستطاعته بمسلكه الديني وعزلته الصوفية وتبديده للإشاعات والشائعات بما أثبته في تفرده بمسجدهم [1] للعبادة والعزلة وبعده عن كل ما يمت إلى السياسة بسبب ، حتى إذا ما فتر حماس تَرَصُّدُهُم، وتبددت شكوكهم انصرف إلى صبيا ـ كما مر بك آنفاً ـ وفي صبيا قام بدوره كاملاً ـ كما قرأته مفصلاً ـ

ورجال تركيا آنذاك في معارك حزبية بين حزب (الاتحاد والترقي) و(حزب الائتلاف) وتنافس على كراسي الحكم ، كما هو معروف في تاريخ تركيا ، ولم تكن عندهم (تهامة) عامة أو (المخلاف السليماني) خاصة من الأهمية مما يشغل بالهم في ذلك الحين .

أول وفـــد تركي إلـى الإدريســـي :

وعندما ظهر أمر الإدريسي ، وكثرت الرفعيات عن نشاطه المتزايد ، حينذاك استفاقت الحكومة ، وتمخضت كل إجراءاتها عن إرسال وفد إلى جازان ترافقه قوة ـ إذا لزم الأمر أن تباشر أعمالها ، إذا رأى الوفد ذلك ، أما مهمة الوفد فهي :

١ ـ درس الحالة في المخلاف السليماني .

٢ ـ استطلاع أمر الإدريسي ، ومعرفة حقيقة مقاصده والوقوف على نواياه .

وكان الوفد برئاسة سعيد باشا وعضوية توفيق الأرنؤوطي شيخ الطريقة (الأحمدية) في (الآستانة)، وصل الوفد إلى جازان في أول عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م

---

(١) مسجدهم : الضمير راجع للأدارسة ، لأن جده أحمد بن إدريس مع سفره من زبيد إلى صبيا مر بالحديدة سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، وأقام فيها فترة يسيرة بنى فى أثنائها هذا المسجد وأرجح أنه باق إلى تاريخنا هذا ٨ من ربيع الثانى عام ١٤٠٩ هـ .

ومنها بعث إلى الإدريسي وفداً فرعياً برئاسة توفيق الأرنؤوطي ، لاستطلاع جلية أمر الإدريسي ودرس الحالة في مستقرها .

وصل الوفد الفرعي صبيا فقابله الإدريسي بحنكته السياسية ودهائه المعروف ، وقال لهم : إني رجل من رعايا الدولة وليس لي مطمع لا في إمارة ولا ملك ، ولا يدفعني إلى ما قمت به إلا الغيرة الدينية ورائدي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأسرتي معروفة بمباشرتها ذلك منذ وصل جدي الأول أحمد بن إدريس ، والدولة أهملت هذا القطر إهمالاً نجم عنه الفتن والحروب بين القبائل فتبرعت قاصداً وجه الله للإصلاح بينهم وإرشادهم لحقيقة الدين ، وخدمت دولتي بإقرار الأمن واستلال الضغائن والأحقاد وإحياء معالم الدين ، وكان تأثيره على رئيس الوفد الفرعي بالغاً، وهو من قد عرفت ـ شيخ (الطريقة الأحمدية الإدريسية)في الآستانة فزار الضريح ، وتبرك ، وسار من لديه عائداً إلى (سعيد باشا) مقتنعاً راضياً ، يمهد السبيل للاجتماع المقبل بين الإدريسي و(سعيد باشا) .

تقرر موعد الاجتماع ، ومكانه بأن يكون قرب (الحفائر)، وخبر الإدريسي بالوقت المحدد فبعث إلى عموم رؤساء المخلاف بأن تكون على مقربة من المكان زيادة في الحيطة وأخذاً بالحزم ثم سار وأبلغ سعيد باشا فخرج من جازان ونصب خيامه في (الحفائر) بالذات ومعه بعض القوات .

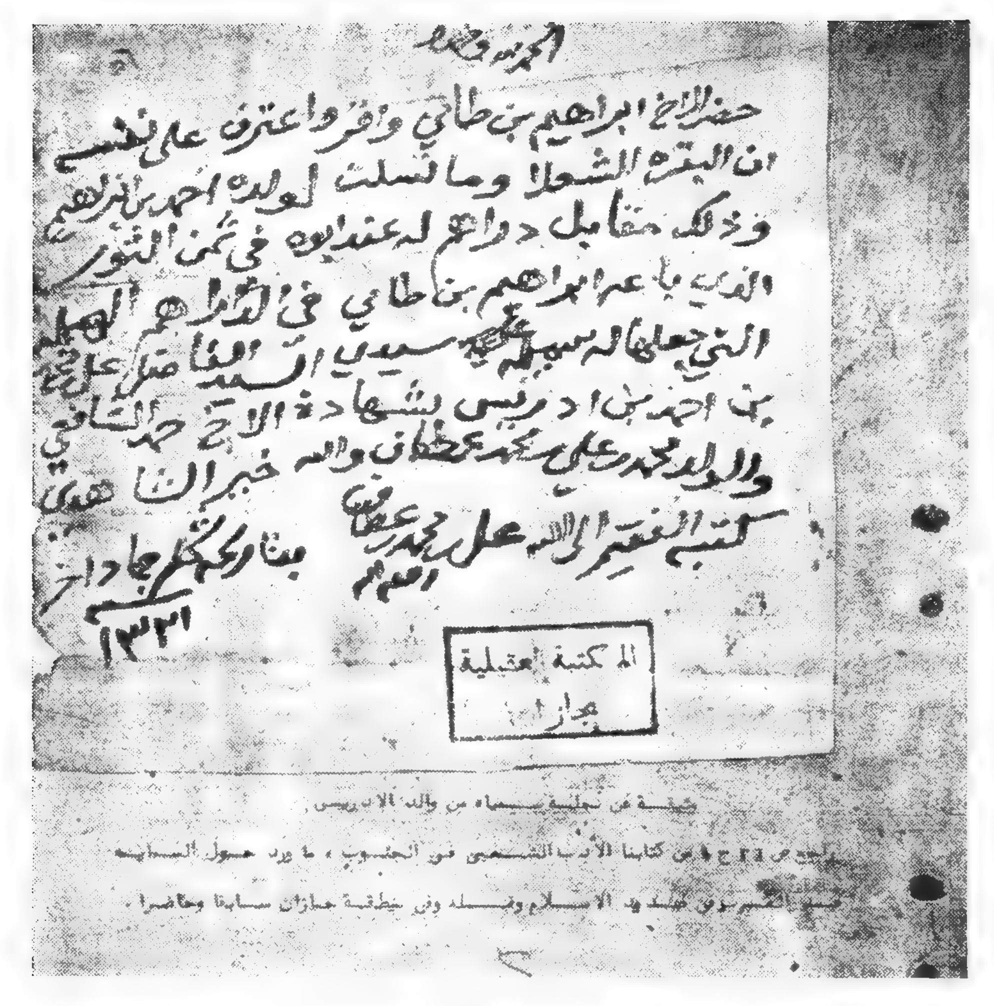
أول معاهدة :

وتمت المقابلة فأعاد الإدريسي ، على مسامعه ما قاله للوفد ، وتمكن بلباقته من إقناع (الباشا) بحسن نواياه ، وانتهت المفاوضة بما يأتي :

١ ـ أن يعترف بالتبعية العثمانية وشرعيتها على المخلاف السليماني .

٢ ـ أن يمنح رتبة قائم مقام ويقوم كموظف عثماني بشؤون صبيا وما يتبعها أي من صامطة جنوباً إلى حلي شمالاً .

٣ ـ يتعهد بمد السلك (التلغراف) عبر (المخلاف السليماني) بين اليمن والحجاز .



الحمد لله وحده

حضر الأخ ابراهيم بن طامي واقر واعترف على نفسه
ان البقرة الشعلا وما نسلت لولده احمد بن ابراهيم
وذلك مقابل دراهم له عنده ابوه في ثمن الثور
الذي باعه ابراهيم بن طامي في الدراهم السماية
التي جعلها له سمية سيدي السيد الفاضل علي
بن احمد بن ادريس بشهادة الاخ حمد الشافعي
والولد محمد علي محمد عطفان والله خير الشاهدين
كتبه الفقير الى الله علي بن محمد عطاف
بتاريخ شهر جماد آخر
١٣٢١

الحمـــد لله وحـــده

حضر الأخ إبراهيم بن طامي وأقر واعترف على نفسه أن البقرة الشعلا وما نسلت لولده أحمد بن إبراهيم وذلك مقابل دراهم له عند أبوه في ثمن الثور الذي باعه إبراهيم بن طامي في الدراهم السِّماية التي جعلها له سمية سيدي الفاضل السيد علي بن محمد بن أحمد بن إدريس بشهادة الأخ حمد الشافعي والولد محمد وعلي ابن محمد عطفان والله خير الشاهدين .

كتبه الفقير إلى الله علي بن محمد بن عطاف ـ رحمه الله ـ

(وثيقة من عهد الإدريسي) بتاريخ شهر جماد آخر ١٣٢١هـ

٤ ـ أن يسمح للدولة بمراكز (جمركية في مواني المخلاف) وبعث مأمورين لها من لديها .

٥ ـ تتعهد الحكومة بإلغاء الضرائب ـ بناء على اقتراحه ـ وأن تكتفى بحاصلات الزكاة الشرعية للحبوب والمواشي ، وأن ينوب هو عنها في الاستحصال مقابل أن يكون له الثلث ، لنفقاته ونفقات جيش وطني لإقرار الأمن الذي تعهد باستقراره في المخلاف .

وسيأتي بيان استحصال الزكاة في أول عهد الإدريسي ، فيما بعد .

وهي اتفاقية مرنة في صالح الإدريسي ، قبل كل شيء وبموجبها اعترفت الدولة به ضمنياً وخولته السلطان وأثبتت شرعية سلطته ، الغير المعترف بها قبل ذلك ، وفوضته في تأليف جيش وطني وأبرمت الاتفاقية وعاد الإدريسي إلى صبيا ، وبعث (سعيد باشا) في طلب حضور (متصرف عسير) وإعطاءه نسخة من الاتفاقية وألزمه التمشي على ضوئها كما أفهمه ـ حسب الاتفاقية ـ بأن تكون رجال ألمع عائدة لمنطقة الإدريسي .

وهكذا تم للإدريسي السيطرة بموجب تلك الاتفاقية على منطقة تمتد من حدود (حلي بن يعقوب) شمالاً إلى صامطة جنوباً ، ماعدا مدينة (جازان) .

وفي حال كان المعارضون والمتشائمون ينتظرون ، كنتيجة لدراسة الوفد للحالة بأن تتقدم القوات المرافقة له لخضد شوكة الإدريسي إن لم تستأصل شأفته ، فإذا هو يعود معترفاً به مؤيداً على المنطقة بأجمعها بما في ذلك رجال ألمع .

وعملاً ببنود تلك الاتفاقية ، عمل من ساعة عودته على الترتيبات الآتية :
بعث نوابه إلى الجهات الآتية :

١ ـ محمد بن خرشان ، على (يَبَة وحَلْي) .

٢ ـ يحيى بن عرار النعمي (محائل) و(بارق) بني الأسمر وما يليهم .

٣ ـ مصطفى النعمي والشوكاني (قنا والبحر) والمجاردة وغامد وزهران .

٤ ـ الفصال (المخواه) .

٥ ـ محمد بن عرار (لرجال ألمع).

٦ ـ عرار بن ناصر إلى (جماعة) و(العر وسحار وفيفا) وهجرة ضحيان لينوبوا عن سيادته في إدارة تلك الجهات واستحصال (الزكاة).

رأى متصرف (عسير) أن الإدريسي غدا ـ بعد الاتفاقية ـ أشد خطراً وأكثر قوة وأثبت مركزاً، بصفته معترفاً به من الدولة عن ذي قبل فأخذ في الرفع ولفت النظر.

أما الموظفون الذين أرسلتهم الدولة للمراكز الجمركية ـ وهي ترمي من وراء ذلك أن تحجزه في داخلية البلاد وتقطع وصول المؤن والإمدادات إليه من إيطاليا فقد أعادهم بكل سهولة من حيث أتوا بعد أن أثار عليهم رجال القبائل وجعلهم في شبه عزلة فاضطر بعضهم إلى الاحتماء بنوابه فأعادوهم، والبعض رجع فاراً ناجياً بنفسه، وقد كتب للدولة إنهم أرسلوا مأمورين لايتمسكون بالدين ويجاهرون بالمعاصي فنفر منهم الناس وثاروا على سلوكهم السيىء.

محاولة متصرف عسير:

شعر متصرف عسير بقوة مركز الإدريسي وتبخر تلك الاتفاقية المائعة على حرارة الدهاء الإدريسي، وأن مرفوعاته لم تأت بالنتيجة، فنزل من (السراة) إلى اليمن مارًّا بصبيا لدرس الحالة والوقوف على مجريات الأمور فشاهد ما أدهشه حقاً من تثبيت دعائم الحكم الإدريسي للدولة وأن الرجل يشيد ملكاً ومن ورائه إمكانيات تنهال لمساعدته وشد أزره، فسلم واستأذن في موالاة سيره إلى (جازان) ومنه إلى (كمران) ومنها اتصل بالآستانة عن طريق (التلغراف) البحري، ثم يعود إلى (عسير) بطريق (صبيا)، ويباشر المفاهمة مع الإدريسي حول السماح للدولة باقامة (معسكر) في (أبي عريش) وهي محاولة مكشوفة لا تعزب عن دهاء (الإدريسي) فيجيبه الإجابة الحازمة المرنة، بقوله: (إن هذا يخالف نصوص الاتفاقية، ولم يكن داعياً هناك لما يوجب ذلك، فقد أمنا المقاطعة وتعهدنا باستحصال الزكاة وتوريدها

للدولة ومد السلك وكفينا الدولة أمر سوق العسكر والخسارة في الأموال والأرواح ، ولا نسمح بإحداث أي شيء ، والتبعة على من أخل بتعهده).

فأسقط في يد الوالي وعاد إلى عسير وفي نفسه أشياء وأشياء ، وكأنه بعد ذلك رغب في أن يجرب اللعب بآخر ورقة في يديه بطريقة أخرى أستر لغرضه وآمن عاقبة إن لم يحالفه النجاح ! فانزل كتيبة من الجيش العثماني من (السراة) باسم بدل غيار لحامية (بندر جازان) ويقال إن مهمتها الحقيقية الدخول إلى صبيا بتلك الصورة وعلى حين غفلة والقبض على الإدريسي بصورة خاطفة ، وتستراً لتلك الغاية ولما وقف عليه أثناء مروره بصبيا من عدم وجود مخافر ثابتة ومعسكر نظامي وحرس مدرب مع الإدريسي لايبعد أنه رأي يسر وسهولة تلك المحاولة ـ وهيهات ـ نزلت الكتيبة ويقال : إنها تتألف مما يقارب خمس مئة جندي ، ليس معها من السلاح إلا (الحراب) والمسدسات ، ومعها الأعلام ، ولم يشعر الإدريسي أو نوابه عن نزولها ، ووالت سيرها حتى أصبحت قرب قرية (الملحا) على مسافة ساعتين من (صبيا) وهناك علم بهم أهل القرى القريبة من الطريق ، فأشعروا شيخ شمل المخلاف الشامي الذي استصرخ بأهل الملحا وقراها ، وبعث الصريخ إلى المحلة وغيرها فضربت عليهم القبائل نطاقاً من الحصار وأوقفوا تقدمهم وكتب للإدريسي بالواقع وطلب التدبير ، ففهم (الإدريسي) كل شيء وأمر بإرسال من يستطلع خبرهم ويقف على حقيقة ما يريدون فأجابوا أنهم بدل غيار لحامية (جازان) فأرسل قوات ترافقهم وبلغ قبائل المخلاف بفك الحصار عنهم وساروا تحت الحراسة والرقابة إلى أن وصلوا سبخة (جازان).

عودة إلى أحمد شريف :

أشرنا فيما تقدم قبله إلى قطع يدي أحمد شريف ،ـ إلى أن حمل إلى بيته بعد القطع وظل في داره إلى أن شفي من جروحه ، فأخذ في مكاتبة الأتراك حتى واتته الفرصة فسرى ليلاً من (صبيا) إلى عائلته الثانية (بأبي عريش) ومنها إلى (حرض) ثم إلى (اللحية) فأقله (طراد) عثماني منها إلى الحديدة فاستقبل بها استقبالاً حافلاً وبعد أن مكث وقتاً أبحر إلى (استنبول).

وهناك أدلى بما لديه وشكا ما أصابه موضحاً أن ما ناله كل ذلك لإخلاصه وأبان لرجال الدولة ما بلغه أمر الإدريسي وتفصيل علاقته بايطاليا إلى غير ذلك فصدرت الأوامر بطلب حضور الإدريسي إلى (استنبول) بصفته موظفاً من موظفي الدولة للتحقيق معه في قضية (أحمد شريف) ومحاكمته .

امتنع الإدريسي عن تلبية الأمر فهو يعلم ماوراءه ، فقد أصبح من القوة بحيث يستطيع أن يقاوم الحكومة ولو إلى وقت ما ثم ينسحب إلى الجبال وهناك يمكنه المقاومة إلى أن يحصل على الأقل على صلح يحقق ولو بعض ما يريد إلى أمد .

بالطبع لم تكن الدولة من الغفلة بحيث أنها تظن أنه سوف يسارع إلى تلبية داعيها ، وإنما أرادت أنه في حال الرفض تقيم عليه الحجة وتعلن عصيانه الذى يبرر تجريد حملة لإرغامه ، ويعتقد الكثير أن الدولة مع جزمها بعدم إجابته إلا أنها لا تعتقد أنه أصبح من القوة بقدر ما بلغه .

الحملة التركية :

جردت الدولة حملة قوية بقيادة (محمد راغب) وخولته أولاً : مكاتبة ومفاوضة الإدريسي عسى أن تلين قناته تحت تأثير تجريد الحملة ، فإن لم يُفِدْ ذلك شيئاً فليزحف على صبيا .

وصلت الحملة إلى جازان وأخذ قائدها في مراسلة الإدريسي فوجد أمامه شخصية تفوت على الدهاء وتستغلب على الشجاعة ، ويقول البعض ممن أدركوا ذلك العهد : إن الإدريسي استطاع أن يشتري ضمير ذلك القائد ، الذي بعد الهزيمة فر إليه .

أخذ القائد في مفاوضة ومكاتبة الإدريسي ، الذي كان على علم تام بالحملة ومهمة قائدها فما أخذت في النزول حتى أصدر أوامره لاستدعاء رجال القبائل من حلي إلى (بني شبيل)، كما استدعى قائده في المنطقة (الشمالية) (حمود سرداب) في العودة مع أغلب قواته فوافته القبائل ،

إلى (الحفـائـر) فأحـدقت (بجازان) في شبه نصف دائرة من (تل المنجارة) إلى « رأس السويس » من الجنوب على الترتيب الآتي :

١ ـ بني شبيل والمســارحــة والحكــامية من طرف رأس الســويس إلى قرية «الكربوس» في الجنوب الشرقي .

٢ ـ قبائل وادي جازان الأعلا والأسفل من الكربوس إلى الحفائر .

٣ ـ ضمد وصبيا والمخلاف من الحفائر إلى رأس المنجارة في ساحل البحر .

وخـرج بنفسـه من صبيا ورابط بجيش احتياطي في قرية (الغراء) وأناط قيادة الميدان بـ (محمد طاهر رضوان) أحد رجاله من أهل صبيا .

المعـــركة :

وعند فشل المراسلة ، صدرت الأوامر على القائد التركي بالزحف ، فأخذ في الاستعداد للزحف على كره ، وأخذ الجيش الإدريسي في تشديد نطاق الحصار ومنع (الماء) عن (جازان) وكل ما يرد إليها براً ، فتضايق الجيش التركي واشتد عليه وقع الحصار ومنع الماء فأخذت البواخر التركية في تزويده بالماء من (جزيرة فرسان) ورحـل السكـان إلى (فـرسان) وغيرها بحراً ، وفي فجر يوم الإثنين الموافق ١٠ جمـادى الأولى عام **١٣٢٩هـ/ ١٩١١م** زحف للهجوم تحميه نيران المدافع من القلاع والبواخر التركية .

التعبيـــة :

تقدم الجيش التركي ـ كما قدمنا ـ تحت حماية نيران المدفعية في ثلاثة اتجاهات .

١ ـ الجناح الأيمن ووجهته طريق (المضايا) في الناحية الجنوبية .

٢ ـ القلب واتجاهه (الحفائر) ـ آبار الماء .

٣ ـ الجناح الأيسر واتجاهه (المنجاره) ، طريق صبيا .

تقدم الأتراك تحت غبشة الفجر ، فما انحسر الظلام إلا وقد وصلت مقدماتهم إلى أواخر السباخ التي هي أرض مكشوفة لا شجر ولا آكام يتوارى وراءه ، فأطلقوا نيران رشاشاتهم وبنادقهم متقدمين فى بسالة المستميت ، على الجيش الإدريسي الآخذ مواقعه في الآكام والروابي وشجر الحمظ المشرف على السباخ المكشوفة .

وقد أصدر القائد الإدريسي أمره بواسطة منادين على الخيل والبغال تنادى في صفوف الجيش من أول الفجر بعدم إطلاق الرصاص حتى يصبحون منكم على (معاد). مقاس مَحَلِّي معروف في المنطقة .

زاد في جرأة الأتراك توقف الجيش الإدريسي فوالوا تقدمهم ـ وكان القلب أسرع الفرق تقدماً ـ يتقدمه ضابط تلقبه القبائل باسم (مَشْرَم)ـ فكان يسير أمام الجيش بكل بسالة ، حتى أضحو على ستين متراً تقريباً ، فأطلق أحد رجال القبائل الأشاوس عليه رصاصة خر على أثرها صريعاً ، وانطلقت عليهم النيران في شدة لا تخطىء الرصاصة هدفها ، وانهزم الأتراك ، ويقال : إنه صدر أمر القائد لهم بالتراجع (بالنفير) وعندها حملت عليهم رجال القبائل بالسلاح الأبيض واختل نظام تراجعهم (فالنفير) يبلغهم أمر بالتراجع السريع وطرق التراجع مكشوفة والقبائل أخذتها نشوة النصر فاندفعت تتعقب فلولهم في ضراوة وإقدام فتغطت السباخ بجثثهم ويقدر عدد القتلى من الأتراك ألفين وخمس مئة قتيل وتحت حماية نيران مدفعية القلاع والبواخر تمكن الجيش من الدخول (إلى جازان) والتحصن في جبالها واستحكاماتها وعُزز بمدد من طريق البحر ، وبقي الجيش الإدريسي في مراكزه يوالي الغارات الليلية على مراكزهم .

بعد وصول عزت باشا إلى اليمن واتفاقه مع الإمام ، وكان عزت باشا قد عُين قائد عام القوات في جنوب الجزيرة العربية ، فأصدر أمره بإرسال حملة إلى « المخلاف السليماني » منطقة جازان بقيادة « أميرالاي راغب بك » قوامها أربعة آلاف جندي نظامي ، مجهزة تجهيزاً حديثاً ، بالمدافع والرشاشات

تحركت بحراً من ميناء الحُدَيْدة في البواخر ، وكان المقرر أن تكون تحت قيادة محمد علي باشا الذي وصل على رأس قوة من الآستانة لقمع حركة الإدريسي ، إلا أنه لم يتم استعداداته ، فكأن القائد العام عزت باشا رأى أن المهمة تنتهي بذلك العدد من الجيش بقيادة الأميرالاي راغب بك .

وبوصولها إلى جازان ، أصدر الإدريسي أمره باستنفار قبائل المنطقة لضرب نطاق الحصار وقطع الماء عن المدينة ، والجيش القادم إليها .

وتحت ضغط الحصار المحكم اضطر الجيش إلى استعمال المياه الاحتياطية في البواخر حتى استنفذوها ولم يبق أمامهم خيار إلا ركوب البواخر والعودة إلى الحديدة ، أو الخروج لطرد القبائل والاستيلاء على مورد المياه المسمَّى «الحفائر» على مسافة خمسة أكيال عن المدينة .

وقد وصفنا المعركة ، وصفا عيانياً عن المعمرين الذين اشتركوا فيها من رجال القبائل إلا أن الخبر أو الوصف من جانب دون الجانب الآخر لا يكون كافياً .

وقد ظفرنا بمصدر من الجانب التركي ، وهو مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير يستند فيه إلى بلاغ ورد إليه من القائد العام عزت باشا ، خلاصته ما لَخَّصْنَاه أعلاه ثم يورد ما نصه : وقعت هناك معركة شديدة انكسرت فيها الحملة انكساراً مدهشاً وأنه قد قتل في خلال ثلاث ساعات ألفان وخمس مئة من جنود الحملة ، فرجع باقي الحملة إلى جازان ، وقد مات الكثير منهم عطشاً .

ويسبب فقدان الماء ألقيت بغال الحملة في البحر ، فاختنقت فيه ، وأنه ازداد الإدريسي بسبب هذا الانكسار نفوذاً جديداً ، وقوة على قوته وتجدد نشاط الثورة في تهامة وعسير ، وازداد جرأة .

وعدد قتلى المعركة يزيد على تقديرنا الذى اعتمدنا فيه على قول الشاعر الشعبي عبد الله السلامي الذي وصف المعركة في قصيدة شعبية رائعة ، أما الإدريسي نفسه فيقدر قتلى تلك المعركة بما يزيد على ألفي قتيل ، وعلى كل

فالبلاغ التركي هو من القيادة العامة التي حصرت قتلى جيشها ، لا على التقدير والتخمين كما قال الشاعر أو ذكره الإدريسي .

ولم يطل أمر حصار (جازان) فقد وصلت أوامر الحكومة التركية لحملة (جازان) بالجلاء إلى (القنفذة) بناء على قيام الأسطول الإيطالي بحصار وضرب المراكز الساحلية ـ وبقاء القوات التركية في (جازان) المحصورة بالجيش الإدريسي ـ مع ضرب الأسطول الإيطالي عليها بحراً معناه إبادتها فرحلت الحملة بحراً ، وأخذت ما خف من الذخيرة والعتاد والمؤن وأبقت الكثير منها وأضرمت النار في البعض عند طلوع آخر دفعة ، فشعر الجيش الإدريسي بالدخان يتصاعد ، وعلى الأثر وصله الخبر اليقين بالجلاء فدخل المدينة واستولى على كل ما وجده ، ودخلها الإدريسي نفسه بعد ذلك .

وصلت (القطع الحربية الإيطالية) فعلمت بالانسحاب ، ودخول الجيش الإدريسي فسارت مسرعة إلى (القنفذة) وضربتها وحطمت ثلاثة طرادات تركية راسية في (الميناء) وغيرها من وسائل النقل البحري .

وكانت القوات الإدريسية التي في جهات (حَلي بن يعقوب) على أهبة الاستعداد لأن تنسيق الحركات قد تم قبل ذلك كما سيمر بك بين القيادة الإيطالية في البحر الأحمر والإدريسي ـ وعلى ذلك فقد ضربت إيطاليا ميناء القنفذة والقوات الإدريسية تهاجمها برًا .

العمليات الحربية فى الشمال :

أشرنا قبل هذا ، أنه بعد توقيع الاتفاقية المبرمة بين سعيد باشا والإدريسي أن الأخير بعث نوابه إلى الجهات (الشمالية) والجبال (الشرقية) وذلك أول عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، فظل نواب الجهة الشمالية في (مراكزهم) وعندما أعلنت إيطاليا الحرب على (تركيا) والإدريسي حليفها وعملا بخطة تنسيق المجهود الحربى المشترك ، فقد هب مجدًا لقتال الأتراك في (عسير).

القتـــــال :

أصدر الإدريسي أوامره بمهاجمة الأتراك فتحركت على الوجه الآتي :

١ ـ تقدم (القائد أحمد الأشهل) بطريق (عقبة شعار) وهاجم معاقلها الحصينة .

٢ ـ تقدم القائد مصطفى النعمي بقبائل (رجال) وقنا و(البرك) و(المنجحة) بطريق (عقبة أمْسُوده) و(عقبة بندر امعوص) لقطع المواصلات بين مركز (أبها) و(عقبة شعار) .

٣ ـ أصدر أمره على مشايخ بني شهر بقطع المواصلات في عقبة (النّماص) و(عقبة ساقين) .

٤ ـ أصدر أمره على قائده عبد الرحمن بن ظافر ، بالاشتراك مع شيخ قحطان بمناوشة الأتراك من جهتهم وضرب نطاق الحصار .

وبذلك تم تطويق (أبها) وجبل (عسير) تطويقاً كاملاً وذلك في شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ هـ /١٩١٠م واستمر مدة اشتد فيها وطأة الحصار على الأتراك حتى اضطرتهم المجاعة إلى أكل القطط ، وقد استسلمت في خلال ذلك حامية عقبة (شعار)، واستلم قادة (الإدريسي) المدافع والمؤن الموجودة في ذلك المركز الممتاز [١] .

وصـــول النجـــدات التركيـــة إلى القنفـــذة :

بعثت الدولة القوات بحراً إلى القنفذة ، لنجدة حاميتها المحصورة في (عسير) ووالت الإمدادات وظلت تلك القوات مرابطة تنتظر البقية التي في طريقها بحراً ، من جهة ومن الأخرى ترتجي تحرك زحف أمير (مكة) الحسين بن علي ، الذي قد عرض اشتراكه ـ كما سنوضحه .

كان ابن خرشـان ـ نائب الإدريسي في (يَبَـه) وقائد جيوشه المرابطة في قرية (مخشـوش) للطوارىء وترقب الزحف المنتظر ـ قد شعر بخطورة الموقف وأهمية القوات التركية التي وصلت ميناء (القنفذة) فأناب على (قيادته) من يثق به وسار ، مسرعاً إلى (صبيا) .

---

(١) رسـالة خـاصة من ناصر بن مفـرح عداوى .

وصـــول ابـن خرشـــان :

وصـل ابن خرشـان وأحاط (الإدريسي) بكل ما يهمه حول الميدان الشمالي والنجـدات التركية التي وصلت ميناء القنفذة وعما وصل إلى علمه عن تحركات (الشريف حسين) وعدد القوات المرافقة له ولأبنائه .

اهتمـــام الإدريسي بالمـــوقف :

استمع لتقرير ابن خرشان الشفهي . بكل اهتمام ورأى أن الموقف يستدعي التصـرف السـريع بكل قوة وحزم . وأن المعارك ستدار رحاها في داخلية البلاد لا على الشواطىء . . . فحالا أصدر أوامره بالاجراءات الآتية :

أصـــدر أوامـره بالنفـير العـام على القبـائل :

(أ) على المسارحة وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسين بن أحمد الدوشي المسرحي .

(ب) على أهـل صبيا وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسن فاسخ ومحسن بن علي خواجي .

(جـ) على قبائل الجعافرة وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسين راعي الوادي .

(د) على قبائل الحسيني وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسين بن مغاوي .

(هـ) على قبائل الحقو وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : ابن غرامه ومحمد أبي شَرَّين .

(و) على قبائل عِتْوَد وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : يحيى الشرفي العتْوَدي .

(ز) على قبائل الشقيق وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : علي بن مبهي .

وانتخب للقيادة العامة الوزير حمود سرداب ، يعاونه يحيى بن عرار النعمي ، ومحمد طاهر رضوان ، وإبراهيم الشوكاني ، وعقد له اللواء وأمره بتكليف قبائل (بني شعبة) وغيرهم من القبائل الذين في طريقهم ووالى الجيش تقدمه حتى خيم في (قوز أبى العير).

عسير بين الأتراك والإدريسي

من بعد استيلاء الدولة العثمانية في سنة ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م على عسير وقتلهم أميرها محمد بن عايض وجل رجاله صبراً اعتبروها كمتصرفيه يناط أمرها بمتصرف يقيم في مدينة أبها [١]، ولديه حامية في معسكراتها لا تبرحها إلا في بعض التحركات الاضطرارية في أضيق نطاق في مثل مرافقة جباية الزكاة أو القيام بمأمورية ، كانت الصلة بين الحاكم والمحكوم شبه مفقودة والثقة شبه معدومة واللغة حاجز سميك تجعل الفاصل بعيداً ، والتفاهم عسيراً .

وفي خارج أبها لا حكومة موجودة ، ولا أمن ولا استقرار شأنها شأن البوادى العربية التي لا حكم للدولة التركية في ربوعها ، ولا سلطة فوق ترابها .

والناس في فراغ ومتربة وفاقة ، وقلة أمن ، وعزلة تامة ، وفتنة بين كل قبيلة وأخرى ، ونار العداوة مستعرة والفتن متأججة .

وقد مر بك قيام الإدريسي بثورته المعروفة في ربوع تهامة عسير وتوافد الناس ورؤساء القبائل ، وإقبالهم عليه من غامد وزهران وبني شهر وشهران وقحطان والحجاز وإلى جهة زبيد جنوباً .

وشعرت الدولة العثمانية بما يهدد نفوذها ويهز وجودها في جنوب الجزيرة فأخذت ترسل الوفد تلو الوفد وتغير في حكام الأقاليم علّ ذلك يوقف المد المتدفق والتيار الغامر .

سليمان شفيق متصرفاً لعسير :

وأخيراً ومن بعد ذلك بعثت (متصرفاً) لعسير هو سليمان شفيق كمالي ، وكان من قادة الجيش العثماني وممن يلم باللغة العربية ، وكان لقيام ثورة الإدريسي في عسير دوافع لاختيار مثله .

---

(١) راجع الفصل الخاص بولاة الأتراك فى عسير فى آخر الجزء الأول .

وقبـل مغـادرتـه الآستانة قابل رئيس الوزراء ، ووزير الحربية ووزير الداخلية واطلع في وزارتهمـا على الملفـات المختصة بالإدريسي ، والمعلومات المدونة حول ثورته وشخصيته .

ومن تلك المعلومات ما روجته الدعاية من أن الإدريسي يطلي وجهه بالفوسفور ويخرج على زواره ليلاً ليبهرهم بتألق وجهه . أو أن يستعمل سلكاً كهربياً ملفوفاً [1] على جبل يمده لأولئك الأشخاص المعاهدين لكثرتهم فيهزهم هزا ، فيبدو لهم بأنه صاحب كرامة ومعجزة [2]، مما كان له رواج في ذلك العصر . .

سليمـــان شفيـق والإدريسـي :

وزودتـه الـدولة باستكمال المعدات العسكرية للفرقة الموجودة في عسير كما أرفقته بكتيبة من سلاح الرشاشات الثقيلة في حال أن القوات التركية الموجودة في عسير بأبها ٢٠٠٠ جندى .

وصل إلى ميناء القنفذة في باخرة خاصة مع «كتيبة الرشاش»، وباشر التحقيق وجمـع المعلومـات عن الإدريسي وحـركتـه وشخصيتـه وخـرج من إفـادات من استخبرهم بأنه رجل مرشد يدعو الناس إلى الخير احتساباً لوجه الله ويسعى بالصلح بين القبائل المتحازبة ، ويحل مشاكل الناس بحكم الشرع .

وأنـه أقبلت إليه القبـائـل من كل جهـة تبـايعه وتعاهده على السمع والطاعة والأمـــر بالـمـعـــروف والنهي عن المنكـــر [3] ، وكـــانت حركـــة الإدريسي قد شملت قبـائـل عسير وبـواديهـا ، ويوجـد بينهم كثير من الـدعـاة والمرشدين . وصـل المتصـرف الجـديد وبـاشـر الاستـلام من سلفه وبعد ذلك قام بتصريف أمـور إدارتـــه وفي أثنـاء ذلـك وافتـه الأخبـار بتحـرك القـوات الإدريسية ، ثم

---

(١) والسلك موصل بمولد كهربائى فى محل نائى .

(٢) راجع ص ٧٧٠ من منشور الإدريسي الذى يتبرأ فيه من هذه الدعاية ضده .

(٣) هذا ما سجله «سليمان شفيق» فى مذكراته .

وصـول أوامر الإدريسي إلى القبائل بالثورة المسلحة وضرب نطاق الحصار على مدينة [1] أبها وحاميتها .

وتقـدم قائـد الإدريسي مصـطفى النعمي فاحتـل بلدة محـائـل ذات الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى عسير واتصالاته بمينائه البحري في بلدة القنفذة .

كما أسر الحامية التركية وبعث بها إلى صبيا واستولى على مخزون المؤن والذخائر .

ونهض القادة الآخرون الذين كانوا يقومون بأعمال الإرشاد والتوجيه في قبائل عسير وشهـران وقحـطان وبالأحمر وبالأسمر ، وبني شهر وبالقرن بإعلان الثورة وتقديم جماعتهم لحصار أبها ـ كما أوردناه قبل هذا .

وعلى أثـر هجـوم الجيش الإدريسي على محائل كتب سليمان شفيق مذكرة احتجاج شديدة اللهجة ، وطلب انسحاب المهاجمين وإعادة الأسراء والمنهوبات .

فأجــابه الإدريسي بمـــا يأتي :

(إن حادثة محائل وقعت على دون علم مني أودراية ، وأن القبائل لما علمت بخبر وصولكم بكتيبة (المدافع الرشاشة) ظنت أن نيتكم استعمال ذلك في قتالهم فحركتها الغيرة الجاهلية ، وحدث ما حدث بسبب ذلك .

ولما بلغني الأمر كتبت إلى تلك القبائل الثائرة أنصحهم بالإخلاد إلى السكينة وأذعنوا لنصيحتى وسيعاد لكم الأسرى ، وكل ما أخذ من المستودعات .

(وقـد فهمت أن «الحرية» التي هي من لوازم الدستور ، ستحدث فوضى في علاقـات الـزوجات بأزواجهن ، وتنزيل أحكام الشرع ، وأن جنوداً من الأجانب سيدخلون سواحل عسير بدعوى أنهم جنود عثمانيون ، وأن الدولة ستقضي على سلطة المشائخ ، وهؤلاء لبساطتهم يصدقون مايقال من هذا القبيل ، ولعل ذلك من أسباب هياج الناس وثورتهم) .

---

(١) راجع الفصل الخاص بـ ـ رسائل ومنشورات الإدريسي ـ فى هذا الجزء .

مقدمات حصار مدينة أبها وامتداد الثورة إلى أرجاء عسير :

ظل سليمان شفيق مترقباً متوجساً فأحب أن يكتب للإدريسي مستطلعاً فجعل من موضوع حادث (محائل) وسيلة فكتب إليه راجياً إعادة الأسراء والمنهوبات .

فأجـــاب الإدريسـي :

(أمـا الأسرى فانهم ممتنعون عن العودة إليكم لأنهم يخافون أن يقعوا تحت طائلة العقاب ، لأنهم استسلموا للثوار ، دون استبسال في الدفاع عن مراكزهم ، وأمـا الذخائر والمؤن فقد وقع الكثير منها بيد الكثير من الغوغاء والفقراء ممن لا يعرفوا حتى تستعاد منهم).

طلـــب نجـــدة :

رفـع سليمان شفيق إلى الآستانة طالباً بعث فرقة عسكرية تعزز موقعه وتقوي مركزه وتؤيد تفوقه ، وأن يكون نزولهم في ميناء جازان القريب من صبيا مركز حركة الإدريسي فبعثت الآستانة فرقة قوامها ثلاثة آلاف جندي وتم انزالها بميناء القنفذة .

وصـــول مفـــاوضين من الآستـــانة :

أشـرنا إلى وصول وفد من الآستانة برئاسة سعيد باشا وتوفيق الأرنؤوطي شيخ الطريقة الأحمدية الإدريسية في الآستانة ، وما تم بينهم وبينه من الاتفاق حول إدارة بلاد عسير وتهامتها وتلك الاتفاقية قد عززت موقف الإدريسي وأضفت الشرعية على حركته .

إلا أن رفعيات متصرف أبها الساخنة وتحذيراته الملتهبة أوجبت الحيطة بإرسال الفرقة المشار إليها .

وكانت الآستانة بعثت مع الفرقة وفداً جديداً يتفاوض مع الإدريسي من مركز قوة ممثلة في تلك الفرقة ، وصدر أمر من وزارة الداخلية إلى سليمان شفيق مضمونه :

إن قائد الفرقة سيرافقه مسئولون منتدبون للتباحث مع الإدريسي وعليه مرافقتهم والاشتراك معهم .

وصل سليمان شفيق إلى صبيا فوجد الوفد بما فيهم قائد الفرقة قد سبقوه إلى صبيا ، وقد أخذ معهم الإدريسي في المحادثة ، واستطاع إقناعهم بسلامة موقفه من الدعوة وأنه لا مقصد له إلا هداية الناس وإرشادهم وخدمة الدولة في تهدئة الأحوال والإصلاح بين القبائل وتوفير سوق الجحافل العثمانية على الدولة ، وأن لا حاجة إلى وجود الفرقة الجديدة إلا تهيج القبائل ونفورهم واستفزازهم ، في حال ضرورة الحاجة إليها في أماكن وميادين أخرى وأنه في هذه المنطقة ، باستطاعته استدعاء رجال القبائل الذين قد طوعهم وأرشدهم وأحيا بينهم معالم الدين لتوطيد الأمن ، وفعلاً استدعى يوم وصولهم ما يفوق على ستة آلاف مسلح ، وكرره يوم وصول سليمان شفيق ليؤكد لهم أنه لم يسبق التحضير لحضور تلك الجموع لاستقبالهم بل أن الاستجابة من القبائل لديه سريعة في أي وقت .

وبعد وصول سليمان شفيق توالت الجلسات ودارت المفاوضات ، وانتهت بما يأتي :

١ ـ أن يظل الإدريسي على ما تم الاتفاق بينه وبين سعيد باشا من القيام بشؤون المنطقة على الطريقة الموضحة في الاتفاقية ومن ضمنها بلاد رجال ألمع .

٢ ـ أن يرافق المرشدين الذين يبعثهم الإدريسي إلى القبائل موظف من قبل متصرف أبها .

٣ ـ توزيع منشور بتوقيعه وتوقيع متصرف عسير إلى القبائل للإخلاد إلى الطاعة والتزام الهدوء والسكينة .

٤ ـ الاتفاق على عدم الحاجة لبقاء الفرقة الجديدة في جهة القنفذة أو غيرها وضرورة إرجاعها إلى الآستانة .

وبتوقيع الاتفاقية انتهت مهمة اللجنة وعاد الوفد إلى القنفذة لمرافقة الفرقة في العودة إلى الآستانة وعاد متصرف أبها إلى مركزه .

ومن دراسة بنود الاتفاقية يظهرأن الإدريسي هو المستفيد من تلك الاتفاقية أكثر من الجانب الآخر فقد :

تعـزز مركزه ، وتأيد موقفه وتأكدت الشرعية لقيامه ووثقت الاتفاقية الأولى مع سعيد باشا وجددت الاعتراف بسلطته الزمنية والروحية على المنطقة ، ثم نجاحه في إقناع الوفد بضرورة إعادة الفرقة العسكرية التي ما جلبت إلا لتهديده والقضاء على ثورته .

وعادت اللجنة وهو أقوى مركزاً وأثبت سلطة ، وأمتن مكانة ، وفت في عضد المناوئين القليلين الذين أشرنا إليهم قبل والذين كانوا ينتظرون عند قدوم سعيد باشا ترقب القضاء عليه فإذا هم يرون سعيد باشا وقد منحه الشرعية وخوله السلطة من رجال ألمع إلى حدود حرض ومن سواحل البحر إلى جبال فيفا وبني مالك وجبال رازح . ثم يرون اللجنة الثانية تؤيد الاتفاقية الأولى .

وإذا كانت الدولة التركية وكبار موظفيها في الآستانة ينظرون إليه كثائر على الدولة وتنسب إليه السحـر والشعـوذة والتدجيل وغير ذلك مما مر بك قبل ، فإن العامة والخاصة في عسير وتهامة وغيرهم ينظرون إليه بعكس ذلك ولا نجد أحسن دليل على ماأوردنـاه غير خطاب صادر من مفتي وفقيه بني مالك من قبائل عسير إلى متصرف عسير سليمان شفيق نفسه .

لقد كان من جملة من زار الإدريسي من رجالات عسير وشيوخها الفقيه الزاهد الشيخ محمد بن عبد الله بن خضره وبعد عودة الشيخ من صبيا كتب هذا الخطاب إلى المتصـرف يعـرب فيه عن انـطبـاعـاتـه ومـا شاهده من ميل الناس وتعلقهم بالإدريسي وتوافد الناس إليه ، وإقبالهم نحوه ، وقد وصله الخطاب يوم ٢٤ تشرين أول سنة ١٣٢٥ عثمانية [١].

---

(١) التاريخ العثماني تاريخ هجري وإنما يختلف بسنة أو سنتين عن التاريخ الهجري العربي .

الحمد لله وحده ، من محمد بن عبد الله إلى حضرة من أصلح الله سريرته ، ونور بصيرته وحمد سيرته سليمان باشا ، وفقه الله للحق والعدل وحرسه من جلساء السوء .

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ توجهنا إلى زيارة سيدنا وسيد الجميع محمد بن على بن إدريس عمر الله به الإسلام ونصر به سنة سيد الأنام وهو داع إلى ما يسكن الفتن ، وإقامة الحق والسنن . هاد للرعية إلى الطريقة المحمدية . ويحُضّهُم على طاعة الله ورسوله وطاعة الخليفة السلطان سلطان الإسلام . فلو عرفت نيته ، وما دعى إليه لتوجهت إليه حبواً .

وقد صارت فيك مذاكرة حميدة بأنك محب للعلماء ، وأنك مجتهد في إقامة الشريعة وإزالة الباطل . وقد وفد إليه أهل الإسلام ، وتألفت قلوب العباد ، فوقع الأمان وظهر الإيمان . فالحمد لله على ذلك ، أحببنا نعرفك بذلك لما نرى فيك من الصلاح ولو كان غيرك ما كتبنا إليه حرفاً واحداً وما قط كاتبنا أحداً قبلك بل نحن أهل عزلة عن الخلق . وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه الله والسلام .

فإذا كان هذا هو رأي فقيه من علماء عسير وزهادها ، فكيف بآراء العامة الذين خلب الإدريسي ألبابهم واستهوى أفئدتهم واستولى على عقولهم ، وجعلهم ينظرون إليه بعين التقديس ، ويعتقدون فيه الكرامات والمعجزات ـ ظلماً وشركاً ـ

الاجتماع الثاني بين سليمان شفيق ، والإدريسي :

بعث الإدريسي بمنشورات إلى عسير السَّراة الذين معسكر الجيش التركي في قاعدة بلادهم (أبها) يعلنهم فيها الحرب على الأتراك ويحضهم على الاستعداد بالمال والسلاح ـ على ما تقدم ـ وعلم سليمان شفيق بذلك واعتقد أن الإدريسي ينوي غزو الحجاز في حال أن الحقيقة أنه يدفعهم لمحاصرة أبها ، وإن كان المفهوم أن دعاته موجودون في نفس الحجاز يعملون لبسط نفوذه ، وقد استعجل سليمان شفيق فرفع للآستانة بأنه يستعد لغزو مكة ،

وطلب إمداده بقوة وسفن لخفارة الشواطىء منعاً من دخول الأسلحة إلى الإدريسي بحراً ، فوردته الإجابة ، بأن الدولة مشغولة بثورة حوران في سوريا ، وأنه ليس في استطاعتها في الوقت الحاضر إرسال أى قوة إلى عسير ، وأن عليه أن يذهب إلى صبيا لمقابلة الإدريسي لإيجاد طريقة بالتفاهم لتجميد حركته ولو إلى حين .

وعلى أثر ذلك توجه لزيارة الإدريسي - وأبرق بتوجهه إلى الآستانة التى كانت برقياته لا تصلها إلا بعد شهر ، فكان يرسل برقياته برًّا بواسطة العدائين إلى القنفذة التي ترسلها بدورها بواسطة السفن الشراعية إلى جدة ، ومن جدة تطير على أسلاك البرق إلى الآستانة .

ويذكر سليمان شفيق أن رحلته لزيارة الإدريسي كانت في موسم القيظ وأن من عادة الإدريسي أن ينتقل في هذا الموسم من صبيا إلى النظير من جبال رازح التي تبعد عن صبيا مسافة خمسين أوستين كيلا . والحقيقة أن النظير تبعد عن صبيا مسافة ١٣٥ كيلا لأن من جازان إلى (الجابري) و(الخوبة) مسافة ٩٥ ومن الجابري إلى النظير نحو ٢٥ كيلا وصبيا هي شمال جازان بـ ٣٢ كيلا ، ثم أن الإدريسي لم يصل إلى النظير إلا مرة واحدة في مبدأ أمره - على ما تقدم قبله وماعدا ذلك فكان يخرج في تلك الأثناء من صبيا مساء إلى قرية (الحسينية [١]) التي تبعد من صبيا بخمسة عشر كيلا والتي قد رَحَّلَ أهله إليها تخوفاً من الأتراك الذين في جازان ينام هناك وفي الصباح يعود إلى صبيا ، وإنما الأخبار كانت تغم على المتصرف سليمان أو تصله خاطئة وقد احتاط أيضاً ببناء مساكن لأسرته في جبل هروب ليجعلها خطاً دفاعياً ثالثاً فيما لو غلب على صبيا ثم الحسينية ، وإنما لم يحتاج إلى ذلك .

أمـا كيفية رحلتـه إلى صبيا فقـد استـأذن الإدريسي في الـوصول إليه وطلب

---

(١) من المعروف بين من عاصر الإدريسي أنه لم يصيف قط فى جبل النظير ، ولم يطلع إليه إلا مرة واحدة فقط - كما سبق توضيحه - أما خروجه كل مساء إلى قرية «الحسينية» فهو شائع ومتواتر الخبر ، وقد أورده المؤرخ الوشلي .

منه أن يرسل له ثلاثة أشخاص يرافقونه في سيره فبعث له بثلاثة أشخاص من أهل المخلاف السليماني منطقة جازان وقد سلك سليمان ـ يرافقه مع رجال الإدريسي عشرة فرسان وطبيبين وصيدلي وشيخ قبيلة علكم ـ سلك طريق شعاف ثم عقبه (الحموض) ـ وادي ركان ـ فملتقى وادي ركان بوادي بيش ووالوا سيرهم إلى أن وصلوا قرية مسلية ثم منها إلى أم الخشب ـ صبيا .

بوصوله إلى صبيا استقبل بما يليق وبعد الاستراحة اجتمع بالإدريسي وأطلعه على خريطة رسمها لطريق شعاف وخط سيره وجرى أثر ذلك الحوار الآتي :

سليمان شفيق : إذا شئتم فإني على استعداد لإعطائكم صورة من الخريطة

الإدريسي : أشكركم ، ولكن لماذا أتعبتم أنفسكم بهذا العمل ، وماهي الفائدة التي تتوقعونها منه ؟

سليمان : إن بلاداً تظل أحوالها الجغرافية مجهولة لا يمكن القيام بإعداد وسائل إعمارها وإصلاحها وهذه البلاد مجهولة من الناس جميعاً ومن أهلها أنفسهم .

الإدريسي : نعم ـ نعم ، وقطع الحديث ، وأداره إلى الناحية الآتية .

الإدريسي : إن السفن التي تسافر من سواحل عسير إلى مصوع وعدن لنقل حاجات الأهالي وبضائع التجار تعترضها سفن الخفر التركية بحجة تفتيشها فيلحق أصحابها من جراء ذلك أضرار جسيمة والتجار يلقون من ذلك مصاعب يشكون منها فليتنا نجد لذلك طريقة مرضية .

سليمان : أرى أن تحل هذه المسألة فيما يتعلق بالثغور التي ليس للحكومة فيها موظفون مثل (القوز ـ الشقيق ـ الوسم ـ البرك) بأن تجعل مشائخ هذه الثغور موظفين رسميين من جانب الحكومة بوظيفة مديرين لها ويخصص لهم رواتب من خزينة الدولة ، ونجعل عندهم ختماً رسمياً باسم الحكومة فالسفن

التي تقلع من أحـد تلك الثغـور يفتشها الشخص المعين ويعطي صاحبها ورقة رسمية مختومة كشهادة بأنها فتشت فإذا قابل المركب إحدى سفن الخفر أبرزت السفينة الشهادة فيخلى سبيلها ، ثم نضع في كل واحـد من تلك الثغـور عسـاكـر وطنيين ونزودهم بالسلاح الحكـومي يستعملونـه في إقـرار الأمن وإذا أنـا فعلت ذلك يكون للمشايخ منفعة ذاتية من الرواتب فيصيرون أنصاراً للحكومة ، ومع ذلك ففي إمكانهم أيضاً الاستفادة من تهريب السلاح كما كانوا يفعلون .

الإدريسي : منفعلاً ! : ماذا تريد مني ياسليمان ؟ أنا لا أرضى قط بأن يصبح مشائخ السواحل من رجال الحكومة ، وتبعاً لأوامرها . إنني مدرك ما تريد . أنت تريد من هذه المقدمة أن تتدرج قليلاً نحو الساحل ، وأن تضع جنوداً في الثغور ، أنا لا ثقة لي بالدولة ولا أوافق قط على مثل هذه المساعي . اجلس أنت في الجبل ولكن لا تمد أصبعك إلى السواحل أبداً .

ويعلق سليمان شفيق على كلام الإدريسي بقوله : (قال لي ذلك في هذا اليوم ، وفي العام الماضي قال لي : امسكوا السواحل ، ولا شأن لكم بالجبال .

سليمان : ولكن للحكومة في ثغر جيزان ، وهو على مقربة من صبيا موظفون وجنود فأي ضرر رأيتموه من ذلك ؟

الإدريسي : وهـذا أيضـاً لا أريده . لقـد وقـع مرة فيما مضى ، ولا أريده أن يتكـرر ، وفضلاً عن ذلك فإن جازان على مقربة مني ، ولي فيها رجـال ، يطيرون إلي في الحال الخبر عن كل ما تعملون ضدي فأستعد لدرء الخطر ، أما ثغور الشقيق ـ والوسم ـ والبرك وأمثالها فإنها في مواقع مترامية لا يصلني خبرها في حينه .

سليمان : لكنكم ياحضرة السيد تضطربون بلا موجب ، وإنما قدمت هذا الاقتراح على أن فيه تسهيلاً لأموركم ، وما دمتم لا توافقون على ذلك فأنا أسحب اقتراحي ، وأريد أن أقول لكم من جهة أخرى : إن الدولة تريد أن تعمر ملكها ، وليس في إمكانها أن تدع السواحل فارغة وخراباً . . الخ .

الإدريسي : حسن وتعال نفكر بجد . إن الإمام يحيى كتب إليَّ رسالة يدعوني فيها للاتفاق معاً على الدولة ، وإني لم أجاوبه بعد على رسالته . فأعطني مدفعين إذا شئت وأنا أكتب إلى الإمام أدعوه إلى العدول عن فكرته ، فإذا لم يرجع عنها فأنا مستعد للزحف إليه وتأديبه ، وعلق سليمان بما لا نرى داعي إلى إيراده لاسيما وأن العداء أثبتت الأيام وقوعه بين الإمامين ، وعلق سليمان على هذه المناقشة ـ أيضاً يقول ـ من ذلك اليوم فهم كل منا صاحبه تمام الفهم وكنا كالجمبازين يلعبان على حبل واحد ، هو يعمل لأجل نفسه ؟ وأنا أعمل لما أنه مصلحة عامة . ؟

وفي اليوم التالي لهذه المناقشة غادر سليمان صبيا إلى جازان ، وطير برقية ـ يظهر أنها من إحدى بواخر الخفر إلى الآستانة ذكر فيها كل ما دار بينه وبين الإدريسي ، وأنه يرى أنه على أبواب ثورة قريبة الوقوع في عسير سوف تصل نارها إلى اليمن والحجاز ، وأنه عزم على القيام برحلة بحرية على إحدى سفن خفر السواحل ثم العودة إلى مركز أبها وكان هذا في شهر أغسطس ١٩١٠م ـ ١٣٢٨هـ ، عاد من رحلته إلى جازان ومنها إلى صبيا ومعه عشرة آلاف جنيه ذهباً فاجتمع بالإدريسي فرأى على محياه دلائل الاهتمام وعلائم الجد وإصرار العزيمة على التحرك والتحدي على غير ما قد رآه قبل ذلك .

وبعد المجاملة الكلامية استأذنه وفي اليوم الثاني استأذن عليه مودعاً فقال له : كنت أخبرتني أمس حتى أصحبك بمن يرافقك ويرشدك في الطريق فشكره

واقترح أن يلحقه بهم ورحل من ساعته في عجل وقطع المسافة بين صبيا وأبها في ثلاثة أيام في حال أن العادة تقطع في خمسة أيام .

الاستعـــدادات :

وبوصول سليمان شفيق إلى أبها أخذ من ساعته يجمع الأقوات ويدخر المؤن والحبوب والحطب ثم بعد ذلك أحضر مشايخ المنطقة وأخبرهم بصدور أمر الآستانة بانتخاب ثلاثة أعضاء منهم لمجلس المبعوثان ، ولمح إلى موقف الإدريسي وما يستشفه من تحريض القبائل للقيام بحصار أبها وسألهم مستفسراً عن رأيهم .

فأما موضوع الانتخابات فقد انتهت النتيجة عن فوز :

١ ـ عبد الله بن أحمد بن مجثل .

٢ ـ عبد العزيز بن مشيط .

٣ ـ فراج بن سعيد العسبلي عن بني شهر .

وبعث الثلاثة إلى القنفذة عن طريق (النماص) ومنها إلى الآستانة ، وعندما وصلوا إلى النماص رأوا بوادر تأجج نار الثورة فعاد ابن مجثل وابن مشيط وأما فراج فقد تمكن سراً من الوصول إلى القنفذة ومنها اتجه إلى الآستانة .

مقـــدمات الحـــركة :

شاهد سليمان بوادر الثورة تنذر بالغليان وتبرق بلمعان شرار الحرب فاستدعى المشايخ وبعد استكمال عقد الاجتماع كاشفهم بما يشعر به وما يراه من بوادر الثورة وطلب منهم أن يعاهدوه ويقسموا يمين الولاء على المصحف بأن يقفوا إلى جانبه مخلصين للدولة ، فلاذوا بالصمت ولم يجبه أحد ، فعلم عدم استجابتهم .

فأذن لهم بالقيام إلى اليوم التالي وفي المساء حضر إليه بعض من يثق بهم وأفادوه بالحقيقة وهي :

١ ـ أولاً أن المشايخ الذين حضروا الاجتماع لا يبلغ عددهم عُشر مشايخ عسير ، والباقون تغيبوا عن الحضور عمداً .

٢ ـ إن الاستعداد للثورة عم جميع أنحاء عسير مشايخ وأفراداً .

٣ ـ إذا تأخر المشايخ الذين حضروا عن الانضمام إلى أكثر المشايخ وقبائلهم ولم يشتركوا في الثورة فقدوا مكانتهم ، وأمر الإدريسي بنهب أموالهم ومصادرة ممتلكاتهم .

لذلك تمنعوا عن القسم الذي كلفتهم بأدائه ، فتدبر أمرك ! ولم يسعه في اليوم الثاني إلا أن أذن للمجتمعين بالانصراف إلى قبائلهم وجهاتهم .

الثـــــورة :

إن منشورات الإدريسي إلى القبائل بالاستعداد والتحرك للثورة على الأتراك تذاع تباعاً عن طريق قواده ودعاته الموجودين بين القبائل وجميع مشايخ عسير وغيرهم وفدوا على الإدريسي وعاهدوه على السمع والطاعة والجهاد كما أنه قد أصدر أوامره إلى القبائل التي حول عسير بقطع المواصلات عن عسير والاشتراك بشوكاتهم مع العسيريين .

ومن جملة الدعايات التي روج لها بين الجموع بأن رصاص الأتراك لا يصيب أحداً وأن جميع ما لدى الأتراك من مؤن وسلاح وذخائر هو غنيمة لهم من الله ، وأن الأتراك لن يصلهم مدد وليس لهم مساعدة من أي جهة ، وأن سليمان شفيق متصرف أبها ضَحيَّة سيضحى بها فى عيد الأضحى وكانت الدعايات قد كُثفت وروج لها بين الخاصة والعامة كأنها حقائق وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٢٨ هـ .

وفي أواخر شهر القعدة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م تدفقت الجموع كالسيول الجارفة والتيارات المتدفقة حول المنطقة القريبة من أبها ، وقادة الإدريسي يدفعون الجموع ويحرضون العامة ويشجعون الخاصة ويعدونهم بالنصر ، ويوعدونهم الفوز والغنائم ويدبرون معهم أوجه الرأي في سلوك أيسر الطرق وأضعف النقط وأسهل السبل لأنهم أهل البلاد الأدرى والأعرف ببلادهم .

وفي ليلة من تلك الليالي بلغ المتصرف سليمان شفيق بأن :

١ ـ حمود أحد مشايخ رفيدة .

٢ ـ عبد الله بن مرعي مفتي القبيلة .

موجودان حول أبها يحرضان الناس ويبلغانهم أوامر الإدريسي ويَحُثَّانِ على الإسراع في مهاجمة أبها فأرسل بعض رجاله ليلا وتمكنوا من إلقاء القبض عليهما وساقوهما إلى السجن .

أبها :

كانت بلدة أبها التي في رأس (وادي ضلع) متوارية بين الهضاب والآكام على ارتفاع ألفين ومئة وتسعين متراً وتتألف من ثلاث أحياء منفصلة عن بعضها تتراوح منازل كل حي منها بين ٧٠ و ٨٠ بيتاً ، وهي واقعة عند بداية (وادي شهران) وكان لا يحيط بها سور ما عدا أبراج حجرية يسع كل منها عشرة إلى خمسة عشر جندي .

والمتصرف سليمان شفيق قائد عسكري فقد تصرف بحكم خبرته العسكرية فحفر بين الأبراج المحيطة بالبلدة خنادق دفاعية ، وأقام الجدران والسدود في المنافذ والطرق المؤدية إلى داخل البلدة فأصبحت البلدة بذلك قلعة في غاية التحصين .

وبعد استكمال ذلك أخذ في الترقب والترصد لانتظار الهجوم المرتقب .

الهجوم :

وفي صبيحة يوم وسليمان شفيق يتفقد خطوط الدفاع ويتطلع بمنظاره نحو الأفق المحيط بأبها فإذا به يشاهد جموعاً حاشدة يقدر أعدادها بين عشرة وعشرين ألفاً ، على مسافة خمسة أوستة أكيال من أبها تتقدمهم الرايات والبيارق قد اكتسحوا الجبال القريبة وهم سائرون نحو البلدة .

فأمر بتقديم بطاريات المدافع وفتح نيرانها عليهم صباً بسرعة وتركيز ربع ساعة فتفرقت الجموع وتراجعت إلى الخلف من الجبال الغربية .

وفي اليوم الثـاني تقدموا وأحاطوا بأبها من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم وكلمـا قامـوا بحـركـات هجـومية تصـدوا لهم بحـركات دفاعية جادة تردهم إلى أماكنهم ، وهكذا ظل الموقف بين شد وجذب وهجوم ودفاع والمدينة محصورة من جميع جهاتها .

وكانت اتصالاته بمرجعه بواسطة السعاة السريين وهي أن يكتب رسالة بطريق الخط والنقطة والإشارة السلكية ويخاط عليها في مئزر السَّاعي الذي هو من القبائل ويساعده بعض شيوخهم ، ويتسرب فى خفية وخفة ، متوارياً بين القبائل كأنه واحد منهم حتى يصـل القنفذة فيسلم ويستلم الجواب من حاكم القنفذة ويعود بنفس الطريقة ، وكان الإدريسي يبعث منشورات لجيشه المحاصر ، بأن اليمن ثائرة ، وتـارة بأن سليمان شفيق مخالف على الدولة وأن الدولة عزلته عن أبها ، فَيُصاح بذلك ليسمعه المحصورون فيفت ذلك في عضدهم ويحطم معنوياتهم وقد شحت الأقوات داخل أبها حتى أشرفت على العدم ودامت الحالة على ذلك سبعة أشهر وأياماً ، وفي الشهر السادس من الحصار سقط موقع (شهار) وهو مركز عسكري مهم على قمة عقبة (تيَّة) واستسلمت الكتيبة التي به مع مدفعين .

وكان قادة الإدريسي المشتركين في الحصار وعلى رأسهم مصطفى النعمي مهرة في الدعاية المؤثرة في خفض نفسية المحاصرين وقائدهم ـ كما سبق أكثر وأبلغ من ذلك ليألبوا الجند على قائدهم بأن الدولة عزلته ، وأن الدولة لا ترغب في بلاد العـرب وأنها لن ترسل إمدادات أو مؤن للمحصورين وأن طريق البحر مسدود ، ينادون بذلك ليسمع الجند .

وقد دام الحصار سبعة أشهر وأياماً حتى وصل شريف مكة بنجدته ودخل أبها كما سيأتي ذلك مفصلاً .

لقـد أشـرنـا قبل إلى الخطاب الذي وصل إلى الإدريسي من الإمام يحيى ـ وأن الإدريسي قال لسليمـان شفيق ـ متصـرف أبهـا ـ أثنـاء اجتمـاعـه به في صبيا ـ أنه وصلته رسالة من الإمام يحيى يدعوه للاتفاق معه على الدولة الخ . .

وأنه طلب منه مدفعين مقابل أن يكتب للإمام يحيى بالعدول عن فكرته ، وإنما سليمان شفيق لم يصدق الإدريسي واعتبر قول الإدريسي أنه من باب الخداع للحصول على المدفعين ثم يكتب للإمام بأن الدولة أعطته مدفعين لمحاربته وأنه استلم المدفعين ولم يوافق على حربه .

والحقيقة أن العداء كان مستحكماً بين الإمام يحيى والإدريسي ـ راجع الفصل المعنون بين الإدريسي والإمام يحيى ـ ويظهر أن قول الإدريسي أقرب إلى الحقيقة . لأن الأحداث أثبتت أن الإمام يحيى بعد ذلك قام بثورته ـ كما هو معروف ـ فاضطرت الدولة إلى إرسال الفريق عزت باشا لإبرام صلح مع الإمام وتمت الاتفاقية المعروفة باتفاقية (دوعان) ثم اتفق مع الأتراك ضد الإدريسي ، بل واشترك معهم في حربه ـ كما سيأتي .

حملة شريف مكة لفك حصار أبها :

كان الحسين بن علي صاحب مطامع سياسية أخذ في محاولة تحقيقها من عالم الفكر إلى عالم الواقع منذ عاد من الآستانة أميراً على الحجاز ، فجهز حملة إلى نجد قادها بنفسه وبذل الأموال الجزيلة ، وإنما اضطر إلى العودة ـ كما هو معروف وذلك فى سنة ١٩٠٩م الموافق أول سنة ١٣٢٨هـ بعد ما حقق بعض ما ظنه فوزاً .

ومطامع الإنسان إذا بدأ في محاولة تحقيقها ، لا تقف عند حد ، فقد راح يحاول مد نفوذه في عسير إلا أنه اصطدم بصلف المتصرف الجديد «سليمان شفيق» الذي كان بحكم تركيته المغالية لا يحب بروز أي شخصية عربية ، وفي نظره أنه إذا اصطفت الدولة شخصاً عربياً وولته ولاية فعليه أن يحصر فكره وتفكيره ونشاطه في منطقته ، وأن يكون تركي الميول والسياسة .

وقامت ثورة الإدريسي في تهامة عسير وتمادى نشاطه السياسي إلى بوادي الحجاز إلى قرب الليث بل وبعض الدعاة وصل إلى مكة ، فقد أخبرنا الشيخ السلفي محمد حسين نصيف في أحد زياراتي له في جدة أن رجال

الحسين قبضوا على المبشرين بثورة الإدريسي في بوادي مكة وتم سجنهم ثم إبعادهم ، كما أن بعض دعاته وصل إلى جهة غامد وزهران ووفد إليه منهم وفد عاهدوه على السمع والطاعة ـ على ماتقدم ذكره في هذا الكتاب .

وعندما قوي نفوذ الإدريسي ووفد إليه مشايخ تلك الجهات ومنهم شيوخ بني شهر ومنهم سعيد بن فايز العسبلي ، وشبيلي وشيوخ المخواة وبوادي «حلى بن يعقوب» وقبائل بوادي القنفذة ، وفي القسم الأعلى زاره وعاهده أيضاً مع بني شهر مشايخ بالأحمر وبالأسمر وبالقرن وقحطان وشهران وجميع مشايخ عسير فضلاً عن شيوخ تهامة ، وهنا شعر الحسين بن علي بما يهدد نفوذه ويهدّ طموحه ويَحُدّ من مطامعه بل وشعر بتطلع الإدريسي لغزو الحجاز نفسه .

وجاء حصار أبها القشة التي قصمت ظهر البعير ، فغنمها الحسين فرفع للدولة يعرض عليها خدمته في فك حصار أبها ، وهو في ذلك يحقق عدة أهداف خاصة ، منها :

١ ـ البروز على قمة الأحداث في المجالين التركي والعربي ، وبروزه كبطل فك الحصار المضروب منذ سبعة أشهر على مدينة أبها وحاميتها التركية وتحرير عسير عامة من النفوذ الإدريسي .

٢ ـ نجاحه كزعيم يعترف به في عسير علاوة على زعامته التقليدية في الحجاز

٣ ـ الاستفادة من الأموال والذخائر التي ستصله من الدولة لتحقيق طموحاته المرتقبة .

٤ ـ القضاء على الإدريسي الذي أصبح المنافس البارز له في عسير والحجاز الأعلى .

٥ ـ ظهوره على صفحات الجرائد التركية والامبراطورية العثمانية التي تغطي أخبار تلك الحملة في شيء من الحماس والتباهي الذي يستلزمه انتصار الحملة على أحد الخارجين على الدولة مع كثير من التهويل والمبالغة .

٦ ـ ما يؤمله من نقل صدى تلك الأخبار إلى الصحف الأوربية المهتمة بأحداث الدولة العثمانية خاصة وما تتطلع إليه من أخبار البلاد العربية على وجه العموم وشبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص لتحقيق مطامعها الاستعمارية المبيتة .

تقدم الحسين بجيشه من مكة المكرمة فوصل يوم الخميس الموافق ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وضرب معسكره في موضع يسمى (أم الجرم) على مسافة ساعة من بلدة القنفذة وبعد خمسة أيام من وصوله بل على وجه التحقيق في مساء الثلاثاء الموافق ١٠ جمادى الأولى بعث بسرية قوامها ثلاثة مئة فارس وألف «هجان» فهاجمت القرية التي يقيم بها القائد الإدريسي (محمد بن خرشان) وعادت إلى معسكرها .

وفي ليلة ١٨ جمادى الأولى تقدمت سرية من معسكر (أم الجرم) إلى وادي (يبه) وقبل أن تصل إلى هدفها قابلتها طليعة الجيش الإدريسي في وادي عجلان وبعد خسائر من الجانبيين انتهت المعركة وعادت قوات أمير مكة إلى معسكرها .

إن تلك الغزوات كانت استطلاعية كما تقدم وتلاها غيرها استعداداً للمعركة الفاصلة .

كان الإدريسي ـ كما سبق أن أشرنا ـ قد استنهض قبائل المخلاف السليماني من صامطة إلى البرك كما استنهض قبائل وادي حلي وقنا والبحر وجل من كان محاصراً أبها وكتب لقادة ومجاهدي القبائل المحاصرين لأبها بأن المحاصرين في داخل (أبها) هم في حكم الأموات فإن رأوا أن في الهجوم عليهم مشقة بأسباب تحصنهم فأبقوا عليهم مقدار ألفين لتعزير الحصار ويكون عليهم عبد الرحمن بن ظافر ، ويكون ممن يثق بهم كربيعة رفيدة ، وبني هيف . . ثم إنكم وجيوش المسلمين تنزلون إلى محائل في جيش عظيم . . الخ مما هو موضّح في موضعه .

أخذ الطرفان يستعدان للمعركة الرئيسية ويتبادلان الغزوات الاستطلاعية لمعرفة مدى قوتهما وقدرة سلاحهما وقوة معنوياتهما .

وفي يوم الإثنين الموافق ٣٠ جمادى الأولى ١٣٢٩ صدر الأمر من الحسين بن علي بالاستعداد للهجوم على الجيش الإدريسي في مركزه الرئيسي وكان الجيش يتمثل في القوات الآتية :

عـــدد	
٢٧٠٠	الجيش النظامي التركي ومعه مدافع جبلية ٨ ومترولبوز ٢ .
٢٥٠٠	هجانة من البدوان العرب ومعهم عدد من الفرسان .

أما سليمان شفيق متصرف أبها فيقول بناء على إفادة قائم مقام القنفذة أن عدد الجيش :

١ ـ من الجنود النظامية سبع أورط .

٢ ـ بطاريتان من المدافع وقوة من البدو .

وبعد سير مضني نزل ليلة الثلاثاء غرة جمادى الآخرة على بئر تسمى (أم الدبا) وقضى ليلة ويومه ليبث عيونه ويدرس الوضع وعند عودة عيونه اجتمع لديه المعلومات الآتية .

١ ـ أن الجيش الإدريسي لا يقل تعداده عن عشرة آلاف جندي .

٢ ـ إنه منتشر من أعلى الوادي وحوله بين أشجار الأثل والسمر والمرخ وهي مواقع حصينة نسبياً .

أمرت المدفعية التركية بإطلاق حممها في سرعة وتركيز ، حتى ظن أنهم مسحوا الغابة مسحاً ، فتراجع الجيش الإدريسي إلى وادي (يبه) وهو يقاتل فتعقبهم الفرسان والهجانة ، حتى رابطوا في خطوطهم الجديدة في وادي يبه في غابة من حراج الأثل والأراك تمتد من أعلى الوادي إلى البحر .

سارت قوات أمير مكة على الترتيب التالي :

١ ـ سار الطابور الأول .
٢ ـ سار الطابور الثاني .
٣ ـ الاثقال والمؤن والذخيرة .
٤ ـ الطابور الثالث .

} في الميمنة .

٥ ـ القوات المؤلفة من العربان في الميسرة .

٦ ـ قوة الهجانة والفرسان في الطليعة .

وكان الوقت بعد الزوال من يوم الأربعاء الموافق ٢ جمادى الآخرة وما هي إلا ساعة والجيش يوالي سيره إلا وقد عادت الطليعة منهزمة إلى ناحية البحر ويقتفيها جحيم من النيران المكثفة كأنما انشقت عنها الجحيم في لحظة ومصدرها خطوط الجيش الإدريسي المتخذ مواقعه في الحِراج .

والتحم الجيشان في قتال ضار ، وتمكن الجيش التركي تحت حماية المدفعية من القيام بهجوم لاقتحام خطوط الجيش الإدريسي فقابلها بدوره بهجوم مضاد ردتهم إلى خلف مواقعهم الأولى . بينما انهزمت القوة المعاونة وظلت القوات النظامية في موقف حرج جداً قد أحدقت بها القوات الإدريسية تقريباً من كل جانب وبعد محاولة يائسة انتهت المعركة بإبادة الثلاثة الطوابير التركية ما عدا سبعين جندياً فقط نجاهم الفرار .

ووصلت قوات نظامية على جناح السرعة من اليمن والحجاز ـ وكانت قد خرجت من الجهتين قبل ذلك . وانضمت إلى فلول القوات السابقة فألفت جميعها :

١ ـ ثلاثة طوابير نظامية قوام كل طابور ٨٥٠ جندي عن ٢٥٥٠ بقيادة زكي بك .

٢ ـ ثلاثة طوابير رديف ومجملها ١٢٠٠ بقيادة إسماعيل بك .

٣ ـ طابور يعرف باسم طابور اليمن بقيادة ضياء الدين بك .

٤ ـ القوات المعاونة من الخيالة والهجانة فهي نفسها ـ تقريباً ـ

وبعد أيام من الهزيمة السابقة تحركت القوات التركية والمعاونة من معسكرها في (أم الدبا) متقدمة على مواقع الجيش الإدريسي في ببه ـ خطوطه الأولى ـ فأصلوهم بوابل من النيران أوقفت تقدمهم واغتنم الجيش الإدريسي توقف الهجوم فقاموا بدورهم بهجوم مضاد جارف استمر ثلاث

ساعات فصمد لهم الجيش التركي بالرغم عما أصيب به من خسائر فادحة وتضحيات جسيمة .

فحول الجيش الإدريسي هجومه على الميمنة التي لم تتمكن من إيقافه إلا بعد كل جهد وتكبيده خسائر فادحة .

فحول هجومه على طابور اليمن الذي لم يستطع صد الهجوم إلا بعد أن أمد ببعض القوات من الاحتياطي العام ، وكانت ليلة لم يذق الفريقان النوم إلا غراراً ، وكان التفوق للجيش الإدريسي بقيادة حمود سرداب وابن خرشان ومحمد طاهر .

وفي الصباح الباكر بعد أن أدى كل فريق صلاة الخائف فتح الجيش التركي أفواه مدافعه على الحراج ـ التي يتمركز بها الجيش الإدريسي في شدة وتركيز حتى خُيِّل لهم أنهم مسحوا الحراج والغابة مسحاً بنيران المدفعية .

وبالرغم من حجم تلك النيران ، وإذا هم يشاهدون ميسرة الجيش الإدريسي تتقدم تحت أعلامها الخفاقة بقيادة الشيخ بيطري [1]، وبعد خروجها من الغابة إلى أرض براح هاجمتها من ناحية البحر وركزت عليها المدفعية بنيرانها فانهزمت متراجعة إلى الحراج وتقدم وراءها الأميرلاي زكي بك وورائهما الجيش والهجانة حتى أوصلوهم أطراف الحراج .

وهناك هب الجيش الإدريسي الاحتياطي الرابض وراء الآكام والحراج ليس عليهم إلا المآزر يتمنطقون عليها بأحزمة الفشك وفي أوسطهم الخناجر الطويلة وأطلقوا دفعة واحدة نيران بنادقهم ثم استلوا خناجرهم واندفعوا على عدوهم بالسلاح الأبيض ولم يتراجع إلا بعد تقهقر عدوهم مسافة كبيرة وركزت عليهم المدافع نيرانها فتراجعوا إلى خطوطهم ، ورابطوا فيها .

وتقدمت الميمنة والقلب من الحراج والآكام في هجوم ضار أحدث فجوة في ميمنة الأتراك والقلب والميسرة فاضطربت صفوف الجيش التركي وبعد كل جهد وتضحية سدت الفجوة ، فحول الجيش الإدريسي هجومه

---

(١) من مشايخ قبائل «حلى بن يعقوب الكنانيين» ومن أنصار الإدريسي المخلصين .

على بقية القوات النظامية والهجانة فكانت ملحمة من أفظع ما شهدتها تلك الحرب وفيما هم على قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة الحقيقية فإذا بالمؤخرة وطابور اليمن يسرعان لنجدتهم وينتشرون على طول الميدان ثم صاح صائحه بالهجوم فسعرت حمية الباقين واستمرت المعركة إلى العصر فانسحب الجيش الإدريسي متراجعاً بعد أن مني الجيش التركي من الخسائر بأربعة آلاف وتسعمائة وعشرين قتيلاً يضاف إليهم ضحايا وباء الكوليرا ٣٧٣ فيكون المجموع ٥٣٠٠ .

ولم يبق من الجيش التركي الذي اشترك في المعركة الأخيرة والبالغ مجموعة سبعة آلاف ، إلا ألف وسبعمائة جندي ، فرأى أمير مكة وقائد الحملة أن شق الطريق إلى صبيا يحتاج إلى حملة أكبر وجيش واستعدادت أعظم وأكثر عشر أضعاف حملته ، فإذا كان ضحايا معركة جانبية أولية بلغ خسائرها من الأتراك نحو خمسة آلاف وثلاثمائة ، ولنفرض أنه قتل من الهجانة والفرسان والرجالة ٥٠٠ فكيف وكم تكون خسائر المعارك الضارية في الموطن العتيد للثورة والغيل الأشب للحركة والذي يبعد ثمان مراحل عن القوز [1] .

ولهذا رأي أن يصرف النظر ويعدل نهائياً عن التحرك لصبيا ويَصْعَدُ نحو الجبال من عسير فضم إلى الألف والسبعمائة الناجين من الجيش التركي من الاحتياطي وما وصله من الامدادات ما يكمل أربعة آلاف وثمانمائة مع ألفين - تقريباً - من العربان وذلك يوم ١٣٢٩/٦/١٠ .

ومع ذلك فقد ظلت المعارك تدور بينهم وبين أنصار الإدريسي وتعترض سبيلهم في (وادي مشرف) وفي (ربع الحجاية) و (سهول) وغيرها وهو يشق طريقه شقاً في بلاد لا تزال ثائرة على الأتراك حتى وصل .

وفي وادي (بارق) التحم القتال بينهم وبين قبائل تلك الجهة حتى تمكنوا

---

(١) اسم «القوز» بالقاف وسكون الواو ، وأخره زاى فى جهة القنفده وحلي ، ويطلق عليه - أيضاً - اسم «قوز أبى العير» وهو غير «القوز» الذى يضاف إلى «الجعافرة» فيقال له «قوز الجعافرة» .

من شق طريقهم إلى عقبة بيحان فصادفوا ابن دليم بعد انسحابه من عقبة (دهما) مرابطاً لهم فيها واشتبك معهم في قتال دام عشر ساعات .

وفي (عقبة صبح) دار القتال ساعتين وشق طريقه إلى (عقبة الدرجة) فاعترضته قوات من القبائل بقيادة عبد الرحمن بن ظافر ومحمد بن دليم وشيخ شهران (ابن مشيط) وشيوخ رجال ألمع وبعد معركة حامية انهزم المدافعون [1] .

وعندما علم مصطفى النعمي بوصولهم «شعار» عرف أن لا فائدة من المقاومة فانسحبت بقية قواته عن حصار أبها إلى جهة تهامة فوصل الحسين إلى أبها يوم السبت الموافق ١٩ رجب ١٣٢٩ هـ .

كانت تلغرافات سليمان شفيق إلى الآستانة تحث على الإسراع إلى نجدته بفك الحصار عنه وعن الحامية التركية في أبها .

وكان يقترح أن ترسل قوة إلى جازان لتضرب الإدريسي في قاعدة ثورته صبيا نفسها في حال أن الدولة تعرف أكثر من صعوبة لتحقيق ذلك :

١ ـ أولاً لمشاغل الدولة بمشاكل أهم ـ في نظرها ـ عن قضية الإدريسي .

٢ ـ أن القضاء على حركته تحتاج إلى قوات كبيرة لا تتأتي للدولة في ذلك الوقت .

كان متصرف عسير يرى أن تكون الحملة التي يقترح إرسالها إلى جازان مزودة بما يأتي :

١ ـ آلة تقطير للمياه ـ لأن جازان تبعد عن مورد مياهها بخمسة أكيال وهي أحساء يمكن ردمها من قبل المغير بسهولة .

٢ ـ أن تكون المستشفيات ومستودعات المؤن محمولة على السفن .

٣ ـ لما كانت المسافة بين صبيا وجازان ٣٥ كيلاً في أرض بين

---

(١) الرحلة اليمانية ، البركاتي .

سبخة [1] ملساء ورمل متساوية ومسطحة فإنه يقترح أن تكون الحملة مزودة بسيارات مدرعة وحاملة جنود لفرقة كاملة .

وفاته أن الموضوع هو ليس شخص الإدريسي نفسه بل القبائل التي عرف كيف يستولى على قلوبها ويتغلغل في وجدانها وهي مستعدة للقتال في سبيله على كل شبر من المنطقة من حرض جنوباً إلى حلي شمالاً هذا في منطقة جازان ، أما في تهامة عسير نفسها فالقبائل هناك يساوون القبائل هنا في الولاء ويفوقون في حب الإدريسي وموالاته .

إعـلان إيطاليـا الحـــرب :

أعلنت إيطاليا الحرب الطرابلسية التركية وذلك في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ م سنة ١٣٢٩ هـ فأحضر متصرف عسير مشايخ جبال عسير وقام فيهم خطيباً ومما قاله لهم :

(إن الإيطاليين أعلنـوا الحـرب على الـدولة ، واعتدوا على مقاطعة طرابلس الغـرب التي هي من البلاد العربية ، وتعلمون أن لإيطاليا تجاه بلاد عسير ميناء اسمهـا مصـوع ، لهـذا ينبغى أن نستعـد نحن هنا لدفع غارات الإيطاليين فهل تعاهدونى بأن نشترك في الدفاع ونكون يداً واحدة فأجابوا : نعم،ثم استأنف خطبته :

تعلمـــون أنكم جزء قليل من مشـايخ عسير ، وليس بينكم أحـد من مشـايخ تهـامــة وأن قبــائــل (آل موسى) وقنــا والبحــر ، ورجــال ألمـع ، وصبيا ، وأبي عريش لا يزالــون معـادين للدولـة ، ومـوالين للإدريسي ، فاذاً التهـاميون خارج ميثـاقنـا فلا فائـدة من هذا البنـاء الـذي نزمـع اتخـاذه للدفـاع . وأرى ـ إذا وافقتم ـ أن أكتب للإدريسي بمــا تم بيننــا ، وأدعـوه أن نتنـاسي الخـلاف

---

(١) كانت طريق جازان ـ صبيـا هى غيـر الـطريق الحـاليـة فهى تتجـه من جازان شمالاً فى السبخة إلى «المنجـارة [1]» ثم حوالى «البييـان ـ فى السبخـة أيضـاً» إلى قرب كثبان «هاله» والحمض ـ فالسلام ، سلام الطمحة ، فروان الطمحه ـ فشرق قرية الباطنه ، فـ «الغراء ـ فـ ـ عقم بعلول ، فتحف آخر العروج اليمانية القريبة من صبيا على مسيل الوادى فـ ـ صبيا ـ راجع كتابنا المعجم الجغرافي الطبعة الثانية ص ٢٤١ .

---

(١) كان حد العمـران فى مادون المـطلع وغـربـا وانتشـر العمـران بعـد ذلـك من المـطلع وشرقاً وامتد جنـوبـاً وشمـالاً ، وفى حوالى سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م أحيا أمير منطقة جازان محمد بن تركى السديري =

الـذي بيننـا وأن نكـون يداً واحـداً في الدفاع للإيطاليين ، وماذا ترون لو رفض الإدريسي فأجابوا : إنه لا يرفض .

فأمر بتحرير رسالة بما قد جرى للإدريسي وما تم في الجلسة ورفع بالواقع إلى وزارة الحربية والداخلية وطلب الإذن بالاتفاق بالإدريسي .

بعـد عشرين يوماً تلقى رد الإدريسي كتابياً ، معرباً عن سروره بالاقتراح وأنه أرسل وفداً إليه مؤلفاً من محمد يحيى باصهي ، وأشخاص آخرين .

وقد وصل وفد الإدريسي إلى رجال ألمع وكتب رئيس الوفد لسليمان شفيق يشعره باستعداده للتفاهم في أمر الصلح ، وأنه وصل الشعبين بأمر الإدريسي لهذه المهمة مع زملائه .

وبـدلاً من أن يحضـر سليمان شفيق للمفاوضة إلى الشعبين القريبة من أبها أو إرسـال منـدوبين عنـه للتفـاوض ، بعث شخصاً إلى الشعبين ليستدعى الوفد الإدريسي للحضور إليه في أبها .

والموضوع في رأي سليمان شفيق أنه يمثل الحكومة التركية ، وأن الإدريسي لا يعدو واحداً من رعايا الدولة وأصبح ثائراً فعليه أن يعرب عن قبوله اقتراح سليمان بأن يرسل وفده إليه في أبها كبرهان على الطاعة واعترافاً بمركز الحكومة .

والإدريسي يرى بدوره أنه رجل قد اعترفت به الدولة التركية نفسها كزعيم مستقل إدارياً في تهامة عسير وقد كسب جولات في ميداني السياسة والحرب ، ووفودها تصل إليه من الآستانة لمفاوضته وأنه استجاب لاقتراح متصرف عسير كبرهان منه على حسن النية في هذا الـوقت فأرسـل وفداً إلى بلاد الشعبين ، قطع مسافات خمسة أيام تقريباً ، وليس بين أبها والشعبين إلا أقل من يوم واحد فكان الأجدر به أن يقابل الوفد أو يرسل وفداً من قبله للتفاوض مع وفد الإدريسي .

عاد الشخص إلى سليمـان شفيق يحمـل جوابـاً كتابياً من مندوب الإدريسي

= تل المنجـارة وسكنه ، والآن في شهر ربيع الأول عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م أصبح العمران شرق المنجارة وجنوبها وشمالها .

يعتذر من الوصول إلى أبها بأسباب انحراف صحته وعدم قدرته على تحمل برد (أبها) لذلك يرجو منه أن يتفضل بالنزول إلى (الشعبين) ، أو مكان وسط بين (أبها) والشعبين .

فأجابه سليمان شفيق بعدم استطاعته مفارقة مركز الحكومة ، يرجوه أن يحضر هو إلى (أبها) فاعتذر مندوب الإدريسي عن الطلوع إلى أبها .

ويعلق سليمان شفيق على هذا الأخذ والرد بينه وبين مندوب الإدريسي بما يأتي :

«فلما عاد رسولي إلى (أبها) تأكدت منه أن مندوب الإدريسي ليس مريضاً ولكنه يتحاشى الوصول إلى جبال عسير ، لئلا يظن الأهالي ، أن الإدريسي طلب الدُّخلة من الحكومة ـ أي الالتجاء إليها ـ وفي الواقع أنا أيضاً امتنعت عن النزول إلى رجال ألمع لئلا يكون في ذلك زيادة نفوذ للإدريسي في نظر الأهالي» .

في تلك الأثناء وصل جواب وزارة الحربية عن ما رفعه قبلا .

(ج) نؤكد لكم ما كتبناه سابقاً وهو ينبغى لكم أن تستفيدوا من النفوذ الأدبي والشخصي لدولة أمير مكة للتعويض عن بعض معاونته التي لا يمكن انفاذها الآن بسبب المشكلات الحاضرة ، وأن تحسنوا المحافظة على الحالة الحاضرة في بلاد عسير إلى أن يحل الوقت المناسب .

إن الوزارة تعترف بخدمتكم وبمساعيكم للمحافظة على السيادة العثمانية والشرف العسكري بحمية . ولما كان من الضروري أيضاً الاستفادة من نفوذ دولة أمير مكة في هذا الباب .

أما توقيف أمير مكة لبعض أشخاص من أهالي (رجال ألمع) وحجزه إياهم في مكة بصفة رهينة ، فإن الباب العالي استصوب ما أوجبته الحال في ذلك .

أمـا تجهيز الحملة على صبيا فمتـوقف على فتح طريق البحر ، ومـا دام

أسطول العدو نشيطاً كما هي الحال الآن فسوق القوات العسكرية إليكم لا تؤمن من مغبته .

ومع ذلك فإن عزت باشا يقوم بمساعي سرية لدعوة الإدريسي إلى الآستانة وبما أن هذه الحالة هي من نتائج الموقف الحاضر الناشىء عن الحرب الإيطالية فإن الأمل برويتكم أن تحسنوا المحافظة على الموقف الحاضر ، مع انتهاز الفرص إلى أن تنتهي الحرب .

وزيــر الحربيــة

ويقول سليمان شفيق معتذراً لنفسه عن موقفه من وفد الإدريسي أنه فهم من (تلغـراف) الـوزارة أنهـا تحيطه بشأن التدابير المتخذة لاستدعاء الإدريسي إلى الآستانة ، وأن من هو في مثل مركزه لا يخول له بحسب قوانين الدولة أن يفاوض بلا استئذان رجلاً مثل الإدريسي يتولى زعامة ثورة على الدولة .

لهذا اتخذ ذريعة من تمنع مندوب الإدريسي إلى أبها وكتب له أنه إذا لم يحضر إلى أبها فلا سبيل إلى إجراء المفاوضة وعلى أثر ذلك عاد مندوب الإدريسي إلى صبيا . وأنـه في نفس الوقت استفاد من تلك الفرصة من الهدوء والهدنة فجلب المؤن والعتاد من ميناء القنفذة إلى (أبها) .

خطاب من الإدريسي إلى الإمـام يحيى منشـور فى جـريدة «الأهـرام» :

من محمـد بن علي بن إدريس إلى الإمام يحيى . . «وإن مسألة الاتفاق مع الحكومـة لم نكن نحن غير راغبين فيها ولا كنا كلما اقتربنا نحو الاتفاق تعتمد الحكومة إليه تفسده . لقد بدأنا المذاكرة معهم أربع مرات وفي كل مرة نبدي نحن الملاينة ، والميل إلى الوفاق ، فلا يقابلوننا إلا بالكبرياء والجبروت والتحقير .

كانت مطالبنـا منهم في غاية البسـاطة ، والذي يسمع تفصيل هذه المطالب لا يتمالك من الضحك لبساطتها ، حتى إنها لا تستحق أن تسمى مطالب على أى وجه قلبناها .

١ ـ في المـرة الأولى جاءنـا الخواجة [١]توفيق ، فكانت مطالبنا منه في غاية البساطة ويومئذ لم نطلب منهم استقلالاً ، ولا شيئاً من هذا القبيل ، وإنما قلنا لهم أن الأراضي تكون للحكومة وجميع الواردات تعطي للحكومة ورواتب الموظفين تصرف من قبل الحكومة وغاية ما طلبناه هو :

١ ـ أن يكون لي الحق في دعوة الأهالي إلى أحكام الشرع .

٢ ـ أن أقوم بوظيفة تبليغ الناس أوامر ربهم .

٣ ـ أن يبقى التعامل في جازان على ما كان عليه من قبل .

٤ ـ أن تكف يد أمير مكة ، وصالح بن حسن عن التدخل في شؤون حجاج عسير .

٥ ـ أن لا تزاد القوة هنا عن مقدارها المعتاد .

ووعدناهم فوق ذلك بالسعي لعقد اتفاق بينهم وبينكم .

وإنما كانت مطالبنا يومئذ بسيطة إلى هذا الحد لأنه لم يكن حتى ذلك الحين قد سفكت بيننا الدماء ، ولكنها بالرغم من بساطة مطالبنا قابلونا بالشدة والجبروت فساقوا علينا الحملات العسكرية الكبرى بقيادة محمد علي باشا ، ومحمد راغب بك ، فامتلأ جازان بألوف العساكر ، وأعلن :

١ ـ أن حجاج عسير تابعون للشريف حسين بن عون .

٢ ـ ألقوا القبض على رجال بلاد عسير وأودعوهم السجون .

٣ ـ طالبوا الحجاج الذين عندنا ليسجنوهم .

ولما وصلت القوات العمومية كلها أمرونا بأن نفتح لهم الطريق التي يصلون بها إلى بلادنـا . . إننا لم نحتمل كل هذا فقررنا أن ندافع عن أنفسنا ، وقد انتهت أعمالهم أخيراً بانتصارنا المعلوم .

---

(١) هو : توفيق الأرنؤوطي شيخ الطريقة الأحمدية الإدريسية في «الأستانة» راجع ما تقدم عنه .

وفي المرة الثانية أنتم توسطتم بيننا فقلنا حسناً جداً ووافقنا على اقتراحكم ولكننا وصلنا إلى النقطة التي يستحيل تنفيذها ، وهي أنهم علقوا الاتفاق على سفرنا إلى الآستانة .

وقد فهمت يومئذ أن عملهم كان محاولة فقط ، والدليل على ذلك أنكم استأنفتم السعي وكررتم المراجعة بعد رجوع عزيز بك إلى مصر ، فكنتم تحاولون عبثاً .

وبعد ذلك جهزوا علينا حملة مؤلفة من تسعة وثلاثين (أورطة) عسكرية وساروا علينا بها فكنا مظهراً لعون الباري والصون الصمداني .

وفي المرة الثالثة توسط بيننا وبينهم الشراعي [1] باشا وبعض الإخوان فوافقنا على توسطهم بيننا ولكن الدولة قابلت ذلك بالسكوت .

وفي المرة الرابعة اقترح علينا المفاوضة في الصلح سليمان باشا متصرف عسير .

وذلـك أنـه لما وقع الاعتداء الإيطالي كتب إلينا يدعونا فيه إلى الاتفاق وترك الشقاق وأن نكون يداً واحدة كالإخوان ، فقلت على الرأس والعين ، وأوفدنا من يجتمع به ويفاوضه ووصل الرجل الذي اعتمدناه ، إلى مكان قريب من معسكرهم ودعي سليمان باشا للاجتماع والمفاوضة معه ، فكان سليمان باشا يماطل في الأمر أياماً ، اختلس فيها الوقت لتورد المؤن والنقود إليه فأنقذ نفسه وقوته العسكرية من الحالة السيئة التي وصل إليها .

وبعد أن استغنى بما استورده قلب لنا ظهر المجن ، وتظاهر بالعظمة وأجاب رسـولنا جواباً لا يليق به ، وأخذ يجهز الأورط العسكرية التي معه . فلما شاهد معتمدنا هذه الأحوال لم يجد أمامه ما يفعله إلا الرجوع إلينا ، من ذلك كله فإننا لما علمنا بما يفعله الإيطاليون من البطش والشدة توقفنا عن كل عمل ، ولم نشأ أن نقوم بأية حركة ، وكتبنا إلى كتيبتهم الموجودة في (ميدي) نقول لهم إذا كنتم في حاجة إلى شيء فأخبرونا .

---

(١) «الشراعي» هو الزعيم أحمد الشراعي باشا من زعماء تهامة اليمن وحاكم مدينة الحديدة .

وبينما نحن كذلك مر محمد علي باشا من القنفذة ، وياليته حصر أعماله في شئونه العسكرية بل بادر هو إلى إحراق جميع [1] منازل السادة والعلماء التي مر بها . ولما وصل إلى جازان لم يجد مكاناً يختاره ليكون مستشفى غير المسجد ، إن هذه الأعمال قد حملتنا على أن نجهز لهم قوات عظيمة سقناها إلى هناك لقد حاولنا في كل مرة أن نعقد اتفاقاً ، ولكننا لم نجد من يمد لنا يد الاتفاق .

***

الحمـلة الثـانية إلى جـازان :

إن فشل الحملة الأولى والهزيمة الساحقة التي منيت بها في طريقها لمورد الماء لمـدينة جازان (الحفائر) أفقدت الحكومة التركية هيبتها بين القبائل في المنطقة ورفعت معنوياتها القتالية واشتد تعلقهم بالإدريسي الذي لأول مرة منذ احتل الأتراك المنطقة تمكنوا بفضل الله ثم بفضل حكمة قيادته بالانتصار الخارق على الجيش التركى .

فأرادت الدولة أن تستعيد مكانتها وترفع سمعتها وتوطد مركزها فصدر الأمر إلى قائد القوات اللواء محمد علي باشا ـ الذي كان قد عين والياً لليمن وقائداً لجيش لمحاربة الإمام يحيى ثم عدل عن ذلك قبل أن يتسلم مركز الولاية وظل في الحديدة مع قواته التي بعث منها قسماً بقيادة محمد راغب بك وهزمت وسحقت ولما تم الاتفاق بين عزت باشا المفاوض والقائد العام في اليمن بقى ولا مهمّة لتلك القوات إلا انتظار الموافقة والتصديق من الآستانة على تلك الاتفاقية ثم الأمر بما تراه حول وجهتها .

فصـدر إليه الأمر بقيادة قوات الحملة بنفسه وحملت قواته معه بحراً من ميناء الحديدة إلى ميناء جازان على :

١ ـ النقالة العثمانية الكبرى (البحر الأبيض) .

٢ ـ عدد من البواخر التركية وغيرها .

---

(١) يشير إلى اشتراك بعض قوات محمد على باشا مع قوة فيصل بن الحسين في إحراق بيت مصطفى النعمي وغيره في بلدة «قنا البحر» ـ راجع ص ٧١٨ من هذا الجزء .

مزودين بمقادير عظيمة من الذخائر والمؤن والمعدات الحربية ، وصلت جازان وأنـزلت تلك القوات الهائلة وأخذت مواقعها واستنفر الإدريسي القبائل فأحدقت بجازان إحداق السوار بالمعصم وظل يستقي وجيشه الماء من آلة التقطير بالبواخر .

ظل محمـد علي باشـا في جازان وفي أواخر عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وصلته الأخبار بأن الأسطول الإيطالي مر حول مضيق جزيرة كمران في طريقه إلى جازان .

فحالا انسحب بقواته وسفنه من جازان إلى فرسان ، على فكرة محاولة العودة إلى تهامة اليمن والمرابطة في احدى موانيها حتى يتلقى أوامر وزارة الحربية ، علم متصرف عسير بخبر انسحاب محمد علي وما عزم عليه فكتب له كتاباً مستعجلاً كالآتي :

إن القيادة العامة في اليمن ـ بعد اتفاقها الأخير مع الإمام يحيى لم تعد في حاجة إلى قوات أخرى تلحق بجيشها ، أما حامية القنفذة فإنها ضعيفة فيستحسن مجيئه مع قواته وسفنه إلى القنفذة لأن بقاءه في فرسان أو مسيره إلى تهامة اليمن مع وجود الأسـطول الإيطالي يعـرضه للأسر . وكان قد قام بإحراق جميع الذخائر والمؤن والمعدات الثقيلة لأن انسحابه كان على عجل وشبت النيران فأحالت أفق جازان ومـا حولهـا إلى نهـار ضاحٍ وظلت النيرات ملتهبة من الضحى إلى قرب نصف الليل ، والإدريسي ورجاله وجيشه لا يعلمون ما هنا لك حتى تسلل بعض القبائل مستطلعاً فوجدوا المعدات والمؤن قد أتت النار على أغلبها والجيش قد انسحب فانـدفعت القبـائـل تنهب ما حول النيران فأرسل الإدريسي من رجاله من يجمع ما تبقى من الذخائر .

وصـل محمـد علي باشـا وقواته وسفنه إلى القنفذة وتعقبه الأسطول الإيطالي وضربها ضربا مروعاً ودمر السفن جميعها ما عدا السفينة الكبيرة (البحر الأبيض) وسفينة صغيرة أخرى وكانت قد غادرت ميناء القنفذة .

وكـان الجيش الإدريسي يهـاجم القـوات التـركية براً ـ كما سبق الإشارة إلى

ذلك ـ فيما تقدم ـ ومن ناحية أخرى بعث قادته ودعاته إلى قبائل عسير وما ورائها .

وعندما علم متصرف عسير بوصوله إلى القنفذة أرسل قوة من لديه لاحتلال بلدة محايل الموقع الاستراتيجى بين عسير وميناء القنفذة وباحتلالها وضعت الترتيبات لتأمين المواصلات وأرسل إلى محمد علي باشا الذي قد وصلته الأوامر من مراجعه بالبقاء في عسير مع قواته العسكرية فتوجه إلى «محايل» يرافقه :

١ ـ خمسة أورط مشاه .

٢ ـ بطارية مدفعية جبلية .

٣ ـ أربعة مدافع رشاشة .

٤ ـ مدفعين صحراويين .

٥ ـ كمية كبيرة من الذخيرة .

وقد وصل محمد علي إلى محائل وأقام فيها مع قوته .

خطة إدريسية لاسترداد محائل :

انسحبت القوات الإدريسية من محائل وتمركزت في (قنا البحر) ورفع بالواقع وصدر الأمر على قائده مصطفى النعمي بتجميع قواته في «قنا البحر» واستدعاء جميع رجال القبائل للحضور إليه ، كما أصدر أمره إلى كل من عرار النعمي في جهة بلاد قحطان وباقي القادة والدعاة في بني شهر وشهران وبارق والمخواة وبالقرن وبالأسمر وبالأحمر بتكثيف نشاطهم وموالاة جهودهم .

كما بعث قائده الآخر محمد طاهر رضوان بأن يرابط في جهة (حلي) انتظاراً لوصول الأسطول الإيطالي إلى مياه القنفذة حسب خطة التنسيق بين الإدريسي وإيطاليا . ثم تقدم إلى جهة القنفذة حسب خطة التنسيق ووصلت الأخبار إلى أبها بحركة التجمع في قنا البحر فأصدر أمره لقواته في محائل بالانسحاب الفوري إلى أبها .

إن الإدريسي متفق ـ كما وضحنا ـ مع إيطاليا على القيام بثورته في تلك الجهة على تركيا لتخفيف الضغط على جبهتها في طرابلس الغرب .

والآن وقد أعلنت الحرب على تركيا وضرب أسطولها المواني التركية وبالأخص ما كان على شواطىء البحر الأحمر وضربت نطاق الحصار عليها فقد تنفس الإدريسي الصعداء وأمكنه استقبال السلاح والذخيرة بدون مضايقة من الأتراك ، وبذلك زاد نشاطه السياسي والحربي وامتد إلى الجبال الشرقية إلى قرب (هجرة فلله) وجهات صعدة كما رفع نشاطه في تهامة اليمن .

كان لتحركات الأسطول الإيطالي ونشاطه الحربي خطره على الموانىء العثمانية في البحر الأحمر وضربه لمدنها الساحلية ـ كما وضحنا قبله ، وكان ضربه للقنفذة في ١٩١٢/٣/٠٠ وسبقه وتلاه ضرب بقية المواني وفرضه الحصار البحري ما عدا المواني الإدريسية .

وعلى أثر ذلك رفع متصرف عسير البرقية الآتية إلى وزارتي الحربية والداخلية بتاريخ ١٩١٢/٥/٢٢ .

(علمت بأن بوادر الثورة ظهرت في (تمنية) و(قحطان) ، وأن الثوار أخذوا يتجمعون فصحبت قوة نظامية مؤلفة من ست أورط تتألف من ألفين ، ومعها قوة مساعدة من قبائل عسير الذين حول «أبها» مع شيوخهم ، فوصلت إلى «شعف» ومنها إلى عقبة تمنية المشرفة على وادي (ركان) ويصعد إليها من وسط مضيق ، وهي ترتفع عن سطح البحر ألفان وأربعمائة متر ، فسرت جنوباً إلى بني مالك بين غابة وصخور صماء في جبال شامخة ، ونشبت بيننا وبينهم في الصباح حربٍ دامت أربع ساعات إلى أن تغلبنا عليهم بمساعدة القبائل المنضمة إلينا فاحتلينا القُرى ، وفي اليوم الثاني نشبت معركة أخرى بيننا وبين الثوار في سفوح تهامة فشتتناهم) .

(ورجائي عظيم أننا متى انتهينا من هذه الجبهة سنتمكن بمساعدة القبائل التي يتوالى انضمامها من تدمير المتمردين الموجودين في عَبِيدَة وشهران ،

والقوز ، بذلك نطمئن على مصير «أبها»، ونملأ مخازننا بالمؤن من أموال الزكاة ثم نقصد (بلحمر) لنمتد منها إلى (بني شهر) تأميناً للمواصلات مع القنفذة و(الحجاز) من طريقي تهامة والجبل .

إن من الواجب مكافأة الأشخاص الذين ما برحوا يخدموننا أحسن خدمة في الحرب التي استمرت منذ سنتين إلى الآن ، وقد قدمت للوزارة في العام الماضي عريضة مع سجل بأسمائهم فلم يردني جواب مما يدل على أنها ضاعت في الطريق ، لهذا بادرت الآن بتقديم سجل آخر مع البريد راجياً تحقيق ما طلبته .

كنت اقترحت في السابق إبقاء أورطتين أو ثلاث فقط في القنفذة ، وأن يأتينا ست أورط ومدافع ومهمات ، وملبوسات والتسعون ألف جنيه ، التي وعدتمونا بها ، فإذا جاءت من طريق الجبل فإن مصير عسير سيكون في طمأنينة ، ولا نحتاج إلى معونة أحد ، ويمنع ذلك سريان روح الثورة نحو الشمال ، وإذا لم يحدث حادث جديد يبدل موقفنا الحاضر فإنه بوصول القوة التي ستحضر إلينا يمكننا أن نحل مسألة صبيا ، بشرط أن لا يكون جنود كل أورطة أقل من ثمانمائة جندي .

وإني لأسباب كثيرة أقول : (إن قيام الأمير فيصل بن الحسين بالإصلاحات التي هو قائم بها في القنفذة وضواحيها هو عمل لا بأس به)

متصرف عسير وقائدها .

وفي أثناء رحلته التفقدية تلقي وهو في بلدة خميس مشيط رسالتان :

١ ـ إحداهما من عزت باشا القائد العام لجيوش اليمن .

٢ ـ والأخرى من قيادة فرقة الحجاز .

فأجاب على الرسالة الأولى بما نصه :

إلى القيادة العامة لجيوش اليمن في ١٧/٦/١٩١٢م ـ ١٠/١٣٣٠هـ تلقيت منذ أيام أمركم المؤرخ ١٢/٤/١٩١٢ وقد تأخر وصوله إلى يدي حتى الآن بسبب بقائي مدة شهرين في أرض قحطان بمناسبة الحركة الأخيرة .

على كل حال ما عرضته على أنظاركم أولاً وآخراً لا زيادة فيه ولا نقصان وهو الحقيقة بعينها لم نقم بحركة ما على رجال ألمع في شهر فبراير ، ولم يهرب أهالي رجال ألمع من بلادهم ولا حدثت أية فوضى أو اختلال في نظام الجنود وطاعتهم .

والذي حدث يومئذ هو أن محمد علي باشا ، الذي كان موجوداً في محائل قام بحركة على (قنا) التي تبعد ست ساعات عن محائل ، وأخذ معه :

١ ـ الأميرالاي حيدر بك .

٢ ـ البكباشي زكى بك الشركسي .

٣ ـ البكباشي زكي بك الكردي .

وخمسمائة من جنود المشاة ، وبعض المدافع الرشاشة والرشاشات ، وقد أمضى ذلك دون أخذ رأيي ، ولما اقترب من قرية «قنا» مركز القائد الإدريسي (مصطفى النعمي) وصار منها على مرمى المدفع ، هاجمه الثوار بمظاهرة بالسلاح الأبيض ، فخاف منهم ، وقرر الرّجوع بلا حرب فقال القواد الذين معه : إن الرجوع سيزيد الثائرين ضراوة وعتواً وجرأة ، بحيث لا يستطيع الجيش البقاء في محائل نفسها ، فلم يصغ إلى نصائحهم ، وانسحب راجعاً إلى محائل تحت جنح الظلام ، ومن ذلك اليوم أصبح مصطفى النعمي ذا قوة وبأس وسطوة ، وزحف بالثوار إلى الأمام حتى نزل أمام بلدة محائل .

وسرت العدوى إلى قبائل رجال ألمع ، فثاروا بدورهم وانقطعت الطرق وصار الثوار يغزون محائل ليلاً .

«الأمر الذي أنا آسف له هو أن الحجاز تحاول مخادعة العاصمة قائلة : إنها أمسكت رهائن من زعماء رجال ألمع ، وحَلَّفتهم يمين الطاعة للدولة حتى صاروا موالين لها .

ومن جهة ثانية تذهب الأخبار بأن قوة صغيرة استولت على رجال ألمع وهرب أهلها وأن الانتصار كاد يتم لولا عصيان الجند ، ويراد بهذه الأساطير

تصغير مسألة رجال ألمع وتأويل صراخنا بأنه ناشيء عن الجبن والوهم ، منعاً لقيام الدولة باستعداد جريء .

إن مسـألـة عسير ما برحت هكذا يخالط أمور الجد فيها أعمال كاذبة فتخفى الحقـائق عن الأنـظار وبينما دولة أمير مكة ، عاجز عن إيصال البريد إلى عسير ينتحل لنفسه نفوذاً مادياً وأدبياً ليستفيد من وراء ذلك ، ويرسل العشرات من الرجال أمثال : . . . فيظهر بمظهر الموظفين ليسعى بواسطتهم إلى استمالة القبائل نحوه ، ونحن نتلقى الأوامـر بأن نساعد هؤلاء المتشردين لأن هؤلاء الموظفين ، فى أي منطقة استطاعوا أن يستميلوا أهلها ، أو يستطيعوا أن يستميلوهم .

هذه مناطق غامد ـ زهران ـ بنى شهر ـ القنفذة . كل هذه المناطق في حالة ثورة لا يمكن مرور البريد في أراضيها ، وهذه مناطق محائل وصبيا ورجال ألمع كلها في أيدي الثـائرين ، أما قاعدة البلاد التي نحن فيها فالذي نتصرف فيه منها لا يتجـاوز مرمى مدافعنـا ، وبنـادقنـا ، وعلى ذلـك ينبغي القضاء على مثل تلك السفاسف والألاعيب .

(إن قسم الجبال في عسير هو روح عسير فمادامت الدولة موجودة فيه فعسير في يد الدولة وإذا أريد حركة مؤثرة على صبيا فأصلح مركز لها هو القسم الجبلي الذي ما دام هو في يدنا فإن ثورة الجنوب لا تسري في الشمال) انتهى .

أما رسالة قيادة الحجاز فقد جاء فيها :

(إنها لا يمكنها إرسال حبة واحدة إلى أبها عن طريق الجبال وتعمد متصرف عسير بفتح خط تموين بين القنفذة وأبها عبر محائل) .

وعن أثر ذلك رفع متصرف عسير إلى وزارتي الحربية والداخلية الرسالة الآتية :

(لقـد عرضت لكم أخيراً بالتفصيل أن الاستيلاء على (محـائـل) سهـل وممكن في كل وقت بالقـوات المـوجـودة عنـدنـا ، غير أنـه من المستحيل

البقاء فيها ، وتأسيس خط تموين مع المحافظة في الوقت نفسه على القسم الجبلى من عسير »

إلى أن قال «إن شؤون عسير صار يتدخل فيها كل من شاء حتى أصبحت ألعوبة صبيان ، والأخبار التي تنشر عن وقوع انتصارات في «القوز» وغيرها كلها أكاذيب ، فالثوار الذين هاجموا القنفذة قد تفرقوا بوجه الصدفة بقوة «الرديف» «وقرعة ١٣٢٢» اللتين ذهبتا إلى القنفذة متمردتين .

ومن ذلك اليوم انتقلت قوة الثائرين التي في جوار «القنفذة» إلى أنحاء «محائل» ، وجوار ألمع والقوة التي يقودها فيصل بك في القوز إذا كانت غير قادرة على ضرب رجال ألمع فلماذا هي هناك ولماذا أصبحت قواتنا الجديدة التي هناك معطلة عن العمل كما هي سائر قواتنا .

إن من الواجب في الحالة الراهنة أن نحافظ على القنفذة فقط ، أما سائر القوات المهمة فيجب أن تأتي إلى (النماص) لأن المستقبل مظلم ، والنتيجة مشكوك فيها فلا مناص من الاجتماع في الجبل».

إلى أن قال :

وإذا انتهت هذه الحركة بالنجاح ـ إن شاء الله ـ ووصلت إلينا الجنود والنقود فإن سلطة الدولة في عسير تبقى ونكون حائلين دون اتساع سلطة الإدريسي إلى الشمال ـ (الحجاز) ـ

(ومحاولة الاتفاق مع الإدريسي لا معنى لها غير توسيع دائرة الثورة إلى العراق وسوريا فهي سم قاتل ، وإن كان هناك ضرورة لتلافي الأمر فلا أقل من التزام خطة التريث مع موافاتي بالمعلومات عن ذلك) انتهى .

الفصل الرابع

وصول فيصل بن الحسين

منذ أن طلع الحسين بن علي مشارف الجبال الشرقية عن القنفذة وهو يشق طريقه شقاً بين جيش الإدريسي وقبائل تلك الجهات الموالية له ، راجع منشور الإدريسي فيما يأتي ـ ، أما بالنسبة إلى حلي فقد عاد الجيش الإدريسي واحتل مراكزه السابقة في تلك الجهات بعد رحيل الحسين مباشرة .

لذلك فإن الحسين بن علي بعد وصوله أبها لم يستطع الرجوع من الطريق نفسها إلى الحجاز وهي الأسهل ، فعاد مضطراً عن طريق بيشه الأصعب والأبعد .

(والقوز) بالنسبة إلى ذلك العهد موقع استراتيجى على طريق صبيا والحجاز والنفوذ الإدريسي قد امتد وانتشرت دعوته روحياً وسياسياً بين القبائل لا قبائل وادي حلي فقط بل وقبائل القنفذة ودوقة والليث .

والإدريسي نفسه كان يطمع في القنفذة ليجعلها مركز انطلاق إلى ما بعدها لولا الحامية التركية المتمركزة والظرف الغير مؤاتي ، حينئذ والحسين يعرف ذلك وإعلان إيطاليا الحرب كثف نشاط الإدريسي الحربي حول القنفذة أولاً ثم يستأنف بعد ذلك نشاطه الروحي في الليث يتلوه نشاطه الحربي ، وصادف أنه بعد إعلان إيطاليا الحرب وضرب أسطولها في القنفذة رفع متصرف عسير إلى وزارة الحربية أن ترسل أورطتين فصدر أمر الوزارة إلى قيادة الحجاز بإرسال تلك الأورطتين فاغتنم الحسين أمير مكة الفرصة ورفع بأنه يرى بأن يرافق الأورطتين قوة من العربان وأن يكون ذلك بقيادة ابنه فيصل بن الحسين ليتصدى للقوات الإدريسية .

فصدرت الموافقة ، وتقدم فيصل إلى القنفذة ، فوصلها ترافقه قوة مشتركة من النظام والعربان وأخذ في مكاتبة شيوخ بوادي القنفذة وحلي

وغيرهـا يَستَمِيلُهم بالهبات والعطايا والأماني والوعود ، وفعلا استطاع أن يستميل بعض شيوخ تلك القبائل مما أحدث شرخاً في جدار الدفاع الإدريسي ، تلاه بعض التصدع في الجبهة فتسلل منها إلى قوز بالعير الذين بعض رجال قبائله استمالهم الإغراء الهاشمي وشعر الجيش الإدريسي بالخيانة من أهل القوز فدافع على حذر وهو يتراجع جنوباً ليكون خطوطه في أرض ثابتة وقبائل مخلصين .

ومن القوز كتب إلى متصرف أبها الرسالة الآتية :

من فيصل بن الحسين إلى جناب سعادة متصرف عسير .

(تلقيت بيد الاحترام والتكريم كتابكم المؤرخ ٢٢ نيسان سنة ١٣٢٨ الموافق ٥ مايو سنة ١٩١٢ المؤشر عليه بأنه كتاب خاص ، وإني أشكر لكم على ما أعربتم عنه نحوي من المحبة والإخلاص في النية .

(ولما عَلِمَتْ إمارة مكة المكرمة ، وقيادة الحجاز أن الأشقياء والإيطاليين سيقومون بحركة مشتركة على القنفذة أبلغت ذلك إلى وزارة الحربية ، وجعلت تحت قيادتي قوة لحماية القنفذة والدفاع عنها عند اللزوم ، ثم للاتحاد مع القوات النظامية متى ترد عن طريق الشام على عزم التقدم بها نحو الهدف المقصود بعد المداولة مع قيادتكم والاتفاق على خطة بشأن الحركات التي ينبغي القيام بها .

وإني أحمد الله تعالى على ما وفق إليه من دفع الأشقياء أولاً إلى منطقة « القنع » على أثر الهمم المتوالية التي أبرزها كل من أورط الرديف والاستبدال القادم من محائل ، والقوات الموجودة في القنفذة ، وثانياً في المعارك الصغيرة المتعددة التي اشترك فيها داعيكم في أنحاء (حلي) و(الكفيرة) و(عمق) و(البرق) تشتت بذلك شمل الأشقياء وتطهر منهم كل الجهات المذكورة .

ورأى هذا العاجز فيما يتعلق بالتدابير التي ينبغي أن نتخابر لتقريرها هو ما يأتي :

إن الأمر المعلوم الذي تفضلتم ببيانه هو أن الخائن الإدريسي ؟ حصر آماله وبني خطته على انتهاز فرصة الحرب الإيطالية ليبسط سلطانه على جميع سواحل عسير ، ويكون على صلة بالخارج حتى يعترف له العالم بكيانه ، فإذا احتل القنفذة تمكن من الزحف إلى الحجاز ، وعلى ذلك فإن من المستحيل أن أجلو عن موقع «القوز» لأهميتها العسكرية من جهة ، ولأنها ملتقى الطرق الآتية إلى القنفذة :

من محائل ، ومن الجهة الجنوبية . وإن جلائى عن الموقع مخالف للتعليمات التي تلقيناها من مكة .

(أما القيام بحركات متقابلة مع دولة عزت باشا لإنهاء مسألة صبيا فهو ليس بالأمر العسير كما تظنون ، بل يمكن بعون الباري وعنايته أن يتم هذا الأمر بقليل من الهمة .

وإذا تأخرت هذه الحركة الآن ، أو إذا لم تنته بالنجاح المأمول فإن من الضرورى جداً ـ مهما كانت الحال ـ فتح الطريق بين أبها والقنفذة ـ الذى يتم بالرجوع إلى احتلال محائل لأن به تتعطل الحركات الإدريسية نحو الشمال ، وتعود المواصلات بين أبها والقنفذة وجدة .

أما مسألة تأمين المواصلات بين عسير والحجاز من طريق الجبال الذى يمر بأبها وتنومة وبنى شهر ـ شمران ـ بالحارث ـ غامد وزهران ـ بنى مالك ـ فهو طريق غير صالح لسير القوافل وفضلاً عن ذلك فإن القبائل التي تسكن تلك المنطقة لم يكن لها علاقة قط بالحكومة منذ خمسة عشر عاماً ، وما برحت في حالة من العصيان .

إن حمل هذه القبائل على الرضوخ للطاعة تأميناً لذلك الطريق لا يكون إلا بعد زمن طويل باستخدام قوات عظيمة . زد على ذلك أن جمالة الحجاز عاجزة عن نقل الأثقال في تلك الحزون الصعبة المسالك . وكل ما يمكن لإمارة مكة وولاية الحجاز أن تفعلاه ، هو اتصال المؤن والمهمات إلى عقيق غامد فقط ، فتضطر حكومة عسير إلى تدبير الجمال من جهتها لنقل هذه الأشياء من عقيق غامد إلى أبها .

أنا على يقين من أن التدابير التي تقومون بها جنابكم في شؤون عسير تكون مصيبة كل الإصابة بالنظر إلى ما أنتم عليه من فرط الذكاء المسلم به والكفاءة المعلومة ، يضاف إلى ذلك تجارب أربع سنوات في هذه البقاع ، ومع ذلك فإن لكل إنسان فكراً مستقلاً واجتهاداً ينفرد به .

من هذا القبيل الآراء التي شعرت بالحاجة إلى بيانها آنفاً .

لابد أنكم قدرتم درجة المخاطر ، وعظيم المهالك التي تحملناها في إيصال المبالغ التي أرسلت في الطريق الشرقي إلى أبها ، وأن والدي أخذ على عاتقه المسؤولية بحذافيرها وأرسل ألوف الجنيهات إلى أبها ، فاجتازت قبائل مختلفة المشارب وهو لم يفعل ذلك لغرض أو في مقابل فائدة ، بل لمجرد الصداقة والإخلاص للدولة .

وعمله هذا دليل على أنه لم يصغ بأذنه إلى أى تسويل مبني على الغرض وكان في إمكان والدي أن يقتصر على الاشتغال بشؤون الحجاز التي هو مسؤول عنها ولكن لحميته الدينية والملية نحو الإسلام ، والجامعة العثمانية مد يد العون لعسير .

وأي رجل من رجال الحكومة يأخذ على عاتقه عبئاً ثقيلاً كنقل عشرات الألوف من الجنيهات بين قبائل مختلفة متوحشة إلى محل بعيد مسيرة خمسة عشر يوماً ، فأي ضمير شريف يقول بأن رجلاً يقوم بهذه المهمة يكون في قلبه حب الخصومة للأشخاص الذين يساعدهم .

تقولون : أنكم تلقيتم من والدي جواباً قاسياً على كتاب أرسلتموه إليه وعلى ذلك قررتم قطع المخابرة معه ، ومما يبعث على العجب والحيرة أن رجلاً مثلكم من أصحاب الرأي يبدي رأياً يباين الواقع .

ياحضرة الباشا ، لو أن والدي يشعر نحوكم بالخصومة ـ كما تقولون ـ لكان لا ينبغي له أن يفكر في بلاد ليست مسؤولة منه ، ولا هي داخلة في دائرة وظيفته ولا يتحمل مسؤولية في إسعافها بالأموال اللازمة لها ، وإن عمله هذا برهان على أنه يسعى لخدمة هذه المملكة ولو خدمة صغيرة

غير ناظر إلى شيء من الأمور الشخصية ، وفي سبيل الحصول على هذه الأمنية لا يمكن لأسرتنا أن تنسى الوظيفة المقدسة لأجل خدمة الآخرين وميولهم .

وصفوة القــول : إنني أؤكد لكم بصورة قطعية أن والدي لم يكن في وقت مستاء منكم .

وتقولون في كتابكم الكريم : إن الحكومة أمرتكم بأن تعملوا بالاتفاق مع والدي وأن ضميركم يعترف بأن والدي لما كان في أبها كان حريصاً ـ قبل كل شيء ـ على العمل معكم باتفاق . غير أن الاقتراحات التي كان يقترحها في هذا الباب كان يحملكم الـوهم على تلقيهـا تلقياً سَيِّئـاً ، وكـان ديدنكم دائماً القول بأن القائد المستقـل في حكومتنا الدستورية لا يتنازل عن شرفه ومكانته وكنتم بقولكم هذا تناقضون ما تأمر به الحكومة المركزية من العمل باتفاق ، وكان ذلك سبباً لتأخير مشاكل عسير سنة أخرى بعد أن كان ممكناً حلها في السنة الماضية ، فأدى ذلك إلى تضحية عدد عظيم من أبنـاء الأمـة العثمـانية وخسارات مقادير من المال ، ومواجهتنا للمشاكل العسكرية .

إن الأورط المنتـظرة مجيئهـا لم نعلم من أي فيلق هي ، وإني أعرض ذلك ملتمساً قبول فائق احتراماتي .

نجـل أمـير مكـة : فيصـل

أخـذ فيصـل كمـا أسلفت يستميل القبـائـل التـابعـة للإدريسي رغبـة في التغلغــل في أراضي القبــائـل التـابعـة للإدريسي ، وأن يغـزو معقـل ومـركـز القـائد الإدريسي (مصطفى النعمي) في « قنا والبحر » فتقدم إلى مركز محائل حيث معسكـر محمـد علي باشـا والتي تبعـد عن (قنـا والبحـر) بـ ٣٥ كيلا وفعـلا تقـدم جيشـه مع بعض جنـود محمـد علي وهـاجموا على حين غرة بلدة قنـا والبحـر وأحرقوا بيت مصطفى النعمي ، إلا أنهم اضطروا تحت وطأة هجوم مضـاد إلى الانسحـاب السريع والقبائل تطاردهم إلى أن احتموا ببلدة محائل ،

ويظهر أن الدرس الذي تلقاه كان صعباً فانسحب من محائل إلى جهة القنع والقوز .

رحـــلة سليمـــان شفيـق التفقـــدية :

أشـــرنـا قبْـلُ ـ إلى البـرقية التي رفعهـا سليمـان شفيق إلى وزارتي الحـربية والداخلية ، المتضمنة قيامه بتلك الرحلة أو بالأصح الحملة والقوات التي ترافقه من الجيش النظامي ومن القوات المساعدة .

وما قام به من مناوشات وقتال في تمنية وقحطان وفي أثناء تلك الجولة وصلته رسالة من محمد علي باشا سوف نوردها .

لقد وصل إلى (تَمنية) في (شعاف) وانتهت حركته بالاستيلاء على القرية ومنها صار إلى (آل مجزع) ونزل في قريتهم وكتب منها رسالة إلى شيخ مشايخ (تمنية) حمود وطلب مقابلته فاعتذر .

وفي صباح الليلة التالية لوصوله إلى (آل مجزع) استولى على (المضيق) وقد بقي في (تمنية) أكثر من عشرين يوماً يكاتب القبائل ثم رحل منها إلى (آل أمينفع) وبعد أن لبث فيهم ثلاثة أيام توجه بعدها إلى (رفيدة اليمن) وفي أثناء وجوده في رفيدة وصلته رسالة من محمد علي باشا الموجود في أبها بأنه وصل إلى علمه بأن قبائل رجال ألمع يقصدون السير من طريق (محائل) إلى وادي تَيَّة متجهين إلى «شعار» بالهجوم على أبها ويطلب عودته إليها بسرعة فأجابه يخبره بخط سيره وأنه سيكون في شعار بعد خمس أيام أو ستة .

وصار من وقته إلى (زعي) ومنها قصد (شهران) فوصل إلى خميس مشيط ومنه صار إلى أبها .

وإذا كان يصف نتـائج تلك الحملة بالنسبـة إلى سياستـه في (عسير) وأن القبـائـل أخلدوا إلى السكينـة والأمن إلا أنـه يقـول في آخـر مقطع من وصف رحلتـه أو حملتـه (استغـرقت رحلتنـا هذه نحو خمسة وخمسين يوماً ، ولم أنَمْ

فيها باطمئنان إلا عندما دخلت منزل عبد العزيز بن مشيط في قرية ذهبان (على بعد نحو ثلاثين كيلا) من «أبها».

محمـــد علـي باشـــا :

عين محمد علي باشا قائداً لقوات اليمن تحت رئاسة القائد العام عزت باشا الذي أبقاه مع قواته في جهات الحديدة وتوجه إلى صنعا محاولا التوصل مع الإمام الذي هو بدوره قد قام بثورة في الجبال ضد الدولة ـ وعندما توصل معه إلى الصلح وأبرم معه معاهدة (دعان) المعروفة أصبح الأمر لا يحتاج إلى تلك القوات ، وبما أن المفاوضة أخذت وقتاً ورفعها للتصديق يحتاج إلى وقت والترقب لإعلان إيطاليا الحرب قائم ، وموضوع الإدريسي وثورته ضمن الاهتمامات الحاضرة فقد ظل الجيش في معسكراته .

ورأى عزت باشا في آخر اتصالاته القريبة من النجاح الاتصال بالإدريسي فاستمزج في ذلك رأي الإمام يحيى ، وكان التنافس بين الإمام يحيى والإدريسي قد استحال إلى عداء مبطن بالتربص ـ راجع الفصل الثامن بين الإمامين يحيى بن حميد الدين والإدريسي ـ وأحب الإمام يحيى أن يرى لِعزت باشا أنه صاحب نفوذ أدبي على الإدريسي فكتب للإدريسي الرسالة التي أوردنا جواب الإدريسي عليها فيما تقدم ـ ومن فحواها تعرف أن الإدريسي كان يجيب من موقع القوة . ويعتبر نفسه نداً قوياً للإمام يحيى .

وبينما يقال : إن الإمام يحيى كان متفقاً مع عزت باشا على استدراج الإدريسي للاستجابة لزيارة الآستانة حتى إذا وصل إلى هناك معروف مصيره .

وإنما أسقط في يد الاثنين فالإدريسي كان أفطن وأبعد نظراً من أن يستدرج لمثل تلك الخديعة فأحب عزت في أثناء مراسلته مع الإدريسي أن يحوز ولو على نصر مؤقت يعينه على تليين موقف الإدريسي ، فأصدر أمره على قائد الجيش محمد علي بأن يرسل فرقه مؤلفة من أربعة آلاف وخمسمائة

جنـدي بقيادة محمـد راغب بك إلى جازان لمهـاجمـة الإدريسي فكـانت وقعة «الحفائر» التي أبيدت فيها أكثرية تلك الفرقة وهزمت شر هزيمة .

وعندما بلغ ذلك عزت باشا ويَئِسَ من استجابة الإدريسي أمر محمد علي بالتقدم بجيشه إلى جازان لمحاربة الإدريسي فوصلها كما وضحناه فيما تقدم .

فعاجلهم إعلان إيطاليا الحرب ودخول أسطولها إلى البحر الأحمر فاضطر القائد محمـد علي باشـا وجيشه وسفنه إلى الانسحاب من جازان إلى جزيرة فرسان ، فيخشى الأسر أو الحصار إن بقى في جزيرة فرسان والتدمير والهلاك إن عاد إلى معسكره في جهات الحديدة ، فانسحب إلى القنفذة فتبعه الأسطول الإيطالي ودمر سفنه ، وهاجمه الجيش الإدريسي بـراً ـ كما سبق التوضيح .

وإنمـا استطاع الاحتفاظ بمركزه في القنفذة بعد انسحاب الأسطول الإيطالي وانسحاب الجيش الإدريسي إلى قاعدته في قوز أبي العير ـ ثم بعد ذلك أبقى من أبقاه من جيشه في القنفذة وسار ببقيته إلى محائل وظل بين أبها ومحائل وتعاون مع فيصل في غزو «قنا والبحر» حتى صدر له الأمر بالعودة .

الفصل الخامس

حملة جديدة على الإدريسي

في ٧/٣/ ١٩١٢ ـ وصلت رسالة سرية من عزت باشا القائد العام للقوات التركية في جنوب الجزيرة العربية بطريق الجبال بواسطة الإمام يحيى على يد بعض مشايخ صعدة إلى سليمان شفيق ومضمون الرسالة :

(تقرر تسيير حملة عسكرية على الإدريسي في صبيا ، وأن القيادة العامة قد حشدت عشرة آلاف جندي من المشاة والفرسان والمدفعية في بلدة (الزُّهْرة) على مسافة خمسة وثلاثين كيلا شرق ثغر (اللحية) وعلى مسافة ما بين سبعين وثمانين كيلا من صبيا [١]. وستزحف إليها من طريق البر والبحر وأن الإمام يحيى بدوره سيزحف بالقبائل الزيدية من طريق الجبال جاعلاً هدفه جبل النظير الذي يبعد عن صبيا بسبعين كيلا ـ والصحة أن جبال النظير تبعد عن صبيا بمائة وعشرين كيلا لا سبعين كيلا ـ وسيكون على صلة وتنسيق بالجيش الزاحف من الزُّهْرة حتى تصل القوتان صبيا في آن واحد ، وأن على متصرف عسير وقواته الاستعداد للتقدم من الشمال نحو صبيا مع الاستعداد بالمؤن والذخيرة ، وأن يعهد بتصريف إدارة بلاد عسير لـ (محمد علي باشا) الموجود معسكره على مقربة منه في بلدة محائل) انتهى .

باستلام متصرف عسير للأمر السري أخذ في الاستعداد والتَّهَيُّؤ واتصل بمحمد علي بواسطة آلة المخابرة بالأنوار طالباً سرعة وصوله إلى أبها .

وكتب إلى عزت باشا الجواب الآتي :

(بعد التمهيد والإفادة بما تم من الاستعداد من نقل الجند والأرزاق والمهمات الحربية عن طريق البحر غير ممكن بسبب الحرب مع إيطاليا ،

---

(١) المسافة بين « صبيا » و « الزهرة » نحو مائتين وخمسين كيلا .

وعلى ذلك فإن الاعتماد في هذه الحَمْلَةِ بحيث أن يكون عن طريق البر فقط ، ومعلوم حضرتكم أن جو «تهامة» حار جداً في كل الأوقات .

والجند لا يستطيع أن يجتاز في اليوم الواحد أكثر من عشرين كيلا ، وفضلا عن ذلك فإن جميع القبائل من (الزُّهْرَة) إلى صبيا كلهم من التابعين للمذهب الشافعي ، وجميعهم من أنصار الإدريسي ، فالجند يسير من (الزهرة) إلى صبيا ، وهو يقاتل قتالاً متواصلاً بلا انقطاع شاء أو أبَى .

ثم إن آبار الماء التي على الطريق واقعة تحت ظلال أشجار السنامكي ـ الذي نعرفه أن من حدودنا مع اليمن إلى صبيا لا وجود لأشجار السنامكي على الطريق وإن كان يوجد نادراً في بعض المحلات البعيدة عن الطريق نسبياً ـ ولذلك فإن مياهها مسهلة ، وسينال الجند من شربها ضرراً بليغاً ، وبصرف النظر عن ضررها ، فإن فى استطاعة القبائل أن تردم هذه الآبار كلها فلا يجد الجند الماء للشرب .

وعدا ذلك فإن الجناح الأيسر لهذه الحملة لن يكون محمياً بسفن حربية في البحر بسبب الحرب الإيطالية .

لذلك أرى هذه الحملة لا تقوى على إجراء مثل هذه الحركة العسكرية الخطرة في أرض تهامة وإذا فرضنا المستحيل ، وتمكنت هذه الحملة من الوصول إلى صبيا منتصرة وناجحة ، فإن هناك مشكلة ، وهو أمر إعاشة هذه القوات الكثيرة المجتمعة في مكان واحد وإعداد المؤن الكافية لها مع انسداد باب البحر .

ولا ريب أن الطريق الذي تشقه الحملة لتمر منه إلى الأمام سيقطع عليها من ورائها بعد مرورها منه لأن القبائل ستعود إلى احتلال جميع المواضع التي مر الجنود منها ، فيصبح من المستحيل مجيء المؤن والذخائر ، والمهمات الحربية ، من الحديدة إلى معسكر الحملة حيثما وجدت .

على أنه إذا حضرت القوات النظامية الموجودة في (الزهرة) واقتربت من الجبال مع قوات الإمام يحيى ، وتولى الإمام إحضار المؤن والذخائر

اللازمة للجيوش فأرجو عندما تصل القوات إلى «النظير» وتتحول إلى الغرب للسير إلى صبيا ، أن تأمروا بإخباري في الحال لِأُعَيِّنَ يوم حركتي أنا أيضاً .

وإن في استطاعتي أن أسير بألف جندي من المشاة ، وأربعة مدافع رشاش وبطارية جبلية بسرعة عظيمة من الطرق التي أختارها أنا بحسب الحال .

ويمكن حينئذ أن أصل صبيا في أربعة أيام ، أما إذا وصلت صبيا ولم تكن القوات التي ذكرتموها هناك ، ولم أتمكن من الانضمام إليها ، فتأكدوا أنني في تلك الحالة أقع في الهلاك الذي لا ريب فيه). انتهى .

في ذلك الحين تمردت أربع أورط من الرديف طالبين الرجوع إلى بلادهم فأذن لهم بالسفر إلى القنفذة ، وفيما هم سائرون على بعد مرحلتين من محائل التقوا بقوة من الجيش الإدريسي بقيادة «محمد طاهر رضوان». ومعه مدفعان إيطاليان فحاصرهم . في تلك الأثناء بلغ جند «أبها» أن القائد العام عزت باشا سمح لجنود قرعة سنة ١٣٢٥ و١٣٢٦ بالرجوع إلى تركيا ، فثار من كان في معسكر «أبها» منهم وهم نحو أورطتين ، ورأى سليمان شفيق أن الوقت لا يسمح بأخذ إجراءات قاسية نحوهم فسمح لهم بالتوجه إلى القنفذة ـ بعد إنقاذ إخوانهم المحاصرين من الجيش الإدريسي في الطريق ـ فوافقوا على ذلك ، وأنقذوا إخوانهم فعلا وساروا جميعاً إلى أن وصلوا «القنفذة».

العمليات الحربية في الجنوب :

إن العمليات الحربية في الجنوب ، بدأت في الثلث الأخير من عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م فقد استطاع الإدريسي بدهائه وسياسته استمالة بعض قبائل في اليمن لقتال عبس، وكبني (نشر) وغيرهم، وكان يمدهم بالمال وبعض العتاد، واكتفى من غيرهم بمجاملات ولائية ، ومعاهدات سرية ومن جملتهم (هادي هيج) شيخ مشايخ قبائل الواعظات وهو على قوة نفوذه القبلي ، سياسي مرن ، فأدرك بحاسته السياسية وبوقوفه على مجريات الحوادث وما وصل إليه وما استقاه من معلومات ، أنه لابد من مجاملة الإدريسي وإظهار الولاء

له سراً ، فاتصـل به بالمكـاتبـة مظهراً له التأييد ، وموضحاً أنه بحكم مركزه وما للأتراك من قوة لا يستطيع شيئاً وإنما سيعمل سرًّا على تجنب كل موقف عدائي ضد دعوته وسيؤيده في حدود ذلك بكل مجهوداته ، إلا أنه بعدها اتصل بعلم الإدريسي من القبائل الموالية كـ (بني نشر) بأنه سمح للأتراك ببناء معقل يهدد سلامتهم ، وعملا بمقتضى تنسيق المجهود الحربي المشترك مع حليفته ، فقد اغتنم ذريعة من تلك الشكوى فبعث أول غزية إلى اليمن بقيادة «يحيى بن عرار» فوصلت السرية إلى أهدافها وعززها بسرية أخرى بقيادة «محمد بن أحمد الحسين» وتمكن قائد السرية الأخرى من التفاهم مع «هادي هيج» على بعث أخيه رهينة ، ويقال بل إن أخيه أسر ، وعلى كل فقد تمكنت السريتين من تعضيد (بني نَشَر) ضد الواعظات الموالية (للأتراك) وعادت معها ـ بعد أن أبقت قوة منها هناك ـ بعبده هيج فسجن في قلعة صبيا .

وفـــــد تـــركي :

إن الأتـراك أدركـوا ـ بعـد فشـل الحمـلات السابقة فشلهم في القضاء على الإدريسي ـ فرغبت قيادتهم في محـاولة الاتصالات السلمية فبعثت وفداً وكتبت للإدريسي تطلب موافقته في محل يحدد للاتفاق ، فوافق أن يكون الاجتماع في (ميدي) وفي الموعد المحدد وصل الوفد إليها وهو يتألف من أحمد الشراعي وعبد البـاري وغيرهمـا وكان الإدريسي قد وصل إلى قرية (جحا) في طريقه إليهم ثم ترجح له أن يعتذر عن الوصول إلى ميدي ويطلب أن يحضر وفدهم إلى (المضايا) فوافقوه وقابله الوفد هناك ولم تسفر مهمة الوفد عن نتيجة فعاد إلى اليمن ، ولم نجد على وجه التحقيق المصادر التي تسجل مهمة الوفد وتحدد الغاية التي يهدف إليها الأتراك من وراء إرساله ، ويقول البعض : إن مهمة الوفد إقناع الإدريسي بالعدول عن محالفته مع (إيطاليا) والرضوخ بتمركز القوات التركية في المخلاف مقابل أن يكون نائباً لها على (صبيا وجهاتها) ويُقرر له راتب شهرى ، وهيهات .

من أطـاق التمـاس شيء غلابـا   واغـتـصـابـاً لم يلتمســه سؤالاً

وكنتيجة لزحوف الأتراك ـ المار ذكرها في الفصل السابق ـ ورغبة في التوسع وعملا بمحالفته مع إيطاليا فقد اهتبل الفرصة المواتية وتقدمت جيوشه إلى الجنوب .

الاستيــلاء على مينــاء ميــدي :

أشرنـا قبـل إلى ضرب الأسـطول الإيطالي موانيء البحر الأحمر ومنها ميناء (ميدي) وبعده تقدم الجيش الإدريسي وضرب الحصار براً عليها ، وإنذار الأتراك بوجـوب التسليم فامتنعت حاميتهم فاكتفى بإصـدار أمـره بتشديد الحصار ـ وهو العـارف بالنتيجة ـ ولم يمض أكثر من سبعة وعشرين يوماً حتى وصل (الأسطول الإيطالي) وصب نيران قذائفـه على الاستحكـامـات ، والمـواقع الحربية فتقدم الجيش الإدريسي واحتل المدينة .

احتــلال مــدينة حــرض :

وصلت البشائر إلى صبيا باحتلال (ميدي) فتقدم الإدريسي بنفسه يقود جيشاً آخراً ماراً بالطريق الوسطى وعلى مقدمته القائد محمد طاهر رضوان فاحتل (حرض) ودخلها ، ثم أناب عليها القاضي إبراهيم بن عطيف النعمي وسار هو إلى (ميدي) بعـد أن بعث قوة بطريق البحـر بقيادة محمـد طاهـر رضوان يساعده إبراهيم بن فتح الدين لقتال الحامية التركية بجزيرة (فرسان) .

احتــلال جزيرة فرســان :

سارت الحملة من حرض إلى ميدي ومنها أبحرت إلى جزيرة (فرسان) فاستولت عليها وعاد محمد طاهر إلى (مِيْدِي) بعد أن أناب رفيقه ومساعده في الحملة على الجزيرة .

قــدوم الإدريسي ميـدي :

في شعبـان عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م وصل الإدريسي ميدي وأقام بها يدير المعركة في الجنـوب وكـانت جيوشـه قد تقـدمت من حرض إلى (اليمن) وتمركزت في (كــدف البتــري) والبعض بطريق الســاحـل بين ميدي واللحية وبعـودة قائـده

محمد طاهر رضوان من غزو (فرسان) سيره على جيش قوى لفتح جبهة على الأتراك في (دُرَيْنَة) من بلاد (عبس) وفي حدود الواعظات ، وكان زعيم قبيلتها (هادي هيج) مع الأتراك كما كان زعيم قبائل (عبس) (يحيى علي ثواب) مع الإدريسي ، والزعيمان المذكوران هما قطبا الرحى في تهامة اليمن .

القتـــال :

ظل القتال دائر الرحى بين الإدريسي والأتراك وفي أواخر عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١ عاد الإدريسي من (ميدي) إلى (صبيا) ومن ميدي بعث بمنشوره إلى أهل (الجبال) كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الخاص بعنوان (الإمام يحيى والإدريسي) وظل القتال بين كر وفر طيلة عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م .

مخـالفة يحيى علي ثـواب :

أشرنا إلى انضمام رئيس مشايخ (عبس) مع الإدريسي ، إلا أن القائد التركي استطاع استمالته إلى جانبة فسمح للأتراك بالدخول إلى بلاد عبس ، فما شعر عامل الإدريسي إلا ونفير الأتراك يضرب في القرية فاتصل بالرئيس مستطلعاً رأيه ، فقال له : تحول عنا بسلام ، فتحول العامل المذكور إبراهيم الشوكاني إلى بلاد (بني حسن) في نفس بلاد عبس وساق الإدريسي الجيوش إلى بلاد عبس وغيرها للقائد محمد طاهر إلا أن الأتراك استطاعوا إيقاف كل تقدم لجيوش الإدريسي في عبس وغيرها فظل كل فريق محتفظاً بمواقعه تقريباً إلى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م .

الإدريسي والحـرب العظمـى الأولـى :

جاء في «ملوك العـرب للريحـاني» ص ٢٩٨ ج ١ ـ : ولكن نجم الإدريسي لم يعل ويتلألأ إلا خلال حربين بين الدولة العثمانية ودول الإفرنج ، أي حرب الأتراك سنة ١٩١٢ مع إيطاليا ثم في اشتراكه مع بريطانيا وحلفائها : الحرب العظمى الأولى فقد كان في الحربين خصم الأتراك اللدود والحليف الذي لا ينقض العهود . أخذ من الإيطاليين سلاحاً فاستخدمه ناراً وسياسة على

عدوها وعدوه ، وأخذ من الإنكليز مالاً وسلاحاً فخدم الحلفاء في الجزيرة خدمة ، وإن صغرت لا تشوبها الأطماع ولا يفسدها الخداع ، وكان لا يزال له غير الأتراك عدو فحارب به هذا العدو ، ولكن انتصاره على الزيود في ذلك الحين كان يعد انتصاراً على تركيا .

إن من فضائله ثباته منذ بدء أمره على مبدأ واحد . فقد كان عربياً صميماً جسوراً نيما يبغيه يحالف أي دولة كانت على أعدائه الترك ومن حالفهم من أمراء العرب .

حارب الأتراك وحليفهم (الحسين) وصديقهم الإمام (يحيى) . فكان في الغالب منتصراً ، ودائماً عزيزاً ، لا ننكر أن الأحوال كانت حليفته ولكنه سلحها من لدنه بالعزم والمضاء .

ومما يجهله الإفرنج والعرب أنه كان أول من انضم إلى الحلفاء من أمراء العرب وأول من حمل السلاح في البلاد العربية على دولة الأتراك حليفة (ألمانيا) فقد عقد (الإنكليز) بواسطة حكومتهم في (عدن) المعاهدة الأولى نيسان عام ١٩١٥ التي بموجبها تعهدوا له بالسلاح والمال وأن يحموا سواحل بلاده من الاعتداءات الخارجية فباشر في الشهر التالي القتال فتقدم ابن عمه (مصطفى الإدريسي) يقود اثني عشر ألف مقاتل على الأتراك فدحرهم دحرات متوالية ، وصلت جنود الإدريسي إلى قرب (صعدة) شرقاً . وإلى القنفذة شمالاً - في تهامة - ولكن الإدريسي بعد أن استولى عليها في ١٠ تموز عام ١٩١٦ أخلاها للملك حسين إكراماً لأصدقائه الإنكليز الذين عقدوا معه معاهدة ثانية في كانون سنة ١٩١٧ تتعلق بجزيرة (فرسان) الخ . انتهى .

القتال في جانب الحلفاء :

في شهر شعبان عام ١٣٣٦هـ/١٩١٥م وكنتيجة لاتفاقيته مع بريطانيا لدخوله الحرب في جانب الحلفاء ضد تركيا تقدمت الجيوش الإدريسية بقيادة مصطفى بن عبد المتعال الإدريسي إلى اللحية على الترتيب الآتي :

١ ـ القسم الأول بطريق الساحل ووجهته (عطن اللحية) بقيادة أحمد الحازمي .

٢ ـ الطريق الثاني بطريق الخبت الساحل ووجهته (دير حسين) بقيادة الحسن بن أحمد بن أبي مسمار .

وصلت القوتان إلى هدفيهما واستولى الجيش الأول على مدينة اللحية بمساعدة الأسطول البريطاني الذي مهد لدخولها بضرب المواقع الحربية ، واتخذها مصطفى مركزاً للقيادة العامة فثارت حفائظ الأتراك على الإدريسي الذي بالأمس يقاتلهم في صف إيطاليا والآن يقاتلهم للمرة الثانية ـ في صف بريطانيا وحلفائها ، وكان على قيادتهم في تلك الجهة (غالب بك) فقام بحركات تجمع في (الواعظات) وبذل الرغائب لقبائل وادي مور والواعظات وجندهم وتقدم إلى المعسكر الإدريسي في (دير حسين) واستولى على جميع مافيه من ذخائر ومؤن وأسلحة بعد معركة هزم فيها الجيش الإدريسي .

الهـــــزيمة :

كانت بعض قطع الأسطول (البريطاني) في ميناء مدينة اللحية لا تزال لمساعدة الجيش الإدريسي فوقعت معركة (دير حسين) التي أسفرت عن الهزيمة والاستيلاء على المعسكر وما به من مؤن وعتاد ولم يستطع الجيش الثاني الذي في العطن القيام بالاشتراك في المعركة لأن في طريقه إلى (دير حسين) مدفعية قوية للأتراك في جبل الملح ، فبقى محتفظاً بمركزه منتظراً دوره في الهجوم من الأتراك وماهي إلا أيام حتى باغته الجيش التركي بهجوم فانسحبت فلوله إلى داخل مدينة اللحية ، واتصل قائد الجيش بالقائد العام مصطفى الإدريسي لدرس الموقف واتخاذ خطة سريعة في المقاومة أوبالانسحاب فأمر بالانسحاب عن طريق الساحل إلى (مَيْدِي) .

استولى الأتراك على معسكر (العطن) وما به من عتاد ومؤن فاشتد ساعد الجيش التركي بما غنمه وظل متخوفاً من الهجوم على المدينة خشية أن يكون الجيش المنسحب قد تحصن في قلاعها واستحكاماتها نظراً لأن الأسطول

يحمي ظهره من البحر ، إلا أن جواسيسه أعلموه أن المدينة خالية فتقدم واحتلها .

أما القائد العام فقد التجأ إلى الأسطول البريطاني ، وبقية من بقى طلع في السفن إلى ميدي وبدخول الأتراك إلى المدينة والتجاء القائد إلى بعض قطع الأسطول صب نيران مدافعه على المدينة فاضطر الأتراك إلى إخلائها والانسحاب بعيداً عن طائلة مرمى المدافع إلى المراكز الآتية :

١ ـ إلى مدينة الزهرة .   ٢ ـ جبل الملح .   ٣ ـ الواعظات .

أما الميدان الشرقي الجنوبي في جهتي (البتري) وبلاد بني نشر فقد احتفظ الجيش الإدريسي فيها بمراكزه .

قــوات جـديـدة :

رأى الإدريسي أن العبء قد ثقل على عاتق رجال قبائل المخلاف السليماني وهم عماد قوته ودعامة حركته فأحب أن يدخر شيئاً من قواهم لما يسفر عنه المستقبل لا سيما ولديه من المادة ما يمكنه من تجنيد مرتزقة من (يام) وقبيلتي (حاشد) و (بكيل) فاستدعوا ، فأقبلت حشودهم فبعثهم إلى (وادي مور) تحت قيادة قائدين من رجال المخلاف الأول منصور بن حمود أبو مسمار والثاني أحمد عبد الله بن بكري المرواني ووظف جنوداً مرتزقة من الصومال وجعل منهم حرسه الخاص إلا أنهم لم ينسجموا مع الأهالي ففرقهم في المراكز .

تقـدم القـوات :

تقدمت القوات على الأتراك في وادي (مَوْر) فلم يكن نصيبها بأحسن من الجيش السابق فقد منيت بالهزيمة فشجع ذلك الانتصار قبائل وادي (مَوْر) وعبس إلى الانضمام مع الأتراك علاوة على قبائل الواعظات التي لم تحد عن ولائها للأتراك عملاً بمصانعة زعيمها (هادي هيج) معهم .

الإنكليز وتشديد الحصار على الأتراك وضرب الموانيء :

رأى الإنكليز في نشاط الأتراك في تهامة على ضآلته جزءاً من نشاط دول الائتلاف ـ وكان الجنرال (اللنبي) قد زحف زحفه المعروف على

الترك في فلسطين فكان ضرب الموانى التي تحت سلطة تركيا آنذاك وقبله وتشديد الحصار جزءاً من خطة الهجوم العام لحملة (اللنبي) فضرب الأسطول البريطاني (الحديدة) و(المخا) و(الصَّلِيف) و(اللحية) وبعث بمزيد من الأرزاق والعتاد إلى الإدريسي وطالبه بسرعة الهجوم برًا وفي تلك الأثناء انهارت خطوط الائتلاف في جميع الميادين ودخلت جيوش بريطانيا وفرنسا استنبول فصدرت الأوامر من خليفة الأتراك الجديد بواسطة الوزارة الجديدة للقوات التركية في البلاد العربية بالاستسلام والرحيل بوسائط النقل البريطانية ، وعملاً بذلك استلم الادريسي كغيره من أمراء العرب ما يليه من البلاد وذلك في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م .

استلم الإدريسي ميناء اللحية وبلدة الصليف وغيرها من البلاد ما عدا مدينة الحديدة ـ التي سبق أن احتلها الإنكليز .

وخلي الميدان للجيش الإدريسي بانسحاب الأتراك في جهة بلاد قيس والخميسين وحجور ، فانطلقت في توسعها إلى قرب (حجة) وهنا اصطدمت بمقاومة الإمام يحيى وجهاً لوجه واستطاعت القوات الإدريسية أن تدعم مراكزها في تلك الجهات بالقوة .

الاحتلال البريطاني لمدينة الحديدة :

احتل الإنكليز مدينة (الحديدة) وكان ينوي أن يوطد قدمه في المدينة وضواحيها ويتخذ منها نقطة البدء في الانطلاق لتأسيس مستعمرة جديدة تتصل برا بمستعمرة المحميات وعدن مع الزمن ، وتمهيداً للعمل ضرب نطاقاً من الأسلاك الشائكة على المدينة وأخذ في استمالة شيوخ الضواحي .

ومن ثم بعث وفداً إلى (صنعا) فاعتقلته قبيلة (القحرى) وبالرغم عما هددت به بريطانيا وما بذلت في سبيل إطلاقه فلم تستطع شيئاً حتى توسط الإدريسي وأطلق سراحه .

أضف إلى ذلك أن القبائل هاجمت الإنكليز في نفس (الحديدة) وفي خلال السنة التي قضاها محتلاً للمدينة غيَّرَ ثلاثة قناصل ولم يتوفق واحد منهم

في تهدئة الحالة فضلاً عن التمكين لسياسة بريطانيا ، مما اضطرها أخيراً لتسليم المدينة للإدريسي ، بعد استفتاء أهلها في الانضمام إلى الحكومة التي يرغبونها فتمسك أكثرهم إما بعودة تركيا أو الانضمام إلى الحكومة المصرية ، ولما عيل صبر الإنكليز ما شعروا إلا وقد أوعز المعتمد البريطاني للجيش الإدريسي فدخل المدينة وباشر إدارتها وعلى أثرها انسحب الإنكليز بحراً وبعد ذلك تقدم القائد (محمد طاهر رضوان) إلى باجل وجعلها المركز الرئيسي للإدارات والجيش في الجنوب والشرق الجنوبي وذلك في سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م .

وفي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م أمر بتأسيس (صبيا الجديدة) عندما هدد السيل سكان مدينة (صبيا) وأطلق على المدينة الجديدة اسم (صبيا الإدريسية) وفي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م سار على رأس قوة كبيرة في رحلة تفقدية إلى اليمن ودخل مدينتي اللحية والحديدة وغيرهما وعاد إلى جازان ومنها إلى صبيا .

أما علاقته بالحكومة السعودية فراجعه في الفصل الخاص بعنوان (ابن سعود والإدريسي) وكذا شؤون عسير في الفصل الخاص بعنوان (عسير) وفي شعبان عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م توفي الإمام محمد بن علي الإدريسي تغمده الله برحمته ورضوانه .

المعـــاهـدة الإدريسيـــة البريطانيـــة

بتاريخ شهر إبريل سنة ١٩١٥ :

١ ـ إن الأهداف الرئيسية لهذه المعاهدة هي شن الحرب ضد الأتراك وتعزيز ميثاق الصداقة بين السيد الإدريسي ورجال قبائله وبريطانيا .

٢ ـ يوافق السيد الإدريسي أن يشن الهجوم ويحاول طرد الأتراك من قواعدهم في اليمن وأن يضايق القوات التركية في اليمن بأقصى قوته ومن ثم يوسع رقعة إمارته على حساب الأتراك .

٣ ـ إن هدف السيد الإدريسي الأول ضد الأتـراك فحسب ولا يمس ما يثير الخصومة والعداء مع الإمام يحيى الذي لم يمد يده فعلا للأتراك .

٤ ـ تلتـزم الحكـومـة البريطانية بحماية إمارة السيد الإدريسي ضد أي هجوم بحـري يشنـه أي عدو لضمان الاستقلال بإمارته تتعهد بريطانيا بأن تتخذ جميع الـوسائل الدبلوماسية للنظر في المشاكل التي تنشأ بين السيد الإدريسي والإمام يحيى وبين أي منافس .

٥ ـ ليست لدى حكومة بريطانيا أي رغبة في توسيع حدودها في غرب الجزيرة العربية ولكنها لا ترغب إلا أن ترى مختلف حكام العرب يعيشون معاً في سلام ، كل في نطاق إمارته وكلهم يحتفظون بصداقة الحكومة البريطانية .

٦ ـ إن الحكومة كدليل منها على تقدير العمل الذي سيقوم به السيد الإدريسي أمدته بالمال والمعدات الحربية وستستمر في تقديم العون له في الحرب طيلة مدة اشتراكها بقدر النشاط الذي يقوم به السيد الإدريسي .

٧ ـ إنه في الوقت الذي تفرض فيه بريطانيا الحصار على الملاحة في جميع الموانيء التركية في البحر الأحمر منذ عدة أشهر فقد أعطت السيد الإدريسي الحرية الكاملة في الملاحة والتعامل التجاري بين موانئه وعدن وإن بريطانيا إذ تقدم هذا الامتياز رمزاً للصداقة القائمة بينهما تتعهد بأن هذا الامتياز سيستمر ولن يتعرض للتوقف .

٩ ـ تعلن هذه الاتفاقية حتى يصادق عليها من الحكومة الهندية وتصبح سارية المفعول [1].

---

(١) نقلا عن جريدة عكاظ الغراء التى نشرت هذا الملخص للمعاهدة فى العدد ٣ بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ١٣٧٩ .

الفصــل الســادس

بــــلاد عســـير

أشرنا قبلُ ـ في الفصل الأخير من الجزء الأول إلى أحوال عسير السياسية إلى غاية استيلاء القوات التركية عليها بقيادة (رديف باشا) و(مختار باشا) في عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ومن ذلك التاريخ ظلت تحكم من قبل تركيا باسم متصرفية إلى عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

حصــار الإدريســي لأبهــا :

في شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م قام الإدريسي بحصار «أبها» ـ كما مر مفصلاً في الفصل الخاص بالإدريسي ـ في عهد المتصرف (سليمان شفيق) وأحكم نطاق الحصار نحو سبعة أشهر ، فرأى أمير مكة ـ آنذاك ـ (الشريف الحسين بن علي) أن الفرصة سنحت لتوسيع نفوذه وتوطيد مركزه . وتبديد الشائعات التي بدأت تحوم حول اتصالاته بالإنكليز . فعرض على الدولة العثمانية استعداده للقيام بالمساهمة في فك الحصار عنها .

تقدم على رأس قوة من (العربان) والجيش النظامي حتى فك الحصار ـ راجع الفصل الخاص بالدولة الإدريسية .

وكان (الأمير حسن بن عائض) ممن مالأ الإدريسي وسهل مهمة جيشه في خطة الحصار فرأى (الحسين بن علي) استمالته إلى جانب (الأتراك) ليحبط مساعي منافسه الإدريسي ـ الذي بدأ يشعر بخطره ـ فسعى لدى الأتراك واستصدر أمراً سلطانياً بالعفو عن (ابن عائض) وتعيينه معاوناً للمتصرف وتقرر راتب شهري له .

الحــرب العظمــى الأولــى :

اشتــرك الأتــراك في الحــرب في جانــب الألمــان ـ كمــا هو معلــوم ـ وخــرجــوا منهــا بالهــزيمــة والخسران مع حليفتهم ودخل (الإدريسي) في جانب

(انكلترا) وحلفائها كما دخل بعده (الحسين بن علي) أمير (مكة) وكان من شروط الحلفاء على تركيا : التخلي عن جميع البلاد (العربية) .

كان على متصرفية (عسير) محيي الدين باشا . وفي ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م تلقي أمر حكومته عن طريق (الإنكليز) بواسطة (الإدريسي) باخلاء عسير والرحيل بحراً على الوسائط البحرية الإنكليزية .

ورد الأمر المختوم بواسطة (الإنكليز) إلى الإدريسي فبعثه مع مندوبين من قبله إلى (أبها) فامتثل المتصرف التركي (محيى الدين) وسلم البلاد إلى أهلها . ونزل مع الحامية والموظفين الإداريين . برفق مندوبي الإدريسي إلى ميناء (الشقيق) وهناك استلم منهم الأسلحة الخفيفة التي استصحبوها وأطلعوهم في البواخر الإنكليزية التي تنتظرهم ويقدر عددهم بثلاثة آلاف شخص .

من المعروف أن (الإدريسي) الأمير العربي أول من استجاب لدعوة بريطانيا للدخول في جانبها في الحرب ضد (تركيا) ـ راجع الفصل الخاص (بالإدريسي) وفي بعث الإنكليز الأمر السلطاني إليه إيعاز مقصود ودلالة واضحة على رغبتهم في بسط نفوذه على عسير .

وتَملُّك (عسير) بالنسبة إلى (الإدريسي) حلم طالما داعب أمنيته . ومحاولته لذلك لم تكن وليدة الساعة فإنه من بداية حركته . ومساعيه الحربية والسياسية تهدف إلى ضمها إلى حوزته قبل حصاره لأبها وبعده . وقد مر بك أن الأمير (حسن ابن عائض) قد مالأه في أثناء حصار عسير . وإنما استطاع الدهاء (الهاشمي) أن يقطع تلك العلاقة الناشئة (مؤقتاً).

وبما أن الدولة الإدريسية واقعة بين (المملكة الهاشمية) ـ آنذاك ـ من الشمال (والمملكة المتوكلية) من الجنوب وهو على عداء سافر مع كلا الطرفين قبل جلاء الأتراك وكانتا إلباً عليه ، والآن قد تم الجلاء ، والتوسع على حسابهما محفوف بالخطورة ، إذاً فقد سنحت الفرصة المواتية في التوسع في الشمال الشرقي ـ عسير ـ في رقعة لا تخص أحد الطرفين فليهتبل الفرصة قبل فواتها .

عسير في مضطرب العواصف :

في أثناء انسحاب المتصرف التركي محيي الدين سلم الإدارة في عسير إلى أهلها أو بالأصح إلى معاونه حسن بن عائض وأسرته ـ اسمياً ـ وأخذ آل (عائض) يديرون أوجه الرأي حول المستقبل المجهول . وهم يرون المطامع من الإمارات (العربية) المتوثبة تحوم على سماء بلادهم وأهمها أزيز عاصفة النفوذ السعودي تتقدمه طلائع الإصلاح الديني وإذكاء الروح الإسلامية وقد زحف وشيكا إلى قبائل (قحطان) وأطراف (شهران). ومن الغرب تيارات السياسة (الهاشمية) ومغريات الوعود والتذكير بالجميل القريب والموقف الشخصي معهم بعد فك حصار أبها . ومن الجنوب السياسة الإدريسية الناعمة ومغريات الدهاء الصوفي المرن الذي تَرَآى لهم في مغرياته بقاء كيانهم السياسي وسهولة التخلص ـ إن حاولوا ذلك ـ وتتمثل التيارات المتعاكسة فيما يلي :

١ ـ النفوذ السعودي ويرتكز على علاقته التاريخية في عسير وتبعيتها السياسية السالفة لآل سعود وتتقدمه الآن تيارات الدعوة السلفية الإصلاحية وسرعة انضمام القبائل لاعتناقها وهي متى مست شعلتها الروح القَبَلِيَّة تكهربت عواطفها واشتعلت بالغيرة الدينية واتجه الشعب بأسره نحو مصدر الدعوة الرئيسي أراد ذلك رؤساؤه أم لم يريدوا .

٢ ـ الدعاية (الهاشمية) وهي تتضمن فكرة سياسية ، تهضمها الخاصة ولا تدركها عامة الشعب فضلاً عن القبائل وهي إقامة حكومة عربية ضمن له الإنكليز باسم الحلفاء تأسيسها من جبال طوروس إلى (المندب) في حال أنهم قد عقدوا مع فرنسا معاهدة (سايكس بيكو) على جعل سوريا والعراق منطقتي نفوذ لكل منهما كما أعطت الحكومة الإنكليزية التصريح المعروف بوعد بلفور لليهود . هذا عدا الوعود التي قطعتها لأمراء العرب الآخرين باحترام إماراتهم وحمايتها من كل اعتداء خارجي وعدم تدخل أحد في شؤون إماراتهم ـ وتحت تلك الفكرة السابقة تزعم الثورة (الحسين) ضد الأتراك . وراح يتكلم باسم العرب . ويرى أنه يجب على العرب الانضمام

تحت لوائه . في حين أن شبه الجزيرة العربية لم يعترف له أحد من أمرائها بأحقية تلك الزعامة التي أقام نفسه زعيماً لها .

٣ ـ الدعوة الإدريسية . وليس لها أهداف واضحة المعالم محددة الأغراض . وهي وإن جد صاحبها في إذكاء الروح الدينية فإن لمنهجها السياسي أحقية (الإمامة) بمؤهلات العلم والورع والصلاح على المنهج الصوفي (للطريقة الأحمدية) مع بذل الرغائب والدهاء المرن والشخصية القوية التي ترى أنها برهنت أنها من خير من اضطلع بمهمة الملك أو الإمامة وإشادة إمارة عربية حاربت ضد الأتراك الدخلاء .

وهنا أخذت تلك العوامل تتجاذب (آل عائض)، وأخيراً رأوا أن مصلحتهم فى الاتصال بالناحيتين الأخيرتين فاتفق رأيهم على :

١ ـ أن يتوجه محمد بن عبد الرحمن بن عائض ، إلى (الملك حسين) ويتفاوض معه حول عقد اتفاقية تجعل اعتمادهم على ربط عسير بمعاهدة حماية معه .

٢ ـ أن يستمر حسن بن محمد بن عائض في المخابرة والاتصال بالإدريسي حتى يتضح ما تسفر عنه مهمة الأول بالملك حسين .

وشعر الإدريسي بسفر محمد بن عبد الرحمن ، فاهتم وجد في استمالة حسن ابن محمد وتحت تأثير الوعود المغرية والدبلوماسية الناعمة جنح الأخير ورؤساء عسير للنزول إلى (صبيا) دون انتظار محمد بن عبد الرحمن .

اتفــاقيـة صبيـــا :

وصل حسن بن محمد إلى صبيا ومعه رؤساء عسير وانتهت الوفادة بالدخول في الحظيرة الإدريسية ، مقابل مبلغ خمسة آلاف ريال ، كمقرر شهري ، وأن يكون حسن بن عائض نائباً على إمارة عسير عن الدولة الإدريسية . ويكون لها مندوباً سامياً وأن للإدريسي حق الاستيلاء على مخلفات الأتراك من السلاح والعتاد الحربي .

عاد حسن بن محمد إلى أبها وبرفقته المندوب الإدريسي إبراهيم الشوكاني ، واستمرت الأمور في مجراها الطبيعي إلى أن انتهت ١٣٣٧ ، وبدأ (حسن بن عائض) يتنمر للسياسة الإدريسية ويبادىء مندوبها بالجفاء والتعريض ثم تلاها ما يأتي :

١ ـ صارح المندوب الإدريسي المكلف باستلام (زكوات) عسير بواسطته بأنه لن يدفع إليه الزكوات لأن رؤساء عسير يطالبون بصرفها لهم (كمقررات سنوية) فرفع المندوب الإدريسي فورده الأمر بعدم معارضة (حسن بن عائض) فيما يراه في موضوع الزكوات .

٢ ـ بموجب الاتفاقية أن تكون مخلفات (الأتراك) من الأسلحة والعتاد تسلم للإدريسي ، وقد أمر المندوب بترحيلها ، وفعلا رحل قسماً ، ثم أخذ (ابن عائض) يُبْدِي اعتراضه وأخيراً منع المندوب عن ترحيل الباقي .

ووالى المندوب رفعياته موضحاً ما يراه من النوايا المكشوفة حول نقض الاتفاقية من أساسها ، وكأن الإدريسي كان يرى أن سياسة اللين أجدى في هذا الموقف معهم ، فنرى المندوب يعتريه ما يشكوه من انحراف الصحة لبرودة جو عسير ويطلب إجازة للنزول إلى محائل ، فيوافقه الإدريسي فينيب عنه أحد أقربائه وينزل في إجازته ، في أثناء ذلك يعود (الأمير محمد بن عائض) من الحجاز ويعمل من الساعة الأولى على إلغاء مفعول الاتفاقية فيرى الثاني أن يكون إلغاؤها باتخاذ أسباب وذرائع فيبعث وفداً إلى الإدريسي .

أدرك الإدريسي من الوفد نوايا القوم فاحتجز الوفد لديه وقطع المواصلات مع (عسير) في ذلك الوقت كانت بضائع عسير وحاجاتها الخارجية تردها من عدن عن طريق ميدي وجازان ـ فلم يجد الحصار نفعاً ـ لأن ميناء القنفذة أغنتهم عن الميناءين الإدريسيين السابقين ، وكان من جراء ذلك تقوية اتصالاتهم بالملك حسين أكثر فأكثر .

القتـــال :

لما لم يجد الحصار نفعاً ـ كما مر آنفاً ـ ولعبت السياسة (الهاشمية) في ذلك الجـو المتـوتر ـ دورها وشجعت (آل عائض) فنشطوا وأوعزوا إلى ـ شيخ قحطان محمد بن دليم ـ بالثورة على الحاكم الإدريسي لديه ، فلم يجدوا منه الاستجابة فاتصلوا (بسليمـان بن أمخـالـد) شيخ (محـائـل) فثـار على الحـامية الإدريسية فتحصنت بالقلعة فهاجمها ـ وجلهم من (الصومال) فاستولى على القلعة بعد أن قتل (٢٤) جندياً منهم وجرح (١٢) فاستسلم الباقون .

الحمـــلة الإدريسيــة :

على أثـر ذلك جهز الإدريسي جيشاً بقيادة الوزير حمود سرداب ، إلى عسير ترافقه الكتيبة النظامية الإدريسية بقيادة ضابطها سليم بك .

تقـدم الجيش الإدريسي من مركـز (الشعبين) بطريق وادي (العوص) والعقبة (الصمـاء) وارتقى سطح (تهلل) الأشم ، وهنـاك وجد (العسيريين) على أهبة اللقاء في انتظاره وعملت السياسة أو المذهب الهاشمي الذي قد وصل (ال عائض) عمله في صفوف الجيش الإدريسي والذي أكثريته من بوادي ألمع وقنا والبحر ومن إليهم وانتهت المعركة بتراجعه إلى قاعدته (الشعبين) .

وشالت أنوف (آل عائض) تيهاً وصلفاً بما أحرزوه من نصر ، ورأوا في حليفهم الجـديد الأمـل المنشـود والظفر الحلو والسؤدد المرموق فأخذوا الأهبة واستعدوا لمصـاولـة الـدعوة السلفية السعودية الزاحفة والتسلط على قمع وخضد العناصر والقبائل الموالية لها .

أمـا الإدريسي فقـد أصـدر أمـره لقـواته المتراجعة إلى (الشعبين) بالاحتفاظ بمراكزها واتصل حالاً (بعظمة سلطان نجد)ـ آنذاك ـ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود .

داعياً إلى المـــوالاة والصـــداقـــة ، وملمحـــاً عن عسير و(آل عائض) وأنهم بعـد الانضمام إليه والعهود والمواثيق قد لعبت برؤوسهم خمرة السياسة (الهاشمية) وقـد والـوا أشـد أعداء الطرفين وصاحب السعي المعروف في المطالبة بالزعامة

الكبـرى على (زعماء) الجزيرة العربية ، مشيراً إلى ما خلفه الأتراك من السلاح والعتاد في أبها . . . الخ .

ولا يفـوتنا الإشارة إلى ما أحرزه السعوديون ـ آنذاك ـ من النصر المؤزر على الجيش (الهاشمي) في موقعة (تَربة) وسحقهم قوته الرئيسية ، ثم ما نجم من الفتنة في وادي السـرحان في وجه (آل رشيد) واشتغالهم بإطفاء أوارها ، فكأن الأقدار هيأت الظرف المناسب للسعوديين .

الريـــاض وعســـــير :

ولآل سعود علاقات تاريخية وسياسية كما أسلفنا بـ (عسير) ودعوتهم قد وجدت لهـا الـطريق ـ كما أشرنا قبلا ـ إلى قبائل (قحطان) وأطراف (شهران) آخذة في الانتشار صوب عسير نفسها ، والدعوة السلفية الوهابية إصلاح ديني يتصل بنفسية الشعب مباشرَة ، فإذا كانت السياسة تتصل بالخاصة لغيرها فهى تتجه بإصلاحها الديني إلى نفسية الأفراد والاستجابة الجماعية قوة كاسحة تشل بتياراتها وقوة إيمانها نفـوذ الـزعـامة القبلية التي تسخر الجماعة لمصلحتها الخاصة وتتاجر بأسمائهم فتصبـح زعامة سلبية لا تجد لصوتها صدى في نفسية القبيلة التي باعتناقها تلك الـدعـوة الـروحية تتجـه إلى مصدر الدعوة المنبثق عن طريقها الإصلاح الديني وأخـذت وهي في زحفهـا الـروحي تتصـل (بآل عائض) مذكرة إياهم بالعلاقات السابقة والولاء القديم لعل السياسة تغني عن السيف قانعة منهم بالولاء السياسي وإبقائهم أمراء على إمارة (عسير) إلا أنهم ـ كما أشرنا ـ داخلهم غرور الزهو ونشوة النصـر فأخـذوا جادين في قمـع ما تراآى لهم من النشـاط السعـودي متمثلاً في أشخاص من العسيريين شكُوا أو تحققوا اتصالاتهم بالرياض .

وانقضى النصف الأول من عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م في العرض والإغراء والاستمالة فلم تجد نفعاً إذاً فلا تعدمْ وسيلة أخرى ، فيتقدم بعض رؤساء القبائل بالتقـدم إلى (الـرياض) شاكـين ما نالهم من ظلم (آل عائض) فيبـادر (الرياض) إلى التـوسط في إزالــة تظلماتهم فيرفض (آل عائض) تلك الـوسـاطـة بزعم أنهـا

تدخل سياسي في شؤونهم الداخلية فيفر المتظلمون ـ وقد أريد البطش بهم إلى الرياض وفي النصف الأخير من العام نفسه يتحرك جيش قوي من الرياض بقيادة عبد العزيز بن مساعد إلى (عسير) .

تقدم الجيش السعودي إلى (الخضراء) ـ من بلاد (شهران) التي قد أخذت الدعوة طريقها إليها في أواخر العهد العثماني وأصبح للسعوديين بها السلطان الروحي ، ومنها أخذ في أهبة التَّهَيُّؤ والاستعداد لخوض المعركة وعسير نفسها قد تسربت إليها الدعوة ـ وقد مر بك التَجاء بعض رؤساء عشائرها إلى الرياض .

شعر آل عائض بتحرك الجيش نحوهم فأرسلت على جناح السرعة جيشاً بقيادة محمد بن عبد الرحمن إلى وادي (حجلة) وأخذت مواقعها استعداداً للدفاع وبعد مضي يومين في التهيُّؤ تقدمت طلائع الجيش السعودي صوبهم دارت رحا المعركة التي انتهت بهزيمة العَسيريين وتقهقرهم .

توقف الجيش السعودي ـ بعد انتصاره في حجلة ـ بعض الوقت وأخذ (آل عائض) في الاستعداد لتحصين (أبها) إلا أنهم قد فقدوا معنوية المقاومة فنقلوا جل أغراضهم وذخائرهم إلى خارج أبها ـ فتسرب الذعر إلى السكان وجيش المقاومة .

تريث السعوديون برهة في (حجلة) مستطلعين حقيقة الوضع في مركز المقاومة ـ أبها ـ حتى وقفوا على حقيقة الحال . وانضم إليهم القبائل القريبة التي دائماً تكون في صف المنتصر لا تأييداً بل رغبة في (المغنم) ووالت زحفها واستولت على المدينة عنوة وفر (آل عائض) إلى معقلهم المعروف (حرملة) ثم استسلموا فقابلهم (ابن مساعد) بالإكرام ، ثم طلبوا إلى الرياض وقوبلوا بالتكريم وعرض عليهم إمارة (عسير) بالشروط التي كان عليها أسلافهم فاعتذروا فسمح لهم بالعودة فعادوا وأقاموا بـ (حرملة) .

أما الإدريسي فقد سر بتلك النتيجة وبعث لابن مساعد بالوفد العسيري الذي احتجزه لديه وبعد أن أسفرت الأمور أناب على إمارة أبها ورحل إلى نجد .

إلا أن الذي أنابه ابن مساعد تقدمت ضده الشكاوى إلى الرياض فعزل بـ (فهد العقيلي ولم تهدأ ثائره المعارضين ولا زالوا بـ (حسن بن عائض) حتى استجاب لداعي الثورة وتقدم إلى (أبها) وحاصر بها الأمير والحامية السعودية فقاومت ما أمكنها المقاومة حتى ضاق بها الحال فاستسلمت على شرط أن يبقى لها سلاحها وترحل إلى نجد إلا أن العقيلي بعد خروجه من عسير جمع أنصار السعوديين وأصلاهم نار الغارات في (شهران) وإنما تمكن العسيريون من إعداد كمين تمكن من أسره وتقدموا إلى (خميس مشيط) مركز المقاومة وأحرقوه .

وصلت الأخبار إلى الرياض وصادف ذلك عودة ولي العهد ظافراً من غزوته لحائل وفي ركابه أحد أمراء آل رشيد أسيراً ، فجهز ابن سعود ابنه الثاني الأمير فيصل بجيش قوي احتل به (أبها) ففر (آل عائض) إلى مكة إلى (الملك حسين) فأمدهم بقوة من النظام ومسترزقة القبائل تقدمت إلى قرب أبها وركد نشاطها .

وكان الأمير فيصل قد أناب عليها (ابن عفيصان) فتوفي فأبدل بـ (عبد العزيز بن إبراهيم) الذي تمكن من إرغام القوات الهاشمية على التراجع إلى (محائل) و(القنفذة) .

أما (آل عائض) فقد عادوا إلى حرملة ومنها اتصلوا بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم ، الذي زارهم في مقرهم في حرملة ثم استزارهم في (أبها) ومنها رحَّلَهم إلى (الرياض) وأبقوا على الرعاية والتكريم إلى أن وافتهم المنية .

الفصـــل الســـابـع

بيـــن الإمـــــامين

يحيى بن محمـد حميد الدين ومحمـد بن علي الإدريسي

بعـد احتـلال الجيش الإدريسي لمـدينـة (ميدي) في عام ١٣٣٠ هـ وصـل الإدريسي إليها من (حرض) في شهر شعبان وأقام بها ـ كما سبق الإشارة إلى ذلك ـ إلى شهر شوال ومنها حرر رسالته المشهورة التي نشرها وأمر بتوزيعها على القسم الجبلي شارحاً كل ما كان بينه وبين الإمام يحيى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمـد لله رب السمـوات والأرض رب العـالمين ، ولـه الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد فإن ربنا تبارك وتعالى يقول (شرع لكم من الدين) الآية . واعلموا هدانا الله وإياكم أن ابن حميد الـدين لمـا رأى الـدولـة التـركية بصدده وأخذت تهتم باستئصاله وقصده ، التجأ إلينا بإرسال (أحمد بن يحيى عامر) و(حسين العرشي) للتفاهم معنا .

بأن الدولة التركية لابد بأن تقبض على ابن حميد الدين وعلينا ، ويرغب في أن نكون يداً واحدة ، وأن نشايعه في مقاومتهم بالحرب ، فوافقناه على ذلك الصنع مع الشروط المضروبة وقواعد مقررة لا يتخطاها أحد منا ولا منه .

فلمـا وقعت ما بيننـا وبين الأتـراك واقعـة (الحفـائـر) استمـالـه الأتـراك وجعلوا له ثلاثين ألفـاً من الـريالات وغير ذلـك العُشْـرَين والنصـابين المكلف

بأدائها الأهالي في جهة (صنعا) وما والاها فوافقهم على ذلك ليكون ضدنا ، ومع أن تلك المواد مضادة للدين وهي (العشرين والنصابين)، مع أن هذا الدين الحق ما زال يخفف في مقادير الزكاة حتى أدنى من العشر وإلى ربع العشر .

ويا ليت شعري بماذا يجيب إذا سئل عني وعن أولئك ، لما حركنا للجهاد حتى ذهب في ذلك الألوف من الرجال في كل موطن من مواطن الحروب وما لا يحصى من الأموال ، واشتداد العداوة بين العرب والعجم واستطال الشأن بين الفريقين لولا أن الله قد وعد لينصرن من ينصره ، وقد قال ﷺ : «من غشنا فليس منا» و«من عمل عملاً أظهره الله عليه».

ويا ليته اقتصر على غشه ، ووقف موقف الغاشين فقط ، بل قام في إعانة العدو علينا ، حتى أخرج في الأيام الماضية أحد نواظره (محمد بن شرف الدين) بجهة (الشام) أما في الظاهر فيقصد ذلك الرجل المكين (القاسمي [1]) في (أم ليلى) وأما في الباطن فليفتح الحرب على أصحابنا في (الشام) في جهة الجبال مع القواعد المضروبة بيننا وبينه ، آخرها بخط العلامة صفي الإسلام (أحمد بن يحيى عامر) وأن يجتنب ألا يعقد اتفاق ضدنا مع العدو ، كما بينت تلك الجوابات التي تروح وتجيء بينه وبين الأتراك ، وقد ضبطنا بعضها ولله الحمد ، وحينما أراد بعضهم الإنكار للاعتداء ألزمناهم بحجة قوية أن الاعتداء كان منهم في بلادنا ووسط أهل طاعتنا ، خصوصاً حين أن انضاف إليه محابيس من أهل طاعتنا كصنو (عمير بن مغيث) الموثوق بالسلاسل ، وقد عرف أنه من أهل طاعتنا .

ولطالما كان يكاتبنا الناظر لنا هناك بالالتفات إليه بإعداد القوة لأنه كان يرى من جاره الخيانة وإن تظاهر لدينا بالأمانة فما كنا نلتفت إليه ، لأن المسلم أخو المسلم ولا يجوز أن يستعد له بسلاح ، حتى وقع منهم الواقع فاجتمع إخوان الحق ، وكان نصر الله والفتح . وكأن (ابن حميد الدين)

---

(١) هو « القاسمي » الذي دعا الناس لإمامته في جهة « أم ليلى » بنواحي صعدة .

وأصحابه لم يتذكروا قريباً . وهم ينادون بتكفير الأتراك ووجوب قتالهم ، كما كانت تنادي بذلك رسائل والده ، الموجودة عندنا ، وعند غيرنا ، كما كان أئمة الجبال من قبل على ذلك إلى أيام الإمام (القاسم بن محمد)، ولعل لديكم شيئاً من نصوص تلك الرسائل ؟ .

ومن العجائب أننا وقعنا على جملة من رسائله يكفروننا فيها وينسبون إلينا موالاة النصارى حتى أننا نستبدل (الجمعة) بـ (الأحد) ومن أين لهم هذا مع أن باب التكفير والتفسيق لابد فيه من البيان والدليل القطعي حتى يتبين الأمر وإلا عاد على مفتريه ، لأن من كفر مسلماً فقد كفر .

إنكم على يقين أننا في العام الماضي نجاهد نحن وابن حميد الدين ، لا لدسيسة نصرانية ، بل لما ترابطنا عليه من إعلاء كلمة الله ، مع أن في ذلك الوقت كان (الأتراك والإنكليز والطليان والفرنس) وغيرهم إخواناً لم تحدث بينهم الحوادث إلا بعد أن مضى لنا في الجهاد ثلاثة أعوام .

على أن هذه الأوهام قد حسمنا شبهتها أيام حضر لدينا السادة : محمد الشراعي الحوثي ، وأحمد بن يحيى عامر ورفقاؤهم الأفاضل ، كل ذلك لو أراد ابن حميد الدين أن نكون يداً واحدة على من سوانا من أعداء الدين . ونقوم بجهادهم إن أرادوا الدخول في هذه الديار الإسلامية سواء كانوا ترك أو طليان أو انكليز أو غيرهم ، ولو يعلم أعداء الدين بهذا الاجتماع لم يظهر منهم أدنى نزاع ، ولا أجرأهم على العمل إلا حين ظهر لهم منا معاشر أهل الدين النزاع والقتال .

فما كان من ابن حَميد الدين ، إلا الجواب بإعانة (الأتراك) ونشر تلك الرسائل المشحونة بالهمز واللمز كما هو شأن (. . .) متغاضياً عن الصواب ، كأنه يظن أن شمس الحق يضرها طَفَل الباطل وهيهات هيهات ، وقد وعد الله بأن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون .

وربما تسألون جميعاً عما بأيدينا من (المدافع) والأسلحة ، فهذه هي

القوة التي أمرنا الله بتحصيلها يقول تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ وفي الحديث : «ألا إن القوة الرمي».

على أن مذهب (الزيدية) الذين هو منهم يجوزون أبعد من ذلك بمراحل ، وهو الاستعانة بالكفار في الجهاد ، كما حكاه في كتاب «البحر» عن العترة ، وأبي حنيفة لما صح أن (قزمان) خرج مع أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد وقتل ثلاثة من بني (عبد الدار) حملة لواء المشركين حتى قال ﷺ «إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر».

وقد جمع بين هذه الأحاديث وأحاديث المنع من الاستعانة بالمشركين بأمور منها أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها ، قال ابن حجر : وهذا أقربها وعليه نص الشافعي .

وليست هذه (كمكينات) ضرب الفلوس و(البقش) التي استجلبها من (الانكليز) ابن حميد الدين من طريق (عدن) مع أن أي ضرورة في الدين إلى هذه (المكينات) والتذلل في طلبها .

وقد عاش أثمته على هذه النقود المقصوصة ولنا أسوة بالسلف الصالح وهل كان الرسول والخلفاء الراشدون كذلك اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه . . . إلى آخر ما جاء في ذلك المنشور المطول .

إن المنشور (الإدريسي) سجل تاريخي ، نشره أثناء إقامته بمدينة (ميدي) بعد استيلائه عليها من الأتراك في عام (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م ووزع على رؤساء وقادة الرأي في القسم الجبلي موضحاً العلاقات بينه وبين الإمام يحيى شارحاً تطورات الحوادث ، وهو وإن كان كمنشور دعاية من جهة ضد جهة أخرى فيلزمنا الإنصاف للتأريخ أن نبحث عن وجهة دفاع الجهة الأخرى إما في منشور ردت به تلك الجهة أو غيره وإذا أعوزنا ذلك وهو (الواقع) فعلى الأقل وعلى قلة المصادر التي تعتني بتحري دقائق السياسة في ذلك العهد فلا مناص من استقراء الحوادث وتتبع مجريات الأمور التي نلخصها فيما يأتي :

عاد الإدريسي إلى وطنه ومسقط رأسه في شهر جمادى الأولى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م والإمام كما أشرنا قبله قد انسحب أمام القوات التركية التي احتلت (صنعا) إلى (شهارة) . ولا زالت المعارك دائرة بينه وبين الأتراك وقد تقدم (أحمد فيضي) إلى شهارة فمني بهزيمة ساحقة وعاد إلى (قواعده) في صنعاء وظل الإمام يحيى في معقله الحصين متربصاً بهم الدوائر إلى أن عزل (أحمد فيضي) في عام ١٣٢٦ هـ بـ (حسن باشا) الذين عقد هدنة مع الإمام استمر مفعولها نسبياً إلى عام ١٣٢٨ أما معاهدة الصلح بين الإمام والأتراك فهى في عام ١٣٢٩ .

الاتفـــاق والاختـــــلاف :

فيما بين ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ـ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وحدت الغاية المشتركة بين الإمامين وهي مقاومة الأتراك ، ونرجح أنه في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م كان وصول وفـد الإمـام يحيى إلى الإمـام الإدريسي وهـو الوفد الذي أشار إليه في مستهل منشوره ، أي في عهد الهدنة المؤقتة بين الإمام يحيى وحسن باشا وقد أعقب تلك الهـدنة شبوب نار الحرب ولم يطفئها إلا الوالي التركي عزت باشا بعقد معاهدة الصلح مع الإمـام وفي تلك السنـة نفسهـا كانت معـركـة (الحفائر) أي في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وهزيمة الأتراك الساحقة في (جازان) أمام القوات الإدريسية وقد أشار الإدريسي في منشوره إلى استمالة الأتراك للإمام بما أشار ، وقد أشار أمين الـريحاني في ص ١٤٦ ج ١ من كتابه «ملوك العرب» إلى معاهدة الصلح تلك بقـوله : (كان يومئذ عزت باشا) والي اليمن وكانت الدولة على أهبة الحرب مع إيطاليا فسعى عزت بما كان له من حنكة وفصاحة وكرم إلى مصالحة الإمام ليمنعه على الأقل من محالفة العدو كما فعل بعدئذ الإدريسي .

اتفق إذاً الإمـــام يحيى مع الأتـــراك وقـــد استفحـل أمـر الإدريسي وأصبح خطراً يهـــدد كل نفـــوذه والإمـام يحيى صاحب نفـوذ روحي موروث في جميع المنـطقـة الجبلية من ذمـار ، إلى صعدة التي تدين بمذهب (الإمام زيد) فنرى أنـه أوجبت الـظروف في أثنـاء محـاربتـه للأتـراك لعقد تلك الاتفاقية بينه وبين الإدريسي الثـائـر مثله على الأتـراك في إبان نشوء دعوة الإدريسي التي لم يكن ينتـظر لهـا أن تلقى ما لقيتـه من رواج وتوفيق وقد يكون الإمام يحيى كان يؤمل

أن يكون الإدريسي ـ تابعاً لنفوذه ـ والسيد الإدريسي من سعة الأفق وبعد المطمح والحنكة السياسية بحيث أثبت وجوده الفعلي مستقلا بين زعماء العروبة فضلاً عن أن يرضى أن يكـون تابعاً [1] ونرى في عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وبعد اتفاق الوفد (العثماني) على وجه التحقيق الذي كان على رأسه (سعيد باشا) والذي اقترح على الدولة العثمانية ـ كما أشرنا ـ على أن يبقى (الإدريسي) كحاكم على المخلاف السيلماني باسم «قائم مقام» كموظف عثماني تابع للدولة . إن الإدريسي نفسه اعتبر تلك الاتفاقية كاعتراف ضمني من الدولة بنفوذه ، وعلى أثرها بعث نوابه إلى الجهات ومن أولئك النواب (عرار بن ناصر النعمي) الذي بعثه إلى جبل (فيفا) وما يليها من الجبال وكانت قبائل تلك الجبال قد انهمرت عليه وفودها وبايعه شيوخها فجعل ـ كما أشرنا قبلُ ـ القائد الإدريسي من (فيفا) نقطة الانطلاق إلى توسيع دائرة النفـوذ الإدريسي فشمل نفوذه النظير بل جبال رازح جميعها حتى قرب (صعدة) تقريباً وأقبلوا برهائنهم إلى (صبيا) وكان في تلك المنطقة مراكز تركية وبعضها قد ثارت وانضمت مع الإمام في ثورته والبعض خارجون عن كل سلطة أومع القاسمي فاصطدم النفوذ الإدريسي بالنفوذ الإمامي كما اتفقت مصلحة الترك ومصلحة الإمام في صد تيار النفوذ الإدريسي فشب القتال في جهة (رازح) فكانت النتيجة ذلك النصر الذي أشاد به السيد الإدريسي في منشوره ـ راجع الفصل الخاص بعنوان في الميدان الشرقي .

وأخـذ بعـد ذلـك الانتصـار العداء يشتد حتى تم الصلح بين الأتراك والإمام يحيى في عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م وهو العام الذي حدثت فيه معركة (الحفائر) وهناك

---

(١) جاء فى الفصل ١٦ من تاريخ اليمن للواسعي ، ما نصه :

وصل السيد محمد ـ يقصد الإمام الإدريسي ـ إلى صبيا وأظهر الصلاح والزهد والورع وأخذ يتقرب بالوعظ والإرشـاد والأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر ، فأصبح رجلاً دينياً ـ هكذا ـ جذاباً للنفوس بالكرم والجود وصارت له شهرة عظيمة ـ إلى أن قال ـ وجرت بينه وبين الإمام يحيى المكاتبة والمهادنة . وطلب الإذن من الإمام يحيى ـ هكـذا ـ ببقائه فى تلك الجهات للإرشاد والتعليم ، ولم يعلم الإمام بالغاية فكتب له بالإذن مع كثرة العطاء ـ هكذا ـ وأهدى له كتباً . ثم وفدت إليه الوفود من أطراف اليمن فقويت شوكته وعظم شأنه وتفاقم شره وتطاول خطره .؟ وهذا قول اعتقد انه لا يتفق مع الواقع بل ينافى الحقيقة .

قد أصبح الإمام يحيى حليفاً وصديقاً للأتراك ، والإدريسي منافسه بدأ يتقرب إلى الحلفاء كحليف لبريطانيا ضد تركيا وكما كان يرى الأول أن مصلحة الإسلام والبلاد العربية بقائها تحت الخلافة التركية العثمانية ، يرى الثانى أن التخلص من سلطان الأتراك بمساعدة أية حليف كان سواء إيطاليا أو بريطانيا ـ ما دام أن التحالف معهما لا يمس استقلال البلاد في المستقبل هو في مصلحة الإسلام والقومية العربية ، والآن وقد انتهينا من إيراد المنشور والتعليق عليه فعلينا أن نورد ما سجله أمين الريحاني عنه .

نظرة الإمام الإدريسي الخاصة تجاه الإمام يحيى :

وفي أثناء قدوم الكاتب العربي المشهور أمين الريحاني ، في رحلته المعروفة إلى الإدريسي جرى في إحدى الجلسات هذا الحديث :

قال السيد الإمام الإدريسي في أثناء بحث الريحاني معه في موضوع معاهدة الإخاء والتضامن بينه وبين الملك حسين : (المسألة بيننا وبينه قريبة هو لنا بمثابة الأب ونحن أبناؤه الراشدون ، عندنا حكمة . حكمة في الدين وفي السياسة وعندنا . . . قوة القبائل في يدنا ، والله لا تمر أربعة أشهر على المعاهدة إلا نكون أصلحنا بينه وبين ابن سعود) .

الريحاني : إذا أصلحتم بين جلالة الملك وسلطان نجد فهو لا شك يسعى ليصلح بين سيادتكم والإمام يحيى فيتم إذ ذاك الاتفاق الرباعي أو المحالفة الرباعية وهي كما أظن حجر الزاوية في الوحدة العربية .

الإدريسي : هذا كلام حق ولكن الأمر بيننا وبين ذلك الرجل بعيد .
الريحاني : ليس على الله يا مولانا أمر عسير .

الإدريسي : نعم صدقت . وما نحن ياحضرة الأديب بعيدون مما تروم ولكن ذلك الرجل ، أضر بنا والله ضرراً جسيماً ، ونحن نفعناه مجرداً عن كل ضرر وغش ، أما ونحن والملك حسين فقد كان الضرر والنفع بيننا منا ومنه ولذلك ترى الأمر قريباً بيننا . . العرب خداعون غدارون . . نحن أول من حمل على الأتراك في الحرب الكبرى ، أول من انضم إلى الأحلاف أما هو فاتفق والترك وانسحب إلى (شهارة) وأقام هناك بعيداً عن ساحة

القتـال ، أي خير نحن العرب قد جاءنا من الترك ، أية منفعة نفعونا بها ؟ . نحن حاربناهـم قبل الحرب وحاربناهم أثناء الحرب وسنحاربهم إذا عادوا إلى بلادنا .

نحن كنا نحاربهم في (تهامة) لنردهم عن ابن حميد الدين ، أوقفناهم مراراً في زحفهم عليه ، دفعناهم عنه ، فراح يعقد وإياهم صلحاً من وراء ظهرنا هذا في أثناء الحرب ، أما قبلها فكنا نحن وإياه متعاهدين ـ يشير إلى المعاهدة التي أوردناها في أول الفصل ـ عقدنا محالفة لمحاربة الأتراك وطردهم من (اليمن) ولما جاءوا يمرون في بلادنا ليضربوه من جهة الشمال أوقفناهم وقلنا لهم : كيف نقبل وبيننا وبينه عهد الله . وصل الترك بعدئذ إلى (صنعا) فهبوا يضربوننا من وراء الجبال فلم يمنعهم ابن حميد الدين حليفنا صنو عهدنا كأن العهد عنده قصاصة ورق .

ويقـول الـريحـاني : وفي كتابين اطلعت عليهما الأول من الإمام يحيى إلى الإدريسي والثـاني جوابه من الأخير في كتاب الإمام يحيى وتاريخه ٢٥ جمادي الثاني ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م بعد المقدمة :

(إننـا نرحب بسعي كل من يرجـو الله في دفـع الـدسـائس الأجنبية وصـون هذه البـلاد العـربية من تدخـل الأجـانب ، واعلمـوا يقينـاً أن ليس لنـا غرض ولا مقصـد في غير القيام بخـدمـة الله بالقلب واللسـان ، ووالله لولا أن نرى تحتم القيام علينـا بالدفاع عن عادية الكفار على هذه الأصقاع لما حركنا ساكناً ولمـا أظهـرنـا كامنـاً ، ونصـرح لكم بأنـه مع ما بينكم وبين الـدول من الروابط والعلم بمـا لهم من المقـاصـد الضـارة بالإسـلام والمسلمين ، ومـا يرومون من التسلط العـام والسيطرة الشـاملة على كل من قعـد وقـام وبـأنهم لا يدفعـون الأمـوال والـذخـائـر إلا مقـابـل غرض عظيم يعـدون الاستفـادة منـه لدولتهم وملتهم ولم يحملهم عن إظهـار عداوتنـا إلا عدم المسـاعـدة لهم منا في بعض البـلاد اليمنية ولـولا ذلـك لما كان بيننا وبينهم ما كان وما سيكون ، قد أنصفتم

بما أوضحتموه (للشرفي) من القيام [1] بالعدة والتشمير لدفاعهم ومَنْعِهِم وحربهم في البر والبحر وذلك هو الغرض المقصود ، ولكن بقى أمر مهم وهو هل لهم من حجة يحتجون بها ويجعلونها ذريعة لهم إلى مقصدهم الخبيث من ادعاء أي جانب في اليمن وهـل لكم من فكاك من تلك الروابط يزول به كل وسيلة لهم إلى أي تجاوز ؟! . المؤمل من صداقتكم مع كتابنا هذا أن لا تكتمونا شيئاً فإنه لا مخبأ بعد بوس ولا عطر بعد عروس ، وأنتم أعرف بسياسة الدول ومسالكها إلى الوصول إلى أغراضها بما تبرمه من متلونات الحيل ، وهذا إليكم كتاب أخ إلى أخيه للنظر فيما يعز الإسلام والمسلمين ويدفع كيد وضرر الكافرين . . . إلخ .

جـواب سيـادة الإدريسي على سيـادة الإمـام يحيى :

بعـد حمـد الله والسـلام يُعلمـه بوصول كتابه مع (الشرفي) يؤكد له أن بغيته المقصودة وضالته المنشودة (أن نرى أنفسنا على محكم الإخاء والوفاق مع جميع الأمة فرداً فرداً فضلاً عمن هو مثلكم ممن ضمنا وضمه رحم العلم والنسب) ولو نظرنا إلى ما جرى من الحوادث حتى كاد لم يكن رحم توصل ونفوس بين يدي الله تسأل فدعا الأخ أخاه إلى حكم السيف والسنان بل كر عليه بما هو أنكر من وخزات القلم واللسان ، لطال الشرح وتمادى الحال ولكن حيث أوجب تعالى على الكافة أن يكونوا إخواناً ، وفي الحق أعواناً فلا مخلص لنا ولكم لدى الباري من الحجة ، إلا أن نسلك أوضح طريق هذه المحجة .

أمـا ما أشـرتم إليه فيما بيننا وبين الأجانب فلو راجعتم التاريخ بالنظر لما قد مضى بيننـا وبين الطليان وقد أمدونا بما علمتهم ثم وقع الصلح بينهم وبين الترك فانكشف الحـال عن براءتنـا من كل دسيسـة بل ظهـر للعموم ما أجراه الله على

---

(١) أي الإنكليز ، وقد علق (الريحاني) في الحاشية على ذلك بما يأتي : (وفي هذه الجملة) اختلاف على ما قيل لي وقصد سيىء ، لأن (الشرفي) لم ينطق بهذا الكلام أو بمثله لسيادة الإدريسي ولا أحد من خاصته ومن أين للإدريسي أن يحارب الإنكليز براً وبحراً . فضلاً عن أنه يومئذ صديقهم وحليفهم ، أما القصد منها فظاهر . وقد كان الإدريسي يخشى تقرب الإنكليز من الإمام كما كان الإمام يسعى ليبعدهم أي بين الإدريسي والإنكليز ؟ .

يدنا من الخير المعلوم لا تضحت لكم الحقيقة الحاضرة وعرفتم المثل السائر : ما أشبه الليلة بالبارحة . وفي الجملة ما حالنا وحال اليمن إلا كما قال حجة الإسلام .

غزلت لهم غزلاً دقيقــاً فلم أجـد لغـزلي نسـاجـاً فكَسَّـرْتُ مِغْـزَلي

إن الله تبارك وتعالى إذا فتح بالخير فلا رادّ لفضله . وأما ما طلبتم البيان فيه عن اليمن وما ترمي إليه السياسة الأجنبية فمن المعلوم أنها لما قامت الحرب الأوربية أعلنت بريطانيا مساعـدة العـرب إذا أرادوا الاستقلال دون تدخل في شيء من شؤونهم ولكن مع الأسف أنهم على آراء متفرقة وأهواء مختلفة ومرت هذه الفرصة وكـادت تمـر ولم يرفع إليها رأس . . على ما نشاهده الآن في الاختلاف وعدم الانتباه ، لما يرفع شأنهم ديناً وسياسة . أثبتوا على أنفسهم عدم الرشد فاحتقرتهم أعين العالم وصاروا عرضة لانحطاط قوميتهم من بين سائر الأمم فلا حول ولا قوة إلا بالله . .

ومثـالكم على وفـور من العلم والسياسة وبمَحَلٍّ من المعالي والرياسة ، فلا يخفي عليكم كيف يكون لَمُّ الشعث لهذه الأمةَ ، وما هو الأقوم عند الله طريقة في زوال هذه الغمة وحسبنا الله ونعم الوكيل في ١٥ شعبان ١٣٢٩ ويعلق (الريحاني) على الكتابين بما يأتي :

(في هذين الكتابين يتضح أمران : أن دعوة الإمام يحيى دينية ظاهراً وسياسية ضمناً ودعوة سيادة الإدريسي دينية أساساً وسياسية وقومية عملاً) .

الثاني : إن في كتاب إمام صنعاء غموض مقصود قلما يفيد ، وفي كتاب إمام جازان صراحة مبررة وتخصيص ليس فيه إبهام .

وبالطبع هذا الرأي الشخصي للريحاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن مساعد آل سعود وعبد الله بن محمد بن راشد إلى السيد مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله تعالى وهداه آمين سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك من معلومكم أن قحطان عسير في سابق الأمر قبل تغلب الدولة وكذلك غالب اليمن في ملكة
آل سعود وسيرتهم فيه معلومة من إقامة الدين وشيوخ الطايف من مقاديم آل سعود فلما زال ملك الدولة
طلبنا من حسن الموافقة على دين الله ودين رسوله والسمع والطاعة فلما ردوا ذلك أجرى الله عليهم ما ترى
ويذكر لنا أن ناس من ضعفاء العقول من قحطان يزعمون أن ملك آل سعود ما يستقر في اليمن وهذا زعم فاسد
حيث أنه ما يستنكر سيرتهم المرضية في سابق الأمر وغاية القصد وشاكد إقامة الدين واجتماع الكلمة فبهذا السبب
صار لهم بعض الالتفات إليكم ونحنا نزعم أنك ما تلتفت لهم ولا تلقاهم فإن كان صار بعض ما ذكر نبيك معلوم
أن عسير قبل الوقعة تحت يد حسن وسليمان فمن صار هكذا فهو باقي على حاله في ولاية آل سعود ولا نرضى تتعرض
لهم ولا تلقون لهم كلام ومن صار لكم عليه اليد قبل الوقعة يبقى لكم على حاله والنظر بعد ذلك نرجو من الله لنا ولكم التوفيق

١٣٣٨

راجع الفصل الخاص بعنوان ابن سعود والإدريسي .

رسالة من الأمير عبد العزيز بن مساعد مؤرخة في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٨

من عبد العزيز بن مساعد آل سعود وعبد الله بن محمد راشد إلى السيد مصطفى ابن محمد النعمي سلمه الله تعالى ، وهداه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك من معلومكم أن قطعة عسير في سابق الأمر قبل تغلب الدولة وكذلك غالب اليمن في ملك آل سعـود وسيرتهم فيه معلومـة من إقـامة الدين ، وشيوخ العائض من مقاديم آل سعود فلما زال ملك الدولة طلبنا من «حسن» الموافقة على دين الله ودين رسوله والسمع والطاعة فلما ردوا ذلك أجرى الله عليهم ما ترى ويذكر لنا أن ناس من ضعفاء العقول من قضى ؟ محايل يزعمون أن ملك آل سعود ما يستقر في اليمن وهذا زعم فاسد حيث أنه ما يستنكر سيرتهم المرضية في سابق الأمر وغاية القصد ولله الحمد إقامة الدين في اجتماع الكلمة فبهذا السبب صار لهم بعض الالتفات إليكم وحنا نجزم أنك ما تلتفت لهم ولا تلقاهم فإن كان صاير بعض ما ذكر فليكن معلوم ؟ أن عسير قبل الوقعة تحت يد حسن وسليمان فمن صار هكذا فهو باق على حاله وولاية ابن سعود ولا نرضى تعترضونهم ، ولا تلقون لهم كلام ومن صار لكم عليه اليد قبل الوقعة يبقى لكم على حاله والنظر بعد ذلك نرجو من الله لنا ولكم التوفيق والسلام .   ٤ ذا القعدة سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م .

الختم	الختم
عبد الله بن محمد بن راشد	عبد العزيز بن مساعد بن جلوى

الفصـــل الثـــامن

ابـــن سعـــــود والإدريســـــي

كان الإدريسي على اتصال ومجاملة مع ابن سعود على بعد المسافة بينهما ، وبعد وقعة (تربة) في ٢٥ شعبان عام ١٣٣٧هـ الموافق ٢٥ مايو عام ١٩١٩م التي كان لها الأثر البعيد في أرجاء الجزيرة العربية .

شعـر الإدريسي أن هنـاك قوة ينبغي الـركـون إليهـا ووضعهـا في رأس قائمة الحساب ، وبينه وبين الملك حسين من العداء منذ اشتراك (الحسين) في مساعدة الأتـراك بفـك حصار (أبها) ـ ماهو معروف ـ ثم ما وقع بعد ذلك مما أشرنا إليه مفصلاً ، في الفصل الخاص بالدولة الإدريسية .

وقبل وقعة (تربة) بمدة ثلاثة أشهر ـ تقريباً ـ تبلغ والي عسير التركي عن طريق الإدريسي بواسطة الدولة البريطانية أمر التسليم والتقاه رجال الإدريسي في حدود (الشَعْبَيْن) ورافقوه إلى ميناء الشقيق حيث تنتظرهم البواخر البريطانية ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ

وبالطبع أن الفراغ الذي أحدثه انسحاب الأتراك لابد أن يملأ واختيار الإنكليز لوسـاطة الإدريسي في تسلم الأمر بالانسحاب تخويل ضمني لملء ذلك الفراغ ـ وإن كان مضمون الأمر تسليم البلاد إلى أهلها ـ

وبـلاد عسير بمـوقعهـا (الاستـراتيجي) الهام ومرتفعاتها المطلة على (تهامة) ـ المملكة الإدريسية آنذاك ـ ضرورة دفاعية لحماية الحدود الشمالية لدرء خطر أي هجوم على سهول (تهامة) أضف إلى ذلك أن المملكة الإدريسية محصورة بين المملكة اليمنِيَّة من الجنوب والمملكة الهاشمية من الشمال الغربي وليس أمامها فرصـة للتـوسـع إلا على حساب أحدهما وهو أمر محفوف بالمخاطرة والصعاب و(عسير) حينذاك ليست لأحد .

والملك حسين في ذلـك التـاريخ منتشٍ بخمرة الانتصار على الأتراك الذي

ختم باستلامه المدينة المنورة في ١١/٤/١٣٣٧هـ الموافق ١٥ يناير عام ١٩١٩م فاتجهت مطامعه نحو (عسير).

وقد انتهى أمر عسير بانضمامها إلى الإدريسي - كما وضحناه قبلا - وختم ذلك الفصل من تاريخ عسير والإدريسي بثورة آل عائض ونجاحهم في إلحاق الهزيمة بالجيش الإدريسي الصاعد إلى السراة لإخضاعهم.

وشعر الإدريسي بالقوة المحركة وهو الملك حسين فاتصل (بالرياض) - كما ألمعنا في الفصل الخاص بعسير - وكانت النتيجة اكتساح الجيوش السعودية لعسير. فكان الحال لا يعدو ما يتمناه من المصير لعسير عامة ولآل عائض خاصة وقد اتصل القائد السعودي لحملة (أبها) عبد العزيز بن مساعد بالإدريسي وتبودلت بينهما المكاتبات والاتصالات الودية وبعث الأخير الوفد المحتجز لديه لابن (مساعد). كما اتصل بعظمة سلطان نجد نفسه. وقد عثرنا على أحد الرسائل الموجهة من الأمير عبد العزيز بن مساعد، إلى عامل الإدريسي على رجال ألمع نشرناها في هذا الكتاب للحقيقة والتأريخ. مقابلها صورتها الشمسية. (ص ٧٥٤ و٧٥٥).

ويروي أحد خدم الإدريسي - ولا يزال على قيد الحياة [1] - أنه ولد للإدريسي في عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م ابن فأسماه (عبد العزيز) وكتب للإمام عبد العزيز بن سعود عن هذه (السماية) ومن ضمن تلك الرسالة ما يأتي :

(إني أجلت النظر في أنحاء أرجاء الجزيرة فلم أجد أهلا للثقة ورعاية عهود الإخاء سواكم. واعلموا أن ابن آدم رهن المنون. فإذا توفاني الله فأنتم المقلدين بالوصاية على عائلتي وأهل بيتي . . . الخ).

وقد أيد ما ذكره بأن نص الخطاب مسجل في سجل ديوان الإدريسي بصحيفة ١٣ لسنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م.

وبعد أن اكتسحت القوات السعودية عسير ومحائل، توجه وفد منها إلى الإدريسي بـ (صبيا) برياسة شخص يسمى عبد الله بن راشد، فاستقبلهم بالحفاوة

---

(١) أي عند تأليفي هذا الكتاب سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م وهو منصور بن محمد يام من أهل قرية الدرعية، وكان من خدام الإدريسي الخاصين وبعد وفاة الإدريسي ظل فى خدمة ابنه علي الإدريسي إلى أن =

والتكريم وتفاهموا معه حول مهمتهم وأشاروا عليه بهدم القباب والأضرحة فحالا أصدر أمره :

١ - بهدم ضريح جده أحمد بن إدريس والقبب المشادة عليه وبوشر ذلك ليلاً فلم تشرق الشمس إلا وقد سوى بالأرض .

٢ - هدمت جميع الأضرحة والمزارات في أغلب المملكة الإدريسية .

٣ - منع نساء البادية من غشيان الأسواق .

وقد شاهد الوفد مباشرة أغلب هذه الإجراءات وغيرها ثم انصرف عائداً إلى عسير .

موقف الإدريسي من ثورة عسير :

ثار أهل عسير أو بالأصح ثار (آل عائض) على الحامية السعودية وأميرها وأخرجوها من حدودهم وأوعزوا إلى رئيس محائل سليمان بن أمخالد (فثار هو بدوره وطرد من لديه ، وكما مر بك في الفصل الخاص بعسير بعث ابن سعود ابنه الأمير (فيصل) على رأس جيش قوي استعاد عسير ومحائل) .

أما الإدريسي فقد قام بواجبه كصديق لعاهل نجد - آنذاك - نحو ما يستطيع عمله . فعندما بلغه ثورة رئيس (محائل) أصدر أمره فوراً على أميره في رجال ألمع مصطفى النعمي ، بالهجوم على (محائل) أخذاً بثأر حاميته راجع الفصل الخاص بـ (عسير) . فهاجمتها القوات الإدريسية وأثخنت فيهم القتل وأحرقت الدور وهدمت بمدفعها دور سليمان بن أمخالد ، الذي فر بدوره إلى الملك حسين وانسحبت عائدة إلى قاعدتها .

محاولة آل عائض :

وكأن آل عائض بعد اكتساح جيش الأمير فيصل لعسير كتبوا إلى الإدريسي ، مظهرين أسفهم لما سبق أن جرى منهم نحوه ، ملوحين باختيارهم الانضمام تحت لوائه فيما إذا استطاع استعطاف ابن سعود في الإبقاء له على عسير ، فخامره الطمع اعتماداً على الصداقة التي بينهما فكتب لابن سعود فأجابه بالكتاب الآتي :

= خلع من الإمارة وتوجه معه إلى عدن ثم من عدن إلى الحجاز ومنها عاد إلى المنطقة وقد ظل على قيد الحياة إلى ما يقارب عام ١٣٨٣ هـ ثم توفاه الله .

بســم الله الرحمــن الرحيـم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود . إلى جانب الأجل الأمجد الأفخم حضرة الأخ السيد محمد بن علي الإدريسي .

بعد إهداء مزيد السلام ورحمة الله وبركاته . . .

قد وردنا كتابكم المكرم المؤرخ غرة الحجة عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م فأخذناه بيد التكريم وتلوناه مسرورين بدوام صحتكم غير أنا فهمنا من فحواه ومنطوقه بعض الأماني الخيالية ، التي لا نؤملها من مثلكم ، كنزع أيدينا عن بعض أملاكنا التي ورثناها عن آبائنا ، ومؤكدة بالعقود والمواثيق المقررة بالأيمان والعهد مع جنابكم [١] ، برابطة الصداقة المبنية على تقوية هذه الكلمة المطهرة . حسب ما اعتقدناه في حسن نواياكم ومحبتكم لذلك ودعواكم لقبوله كما تشهد به التحريرات الكائنة بأيدينا وأيديكم . ولم يخطر ببالنا أن يتخيل عندكم عكس ذلك فضلاً عن تصوره . لا ظاهراً ولا باطناً .

اللهم إلا أنه قد كان استفزكم ما أحدثه هؤلاء الأشقياء من (عسير) ومحركيهم بقول أو فعل أو رضا ، كما لا نعده لدينا إلا استحكام عقوبة عليهم ، وإظهاراً لما في بواطن كل منافق . كما هي عادة الحوادث في كشفها الغطاء وترجمتها عما في قلب العدو أو الصديق كما قيل :

جزى الله النوائب كل خير ... وإن كانت تُغَصِّصُني بريقي
وما شكرى لها حُبًّا ولكن ... عرفتُ بها عَدُوِّى من صديقي

ثم تعود الحال على ما كتبه الله من كونه مع جنده . كما قال تعالى : ﴿ وإن جُنْدَنَا لهم الغالبون ﴾ ولا شك أن جنده هم القائمون بأمره . ومع هذا الاحتمال يلزمنا شرعاً صرفه إلى ما هو أحسن عملاً بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا تحمل كلمة تخرج من أخيك على سوء وأنت تجد لها محمل خير ومحبة). رجا بذلك المصلحة العامة .

ولم نشك أن الأمر سوء تفاهم فقط . ليس لاختلاف فيه ، ولكن أخي

(١) يشير إلى معاهدة بين عظمته وسيادة الإدريسي بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م.

حفظك الله الواجب على حضرتكم مراعاة الحقوق ، والثبات على الاتفاق والمعاهدة ، وعدم التغير في الأوقات الحرجة ، لأن الأحوال غير مأمونة . ودائماً الأسباب تظهر على غير ما يؤمله الناس . كما جرى بالأمس على أهالي (عسير) الطائفة الخارجة عن الطاعة صاروا سبباً لهلاكهم . وخراباً على محركيهم والمشوقين لهم لذلك .

فَالآن أبين لحضرتكم أننا ما نأخذ الصاحب على أول زَلَّة بل إن شاء الله مستقيمون على ما سبق بيننا وبينكم . اللهم إلا أن يكون وضعية على غير فكرنا . أوغرض غير غرضنا . فبينوا لنا ذلك ، والخير فى الواقع . فإن كان الأمر باق على موجب رأينا فكن واثقاً بالله أننا لا نجعل الأمر الفائت على البال . بل أجريناه على مجرى حسن ورجونا أن الماضي معلم المستقبل . فلا توهم ما أشرنا إليه من العبارات المؤذية بالعتاب زيادة ولا نقصان كما قيل (ويبقى الود ما بقى العتاب) .

ولابد من مراجعة بينكم وبين الابن فيصل ، ونحن عرفناه بما فيه الكفاية هذا ما لزم تعريفه والسلام على الأولاد الكرام ومنا الأولاد يسلمون عليكم ودمتم محروسين في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م. (الختم).

وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م عند قيام الحسن الإدريسي على ابن أخيه بعث جلالة الملك عبد العزيز وفداً مؤلفاً من ابن عسكر ومحمد بن دليم ومصطفى النعمي وعبد الرحمن بن ظافر النعمي وعبد الوهاب أبو ملحة للإشراف على الحالة والتوفيق ذات البين ، إن أمكن إلا أن كفَّة السيد الحسن رجحت وأزاح ابن أخيه وتبوأ مركز الإمامة وباستقرار الأحوال عاد الوفد إلى أبها . وبعد توجه الوفد رأى الحسن الإدريسي أن مطامع إيطاليا تحوم حوله ، وقد استولى الإمام يحيى في عهد ابن أخيه على أكثر من نصف المملكة وفي عهده استولى على جبلي منبه والعر وكان قد وصل لزيارته الزعيم الإسلامي أحمد الشريف السنوسي ، فأشار عليه أن من الخير له أن يرتبط بمعاهدة صداقة وحماية مع ابن سعود ، فرجح الحسن ذلك ، وانتدبه لتلك المهمة فتوجه إلى الحجاز وتم بواسطته إبرام معاهدة (مكة) المعروفة التي بموجبها دخل في الحماية السعودية .

معـــاهـدة مكـــة المكـــرمـة

الحمـــد لله وحـــــده :

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وبين الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي .

رغبة في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وتقوية للرابطة بين أمراء جزيرة العـرب ، قد اتفق صاحب الجـلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن ابن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية :

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمـام السيد محمـد بن علي الإدريسي ، والتي كانت خاضعـة للأدارسة في ذلك التاريخ ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة .

المـادة الثـانية : لا يجوز لإمـام عسـير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة ، وكذا لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المـادة الثـالثـة : لا يجوز لإمـام عسير إشهار الحرب وإبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل الحل والعقد التابعين لإمامته .

المـادة السـادسـة : يعـترف ملك الحجـاز وسلطان نجـد وملحقـاتها بأن إدارة

بلاد عسـير الداخلية ، والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المـادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعدي داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى . وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين .

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ **٢٤** ربيع الآخر سنة **١٣٤٥** هـ الموافق **٢١** أكتوبر سنة **١٩٢٦**م .

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود (الختم الملكي)

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف خادم الإسلام أحمد الشريف السنوسي .

الختم

إمـام عسـير
الحسن بن علي الإدريسي

الختـم

الفصــل التــاسع

من رســائل الإمــام محمـد بن علي بن إدريس
في عهـــده الأول

إن الرسائل صورة من نفسية المرء العملية يستشف منها منحاه واتجاهاته وميوله ومنهج سياسته فهي صورة معبرة عن شخصيته ووثيقة تاريخية عن حركته وتصرفاته الإدارية والأدبية ، وقد تحصلنا على عدد لا بأس به من رسائله فاخترنا منها :

١ ـ رسـالة من الإدريسي إلى والد المؤلف تعد من أقدم رسائله تشرح منهج حركتـه الأولى والطريقة التي سلكها ومبررات ثورته ولها ملحق يوضح به مبرراته لقطع يدي أحمد شريف الخواجي والرسالة جواب على رسالة استفسار من والد المؤلف [١]. وتـاريخ رسـالـة الإدريسي في جمـادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م ننشرها مع صورتها الفوتوغرافية .

٢ ـ صورة منشـور طبعـه الإدريسي في الخارج يشرح فيه مبررات ثورته على الأتراك وهو سجل تاريخي يحتوي في مضمونه على أدوار من حركته وتطورات قضية ثورته مع الأتراك .

٣ ـ منشور موجه إلى سكان القسم الجبلى سبق إيراده فى ص ٧٤٤ .

٤ ـ رسالة صادرة من الإدريسي إلى قائده فى الجبهة الشمالية مصطفى النعمي بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م.

٥ ـ رسالتين إلى ناصر بن حيدر بن على : الأولى بدون تاريخ والثانية بتاريخ ٨ محرم ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

٦ ـ رسالة إلى قائده فى الجبهة الشمالية مصطفى النعمي بتاريخ ربيع الآخرة سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

٧ ـ بيان بتحقيق زكاة قبيلة بنى حمد بتاريخ ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

---

(١) وجدنا رسالة الإدريسي ولم نجد الرسالة الموجهة اليه ، لأن رجال ذلك العصر لا يحتفظون بالمسودات .

٨ ـ رسالة إلى قائده فى الجبهة الشمالية مصطفى النعمي بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

٩ ـ رسالة إلى مشايخ السراة بتاريخ ٤ الحجة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

١٠ ـ رسالة إلى مشايخ بنى شبيل بتاريخ ٢٧ القعدة سنة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م .

١١ ـ إيصال استلام بتاريخ سلخ صفر سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م بتوقيع الوزير محمد يحيى باصهي .

١٢ ـ رسالة إلى مصطفى النعمي بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

١٣ ـ ملحق بالرسالة السابقة بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

١٤ ـ رسالة إلى قاضيه فى جبل النظير بتاريخ ربيع الأول عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

١٥ ـ رسالة إلى مصطفى النعمي بتأريخ ٢٦ شعبان ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

١٦ ـ رسالة إلى ناصر بن حيدر بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

١٧ ـ رسالة إلى مشايخ بنى حمد فى ٢١ الحجة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

١٨ ـ رسالة إلى مشايخ بنى شبيل بتاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

١٩ ـ رسالة إلى مصطفى النعمى فى ربيع أول سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م .

٢٠ ـ وثيقة منشور من قائد الجيوش الإدريسية محمد طاهر رضوان بتاريخ ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩٢١م . مع صورة شمسية .

٢١ ـ رسالة إلى قائد الجيوش الإدريسية محمد طاهر رضوان بتاريخ ٢٣ ربيع الثانى عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م .

٢٢ ـ رسالة من الإدريسي إلى قائده في المنطقة الجنوبية بتاريخ ٢٨ ربيع ثان سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م .

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس لطف الله بهم

إلى من هو بمكارم الأخلاق متخلق وبكل وصف جميل متحقق الفاضل أحمد ابن عيسى العقيلي لا زال محفوظاً ملحوظاً بعناية الملك العلي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . .

صدرت للسلام والتحية والإكرام كتابكم الكريم وصل ، وما شرحتوه اتصل ، وكتاب الفاضل الإمام النوري أحمد بن أبى طالب الغبيري لما فتحنا طياته لاحت لنا صالح طوياته ، ولله الحمد حيث كان ممن شملته طريقة سيدي الجد فإن سيدي ومولاي إمام أهل التقديس الأستاذ الأعظم سيدي أحمد بن إدريس يقول بشرني جدي يعني النبي صلى الله عليه وسلم أن من انتمى إليك لا أكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته أنا وليه وكفيله ، فقد تكفل صلى الله عليه وسلم بأهل طريقه وهذه بشرى عظيمة وقد عمت جميع الأقطار بحكم الفيض الإلهي المدرار ، ولا زالت أوراده تنشرها الأفاضل وتعتني بضبطها وإتحافها للمريدين لاسيما بدار السعادة على يد الأكمل الممنوح بالأسرار الحاج مختار بك الآخذ عن الشيخ الإمام إسماعيل النواب رحمه الله وما أظهره الله الآن من الأمن والإيمان فهو لاشك أنه من بركات سيدي أحمد وما بقى أكثر وكم دعا رضي الله عنه في حياته إلى العمل بقوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ ولا زلنا بحمد الله ندعو إلى ذلك وفي الحقيقة أن الناس في تفرقهم إلى جمعية أحرار واتحاد وعلمية ومحمدية وغير ذلك لو علموا الحقيقة لرأوا أن الشريعة متكفلة بكل مكارم الأخلاق التي يحاولونها ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ـ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ فالاتحاد ليس روح الدين سواه ، قال عز وجل ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ والحرية التي هي عصمة الدم والمال والعرض إلا بحق جاء

به القانون الإلهي هي من النواميس الذي جاء هذا الدين بها للبرية قال عليه السلام : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق» والعلمية هي الدائرة التي بها رفع الرتب ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ والمحمدية هي الجامعة للكل من جملة مكارم الأخلاق كما قال ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فما أدري ماهذا الاختلاف ومن أين جاء إلا أن يكون الهوى والتكالب على الدنيا قد استولى حكمهما على القلب فإنه حينئذ تأتي السبل التي قال فيها تعالى : ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وما كنا نريد لأهل الملة ونحب لهم لاسيما لأولي الدولة الذين هم القدوة لنا في المكارم والفلاح إلا التمسك بالسبيل الأقوى الذي قال فيه المولى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ وقال تحذيراً مما يصد عنه ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ وواشوقاه إلى شمل أهل الإسلام لاسيما فيما بين الدولة والرعية فإنه طال بينهم النزاع وذاع ما لايحمد وشاع وقد رضينا لأنفسنا بشماتة الأوروباويين المخالفين لديننا ومكنّاهم الفرص منا فما لهذه العقول لا تتفكر وما بال هذه القلوب لا تتدبر والله لن نكون بالعقل على إلمام حتى تجلى مرآة أفكارنا باتباع سيد الأنام ، فإن ما نحن فيه من أول يوم مربوط بأنوار النبوة فلا يمكن من غيره مقصود فما أحسن ولا أكمل من الدعوة إلى هذا السبيل حتى يرجع الإسلام بتحكيم قوانينه واتحاد الدولة والرعية بأحسن حال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل نعم الملك الجليل والسلام التام لكم ولمن حواه المقام ورحمة الله وبركاته .

١١ جمادي الأولى ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .

ومن شأن الشريف أحمد الخواجي فهو لا زال يعقد نار الفتن بين القبائل ، ويرتكب في الهوى إلى فساد ذات البين وقد طالت فتنته بين قبائله أهل صبيا وبين قبيلة مجاورة لهم تسمى الجعافرة واستمرت نحو ست سنوات بسببه ولا يزداد إلا عتوا وصدا عن سبيل الله فلما حصلت الدعوة إلى اجتماع المسلمين وتخاويهم في الدين كبر عليه الأمر وعزم بزيادة على سفك الدماء

بحيث لا يتخلص من شره إلا بإحدى خصلتين إما إعدامه أو قطع يديه لتأمن الناس من شره إذ قد كان لا فرق بينه وبين الجوارح المؤذية ولما كان الضرر ينتفى بقطع يديه استغنى بها عن اعدامه وفي الحقيقة أن ضرره عام للرعية وللدَّولة إذ هو يأخذ أموال رعايا الدول الأجنبية وهم لا يغادرون في رعاياهم فيحصل الضرر على الدولة من مطالبة الأجانب وهو لما رأى الدولة لم تساعده قد انخلع منها زماناً وخرج من (الحديدة) شارداً حيث طلب بالحقوق ولا يدخل البنادر ، وكم له من مفاسد كالاستيلاء على استرقاق الأحرار جهاراً والآن قد أظهر التوبة بعد أن قطع يداه وتعب ونرجو الله لنا وله خيراً وما زلنا نرشد إلى مواساته كما هو اللائق بمحاسن الشريعة .

منشـــــور إدريســـي [1]

بســم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين الذي اصطفاه الله من خيرة العرب فأرسله إلى الناس كافة ﴿ مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ وأنزل عليه في كتابه العزيز : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمـرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وأبان له من أحوال الأمم السابقة ما فيه مزدجر لقوم يعقلون فقال : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وحدد له الحدود وبين له الأحكام وقال : ﴿ من يتعد حدود الله فقـد ظلم نفسـه ﴾ وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ـ فأولئك هم الكافرون ـ فأولئك هم الفاسقون ﴾.

أمـا بعـد فقـد قال الله تبارك وتعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينـوا أن تصيبـوا قومـاً بجهـالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ وقال ﷺ «آية المنـافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعـد أخلف وإذا أؤتمن خان» وقـد علمت أن بعضاً ممن نطلب لهم الهداية من الله ولا أزيد قد نقلوا عني ما الله يعلم أنني منـه براء ونسبـوا لي مالا يصـدر إلا عن المفسـدين وشوهـوا كثيراً من الروايات التي يروونهـا عني بإلبـاسهـا لبـاس التغـرير والتمويه وكذبوا على أولئك العرب المخلصين الـذي قد روي عن رسـول الله ﷺ في أمـرهم ما يفتخـرون به فقد روى عنـه عليه الصلاة والسلام أنه قال «إني لَأَشْتَمُّ ريحَ الإيمان في جهة اليمن»

---

(١) تلقيت الأصل هدية من الصديق الكريم الأستاذ محسن بن أحمد أبى طالب القاسمي الحسني وهو منشور سبقه عدد من منشورات كما يفهم من السياق . ونرجح أن هذا المنشور نشر تبريراً لقيامه .

أو كما قال وروى عنه ﷺ أنه قال : «العلم يمان والحكمة يمانية» وفي رواية «الإيمان يمان والحكمة يمانية» وإذا كان ذلك كذلك كان حقاً على أن أذكر مجملاً الحقيقة لتطمئن به نفوس إخواني المسلمين في غير جزيرة العرب والله على ما أقول وكيل نحن بحمد الله مؤمنون من أهل السنة والجماعة نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونعمل على ما يوافق الشريعة المطهرة مبلغ علمنا وطاقتنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونجتهد في إزالة البدع الضارة بالدين وأهل الدين غير مرائين ولا مداجين ولا ماكرين ولا مخادعين لا ندعى شيئاً من الدعاوي العريضة التي يموه بها ذو الأوهام على عقول العوام فلا ننتحل المهدية كما يزعمون ولا نشعوذ كما يفترون ، ولانزعم كشفاً ولا شيئاً من علم الغيب كما يشيعون ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ بل لا نتصور شيئاً يحاوله ذو البطالة العاجزون ولا نريد خلافة ولا ملكاً كما يتوهمون ولا نطلب جاهاً ولا مالاً ولا شيئاً من الأغراض الدنيوية الفانية التي يتهالك عليها الطامعون ، اللهم إلا ما يكون بلاغاً إلى الدار الآخرة ووسيلة لمصلحة الإسلام والمسلمين من طريق شرعي نتحرى فيه ما استطعنا وسواء علينا في طلب الخير ظهرت النتيجة على يدينا أوعلى أيدي واحد من العاملين المسلمين فإنا ـ عَلِمَ الله ـ نطلب الخير للخير ونتباعد ما استطعنا عن الشر وكل ما نهتم به هو الصلاح والإصلاح ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ولقد كان لي من سلفي الطاهر أسوة حسنة وفي طريق تربيتي وما يعرف العارفون بي من الأخلاق التي أنا عليها وسيري وسريرتي ومنذ نشأتي أكبر برهان على ما ذكرته بحمد الله سيقول القراء إذاً فما تلك الضجة التي شغلت كثيراً من الآفاق وما هو السبب في هذا الذي يزعمون من البغي والخروج والتشويش على الدولة في الوقت الذي أصبحت فيه على شفا جرف هار من الانهيار بسبب اختلاف أحزابها وتغير أطوارها وعدم تماسك رجالاتها وإلقاء زمامها بيد أغرارها وتغلب أشرارها على أخيارها مع ما انتابها من اعتداء المعتدين وما تخشاه من أيدي الطامعين فقد خلق هذا للدولة موظفوها وبعض ضباطها المارقون أولئك الذين ملأت الدولة الآن بهم جوف المناصب وتركتهم على غلوائهم وصلفهم وكبريائهم يعيشون في الأرض بلا خشية ولا حياء

فنراهم يستبيحون الحرام وينتهكون الأعراض ويتجاهرون بالمعاصي والخروج عن الحدود التي حد الله ورسوله غير مبالين ولا متأدبين فلا الصلاة يؤدون ولا الشهر يصومون ولا هم في حكمهم يعدلون ولا لأصاغرهم بله أنفسهم عن الإيغال في أرزاق الرعية يزجرون ، وناهيك بالرشوة وعكوفهم عليها مع عبثهم في أموال الرعية واحتقارهم للأمة العربية واللغة العربية وإهمال جميع المصالح العامة وإهانة رجال الدين إلى غير ذلك مما لا يصدر إلا عن القوم الظالمين الغادرين ، كل هذا مع رغبة أولئك العجم الذين لا خلاق لهم في إيجاد القلاقل وإثارة الفتن ليتمكنوا من حمل الدولة فوق ما تتحمله من الأثقال التي تنوء بها الدولة ذات القوة على جمع الجنود وتجييش الجيوش حتى تكون لهم مندوحة للاشتراك مع المتعهدين سراً في تلك التعهدات الكبيرة التي تكال فيها أموال الدولة جزافاً فيملؤون من هذه النار بطونهم وبطون شركائهم ولا يهمهم بعد ذلك عمرت الدولة أم خربت صلحت أحوال الناس أو فسدت ، ليت شعري إذا كان هذا عمل الحاكمين في جزيرة العرب منبع النبوة ومهبط الوحي بين ظهراني عرب البادية السذج الخلص وعلى مرأى ومسمع منهم بل قد ينال أهل البادية أنفسهم ماتئن منه أهل الحاضرة أترى أنه مع هذا يمكن للعربي أن يصدق أن حكامه مسلمون مهما حاولت اقناعه ومهما أطلت في إيراد الحجج عليه بالطرق المختلفة في حين أن بلاغة العمل فوق كل بلاغة ، وبيانه فوق كل بيان كلا لا جرم أنه قد أصبح من البدء يسيطر على أعمال الدولة الأحداث الأغرار الذين يثيرون عليها الفتن ويقيمون عليها القلاقل وسواء علينا كان ذلك بعلم المراجع العليا كما يعبرون بحيث يكون سكوتهم عن ذلك لأي مقصد من المقاصد أوبغير علم منهم ولقد نمى إلينا في المدة الأخيرة أن أمثال هؤلاء الشبان قد أصبحوا يبيعون البلدان ولا سيما العربية بأبخس الأثمان وبعد فقد عرف القراء مما نشر قبل الآن في بعض الجرائد المصرية أننا لما عدنا من طلب العلم بالديار المصرية وغيرها إلى بلاد اليمن حيث المهد الأول لنا وجدنا الناس على أسوأ مما تركناهم عليه من شدة النفرة بينهم وبين رجال الحكومة كما وصفناها آنفاً وجدناهم كذلك على ما هم عليه في الامتناع عن دفع الأعشار ، والمحاكمة إلى الطواغيت واختلال الأمن في

جميع الأنحاء بسبب المطالبات بالثأر وترك الحكومة حبل الناس على غاربهم ذلك الأمر الذي أوقف جميع الأعمال والحركات سواء التجارية أو الزراعية وغيرها إلى حد كان الرجل معه لا يمكنه أن يخرج من محله قيد شبر إلا إذا كان معه من عشيرته من يجيرونه ومن الأسلحة ما يدفع به الغائلة وما أكثرها ولو رأيت إذ ذاك لرأيت ما يفتت الأكباد ويمنع الرقاد ويطيل السهاد ، نعم لو رأيت لرأيت المساجد معطلة والشرعية مهملة والأرض قاحلة والمصائب متواصلة فلا يمكن لرجل أن يخرج إلى بلده إلا حاملاً لسلاحه مصاحباً رفقته لتتولى حراسته بل لو رأيت لرأيت من السلب والنهب وقتل الأرواح البريئة ما تزعج منه النفوس الثابتة وتلين له القلوب القاسية ، بل رأيت من الحروب الأهلية الدائمة بين القبائل والعشائر والأفخاذ ما يذهب بالأموال ويُؤَيِّمُ النساء وييتم الأطفال ويقطع النسل ويقلل الذرية كل ذلك تراه إذ ذاك حاصلاً على مرأى وسمع من الحكومة ورجالها دون أن تحرك ساكناً أو تعمل عملاً لإيقاف سبيل هذا البلاء الجارف وقد لاتجد لأحد من الحكام والموظفين اهتماماً بأمر من هذه الأمور إلا ما يكون من ورائه ربح له على انفراده أو بالاشتراك مع بعض أعوانه ولقد وصلت الحال بالحكومة نفسها إلى أنها لا يمكنها أن تستقي من مواقع الماء حتى تعد العدة وتجيش الجيوش وتحتمي بالجار فكيف هذا العار لا ريب مع هذا أن اشتد الضيق بالكافة وصار العقلاء يبحثون عن مخرج من هذه الحالة ولا يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لَوَلَّوْا إليه وهم يجمحون (١). لما اشتدت الأزمة وأراد الله أن يفرجها جعل لنا من ذلك مخرجاً إذ وفقني للدخول بين قبيلتين عظيمتين للصلح والصلح خير فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه وما كان ليتم ذلك . ولولا إرادة الله وقوته الآلهية على إسقاط الدماء السابقة واحتلال التحاكم إلى الشريعة المطهرة محل التحاكم إلى الطواغيت وإقامة الحدود الشرعية على حسب ما أنزل الله في كتابه وما بينته سنة نبيه ﷺ وعلى آله وسلم وما أرشد إليه هدي السلف الصالح والأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين بذلك استتب الأمن في

---

(١) الآية ٥٧ من سورة التوبة وصوابها « لو يجدون ملجأ أو مغارات » . . . الآية .

أرض هاتين القبيلتين وسارت التجارة وصلحت الزراعة وأمِنَ الناس على الأنفس والأموال وهدوء البال وحفظت الذراري والأطفال وأقيمت الصلاة بين الأفراد والجماعات وحوافظ على حدود الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه هناك اشرأبت أعناق القبايل الأخرى للانتظام في هذا السلك ومالت نفوسهم إلى الراحة النفسية وترك المعنى الحاصل بسبب التنافر والتخاصم والتخاذل ومن المعلوم أن أنفة العرب وشهامتهم تمنعان كل قبيلة من البدء بطلب الصلح فتتابعت إليَّ رسلهم سراً فوفق الله هذا الضعيف إلى الدخول بين عدة قبائل فتم الصلح بينهم ببركة الإخلاص ففازوا بمثل ما فاز به إخوانهم السابقون فكان ذلك قذى في أعين بعض المأمورين ولو أخلصوا لحكومتهم وأمتهم لكان ذلك من أكبر أمانيهم لعموم الأمن وسهولة أدائهم لمأموريتهم نعم كان ذلك قذى في أعين البعض وفرصة للبعض الآخر إذ جعلوا هذا الأمر متكأ يتكئون عليه لحمل الدولة على إنفاق النفقات الباهظة فيما لا طائل تحته وبذلك يكون لهم ولشركائهم من المتعهدين ما يشاءون من الأرباح لهذا أخذ الذين في قلوبهم مرض يشيعون الاشاعات ويخلقون التُّرهات ويذيعون الأباطل والمفتريات ويلهبون نيران الثورة من الجانبين فاجتهدت في إطفاء تلك الجذوة في أول اشتعالها بالحكمة والموعظة الحسنة مع حسن المعاملة وكثرة المجاملة وطلب التفاهم حتى يزول ما علق بالنفوس من سيئة فلم أفلح إذا غلبت غواية الغاوين على رشد الراشدين ، ووجدت عبارات الظالمين أذناً صاغية عند ذوي الحل والعقد من رجال الدولة البعيدين عن مشاهدة الحالة والاملاء عليها بالقسط فصدرت الأوامر بتجهيز الجيوش وإرسالها لمقاتلة هذا الضعيف الذي لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك بسبب ما ظهر على يديه من الإصلاح الذي لم يرق في أعين الحكام مع ظهور فائدته فلما رأى العرب ذلك داخلهم في حكامهم الريب وأخذت نفوسهم تفكر حتى ثبت لديهم ـ وبعيد أن تقنع البدوي بضد ما يظهره له العيان ـ أن هؤلاء العمال إنما هم على غير الملة الإسلامية وظنوا وبعض الظن إثم أن هذه الجيوش إنما أرسلت لمقاتلتهم حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا فتأهبوا للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم وعن راحتهم وأمنهم ودبت فيهم الحمية العربية والغيرة الإسلامية

فأخذت ألطف من حدتهم لأعيدهم إلى الحكمة والسكون حتى أقنعتهم بأن يقفوا موقف المدافعين عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم مع القيام بواجب الدين فوقفوا هذا الموقف حتى حضر سعيد باشا إلى اليمن بجيشه الجرار والرجل على ما يظهر من العقلاء المتبصرين عندئذ لم يرد سعادته أن يقتحم ذلك الصعب حتى يراود الأمر بنفسه فعمد وعمدت إلى التلاقي فلما خبرنا وعرف الحق وظهر له كذب تلك الاشاعات ظهور الشمس لذي عينين اتفق معنا على أن نبقى على ما نحن عليه وأن الحكومة تقبل أن تكون الأحكام في هذه القطعة العربية على حسب الشريعة الإسلامية فلما تم هذا الاتفاق بيننا أجهدت نفسي في مساعدة الدولة حسبة لله تعالى وساعدتها على مد (التلغراف) ولم تكن قد تمكنت في عهد وجودها باليمن من ذلك على ما كان فيها من كثرة النفقات التي كانت تذهب أدراج الرياح وقد أعنتها بعشرة آلاف عود من القوائم اللازمة لذلك وكانت قبل ذلك تدفع في العود الواحد ليرة ثم لا تكاد تضع ما تبتاعه من الأعواد حتى تتخطفه أيدي البدو الذي لا تصل إليهم أيدي الحكومة كل ذلك عملته وأقنعت العرب بدفع ما تيسر من الأعشار باسم الزكاة ولم يكونوا يدفعون للحكومة شيئاً وعملت غير ذلك من المساعدات التي لا أرى سعة في الوقت لشرحها كنت أظن أني بهذا العمل قد خدمت الحكومة أجل خدمة ، وأن رجالها سيحفظون لي ذلك ويعرفون لي اخلاصي لدولتي وملتي وديني وقومي فيصادقون على هذا الاتفاق ويدعون هذه البقعة التي لم تختلط بالأجنبي تقام فيها حدود الله ويتركونني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر مرتاح الضمير من غير تشويش ولا تكدير ولكن ساء مثل القوم فأظهروا من الحوادث ما أظهر أن ذلك الاتفاق لم يكن إلا خدعة يراد بها تخدير أعصاب العرب إلى أن يدخل أولئك الماكرون في أحشاء الأمة فيقطعون أوصالها ويبطلون أعمالها وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

لم يرع العرب بعد ذلك إلا ما فاجأهم الموظفون من أن المراجع العالية ـ كما يعبرون ـ لم تصدق على الصلح بهذه الطريقة ثم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في الدين وأظهروا الرضا بعدم إقامة الحدود وأخذوا يشنعون على إقامة الحدود وترك الحق لولي الدم وقالوا : إن المدنية تأبى ذلك ثم أظهروا لنا منشورات نشرتها الدولة حرروا فيها بأنهم تفضلوا على المسلمين في هذه

البلاد أومنحوهم من عند أنفسهم منحة العمل بالشريعة في المدنيات دون الجنائيات وشنعوا بمن يتشدد في طلب ذلك في الجنائيات إلى غير ذلك مما يخالف مقاصدهم وتأباه أغراضهم ودستورهم الحديث علمنا بذلك فقلنا لاحول وقوة إلا بالله العلي العظيم بالله ، ويالهذا الخذلان متى كانت الشريعة تقام دون أن تقام حدودها وما الذي يمنع ذلك ، فبلاد العرب خلو من كل الأجانب عن الدين فإذا فرضنا أن الدولة تجد صعوبة في تنفيذ الشريعة كما هي في غير بلاد العرب فما هي الصعوبة في تنفيذها هنا مع رضا الأهالي بذلك وسرورهم به وظهور نتائجه لهم وتشددهم في طلبه ثم ماهي تلك المدنيات التي منحونا الحكم منها على مقتضى الشريعة ولا ثروة عندنا ولا تجارة ولا تزاحم في البلاد ليقتضي منازعات مدنية لايحصل التراضي بحكم المحكمين أتراهم توهموا أنهم عملوا إصلاحاً في البلاد فأوجدوا فيها تجارة لن تبور وصناعات رائجة وزراعات مثمرات إلى غير ذلك فظنوا أن المنازعات المدنية شيء كبير يعد من المحنة لهؤلاء المتمسكين بدينهم أن يتفضل عليهم بأن يكون الحكم فيها على حسب الشريعة الإسلامية أعوذ بالله من محاربة الله والعمل على سخط الله لقد كنت أسمع قبل الآن أن تلك المفاسد التي رأيتها ورآها كل من وطئت قدمه الحرمين الشريفين تلك المفاسد التي تقشعر منها أبدان الشريعة المطهرة وتنهار بها أبنيتها وذلك الخوف الذي يلازم حجاج بيت الله الحرام الذي جعله الله حرماً آمناً مع فشو السلبة وقطاع الطريق وقتلة الأنفس الطاهرة البريئة كل ذلك كنت أسمع أن بعض رجال الدولة القائمين بالأمر يقصدون إلى وجوده ويساعدون عليه لمآرب يريدونها وحاجات في أنفسهم يقضونها وأنه لولا هذه المآرب وتلك الحاجات لعملت الدولة وما هي بالضعيفة العاجزة عن إيجاد الأمن في هذه القطعة الطاهرة على محوه تأميناً للمسلمين الذين تدفعهم الحمية الإسلامية والقصد لتأدية الواجب الشرعي أن يتركوا آباءهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأوطانهم وكافة مصالحهم الدنيوية ﴿ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ كنت أسمع فلا آلو جهداً في الدفاع عن الدولة ورجالها . أما الآن وقد رأيت ورأى

العرب وقوف أولئك العمال في سبيل إقامة الحدود الشرعية وتجهيز الجيوش لمحاربتنا على ذلك مع صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وحبس الذاهبين من اليمن لأداء الفريضة فقد كان يداخلني الريب ولا أخطى إذا قلت أن ذوي الرأي من العرب أصبحوا بحيث لا يمكن إقناعهم بغير ذلك ومع ما أنا عليه من الإرشاد إلى السلم والعمل عليه ودعوة العرب إليه وإلى أن يقفوا في موقف المدافع ولم تلبث الحكومة أن أشاعت أنها جيشت لرجال اليمن جيوشاً لاقبل لهم بها وأنها أغدقت عليهم من وفير المؤن والذخائر ما يكفي لا ستئصالنا وأباحت لهم تحريق المنازل كما هي عادتها في العرب المسلمين من رعاياها دون غيرهم ، كما أباحت لهم التمثيل والتنكيل والضرب على أيدي رعيتها بما لا قبل لهم به ذلك الأمر الذي حظرته على نفسها قبل أعدائها الخلص ونشرت المنشورات في شأنه حاضة على حسن المعاملة وإظهار المجاملة في بدء حربها معهم ، لما سمعنا بذلك تأهبنا مكرهين للدفاع عن أنفسنا وانتظرنا قضاء الله وإذا بهم قد صرفهم صارف من الحوادث الأخرى ففضلوا العودة إلى تلك الخديعة الأولى خديعة الكلام في الصلح ريثما تزول الموانع وتتوفر لديهم الأسباب لإتمام مقاصدهم عندئذ أرسلوا لنا رسولهم الشيخ توفيق ليخاطبنا في ذلك فعرضنا إليه المقابلة مع سعيد باشا فأخبرونا بأنه مفوض إليه في الأمر وأن فيه الكفاية فقلنا : مرحبا بحقن الدماء على أساسنا الأول ألا وهو أن تكون الأحكام في ديارنا على حسب الشريعة الإسلامية لا فرق بين مدنيها وجنائيها وغير ذلك وأن يعرف لنا بصفة رسمية ذلك الحق الطبيعي الإسلامي ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لايكون لأحد من المأمورين الفضولين ذوي الغايات سبيل علينا إذا نحن قمنا بما علينا من واجب أودعت الحال لأن نقوم بالتوفيق بين القبائل ذلك مع بقاء الحال على ماهي عليه للدولة فتركنا وانتظرنا إجابة الدولة فأهملونا ساخرين منا سخر الله منهم وجهزوا لنا الجيوش ثانياً وأعدوا لنا حملتين عظيمتين ذاتي بأس شديد كما أشاعوا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً حملتان هما في آن واحد إحداها من الشمال وهي مؤلفة من عدد عظيم من الجيش العامل بعدده المستوفاة والآلة النارية ومدافعه السريعة وغيرها والبعيدة المرمى وعدد كبير جداً كما أذاعوا بتشهير في الجرائد السيارة

من أتباع الشريف حسين بن علي تحت قيادته وقيادة صاحبي السعادة ولديه المحروسين وقد لا يخفى على أحد ما نشر في ذلك الحين من أن هذا الجيش المشترك قد زودته الدولة بالمؤن والذخائر الكافية لتدمير جميع البلاد العربية وثانيها من الجنوب في جيزان وهذه الحملة القوية كلها من الجيش العامل ذي الحول والطول وأذاعوا أن هاتين الحملتين ستقضيان على جميع العباد والبلاد التي في طريقها فاعتمدنا على الله الذي لا حول لنا ولا قوة إلا به وفوضنا أمرنا إليه سبحانه وقلنا ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ ولقد ساعدتنا والحق يقال معونة الله وله الشكر بشهامة العرب وعدم وصول شيء من هذه الأخبار الكبيرة والتهويلات الكثيرة التي لا يعرف أمثالها أعراب البادية ما المقصد منها لما أعيتنا الحيل ولم نتمكن من الوصول إلى حل سلمي تحفظ معه حدود الله وشريعته اضطررنا إلى الدفاع عن أنفسنا ووقفت العرب موقف المدافع حتى إذا وقعت الواقعة مع كل من الجيش جيش الشمال وجيش الجنوب ظهر أن تلك الوعود والبرق جعجعة بلا طحن وأن تلك الإشاعات ليست إلا كفارغ البندق إذ زلزل ذانك الجيشان عند النزال زلزالاً شديداً ونصرنا الله عليهم وأعدلهم عذاباً عظيماً ذلك أن جيش الشمال المشترك قد ناله من الخذلان ما أوقع كثيراً من أدواته ومؤنه وذخائره ومهماته في أيدي العرب فاضطر جناب الشريف هداه الله إلى أن يتبع خطة أخرى هي خطة توسيط الرحم وبعض المؤثرات التي لا تخفى تارة أخرى حتى تمكن من أن يسير إلى جهة أبها من طريق وعرة غير مسلوكة تبتعد عن الطريق المعتادة الموصلة بينها وبين القنفذة تلك الطريق التي مرابطة عرب اليمن فيها وقد فضله على طوله ووعورته لكيلا يعود مخذولاً إلا بعد أن يدخل أبها كأنما مأموريته إنما كانت دخول أبها فكان ذلك من غير أن يلتقي بالعرب اليمنية مرة أخرى ولم يلبث أن خرج منها مع البازي عليه سواد وسار في طريقه الثالث الذي هو أشد منه وعورة مما جاء خائفاً منه يترقب وقد فضل هذا الطريق الثالث الشديد الوعورة الطويل المسافات المشتمل على أصعب العقبات القليل المياه طريق بيشة ذلك الطريق الذي يسير إلى شرقي الطائف جهة نجد لأنه طريق القرادين المخذولين المشردين . وقد بلغني أنهم

زوروا الحقائق وأخذوا يزعمون أن دخولهم أبها كان بمالهم من الغلبة ولكننا نحن العرب العارفين لا يهمنا كلام المتكلمين إذا ما خلوا بأرض بعيدة فنحن رجال الأعمال لا اعتماد لنا إلا على الله وهو حسبنا ونعم الوكيل أما جيش الجنوب فقد انتهى أمره بواقعة الحفائر تلك الواقعة التي وقف فيها العرب موقف المدافعين على مياه الحفائر على بعد ثلاثة أرباع الساعة من جيزان وقد تمركز جيش الحكومة المنظم بجيزان وجبالها وتمكنوا في قلاعهم وطوابيهم وثبتوا مدافعهم الفخمة على الجبال والآكام المجاورة للبحر وأمدتهم مراكبهم الحربية بالمساعدة وأخذوا يزعجون العرب بإطلاق المدافع من البر والبحر والعرب صابرون مستبسلمون لقضاء الله وقدره حتى إذا كان يوم الإثنين منتصف جمادى الثانية سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م خرجت قوة الجيش المنظم هاجمة ومعها المدافع سريعة الطلقات تحت حماية المدافع التي فوق الأكمات والتي في المراكب البحرية والتي في القلاع وعملوا من حيلهم العسكرية ما شاء الله أن يعملوا كل ذلك ولا حول للعرب ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الذي ألقى عليهم الصبر فثبتوا وذكروا الله كثيراً فصدقهم الله وعده للصابرين ﴿وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ نعم صبر العرب ودافعوا عن إقامة حدود الدين فدارت رحا الحرب على ذلك الجيش العرمرم حتى هلك كله إلا النزر اليسير الذين نجاه الفرار ولم تعده الجراح وقد وقع في أيدي العرب من البنادق والذخائر والمهمات والمدافع السريعة الطلقات والمكنات ما جعل لهم قوة فوق قوتهم ونشطهم نشاطاً يقدره قدره من يعرف الحالة ثم عادت البقية الباقية من الجيش إلى جيزان فسلط الله عليها ومن جاءوا من المدد إليها ريحاً وجنوداً جوية وأمراضاً وبائية ذهبت بالباقي وبالمدد إلا نزراً يسيراً اضطر أخيراً إلى الجلاء عن جيزان فاستراح وراح والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء قدير . بعد هذا كله لم يلبث أن جاءنا من والي عسير كتاب يجنح فيه للسلم تاريخه يرجع إلى ما بعد الحوادث الأخيرة مع الطليان فصدعنا بأمر الله وجنحنا معه متوكلين على الله وأرسلنا إلى سعادته رسولاً من كبار العرب ليخاطبه في ذلك حسبما طلب وزودنا ذلك الرسول في طريقه وهو على مقربة من (أبها) أن سعادة الوالي إنما يريد بنا خدعة وأنه قد نصب

لنـا شراك حباله فوقف خارج المدينة حيث مأمنه وأرسل إليه الكتاب وأعلمه بأنه قد جاء ملبياً داعي السلم وأنه يريد المخابرة في ذلك ليعلم ما ينتهي إليه الأمر والله المـوفق . فما كان جوابه إلا أن أرسل إليه مكتوباً طويل الذيول مملوءاً بالعظمة والعلو والكبرياء لا تخلو كلمة من التهديد والوعيد ورفض الاتفاق : وهاكم شيئاً مما جاء فيه بالحرف الواحد : « قد أخذت كتاباً من حسين أفندي » وفيه يذكر أنكم سألتموه عن بيان الشرط ومع الحكومة وكيفيتها فعجبت في هذا الطلب فهذه الحالة تصير الشبهة ممكنة وأن الحادث الذي هو الآن واقع مع الكفار مناسب لأفكاركم فلا حاجـة للشروط فهل تسير شروط بين الحكومة والرعية فما وظائف الرعية إلا الـطاعة للحكومة ولأوامرها وقد عزمنا متوكلين على الله أن نرسل حملة عسكرية لتربية العاصين المخالفين بشدة والعفو عن المطيعين وإعطائهم الأمان ولم يكن طلبنـا اتحاد عسير عن عجز منا واستعانة بهم وأن القوة التي تزيد عن الخمسين طابور المنحشدة في الزيدية والزهرة واللحية والتي عندنا مقدار سبعة عشر طابوراً هي كافية لكل عدو في اليمن وعسير في الداخل وفي الخارج وأنتم تعلمون بذلك وأيضاً تقدرون عاقبة البغي والفساد » . . الخ وصلنا هذا المكتوب ووصلتنا مكاتيب أخرى أرسلت من بعض عمال الحكومة إلى العرب وفيها أكثر من ذلك فما أظن القارىء يخفى عليه شدة أسفنا على أن رجال الدولة الآن على هذا النمط وأنهم هم الذين يخلقون الفتن ويثيرونها كلما قربت من الانتهاء إنهم دائماً واقفون حجر عثرة في سبيل إطفاء الفتن على نحو ما سبق بيانه ولا سيما في سبيل هذه الظروف والأوقات الحرجة . هداهم الله .

بســـم الله الرحمـن الرحيـم

من محمد بن علي بن إدريس إلى جناب السيد الجليل بركة الأنام مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله :

السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركاته . . . صدرت للسلام والتحية والمعاهدة بأخلاقكم الرضية والسؤال عنكم لا يعد ، والشوق إليكم لا يُحَدّ ، وإن تفضلتم بالسؤال عنـا وعن من لدينـا فلله الحمـد والمنـة على أياديه المتـواصلة ومننـه المتـراسلة ، كتـابكم الكريم وصل وبه الانشراح حصل وحمدنا الذي لا يحمد سواه أن بارك في ممشاكم وجعل فيه الأمن والإيمان وقد أحسنتم بمعاهدة القبائل من بني مالــك ومن حوالي الليث وهكــذا فليكن همكم الـدعـوة إلى الله ففي الحـديث «لأن يهـدي الله بك رجـلًا واحـداً خير لك من حمـر النعم» البنـادق ومـا معهـا قد وصـلا الجميع كمـا ذكـرتم وقـد أحسنتم وكـذلـك (المـراة)[1] وصلت وتقبـل الله منـا ومنـك ولله الحمـد من حيث مكنكم من قبض (مله)[2] ومن ذكـرتم من أهــل الفســاد وأرجــو الله أن النــواب القـاضي عبـد العـزيز ابن محمــد وعبـد الـرازق النهـاري وعبـد الله بن أحمـد أنتم وهم على أحسن ما يرام وانشـروا في فضلهم ومن فضـل القـاضي المـذكـور حتى يقبلوا النـاس عليهم ويثقـوا بهم لأنهم معهـم وقـد ذكـر لي أحمـد بن خرشـان إجابته لطلبكم في الجيش فجـزاه الله خيراً وكـونـوا أنتم وهـو عضـد وساعد وجاءنى كتاب من سعيد بن فايز يذكـر فيه أنـه يريد الممشـا إلى صراة ؟ بني شهـر وكذلك نحب هنـاك وفي صراة بلسمـر وبلحمر ونحوهـم أن يستوي السهل والجبل فيما تفضل به البـاري عز وجـل لكن أراكم قد بعدتم عن تلك الصراة فامضوا على ما أنتم عليه متـوجهـون وعلى الله فتوكلوا ومسألة أهل الصراء ؟ يمكن بعد قضاة ؟ هذه

---

(١) هكذا في الأصل بالتاء المربوطة ولعل الغلط من أحد كتاب الإمام الإدريسي لأن الخط ضعيف ليس خط الإدريسي نفسه بل أملى ولم يراجع ويترجح أنه يقصد «المرات» جمع «مرت» وهو اسم نوع من البنادق المعروفة وسيلاحظ القارىء بعده بعض الأغلاط الإملائية .

(٢) كما هو في الأصل ويظهر أنه اسم رجل من الخارجين عن الطاعة .

المهمات ورجوعكم إلى (قنا) أن تعزموا على طلوع الصراة ؟ بجيوش من رجال ألمع وبني ثوعة ونحوهم فقد عاتبناهم في التأخر عنكم ونرى أن أحوالهم تحسنت ومن شأن أولادكم وعائلتكم فقد كلفنا أخينا يحيى زكري ينظر في مصالحهم . هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم مني ومن إخواني الأشقاء وإخواني أهل المجلس وعموم الإخوان ودمتم سالمين وصدرت ورقتين مما حرر في الصلح بيني وبين سعيد باشا فواحدة تبقى بطرفكم لتقرأ وواحدة تعطونها النائب عبد العزيز بن محمد يقوم بها في جهته والسلام ختام عليكم ومن حواه المقام ٢٦ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

كذلك ضرب البنادق في العرضات ممنوع ، وإن أردتم تزيين العرضة فالباروت ببندق الفتيل والحسك والله يوفقنا وإياكم .

بســـم الله الرحمـن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشريف الجليل النبيه النبيل ناصر بن حيدر ابن علي الحسني سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والتحية والمعاهدة بأخلاقكم الرضية لا يخفاكم أن لنا عزم على التوجه إلى جهة اليمن فيكون يعلمكم قدكم تنبهون على عموم المسلمين بالاستعداد بالبنادق والمعابر وأصناف السلاح والعهدة عليكم في جمع المشايخ والأعيان لهذه المسألة لأجل لا يحصل التراخي في ذلك والسلام عليكم ورحمة الله والقصد الإصلاح فقد كثرت الشكاية من أهل الفساد وربما يلزم جهاد أهل الفساد والسلام [1]

كذلك [2] بني شبيل تفضلوا تلاحظون أمور الزكاة معهم فإن الجهاد يحتاج إلى المـال لأجـل المعابر بالخصوص والحقير [3] في همة في الاستعداد وأما نفسي فبحمد الله في غنى من الله .

* * *

من محمد بن علي بن إدريس إلى إكليل المفاخر العلوية ضياء الإسلام الهمام المقدام ناصر بن حيدر بن علي بن حيدر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتابكم الكريم وصل وقد ضرنا والمسلمين شاكـرين لشـريف مسـاعيكم التي قرت بهـا كل عين وانكشف بها كل فتنة بين الطائفتين والرهينة التي بأيدكم احفظوا عليها جداً وإن أردتم الرواح إلى « القفل » وجعل الرهينة فيه مع المحافظة عليه إذا وصلكم هادي بن أحمد فتوجهوا إلينا جميعاً هذا ودمتم سالمين والسلام ٨ محرم ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وباقي رهائن الواعظات أرسل إلى محمد بن أحمد ويحيى بن عرار ومحمد بن علي يتوجهون بهم إلينا .

---

(١) بدون تاريخ ونرجح أنه فى الحجة سنة ١٣٢٩

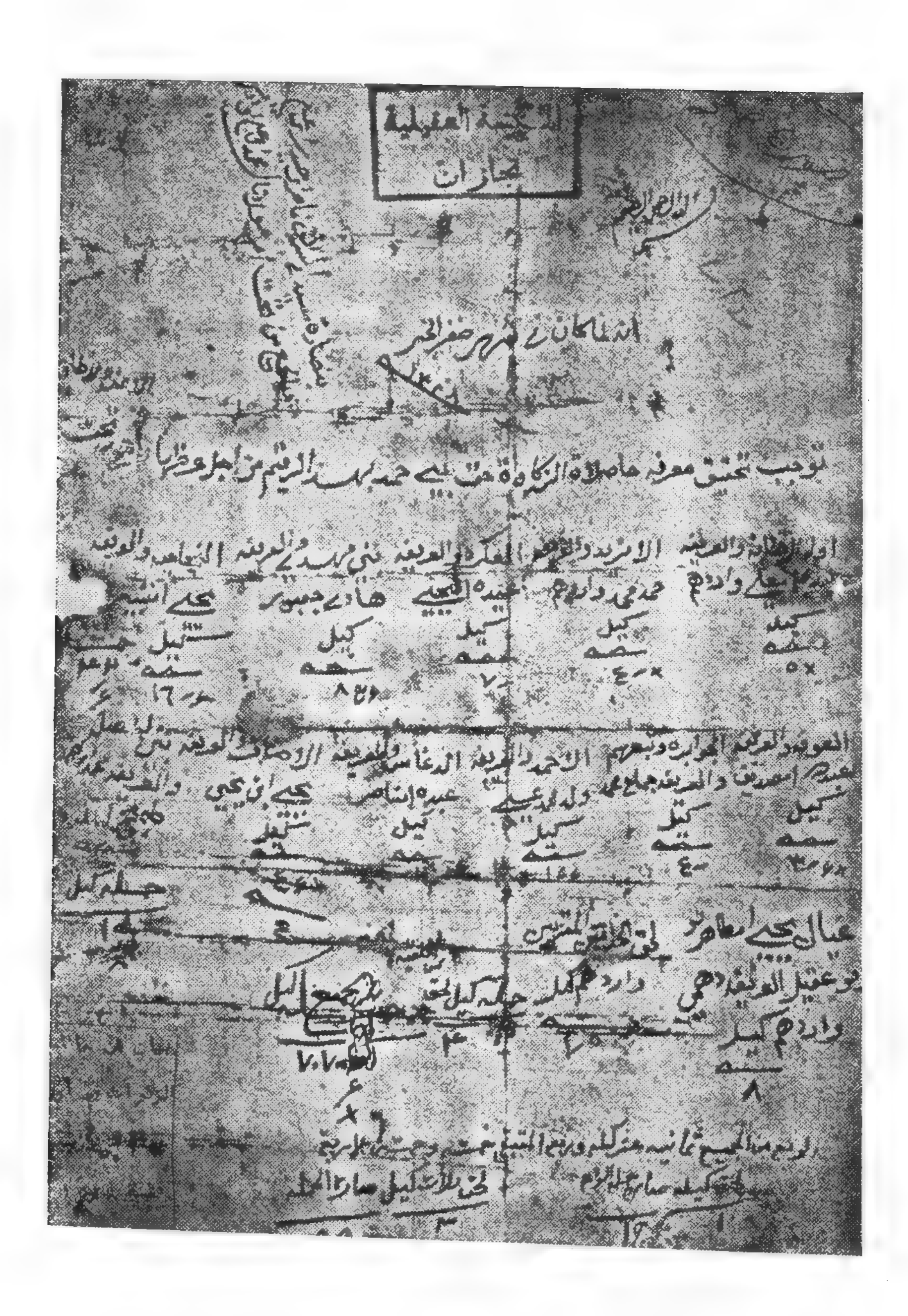
(٢) نلاحظ كثرة الاستطراد والحواشى فى رسائله لتوارد الخواطر عليه ولما هو فيه من الاهتمام فى أول حركته .

(٣) (الحقير) كثيراً ما يكنى عن نفسه بكلمة (الحقير) فى مكاتباته ورسائله تواضعاً منه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس : إلى السيد الجليل الفاضل النبيل مصطفى ابن محمد النعمي سلمه الله آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والتحية والمعاهدة بأخلاقكم الراهنة ؟ وكتابكم الكريم وصل وأحسنتم بالتوجه إلى بني شهر ومن جهة رجال ألمع فجاءنى خط من طرفهم من عند السيد يحيى بن عرار وذكر حضروا ألفين ولكن أنتم استعجلتم فلا شك أنكم استعجلتم وهم ما يخلوا من كسل ولكن ينبغي لكم بعد هذه المرة إذا عزمتم على مكان تنتظرون حتى تجتمع الناس عن آخرهم وتبحثوا غاية في حضورهم واستعدادهم للمسافة التي تحتاجونها للجهاد شهرين أو أكثر ويحضرون جميع زادهم هذه المسافة حتى لا يخلا زادهم ويتعللون ويرجعون هذا نقص في الجيش وما هو بنظام وكيف لو هو حرب فلا تأخذون إلا ثقاة شيوخهم لا يفرون دونكم وترتيب الجهاد مع الأمراء يعرفونه وسنعرف في هذه الساعة للسيد يحيى ونلومه بهذا التأخر وأنت لا تمشي بالجيش إلا معه زاد بكفايته من حين يخرج إلى حين يدخل فلو وقع قتال ينكسرون بالجوع وأنتم لا تتعجلون على العداية وصبياً وقد خرجنا منها إلى جهة الجبال وأنتم في مشيكم هذا بعدبني شهر توجهوا إلى بني غمرة ومن بعدهم من أهل الحجاز من خثعم السراة وغيرها وصفوا الحجاز من بلحمر إلى غامد فهذه بيضة الإسلام وانظروا لنا مكان طيب يصلح نجلس فيه لزيارة إخواننا أهل الحجاز فإن تهامة قد أخذت قسمها وإليكم الوجه قريباً إن شاء الله ويكون أهله في غاية من المحبة وماؤه كثير وجباله باردة ، ومن شأن الشيخ سعيد بن فايز وشبيلي ناصح في الدين وسعيد تعرف حاله واكتم هذا الخطاب فأنت أعرف كل قبيلة من ابن شهر بشيخها حتى تجدهم عند الجهاد ولا تتكل على شيوخ الشمل وفيه شيخ ناصح يسمى عبد الرحمن بن دعبش خذ رأيه وانظر فيما يصلح وورقة شبيلي على قبائل معروفين فإن رضوا به فلا خير في الشقاق وأصلح الكلام لسعيد فيما يجبر خاطره ويكفي شره وإن صعب أمرهم فأرسلهم إلينا مع بعض الأعيان وينزلون معك إذا نزلت إلينا والمسائل التي

يمكن فصلها فافصلوها وعلي بن فايع سنعرفه ونلومه والرتبة إلى غامد وزهران عرفنا ابن خرشان بعد رجوعه من الشام يتوجه إليهم واحذر باطناً من سعيد جهدك فإن له تعلق بهؤلاء الترك وهم في الحقيقة صلحهم خداع وباطناً حذر المشايخ والأعيان من الـدخـول عليهم وقد مسكوا أناس من اليمن لما دخلوا عندهم في أمن هذا الصلح وأما الظاهر فحسن ما داموا يحاسنون وقهر الله عليهم هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم منا وممن لدينا والسلام في ربيع الآخر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وقد ألزمنا السيد يحيى عرار ومن منه الخير من عسير يتوجه إليك جنداً لكم ودمتم .



بســـم الله الرحمـن الرحـيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على مولانا محمد وعلى آله وصحبه

من محمد بن علي بن إدريس .

إلى السيد الأجـل رفيع القدر والمحل مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله تعـالى . . . السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . صدرت للسلام والمعاهدة بأخلاقكم الكرام كتابكم الكريم وصل والحمد لله الذي أوصلكم غامد بالسلامة وأبعد أولئكم المنتسبين لإمارة مكة وذكرتم بقاءكم في غامد فقد أحسنتم ونحب أن يكون محل مركزكم بلاد غامد وزهران فإنها بلاد تليق بمهمتكم الشريفة ووقت ما تحبون زيارة جهاتنا وفي وقت اطمئنان الخاطر فنعم ذلك ولا يهمك حال شريف مكة الغاشم ، فتثبتوا واثبتوا والله معنا والسيد يحيى بن عرار ذكرتم يبقى برغدان فنظركم أحسن نظر ومارأيتم فيه صلاح فدبروه به ولا يلزمه الامتثال فإن الله قد أجرى على يدكم مصالح الإسلام وعمرته وقد عرفناكم في مادة [1]بيشة وإنكم تتوجهون إليهـا الآن والنـظر إليكم وإن رأيتم التـوجـه أنتم والسيد يحيى جميعاً إلى بيشة أو أحدكم يتوجه والثاني يخلفه في المكان إلى أن يصل إليه صاحبه من بيشة (   ) وعرفناكم بأن توجهكم إلى بيشة لإصلاح خلل البلاد واستلام مال بيت المال وهو النصف والنصف الآخر بين شيوخ ومطاوعة . . ومستحقين ومحمد مله إن تحققتم من نكث العهد فخذوه تحت الحبس هذا ما تحرر لكم والسلام عليكم وعلا من لديكم منا ومن لدينا ورحمة الله وبركاته والسلام التام الكامل للفقيه النبيه سعد بن حميدان بن صقر ونبهنا على إعطائه شيء من قسم المستحقين كما قد عرفنا كيفية الـزكوه هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم وخطكم إلى أهلكم قبضناه الشيخ إبـراهيم بن محمـد الشـوكـاني حيث كان معنـا والسلام تاريخه جماد آخر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

كذلـك إن رأيتم في توجيهكم إلى بيشـة يرفقكم النائب عبد العزيز بالجملة الشاهد يرى مالا يراه الغائب . .

(الختـم)

(١) في الأصـل : « مـادت » .

بســـم الله الرحمـن الرحـيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى إخواننا عسير السراة بني مغيد وعلكم وبني مالك وربيعة ورفيدة تولاهم الله وهدانا وهداهم .

السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركـاته . أما بعد إخواننا فتعلمون ما كنتم فيه من دون سائر المسلمين من ظلم الأتراك لكم في النفس والأموال جعلوا عليكم سبعـة أقـلام ما أنـزل الله بهـا من سلطان مع أنهم لم يؤمنـوا خوفكم أو الصلح بينكم . وقمنا عليهم حتى رجعوا لأخذ الزكاة فقط منكم وصرتم أحراراً كالمسلمين بعد أن كنتم أرقاء لظلم الظالمين . ولما كانت الأتراك آلات الفساد والظلم والجور نقضوا ما بيننا وبينهم من الصلح مما فيه صلاحكم فما سعى (الحقير) إلا من أجل منافعكم أيها المسلمين والله المطلع على ذلك ويعلم المفسد من المصلح وقد تعدى الأتراك بحبس رجال من المسلمين ومخالفة رب العالمين فما بيننا وبنهم إلا السيف حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

وقـد بلغنـا أنهم يبذلون لكم الذهب لتوالوهم ويزخرفون لكم القول لتتبعوهم وتثبطوا عن جهادهم فيا عجباً لكم أن وافقتوهم وهم بالأمس أعداؤكم ولا أعتقكم منهم إلا دعوة الإسلام وهم الآن لو أمنوا لم يظلموا أحداً غيركم ولم يمتهنوا أحداً سواكم . لأن كل من المسلمين؟ قد طردهم من بلادهم ، وأنتم هذا وقت الفـرصـة فاغتنموها فالله الله جاهدوا بأموالكم وأنفسكم من يريد حكماً غير الله واذكروا عهد الله الذي احتملتموه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . ولا يغركم الذهب فما بذلوه لكم عن حب ولو كانوا يحبونكم لسلموكم من الظلم قبل دعوة الإسلام أما الآن فإيمانهم كإيمان فرعون : ﴿فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ فالله . يتولى هدانا وهداكم والسلام ٤ الحجة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

بســـم الله الرحــمن الرحــيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى المشايخ الكرام أحمد مطاعن ومحمد بن زيد مدخلي ومهدي أمعقيل سهل وقسم حسن وأحمد مساوي أمد ش وأحمد محمد عيسى وحسين محمـد بجـوى وأبـو طالب بن علي منيفة وحسين حسن صميلي وإدريس عبده وهادي محمد جردي وعرائف العراشية وطاهر مجربى وكافة عقال بني شبيل سلمهم الله .

السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركـاتـه وبعـد فقد كثر الخلاف في مخالفكم واضطربت آراء أهل جهتكم فبعضهم يقول نختار فلان وبعضهم يقول نختار فلان فاستخـرنـا الله وولينـا أموركم ضياء الإسلام ناصر بن حيدر لعلمنا أن بني حمد أصحـابه في نهاية الاستقامة فقد أقمنا المذكور مقامنا يرتب أحوالكم وعرائفكم وأمـوركم بنـظرة وبعـد ذلك يصل إلينا وأنتم رفقته كبيراً وصغيراً لتعرضوا عدَدَكم وعُدَدَكم علينا كما فعل المسارحة إخوانكم ودمتم سالمين ٢٧ القعدة سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .

ولازم عليكم من الاستعداد بالمعابر ولوازم الجهاد .

الحمد لله

استلمنا من الشريف الهمام ضياء الاسلام

مالك عمر حيدر الحسني ثمانمائة وثلاثة

وثمانين ريال ٨٨٣ مرفوق

المعاشات التي على بني شبيل وحرر ١٥ ذا

بعده والسلام عمر سلخ ظهر الحجة ١٣٢٩

ناسه مجلو كرار [illegible]

وخادم نعلم

محمد زكي عوض

ناصر [illegible]

فهم قد كشف يدنا

مائتين وثمانية

دار النقش ٢٤٨

نقص نصف ادادحرا

الموجود مائة وواحد ريال ١٢١

حسد [illegible] دائما

بســـم الله الرحـمن الرحــيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى السيد الجليل مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . صدرت للسلام والتحية والإكرام كتابكم الكريم وصل وبصحبته البنادق والمعابر وصلت وجزاكم الله خيراً وبتأريخه وصل نجـاب من حمـود بجوابات صدرت إليكم لتردوها ولا يخفاكم قد حققنا لكم الواقع يوم الإثنين ومـا حصل من النصر الرباني وبعد ذلك وصل إلينا قومندان العسكر الخارجة هارباً خائفاً من الأحوال لأن هذا القتال الحاصل كان من العجائب لأنه في مسافة قليلة حصل النصر وهلك من الأتراك زيادة على ألفين وبلغت المجاريح خمسمائة والحاصل كما أخبرنا هذا القومندان أنه لما كسر الشريف من القنفذة كتب للترك : إنني إذا روحت مكسور أخذ السيد الحرمين فحصل التجهيز من جهتين من القنفذة ومن جيزان فالوالي صاحب صنعا ومعه ستة آلاف وقد حصلت في جيزان قرب خمسة آلاف ووقع عليها بطش الله وما نجى منها إلا قليل وما بقى في جيزان إلا مالا يذكـر والعـرب داخلة خارجة يأخذون البغال وغيرها ولا فيهم قدرة على المدافعة أما الذي عن طريق القنفذة فأقل من الذي عين لجيزان مع تركي يسمى نشـأت باشا وأخبرنا القومندان هذه التجهيزات الحاصلة من ضعف من الحكومة وعساكر جيزان من اليمن مأخوذة ولا تقدر الحكومة تأخذ من اليمن الآن زيادة وأن تحب تجهز فمن اصطنبول وهم مشغولين في بلادهم ولو جهزوا فبعد مدة . وأخبرنا القومندان بأن وقعة جيزان مخوفة للحكومة جداً . أعلمناكم بهذا . وتعرفون جهة جيزان صارت صعبة على الترك والتجهيز الذي كانوا يقدرونه شتته الله وأعظم مشقة الآن جهة القنفذة مع الفساد الحاصل من تهامة جهتكم فأهل حلي أمرهم مفهوم .

وصــدر كتــاب حمــود ، انــظروه وكـذلـك جواب من يحيى بن عرار وهم يشكون من أهل قنا وعلى ما نرى من الأخبار أن الناس بعد توجهكم للمحاصرة حصـل خلل كبير فيهم ونقضـوا العهـد وتقـربوا من أعداء الله الذين عاد ينهاهم

من أجل هؤلاء القبائل وراحتهم وأما زهران وغامد العريضة فلا أخالهم إلا جهلوا الـترك وهذا نفاق مع أن الترك خرجوا من القنفذة أقل من ترك جازان والنصر بحمد الله قائم ولكن المنافقين لا يفقهون . والحاصل ارفع لنا عن حقيقة الصراة ورجالها ومن في قلبه مرض وتفقد أهل تهامة وترى الرهائن إن أمكن ففيها الصلحة ولما رأينا فتور (بني مروان وبني شبيل) أخـذنا من بعضهم رهائن والآن الهمة في أخذ رهائن الباقي وبحمد الله قتال جيزان كان أهله المسارحة ومن هم شام وهم من أحسن رجال الله . وأهل الصراة تجمع شوكتهم لأجل إذا لـم تحصل نتيجة من أهل تهامة تكونون أنتم وأهل الصراة تقابلون على العقبات والأودية كـ (تيِّه) وترون الترك كلما حرّ عليهم المكان فهو أحسن وبحمد الله في كل مرة يخذلون ويولون الأدبار ولكن لعب الناس الذهب والريال .

وتحرر هذا والله يحفظنا ويحفظكم ويكون لنا ولكم وأبشركم أن هذه دعوة منصورة .

بشـرى لنـا معشـر الإسلاَم أنَّ لنا   من الـعـنـاية ركنـاً غير منهـدم

ودمتم سالمين ٢٥ جمادي الآخرة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م .

* * *

بســـم الله الرحـــمن الرحـــيم

ملحق مشفــوع بالرســالة المتقــدمة [1]

الحمد لله كافي المهمات . . .

لا يخفــاكم أن هذه دعــوة منصــورة بالله تعــالى وهؤلاء الأتــراك مخــذولــون وقــد شغلهم الله في فتن في بلادهم فهم بكــل مشقــة جهــزوا تجهيزتين واحــدة من القنفــذة وواحــدة من جيزان وقــد خالــوا ومــالــوا من مراكــز اليمن بحيث أن هذه الجهــة ومــا ثمــه إذا ما ذهبت انقطع دابرهم . واسطنبول الذي يمدهم في الحــال مشغــول ولــو أمدهم فبعد أشهر عديدة يبدىء الله فيها ويعيد والرّك على كســر شوكتهم هذه ، وقــد كانت أعظم الشوكة بجيزان لأنها جيوش والي صنعاء وفيهــا القــوة الكبيرة والمــدافــع التي أعــدوها لخراب بيوت عسير فكفى الله فيها وشتت شملهــا ولم ينج منهم إلا القليل والموت فيها فلله الحمد وبحمد الله أهل جهتنــا في همــة ، ومعنــا الأتراك التي في جهة القنفذة وهم أقل من أصحاب جيزان ولــو يجــدون صدمــة كصــدمة جيزان سكنت الفتنة وبحمد الله أن النصر قد قام ولكن النـــاس يرون آيات الله ويتغـــافلون عنهــا ولــو رأيت بطشــة الحق بالتــرك الخــارجــة من جيزان لرأيت عجبــاً من الحفــائــر إلى المطلع ومن المنجارة إلى الجبــل قتيل بقتيل ومــا أخفــوه من الأمــوات شيء مهــول وياليت أهــل تهامتكم يشعــرون فيرون من عجــائب نصر الله نصراً عظيماً . وقد تشوش قلبي من أهل تهــامتكم مثــل (قنــا وآل موسى والــريش وأهــل بارق) وربمــا لا يثق بهم والله خرق العـــادة ولكن النصـــر مع الصبـــر ومـــع توجهكم للمحـــاصـــرة برد الأمـــر قليل فيهـــم ولا (   ) [2] فإن هؤلاء الـــذين في أبـــهـــى منـــزلـــة الأمـــوات فإذا رأيتم في الـــدخـــول عليهم بعض مشقـــة بأسبـــاب تحصنهم (   ) فإن رأيتم جعــل مقــدار ألفين أو أكثــر لحفظ المحاصرة ويجعل عليهم عبد الرحمن

---

(١) وجد مربوطاً بالخطاب السابق وكأنه بمثابة تعليمات سرية إذا أراد القائد إطلاع أحد على الخطاب فصل هذه الصفحة أو أخفاها .

(٢) ما وضع على بياض قد انمحى أو تآكل موضعه من الأصل .

ابن ظافر ويكون (   ) ممن يثق بهم كربيعة رفيدة وبني هيف ويكون هؤلاء الرجال فيهم من الصادقين (   ) ألمع ولا يخفاكم ترتيب الأحوال إذا استحسنتم هذا الـرأي ثم إنكم وجيوش المسلمين ومعكم (   ) عسير خصوصاً من يتهم بخيانة تنزلون إلى محائل في جيش عظيم وقوة عظيمة ترهبون بها عدو الله وعدوكم وتثبتون بها قلوب أهل تهامتكم وتستخرجون رجالهم ثم تمكثون في جهة (   ) أنتم وجيوش السـراة وتلزمون أهل تهامتكم من آل موسى والريش وبارق (   ) وجميع أهـل العـرضية وهم عدد ربنـا يبارك فينا وفيهم وتلزموهم بمصادمة الترك وأخبروهم أن الترك ماشـين لأخذ بيوتهم وأموالهم وأعلموهم أن من رجع أخذ ماله وداره وحظوا [1] أهل تهامتكم يشعرون ويثبتون وتكونون معهم بمنزل الزُّباط وينقطع دابـر . . . من محـائـل وغيرها ويحصل إرهاب الترك أما يحيى بن عرار وجيشه (. . . . .) وما قلناه لا بطريق الإلزام بل هو من طريق المشورة والشاهد يرى ما لا يراه الغائب والله بحفظه وعزيز نصره يتولانا وإياكم واعلم أن النصر قد قام والفتح منتشرة أعلامه ولكن يريد مصابرة قليلة وعما قليل يذهب الترك من بلادنا ونقرأ : ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ ٢٥ جماد ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

(١) كذا بالأصل وصوابها : « حضوا »

خطاب من الإدريسي إلى قاضيه في جبل النظير

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن إدريس إلى القاضي العلامة قدوة أهل الفضل والاستقامة ، نور الظلام السيد مطهر بن عبد الله حفظه الله وتولاه وبعين رعايته رعاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبعد حمده تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ومن والاه فقد وصلت إلينا كتبكم الكريمة وتعطرت الأرجاء من معانيها الرائقة الفخيمة ، وآخرها وصل بمعية السيد عبد الله بن حسين نجم الدين [1] وتحقق لنا ما أشار إليه سيف الإسلام ونور حدقة الكرام ، ومع ذلك طلب الشرح عما بيننا وبين أولئك الأعجام ، وحامل ذلك أي هؤلاء الناس لما رأوا في بلادنا من إقامة الدين كان سعيهم من وراء الأستار لإطفائه ، وإن ﴿ الله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ فما زالوا هم وأعوانهم يكسبون فيما هو بضد سعينا ، إلى أن وصل ما يسمونه القوة إلى بندر جيزان لإزالة نفوذنا كما يزعمون وفي أثناء وصولهم وصل إلينا محمد توفيق كما رأيتم وسعيد باشا قومندان القوة السيارة وصلوا أولاً وتقابلنا نحن وهم وأخبرناهم إنا نقول ربنا الله فماذا ينقمون منا وهم بحمد الله أرضنا خالية منهم ولا نتعرض لهم في بحارهم وبنادرهم التي في الشواطىء والمراكز التي في عسير لا تقبل الزيادة عليه لأن الزيادة تؤذن باستعداد القتال فإن مسك البحر عنا عساكرهم وقنعوا بما قد قنعوا به هذه المدة الطويلة فنعما ذلك وأن أبوا إلا أن تخرج العساكر وتتنقل في بلادنا فالجهاد بيننا وبينهم فاعجب أولئك الحاضرون وتوجهوا لمخابرة اسطنبول وفي كمران بالتلغراف ومكثوا أياماً وحضروا يدعون أكاذيب ويزعمون أنهم سيخرجون لأن من عادتهم إرهاب الناس وإن وجدوا المسلك أهلكوا العباد فلم نَرَ بدًّا من إعلان الجهاد والناس بحمد الله في شوق إلى لقائهم ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ ونحن

---

(١) هذه الرسالة أهداها إليَّ الأستاذ الجليل محسن بن أحمد أبو طالب القاسمي ، وهي رسالة جوابية من الإدريسي إلى «قاضيه» في جبل « النظير » .

بحمد الله لدينا أبطال الرجال الذي كل واحد منهم بقبيلته على انفرادهم قد طردهم من بلاده ولدينا المعاقل الحصينة والجبال الشامخة إذ ساق الغراب من بلدكم هذا (رازح) إلى (الطائف) والأغر على الأعاجم ؟ مع أن تهامة تكويهم بالحرارة التي تناقض الأعجام وسيقفون موقفاً عظيماً إن شاء الله تعالى ، وبالله الاستعانة ولا شك بنصر الله تعالى وهذه دعوة لم تقم بالنفس ولا بالهوى ولا كانت فجة طائشة وثبور بل لإقامة الحق ليرحم به العامة والخاصة من الخلق، فلله الحمد والمنة فلما رأى أولئك الأعجام الحماسة وأن خطابنا الأول لا عن ذل ، بل من حسن السياسة فرجعوا إلينا مرة ثانية وأخلاقهم بلطائف الكلام جارية ، وقنعوا بما كان قد قنعوا به فيما سبق وأن عساكرهم سترفع إلى الآستانة ، وهي اسطنبول وفي الخطاب الآخر طلبوا منا مدَّ السلك على شاطىء البحر من اللحية إلى مكة المشرفة أعزها الله فأجبناهم إلى ذلك وتأمينه من العرب لأنهم كانوا يقطعونه كلما مدوه وهذا لا ضرر به علينا بل به نفع لأنهم إذا مدوه لأجل المنفعة بقوا يدارونا إلى غاية لأنهم يخافون عند أدنا تشويش تجعله القبائل قطعاً قطعاً فهو بمنزلة الرهينة لدينا فهذا حاصل ما اتفق وهو شيء أوجبه عليكم حكم الوقت وما أشغلهم عنا الله به من الفتن في بلادهم التي يسوقون بها العساكر من كل جانب ولو وجدوا الفرصة وثبوا وهاهم يتلونون (كما تتلون الحرباء) وبحسب الباطن لا يمكن الاتفاق أبداً لتناقض الدعوتين وأما الإمام [1] حفظه الله ، فالاتفاق بيننا وبينه حاصل باتحاد الدعوة ويكون عدونا واحد ولا سيما في مقاتلة هؤلاء الأعجام وقد وجب أن يكون رأينا واحد إن سلماً أو حرباً ولا أضر عليهم من هذا وما قدرهم بإذن الله في نار عربية تتلظى عليهم من قرب « صنعا » إلى « مكة » والخطابات فيما بيننا وبين الإمام دائرة بهذا وسينعقد الاتفاق قريباً إن شاء الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ .

---

(١) هذه الرسالة حررت قبل الخلاف ونشوب القتال بين الإدريسي والإمام يحيى .

وبحمد الله نحب المدافعة عن الإمام كما نحب لأنفسنا لأن الإمام عربى أدخل عليهم الرعب من السطوة العربية وأقر بذلك عيون إخوانه في الدين ولا عبره بأهل النفاق ، فإنهم في عزة وشقاق ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ وقد هالنا الحرب القائمة بين «سحار» وبين ابن الإمام شرف الدين محمد بن الهادي أبقاه الله لا سيمـا في مثل هذا الوقت الذى يخشى فيه وثبات الأعداء وهاهم يدبرون الحيل علمنا أم لم نعلم ولاشك أنهم يريدون هذه الحرب من ظفرهم الذى لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب ، ولا بذلوا المال للإمام السيد الحسن يحيى القاسمي إلا من أجل هذا الغرض ولولا الحيلولة بنا لبذل لهم الأعجام بطلبهم أم بغير طلبهم لكن بقينا في العين قذى وفي القلب شَجَى ، ومع الحوادث المهولة استخرنا الله تعالى وعزمنا على الطلوع لننظر في الأحوال ولعل الله بذلك يجمع الشمل فإنه أكرم مسؤول وحرر شهر ربيع أول سنة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م .

بســـم الله الرحــمن الرحــيم

من محمد بن علي بن إدريس

إلى السيد الجليل مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله

السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركـاتـه صدرت للسـلام والتحية والإكـرام كتـابـك الكـريم وصل وقد حققنا مع السيد علي بن محمد النعمي بكل حقيقة واتبـاع ما قلنـاه هو الصـواب إن شاء الله فلا معنى لخـروجكم إلى الجحف إلا الفشـل وعـدم النـامـوس والحاصل أخبرناك أن القبائل تشتّتتْ وهم الآن في اجتمـاع فوظيفتكم تأليف النـاس ومـرابطتها ولا يصح تجييش الآن إلا كل قبيلة ناصحـة تمنع الطالع في جهتها وإذ احتاجت المدد فمن بجوارها يمدونها وأخبرناكم بأن القـرار في قنـا وإذا صلحـوا رجـال ألمـع فنعم المـركـز والآن قد جاءتني مكـاتيبهم حتى أحمـد بن إبراهيم كاتبنا مرتين ووفد إلينا الشيخ أحمد بن سعيد وهم متمسكـون بالـدعـوة يريدون وصـولـك إليهم لأجـل إصـلاحـات وإرهاب للأعـداء وقـطع الـطالـع إلى أبها وقد كتبنا معهم خط إليكم وكلمناهم يتوجه به جمـاعـة إليكم ولابد عند ذلك تتوجهون إليهم سريعاً ولا يخفاك أن الصبر على الأذى والتجـاوز عن الهفـوات من أخلاق الكمال ، والخلق صفتهم العياء من قديم ولكن الـرجـل كل الرجـل من يصبـر عليهم حتى يسـوسهم ويقـوم معـوجهم وخصـوصـاً ما نحن عليه فإنـه أمـر لا يقبـل الفـظاظة [1] والغلاظة ومجازاة أهل الإسـاءة بالإسـاءة وقـد كان ﷺ إذا سئـل في أهـل النفـاق أن تضرب أعناقهم فيمنـع ويقـول : «لا أحب أن يتحدث الناس بأنى أقتل أصحابى» فأنت الله في حسن الأخـلاق خصـوصـاً مع شيوخ رجال ألمع ولابد من طلب المسلمين بعد العيد إن شاء الله وتحصـل المـذاكـرة من الـرأس وقـد جاءنا كتاب من القاضي صقـر وربيعـة ورفيدة وهم على العهـد ومع وصولكم إلى بلد رجال ألمع تربطوا بينهمـا وبين رجـال ألمـع حتى يكـونـوا تحت داع واحـد وأبشـركم أن التـرك قد بطش بهم الحق وشغلهم عنـا بفتن فبعـد أن كانوا مضايقنا في جيزان سكتوا ووسـايطهم بالصلح إلينـا فنسـأل الله أن يطفىء الفتن ما ظهـر منهـا ومـا بطن

(١) في الأصـل : « الفضـاضة » .

ولا يخفاك أن الترك إذا رأوا التراخي طمعوا وتكبروا وإذا أرو المضايقة جنحوا إلى المسالمة هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم منا ومن لدينا والسلام .

٢٦ شعبان ١٣٢٩ / ١٩١١

كذلـك القبـائـل الـذي من أهل بارق والذى من أهل الستيم؟ أرسلوهما مع المحـافظة إلينا أما قاتل الشهارية إن لزموهم وجاءوا به إليك فأرسله إلينا وإن لم يفعلوا فلا تكلف نفسك فإن تركهم ليذوقوا بعض مرارة الجاهلية والجليل [١] وصل وإذا وجدتم صناديق مونة نبوت صندوقين أو أكثر خذوها لنا وكذلك لعل تتحصل لكم خيم وترسلوها لنا فإن الحاجة داعية على ذلك وكذلك حصلت هده من إبراهيم فالع والسادة آل عسله آل النعمي فأنتم مع توجيهكم أصلحوها وإن رأيتم مفاوته بينهم اجلبوا الخصمين لطرفنا والسلام .

---

(١) الجُليل : قنابل المدافع .

بســـم الله الرحـــمن الرحـــيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشريف الهمام ناصر بن حيذر سلمه الله

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والتحية والإكرام وقد رأينا تأخر جميع الدعاوي في الحال لأن الجهاد قائم بجازان لزيادة ثلة من الترك فيه لا طائل تحتها بحول الله فلتسرع «المسلمين» ـ هكذا ـ من جانب ويفتتحون كما اغتنم أهل (حلي) فحط [1] على بني حُمَّد وبني شبيل ومن بجواركم من القبائل ولتخرجوا بسرعة ، الحذر من كل تأخير العجل العجل ودمتم سالمين والسلام ۲۸ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

* * *

بســـم الله الرحـــمن الرحـــيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى المشايخ الكرام عبده أم يحيى [2] وجماح وكافة عرايف بني حُمَّد وعقالهم سلمهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام لا يخفاكم صدورها بيد ناصر ابن حيدر قد أمرناه بنوبتكم في الجهاد يحضرها فإن الجيش خارج لأجل لا يصل إلا وأنتم حاضرين مستعدين فالله الله في الهمة والجهاد ومن تأخر فقد وجب ضبطه لأن الجيش الخارج مع وصوله لديكم لا يتركهم هملا يكون لديكم معلوم ۲۱ ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

---

(١) كذا بالأصل وصوابها : فحض .

(٢) كذا بالأصل والصواب : أميحيى- كما ورد في الحديث : «ليس من امبر امصيام في امسفر» .

بســــم الله الرحـــمن الرحـــيم

من محمـد بن علي بن إدريس إلى المشـائـخ الكـرام أحمد مساوي وأحمد امطاعن وعلي امطاعن وعلي بن حسن ومحمد زيد وهادي محمد وحسن قهار وأبو طالب منيفـة محنشي وحسن أم حسين وعـريبي وكافة عقال بني شبيل وعرائفهم سلمهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لا يخفاكم صدورها بيد ناصر بن حيدر قد أمـرنـاه بنـوبتكم للجهـاد ويحضـرها فإن الجيش خارج لأجل لا يصل إلا وأنتم حاضرين مستعدين ؟ فالله فى الهمة والاجتهاد ومن تمرد فقد وجب ضبطه لأن الجيش الخارج مع وصوله لا يتركهم هملا يكون لديكم معلوم ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

بســم الله الرحــمن الرحــيم

من محمد بن علي الإدريسي

إلى السيد الهمام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً مسلماً على خاتم أنبيائه وآله وصحبه قد سبق إليكم جواب قبل هذا ومن خصــوص حسن فإن كنتم قد ظفــرتم به أو سلمتــوه إلى الأمير فيصل فذاك وإلا فقد كثرت الأخبار أنه في بلاد بني زيد فاجعلوا رجال يفتشون عنه في بني زيد وفي عموم رجال ألمع فإن ظفرتم به فسلموه للسيد محمد بن هادي يصل به إلينا مع رجال وعرفوا الأمير فيصل أننا قد ظفرنا به وأرسلناه إلى إمامنا وإذا كان لكم فيه طلب فراجعوه ويفيدكم وإن لم تجدوه فعرفوا إلى المذكور أننا بعد البحث والتفتيش لم نقف لهذا الشخص على خبر ومتوجه إليكم قاسم بن إبراهيم ويحيى العجلان مع جيش لأجل إجراء التفتيش على المذكور فإن لم يوجد كانوا عوناً لكم إلى أن تستقر الأحوال .

وإذا رأيتم أن يكــون أحــد المذكورين في قنا والآخر في البحر فذلك أحسن واستوصوا بهما وبالسيد محمد بن هادي خيراً ودمتم سالمين .

في ربيع أول سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الإدريسي

إلى السيد الهمام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه [illegible]

قد سبق إليكم جواب قبل هذا ومن خصوص [illegible] فلما كنتم قد ظفرتم [illegible] وأرسلتموه إلى [illegible]

فذاكرو الأخ قد كثرت الأخبار أنه في بلاد بني زيد فما جعلوا رجالا يفتشون عنه

في بني زيد وفي عموم رجال الجميع فإن ظفرتم به فسلموه للسيد محمد بن هادي يصل به إلينا من رجال

[illegible] فخوفوا الأمير خصوص إنا قد ظفرنا به وأرسلناه إلينا وإذا كان [illegible]

فراجعوه وتعيبه لكم وإن لم تجدوه فخوفوا المذكور أننا بعد البحث والتفتيش

لم نقف لهذا الشخص على خبر ومتوجه إليكم الشريف قاسم بن [illegible]

العبلاء مع جيش لأجل إجراء التفتيش عن المذكور فإن لم يوجد كانوا

عونا لكم إلى أن تستقر الأحوال [illegible]

وإذا رأيتم أن يكون أحد الشريفين المذكورين في [illegible] الأخرى في البحر [illegible] جيش

وتستوصوا بها [illegible] محمد الهادي خيرا [illegible] سنة ١٣٣١

صورة [illegible]

بســـم الله الرحـمن الرحـــيم

هذا بيد الشيخ محمد عبده مزيد بأنه يمشي على المطارح حسب أمر سيدنا أيده الله حيث وهو واصل بهذا الأمر من المقام الشريف بموجب الكشف على المطارح وعلى عمالها أرباب الصرفه والمونه وعلى المقادمة جميعاً ومعرفة ما كان بيديهم من مونة وأرزاق ومعرفة نصاحتهم والمشائخ كل شيخ وأصحابه عددهم ويقلمهم بعدد الأسماء كلا بأسمه يكتب فيلزم على كل واقف هذا الأمر الطاعة والامتثال للشيخ المذكور من غير معاكسة هذا حرر بيده والسلام في ٢٣ شعبان ١٣٢٩ / ١٩٢١ .

قائد الجيوش الإدريسية
محمد طاهر رضوان
(ختـــم)



بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] يمش على المطارح مبارك
[illegible] الأمرين القلم الشريف بموجب
للسفع على المطارح وعلى عمال [illegible] وعلى القادمية جميعاً ومعرفة
ما كان بيدهم [illegible] وارزاق ومعرفة نقاصتهم واثانه كل شيخ واصحابه
يجي عندهم ويعلم بعد بالأسما كلاً باسمه يكتب فيلزم على كل واقف
الأمر الطاعة والامتثال للمذكور من غير معاكسة
[illegible] تحريره والسلام ٢٧ شعبان ١٣٢٩
قائد الجيوش الإدريسية

أمر من قائد الجيوش الإدريسية

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشيخ الهمام عز الإسلام محمد طاهر رضوان . . . سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً ومسلماً على خاتم أنبيائه وآله وصحبه ، كتابكم الكريم وصل أما مسألة ملحان فرأيكم فيها صواب ومحمد عبده مزيد . . . .
وإلا فرتبوا أحوالكم وعرفوه بالوصول إلينا والمونه قد صدرت إليكم خمسون صندوق منها خمسة وأربعون أصلى وخمسة من المصلح الجديد الجيد ولا يخفاكم عزة المونة الأصلية فبقدر جهدكم دافعوا من هذا المرسل حتى تجيكم إن شاء الله جملة من المصلح الجديد فأنا الآن في همة الانتباه وترتيب الأمور اللازمة لتصليح المؤن إن شاء الله والعسكر قد صدرت إليكم حملة من ميدي وهم على توارد وشوكة المسارحة متوجهة إليكم أولها في ميدي ومسألة «البغوي» فتلطفوا في علاجها ببصيرة وأحمد هريسه عرف إلينا السيد العربي أنه بعد هربه أرجع إلى الجيش وأحمد هريسه من أعيان الناس فإذا رأيتم ضبطه برهينه واطلاقه فنظركم لأنكم على معرفة بالجهة وأهلها والزرانيق ما داموا كما ذكرتم يجارون الأمور فجاروهم على ذلك حتى يأتي الله بالفرج . . . . قريباً إن شاء الله والنصر قادم والعدو مخذول بعون الله تعالى وخذوا بالكم من أمور الحديدة . . . .
. . . .

٢٣ ربيع ثاني ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م

بســم الله الرحــمن الرحــيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشيخ الهمام عز الإسلام محمد طاهر سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً على خاتم أنبيائه ، كتابكم الكريم وصل والنصر إن شاء الله قريب والعدو مخذول وقد سبق إليكم ما يغني ولا يخفاكم إن الأشياء التي تحتاج إلى إجالة خاطر وإعمال فكر تشق علينا فأنتم لا ترسلوا إلا في المهمات وبقية الأمور سددوا وقاربوا والتوفيق معكم إن شاء الله .

ومثل مسألة الجبالية يمكنكم ....

....

في ٢٨ ربيع ثان سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م

* * *

الفصـــل العـــاشر

ثقـــافة الإدريســـي

الإمـام الإدريسي عالم ديني يحمـل شهادة الأزهر العلمية وإجازات من كبار علماء المنطقة ـ وهذا أمر معروف لا يحتاج إلى توضيح علاوة على أنه من رجالات العرب البارزين في السياسة والقيادة والحرب والنهضة التحررية ضد الأتراك ـ ومن هو في مثل مركزه العلمي والاجتماعي والقيادي لا يزيده أن يكون شاعراً ولا ينقصه إن لم يكنه ، وللإدريسي شعر جيد قاله في أيام الصبا وأرسل جله من مصر أيام طلبه للعلم في الأزهر ، وهو يعد في نظري من الشعر الحسن أو الوسط وإن كان يغلب عليه النمط التصوفي والفقهي وتتخلله مصطلحاتهما .

فمثلاً في قصيدة (ولى الزمان ومالي نحوكم سبب).

نرى أنها موشاة بالمصطلحات الصوفية كقوله .

مستنشقــاً نفحــة لو أن حظيت بهـا قدمــاً لمــا مسَّـني لغـو ولا نصب

وقوله :

ولـلدقــائـق من آي الـحقــائق أقــ ـمــار فمــا لفؤادي بعــدهـا حجب

وقوله :

بدر تجلى على أهــل الكمـال كمـا بدر تجـلى وفـي أرجـائـه الـشهب

وكقـــوله :

منــي إلـيه تحـيات فواتــحــهـا كمــا خواتـمـهــا الأنــوار والقــرب

وفي قصيدتــه التي بعثهـا إلى شيخـه سالم بن عبـد الـرحمن باصهي وهي قصيدة وقـع في نسخهـا بعض الاضطراب يحتمل أن نحيل تبعتها على الناسخ

الأول وفي القصيدة كثير من مصطلحات الصوفية ككلمة (التجلي) في البيت الثالث وكلمة (الزوايا) في البيت التاسع وكلمة (حضرة القدس) في البيت الرابع عشر .

وفي القصيدة الثالثة من المصطلحات الفقهية كقوله (راوٍ له نقل) ومن مصطلحات التصوف والتبرك .

فأصبحت مصروع الغرام وليس لي   من الوجد راق أرتجيه إذن يتل

وهذه إلمامة مستعجلة أوردناها للتنويه وإلا فالأمر يحتاج إلى دراسة مسهبة توضح الملامح المشار إليها في شعره والمسار الأدبي لمنحاه وسيكون ذلك ـ بحول الله تعالى ـ في كتابنا التاريخ الأدبي للمنطقة .

* * *

قصائده التى بعثها من (مصر) إلى والده في (صبيا)

ولىّ الزمان ومالي نحوكم سبب ... وليس لي في سواكم سادتي أرب
وإن يعقني الهوى عن أن أسير إلى ... حيٍّ إليه بديع الحسن ينتسب
مستنشقاً نفحة لو أن حظيت بها ... قدماً لما مسني لغو ولا نصب
فلن يزال جميل الظن يمنحني ... بروضة يجتني من روضها الطلب
وللدقائق من آي الحقائق أقمـ ... ـار فما لفؤادي بعدها حجب
حُييتَ سارٍ قضى الرحمن ، لا برحت ... نفسى اشتياقاً إلى مرآه تضطرب
ولا يزال بقلبي ما بقيت من الذ ... كرى مراسم ممدود لها طنب
فما لأهل الحمى أن يرفقوا بفتى ... روح له بذلت في الوصل لا نشب
وفي التخلف عنهم قد أقاموا له ... العتبى عليه . فهل لا تنفع العتب
ولم يكن في الوري من غيرهم أبداً ... له بديل ولا مجد ولا حسب
يهوى أحاديثه . وهي الشفاء بل الـ ... راح الذي لا بها غول ولا عطب
تهدى وحسبك . في روض مناظره ... زبرجد وحصاه الدر والذهب
قد فاق حسناً فناجتنا بلابله ... على منابر أغصان لها خطب
كأنما تدري ماذا في حديث جما ... ل الدين . فهي لها التغريد والطرب
بدر تجلى على أهل الكمال كما ... بدر تجلى وفي أرجائه الشهب
كأنه القطر عم الناس مرحمة ... فهام سيان فيه العجم والعرب
أستغفر الله . إذ قد جاد مبتسماً ... وبالصواعق دوماً تقرن السحب
مني إليه تحيات فواتحها ... كما خواتمها الأنوار والقرب
تهدى إليك بألوان منزهة ... فالدر عند محياها لمخشلب

* * *

بعثها من مصر إلى شيخه
« سالم بن عبد الرحمن باصهي » بـ « صبيا »

ربع عهدناه بالأحباب معموراً ... قلبي جعلت على مغناه مقصورا
فما لقلبي وللسلوان عادله ... وفي طريق الهوى قد راح مسحورا
ياساكني السفح من (صبيا) على أكم ... بكم غدا لتجلي الهدى طورا
إني بغربيه صدقا أحدثكم ... يوم الوداع جعلت القلب منحورا
وقلت للنفس أنّى بعد بعدهم ... يطيب عيشي وألفى بعد مسرورا
لا بارك الله في الدنيا وزهرتها ... إن لم أنادم من صبياى مشكورا
وإن سلوت هواه لا أعيش ومن ... يسلوه أمسى يضل الحق مثبورا
ياشيخنا العلم المولى الذي اجتمعت ... فيه الفضائل حقاً ليس تقديرا
يابهجة الدين يامحي معالمه ... وعامراً من (زوايا) العلم مدثورا
بمن براك إماماً لا اعوجاج به ... حبراً تلألأ من أكوانه نورا
لأنت حجته العظمى وآيته ... بالعصر ترشد من قد كان مغرورا
منذ تدفق عيوناً . سيدي انبجست ... فطاب للناس شرباً كان مبرورا
وأشرقت شمس أفق أنت مطلعها ... للعلم قد لاح نور جل تنويرا
سبحان منشيك بدراً للكمال له ... في حضرة القدس ذكر كان مشهورا
ياسيدي (سالم) المولى الذي ابتهجت ... به المعارف تكبيراً وتقديرا
جد لي إمام التقى منكم بناظرة ... تجلى فؤاد امريء بالغي مسعورا
وهاك أزكي سلاماً من جوانبه ... مسك يفوح غداً في الكون منثورا

* * *

وبعث بالقصيدة الآتية إلى والده من مصر :

ألا إن قلبي لا ينهنه العذل ... ونفسي غدت عمن تحب فلا تسلو
فكفا عذولي بالملام فإنني ... أصم ولي فيما عنيت به شغل
ولا ترمياني بالجنون فليس بي ... جنون ولكن في الهوى يؤسر العقل (١)

---

(١) راجع الحاشية التى أشرنا فيها إلى محاولته القيام بحركة في صعيد مصر فإن راوي القصة الأولى أفاد أن من المبررات التى استعطف بها أقاربه مدير المنطقة أنه مصاب بالجنون أو مرض عقلي .

ألا ما لقــلبــي سلوة عن معــاهــد بشـرق (الغـرا) حيث المكارم والنبل
بهـا القلب في دين الهوى قد جعلته شعــوبــاً . ودمـع العين راو له نقـل
فأصبحت مصـروع الغـرام وليس لي من الــوجــد راق أرتـجـيه إذن يتـلو
أنــوح إذا البــرق اليمــاني لمحتــه كما أن سرت ريح الجنوب لها رسل
نَدَامـاي في تلك المعـاهد هل لنا دنـو وهـل يصفـو الـزمـان وهل يحلو
وهــل لى رجــوع للحمى ورياضـه ومشــربــه العــذب الـزلال له نهـل

***

وله أيضاً :

أتــلك بروق ما أراهــا لوامــعــا تضـىء بدوراً أم شمــوســاً طوالعــا
أم النــور من (صبيا) سرى متــألقاً فحــيا فؤاداً كان بالــحــب والـعــا
ونــفــحــة ود ما بدت بأريجــهــا تفـوح عبيراً نَوَّر الـكــون ساطعــا
فهـمنــا بهــا شوقــاً نؤم رحــابهــا لعل بها
وتـنعش أرواحــاً كمــا بحــديثكم تشنف من أهــل الــوداد مســامعــا
أحبتنــا من ساكني السفــح إنني على حبكـم ألـفيت قلبي مطاوعــا
وعن عهــدكم ما قط أصبحت ساليا وتبــاً لمن يسلو اللوى والمــرابعــا

***

الفصـــل الحـادي عشر

مقـــدمـة دراسـة عـــامـة

لمنطقة المخلاف السليماني من قبل الهجرة إلى نهاية العهد الإدريسي وفي العهـد الإدريسي سيـاسياً واجتمـاعياً وإدارياً

إذا توغلنا في دراسة حالة ما يطلق عليه اسم المخلاف السليماني ـ قبل الإسلام لا نجد في الكتب الكلاسيكية مادة مستقلة أو معلومات خاصة يستنير بها الدارس إلى إجلاء ما درس من تاريخه الموغل في القدم وإنما كل ما ورد في تلك المصادر عن جنوب الجـزيرة منقول عن رواد من المغامرين الذين لا تعدو ارتيادهم للشواطىء فدونت أسماء مدن وقبائل لم يتوصل العلماء ـ إلى حال تاريخه ـ لمعرفة تحقيق تلك المسميات وراح كل منهم يفسرهـا على ضوء ما ترجـح لديه على الظن والتخمين لا على وجه التحقيق واليقين .

وإذا رجعنا إلى موضع شبه الجزيرة وقبائلها ومدنها في خارطة الكتب الكلاسيكية أو خريطة بطليمـوس نجد أن سهول الشاطىء الغربي يمثل فيه نفس التضاريس والـرءوس والخلجان المرسومة في خرائط القرن العشرين . إلا أن أسماء المدن والقبائل المدونة على الخارطتين المذكورتين ـ كما أشرنا قبل ـ غير مفهومة ولعل ذلك ناتج من تحريف في نطق الرواد وتسجيل علماء ذلك العهد البعيد بلغتهم وبطبيعة الحال فقد أشرنا إلى ذلك في الفصل (تهامة) من الجزء الأول .

وكل ما عثرنا عليه من كشوف الرواد المستشرقين للنقوش الأثرية هو ما سجل في النقش الأثري المرسوم GIS 10 والذى يشير في سنة ٢٧٦ قبل الميلاد إلى اسم وادي ضمد وموضع (العكوتين)ـ راجع بحثنا المنشور في «اليمامة» ع ١١٧ سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

وعدا ذلك فنجد أن من جملة الوفود التي وفدت إلى الرسول ﷺ معلنة إسلامها عبد الجد الحكمي ، رئيس قبيلة حَكَم .

ويضـاف إلى كل ذلك أن الطريق (السكة الرومانية) التي أنشأها (طرايانوس قيصر)ـ راجع الفصل الخاص بعنوان تهامة في الجزء الأول من هذا الكتاب ـ كانت تمر في قلب المخلاف السليمانى ، وعلى ضوء ما سلف في الجزء الأول بالعنوان السالف وتحت العناوين الآتية :

١ ـ قبائل تهامة في القرن الرابع .
٢ ـ تهامة في التاريخ الإسلامي .
٣ ـ أشهر مدنها التاريخية .
٤ ـ المخلاف السليماني ونسبته لسليمان بن طرف الحكمي .
٥ ـ المخلاف السليماني من القرن الخامس إلى القرن السابع .
٦ ـ الأمراء الغوانم .
٧ ـ الأمراء آل القطبي .
٨ ـ ما ورد في القسم الثانى من الجزء الأول حول الأحوال السياسية والإدارية في المخلاف السليماني .

ونخرج من كل ما سبق أن المخلاف السليماني ـ يعتبر أول حدث تاريخي هام في ربوعه هو إمارة سليمان بن طرف الحكمي ، والذي يعد نقطة تحول سياسي بالنسبة لتاريخه البعيد ، فقد كان قبل ذلك يتألف ـ من قسمين :

١ ـ بلاد حَكَم وهي من عبس جنوباً إلى صبيا شمالا ـ تقريباً .
٢ ـ مخلاف عثر وهوـ تقريباً ـ من شمال صَبْيا وغربها إلى حمضة ـ القحمة حالياً .

وبحكم التقـاليد القبلية تكـون الـرياسـة في أقوى الأسر وعملا بذلك كانت رياسة بلاد حكم ، في أسرة آل عبد الجد الحكمي [١]، وظلت محتفظة بمركزها إلى ما بعد النصف الأول من القرن الخامس .

---

(١) عبد الجد الحكمي أحد رؤساء الوفود الذين وفدوا على النبي ﷺ عام الوفود في السنة العاشرة وهم الأبيض بن حمـال ـ الحـارث بن عبد كلال ـ إبراهيم بن شرحبيل ـ وائل بن حجر ـ أحمد عبد الله البجلي ـ عبد الجد الحكمي .

أما مخلاف [1] (عثر) فلم يكن يؤلف قبيلة واحدة بل يضم خليطاً من خولان وكنانـة والأزد ـ وغيرهم وبـطبيعة الحال فمثل ذلك الخليط لم يتفق على رياسة موحدة ، شأن المجتمع القبلي المنتمي إلى جذم واحد .

فنرى أنه في القرن الثالث كانت رياسته ـ أي مخلاف عثر ـ إلى قوم من بني مخـزوم ، أومواليهم ، وهـذا إن دل على شيء فيدل على تلاشي وضعف قوى العصبية بحيث استطاع أن يرقى إلى رياسته طارىء بخلاف مخلاف حكم الذي لم يذعن لطارىء من خارج نطاقه القبلي ومحيطه المحلي .

استمر الحال بتفرد كل قسم برياسة مستقلة عن القسم الآخر ـ وإن تكن في نفس الوقت كلا الجهتين مرتبطين إدارياً من أول القرن الثالث بإمارة زبيد التابعة للخلافة العباسية إلى عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م .

في عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م ـ وكـان على رأس قبيلة حكم سليمان بن طرف الحكمي ـ من آل عبـد الجـد ففصمت كثيرٌ من المقـاطعـات التـابعـة لزبيد عرى ارتباطها السياسي ، نظراً لمـا بلغت إليه الإمارة الزيادية في عهد أبي الجيش من الضعف فاهتبـل الفـرصـة سليمـان بن طرف واستقل بجهته ولم يقف طموح ذلك الأمير عند ذلك الحد بل عمل جاهداً حتى ضم مخلاف (عثر) ووحد المخلافين تحت إمارته باسم (المخلاف السليماني) واتخذ مدينة عثر عاصمة للإمارة الموحدة . وضـرب سكـة باسم الإمارة الجديدة نقش عليها اسمه عرفت بالدينار (العثري) أو العملة العثـرية . التي كانت في الجنـوب ذات اعتبـار مالي ومركز اقتصادي تمثـل ـ الاستـرليني أو الـدولار في هذا العصـر مع الفـارق في رواج الأخيرتين في أسـواق العـالم بأسـره والأولى منحصـرة في الحجاز واليمن وحضرموت إلى عمـــان . وبلغ دخـل تلك الإمـارة خمسمـائـة ألف دينـار عثـري وهـو مبلغ له

---

(١) ورد في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني : وبالساعد أشراف حكم بنو عبد الجد الحكمي وفيه:ثم بلاد حكم وهي مسير خمسة أيام وملوكه من «حكم» آل عبد الجد وفي ص ٥٤:ثم بيش وساحله عثر وهو سوق عظيم وفيه:ثم مخلاف عثر وهو لـ «كنانة» و«خولان» و«الأزد» وملوكه من بني «مخزوم» وقيل من عبيدها ، ثم بيش وبه موالي قريش .

ضخامته المالية وقيمته الشرائية في اقتصاد ذلك العصر هذا عدا ما تتقاضاه الإمارة من العوائد العينية والعروض .

وقد ظلت إمارة سليمان بن طرف الحكمي وأبنائه إلى سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م (١) ، وإن ما أشارت إليه تواريخ المخلاف السليماني ـ بعد ذلك ـ بأن الأمارة آلت إلى (العلويين) في عام ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م يجانب الحقيقة .

وقد وقعنا نحن في هذا الخطأ اعتماداً على تلك المصادر . وذلك ـ بالطبع قبل وقوفنا على المصادر التي تبرهن على ما نقول ومنها تاريخ الصليحيين .

أما كيف سجل مؤرخو المقاطعة أن إمارة المخلاف آلت إلى العلويين ، بعد سليمان بن طرف أي في عام ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م فقد يكون من باب أو طريقة تسخير التاريخ لخدمة الأسر وخدمة المؤرخين للأسر الحاكمة فيما سبق ـ إما من ناحية التقرب أو التماس الحظوة أو من ناحية العقيدة أو التشيع-شيء معروف .

ويترجح لدينا أنه بعد وقعة الزرائب وانهيار نفوذ أسرة سليمان بن طرف كنتيجة حتمية لما ترتب على الهزيمة الساحقة عليهم وعلى دولة النجاحيين التي وقفوا بجانبها تمكن العلويون من إمارة المخلاف راجع الفصل الخاص (إمارة السليمانيين في المخلاف الجزء الأول) وقد بقيت على إمارة المخلاف في العهد الثاني للنجاحيين تحت تبعيتهم السياسية إلى أن قامت دولة علي بن مهدي

---

(١) جاء في « تاريخ اليمن » « تأليف عمارة » ما نصه : ومن أخبار الصليحي أنه في سنة خمسين وأربعمائة بلغه أن ابن طرف الحكمي قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة وأخلاط السودان عشرون ألفا فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس فالتقوا بـ « الزرائب » من أعمال ابن طرف ـ وهو الوطن الذي ولدت فيه وبها أهلي ـ فاستحر القتل أول يوم بالعرب ثم كانت الدائرة على السودان فلم يبق منهم إلا ألف احتازهم جدي أحمد بن محمد في حصنه بـ « عكوة » والعكوتان جبلان منيعان لايطمع أحد في حصارهما الخ فابن طرف هنا هو كما نرجح حفيد سليمان ابن طرف ونعته بابن طرف هو من باب تغليب الشهرة على المسمى كما يقال في عصرنا ابن سعود وابن حميد الدين لجلالتي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل والإمام يحيى بن محمد . ويوجد شرقي مدينة « صبيا » جبلان يسميان العكوتين ، وإنما لا تنطبق عليهما المواصفات أعلاه ، وقد عثرنا مؤخراً على ضلعين في جبل « مصيدة » سامقين في بلاد بني الغازي وبينهما قرية تسمى (الزرائب) ينطبق عليهما الوصف

وعصفت بالنجاحيين ونكلت بأمراء المخلاف من أسرة وهاس العلويين ، فالتجأ بعضهم إلى صلاح الدين الذي بعث أخاه (توران) فاستولى على الجهة وأعاد لأسرة وهاس الإمارة على المخلاف السليماني على شيء من التقيد السياسي وإنما اضمحل نفوذ تلك الأسرة كما يظهر فنرى ابن المجاور الرحالة المعروف يفيدنا أنه في سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م قد تلاشى نفوذها كلياً فيقول : فبقيت الأعمال في أيدي القوم إلى سنة ٦١٥ فضعف القوم يعني العلويين ودخلت عليهم يد (الغز) فخرجت البلاد من أيديهم وصارت في حوزة (الغز) إلى أن قال (ولم يبق لهم في البلاد خبر) انتهى باختصار وهذا لا ينطبق في الواقع فإننا نجد بقية نفوذ لأسرهم ، يتولون إقطاعيات متفرقة ، وأبرز من تولاه في ذلك العهد انظر آل وهاس والهواشم وأمراء باغتة في الجزء الأول حتى استولى الجراكسة المصريون فآل أمره إليهم ثم إلى الأتراك العثمانيين في عهدهم الأول راجع أخبار الجراكسة في القسم الثاني من الجزء الأول وأخبار الأئمة الزيديين ومنهم ارتبط أمره بأئمة الزيدية في القرن الحادي عشر . وكان قبلهم رياسة (صبيا ومخلافها) إلى الأمراء الخواجيين فاستمالهم إمام (صنعاء) في صفه وباستمالتهم تغلب على الحامية التركية الهزيلة في جازان الأعلى ـ وأخيراً انسحب الأتراك للحجاز إلى أن عادوا لليمن ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م .

وقد تمخضت تلك التبعية الجديدة عن إقامة إقطاعية [1] (علوية) في قلب (المخلاف السليماني) لتكون ركيزة لمذهب الدولة في جعل الأفضلية في الحكم (للعلويين) وعلى ذلك تم الاتفاق بين المركز الرئيسي في صنعاء وبين علويي المخلاف بتحديد تلك الإقطاعية التي شملت من حدود المسارحة إلى صبيا .

إلا أن قبائل المخلاف الشديدي الشكيمة والتي بطبيعتها العربية الأصيلة لا تهضم قبول أي خطة سياسية أو مذهبية ترمي إلى احتكار السلطة والخضوع

---

(١) جاء في « العقيق اليماني » ص ٢٤٦ ما نصه وفي ٣ رجب عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م وصل إلى صبيا العلامة المجتهد أحمد بن محمد الشرفي بتقرير مجالس بين الإمام والأشراف ـ العلويين ـ جعل لهم الإمام ولاية من حدود المسارحة من جهة اليمن إلى وساع وتقررت لهم بأسرها » .

لأسرة ما رفضتها ، فتلاشت بعد وقت قصير جداً تلك الإقطاعية ولم يبق لها أي بقاء أو نفوذ ، ما عدا إمارة صبيا نفسها التي يناط أمر إمارتها بالخواجيين من قبل ذلك ، والخواجيون تعتبر سلطتهم قبلية اجتماعية ، لا روحية وهم في نفس الوقت حينذاك من العشائر القوية في (صبيا). فاضطرت إمامة صنعاء إلى تناسي تلك الخطة السياسية في أمر تلك الإقطاعية وبعثت (عاملاً) من قبلها .

واستمر هذا المركز يملأ بأحد رجالهم أو يعين له أحد أسرة (القطبي) في جازان أو من الخواجيين في صبيا حتى أنيطت إمارة ذلك المركز بأحمد بن محمد آل خيرات راجع الفصل الخاص بأمراء آل خيرات وبقى أمر إمارة (المخلاف) متوارثاً في تلك الأسرة إلى أن دخل تحت سلطة السعوديين عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م فأقرت على إمارته أميرها السابق حمود بن محمد آل خيرات ، الذي ظل تحت ولائه إلى عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م فتحلل من طاعتهم واستقل بأمر المخلاف وغيره إلى أن توفي في عام ١٢٣٣ فخلفه ابنه أحمد حمود قرب عامين فوصل خليل باشا ، ونحاه وجعل في محله علي بن حيدر الخيراتي ، وبعد رجوع خليل باشا إلى الحجاز ظل أمر المخلاف يتأرجح بين علي بن حيدر و(العسيريين) راجع الفصل الخاص بإمارة علي بن حيدر والفصل الخاص بأمراء عسير في ص ٥٠٥ ، ٥٢٨ . من الجزء الأول وكان أمر الحجاز تابعاً لـ (محمد علي) بصفته تابعاً للدولة ـ إلا أنه بعد تفاقم الأمر بينه وبينها كما هو معروف في التاريخ جرد حملته على سوريا . كما بعث قوة إلى اليمن عن طريق الحجاز للاستيلاء عليه باسمه وكتب (للأمير علي بن حيدر) بأن يرسل ابنه مع الحملة إلى اليمن .

استولت قوة محمد علي على اليمن حتى صدر قرار مؤتمر (لندرة) فسلم قائده البلاد للحسين بن علي بن حيدر باسم الدولة العثمانية فبقي على إمارتها إلى أن وصل (توفيق باشا) واستلمها منه في عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤م .

من هذا الاستعراض الموجز نخرج بالنتيجة الآتية :

إن المخلاف السليماني قامت في ربوعه ثلاث إمارات لها أهميتها التاريخية بالنسبة إلى تاريخ الجنوب خاصة .

١ ـ إمارة سليمان بن طرف الحكمي الذي وحد مخلافي (حكم) و(عثر) في ظل إمارة قوية موحدة ـ وكان قبله لكل مخلاف كيانه أو إمارته الخاصة .

٢ ـ إمارة حمود بن محمد والذي تمكن وهو تحت التبعية السعودية من التوسع في جنوب تهامة إلى أن بلغت سلطته (المخا) وبعد تحلله من الارتباط بالدرعية بل وفي العام الأخير من حكمه تمكن من ضم عسير إلى مملكته .

٣ ـ الحكومة الإدريسية في عهد مؤسسها فقط التي مهدنا لدراستها بهذه المقدمة الموجزة وقد مر بالقارىء الكريم تاريخها مفصلاً ونحاول الآن دراسة عامة للحالة العامة في عهدها .

أما بعد ذلك فقد أصبح المخلاف السليماني جزءاً من المملكة العربية السعودية التي وحد شملها وجدد للأمة العربية وحدتها في شبه الجزيرة العربية المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود .

الفصـــل الثـــاني عشر

دراسـة عـامة عن الـدولة الإدريســية

النــاحيـة السيــاسية :

ألمعنا في الفصول الخاصة بالدولة الإدريسية عن نشأة مؤسسها الأول وأسرته واتصالاته السياسية وحروبه وهنا نعقد هذا الفصل لدراسة عامة للنواحى السياسية والإدارية والاجتماعية والأدبية ولنبدأ بالناحية السياسية .

قامت الـدولة الإدريسية في ربوع المخلاف السليماني أولاً ، فمرت بالأدوار الطبيعية التي تمر بها كل دولة ناشئة فمن دعوة يتذرع بها إلى وسيلة يرمي من ورائها إلى غاية حتى بلغت دولة يشمل حدودها :

١ ـ من قرب صعدة شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً .
٢ ـ من (حلي بن يعقوب) شمالا إلى شمال مدينة بيت الفقيه جنوباً .
٣ ـ وفي القسم الأعلى الجنوبي شمل سلطانها جبل (كحلان) وما سامته جنوباً إلى (ريمـة) و(عبال) واستطاع أن يشيد تلك الحكومة التي شمل أيضاً سلطانها بعض الـوقت أبهـا وشهران وإن تقاصر بعد ذلك حكمه إلى (الشعبين) ورجال (ألمع) إلى وفاته .

دولة وقفت شامخة العرنين بين أقوى أسرتين حاكمتين وهما (إمامة صنعا) وشرافة مكة واستطاعت . ألا تحمى نفسها من منافستهما وأطماعهما . فقط بل توسعت على حسابهما في غير ميدان .

أما إنها قد حالفت دولتين أجنبيتين ـ كما وصمها خصومها آنذاك ـ فنعم وإنما محالفة تبادل المصالح والمساعدة الحربية فقد أخذ منهما (مالا) و(سلاحا) وقاتل به عدويه وعدوهما ـ الأتراك ـ وحقق به لنفسه ملكاً ونصراً لحليفته ولا شيء غير ذلك .

حالف (إيطاليا) أولا إلى أن انتهت الغاية لإيطاليا من وراء ما ترمي إليه فلم تنل إيطاليا أي مغنم مادي أو كسب أي امتياز سياسي أو اقتصادي ، وانطوت صحيفة الحساب في حقلي الأخذ والعطاء . سلاح ومال . يقابله مجهود حربي ، ولا شيء غير ذلك ، ومثلهم الإنكليز .

الإدريسي كزعيم عربي يعتز بعروبته ويفخر بقوميته . ويكره الشعوبية عقيدة وطبعاً . ولم نلمس في سيرته طائفية مذهبية ، سعى جاهداً في إشادة ملك وبناء دولة في منهج من الإصلاح الديني والسلوك الصوفي . وذلك بحكم بيئته وتنشئته ـ وللوراثة عامل قوي لا يمكن تناسيه وإسقاطه من الحساب وجده الأول ـ من قد عرفت ـ قطب التصوف في عصره . وإنما استطاع (الإمام الإدريسي) بحكم اتساع معارفه الدينية التي بلغ بها رتبة الاجتهاد ـ تقريباً ـ وتسامي ثقافته وتفكيره . أن يرتفع بطموحه المتوثب عالياً عن محيط دائرة أسرته إلى محيط الإصلاح ودائرة القومية العربية كأمثاله من كبار زعماء عصره .

وهو شافعي [1] المذهب ، سُنِّيُّ العقيدة من كبار علماء الدين في عصره خرج (الإدريسي) من مسقط رأسه طالباً للعلم فنال مبتغاه وعاد طالباً للملك فتحققت أمنيته ، قام بمحاولة في وقت تعتبر فيه (الخلافة العثمانية) ظل الله على أرضه . وقد مضت أجيال وأجيال ، خدمتها فيها العقول وسخرت لصالحها الأقلام وأقرت شرعيتها علماء الدين ـ آنذاك ـ فوصم كل داعية إسلامي أو مصلح عربي بالمروق من حظيرة الدين والانحراف عن هديه القويم . فكان من جراء ذلك القضاء على كل إصلاح ديني أو نهضة عربية ـ وليس أمر القضاء على الحركة الإسلامية السلفية في نجد وقتل زعميها (الإمام عبد الله بن سعود) تغمده الله برحمته ، ببعيد ـ فنضب الفكر وجدبت العقول وتلاشت الهمم وشرد الأحرار ، ولم يكتفِ الأتراك بإخماد الروح العربية حتى عزموا على تتريك العرب ودمجهم في العنصر الطوراني .

---

(١) في حوزتي نسخة فريدة لعدد من الرسائل والمتون بخط الإدريسي نفسه في صباه موقعة أحدها باسمه : محمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن إدريس الحسني الشافعي .

هذا في البلاد العربية على وجه العموم . أما في المخلاف السليماني فحدث عن ما بلغه من التردي في مهاوي الجهل والفوضى واضطراب حبل الأمن ولا حرج .

كان في أي قطر من أقطار العروبة ـ المتقدمة نسبياً عن المخلاف السليماني يكفي لإخماد أي حركة صدور مرسوم سلطاني وفتوى من مشيخة الإسلام في القسطنطينية بأن الثائر خارج عن حظيرة الدين حتى ينفض من حوله الأنصار وتتألب عليه العامة ولو ذلك المرسوم والفتوى في صالح الاستعمار واحتلال دولة أجنبية . وفي إخماد ثورة (أحمد عرابي) ما يغني عن الإطالة يضاف إلى ذلك قتل زعماء التحرير الدعاة بعد التشهير ، والتطواف بهم في شوارع الآستانة وبعد ذلك نصب المشانق في دمشق و(بيروت) وحسهم الشباب الواعي العربي العريق حساً [1].

إن الإيمان القوي والروح العصامية تتحدى الأخطار وتهزأ بالمصائب وتتخطى الصعاب . فلم يَأْبَهْ بتلك الحشود الزاخرة ولا القوى الضاربة ولا دعاية التشهير والتكفير . فارتبط مع حكومة إيطاليا التي من مصلحتها آنذاك تأريث الفتن وإشعال الثورة على تركيا ـ فاتفق معها .

فأحكم التدبير وأحسن السياسة وتذرع بوسائل التأثير على النفوس والعقول فاستل السخائم وألف بين القبائل المتعادية ـ والأغلبية الساحقة في جهالة عمياء بل المخلاف السليماني بأجمعه يطفو في بحيرة من الدماء والحروب القبلية ولا هم للأكثر الأعم إلا الحصول على ما يسد الرمق والدفاع عن النفس . وكأن شريعة الغاب قد طبقت بحذافيرها في محيطه ، فكان لدعوته صداها ولسياسته تأثيرها ولإرشاداته طريقها إلى النفوس والعقول . وبالطبع إن حركته ـ أو بالأصح ثورته ـ لم تكن دعوة الإصلاح الديني الشامل أو اليقظة القومية الواعية . وإنما هي دعوة العالم الديني المتطلع إلى الحكم وإقرار الأمن واستئصال الفتن في المجتمع القبلي ـ الذي أهملت شأنه الحكومة فانقلبت إلى فوضى وحروب قبلية ، فكان همه الأول تسكين تلك الفتن

---

(١) الحس : القتل ، قال الله تعالى : ﴿ إذ تحسونهم بإذنه ﴾ من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران .

كوسيلة إلى غاية انتدب نفسه لتحقيقها وهي إشغال الأتراك بثورة لتحويل أنظارها عن الميدان الرئيسي إلى ميدان فرعي والغاية الخاصة لشخصه تحقيق ملك وإشادة إمارة فعمل ـ كما أشرنا ـ ثم بعد العمل التمهيدي ، انصرف ـ مجداً ـ إلى تحويل الطاقة الكفاحية المبددة إلى غرض وهدف ، وإذا قسنا ما تبدد من تلك الطاقة ـ في الحروب القبلية من قتل بعضها ـ إلى الغاية والهدف التي وجهت إليه وجدنا الفارق البعيد . فضلا عما ساد من الأمن وشمل الانتعاش الاقتصادي والرخاء المعاشي من وراء انثيال المساعدة الخارجية ـ التي بغض النظر ـ عن مصدرها قد عادت بصفة غير مباشرة على البلاد السليمانية بالرخاء المادي بالنسبة إلى ما كانت عليه قبلا .

كان الفرد عاطلاً ، أويقوم بعمل شاق بأزهد الأجور فى محيط مضطرب تزهق النفس فى أرجائه لأتفه الأسباب ، فأصبح جندياً يؤدى ضريبة المجد ويقوم بواجب الدفاع عن الوطن تدفعه إرادة قوية وتسيره عزيمة حازمة حكيمة ، وترفده إمكانيات متوفرة الموارد منتظمة الإيراد ـ وإذا كان الفرد ـ لا يعلم من أين جاءت ولماذا تصرف فليس من الضروري أن يكون الرجل المريض على علم ودراية بعناصر الدواء الذي يشعر من جراء تعاطيه بدبيب الشفاء ودفء الحياة يشع في أعضائه .

أصبح من رجال المخلاف السليماني الوزراء والقادة والقضاة وحكام الجهات وقد كان ـ قبل ذلك ـ لا شيء وكان علماء الدين لا معين لهم للارتزاق ـ وقد انحسر نفوذ الأتراك وانكمش في مدينة (جازان)ـ إلا كتابة وثائق مبيعات الأراضي على نزر بيعها أو قسمة فريضة ميراث في القرية . أما عدا ذلك فالحكم للساعد القوي والقلب الجريء .

أصبح منهم قادة الجيوش الذين أداروا رحى المعارك بنجاح ضد قادة الجيش العثماني وانتزع منهم أكاليل النصر فى غير معركة ، ومنهم الوزراء الذين انتدبوا للتفاوض مع إيطاليا ورجال الدولة التركية والبريطانيين فكانوا

على قدم التكافؤ مع كل فريق في غير موقف ، وبرزمنهم القضاة والحكام الإدرايين .

فأي روح تلك التي أيقظت المشاعر الغافية وأشعلت تلك الفطن الطافئة ، أنها ولا شك روح قوية وشخصية عصامية شاءت القدرة الإلهية وجودها وإنما قوة تلك الشخصية ومصدر إشعاعها محدود المدى محصور الغاية وفي حياتها فقط ، ومن الإشعاعات الروحية والقوى الشخصية ما يكون محدود الأمد بحياة مصدره ومدة حياة صاحبه فإذا مات انطفأ وتلاشت قوته ومنها ما يظل إلى أمد محدد ومنها ما يتخطى الأجيال ويطاول الآماد .

إننا لا نقصد من وراء هذه الدراسة الوجيزة التجني على شخصية الإدريسي فهو رجل قد أصبح في ذمة التاريخ هو والحكومة التي شاد بنيانها وأقام أركانها ، ولا نريد أن نخلع على شخصيته من الثناء أكثر مما يوجبه الحق للتاريخ - فلن ينفعه الثناء الزائف كما لا يضره النقد القادح ، وشخصيته الكبيرة سيحتفظ التاريخ بذكراها بين زعماء الرجال من أبناء هذه الأمة العربية النبيلة التي أنجبت الزعماء والعظماء على مسرح التاريخ وعلى المؤرخ تبعته فيما يجليه أو يغمطه من الحقائق وعليه واجبه نحو الأجيال المستقبلة لينير لها السبيل ويمهد لناشئيها الطريق لتسير علي هدي التجارب واختبارات الماضي في مهيع لاحب ومنهج واضح من دراسة التاريخ يشحذ الهمم ويتنكب بها عثر الزلل . فعظماء الرجال هم أفراد من أفراد كل أمة سمت بهم مداركهم وتعالت هممهم إلى معالي الأمور فساعدتهم الأقدار ببلوغ مآربهم أو حالت دون إدراكها ، والتاريخ سجل حافل بالأحداث والاختبارات والتجارب ، فمن الخطأ أن لا يتناول الدرس العميق والنقد النزيه حياة الشخصيات الهامة ، وقد قيل (التاريخ لا يرحم) ، وأعتقد أن هذا القول ينطبق على مفاهيم الأمم الواعية التي تتخذ من تاريخها سجل نهضة وثبت حقائق يشيد بالأعمال ويقيد الأخطاء وينوه بكل مأثرة وينبه ويشير عند كل انحراف أو زلل أو وقوع تبعة ، فالأعمال العظيمة وحوادث التاريخ لا يكون فخرها

أو بالأصح نفعها للشخص نفسه أو ضررها عليه ، بل للأمة وعليها وقد يكون لأعمال الشخصية من قوى التأثير في التاريخ ما يتجاوز دائرة محيط الأمة الواحدة إلى المحيط الإنساني العام .

إن الإدريسي قام بحركة ناجحة ، تفوقت بأسلوبها المرن في التفوق والتغلب على كل من وقف في سبيل تحقيقها فبرز بها من عالم الأماني والخيال إلى عالم الحقيقة والواقع - في نفس المخلاف السليماني أولاً ثم عسير ثانياً ثم في الجنوب ثالثاً وساجلهم وساجلوه فكان المتفوق دائماً ، وأحسن ما نسجله هنا شهادة كاتب عربي معروف هو الأستاذ (أمين الريحاني) في كتابه المشهور (ملوك العرب) :

« إن من فضائل الإدريسي ثباته منذ بدء أمره على مبدأ واحد فقد كان عربياً صميماً جسوراً في سبيل غايته ، يحالف أية دولة على أعدائه الترك ومن كان هو حالفهم من أمراء العرب عليه . فما تذبذب في مبدئه ولا تحول عن ذلك ، حارب الأتراك وحليفهم الملك حسين وصديقهم الإمام يحيى فكان في الغالب منتصراً ودائماً عزيزاً ، لا ننكر أن الأحوال كانت حليفته ولكنه سلحها من لدنه بالعزم والمضاء » . انتهى .

وهو يعتبر - بحق - حجة في العلوم الدينية . وعدا ذلك فله من سياحته بين مصوع والحجاز ومصر والسودان ، ما جعله يقف على مجريات السياسة ونظم الحكم في تلك الأقطار آنذاك ، ومصر قد غزتها الحضارة الأوربية نسبياً وكانت حينئذ تحت التبعية العثمانية الاسمية والحماية البريطانية الفعلية وتحصيله العلم في جامعة (الأزهر) كل ذلك وسع آفاق مداركه وصقل عقليته وشحذ همته وتسامى بمواهبه ودرب فكره تدريباً عملياً ، فكان من كل ما سلف مضافاً إلى تراثه الروحي والصوفي ، منهج سياسته التي هي في نظرنا تتلخص في كونها إسلامية المنهج ، صوفية النزعة عربية المبدأ إقليمية النظرية .

أما من الناحية السياسية الخارجية فهي حصيفة دقيقة تعرف كيف تستفيد

من ظرف المعترك الدولي مع التحاشي من الوقوع في أحابيلها ، أو التفريط في استقلالها الداخلي ، وقد رأى بنظره الثاقب وهو بين حكومتين عربيتين وهي :

١ ـ حكومة الملك حسين في الشمال .

٢ ـ حكومة الإمام يحيى في الجنوب .

وكلا الحكومتين تستند إلى تراث موروث (١)، والاعتماد على المساعدة الخارجية انتهى بانتهاء الحرب العظمى وقد أصبح أمراء العرب مرتبطين مثله بمعاهدة صداقة مع بريطانيا ، فلابد من سند صداقة عربية من مستوى عالٍ يعتمد عليها في موقفه مع الحكومتين السالفتين فارتبط مع عظمة (سلطان نجد)ـ حينذاك ـ بمعاهدة صداقة وإخاء تطور إلى وصاية فيما بعد كما مر بك مفصلا .

السياسة الداخلية :

مر بالقارىء الكريم ـ دراسة مفصلة عن حالة المخلاف السليماني عند قيام الإدريسي ، وعن سياسته الداخلية إبان قيامه ـ والآن نستعرض السياسة الداخلية للعهد الإدريسي .

إن سياسته الداخلية في جوهرها مزيج من الدهاء الإداري والمنهج الشرعي والروحية الصوفية تدرج في إبراز معالمها في عقلية الشعب حتى سحره بقوة التأثير لما ندب نفسه من غاية مستعيناً بالعون الخارجي ، وهو في مثل ظروفه ضرورة اقتصادية وجل الحركات الثورية تستعين بالعون الخارجي ـ في الشرق والغرب ـ فالثورة الأمريكية الكبرى كانت تتمتع بالعطف والعون الفرنسي ، الذي له غاية من وراء ذلك هو إقصاء انجلترا عن القارة الأمريكية ، كما هو معروف من التنافس السياسي بين الدولتين حينذاك ،

---

(١) كان الإدريسي في نظر كل من الملك حسين والإمام يحيى غريباً ساعدته الظروف ومكنت له الأسباب وأنه ليس له مالهما من التراث التالد والمجد الموروث .

وكذا الثورة الإيطالية كانت تحظى بالعطف من بعض الدول وثورة البلقان ضد تركيا حظيت بعون غير دولة لما لهم من المآرب السياسية .

نجحت سياسته الداخلية ـ كما مر بك مفصلاً ـ فخضعت لطاعته الجماهير وتغلب على كل معارضة داخلية [١] وبعد ذلك كان أول نجاح سياسي أحرزه هو معاهدة (الحفائر) التي بموجبها اعترفت تركيا بسلطته الشرعية على (المخلاف السليماني) وبعد قطعه يدي (أحمد شريف الخواجي) تذللت كل عقبة داخلية وأذعن كل معارض فانصرف إلى بعث العمال والجباة إلى الجهات وإرسال القضاة وإقامة الحدود فتوطد الأمن واستقرت الأمور واتخذ لنفسه حرساً من الصومال بلغ عددهم نحو الخمسمائة ثم فرقهم كحاميات في محايل وبعض مراكز تهامة ومناجم الملح .

السيـــاسـة الإدارية :

كان الإدريسي نفسه مصدر كل سلطة ترد إليه المخابرات والمعاملات وتصدر منه الأوامر والتوجيهات إلى كل من له سلطة أو ينوب في إدارة أو يقود الجيوش أو يتولى الجباية ، لقد أشرنا إلى تعيين وزراء ثلاثة وإنما وزاراتهم اسمية ليس لها اختصاصات أو وزارات معروفة ، وجل أعمالهم الانتداب للمهمات أو التنفيذ لما يصدره من الأوامر . كان في مبتدأ أمره يتولى بنفسه فض الرسائل والمخابرات والإجابة عليها بقلمه ثم استعان بالفقيه علي القناعي الصبياني ككاتب ، ثم وفد إليه الأستاذ (عبد الرحمن المعلمي) فاتخذه كاتباً للإنشاء . وبعد جلاء الأتراك أصبح لديه ديوان يشكله زمرة من موظفي الدولة السالفة يرأسه (كامل أفندي) أحد كتاب ديوان ولاية (صنعاء) القديرين في العهد العثماني .

---

(١) كان تقريباً في كل مدينة أناس تنظر إلى حركته من الساعة الأولى بعين الارتياب وبالأخص من الموالين للأتراك وأبرزهم :

١ ـ أحمد شريف الخواجي في صبيا   ٢ ـ منصور الصعدي في أبي عريش .
٣ ـ علي سويد الأنصاري في جازان   ٤ ـ عبد الله سهيل في فرسان .

فقطع يدي الأول ، ونفي الثاني إلى شهران وسجن الثالث في جبل النظير أما الرابع فقد فر أولاً إلى اليمن ثم عاد مؤخراً فقبض عليه وسجنه مدة ثم عفى عنه .

الجهـــاز الإداري العـــام :

يتمثل الجهاز العام في العاصمة من :

١ ـ شخصية الإدريسي نفسه الذي هو مصدر كل سلطة مقيدة بالشريعة الإسلامية طبعاً ـ فهو المصدر الرئيسي والمرجع العام للسلطات التشريعية والسياسية والتنفيذية .

٢ ـ يعاونه الوزراء الثلاثة وهم :

حمود سرداب الذي يتولى أمر شؤون القبائل وتجنيد الشوكات وما يتعلق بذلك فيتلقى الإرشادات والأوامر التوجيهية شفوياً وينفذ ما يؤمر وما وجد ، يتصل بشخص الإدريسي مباشرة ويعمل في حدود ما يتلقاه .

٣ ـ الـوزيران (محمد يحيى باصهي) و(يحيى زكري الحكمي) فيما عدا ذلك في حدود ما يوجههم .

٤ ـ محكمة عليا ورئيسها (محمد حيدر القبي) ويشاركه عدد من القضاة .

٥ ـ محتسب (مدير شرطة) لمراقبة السوق ومراقبة الأخلاق العامة والتنبيه للصلاة وغير ذلك .

أجهزة الإدارة في المدن :

في كل مدينة جهاز إداري يتألف في الغالب من :

١ ـ عامل ـ أي حاكم إداري .

٢ ـ قاضي شرعي .

٣ ـ مأمور بيت مال .

٤ ـ حامية ـ تسمى رتباً ـ من الجنود المرتزقة لهم عريف .

٥ ـ رئيس بلدية في أمهات المدن .

٦ ـ دائرة رسوم جمركي في المدن الرئيسية الساحلية تتقاضى رسماً معرّفاً على الواردات الخارجية والصادرات .

المرجع الرئيسي لكل الجهات الإمام الإدريسي نفسه وكان ينوب عنه في الجهات الجنوبية (ابن عمه مصطفى بن عبد المتعال الإدريسي).

أما كيفية الاتصالات فغالباً ما تكون بواسطة المكاتبات العادية ، وبدون رقم ولا تسجيل وتصدر منه الأوامر بالطريقة نفسها في الأمور الداخلية والإدارية والمالية . أما المهم من الأوامر والمكاتبات الخارجية فبعد تشكيل الديوان الإدريسي برئاسة كامل أفندي فأصبح له سجلات رسمية .

الرهـــائـن :

كان الإدريسي يأخذ من غير أهل المخلاف السليماني رهائِن وبالأخص من أهل تهامة اليمن والجبال ، والرهائن أن يأخذ ابن كل رئيس قبيلة رهينة لديه ضماناً لطاعة ذلك الرئيس من المخالفة .

المواصـــلات :

لم تكن في ذلك العهد مواصلات منتظمة تربط أجزاء المملكة أو وسائل مواصلات حديثة إلا الحيوانات ما عدا عدد محدود من (السيارات) لا يتجاوز الأربع لتنقلات الإدريسي نفسه أو ترسل في الحالات الطارئة أو لنقل كبار الضيوف أو أقربائه أو كبار رجال دولته إذا استدعى أمر مهم لذاك .

أما البريد الحكومي : أو بأصح تعبير مكاتبات (العمال) فترسل بواسطة (عدائين) يطلق عليهم اسم (نجابين) واحده (نجّاب) فيقطعون المسافات البعيدة عدواً وربما استعمل غيرهم الدواب الفارهة .

الإيرادات الحكـومية :

١ ـ منابع الإيرادات في أول الأمر العون الخارجي ، أو الزكاة الشرعية على الحبوب والمواشي ، وبعد التوسع في الجنوب والشمال وانقطاع العون الخارجي بنهاية الحرب العظمى الأولى ، تركزت على :

١ ـ وارادات زكاة المواشي والحبوب .

٢ ـ واردات الممالح .

٣ ـ الرسوم الجمركية .

الأوامـــــر :

تنفـذ الأوامـر الإدريسية فور صدورها ، فإذا ما أمر على أحد وزرائه أو رجال الدولة بادر حالاً وأبلغ من يلزم بتنفيذه فوراً ومع ذلك فتلك الأوامر المرتجلة لا تخرج عما تقتضيه المصلحة .

محـــاولة تنظيـم جهـــاز الدولـة :

المفهـوم من رجال متنورين عاصروا ذلك العهد أن الإدريسي أراد أن يشكل جهاز الدولة على النظام الحديث وأن تنظم للدولة موازنة للإيرادات والمنصرفات ووزارات ذات اختصـاصـات ، وأنه اعتمد على أحد الأخصائيين في وضع شبه دستور أساسي ، وعرض على سيادته فعدل في مواده بما يتلائم مع المنهج الشرعي وحالة البلاد ومقتضيات الزمان وأشار فيه إلى أسماء الأشخاص الذين سيملؤون مراكز الوزارة :

١ ـ مصطفى الإدريسي لرياسة الوزارة .

٢ ـ محمد يحيى باصهي للخارجية .

٣ ـ يحيى زكري للداخلية .

٤ ـ حمود سرداب للحربية .

٥ ـ محمد حيدر القُبي للعدل .

كما نص فيه إلى إنشاء جيش نظامى تكون كتيبة (سليم بك) نواة له وإنما حالت وفاته المبكرة دون إتمام وتنفيذ ذلك .

مـآثره الحكـــومية :

لم يكن له مآثر خالدة أو أنه قام بإنشاء مرافق عامة إنما أنشأ بعض البنايات وأحيا بعض أراضي زراعية لنفسه نوردها خدمة للحقيقة والتاريخ .

١ ـ في عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٨م أحيا أرض « الرزنة » على عدوة وادي بيش اليُمْنَى .

٢ ـ في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م أحيا أرض اللخبصية في شمال صبيا .

٣ ـ في عام ٣٧ / ١٩١٨ بني قلعة في شرق مدينة ميدي .

٤ ـ في عام ٣٨ / ١٩١٩ أسس مدينة صبيا الجديدة وأطلق عليها اسم الإدريسية .

٥ ـ بنى بيت الحكومة أو بالأحرى داره الخاصة في جازان عند الميدان .

٦ ـ بنى بيت المال بالمضايا ـ الذى كان مستودع المالية .

وفى هذا التاريخ قد أزيل .

الترشيحـــات ومؤهـــلات العمـــال :

ترشيح العمال ـ يكون غالباً من قبل (الإمام) ويختارهم من ذوي السابقة في الاستجابـة لحـركته أو من ذوي الأسر المعروفة المكانة ، وليس هناك مؤهلات خاصة أكثر من الثقة واعتقاد الإخلاص في شخصية المرشح .

السجـــون :

السجن العام في قلعة (صبيا) وكان غاصًا بالمجرمين والقتلة وقطاع الطرق وينفذ فيهم الحكم الشرعي متى تمت الإجراءات وفي بقية الجهات يدخل السجن من يقتضي نظر العامل لأسباب موجبة ـ يأمر بسجنه القاضي أو شيخ البلدة وغالباً ما يكون الإيداع للسجن لأسباب تعديات أو مخالفات تستوجب ذلك وتكون مؤقتة ينتهي السجن بانتهائها .

النـــاحيــة العلميـــة :

إن الأتراك أهملوا شأن المخلاف السليماني ، إهمالاً كلياً ، من أول عهدهم إلى آخـره وبـالـرغم أنهم أنشأوا عدداً من المدارس الابتدائية في عسير والقسم الجنـوبى في تهامـة وفي القسم الجبـلي. إلا أن المخلاف لم يحظ بإنشاء أى مدرسة ومـع أنـه قد أنجب شعـراء مشهورين وعلماء لا تزال آثارهم العلمية مخطوطة ـ إلى هذا التـاريخ ستقـرأ تراجمهم ـ بحول الله تعالى في القسم الأدبي ـ إلا أنه في عهـد الأتـراك قد تلاشى ـ تقـريبـاً ـ كل نشـاط علمي أو أدبي وقـد دفـع الـطمـوح بعض أبنـائـه للسفر إلى صعدة أو غيرها للتحصيل ونجح وإنما العبرة ليس بعـدد لا يتجـاوز أصـابع اليد بل بشيوع المعرفة ، فقام الإدريسي والحالة كمـا شرحنـاهـا من الفـوضى وشيوع الجهـالـة واضطراب الأمن وانعدام الوازع الـديني ، فكـان لمقـامـاتـه المعـروفـة من مواقف الوعظ والإرشاد مدرسة عامة



الإمـــام محمـــد بن علي الإدريسي

أرشدت العامة وحضت الخاصة إلى شعائر الدين والسير في هديه القويم ثم انتدب غير واحد من علماء ذلك العهد للتفرغ للتعليم على طريقة تعليم المتون حسب المنهج القديم . أما فتح مدارس على المنهج الحديث . فلم يكن منه شيء في عهده وقد كان بحكم نشأته وتوسعه في المعارف محباً للعلماء والأدباء والشعراء مشجعاً لهم حدباً عليهم باراً بهم فاجتمع لديه عدد منهم من نفس أهل المخلاف ألسليماني ومن تهامة اليمن ومن القسم الجبلي ومن الشناقطة ، فكان له مجالس خاصة للإفادة والاستفادة والمناقشة والمحاورة بل وحلقات للتعليم .

كما كان يعجب بالشعر الجيد ويثيب عليه ، وقد مدح بغرر القصائد وأشهر شعراء عهده :

١ ـ محمد إبراهيم الحشيبري .
٢ ـ عبد الرحمن المعلمي .
٣ ـ محمد الأمين الشنقيطي .
٤ ـ علي بن محمد السنوسي .

الطـــريقـة الأحمـــديـة
والإمـــام محمـــد الإدريســي

إن الطريقة (الأحمدية) هي الإرث الروحي للأسرة الإدريسية والدعامة التي شاد على بنيانها صرح دعوته في محاولته الأولى - راجع نص خطابه بخط يده في أول هذا التـاريخ [1]- فستراه يستغل تراثها الروحي ويشيد بمناقبها ويضفي عليها من القداسة - ما تقرأه في خطابه آنف الذكر . ومع بلوغ الرجل درجة الاجتهاد في علوم الدين . فإن للوراثة عاملها القوي وهو شخصياً خليفة لوالده في طريقتهم قبل أن يكون ملكاً . ومع كل ذلك في ما عدا ما تقتضيه سياسة العامة متحرراً سني العقيدة .

وقد أراد على ما يظهر قبل اتصاله (بسلطان نجد) الاتصال المباشر أن يمهد لنشـر تلك الطريقة بطريقة رسمية ويجعل من منهجها سلطاناً روحياً يرفد سلطته الزمنية والسياسية ، وفعلا بعد انسحاب الأتراك ووصوله إلى مدينة (اللحية) شكل مشيخات للطريقة على الوجه الآتي :

١ - في مدينة الحُديدة رجل يسمى (القندي) .

٢ - في مدينة اللحية رجل يسمى (جندس) .

٣ - في مدينة (مَيْدى) رجل يسمى (محمد جندس) .

٤ - طلب من أعيان اللحية البحث عن رجل ذي صفات معينة ليبعثه إلى مصوع كداعية للطريقـة فأحضر له شخص يسمى عيسى أمين فقرر له راتباً ورحله إلى مصوع وزوده بالتعليمات وخوله أن يأخذ البيعة من المريدين ويجيزهم ، وكان على اتصال به دائماً .

وعـــدا ذلـــك فكـــان يقـام حفـل سنـوي لذكـرى المؤسس الأول للطريقـة الأستـــاذ الكبير أحمــد بن إدريس ، في صبيا يحضـره الإمـام نفسـه ولا يبقى شخصية معـروفـة في المملكة الإدريسية إلا ويرحل من بلده إلى صبيا لحضور

---

(١) انظر صفحتي ٧٦٥ ، ٧٦٦ .

الحفل ويسمى (الحول) ويقام عادة في حوالي الساعة السادسة ليلاً ويروى أنه تجري فيه المراسيم التقليدية للطريقة من :

١ ـ قراءة سيرة الأستاذ الكبير ومناقبه .

٢ ـ تنشد بعض الأشعار كالبردة والهمزية بصوت منغم .

٣ ـ تمد موائد الطعام وتوزع الحلويات والمرطبات .

وغير ذلك مما كان سائداً في ذلك العهد إلا أنه بعد استيلاء (السعوديين) على (أبها) وعسير ومحائل ووصول الوفد منهم إلى صبيا برياسة عبد الله بن راشد هدم الإدريسي ضريح (جَدِّهِ) وسائر القبب والمزارات وشدد على العامة بترك تلك البدع ـ كما سبقت الإشارة قبله ـ أما الحول السنوي فيذكر أنه بقي يحتفل به بدون المبالغة في التقليد السابق .

أشهر أفراد الأسرة الإدريسية في عهده وهم السادة الأمراء[1] :

الأمير الحسن بن علي الإدريسي أخو الإمام وعلي وعبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الرحيم ومحمد الحسن أبناء الإمام نفسه.

١ ـ الأمير مصطفى بن عبد المتعال ـ وهو من مواليد (مصر)

٢ ـ الأمير محمد العربي بن عبد المتعال ـ وهو من مواليد (مصر) .

٣ ـ الأمير محمد السنوسي بن عبد المتعال ـ وهو من مواليد (مصر) .

٤ ـ الأمير العابد بن محمد السنوسي .

الديـــوان الإدريســي :

في مبتدإ أمره كان يتولى الإجابة على الرسائل التي ترده بيده ثم اتخذ علي بن محمد القناعي كاتباً خاصاً وبعد احتلال اليمن وفد إليه الأديب الشاعر عبد الرحمن المعلمي العتمي ، فاتخذه كاتب الإنشاء في ديوانه .

---

(١) قد توفوا جميعهم رحمهم الله ولم يبق على قيد الحياة إلا الأخير « محمد الحسن » يتمتع برعاية وعطف حكومة جلالة الملك ويقيم في الطائف .

وبعد انسحاب الأتراك أسس ديواناً تولى إدارته (كامل أفندي) أحد كتاب ديوان والي صنعاء ومعه جملة من موظفي الأتراك القديرين منهم عمر حلمي .

أشرنا في أول الفصل الخاص بقيام الإدريسي أنه ألف له مجلس وزراء . ومحكمة عليا وهنا نورد أسماء أشهر رجال ذلك العهد مكتفين بأسماء ورتب أولئك الرجال .

الـــوزراء :

(١) محمد يحيى باصهي .

(٢) يحيى زكري الحكمي .

(٣) حمود بن عبد الله سرداب الحازمي .

٢ ـ *كبار رجال القضاء في مجلس الإدريسى :*

(١) محمد حيدر القبي .

(٢) محمد أمين الشنقيطي .

(٣) علي بن حسن الضمدي .

(٤) علي بن إبراهيم بن عطيف [١].

(٥) محمد عبد الله بن عطيف .

(٦) عبد الله العمودي .

(٧) علي بن محمد السنوسي .

(٨) محمد نوري الماريني .

٣ ـ *رؤساء قادة الجيوش :*

(١) محمد طاهر رضوان .

(٢) مصطفى بن محمد النعمي . . . ثم أنيط به إمارة بلاد رجال ألمع .

(٣) يحيى بن عرار النعمي .

---

(١) تتلمذ على يد الإمام الإدريسي وكانت تناط به مهمة تدقيق الأحكام بالاشتراك مع عبد الرحمن المعلمي العتمي كما روى لنا ذلك حسن بن عبد الرحمن بن ظافر .

(٤) محمد بن عرار النعمي .

(٥) عرار بن ناصر النعمي .

(٦) ابن غميض .

(٧) ابن خرشان .

(٨) حسين الدوشي .

(٩) الكلاس .

(١٠) أحمد علي حكمي .

(١١) علي بن محمد شبيلي الحازمي .

(١٢) منصور بن حمود أبو مسمار .

(١٣) محمد عبد الله بن بكري المرواني .

(١٤) محمد الشوكاني العداوي .

٤ ـ *أشهر عمال الجهات :*

(١) عمر بن محمد البار	عامل وادي مور .
(٢) حسين بن علي امصادم	عامل جبل ملحان .
(٣) محمد عبد الله مبجر	عامل الزهرة وقاضي وادي مور .
(٤) حسن بن عطيف	عامل جبل عبال .
(٥) أحمد الحازمي	عامل بني نشر .
(٦) أحمد بن الحسين بن زيد	عامل الزيدية .
(٧) الدائيلي	عامل ريمة .
(٨) عثمان مرعي	عامل الولجة .
(٩) عرار بن ناصر النعمي	عامل جماعة .
(١٠) محمد بن مرعي	عامل خولان .
(١١) محمد شار سرداب	عامل في جبل برع .

(١٢) محمد عبده مزيد حكمي — عامل حازة صليل .
(١٣) حسين بن يحيى رفاعي — عامل النظير .

٥ ـ رجال في شتى الأعمال :

(١) محمد بن أحمد العامزي — أمين الخزينة الخاصة .
(٢) صالح إبراهيم زيدان — مدير جمرك جازان .
(٣) أحمد زمري — من رؤساء الحرس الخاص .
(٤) إبراهيم بن فتح الدين — من المرافقين الخاصين ورئيس الحسبة

كيف يقضي يومه :

يستيقظ الساعة الرابعة مساء فيغتسل ويتهجد إلى أن يحين الفجر فيصليه جماعة في مسجد داره وينصرف لتلاوة القرآن إلى قرب الشروق فيتناول كوباً صغيراً من عصير الليمون محلى بالسكر وينام إلى الساعة ٩ صباحاً .

يستيقظ ويباشر الاغتسال ويتوضأ ويصلي الضحى ويتناول طعام الفطور ويتألف من :

(١) خبز الحنطة المقمر .
(٢) اللبن .
(٣) ملح وفلفل .

ويقدم له بعد الفطور إبريق من قهوة القشر بالزبيب والسكر .

ثم يدخل إلى مجلسه ويأذن للوزراء والكتاب بالدخول ويباشر النظر في الرسائل الواردة وتصريف الأمور بنفسه ، وبعد أن ينهي المهم يأذن لكبار الزائرين إلى وقت صلاة الظهر فيصلي جماعة ويستأنف الجلسة إلى العصر فيصلي ويأمر بالغداء فتمد الموائد للوزراء وكبار الزوار أما هو فيتناول غداءه بمفرده داخل داره .

ويتألف غالباً من :

١ ـ خمير الذرة المفتوت بالمرق .

٢ ـ الأرز .

٣ ـ الدجاج .

٤ ـ صحن من (الإدام) مطبوخ على الطريقة المغربية يسمى الدمعة .

٥ ـ صحن حلبة .

ويختصر في داره مع أهله إلى الساعة الخامسة مساء تقريباً فيخرج إلى شرفة الدار أو السطوح ويباشر النظر في الأمور . وتارة يخرج للتمشية في موكبه إلى أن يحين المغرب فيصليه ثم يقرأ ورده .

فإذا حان وقت صلاة العشاء صلى جماعة ودخل مجلسه وأذن للوزراء وكبار رجال دولته وبقوا في حضرته إلى وقت من الليل .

الحـــــدود :

بلغت حدود البلاد التي يحكمها الإدريسي في عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م .

١ ـ شمالاً ، الحد الفاصل بين قبائل البِرْك وحَلي ابن يعقوب وهو «أبو مثنه» .

٢ ـ وغرباً البحر الأحمر في خط يمتد من شمال البِرْك إلى ساحل بلاد الزرانيق .

٣ ـ في الناحية الشرقية الشمالية آخر حدود الشُّعْبَيْنِ من بلاد رجال ألمع ، ويمتد منها جنوباً شرقاً إلى بلاد جماعة ويشتمل على بلاد بنى مالك وجبل (مُنَبه) و(رازح) وجبل العر والنظير ويمتد إلى بلاد قيس وجبال حجور ويمتد في الجنوب الشرقي إلى جبل (بُرَع) .

ويبلغ طول حدوده الساحلية نحو سبع مئة كيل ، في عرض يقدر على وجه التقريب مئة وثلاثين كيلا ـ تقريباً .

الدخـــل الحكـــومي :

كان يعتمد على المساعدة الحربية والمالية التي ترده من إيطاليا للمجهود الحربي الذي يقوم به ضد الأتراك وبعد نضوب ذلك العون وافاه العون

البريطاني للغاية نفسها وعند انتهاء الحرب اعتمد على المحصول الجمركي من موانيء جازان وميدي واللحية والحديدة ومن معادن الملح في كل من جازان وجبل الملح بوادي مور ، و(القُمَّـة) في صليل ويقدر حاصلات تلك الجمارك بمئتين وخمسين ألف ريال يضاف عليها حاصلات الممالح وعشورات الحبوب والمواشي ويبلغ مجموع حاصلات الدولة من عمومها ثلاث مئة ألف ريال شهرياً على وجه التقريب .

الجـــيش :

اعتمد الإدريسي على شوكات القبائل ـ وهي أن تستنفر القبائل لداعي القتال بنسبة معروفة من كل قبيلة حسب تعدادها التقريبي وفي أخريات الحرب العظمى استعـان بمـرتـزقـة من يام مرة واحدة وبقبيلتي حاشد وبكيل وهو يرمي من وراء الاستعانة بهم لتخفيف عبء القتال عن قبائل المخلاف وإلى غرض سياسي في التـوسـع مستقبلاً على حساب تلك الصلة ، أما بعد انتهاء الحرب فيقدر الجند الدائمون بألفي جندي .

وكان لديه كتيبة من الجيش النظامي بقيادة سليم بك ، مركزها (الشعبين) .

النـاحية الاجتمـاعية والاقتصـادية :

قام الإدريسي والمخـلاف السليمـاني تسود أرجاءه نزعات العصبيات القبلية ويكـاد أن يكـون لكل قبيلة مجتمع منعزل في حدوده يتساجل القتال مع القبيلة المجاورة ـ راجع الفصل الخاص بحالة المخلاف قبل العهد الإدريسي ـ فأصلح ذات البين وألف القلوب واستل الضغائن ، فساد الأمن وتحسنت الأحوال المعيشية ولانت بعد الخشونة العادات والتقاليد .

وأقيمت الحدود الشرعية ، من قتل القاتل وقطع يد السارق وحد الزاني ورجم المحصن .

وكان الأمن سائداً في كافة أنحاء إمارته ، والتنبيه على أوقات الصلاة جارياً

وكانت المساواة بين الناس سائدة في ذلك المجتمع لا فرق في إنفاذ الحدود والواجبات بين شريف ووضيع .

وكانت جميع القبائل يُفرض على القادرين منها الجهاد فيستجيبون بدون تأخير .

وكان المجتمع يتألف من سكان المدن والبلدان ، وسكان البادية .

وأغلب حرف المجتمع الزراعة ، والأقل منهم أصحاب أنعام ، يرعونها حول قراهم أويقوم أبناؤهم بالرعي ، وينتجعون بها الحزون والجبال ، في أوقات الجفاف .

أما في البلدان والمدن فالزراعة هي أولى الحرف ، وأصحاب الأملاك الكبيرة تؤجر بالنصف ، أما الأكثر فأصحاب ملكيات صغيرة يباشرون حرثها بأنفسهم وكانت الملكيات الصغيرة تكاد أن تكون ٨٠ ٪ فقل أن لاتجد مزرعة لفرد من الأفراد لأن الحبوب عماد مادة القوت كالذرة والدخن والسمسم الذي يعصر ويصبغ به الطعام ، يستأدم به ، وكل ذلك من المحصول الزراعي المحلي ، الذي يغطي حاجة البلاد ، ويصدر الفائض إلى الحجاز وعدن ومصوع .

أما الدقيق ففي البادية لا يتعاطونه إلا في الأعياد أو في ولائم الزواج أو الختان .

وأما الأرز فلا تقبل عليه البادية ، فقط يستعمل بقلة في المدن ، فالأقوات الضرورية من محصول المنطقة نفسها فالاكتفاء الذاتي موجود ، سواء في القوت أو البناء فمواد البناء كانت من الطوب المحرق ، فهو مصنوع محلي ويسقف بجذوع الدوم وإن كان من القش فهو من الحشيش وفروع الأشجار .

والثروة الحيوانية تكفي المنطقة ذبائح وسمناً ويصدر الفائض بحراً إلى الحجاز وعدن ومصوع .

وكان من الصادرات الرئيسية للمنطقة بعد الحبوب والسمن والحيوانات

الأدم جلود الأنعام المذبوحة ، تصدر بكميات وفيرة من جلود الأغنام بكثرة ومن جلود الأبقار بقلة .

وكـان محصـول الفـرد من مزرعتـه يكاد يكفيه طول السنة ويغطي احتياجاته البسيطة فالحليب من بقـرتـه أوغنيماته والذرة من محصوله يقتات منها ويشتري ما يلزمه كقهوته ومثل ذلك [1] أما إذا إحتاج إلى كسوة فيبيع ما يغطي قيمة الكسوة من أنعامه .

كانت المجتمعات في البادية في الفصل الرئيسي للزراعة يقوم الفرد بعمل حرث الأرض وتنظيفها . وأما السدود الرئيسية فتتوزع تكلفة إصلاحها على المزارعين كل بحسب سعة أرضه وجودتها .

أمـا السـدود الفرعية والحواجز فعلى صاحب الأرض إصلاحها ، فإذا جادت السماء بالأمطار وفاضت السيول وسقت الأرض اشتغل الجميع بالحرث والأيدي العـاملة موجـودة من أهـل القـرية من البـادية أنفسهم وقليل يأتـون من الجنوب أو الشمال القريبين من الحدود .

ويقضون النهار بطوله في أعمال الزراعة في الحقول إلا فترات الأكل والراحة والصـلاة فإذا جنهم الليل خرج الفتيان إلى لعبهم ولهـوهم البـريء ، أوتحلقوا حلقات حول (مُطَرِّق) منشد إلى هزيع من الليل .

أما الرجال فيجتمعون في ساحة القرية حلقات يتحدثون في الأحداث الدائرة في مجتمعهم أوما حولهم أو أخبار المجاهدين في الشمال أو الجنوب في الجيش الإدريسي .

وكـانت لا تخلو قرية من مجـاهدين من أبنائها ومدة شوكات المجاهدين في الأغلب ثلاثة أشهر إلا إذا استدعى الأمر البقاء أكثر ، فإذا رجع جماعة إلى القرية

---

(١) كان في قرى وبلدان المنطقة تشترى الحاجات بطريق المقايضة ذرة مثلاً مقابل قهوة أو سكر أو غير ذلك .

احتفلت القرية بهم أياماً ويكون الحديث في مجتمعهم له طرافته وجديته حول ما خاضوه من معركة أو قاسوه من مشاق السفر أو أخبار البلاد والمجتمعات التي كانوا فيها .

أما بعد انتهاء الزراعة فقرى البادية يقوم فيها الشخص دائماً مبكراً فيصلي الصبح في مسجد القرية ، ثم يتناول القهوة وما سهل من طعام يسير ، ثم يأخذ مسحاته ويسير إلى حقله (يَجْرُبُ) أي ينظف أرضه القليلة أو يشتغل مع أحد رفقائه أوجيرانه ، وغالباً ما تكون مساعدة مجانية فإذا حمى النهار عاد إلى بيته يقضي القيلولة ، وبعد العصر إما في ساحة القرية أوحول بئرها وإن كان صاحب أرض في أراضيه .

والليل لا يعدو الليالي السالفة ، والحالة السابقة ، مجتمع بسيط نقي جَاد ، بعيد عن التبذل والفحش حتى في القول .

أما أجمل مواسم الاحتفالات فهو احتفالات (الختان) وقد تحدثنا عنه بتفصيل راجع كتاب «الأدب الشعبي في الجنوب» .

وفي المدن والبلدان فالحال أحسن وأحفل بالحياة فالعاصمة (صبيا) ويليها «أبو عريش» وجازان و «صامطة» و «بيش» وغيرها .

فلنجعل من العاصمة صبيا النمط التقريبي لغيرها ، فالمجتمع هناك مجتمع زراعي تجاري ، في ذلك التاريخ ، وكان أشهر بيتين تجارة وزراعة باصهي ، والزكري .

وأنعش الحركة التجارية كثرة الوفود على الإدريسي وكان من الوفود الزعماء والعلماء والوجهاء وشيوخ القبائل من الجنوب والشمال ومنهم من يرافقه الجماعة ومنهم من يرافقه الشخصان أو الثلاثة ، ولو قلنا : إن متوسط الوفود مائتا شخص على مدى الأيام لكان متوسط الوافدين شهرياً ستة آلاف وبالطبع إنهم ضيوف الإدريسي وإنما كفايتهم ولوازمهم تنعش السوق التجارى وتزيد من سيولته يضاف إلى ذلك ما يشترون كهدايا تذكارية .

ومن الناحية الأدبية فإن وصول مثل تلك الشخصيات ثروة معنوية وأدبية في تلقيح وتناول الأفكار ، فإنهم وإن كانت تجذبهم مغناطيسية الإدريسي وتأثيره الروحي وقوته الأدبية والمعنوية فإنهم باختلاطهم بمن دونه يكون التبادل الفكري بينهم وبين الخاصة الذين بدورهم يؤثرون في العامة .

كان الناس يبكرون إلى السوق أو إلى الحقول وكبار الحاشية إلى دار الإدريسي أو إلى عمل الصباغة ـ التي كان لها حركة رائجة ـ أو إلى محل باصهي أو محل الزكري فكان مكتبهما من المحلات التي تغشى سواء للمشتروات أو للحديث والمجالسة .

أما في العصر فهنا مجالس معروفة يجتمع فيها الخمسة والعشرة أو الأكثر أو الأقل ، وهناك من يخرجون إلى (المعجار) مكان بيع العلف أو يَمكث في داره .

وفي الليل يجتمعون في بيوت بعضهم ، كما أن هناك هواية رياضية يمارسها البعض من الرجال والشباب في الليالي المقمرة للعب «المُسْحُر» الصولجان ، أو لعبة تسمى «الساري»ـ راجع كتابنا «الأدب الشعبي في الجنوب» الجزء الأول فصل العادات والتقاليد الشعبية .

أما الأطفال فميسورو الحال يدخلون أبناءَهُمْ إلى كتاتيب لتحفيظ القرآن وغيرهم إما يساعد أباه أو يرتع ويلعب .

وكان لسفن الغوص والمواصلات البحرية أنشطتها في جازان وفرسان وغيرها فلأصحاب سفن الغوص أو من يمون الغواصين أساليبهم فهو يصرف للغواصين أرزاق وما يسد حاجته في سفرته ، وما يؤمن حالة أهله في غيابه ويسجله عليه بثمن مرتفع ويشتري محصول الغوص بثمن منخفض ولهذا يصبح البحار في رق الدَّيْن ، ولصاحب السفينة غوص اليوم الخامس ـ أي محصول غوص أربعة أيام للغايص ويوم لصاحب السفينة .

أما أصحاب سفن المواصلات فإن للمالك نصف أجرة السفينة والنصف الآخر للبحارة بعد خصم النفقات للسفرة الواحدة .

الشعر في العهد الإدريسي
للعلامة محمد إبراهيم الحشيبري
في مدح الإمام محمد الإدريسي

من منصفي من بديع الحسن مذاق ... جان جنى وجنات بين أحداق
أضنى فؤداي بسهم من لواحظه ... فصيَّر الجسم مضنا ماله راقى
أضحى كليماً لموسى هجره جنفا ... وصار بالبأس داود وإسحاق ؟
وهذه غرة بدرية شرقت ... والشمس قد سرقت عنها لإشراق
علت على غصن بان بان منبته ... فوق الكثيب الصفي الأبيض الناق
للدر نظم بذي ظَلْم ظُلِمْتُ به ... عنق الظليم ظلوم كل عشاق
قد صار ذو الصد صباً في صبابته ... ياليته ذاق من بعض الذي لاقي
من جاء باليمن والإيمان بعد خفا ... هادي العباد مهديهم بإطلاق
محمد فرع إدريس ونجل علي ... به ادِّراس دجا شك بإشراق
أحيا به الدين بعد الموت وانتشرت ... آياته الغر إذ قامت بآفاق
تبارك الله ما أزكاه من بشر ... - لذروة العز والعلياء - سباق
لله يغضب أو يرضا وليس له ... للنفس شيء وفي الأقوال مصداق ؟
وهيبة الملك قد ذلت لهيبته ... ذو جودة ووفا عهد وميثاق
يعفو ويصفح والعافون يكرمهم ... حلو الشمائل من حسن وأخلاق
وهاب أعناق أقوام يجود بها ... وفي حمى الدين فتَّاك بأعناق
وواعظ بكتاب الله منطقه ... وبالحديث بإلطاف وإشفاق
أوجزت للفخر عن إحصا مكارمه ... إذ ليس تحصى بأقلام وأوراق
مستغنياً عن تفاصيل بأيسره ... أنموذج مجمل في بعض أنساق
مولاي إني لوَّاذ بجودكم ... فانفح لقلبي بمرضيات أخلاق
وجد عليه بما يغنيه عن طمع ... وانظر بعين صفاء نحو إملاق

ولـه أيضــــاً :

أبــدر أفــق بدا في الـليل إذ بهَـمَــا — أم المحيا بدا في مرســل فحمــا ؟

وذا هلال ببــدر زاد جوهــره — أم ابـتســامــة ذي ظلم به ابتسمــا

أم بارق قد سرى من نحــو بارقــة — ومــاء عينـي به قد صار منسـجمــا

وقــد تنسمت نشــراً للحمى فحمــا — عيني كراهــا ادِّكــاري للذي صرما

قد شق جسمي وأضناه وطـال جفا — بوصــله وجــوى قلبـي وقــد كلمــا

يسبى العقـول بسحـر المقلتين فما — جازت رمــيتــه إلا وقــد هضــمــا

يرمــي بهــا غرَّةً ظلمــا فيأســرهــا — كأسـر ذي العـدل فتكـاً بالذي ظلما

محمـد القـايم الـداعي بشـرعـة من — كانــت له أمــة قد فاقــت الأمــمـا

من جاء باليمن والإيمــان وانتشـرت — آياتــه لم تفــت عربــاً ولا عجـمــا

هذا الـذي في صلاح الخلق مجتهد — في أمــره ماونــى عنــه ولا سئـمــا

هذا الـذي جاءنـا والأرض قد ملئت — جوراً وقــد صار ليل الـظلم منبهمـا

فعــاد يمــلأهــا عدلا كمــا ملئت — جوراً فحمــداً لمن أولى به النعمــا

هذا الــذي عم جوداً فضله فســرى — كالبحـر حين طمـا والغيث حين هما

هذا الــذي من يزره خالصــاً فكمـا — سعى وطاف ومس الركن واستلما (١)

هذا معــاليه لا تحصى ظواهــرهــا — كيف الخفـايا وذكـرى بعض ما بهما

عليك بالـميم ياذا الـلب فابتـغــه — فإن بالـــميم للشـيطان قد رجـمــا

ياسيدي ياصـفي الــدين خذ بيدي — وأولــنـــي منـك ما أمــلتــه كرمــا

محمــد نجـل إبـراهـيم خادمكم — يرجو . . . .

إنـي عليكـم لمـحســوب فأحسبكم — لا تهملوني فأنتم خير من رحمــا (٢)

---

(١) نورد هذين البيتين كشاهد على الغلو والمبالغة فى نظرة الشاعر المعبرة عما كان سائداً من من الغلو فى شخصية الإدريسي ولا شك أن هذا من الغلو المحرم . ونحن نحكى تاريخ عصر مضى يجب أن نتخذ منه العبرة ، ونحمد الله سبحانه وتعالى على زوال الغلو واتباع منهج الشرع الشريف فى صفاء العقيدة .

وقال العلامة المؤرخ إسماعيل الوشلي
في مدح الإمام محمد الإدريسي

ألا قل لحادي العيس جدت رواحله ... فرفقا بمضنى لم تفده زوامله
كليم بطور القلب أمسى مكلما ... وآنس منه نار وجد تقابله
وقد شاقه نشر النسيم ولطفه ... إلى نفحات للصبا ومناهله
حداه إلى تلك المعاهد والربى ... حمامات بان المنحنى وبلابله
فيا أيها الحادي المجد ترفقا ... بصب له جسم من البين ناحله
يبيت سمير النجم سهران منشداً ... وقد بليت بالزمهرير غلائله
تذكرت عهداً بالحمى ومواقفاً ... فهل عودة هيهات حالت فواصله
فياليت شعرى هل بذنب قرفته ... أم اختار عهداً للقطيعة فاعله
ترى تسعف الأيام بالوصل واللقا ... فإني على قطع المودة آمله
فإن لم أنل وصلا فإني معرج ... إلى بحر علم ليس يعرف ساحله
ولو لم يكن إلا معرج ساعة ... قليلًا فإني نافع لي قلائله
هو السيد البدر المنير محمد ... سليل علي من لإدريس واصله
خضم علوم إن طما متموجاً ... (فلجته العرفان والجود نائله)
له كرم يزري بمعن وحاتم ... ويخجل وبل المزن إن جاد وابله
(فلو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله)
بيمناه قد طالت يد المجد والعلا ... وقامت قناة الدين واشتد كاهله
وذر عمود الحق بعد أفوله ... فها هو في برد من العز رافله
إمام لشرع الله قد جاء ناصراً ... وقد طلعت أحكامه ودلائله
وكان ظلام الجهل أسوِد حالكاً ... ومن غربة الإسلام يبكيه ثاكله
وحكم طاغوت وإبليس والهوى ... ومدت لهم أشراكه وحبائِله
فأهْزَمَها واستأصل البعي والردي ... وجرد سيف العزم من ذا يقابله
فأصبح وجه الشرع أبيض مشرقاً ... معالمه قد وطدت ومعاقله

فطوبى لمن أضحى له الشرع منهجاً يقاتل عنه من بغى ويناضله

وإن تكن الأخرى فتأتيه عاجلا (دويهية تصفر منها أنامله)

هنيئاً لأقوام تولوا لنصره وإنى على بعد المسافة سائله

متى تجمع الأيام بيني وبينه فمدمع عيني فوق خدي سائله

ونروي أحاديث الوصال لجمعنا وتطوى أحاديث النوى ورسائله

* * *

من قصيدة العلامة القاضي عبد العزيز بن محمد الغامدي

في الإمام محمد بن علي الإدريسي

ياحادي الركب بتهجير وتغليس ؟ رفقاً هواك الذي مشاك بالعيس

وراعها وارعها واحْدُ الركاب وسل لمشية بين إرحال وتعريس

من كل عيرانة تسبق محاذيها من هجنة يعتليها كل عتريس ؟

إن ريضوها على ذكر الحبيب لها تكاد تستل من تحت الكرابيس

وشوقوها وقالوا قد رحلت إلى مجدد الدين مولانا ابن إدريس

محمد بن علي من سما شرفاً بنصرة الدين من أبناء تدريس

دانت له الخلق من شام إلى يمن لدعوة شرفت عن كل تدنيس

وقال العلامة الضليع الأستاذ عبد الرحمن العتمي

مهنئاً الإدريسي باحتلال مدينة اللحية

باب الفتوح باسم القاهر انفتحا ... وطائر النصر في دوح العلا صدحا
وكوكب السعد في برج الفلاح بدا ... فلاح نور كنور البدر متضحا
وأصبح الدين مسروراً بغرته ... لما غدا قلبه نشوان منشرحا
قد قلت للأرض تيهي نشوة ولقد ... بفوزك اهتزت السبع العلا مرحا
هذي «اللحية» لِحْيَيْهَا قَبَضْتَ فتق ... بالنصر حتما وخالف من نهى ولحا
إن الفتوح إذاما كان أولها ... تتابعت مثلما قد ينظم السبحا
بشراك فالله قد أعلا يديك على ... أيدى العباد وقد أعطى وقد منحا
فالحق أرفع من أن يعتلي فأدم ... نشر الجهاد فإن الله قد سمحا
واستخلص المخلصين التابعين لأنـ ... ـصار واطرد كذوباً خاف وافتضحا
دع «حاشداً» (١) إنهم خانوا ولو جهدوا ... فإنهم (سمك) في (مائه) نزحا
أما «بكيل» (٢) فلولا أنهم مكروا ... قاموا بعزم ولكن قل من نصحا
وإن ربي عنهم حاز نصرته ... إذ ليس يوجد فيهم غير من طلحا
وكيف يبذل كل الجد رافضة ... لا تحسب الحق إلا كلما قبحا
لكن في جذبهم لا شك مصلحة ... وأخذ أبنائهم حزما قد اتضحا
ياأيها الناس هذا بين أظهركم ... مقدم الكون بدر التم شمس ضحى
يدعو إلى الله إخلاصاً بملته ... بل امتثالاً لأمر الحق إذ نفحا
موهتم الزور في تكذيب دعوته ... تبتْ يدا كل من في شأنه قدحا
لما رأيتم كنوز الأرض قد منحت ... له تأول قوم في الذي فتحا
قلتم أعانته أحزاب الضلال نعم ... نعم أعانوه خوفاً منه إذ سنحا
الله أنزل رعباً في قلوبهم ... إذ شاهدوا أسداً كالبدر قد وضحا

(١ ، ٢) «حاشد» و «بكيل» القبيلتان المعروفتان في اليمن جَنَّدَ الإدريسي مرتزقة منهم في محاربته للأتراك .

فأصبحوا يبذلون المال لا طمعاً ... يدري بذا كل من نحو الهدى جنحا

وكيف يطمعهم بيض الأنوق وهم ... مميزون ولكن جل من منحا

هذا الإمام الذي فاضت أنامله ... جوداً عميماً كموج البحر ما برحا

هذا هو الكف والناس الجميع عصى ... هذا هو القطب والكون البديع رحا

أقامه الله روحاً للعباد كما ... قلوبهم ردها المولى له شبحا

وقد نطقت بحق سوف ينكره ... قوم يقولون هذا المعتدي شطحا

والله يعلم أني لم أقل كذباً ... فقبح الله من في كذبه سبحا

هذا جواب عليهم قبل قولهم ... لا فاز كذابنا قولا ولا برحا

* * *

الفصل الثالث عشر

الإمام علي بن محمد الإدريسي (1)

توفي والده الإمام محمد بن علي يوم ٦ شعبان سنة ١٣٤١ ـ كما مر بك ـ على أثر مرض حاد ألم به خر على أثره صريع المنون .

مولده ونشأته :

ولد في (دنقله) من (السودان) عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٥م وأمه مريم بنت هارون الطويل وظل في (السودان) عند جده لأمه ثمان سنوات وفي عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م بعث والده من وصل به مع أمه إلى صبيا فربي في كنف والده وتعلم بها القراءة والكتابة ومختصرات فى الفقه واللغة ومن شيوخه الذين قرأ عليهم محمد صالح عبد الحق ومحمد الأمين الشنقيطي ، وعلي بن محمد السنوسي ولم يبايع له والده في حياته بولاية العهد ـ وإن كان من المعروف أنه الوريث الشرعي لوالده بصفته الابن الأكبر .

بطبيعة الحال إن موت الإمام الراحل المفاجيء كان صدمة أذهلت رجال دولته خاصة والشعب عامة فانصرف رجال الدولة مبهوري الأنفاس إلى تجهيز أمر دفنه وأخذ ما ينبغي لتهدئة الأمور .

ومع أن الوفاة كانت يوم الثلاثاء الموافق ٦ شعبان فقد أرجيء دفنه إلى يوم الخميس الموافق ٩ من الشهر فوضع في تابوت خشبي وحمل من صبيا الإدريسية إلى صبيا القديمة ودفن فى مقبرة أسرته وأبرق إلى ابن عمه مصطفى الإدريسي المتغيب في مصر للحضور سريعاً .

اجتماع ذوى الرأى :

حضر رجال المخلاف السليماني إلى صبيا وعقد اجتماع عام في طليعته الأميران الحسن الإدريسي وعلي والوزراء :

---

(1) نعته بالإمام مجاراة لما كان سائداً في عرف ذلك التاريخ وإلا من الناحية العملية والعلمية لا يعدو أن يطلق عليه لقب أمير .

١ ـ يحيى زكري .

٢ ـ محمد يحيى باصهي .

٣ ـ محمد حيدر .

٤ ـ حمود سرداب .

٥ ـ كافة رجال الدولة وذوو الرأي .

وبعد المداولة والأخذ والرد اتفقوا على مبايعة الابن الأكبر للإمام الراحل سمو الأمير علي بن محمد .

البيعـــة :

ومن مجلس الاجتماع بايع الحضور واتخذت الإجراءات الآتية :

١ ـ استدعاء من لم يحضر الاجتماع .

٢ ـ الإعلان عن الوفاة ومبايعة الابن الأكبر .

٣ ـ انتداب الوزير محمد يحيى باصهي إلى الجهة الجنوبية لتهدئة الحالة وأخذ البيعة .

وجرت الأمور في مجراها الطبيعي في تلك الأيام التي تلت الوفاة .

وفي يوم ٢٣ شعبان وصل صبيا سمو الأمير مصطفى الإدريسي ـ عائداً من مصر ـ مستصحباً ابنيه (الهادي) و(المهتدي) الذين لم يريا المخلاف قبل هذه المرة .

وبصفته عميد الأسرة الإدريسية فقد اعتلجت في صدره الأماني وإنما رأى من حسن السياسة أن ينيمها فتظاهر بموافقتهم .

بل بايع هو شخصياً ، ثم أخذ في إعمال الرأى لما ارتآه .

البـــادرة الأولـى :

لام القوم على استعجالهم في إعطاء البيعة قبل التروي وانتظار وصوله ولاموه بدورهم على استعجاله في إعطاء بيعته فقال لهم : فلندع ما مضى . ولنكون أبناء الساعة .

اقترح على الأسرة والمجلس أن الإمام صغير السن ولم يتحصل إلا على مبادىء العلوم العـربية ومن المصلحـة أن ينيب عنـه أحد أفراد الأسرة ويرسل إلى مصر ليلتحق بالأزهر .

محـاولـة مهمـا اكتنفهـا من سمو الغاية ونبل القصد ، فهي لا تخلو من غاية فالشخص الذي سوف ينوب عن الإمام الجديد لن يكون إلا (مصطفى) وإن كان غيره فسـوف يطويه تحت جناحه وصادف هذا الرأي هوى في نفوس جماعة من الوزراء ورجال الدولة وبالأخص الذين كان مضغوطاً عليهم في زمن الإمام الراحل وبعض زعماء جنوب تهامة الذين كان مصطفى الإدريسي له السلطة في جهتهم .

أمـا زعماء المخلاف السليماني وقبائله فهم لا يعرفون (مصطفى) إلا بقرابته الإمـام المتـوفي لأنـه من سكـان مصر ووصل في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م إلى المخـلاف مع أخويه زائراً على أثر نجاح الخطوة الأولى لقريبه . ورحلوا جميعاً عائدين إلى مصر ثم عاد في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م واستعان به الإمام في كثير من مهام الأمور وقيادة الجيش .

وهنا تشعبت الأراء .

١ ـ الفريق الأول وهو يشايع (مصطفى) في رأيه متظاهراً بالحرص على مصلحة وصـالح ومستقبل الإمام الجديد ويرى إن تمت نيابة (مصطفى) فستكون حاجته عليهم أكثر ومكانته عليهم أخف وإزاحته أهون ـ لما سبق .

وفي مقدمتهم محمد يحيى باصهي ومحمد حيدر القبي ومحمد طاهر رضوان .

٢ ـ الفريق الثاني وهم أكثرية زعماء المخلاف ورؤساء القبائل وجمهور السكان يرون أن الوارث الشرعي هو الإمام الجديد ولا يعدله لديهم لا مصطفى ولا غيره لأنه الابن الأكبر للمؤسس الأول .

وفي مقـدمتهم يحيى زكـري وعلي بن محمـد الضمـدي وعلي بن إبـراهيم ابن عطيف ومكي بن أحمد القبي ومفرح بن أحمد شيخ شمل المخلاف وعموم زعمـاء عشاير المسارحة ومحمد جبريل شيخ شمل أبي عريش وأبو حليمة شيخ

شمل ضمد وأحمد علي حكمي شيخ الحكامية وشيخ شمل الحسيني وغيرهم .

٣ ـ الفريق الثالث زعماء المنطقة الجنوبية وهم إلى (مصطفى) أميل لأن إمارته وتدبير أمر تلك المنطقة موكول إليه منذ جلاء الأتراك عنها والتحاقها بالإدريسي .

وفي مقدمتهم شيخ شمل قبائل الواعظات هادي هيج وأحمد باشا شيخ «الجامعي» وشيخ مشايخ قبائل عبس وكافة رؤساء المنطقة الجنوبية .

٤ ـ وفريق رابع مع إخلاصه للمؤسس الأول وولائه للإمام الجديد يفضل وصاية عمه (الحسن بن علي) ويراه خير من يحفظ الحق لابن أخيه وفيه من الحنكة ما يفوق ذلك الشاب الذي هو في حاجة إلى استكمال علومه وأن يتولى مصطفى ما كان يضطلع به في حياة الإمام السابق [1].

وبالرغم من هبوب تلك الزوابع الخفيفة فقد استطاع (الإمام الشاب) القبض على زمام الأمور والصمود للموقف وظلت المعارضة يومض شرارها الفينة بعد الفينة .

مضى شهران تقريباً والإمام الجديد لم يغادر عاصمته (صبيا) وغيوم العاصفة تتجمع في أفق السياسة الإدريسية وفي ٨ شوال نهض متوجهاً إلى الجنوب ـ وكان الأمير مصطفى الإدريسي قد انسحب من صبيا إلى (جازان) ومنها إلى (ميدي) ومنها أخذ في ما عزم عليه في حذر .

وفي يوم ١٣ شوال وصل (الإمام) مدينة (ميدي) في موكب حافل وجمع حاشد فخرجت المدينة لاستقباله . وقد سبقه الأمير (مصطفى الإدريسي) إلى العمل في استمالة بعض رجالها وتقدم بعض المتطرفين في جفاء واستهزاء قائلين مرحباً بـ (علي اليتيم) مظهرين استصغاره فكتم غيظه ورجع عائداً .

---

(١) زعماء قبائل صبيا وحمود سرداب ومصطفى النعمي . وعرار بن ناصر النعمي .

العـــودة :

عاد الإمام إلى صبيا وهو أشد ارتياباً من نوايا (مصطفى الإدريسي) الذي لم يكفه ما أثاره في العاصمة من ساعة عودته وما يحوكه من مؤامرة مستورة - إلى قبل هذا الوقت - حتى يسبقه إلى ميدي ويثير الشعور ضده .

إلا أن (مصطفى) اضطر إلى مغادرة (ميدي) عائداً إلى (جازان) لما تفشى فيها من (وباء الجدري) وأبقى ابنيه في جازان وظل يتنقل بين جازان واللحية .

بعودة الإمام من ميدي بقي في عاصمته صبيا وهو على حذر ، يخامره الشك :

١ - في وزراء أبيه الذين أصبحوا وزراءه ويرى أنهم غير مخلصين يحاول بعضهم إقامة عمه كما أسلفنا وصياً عليه والبعض يرجح وصاية (مصطفى الإدريسي) .

٢ - في عمه (الحسن بن علي الإدريسي) ويرى أنه ينفس عليه مركز الإمامة ويرى أنه أحق بها .

٣ - في قريب أبيه (مصطفى) ويرى فيه منافساً متجاهراً في حال أن عمه الحقيقي لم يجاهر بل يعلن رغبته في نصيحة ابن أخيه ويتظاهر بالحرص على مصلحته .

وانطوى عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م والأفق متلبد بالغيوم والآراء مختلفة والغايات متباينة واستهل عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م فكان في استهلاله مدد لتلك الاختلافات بين الخاصة والتحزبات والتجمهرات بين العامة .

وسيرة الإمام الشاب موضع استياء من الأسرة وانتقاد من الوزراء ورجال الدولة واستحسان من رجال القبائل فقط لأنه أجزل لهم الصلات ووزع عليهم الأسلحة ، والخاصة كانت تراه فتاها المدلل ولم يكن والده سبق أن فرضه عليهم فرضاً كولي عهد وأخذ له منهم خاصة ومن الشعب عامة البيعة فيشعرون بأحقيته ويسيرون كخطوة أولى في معرفة وجوب حقه

وأسبقيته ولا يأنفون من تقدمه ومن ثم تبعيته ، ويتدرب عمليا على مباشرة الأمور وتصريف الشئون والإشراف على أحوال الأسرة واصطفاء فريق منهم بالأعطية الجزيلة والحباء الجم وآخرين بدنو المكانة وسمو المنزلة وهكذا ، مما يوجبه عرف وسياسة وقتهم .

والوزراء اعتادوا هيبة مسيرة وشخصية قوية موجهة وإرادة حازمة مرنة وعلماً واسعاً يقفون من كل ذلك موقف التلميذ من أستاذه والضابط من قائده ، فهم صنائع ثورته وتدريب عمليته فألفوا أنفسهم في عشية وضحاها أمام شاب غر ، إن ابتده لم يحسن البديهة وإن أراد التروي أعجله طيش الشباب وغرارة الحداثة وقلة العلم وإن أراد الاستشارة نأت به عزة الملك المشوبة بجنون الصبا ونزعة الترفع ومركب النقص ، فتصرف على دون هدى وسار على غير بصيرة فتحيرت آراؤهم مبدئياً تغمرهم هيبة الماضي وجلال الراحل ثم أدركوا أنهم في غير ما عهدوا ومع غير من عرفوا . وأنه ابن من أبنائهم فأحبَّ كل منهم أن يستأثر به دون الآخرين مع الحيطة لنفسه من (عمه) و(مصطفى الإدريسي) فأخذ يتقرب من (الإمام) الشاب معرضاً له بكفايته مهوناً من شأن غيره مظهراً ما يراه يطمئنه إلى حسن الثقة فيه والاعتماد عليه دون غيره وقد سبقه غيره بنفس الطريقة مع اختلاف وجهات النظر مبيناً له أن الأول هو من حزب (عمه) أو من حزب قريبه مصطفى ومن وراء أولئك بطانة من المقربين السذج الذين يرون في كل من عداهم الشر وإثارة الفتنة ويشيرون عليه في حدود مفاهيمهم البسيطة وعقولهم الساذجة بما يأنس له ويتفق مع ميوله فضاع صوابه المبتسر وتخبط في دياجير شكوكه المفتعلة فأساء الظن بكل رجال دولته وساءت به ظنونهم .

وليعوِّض ما فاته من ولاء أقبل على رجال القبائل بالسخاء والسلاح فكان في ما يتراءى له من التفافهم حوله بعض العزاء لنفسيته المريضة واجتازت الشهور للنصف الأول من عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م بطيئة متثاقلة بما تنوء به من أحداث وما تنطوي عليه من اختلافات ومؤامرات خفية تحبك وتحاك في الظلام . وشعر أكثر رجال دولته بشكوكه منهم وارتيابه فيهم فاتجه

بعضهم إلى مصطفى ، يستحثونه ويخوفونه من مغبة التباطُؤ كما اتصل بعضهم بـ (عمه) موضحين له مبلغ الخطر الذي يهدد سلامة الدولة من جراء تصرفات ابن أخيه الخاطئة .

مـــــؤامـرة :

إن الإمام الجديد في تلك المدة اليسيرة قد قبض على زمام الموقف وهو يتمتع بشعبية قوية ويظفَـر بعـطف زعماء القبائل وتحت تصرفه موارد الدولة فإذا جُوهر بالعداء والمخالفة من أحد زعيمي الأسرة أو كليهما هبّ في ثورة الشباب الجامح وساعدته القبائل التي يتمتع بشعبيتها في القضاء على كل محاولة ولا يجزم أحد منهما بالظفر والتغلب ولو فرض جدلا بالتغلب فلن يكون إلا بعد حرب أهلية مريرة .

إذاً فلنختصر الطريق والغاية معروفة وهي القبض على الإمام ومن ثم التصرف باسمه وهو تحت طائلة الأسر العائلي .

فاتفق أكثر رجال الدولة بوجوب المبادرة بالعمل تحت رأي رجلي الأسرة في إنفاذ إلقـاء القبض عليه في حركـة خاطفة وفي مناسبة سارة تكون تغطية للتنفيذ وهي مناسبة الاحتفال «بالحول» ـ ذكرى وفاة زعيم الطريقة الإدريسية ومؤسسها الأستاذ الكبير (أحمد بن إدريس) وتتلخص في :

١ ـ أثنـاء الاحتفـال يتقـدم شخص قوي فيحتضن (الإمام) بقوة ويكون آخر مستعـداً بسلسلة وقفل فتوثق يديه ويكون ثالث في نفس اللحظة الأولى مستعداً لاختطاف السيف من يده بسرعة .

٢ ـ يتقـدم رجلا الأسرة وأفرادها من مجالسهم القريبة منه في الحفل ومعهم حرسهم الشـاكي السـلاح لأخـذه ومن ثم ينصـرف الوزراء ورجال الدولة لتهدئة المـوقف الـذي يعتقـد تسويته بيسر مادام هناك اتفاق عام بين (الأسرة) والوزراء ورجال الدولة .

٣ ـ يحجز الإمام في القصر تحت الحراسة ويتاح له الوقت ويُهيَّأ الجو لاستكمال علومه ومواصلة تعليمه .

٤ ـ يتولى الوصاية باسمه عمه الحسن بن علي .

٥ ـ يكون مصطفى نائباً ـ كالسابق ـ على المنطقة الجنوبية .

وهي كما يلاحظ خطة يتحري من ورائها ـ ظاهرياً ـ مصلحة الإمام والمصلحة العامة لو تمت وتحري في تطبيقها حسن القصد ونبل الغاية والصالح العام قبل كل شيء .

الإخفـــــاق :

إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل ، فقد علم (الإمام) بالأمر قبل خروجه إلى مكان الاحتفال فاستعد للموقف بزيادة حرس يعتمد عليهم وأخذ للأمر أهبته ودخل إلى محل الحفل في غاية الحذر والاستعداد وقبل ساعة (الصفر) التي تقرر فيها التنفيذ غادر محل الاحتفال وقد أحضرت له سيارته فركبها قاصداً (جازان) .

وفي (جازان) استدعى سليم بك وكتيبته النظامية وأمره أن يعسكر في (الحفائر) وحصن المدينة وأناب عليها من يثق بإخلاصه وسار إلى (المضايا) وهناك استدعى شيخ شمل الحكامية أحمد علي حكمي وشيخ شمل المسارحة وأمرهم بجمع الرجال من قبائلهما وسوقهم إلى مركز تجمعاته (الواصلي) كما استدعى قبائل أبي عريش وغيرهم للتجمع .

كانت الذخائر والمؤن في مستودعات (جازان) فكان الترحيل منها على قدم وساق صوب مركز التجمع وسلح كل من وصله وأمرهم بالاستعداد لمهاجمة (صبيا) .

الحـــالة في صبيــــا :

شعر المتامرون بخروج (الإمام) من الحفل في خفة وحذر بدون أن ينتظر انتهاء المراسيم المعتادة ، فأسقط في أيديهم وكانت حركة بارعة أحبطت كل آمالهم وأتت على خطتهم من أساسها ، فلم يكن في وسعهم أكثر من إظهار عدم المبالاة بخروجه ، أوكأن لا علم لهم بما استدعى قيامه

المباغت . فناب (عمه في شهود وحضور الحفل وتفرق القوم في دوامة من الخيبة المريرة والإخفاق الذريع وتيقنوا أن الإمام قاصد (جازان) وبها مستودعات المؤن والذخيرة وسوف يستصرخ قبائل (المسارحة) أكبر قبائل المخلاف عدداً وأقواهم شوكة وأشدهم ميولاً نحوه ويليهم «بنو شبيل» ويهاجم بهم (صبيا).

نهـــاية المــــؤامـرة :

كان كل ما توقعـه القوم ، فالإمام بعد أن حصن (جازان) وأناب خاله محمد هارون عليها وجعل الكتيبة النظامية في الحفائر يساندها جيش من القبائل وخرج ـ كمـا أسلفنا إلى (المضايا) واستدعى رؤساء القبائل ـ توجه وعسكر في الواصلي وهنـاك أقبلت إليه جمـوع المسارحة وجميع من استدعاهم ومن هناك عزم على مهاجمة (صبيا).

إن المبادرة الحازمة أسرع لحسم الداء والوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية من التريث البطيء مهما اكتنفه التروي ، والأمور لا تمشي مع منطق التُّؤَدَةِ والتراخي والتـردد فقـد تكون ضربة سريعة قوية وتصرف حازم من مجنون في الرأي يودي بخـطط أكبـر السـاسـة المحترفين وتُؤدة السياسة بقدر ما يكون نفعها محققاً في الأحوال الدبلوماسية ذات الروتين إلا أنها عديمة الجدوى في المحيط المضطرب المهدد بنذر العاصفة الهوجاء والزلزال الانقلابي المخيف .

كان لخروج (الإمام) المفاجيء ـ قبل ساعة الصفر ـ أقوى عامل ، بل العامل الرئيسي في فشل المؤامرة في ليلة الاحتفال ، فعلاوة على نجاته من الوقوع في الشرك المنصوب لاقتناصه فقد ترتب كنتيجة حتمية لنجاحه تفكك أجزاء جهازها العامل .

نجح في الخروج في الوقت المناسب وكشف أوراق اللعبة المستورة ومن وراء ذلـك استدر عواطف العامة وكسب شعور زعماء القبائل بصفته معتدى عليه يراد تنحيته حسداً واستئثاراً والجمهور بطبيعته قليل التعمق ينصاع لما يطفو على السطح وهو إلى نداء العاطفة أسرع منه إلى نداء صوت العقل .

تـداعى صفـوف المـؤامرة الأولـى :

بدأ الفشل يدب في صفوف المتآمرين وكل ينحي باللائمة على الآخر ـ فمن قائل : إنه قد نصح بأن الخطة غير عملية وآخر يقول لماذا لم يقبض عليه ساعة خروجه وثالث يقول أمر خروجه لم يكن في حساب الخطة ـ وهكذا يقال إن كل واحد منهم أخذ في إلقاء التبعة على الآخر .

حتى أن بعضهم وصل إلى معسكر (الإمام) بـ (الواصلي) متنصلاً ومعتذراً . ممن وصـل إلى معسكـر الـواصلي محمد حيدر القبي وعلي بن عطيف النعمي ويحيى زكري وصل قبلهما . ووقف الأكثر من رجال الدولة فى صف عمه (الحسن) وبطبيعة الحال إن حشده في معسكر (الواصلي) أحدث رد فعل في الجانب الآخر فأخذت الحمية قبائل المنطقة الشمالية وقد جلب عليهم بقبائل المنطقة الجنوبية فأخذوا في الاستعداد والوقوف في جانب (عمه) الذي أصبح هو الهدف الحقيقي لمهاجمة الإمام ، إلا أن جميع المؤن والذخائر في (جازان) تحت حوزة (الإمام) وليس عند الطرف الآخر ، ومن هنا رؤي عدم تكافؤ الكفتين أضف إلى ذلك أنه باستجابة قبائل القسم الجنوبي من المخلاف جعل الطرف الآخر في عزلة وانفصال تام عن أكثر من نصف المملكة الذى هو من ميدي وجنوباً إلى (باجل) وهم الذين يعـول (الأمير مصطفى) على نصرهم وولائهم لشخصه ـ فأصبحت تحت حكم (الإمام) المباشر وليس لخصومه إلا من صبيا وشمالا وهو مشكوك في مدى إخلاصه لهم ـ ما عدا صبيا وضمد وبعض المخلاف الشامي بل وفي هؤلاء من يميل آنذاك إلى صف (الإمام).

الـواســـطة :

رأى الـطرف الثاني أن في الصلح خير فتقدم أناس لهم التقدير من الجانبين وركب الأميران (الحسن ومصطفى) فى جموع أهل صبيا والمخلاف و(ضمد) وفي الـواصلي اتفقا بـ (الإمام) وعقد اجتماع حافل شهده أمراء الأسرة ووزراء الدولة ورجال (المخلاف السليماني) وبعد مداولات تم الاتفاق والوئام :

١ ـ تجديد الاعتراف والمعاهدة من عمه ومصطفى .

٢ ـ العفو عن الماضي .

٣ ـ أن ينيب مصطفى على المنطقة الجنوبية ويصدر أمره كتابياً بذلك .

وفعلاً استلم (مصطفى) أمر النيابة على (المنطقة الجنوبية) وسار لمباشرة عمله ورجع الأمير (الحسن) إلى (صبيا) وصرف (الإمام) الحشود المجتمعة وعاد إلى (جازان) واتخذها مقراً لإقامته .

بعـد الصـلح :

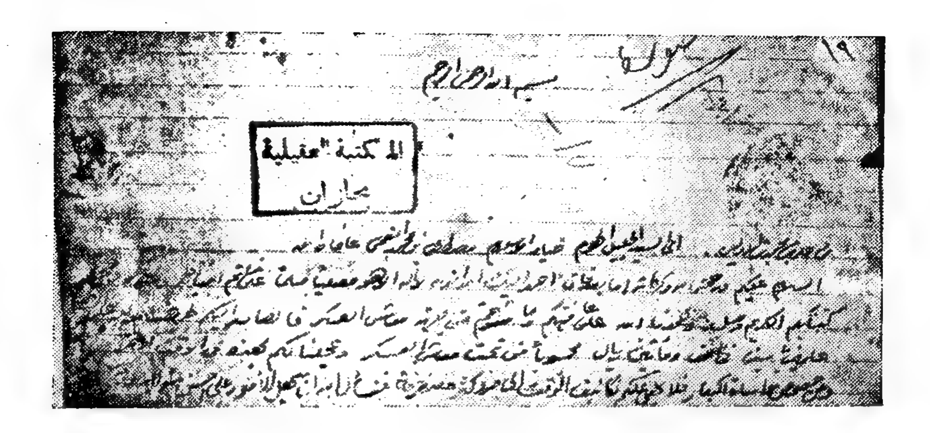
رأى مصطفى ومن يشايعه أن في ذلك الصلح فوزاً سياسياً مبدئيا كفيل الوقت بتحقيق الباقي وأنه متى تمكن (مصطفى) من الاستقرار في المنطقة الجنوبية أخذ في الاستعداد ثم أعلن الاستقلال وزحف على المنطقة الشمالية ، وكثير من رجال الدولة على اتفاق معه ، لأنهم مالئوا (الحسن) ومصطفى وهم بعد ذلك الصلح ـ الذي اقتضته الظروف لا الإخلاص ـ خائفون مما ينتظرون وبالنسبة مما قد سبق أخذوا فكرة من التجربة الأولى وهي أن تنحية (الإمام) أو الحجر عليه ليس بالأمر اليسير وقد أثبت لهم الواقع :

١ ـ أن الإمام يتمتع بشعبية قوية تتمثل في ولاء قبائل المخلاف السليماني بنسبة كبيرة جداً واعتقادها في أحقيته في إرث الإمامة من والده وغير ذلك مما كان له رواج التأثير في ذلك الوقت .

٢ ـ إن تحت يده من الذخائر والمؤن ما ليس لدى الاثنين .

٣ ـ إن له من عزيمة الشباب وجرأة المبادرة ما عرفوه .

وعلى أساس ذلك كانت تصرفاتهم في غاية الحيطة والحذر وفي خشية وخوف من الإمـام من مؤاخـذتهم على المـاضي القـريب والإمام نفسه غير مطمئن من ناحيتهم ولا واثق من إخلاصهم .



بســـم الله الرحـــمن الرحـــيم

من علي بن محمد بن إدريس إلى السيد الجليل الهمام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . .

أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً ومسلماً على خاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه . كتابكم الكريم وصل وحمدنا الله على عافيتكم وما شرحتم من جهة معاش العسكر فالصادر إليكم طي هذا حوالة على الشيخ علي بن ياسين في ألف ومائتين ريال محسوباً من تحت معاش العسكر وعجلنا لكم بهذه في الوقت الحـاضر وعن خصوص مواساة الكبار فلا يخفى عليكم تكاليف الوقت الحاضر وكثرة منصرفه فنسأل الله أن يجعل الأمور على أحسن منوال [١] . ودمتم سالمين .

---

(١) كلمة غير مفهومة .

بســم اللهالرحــمن الرحــيم

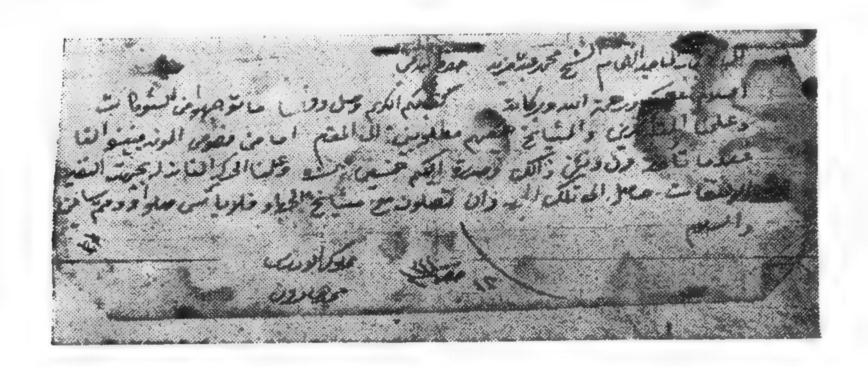
من علي بن محمد إدريس إلى السيد الهمام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أما بعد . . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً ومسلماً على خاتم أنبيائه وآله وصحبه . كتابكم الكريم وصل وأحسنتم بما شرحتم والحمد لله على وصولكم بالسلامة وأحسنتم بجعل الذمة بين ربيعة وآل وائلة ، وأما الشيخ حسن ابن إبراهيم فأحسنتم بأخذ العهد عليه وصدر إليكم ورقة الأمان له وذكرتم أن نزوله بدون مشيخة يوجب تكليف فلا بأس شيخوه وينزل هو والأعيان وأما الشيخ ناصر ابن إبراهيم حيث كان شيخاً على بني ظالم فى زمن سيدي الوالد قدس الله سره فقد ينزل إلينا ويكون قطع جوابه من عندنا وكذلك الشيخ قاسم بن يحيى حيث قد عاهدنا فيتوجه إلينا ونحمد الله على سكون الأحوال وأما مسألة الزكاة الذي يذكر العبدلي أنه سلمها بيد الشريف حمود فقد أخبرنا الشريف حمود بأن سلم له الذي أخذه من القبائل وبقي شيء لم يأخذ فقدكم تستحصلون بموجب البيان الذي بيده وارفعـوا لنا بيان ذلك وصدر إليكم . .[1] مع النجاب وصدر إليكم ورقة الحوالة لعلي ابن ياسين ودمتم سالمين . في جماد الثانية سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م .

---

(١) كلمة غير مفهومة .



. . . . . الماجد الهمام الشيخ محمد عبده مزيد حفظه الله . آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتابكم الكريم وصل وفهمنا ما توجهوا من الشوكات وعلمنا المتأخرين والمشايخ جميعهم مطلوبين الى المقام أما من خصوص المؤن فبينوا لنا عندما تأخذون . . . ذلك وصدرت اليكم خمسين ريال وعلمنا الحركة النازلة بجهة النضير . الالتفات حصل إلى تلك الجهة وإن تصلون مع مشايخ الجهاد فلا بأس صلوا ودمتم سالمين والسلام .

١٢ صفر ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م . مملوك الإدريسي

محمد هارون

الأمير مصطفى في المنطقة الجنــوبية :

في مستهـل عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م سار إلى (المنطقة الجنوبية) يحمل أمر نيابته عليها ، وأخذ من الساعة الأولى ، يصرح أن المنطقة منحت له من (الإمام) ويعمل عمل المستقل ويمهد للوثوب في حيطة وحذر .

وتـواترت الأخبار لدى (الإمام) بكل ما يقوم به فرغب بأن يبدد تلك الإشاعة ويقضي على تلك المزاعم بحركة عملية سياسية فتقدم بنفسه للمنطقة الجنوبية وقصـد مدينة (اللحية) المركز الإداري (لمصطفى) ـ ليظهر للناس بأن ما يذيعه مصطفى عن منحه الاستقلال لتلك المنطقة لا صحة له .

الرحـــــلة :

سار من (جازان) إلى (ميدي) ومنها إلى اللحية فاستقبله (مصطفى) ـ كتابع في حفـاوة وإجلال وأظهر من ضروب الولاء وبر الطاعة ومجاملة الانقياد وتلبية إنفاذ أوامره ما بدد شكوكه . بعد ذلك تفاهم معه بأن كثيراً من زعماء المنطقة لا يزال عالقا بأذهانهم بأن الإمام غير مطمئن من ناحيته في حال أنه قد مضى وانتهى كل سوء تفاهم وأن ليس لديه إلا الإخلاص ولإزالة ما علق بأذهان تلك الفئة وتمشياً مع ما تقتضيه مصلحة الأسرة خاصة ومصلحة الدولة عامة بأن يمنحه صلاحية حسن التصرف ليعلن ذلك للعموم وأن يتفضل بتصريح في مجلس عام يحضره زعماء المنطقة بما يفهم منه ثقته واعتماده عليه .

ويقال : إن الأمر كان مدبراً بين مصطفى ومستشاري ووزراء (الإمام) فصوبوا رأيه فحرر أمراً بذلك وقُرِئَ على كل زعماء المنطقة .

وعلى أثر ذلك تقريباً زال الكثير مما قد طرق مسامعه ووجد من حسن الاستقبال وبر الانقياد وهدوء الحالة ما جعله أقرب إلى الأطمئنان فأمر ببعض إجراءات ثانوية كتبديل بعض عمال في نواحي المنطقة وعاد إلى (جازان) .

الجــــديـد في المـــوقف :

وبعودة (الإمام) تنفس مصطفى الصعداء وأخذ في العمل الجاد . واتصلت الأخبار (بالإمام) فبقى بين الشك واليقين وأخذت الشكوك تتدافعه من جهات شتى .

١ ـ فهو على غير وفاق حقيقي مع عمه الحسن في (صبيا) والتي هجرها أو تركها وفيها أسرته وعلى رأسها عمه واتخذ من مدينة (جازان) مقراً دائماً له .

٢ ـ غير مطمئن من إخلاص الوزراء القدامى ورجال الدولة فهو على ريبة منهم وهم على خوف منه .

٣ ـ المنـطقة الجنوبية قد تواترت لديه الأخبار بميلها إلى مصطفى واستجابة زعمائها لثورته .

٤ ـ أصبحت تصرفاته تفسر سرًّا من الوزراء بالطيش وعدم التروي لأسباب عدم استشارتهم أو الاعتماد على آرائهم لما ساوره من الشك وعدم الثقة في إخلاصهم .

٥ ـ أصبح اعتماده في حل أمور الدولة على خاله محمد هارون وهو رجل لم يكن له أي صفة في عهد والده إلا أنه فرد من الحاشية الخاصة وقد رأى أن يسلك طريقـة التروي والحكمة في موقف مصطفى فبعث خاله محمد هارون إلى المنطقة الجنوبية يحمل رسالة إلى مصطفى بشأن حاصلات جمرك الحديدة وما يجب صرفه لقائد حاميات الحدود محمد طاهر رضوان وبعث الباقي لجازان .

أما المهمة الحقيقة فهي تحري الأحوال ومعرفة نوايا الأمير مصطفى وما جد من الإشاعة عن تحفزه للثورة .

وصل محمد هارون إلى الحديدة وصادف وجود الأمير مصطفى بها وتفاهم معه في ظاهـر المهمة وقد شاهد من نشاطه السياسي واهتمامه في الاستعداد ما أكد الشك في موقفه فعاد وبلغ الإمام .

الاستعـــداد والبحث عن معين :

فكر الأمير مصطفى في الوثبة وما ينبغي لها من عدة وعتاد وقد أخذ درساً من المحاولة الأولى ، والعتاد والمؤن في مستودع (الإمام) في جازان ـ إذاً لابد من الحصول على العتاد والمال وانكلترا تعتبر جنوب المنطقة مجال نفوذها وهي تراقب كل حركة وتدس أنفها في كل نشاط ، وبقدر ما تؤمله من كسب مادي وسياسي يكون الترجيح في كفة ميزانها للطرف السخي ولا تسمح لطرف آخر من الدول بأي تدخل في الجنوب فهو منطقة نفوذها ـ آنذاك فليتقدم وهناك (معدن ملح الصليف) وقد استغلته شركة ألمانية في أواخر العهد العثماني . وضرب الإنكليز منشآتها . فليجعله موضع المساومة وعربون الصداقة والمفاهمة .

كان على معدن الصليف حرس من مرتزقة الصومال ـ من عهد الإمام السابق وكخطوة أولى فصلهم وجعل له حراساً ممن يثق بهم ويخلصون له .

واتصل بالمعتمد أو بالأصح حاكم كمران ، وأسفرت اتصالاته عن التفاهم مع شركة انكليزية على منحها امتياز استغلال منجم (ملح الصليف) مقابل إمداده ببعض العتاد والمال وطلبت الشركة وثيقة تفويض في أمر عقد الاتفاقية فبعث لها صورة من أمر نيابته على المنطقة الجنوبية .

إجــــراءات تبطل الاتفـــاقية :

علم (الإمـام) بما يدار ـ في الخفاء ـ بشأن الاتفاقية المزمع عقدها بين نائبه والحكومة أو الشركة الإنجليزية عن طريق حاكم جزيرة (كمران) فبعث رسولاً خاصاً يحمل خطاب احتجاج للحكومة البريطانية وبرقية خاصة للملك (جورج الخامس) .

ويتضـمن الاحتجـاج إنـذاراً بأن أي اتفـاقية تعقـد بشـأن (الصليف) أوغيره من المـنــاطـق (الإدريسية) مع أي شخص سواه يعتبـر تصـرفـاً غير مشـروع لا يتقيد به ولا يعـد نفسه مسؤولا عنه . أما البرقية الخاصة . فتتضمن

الإشارة إلى الصداقة السابقة بين والده والحكومة البريطانية قبلا والتصرف الواقع الذي يخالف ما توجبه الصداقة .

وقد رأت الدبلوماسية البريطانية بحكم قوة حاستها السياسية التي دائماً ترجح بها أقوى الخصمين أن كفة (الإمام) أرجح . فأجابته مطمئنة بأنه لم يتم شيء مثل هذا ومن الناحية الأخرى أخذت في تجميد الاتفاقية انتظاراً لما يسفر عنه الموقف .

إن الأمير مصطفى قد أسفر عن صفحته وكان واثقاً من الحصول على تلك الصفقة التي هي الغذاء الرئيسي لثورته ، والتأخر معناه الفشل والقضاء على آماله العراض وأمانيه الفساح وقد يكون على حياته واتصل بمؤيديه في الخفاء من رجال الدولة الذين أصبح موقفهم مع (الإمام) غير محمود النتيجة ولا مأمون العاقبة . وهم على رغبتهم الأكيدة في استبدال (الإمام) بغيره ـ من الأسرة طبعاً ـ قد مرت بهم من التجربة الأولى دروس قاسية فأشاروا عليه بسرعة القيام وأنهم سيحتفظون بموقفهم الظاهري في جانب الإمام ويكون بذلك موقفهم أنفع وأجدى على ثورته حتى إذا نجحت في القسم الجنوبي كانوا طلائع التمهيد لها في القسم الشمالي .

الثـــــورة :

أخذ مصطفى في الاستعداد والترتيب فاستوثق من زعماء قبائل الجنوب وعماله وقائد الحدود محمد طاهر رضوان ومحمد إبراهيم مبجر عامل وقاضي وادي مور ، وهادي هيج زعيم قبائل (الواعظات) المشهور بقوة النفوذ والدهاء كما استمال قائدي مرتزقة أهل المخا عبد الله وعلي عثمان المخاويين ، فانفصلا بجندهما من ميدي وانضما إليه ومن ثم أخرج منشوراً يندد بالإمام ويصمه بالجهل وعدم الكفاءة وقلة الدراية وسوء التدبير وأنه إزاء ما بلغته سوء الحالة وضياع الأمور اضطر إلى القيام حفظاً لكيان الدولة وشرف الأسرة وعلى أثر ذلك .

١ ـ استدعى مرتزقة من الزرانيق .

٢ ـ أمر مرتزقة (المخا) بأن تعسكر في مدينة (الزهرة) .

٣ ـ سير قوته الرئيسية بقيادة ابنه (المهتدي) لتعسكر في جبل (الملح) ليكون منه مركز الانطلاق للزحف على المنطقة (الشمالية) وتكون طلائعها في مركز أبي حلق وأخذ في العمل على استمالة قبائل المنطقة الشمالية .

الإمــام والثــورة :

وصلت منشـورات (مصـطفى) مؤذنة بثورته وتلتها توارد الأخبار مجسمة خطر الزحف وخطورة الانتقاض ، فهزت الإمام هزًّا إلا أنه جابه الموقف بما ينبغي من الإجـراءات السـريعـة الحـازمـة فاستـدعى قبـائل المخلاف السليماني فأقبلت شوكاتهم ـ متجندتهم ـ تترى . ففتح مستودعات الأسلحة والمؤن وبذل المال حتى إذا استكمل الحشد قسمهم إلى جيشين :

١ ـ عقد لواءه لـ (مكي بن أحمد القبي) وأمر بأن يكون خط سيره الطريق الساحلي .

٢ ـ عقد لواءه لـ (قاسم بن إبراهيم عكفي) وأمر بأن خط سيره الطريق الوسطي (حرض) .

٣ ـ عقد لواء القيادة العامة ـ على الجيشين لخاله عبد المطلب بن هارون .

تقدم الجيش الأول إلى (أبي حلق) المعسكرة به طلائع جيش مصطفى فهزمها ووالى سيره وفي أول حدود مور التقى بالجيش الثاني وقصد القوة الرئيسية في جبل (الملح) التي قاومت أياماً ثم فر أغلبها فبقى المهتدي مع من بقي فتحصن بقلعة الجبل .

أمـا الأمير مصـطفى فعلى أثـر انهـزام طلائعـه في أبي حلق غادر (اللحية) إلى مدينـة (الـزيدية) إلا أن تغلب جيش الإمـام على قوتـه الـرئيسية في (جبل الملح) وإرغـامه لمن بقي منها على التحصن بقلعة الجبل فتّ في عضده وضعضع معنـويتـه وأكثـر ما أشغـل فكـره حصار ابنه في قلعة جبل (الملح) فحصر فكره في أمـر خروج ابنـه من نطاق الحصـار ، واتصـل سراً بهـادي هيج زعيم قبائل

الواعظات ـ الذي قد انضم بدوره إلى (الإمام علي) في عمل الحيلة وتدبير وسيلة لخروجه من نطاق الحصار ـ والزعيم (الهيج) من الدهاء وحصافة التدبير بحيث يدبر للمحصور سبيل الخروج ليلاً ـ وكان (الهيج) قد انضم بقبائله مع جيش الإمام علي واشترك في عملية الحصار بعد ماعرف أن حركة (مصطفى) لا تستطيع الصمود .

لحق المهتدي بأبيه في الزيدية فاستولى جيش الإمام علي على جبل الملح فاحتل مدينة (الزهرة).

ظل الأمير مصطفى الإدريسي ، يدبر أمره ويجيل أوجه الرأي في مدينة (الزيدية) وهو خائر القوى منهار النفس ولم يتأتى له جمع جيش آخر يتصدى به لوقف جيش الإمام سوى شراذم همها الحصول على ما بقي معه من صُبابة مال قد ضاع جله في تلك الحركة الفاشلة وتقدمت طلائع جيش الإمام علي فغادر (الزيدية) إلى مدينة الحديدة فاحتلها الجيش وأقبلت قبائل (صليل) معتذرة متبرئة من (مصطفى) فتقدم الجيش مطمئناً إلى مدينة (الحديدة) ففر (مصطفى) إلى (منظر) يصحبه بعض (مناصب)[1] «المراوعة»، فتعقبه الجيش فالتجأ إلى شيخ مشايخ الزرانيق (أحمد فتينى) الذي جرده من كل ما بقي معه ثم سمح له بالطلوع بحراً إلى جزيرة (كمران). على أثر دخول الجيش مدينة الحديدة توجه الإمام إليها وكان ينوي أن يهاجم بلاد (الزرانيق) للقبض على الأمير مصطفى إلا أن مسارعة مصطفى بالتوجه إلى (كمران) هون عزمه فأجرى الترتيبات الآتية وعاد إلى جازان :

١ ـ خاله عبد المطلب نائباً على المنطقة الجنوبية ويكون مقره مدينة الحديدة .

٢ ـ صهره (عمر بن محمد البار) عاملاً على وادي مور بدلا عن العامل الأول (محمد إبراهيم مبجر) الذي مالأ (مصطفى) في الثورة .

٣ ـ أحمد مجلي العريشي في بلاد بني نشر .

٤ ـ قاسم إبراهيم عكفي في الزيدية .

(١) انظر كتابنا التصوف في تهامة ص ٩٥ حول المناصب

٥ ـ محمد عبده مزيد حكمي في باجل .

٦ ـ محمد عبده أمصم في بلاد عبس .

٧ ـ عبده جراد في مدينة (ميدي) .

وقبل مغادرته للحديدة أمر باعتقال جميع الوزراء ورجال الدولة والذين وصلوا إلى (الحديدة) ومعهم (محمد طاهر رضوان) قائد الحدود الجنوبية تحت الحفظ والحراسة وبعد عودته إلى جازان أمر على (الأمير محمد العابد) الإدريسي بالتوجه إلى الحديدة وأرفقه بأمر إلى خاله ونائبه ليشترك معه في إبعادهم إلى (عدن) وهم :

١ ـ حمود بن عبد الله الحازمي ٢ ـ محمد يحيى باصهي .

٣ ـ يحيى زكري حكمي ٤ ـ محمد حيدر القبي .

٥ ـ محمد أمين الشنقيطي ٦ ـ علي بن إبراهيم بن عطيف النعمي .

٧ ـ علي بن محمد الحازمي .

٨ ـ محمد عبد الله بن إبراهيم بن عطيف النعمي .

٩ ـ عبد الرحمن العتمي . ١٠ ـ محمد المغربي .

١١ ـ محمد طاهر رضوان . ١٢ ـ علي بن محمد شبيلي الحازمي .

١٣ ـ محمد نور الماrديني قاضي مركز الحديدة .

وغيرهم من ذوي الأقدار والسابقة في دولتهم من ذوي الدربة السياسية والخبرة الحربية والإدارية الذين مارسوا الأمور وتمرسوا بالحروب وخبروا الأحوال منذ أول حركة والده .

كما نفى غيرهم إلى جزيرة (فرسان) فأقفرت البلاد من الكفاءات وأملقت من الخبرة والتجارب وراح يستعين بعناصر تعوزها الخبرة وينقصها الحزم والدربة العملية وبعضهم من حداثة السن وغرارات الصبا في مثل حاله فالتبست عليه الأمور وفقدت الدولة كل مقومات عناصر الحزم والسياسة والقوة في أجهزتها السياسية والحربية والإدارية ويقال : إنه أصيب بصدمة

نفسية واضطراب عقلي من ليلة محاولة القبض عليه ـ في ليلة الحفل السنوي المار ذكره ـ ولم يزل يتزايد أثره قليلاً ومع ثورة مصطفى وما لمسه علاوة على تَمَالُئهم مع عمه ومصطفى في المحاولة الأولى زاد به سوء الظن نحوهم فظل مضطرب الفكر متفزز الأعصاب ؛ مما جعله لا يثق بأحد من رجال دولته الأولين . فحصر كل شيء من الأمور في شخصه يساعده خاله محمد هارون ، وعبده جراد وعمر صالح هاشم ـ وزراء . ويحيى بن خميس صوري مستشاراً ومندوباً خاصاً في المهمات وعلى بن محمد السنوسي قاضياً شرعياً لجازان وإبراهيم جراد حاجباً . وقد هم بأن ينفى مع المنفيين (زعيم الواعظات هادي هيج) وعامله في رجال ألمع (مصطفى ابن محمد النعمي) فجاء عزمه متأخراً عن سابقه . فاحتاط الرجلان . فـ (الهيج) أخذ في المماطلة حينما استدعاه واستعد للمقاومة فيما لو بوغت وراح يعمل للتخلص من حكمه كما ستقرأه . والثاني اعتذر عن القدوم إليه بلباقة وأخذ يعمل في سبيل تحاشيه من الوقوع في شرك النفى بشتى الوسائل فأصبح أمر رجال ألمع معلق المصير بكفة القدر في حد وسط بين الطاعة والعصيان وليس عند الإمام المنهار القُوَى ، ما يرغم به العامل وأخيراً التجأ العامل إلى إمارة أبها السعودية .

أضف إلى ذلك أن عمه (الحسن) غير راضٍ عن تصرفاته الطائشة وتؤيده منطقة صبيا وغيرها من القسم الشمالي الذين أظهرت لهم الأيام وبرهنت لهم الأحداث مافي سياسة ذلك الإمام من الخرق والطيش . فأصبح الذين يؤيدونه سابقاً ضده بعد ذلك . وكان نفى تلك الشخصيات من رجال الدولة السابقين والذين جلهم من القسم الشمالي والذين لهم من المكانة والتقدير في نفسية الشعب عامة والمنطقة الشمالية خاصة آخر ما فقد به الولاء الصادق في المنطقة المذكورة فأصبحوا زاهدين في ولائه ، ملتفين حول عمه (الحسن) كما أنه هو أصبح بدوره يائساً من إخلاصهم وصدق ولائهم وطاعتهم .

وبذلك ظل القسم الشمالي من ضمد إلى رجال ألمع ليس له فيه إلا الإمامة الاسمية وكنتيجة لما أسفر عنه الموقف فى البلاد التي من ضمد وشمالها فإن الإمام عول على القسم الأوسط فتقربت إليه قبائله من جنوب وادي ضمد

إلى نهاية بني شبيل ـ القسم الجنوبي من المخلاف السليماني ـ فراح يغدق لهم الصلات ويوزع عليهم الأسلحة استمالة في زيادة ولائهم وإغاظة لقبائل القسم الآخر فأسفر الحال عن فراغ مستودع السلاح ونضوب المال .

الحالة فى القسم الجنوبى من المملكة الإدريسية :

١ ـ (محمد طاهر رضوان) قائد المنطقة الإدريسية الجنوبية :

مر من أخبار هذه الشخصية ـ في الفصل الأول الخاص بالدولة الإدريسية ـ ما يلقي الضوء على دورها وقد تقدم على رأس الجيش الإدريسي المتقدم في الجنوب إلى أن احتل مدينة (باجل).

ومدينة باجل آنذاك مركز الثقل في الحدود الجنوبية وقد أثنى الكاتب العربي الكبير (أمين الريحاني) [1] على حصافته ودربته العملية وتفهمه لسياسة وقته وكيف عرف أن يستعين بقبائل الحدود الخارجة عن طاعة الإدريسي على بعضها ويشغلها بإثارة بعضها على بعض بل يسخرها في صالح عمله مع غنائه وحزمه في حماية الحدود من ناحية (اليمن) فكان في إقصائه عن عمله وإبعاده ثغرة في سياسة الدولة الدفاعية .

٢ ـ والحدود الجنوبية :

الحدود بين الإمامين السابقين المتوكل والإدريسي ، كانت مشكلة المشاكل فليس بين الطرفين معاهدة (حسن جوار) بالمعنى المتعارف عليه دولياً ، ولا حدود مخططة تدعمها اتفاقية يعترف بشرعيتها ، والحدود في مناطق جبلية وعرة تتقارب جداً في بعض الجهات وتتباعد نسبياً في أخرى وقد تفصلها قبيلة أو شقة حرام كما كان الوضع بين (الحجيلة) و(عبال) قضى بمثل ذلك

---

(١) ورد في كتاب « ملوك العرب » للريحاني ما يأتي :

بعد الظهر جاء يزورنا الشيخ محمد طاهر رضوان عامل «باجل» وقائد العساكر الإدريسية فيها ، فسلم واعتذر ثم سألنا عن السياسة الأوربية وعن الإنكليز وعن مصر والهند سؤالات دلت على عقل وعلم فيه لا يفتقران ـ بخلاف العادة العامة ـ إلى شيء من الحكمة والذوق فقد كان يسأل مستخبراً مستفيداً . دون رأى خاص له يبديه ولكنه فيما يختص ببلاده كان مفيداً مفضلاً ، فعلمنا من حديثه أن قبيلة (القحرة) يسكنون تلك الجهة بين واديي سردد وسهام الخ .

الـوضع الضرورة لا الرضى والاتفاق والمنطقة الجبلية استولى الإدريسي - على قسم من شمـالهـا في العهـد العثمـاني ،- راجـع الفصـل الخـاص بعنوان ابن حميد الدين والإدريسي - والقسم الجنوبي أثناء انسحاب الأتراك .

والإمام (يحيى) يرى أنها منطقة جبلية تابعة له بحكم وضعها الطبيعي وشمول حكم أئمة الزيدية عليها في وقت ما ، والإدريسي يرى أنها كانت تابعة للأتراك ، وقد استولى عليها عنوة واقتداراً كما استولى عليها من هو قبله والدنيا ليست ملكاً لأحد ولاحق لغيره في حكمها وهو يطمع في أكثر منها . وحدود على تلك الوضع موضـع خلاف دائم ونهـزة لاهتبـال الفرصة السانحة لكل طرف منهما ، ورجال (الإمامين) متحفزون كل منهما على حدوده والمواقع (الاستراتيجية) محصنة بأوكار المدافع تتبادل القذائف لأقل الأسباب وأتفه المخالفات .

ومن وراء ذلـك السياسـة وأسـاليبهـا من استمـالـة وإغـراء وترغيب وترهيب - من الجـانبين - لزعمـاء ورجـال قبـائـل الحـدود . وكان الجانب الإدريسي أكثر توفقـاً لسياستـه النـاعمـة وسخـائه الوافر وإغرائه بإعفائهم من (العوائد)- راجع المنشـور الإدريسي - فكـانت (الـدبلومـاسية) الإدريسية ناجحة السعى موفورة النشـاط في الكسب السلمي والـدعاية السياسية وبالأخص في الجهات الجبلية السـائـد في أرجائها (المذهب الشافعي) كـ (ريمة) - (برع) - (الحجيلة) وغيرهـا ، ويضـاف إلى ذلك أن عدداً غير يسير من قبيلتي (حاشد) و(بكيل) كان يستخـدمهمـا (الإدريسي) كجنـود مرتـزقـة ويجـدون من وفـرة المـادة - مالا يجـدونـه لدى حكـومتهم مع ما ينـالـه رؤسـاؤهم من الإكـراميات والأعطية والكسـاوي والخلع ، وكـان زعيم قبيلة (حاشـد) (ناصـر مبخـوت) على رأس مرتـزقـة (قبيلتـه) ويقـال : إن الإدريسي كان يرمي إلى غاية بعيدة من وراء استخـدامهم ، وقـد كان لذلـك أثـره - وإنمـا تأخـر عن الوقت المناسب - فقـد ثارت قبيلة (حـاشـد) على الإمـام المتـوكـل فكـانت ثورتهـا مع وفـاة الإدريسـي ، فوجـدت من حزم ولـي عهـد (اليمن) - آنـذاك - وسـرعـة نهضتـه ما أخمـد ثورتهـا ففـر زعيمهـا (نـاصـر بن ناصر مبخوت)- الذي خلف

والده في الزعامة ـ إلى الأدارسة فوجد من خلف الإمام الراحل ـ الإدريسي ما أيأسه من نصرتهم وزهده في جانبهم فعاد وعُفِي عنه من حكومته ثم فرّ بعد ذلك كنتيجة لتخوفه من جريرته الأولى إلى (عسير) كما أن أحد كبار شيوخ ريمة (محمد أمين الـريمي) بل شيخ مشـايخ (ريمـة) محمـد الأمين الجبي فرّ ملتجئـاً إلى الإمام الإدريسي طالباً منـه التقـدم إلى جهته إلا أن الإدريسي لم يستسغ تلك الخطة السافرة والهجوم العلني فأخذ في التهوين من حماس ذلك الزعيم ، وأبقاه لديه مكـرماً رهين الانتظار فأساء الظن وأحب أن يؤمن لنفسه خط الرجعة لدى الإمام (يحيى) فكتب لجلالتـه كتباً حمل فيهـا على الإدريسي وحشـاها بالتجريح والقدح وانتحل لنفسه ما شاء من المبررات في قصده للإدريسي ـ خلافاً للحقيقة طبعاً ـ إلا أن الإدريسي كان من اليقظة بحيث استطاع أن يقبض على تلك الرسالة فأحضر (الزعيم) في مجلسه وباغته بالاتهام فأنكر فأبرز الرسالة فأسقط في يده فقرعه وأمر بسجنـه وظـل في السجن حتى أطلق في عهـد الإمـام اللاحق بعد تبدل الحال واستيلاء الإمام (يحيى) على القسم الجنوبي .

وعلى تلك الصفة التي كانت تتصف بها السياسة الإدريسية ـ في حياة مؤسسها ـ من النشاط ودبلوماسية استمالة وإغراء قبائل الحدود وغيرهم كان في وفاته الفجائي متنفس استنشقت منه الحكومة (المتوكلية) نسيم السلامة وأطلت على رحاب الأمل الرحب لتحقيق آمالها الواسعة .

وبعد انطفاء تلك الجذوة ـ بموت ذلك الإمام الإدريسي ـ لم يبق أو يخلفه في مركزه من يماثل شخصية الإمام يحيى فانقلب الوضع وشالت كفة الميزان وانقطع ذلك التيار المتدفق الذي كان يمد النفوس المتطلعة داخل وعبر الحدود الإدريسية الإمامية بقوة الدفع وإشعاع الرجاء والتقدير البالغ على الإخلاص .

فالآن لا شيء للإمـام الإدريسي الجـديد إنـه مشغـول الفكـر بمعـارضيه على الحكم ـ عمـه الحسن وابن عم أبيه مصـطفى وعمـالـه على الحـدود ـ

الذين كانوا تحت إيحاءات تلك الروح القوية موفوري النشاط السياسي في التطلع لما وراء الحدود والعمل الدائب في سياسة التوسع ـ أصبحوا تتجاذبهم القوى الداخلية المتعاكسة التيارات المتعارضة الغايات المختلفة المقاصد بين الحسن والإمام الجديد ومصطفى وأنصار كل منهم ، حسب الحصيف من أولئك (العمال) أن يكون دقيقاً في تحديد صلاته متطلعاً إلى ما يجد في أفق ذلك الجو المتلبد الغيوم . وكفاهم المحافظة على الحدود وتحسين صلاتهم مع كل الأطراف حتى بما وراء الحدود .

فانقطع رجاء المتطلعين والطامعين من زعماء قبائل (الجبال)ـ كلياً ـ ونضب معين المقررات والصلات لأنصار المستقبل فالجهاز العام الإدريسي مشغول ومثقل الكاهل بتكاليف كسب الأنصار في الداخل .

تنفس الجانب اليمني الصعداء واسترخت أعصابه المتوترة وتطلع بدوره بعين الواثق المطمئِن فرأى المعرض السابق من أصحابه مقبلا والطامع في غيره أضحى قانعاً به ـ، فتريث برهة تريث المجرب الخبير وبعد فترة اختبار أخذ في بدء التجربة الأولى ، تجديد الصلات بالأصدقاء المنسيين ـ في الجانب الإدريسي ـ ثم تلاها تشجيع الأنصار المتوارين ـ سابقاً ـ وكل هذا فيما يلي الحدود الإدريسية المباشرة ـ والحدود هي الدرع الواقي والسياج المانع ـ والخطوة الأولى قد تكون من أصعب الخطوات ـ وكنتيجة للعمل الدائب والسعي الحثيث أخذ النفوذ الإدريسي في الضمور والنضوب التدريجي ثم في التقلص والانكماش على الحدود المباشرة ، وكل فراغ لابد أن يملأ ، فما ينحسر النفوذ (الإدريسي) في جهة من الحدود إلا وينسدل عليه النفوذ (اليمني المتوكلي) والإدريسي مشغول بمعارضيه وما نجم من الخلاف العائلي عن ما عداه ولم تسو مسألة الخلاف تلك التسوية المموهة ـ كما ألمعنا إلى ذلك في صلح (الواصلي) ـ إلا والنفوذ (المتوكلي) قد نفَّذ برنامج سياسته التمهيدية وأخذ في تهيئة الجو للمرحلة الثانية ، حتى إذا امشتق الحسام بين (الإمام) وقريبه (مصطفى) أخذ في الانتظار الموقت انتظاراً لنتيجة المعركة

التي سوف تسفـر عن تطاحن القوى (الإدريسية) وخروج الفائز من الحلبة منهار القوى مضعضع البنيان .

أسفرت المعركة عن فوز الإمام (علي الإدريسي)ـ كما تقدم ـ وتلاها نفى رجال الـدولة ذوي التجارب الحربية والمران السياسي . بما فيهم قائد وعامل الحدود فأقفرت البلاد من الكفاءات والتجارب وحل محل النائب الأول ـ الثائر ـ النائب الجديد (عبد المطلب) وهو رجل لم يسبق له المران في الإدارة ، ولا الاشتراك في الحروب ، خال من العلم والمعرفة ، غريب وفد من السودان مع أخته (أم) الإمام علي الإدريسي . وشغلت مراكز الحدود بمن لم يكن فى كفاءة قائدها السابق ومعاونيه .

أضف إلى كل ما سبق أن الحكومـة الإدريسية خرجت من المعـركـة مثخنة بالجـراح حسبهـا في موقفها آنذاك تضميد الرضوض والجروح وتجبير الكسور ، فأتيحت الفـرصـة المـرتجـاة (لليمن المتوكلية) فغدت تعمل على ضم المواقع الاستراتيجية في الحدود وتهيء الجو لاستدراج القبائل المتاخمة واستمالة من هو أبعد مسافة نسبياً .

الزعيم هادي هيج شيخ مشـايخ قبـائل الواعظات :

شخصية تتمتع بمركز ممتاز ومكانة مرهوبة ، ونفوذ قوي لا في قبائل الواعظات فقط بل في وادي (مور) بكامله وتتسم بالدهاء والحصافة وقد مر بالقارىء نبذ من سيرتها في تاريخ الدولة الإدريسية عند تقدمها إلى (الجنوب) والدور المهم في حوادث تلك الفترة وقد ظفر بتقدير (الأتراك) ثم بتقدير الإدريسي ـ بعد جلائهم ، وبعد وفاة (الإدريسي) واضطلاع ابنه (الإمام علي) بالأمر ظل في مكانته المحترمة ومركزه المرموق . حتى قيام ثورة الأمير مصطفى الإدريسي فشايعه مشايعة السياسي المجامل الحذر فوافقه سراً وانحاز في معقله ينتظر ما يسفر عنه الموقف فلاح له ـ وهو المجرب الخبير ـ أن موقف (مصطفى) آيل إلى الفشل وإنما ذلك حدس ، فهل يحققه الواقع فلينتظر قليلاً ـ وقد انتظر ، وتحقق ظنه .

أقبل جيش (الإمام علي) فوافته عيونه بعدده وعدته ومعنويته وإمكانياته فقارنه بقوات (مصطفى) وهو المطلع على دقيق حركته وجليلها . ففهم كل شيء . وبهزيمة طلائع (مصطفى) التي تعسكر في مركز (أبي حلق) كتب له القائد العام (عبد المطلب) يستفهم عن موقفه ويطلب منه (المقابلة) فأجابه بأنه لا يزال على الطاعة وأنه سيقابلهم برجاله على مركز (جبل الملح) وفعلا اشترك برجاله في الحصار وكان (مصطفى) قد غادر اللحية وبوصوله الزيدية وشعوره بحرج مركز ابنه (المهتدي) الذي ضرب عليه نطاق الحصار - كتب إلى هادي هيج راجياً منه العمل على مساعدة ابنه في الخروج فدبر الأمر بكل دهاء وتسلل (المهتدي) ليلاً فنجى . وكان (هادي هيج) ورجاله في طليعة المقتحمين مركز جبل الملح وهكذا مكنه دهاؤه من إرضاء (الطرفين) وهو عزيز الجانب لم يضطره الحال إلى التزلف أو الاعتذار . فالرجل سياسي عملي يتوقف في الظرف الحرج توقف السياسي القدير - مع احتفاظه لنفسه بحرية العمل في الوقت المناسب - فإذا حانت الساعة أو الفرصة الملائمة أثبت وجوده الفعلي في جانب الكفة الراجحة ، وأصبح قد شارك في الفوز وله أدبياً حق المحارب وامتياز حملة السلاح في المعركة الناجحة فيمحو تبعة تردده السابق وتهمة موقفه الغابر بحقيقة عمل المساهمة في الحاضر فهو لا يستجدي العفو ولا يطلبه بل يقدم البرهان العملي على أهليته له وجدارته به .

فهو عندما شعر بانثيال الناس إلى طاعة (الإدريسي الأول) ولمس قوة حركته - راجع الفصل الخاص بحركة الإدريسي في الجنوب - تقدم يعرض استعداده لاستجابته - ويتعهد له ببذل كل مساعدة ومساهمة لحركته في حدود إمكانياته ونطاق نفوذه . ويشترط أن يكون هذا سرًّا ، لأن الأتراك حينذاك متمركزون في (وادي مور) و(الواعظات) والرجل بِحُكْم مرونته ودهائه وغناه يطلع على أغلب الأخبار فعلم بسوق الجيش التركي والألماني لمهاجمة القناة - السويس - وتفوق الألمان في الميدان الغربي أضف إلى استمالة (الإدريسي) لخصمه (زعيم قبائل عبس) الزعيم (يحيى على ثواب) واستقباله للجيش الإدريسي .

و (هادي هيج) لا يرضى بأن يتقدم عليه منافسه في الأسبقية السياسية ، فتخلى عن اتفاقيته السرية مع (الإدريسي) ووالي الأتراك لا سيما عندما لمس تحسن موقفهم الحربي وصدهم تقدم الجيوش الإدريسية فعلى الفور اشترك بقبائل الواعظات مع الجيش التركي ، بل ودفع قبائل وادي مور للاشتراك واستشاط الإدريسي غضباً ، وأصدر أمره لسراياه بمهاجمته وأنصاره وباغتياله وهيهات ، فالرجل ـ أحذر من غراب ، وتعزز موقف القائد التركي (غالب بك) بنفوذه القبلي ومركزه الاجتماعي ، وقد تمكنت أحد السرايا (الإدريسية) من أسر أخيه (عبده هيج) فقادته إلى (صبيا) فسجنه الإدريسي في قلعتها .

لم يهن ذلك من عزم (هادي هيج). وكان غالب بك في أوج انتصاراته ومدينة اللحية في قبضته فاتفق معه ودبر الأمر على استخلاص أخيه .

حيلة الإنقاذ :

أرسلت سفينة شراعية يسير دفتها فدائيون من البحارة وعلى رأسهم شخص يدعى (محمد غانم) فأرسلت في جهة من مرسى (القوز) ونزل رئيسها مع أحد مرافقيه إلى صبيا وتمكن سرًّا من الاتصال بالأسير ودبر معه الأمر ـ ويقال : إنه تمكن من رشوة بعض حرس القلعة . كان موضع سجن الأسير في البرج اليماني الغربي من القلعة وليس له سوى باب واحد من الشمال والحراسة مشددة على الباب ليلاً ونهاراً وعمارة القلعة قديمة من الطوب المحرق والحجر الأسود والطين .

فدبر الأمر بأن يحدث الأسير ثقباً في حائط البرج الذي يطل على ساحة خالية وسبيل عام وكل ما تمكن من إخراج طوبة أوحجر من المتماسك بالطين أعاده في وضعه صورياً وحاول العملية في غيره ستراً من الاكتشاف ودأب الأسير أياماً حتى انتهى من إحداث الثقب المطلوب فأشعر منقذه الذي كان على اتصال به ـ فحدد الوقت وأحضر المنقذ (حماراً) أبقاه بمقربة من البرج وعند أذان المغرب ـ وحرس القلعة مشغولون بتأدية المفروضة

انتـزع الأسير الطوب والأحجار ـ الموضوعة صورياً ـ وأخرج نفسه بكل جهد من الثقب فتلقفتـه يد المنقـذ ومـرافقـه وأركبوه (الحمار) المعد . ودثروه برداء وأخذ أحدهم بعضده الأيمن والآخر بالأيسر كأنه مريض دنف لا يستطيع أن يحتفظ بنفسه على ظهر الحمار ومن ثم ساروا في غبشة الظلام في تؤده وكل ما صادفهم رجل من المارة ـ نبهاه قائلين ابعد لا تحرق معنا مجدور ، فيجفل المار راجعاً على عقبيه لأن مرض الجدري في ذلك العهد كان يقع بشكل وباء ممحق مخيف تقفر القرى من وبائه المميت ـ وبتلك الصورة أمكنهم إيصاله إلى السفينة وأقلعت في التو ، وفي الصباح اكتشف الأمر فبثت الأرصاد والعيون وسار الطلب الحثيث إلى كل جهة وخـرجت سفن من (جـازان) لتعقب السفينـة في اليوم الثاني ، ففاتتها ووصلت السفينـة إلى (اللحية) فاستقبلت من الأتراك وأخيه بالابتهاج ، وكان استخلاص الأسير على تلك الصورة ـ فوزاً معنوياً لـ (هيج) و(غالب بك) القائد التركي .

رجـــلا جنـــوب تهـــامة :

يؤثـر عن الإمـام الإدريسي أنـه قال : رجـلا جنوب تهـامـة : يحيى علي ثواب ، وهـادي هيج ـ وكـلا الـرجلين سيد قومـه وزعيم جهتـه وقبيله . محتـرم المكـانـة نافـذ القـول مطاع الـرأي . ويتسم الأول بالشجـاعة والشهامة والثاني بالـدهـاء والسياسـة وبينهمـا تنـافس قوي ككـل زعيمين يتجـاوران ويتعـاصران وقد أشرنا أن الأول قد انضم إلى الإدريسي وسهل لجيشه الدخول إلى (عبس) ونـرى بعد ذلك كما سبق في الفصل الخاص بالعمليات الحربية في الجنوب ـ أن الـزعيم يحيى علي ثواب يشير على القـائد الإدريسي الشوكاني بالانسحاب من مركــزه ـ ويضـــطر القـــائـــد إلى الانسحـــاب ونفير الأتـــراك يقـرع أذنيه . وبـطبيعـة الحـال أن الأتـراك رأوا أن مصلحتهم استمالة ذلك الزعيم القوي في الرجوع إلى جانبهم . ويروي بعض من عاصر ذلك العهد أن تلك الخطة التي تمت بإرشـــاد ومشـــورة (الهيج) وأنـه كان متخـوف الجـانب من سبق منـافسـه لاتصـالـه بالإدريسي ، ممـا يجعـل له الأفضلية والأولـوية في النفـوذ متى بسط الإدريسي نفـوذه على الجنـوب واحتلت جيوشـــه التي مركـز قيادتهـا في بلاد



هــــادي هيــج

عبس ومشاركة ذلك الزعيم بنفوذه وقبائله في سبيل فوزها ـ وقد أدرك الآن الهيج من مجريات السياسة وتفوق حلفاء الإدريسي الذي خاض الحرب في جانبهم أن ساعة (الأتراك) قد دنى حينها فأشار بما سبق ليكون موقف منافسه من نمط موقفه ، وعلى كل فقد انسحب الجيش الإدريسي من عند يحيى علي ثواب ودخل الأتـراك (الرنف) وأصبح منافسه في صف الأتراك . فاحتدم الإدريسي غيظاً واشتد سخطاً على منافسه . وأصبح هو ومنافسه مشتركين في عداء الإدريسي .

ساق (الإدريسي) الجيش تلو الجيش على (يحيى علي ثواب) فأمده الأتراك بالمؤن والعتاد فجد في المقاومة حتى اضطر الإدريسي أن يبعث إلى بلاد عبس الجيش بعد الجيش بدون فائدة تذكر ولا نصر يتحقق فخفف بذلك الضغط على الأتـراك و(هـادي هيج) و(قبـائـل الـواعظات) وبذلك أصبح الهيج أهون على الإدريسي من موقف منافسه ، لأنه لم يرحب بالجيش (الإدريسي) أويدخل تحت طاعته المباشرة كما أشرنا قبله ـ بل اتفق معه على أن يبذل قصارى جهده سرًّا في حدود إمكانه لمساعدة ثورته . . الخ .

كان (الإنـكـليز[1]) يسـتـعـجـلون (حليفـهـم الإدريسي) في تشـديد الهجوم على (الأتراك) وإلحاق الهزيمة الساحقة بهم فطالبهم بالمزيد من العتاد والمسـاعـدات المـادية ولمـح لهم عن (الهيج) ومـا يلعبـه من دور مع الأتـراك بقبـائـل مور والـواعـظات ، وهم على علم ودراية بكـل رجـالات تهـامة وإدارة استخبـاراتهم في عدن وفـرعهـا في جزيرة كمـران حديثـاً ـ حينـذاك تُوَافى بأدق الحقـائق فاتصلت إدارتهـا بـ (عـدن) وكتبت (للهيج) تستـطلع ما وراءه وهل هناك له مطمع في مشيخة كمشيخات المحميات وكان استطلاعاً غامضاً . شأن سياستها الاستعمارية (التقليدية). إلا أنه كان كما يظن ـ بعيداً عما تعتقده فأجـابهـا بمـا يفهم منـه أن الإدريسي يريد منـه محاربة الأتراك في جانبه وليس له القـدرة على ذلك والأتراك باسطون نفوذهم على اليمن وأنه رجل لا يستعجل

---

(١) أفادني ذلك مواطن معمر مطلع على سياسة ذلك العهد .

الأمور وقد رحب بتأييده سرًا فلم يرض منه بما يقدر عليه وباشره الحرب والهجوم على قبائله فابتدرت الأتراك لصد هجوم جيشه ولم يسعه إلا مساعدة الجيش التركي كما طلب منه ، وفهمت الإدارة الإنكليزية أن الرجل لا يطمع في أكثر من مركز ممتاز المنزلة قانع بزعامته القبلية تحت من يتولى أمر تهامة فطمأنته من جانب الإدريسي وأشارت إليه بالتقرب منه وأنها رجت (الإدريسي) بشأنه ـ واكتفت بتقديم جميل سياسي قد ينفعها مستقبلاً .

وأفهمت الإدريسي بما ينبغي من استمالته وتم كل شيء ، وصادف ذلك نهاية الحرب وتلاه صدور أوامر الآستانة بالانسحاب عن طريق (الإنكليز) فبادر (الهيج) باستدعاء قائد الجيش الإدريسي المعسكر على مقربة من حدوده وسلمه جهته وحافظ على من في جهته من الأتراك ـ بحجة الخوف على حياتهم من متخطفة القبائل ـ وسلمهم لقائد الإدريسي وبذلك أصبح في طليعة أنصار العهد الجديد .

ويقول البعض بأن (الهيج) عندما استمالت (الأتراك) (يحيى علي ثواب) عاهده بأن يكونا يداً واحدة في جانب الأتراك ضد الإدريسي وألا يعقد أحدهم صلحاً منفرداً معه بدون إشعار الآخر ، وإطلاعه مقدماً وعندما دخل الأخير مع (الأتراك) وتخلى عن الإدريسي ترك عبء القتال عليه بصفته أصبح في الخط الأول ، ثم عمل الهيج إلى المصالحة مع الإدريسي كما أشرنا إلى استدعاء قائد الجيش الإدريسي . . الخ

وعندما علم يحيى علي ثواب بالنهاية أسقط في يده وتفرق عنه أغلب قبائله فاضطر إلى الاختفاء والتوجه إلى (المراوعة) لدى منصبها الذي رجا (الأمير مصطفى الإدريسي في الشفاعة له لدى الإمام ثم توجه إلى (صبيا) فعفي عنه .

لم تفلح شفاعة منصب المراوعة فظل مختفياً ـ وكان الأتراك قد انسحبوا والإدريسي قد أصدر أمره على قواده بسفك دمه أينما وجد ، وأخيراً توجه سراً إلى صبيا ورابط في ضريح أحمد بن إدريس ، مستجيراً ـ

كما هي العادة في ذلك العهد ، وبلغ الإدريسي بذلك فأرسل له بالأمان .

والشيء بالشيء يذكر وهذه تذكرني بحادثة أدبية وقعت في العصر الأموي فقد فرض الحجاج بَعْثاً للغزو مع القائد المسمى تميم بن زيد ، وكانت امرأة من العرب لها ابن واحد اسمه (حبيش) جُنِّدَ في البعث فجن جنونها فأشار عليها من أشار أن تقصد قبر غالب والد الفرزدق ـ وكان الفرزدق معظماً لقبر أبيه ففعلت المرأة ذلك وأخذت حفنة من تراب القبر وصلت بها إلى الفرزدق وأخبرته بحالها فكتب الفرزدق الأبيات الآتية إلى أمير الغزو :

تميم بن زيد لا تؤخر حاجتي	رويداً ، فلن يخفى عليَّ جوابها
أتتني فعادت ياتميم بغالب	وبالحفرة السافي عليها ترابها
فهبني حُبَيْشاً واغتنم فيه منة	لعبرة أم لا يساغ شرابها
وقد علم الأقوام أنك ماجد	وليث إذا ما الحرب شب شهابها

فوصلت الرقعة إلى تميم بن زيد ، وكانت كلمة (حبيش) غير معجمة فقال لأحد رجاله : انظر في المعسكر من كان اسمه حبيش أوخنيس فائتني به فوجد ستة بالاسمين فقال تميم بن زيد : ابعثوهم إلى الفرزدق يأخذ منهم صاحبه وائتوني بالباقين .

وإنما لم يترك له الزعامة العامة على (عبس) كالعادة بل على النصف لأن النصف الآخر شعر بأن الإدريسي يشجعه على الانفصال ففعل وقد توفي عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م أي في السنة التي توفي فيها الإدريسي .

وأما (الهيج) فقد ظل في المكانة الأولى بين زعماء القبائل في عهد الإمام الإدريسي وكذا في الدور الأول من عهد خلفه . وقد لمس ما لمس من ضعفه وتوسم كما توسم غيره في نجاح أمر (مصطفى الإدريسي) وإنما لم يتسرع أو يتورط إلى النهاية فاحتفظ كما هي عادته ـ لنفسه بحرية العمل في الوقت المناسب وفعلا ما وصل جيش الإمام على الإدريسي وهزم طليعة (مصطفى) في أبي حلق واستطلع (القائد) رأيه حتى بادر بالإجابة وانضم إلى كتائبه

واشترك برجاله ـ كما أشرنا إلى ذلك قبله مفصلاً ـ وإنما الإمام الجديد عزم أن يجعله في قائمة المنفيين فعاد من الحديدة ـ التي كان فيها مع القائد الجديد ـ إلى جهته متعللاً بالمرض. ومن هناك أخذ في المطاولة والاعتذار وهو يتحين الفرص وعندما أدرك جدية الطلب استعد لصد أي هجوم يباغته ، وهو يعلم أن الدولة الإدريسية في حالة احتضار واتصل من الجهة الأخرى بالحكومة المتوكلية وعمل جاهداً لتمهيد سبيل ضم القبائل المجاورة له إلى حظيرتها أما هو فقد طَمْأَنَهَا بأن الذي يمهد السبيل في أرض غيره من القبائل لا يفعل ذلك إلا عن إخلاص وولاء وسوف إذا انتهيتم من كل من هو حولي استدعيتكم .

وبطبيعة الحال أنها السياسة المرنة فهو يرغب في الإدريسي أكثر إلا أن أمر النفي أرغمه إلى تلك الخطة وهو كما هي عادته يريد لِيُرِىَ الإمام الإدريسي أن من حوله من القبائل قد نقض طاعته وهم أقل منه حولا وطولاً فإن ظفر من الإدريسي بالترضيه ولمس منه القوة على استنقاذ ما ضمته (المتوكلية) كان معه بطبيعة الحال فإن طريق الجيش عليه ولابد من تسوية الأمر معه قبل أي تقدم وإذا كان الإدريسي من الضعف بحيث يعجز عن استنقاذ تلك القبائل فهو قد تقدم بمساعيه لدى الدولة المتوكلية وأسلف لديها إخلاصه وسيكون المتقدم باستدعاء جيشها متى انتهى من المشاغل التي أشغلهم بها .

ولنقف هنا من حياته .

النائب الجديد :

دخل الجيش الحديدة في أواخر رجب عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م واستلم قائده (عبد المطلب بن هارون) زمام الإدارة كنائب (الإمام) ووصلها الإمام بعد ذلك بأيام وأجرى الترتيبات ـ التي سبق الإشارة إليها ـ وبعد أن أبعد الوزراء ورجال الدولة بعث في طلب زعيم قبائل (الواعظات) هادي هيج فاعتذر ثم تكرر الطلب فماطل فكلف عليه فرفض فبعث (الإمام) قوة لسوقه فقاومها ولم تستطع أداء مهمتها فظلت مرابطة على حدود الواعظات ـ وكان كما أشرنا ـ قد اتصل بالحكومة المتوكلية ومهدت اتصالاته ودهاؤه

على استيلائها على البلاد الإدريسية التي حوله ووقفت جيوشها على حدود بلاده .

أما في (عبال) و(بني سعد) وما يليها جنوباً وشمالا فقد أخذ التغلغل السياسي المتوكلي يجتاحها من بعد ثورة (مصطفى) حتى عصف بالنفوذ الإدريسي وضمها وأخذ على العمل في ضم غيرها واستمر الغزو السياسي يتلوه الاحتلال الفعلي ، ولم تمض ستة أشهر على تبوء النائب الجديد إلا وقد تغلغلت الجيوش المتوكلية في الداخل على طول خط الحدود بين ٣٠ ـ ٤٠ كيلا ، بدون حرب أو قتال وأكسبها هذا الانتصار السهل وعجز الدولة (الإدريسية) وعدم تحركها فوزاً حربياً ومعنوياً في نفسية زعماء القبائل ، دعاهم للارتماء في أحضانها والتدافع لنيل الزلفي فسارع المتأخر وتقدم المتردد فوق ذلك وعمل الإغراء والبذل ما ذلل الصعاب ومهد العقاب وأذعن الرقاب .

ولم ينتصف الشهر السابع إلا ونائب الإمام يرى نفسه في دوامة من حرب الأعصاب ، غرق في خضمها منهار النفس محطم المعنوية وأفقده كل أمل توارد بقية العمال والحاميات إلى الحديدة ، مرجفين بأن الجيش المتوكلي على أثرهم لمهاجمة (الحديدة) فركب سفينة شراعية ناجياً بنفسه من لا شيء إلى (جازان).

الفــــراغ :

أصبحت مدينــة (الحــديدة) بدون حاكم ولا حامية وسـاد الهـرج والمـرج فتبـرع رجـل من (الشـطار) يدعى (إدريس) من أهـل الحـديدة أو من أهـل باديتهـا ـ تبـرع بالقيام بوظيفـة محتسب وضـرب على يد العابثين فهدأت الحال نسبياً وأفـاق رجال الحديدة من الصدمة المفاجئة فساعدوه في مهمته ومن ناحية أخـرى فالجيش المتـوكلي على مسـافـة ثلاثين كيلاً من الحـديدة وكـان قائـده (عبـد الله بن الـوزير) بعيد التقـدير حاسبـاً كل حسـاب لأمـر احتـلال الحديدة ومـا سيقف من عقبـات ودفـاع جاد دون احتـلالهـا بل قد يتعـدى إلى استنقـاذ الأقسـام المحتلة ، فمـا راعـه إلا ورود منـدوب أهـل الحـديدة يرجونه الإسراع لدخول المدينة . فدخلها في اليوم الرابع بعد أن ظلت ثلاثة أيام شاغرة الإدارة

خالية من كل وسائل الدفاع أو من يدير أمر الأمن إلا ذلك (الشخص) .

دخلها (عبد الله الوزير) صباح اليوم الرابع سلما وأخذ في ترتيب إدارتها فبلغه ما يقوم به ذلك الرجل من حسم الخلافات وفض المنازعات في الأسواق فظنَّ أنه من (الأدارسة) فبعث قوة من رجاله اقتادت الرجل وعندما مثل بين يديه سأله : أنت إدريسي ، فقال له الرجل : أنا رجل من أهل البلاد لا من الأدارسة وبعد أن فهم حقيقة أمره أطلق سراحه .

ولي عهد اليمن وابن الوزير :

ولي العهد في «حجة» يدير حركة احتلال القسم الشمالي وابن الوزير في الجنوب على رأس القوات الزاحفة لاحتلال القسم الجنوبي فسلم ابن الهيج منطقة (وادي مور) إلى (اللحية) لقوات ولي العهد كما احتل ابن الوزير من باجل إلى (الزيدية) فأصبح الشطر الجنوبي من المملكة الإدريسية بأسره تحت راية الدولة المتوكلية وبادر شيوخ عبس فلحقوا بمن سبقهم .

استفاقة المذهول :

تواردت الأخبار على الإمام علي الإدريسي ، وهو غاط في غفلته ، فهزته هزًّا عنيفاً فهب كالنائم المذعور ، وقد علم بسقوط (الحديدة) وفرار خاله . فركب سيارته مستصحباً خاله الثاني (محمد هارون) وخادمه الخاص (منصور يامي) قاصداً الالتقاء بخاله في الجنوب أي في (الزهرة) أو (اللحية) فيلومه على الفرار ويأمره بالتوقف في الجهة التي يجده فيها لبينما يهيىء وسائل الدفاع ـ كما يتخيل له ، والى سيره من جازان إلى (ميدي) ومنه إلى (اللحية) حتى إذا أضحى على بعد ميل واحد منها ـ وكان الجيش المتوكلي قد احتلها ـ استغرب حرس القلاع قدوم السيارة من الناحية الشمالية فضرب لها (النفير) إنذاراً بالتوقف فلم تقف فأعقبه إطلاق النار وخرج الحرس لمطاردتها عند ذلك تنبه (الإدريسي) قائلاً (الجبالية[1] دخلوا اللحية) فأسرع السائق بإدارة دفة السيارة وأطلق السرعة النهائية فكانت نجاته أعجوبة .

---

(١) نسبة إلى الجبال اسم يطلقه أهل جهتنا على أهل اليمن الأعلى .

العـــودة إلى ميــدي :

لم يتعظ بحماقته تلك فبعودته إلي ميدي أمر حالا باحضار (هوري) قارب صيد الأسماك ـ وركبه على جناح السرعة مع مرافقيه واثنين من الملاحين قاصداً جزيرة (كمران) ـ جنوب اللحية ـ أي أن طريقه سيمر بمياه الموانىء التي احتُلت وهي اللحية ـ الخوبة ـ ابن عباس ـ وفي وسع الحاكم المتوكلي في أحدها إركاب ستة جنود في قارب يقضون على حياته أو العودة به موثقاً .

خرج (القـارب) من (ميدي) متجهاً جنوباً صوب (جزيرة كمران) وفوق مدينة (اللحية) التقى ـ بالمـوكب المشؤوم ـ خالـه ونائبه (عبد المطلب) وبعض رجال الحـاميات والقـادة تنقلهم سفينتـان شراعيتـان ـ في طريقهم إلى جازان ـ فأذنى (القارب) منهم وفهم منهم ما أراد وأمرهم أن يسبقوه إلى (جازان) وتابع سفره .

الإمـام علي الإدريسي يدخل كمــران في قـارب الأسماك :

وصل فاستغرب حاكمها الإنكليزي قدومه على تلك الصورة ـ وإلا فهو على علم بكل شيء ـ وبعد المقابلة طلب منه السماح له بالاتصال بـ (لندن) برقياً وأبرق إلى حكومتها شاكياً طالباً المساعدة فكان الرد فاتراً مقتضباً . ويقال : إن حكومة (لندن) كانت على سابق اتفاق ورضا للوضع الجديد وأنها وافقت على غض النظر لقاء تجميد الـوضـع في المحميات . فعـاد إلى (ميدي) وذلك في شهر الحجة عام ١٣٤٣ هـ .

آخـــر سهـــم في الجعبـة :

عاد إلى (ميدي) فوجد خاله ينتظره فيها بدلا عن (جازان) كما وجد غيره من فلول الحاميات وعمال الجهات المكتسحة ومنهم :

١ ـ خاله ونائبه عبد المطلب .

٢ ـ يحيى الدوشي قائد منطقة (الزيدية) .

٣ ـ عمر البار عامل وادي مورو (الزهرة)[١].

٤ ـ أحمد طاهر زيلع قائد القوات في بلاد بني نشر .

وهناك استقر رأيه على جعل خط دفاع في قرية (حبل) ومركز تجمع لبذل آخر مجهود لاستعادة ما فات .

قـــرية حبـــل :

تبعد عن مدينة (ميدي) بثمانية عشر كيلاً تقريباً . جنوباً فجعل منها خط دفاع ومركز تجمع وولى خاله ونائبه (عبد المطلب) القيادة وعاد إلى (جازان) وأخذ في حشد الرجال وعندما تكون له شبه جيش أمرهم بالتقدم إلى مركز أبي حلق وكدف (البتري)، وشعر (الهيج) بتقدم الجيش الإدريسي إلى (أبي حلق) فخشى أن يكون وراء الرماد وميض نار ، فاتصل بالجهات العليا المتوكلية ـ التي قد بعثت قوات رابطت على مقربة من الجيش الإدريسي ـ ورغب إليها في الإذن له في جس النبض وطلب وصول مندوبين إليه من الإدريسي للتفاهم معهم حول :

١ ـ إقرار الأمر الواقع أو تجميد الأوضاع الراهنة إلى أمد . بعقد هدنة بين الطرفين وعدم اعتداء مؤقت .

٢ ـ يحافظ كل من الطرفين على ما تحت يده . حتى انتهاء المفاوضة .

فأرسل إليه الإدريسي مندوبين ولم تسفر المفاوضة عن نتيجة ، وكان في تلك الأثناء العمل جارياً من المتوكلية في الحشد من جهة ومن الأخرى في تبديد الجيش الإدريسي المتجمع بشتى الوسائل ونجحت الطريقة الثانية وتفرق أكثر الجيش فعاد قادته ومن بقى إلى (حبل).

وأخذ الإدريسي في الحشد من جديد وسوق ما أمكنه من المؤن والعتاد إلى مركز (حبل) وظل يومياً يمتطي سيارته في الساعة التاسعة صباحاً فيصل

---

(١) أثار هادى هيج موجة من حرب الأعصاب وإثارة القبائل ضد العامل المذكور ثم بعث إليه رحيمه ابن عمير ينصحه بالخروج ويتولى بزعمه خفارته من المتربصين إلى قرب ميدى ففعل ونجحت الخطة .

(حبـل) عصـراً ويتفق بـ (خاله وقائده) [1] إلى الساعة ٥ ويعود إلى (جازان) واستمر على ذلك خلال شهري صفر وربيع الأول عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م وأيام من ربيع الآخر .

يحيى ثـابت حكمي :

هو مدير مالية (ميْدي) استدعاه[2] الإمام علي إلى (جازان) وأبقاه هناك ، شعر بأنه سجين سياسي فظل أياماً ثم تلطف في طلب الإذن لمزاورة عائلته بـ (ميدي) ويعـود فسمـح له . فتأخر أكثر من الأيام المسموح له بها فطلبه فاعتذر بالمرض فصـدر الأمر على عامل (ميدي) بإشخاصه فماطل وكأن (الإمام علي) علم عن اتصالات له بـ (اليمن) فاستخفه الطيش . وفي عشية من عشيات عودته من رحلاته إلى (حبل) ـ على أثر ما زوده خاله من معلومات عن نشاط اتصالاته ، مر بسيارته على بيت (يحيى ثابت) وعند باب الدار أمر عَبِيْدَهُ باقتحام الدار والقبض عليه .

كان المـذكـور قد علم بقصـد الإمـام فاحتاط للأمر باستثارة حمية ابن أخته علي بن ربيع زيلع الـذي يستنـد إلى مركز أبيه وعصبيته فأخذت الشاب النخوة والحمية فَطَمْـأنَ خالـه ورابط من داخـل باب الـدار مع بعض مواليه ورفقـائـه وعـنـد توقـف السيارة ونـزول العبيد لاقتحـام الـدار بادرهم بإطـلاق النـار فتـراجعـوا إلى الـوراء وتبـادلـوا معهم الـرمي . وعلى أثر دوي الطلقات ارتجت المـدينـة وأقبـل الـرئيس ربيع علي الـذي كان في داره القريبة ـ وهو على علم سابق ـ فازعـاً ـ وأقبـل الـرئيس الأول أحمـد طاهـر زيلع ووجهـاء المـدينـة فابتـدر (ربيع علي) رامياً بنفسـه بين يدي الإمـام معتـذراً ومستعـطفـاً بالتـوقف وباذلا نفسه في إخراج (يحيى ثابت) من الدار وفي أثناء تلك (الدراما) التمثيلية أخـرج (الشـاب خاله) متنكراً من باب خلفي فأخذ ربيع علي العبيد ودخل بهم

---

(١) كان يوقـع على الأوامر خال الإمام ويضع تحت ذلك اسمه ويقال أن أحد مشايخ القبائل ـ وهو ممن يستنكر أن يكون مثل عبد المطلب على ضعفه وسذاجته قائداً ونائب الإمام جعل في أحد الأوامر تاء مربوطة فصارت خالة الإمام .

(٢) استدعاه حين علم بصلته بسيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى في « حجه » .

إلى الدار فلم يجدو الرجل فعاد الجميع إلى الإمام المنتظر في السيارة ورجاه (ربيع علي) والحاضرون في إعطائهم الوقت الكافي للبحث عنه وعاد الإمام في ليلته إلى (جازان)، أما يحيى ثابت فقد خرج ـ كما أسلفنا ـ إلى دار أخرى ومنها أرفقه ابن أخته بمن يوصله إلى بلاد بني حسن من عبس ـ التي قد احتلها الإمام المتوكل وبوصوله لرجال المتوكلية أشار عليهم بخطة العمل ومهد لهم في الاتصال بسُعَيِّد صاحب حبل وبربيع علي وغيره في ميدي ولم يمض شهر حتى تم الاستيلاء على حبل .

الهجـــــوم :

دُبـر الأمـر مع سُعَـيِّد بن مسعـد ، وسـوي كل شيء وفي ليلة الهجـوم تقـدمت بعض القـوات المتـوكلية فأدخلهـا إلى أحـد قصـوره التي تقابل قصره الـذي فيه (عبـد المطلب) وفي الصباح الباكر أقبل على حبل قسم من الجيش وتقـدم وقـد مهد له السبيل إلى طرف البلدة ، وأطلق دفعة من الطلقات وضرب النفير فأجابـه من قد سبقـه إلى القصر بالمثل ، وانبرى السلاح الخامس على جنـاح السـرعة يوزع النصائح ، ويشير على الجيش الذي أفاق مذعوراً بالنجاة ويدله على الدرب الأمين وينفح المتردد فما شاهد الجيش أوائله تتسلل حتى تبع الآخـر الأول ، وفي تلك الأثناء طلع من طلع إلى القائد قائلاً له : انج بنفسك (سعيد) باع القـرية و (الجبـالية) في قصـره من الليل وأصحـابهم قد سمعت نفيرهم في أطـراف القـرية فأسـرع نازلاً من القصـر لنحـو الاسطبل الذي سبقه إليه (السـائس) ليعـد له (حصـانـه) ولم يضع رجله في الركاب حتى أرداه طلق ناري من أحـد دور (سعيد) من أحـد أبنـائـه فأطـار مصرعـه بصـواب بقية حرسـه وبقية الجيش ولم تمض نصف ساعـة إلا ولا يوجـد في (حبـل) فرد من أفـراد الجيش فنـزل من رتبـوا من الليل ولاقـاهم القـادمـون واستـولـوا على ما وجدوه للإدريسي واتخذوا من قصور سعيد حصونا للدفاع فيما لو هوجموا .

رئيس ميدي الأول أحمد طاهر زيلع :

وصل الخبر إلى ميدي فسارع رئيسها أحمد طاهر زيلع باستصراخ قبيلته ومن استجاب لداعيه متقدماً به إلى (حبل) وهو يعلم أن احتلال حبل الخطوة الأولى لـ (ميدي) أولا والقسم الباقي من الدولة الإدريسية ثانياً ـ ورفع للإمام (على الإدريسي) بالواقع وبما أقدم عليه واستمده الأسلحة والرجال . وسار من يومه وضرب نطاق الحصار على حبل وضيق عليها الخناق أياماً فبعثت الحكومة المتوكلية حملة قوية ففكت نطاق الحصار وعززت موقف القوة الأولى فتحرج موقف (أحمد طاهر) ـ وكان الإدريسي آنذاك مشغولاً بصد هجمات الجيش المتوكلي من الجهة الشرقية في (الحُرًث) و(شذا) وتأزم الموقف بينه وبين عمه أضف إلى ذلك قلة الذخيرة والمؤن وضعف التدبير ـ وخشي أحمد طاهر من قدوم قوة تقطع عليه خط الرجعة فتراجع ورابط في (الكدف) بين (حبل) و(ميدي) .

عــودة يحيى ثابـت :

في أثناء حصار طاهر لـ (حبل) خرج ذات يوم من أحد الحصون (يحيى ثابت) وقصد رحيمه ربيع علي زيلع أو ابنه في المعسكر . وتم الرأي على التقدم إلى أحمد طاهر مستميحينه العفو للمذكور والتوسط لدى الإدريسي في الصفح عما سلف وأن يعود الرجل إلى داره وعائلته وأن في بقائه عند رجال الإمام المتوكل ما يعود بالضرر على الموقف الحربي بصفته على علم ودراية بكل ما يهم (العدو) إلى غير ذلك .

القصد ـ معروف من وراء ذلك ـ فإما السماح له بالعودة إلى داره أو التصميم على القبض عليه وسجنه وهناك ينصدع المعسكر إلى فريقين الفريق المؤيد لأحمد طاهر والفريق المؤيد لربيع علي وربيع علي نفسه مائل في كفة الدولة المتوكلية ، والأمر يكاد أن يكون مجزوماً به بسقوط (ميدي) فقط الموضوع يتوقف على خطة يختصر بها الوقت ويقتصر الأمد ، وهذا هو محور الخطة لعودة يحيى ثابت .

وقد اختار (أحمد طاهر) ما رآه أهون مغبة ـ في نظره ـ وإن كان ليس في الأمر خيار فسمح للمذكور بالعودة إلى داره .

الخـــط الثـــــاني :

بعث الإدريسي بعض المدد فلم يُغْنِ شيئاً وأخيراً أرسل (مدفعاً) قوياً وكان يزوده بالقذائف يومياً في السيارة مع قليل منَ الذخيرة للمقاتلين . إلا أن عبء القتال أصبح على عاتق أهل (ميدي) ولم يجد المدفع في عدة حصون وهو من المدافع التـركية القـديمـة ودارت في الخط الثاني معركة حامية كان الهجوم من الجانب المتوكلي الذي ارتد بعد خسارة تذكر .

وعملت الخيانة والرشوة في المعسكر الإدريسي ما بدد الجمع وفرق الكلمة ومن وراء ذلك (الطابور الخامس) في ميدي ، وأصبح ذات يوم أحمد طاهر لا يجد في المعسكـر إلا أقرباءه الأدنين فاضطر إلى الانسحاب وسحب المدفع إلى ميدي واستعد للقتال في المدينة . وإنما أكثر أهل المدينة وعلى رأيهم ربيع علي وتجارها وعلى رأسهم (إبراهيم شريف رفاعي) قد اتفقوا على إدخال الجيش المتوكلي . وجرت الترتيبات اللازمة وفي ليلة ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م دخل الجيش المدينة وتلقاه غير واحد خارجها ووزعوه في دورهم وتبادل إطلاق النار مع أحمد طاهر وأنصاره .

أحمـــد طاهـر يقـــاتل في المـــدينة :

على أثر عودته استعد في داره وكان معه علي بن أحمد حكمي ، رئيس قبيلة الحكامية وصل لمساعدته ورتب أحمد طاهر أخاه في قصر باصهي المقابل لقصره من الناحية الشرقية وجعل بعض أقاربه في القلعتين الشرقية والغربية وعند دخول الجيش تبادل معهم إطلاق النار من نصف الليل إلى نصف النهار فسلم المدافعون الذين في بيت باصهي وعند الظهر انسحب خارجاً من ميدي ومعه علي بن أحمد حكمي فوصل الموسم ومنه قصد الإدريسي في جازان .

وبعد احتلال ميدي مباشرة احتُلت مدينة (حرض) .

فى الميدان الشرقى :

وفي جميع تلك الأدوار سرى نفس التيار في المنطقة الشرقية الجبلية وفي مرحلة الغزو كان لها نصيبها من الغزو المسلح واقتحم الجيش المتوكلي بقيادة (العوامي) جبل (شذا) وما حوله فثارت ثائرة قبائل المخلاف السليماني على احتلال تلك المرتفعات المطلة على موطنهم ، ومرتاد رعي مواشيهم ، ومنتجع أنعامهم ، فصدر أمر الإدريسي على تلك القبائل بالتقدم لصد المهاجمين وبعث (حسين مصطفى) ليتولى قيادتها وهم :

١ ـ قبائل أبي عريش بقيادة محمد فتح الله إسحاق وأبي عقار .

٢ ـ قبائل المسارحة بقيادة علي بن أحمد فقيهي .

٣ ـ قبائل الحرّث .

٤ ـ قبائل العبادل .

فسار حسين مصطفى وعسكر في (خميعه) و (السلب) ومن معسكره نظم خطة الهجوم على الوجه الآتي :

١ ـ قبائل (الْحُرَّث) من الناحية الجنوبية ـ الجناح الأيمن .

٢ ـ قبائل أبي عريش والعبادل في الجناح الأيسر .

٣ ـ قبائل المسارحة وبني حُمَّد وبني شبيل في القلب .

وتقدم كل من جهته ونشب القتال واستمر ثلاثة أيام وانهزم الجيش المتوكلي ، واستعيد الجبل .

ومضت أيام معدودات وتقدم جيش متوكلي بقيادة شخص يدعى (حميضة) وداهم (بلاد بنى الْحُرث) وبلغ فى تقدمه قرية (قَوًّا) وتنادت قبائل (الْحُرث) و(المسارحة) وتقدمت لصد المغيرين من كل جانب فتراجع الجيش المهاجم بعد أن تكبد خسائر في الأرواح وقتل قائده (حميضة) .

نظـــرة ســــريعــة :

أشرنا قبل أنه بعد محاولة إلقاء القبض على الإدريسي ـ في ليلة الاحتفال ، المار ذكرها ـ أصيب بعقدة نفسية أثرت على مجرى حياته وأخذ أثرها يتزايد مع مرور الأيام وصادف أنه لمس من بعض مماليكه الإخلاص والاستعداد للتضحية ـ إن لزم الأمر ـ في تلك الليلة . فخطر له من حينها اقتناء عدد منهم يكون بمثابة حرسه الخاص فاشترى واستقبل من التجأ إليه فاراً حتى زاد عددهم على المائة فسلحهم بأحسن مالديه من سلاح ووسع عليهم في المصروفات حتى إذا أخذ معين إيرادات الدولة في النضوب باقتطاع اليمن للقسم الأوسع والأخصب لم يجد ما يقوم بسد ما يعتادون فأخذوا في انتشال ما تصل إليه أيديهم ثم تمادوا إلى مهاجمة حوانيت الباعة في (جازان) والسطو العلني .

الخنـــــدق :

وفي أثناء احتلال اليمن شعر من الناحية الأخرى أن عمه يتحفز للوثوب ومهاجمة (جازان) وإبعاده عن إمامته فقام بحفر خندق حول مدينة (جازان) لحماية نفسه بزعمه ـ وكأنه قانع من ذلك الملك المتسع بمدينة جازان .

وساق العمال للحفر من الناحية الجنوبية (العشيما) مبتدئاً من شاطىء البحر متجهاً شمالاً ومن الناحية الشمالية ابتداء من الشاطىء الشمالي عن (المطلع) ولا تزال آثار ذلك الخندق بقسميه ماثلة إلى هذا التاريخ .

الـورشـــــة :

وقـام بتشييد عمارة في جهة (الجيلي) [1] على الشاطىء ، كمصنع لإصلاح السـلاح وتبديل الخراطيش وتوقف لعجزه المالي وظروفه الحرجة عن موالاة إتمامها وهي على مستوى العقود ـ وقد ظلت على تلك الصفة حتى ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م فسقفتها الحكومة وجعلتها مدرسة ابتدائية وقد جددت بناءها في عام ١٩٧٢ على الصورة الراهنة ـ وتكاليف حفر ذلك الخندق وعمارة ما أراده مصنعاً استغرقت ما تبقى من صبابة مال .

---

(١) الجيلي : اسم كان يطلق على الشريط الممتد من الزاوية الجنوبية للجبل إلى ما يقرب من بيت البسام حالياً ومن الشط إلى سفح الجبل نفسه وفى هذا الشريط تقع الآن مدرسة متوسطة معاذ بن جبل وفي جانبه الجنوبى مركز خفر السواحل . جرى التنبيه .

رجال الدولة المبعدون :

أبعد علي الإدريسي الوزراء ورجال الدولة إلى (عدن)ـ كما سبق الإشارة إلى ذلـك ـ وقـد كان على يحيى زكـري حكمي دين تجـاري كنتيجة لانهيار أسعار (الجلود) بعـد الحرب العظمى الأولى للتاجر العدني محمد بن محسن الصافي ويقال : إن الصافي قطع التعامل مع (الزكري) ولم تستأنف العلاقة التجارية بينهما مما يساعد على إنعاش أحوال الأخير المالية والرجل له مركزه في الدولة الإدريسية فظل الصافي يطالب ـ بطريقة المكاتبة ـ الفينة بعد الفينة في دينه المنكسر والدين جسيم بالنسبة للقيمة الشرائية ـ لذلك العهد ـ ولا يعينه على الأخذ في سداده إلا استئنافه للنشاط التجاري وليس لديه سوى عقار زراعي هو كسب العمر ومورد لسد وتغطية مصروفاته الكثيرة وما يترتب عليه من واجبات في مجتمعه ، لذلك أخذ في الاعتذار المهذب .

وجاء أمر الإبعاد فتردد (يحيى زكري) في السفر إلى (عدن) خشية من مطالبة ذلك (الغريم) وكتب للصافي من أراد التوسط ووعد الصافي وعداً يفهم منه أنه لن يقاضي (الزكري) أو ما هو في معنى ذلك من كلام يدل على التطمين بدون وعد قطعي . وتـوجـه الـزكـري ، مع رفقائه إلى (عدن) وهناك أثيرت المسئلة لا في محكمة (عدن) وإنما في جو خاص وسوي الموضوع بواسطة رفقاء الزكري لصالح (الصافي) ـ طبعاً ـ ظاهراً ـ حفظ كرامة الرجل والحرص على سمعته ـ وحقيقتها حجز جميع ممتلكاته ونقلها إلى ملكية الصافي ماعدا ثلاث مئة معاد أو ماهو في حدودها تبقى للعائلة ويبقى العقار خلال حياة الزكري تحت يده ـ وقيل إن محمد يحيى باصهي مالاً كثيراً الصافي في تلك التسوية وأثرا على بقية الرفاق حتى أثروا بدورهم على (الزكري) ورضخ لتلك التسوية ووقع رفقاؤه على الوثيقة بشهادتهم كما وقع هو وسجلت في سجل محكمة (عدن) .

مكث أولئـك الـرجـال في (عـدن) بضعـة شهـور وهم يتـرقبـون أحـداث وطنهم ويستشفـون مستقبله القـاتم بعين القلق وتـواردت الأخبار الأولى بالتسلل المتـوكلي الـوئيد ـ أولاً ـ وبـوادر المـرحلة الثـانية الجـارفـة ثانياً . ويظهـر أنهم

لمسوا من إغضاء الإنكليز ما أرابهم فارتحلوا إلى المستعمرة (الإيطالية) مصوع ثم (أسمرة) وزاروا الحاكم العام للمستعمرة زيارة مجاملة والحاكم يعلم من هم بالنسبة إلى الدولة الإدريسية ولإيطاليا مطامعها الإستعمارية ـ آنذاك في الضفة الشرقية للبحر الأحمر عامة والمخلاف السليماني خاصة ولمس الحاكم السياسي من نزاهتهم ووطنيتهم ما يباعد بينه وبينهم وظلوا في ما بين (مصوع) و(أسمرة) ـ تقريباً ـ نفس المدة التي في (عدن) التي عادوا إليها ، وهم في طريقهم إلى مستعمرة جزيرة كمران ليكونوا بالقرب من الوطن وبنجوة من أخباره ، في الوقت الذى تغلغل فيه الجيش المتوكلي إلى (حبل) وافترقت الآراء ففريق [1] بحكم ميله المذهبي أو نزعته السياسية أو مصلحته الخاصة رجح النزول في (اليمن) ومن هناك ومع طلائع الزحف تكون عودته إلى الوطن .

وآخر بحكم نزعته المعتدلة ومذهبه السني وعلى رأسهم [2] وزراء الإمام السابق آثروا النزول في الحدود السعودية ـ آنذاك ـ أو على مقربة منها .

الحمـــلة علـى صـــامطة :

بعد أن وطدت الحكومة المتوكلية أقدامها في بلدة (حرض) أعدت العدة لاعداد حملة قوية لاحتلال صامطة ومنها إلى (أبي عريش) فـ (ضمد) وقد أخذ التمهيد لسير تلك الحملة طريقه وكان قائدها (القاضي بن سعيد) يساعده شيخ قبيلة الخميسين محمد على الخميسي ، يرافقها علي بن أحمد الحازمي وابن منصور وأحمد أبو مسمار من كبار أشراف (وعلان).

وصلت الحملة إلى (صامطة)ـ وكادت أن تنجح في المرحلة الأولى من خطتها المرسومة ـ وبعد أن رتبت أمرها في (صامطة) أخذت في موالاة الزحف شمالاً . بيد أنها بعد خروجها من صامطة إلى (الخبت) الشمالي . شعرت بتجمعات القبائل حول طريقها والوقوف في وجهها .

---

(١) منهم محمد بن حيدر القبي ومحمد طاهر رضوان وهو قد كسب أراضي زراعية في اليمن ـ وعلي بن أحمد الحازمي وغيرهم .

(٢) ومنهم يحيى زكري وحمود بن عبد الله سرداب ومحمد يحيى عوض باصهي وغيرهم .

المعـــــركـة :

وتسامع قبائل جنوب المخلاف السليماني من (المسارحة) و (بني شُبيل) و(بني الحرَّث) بدخول (بلدة صامطة) وممالأة البعض من (بني حُمَّد) وبعض (بني شبيل) مع الجيش الزاحف الذي عزم على التقدم شمالاً فدفعتهم الحمية وغريزة الدفاع عن النفس للوقـوف لصـده وتجمعوا في شمال (صامطة) وكانت (معركة) ضارية ترتبت على نتيجتها ارتداد الجيش المتوكلي مهزوماً إلى صامطة بعد تكبده خسائر جسيمة واحتمى بقلعتها وضرب عليه نطاق الحصار .

وأما أحمد بن علي الحازمي فبعد الهزيمة انصرف يريد أخواله من عشيرة القضاة من (بني شبيل) فقتل قرب قرية (الجرادية) تغمده الله برحمته .

واشتـد الحصـار على المعتصمين بقلعـة (صـامطة) فأرسلت نجدة قوية من (حـرض) وعلى رأسهـا منصـور بن حمـود أبـو مسمار وهو من الأبطال المغاوير فاعترضها رجال القبائل وشتتوا شملها وأثخنوا في رجالها قتلاً وتمثيلاً وقتل منصور أبو مسمار في المعركة ونجى فلولها بكل جهد إلى حرض . أما المحصورون في القلعـة فبعـد كل جهد وعناء تمكنوا من الخروج عائدين إلى (حرض) وفي أثناء الحصار قتل سيبان شراحيلي [1] شيخ قبيلة بني شراحيل من بني (الحرث) .

صـــــراع :

كانت معركة صامطة دائرة والصراع على أشده بين الإمام علي وعمه الحسن - ولنسبق ذلك بوقت يسير - لنستعرض آخر مراحل الصراع العائلي بين الإمام وعمه .

بعـد سقـوط (ميدي) و(حـرض) فار غليان المـرجـل وطفـح الصـاع بكيله

---

(١) دفعت غريزة أخذ الثأر ابنه على سيبان شيخ بنى شراحيل حالياً فى الدخول إلى اليمن فى عام ١٣٤٦ متسللا حتى تمكن من قتل أحد أقارب شيخ الخميسين بثأر والده وكر راجعاً إلى بلده وبينه وبين الخميسين مسافة أربعة أيام للمجد داخل حدود اليمن .

فالتف أهل المخلاف حول الحسن الإدريسي وحثوه على النهوض لتلافي البقية الباقية من تلك الإمارة المنهارة والحق الضائع وشعر هو بأن دور ابن أخيه قد انتهى وأنه أصبح على شفا الهاوية بدوره فأخذ في العمل الجاد .

وصـول الزعيم الإســلامي أحمـد الشــريف السنــوسي :

وصل الزعيم المجاهد أحمد شريف السنوسي (إلى جازان) بطريق الحجاز وقد رجا أن يسعى بالوساطة بين الإمام وعمه بغية تلافي البقية الباقية من المجد الضائع إلا أن جهوده ذهبت هباء إزاء طيش (علي الإدريسي) ويقال إنه في آخر عودة لأحمد الشريف السنوسي من جازان إلى (صبيا) وكان يرافقه عبد الوهاب الإدريسي أطلق عليهما المدفع تخويفاً بعد ساعة ونصف تقريباً من مغادرتهم المدينة .

الوســـاطـة السعــــودية :

أشرنا فيما تقدم - إلى العلاقات الإدريسية السعودية التي ارتفعت من الصداقة إلى الوصاية - وهنا نلمس لتلك الصداقة القديمة والوصاية بعض ثمارها ونتائجها فنلاحظ أنه بالرغم عن ضم اليمن لنصف تلك المملكة وما اعتراها من الضعف والانهيار فإن السعوديين - مع ما حازوه من انتصار في (عسير)- أولاً - وفي (الحجاز) ثانياً فإنهم لم يحاولوا التعرض لأحوال الأدارسة أو الجهات التابعة لهم - آنذاك - وعنـد تفـاقم الحالة ووقوع النزاع بين الإمام وعمه بعثت الحكومة السعودية وفداً برياسة (محمد بن دليم) ليحاول إصلاح ذات البين . وفعلا بدأ الوفد اتصالاته إلا أن تزايد التوتر واشتداد الخلاف أوقف مساعي الوفد فظل يراقب الحالة عن كثب حتى إذا تمكن الحسن من الفوز غادر الوفد البلاد عائداً إلى عسير .

الانقـــلاب النـــاجـح :

أخذ الحسن الإدريسي في استدعاء الأنصار والأهبة والاستعداد والتحفز الجاد واتصلت أخباره بابن أخيه فحاول وأد الحركة في مهدها بإرسال قوة إلى (صبيا) فلم تمكنه الأحوال فأمر (العبيد) بمهاجمة (صبيا).

حمـــــلة العبيـــــد :

تقدم العبيد وعندما وصلوا (السلام) شعروا بمتخطفة القبائل تحوم حولهم من كل جانبٍ فوالوا سيرهم على حذر واحتراس وبين (الغرا) و(الباحر) اشتبكوا في مناوشة مع أنصار (الحسن) المتربصين لهم فقتل فيها أحد (العبيد) فانهزم الباقون إلى جازان .

حصـــــــار :

بعد ذلك تقدم أنصار الحسن لحصار (جازان) فاستدعى الإمام علي أهالي أبي عريش واستنهضهم لحمايته فأقبلوا إليه وأخرج (العبيد) إلى قرية (المعبوج) لطرد بعض الجيش المعسكر فيها فعادوا مهزومين وعلى أثره تمكن أنصار الحسن في داخل المدينة وعلى رأسهم فتح الدين عقيلي من إقناع محمد جبريل شيخ مشايخ أبي عريش وأصحابه بعدم جدوى القتال بينهم وبين إخوانهم ومواطنيهم فانصرفوا عائدين .

وعلم الحسن بنجـاح المسعى وأن المـدينـة خالية من المـدافعين وفرار أكثر (العبيد) فقرر مهاجمة المدينة وعندها ركب علي سفينة شراعية إلى فرسان فدخلها جيش الحسن ، ثم دخلها هو بالذات في اليوم الثاني يرافقه أحمد شريف السنوسي الزعيم الإسلامي المعروف فاتخذ بعض الإجراءات وقبض على بعض رجال ابن أخيه وأقام نائباً عنه في المدينة ثم عاد وبرفقته أحمد الشريف السنوسي إلى صبيا .

الفصل الرابع عشر

الحسن الإدريسي

بايع له بالإمامة كل رجال القبائل الذين دخلوا معه (جازان) وبعد أن مكث بها أياماً عاد إلى (صبيا) وكان الإمام السابق في فرسان فعمل بواسطة السنوسي الإدريسي على استمالته للعودة وعاد إلى (جازان) ومنها طلبه إلى (صبيا) وهناك استدعى رؤساء القبائل الذين لم يبايعوه ـ كرؤساء أبي عريش الذين كان ميلهم مع (علي) وكرؤساء المسارحة وبني شبيل وبنى الحرث المشتغلين في أثناء دخول (جازان) بالدفاع عن صامطة .

وبوصولهم إلى صبيا عقد اجتماع عام ضمهم جميعاً مع غيرهم وأجلس ابن أخيه (الإمام السابق) بجانبه وخطب فيهم شارحاً الحال ملمحاً لهم بأن ابن أخيه تنازل عن الأمر وطالباً منهم إعطاء البيعة له . وانتهى الاجتماع بمبايعته وطلب الإمام السابق من عمه الإذن بالتوجه إلى كمران فأذن له ومنها توجه إلى عدن وبعد أن مكث بها مدة قصد رحاب جلالة الملك عبد العزيز السعود .

مطامع إيطاليا[1] :

إن إيطاليا لها مطامع استعمارية منذ احتلت مستعمرة (مصوع) وقد أشرنا إلى علاقتها بمؤسس الدولة الإدريسية وانتهت تلك العلاقات بدون أن تظفر بمغنم . وظلت لها مطامع تحوم حول اليمن عامة والمخلاف السليماني

---

(١) كانت رسل إيطاليا تصل إلى صبيا ومنهم شخص يدعى «محمد عمر» من أهل مصوع كما وصل شخص تركى اسمه جمال ، ويقال إنه يعرف باسم جمال الصغير تمييزا له عن جمال باشا جزار سوريا الذى كان معه فيها ، وصل جمال إلى صبيا وانتحل شخصية طبيب تغطية لمهمته وجلب أدوية وكان يقوم بالتطبيب والمعالجة ، وبعد وصول المندوب السعودى ـ الذى هم بإلقاء القبض عليه فر ـ ويقال أنه أنذر من أحد أصدقائه بأن أرسل له إشارة صغيرة تتضمن الآية «إن الملأ . . . . . . » فحالا غادر صبيا تحت جنح الظلام .

خاصة بعد استيلاء (الإمام يحيى) على أكثر البلاد أنشأت علاقات اقتصادية وتقربت كثيراً من جلالته إلا أنه من بعد النظر وعمق السياسة بحيث عرف كيف يتوخى الاستفادة بدون أن يمكنها من تحقيق غاية من غاياتها وشعرت بموقف الأدارسة المتضعضع فوالت رسلها مذكرة بالصلات القديمة بينهم وبين الإمام الأسبق ملوحة بمد يد المساعدة وغير ذلك مشيرة بأن الصداقة الإيطالية خير ما يكفل لتلك الدولة المتضعضعة البقاء ويجدد لكيانها الواهي الحياة ، من شتى وسائل الإغراء المعروف بسلوكها الاستعماري لوقوع الإمارات فى شركه وأحابيل استعباده ، وفي تلك الأثناء بعثت بهدية للحسن سيارة (فيات) وكاد أن يميل لجانب دعاتهم إلا أن المجاهد الإسلامي أحمد الشريف السنوسي ـ الذي كان في زيارته ـ نصحه وحذره وأشار إليه عندما شكى عليه حالة الضعف وفقر الدولة وعدم وجود السلاح واستيلاء (اليمن) على جبل (شذا) [1] بأن يطلب الحماية السعودية نظراً لما بين الأسرتين من الصداقة التقليدية فكانت النتيجة بأن طلب منه السفر إلى (الحجاز) وفوضه في عقد معاهدة الحماية وفعلا توجه وكان الواسطة في عقد اتفاقية الحماية التي عرفت بمعاهدة (مكة) التي تقدم نَصُّها .

رجـــوع الـــوزراء المنفيـين :

في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م عاد كل من (محمد يحيى باصهي) و(يحيى زكري) و(حمود بن عبد الله سرداب) إلى صبيا ، وقد أشرنا قبلُ إلى نزولهم في أحد الموانى القريبة من الحدود السعودية وبعد تجوالهم في بلاد رجال ألمع عادوا إلى الوطن فاستقبلهم بمظاهر الاحتفاء .

ثـورة قبـــائل بني مروان وعبس :

بعـد نجـاح ثورة الحسن الإدريسي وتـوجـه الإمـام السـابق علي الإدريسي إلى عدن اتصلت رسله من هنـاك ببعض مشـايخ بني مروان والمجـاورين لهم وصـادف قبـل ذلـك بيسير أن بعض أهـل ميدي ـ الـذين خرجـوا عند احتلالها

---

(١) استولت الحكومة المتوكلية على جبل شذا في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

إلى (الموسم) بالاشتراك مع قبائل بني شبيل أخذوا في قطع الطريق وتعرض السابلة بين ميدي وحرض . مما أوجب على تجار ميدي إخبار أصحابهم في عدن بالتوقف عن إرسال البضائع .

فتضافرت تلك الأسباب مع ولاء قبائل تلك الجهة وعهدها القريب بالطاعة للأدارسة مصادفة وصول خادم الإمام الإدريسي السابق الخاص إلى ميدي والإشاعة التي راجت بأن الإمام السابق طلب من الإمام يحيى السماح له بالنزول في ميدي ـ أو اللحية . فثارت قبائل بني مروان وعبس وغيرها على حكومة اليمن ، وتقدمت بعض قبائل ميدي على رأس رئيسها أحمد طاهر إلى قرب ميدي إلا أن «العرشي» تمكن من مهاجمتهم وإرغامهم على العودة من حيث أتوا . أما قبائل بنى مروان فقد ساق لها الإمام يحيى قوة أخمدت حركتهم في مهدها وقامت قبائل عبس على رأس شيخها محمد الشوكاني إلا أن قوة الإمام قضت على حركته ، فانسحب إلى صبيا ومنها توجه إلى الحجاز والتجأ إلى الحكومة السعودية .

عصيـــــان الحـــــرث :

في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م وقع عصيان من قبائل الْحُرَّث ونشب القتال بينهم وبين المسارحة فساق إليهم الإمام الحسن قبائل المسارحة والعراشية والشبالية فاستسلم الحرث وعادوا إلى حظيرة الطاعة وحبس بعض مشائخهم مثل (الكرس) وأبى عقيلة فى سجن صبيا وبعد مكثهم مدة في السجن فر أبو عقيلة وتجدد الخلاف من بني الحرث فبعث الإمام الحسن بجند لإخضاعهم بقيادة (أحمد بن محمد الحازمي) [1] فعسكر في « أم القضب » فهجم الحرث مباغتة على المعسكر وكان من جملة القتلى علي بن أحمد إدريس شيخ المسارحة وعاد القائد الحازمي إلى صبيا .

جـــــزيرة زفـــــاف :

في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م عاد مصطفى الإدريسي ، من مصر إلى صبيا

(١) هذا ما استفدناه من رواية يحيى بن محمد حسن عطيف شيخ قرية الحصامه .

لزيارة الإمام الجديد وهذه العودة الأولى بعد مغادرته البلاد عقب ثورته على الإمام علي ـ وكان يحمل معه صورة عقد اتفاقية باستغلال نفط بجزيرة (زفاف) مقابل شروط وهمية لا تحقق ربح من مكاسب الإنتاج ووصل معه بنحو ستين صندوقاً من خراطيش البنادق القديمة وعرف كيف يتمكن من إقناع ابن عمه في الاتفاق مع الشركة الإنكليزية ، وفعلا باشرت إنزال معدات الحفر وقامت ببناء بعض المساكن للموظفين إلا أن تلك الاتفاقية كانت بعد معاهدة (مكة) وقد تنبهت الحكومة إلى ما وراء تلك الاتفاقية من الاستغلال الاقتصادي والضرر السياسي فأشعرت الشركة بعدم شرعية الاتفاقية فطمرت الشركة الآبار المحفورة التي باشرت حفرها متعللة أن كمية النفط غير تجاري وحزمت أمتعتها وغادرت البلاد إلى غير رجعة .

حمـــلة الحقـــو :

قتل رجلان من أهل الحقو أحمد بن محمد بن أحمد عقيل حكمي في طريق أبي عريش ـ صبيا ، وفر القاتلان . فبعث (الإمام) رجاله إلى (الحقو) للقبض على القاتلين فتمنعَا بمساعدة قبائلهما ـ بالطبع ـ فنهض بنفسه واستنهض كافة قبائل (المخلاف) ووالى سيره إلى (أم الخشب) ومنها إلى الحقو التي اقتاد شيخها (غانم ابن مفرح) رهينة في القاتلين الذين اعتذر الشيخ وقبيلته بفرارهما ومكث (غانم) أياماً في صبيا ـ محدد الإقامة في بيت باصهي ثم أطلق سراحه .

مجـــاعة :

وفي تلك السنة وقعت مجاعة ضارية وعدم الطعام ـ الذرة ـ الذى هو عماد القوت في البلاد وفي البوادي وجلبت الحبوب من الهند عن طريق (عدن) وكان أكبر الموردين لها (محمد يحيى باصهي) وقام بدور إيجابي في تخفيف تلك الضائقة بما كان يبذله من الصدقات كما قام غيره بقدر جهودهم المحدودة لأن تجارة المنطقة كاد أن يتفرد بها باصهي في ذلك التاريخ واستمرت طيلة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م والبعض من عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م .

أول منـــدوب سعـــودي :

في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وصل أول مندوب سعودي [1] إلى المنطقة وكان وصوله برًّا عن طريق عسير واستقبله رجال الإدريسي خارج المدينة ودخل في موكب يحف به المستقبلون إلى القصر الإدريسي فسلم على الإمام الحسن وأعد له بيت (حسن عابدين) وبعد أن أقام أياماً بصبيا اتخذ (جازان) مركزاً لدائرة الانتداب .

وفـــد إدريســـي :

وفي أول عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٧م[1] توجه وفد إدريسي إلى (الحجاز) مؤلف من محمد يحيى باصهي ومحمد الأمين الشنقيطي وعلى إبراهيم بن عطيف وفي أثناء إقامتهم بالطائف أصيب الأخير بمرض الجدري فانتقل إلى رحمة الله وبعد انتهاء مهمتهم توجه (باصهي) إلى مصر لمعاجلة عينيه وعاد الشنقيطي إلى صبيا .

وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وصل عبد الله بن ختلان مندوباً سامياً خلفاً لسلفه صالح بن عبد الواحد وفيها استولت الحكومة اليمنية على جبال منبّه والعرّ وما جاورهما .

مخـــالفة أبـي عـــريش :

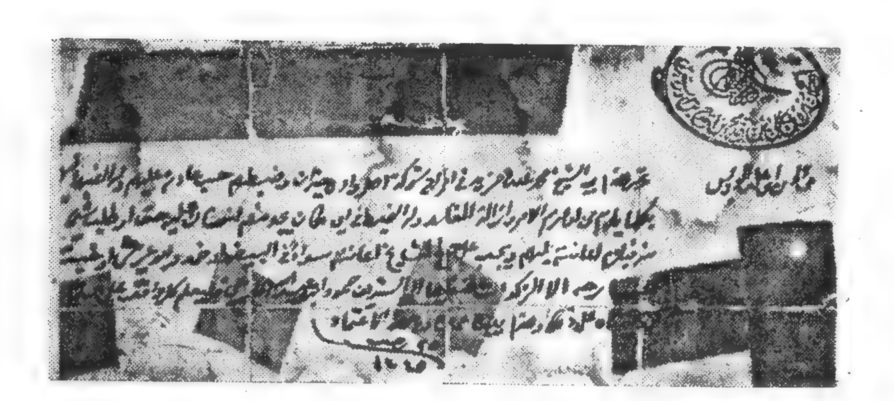
رأى الإدريسي نقـل عامـله (عبـد الله الـعتمي) من (قنـا والبحـر) إلى أبى عريش فنقله وكـان قد اختـل الأمن في المنـطقة الجنوبية فأخذ العامل في تركيز السلطة وتـدعيم الأمن وتـوسيع دائـرة عمله كوسيلة لضمـان الاستقـرار فاستحصـل على صلاحيات من الإدريسي وبـاشـر سلطتـه فاستـدعى رؤسـاء المســارحـة والحكـامية وغيرهم وألـزمهم بتقـديم رهـائن فلبَّى أكثـرهم كارهين ثم سجن حسين أمحه شيخ مشايخ المسارحة . ثم على أثر ذلك أخذ في تعقب

---

(١) هو صالح بن عبد الواحد .

(٢) اعتمدنا فى تاريخ سفر هذا الوفد على جواز سفر محمد يحيى باصهي الذى تكرم بإمدادى به الأخ يحيى محمد باصهي .


بسم الله الرحمن



وثيقتـــان مـن عهــد الإدريســي

من يبلغه عبثه بالأمن من فتاك المسارحة وغيرهم فمليء السجن بمن تحوم حولهم الظنون واشتد في محاولة تطبيق إجراءات إدارية تضايقت منها العامة وشايعه عليها الخاصة وكان يعول في اجراءاته على تأييد المعتدلين من رؤساء أبي عريش [١] فكان لذلك رد فعل لدى الأكثرين وصادف عند اشتداد الأزمة أنه توجه إلى «صبيا» لبعض مهام مركزه وعندما عاد تجمهر أكثر أهل المدينة وأنذروه بعدم دخولها فعاد إلى «صبيا» وأخبر الإدريسي بالواقع وبعد أن أرسل رسولاً ينصح الثائرين [٢] ولم يجد النصح استدعى شوكات القبائل وسيرهم بقيادة العتمي ثم توجه الإدريسي نفسه إلى (الواصلي) وانتهى الخلاف بعودة العامل إلى عمله والقبض على رؤساء المعارضة وسجنهم في صبيا .

وفي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م زار المنطقة الرحالة يونس البحري الصحفي العراقي في طريقه إلى اليمن .

مرت سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م والأحوال في هدوء نسبي والأمن يتخلله نكسات محلية من تعديات فردية من بعض متشيطنة القبائل فقد قتل شخص في داره بـ (صبيا) اسمه سالم الحضرمي وقبض على قاتله والأسباب شخصية كما قتل في صبيا إبراهيم بن فتح الدين من رجال عهد الإمام الأسبق واتهم به ابن أخيه وفر المتهم وكان حمل السلاح ضرورة حتمية تقتضيها ضرورة الدفاع عن النفس للمسافر من بلدة إلى أخرى .

واستهل عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨م وفي خلالها وصل حمد الشويعر مندوباً سامياً خلفاً لابن خثلان فاتخذت الحكومة السعودية بموجب معاهدة (الحماية) خطوات إيجابية اقتضتها ضرورة إقرار الأمن والمساعدة العملية للإدريسي فأناطت الأمور الإدارية في أغلب المنطقة بأناس من رجال المندوب السامي على أن يكون مرجعهم الإدريسي نفسه وإنما بطبيعة الحال أن الرجل المعين من جهة ما

---

(١) جبريل بن محمد بن جبريل شيخ عموم أبي عريش ، وهادي صائغ المركز اليماني وعمر بن علي الخواجي ـ المشهور بالأقصم .

(٢) وأشهر متزعميها علي أمجنادي بن محمد جبريل ويوسف حرب ومحمد فتح الله إسحاق ، من رواية محمد فتح الله إسحاق .

يعتبر جهة تعيينه هي مرجعه الحقيقي وبالرغم عن التوصيات من الحكومة السعودية لرجالها بأخذ خاطر الإدريسي واتباع إرشاداته والسير بالرفق واللين إلا أن الانسجام في تلك المرحلة شأن كل مرحلة في الخطوة الأولى ـ كان غير كامل وعزل المندوب غير واحد من أولئك العمال وأبدلهم بغيرهم تحرياً للعدل وتمشياً مع سياسة التقرب ونزولاً على رغبة الإدريسي .

أضف إلى ذلك أن إيرادات الدولة شبه ناضبة الموارد فليس هنا مورد رئيسي غير (الجمارك) على طريقة عادية من أخذ رسم معروف على الوارد أو الصادر في كل من (جازان ـ القحمة ـ المضايا) يسود جبايتها الفوضى ويعوزها الرقابة الفعالة والنظام المقنن المفروض من سلطة مرهوبة وحتى على تلك الصورة العادية كثيراً ما يعترض أعمال الجمارك تهريب البضائع من الرسم الضئيل بالتهريب المسلح في كل من (القحمة) لرجال ألمع ومن (المضايا) لداخل المنطقة فساء الوضع المالي وترتب على ذلك مضايقة . وقد كانت الحكومة السعودية قررت صرف إعانة شهرية للإدريسي لسد العجز فأصبحت بعد تدهور الحالة ـ كما وضحنا غير كافية ـ مما استدعى الأمر لبعث لجنة مالية لدرس الوضع وترتيب وتنظيم شئون (الجباية) ثم تلاها مدير للمالية هو حمد العبدلي وانتهى الوضع بتقرير صرف مبلغ شهري للإمام الحسن الإدريسي لمقرراته الخاصة وعوائد من يلوذون به .

وفي نفس تلك السنة أخذت المخابرة دورها بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى بشأن جبل (العُرّ) وجبل (مُنَبّه) التي استولت عليها اليمن وهي من الأرض التي تحت الحماية السعودية ووصل وفد سعودي برياسة فهد بن زعير كما وصل وفد يمنى برياسة (عبد الله العرشي) وتم اجتماع الوفدين (بأبي عريش) ولم يتفق الوفدان على ما يحسم الخلاف فالوفد السعودي الإدريسي يتمسك بحقه في ملكية الجبل بحكم أنه جزء من أراضى الدولة الإدريسية الداخلة تحت الانتداب السعودي وحكومة اليمن تدعى بمثل ذلك ورفع الوفدان كل لمرجعه فَحَكَّمَ الإمامُ يحيى جلالةَ الملك (عبد العزيز) في الأمر فرأى جلالته حسما للخلاف التنازل عنها لليمن وبذلك حسم الأمر .

كما اعترف الإمام يحيى بموجب حسم ذلك الـ حلاف .ـ (فيفا) وبني مالك وغيرها من الجبال السعودية الإدريسية آنذاك .

الكـــــــدرة :

وفي تلك السنة قام محمد يحيى باصهي بإحياء أرض (الكدرة) في (بيش) وتقع شمالاً من قرية (أم الخشب) وبصفتها أرض شجراء غير مملوكة وتعد ضمن منطقة قبائل بيش فقد عمل على الإيعاز إليهم باقتسامها بحيث يعرف ما يتفق عليه لكل عشيرة من (مساحة) وأن يعطى ـ هبة ـ من عموم أهلها أربعون معاداً قِبْلَه في طول الأرض التي تحد بطريق الحاج وبذل لهم الجزيل ـ أو بالأحرى لوجهاء ورؤساء بيش ومن ثم قام بمشترى ما يخص كل فريق وأخذ الوثائق الشرعية وتقدر مساحتها بحوالي (٤٠٠٠) معاد وبعد أن تمت صفقة أرض الكدرة . بعث [١] الإمام الحسن لشيوخ (بيش) وطلب منهم التأييد على هبة أرض الحضن بصفته داخل ضمن هبة أرض (الـرزنة) الملاصقة له من الغرب ونقدهم بعض العطاء فوافقوا على ذلك وتحررت الوثيقة اللازمة .

---

(١) أفادني بذلك شيخ قرية مسليه الشيخ مروعى هملان .

الفصـل الخـامس عشـر

ابن سعـــود والأدارســـة

أشـرنـا فيمـا تقـدم إلى العـلاقـات القـائمة بين سلطان نجد عبد العزيز بن عبـد الرحمن السعود ، وإمام تهامة عسير محمد بن علي الإدريسي ، في عهده الأخير إلى أن أدركته الوفاة واستمرار رعاية السلطان عبد العزيز لأسرته بعد ذلك .

ومـا ارتآه الإمام الحسن الإدريسي بعد أن رأى انتقاص إمارته من ناحية جاره الإمام يحيى ، واستيلائه على نصف تلك الإمارة من جبال (عُبال) إلى مدينة (مَيْدي) .

وزيادة على ذلك ، المطامع الإيطالية وما تحوكه من الدسائس ، وما تقدمه من الإغراءات من مستعمرتها الأفريقية الأريترية وميناثها (مصوع) ومنها اهداؤها سيارة (فيات) وبعض الهدايا الأخرى .

في أثناء ذلك والفتنة قائمة بين الحسن وابن أخيه علي ، وكان القائد مصطفى النعمي عاملهم في بلاد رجال ألمع ، قد فصل من عمله بالقاضي عبد الله العتمي فالتجأ إلى إمـارة أبها السعودية ، ثم توجه إلى السلطان عبد العزيز [1]ـ الملك عبـد العزيز ـ أثناء حصاره لمدينة جدة ، بصفته من رجال الإمارة الإدريسية ومن زعمـاء المنـطقة البارزين ، وقد هاله وغمه انتقاص الإمام يحيى لنصف الإمارة الإدريسية الجنوبي ، وما يهدد النصف الشمالي الآخر من المُوَسَّم إلى الْبِرْك .

---

(١) أشرنا قبل إلى نفي وإبعاد «على الإدريسي» لرجال دولته ، وأنه طلب مصطفى النعمي عامل بلاد «رجال ألمع» فاعتذر وماطل وسوف ، فأرسل «الإدريسي» عبد الله العتمي بدلا عنه وأمره بالتسليم ، فسلم ما تحت يده وتوجه إلى (أبها) لأنه يتخوف إن عاد إلى وطنه من إلقاء القبض عليه .

فوصل إلى مُعَسْكَر الملك في ضواحي مدينة (جدة) وشرح له أحوال وطنه الإمارة الإدريسية وما انتقص منها ، وما يهدد باقيها ، وما عليه المنطقة من الفوضى وقلة الأمن ، ورجا من جلالته عملا بالصداقة التي بينه وبين مؤسس الإمارة الإمام محمد ابن علي الإدريسي مذكراً جلالته بعد ذلك بالوصية من الإمام الراحل لجلالته بتوصيته على إمارته وخلفائه من بعده، ويرجوه التدخل لوقف الزحف والقيام بما يراه من التدابير لرد كيد المطامع وقطع دابر المؤامرات ، والأخذ على يد المفسدين والعابثين بالأمن في الداخل ، وأشار إلى جلالته بأن ذلك لا يتم إلا بإرسال قوة من الجيش السعودي ـ إن رأى جلالته بعد الاتصال بالإدريسي في المنطقة ورجال الجهة ـ كما أعطاه بياناً بأسماء ما يزيد على ستين اسماً من أسماء أعيان ووجهاء ورجال المنطقة وشيوخ القبائل ليكتب لهم رسائل ـ جواباً لمن وصل الملك منه رسالة بطلب التدخل وابتداء بمن لم تصل منه رسالة . فأمر الملك بكتابة الرسائل وتسليمها إلى مصطفى النعمي ليحملها إلى أمير أبْها ، ويتشاور معه في كيفية إيصالها إلى ذويها . وهذا نص الرسالة الموجهة إلى أولئك الأعيان والوجهاء والمشايخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأخ الشيخ /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام :

بعد ذلك معلوم أن طول هذه المدة يجيئنا منكم مكاتيب ، ووصايا ولكن ممتنعين بموجب القرار الذي بيننا وبين الإدريسي .

وبهذه الأيام تبين لنا عدم التفاته من جهتكم ، ويجب تدخلنا في أموركم ، ونحن نعلم أنكم مُدَورة عافية ، وسكون حال ، حبينا تعريفكم أننا مقدمين جند من المسلمين لأجل تأمين الناس ، وإصلاح البلاد ، فالإنسان الذي راغب في ها الأمر الله يحيِّيه ، ويكتب مبايعته وطاعته ، ويرسلها على يد أميرنا عبد الله بن عسكر ، والإنسان الذي عنده غير ذلك فجلبه إلى السمع والطاعة سهل ، بتوفيق الله وتيسيره .

ولكن أملنا بالله أنكم أزود فيما نظن به ، وحبينا تقديم هذا الكتاب لتكونوا ويكون جندنا على بصيرة . أرجو الله أن يوفقنا واياكم لما فيه الخير والصلاح هذا ما لزم نعرفكم والسلام . (الختم)

حمل الرسائل مصطفى النعمي وسلمها لأمير أبها عبد الله بن عسكر مع خطاب خاص لابن عسكر يأمره باستلام الرسائل والاطلاع على مضمونها والتشاور مع مصطفى النعمي في كيفية إيصالها إلى من وجهت إليهم والطريقة الكفيلة بإيصالها ، واختيار الشخص أو الأشخاص مع التوصية برعاية مصطفى النعمي وإكرامه والأخذ بمشورته وآرائه .

وبعد الاجتماع والمداولة تَمَّ الاختيار على الشخص المرشح للقيام بتولي المهمة وهو الشيخ تركي بن محمد بن ماضي وكانت المهمة الأساسية .

١ ـ إيصال الرسائل إلى أصحابها مناولة وأخذ أجوبتها .

٢ ـ الاتصال بالإدريسي . قبل توزيع الرسائل .

مندوب يحمل الرسائل :

سار الشيخ تركي بن ماضي من أبها يرافقه ستة أشخاص على ست من الخيل وذلولين لحمل الزاد والأمتعة وذلك في ١٣٤٣/١٢/١هـ/ ١٩٢٤م ـ قبل أن تشب الفتنة بين علي الإدريسي وعمه الحسن ، وكان الشيخ تركي بن ماضي المكلف بالمهمة يحمل مع الرسائل الملكية رسالة خطية من أمير أبها عبد الله بن عسكر إلى علي بن محمد الإدريسي لا تعدو التعريف بالشخص المنتدب ، وأنه سيتفاهم معه شفهياً في المهمة المكلف بها .

وصل الشيخ تركي بن ماضي (جازان) وأنزل في النزل اللائق ، وبعد أربعة أيام طلب الإذن بالمقابلة وأن تكون مقابلة خاصة لا يحضرها أحد سواهما .

وبعد أن تحددت الوقت في القلعة ـ المعروفة فيما بعد بقلعة اللاسلكي ـ

وبعد السلام والمجاملة المعتادة ، سلمه كتاب أمير (أبها) أخذ المنتدب في الحديث :

تركي بن ماضي : لقد لمست في أثناء اجتيازي بلادكم ـ انتشار الفوضى بين القبائل التابعين لسيادتكم ، وما بينهم من نهب الأموال وسفك الدماء ـ ولا يخفاكم ـ أن هذه القبائل لا يصلح أمورها إلا قوة فعالة وانه ـ إن ترون طلب مثل هذه القوة من جلالة الملك ـ فهو لا يضن بما يصلح أموركم ، وإنما لابد أن يكون عند رجالكم علم بأنكم وجلالته شيء واحد .

الإدريسي : لا مانع لديَّ ، وهذا كتابنا بيدكم ، تعرضه على كل من تقابله من رجالنا في سائر بلادنا .

وكتب بيده : (إلى جميع من يراه من رجالنا من بلاد عَبْسٍ جنوباً إلى رجال ألمع شمالاً .

إني وجلالة الملك ابن سعود حال واحد ، وعضو وساعد ، فليكون معلوم) . (الختم)

فودع ورحل مُغِذًّا السير ، وكان جيش الإمام يحيى قد استولى على ما استولى عليه من البلاد الإدريسية ، من باجل جنوباً إلى وادي مَوْر شمالا فقط ، فبدأ الرسول ببلاد عَبْس (١) أي إنه بدأ من الجنوب .

وكانت خطته أن يصل إلى الجهة ويقصد رئيسها أو رؤساءها واحداً بعد واحد ، وبعد السلام والمجاملة يعرض عليه أولا خطاب الإدريسي حتى يطمئن الرجل ومن ثم يسلمه خطاب جلالة الملك ، وبعد التمهيد يأخذ منه العهد بالسمع والطاعة ، وكان يجد منهم السريع الإجابة وهم الأكثر ، ويجد منهم المتوقف أو المتحفظ ، وهم الأقل ، فيعرف كيف يقنعه أو يعتذر بأن سوف يرفع للإدريسي وينتظر أمره .

---

(١) كانت بلاد عبس ضمن الإمارة الإدريسية .

ومن هؤلاء أمير رجال ألمع الشيخ عبد الله العتمي ، ثم صار التفاهم بينه وبين تركي بن ماضي الرسول المنتدب لهذه المهمة .

وبعد انتهائه من رجال ألمع بارحها عائداً إلى (أبها) وقدم لابن عسكر أمير أبها أوراقه التي أخذها على رؤساء وشيوخ القبائل مع خطاب الإدريسي الموجَّه إليهم .

لم تطل مدة علي الإدريسي فقد قام عليه عمه الحسن بن علي الإدريسي كما سيأتي إيضاح ذلك .

وبعد أن استقر نسبياً الأمر للحسن الإدريسي ، وغادر ابنُ أخيه المنطقة إلى عدن ، وجد الحسن نفسه في دَوَّامةٍ من الأحداث المزلزلة والحوادث المتفجرة كالبراكين المحتدمة .

١ ـ فجيوش الإمام يحيى تتحرك من حرض لتعيد الكرة على صامطة بعد هزيمتها الأولى .

٢ ـ وجيش الإمام نفسه من الناحية الشرقية تدور المعركة بينه وبين القبائل في جهة الحُرَّث .

٣ ـ إختلال الأمن وانفراط الزمام بين قبائل المنطقة ومقاتلة بعضها البعض .

٤ ـ إغراءات (إيطاليا) ومطامعها التي تلوح على الأفق ونشاط من استمالوهم إلى جانبهم .

٥ ـ نشاط بعض زعماء المنطقة المنفيين الذين نزلوا في اليمن وأخذوا يعملون لصالح الإمام [1].

٦ ـ مساومة شركة انكليزية على التنقيب عن النفط في جزيرة (فرسان) . والحسن تتجاذبه تلك القوى وتحركه تلك المغريات ، وهو يترنح ذات اليمين

---

(١) أي الإمام يحيى .

تارة وذات اليسار أخرى ، وقد أفادني شخص من رجال ذلك العهد معروف لا أحب أن أذكر اسمه وكان ممن هم على اتصال دائم بالحسن الإدريسي القريبين منه ، وكان ذلك الرجل على الفطرة تقريباً لا يعرف أحابيل السياسة ، وعقابيل المؤامرات قال : دخلت على الحسن ، وكانت قد وصلت باخرة إيطالية تحمل بعض الهدايا وسيارة (فيات) مع مندوب إيطالي .

قال : دخلت على الحسن الإدريسي فوجدته ساهماً فسلمت ، وانتظرت مبادهته فغاب في أفكاره بعض الوقت ، ثم التفت إليّ قائلاً :

ما ترى ياشيخ . . . . واستأنف كلامه بسرعة :

١ ـ الإمام يحيى قد انتقص نصف مملكتنا ولم يردعه عن النصف الآخر إلا إفاقتنا ومقاومة رجال القبائل ، والآن يستميلنا بالاغراءات والمكاتبات ومعسول القول للانضمام إليه والمحالفة معه .

٢ ـ وابن سعود بينه وبين المرحوم أخي اتفاقية وتوصية بيننا ، وهو في الحقيقة لم يَعْتَد على أراضينا ، وفي أثناء قَوْمَتنا على (عَلِيٍّ) أرسل واسطة خير بيننا في الظاهر ، ومعاونتي أنا خاصة في الباطن ، وأحمد شريف السنوسي منذ قدومه وهو يرى أن يطلب لنا حماية على ما بقي معنا ـ أي حماية ابن سعود ـ وأنت وجماعة من خاصتنا تميلون لمحالفة (إيطاليا) فما هو رأيك ونصحك ؟

قال : فقلت له : ياسيدي الذي أراه أن العرب تأكل بعضها فالإمام يحيى سوف يأكلك ، وكذا ابن سعود ، وأما إيطاليا فهي دولة أجنبية لا تخاف منها أن تنزعك من ملكك وسوف تستفيد منها أحسن ، وإن رأيت منها شيئاً تطردها متى شئت . هكذا ؟ فصمت الحسن لحظة مفكراً يجتر آلامه . وسكت .

وفي اليوم التالي قابل ضيفه أحمد شريف السنوسي وبثه أشجانه ومخاوفه فعزم عليه أن يطلب حماية ابن سعود ، فقال له : توجه أنت إليه في مشروع معاهدة الحماية وسوف أرسل الوفد بعدك ، فقال : لا مانع . وفعلا توجه

يحمل التفويض الذي كان من نتيجته معاهدة مكة ، وكان توجهه في أواخر سنة ١٣٤٤ ، وإنما أخرت المفاوضة والمراجعة بين الطرفين برهة إلى أن أبرمت المعاهدة ، المعروفة بمعاهدة مكة في ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م .

لم يكن الحسن في دهاء وعبقرية أخيه محمد ، ولا له جرأة ابن أخيه علي ، كان متديناً ومحبوباً من العامة ، وإنما غير مستقل الشخصية فهو محتاج بطبعه إلى شخص أو أشخاص يشيرون عليه بما يعمل ، وهو يتردد بين رأي هذا وذاك وإنما إذا وافق رأي رغبتَهُ نفذه بدون تراجع .

وبعد سفر أحمد شريف السنوسي بوقت ، تكثفت الإغراءات المتوكلية وتأجج نشاطات الزعماء الذين نزلوا في اليمن من منفاهم ووجههم الإمام يحيى للعمل لصالحه في المنطقة ومنهم محمد أمين الشنقيطي ، فأخذوا في استمالته ووافق معهم على إرسال وفد إلى الإمام يحيى ، وفعلا تألف الوفد من :

١ ـ محمد أمين الشنقيطي [١].

٢ ـ القاضي عبد الرحمن الحفاف [٢].

٣ ـ القاضي محمد بن على الضَّمَدِي [٣] .

وكان للسعوديين أنصار أيضاً أقوى وأكثر من أنصار الإمام يحيى ورفعوا بسرعة إلى أبها ـ بعد أن أعياهم صَرْفه عما أشار به منافسوهم ـ وطار الخبر من أبها ووصلت التعليمات فانتدب الشيخ تركي بن ماضي فوصل على جناح السرعة ، وتوجه الوفد ، وهو في طريقه من أبها إلى صبيا . والمسافة في ذلك الوقت على وسائل المواصلات تستغرق ثلاثة أيام من صبيا إلى ميدي ـ

---

(١) محمد الأمين بن الشيخ محمد زيدان الشنقيطي وفد مع والده وأخيه إلى الإمام محمد بن علي الإدريسي فتوفى أخوه بصبيا ، ورحل والده إلى المدينة المنورة ، وبقى محمد الأمين فى صبيا مؤدباً لابن الإدريسي ثم أصبح من رجالهم المقربين .

(٢) عبد الرحمن الحفاف من الأمراء الشطوط ومن رجال العلم والقضاء وعمر كثيراً وتوفي في سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م تقريباً .

(٣) محمد بن علي بن محمد الضمدي ، من القضاة آل عمر ، ومن رجال القضاء فى العهد الإدريسي توفى سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م على وجه التقريب ـ راجع كتابنا المطبوع الموسوم باسم «أضواء على علماء وأدباء منطقة جازان» .

تقريباً ـ مع الاستراحات ، فوصل تركي بن ماضي واستطاع هو ومحمد يحيى باصهي إقناع الحسن بأن الروابط التي بينه وبين الملك لا تجيز بعث وفد إلى الإمام يحيى ، وفي حال أنكم انتدبتم الزعيم أحمد شريف السنوسي لإبرام مشروع معاهدة صداقة وحماية مع الملك عبد العزيز ، وأن جلالته مستعد لمساعدتكم بكل ما يلزم ، وأنه إذا لم تستدركون إرجاع الوفد من الطريق قبل اجتياز الحدود فسوف تسوء العلاقات جدا بينكم وبين حكومة جلالته ، فاقتنع الحسن وبعث فارسين لإعادة الوفد ، فالتقيا به قبل أن يدخل الحدود وسلماه أمر الرجوع فعاد إلى صبيا .

وكانت نتيجة تلك المراجعة والمفاهمة بعث وفد مؤلف من عبد القادر باصهي والمرغني [١] وعلي بن عطيف [٢] لإتمام إبرام معاهدة مكة التي توجه لإبرامها أحمد شريف السنوسى وذلك بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م وأصبحت نافذة المفعول من بعد ذلك التاريخ .

وبما أن طلب تلك الحماية اتقاء من الزحف المتوكلي ، وحفاظاً على البقية الباقية من الإمارة الإدريسية التي قد امتدَّتْ يد الإمام إلى استقطاع نصفها الجنوبي ، فعلى أثر إبرام تلك المعاهدة كتب الملك عبد العزيز إلى الإمام يحيى بما تم للإحاطة ورجاء التوقف عن الزحف على بقية الإمارة الإدريسية ونصوص المكاتبات بينهما موضحة في الفصل الآتي .

---

(١) المأمون المرغني هو أخو الزعيم السوداني رئيس طائفة «الختمية» وكان يقيم في مصر ، وبينه وبين الأدارسة صداقة واتصالات . وقد وصل إلى صبيا لزيارتهم .

(٢) علي بن إبراهيم بن عطيف النعمي قرأ على الإمام محمد بن علي الإدريسي ، وبعد تخرجه تبوأ مركز القضاء وكان أثيرا لدى شيخه . ثم نفي إلى عدن مع من نفي من رجال العهد الإدريسي ، وعاد مع زملائه في عهد الحسن . وانتدب عضوا في وفد المعاهدة المعروفة بمعاهدة (مكة) وعاد إلى وطنه ثم انتدب عضواً في الوفد الادريسي للمرة الثانية إلى الحجاز سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وهناك أصيب بمرض الجدري وهو في سن ٣٥ ـ تقريبا .

الفصل السادس عشر

ما دار بين الملك والإمام من المكاتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود .

إلى حضرة فسيح الرحاب عالي الجناب ، وفي الذمم كريم الشيم الإمام يحيى حميد الدين . حفظه الرب المعين آمين

بعد أهدى جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع الاستفسار عن رفاهيتكم لازلتم بحال الرفاهية والسرور ، وقد سبق لحضرتكم قبل هذا كتاب فيه من الإفادات ما يلزم ، إن شاء الله وصلكم ، وأشرفتم عليه مسرورين .

ثم نعرض لحضرتكم أنه كما كررتم على أخيكم بالتحفظ من الأجانب ودخولهم في هذه الجزيرة وكثرة اشتغال المذكورين في أطراف عسير واليمن ، وعلاوة على ذلك قد ورد إلينا مكاتيب من جميع رؤساء عسير ومكاتيب من الأدارسة أننا إذا لم ننظر في شئونهم يكونون مجبورين بالالتجاء إلى أي حكومة كانت فنكون في أحدِ الحالتين :

إما أن نستلم البلاد ، أو نقبل السيادة عليها واستقرارهم بالمحافظة على حقوقهم ، وحيث أن الوقت حرج والمشتغلون في هذه الأمور كثيرون فإنه لم يسعنا إلا المراقبة لأحوالهم ، وقبلنا أن يكونوا تحت سيادتنا على استقلالهم الداخلي في بلادهم على شرط أن يمشون على حكم الشرع والعدل بين الناس وأن لا يتدخلون في أمر حرب ، ولا صلح ولا امتياز ولا مفاوضات بدون مراجعتنا وأخذ رأينا ، وقد أجابوا وأمضوا على ذلك ، وترون نص المعاهدة مرفقه بهذا .

وبموجب معرفتنا بعلو همتكم ، ونظركم وحرصكم على اتفاق كلمة المسلمين والدفاع عن حوزتهم وراحتهم أحببنا إعلامكم بذلك ، لموجب ثلاثة أمور :

الأول : كما ذكرنا أعلاه .

والثاني : إننا اشترطنا على الأدارسة أن لا يكون منهم أدنى حركة في طرفكم .

والثالث : رجاؤنا بالله ثم بمقاصدكم الحسنة أن تأمروا جميع محسوبينكم أن لا يتعدوا على أطراف الأدارسة .

فأما من قبل المراجعات فيما يختص بالأحوال بيننا وبينكم فنحن مستعدون بما يريح خاطركم العزيز ويحفظ حقوقكم ، والله المسئول أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح لأمور الدين والدنيا ، هذا ما وجب رفعه لمقامكم العالي والله يرعاكم ويحفظكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢ رجب سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م　　　　الختم

فأجابه الإمام يحيى بالجواب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السلطان النبيل صاحب المقام الجليل عبد الرحمن الفيصل حفظه الله ووفقنا وإياه وأتحفه بالسلام الأسنى ورحمة الله وبركاته ، الكافلة لكل ما يهواه من الخير ويتمناه .

وبعد الاحترام نوضح لجنابكم الجليل أنه بينما نحن في حال جمع الأنصار ، لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الأدراسة على الله والإسلام والمسلمين بادخالهم النصارى إلى بلاد المسلمين إلى فرسان ، وتمكينهم من ذلك ، مع إهمال شريعة الله ، وإضاعة أحكامها واتباع غير سبيل المؤمنين ، إذا وصلت إلينا كتب وفيها قطع كثيرة من الجرائد الخادمة لأفكار الملل الفكرية ، تكثر الكلام فيما بين نجد واليمن ، وتغرس العداوات وتزين الشقاق في مدح وقدح وتشويق ، لقصد التحريض وبذر الفتن الحالقة

لأقوال تحلق الشعر ، ثم وصل إلينا من الشيخ محمد بن دليم كتاب فيه إيماءة بقبول خداع الأدارسة ، وذلك ما تلقوه من أعداء الإسلام والمسلمين كما يرونه ويحسبون له كل حساب ، ويأملون به بلوغ مآربهم الخبيثة عند طغيان الشقاق ، وتصادم الكتائب ، وإسالة الدماء ، وإزهاق النفوس وذهاب الأموال ، وتأجج نار الشرور ، والتوصل في مشاق طويلة الذيول يتعذر إخمادها ، ويعز إنقاذ غريقها ، وينقطع الرجاء معها عن جمع شتات المسلمين ، ولم شعثهم ، وإعزاز شريعة الإسلام ، وحماية المسلمين على أن يَلتَهِمَهُم أعداء الإسلام ، فاستخرنا الله عن ذلك في المضي لما أردناه وتقديم الإيضاح إليكم لإثارة عاطفتكم الدينية وحفيظتكم لما يرتكبه الأدارسة من الآثام ، وما يقصده الأجانب من فل حد المسلمين وتفريق اجتماع الدين والعرب ، ولم يبق لهم اهتمام في غير التشويش بين اليمن ونجد ، لما يعتقدونه من أنه إذا كان التطاحن بين الفريقين تم لهم إخضاع المسلمين وكسر شوكة الإسلام ، وبلغوا من العرب كل مرام .

وقد علم الله أنا نصد ونجتنب ونرد كل كلام ووفود من أية دولة أو بلاد قديماً وحديثاً في سبيل التفرقة بيننا وبينكم ، ولما نعلمه من سوء المغبة على الإسلام والمسلمين .

فقضت الخيرة بتأخير ما قصدناه فكتبنا إلى عمالنا بتوقيف من طلبنا من الجيوش لتحرير هذا لحضرتكم .

فنقول قد علمتم أن الأدارسة ليسوا من أهل الديانة [1] في شيء ولم يكن

---

(١) إن هذا القول من الإمام عن الإدارسة يجانف الحقيقة ، وهم سواء في المغرب أو فى تهامة مشهود لهم بالتقوى ، وجدهم الأول ـ في تهامة عسير ـ أعرف من أن يعرف ، ولو لم يكن منهم إلا الإمام محمد بن علي الإدريسي المؤسس الأول لإمارتهم في تهامة عسير ، والذى كان أول عربي يثور على الأتراك في جنوب الجزيرة ـ كما جاء في كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني ـ فقد ترجم وقدم دراسة مسهبة عنه وعن جميع ملوك العرب ، ومنهم الإمام يحيى نفسه ، ويقول عنه الريحانى : إن من فضائل الإدريسي ثباته منذ بدء أمره على مبدأ واحد فقد كان عربياً صميماً جسوراً في سبيل غايته ، يحالف أية دولة على أعدائه الأتراك ، ومن كان هو حالفهم من أمراء العرب عليه ، فما تذبذب فى مبدئه ولا تحول عن ذلك .

لهم حمية إسلامية أوعربية لإرادة صالح المسلمين ، وإعزاز العرب التي بذلها ذل الإسلام ، وأنَّى يكون لهم ذلك في مثل أولئك .

مع أنهم ليسوا إلا مغتصبين قطعة من بلاد اليمن من دون مشروعية استحقاق وليت أنهم أقاموا شريعة الله ، وأجروا أحكامه ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وهدموا البدع وأمنوا البلاد ، وحقنوا الدماء ، وخدموا العرب والإسلام والمسلمين .

ولم يمكنوا الأجانب في شيء من البلاد ، فلو كان منهم ذلك لكان لنا مندوحة في الإعـراض ، ولنـا حق الأولـوية لطردهم وإراحـة الإسـلام والمسلمين من شرورهم ، وقد عرفتم الخليع علي بن محمد الإدريسي ولعله سيد القوم فهل منهم من يعان لقصده المشؤوم تعمداً .

= حارب الأتراك وحليفهم الملك حسين ، وصديقهم الإمام يحيى ، فكان في الغالب منتصراً دائماً عزيزاً ، لا ننكر أن الأحوال كانت حليفته ، ولكنه سلحها من لدنه بالعزم والمضاء » .

إن الإدريسي ثار على الأتراك فى مسقط رأسه ومسقط رأس أبيه «صبيا» وثار بعده الإمام ، وكلاهما من أبناء الأمة العربية ، كما ثار على الأتراك فى الحجاز «الحسين بن علي» فهل من ثار على مغتصب أجنبي يعد بدوره مغتصباً ؟ .

ويظهر أن العداء مزمن بين الزعيمين الكريمين منذ ابتداء أمرهما وكرست الحروب التى دارت بينهما تلك العداوة وعمقتها ، ونكتفى هنا بإيراد مقتطفات من منشور للإدريسي وزعه على القسم الجبلي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م وجاء فى مقدمة ذلك المنشور .

«واعلمـوا هدانـا الله وإياكم أن ابن حميد الدين لما رأى الدولة التركية بصدده ، وأخذت تهتم باستئصاله وقصده ، التجأ الينا بإرسال «أحمد بن يحيى عامر» و«حسين العرشي» للتفاهم معنا بأن الدولة التركية لابد أن تقبض على ابن حميد الدين وعلينا .

ويرغب في أن نكون يداً واحدة ، وأن نشايعه فى مقاومتهم بالحرب ، فوافقناه على ذلك الصنع مع الشروط المضروبة ، وقواعد مقررة ، لا يتخطاها أحد منا أو منه .

ولما وقعت بيننا وبين الأتراك واقعة «الحفائر» استماله الأتراك ، وجعلوا له ثلاثين ألفاً من الريالات ، وغير ذلـك العشرين ، والنصابين المكلف بأدائهما الأهالى فى جهة صنعاء وما ولاها ، فوافقهم على ذلك ليكون ضدنا ، الخ - راجع المنشور كاملاً فيما تقدم من كتابنا هذا . ج ٢ ص ٧٤٤ .

وإذا رجعنـا إلى الخـطاب المـوجه من الإمـام يحيى إلى سيادة الإدريسي بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م - راجع نصه في ٧٥١ ج ٢ فى هذا الكتاب نجده صادراً من الإمام إلى نده ، وحاكم وإمام مثله لا إلى مغتصب - كما ينعته الآن .

. . . . ويجعل أساس للتشاجر والقضا .

فإن كان ما بلغ إلينا صحيحاً فهل في وسعنا جميعاً ما فيه تخيب آمال أعداء العرب والإسلام ويصون رونق الدين ، وليس ذلك إلا الإنصاف ومعرفة الحقوق وتأثير ما به صلاح الإسلام والمسلمين واطراحنا جميع كلام السفهاء الجاهلين الذين هم كالأنعام لا يعرفون إلا المحسوسات ، على أن من الناس من يتقرب بكلام أحلى من العسل وهو ممزوج بالسم الزعاف خدمة لأي الملل الكفرية ، فهل يمكن التدارك ؟

إما أرسلتم إلينا معتمداً للحل والعقد ، أو نرسل إليكم كذلك ، فتأملوا هذا بعين الإنصاف ، فغبه والله الصلاح ، وقطع لآمال الكافرين ، فإن يصادف لديكم قبولاً فهو المؤمل والمرجو . . هذا والسلام على والدكم وأنجالكم والأماجد ، وشريف السلام ورحمة الله وبركاته في ٤ شعبان ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

رد جلالته .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود .

إلى حضرة جناب المحترم علي الهمم كريم الشيم الأخ المكرم الإمام يحيى حميد الدين . . . الأفخم . حفظه الله ورعاه

أما بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع الاستفسار عن أحوال رفاهيتكم وأنكم لا زلتم بكمال السرور ، ودوام النعمة ، وإن سألتم عن أحوالنا فهي ولله مزيد المنة والفضل على غاية ما يرام من جميع الوجوه ولم يستجد عندنا من الأخبار ما يوجب رفعه لحضرتكم ، إلا عموم الخير والراحة ، والاطمئنان . ونسأل المولى جلَّ وعلا أن يتابع علينا وعليكم نعمته ويوزعنا شكرها .

سبق منا لحضرتكم كتاب فيه من الإفادة ما وجب بوقته ، إن شاء الله تطلعون على الجميع مسرورين الخاطر .

كذلك يصلكم إن شاء الله حامل كتابنا هذا مندوبنا لحضرتكم حمد الخطيب ورفقاه والمذكور مفوض من قبلنا ليتفاوض مع حضرتكم بما يجب بخصوص المفاهمة والاتفاق على مافيه خير وصلاح لنا ولكم ، وحفظ الحقوق للجميع ولنا وطيد الأمل بالله ثم بحضرتكم أن الاتفاق المنشود سيحصل ويتم ولم يبق أثر لسوء التفاهم ، ومحل للخلاف وتكدير الخاطر ، ولا يخفى على حضرتكم ما في ذلك الاتفاق المطلوب متى تم من حسن العاقبة للجميع وللإسلام والمسلمين والعرب ، ولاشك أن ذلك مما تأمر به الشريعة الإسلامية وترضاه الشيمة العربية ، ونسأل الله أن يوفق الفريقين لما فيه النجاح لتلك المهمة النافعة وأن يسدد الأفعال والأقوال من الفريقين لتكون النتيجة حسنة حسب رغبة الجميع هذا ما وجب رفعه لحضرتكم ، والرجاء إبلاغ تحياتنا للأنجال الكرام ومن لدينا سيدي الوالد الإمام والإخوان والأولاد يهدونكم السلام والله يحفظكم ويرعاكم والسلام ١٤ شوال ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.

ملحق خير وسرور :

أدام الله وجودكم : ثم إنه بموجب الوثوق ، وحب المواصلة ، أحببنا تقديم بعض التذكرة مع مندوبنا ، وهي سيفين من سيوفنا القديمة ، وخمسة عشر بشتا من نسج بلادنا ولو أنها قليلة على قدركم العالي ، ولكن بموجب معرفتنا بعقلكم ، وأن حضرتكم تعلمون أن قدركم عندنا أعز من ذلك وغيره تجاسرنا على تقديم ما ذكر ، وأرجو قبوله ونسألكم السماح عن التقصير ودمتم .

تأخر رئيس الوفد حمد الخطيب لمرض ألم به ، فصدر الأمر الملكي بتعيين سعيد بن مشيط وعبد الوهاب أبي ملحة وتركي بن ماضي وتوجه الوفد من أبها وتهامة في ١٨ القعدة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م إلى صنعا يحمل الخطاب والهدايا ، فوصلها بعد خمسة وعشرين يوماً عن طريق البر واستقبل الوفد استقبالاً حسناً ، وكان وصولهم يوم ١٣ الحجة ١٣٤٥هـ وبعد الاستجمام والانتظار في دار الضيافة استقبلهم الإمام وبعد المقابلة وتبادل التحية سلموه كتاب جلالة الملك فانتدب الإمام معهم وفداً برياسة عبد الله بن الوزير .

استمرت المفاوضة شهراً بدون التوصل إلى نتيجة مما اضطر الوفد السعودي إلى طلب مقابلة الإمام وطلب الإذن بالسفر فأبدى الإمام أسفه لعدم الوصول إلى حل يرضى الطرفين وشاركه الوفد أسفه وتمنى أن تتاح فرصة تهيء الوصول إلى نتيجة حسنة وسلمهم جواباً لجلالة الملك .

وظل الموقف متوقفاً بعد وصول الوفد السعودي إلى مكة إلى يوم ٢٠ ربيع الآخر من سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م أمر جلالته بانتداب وفد مؤلف من الشيخ محمد بن دليم وتركي بن ماضي وسفرهما إلى صنعاء لاستئناف المباحثة وكتب معهما الخطاب الآتي :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى حضرة جناب عالي الهمم كريم الشيم حضرة الأخ يحيى بن حميد الدين حفظه الرب المعين بعد إهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته مع الاستفسار عن رفاهيتكم لا زلتم بموفور النعم ، وعن محبكم يشكر الله على مزيد نعمه بخير ، ثم إن مشرفكم المؤرخ ٢١ محرم ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وصل ، وما عرف حضرتكم كان عند أخيكم معلوم بخصوص ما أبديتموه من حسن نواياكم ومحبتكم لاجتماع الكلمة كلمة العرب فهذا الذي نعهد من سجاياكم الحميدة ، ولا شك أنكم أهل لذلك ، ثم أدام الله بقاءكم ما هو خافيكم حالة الزمان وأهله ، وأخيكم من أبدى محبة الاتفاق ، والتحذير من دخول الغير فيما بيننا إنه كثير ، ولكن ينبغي أن يكون العمل مقدما على القول فيما أبديتموه . . . ولا غرو إنه ليس بكثير عليكم لأنه عادتكم كل جميل ويرجى منكم ذلك ، ولكن مع الأسف أن عدم الاتفاق وعدم المباحثات التي تقرب الاتفاق وترك مافي النفس لجلب المصلحة ، ما حصل وهذا كثير آسف أخيكم ويؤسف كل مسلم عربي ناصح ، ولكن بموجب معرفتنا في غايتكم المحمودة ، وما أبدوه لنا مندوبونا من حرصكم على الاتفاق صرنا مجبورين نكرر عليكم طلب الاتفاق مرة ثانية ، مع أنه صار بعض الضجر في النفوس التي لاتخفاكم حالهم . . .

ولكن لا يدخل أدنى شك بيننا وبينكم ، واعتمدنا على الله ثم إننا نوفد إليكم محسوبينا الأمير محمد بن دليم ، وتركي بن ماضي ، لأجل رجائنا في بلوغ أملنا بالله ثم بكم ، وإلحاق النفوس هواها بمحبة التقرب والائتلاف فيما بيننا وبينكم ، وهم مفوضون من قبلنا في جميع المراجعات ، وعرفناهم بما يلزم كما أنهما واقفان على الحقيقة قديماً وحديثاً نرجو الله أن يوفقنا وحضرتكم لما يحب ويرضاه ، ويحقق آمال جميع المسلمين والعرب في الائتلاف والاتفاق ، وباقي المعلومات من رؤوس المذكورين كفاية مع إبلاغ السلام حضرات الأنجال الكرام ، ومن عندنا الإخوان والأولاد يبلغوكم السلام والله يحفظكم.في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م .

(الختـــم)

ملحـــق خـــــير :

أدام الله وجودكم أخيكم حال تاريخه متوجهين إلى نجد ـ إن شاء الله لأجل تغيير الهواء والسلام على الوالد ، والعزم إن شاء الله أن الصيام في مكة المكرمة ومن خصوص مسألة الأدارسة معلوم حضرتكم أن الحركة مستحيل يصير حركات من جهتهم ، أو أنه يصير شيء كان وقع في أيام حركات بنى مروان [1] وغيرها ولكن نحن مؤكدين عليهم ، وعلى خادمنا ابن عبد الواحد كونوا مطمئنين الخاطر والأمور إن شاء الله تكون وفق المطلوب ، انتهى .

وصـل الوفد إلى صنعاء يوم الأحد الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وفي اليوم الثالث ـ أي في يوم الأربعاء الموافق ٩ منه استقبلهم الإمام في قصـر السعادة وبعد التحية والمجاملة سلموه خطاب جلالة الملك وانصرفوا إلى نزلهم بدار الضيافـة ، وبعـد مُضِي أيام استقبلهم للمـرة الثانية ودار البحث في موضوع مهمتهم وأفادهم بأنه انتدب لمفاوضتهم :

١ ـ الوزير الأول عبد الله العمري .

---

(١) راجع هذا الجزء (حول حركة بنى مروان) ص ٩٠١ .

٢ ـ رئيس الديوان عبد الكريم المطهر .

وفي الموعد المحدد حضر مندوبا الإمام وبدأت الجلسة الأولى وتوالت الجلسات يومياً ولمس الوفد السعودي في الوفد الامامي روحاً إيجابية بخلاف المرات السابقة ولمسوا من الوفد الإمامي حسن التفهم للقضية وجميل التفاهم في المحاورة والمناقشة ولأول مرة في المفاوضات اعترف الوفد الإمامي بسيادة جلالة الملك على البلاد الإدريسية ، وعموم بلاد عسير ، ورسم شبه خريطة للحدود بين المملكتين ، وكاد أن يتم الاتفاق لولا مسألة نجران وتمسك كل من الفريقين بوجهة نظره والتوقف عند رأيه ، وهنا توقفت الجلسات ، وتم الرأي على مقابلة الإمام يحيى وفي الموعد المحدد اجتمع الوفدان عند الإمام يحيى ، وعرض الموقف على الإمام ، وتكلم الوفد السعودي ، وأبدى للإمام شديد أسفه لعدم التوصل مع وفده إلى نتيجة في موضوع نجران ، فقال الإمام : إنه أوصى وفده بأن يتساهل ويتنازل عن الكثير ، وأنكم لا شك لمستم منهم في المفاوضة معكم العمل بتوصيتي ومادام انه لم يبق إلا مسألة (نجران) فإنه يحكّم فيها الملك عبد العزيز نفسه ويأمل أن الملك سيقوم بحلها بحكمته وكرمه المعهود ، لهذا فسوف يرسل وفداً من قبله إلى مكة للمفاوضة على ضوء المباحثات التي جرت في صنعا ، وبذلك استأذن الوفد السعودي في السفر إلى بلاده وذلك في يوم ٤ شعبان سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م يحمل الرسالة الآتية من الإمام إلى الملك :

حضرة الملك الكبير والرئيس الأوحد الخطير الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود .

رافقته منحة السداد ، وشادت معاليه خطة الرشاد .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صدورها عن أحوال حميدة وآلاء من ربنا جميلة عديدة وثقة برب الملك ، واعتصام بمنشىء الفلك .

بعد أن كانت المراجعة بيننا وبين مندوبيكم الكرام رأساً وبين من عَيَّناه للمراجعة معهم ، وكان أول ما أعلمناهم به ، أنا مفوضين لهم في نظر ما يصلح

بين الطرفين ، ويحمد بين الفريقين ، وانه ليس المراد التطاول ، ولا تكبر فإنما ذلك إتعاب ومشاق «ولم يرح من قضاض رحلته من راحة العالمين في تعبه» [1] غير الأمر الرباني في نحو قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ الآية هو الذي حدانا إلى تجشم الأهوال واقتحام الصعاب والعقاب الطوال ولا المراد غير الإنصـاف ، ومحـافـظة الحقوق للطرفين بلا اعتساف ، ولما كان الإلحاح على المنتـدبين الكرام ، في الإقامة وتوسيع المجال ، والاسترسال في المراجعات ، بقصــد تمحيص ما فيه صلاح للطرفين ، لاح لنـا من غضـون المحـاورات أن صلاحياتهم محدودة ، وعرفوا منا لحضرتكم خالص الوداد ومتين الاعتماد ، فطلبوا الإذن بالعـودة المحمودة ، التي ستكون إن شاء الله سبباً للحصول على الضالة المنشـودة ، والبغية المقصودة ، ليكون منهم لحضرتكم الإيضاح والإفادة ، بما عرفوه لدينا من خلوص الولاء بإيضاح فأذنا لهم بالسفر المبلّغ إن شاء الله من الخير إلى الوطن ، وليس التفرق بيننا وبينهم تفرق اعتداء ، بل تفرق سلم محض معزز للخـطة التي أثبتهـا طول المدى ، وإننا لننتظر منكم الإفادة ، واعلموا قطعاً أنه لا يكون منا عدوان قط ، وإن بعد عنا الإنصاف ، إرغاماً لمعاطس أعداء العرب والإسلام ، وطمعاً فيما نرجوه من الاتحاد والالتئام .

ولقد كان بودنا أن يكون ربط الوفاق مؤجلاً ، ولا يحول دون تعجيله حائل ، مهما أمكن الوصول إلى تحقيق ذلك بتضحية نتحملها .

ومع الاعتراف بأنا لا نرضى في شأن تنظيم ما بيننا من العلاقات ، بدون أحكمها أساساً ، وأمتنها إشادة ، فنحن لا نحتاج إلى توضيح ما بين القلوب من الاتصال ، وعمرانها بالوداد ، وإن انتهاء تأجيل المذكرة الوفاقية لا يكون داعياً إلى فتور ما بيننا من المناسبات ، ومن إقبال الجميع على ما به صلاح الإسلام والمسلمين ، ولم شعثهم ، وجمــع كلمتهم ، وجبــر صدعهم ، والله المعين ، وافضلوا بإبــلاغ أنجالكم الأماجد شريف السلام وهو عليكم في المبدأ والختام .

---

(١) هذا بيت شعر لأبى تمام ، وقبله .

تلك بنـات المخـاض راتعـة   والعـوذ فى رحـله وفـى قتبـه

زيـــادة خــــبر :

لعله بلغ حَضرتكم ما كان من الأدارسة من الدسائس ، والتشويق ، حتى كان ما كان وهذه بعد مسألة فرسان . انتهى .

وبعد سفر الوفد السعودي مباشرة ألف الإمام وفداً من رجاله وأمرهم بالتوجه إلى مكة وكتب معهم الخطاب الآتي :

حضـرة الملك الخـطير المستجمـع لخـلال الإعـظام والتـوقير جلالة الملك عبـد العزيز عبد الرحمن الفيصل أتحفه الله بكل مروم من مراضيه وكلل مساعيه بالنجاح الذي يبغيه ، وزانها بمواهب التوفيق وصرف عنه كل تعويق السلام عليكم ورحمـة الله وبـركـاتـه ، صدورهـا سافـرة في إحسـاس الوداد منطوية على إيثار الإيضاح ، وحسن الإفصاح ، عما يروق به التصريح صحبة الأخ العلامة قاسم حسين بن الإمام ، والولد العلامة محمد بن زبارة ، والولد العلامة عباس بن أحمد إبراهيم ، ومعهم الشيخ الفخري عبد الله بن علي مناع ، أرسلناهم إلى حضوركم الجليل ليكـون منهم كلية الإفصـاح عن الـوجوه والأسباب القاضية بلزوم تقرير المصير ، فيمـا بيد المغتصب الإدريسي ؟ ، مع كل ماهو معدود من خولان بن عامر ، أوهمدان بن زيد ، ومافي ذلك من المحافظة على كرامة الجانبين وبناء الأساس المتين لصفاء القلوب الدائم .

إنـه لا دافـع إلى مثـل هذا التصـريح ، أية رغبة في التوسع والحصول على ما يجتنى من وراءه ثمرة مادية ، ونعتقد أن الحال لديكم مماثل لما عندنا ولكن في الجبين ما يسمى بالمحـافـظة على الكرامة ، فيما يبني ويؤسس على الاتفاقات الرسمية ، فاللازم في مثلها أن ترعى الحقوق المشروعة للجانبين وأن تخلو عما يهيىء وسائل التقولات من رجالنا فضلاً عن الأعداء والحساد والمتربصين، بكل ما لديكم من تفكير وقوة من الحصول على المغامز والمهامز .

ولا يخفى على مثـل درايتكم ، انـه لا إخـلال بالمحافظة على تلك الكرامة

من جهتكم في حالة الحقوق المشروعة بل فيها ماهو أعلى قدراً ، وأصح دلالة ، على وفور رغبتكم في وقاية الإسلام وجزيرة العرب . من كل حادث مرهوب اهتمامكم ؟، ستكون الكتلة النافعة فيها لدفع كل طارىء يمنع من نهوض مرغوب ، وأملنا أنه بعد إيقافكم على الحقيقة الجليلة يتضح لكم وضوحاً كاملاً لزوم ما حرصنا به ، وما تم ما يوجب كثرة التردد من الفوائد المادية ، إلا أن مراعاة الحقوق المشتركة لازم ، ولا تخرج عن دائرة الإنصاف في طلب ماهو مشروع معقول بل لا نظن أنكم ترغبون فيما نراه مخلا في كرامتنا ، في أنظار أعدائنا وأعدائكم .

وأما الائتلاف والتودد فهما حاصلان مستقران ، ولا سبيل إلى انتفائهما ـ إن شاء الله ـ وإن رغمت أنوف أعداء الإسلام والعرب ، وإنما المراد هو ما فوق ذلك ، من المعاهدة والمظاهرة ، والمناصرة والاتحاد من صميم القلب وخلوص الاعتقاد وما إلى ذلك من الآثار الصالحة الجالبة لاطمئنان كل موحد بأن لا سبيل لأعداء الإسلام إلى إنشاب مخالب أطماعهم في الجزيرة العربية والقضاء على الباقية من شوكة الإسلام وأهله ، وهذا غاية ما نرجوه لنا ولكم صلاحاً في الحال وذخراً للمعاد ، وفقنا الله جميعاً لكل عمل صالح يرتفع به شأن الإسلام والمسلمين وتهدم به آمال المضلين والسلام حرر ٣ شعبان سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م .

وبرفق هذا قصيدة لجلالتكم :

صدرت للوئام زفرة محرو	ر تؤم الرياض تشفى صادها
تقطع السهل والحزون وتطوى	البيد طى السجل في يمناها
توضح الحالة التي نحن فيها	معشر المسلمين عند انتهاها
فرقتنا أيدي العداة فصرنا	فِرقاً لا تطيق تحمى حماها
وفئات تَبًّا لها من فئاتٍ	سبحت في شائها(؟) أشباها
هي مثل الحصا عديدٌ ولكن	آثرت من حظوظها أدناها
واستخفت بنفسها وتعامت	عن هداها فهال منها عماها
فَقَدَت وازعَ الهداية حَتى	لم تميز صباحها من مساها

وطمى جهلها المهول فكانت في مقام الحفاظ أشباه شاها
أي داء أشد داء من الجهل وأقوى هدماً لقصر بناها
ولهذا عز الشفاء وظلت حالة المسلمين تشكو شجاها

إلى أن قال :

وعلينا من الإله مواثيـ ـق تدك الجبال ، إن خناها
هي تدعو إلى الوفاق وتستنـ ـصر منا حمية تهواها
وتنادي يا للشهامة والغير ة ، أين الحفاظ أين نهاها
حكموا رأيكم سداداً وشدوا عضد الدين ، وادفعوا بلواها
وانسجوا منكم دُرُوع اتحادٍ ووئام يطول فيكم غناها
ما الذي يمنع التآزر من إخو ان دين ، يرضي الإله إخاها
والذي يدفع المخاوف عنها ليس إلا وفاقها ووفاها
واقتناع النفوس عن طلب التو سيع للملك في نصيب سواها ؟
وإذا كان للنفوس جماح كان للعقل ردها وهداها
وبناها من وحدة الرأي سدًّا وحصوناً أمام من ناواها
وضح الأمرُ حصص الحق نادت أُلسن الصدق هذه رجواها
ولتحقيق ظننا كان منا بعث وفد الرياض من آل طه
حملوا هذه «الألوكة» عنا ومناهم قبولها وحباها
لمليك متوج من نِزَارٍ أنجبته ربيعة في ذراها
ورأته شيبانها علم الإجـ ـلال ، بسطامها وقطب رحاها
ملك مفرد سريٌّ همام قلدته سعودها بحلاها
ومن العدل وهو خير المزايا أثرا للنهى ونظم علاها
ان ترى عنده مكان اعتبار موصلا للمرام من مسراها

وبتاريخ ٢٠/١١/١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م رفع أحد أعضاء الوفد السعودي المنتدب للمفاوضة الشيخ تركي بن ماضي التقرير الآتي :

جلالة الملك المعظم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، وتقبيل الأيدي الكرام أعرض لجلالتكم حسب الأمر توجهنا إلى صنعاء اليمن لتجديد المفاوضات

مع الإمــام يحيى وزعمــاء حكــومتـه فبمـوجب مطالعـات خادمكم حول تلك المفاوضات حبيت أن أشرح لكم بعض ما يحسن ذكره .

الإمـام يحيى ذو مطامـع غريبـة ومـراميه بعيدة ، كلما تكلمنا معه في النقطة الممكنـة لحل المشكلة زاغ عنها ، وإن كان يقول قولاً بأنه يطلب الائتلاف فله مقاصد بعيدة .

فتحقق لخادمكم أنه متربص للدوائر عن قصد ، وله آمال لا سمح الله بتحقيقها وليس له مقصد في الوقت الحاضر ، ولا يريد حسم الخلاف ولا الاعتراف بالحدود المعلومة له وعليه ، بل يريد مسالمة ومكاتبة بغير نتيجة ، ولا يزال يطلب في حل اتفاق مكة .

وكم أوضحنـا له ، وأفدناه بأن الإدريسي في قطعة من بلاد عسير وأنه مسلم استجـار بأخيه فأجاره سابقاً ولاحقاً ، حتى طالت المحاورات بيننا وبين مندوبيه أربعة وخمسين يوماً ، ونحن مقيمون في صنعا ، فلم يكن له بد من إرسال مندوبين من قبله إلى جلالتكم ، ونرجو الله أن ينهي الأمور على ما يرام ، وأن يمن على الإسلام والمسلمين بوجودكم وعزكم ونصركم على رغم حسودكم ، هذا ما وجب رفعه سيدي والله يحفظكم .

وصل الوفد اليمني مكة المكرمة ، واستقبل بالحفاوة والتكريم ، وحظي بالسلام على جلالة الملك ، وانتدب وفد سعودي للتباحث معهم ، وقد وقع اختلاف في الرأي بين الوفد اليمني نستشفه من البرقية المرفوعة من عضو الوفد قاسم بن حسين إلى جلالة الإمام يحيى .

(رجعنـا من المدينة المنورة ، لله الحمد على البلاغ ، تفضل جلالة الملك بالأمر بالسيارات ونلنا من أمير المدينة غاية الإكرام ، الإخوان أتعبونا إلى غاية ، لا يستقر لهم فكر ، بل كثير منهم التقلب قولاً وفعلاً ولا يظن لهم عاقبة ، ولا نأمل حسن النتيجة ، بل ملاشاة أفكار بلا مراقبة ولا تجربة ، ولم يحافظوا على حقيقة المسعى كمـا ينبغي ، وكل هيئة لم يعين رئيسها صراحة فهي فوضى ، نرجوكم الإفادة القاطعة الجازمة ، أو فضلا منكم قبول الاستعفا ومكره أخاك لا بطل والسلام ٢/١٢/١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م) .

الجواب البرقي من الإمام .

من الإمام يحيى ملك اليمن إلى الصنو قاسم حسين أبو طالب ـ مكة ـ سرنا عودتكم بالسلامة من الزيارة إلى مكة ، وساءنا جداً ما اشتمل عليه إشعاركم من عدم الائتلاف ، ومع هذا فهل يحسن أن يظهر عليكم مثل ذلك لو فرض وقوعه ، وإننا نأمركم بعرض هذا على رفقاكم للحفاظ من القيام على كرامة الوفادة والنيابة عنا ، وليعلم الجميع أنه إذا ظهر لنا من أحد شقاق ، فإن العاقبة غير محمودة والسلام .

الجبـــــال الشــــــرقية :

أشرنا فيما تقدم بعنوان الميدان الشرقي [1] إلى وصول الحُكْم الإدريسي إلى (هجرة فلله) قرب صعدة وظل سلطانه ممتداً على تلك المناطق إلى سنة ١٣٣٢هـ عندما وقعت معركة (حُرُم) بين جيش الإدريسي وجيش الإمام وبذلك تم استيلاء جيش الإمام على قلعة (حُرُم) فاقتصر حكم الإدريسي على ما تحت يده من جبال منبه والعر ، وما بينهما (والنظير) (وشذا) ، وجبال (بني مالك) (وفيفا) وماوراءها وفي أول سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢١م استمال الإمام يحيى مشايخ جبل النظير واستحلّه ، فأخذ الإدريسي في حشد الجيوش لاسترجاعه فعاجلته المنية في شعبان من تلك السنة ، وبوفاته تنفس الإمام يحيى الصعداء ، واشتغل خلفاء الإدريسي بمصابهم الفادح ـ ولم يكن خلفه في قوة شخصية والده وحنكته السياسية ونشاطه الحربي فوطد الإمام قدمه في (النظير) ، وفي سنة ١٣٤٤ والفتنة مشبُوبة الأوار ، بين علي الإدريسي وعمه الحسن ، اقتحم الجيش المتوكلي جبل (شذا) وما حوله ، وطمع الإمـام يحيى فيمـا هو أبعد من جبل شذا فأمر جيشه بالزحف على بلاد الحرَّث والعبادل ، إلا أن قبائل المنطقة المغاوير تجمعوا للدفاع وهزموا الجيش الغازي واستعادوا ما أخذه من بلاد الحرث وجبال العبادل .

وعنـدما دخلت البلاد الإدريسية تحت السيادة السعودية بموجب معاهدة مكة كانت حدودها الشرقية تشتمل على الجبال الآتية :

---

(١) انظر ص ٦٥٨ .

١ ـ جبل (منبه) وما حوله　　　٢ ـ جبال (بنى مالك) .

٣ ـ جبل (العر) وما حوله　　　٤ ـ جبال (فيفا) .

٥ ـ جبال (العبادل) .

إن معاهدة مكة صدت الباب في وجه مطامع الإمام يحيى وحجزت من توسعه على حساب المنطقة الإدريسية ، وفي خطابه الجوابي المؤرخ ٤ شعبان سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م [١] ما يفيد أنه كان يحشد الجيوش ويعد العدة للاستيلاء على البلاد الإدريسية بعد أن استولي علي أكثر من نصفها الجنوبي ـ أي من (عُبَال) والجبال المتاخمة لها شمالاً غرباً إلى مدينة (ميدي) للاستيلاء على النصف الشمالي فهو يقول في خطابه :

« بينما نحن في حالة جمع الأنصار ، لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الإدريسي على الله والإسلام والمسلمين بإدخالهم النصارى إلى بلاد المسلمين إلى فرسان وتمكينهم من ذلك » .

والحقيقة التي يثبتها التاريخ أنه قبل معاهدة مكة اتفقت الحكومة الإدريسية مع شركة بريطانية للتنقيب عن النفط في جزر (زفاف) من جزر فرسان ـ فيما تقدم ـ ليس إلا ، ثم إنه بعد دخول الإدريسي في الحماية السعودية بعد معاهدة مكة رأت الحكومة السعودية إلغاء تلك الاتفاقية فتوقفت الشركة عن التنقيب ورحلت ، وإنما الإمام يحيى أراد أن يمثل قصة الذئب والحمل تبريراً لتدخله واتخاذه من ذلك ذريعة لغزو المنطقة ، ولولا دخولها في الحماية السعودية لكان اتخذ من ذلك مبرراً لغزوها .

إذاً لم يبق مجال للغزو المسلح والبلاد أصبحت محمية سعودية وقد أحيط رسمياً ، فأخذ في مباشرة الغزو السلمي بالإغراء وبذل الأموال واستمالة بعض مشايخ الجبال الشرقية للمنطقة ، وفعلا بعد الاجراءات التمهيدية من الرشاوي والأعطية والدعاية والتحريض تقدمت جيوشه فاحتلت جبال :

(مُنَبِّه) وما حولها .　　　(العُر) وما حولها .

---

(١) انظر ص ٩١٨ .

واحتجت الحكومة السعودية على هذا التصرف العدائي فبعث الإمام بهذه المذكرة الجوابية الغير مباشرة ، بواسطة عامله على مدينة (ميدي) عن طريق أمير جازان وهذا نصها :

من ملك اليمن الإمام يحيى محمد حميد الدين إلى عامل ميدي القاضي العلامة عبد الله العرشي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سبق الجواب عليكم تلغرافياً إنه سيكون الإفادة والإيضاح عن شأن ما كتبه أمير جازان ، وقد أردنا أن نكشف أمر تلك الجهات ، فإنه وصل إلينا من عامل (ساقين) قبل وصول تلغرافهم بخمسة أيام شرح الواقع وتفصيله مع أسباب فيما حرره خلاصته :

إن هؤلاء (بني منبه) وأهل (الْعُر) ومن إليهم فريق من قبائل خولان ابن عامر وليسوا من (تهامة) ولا من (عسير) ؟

[نلاحظ هنا أن تهامة وعسير خارجة عن مطالبته] .

قد كان منهم التردد على عامل (ساقين) غير مرة وأرسلوا إليه رهائن طالبين أن يُرْسِلَ معهم إلى تلك الجبال والتي لا يقوم ، ولا يعرف أهلها شيئاً من أركان الإسلام وآدابه ، فلا يصلون ولا يصومون ، ولا يذكرون الله ولا يحجون ولا تنطق ألسنتهم بالشهادتين ؟

وكان من عامل (ساقين) إرجاعهم من لدنه وعدم قبولهم ، وقبول رهائنهم مرة ومرتين ، وهذه المرة وصلوا يلزمونه الحجة ، ويصفون ماهم عليه من الفوضى والمجاهرة بكل الشرور .

فتكلف بمساعدتهم طالباً لإصلاح أمة من الناس ، وإنقاذهم من ورطة الهلاك .

فأرسل بعض السادة العلماء صحبة العُقَّال بعد أن التزموا الطاعة ووضعوا رهائنهم .

وكان لأهل تلك الجهات غاية السرور بوصول السادة العلماء ومن معهم

فالتقوهم إلى أطراف البلاد وأضافوهم ذلك اليوم أحسن ضيافة ، ولم يرق في ذلك قطرة دم ، أو أدنى شاغبة .

على أنه لم يكن في البلاد ما يرغب أحد فيه حتى أن حاجات السادة والعلماء ومن معهم محمولة من بعد .

وقد اهتم العامل بطلب من يعزم إلى تلك الجهة لتعليم أهلها الإسلام وآدابه الشريفة ؟

ولما وقفنا على ذلك الكتاب استحسنًا ما كان من (العامل) المشار إليه وشكرنا له ذلك العمل الذي يرضي الله والمسلمين . انتهى .

وفي مقترحات الوفد ـ إلينا من لدن جلالة الملك (تركي بن ماضي) و(محمد ابن دليم ـ أن الحد الفاصل بين البلدين من جهة الشام فهي (خولان ابن عامر)؟

فهل في هذا تحرش أو عدوان على أي أحد أو إرادة قدح زند بين اليمن ونجد ، وأنا على غاية من التحفظ والمحبة للسلم وبيننا وبين حضرة الملك وحتى أنا تركنا مضـايقتـه بمـا حكم والتـزم من تهدئة قومه رغماً على ما نلاقيه من أوليائهم من التصديع ، وغاضين الطرف عما زعم الإدريسي النزول عنه ، غير آيسين من إلقاء نظرة من حضرة الملك إلى ما يعود به الماء إلى مجاريه .

ونرى من المحال حصول أي شقاق لعلمنا بما في ذلك من الضرر العام على المسلمين والإسـلام ، ومـا نجده من التوادد من الجهتين ، وما نؤمله من روابط الصلات في ذلك .

ولا نخشى من غير الاغترار بمن يفتل على الغارب والكاهل ، ويرى في تطاحن المسلمين ، غاية الرغائب والمآرب .

فيلزمكم إرسال هذا إلى جيزان ليعجل إرساله إلى حضرة الملك للوقوف على الحقيقة ، والإفادة أوضح وأجمل طريقة ، والسلام ـ ٢٩ ربيع ثاني ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م .

وتبودلت الرسائل والبرقيات بين العاهلين وأخيراً تم الاتفاق على تعيين وفدين يمني ، وسعودي يجتمعان في أبي عريش للتباحث والتفاوض والتحكيم .

بعث جلالـة الملك وفـداً برئـاسـة عبـد الله بن معمر ومعه أمير جازان وعدة شخصيات ووصل الوفد الإمامي برياسة عامل ميدي عبد الله العرشي وعضوية عدد من الشخصيات واستمرت المفاوضات والمباحثات مدة بدون الوصول إلى نتيجة ، وأخيراً رفع كل من الوفدين مرئياته إلى مرجعه وبعد تبادل عدد من البرقيات ـ شملها الكتـاب الأخضـر ـ حَكَّم الإمام جلالة الملك في موضوع جبلي (الْعُرّ) و(منّبه) فتنازل عنهما جلالته للإمام ، بعد أن اعترف الإمام بدوره بسيادة جلالته على (فيفا) و(بني مالك) وبذلك حُسِم الموضوع في الحدود الشرقية ، كما أشير إلى الحدود الجنوبية في المفاوضة التي جرت بصنعا بين الوفد السعودي والوفد اليمني في شهر شعبان سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م [١]ـ كما تقدم جلالة الإمام يحيى في جوابه على عامله في ميدي في رسـالتـه المؤرخة ١٣٥٠/٣/٢٩ هـ/ ١٩٣١ م بقوله : إن خولان بن عامر ليسو من تهامة ولا عسير [٢] . . إلخ .

---

(١) انظر ص ٩٢٥ .

(٢) انظر ص ٩٣٣ .

الفصل السابع عشر

بوادر الحركة الفاشلة

بعد اجتماع جلالة الملك عبد العزيز بأخيه الملك فيصل ملك العراق كاد أن يحصل التصافي بين الأسرتين ، إلا أن الأمير عبد الله بن الحسين ـ كان غير راضٍ عما تم ، فلم يرق له ذلك الاتفاق ، وقد تكون تلك المعاهدة أراد بها ملك العراق (تكتيكاً) بينما (الاستراتيجية) تكون بيد عبد الله بحيث أن لا تكون الأسرة جميعها في موقف المجابهة ، وإنما الاستراتيجية يحاول الثاني تنفيذها مرحليا فإن نجحت فالمصلحة للأسرة جميعها ، وإن فشلت في مرحلتها الأولى فلا يلحق فشلها على غير واحد علماً أن العراق والأردن كانتا تحت الانتداب البريطاني وجيش الاحتلال في العراق والأردن ، وليس في وسع أحدهما ـ بموجب المعاهدة معهما إعلان حرب أو إبرام صلح بدون موافقة الإنكليز ، وعلى كل تلك الأحداث لم يبق إلا ذكرى للتاريخ ، وقد حل الإخاء والوئام بين الجانبين .

وقد ترسخ في عقلية عبد الله أن لا وسيلة مجدية في حرب ابن سعود ، وأنه من الأجدى والأنجح القيام بمؤامرة متشعبة الأطراف معتمداً على تأسيس حزب يسمى حزب الأحرار تكون له خلايا وشعب في الشمال من الحجاز ، ومنطقة جازان وفي غيرها ، وأن يكون للحزب جمعية عامة وأعضاء عاملين وأعضاء منتسبين وأعضاء سريين .

وأخذ في العمل لتأسيس الحزب والبحث عن الأنصار والتفتيش عن الأعضاء والمؤيدين واتفق بالشاب حسين الدباغ ، واستطاع أن يستهويه وينفث في رَوْعِه كل ما يجول في نفسيته .

والدباغ شاب في مقتبل العمر عنده الاستعداد للاندفاع وحب المغامرة إلى حد التضحية بالنفس وكان من أبرز الأعضاء الظاهرين :

١ ـ شاكر بن زيد .
٢ ـ خالد الغالبي .
٣ ـ عبد الله الحارثي .
٤ ـ حسين الدباغ .
٥ ـ علي الدباغ .
٦ ـ عزيز يماني .
٧ ـ مسعود الدباغ .
٨ ـ محمد أمين الشنقيطي .
٩ ـ مسعود قراره .

وقرر بأن تسند رئاسته في الحجاز إلى رئيس (الحزب الوطني الحجازي) الذي طالب الملك حسين بالتنازل عن الملك لابنه علي .

وبعث بعض الأعضاء إلى الهند وأندونيسيا ومصر لجمع التبرعات لإنقاذ الحجاز ـ بزعمهم ـ والتفاهم مع الحكومتين البريطانية والإيطالية بواسطة حكامي مستعمرتيهما في عدن ومصوع ، وبغض الطرف مقابل شيء عند النجاح ، وأخذوا بالعمل وتكوين الخلايا ، والاتصالات بغير جهة من الجهات وحكومة من الحكومات في جنوب المملكة وغيرها ، ووصل بعض الأعضاء إلى جزيرة كمران وكونوا خَلِيَّة بإشراف محمد عبد الهادي رجب من أهل الحديدة ، والمستوطن جزيرة كمران ، فوصل إلى صبيا وعقد مع الحسن الإدريسي بواسطة مكي زكري ومحمد أمين الشنقيطي ، وتم الاتفاق المبدئي وجُعل محمد عبده مزيد حكمي ومحمد الفال الشنقيطي صلة اتصال بينهم وبين الإدريسي كما اتصلوا بالإمام يحيى فكان يظهر التمنع المغري الذي لا يقصيهم ولا يدنيهم ويجعلهم بين اليأس والرجاء ـ في مبدإ الأمر ـ مع غض الطرف عن نشاطهم في أراضيه وعلى مسمع ومرأى من رجاله ، وعندما ألحوا أحالهم إلى ابنيه ولي العهد أحمد وعامل الحديدة (البدر) الذي كان أشد اندفاعاً ، وسمح لهم باتخاذ مدينة اللّحيَّة مركزاً لنشاطهم .

لقد أفادني صديق ثقة لا يحب أن أذكر اسمه ، أنه اتفق بالشيخ مكي بن يحيى زكري في القاهرة بمصر في سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م فجرى الحديث مطولاً بينهما حتى وصل إلى مسببات تلك الحركة الفاشلة التي وقعت في منطقتنا سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م فقال له : ياشيخ مكي : إن حركتكم كانت ارتجالية ، تحمل بذور فشلها وزخم هزيمتها من ساعتها الأولى ، فركوناً إلى حركة (حزب الأحرار) اندفعتم في زج المنطقة في أتون من الفتنة . فإذا كنتم في حركتكم قمتم مستلهمين حركة مؤسس الحكومة الإدريسية فقد أخطأتم الطريق ، وضللتم السبيل فهو لم يَقُمْ بحركته ارتجالاً مثلكم ، بل قام بعد تدبير وتمعن ، وتقدير صحيح ورؤيا أصح .

فهو يعرف مثلاً أن تركيا قد نخر السوس في بنيانها ، وحطمت الشيخوخة كيانها ، حتى أطلق عليها الساسة اسم (الرجل المريض)، وأن الدولة التي دفعته هي إيطاليا المشتبكة في حرب مع تركيا في طرابلس الغرب ، وتعهدت له بإمداده ومساعدته مادياً ومعنوياً وحربياً ، من مستعمرتها ميناء مصوع المقابل على الضفة الشرقية من أفريقيا لمنطقة (تهامة عسير) وتعهدت إيطاليا بحمايته بحراً بواسطة أسطولها ، مع معرفته الأكيدة بمشاغل تركيا التي لا حصر لها ، وأن جنودها في اليمن مشغولة بمقاومة حركة الإمام يحيى .

أما في بلاد عسير بأسرها فلا يوجد لديها سوى ألفي جندي ، وهي أضعف من أن تفك حصاراً يضرب عليها ـ كما برهنت الأحداث بعد ذلك ـ فضلا أن تقوم بحركة هجوم .

وفي الحجاز من الخير لقواتها الهزيلة ، لو استطاعت المحافظة على أمن الحجيج ، أو طرق مواصلاته الداخلية .

وإنها لو استطاعت تجهيز بعض القوات ، لما استطاعت تعزيزها بقوة أخرى وقد دلت الأيام ، وبرهنت الحوادث على دقة تقديره وصحة حدسه .

فاندفع الشيخ مكي مدافعاً عن حركتهم ، قائلاً : نحن لم نقم بحركتنا ارتجالاً كما تقول ـ بل اعتماداً على وعود جادة ، وعهود صادقة ، من

الحكومة المتوكلية وإن مكاتبات محمد البدر ابن الإمام وعامل الحديدة ، عندنا حررها نيابة عن الإمام والده وأقسم فيها أنه ـ بمجرد قيام الحركة ـ سيكون في صبيا وتعهد أنه لن يتركنا لتصاريف الأقدار بل سيظل عندنا حتى النصر أو الموت .

وإنما في أثناء التحضير النهائي للحركة توفي غرقاً ـ كما هو معروف ـ وكان الوقت أضيق من أن يؤخر التوقيت المحدد .

وإذا كنا ارتبطنا مع حزب (الدباغين) حزب (الأحرار)، إنما كان بالنسبة إلى ما تقدم في الدرجة الثانية .

وبعد حادث وفاة محمد البدر ابن إمام اليمن ، لم نجد التدخل الفعال الذي يترجم وعوده إلى عمل نضالي ومجهود قتالي ، وإنما بعد تحركنا وإلحاحنا كان الوفاء ببعض المساندة غير المباشرة ، والمساعدة القليلة غير المجدية والتأييد المعنوي من الإمام وولى عهده ـ (راجع الفصل المختص بثورة الجنوب).

١ ـ كانت إيرادات الحزب مما يُمِدُّه به الأمير عبد الله أولاً .
٢ ـ من تبرعات بعض الجمعيات والأفراد في الهند الذين غرقوا في دعاية الحزب ، وأن هذه التبرعات والإعانة لإنقاذ الحجاز ـ بزعمهم .

أشرنا إلى إسناد رئاسة الحزب إلى تلك الشخصية التي طالبت الحسين بالتنازل فأبرقوا له بالحضور .

في أثناء ذلك عمد الأمير عبد الله إلى حسين الدباغ ـ بعد أن زوده بمبلغ سخي من المال بأن يُجِدَّ في السفر إلى مصر ، ويؤلف فرعاً للحزب يستقطب بعض الحجازيين فتألف الحزب هناك من بعض الشخصيات ومنهم :

عبد الرؤوف الصبان	يوسف الزواوي
صالح الدباغ	محمد عبد الله صادق
حامد بن سالم بن رفادة	محمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة

وغيرهم .

وكـان حامد بن رفادة من مشايخ قبيلة (بَلي) فاراً من العدالة وكذا محمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة لاجئين في مصر ، وبعد أن أسس ذلك الفرع في مصر ، توجـه إلى عدن ثم إلى اليمن فوافاه هناك طاهر الدباغ الذي كان مقيماً فترة في (جـاوه) كمـا انضم إليهم أنصـار آخـرون مثل أحمد أبي النور وشخص يسمى عباس ، ومن اليمن كثفوا نشاطهم مع الأدارسة وبعض رجالهم وأمدوهم ببعض المال ونسقوا معهم الخطة .

كما أخذت الدعاية السرية دورها لاستقطاب بعض شباب الحجاز وضموهم كما يقال إلى الحزب .

وكانت الخطة مخططاً لها :

١ ـ أن يقوم ابن رفادة وأبو طقيقة بالتسرب إلى شمال الحجاز بثورة هناك .

٢ ـ في نفس الوقت خُطِّط لاغتيال ابن سعود ، والقيام بثورة في الحجاز .

٣ ـ وفي نفس الوقت تقوم ثورة الإدريسي في الجنوب .

وقد اعتقدوا نجاح مخططهم فأخذوا في العمل ، وحوك الدسائس واستقطاب أنصار جدد .

واتصل الحزب بحكومة إيطاليا بواسطة الوالي الإيطالي ، طلباً لتأييدها المعنوي ومساعدتهم ببيع أسلحة .

والحركة تحتاج إلى المال وما لدى عبد الله بن الحسين من مُدَّخَر أوشك على النفاد ، فاضطر إلى تحمل دينٍ على ذمته لم يستطع تسديده ، وشعرت بريطانيا بما تحمله من الديون وهي عالمة ـ بالطبع ـ بتصرفاته ، فعينت موظفاً يشرف على رواتبه ومخصصاته ووجوه إنفاقها في حدود مخصصاته أو ميزانية القصر .

وبين عبـد الله والخـديوي عباس المنفي في الآستانة ، صداقة قديمة ، منذ كان (خـديوياً) على مصـر ولا تزال صلة الصـداقـة مستمـرة ، والخـديوي متعطش إلى الملك في أي جهة كانت ، وبين الأسرتين صداقة تقليدية كما هو

معروف ، والخديوي عباس يعايش نفس مأساة الأمير عبد الله وأسرته ، وإن اختلفت الأسباب فهما يتفقان في المصير التي آلت إليه حالة كل منهما .

وعبد الله يعرف نقطة الضعف في نفس صديقه ، ويعلم مفتاح شخصيته المتطلعة إلى ملك أي جهة ، وبأي ثمن ، ولديه من المال ما لا يضن ببذله لنيل أمنيته في إشادة مملكة لنفسه ، ولو بنيت على الْوَهْم وشيدت على دعائم من الأماني .

لذلك رأى عبد الله أن يتصل بالخديوي عباس ، باسم الحزب ، ويطلعه على مخططه ، ويشرح له حركته وأهدافه ، ومراميه وغاياته ـ كما يزعم ـ من تحرير الحجاز ، وأنه على كامل الاستعداد هو والحزب في موافقته على إمداد الحزب بالمال مقابل أن يأخذ له البيعة من الحجازيين ، ليكون ملكاً على الحجاز ، فصادف هذا العرض هوى في نفس الصديق القديم والملك المخلوع الذي يتعطش إلى الملك ، ويتوق بكل آماله وجماع أمانيه إلى عرش في أية رقعة وفي أي قطعة من الأرض ، فاستجاب لعرضه وتعهد ببذل المال ، ودفع قسطاً سخياً وتعهد بموالاة المساعدة بعد ذلك .

وتم الاختيار على حامد بن رفادة على أن ينتدب لإشعال نار الثورة في شمال الحجاز ، وتوجه (حامد باشا الوالي) لقبض المال الذي حوله الخديوي ، وتأمين الذخيرة اللازمة وأن يقوم الأدارسة بثورتهم في الجنوب وينتدب من يقوم باغتيال ابن سعود في الحجاز كما تقدم ، وتقوم على اثر اغتياله ثورة في الحجاز .

وأن يتحدد الوقت لإشعال الثلاث ثورات في وقت واحد ويوم محدد .

ومن المال الذي دفعه الخديوي تَمَوَّل الحزب وتغذت الحركة ونشط الحزب .

على أثر ذلك توجه حسين الدباغ إلى مصر وباشر العمل مع أعضاء فرع الحزب بمصر ، واستدعى حامد بن رفادة (وأبو طقيقة) وعقد الفرع جلسة مستعجلة تقرر فيها بناء على أمر رئيس الحزب أن يتوجه ابن رفادة

وأبـو طقيقـة وجمـاعتهمـا إلى شمال الحجاز عبر شرق الأردن ، للتمهيد للثورة واستمالة شيوخ القبائل .

وتوجه حسين الدباغ بعد إنهاء المهمة إلى مُصَوَّع لتأمين السلاح الذي قد تم التفاهم مع المسؤولين الإيطاليين ، وبعد أن تأمن له مبتغاه وأصبح جاهزاً تحت الطلب توجه إلى عدن ، ومنها إلى (لَحْج) ومنها رفع تقريره بما قام به من نشاط وما أنجزه من مهام إلى شاكر بن زيد ـ وسيأتي نصه .

أخـذت رسلهم وأعضاء حزبهم تتوارد ، وتتردد بين (عدن) و(مصوع) وجزيرة كمـران ، وكمـا أسلفنـا أن حكـومتي بريطانيا وإيطاليا على علم بنشـاطهـم ، فاستخباراتهما لا يفوتها أخفى المؤامرات في غير مستعمرتيهما فضلا عما هو في مستـوى تلك الحـركة ، وهم يتحركون ويقاولون على أسلحة وأرزاق ومُؤَن علناً ويباشرون نشاطهم المريب ولا يكون ذلك بدون استئذان أو علم .

وهــذا نـص التقـــرير الحـــرفي

حضرة الشهم البطل النبيل سمو الأمير شاكر بن زيد .

بعد التحية : كتبت إليكم من مصر ثم وصلت مصوع فوجدت الأمر كما يجب وقد اعتمدنا (اللحية) مركزاً للتحرك ، ولا بد أنكم تعلمون قبائلهما المتأججة الذي يزيد عددهم عن . . . وفخوذهم . . . وبينهم وبين رجال ألمع مصاهرة وحلف ، وسنصل إلى (مصوع) لحمل التعليمات اللازمة .

والمقصود أن البوادر تدل على النجاح ـ إن شاء الله تعالى ـ وقد أرسلنا ثلاثة رسل مهمين جداً .

١ ـ واحد لقبائل الجنوب الحجازي . ٢ ـ والثاني لقبائل الساحل .
٣ ـ والثالث لعسير .

وسيسافر إلى المسارحة أحد رجال الحزب .

وفيما تجدونه في كتاب سكرتير الهيئة (لحزب الأحرار الحجازي بعمان) التفصيل اللازم .

نحن قد شرعنا في الأمر ، والنتيجة أكثر مما نتصور ، ولكن الدفعة التي اتفقنا على تحويلها برقياً لم تصل ، وقد كتبنا إلى حامد باشا في (لوزان) والسكرتير لديكم برقية بالنتيجة التي رأيناها حسب الاصطلاح الذي اتفقنا عليه .

ومضت الأيام لم نتناول شيئاً ، ونحن مكَتَّفُون متعطلون جداً أرجوكم أن تحذروا حامد باشا من الإهمال ، وليتذرع بالحزم والهمة .

وأرجو ملاحظة الكتاب الأخير المرسل لكم من هنا ، وملاحظة تنفيذه بالدقة المتناهية .

وإذا كنا نريد الانتظام في الأعمال ، وحركة الشمال يجب أن تكون بعد حركة الجنوب فوراً ، وهيئوها .

وإذا ابتدأت تبرقونا بالعنوان المعروف (الشدي) والإمضاء (سعيد) هذا وقد اختار فرع الجنوب هناك أن نكتب إلى الشريف (شرف) ليحضر إلى (عدن) لحضور المؤتمر الوطني الخطير بلهجة سوف لا تدعه يتأخر ، وتجعله يسرع للحضور ، وأفهمناه الطريقة السرية التي يسافر باسمها ويصلنا .

وسنسحب يوم وصول الكتاب تحويلاً بخمسة عشر ألف أوعشرين ألف جنيه وعند وصوله نفهمه باللازم ، وندعوه لمرافقة الحركة .

وهذا رأى فرع الحزب هنا ، وعلى كل سيصل أمر اللجنة المركزية باللازم عن هذا الشأن ، الرجا أن تقبلوا الأمر كما يليق بالحزم والنجاح والسرعة والكتمان .

التوقيع : محمد حسين الدباغ

توجه حسين الدباغ إلى صنعا ، وقابل الإمام يحيى ، وأطلعه على ما تم فاستمع الإمام يحيى إلى أقواله ، وإنما كان متحفظاً ولم يزل به حتى تمكن من الحصول من الإمام على وعد بأن يُوْعِزَ إلى ولي عهده السيف أحمد بما يأتي :

١ ـ تأييد الحركة .

٢ ـ مساعدة الأدارسةفي قيامهم الفعليّ بالثورة .

٣ ـ تسهيل أعمال الحزب ونشاط رجاله ضمن أراضيه .

٤ ـ السماح لبعض اليمنيين بمساعدتهم .

واتصل بالأدارسة وأطلعهم على ماتم مع الإمام هذا علاوة على اتصال الأدارسة بـ (البدر) ابن الإمام عامل منطقة الحديدة وبعده بالسيف أحمد ولي العهد .

ابن رفـــادة وثـــورة الشمـــال :

أشـرنا إلى توجه ابن رفادة وأبي ظقيقة (وأتباعهما) من مصر في طريقهم إلى شمال الحجاز فوصل الجميع إلى (النقب) في أوائل شهر محرم **١٣٥١** وبعد أن مكثوا فيها برهة ساروا إلى (الخضر) ثم منه إلى (درب الولفة) وجعلوا طريقهم وسطاً بين الساحل والجبل حتى وصلوا (طابة) آخر نقطة من الحدود المصرية ، واجتازوا الحدود وتعدوا العقبة إلى موضع يسمى (الشريح) وهناك وافاهم أحد أفراد الحزب مسعود الدباغ بالعتاد والأرزاق .

مكثـوا في (الشـريح) أياماً يدبـرون أمـرهم ، ويتصلون ببعض أنصـارهم وقبائلهم ، ويستميلون غيرهم من شيوخ القبائل ، ويعدون العدة والاتصال مستمر بينهم وبين المركز الرئيسي في الأردن ، فقاموا ببعض الغزوات السريعة من معسكرهم .

وكـانت حكـومة جلالة الملك تراقب حركاتهم في يقظة وتبصر واستعداد وقد أصدر جلالة الملك أمره بما يأتي :

١ ـ تسيير جيش بقيادة عبد الله بن عُقيِّل ، سلك طريق تبوك ، ومنها تحرك إلى (حَقْل) و(البدع) .

٢ ـ تسيير جيش آخـر تحمله السيارات بقيادة عبـد الله بن حلوان ومحمد بن سلطان سلك طريق الساحل الشمالي وجهته (ضبا) .

واحتياطاً أودعت بعض الشخصيات الحجازية في السجن الاحتياطي ، في الرياض ممن يخشى أن تجرفهم الدِّعاية أو أن يكون لهم ضلعٌ فيها .

١ ـ إبراهيم الدباغ .
٢ ـ علي بن منصور الشريف .
٣ ـ عيسى الدباغ .
٤ ـ علي بن حسين الحارثي .
٥ ـ أمين إسحاق بن عقيل .
٦ ـ عبد الوهاب آشي .
٧ ـ حمزة شحاته .
٨ ـ مرزوق اللحياني .
٩ ـ حسين بسيوني .
١٠ـ محمد حسن عواد .
١١ـ سليمان أبو داود .
١٢ـ عبد العزيز جميل .
١٣ـ أحمد باصلوح .
وغيـرهم .

وأصدرت الحكومة بتاريخ ٢٦ صفر سنة ٥١هـ/ ١٩٣٢م البلاغ الآتي .

١ ـ لا يجوز لأحد من أهل هذه البلاد أن يقوم بدعاية سياسية لأية جهة من الجهات ، ومن عُلم عليه شيء من هذا فإدارة الشرطة مأذونة بمعاقبته .

٢ ـ إن الأحزاب والتحزبات ممنوعة في هذه البلاد وكل من يقوم بها ، أو يعمل فيهـا فإن إدارة الشـرطـة مسؤولة عن تعقبه ومنعه من ذلك وتأديبه صيانة لقدسية البلاد ، وحفظاً للأمن فيها فعلى هذا : فمن أراد العبادة في هذه البلاد ويطلب المعيشة من طريقها المشروع فهو آمن حرام الدَّم والمال ، ومن أراد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه .

واحتجت وزارة الخـارجية السعـودية لدى الحكـومة البريطانية على ما اتصل بعلمها عن تصرفات شرق الأردن ، فأمرت الحكومة البريطانية بمنع تسرب الأرزاق والمهمـات الحربية إلى ابن رفادة عن طريق شرق الأردن ، كما أمرت دورياتها بوادي عربة بمراقبة الحدود ثم نشر المندوب السامي البريطاني في شرق الأردن بلاغاً رسمياً بمنع كل مساعدة سواء من شرق الأردن ـ، أو عن طريقها للثائرين ضد حكومة ابن سعود ، وعند ذلك أخذت الحكومة السعودية تعمل على تضييق الخناق على الثائرين في الشمال لتحصرهم في أضيق نقطة .

وعنـد استكمـال سد جميع المنـافذ تيقَّنت الحكومة أن (ابن رفادة) وجماعته وعددهم نحو أربع مئة مقاتل في جبل شار على مسافة نحو خمسين كيلا من بلدة ضبا .

اتخذت الخطة بالإيعاز إلى بعض أهالي (ضبا) بالكتابة له بطلب قدومه لتسليمه البلدة ففعلوا وبتبليغه الرسالة نزل مسرعاً لاحتلال البلدة ، وما توسط السهل حتى طوقته القوات المحمولة على السيارات برجالها ورشاشاتها ومدافعها وأطبقت عليهم من جميع الجهات .

وفي صباح يوم السبت الموافق **٢٩** ربيع الأول سنة **١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م** هَجَّدَتْه بهجوم خاطف جارف قضى عليه وعلى جميع من معه عن آخرهم ، بما فيهم :

حامد بن سالم بن رفادة زعيم الثورة ، ومحمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة وحماد ابن حامد بن رفادة ، ومسعود الدباغ ، وفالح بن حامد بن رفادة ، وسليمان بن أحمد أبو طقيقة .

وحزَّ الجنـد رأس ابن رفـادة ، وطيف به في بلدة (ضبا) وبذلك انتهت ثورة الشمـال . وكـان ذلـك الفشل الذى أربك مخطط الحزب وأربك (استراتيجيته) وجعله يمشي على رجل واحدة ولكنها رجل واحدة مشلولة يسحبها سحباً في تخاذل وإعياء فقد كان مخططهم كما ألمعنا يهدف إلى قيام الثورة في الشمال والوسط والجنـوب ، فَتَمَّ اعتقال من كان يعول عليهم في الوسط (الحجاز) فلم يبق من يعولون عليه فيها ، وقامت حركة الشمال قبل ثورة الجنوب فأخطأوا فيها التوقيت وتم القضاء المبرم على تلك الحركة بصورة كاملة شاملة أخمدت كل ثائرة وكانوا كما يعتقدون أن ثورة الشمال إذا لم يحالفها النصر السريع فستظل وقتاً طائلاً مشبوبة الأوار متأججة النيران فخمدت في أقصر وقت وفى معركة واحدة .

إذن لم يبق إلا حركة الجنوب فتعزوا عزاء الثَّكْلى بالصبر والأمل ، وإن يكون النصر بالنسبة لهم مشكوك فيه ولكن كما قال الشاعر :

إذا لم يكـن إلا الأسـنَّـة مركبـاً فلا رأي لِلْمُضْـطَرِّ إلا ركـوبهـا

فلاذوا بالأمل وتعلقوا بالأماني ، ورأى الإمام بدوره ، أن هزيمتهم في الشمال في صالحه فهم سيكونون أضعف مما يقدرون فإن قاموا بثورتهم في الجنوب فسيكونون إليه في حاجة أشد وضعف أعم ، فإن تحقق لهم النجاح وهو أمر مشكوك فيه ـ فسوف يكون استيلاؤه على البلاد الإدريسية أضمن مقابل مساعدته لهم وجميله مع الأدارسة ، وإن لم ينجحوا فلن ينتصر ابن سعود إلا وهو ـ في نظره ـ مثخن بالجراح ، مفلول السلاح ، بعد مجهوده الحربي في الثورتين ، وسيكون موقفه أفضل من موقف خصمه بكثير ـ وتقدرون فتضحك الأقدار ـ وتحت تلك النظرة لمسوا من الإمام التوسع الزائد لحركاتهم أكثر مما كان سابقاً وبمساعدته الجديدة تضاعف نشاطهم وسمح لهم بخزن كميات كبيرة من المؤن وغيرها في (اللحية) و (ميدي) وغيرها .

ثـــورة الجنـــوب :

أشرنا في آخر الفصل الخاص عن علاقة الأدارسة بابن سعود إلى دخول الأدارسة في الحماية السعودية بموجب معاهدة مكة ومادار بين جلالته والإمام يحيى من المكاتبات والمفاوضات ، إلى أن وصلت المفاوضة إلى شبه اعتراف الإمام ببلاد الأدارسة وعسير للملك عبد العزيز ولم يبق إلا موضع (نجران)، ثم أشرنا في الفصل الخاص (بوادر الحركة الفاشلة) بمقدمات ثورة (حزب الأحرار) واتصالاته بالأدارسة ثم بالإمام يحيى وإحالته للحزب للاتصال بوليّ عهده وأمر رجاله بالسماح لنشاط الحزب في أراضيه ومساعدة الأدارسة ، وما أفاد به الشيخ مكي بن يحيى زكري رحمه الله عن تعهد الأمير البدر بن الإمام لرجال الثورة الإدريسية قبل الثورة والآن نستعرض ملابسات الثورة بإسهاب .

من ابتداء حركة الحزب كما ألمعنا اتصل مبكراً بالأدارسة بواسطة محمد عبد الهادي رجب الذي كان مدير جمرك في مدينة اللُّحَيَّةِ وغيرها في العهد العثماني ، ثم في العهد الإدريسي ، وتقلب في عدة وظائف في سلك الجمارك وبعد احتلال حكومة الإمام يحيى للنصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية استوطن جزيرة كمران ، واشتغل وكيلاً تجارياً لِباصهي وغيره وكان كما يقال :

يشتغل بالسياسة فقد شارك في ثورة مصطفى الإدريسي وإنما بصورة خفيفة ، لم يظهر له دور رئيسي فلم ينله ما نال غيره من السجن والإبعاد ، وظل في وظيفته حتى استوطن جزيرة كمران ـ كما أسلفنا .

فوصل إلى صبيا ، واستطاع إقناع الإدريسي وبعض رجاله المقربين بالانضمام إلى الحزب ، وعاد إلى مقره يحمل الموافقة المبدئية ، وأخذت المفاوضات دورها حتى تم الاتفاق ، وكان هو صلة الوصل بين رجال الحزب الإدريسي ، وانتدب الإدريسي شخصين للاتصال بين صبيا وكمران وكذا بين صبيا والحديدة وصنعاء .

١ ـ محمد عبده مزيد حكمي .

٢ ـ محمد فال الشنقيطي ، وهو من (موريتانيا) ممن وفدوا على المنطقة وظل في خدمة الأدارسة خادماً خاصاً .

علم الملك عبد العزيز باتصال حسين الدباغ وحزبه بالأدارسة فأبرق إلى الحسن الإدريسي بما بلغه ناصحاً ومحذراً ومنذراً من الغواية ، مذكراً إياه بالصداقة القديمة بينه وبين أخيه الإمام محمد بن علي الإدريسي ، ووصيته لجلالة الملك بأمر إمارته وأسرته ، ثم بما قدمه جلالته للإمارة الإدريسية من المساعدة غير المباشرة في أثناء قيام الحسن على ابن أخيه ، وأخيراً بالتجائهم إليه للحماية بموجب معاهدة مكة .

في حين كان الحسن الإدريسي قد أخذ في التحضير للثورة من قبل ذلك ، فأخذ يستدعي مشايخ القبائل ، والاجتماعات شبه دورية ، فإذا وصلوا صبيا أبقاهم في صبيا القديمة في ضيافته حتى إذا كثر سوادهم ، واحتشدت جموعهم بعث لهم ليلاً من ينبه عليهم بأن الاجتماع هذه الليلة في صبيا (الإدريسية) في قصره ، وهناك يكون القصر قد غص بالأنصار ، ورجال الحاشية ووجهاء صبيا والمقربين منهم .

وهناك يقوم الحسن متحدثاً بما يقوم مقام غسل دماغ وتَعبئه لكل ما ينفرهم من الحكومة ، ويحفزهم على الثورة ويُمَنيهم ويعدهم ويرغبهم

ويرهبهم ، ويعمل كل ما يقدر عليه من إعداد النفوس وتهيئة العقول ، ويحضر تلك الاجتماعات بعض أعضاء الحزب ، فيذكي الحماس وساعد نشاط الحزب والاستجابة الإدريسية ، أن هناك بعض العوامل النفسية والحوافز الشخصية من رجال الحاشية والمقربين إلى الحسن ، الذين يتحرقون لتغيير الحال بما يرونه في المصلحة الخاصة وصالحهم بالذات لا على أساس الصالح العام الذي كان غير بارز السمات ، ولا واضح المعالم ـ حينذاك ـ في كثير من الجزيرة العربية ، فمضى ذلك الفريق يُهَيِّئُ الجو لفكرة الانتقاض ، ويضرب على الوتر الحساس لدى كثير من مشايخ القبائل ورجال الإمارة وفى مقدمتهم الذين عاصروا العهد الإدريسي الأول .

وبالأخص الذين شاركوا في انتصاراته على الأتراك وتولوا الأعمال الإدارية والقيادات الحربية في جنوب تهامة وشمالها وفي جهات من المناطق الجبلية وعسير .

وأخذ مروجو الفتنة يمنونهم بالنصر العاجل ، والفوز الوشيك ، على ضوء ما وقر في أذهانهم من دعايات (الحزب). وبأن الحكومة السعودية ضعيفة ، وأن هناك ثورة في الشمال ، وأخرى في الحجاز ، وثالثة في عسير ، وأنه إذا بقى للحكومة شيء فليس هو غير نجد .

وأن نجران متقدمة نحوه جيوش الإمام ، إلى غير ذلك من تعميق الشعور بالغبن وطلب التعجيل بانتفاضة يتغير بها الحال ، من الأراجيف التي تمليها الأغراض وتزينها المطامع .

واندفعت الإغراءات والتشويقات والميول تتلاقى مندفعة في تيارات كالشلالات إلى قلب الحسن الذي هو مركز الثقل وقطب الجاذبية يحث القبائل ويهيئها للثورة الوشيكة وقد انصاع بجماع قلبه ، وانصاع معه الخاصة واتبعهم العامة ولم يبق من يشك في مخالفته لرأيهم إلا أقلية مثل الشيخ محمد يحيى باصهي وبعض الشخصيات ـ ولنشرح موقف تلك الشخصية .

محمد بن يحيى باصهي والأدارسة :

سبق ـ أن ألمعنا عن منشأ كل من الإدريسي ، وباصهي ، وأحمد شريف الخواجي ، ووقفنا مع كل منهم إلى نجاح الثورة الإدريسية ، وبذلك أضحى :

١ ـ الإدريسي إمام تهامة عسير وبعض تهامة اليمن وقسم من المنطقة الجبلية الشرقية وعسير .

٢ ـ باصهي وزيراً من وزراء الإدريسي البارزين ومن كبار أغنياء المنطقة لقد كان باصهي أحد وزراء الإدريسي أو بالأصح ـ بتعبير ذلك العصر ـ أحد خدامه المخلصين (١) .

٣ ـ أحمد شريف زعيم المعارضة قبل قطع يديه وبعدها احتضنه الأتراك وأرسلوه إلى أبها ثم استرابوا في إخلاصه فقتلوه .

حـــالة الـــوزراء :

إن باصهي وزملاءه من الوزراء يتوجون توقيعاتهم ـ بما يعتبر في ذلك العصر ـ من ألقاب الشرف ورتب التشريف ، (مملوك الإدريسي) وخادم نعله ـ

ويقال : إن الشخص كان تَتِمُّ له مقابلة الإدريسي ، إذا أقبل على مجلسه ـ حبواً على الركب وهذه حقائق معروفة لدى من عاصر ذلك العهد نوردها للحقيقة والتاريخ .

وللحقيقة أيضاً نورد أنَّ الإدريسي لم يكن بالمتجبر أو المتكبر بل هو من كبار علماء عصره غير أن مسلك الصوفية الذي ورثه ، يدعو إلى تعظيم شيوخ الطريقة ، ولثم أقدامهم ، والتظاهر بالخشية والاستضعاف أمامهم ولا يمكن لفرد مهما بلغ من قوة شخصيته التخلص السريع من الرواسب الموروثة من العادات والتقاليد .

فإذا كانت تلك هي منزلة الوزراء ـ أي كمنزلة فقراء الصوفية مع

---

(١) انظر ص ٧٨٩ .

شيخهم بما يسمونه أدب السلوك في مصطلح الصوفية ، وجدُّه إمام التصوف في عصره وهو بصلاحه وتقواه غَنِيٌّ عن التعريف .

تلك منزلة الوزراء في ذلك العهد ، وكان أولئك الرجال الذين كانوا على قمة الأمر والنهي . يقدِّمون مثل تلك الفروض التقليدية عن إخلاص ساذج وغلو مؤكد في تقوى الإدريسي وصدقه وقدرته حتى من لم يكن مخلصاً لتلك التقاليد والمغالاة في الطاعة وإظهار ضروب الولاء ، فإنه يتظاهر بذلك ، ويتعوده حتى تصبح له عادة .

ولم يكن باصهي ، من ذلك النمط الساذج ، بل كان مثقفاً ذكياً مطلعاً على كتب التراث من تاريخ وأدب ، ومكتبته عامرة بالكثير منها ، وقد أخذ مبادىء الفقه على قريبه الشيخ سالم باصهي الذي كان من علماء الفقه الشافعي في صبيا .

قلنا إن باصهي كان ذكياً ، والذكاء كثيراً مايكون جناية على صاحبه في مثل ذلك المجتمع ، ويكفي ما نَعَتَهُ به متصرف أبها سليمان شفيق بقوله ، (مفرط الذكاء وصاحب الثروة الطائلة).

وكان متحرر الرأي ، والطاعة العمياء ، هي أنفع ما يتحلى به المقربون ـ آنذاك ـ ويشارك باصهي أو يشتركان في هذا التحرر الفكري زميل صباه وصديقه ، محمد حيدر القبي ، من أعضاء المحكمة العليا ، ويختلفان في ما عداه مذهباً وسياسة .

يروي عن باصهي قال : كنا نعتقد أول الأمر أنَّ قيام الإدريسي وحركته دينية مجردة عن كل غرض سياسي ، أو ارتباط خارجي ، أو عون أجنبي ، وقد استطاع بدهائه الخارق أن يعمِّيَ علينا حتى نحن ـ أي هو ورفقاؤه ـ حتى كان يوم دخول جازان ذلك اليوم وصلت من مصوع سفينة أو باخرة ، وبعد رسوِّها نزل منها رسولٌ يحمل خطاباً وخمس صُرَر مختومة من ذات آلاف الجنيه ومن ذلك اليوم علمنا أن هناك سياسة خارجية تساند قيامه .

ويروي أيضاً أن الإدريسي بعد استقرار أمره ، لم يكن ليطمئن إلى باصهي ، وأنه عزم غير مرة على إلقاء القبض عليه وسجنه أو إعدامه ، إلا أنه كان كل ما هَمَّ ، كان يشفع له لديه سابق الخدمة ، وواجب الحرمة ، وقد صرح مرة بذلك .

ويذكر أن الإدريسي التفت إلى باصهي وهو ماثل أمامه مع زملائه الوزراء فقال له : يامحمد تقول لماذا قَتَلَ الخليفة هارون الرشيد وزيره (جعفر) فأجاب باصهي متلعثماً من هول المفاجأة بإلقاء مثل ذلك السؤال عليه : يقال ياسيدي ، في ذلك أقوال مختلفة ، فابتدره معقباً على إجابته بسرعة:لا . . وإنما كان متعاطي [1] مثلك فقتله ؟ فاصفر لون باصهي وكاد أن يتوقف نبضه ، ووجم المجلس لهول ذلك .

إن باصهي كان أصيلاً في التجارة ، فهي مسلك عائلته التقليدي ، وبعض منهم كان من علماء الدين ، وإنما في العهد الإدريسي تأثلت تجارته أضعافاً مضاعفة وتلاه زميله الوزير يحيى زكري ، ويقال : إنه كانت ترد عشرات الطرود من البضائع مهملة بدون علامات ، لسرعة التجار في ترحيل بضائعهم من عدن إلى جازان الميناء الوحيد المفتوح من مواني البحر الأحمر الجنوبية والحصار مضروب على بقية المواني التي تحت الأتراك ، ومزاحمة التجار بعضهم البعض لسرعة الشحن يحدث ذلك ، وبوصولها إلى جازان فتفرز البضائع المهملة من العلامات على حدة ، حتى يعرف أصحابها ـ صورياً ـ وعندما تمضي عليها أيام يتوزعها باصهي ويحيى زكري ، يضاف إلى ذلك المصالح الأخرى الكثيرة .

وأنه بعد تدهور أسعار الجلود (الأدم) عقب الحرب العالمية الأولى نال الزكري خسائر فادحة إلا أنه استطاع تفاديها وأن يخرج من تلك الأزمة سليما ، وشعر أن الإدريسي قد علم بكل شيء ، فتخوف وأوعز إلى وكيله بعدن محمد محسن الصافي ، بأن يشكوه بصورة خاصة على الإدريسي ويطالبه

(١) تعني في جهتنا : يتدخل فيما لا يعنيه ، متجاوز لحدوده .

بديون وطلبات عليه ، وما هو مثل ذلك ، مما يورث له العطف ويعود عليه بالتخفيف من نقمة الإدريسي .

ومن المعروف بين معاصري ذلك العهد أن باصهي كثيراً ما يكون مغضوباً عليه ، ويؤذن للوزراء بالدخول ولا يؤذن له ، ثم يحصل عنه الرضا ، ثم يعود عليه السخط . وعلى وجه الإجمال كان بين السخط والرضا والخوف والرجاء .

أما في عهد الإمام الابن فقد مر بالقارىء ـ أحوال الوزراء عامة وباصهي خاصة ، مما انتهى بإبعادهم جميعاً .

في عهد الحسن :

وصل باصهي ، مع زملائه ، من المَنْفَى فكان بطبيعة الحال تبادل عواطف وإبداء مشاعر واستعراض مجاملات بين إمام جديد كانوا ينتظرون إمامته إبان وفاة أخيه ، أو أقله وصايته ، بل كان باصهي من الفريق المحبذ لإمامته على ابن أخيه علي بن محمد ، وقد نالهم بسببه من ابن أخيه ، ما مر بك ـ آنفاً ـ ثم بليت المجاملات ، وجَمَدت العواطف ، وركد ريح الإمارة الإدريسية ، وقلت إيراداتها ، وضعفت أحوال رجالها ، ووَحَّدَ الحرمان المشترك بينهم ، وشغل الفراغ بالمجاملات الفارغة ، وتساوى الجميع في التعطل من الوظائف ، فساءت الحالة المادية ، إلا باصهي التاجر النشيط ، والعملي الجاد ، بحكم منشئه ، وطبيعته الجادة ، فقد التفت إلى تنمية تجارته فوسع مجالها ، ونوع نشاطها ، وساعده تأخر أحوال المنافسين السابقين وأعانه جاهه العريض ، ونفوذه ومكانته الاجتماعية ، وتجاربه الماضية فكان لتجارته روافد ترفدها من الجاه والنفوذ ، وما تصعب مَهَّدَ له المال ، وقلَّ مايكون ذلك ـ والنجاح والنشاط العمليُّ ، يشغلان المرء عن المجاملات في كثير من الحالات ـ والدنيا دنيا عواطف ومشاعر ، فأصبح المقربون من رجال الإدريسي خاصة ، وغيرهم من وجهاء المجتمع بصورة عامة ينظرون إلى باصهي ـ أو بالأصح إلى أحوال باصهي ـ بعين الغيرة ، وعدم

الارتياح ، المبطن بالحسد ، وبالتالي سرت العدوى إلى الأدارسة أنفسهم ، أضِفْ إلى ذلك بعض الأمور البسيطة جدًّا في عصرنا هذا ، كانت في ذلك العهد مما يثير الثائرة وتشعل نار الغيرة والحسد .

كان تردِّي الأحوال الاقتصادية لا تمكن المتوسط بَلْه الأغنياء في ذلك المستوى من بناء دار إضافية من الحجر ، أو غيره إلا في أندر من النادر ، وفي غاية الاقتصاد والاختصار ، وتجارة باصهي التي نمت ، وازدهرت تتطلب بناء مخازن جديدة ، ففعل ، وبيوته احتاجت إلى توسعة ففعل ، وأنشأ بيوتاً من الحجر في صبيا الإدريسية وفي صبيا القديمة ، والناس في أوقات الرخاء والازدهار لا تنظر بعين الغبطة لمن فعل ذلك بل يكاد كل منهم ينشىء ويجدد ويبني ، دائماً في أوقات الأزمة والتأخر الاقتصادي والركود يساوي الحرمان ، فإذا سعدت حالة فرد كان شذوذاً في القاعدة ونشازاً في الأداء .

كان الإمام الإدريسي هو الوحيد الذي يستخدم السيارة في تنقلاته ، وقد تكون من شارة الملك حينذاك ـ وقد ساوت سوء الحالة الاقتصادية بين الجميع ـ تقريباً ـ بحيث لا تتحمل حالة اقتناء مثل ذلك لَوْ أراد أحد اقتناءها ما عدا باصهي لسعة تجارته ، فضلا عما تلوكه به الألسن وتقذى به الأعين ، فقد وقر في عرف الأكثرين أن ذلك من خصوصيات (الحاكم الإدريسي) .

ولا نذهب بعيداً فقد كان في عهد الملك حسين بن علي ملك الحجاز السابق لا يقدر أحد أن يقتني سيارة ، مع تحسن حالة التجار هناك ، وليس في الحجاز بأسره في عهده سيارة إلا له ـ فلا لوم على الإدريسي ، إذَنْ فقد كانت الأثَرَةُ موجودة في غيره .

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م وهي السنة التي توجه فيها الوفد الإدريسي الثاني إلى الحجاز ومن أعضاء الوفد محمد يحيى باصهي ، وبعد انتهاء مهمة الوفد توجه باصهي إلى مصر لمعالجة عينيه ، ومع عودته بطريق (عدن) اشترى سيارتين إحداهما لنفسه ، والأخرى للإمام الإدريسي وعلى حسابه

تخصم لباصهي من الرسوم الجمركية ، وكأنه وهو العارف ـ رآى أنه من غير المستساغ أن يأخذ لنفسه سيارة بدون أن يأخذ للإدريسي أخرى ، وكان جَلْبُ باصهي لنفسه سيارة مَثار هَمْسٍ ولَمْزٍ وغَمْزٍ ، وجاء إحياء باصهي لأرض (الكدرة) في بَيْش جاء موضع إثارة حسد من الكثير ، ومحل اضطغان من الإدريسي نفسه ، فإلى ذلك التاريخ لم يَقُم أحدٌ بإحياء منطقة شجراء إلا الإمام الإدريسي الأول ، الذي أحيا أرض (اللخبصية) وتلاها بأرض (الرزنة) في بيش وأثار أضداد باصهي وبالأخص خصومه المقربون من الإدريسي ، بقولهم : ربما باصهي يتمادى لغيرها مثل أرض (الحضن) القريبة بل الملاصقة للرزنة .

سارع الحسن باستدعاء شيوخ بَيْش ، وطلب منهم التأييد على هبة أرض (الحضن) باعتبارها من ضمن أرض الرزنة ، وأن الرزنة خاصة بأبناء أخيه الإمام الأسبق فيكون (الحضن) له هو ، وواسى أولئك الرؤساء ورغبهم ورهبهم فوافقوه ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وفي سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م قام باصهي بمحاولة إحياء أرض (أبي الصِّبْر) التي شرق شمال المحلة على واديي (قُـرَى) و(بَيْش) فاتفق مع رؤساء قبيلة (السادة) وغيرهم باعتبار تلك الأرض مشاعة بينهم ومرفق ومرعى لأنْعَامِهم ، وتمت الصفقة ، بالطريقة التي تم بموجبها مشترى أرض (الكدرة) وهي في قدر مساحة أرض (الكدرة) أو أكبر مساحة ، فتأججت نار الغيرة والحسد من جديد ، في قلوب أضداد باصهي ، فأوعزوا إلى قبيلة (الهتانة) وهى من قبائل (السلامة) بأن تعترض على ذلك ، فَهَبَّ الهتانة معارضين ومقاومين وشكوا على الإدريسي ، وشعر باصهي فشكى بدوره ، وتفاهم مع الإدريسي خصيصاً فوعده بالنظر في الأمر ، وظن باصهي أن الإدريسي سيقنعهم وأوعز إلى قبيلة السادة بالشكوى أيضاً لتأييد موقفه ، وكان رؤساء قبيلة السادة ممن باع تلك الأرض وقد قبضوا ما يخصهم من القيمة وهي الأكثر ، وهم الأقوى بالنسبة إلى المعترضين ، وإنما المعترضون معهم أضداد باصهي وخصومه من المقربين من الإدريسي

فحضوا (الهتانة) على منع باصهي من مسح الأرض أو تحديدها ، وفي اليوم الذي تواعد باصهي مع رؤساء السادة وبقية قبائل السلامة والمحلة توجّه باصهي ، في سيارته للوقوف على الأرض وتسلمها وتحديدها ، وقد نبه رؤساء السادة والمحلة للحضور على الأرض ، فبلغه في المساء أن قبيلة الهتانة سوف يمنعونه من تحديد الأرض ، فاحتـاط وكتب لوكيله على أرضه في بيش بأن يوافيه معه رجال يعتمد عليهم ، فاجتهـد وكيله وأتى بمئـة مسلح من جماعته قبائل «بيش» وبكَّرَ من أم الخشب إلى (أبى الصبر).

كان خصوم باصهي وأعداؤه المقربون من الإدريسي على اتصال بوجهاء قبيلة الهتانة ويساندونهم خفية ، بل يحرضونهم على الفتك به إن أمكن ، وإلا فالتهديد الجارح والمنع الصارخ .

بكر باصهي في سيارته ، ومعه صديقه فتح الدين بن قاسم بن صديق شافع ، وخمسة من مواليه قد حملوا السلاح ، ومر على وجهاء قبيلة السادة وأخذهم معه في السيارة الثانية ووصلوا إلى أبي الصبر ، فوجدوا جماعة نحو الخمسين من الهتانة مسلحين ، والشر يتضح في قسمات وجوههم ، فاعترضوهم لمنعهم من تحديد الأرض ، ووقعت اللجاجة والخصام ، وإذا وكيله البيشي مقبلاً بجماعته قد ارتفع عجاجهم فاشتد أزر باصهيّ وجماعته ، ورجحت كفتهم ، وأقبل جماعات من أهل المحلة ، وهم من بائعي الأرض ، وأقبل غيرهم من القرى ، ونصحوا العاقل ولاموا المتسرع والسفيه ، وانتهى الموقف بأن سمح لباصهي بتحديد الأرض وأن الهتانة إذا كان لهم اعتراض فعليهم التقدم إلى الشرع ، أو يرضيهم باصهي بالعطاء .

وعـاد باصهي ، ودخـل إلى الإدريسي شاكياً ، فوعـده مجـاملاً بأن ينظر في المعتدين واكتفى هو بالوعد ، وقد عرف الحقيقة ، وتوجه إلى المندوب السعودي في جازان وأخبره بالقضية فأرسل للمعتدين وزجرهم من التعدي مرة ثانية .

وبـالـرغم عن كل ما جرى فقـد تمت إجـراءات تسجيل ملكية أبي الصبر ،

والحركة الثورية في مراحلها الأخيرة ، وكان المعارضون والخصوم ينتظرون قيام الثورة لتصفية الحساب ، ومحمد يحيى باصهي من معارضيها ، ومن خارج نطاقها فليكن لهم معه ما يريدون مستقبلاً .

وهناك قضية (الزكري) (والصافي) التي سبقت الإشارة إليها ـ لا تزال طرية الجراح ، وقد عزم الابن الأكبر ، للزكري ، على المصالحة مع (الصافي) وفعلا سافر إلى عدن ، وأخذ توصية من الشيخ محمد يحيى باصهي ، ويقال : إن التوصية تلاها أوسبقها التحريض والتعقيد ، فكانت النتيجة رجوعه بدون حل للقضية ، بل زاد التنافر والخصام والتهديد من الزكري بقوله للصافي : لن ينفعك باصهي وسترى وسيرى هو مالا يسر .

وباصهي في حياته العامة سريٌّ يتحلى بكل خلق السيادة والزعامة مضياف متدين إلا أنه يُعرف بعمق الرغبة في تحطيم منافسيه ، وعدم التساهل مع كبار مناوئيه ، وفيما سبق له مع أحمد شريف ، ما يكمل الصورة .

وفي أول عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م عزل المندوب السعودي حمد الشويعر ، وخلفه فهد بن زعير مندوباً سامياً في المنطقة .

عود على بدء :

أخذت رسل الفتنة ممن يسمون (حزب الأحرار) ـ بعد إخفاقهم في حركة الشمال يكثِّفون نشاطهم في تأريث الفتنة ، وتواصل إغراءاتها وترغيبها واستقطاب الأنصار حتى تمكنت من اجتذاب الخاصة الذين أخذوا بدورهم في تهييج العامة ، وإعداد النفوس وتهيئة العقول ـ وساعد دعوتها للفتنة ما كان عليه محمد بن عبد الله الحجازي أمير صبيا الإداري من الفظاظة ، وخشونة الطبع وشدة العسف ، مما لاترضاه حكومة الملك عبد العزيز ـ ومن ذلك على سبيل المثال أنه كان في الجامع لصلاة الجمعة وعندما سلم الإمام أمر الجنود أن تخرج إلى خارج الجامع وكل من أقبل بعد انتهاء الصلاة يوقفونه في ساحة المسجد الجامع وبعد ما خرج أمر بالمتخلفين أن يبطحوا ويضرب كل منهم على ظهره عدداً من العصي ، والضرب في منطقتنا على

تلك الصورة أو غيرها يستنكف ويعد من أكبر الاهانات ، فكان لذلك وقع سيء أورث الضغن فى القلوب .

وكان أيسر عقوبة لديه (الفَرْش) ومن ذلك أنه والثورة في سبيل الاختمار شكى شخص عليه بإبراهيم صهلولي قادري ، وهو من الشجعان المعروفين وكان جالساً في حانوته ، فما شعر إلا بجندي من جنود الأمير الحجازي واقفاً على رأسه يأمره بإجابة الأمير ، وكان قد وقع بينه وبين شخص خصومة قبل ساعة فتخلص من الجندي ، وأخذ بندقيته المسندة وراءه معبأة بالرصاص وأسرع إلى بيت باصهي ، وانتظر لحظة فإذا باصهي خارج ليركب سيارته إلى السوق ، فرأى وجه الرجل على غير ما يعهده فإذا الشخص يرمي بنفسه عليه ويقبل رأسه ويقول له : ياأبا يحيى أنا في وجهك من الحجازى ، تخاصمت مع فلان فراح يشكو إلى الحجازي ، فأرسل لي جندياً وأعلم إذا وصلت سوف يأمر بضربي وعندها سوف أفرغ رصاص هذا البندق في رأسه ، وستكون فتنة يعلم الله نتيجتها ، فتراني دخيلك ، فطمأنه باصهي وقال : اركب معي وأنت في وجهي ، وركب معه ، وصل به إلى الحجازي وتفاهم معه مفاهمة حاسمة وسُوِّى الأمر وخرج إبراهيم صهلولي معه بدون أن يمسه شيء .

اشتدت نقمة الناس واستغل دعاة الفتنة تلك وأمثالها شأن من يستغل أوهى الأسباب لأغراض الدعاية السيئة وبلغ المندوب السعودي فهد بن زعير غلظة الحجازي ، وسوء تصرفه فعزله وأمر جميع أمراء المناطق بأخذ الناس بالرأفة .

وإنما برغم ذلك أخذت الحركة تسير في خطواتها المحمومة ، وهرولتها السريعة ، وقد ملأت المنطقة موجة جارفة من الدعاية الموجهة ضد الحكومة السعودية عامة وباصهي خاصة ، تُهَيِّءُ الأفكار للوثبة والقضاء على باصهي ، وبعد ارتباطهم مع (حزب الأحرار) ، وما أمدوهم به من مادة متواضعة ، وما تم بينهم وبين الأمير البدر ابن الإمام، ثم بعد وفاته بينهم وبين ولي عهد اليمن السيف أحمد ، كان متزعمو الثورة فريقين : الأول ومنهم الأدارسة .

أنفسهم غرتهم دعاية الحزب ووعدهم باستعادة أمجادهم السابقة ، وطمأنهم حسب تعهد (الحزب) بعدم اعتداء الإمام يحيى على بلادهم ، وأن حكومتهم المنتظرة ستكون درعاً لهم ، وأن باصهي هو الضالع مع الحكومة السعودية فينبغى التخلص منه عند سنوح الفرصة .

وأما الفريق الآخر وعلى رأسه مكي زكري ، ومعروف ما بين الزكري وباصهي من المنافسة وجاءت قضية (الصافي) وحجز أملاك الزكري ، فكانت (القشة) التي قصمت ظهر البعير ، واعتبروا أن باصهي هو السبب والمتسبب ، وانضم إلى مكي زكري محمد أمين الشنقيطي مستشار الحسن ، وجرفوا شباب المنطقة الذين ينظرون لتفوق باصهي مالياً واجتماعياً بِعَيْن الحسد ، أومن تعامل معه تجارياً وأفلس ، فاضطر إلى بيع أرضه لسداد دينه من الذي لباصهي وهم كثير ، وكان هم هذا الفريق أن يصبح صاحب النفوذ والتفوق ، وأن القضاء على باصهي هو الأول والأهم عندهم .

الاجتمـــــاعـات :

بدأ الإدريسي بعد إتمام الاتفاق مع الحزب باستدعاء مشايخ القبائل ووجهاء البلدان كل شيخ قبيلة هو والعرفاء والأعيان ، فإذا وصلوا جدد العهد معهم ، وبعدها يلح في الاستفسار عن أحوالهم وشؤونهم ، وكيف أميرهم وإدارته لجهتهم ، وبطبيعة الحال إن الحاكم لن يكون موضع رضا من الجميع وهنا يبدأ الحديث ويعلق الإدريسي بأنه لا يلزم السكوت ، وإننا نتألم لكم ، وسوف ننظر في شؤونكم بأنفسنا ويلمسون هم نغمة العداء فينجذبون تلقائياً إليها ويظهرون التذمر ، والتشكي من استبداد أميرهم ، وظلمه بزعمهم ، وهنا تتاح الفرصة فيظهر لهم عدم رضاه لمعاملة الأمير ، ومشاركته لهم في التألم من الواقع وإنه يرغب إخباره بكل ما يجد ، وإنه سوف يرفع بشأنهم ، ويعمل على إزالة مظالمهم ، ثم يَنْفَحُهم ببعض العطاء ، وهكذا يجدد العهد بهم ، ويؤكد ارتباطهم به وبعد مدة يُعيد

استدعاءهم ويتفاهم معهم بصورة أوضح وأقرب إلى الغرض المنشود ، والغاية المرجوة ، ومن لم يستجب سجن وفي السجن تكون المساومة حتى يذعن ، وممن سجن شيخ مشايخ المسارحة وإنما في السجن الاحتياطي ، ولا يعلم ـ كما بلغني ـ هل السجن كان للضغط عليه للاستجابة في الإعداد للثورة ، أوكان صورياً لغرض التعمية والتمويه أولعملية غسل دماغ ، وتعبئة بأفكار الحركة ، إلا أنه عندما قامت الثورة كان عضواً فَعَّالا وتولى قيادة قطاع وادي جازان ، وكان مركزه على مورد جَحَلِّيَّة .

وبعد أن نجحت الاستدعاءات للمشايخ ، وأصبحوا مهيئين لقبول الاستجابة ، كان يستدعى مشايخ كل جهة وزعماءها وتعقد اجتماعات ليلية في صبيا الإدريسية يفتتح الكلام فيها الحسن نفسه ويكاشفهم بما تم ويحفزهم ويغريهم ، ثم يأخذ عليهم في تجديد العهد ، وينفحهم بالأعطية مما وصله من الحزب بعد أن يكاشفهم بقرب الحركة ، ويطلب منهم العمل والتهيُّؤ في صمت وهدوء .

وسكان المخلاف السليماني ـ مقاطعة جازان ـ كعرب صميمين يتصفون بالشهامة والشجاعة ، وكل شعب مهما بلغ من محافظته على القيم تَجِدْه سريع الاستجابة بحكم العادة ومأثور التقاليد لمن يتقلَّد زمام أمره ، ويتولى دفة قيادته ، ولولا ذلك ما خدعوا .

رحلة الأمراء :

في تلك الأثناء أشير إلى الأمراء (عبد الوهاب) و(عبد العزيز) و(عبد الرحيم) أبناء المرحوم الإمام محمد بن علي الإدريسي ـ مؤسس الإمارة ـ بالقيام برحلة إلى مدينة جازان ـ وهي أول رحلة من بعد دخولهم في الحماية يقومون بها إلى مدينة جازان مركز إقامة المندوب السعودي ، وكأنما قصد بتلك الزيارة إيقاظ المشاعر وتنبيه الناس لاستقبالهم ثم للسلام عليهم والاحتفاء بهم ، وقاموا هم بدورات في مرافق المدينة وجولات في المرتفعات المشرفة عليها ، وتفقدوا أوكار المدافع والاستحكامات ، وزاروا

مستودع السلاح ، وكل ذلك يمثل مغزى له دلالته ، بعد عزلة طويلة وانزواء أطول .

وزارهم المندوب السعودي بصفتهم ضيوف شرف وأمراء أصدقاء تشملهم حماية الحكومة السعودية ولوالدهم علاقات صداقة بجلالة الملك ، وفوق ذلك وصاية من والدهم لجلالته ، كما سبق الإشارة إلى ذلك .

وبعدها أقام على شرفهم مأدبة حافلة دعا إليها وجهاء المدينة وكبار الموظفين والأميرين الإدريسين المقيمين في مدينة جازان نفسها محمد العربي ، والعابد بن محمد الإدريسي .

وبعد أن مكثوا نحو أسبوع عادوا إلى صبيا ، مع حاشيتهم ، وفي أثناء إقامتهم في جازان أقبل شيوخ القبائل القريبة من جازان لتحيتهم ومقابلتهم والاحتفاء بهم .

الإدارة الإدريسية في عهد الحسن الإدريسي :

أشرنا في الفصل الثاني عشر إلى الجهاز الحكومي والإدارات المالية والإدارية والديوان الإدريسي في عهد مؤسس الإمارة محمد بن علي الإدريسي إلى حين وفاته .

وبعد وفاته تولى الأمر ابنه علي الإدزيسي ، وكان من أول اجراءاته : نفى وزراء والده وكل رجال الحكومة ، واكتفى بخاله محمد هارون مستشاراً واستوزر من خدم أبيه عبده جراد ، شخصاً عاديًا ، وقرب منه بعض الشباب ممن لم يجرب الأمور ، وأبقى من كتاب الديوان شخصاً أو شخصين وكان هو الكل في الكل يتصرف على دون هدى أو تجربة ـ كما مَرَّ بك مفصلا .

وانتهى عهده بثورة عمه الحسن ، فاستوزر محمد عبد الله باصهي ، الذي رفد حركته بالمال ، ثم أقصاه ، واستوزر عبد القادر باصهي ، وزيراً صورياً يتصرف في حدود ما يقول له ، واستكتب رئيس الديوان في عهد أخيه كامل أفندي ، من أبناء الأتراك المولودين في صنعاء ، ثم

استـراب من سلوكه في اتصاله بولي عهد اليمن ، فغضب عليه وظل موقوفاً في بيته ، حتى دبر أمره ليلاً وفر إلى اليمن .

فاستكتب محمـد بن أحمد بهكلي من أهل أبي عريش ، وكان المدبر لداره والـوزير الفعلي شخص من المـوالي يسمى بحيص بن سرور ، فهو الأثير عنده والمقدم لديه ، يأمره بقبض ما يصل من الجمارك على قلة ما يرد ويأمر بالصرف على الضيوف أوتأمين ما يلزم .

فلا ديوان ولا محـاسبـة ولا جهـاز حكومة ولا مراقبة ولا إدارة ، وبعد اتصاله بالحزب الحجازي استقدم محمد أمين من جازان ، وجعله مستشاراً سياسياً .

والإدريسي نفســه يتلقى المكـاتبـات ويأمـر البهكلي بالإجـابـة على ما يرد والشكاوي يفصل فيها قاضي صبيا محمد عبد الله مبجر .

وكان من المقربين إليه صهره عمر البار ومكي زكري ، هذه هي الحالة والإدارة فهـو مثلا يعين مأموري الجمارك ، والعمال للمحلات النائية نسبياً كعامل رجال ألمع ، أوقنا والبحر ، أو القحمة ، أما بقية البلاد فشيوخها هم النواب عليها .

التنظيمـــات السعـــودية :

كانت مقررات الإدريسي وحاشيته ، ومن لهم رواتب من شيوخ ووجهاء المنطقة ترسل شهرياً من الحجاز [1]، لِعَجز إيرادات المنطقة عن الوفاء بشيء من ذلك ، كما كان الأمن غير مستتب .

فرأت الحكومة السعودية أن تقوم بتنظيمات إدارية ومالية لاستتاب الأمن وتنظيم وضبط حاصلات الجمارك والموارد المالية الأخرى .

---

(١) هذا بعـد (معـاهـدة مكة) ودخول المنطقة فى الحماية ، أما قبل ذلك فكانت تصرف من حاصلات الجمارك إن تواجدت حاصلات فتصرف والا فتؤجل إلى الشهر الآخر لهذا تتأخر الرواتب شهراًوشهرين .

وتم تعيين إداريين أمراء في المنطقة ومع كل أمير (أخويا) [1]ـ جنود ـ لأن أغلب بلدان المنطقة يحكم كل بلد شيخها بطريق المصالحة ، ما عدا مدينة أبي عريش ، فقد عين الإدريسي لها حاكماً هو القاضي عبد الله العتمي ، وشمل نفوذه المسارحة والحكامية صورياً .

وقد قامت ثورة في أبي عريش ضد العتمي اضطر الإدريسي إلى قيادة حملة بنفسه للقضاء عليها ـ كما أسلفنا .

أما الجمارك فهي في جازان والمضايا والشقيق والقحمة ـ فكانت لاشيء يذكر فلا تفتيش ولا مراقبة ولا محاسبة .

لهذا رأت الحكومة السعودية أن تقوم بتنظيمات إدارية ومالية ـ كما ذكرنا .

وفي صفر عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م صدر الأمر إلى وزارة المالية بإرسال موظفين لمنطقة جازان ، كما صدر الأمر إلى الجهات المختصة بإرسال (طوارف) أمراء جدد للمنطقة كأمراء إداريين على نظر المندوب بعد التشاور مع الإدريسي ، كما صدر الأمر إلى كل من محمد السليمان التركي مدير مالية جدة للقيام بالتنظيمات المالية في المنطقة و(تركي بن ماضي) للاستخبارات وللقيام بتحريات سرية ، عما ينسب إلى الأدارسة وأعوانهم من حركة ثورية ، واتصالات بأعضاء الحزب وغيرهم ، واختيار موظفين للمواني البحرية من أناس يوثق بهم للتدقيق والمراقبة والتفتيش على كل قادم يشتبه فيه . وسافر الجميع من جدة إلى جازان .

كانت الوسائط بين جازان وجدة ، إمَّا بحراً بالوسائط الشراعيّة أو برّا بواسطة السيارات الكبيرة ، فتم الاختيار على ترحيلهم بحراً في سفينة شراعية ، اختير لرئاسة المالية الشيخ عبد الله قاضي ، وللجمارك حمد الميمان ، ويرافقهم عدد من الموظفين وهذا نص الأمر :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى محمد السليمان التركي وتركي بن ماضي .

---

(١) يطلق اسم (الأخويا) على الجند غير النظامي الذى يكون مع حاكم المنطقة يرسلهم فى المهمات ، ويكون كحرس خاص أما لغة : فالأخ : يجمع على « إخوان » و « إخوة » .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد ذلك من قِبَل أنتم تمشون من عندنا وأنتم مفتشين للمالية لاغير ، أما تفتيش المالية فهو يختص بمحمد التركي ، ولا حاجة إلى توصية ، يرى الحاضر مالا يراه الغائب ـ إن شاء الله ـ وحقائق الأخبار بما يبدو عندنا وعندكم تكون بيننا بالتلغراف .

وأما أنت يا تركي مهمتك الاستخبارات ، والنظر في أمور الرعايا ، واستجلاب قلوب الناس وتعريفنا ويْش الذي يرضيهم ويجلبهم ، وعن الذي يضرهم ، وأيضاً تشير على ابن زعير في ذلك .

ومن قبل ها الذي في المرافي يصيرون من جهتك ، ويخبرونك بما يلزم والداخل والخارج والكلام وغيره ، فإذا سمعتم كلام تبحثون عنه حتى توصلونه مقره ، وإذا رأيتم مشتبه فتمسكونه حتى يعرف من أين مجيئه ومراحه ، ولكن أهل المرافي وغيرهم ما يكونون ظاهرين عن طاعة الأمير .

وأنت ياتركي لا تحط امتياز التدخل في الرعية دون الأمير لأن هذا أمر ما نوافق عليه ويصير فيه شقاق ، وملزوم تسعى فيما يوفق بينك وبينه .

وإذا صار أقلّ حال ، تبلغنا ونشوف إن شاء الله ، إن كان الأمر صغير تناسيناه ، وإذا كان كبير رَوَّحْنا مفتشين ينظرون في المخطىء منكم .

وأما التدخل في أمور الإمارة والحاصلات والأمر فمالك فيه تدخّل لا قليل ولا كثير ، إنما أخذ خواطر الناس ، ومعلوماتهم التي عندهم ، وجميع ما عندك تبينه للأمير ابن زعير ، حتى تكون أنت وهو ـ إن شاء الله ـ على حالة واحدة والتبيين منك ، والتنفيذ عليه ، وتكونوا مصلحين لا تكونوا مفسدين والإصلاح مطلوب ويرى الحاضر مالا يراه الغائب .

ويلغونا بكل شيء ، وتقرير أموركم واستخباراتكم ، وأمر الرعايا ، وما هم عليه بينوه لنا ، وما اختلفوا فيه أيضاً بينوه ، والتَّسْنِيع عند الله ثم عندنا .

ولا يجب لا أنت يا ابن ماضي ، ولا يا ابن تركي ، ولا ابن زعير على

أمر يصير فيه خلل مراعاة لخاطر الثاني ، بل من شاف من رفيقه ينصحه إن استطاع فالحمد لله ، وإلا فيرفع الأمر إلينا يكون معلوم والسلام في ١١ صفر سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

وبوصولهم جازان رتبوا الموظفين في أعمالهم الإدارية والمالية وقام تركي بن ماضي بتحرياته السريعة فتأكد لديه :

١ ـ أن حسين وعلي الدباغ في ميناء مصوع المستعمرة الإيطالية يقومان بنشاطهما واتصالاتهما بالأدارسة والإمام يحيى .

٢ ـ أن فرعيهم في اللّحَيَّة وميدى يخزنان المؤن والدخائر ويستأجران السفن التابعة لرعايا الإمام يحيى ولا يُعترض لهما على نشاط بل يجدان المساعدة ومباركة مسعاهم .

٣ ـ أن الاتصالات بين حسين الدباغ والأدارسة مستمرة ، والتنسيق حاصل .

٤ ـ التقارب يكاد يكون شبه تام بين ولي عهد اليمن والأدارسة والدباغين .

٥ ـ أن النشاط الدعائي والسياسي والحربي بعد إخماد ثورة الشمال أصبح منصباً على منطقة جازان .

وكانت وجهة كل من المندوب فهد بن زعير ، وتركى بن ماضي مختلفتين من حيث أهمية الموقف وتقييم خطورته فكان الأول يميل إلى التروّي والتحرِّي وعدم التسرع في الرفع ، بينما الآخر لديه شبه قناعة ـ كل بحكم مهمته ـ وباختلاف وجهتي نظريهما وتباين رؤيتهما للقضية ، رفع تركي بن ماضي لجلالته بما توصل إليه .

فأبرق جلالته إلى ابن زعير مؤنباً ومستغرباً ، فأجابه بما معناه : بأنه لا يُحِبُّ أن يرفع شيئاً بدون أن يقتنع بصحة مضمونه ، فأحال برقيته إلى تركي بن ماضي وأمره بالاجتماع بابن زعير ، والتفاهم ، ودراسة

القضية مشتركاً ، ورفع تقرير مستعجل عن الحالة ، وعما يريان من مستلزمات دفاعية ، إن كان هناك ما يوجب .

وتم الاجتماع بحضور محمد سليمان التركي . الذي كان يستعد للعودة إلى الحجاز ـ وعرض تركي بن ماضي مالديه من أخبار ، من المخبرين السريين من داخل المنطقة وخارجها ، وعرض فهد بن زعير ما لديه من معلومات ، وكان رأي ابن زعير ـ كما يقول تركى بن ماضي ـ أن الأخبار التي تصل لتركي بن ماضي مبالغ فيها ، وتمسك كل برأيه ، ورفع كل بنهاية الجلسة لجلالة الملك ، وطلب تركي ابن ماضي في تقرير أرسله قوة للقضاء على الحركة فوصل الجواب بما مضمونه أنه لا يمكن القيام بعمل ضد الإدريسي إلا إذا حصل منه ما يوجب ذلك . كما ورد جواب من نائب جلالة الملك وهذا نصه :

حضرة المكرم تركي بن ماضي .

بالنظر إلى كثرة ما يردنا من الأخبار عن حركات وجواسيس الأعداء المشاغبين وأعمالهم في الجنوب ، فإننا نوضح لكم في ملحق رفقه هذا بعض ما اتصل بعلمنا لمطالعته بغاية التأمل ، والقيام بما يجب نحو مراقبة سير الأمور والأحوال ، في هذه الناحية ، وعمل التحري التام للوقوف على الحقيقة ، واتخاذ الطرق المفيدة والخطط الحازمة ، مع التيقظ والانتباه لكل ما يحدث ، ورفع النتائج تباعاً إلينا مشتملة على جميع الحقائق دقيقها وجليلها ، ولقد أمرنا بتجهيز (اللنش) وإرساله إليكم ليكون تحت أمركم ، في القيام بتفتيش السُّفن المشتبه فيها ، ويكون ذلك بغاية الدقة وكمال العناية ولذا حرر .

نائب جلالة الملك فيصل

كان نشاط الحركة قائماً على قدم وساق ، من قبل الإدريسي ، ورجال الحزب تحثه على الإسراع ، والتشجيع من رجال الإمام حثيثاً ، وفرع الحزب في (اللُّحَيَّة) و(ميدي) على اتصال مستمر به من مُصوع ومن

اللُّحية ومَيْدِي ، وقد استأجر (الحزب) عدداً من السفن وشحنها بالذخائر والمؤن في انتظار قيام الحركة لتنزل حمولتها في جازان والمضايا .

والاجتماعات تعقد ليلاً في صبيا الجديدة يحضرها شيوخ القبائل ورجال المنطقة ، وينصرفون بعد منتصف الليل ، وينصرف من ينصرف للتحضير في جهته ويبقى من يبقى والإدريسي وأنصاره يملأون أدمغتهم بكل ما يحفزهم وبما ينفرهم من الحكومة السعودية ، وأن الحكومة السعودية مقضي عليها ، وأن رجال ألمع سوف تثور ، وأن الحجاز ينتظر قومتكم وحركتكم ليقوم بدوره وانتفاضته وتقوم حكومة هناك تناصركم وتضرب أي قوة تحرك نحوكم .

وبقيام حركة الحجاز وعسير فلا يمكن للحكومة السعودية أن تصل إلينا ولا علينا إلا القضاء على هذه الشرذمة القليلة عندنا ، وأن الإمام يحيى يؤيدنا ، وسيرسل جيوشه لمساعدتنا ـ إلى غير ذلك ، وأن من تخلف أوخادع مباح المال والدم ، وللسلطة أي سلطة نفوذها ، وسلطانها ، والانقياد لمن يتولى أمرها .

وشعر شيوخ القبائل أن من لم يستجب سيكون عرضة للجزاء والتنكيل والسجن ، وقبائلهم قد مُلِئَتْ أفكارها وشحنت عقولها بدعايات مثيرة ، ضد الحكومة ، والجماهير إذا عُبِّئَتْ أدمغتها واستثيرت نخوتها بالحق أو الباطل سريعة الاستجابة قوية الاندفاع ، وقد أصبح لديهم شبه قناعة بحكم الدعاية المثيرة بأن الحجاز سوف يثور وكذا (عسير) وأن عليهم ألا يكونوا أضعف من أن يتحركوا مادام أن الناس ثائرة في تلك الجهات ، وأن الذخائر والمؤن شُحِنت من مُصَوَّع ، وأكثر منها في السفن تنتظر تحركهم حتى تنزل شحناتها ، وعلاوة فالإِغْرَاءَاتُ يصاحبها الأعْطِيَة ومشترى الضمائر ، كل ذلك جعل من المنطقة بركاناً يتصاعد دخانه وترتج أركانه استعداداً للانفجار ، وضاع صوت العقل في غوغاء الجهل ، حتى أن بعض مشايخ القبائل المتعقلين ضاعت أصواتهم ، وخنقت أقوالهم لأنهم وصموا بالخيانة والمخادعة فضاع صوت الحق في رهج الباطل .

ابـن زعـــــير :

وصلت إلى ابن زعير كتب لطوارف أمراء البلدان،والعقلاء من المشايخ الذين لم تَسْتهوهم الحركة بما فيها الكفاية ، أو أنهم يقدرون الموقف حق قدره ، ويعرفون ما سوف تجره الفتنة من الشرور والخراب والدمار وسفك الدماء .

وأجـال أقداح الرأي ، وخرج بفكره أنْ يدعو جميع المشايخ ، ويعقد مؤتمراً يستعرض فيه الحالة ، وفعلا وجه الدعوات ، وحضر أغلبهم ، إلا أنَّ الإدريسيّ علم بمشروع الدعوة وتفاهم أو أمَرَ المدعوين بما يراه .

وفي اليوم المحـدد اجتمـع المدعوون وافتتح الجلسة فهد بن زعير نفسه بما معناه : أن الأحداث تسبق الأيام ، وقد بلغني الكثير ، وأنتم أهل البلاد الذين لكم خيرها وعليكم ضررها ، وهنا من يُؤَرِّث الفتن ، وهم أناس قد فشلوا في الشمال وسيفشلون بإذن الله تعالى في الجنوب .

وتعلمـون أن ابن سعود لن يترك فتنة تستشري في بلاد هو مسؤول عنها وهي تحت حمايته ، فعليكم المناصحة لنا ، وللإدريسي فيما يطفيء الفتن .

ولم يسفر الاجتماع إلا عن التنصل وعدم العلم بشيء ، وإن كان هناك من ظل صامتاً ، وانفض الاجتماع على غير نتيجة تذكر .

وتواترت الأخبار عند ابن زعير ببوادر التحركات ، وإلقاء القبض على الطوراف وإرسالهم إلى صبيا ، وأن التجهيز والاستعداد للثورة قد بلغ حده الأقصى .

فأرسـل إلى شيخ مشـايخ الحكـامية الشيخ علي بن أحمـد حكمي ، وكـان من المشـايخ البـارزين يرجـوه الـوصـول إليه على وجـه السـرعـة ، وبـوصـوله اجتمـع به ، وتفـاهم معـه عن الحـالة الحـاضرة ، وأن جلالة الملك يقدر لكل مخلص موقفـه : وتفهم أن ابن سعـود لن يتـرك المنـطقـة لعبث العابثين ، فإن شاء الله تقف إلى جانبنـــا مع قبـائلك ، عسى أن يكـون في ذلـك دَرْءاً للفتنـة وتهـوينـــاً للشـــر ومـا هو بمعنى ذلـك ، وهـو رأي وجيه لو تم ، لأنـه بطبيعـة

الحال سوف ينضم مع الْحَكَامِيَة غيرهم ، فيكون في ذلك انشقاق وتخلخل في صف الثورة ، ولو مؤقتاً حتى تتوارد القوات الحكومية في خلال ثلاثة أيام أو أربعة أيام من عسير وخلال ستة أو خمسة أيام من الحجاز بالسيارات .

أخبرني محمد حسين مغفوري [1]، أحد شيوخ المغافير من الحكامية وقال : وافق الشيخ علي بن أحمد ـ وكنت حاضراً معه على رأي ابن زعير وانصرف عائداً إلى (المضايا) وهنا تفاهم مع من يثق بهم من وجهاء الْحَكَامِيَة وشيوخها وإنما بعد يومين وصلت كتب الإدريسي إلى الشيخ علي بن أحمد يأمره بأن يتقدم بمجاهدي الحكامية إلى (الحفائر) لمقابلة عبد الوهاب الإدريسي والاشتراك في ضرب نطاق الحصار على مدينة جازان .

وبعد ساعات معدودة ، ورده كتاب من فهد بن زعير ، يذكره بالتفاهم الذي تم بينهما ويهيب به إلى المبادرة ، والحضور مع رجال قبيلته إلى جازان .

فإذا الشيخ في الْمُقْعِدِ المُقيم ، فاستدعى حالاً مشايخ الحكامية وأن يحضر كل منهم رجاله ، وباجتماعهم في تلك الليلة ، عَقَدَ جلسة معهم وأطلعهم على ما وصله من الإدريسي ، ثم على خطاب ابن زعير ، وأخذ يوضح لهم الموقف حتى استطاع إقناعهم بالتوجه إلى ابن زعير في جازان .

وفي فجر تلك الليلة خرج بقومه من المضايا إلى جازان مارًا بقرية (الكربوس) لضم من بها من رجال المغافير وفعلا استصحبهم معه في طريقه إلى جازان ، وفي (السبخة) شاهدنا فارساً مدججاً يخب به فرسه صوبنا ، وما استقرت أنظارنا عليه إلا وقد قرب منا صائحاً : بالطلاق ترجع ياعلي ـ فحققنا النظر ، فإذا هو الشيخ أحمد علي حكمي ، والد الشيخ علي بن أحمد ، وهو من قادة العهد الإدريسي الأول ، وشيخ مشايخ الْحَكَامِيَة سابقاً ، والذي تنازل عن المشيخة لابنه .

---

(١) وقد روى الخبر بنصه للأمير تركي السديرى أمير منطقة جازان ، كما أخبرني . وتوفي الشيخ المذكور في حوالي سنة ١٣٨٥ هـ ـ تقريباً .

وقد كان توجهه من (المرابي) إلى قرية (القعارية) لتفقد مزارعه ، وعند وصول عبد الوهاب الحفائر لحصار جازان علم بوجود الشيخ أحمد علي حكمي في قرية القعارية ، فأرسل له ، واستنخاه ، وذكره بمواقفه السابقة مع الأدارسة ، ثم أخبره بموقف ابنه ، ورجاه أن يعترض سبيله ويصل به إليه .

بالطبع هناك من رفع لعبد الوهاب بحركة الشيخ الابن ، واتصالاته بابن زعير وعَزْمِه على السير برجال قبائله إلى جازان ، والمسافة بين المضايا وجازان ٢٢ كيلا ، والقعارية التي فيها الشيخ الوالد على بعد أربعة أكيال تقريباً أو خمسة من الحفائر ، فاستدعاه واتفق معه على ما ينبغي عمله .

وقف الشيخ الوالد على فرسه يهز حربته نحو نحر ابنه مهدداً بالطلاق ترجع . . سيدكم عبد الوهاب وقبائل المنطقة على (الحفائر) ، وأنت تريد تحشر الحكامية مع ابن زعير في جازان ، لا يكون ذلك ، ارجع . .

وأخذ في تسفيه رأي ابنه ، وتأنيب المشايخ الذين معه ، وكان للشيخ أحمد علي مكانته وكلمته المحترمة ، فلم ينصرف عنهم إلا بعد أن تقدم ابنه قبله صوب الحفائر وعبد الوهاب وسار وراءه القوم .

وكذلك اتفق مع محمد بن حسن عطيف [١] رئيس قبيلة العطفة بأن يصل إلى جازان بمن يقف بجانب ابن زعير فوصل إلى قريته وقد ألم به مرض أسلم على أثره الروح بعد ثلاثة أيام .

الموقف الأخير :

ظل الموقف بتوتره يُؤذِنُ بالانفجار في كل لحظة ، والإدريسي ورجاله وأنصاره وعلى رأسهم مكي زكري ومحمد أمين الشنقيطي ، والاجتماعات تعقد ليلاً في صبيا الإدريسية ، ويستدعى رؤساء القبائل ، ونهاراً في صبيا

---

(١) روى الخبر ابنه الشيخ يحيى بن محمد ، وأكده لي الشيخ حمد السليمان البسام الذي كان ممن حوصروا في القلعة .

القديمة ، ورسل الحزب تترى ، ورسله إليهم مستمرة والسفن المشحونة بالأرزاق والذخيرة تصل نحو ثلاث سفن حول جازان والمضايا .

والأوامر إلى القبائل بالتجهيز تترى ، والتحضير للحرب بقرع [1] الطبول ليلاً ونهاراً والناس تنتظر إعلان الثورة والقيام بالحركة في كل لحظة .

في تلك الأثناء وردت برقية من جلالة الملك لتركي بن ماضي وصورتها لفهد ابن زعير يأمره بالتوجه إلى صبيا حالا ، ومقابلة الإدريسي ، والوقوف على الحقيقة منه ودرس الحالة وهل هناك ثورة حقيقية واستعداد في صبيا .

ويومها وصلت الأخبار أن أهل أبي عريش ، قد وصل إليهم عمر البار رحيم الإدريسي وهو من سكان أبي عريش ، ومن المقربين جداً وبالأخص في تلك الآونة يحمل أمر الإدريسي بالثورة وسلمهم أعلام الثورة ، والعلم الإدريسي والأمر بالتحرك لحصار جازان .

فأرسل فهد بن زعير إلى الإدريسين المقيمين في مدينة جازان وهما محمد العربي والعابد وتفاهم معهما عن ما يتصل بعلمه من القيام بالثورة والتحركات المريبة وهل حقيقة أن الحسن يتحرك للثورة على الحكومة مع ما بينه وبين ابن سعود من العهود والاتفاقيات ، فأجاباه ، بما معناه أن هذه أراجيف وأكاذيب لا صحة لها ، وانه لو كان هناك ثورة لما بقينا نحن في جازان نتعرض مع عوائلنا وأموالنا للهلاك ، فبقى في حيرة عمياء ، ورفع بما يجب لجلالته .

ومن ناحية أخرى أخذ بعد التشاور في خزن الماء في قلعة اللاسلكي وبعض الأرزاق استعداداً للطوارىء إذا الجأته الضرورة إلى الاعتصام بالقلعة .

ورفع تركي بن ماضي برقية مستعجلة ، بما توفر لديه من معلومات ساخنة وأحداث ملتهبة ، فأبرق جلالته للإدريسي ، ببرقية مضمونها أنه بلغه ما يحضر له من ثورة ويقوم به من حركة هي ضد ما يؤمله فيه ، وينذره

---

(١) تقرع الطبول قرعاً خاصاً معروفاً يسمى «التحضير» أي التحضير للحرب .

بأنه يترتب على حركته نقض العهد والنكث بالمواثيق، ويحذره من ذلك وأمر تركي ابن ماضي بالتوجه إلى صبيا .

وفي ذلك اليوم بدأت الثورة في صبيا ، فقد اتخذ ذريعة ، من سوء تفاهم بسيط بين خوي من أخويا أمير صبيا وأحد أصحاب الحوانيت تطورت مشادة حامية ، تجمهر الناس نتيجتها ، واعتقلوا الخوي ، وساقوه مكتوفاً إلى الإدريسي فأمر بسجنه واعتقال الأمير وبقية أخوياه في الدار التي هم بها .

وبعد التشاور مع فهد بن زعير حول توجهه إلى صبيا ، اتفق رأيهما على التفاهم مع العابد الإدريسي ـ والذي ينفي وجود أي حركة أو تحرك بأن يتوجه مع تركي بن ماضي فوافق (العابد) .

الرحلة إلى صبيا :

أحضرت سيارة حكومية ومعها (خويَّان) خادمان واستقلها تركي بن ماضي ، والعابد الإدريسي وذلك في مساء ٤ رجب ١٣٥١ ورأى فهد بن زعير أن يرافقهما كاتبه الخاص .

وصلوا في الساعة العاشرة مدينة صبيا ، وعند باب قصر الإدريسي توقفت السيارة فإذا القصر ، وما حوله يغط في صمت هادىء لا يعكر صفوه أي حركة أو جلبة ، وكأنه لم يكن قصر أمير ، يتحرك للقيام بثورة ، حتى الأنوار مطفأة سوى حارس واحد قد غطَّ في سباته تتصاعد أنفاسه بالنخير ، فالتفت العابد ليقنع ـ أو بالأصح ليخدِّر فكر تركي بن ماضي ـ قائلاً : حسبنا الله ونعم الوكيل هل هذا قصر من يُدَبِّر حركة ، أو يحضر للثورة ، ضد دولة كبيرة كالدولة السعودية ، فأجابه تركي ابن ماضي متعجباً : إننا نرجو أن لا يكون إلا الخير .

تركي بن ماضي :ـ إذن أين الإدريسي ؟

العابد الإدريسي :ـ في صبيا الإدريسية ، وسأذهب إليه ، وأخبره وسيأتيكم الخبر ، ونزل العابد من السيارة وأيقظ الحارس الذي قام مذعوراً ، ولما عرف أنه العابد الإدريسي انتفض واقفاً وحياه ، وفتح بوابة القصر ،

وبعد أن استراح أخذ سيارة تقله إلى صبيا [1] الإدريسية فسلمه تركي بن ماضي برقية الملك ليسلمها للحسن الإدريسي .

وأخذت السيارة الأولى طريقها إلى بيت حسن عابدين في شمال شرق المدينة حيث تقطن (طارفة) الحكومة ، ـ أمير صبيا و(أخوياه) ـ حرسه .

وبسماع حركة السيارة خرج من الدار من يستكشف أمرها فنزل تركي بن ماضي ومن برفقته إلى الداخل ، فوجد (الطارفة) إبراهيم الحماد وبعد السلام والمجاملة التقليدية سأل تركي بن ماضي : هل سمعتم بشيء أو أتاكم أحدٌ من قبل الإدريسي ؟!

(الطارفة) إبراهيم الحماد : نعم ، إنه بعد المغرب دخل علينا رجال من أهل صبيا ، وأبلغونا بعدم الخروج من البيت لأنَّ البلاد فيها حركة ويخشى علينا ـ كما يقولون ـ من القبائل ونحن تحت الإقامة الجبرية من قبل الظهر .

وما أتم (طارفة) صبيا حديثه ، حتى سمعت حركة غير عادية في طريقها من الطريق إلى داخل الدار ، فأصاخوا الأسماع ، فإذا بعشرة أشخاص مسلحين يتقدمهم واحد منهم فأبلغهم أمراً شفهياً من الإدريسي بعدم مغادرة حائط البيت الذي هم فيه ، وأنه قد وضعت عليهم حراسة مشددة خارج الدَّار تراقبهم .

وما هي إلا لحظات إلا وهم يسمعون أزيز إطلاق الرصاص ، إيذاناً باندلاع الثورة ، وفي الصباح وصلتْ جماعة مسلحة سلبتهم أسلحتهم من البنادق والمسدسات والسيوف والخناجر وصادرت السيارة .

---

(١) يطلق عليها إسم صبيا الإدريسية واسم صبيا الجديدة ، تمييزاً لها عن صبيا القديمة .

دخـــول تركي ورفقـــاه على الحسـن :

كانت صبيا القـديمـة غاصـة بحشود القبائل التي أقبلت إليها من سائر أنحاء المنطقة وكذا صبيا الجديدة ـ الإدريسية ـ وفي صبح يوم الجمعة الموافق ٥ رجب سنـة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م أقبـل الحسن الإدريسي من صبيا الجديدة في موكب حاشد والطبول تقرع والرايات تخفق والرصاص يطلق والزغاريد تلعلع ، حتى دخل قصره في صبيا القديمة ، وأقبل الناس للسلام عليه .

وبعـد أن احتشـدت ساحـة القصـر بالمشـايخ والأعيان ووجهاء الناس ، أمر باحضار تركي بن ماضي ومن معه ، مخفورين ، والناس حولهم في شبه مظاهرة وهياج حتى دخلوا ساحـة القصـر ، الذي قد ملئت ساحاته بالجموع ومن بينهم محمد يحيى باصهي ومكي زكري ، ومحمد أمين الشنقيطي ، وعبد القادر باصهي وحيدر بن محمد حيدر وغيرهم .

فأدخل تركي بن ماضي ورفقاؤه إلى المجلس فإذا الإدريسي في صدر المحل وعن يمينه ابن أخيه عبد الوهاب الإدريسي ، وعن يساره صهره عمر البار ، وعن يمين عبد الوهاب محمد العربي الإدريسي ، وعبد العزيز الإدريسي والعابد الإدريسي .

فأمـروا بالجلوس ، وشـرع الحسن في الحـديث عن علاقتـه بابن سعـود ، مستعرضاً في حديثه ما سبق من العلاقات الطيبة ، وأنه لا زال على ولائه لجلالته إلى أن قال : وإنما لسوء الحظ حصل من القبائل بعض النفور بسبب سوء معاملة أمراء جلالته ، وأنه سوف يتوجه إلى جازان للحيلولة دون وقوع أي حادث أو اعتداء على رجـال الملك ، وأنه سيتصل ـ برقياً ـ بجلالته ، ويتخابر معه لتنقية الجو ، وإعادة العلاقات إلى سابق عهدها ، إلى غير ذلك من المجاملات التي لا تنطبق على واقع الحال الحاصل والمشاهد .

فأجـابـه تركي بن ماضي : العلاقات الطيبة بينكم وبين الملك ، والمعاهدة المبرمة تستدعي التفاهم ، وعدم التسبب فيما يكدر الصفو ، أويحدث فتنة ، وإن عليه أن يرفع لجلالته بكل ما عنده ، وما يطلبه ، والملك يؤيد ذلك . فأجاب : سننظر في الأمر إن شاء الله .

ثم أذن لهم في القيام وانصرفوا ومعهم حراسة إلى المعتقل ، وهناك شددت عليهم الحراسة .

ويخروجهم من القصر خرج الحسن ببقية حشود القبائل إلى قرية (الغرا) التي قد عسكرت بها طلائع حشود الثورة بقيادة عبد الوهاب من قبل أربعة أيام ثم تقدم إلى جازان على رأس جيش من القبائل .

تقدم عبد الوهاب الإدريسي :

تقدم عبد الوهاب الإدريسي من معسكر قرية الغرا يقود نحو خمسمائة مقاتل وعند غروب الشمس كان في (تل المنجارة) على مسافة خمسة أكيال من جازان فصلى المغرب جماعة ثم العشاء وهو يشاهد أنوار المدينة وظل به طول ليله إلى الصباح فتقدم نحو مورد الحفائر وهو قريب من المنجارة .

وعسكر على الحفائر التي تبعد عن المدينة بخمسة أكيال ومنع السقاة من الاستسقاء ، فتأزم الموقف ومدينة جازان مقتلها احتلال موردها الحفائر ، وانهالت القبائل على الحفائر من كلٍ صوب فقد شجعهم وصول عبد الوهاب إليها واحتلالها بدون مقاومة فتشجعوا كثيراً وطمعوا في نهب المدينة .

الفصل الثامن عشر

الحالة في منطقة جازان

الحالة في مدينة جازان :

توجه تركي بن ماضي من جازان حوالي الساعة ٨ مساء ، ومعه العابد الإدريسي وكاتب الإمارة وبعض (الأخويا) وشقت السيارة طريقها في ظلام دامس وسكون متخثر بالكآبة ممتزج بالانقباض النفسي ، والشرود الفكري ، والترقب المخيف ، والناس في هرج ومرج فمن الصباح لم يدخل أحد جازان من أرجاء المنطقة ، وابن زعير غارق في حيرته ، فدهمه الأمر ، وحَزَبَهُ الحادث ، وهو الرجل الحريص المتجلد ، فاستدعى محمد بن عبد الله الحجازيَّ وأمره بأن يأخذ معه بعض (الأخويا) وعدداً من رجال أحمد فتيني شيخ الزرانيق الملتجىء إلى الحكومة في جازان هو وأعداد من جماعته ، وبعض جماعة الشوكاني ، ورتب بعضهم في جهة (المطلع)ـ مدخل المدينة ـ والبعض على طريق المضايا والباقي يقوم بهم كَدَوْرِيَّة في المدينة (١)

وباتت المدينة في حالة نوم اليقظة ، الناس مخدرون لا نيام ، إلى أن أشرقت الشمس وأصبح يوم الخميس الموافق ٦ رجب سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م فإذا السقاة يعودون بدون ماء ، شاع في المدينة بأن عبد الوهاب معسكر على الحفائر .

فاجتمع ابن زعير بمن يعول عليهم في الرأي ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله القاضي ومحمد الحجازي ، وتم الرأي على تحميل ما يمكن من ذخيرة إلى القلعة ، وتعطيل المدافع التي في الاستحكامات .

وانقضى يوم الخميس بالنسبة إلى ابن زعير وجماعته في الاستعداد والإعداد للتحصن في القلعة في آخر مرحلة .

---

(١) كان طريق المضايا يسلك شرق جنوب قلعة الدوسرية فالشارع المؤدى إلى موضع الدفاع المدني فالسبخة إلى أن يحاذى تقوية الإذاعة ومن هناك إلى «الوثبة» فخبت الجنيه فالردف فالمضايا هذا إلى عام ألف وثلاثمائة وتسعين ومن بعد ذلك تأسس الخط المرصوف الذى يمر بالكربوس فالمضايا .

وارتجّت المدينة من أقطارها ، فالماء ممنوع وجيش عبد الوهاب على المورد ، والقبائل على أطراف السباخ ، يتحفزون لاحتلال المدينة ونهبها .

وبدأ الأهالي في النزوح إلى ضواحي المدينة أسراباً تتدفق مشياً على الأقدام ـ الأكثرية ـ وإنه لمنظر تنفطر له الأكباد ، وتُستقطر الدموع .

وانقضى يوم الخميس الموافق ٦ رجب ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م والمدينة قد نزح نصف سكانها ـ تقريباً وشجع الحسن المقيم في معسكره (بالغرا) نجاح عبد الوهاب في احتلال مورد الماء ، فدفع بقسم آخر من معسكره صوب (الحفائر) لتشديد الحصار على المدينة .

ابن زعير :

كان لدى فهد بن زعير عدد من الجنود النجديين ، لا يتجاوز عددهم ثلاثين رجلاً ، سلاحهم البنادق وجاءه الخبر بأن القبائل تتدفق على معسكر (عبد الوهاب) وينتشرون حول جازان في طرف السباخ في نصف دائرة من ساحل البحر في الجنوب إلى ساحل البحر في الشمال ، وليس لديه قوة تستطيع الدفاع ، لو تَدَفَّقت تلك الجموع الذين يزيد عددهم على خمسة آلاف محارب .

فبات مساء الخميس بعد أن رتب (أخوياه) والزرانيق و(أخويا) الشوكاني من أهل عبس ينتظرون شروق يوم الجمعة بفارغ الصبر ، ومزيد القلق .

الحصار :

وفي صباح يوم الجمعة ٦ رجب وزع ما بقي من ذخيرة قليلة ، ورحّل أبناءه وبعض أغراضه في سفينة إلى الحجاز ، وأمر بسدّ باب القلعة بالحجارة والجبس ، ولما كان وقت صلاة الجمعة اجتمع لديه جماعته والموظفون الحجازيون على رأس عبد الله القاضي ، والنجديون وعددهم نحو الخمسة عشر أو العشرين وصلوا الجمعة في الجامع الذي تحت القلعة وبعد الصلاة مباشرة

ارتقى هو ومن معه من (الأخويا) والموظفين القلعة بالحبال ، وخرج من بقى من السكان إلى البادية إلا أقل من القليل .

وبعد المغرب نزل الحجازي وبعض (الأخويا) وتدلوا بالحبال من الناحية الجنوبية ، وانحدروا نحو (المطلع) ، وما وصلوا هناك إلا وهم يرون طلائع القبائل تتسرب من وراء الجبل الذي شمال (المطلع) نحو الساحل الشمالي ، من تحت (جبل الصبايا)، وشعر أنه إن تأخر ربع ساعة حيْلَ بينه وبين الوصول إلى القلعة ، وفي رجوعه من المطلع سمع طلقات الرصاص من الجنوب من جنوب المضربية [1]، فصاح هو وأصحابه بشعار المهاجمين (واهادياه) وهم يلوذون بالبيوت ، حتى وصلوا القلعة من الناحية الجنوبية ، فأدلوا لهم الحبال فارتقى هو وأصحابه إلى القلعة .

وما ارتقى القلعة إلا والنار تطلق على القلعة من منارة الجامع ، ومن بيوت الأدارسة وغيرها ، فأطلق المحصورون النار بدورهم .

وانهمر سيل القبائل على المدينة ، ومستودعات التجار وبيوت الأهالي لنهبها وسلبها ، يحملون جمالهم وحميرهم بالغنيمة الحرام ، والمحاربون يتبادلون إطلاق النار مع المحصورين ، والشوارع مقفرة ، والمدينة يُخَيم عليها ظلال الموت وتحوم على أرجائها أشباح الفناء .

وقتل فى الشوارع والبيوت المكشوفة للقلعة ما ينوف على العشرين ، ومنهم الشيخ أحمد طاهر زَيْلع ، رئيس مدينة مَيْدِي ، الملتجىء لدى الحكومة ، وكان في حوش باصقر ، حوش خرد الآن ، وكان في الركن الجنوبي الغربي مكتب له نافذة جنوبية ، فتح جانبا من باب النافذة ومارَدَّهُ إلا وقد أصابته رصاصة أردته قتيلاً ـ تغمده الله برحمته .

استمر القتال بتبادل النيران بين المحصورين والمحاصرين، إلى اليوم العاشر من رجب وفي صبيحة ذلك اليوم دخل على تركي بن ماضي وأصحابه في معتقلهم بـ (صبيا) مكي زكري ، ومحمد أمين الشنقيطي ، وأحمد الأهدل وأبلغوهم بأن الحسن الإدريسي يريد التقدم من معسكره بالغرا إلى جازان ،

---

(١) المضربية معدن الملح ـ جنوب الجبل الأحمر ـ مكان معدن الملح وقد طمس فى هذا التاريخ وأصبح حلقة يباع بها الفحم .

للاتصال بجلالة الملك ، والتخابر معه لاسلكياً ، وأن الذين في القلعة لا زالوا يطلقون النار ، وأنه يريد منهم الكف حَقْناً للدماء ، وإلا فإنه سيأمر بتوجيه المدافع على القلعة ، ويدمرها بمن فيها ـ وكأنهم يريدون بإبلاغهم الخبر لتركي بن ماضي ، ليقول لهم : لا لزوم لإطلاق المدافع على القلعة ، وأنه مستعد للتوجه إلى رفقائه لإقناعهم بالتسليم ـ فقال لهم تركي بن ماضي : المأسور لا حول له ولا قوة ، فانصرفوا وبالطبع هم مرسلون من الإدريسي نفسه لأن المحصورين طال صمودهم ، والإدريسي يرغب في تسليمهم حتى يتفرغ لما هو أهم عليه ، ومن ناحية أخرى يخشى أن تصلهم نجدة من طريق البحر تفك الحصار وتستخلص مدينة جازان ، ويكون منها مركز انطلاق للقضاء على الثورة .

وفي الأربعاء الموافق ١١/٧/١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م عيل صبر الإدريسي ، وزادت مخاوفه ، فبحثوا في مستودع الذخيرة عن طلقات للمدافع المعطلة التي في استحكام (المطلع) فوجدها ، فوجَّه أحد المدافع صوب القلعة فلم يؤثر التأثير المطلوب ، فوجهوا في اليوم الثاني أكبر مدفع في الاستحكام ، فأول قذيفة مرقت من فوق القلعة فهزَّتْها هزًّا ، والثانية صدعت بعض الجدران ، والثالثة أصابت البرج الرئيسي في القلعة فقتلت ثلاثة جنود ، وصادف أن الماء لديهم قد نفد ، وأن آخر برقية جوابية وصلتهم من جلالة الملك «إذا لم يمكن الصمود فسلموا» لأن آلة اللاسلكي داخل القلعة ، فرفعوا علم التسليم الأبيض ، وفي أثناء رفع أحمد سيف الدين شرواني من أهل مكة من الموظفين العلم صُوِّب برصاصة في كتفه ، وفي نحو الساعة ٩ صباحاً توقف إطلاق النار .

التســــليم :

وعلى أثر توقف إطلاق النار وصل إلى القلعة (١) :

١ ـ العابد الإدريسي ٢ ـ علي بن أحمد حكمي شيخ الحكامية

---

(١) هذا ما استفدته من حمد السليمان البسام ، وهو ممن حوصروا في القلعة ، وذكر الشيخ عبد الله العمودي في تأريخه : وصل كتاب من ابن زعير لعبد الوهاب في الحفائر ، فأرسله عبد الوهاب معه إلى عمه الحسن فوافق عليه ، وأن العمودي اشترك في التسليم .

٣ ـ مكي زكري ٤ ـ قاسم ناصر أحمديني شيخ الشرفاء .
٥ ـ حيدر بن محمد حيدر ٦ ـ جبريل بن محمد شيخ أبي عريش .

فأذْلِيت الحبال ، فطلع إلى القلعة العابد الإدريسي والشيخ مكي وعلي بن أحمد حكمي ، وجبريل بن محمد ، وسطر شروط التسليم التي تتلخص في : سلامة المحصورين ، والمحافظة على أرواحهم ، وتسليم موجود القلعة ومنها اللاسلكي سليمة ، وترحيل الحجازيين إلى الحجاز .

وأرسل بالشروط إلى الحسن فوافق عليها .

وهدم البناءُ الذي يسد باب القلعة ، وأخرج المحصورون ، ورحل الموظفون الحجازيون في سفينة أما النجديون فقد رحل فهد بن زعير والحجازي وحمد الميمان ومعهم جماعة إلى صبْيا ، والباقون أبقاهم في دار الإدريسي بجازان تحت الحفظ ، وذلك في يوم الخميس الموافق ١٣٥١/٧/١٢هـ/ ١٩٣٢م .

دخـول عبد الوهـاب إلى جـازان :

وفي يوم الجمعة ٧/١٣ دخل عبد الوهاب المدينة يرافقه مكي زكري ، ومحمد العربي الإدريسي ، والعابد الإدريسي ، ورؤساء القبائل في حشود متكاثرة وموكب حافل فدخل (دارهم) وأمر بأن يصاح بالأمان .

فعاد بعض الأهل الذين في الضواحي ، فوجدوا دُورهم خاليةً خاويةً من كل شيء حتى السرر قد نهبت .

وفي يوم السبت الموافق ٧/١٤ دخل الحسن الإدريسيّ في بقية الجيش في موكب حافل ، معه رجال المنطقة من الوزراء السابقين ، ومنهم محمد يحيى باصهي الذي وإن كان يعرف أنه من المغضوب عليهم من الحسن ورجاله ، وإنما الموقف يقتضيه أن لا يتخلف حتى لا يزيد موقفه حرجاً على حرج وتخلفه في بيته معناه التظاهر بالمخالفة ومعروف ما وراء ذلك .

فاستقبله ابن أخيه عبد الوهاب في المطلع ـ فدخل مدينة جازان وجميع حشود القبائل التي دخلت مع عبد الوهاب أو توافدت عليه ، وما أكثرهم .

وأطلقت المدافع تحية لقدومه ، وخرج من رجع من أهل المدينة

لاستقباله مع المستقبلين ، والأعلام ترفرف والأعيرة النارية تطلق ، والزغاريد تلعلع .

وفي اليوم الثاني لوصوله قدم إليه من أعضاء الحزب :

علي الدباغ وخالد بن صادق بن عبد المطلب وعزيز يماني .

ووصلت سفينة شراعية بمواد غذائية من الدقيق والأرز ، وقليل من الذخيرة وفي اليوم الذي بعده سافر خالد بن صادق إلى اليمن ، وبقي في جازان علي الدباغ وعزيز يماني .

وفي آخر يوم الإثنين الموافق ٧/١٧ غادر الحسن الإدريسيّ جازان إلى صبيا ، ومعه عبد الوهاب ، وأبقى في جازان نحو مئة مسلح لحماية البلدة بزعمهم وبعث خمسة جنود إلى جزيرة فرسان .

عاد الحسن من جازان فتوقف في (الغرا) وأبقى حشوده في معسكره بقرية (الغرا) على بعد ستة أكيال من صبيا ، ودخل صبيا في المساء ، وأرسل أوامره إلى شيوخ قبائل المنجحة والشُّقيق بتخريب مضيق (الرقبة)ـ أضيق نقطة في طريق الحجاز ـ جازان .

كانت الحكومة بناء على البرقيات والتقارير المرفوعة عن ثورة الحسن ، قد جهزت سبعين سيارة تقل خمس مئة جندي مع حمد السليمان الحمدان ، وخالد الْقَرْقَني ، للتفاهم مع الإدريسي والتحقيق عن مُسبِّبات الحركة لأن توجههم كان قبل قيام الثورة .

كما جهزت اللنش (الرياض) يقل مئة وخمسين جندياً من الدواسر بقيادة (ابن درعان) و(ابن نادر) .

وكانت مهمة حمد السليمان ورفقائه ـ كما ألمعنا ـ للتحقيق والتباحث مع الإدريسي ، وقبل يومين من توجههم من مكة وصلت البرقيات لجلالة الملك من فهد بن زعير بقيام الثورة ، والتجائه للتحصن في قلعة اللاسلكي ، فالحق بهم محمد بن شُهيل ، وأمروا بالتوجه على وجه السرعة ومعهم الرسالة الآتية : ١٠١٨ في ١٣٥١/٧/٥هـ / ١٩٣٢م .

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

إلى المكرم تركي بن ماضي سلمه الله . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فإنَّ حاملي كتابنا هذا إليكم الأخ خالد أبو الوليد ، ووكيل وزارة المالية حمد السليمان ، وقد توجها إليكم ، كُلِّفوا بمهمة ، ومعهم كتب من جلالة الملك ، لابد تطلعون عليها ، يقتضي إجراء المساعدات التي يطلبونها ، مع ما هو لازم ، يعود بالتسهيل لمهتهم حرر « فيصل » .

وصلت الحملة إلى مدينة القنفذة في طريقها إلى جازان ، فالتقت بالسفينة التي فيها الشيخ عبد الله القاضي والموظفون الحجازيون ، فأخبرهم بتفاصيل التسليم ، وإلا فهو على اتصال لاسلكي بالحكومة التي قد أشعرتهم بتسليم ابن زعير وزودتهم بالتعليمات اللازمة .

إن الدعاية التي خدرت الشعب ، وألهبت الجماهير ، من أن الحكومة السعودية في حكم المقضي عليها ، وأنه لم يبق من عمرها إلا أيام معدودة ، وأن الثورة في الحجاز في دور الانفجار ، وأن بلاد عسير ثارت ، وأن قبائل الساحل ثائرة ، إلى غير ذلك من الأراجيف ، وكأن الحسن وأنصاره أخيراً ركنوا إلى عدم اليقظة والحزم بتأثير تلك الدعاية التي كانت تصدر إليهم من الحزب ويصدرونها بدورهم إلى الجماهير .

فبعد رجوعه من جازان مساء يوم الإثنين الموافق ٧/١٧ إلى صبيا فبدلا أن يأخُذ الحْزَم ويأمر ابن أخيه يتقدم بالقوات إلى الشُّقيق أو يُرَابط بين الشقيق والدرب ، وتنتشر جنوده وقواته من طريق عسير في جهة درب بني شعبة ، إلى طريق الساحل من الشقيق ويعسكر هو في الخط الثاني في أم الخشب بدلا عن ذلك مكث هو في داره بصبيا ، وابن أخيه يتردد بين صبيا والغرا ، والقوات المعسكرة في الغرا تفرق نصفها ، فليس هناك نظام ولا انضباط ، وانقضى يوم الثلاثاء في الهدوء الذي يسبق العاصفة ، ومع شروق يوم الأربعاء بدأت الأخبار تتناقل همساً .

إن الجيش السعودي أقبل فقد شاهد أهل بيش أدخْنِة الحرائق وأن أوائل الشاردين من الشقيق قد وصلوا إلى (خبت السيد).

ومع ضحوة النهار وصلت الأخبار المؤكدة إلى الحسن بوصول حملة السيارات إلى الشُّقيق وأنَّ سكان ما وراء الشقيق قد نزحوا .

سير الحملة :

وصلت الحملة (البرك) فاستقبلها أميرها الحسن بن علي بن عبده الهلالي ، وأضافها فاستقت منه بعض الأخبار لتسير على بصيرة ، فوصلت القحمة أول الحدود الإدارية للمنطقة فلم تجد أي مقاومة ، وعلمت أن طريق (الرقبة) قد خرب ومُلِيءَ بالصخور فوصلت إليه وأزالت الصخور المُعْترضة ووجدت بعض أفراد من القبائل تواروا بمجرد رؤيتهم للسيارات ، فعبروا طريقهم في يقظة واحتراس ، إلى أن وصلوا قرية الشُّقَيق ، فوجدوها خاوية على عروشها ، قد غادرها سكانها ، وانحاز قُطَّانها إلى ما بين الشقيق والجعافرة ، على طريق الساحل وإلى الجهات البعيدة عن الطريق ، ووجدت الحملة في جهة الشقيق وما قبله إبلا لأهل دوقة ، ترعى في تلك الجهات فأنزلوا من يسوقها وراءهم إلى جازان وهم على استعداد لتعويضهم بعد ذلك ،

عندما علم الحسن باجتياز الحملة بقرية الشقيق خرج من صبيا إلى (الغرا) فوجد أكثر من في المعسكر قد تفرقوا ، فأمر الباقين بالتقدم نحو قرية (سوادة) في خط الساحل .

وقعة سوادة :

أهاب الحسن بمن وجده في معسكر (الغرا) بالسير إلى سوادة والمرابطة هناك ، لصد حملة السيارات ، فساروا وليس لديهم سلاح موحد ، ولا ذخيرة كافية ، وليس مع أغلبهم أكثر من عشرين رصاصة ويتقدمهم نحو خمسة عشر فارساً بقيادة مكي زكري وأحمد بن علي الحازمي وسالم بن عبد القادر باصهي .

ورابطوا غرب قرية سوادة ، وأمامهم سبخة منبسطة تخترق أراضيها السيارات في لمح البصر .

وبعد العصر أقبلت السيارات تتقدمها أربع مصفحات مسلحة ، بعضها بمدفع سريع الطلقات وبعضها بالرشاشات الخفيفة وجنود مسلحون بسلاح جديد ونظيف والذخيرة الكافية .

فبوغتت الطليعة بإطلاق النيران ، فبعدت عن مرمى البنادق فأَصْلَتْهم الرشاشات بوابل من النيران ، ونزل بعض الجنود لمشاغلة الجند المعترض .

فقتل جماعة من ذوى الحفاظ من قوات الإدريسي مثل أحمد بن علي الحازمي وسالم بن عبد القادر باصهي وغيرهم .

فانهارت عَزَائم من بقى فانسحبوا متفرقين وبعضهم رجع إلى صبيا على رأس مكي زكري .

وبانسحابهم واصلت الطليعة مع أوائل السيارات طريقها ، حتى أن الحملة مرت وقد انتهت المعركة .

تدلت الشمس تدلف للمغيب ، وتلاحقت أواخر السيارات بأوائلها وتجمعت في تشكيلات تتقدمها المصفحات والمدفعية الخفيفة في تيقظ وحذر وفي نحو الساعة السابعة والنصف أو الثامنة كانت بالقرب من كثبان (هالة) على مسافة نصف ساعة من جازان لسير السيارات .

ومن التغرير والغرور التقدم ليلاً على جازان ، وهم على علم بحصانة موقعها ، وما قد يكون ـ حسب تقديرهم ـ استعد به الإدريسي من القوات للدفاع عنها .

وهم على علم أن مقتل مدينة جازان ـ دائماً (الحفائر) مورد الماء وكان ظنهم أنه قد وضعت لحمايتها قوة تحميها ، وعلى هذا الظن قرروا ما يأتي :

١ ـ مهاجمة (الحفائر) والاستيلاء عليها بأي ثَمن ، والانتظار بوصول هجمات [١] (رعية) الإبل ، والتذَرِّي بأجرامها عند الهجوم على الحفائر وركوبها لاجتياز الكثبان الرملية التي لا تجتازها السيارات .

---

(١) الهجمة : حوالى مائة ناقة .

٢ ـ التوقف في كثبان (هالة) إلى طلوع الفجر .

٣ ـ بعد التمكن من الاستيلاء على الحفائر يبقى قسم من الجيش بها والقسم الآخر يهاجم المدينة من ناحية البرّ بينما يهاجمها (اللنش) بحراً فباتوا بين الكثبان في (هالة) محرِّسين فأطفأوا أنوار السيارات .

اللنـــــش :

ما شاهد بعض أهل المدينة أنوار السيارات حتى غمر الناس موجة من الخوف المرعب ، وذاع الخبر فاستشرف الناس من الجبال ومن سطوح المنازل فلم يروا الضوء الذي رآه البعض لأن السيارات أطفأت الأنوار واختلفت الأقوال فمن قائل : إنها نيران الرعيان ، ومنهم من يقول إنها نار مواقد (الحطم) [1]، ومنهم من قال إنه خداع البصر وأوهام الخوف إلى غير ذلك . وفي الساعة العاشرة تجددت الإشاعات : إنها سيارات الحملة السعودية ، وأكد ذلك عندما شاهد الناس أمتعة (العربي الإدريسي) ترحل إلى أحد السفن مع عائلته .

وكان العربي قد وصل من صبيا مع عبد الوهاب الإدريسي بعد العصر فدخل داره بصورة مستعجلة ، وأوعز إلى خدمه بأن يرحلوا أهله ليلاً ، بعد أن يهجع الناس ، وأخبرهم أنه متوجه بصحبة عبد الوهاب إلى جهة المسارحة للقدوم بهم لحماية المدينة .

فقامت حركة النزوح من البلدة بطيئة نوعاً ، إلا أنه في نحو الساعة الواحدة صباحاً بالتوقيت الزوالي شوهد نور يومض في البحر فعرف أنه مصباح اللنش فأطلق الوكر الذي جنوب قلعة البرقية قذيفتين ، فأطفأ اللنش أنواره ، ومرق ينساب جنوباً ، فهب المتأخر والمتردد من الناس للرحيل بَحْراً ، وغَصَّ الساحل بالأسر ، وامتلأت السفن وأقلعت صوب جزيرة فَرَسان ، في نحو الساعة الثالثة صباحاً .

وشعر المئة جندي المؤلفة منهم حامية جازان بحراجة موقفهم ، فلا قيادة توجههم ، ولا ذخيرة ترفد مقاومتهم ، إلى أن تصلهم نجدات ، وماذا تغني مقاومة مئة جندي ، في مدينة بأسرها لهذا اضطروا إلى الانسحاب .

---

(١) الحطم : عصارة شجر الحمض ويحصل عليه بوضع فروع الحمض فوق النار فيسيل سائل وعندما تخمد النار يتجمد هذا السائل فيؤخذ ويستعمل فى تنظيف الثياب .

تسلل (اللنش) صوب الجنوب في خفة وحذر ، صوب ساحل (العشيما) وفي تُؤَدَة وهدوء أوقف (محركه) واستعمل بحارته المجاديف إلى أن أرسوه قرب الشاطىء بحيث يخوض الجنود الماء وسلاحهم مرفوع على رؤوسهم .

وبعد أن اطمأن من عدم إطلاق النار عليه ، دَنَى من الشاطىء وتلفتوا يمنة ويسرة ، فلم يلاحظوا أي حركة ، أو يسمعوا أي نأمة ، فشجعهم الهدوء ، فانسلوا في غُبْشَة الظلام متقدمين صوب الآكام المطلة على الشاطىء ، فلم يحسوا بأي حركة فتسلقوها في خفة وحذر ، حتى بلغوا أعلاها ، فإذا لا شيء وراءهم ، (كل شيء هادىء في الميدان الغربي) [1] فهيأ بعضهم مراكز حراسة أمامية وعاد بعضهم يخبر المنتظرين على أحر من الجمر في (اللنش) فقرب (اللنش) إلى الشاطىء إلى أدنى نقطة يمكنه الوصول إليها ، وأنزل من فيه بسلام وارتقوا المرتفعات .

نَضَى الظَّلام بُرْقُعَهُ الصَّفِيقَ على الأفق ، وتسللت أشعة الشمس الأولى ، تمسح بريشتها الذهبية بقايا الغبشة الداكنة ، فتطلع الجند بعيون أذبلها السهر وأعشاها الترقب المخيف ، فإذا الموقف يغلفه الصمت المطبق ، ويلفه السكون الرهيب ورؤوس الآكام حولهم تتراءى كأشباح الرُّؤى ، وتهاويل الأساطير ، ولا شيء غير ذلك ـ فأدركوا بحاسة المحارب المجرب والمتعود اليقظان أن التقدم ميسور ، فأبقوا نحو خمسة وعشرين في (اللنش) وعلى المرتفعات لحماية ظهورهم ، وساروا شمالاً غرباً ، حتى قطعوا نصف المسافة بين شاطىء العشيما والمدينة ، وهناك تجمعوا وتبادلوا الرأي وتوافقوا على التفرق جماعات .

١ ـ الأولى وجهتها البرج الكائن جنوب قلعة البرقية .

٢ ـ وجهتها قلعة اللاسلكي .

٣ ـ وجهتها طريق المضربية وهم الأكثر .

سارت الأولى تلوذ بالصخور حتى ارتقوا موقعهُ فوجدوه خالياً ـ

---

(١) هذا : عنوان رواية مشهورة عالمية عن الحرب العظمى الأولى .

يرحب بهم ـ فآخر واحد من (الطبجية) رمقهم من بعد ، فانحدر من الجهة المعاكسة ونجا بنفسه .

والثانية ، وجدت قلعة اللاسلكي أفرغ من فؤاد أم موسى فأخذ البعض أمكنتهم في المتاريس ، والآخرون انحدروا صوب بيت العابد الإدريسي .

والثالثة عندما وصلت (المضريبة)ـ معدن الملح ـ الحلقة الآن ـ رفعوا عقائرهم مقلدين زَفَّةً محلية ، وهم يطلقون الرصاص ، فخرج على صدى أصواتهم بعض الأهالي المتخلفين ، يحسبونهم من قبيلة المسارحة الذين ذهب للاستنجاد بهم عبد الوهاب والعربي الإدريسي ـ كما أشرنا إلى ذلك .

وكان بعيداً عن الأذهان قدوم النجدة من الخلف ، من الناحية الجنوبية وما شاهدوا من خرج من الأهالي حتى أطلقوا عليهم الرصاص ظنا منهم أنهم من جنود الإدريسي ، فانكفأ الناس إلى بيوتهم .

وافترقت الجماعة هذه إلى جماعتين :

إحداهما هاجمت بيت الإدريسي . والأخرى قصدت بيت الزكري ـ مركز المندوب السعودي ، حيث الأسرى النجديين . في حال أن مجموعهم جميعاً لا يتجاوز المئة والخمسين .

انتبه العابد الإدريسي على طلقات البنادق ، فعرف كل شيء ، فخرج مسرعاً مع بعض خدمه إلى الميناء ، وفي الطريق تساقط عليهم الرصاص بغزارة من متاريس قلعة اللاسلكي ، فوجد قارباً صغيراً فاستقله إلى آخر سفينة في الميناء قد رفعت قِلْعَها فلحق بها هو وحرمه وخدامه .

وقتل على شاطىء الميناء من وصله بعد ذلك بخمس دقائق برصاص من نزلوا من برج المدافع الجنوبي ، وممن في قلعة اللاسلكي ، ومنهم علي الدباغ من أعضاء (الحزب).

أما المجموعة التي قصدت بيت الزكري الذي فيه الأسْرَى فقد عرفوا

أن الطلقات من السلاح الحكومي وأن مصدرها النجدة القادمة من الحجاز ، فاتفقوا مع حراسهم الأربعة على أن يتسلموا سلاحهم ، ويضمنوا سلامتهم من المهاجمين .

وعندما أقبلت الجماعة لمهاجمة الدار تلقوهم وطمأنوهم على سلامتهم فسألوهم عن بيت الإدريسي فدلوهم عليه ، وهو ملاصق لبيت الزكري وكان به عشرة حراس ، فتسلقوا الجدار ، وتبادلوا معهم الطلقات فأصيب من أصيب حتى قضوا عليهم جميعاً .

واتَّصَل المهاجمون في شوارع المدينة يجوبونها ركضاً فقتلوا من صادفهم في الشوارع من الناس الْعُزَّل .

كما قبض على الضابط عزيز يماني ، وهو منتحل شخصية طبيب ، فأخذوه لمعالجة بعض المصابين ، ثم أخذوه إلى ابن سليمان ورفقائه فعرفوه ، وحالا أحيل على التحقيق وقبض على ما معه من مكاتبات سرية تتعلق بالحركة .

وبذلك تم احتلال المدينة جميعها ، فَوُجد في اصطبل العربي والعابد بعض الخيل فركبوها لملاقاة حملة السيارات لبشارتهم باحتلال المدينة .

وصلت حملة السيارات ـ كما أسلفنا ـ إلى كثبان (هالة)ـ وباتوا محرسين وقبل الفجر وصلت الإبل ـ المشار إليها قبلا ـ فاستبشروا كثيراً لأن الإبل مع كثرتها سيكون منها ستار تمويهي للهجوم ، ورعيانها يسوقونها بحيث لا تلفت نظر الحامية على الحفائر .

لقد وصلت الحملة الفجر وتحركت تحركات يقظة وبطيئة ووجهتها الحفائر والرعيان قبلهم بالإبل ، وهي تنوف على سبع مئة ناقة .

وبعض الجند امتطى ظهور الإبل ودَرْهَمَ بها بسرعة ، وبعد كل ربع ساعة يتوقفون قليلاً حتى يتقدم المتأخر ثم يستأنفون السير ، حتى قربوا من الحفائر على مَرْمَى البندق ، فتوقفوا فإذا هم لا يشاهدون أي حركة ، فبعثوا من يدنو حتى يقف على مورد الماء نفسه ، وأن يحترس ويُشير لهم بالدنو إذا لم يجد أحداً .

وفعلا وصل المورد فإذا ليس به أي شخص فأشار لهم فتقدمت الحملة حتى عسكرت على الحفائر .

وبينما بعض السيارات تتحرك في السبخة وإذا هم يشاهدون عشرة من الفرسان يلوحون بأردانهم ، وهم يصيحون : البشرى ! احتللنا المدينة !!

وتقدموا إلى قادة الحملة بالبشرى فكتموا صيحة الفرح والابتهاج ، وتقدموا نحو المدينة بعد أن رتبوا (الحفائر) بكتيبة تحميها وأخذوا بقية القوة معهم إلى المدينة ، وبعد دخولهم صاح صائحهم بالأمان ، فخرج من هو موجود من الأهالى على رأس رئيس البلدية حُمَّد زيْلعي ، وسلموا على قادة الحملة فطمْأنوهم .

ومن ثم رتبوا من معهم من القوات على المواقع المهمة حول المدينة في الجبال والمرتفعات وقلعة اللاسلكي والاستحكامات .

فرســــان :

وصل من فرَّ من الأهالي إلى جزيرة فرسان في الصباح وأكثرهم فَرّ إلى البادية ، كما وصل العابد الإدريسي ولم ينزل في الجزيرة بل تزود بالماء وما يحتاجه وأقلع إلى جزيرة (كمران).

وفي اليوم الثاني وصل (اللنش) إلى فرسان يقل نحو خمسين جندياً وصادف أن وجهاء الجزيرة وعلى رأسهم رئيسها الشيخ محمد عمر شعراوي ، قد تشاوروا حول مصير الخمسة الجنود الذين أرسلهم الإدريسي ، وما ينتظرهم من المصير المفجع لو وصـل (اللنش) وليس مع كل جندي إلا خمسة عشر طلقة فاتفق رأيهم على ترحيلهم إلى (المضايا) وحالا أحضرت لهم سفينة أقلتهم متوغلة بهم في عرض البحر تحاشياً من ملاقاة (اللنش) حتى أوصلتهم المضايا .

وصـل (اللنش) إلى فرسـان ، ووجـد في الميـنـاء بعض السفن مثقلة بأمتعة الأهــالي فأخــذوهــا ، وأفـرغـوهـا في (اللنش) ومن ثَم نزلـوا صوب البلدة ،

فالتقاهم الشيخ محمد عمر شعراوي وزميله حسين بن يحيى رفاعي ، وإبراهيم النجـدي وغيرهم من الأعيان ، وهم يحملون عَلَماً أبيض وأفهموهم أن الجزيرة ترحب بهم فدخلوها بسلام وأبقوا فيها أميراً وعشرة جنود ، وتزودوا بالماء لإسعاف من في جازان لعدم وفرته هناك ، وأقلعوا إلى جازان ، واقتفاهم أهل الأمتعة التي أخذت من السفن وشكوا على قادة الحملة ، فأمروا بإعادتها لهم كاملة .

المـــــوقـف في صبيـــا :

أشرنا إلى خروج الإدريسي إلى (الغرا) وإرساله قواته إلى قرية سوادة ، على خط الساحل وهزيمتها وقتل من قتل وعودته إلى صبيا ينتظر ما تسفر عنه المعركة .

لقد كان الثلث الشمالي من المنطقة ليس مع الثورة ولا محركيها ، وإنْ تظاهروا ظَاهِراً أنهم معهم .

فالبـرك ـ وهي من المنـطقة قد فصل رئيسها الحسن بن عبده نفسه من إدارة المنطقة وارتبط بالحكومة من قبل ذلك وجعلته أميراً على قبائل بني هلال .

(وقنا والبحر) وهي أقرب إلى أبها قد جعلت الحكومة بها أميراً ، وهم على معرفة لو سَوَّلت لهم أنفسهم لانتقاض بما ينتظر مصيرهم من قبل أمير أبها .

ورجال أَلْمع بها أمير سعودي محنك ، قد تجند مع فرنسا في سوريا قبل امتداد أمر ابن سعود على الحجاز وترفع في الجندية إلى رتبة مشرفة ، ثم عاد إلى وطنه واشتغل في الجندية ثم في السلك المدني ، وعرف كيف يقنع رؤساء رجال ألمع بلباقته ويراقب الحالة ، بالرغم من وصول رسائل وأوامر لهم بالانتقاض ، وإنما يقظته وقربهم من أبها وتنبه أميرها الذي رجال ألمع تابعة لإدارته ، فلم يستطيعوا التحرك .

ورئيس بني شعبة الشيخ محمد بن هادي شعبي ، على اتصال بأمير أبها فلم يحرك ساكناً بل كان في جانب الحكومة من أول ساعة من الحركة .

وشيخ بَيْش قاسم بن إبراهيم عكفي ، لم يشترك في تلك الحركة فظل على ولائه كما سيمر بك ـ إذن فثلث المنطقة لم يشترك في الحركة ، من أول لحظة أما القحمة والشقيق ، فقد مر بك أن الحملة اجتازتهما بدون أدنى مقاومة تذكر .

حصـــاد معـــركة ســـــوادة صبيـــا :

تلك المدينة التي عاشت زهو انتصاراتها الزاهية المشرقة في الشمال والجنوب على الأتراك قبل ثلاث عشرة سنة غشيتها الكآبة والحزن عندما وصلتها فلول معركة (سوادة) وتلاها نعوش القتلى ، وأعداد الجرحى ، وكان أبرز شخصين في القتلى أحمد بن علي حازمي وسالم بن عبد القادر باصهي أخذ جثمان الأول إلى قريته الظبية ، والثاني إلى دار ابن عم أبيه الشيخ محمد يحيى باصهي وسَجَى الظلام كثيباً موحشاً ، على المدينة الحزينة ، وسادها القلق المخيف ، والترقب الرهيب ، ودارت في الرؤوس دوَّامات من الأفكار المتلاحقة المتزاحمة ، يدوس بعضها رقاب بعض وأخـذت المنـاظـر القـاتمة المجلَّلة بالأطر السوداء تتلاحق مسرعة تنطبع وتتـلاشى على شاشات الأفكار المضطربة الحانقة ، وانطوى الليل على وحشته وهوله ، وأطل الصباح كابياً مبدداً بعض الشيء من سُجُف الضباب الكثيف الذي تخثر حالكاً مع ظلام المساء الفائت ، فبعث الحسن بعض رجاله إلى (معسكر الغرا) لتأخذ الأهْبَة كطَليعة للدفاع ، إذا أقبلت الحملة إلى صبيا ، فوجد المعسكر ينعق البوم في أرجائه ، حتى أهل القرية قد نزحوا عنها ، وأمر بأن يخرج مناد ينادي بعدم الخروج من صبيا بعد ما بلغه أن الناس تستعد للرحيل .

وخـرج الحـاشية والأنصـار ، ومؤيدو الحـركـة ، يبثـون الثقـة ، ويوزعـون الثبـات المصـطنـع ، ويختـرعـون الأقـاويل ، بأن خردات السيارات ، ونفـاية سلاح ، هو كل ما بقى عنـد الحكـومـة ، دفعت به إليكم لصيانـة ماء الوجه ، ومحـافظة على السمعة ، وكل ذلك غنيمة ساقها الله لكم ، حتى دخلت جازان الـدخـول الـذي لا خروج منه إلى آخر المعزوفة ، وإنما الجمهور يتناقل أخبار

المعركة في شيء من التهويل والتضخيم ، وأنّ عدد السيارات تنوف على مئتي سيارة ، والرشاشات تزيد عن المئة ، والمدافع تربو على الخمسين مدفعاً ، وأنهم بعد ترتيب جازان ستقبل تلك القوات لتدمير صبيا و . . . وكل ذلك تكهنات والحقيقة معماة فإنه لم يصل أحد من جازان ولا علم حتى عددهم لا الإدريسي ولا غيره وكل ما عُلم أن الحملة توجهت بعد المعركة في طريقها إلى مدينة جازان ، ليس إلا ، والأسواق مقفلة والأعمال متوقفة ، والناس زرافات ، متفرقة في ظلال البيوت والساحات يوشوش بعضها بعضاً وتشوش على بعضها .

وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر وصل أحد حراس العابد الإدريسي من جازان يجر رجليه جراً ، من أثر الجراح البالغ في رأسه ، والشجاج والرضوض في رأسه وجسمه ، وهو من موالي باصهي ، فوصل إلى بيت باصهي ، وأدلى بالخبر اليقين ، والمعلومات الصحيحة التي عايشها ومارسها ، وأن الجرح الذي أصابه ضربة بسلاح من أحد رجال (اللنش) [1].

فشاع الخبر وذاع في أرجاء صبيا في لمح البصر ، مع المبالغة والتهويل والتشويش ، فارتجت صبيا من أقطارها ، وحَمى الإرجاف ، وبلبلة الخواطر على أشد وأبلغ مما كان .

وما غربت الشمس إلا والناس كما يقول المثل العامى (على كف عفريت) وانفرط الزمام ولم يبق تَقَيُّدٌ بأمر ، فأخذ الناس في ترحيل عوائلهم ، فلن تشاهد إلا جمالاً تثور محملة ، وأخرى تناخ للتحميل ، هذا عند ذوي اليسار أما ما عداهم فعلى الحمير أوسيراً على الأقدام ، فالمدينة بأسرها في حركة انزعاج وترحيل ، والناس في أقصى حالة من التمزق والضياع .

محـــاولة غير ناجحة :

الشيخ محمد يحيى باصهي يشاهد الحال بِقَلْب يقطر بالأسى ، ويزفر بشواظ الحسرة ، وأدار الفكر ورأى بصيصاً من نور يخفق خفق قلب

---

(١) من رواية حارس الإدريسي المسمى « امطاعن » .

المحتضر فى قصر الإدريسي ، الذي ليس ببعيد من بيته ، فأدلج يخب الخُطَى ومعه عبدانُ مسلحان إلى القصر ، فوجده :

يَتَنَضَّى من الكآبة أن يَبْـ ـدو لعينى مُصبح أو مُمسي

وعلى البـاب عدد من الحـرس ، يعـرفهم بسيماهم وأسمائهم فقال لرئيسهم استأذن لي على الإمام ـ وكان في نظر الإدريسي ، ورجاله وحتى حراسه على الباب العدو الأول للقضية والخصم المبين للحركة ـ وإنما الموقف الآن قد خَلا من كل اعتبار ، ولا يتسع لأكثر من العمل السريع .

وكان لدى الإدريسي خصم باصهي اللدود (مكي زكري) ، مع محمد أمين الشنقيطي ، وغيرهم من الرفاق ، وبعد تبادل الرأي بسرعة ، تواروا وراء الرُّواق ، وأذِنَ له .

دخل باصهي والنور الخافت من المصباح الغازي لايسمح من الرؤيا إلا بالقليل فسلم السـلام التقليدى ، وانتـظر ريثما يسترد أنفاسه من صعود الدرج ثم افتتح الكلام بما يفهم منه : (خالفتني وأطعت الأحداث) ، وأخذ في مواصلة الكلام وإسداء النصح ، وإن كان يشوبه غُنَّةَ المنتصر لرأيه ، والتلميح بما يشير به مكي والشنقيطي ثم توقف قليلا متطلعاً خفية إلى الإدريسيِّ .

ثم استأنف الحديث : أري ياسيدى ، أنه من الأمثل والرأي لسيادتكم التوقف عنـد هذا الحد من الموقف ، والأمر بإطلاق فهد بن زعير ورفقائه ، ونقلهم من سجنهم الحالي إلى محل لائق والإذن لهم بمقابلتكم والتفاهم معهم في هذه الليلة في أمـر ما يصلح الحال ، أو تنيب من تراه للتفاهم معهم ، والتفاوض مع قادة الحملة التي دخلت جازان ، حتى تتصل برقياً بجلالة الملك ، وتتم المصالحة ، وتجدني ـ بحوله تعالى ـ ناصحاً ومتعهداً إن شاء الله بالمفاهمة مع فهد بن زعير وتركي بن ماضي ، وإن اقتضى الحال التفاهم مع حمد السليمان ، ورفقائه وحتى الإبراق لجلالة الملك وبرجائه فيما يصلح الأمور ويُهَدِّيُء الأحوال وينهي القضية

إلى صلح وسلام إن شاء الله ، فقال الإدريسي : ما يكون إلا خير ، في الصباح تكون عندنا ويتم الأمر بما أشرت إن شاء الله .

ويقال : إن الذين كانوا متوارين في الرواق ، قد سمعوا كل ما جرى ، والإدريسي لايمكنه أن يعمل شيئاً إلا برأيهم .

وبمجرد خروجه دخلوا مُبْتَسِمِيْن وقال مكي : سمعنا ما قاله ذلك المخادع وما قاله أحْبُولةٌ وحيلةٌ لا تنطلي على مثل سيادتكم ، ومثلنا ، ومن الحزم مغادرة صبيا وتعود ظافراً على رغمه ، ويُصَفَّى معه الحساب .

وفي الصباح ذهب باصهي مبكراً إلى القصر ، وفي اعتقاده أنه سيتمكن من اقناعه باطلاق فهد بن زعير ورفقائه ، ومن ثَمَّ يبدأ مشروع التفاوض حول ما يصلح الموقف ، ويمهد لصلح مشرف ، يتوصل بموجبه لما يعود لمصلحة الطرفين ، إلا أنه وجد القصر خالياً ، وعلم أن الإدريسي قد غادره إلى قرية (الظبية) وأن (عوائله) قد غادرت صبيا الجديدة قبله ليلا ، وما وصل باصهي عائداً إلى داره ، حتى جاء من يخبر بأنه شاهد الشنقيطي يقطع الوادي اليماني ركضاً على حصانه ، ومكي زكري على أثره يحث جواده .

الموقف الملتهب :

بعودته إلى داره ، استغرق في تفكير عميق ، وبعد لحظات معدودة أفاق من تيه تفكيره ، فإذا هو يرى فوضى ضاربة أطنابها ، ومَدًّا زاخراً من الفتنة لاجزر له ، وعاصفة ربداء جللت الأفق بِعِثْيَرِها الداكن ، وسَفِيْنَة يُدَاهِمِهُا الموج ويَدْفَعها الرِّيح إلى هاوية الغرق والارتطام بالشعاب والصخور ، وموقفاً تتحكم فيه الغريزة العمياء ، لا البصيرة والعقل .

هناك بيت حسن عابدين المعتقل الذى حشر فيه ابن زعير ورفقاؤه ، وعددهم ينوف على الثلاثين شخصاً ، والدار عبارة عن غرفتين وعُشَّة وعريش ، يحوطه سياج من الأغصان والشوك بدون بوابة ، وليس عليه

إلا ثمانية حراس ليس لديهم من السلاح إلا بنادق قديمة ومع كل بندق نحو ثلاثين (فشكه) أو أقل .

والمعتقلون قد جعلت منهم الدعاية قَذَى الأعين ، وغُصَصَ الحلوق ، وكلٌّ يدعى من القبائل بأنه قُتِل له قتيل في الفتنة ، وقد أصبح - بحكم الدعاية أنهم أسباب كل تلك المأساة وخشى أن يقوم بعض الموتورين ، أو يستخف بعض المتهورين - وما أكثرهم في كل مجتمع - بمهاجمة المعتقل في مثل تلك الساعة ، وما هو إلا صوت يرتفع بالمناداة بمهاجمة . . . فيلتف الجمهور الحانق ، ويندفع في ثورة العاطفة ، وعدوى الشعور الجماعي المشترك ، وتكون الواقعة .

والظروف دائماً توحي إلى الرجال بتمثيل دورها في المواقف الهامة ، وشعر تلقائياً أنه الشخصية التي يتطلبها الموقف بالتصرف - غير متقيدة بالنفوذ الإدريسي الذي يتطلع إليه الشعب قبل هذه اللحظة الخطرة مبهوراً بسحر تراثه القديم ، وأمجاده السالفة ، وتأثير حركته الجديدة المفتعلة ، وتعلق العيون المأخوذة ببريق النصر المؤَقَّت ، في اقتحام مدينة جازان ، وأسر المندوب ابن زعير .

ثم بين عشية وضحاها أطفئت الأنوار فجلل المسرح الظلام ، فعاد الشعب مشدوهاً يتلمس طريقه ، في حيرة من غشاوة اليأس .

وباصهي بحكم مركزه وتجاربه السابقة ومركزه الاجتماعي كزعيم ، ومكانته القومية على اقتناع تام بخطإ الحركة من مَبْدَئِها ، وقد استراب فريق الحركة من موقفه المتحفظ أولا ثم منتقداً بعد ذلك ، فسجل لديهم أنه عنصر خطر .

وهناك الخصومات الخاصة - التي سبقت الإشارة إليها - بينه وبين مكي زكري ، أخصها قضية الزكري والصافي ، ونظرتهما الخاصة بعين الحسد والغبطة والحقد إلى تضخم تِجارته ، ونشاطه المالي والعقاري ، مقابل تواضع الحالة المالية وتوقف الحركة التجارية عند منافسيه ، وعلى رأسهم

الـزكري ، وانعطاف الجمهور على مركز الأدارسة ، الذي كاد مركز باصهي في الناحية المالية ، أن يحجب بريق لمعانه .

إن التنـافس الأدبي والمادي عندما يحتدم بين جهتين يكون له ارتداد وكمون وانتشـار،وقد يقصر أو يطول مداه حتى تستكمل أو تهيىء الظروف عوامل الظفر لأحدهم .

وقـد مرت بباصهي منذ ابتداء نشاط الحركة الجديدة هزاتٌ عنيفة ، يتخللها الجفاء المرُّ ، والاهمال الجارح ، واستنكار لسلوكه ضدهم ـ كما يظنون ـ مع ما يبلغه عنهم وعن من يخلص لهم من التوعد المزعج ، كل ذلك اختزن في عقله الباطن ، وكلها أمور أثارت في نفسه الآن حوافز الشجاعة الأدبية للعمل ـ في الوقت الذي ظنه مناسباً ـ إزاء شخص ترك عاصمة ملكه وقاعدة حكمه ، وهكذا اعتقد باصهي أن كل شيء انتهى بالنسبة للإدريسي ـ ولم يحسب حساب رد الفعل لا من الإدريسي ، ولا من خصومه ، بل ولا من الجمهور الذي أيد الإدريسي فهو بدوره يعتبر كل تَحدٍّ أو إساءة للإدريسي ـ آنذاك تَحَدِّياً لمشاعره وإعلاناً لأخطائه .

فقام باصهي بما ظنه تمليه عليه ظروف الموقف الحرج ، ويحتمه الواجب عليه كزعيم في بلدة قد تركتها السلطة الحاكمة شاغرة بدون سلطة تنفيذية ، أو حماية أمينة وإزاء أسْرَى من رجال حكومة صديقة مجاورة تربطها معها معاهدة صداقة ، ومواثيق حماية وولاء ، وهو أحد من اشترك في عقدها ، وأسهم في إبرامها نيابة عن حكومة الإدريسي نفسه، ويتراءى أنه كان الأولى والأوجب على الإدريسي ألا يترك أسراه معرضين للفتك من غوغاء الجماهير ، وفتّاك القبائل ولو كان انسحابه بنظام لكان أمر بترحيل فهد بن زعير ورفقائه إلى مكان حريز حتى يؤمن على حياتهم ، ليجعل منهم موضوع تفاهم للصلح ومادة مساومة للمفاوضة .

إطـــلاق ســـــراح المعتقـلين :

خرج باصهي من تفكيره ، بحصيلة عمل إيجابي ، وهو لابَد من عمل شيء فوراً ، وأمر من ساعته بتحضير سيارتيه ، وركب إحداهُما يرافقه بعض المسلحين من حراسه وقال للسائق : بيت حسن عابدين ، وأشار إلى السيارة الأخرى بأن تتبعه .

وعند فَتْحَة سياج الدار ، توقفت السيارتان ، ونزل وتبعه المسلحون ، فرمق كبير حراس الدار مُقَطِّباً عابسا ، وقد فهم ــ بالطبع ـ ما وراء وصوله ، وإن كان يمزج ذلك بشيء من اللياقة والاحترام لشخصية مثله ، فأفهمه باصهي بكل شيء فَبَدَت على وجه الحارس علائم التمرد والاعتراض ، فقال له : يابني أصحابك لا يزيد عددهم عن ثمانية ولا أرى منهم إلا أربعة ، فقال الحارس . . أربعة ذهبوا يجيئون بالفطور .

نعم يابني إن المعتقلين ليسوا دجاجاً تغلق عليهم باب الغرفة ، وهم رجال ينوف عددهم على خمسة وثلاثين شخصاً ، ولم يعلموا مغادرة الإمام للمدينة وإلا لكانوا قاموا بما لا تُحْمد عقباه ، وكأنَّك بهم إن سمعوا قد هجموا عليكم وبأي وسيلة (الكثرة تغلب الشجاعة) والأحسن أن آخذهم إلى بيتي فهو أحصن وآمن ، ولا مانع لدي أن تكونوا على حراستهم هناك ، وبذلك استمال الحارس ، فتنحّى الحارس جانباً ودخل باصهي ، فأقبل على المعتقلين وهو يردد البيت المشهور :

لم أكُـنْ مِنْ جُنَـاتِـهَـا عَلِم اللـ ـــه وإنِّـي بحَـرِّهَـا الـيوم صَالي

ولَمْ يكن فهد بن زعير ، وتركي بن ماضي ورفقاؤهم إلى تلك اللحظة يعلمون أن الإدريسي قد غادر صبيا فأخبـرهم بقراره ، وأخذهم إلى بيته ، وسلحهم بما يوجد لديه من سلاح ، وكان في قلعة صبيا عدد من المساجين السياسيين من رجال المنطقة منهم .

١ ـ القاضي عبد الله العتمي حاكم أبي عريش .

٢ ـ عمر بن علي الأقصم من وجهاء أهل أبي عريش .

٣ ـ محمد بن علي شبيلي الحازمي .

فأرسل من أطلقهم من سجنهم ، ويأتي بهم إليه ، وهو يعلم أنهم ضد الثورة والثائرين ، وبدخولهم جددوا العهد لفهد بن زعير ، باسم جلالة الملك ، فبعث الأولين إلى أبي عريش ، والأخير إلى بلدة ضَمَد لتسكين الفتنة ، وأخذ العهد علي من هناك . بعد موافقة «ابن زعير» طبعاً .

ومع الظهر وصل محمد حيدر القبي ومكي بن أحمد شيخ بلدة الملحا ، يطلبون العفو والأمان وبدخولهما دار باصهي وجه الكلام محمد حيدر إلى صديقه القديم باصهي : اليوم كما قال رسول الله ﷺ «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فعانقه باصهي وقَدَّمه إلى ابن زعير مع رفيقه ، وكانا مسلحين ببندقين من سلاح الحكومة ومسدسين ، فأخذت منهما وحرر لهما أمان خطى موقع من ابن زعير وتركي بن ماضي وتم الرأي أن يتوجه (تركي بن ماضي) إلى جازان ومعه بعض (الأخويا) ـ الجنود ـ ويبقى فهد بن زعير مع الباقين في بيت باصهي .

وبعد ذلك وصل كل من :

١ ـ مصطفى النعمي .

٢ ـ عبد القادر باصهي .

٣ ـ فتح الدين بن قاسم شافع .

فعاهدوا وأعْطى كُلُّ واحد منهم أماناً خطياً .

أشرنا إلى توجه تركي بن ماضي إلى جازان للاتفاق بقادة الحملة حمد السليمان وخالد القرقني ، ومحمد بن شهيل فاتفق بهم ، وأخبرهم ، وسلموه كتاباً من جلالة الملك هذا نصه : عدد ٦٢٠ في ٢٦ / ٦ / ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢م.

من عبد العزيز الفيصل إلى جناب المكرم تركي بن ماضي .
سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعـد ـ فقـد أوفـدنا إليكم خالد أبو الوليد ، وحمد السليمان ، لأجل بعض

المصالح ، فامتثلوا ما يقولون لكم في كل الحالات ، واعتمدوا أوامرهم يكون معلوم والسلام . (الختم).

وخطاب آخر من نائب جلالة الملك هذا نصه :

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى المكرم تركي بن ماضي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد فإن حاملي كتابنا هذا إليكم الأخ خالد أبو الوليد ووكيل وزارة المالية حمد السليمان ، قد توجها إليكم كلفا بمهمة ، ومعهما كتب من جلالة الملك لابد تطلعون عليها ، فيقتضي إجراء جميع المساعدات التي يطلبونها ، مع ماهو لازم ويعود بالتسهيل لمهمتهم حرر .

التوقيع : فيصل

عاد تركي بن ماضي إلى صبيا ومعه ثلاث سيارات كبيرة ـ حمالة ـ فشحنها بما وجده في دار الإدريسي من العتاد ، والمدافع الجبلية الخفيفة وعادت إلى جازان وظل هو في صبيا .

في نفس ذلك اليوم وصلت الأخبار إلى باصهي بأن الإدريسي يحشد جموعه لمهاجمة صبيا في آخر النهار .

موقف الإدريسي :

أشرنا إلى خروج الإدريسي من صبيا يوم ١٩ / ٧ / ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م إلى قرية (الظبية) وظل بها شحابة يومه ، وتلاحق به أنصاره ورجال حاشيته (وعوائله)، ثم منها خرج إلى الحسيني ومكث في غابة (وتيشة) وقد كادت حركته أن تلفظ أنفاسها ، وهو غير مطمئن يترقب مباغتة حملة من السيارات صباح مساء فقد رَحَّل (عوائله) من الحسيني إلى حرجة ضمد ، والموقف حرج جداً بالنسبة إليه ، فالعتمي وعمر الأقصم في أبي عريش يقومان بنشاط ضد الثورة ومعهما أنصار لهما من أهل أبي عريش أنفسهم .

وفي ضَمَد محمد بن علي الحازمي يستميل أهل بلده ، ويدعوهم إلى المسالمة والانفصال عن الثورة .

والدّرْبُ قد ألمعنا إلى موقفهم من الثورة ، وتأييدهم للحكومة سرّا ـ وصبيا بها باصهي وفهد بن زعير وتركي بن ماضي ورجالهم .

وفي جازان قوات الحملة ، وقد حصنوا المدينة وجبالها ومورد الماء وجعلوا منها قلعة يعزُّ اقتحامها .

إلا أن بعض التعديل في الخطط الناجحة ، يكون في مصلحة الخصم ، وقد يتيح له التنفس من اختناق قد أخذ بمجموعة أنفاسه ، فَيُتِيح له بعض النجاح المؤقت في حين كان ينتظر الاختناق والهزيمة بين عشية وضحاها .

الجديد في الموقف :

على أثر مفاهمة باصهي مع فهد بن زعير وتركي بن ماضي عن تجمعات لمهاجمة صبيا ، ثم رأى ابن زعير وتركي وجماعتهما ، أن يأخذ تركي بن ماضي خمسة وعشرين جندياً إلى صبيا الجديدة ، ويتمركزون في بيت الإدريسي ، ليكون منهم نقطة حراسة أمامية ، ويظل فهد بن زعير والباقون في بيت الإدريسي في صبيا القديمة .

تقدم تركي بن ماضي في سيارة باصهي إلى صبيا الجديدة ، وساعة وصوله أخذ في تحصين القصر ، وإحراق ما حوله من المساكن المبنية من القش حتى يكون أمامه براح واسعٌ يُمَكنهم من رؤية المتسللين والمهاجمين ووزع على أصحابه الذخيرة الكافية .

ومن أعلى القصر كانوا يشاهدون الإدريسي وحشوده في الحسيني وهم في حركة تأهب للزحف ، وظلوا في موقعهم طيلة يوم ١٣٥١/٧/٢٢هـ/ ١٩٣٢م إلى غروب الشمس ، وإذا السيارات تعود إليهم من جازان ، تحمل رسالة مستعجلة من قادة الحملة تفيدهم أن استخباراتهم أعلمتهم بتجمع حشود الإدريسي للزحف على صبيا ، وتأمرهم بالعودة السريعة إلى جازان فى تلك السيارات وهذا نص رسالتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

من جازان إلى صبيا في ٢٢ رجب سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

حضرة المكرم تركي بن ماضي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد نظراً لبعض الملاحظات نفيدكم عنها عند قدومكم ، يقتضي أن ترجعوا هذه الليلة ، أنتم والجند الذين معكم وتأتون معكم بالمهمات الحربية التي وجدتموها ، محملة معكم في السيارات وإذا أمكن جلب المدفع الصغير معكم يكون أنسب جدًّا .

وقد كتبنا كتابين واحداً إلى محمد يحيى باصهي وكافة أعيان صبيا ، وآخر لِبَاصهي وحده ، وذكرنا السبب الذي رفعنا من أجله (الأخويا)، وهو خوفنا من تعدي أحد منهم على أحد من الرعية ، وبذلك يحصل تشويش في الأفكار ولابد أنكم تطلعون على الكتب قبل إعطائها لهم المقصود لا تتأخروا واقدموا إلينا سريعاً والله يحفظكم .

محمد بن شهيل خالد أبو الوليد حمد السليمان

كان الكتاب الموجه إلى محمد يحيى باصهي ـ خاصة يتضمن الإنذار برجوع الإدريسي ويحثه على التوجه إلى جازان .

ويتسلم الكتب ركب تركي السيارات ومر على فهد بن زعير وذلك معهم هو (وأخوياه) وقصدوا بيت باصهي ، فسلموا الكتاب الموجه إليه ، وإلى أعيان صبيا وبعد أن قرأه سلموه الكتاب الخاص به ، وهم في عجلة من أمرهم ، وطلبوا منه التوجه معهم إلى جازان .

فأجابهم ، وقد تأثر من هول المفاجأة التي كانت لا تجول بخاطره : إنه لا يمكنه الذهاب معهم ، وترك (عوائله) وأمواله وجماعته .

فحاولوا لفت نظره إلى ما ينتظره من الإدريسيّ وحشوده وخصومه ، وأنَّ الإدريسيّ حسب ما لديهم من معلومات أمر بنهب صبيا وإحراقها والقبض عليه فأجابهم أنه يعتقد أنَّ الإدريسي لا يناله بمكروه .

فتحركت سياراتهم إلى جازان بعد أن ودعوه ، وباتت صبيا في ليلة ليلاء ، أشدّ هولا من الليلة التي غادرها فيها الإدريسي ، وليس بها إلا باصهي وخدمه ومواليه وموظفيه وأقل من القليل من أهلها .

التعـــديـل في الخطـــة :

إن حملة السيارات تتـألف في مجموعها من سبعين سيارة (لورى) منها ثمان مصفحة رشاش ومدفعية خفيفة ، والباقي تقل بين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مع الخيام والذخيرة والمؤن والماء ، (واللنش) يحمل مئة وخمسين جنديًّا ، مع ذخيرتهم والمؤنة ، أي أنهم في مجموعة الكلي ٧٥٠ ، ومدينة جازان نفسها تتطلب لحمايتها في نطاق الجبال المحيطة بها في شبه نصف دائرة من (المطلع) إلى (العشيما) تتطلب ثلاثة أضعاف هذا العدد ، كما أن مورد الماء (الحفائر) يحتاج إلى حماية قوية فهو في موقـع تسهـل مهاجمته من ثلاث نواحي ، من الشرق ، والجنوب ، والشمال ، ويبعد عن المدينة خمسة أكيال .

ورأت الحكومة أن تشتت القوات بين (صبيا) و (جازان) يعرضها لخسائر ويمكن من الجهة الأخرى للعدُوِّ من القضاء عليها متفرقة ، وأن من الصواب تكتيل تلك القوة في جازان ، بينما تصل القوة التي تحركت من (أبها) بقيادة عمر بن عسكر وعبد الوهاب أبي ملحة ، وكان يظن أنها لا تستطيع شق طريق (أبْها)ـ الدرب ـ بيش ـ بسهولة لأن الطريق في منتصفْ المنطقة بين السهل الساحِليِّ والجبل خلاف الطريق الساحلي ، الذي يكون جناح الجيش الغربي محميًّا بالشواطىء ، والذي اجتازته السيارات ، وبالرغم من معرفة إمارة أبها بموقف قبائل رجال ألمع ـ الدرب ـ بيش ـ الموالي للحكومة إلا أن الحيطة في الحرب لها حسابها .

لذلك رُؤِيَ أن من الصواب تجميع تلك القوة في جازان ، ونتيجة لذلك صدرت الأوامر إلى فهد بن زعير ورفقائه بالانسحاب من صبيا .

رد الفعـــل :

أشرنا ـ فيما تقدم ـ نظراً إلى ما سبق توضيحه أن المقاومة كادت أن تنهار ، وأن الحشود التي كانت تتجمع في الحُسَيْني هي للدفاع لا للهجوم ، فالإدريسي نفسه قد رحَّلَ (عوائله) ونِقله من الحسيني إلى (حرجة ضمد).

وكان للإدريسي عيونه وجواسيسه في صبيا وما حولها ، فوافوه بأخبار انسحاب القوة القليلة الموجودة في صبيا القديمة والجديدة ، فتنفس الصَّعْدَاء ، ونشطت الدعاية في ثوب فضفاض ، ونسجت الشائعات في صالح الحركة الثائرة وراحت تفسر الانسحاب بما يتفق وصالح أغراضها ، بأن الحملة التي جهزت من الحجاز ودخلت مدينة جازان هي نهاية مالدى الحكومة من قوات ، وأنها سيارات قديمة (خـردة) تحصلت عليهـا الحكـومة من شركات السيارات في الحجاز بكل عناء وجهـد ، وأنـه ليس في استـطاعتها تعزيزها بغيرها ، وأنَّ قادة الحملة لمعرفتهم بالحقيقة ، رغبوا في أن تجتمع قواتهم في مدينة جازان فسحبوا قوتهم القليلة من صبيا ، حتى يكونوا على مقربة من الإبحار إنْ لزم الأمر ـ إلى غير ذلك .

وهي دعـاية مقتبسـة من منهـج سياسة الإدريسي الأول ، التي انتهجها ضدّ الأتراك ـ راجع رسالة الإدريسي الموجهة إلى قائده في الشمال في الفصل العاشر من هذا الجزء ـ وفاتهم أنه شَتَّان بين الموقفين ، فتركيا كان لها اهتماماتها ومشاكلها في (إمبـراطـوريتهـا) الـواسعـة وشعـوبهـا المختلفة الجنسيات المتباينة الميول والـديانـات ، والمـوزعـة الـولاء ، وبُعْدُ (تركيا) عن البلاد العربية ، وصعوبات المواصلات في ذلك العهد ، واشتغالها بحربها مع إيطاليا في طرابلس الغرب ، وبـالثـورات الـداخلية في غير جهـة ، وتعهـد إيطاليا بإمداد الإدريسي بالسلاح والمـال ، وحمـاية موانئه ، ثم تحالفه مع بريطانيا في ابتداء الحرب الأولى ضدَّ الأتراك ، فتعهدت بإمداده بالسلاح والمال ، وحماية موانيه وإمارته من كل اعتداء مع سيطرة الحلفـاء على طرق المـواصـلات العـالمية ، وإمكانياتهم الحربية ، وجيوشهم الجرارة في شتى الميادين .

يضـاف إلى ذلك أنّ الإدريسي الأول كان يحارب الأتراك باسم أنهم أجانب دخـلاء على العـرب ، وأنَّ دولتهم أصبحتْ دولـة دستـورية لا تتقيد بالنصـوص الشرعية ، وكانت الجمعيات السرية والعلنية العربية تعمل للانفصال عن تركيا في كل جهة . كغيرها من القوميات في الأمبراطورية العثمانية .

وأين هذا من ذلك فثورة الإدريسي هذه عبارة عن حركة عصيان داخلي ، ليس من ورائه إلا (حزب الأحرار)ـ اسماً ـ والذي قد فشلت تجربته الأولى في الشمال في ثورة ابن رِفَادَةَ ، أو التشجيع الخفي من ابني الإمام يحيى بمباركة والدهما ، طبعا ، طمعا في حُدوث فراغ في المنطقة ، إنْ نجحت الثورة فلن يملأه سواه ، كما يعتقد .

لقد جاء انسحاب فهد بن زعير ورجاله وجنوده القليلين ، علامة نصر وشارة فوز في نظر الإدريسي ومن معـه ، وغـدت الحركة تفسره حسب رغبتها ومع ما يتفق وأمـانيهـا ، فأشـاعت بين أنصـارها ومؤيديها ، أن الانسحاب من صبيا هو أول إجهـاض للحملة السعـودية ، ومقـدمتهـا للانسحاب الكلي ، بعد تجمعها في جازان ، فاستبشرت القبائل وتقوت المعنويات ، وأكسبتهم نصراً سهلا فليبدأوا بما هو الأهم فقد أشار على الإدريسي مكي زكري خصم باصهي الأول ، بأن العدو اللدود والخصم العنيد هو باصهي ، فإن القضـاء عليه أكبر نصر للثورة تظهر به داخلياً ، وتضرب المثل به لكل مخادع أو مخالف أو متخلف ولابُدَّ لكل حركة من ضربة مرعبة ينخلع لها قلب الجبان ، وفي إباحة أموال باصهي أقوى إغراء وأكبر دافع للناس على اقتحام صبيا ، ومن منطلق معطيات هذا النصر سيكون التحدي للعوائق المنبسطة وتنشيط العناصر المترددة ـ وقفزتها على منصة النصر .

وفعـــلا في الـيوم الـثـاني صاح صائـح الجهـاد بأن الإدريسي قد أبـاح للنــاس مهـاجمـة صبيا ، ونهب أمـوال باصهي ، والقبض عليه وغنيمـة جميع مافي صبيا ، ولبـاصهي مكانته بين قبائل شمال المخلاف ، إلا أقلية لا تذكر ،

فاستعـان الإدريسي بغوغاءَ وموالي من عبس والشُقَيْري والْجهو ، وبادية ضَمَد ، وجمـاعـات من المسـارحة وغيرهم ، ومضى ذلك اليوم ٢٣ في تجمع وحشد ، وباصهي في انتظار الكارثة .

لقد كان مقيد الْخُطَى بأمواله (وعوائله)، ومثْلِهِ وقِيَمِهِ من أن يختفي أو يتخفَّى أو محاولة الفرار ، وما أوسع طرق التخفي والاختفاء والفرار لمن لا يخشي القالة ولا يحرص على السمعة .

لقد بعث باصهي شخصين من صنائعه ، وممن يعيش على إحسانه وكانا ضمن من استخلصهم للوقـوف بجانبه ، بعثهم للاستطلاع كل واحد على حدة ، فلم يعودا إليه فظل في داره مع من أشرنا إلى عددهم من خدمه ومواليه وموظفيه .

وبذلك النداء الذي نادى به الإدريسي بالهجوم على صبيا وإباحته أموال باصهي والقبض عليه ونهب صبيا تجمعت حشـود بغاة السلب والنهب ، وظلوا ينتظرون الإشارة بالهجوم .

الهجـــوم على صبيـــا وبيـت باصهـي :

وفي يوم ٢٤ رجب سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م انهالت تلك الجموع من الناحيتين الشـرقية والجنـوبية وقـام خصوم باصهي وأضداده ، فأججوها ناراً تنفث حُمَمَها ويلتهب شواظها في قلوب الجماهير الغوغائية ، التي أغراها محتويات مستودعاته وموجودات داره ومقتنيات خزائنه ، من عروض التجارة والنقود ، والأمتعة النفيسة وتقدر قيمتها بنحو مليون ريال ، وهو مبلغ ضخم بالنسبة إلى ذلك العهد .

وليس لدى باصهي قوة تستطيع أن توقف المد الزاخر والحشود الكثيرة ولا حتى دار حصينة تصمد لصد ذلك الهجوم ، فَدَاره على سعتها مكونة من طابق أرضي ومتصلة بالبيوت المجاورة اتصالا مباشراً ، وجدرانها يمكن تسلقها بسهولة من كل جانب ، وماذا يغني خمسة وعشرون أو ثلاثون شخصاً حتى المتاريس لا توجد في حوائط الدار .

أشير عليه بأن يترك داره وينتقل إلى بيت الإدريسي بعوائله ليتمكن من معه من الدفاع عنه حتى يتاح فرج من الله ، أو أن يحصل على أمان يحفظ حياته ، فلم يستصوب ذلك .

فأشير عليه أن يأخذ (عائلته) الخاصة في السيارات الثلاث الصغيرة الموجودة في حوزته ويستقلها معهم إلى جازان ، فرأى أنه بعد أمجاده العريضة ، ومواقفه المشهودة لا يليق بمثله الفرار .

رحم الله باصهي لقد كانت أبواب النجاة مفتوحة لو سلكها قبل الهجوم بثلاثة أيام أو يومين ، وانما بعد ذلك عسيرة جداً ، وقد أباح الإدريسي ماله وأهدر دمه فأصبح الغوغاء يترصدونه ليفوز كل منهم - الآن - بالحظوة والزلفى عند الإدريسي ، أو رجاله خصوم باصهي .

وصدر الأمر بالهجوم فتدفق سيول تلك الجموع إلى صبيا الجديدة في الصباح الباكر في يوم ١٣٥١/٧/٢٤هـ/ ١٩٣٢م ، وهي خالية من سكانها ، وقد أخذ الناس الضروري من متاعهم ، وتركوا كل ما بقى في الدور كما هو .

وفي صبيا الجديدة مساكن أسرة باصهي الذين نقلهم قبل أيام إلى مساكنه في صبيا القديمة ، وبالدور جُلُّ أمتعتهم ومحاسنهم ونضدهم ومفروشاتهم وأثاثهم - كما هي - فانهمر المغيرون عليها كالجراد المنتشر فنهبوا كل محتوياتها في دقائق معدودة حتى تركوها قاعاً صفصفا ، وكان مع المغيرين جمالهم وحميرهم فحملوها بغنيمتهم الحرام ، وأشار لهم بعض الخدم أن هناك مكان حفر فيه حفرة وضع بها مصاغ وحلي الأسرة فحفروا وأخذوا كل ما وجدوه ، واندلح المتأخرون على بقية بيوت صبيا الجديدة ، فنهبوا كل ما وجدوه ، ولم يتركوا شيئاً يحمل أو يؤكل ولا تسمع إلا طلقات البندق تصم الآذان ولا ترى إلا نيران الحرائق .

واندفعت الجموع في حُمَّى الحماس وشَرَهِ الطمع ، يندفعون كَأَتيِّ السيل على صبيا القديمة ، في تلك الساعة خرج أحد موالي باصهي إلى جهة سوق المدينة مستطلعاً ، فعاد بعد ربع ساعة إلى البيت مشجوج الرأس مسلوب

السلاح ، قائلاً : ترون ما حل بي والقوم لا عَدَدَ لهم ، أولهم في صبيا القديمة وآخرهم في صبيا الجديدة .

وعندها أشار على باصهي كتابه ورجاله وبعض أصدقائه بأن يركب إلى قرية (العدايا) وألا يعرض نفسه لسفهاء المهاجمين .

وكان قد سبقه قبل نصف ساعة (عوائله) على الجمال إلى تلك القرية فركب حماره الفاره ومشى معه ثلاثة من مواليه المسلحين ، ولم يتوسط المزارع التي غرب المدينة إلا والمهاجمون قد أحاطوا بالدار ، والرصاص بينهم من كل جانب .

وهال الباقون في الدار جَلَبَةُ المهاجمين وكثرتهم ، ومحاولتهم تكسير الباب الرئيسي بالفؤوس ، فأطلقوا طلقات من بنادقهم ، فإذا هم يشاهدون غيرهم يتسلق الجدران من جهة البيوت الملاصقة للدار ، فتقافزوا جدران الناحية الغربية وأطلقوا سيقانهم للريح ناجين بأنفسهم .

وماهي إلا دقائق حتى حطموا الأبواب وتسلقوا الجدران وانهمروا من كل جانب على الدار ، وباشروا النهب وأتَوا على كل ما في المستودعات والمخازن من البضائع والعروض والأقمشة وكل ما وجدوه حتى الأثاث والنضد والمفروشات وحملوا تلك المنهوبات على جمالهم وحميرهم وظهورهم .

وحطموا الخزائن الحديدية بالفُؤوس وأخذوا محتوياتها من النقود ، وفي النهاية أقبل قائد المسيرة على جواده ودفعه إلى ارتقاء درج غرفة المكتب وأجال عينيه متشفياً ثم أشار عليهم بإضرام النار ، فكوموا في وسط المكتب الكراسي والدواليب والصناديق وأشعلوا فيها النيران فالتهمت النوافذ والأبواب وتعالت ألسنتها إلى السقف الخشبي فانهار .

فانصرف إلى خارج البيت بعد أن أصدر أمره على عدد من المغيرين بأن يسيروا إلى قرية (العدايا) للقبض على (باصهي) واقتياده إلى صبيا أو تصفيته هناك أو في أثناء الطريق .

وتقدم نحو مئة مسلح على رأس حمران محزري ومحوس حامضي ، من المسارحة الذين لا يعرفون باصهي إلا باسمه ومعهم يحيى بن علي شافع ، من أهل صبيا ومن أرحام باصهي .

وتقدمت الكتيبة بطبولها وزفتها وعلمها إلى قرية العدايا تحث السير في سرعة وتسابق .

في العدايا :

وكان بعض أعيان العدايا ممن تقاضاهم باصهي ديوناً انكسرت له على آبائهم ولهم في قريتهم مكانتهم ، وتعاطفهم مع الزكري ، وأرحام لبعض رجال الإدريسي كل تلك العوامل مجتمعة أفرزت نقمتهم بصورة سافرة فقوبلت (عائلته) حين وصولها بالإعراض الممزوج بالتشفي المكبوت والشماتة السافرة ، وعندما أقبل هو على القرية أشرفوا يشاهدونه من فوق الزروب أو في الطرقات ، وهو آخذ طريقه إلى بيت وكيله .

لم يكن وكيله من ذوي العصبية والنفوذ في القرية ، بل كان رجلاً قريباً إلى التعقل بعيداً عن الشر ، فلم يُغْنِ موقفه شيئاً ، إن لم يكن اكتسح وانتهكت حرمته فهو باختصار لا عصبية تحميه ولاَ قوة في شخصيته تعينه على تخفيف حدة الموقف وحماية موكله .

وبعد دخول الشيخ محمد يحيى باصهي إلى بيت وكيله ، وقد سبقته الدعاية والأراجيف التي تزلزل قلب الحليم ، بأن الإدريسيَّ أمر بقتله وإهدار دمه ، وأن من يأسره أو يقتله ـ لأنه من المخالفين والممالئين للسعوديين ـ فله الحظوة والزلفى والأجر عند الله ثم عند الإدريسي ، وزاد خصومه من أهل القرية ـ الذين أشرنا إليهم ـ في تأزم الموقف ، ولمس هو ومن يلوذ به نذر الشر ، وحوم السفهاء حوله ، وترصدهم لشخصه حول الدار ، والتجمع هنا وهناك والمجاهرة بقبيح القول ، وكان معه صديقه فتح الدين بن قاسم ، وابن عمه عبد القادر باصهي ، ووافاهم من بيته في العدايا مصطفى النعمي ، وهو من كبار قادة العهد الإدريسي ، وإنما الموقف في غير يده الآن ،

والدور غير دوره ، وتزايد الهرج والمرج ، وخشى من معه من إقدام أحد السفهاء أو بعضهم على مالا تُحمد عقباه ، فأشاروا عليه بمغادرة (العدايا) إلى قريتي (الدهنا) أو (العالية) رجاء أن يجد في شهامة قبيلة (السَّادَة) مايحميه .

فركب ومعه ثلاثة من مواليه ، وإنما لم يبعد عن القرية بقدر ميلين أو ثلاثة إلا وقد شاهد هو ومن معه بعض المتربصين لقتله ، متوارين بين الأشجار والآكام .

فعاد إلى العدايا قد غمره اليأس ، وضاقت عليه سبل النجاة ، وما أصعب مثل ذلك الموقف على الرجل الكريم ، الذي يقف فيه العقلاء عاجزين عَنْ رَدِّ عَادِيَة السفهاء ، الذين يستمدون تسلطهم واعتداءهم من السلطة الحاكمة ، والفوضى الضاربة ، وقد مرت الثورة (الفرنسية) بما قام به الغوغاء والعامة ضد النبلاء والأشراف والزعماء ، ما يثبت أن الناس هم الناس سواء في الشرق أو الغرب ، وفي كل زمان ومكان ، وأن العامة أسرع الناس للاستجابة في الأزمات لما تصدره دعاة الحركة ، وأن العقلاء يُشَلُّ نفوذهم ، وتذهب ريحهم بل منهم من يخاف أن ينسب إليه ذنب أو تهمة المعصوب عليه ، والعجيب أن الرجل الزعيم تتلاشى معنوياته وتتخدر قواه وتتجمد طاقته لأن النفس البشرية لها طاقة محدودة من الاحتمال ، حتى في عظماء الرجال ، فترى مثالاً في تاريخ المنطقة أن أحمد شريف وهو الرجل الشجاع الجرىء ، والذي كان في وسعه بعد أن اعتصم في داره ولم يجرؤ رجال الإدريسي على اقتحامها واعتقاله ، ظل في شبه الحصار المضروب عليه حتى اصطاده الإدريسي بعد أن تسرب الوهن وتأسّن اليأس في نفسيته القوية ، مع أن أحمد شريف ذو مَكَانَة وعشيرة ـ آنذاك ـ وإنما ما قيمة العصبية لعشيرة في بلدة تجمع عشرات مثلها من العشائر ، وأمام شرعية السلطة للإدريسي التي قد طغت على نصف المنطقة أنذاك ـ راجع الفصل الذي بعنوان (أحمد شريف الخواجي)ـ ففي مثل ذلك الموقف تتلاشى العصبية أمام تيار الحركة المتعاظم ، ومدها الثوري المتفاقهم فنجد :

١ ـ سلطة تأمر بعد أن قد أفرغت في عقول الجماهير حِقدها ، وأفرزت بغضها . وضغنها وهيأت العقول وسحرت الأفكار للائتمار بأمرها وتشرب ما توحي به .

٢ ـ عامة امتصت كل تلك المعاناة وتعمق في وجدانها كل المتوقعات ، ورسخ في شعورها كل التصورات لتلك الزعامة ، فأصبح عندها القناعات القاطعة والاندفاعات الحافزة لتوظيفها لمفهوماتها للانقضاض والفتك بالضحية . والسير في خط الحركة بكل قوة .

٣ ـ خاصة قليلة مخدَّرة المشاعر معطلة النفوذ مفقودة الاستجابة .

٤ ـ زعماء حركة متطلعون إلى إثبات وجودهم ، وسحق مخالفيهم ، وإفراز أحقادهم وإشباع مطامعهم وإزالة معوقاتهم .

في تلك التطورات وفي ذلك الموقف المتأزم كانت الحال التي يعيشها الشيخ محمد يحيى باصهي .

عاد باصهي إلى دار وكيله قد غامت الدنيا في ناظريه ، واستكانت نفسه القوية أمام غمرة الأحداث ، وما استقر به المقام حتى سمع وسمعت القرية الواجفة المترقبة قرع الطبول وجلبة الجند القادمين من صبيا للقبض عليه .

لقد كان الأمر قد صدر للمغيرين بقتله وشاع ذلك في الجمهور وإنما شخص في مستوى الشيخ محمد يحيى باصهي ، ومكانته الاجتماعية ليس من الهين القضاء عليه بالنسبة إلى غيره ، والإدريسي وخصومه يريدون المتهوِّر الجريء والطائش غير المسؤول ، الذي لا يتقيد بمسؤولية الضمير ولا بتَبعة الأخلاق ولا موانع الدِّين ولا الزواجر الشرعية في إزهاق روح شخصية ذنبَها الوحيد العداء الشخصي والمخالفة السياسية في نظر الحركة ، أو تلك الخصوصيات الشخصية بينه وبعض رجال الحركة التي أشرنا إليهم .

القبض على باصهي :

أقبلت تلك الكتيبة يقودها :

حمران محزري ومحوس حامضي من المسارحة .

ويحيى بن علي شامي شافع من صبيا .

والأخير من أصهار باصهي ـ كما أشرنا ـ قد تزوج أخو باصهي بنت عمه ، ثم رزق منها ببنت ، وخلفه عليها أخوه محمد يحيى باصهي ثم طلقها وأبقاها في بيته مع بنتها من أخيه ، في قسم من داره مُوَسعا عليها في الرزق يجرى عليها ما يجريه على (عائلته) ويواسي والدها وإخوانَها ، وقد تعامل هذا مع باصهي تجارياً ثم تأخر عليه دين تقاضاهُ منه باصهي شرعاً فاستخلصه منه فترسب عنده حقد وبغضاء وجد لهما متنفساً الآن .

وأقبلوا على القرية يرقصون على قرع الطبول ، وطلقات الرصاص تصم الأذان ويحيى بن علي شافع يتباهى أمام القوم رافعاً خنجره المصلت ، يجول يمنة ويسرة ، ومضت الكتيبة بزفتها وطلقاتها ، حتى دخلت البيت الذي فيه باصهي واجتمعت القرية بأسرها في شبه مظاهرة غص بها البيت وما حوله ، ثم طلب منه أن يصحبهم إلى صبيا وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً ركب معهم يرافقه مصطفى النعمي وعبد القادر باصهي وفتح الدين بن قاسم ، وقبيل الغروب وصلوا صبيا .

وقرب داره المنكوبة وبقايا الدخان يتصاعد من مكتبه ، والدار في وحشة المقابر ، وكآبة الخرائب ، وأمامها قابلهم مكي زكري وقال له باصهي : يامكي ـ وأشار إلى لحيته ـ هذه لحية طالما وقَّرها أبوك ، وهذه شعرات منها ، رهناً لديك بالوفاء والتقدير لموقفك إن تناسيت الماضي وعملت بما يساعد على الخلاص ـ أو ماهو في معنى ذلك ـ فتناولها مكي بفتور والتفت إلى رجال الكتيبة بأخذ باصهي إلى دار الإدريسي وأن يسمح للذين معه بالرواح إلى دورهم .

أخذَ باصهي من موقفه إلى بيت الإدريسي ، وتفرق المغيرون ولم يبق إلا نحو سبعة أشخاص في حراسته ، وحالا أُحْضِر قيد حديدي ، ووضع في ساقيه واقتيد إلى غرفة وضع في ركن منها مصباح غازي ضئيل ، وبعد ماأسدل الظلام سدوله دخل أحد خدام الإدريسي الخاصين وغَصّ من

ضوء المصباح ،قرب من باصهي ـ ولكمه لكمة قوية في بطنه أنَّ منها أنين المحتضر ثم انصرف عنه وهو يتلوى .

الخــروج بباصهي إلى ضمــد :

وفي الصباح الباكر خرج به حراسه بعد أن أركب حماراً وهو مقيد الساقين وإذا كان الأمر لديهم بتصفيته ، إلا أنه كما أشرنا لم يوجد المتهور الجرىء فإن للشخصية الكبيرة حرمتها المانعة ، وقوتها الأدبية الرادعة ، فتم الرأى على أن يقصدوا ضمد ـ حيث يقيم الإدريسي ، لعل وعسى أن يُكتفى بما تم من الإذلال والترويع والتنكيل ، ومُرَّ به من حول قرية الظبية ، وقد رَوَى لي الشيخ إبراهيم علي شاجري قال : خرجت من قرية الظبية أنا وأخي لرؤية زراعة وقد قاربت ثمرتها التلف من تأخر حصادها ، وبينما نحن مشتغلون بجمع محصولها ، والأرض مقفرة فإذا أنا أشاهد شخصاً راكباً حماراً حاسر الرأس ومعه نحو خمسة حراس ، فتطلعت فإذا هو الشيخ محمد يحيى باصهي وهم سائرون في حر الظهيرة فتعجبت من تصاريف الأقدار .

في ضمــد :

إن الإجهاز على الضحية خير ألف مرة من تعذيبها ، ولكن الإدريسيَّ لا يملك أو لم يجد من يطلق رصاصة الرحمة على ضحيته ، وبعد عصر ذلك اليوم وصل به إلى بلدة ضمد ، فتجمهر جمهور من العامة لمشاهدة تلك الشخصية الكبيرة ، والناس مفطورون بطبيعتهم إلى مشاهدة كل مأساة ، وعند دخولها البلدة قام بعض السفهاء بمحاولة الاعتداء ، فَمُنِع ، وسألوا حراسه عن الإدريسي فعلموا أنه حال أن سمع بدنوهم ركب سيارته إلى قرية الحرجة حيث تقيم (عائلته) مؤقتاً ، فظلوا يدورون به في طرقات البلدة حتى مروا من عند بيت شخص من وجهاء ضمد ، كان يتعامل مع باصهي تجارياً فخرج من داره ، وقال لحراسه : تفضلوا عندي على خير حتى الصباح وانصرفوا لأمركم فدخلوا داره ، فقدم لباصهي سريراً وفراشاً ولهم مثل ذلك وعرض عليه الطعام ، فاعتذر فقدمه لحراسه وطلب ماء فتوضأ وظل

يصلي ويتلو سورة الفجر فإذا وصل إلى آخرها رَجَّع قوله تعالى : (ياأيتها النفس المطمئنة) . إلى آخرها وعند منتصف الليل أقبل مضيفه وقدم له اناء فيه حليب فأخذ منه اليسير وعاد للتهجد والتلاوة .

واجتمع أهل ضمد وتَمَّ رأيهم أنه ليس في وسعهم الاعتراض على قتله ، وإنما عليهم أن ينذروا حراسه بعدم مباشرة قتله في حدود بلدة ضمد ، وبلغوهم ذلك .

وفي الصباح الباكر أخذه حراسه وساروا به على غير هدى ، نعم الأمر عندهم بقتله ، وإنما أين المنفذ ؟ ، وكل من معه يتأثم في مباشرة قتل تلك الشخصية النبيلة ساروا به إلى ناحية أبي عريش ، وفي الطريق شعر بأن حراسه يظهر عليهم التحير والخشية فأخذ معهم في التفاهم ، على أن يصلوا به إلى مدينة أبي عريش ويتعهد لهم بدفع عشرة آلاف ريال من عند وكيله الشيخ أحمد منصور صعدي ، وعندما وصلوا إلى (حاكمة أبي عريش) التي تبعد عن مدينة أبي عريش بخمسة أكيال .

وكأن خصميه الذين أشرنا إليهما راعهما عدم الفتك به وخشياً نجاته وجاءهما من يخبرهما بأن حراسه قد ساروا به إلى أبي عريش .

وفي الحقيقة إن تنفيذ أمر قتل بدون محاكمة ، هو تنفيذ إرادة شخصية قد يقوم بها شخص موعز إليه لا يقدر المسؤولية ولا خوف الله .

أما الجماعة ـ أي جماعة فهي تشعر بفداحة المسئولية وإصْرَ الذنب العظيم لهذا فإن المسافة من ضمد إلى أبي عريش لا تزيد عن أربعة ساعات فقد مضى على خروجهم من ضمد إلى أن وصلوا حاكمة أكثر من تسع ساعات .

وكما أشرنا خشى خصماه من إفلاته من القتل فأعطيا رجلا وجدا فيه بغيتهما المرغوبة ـ بندقية عثمانية ثمينة ، وحزام (فشك) وأوعزا إليه بأن يلحق الركب أينما أدركه ويقضي على باصهي ، ووعداه بالجائزة .

وعندما وصلوا إلى ساحة حاكمة ، أراد حراسه أن يستريحوا قليلاً ويستأنفوا السير إلى أبي عريش فطلب باصهي ماء للوضوء وبينما هو يَهُم بإقامة الصلاة إذا الرجل المكلف يقف من ورائهم ويطلق طلقاً نارياً على رأسه أرداه قتيلاً تغمده الله برحمته .

وهكذا قضى على تلك الشخصية الكريمة التي كانت من ألمع رجال المنطقة وأكرمها لها ماضيها السياسي والاجتماعي ، ومواقفها المشهودة وسيادتها المعروفة في مجتمعها وفي البلاد المجاورة ـ وفي الرجوع إلى ما سطر عنه في ثنايا هذا الكتاب ما يكفي عن الاطالة .

أما الجموع التي أغارت على صبيا فقد غادرتها في صبح يوم ٢٦/٧/١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م تفرقوا إلى جهاتهم لأنه وصلهم خبر بأن جيشاً نزل من عسير قد وصل إلى بيش فتركوا صبيا وفي المساء وصل الجيش صبيا فوجدها خالية ليس بها أحد فأحرقوا ما بقى فيها من البيوت خشية من المتسللين .

حملة عسير :

لقد صدر الأمر على أمير أبها بتجهيز حملة سريعة إلى المنطقة فنفذ الأمير الأمر ، وأمر على قبائل عسير بتجهيز شوكتهم ، فتألف منهم على عجل نحو ثلاثة آلاف وخمسة مئة محارب ، بقيادة عمر بن عسكر ، وعبد الوهاب أبي ملحة ، وتقدموا إلى المنطقة فوصلوا بلدة الدرب فالتقاهم شيخها محمد بن هادي وأضافهم هو وقبائله ، فساروا في طريقهم إلى أن وصلوا قرية أم الخشب فاستقبلهم شيخها قاسم بن إبراهيم عكفي وقدم لهم الضيافة اللازمة .

ومنها تقدموا باحتراس إلى صبيا فلم يجدوا أية مقاومة إلى أن دخلوها في مساء يوم ٢٦/٧/١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م فوجدوها خالية وقد احترق نصف بيوتها تقريباً ، فأحرقوا الباقي من بيوت القش خوفاً من تسلل المسلحين .

وبعد ذلك أبقوا نحو خمسة مئة محارب وتقدم الباقون إلى جازان للانضمام إلى من بها .

عبد الله العتمي وابن علي الأقصم الخواجي :

أشرنا - قبل - إلى توجه العتمي والأقصم إلى أبي عريش لدعوة أهل المدينة للإخلاد إلى السكينة والهدوء ، وبوصولهما أخذا في مباشرة دعوة المشايخ ووجهاء الأهالي ، موضحين لهم أنها حركة مرتجلة لا نتيجة من ورائها إلا الخراب والدمار ، وعَرَضاً ما بيدهما من أمان للأهالي من فهد بن زعير ، وتركي بن ماضي ، إلا أن عمر البار وابنه وحزبهما ، قاموا بدور مُضاد ، وكادت كفة العتمي أن ترجح ، فقد بعث منادين في البلدة ينادون بالأمان والتحذير من المخالفة ، وهجم أنصارهما على بيت (البار) لمحاولة إلقاء القبض على ابنه محمد عمر البار - أو قتله - الذي كان يقوم بوظيفة الحاكم للمدينة فتراجع أنصاره واستطاع بعض رجاله إخفاءه ثم تسريبه إلى خارج الدار إلى حاكمة .

وجاء إلى أنصار عمر البار خبر سري بالهجوم على صبيا فنشط حزبه واستطاعوا السيطرة على الموقف فتجمهر الكثير من أهل المدينة ضد العتمي والأقصم ، ووالوا الضغط عليهما حتى أرغموهما على الخروج من المدينة في نفس اليوم الذي هاجم الإدريسيُّ صبيا .

خروج العتمي وعمر الأقصم :

فخرجا من المدينة ناجيين بنفسيهما قاصدين (صبيا) وهما لا يعلمان أن فهد بن زعير ورفقاءه قد غادراها إلى جازان وبأن ذلك اليوم هجوم الإدريسي على صبيا والقبض على باصهي .

وكان هجوم القوات الإدريسية على صبيا ونهب أموال صبيا وباصهي قد جدد نشاط الحركة واستقطبت الكثير من القبائل .

وبطبيعة الحال أن ما قاما به في أبي عريش ضد حركة الإدريسي ومهاجمتهما بيت رحيمه عمر البار قد أثار غضبه فأصدر أمراً بالقبض عليهما ، والتربص لهما في الطريق .

خرجا من أبي عريش بعد العصر قاصدَيْنِ صبيا ، فلاقاهما عند قرية

العقدة جماعة ممن رتبهم الإدريسي في تلك الجهة ، وهم خليط من القبائل أكثرهم من الشرفاء ومن قبيلة (الخرم) ولعمر الأقصم خؤولة فيهم ، وكان العتمي يمتطي صهوة جواده ، وعمر الأقصم على حمار فاره فاعترضوا طريقهما ويقال : إنه كان في وسع العتمي كفارس أن ينجو ، وإنما حق الرفقة وحرمة الصحبة أوقفته ، وقد رأى رفيقه قد قبض عليه ، فاستسلم هو بدوره .

فأما عمر الأقصم فإن أخوال أخويه من الخرم حالوا دون الاعتداء عليه ، وعادوا به إلى بيته في أبي عريش ، فاستقبله الناس الذين قد استقطبهم عمر البار وابنه لطاعة الإدريسي ، وحرضهم بدوره على المخالفين ، استقبلوه بالسخط والغضب ، وكادوا أن يقتحموا داره ويفتكوا به ، فوصل شيخ قبيلة الخرم الشيخ علي بن أحمد حكمي وجماعة من قبيلته وأخذوه في جوارهم وظل لديهم في مكان حريز .

نجاة عمر الأقصم :

قال الشيخ علي بن أحمد حكمي شيخ قبيلة الخرم [1]: أخذناه أنا وجماعتي من بيته إلى قرية من قرانا اسمها (صِدِّيقة) وهناك أخفيناه في بيت صغير لا يلفت النظر وجعلت شخصَيْن من قرابتي حارسين له ، وصادف في ذلك اليوم وصول أخويه محسن وقاسم خواجي من صبيا ومعهما (عوائلهم) ناجين بأنفسهم مثل غيرهم من الناس والأخير قاسم بن علي خواجي ابن عمتي أخت أبي فطمأناهما على أخيهما عمر بن علي الأقسم الخواجي .

ثم أخذت جماعة من قومي وتوجهت إلى الإدريسي في ضمد ، فقال : أنزلوهم عند شخص يسمى (الصم) وكرموا نُزُلهم ، وبعد الغداء دخلت على الإدريسي ومعي جملة من جماعتي وكلمته في موضوع عمر الأقصم .

فقال : محمد يحيى كفانا الله أمره وقتلناه أمس ، وبقي العتمي والأقصم يقتلون إن شاء الله ، وأنت واصل تترجَّانى في مفسد من المفسدين في الأرض

---

(١) لا يزال حيا إلى هذا التاريخ .

والله ما أريد إلا راحتكم منهم ، وأما أنا فما علي خوف لا أنتقل من شمس إلا إلى ظِلٍّ ولا تراجعنى فيه .

فرأيت منه العزم على تنفيذ قتل الأقصم ، واعلم أنه لو أمر لنفذ أمره فيه أو فى غيره ، فَدَخَلْتُ تحت سريره ولزمت ركبتيه أقبلهما ـ كما هي العادة آنذاك ـ وأقول : ياسيدي أوهبه لنا ، وهو يقول : لا يمكن ، وأنا أقول لا أخرج من تحت سريرك حتى تهبه بنا ، وكرر : لا يمكن ، وكررت أنا الرجاء ، فقال : أخرج من تحت السرير ونحن نحكم الشرع فيه ، وما حكم به الشرع مشيناه ، فقلت لا أخرج حتى تشفعني وأصحابي فيه ، ولازمت قدميه حتى دنت الشمس وأدركني الضجر واليأس والتبرم بموقفي فقلت : ياسيدى لا تخيبنا بين القبائل في جوارنا ، والله إذا لم تكرمنا به ، فلا يصل إليه أحد وأنا وجماعتي أحياء ، عندما قلت ذلك ، تغيرت لهجته ، وقال : سبحان الله عليك ، إحْنَا نحب نريحكم من المفسدين ، وأنتم تمانعون ، فقلت : أكرمنا به ، فقال تكرم به ، فقلت اكتب لي ورقة لعبد الوهاب بالعفو عنه ، فكتب بقلمه فقلت : تفضل ياسيدي اختمه فختمه ، فشكرته وسلمت عليه وانصرفت أنا وجماعتي لعبد الوهاب بقرية (الزخمية) فأنفذه وانصرفنا إلى قرية (صديقه) وعندما قربنا من القرية أطلقنا عدة طلقات فعلم أهل القرية أننا وصلنا بالعفو فأطلقوا الطلقات من لديهم ابتهاجاً بنجاح مساعينا ، وأخرجناه من مخبئِه .

أشرنا إلى أنه رب تعديل في الخطط الناجحة قد يستفيد منه الخصم استفادة قد تنقذ حركته ولو أياماً أوشهوراً .

فإنَّ انسحاب ابن زعير ورفقائه من صبيا أمد الحركة بِدفق من الزخم وطاقة من النشاط . فقد :

١ ـ هاجم الإدريسي صبيا ونهب أموال باصهي وقضى على حياته .

٢ ـ رتب خطوط دفاعه فأرسل قوات تهاجم مورد الماء (الحفائر) .

٣ ـ كوَّن جبهة بقيادة شيخ المسارحة حسين أمَّحَه ، جعل قيادتها في (جَحَلِّيَّة) على بعد خمسة عشر كيلا من جازان من الناحية الشرقية .

٤ - استنهض قبائل الحكامِيَة والمسارحة وبني شبيل وكَوَّنَ منهم ما يقرب من ثلاثة آلاف محارب جعل مركزهم المضايا في الجنوب من جازان .

نهـــاية حيــاة القــاضي عبد الله العتمي :

بقي العتمي في قبضة تلك القبائل ، فأمر الإدريسي بإرساله إلى خصمه اللدود الشيخ حسين أَمَّحَهْ ، قائد جهة (جحللية) وهنا قُيِّد وعُذب ، وسنأتي على نهاية مأساته .

أخبرني الشيخ علي بن أحمد حكمي شيخ قبيلة الخرم - وهو لا يزال على قيد الحياة : قال وصلت إلى معسكر (جحلليه) فرأيت القاضي عبد الله العتمي في (سقيفة) صغيرة مقيدا ، فناداني فدخلت عليه فبثني ما يقاسيه من تعدي العسكر فنصحتهم بعدم التعدِّي عليه فقال : اعطني لحافك أتحرم به فألقيته عليه ثم غبت نحو أسبوع ، ثم عدت إلى المعسكر فناداني فجأة فقال : لقد نفعت نصيحتك ولحافك [1] وزجرك للعسكر ، وإنما أريد منك المساعدة بالتفاهم مع حسين أمَّحَه بأن يأخذ مني ثلاث مئة ريال ويسهل سبيل فراري ، فتفاهمت مع حسين أمَّحَه قائدالمعسكر فقال : هل المبلغ حاضر ومعك الآن ، فقلت له : لا ، وإنما أنا كفيلك ، فقال : لا يكون ذلك فأرجأت الكلام إلى وقت آخر .

وفي صبح اليوم الثـاني للمفـاهمـة ، وصلت إلى المعسكر ، وتفاهمت مع حسين أمحـة ومعـه زميله الشيخ قاسم ناصـر شيخ شمـل قبـائـل (الشـرفـاء)، فانصـرف حسين أمحـة ليوعِـز إليّ بعض القـوم بمـراقبـة جهـة من الجهـات ، فقـلت للشيخ قاسم ناصــر : أعنى على الشيخ حسين في موضـــوع (العتمي) فقـال : لا بأس ، هذا الشيخ حسين مقبـل فانصـرف غير بعيد ، حتى أتفـاهم معـه ، وفعلا أقبل حسين أمحة ، وأخذ قاسم ناصر في التفاهم وأنا أشاهدهما ،

---

(١) اللحاف : الرداء ، وقال الشاعر .

ولـم أدر من ألـقـى عليـه رداءه ... سوى أنـه قد سُلَّ عن ماجـد محض

ولما انتهت المفاهمة أقبلت نحوهما ، فإذا ذلول، مقبلة وعليها رجل من عسكر الإدريسي ، فوقفنا الثلاثة فنزل من على ظهر ذلوله وسلم خطاباً لحسين أمّحَه ، وأردفه قائلاً : يقول لك الإمام اقتل (العتمي) الآن وأنا أرى حتى أرجع له بالخبر ، فقال : أمر الإمام علي العين والرأس .

فانتحى بي ناحية قريبة وقال : انتهى الأمر ولا يسعني إلا تنفيذه ثم قال لبعض رجاله : اسحبوا العتمي من مكانه إلى هنا واقتلوه فأسرعوا يسحبونه إلى مرتفع هناك والمعسكر برمته يشاهد العتمي يقول : لا إله إلا الله ودفعوه إلى أسفل المرتفع ، وانهالوا عليه بوحشية طعناً بالخناجر ، ودقًا بأعقاب البنادق حتى فارق الحياة ـ تغمده الله برحمته ـ فواروه التراب وعاد المنفذون فقال حسين أمحة : أين القيد ؟ فقالوا : دفناه معه فقال : أخرجوا الجثة وفكوا القيد من رجليه وادفنوه ففعلوا ، فدعا رسول الإدريسي وقال : أخبر الإمام بأني قتلته وأنت ترى .

حملة خالد بن لؤي

توجه مبكراً من (الخُرْمَة) فقد صدر إليه الأمر بالتحرك إلى منطقة أعلى الخرمة ورأس شوكات تربة ورَنْيَة ، من البقوم ووالى سيره عن طريق (أبها) وبوصوله إلى أبها وصل إلى حمد السليمان ورفقائه برقية بتحركه من أبها إلى جازان وأن يقابله تركي بن ماضي فى جهة بيش ، ويزوده بالمعلومات اللازمة عن القبائل الموالية للحكومة ، والقبائل المخالفة .

فتحرك تركي بن ماضي من جازان ترافقه ثلاث سيارات وعشرون مسلحاً وذلك في يوم غرة شعبان سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، ومَرَّ في طريقه على السَّريَّة المرابطة في صبيا وسألهم عن الطريق الأسهل والآمن فأخبروه أن الطريق غير آمنة .

وبعد الاستفادة من معلوماتهم تحرك في صباح يوم ٢ شعبان في طريق أبي القعائد ـ بيش .

وبعد اجتيازهم قرية أبي القعائد إلى مسيل الوادي ، انهال عليهم الرصاص

من جميع الجهات ، وصادف أن في ذلك الصباح هطل مطر غزير وسال الوادي وعند توسطهم في مسيل الوادي توقفت السيارات بعد أن غرزت في الطين فهجمت القبائل على سيارتين من الثلاث السيارات ، وقتلوا أغلب جنودهم ، وأسروا اثنين ونجت السيارة الثالثة الصغيرة التي فيها تركي بن ماضي وثلاثة آخرون فقط متراجعة إلى الخلف تحت وابل الرصاص .

وكانت السرية التي في صبيا قد سمعت أزيز الرصاص فعلمت أن المعركة دائرة بين رجال السيارات ورجال القبائل ، فأسرع منهم نحو مئتين لنجدتهم ، وبخروج السيارة الصغيرة من الوادي فإذا هم يشاهدونها مقبلة نحوهم ، وتم الرأي على الرجوع إلى صبيا ، ومنها توجه تركي بن ماضي إلى جازان فأبرق قادة الحملة للحكومة بالواقع ، مع المعلومات المطلوبة فأبرق بها من لديها إلى خالد بن لؤي في أبها فوجد أن خالد بن لؤي قد توجه مع حملته فأبرق له من أبها بواسطة (الشنطة) التي ترافقه .

السرية التي في صبيا :

إن السرية التي تمركزت في صبيا ومقدارها نحو خمس مئة جندي اتخذتْ من سطوح دار باصهي وبيت الإدريسي وقلعة صبيا ومن بعض البيوت الأخرى استحكامات ومواقع للدفاع فأخذوا ما وجد من الصفائح والصناديق وأكياس الخيش وعبؤوها بالتراب ورصوها على سطوح المنازل وجعلوا منها متاريس محكمة وَقَتْهُم من شرور المتسللين ، ومع ذلك فقد شُوغلوا بالهجمات المتقطعة نهاراً والمكثفة ليلاً ، واضطروا إلى إحراق البيوت القش التي غالب مساكن صبيا منها ، وبذلك أمكنهم رؤية المتسللين نهاراً ، فكانوا يدخلون في آخر الليل إلى الجامع والمساجد ، وبعض البيوت الخراب ويشغلون الحامية بإطلاق الرصاص فيتبادلون معهم ويصابون أكثر ويصيبون أقل ولم يكف التسلل إلا بعد أن ارتفع الإدريسي من جهة ضمد .

خروج خالد بن لؤي من أبها :

تقدم خالد بن لؤي من أبها وتقول المصادر الحكومية : إنه ما خرج من بلده إلا وهو مريض ، وتقول المصادر الإدريسية : إنه قتل في المعركة

معــــركـة سمـــــرة :

وصل خالد بن لؤي إلى درب بني شعبة ، ثم تقدم في طريقه إلى أم الخشب وفي وادي (سمْرة) وجد جيشاً من القبائل مرابطاً في الوادي ، وتقول رواية القبائل : إن لتلك القبائل طليعة كانت متقدمة أطلق عليه أحدهم رصاصة أودت بحياته ، فانكفأ من فوق ذلوله مُصَاباً بتلك الرصاصة القاتلة ، ودارت المعركة بين جيشه والقبائل وكانوا قلة بالنسبة إلى جيش خالد ، فتولى ابنه سعد بن خالد إدارة المعركة ، وأحاط الجيش برجال القبائل فانهزمت بعد أن قتل منهم عدد من القتلى وتفرق الناجرن إلى جهاتهم .

فاستولى جيش خالد على أسلحة القتلى وواصل تقدمه إلى بيش ، فوصل إلى بلدة أم الخشب ، فاستقبلهم شيخها قاسم بن إبراهيم عكفي ، وكانت التعليمات لدى سعد بن خالد بموالاة أهل بيش وشيخهم للحكومة ، وفي صباح الليلة التي وصل فيها إلى أم (الخشب) تقدم في طريقه إلى صبيا ، فمر بقرية الملحا ، فقضوا على من وجد بها ومنهم محمد حيدر القبي ، ثم وصلوا إلى قرية (أبي العائد) فقتلوا من وجدوا ثم وصلوا صبيا فاستقبلتهم السرية العسيرية المرابطة بها ، وبعد أن استراح الجيش والى سيره إلى جازان .

الحـــالة العـــامة في المنطقـة إبـان الثـورة :

الفصل الرئيسي في تهامة هو فصل الخريف ، وكانت تلك الحركة في إبَّان ذلك الفَصـل ، وقـد جادت السماء بالأمطار الغزيرة في أول جمادى الثانية أمطار لم تعهدها ، وفاضت السيول العارمة فسقت الوديان والخبوت حتى السباخ فلم يبق في المنطقة شبر واحد إلا وزرع وجادت الزراعة في كل مكان حتى أنك لا تمشي في أرض إلا زارعة ، والطرقات غدت من المزارع أشبه بالشوارع في البلدان ، تحفها الخضرة يميناً ويساراً ، وكان في ذلك لطف من الله ووقاية للناس يحتمون بها في أثناء سيرهم فإن شعروا بشيء لا ذوا بها واحتموا بين نباتها .

الخطـة الإدريسيــة :

كانت الخـطة الإدريسية دفـاعية وبعد أن تمكنت حملة السيارات بعد معركة (سَـوَادَةَ) من التقـدم نحو جازان وجَدَت أن السرية المحمولة بحراً في (اللنش) الرياض قد دخلتها فدخلت حملة السيارات بدورها . بعد أن رتبت حماية في مورد الماء (الحفائر).

ويعلم الإدريسي بذلك فيفر من صبيا ـ كما سبق توضيحه ـ إلى قرية الظبية ثم بلغ غابة (وتيشة) في جهة الحسيني مع (عوائله)، ثم بعثهم إلى (حرجة ضَمَد) بعد مهاجمته صبيا ، ثم لحق بهم وظل ينتقل بين ضَمَد والحرجة .

وكـان قد بعث قوات من القبـائـل لمهاجمة (الحفائر) واشتبكت في عدد من المواقع وأكبر وقعة كانت في عصر يوم ٢٥ رجب أقبل جماعة من ذوى الحفاظ منهم محمد بن أحمد عقيل حكمي من وجهاء قبائل أبي عريش وغيره فاشتبك معهم الجيش الحكومي بقيادة ابن درعان ، وتوالت الوقائع الصغيرة طيلة شهر رجب ، وقد وصلت باخرة من الحجاز تحمل خمس مئة جندي ليلة المعركة التي قتل فيها ابن درعان ، فكان الجند ينزلون من البحر إلى السيارات إلى (الحفائر) للاشتراك في المعركة الدائرة ، ولولا وصول تلك النجدة في الوقت المناسب وفي تلك الليلة بالذات لكان ربما اضطرت حامية الحفائر إلى الانسحاب من مواقعها الأمامية .

وكانت خطة الدفاع في تلك الأثناء كما يأتي :

١ ـ جموع من القبائل في جهة الخَصَاوية ودُحيقة ، وماقاربها لمواجهة من على الحفائر بقيادة قاسم ناصر ، ومحمد بن أحمد عقيل الذي قتل في معركة الحفائر السالفة .

٢ ـ جموع من القبائل في مورد جحللية بقيادة حسين أمَّحَه .

٣ ـ جموع من القبائل في المضايا بقيادة الكلاس وعلي بن أحمد حكمي .

وانيطت قيادة تلك القــوات بعبــد الــوهـاب الإدريسي في قرية (الـزخْمية)

في شرق جنوب مدينة أبي عريش وبعد وصول الحملة العسيرية وجعل حامية منهم فى صبيا ارتحل الإدريسي بعوائله ونفسه من ضمد إلى قرية الزبَّارة شرق قرية الزخمية ، وهناك كان الاتصال بينه وبين (الحزب) عن طريق اليمن طبعاً .

وبعد وصول حملة خالد بن لؤي ووصولها إلى جازان يوم ٤ شعبان تقرر إقامة معسكرها شرق وجنوب معسكر عسير والدواسر ، على مورد الماء فقوي المعسكر الحكومي وأبطل كل مفعول حربي لتجمعات القبائل في جهة الخضاوية فانضم من بقي منهم إلى معسكر حسين أمحة في جحللية .

غزو القبائل الموالية للإدريسي لقرية أم الخشب وأطرافها :

أشرنا قبل إلى موقف شيخ بيش وشيخ الدرب ، وكان موقف شيخ بيش قاسم ابن إبراهيم عكفي أشدَّ على الإدريسي لقرب بلاده ، وتكرر مواقفه من استقباله للقوات الحكومية ولتسهيل مرورهم وعدم اشتراكه لا هو ولا قبائله فى الحركة منذ قيامها ، وقد سَجَّلَهُ في قائمة أعداء حركته مع محمد يحيى باصهي ، والعتمي والأقصم ومحمد بن علي الحازمي ومحمد بن هادي شعبي وغيرهم .

وقد انتقم الإدريسي ممن مكنته الأقدار من تحطيمهم ، وبقي شيخ بيش وقد رأى أن حركته على وشك الانتهاء قبل أن ينتقم منه ، وقبيل غزوه المضايا أرخص لقبائل الجهة الشرقية مثل قبائل الحقو وعبس ، وبعض قبائل المخلاف الشمالي بنهب وإحراق بلدة أم الخشب ، وقتل شيخها إن أمكن ، وجعل على رأس تلك القبائل حيدر بن محمد ومحمد حسن أبا شقارة .

اتصل الخبر بعلم شيخ بيش - وكان قد أخذ دَرْساً من مأساة باصهي ، فحال ما بلغه جمع قبائله ، وأخبرهم بما وصل إلى علمه ، وبعد المشاورة وتبادل الرأي تم الاتفاق علي :

١ - أن يغادر أهل البلد مساكنهم إلى جهات الكدرة والمطعن والقرى والحلل التي يمكن الدفاع فيها عن (العوائل) .

٢ ـ أن يجعل له من شباب قبائله جماعة تلازمه لحراسته ، وتسهر على حمايته وَظَلَّ في المدينة على حذر ، حتى إذا علم بدُنُو القبائل المهاجمة غادر البلدة إلى جهة أمينة بين الكدرة والمطعن .

يضاف إلى ذلك أن تَخلِّي الناس عن باصهي كان غلطة لن تتكرر ، ولأسباب ترويج الإشاعات على العامة بأن الحكومة سحبت حاميتها من صبيا وأنها تمهد لإبحار قواتها وتخليها عن المنطقة ، أما الآن فقد (وضح الصبح لِذِي عينين) وأصبحت العامة والخاصة على علم وإيمان بقوة الحكومة والقضاء على تلك الحركة التي أصبحت في دور الاحتضار .

تقدم الجموع إلى أن دنوا من بلدة أم الخشب فوجدوها خالية فأضرموا النار في أرجائها ، وفي خلال ذلك قاموا بنهب ما وُجد من سقط المتاع ، مما خلفه أهل القرية ، ثم تفرقوا من حيث جاءوا .

وصول حملة ابن ربيعان :

وصل عمر بن ربيعان يقود جيشاً من الروقة من عتيبة وغيرهم وشق طريقه إلى أن وصل إلى جازان ، وبذلك تكثفت القوات وشعر القبائل بأن لاقوة تحميهم فنزح الناس إلى الجبال وإلى اليمن .

وقعة المضايا :

تفرقت القوات التي في المضايا شَذَر مَذَر ، فاضطر قبائل الحكامية كغيرهم من القبائل للنزوح إلى مَيْدي وضواحيها على رأس شيخ مشايخهم علي بن أحمد علي حكمي ، فصدر أمر الإمام على عاملي ميدي وحرض بتكليف قبائل المنطقة النازحين بالرجوع إلى أوطانهم ، وكان هذا أمراً مُدبَّراً بَيْن الإمام (والحزب) والإدريسي لإجبار القبائل على قتال الحكومة ، ومن الأساليب التي اتخذت أن العرشي عامل مَيْدي أقام وليمة على شرف شيخ مشايخ الحكامية ودعى إليها الكثير ، وفي أثناء ما هم على طعام الغداء التفت العرشيّ إلى ضيفه الشيخ علي ابن أحمد قائلاً :

ياشيخ علي إن للأوطان حقا ومثلك لا يُعَرَّف ، ومثلكم لا يحسن بهم أن يكونوا لاجئين .

الشيخ علي بن أحمد : أعرف ذلك وإنما الرعية ليس في استطاعتها مُقاتلة الدولة .

العرشي : أنتم وراءكم دولة فهل قاومتم وقمتم بما يجب للأوطان حتى ترون ، أم قد تخليتم عن الرجولة .

علي بن أحمد ، مسح يده من الطعام قائلاً : في أمان الله أستودعكم .

وبقدر ما حاول العرشي تلطيف الموقف وإضفاء مسحة المزاح عليه ورجاء الشيخ بالجلوس للقهوة لم يجبه إلى ذلك .

فخرج علي بن أحمد وخرج من كان معه من مشايخ قومه ووصل إلى المضايا وأخذ عمال الإمام في التنبيه على مشايخ بني شبيل والمسارحة بالرجوع إلى بلادهم .

كان الحسن الإدريسي قد نزح من قرية الزبارة إلى جبهة العارضة والاتصالات بينه وبين (الحزب) مستمرة فأشْعر بما تَمَّ ، فحالا أصدر أمره إلى قبائل المسارحة وبني شُبَيْل بإرسال شوكتهم إلى معسكر المضايا ، وكتب لشيخ مشايخ الحكامية يشكره على العودة ويأمره بتجنيد قبائله مع القبائل التي ستصله من بني شُبَيل والمسارحة وأنه قد عين الكلاس قائداً للمعسكر ، فاجتمع في معسكر المضايا ما ينوف على أربعة آلاف مقاتل ، ووصلت ثلاثة سفن شراعية من قبل (الحزب) تحمل الأرزاق وبعض الذخيرة وأنزلت حمولتها في ساحل تعشر .

المعـــركـة :

بلغ قادة الجيش في جازان التجمعات التي تحتشد في (المضايا) وبما أن من القحمة إلى صبيا قد أصبحت منقادة للطاعة ، وجُلَّ ما بقي تابع لحركته من أعلى الواصلي وشرقا إلى الجبال ، وجنوباً إلى (بني حُمَّد)

فقد رأت الحكومة في تلك التجمعات ما يطيل عمر الثورة ، ويساعد على تدخل بعض الجهات ، يضاف إلى ذلك أن مركز المضايا فيه مرسى بحري صالح لرسو السفن ، وقد وصلت إليه باخرة إيطالية ، بعد دخول الحملة إلى جازان ، ثم تحركت منه إلى ميناء جازان ورست داخل الميناء ، وطلع إليها بعض قادة الحملة وطلب منها الإقلاع فأقلعت ، وأبرق للحكومة فاتصلت بالسفير الإيطالي في جدَّةَ وقدمت إليه احتجاجها .

وعدا أهمية مرسى المضايا فإن بلدة المضايا محطة أولى في طريق جازان المسارحة ـ صامطة ـ الموسم ـ اليمن ، ولا تبعد عن مدينة جازان سوى اثنين وعشرين كيلا ومركز كهذا له أهميته الحربية في مثل تلك الظروف .

لهذا رأت الحكومة مهاجمته وبعد توفر المعلومات عن عدد القوات المتواجدة به ودراسة الموقع (طبوغرافياً) تشكلت القوات المهاجمة .

وفي ليلة ٣٠ شعبان زحفت القوات على الوجه الآتي :

١ ـ قوات سعد بن خالد بن لؤي محمولة على الخيل والإبل وسلكت طريق الشرق الشمالي من شرق قرية (مزهرة) بطريق الخبت .

٢ ـ قوات عسير بقيادة عمر بن عسكر وعبد الوهاب أبي ملحة وسطاً بين قرية مزهرة والبحر .

٣ ـ قوات حملة السيارات بقيادة حمد السليمان ومحمد بن شهيل وسلكت طريق الساحل ، تقدمت أولا قوات السيارات ليلاً تقل نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، تتقدمها أربع مصفحات مسلحة بالرشاشات والمدافع الخفيفة ، ووالت تقدمها حتى أخذت مراكزها في الكثبان التي تبعد عن بلدة المضايا نحو خمسة أكيال .

وبات الجيش الإدريسي في المضايا يشاهد أنوارها ويسمع أزيزها ودوي محركاتها وبعد نصف الليل أرسلت إنذاراً خطياً إلى شيخ مشايخ الحكامية .

فأخذ الإنذار وسار بنفسه إلى قائد المعسكر في مركز قيادته في بيت

الحكومة الذي يبعد عن البلدة نحو نصف كيل ، وأخذ في التشاور معه وأفهمه أن القوات الحكومية قوة لا يستهان بها ومن الأجْدَى حقن الدماء وصيانة الأرواح ، والإجـابة بالتسليم ، وأنه مستعد لإفهام القبائل بالانصراف وأنَّ عليه هو إذا كان لا يرغب فى التسليم مبارحة المركز ، فكان جوابه : إنك وقبائلك أهل الديرة ونحن ضيوفكم فإذا كنت لا ترغب في الدفاع عن بلدك فسوف نقاوم أنا وبقية القبائل ، حتى تعلم القبائل والإدريسي أنكم تخليتم عن الدفاع عن بلدكم .

فأجابه : لم تبلغ الحالة إلى هذا الحد ، وإنما أشرت عليك بما يحقن الدماء فإنَّ رأيت ذلك ففيه الخير لنا ولك وللقبائل المتواجدة ، وإلا فنحن وأنت مصيرنا الموت المحقق ، وستجد أننا في مقدمة خائضي غمارها فقال : هذا الأمل فى شهامتك فانصرف من لديه ليخبر قومه للاستعداد للمعركة ، وكان الوقت قبل الفجر الأول ، وفي تلك الساعة وصل جيش عسير ، وأخذ مواقعه مع قوات السيارات .

واستنفر الشيخ قومه وأخذ الكلاس في المناداة في القبائل في أخذ مراكزها في الخطوط الأمامية .

بدأت تباشير الصباح تمسح بريشها النورانية صدأ الظلام من لوحة الأفق القاتم المتجهّم وخرج الناس إلى مراكزهم في الخط الأمامي الذي تشغله الحراسة الليلية بجماعات منهم طول الليل ، وكان ترتيبهم على الوجه الآتي :

١ ـ بنو شبيل بقيادة الشيخ محمد بن أحمد مساوي ، ومن معهم من المسارحة بقيادة شيوخهم وعلى الجميع فى الجناح الأيمن في الرُّدُف (الاراك) الذي في الجنوب الغربي للبلدة .

٢ ـ الجناح الأيسر وشغله الحكامية والمغافير وغيرهم بقيادة إسماعيل بن أحمد علي حكمي .

٣ ـ القلب حكامية المضايا وغيرهم من القبائل بقيادة الشيخ علي بن أحمد ، والكلاس ويحيى مقبول حكمي ، ورجال من ذوي النجدة والحفاظ .

وكانت قيادة الحكومة على معرفة بقوتها ومضاء سلاحها ، وأنَّ الدفاع (عملية انتحار) فانتظرت نحو ساعة فلم تر مبادرة من قبل المدافعين .

فتقدمت إحدى المصفحات بقيادة سعيد جودت ، ومعها مكبر الصوت حتى أقرب نقطة من المدافعين لاتصلها طلقات البنادق وأخذ سعيد جودت في المناداة بواسطة مكبر الصوت : ياشيخ علي بن أحمد إنك الرجل المتسم بالتعقل والتبصر ، والمعركة ليست في مصلحتكم فاحقنوا الدماء فاليوم ليس يومكم أمامكم قوات حكومية لكم أمان الله ثم أمان ابن سعود على أنفسكم ودمائكم وأموالكم ، ومثل ذلك من التطمينات .

فلم يجيبه أحد من القوم فعادت المصفحة إلى قيادتها وبعد نحو نصف ساعة أطلقت أول قذيفة مدفع كإرْهابٍ ، وبعد ربع ساعة أطلقت القذيفة الثانية فانفجرت في القرية فأشعلت النار في بيوتٍها الخالية .

وتقدمت مصفحتين تطلقان رشاشاتهما ، تبعها المشاة وركُز الهجوم على الجناح الأيمن ، وبعد دفاع استمر نحو ساعة انهزم الجناح الأيمن ، فمالت القوات على القلب في هجوم مركز ، واحتدمت المعركة حامية وأوقف تقدم المشاة فتقدمت المصفحتان فأحدثتا ثغرة في القلب ، وتقدم المشاة على مركز القلب ، فانهزم متراجعاً نحو المزارع التي جعلت من تلك الأرض المستوية حراجاً تغطي القائم .

فانسحب الكلاس وجماعته نحو بيت المال مركز قيادته وانسحب الشيخ علي ابن أحمد إلى الجناح الأيسر الذي قد توالى الضغط عليه ، فأخذ في الانسحاب ، فاستصحب الشيخ أخاه إسماعيل ويحيى مقبول وعدة من شيوخ وأعيان الحكامية ، وساروا شمالا يقصدون قرية مزهرة ، وعلى مورد الماء التقوا مفاجأة بطلائع حملة سعد بن خالد فالتحم القتال بينهم بالسلاح الأبيض فقتل الشيخ علي بن أحمد وإخوانه ويحيى مقبول وكل من كان معهم .

أما الكلاس فقد قتل وهو يقاتل عند بيت المال هو وجماعة معه وبذلك انتهت معركة (المضايا) وأخذ الجيش في مطاردة الفلول حتى قرب

(سلام بني إبراهيم) وإلى (خَبْت الزاهبين) بالسيارات والخيل ثم عاد وعسكر في طرف قرية المضايا التي قد أتى الحريق على جميع مساكنها .

التقــدم إلى جهة أبي عــريش :

بعد وقعة المضايا تحركت القوات الحكومية إلى جهة أبي عريش فألفته خالياً فاستولت على المدينة ، وفي أبي عريش بلغها أن تجمعات للقبائل في حاكمة فتحركت إليها ونشبت بينها وبينهم معركة حامية فشتتها .

معــركة البيض :

ومن حاكمة تحركت نحو قرية البيض التي جمع فيها عبد الوهاب جموعه فَصبَّحَتْهم ونشبت بينهم معركة حامية ، فهزم عبد الوهاب وجموعه ، وطاردتهم إلى قرب الجبال الشرقية .

وكان الحسن قد ارتفع إلى جهة بلاد بني الْحُرَّث ، وعسكر في قرية (الغاوية) فتقدمت نحوه قوات سعد بن خالد وعمر بن ربيعان فطاردته إلى أن ألجأته إلى جبال العبادل السعودية .

استدعاء الإدريسي للعابد الإدريسي من جزيرة كمران :

استدعى الإدريسي قريبه العابد الإدريسي الذي التجأ إلى جزيرة كمران فوصل إلى ميدي في آخر شهر شعبان سنة ١٣٥١هـ فأناط به أمر حماية الْمُوَسَّم على الحدود اليمنية فجند بعض المرتزقة كنقطة تجمع لمعسكر وهناك وصلت سفينة من قبل الحزب تحمل :

٢٥٠ عدلة تمر و٢٥٠ كيس رز و ٢٥٠ كيس دقيق . مع مبلغ من النقود وقد سبقها إلى الْمُوَسَّم : خالد بن صادق بن عبد المطلب ومرزوق قراره وبعض رفقائهم .

فَنَشَّطَتْ تلك الأرزاق والنقود الحركَةَ قليلاً ثم توجه خالد بن صادق إلى الحسن الإدريسي في جهة العارضة وظل مرزوق قراره ورفقاؤه عند العابد الإدريسي في الْمُوَسَّم .

ثم أعاد خالد بن صادق إلى الموسَّم ، وظل به مع رفقائه عند العابد الإدريسي ومعه بعض المرتزقة ، ووظف شخصاً لنقل البريد بينهم وبين الحسن الإدريسي وقد رَوى [1]لي قال : حملت أول رسالة منهم إلى الحسن الإدريسي في قرية الزخمية ، ثم عدت إلى الموسَّم ، فوجدت خالد بن صادق قد غادره إلى (الزخمية) لمقابلة الحسن ، فسلمت الجواب لرفقائه والعابد الإدريسي ، ولاتزال الأرزاق مرصوصة والحراس عليها .

وفي مساء أول يوم من أيام شهر رمضان حملتُ رسالة من أعضاء (الحزب) إلى الحسن الإدريسي وغادرت قرية الموسَّم الفجر ، وعندما وصلت (تعشر) سمعت دوي المدافع ، فوجدت بعض الناس الذين خرجوا من المضايا في تلك الليلة فسألتهم فقالوا : الجيش الحكومي يهاجم المضايا فرجعت إلى الموسَّم ، وأخبرت أهلي ووالدي بالواقع ، وأن يكونوا على حذر ، وإن شعروا بشيء فعليهم اللجوء إلى مَيْدِي ، فشعر مجموعة المرتزقة بما أخبرت به والدي وأهلي ، وبلغ الخبر العابد الإدريسي فأنبني بشدة ، وأمرني بالتوجه حالا إلى الزخمية . ووقعت هناك معركة انهزم فيها الإدريسي وأنصاره ، وانسحب ، وتعقبه الجيش .

وسرت عصر ذلك اليوم فعلمت وأنا في طريقي إلى الزخمية أن الإدريسي قد غادرها إلى قرية (عيَّاش) فواليت سيري حتى وصلت قرية (عياش) فسلمت الرسالة وأخذت جوابها وعدت إلى الْمُوسَّم ، فألفيته خالياً ، فدخلت مدينة مَيْدِى ، وهناك علمت أن العابد وبعض رجال (الحزب) في الضواحي الشرقية من مدينة مَيْدِى ، قريبة من (المخازن) ، فوصلته وسلمته جواب الإدريسي ، وعلمت من بعض حراسه أنهم شاهدوا أضواء نيران ليلا في جهة تعشر ، فظنوا أنها من معسكر للحكومة ، فانسحبوا إلى داخل حدود اليمن .

قال : وتسلمت البريد ، ومعه بندقية ذات زنادين ، ومعها مئة طلقة ومسدس ، وأربعون طلقة ، ومئة جنيه ذهباً ، وبدلا من أن أتوجه شرقاً كما يقتضيه خط سيري سرْتُ غرباً إلى مدينة مَيْدِي ، لأطمئن على حالة أهلي .

---

(1) اسم ذلك الشخص محسن زيلع ومن روايته نفسه .

وفي مَيْدِي اتفقت بالقاضي عبد الله العمودي الذي بدوره كان على عزم لزيارة الحسن بعد أن أمن أهله في ميدي ، فترافقنا في الطريق إلى (حَرَض) ، وهناك علمنا أن الإدريسي انتقل من قرية (عياش) إلى قرية (الغاوية) من بلاد بنى الْحُرَّثِ .

وعند دخولنا بلدة حرض أخذ الجند مني البندقية والمسدَّس ، فاتصلت بالعامل وأخبرته بأنها مرسلة معي للإدريسي فأمر بردها إليَّ .

فتوجهت أنا والشيخ العمودي إلى قرية (طيب علي) ونزلنا في ضيافته فرغب في مرافقتنا لزيارة الإدريسي في قرية الغاوية .

وكان سعد بن خالد بن لُؤَي معسكراً في قرية (أبي حجر) ، يستعد لمهاجمة قرية (الغـاويةً) فتسللنا خفية في الظلام ، من شرق معسكره إلى قرية الغاوية ، وسلمته البريد وعدت إلى مَيْدِي . وبعد ذلك تحرك جيش سعد بن خالد ، وهاجم الغاوية ودارت معركة حامية الوطيس وطورد الإدريسي إلى أن التجأ إلى جبل شذا اليمنية .

وفي منتصف شهر رمضان وصل الحسن الإدريسي إلى (زهب حجر) من بلاد اليمن شرق حرض ، وأبقى (عوائله) هناك ، ووصله وفدٌ إماميٌّ قدم به إلى مدينة مَيْدِي ، فدخلها في موكب حافل ، تحيط به حامية مدينة مَيْدِي ونزل في بيت المال ، في غرب المدينة ، وهو البيت الذي أنشأه الإدريسي الأول ، وظل يتنقل بين مَيْدِي وأبي حجر .

وبقى عبد الوهاب في الجبال التابعة لمنطقة جازان ، يحرض قبائل الجبال على الصمود والمقاومة .

وصـــول حمـلة عبد العزيز بن مســاعد :

خشي جلالـة الملك عبـد العـزيز من تدخـل طرف آخـر في حركة الأدارسة عبــر (الحــزب) فأمــر عبـد العـزيز بن مسـاعـد أمير حائـل ـ آنـذاك بالتجهيز إلى منـطقـة جازان ، على رأس جيش قوي من الحـاضـرة والبادية قوامه خمسة

عشر ألف مقاتل ، فتوجه من (الرياض) ، ولبعد المسافة ، والجيش جميعه محمول على (الركائب) وخيوله مجنوبة تقاد فلم يصل إلى منطقة جازان إلا في أواخر شهر رمضان .

وكان طريقه الحزون المتوسطة بين السهول والجبال وهي الجهة التي لم يستقر فيها الأمن ، فسار في تلك الطريق حتى وصل (الحقو)

معركة الحقو :

جمع عبد الوهاب فلوله واستنخى أهل الحزون ، وسيرهم إلى جهة الحقو بقيادة حيدر بن محمد ، فأرسل ابنُ مساعد من معسكره بعض السرايا إلى تلك التجمعات ودارت معركة انتهت بهزيمة تلك الجموع ، وممن قتل في تلك المعركة محمد سحمي العاصمي وغيره من شيوخ الحقو .

فأبقى حامية في قلعة الحقو وتقدم بجيوشه إلى أن خيم في أعلى (الحسينية) وامتدَّ معسكره من (الحسينية) إلى قرية (الحسيني) .

وأسندت إليه قيادة الجيوش الحكومية فكان يبعث السرايا للقضاء على الجيوب المتبقية في الجبال مثل بني الغازي - فيفاء - بني مالك - العبادل - جبل سلا - وغيرها فقضت تلك السرايا على تلك الجيوش المتفرقة ، وبعد عيد شوال انتقل بمعسكره إلى المضايا .

وظل معسكر عمر بن ربيعان ، ومعسكر سعد بن خالد بن لؤي على الحدود في جهتي (أبي حجر) و(الحرث) وفي جهة (بني حُمَّد) على الحدود .

وانتهت المعارك والحروب ، وبقى كثيرون من الأهالي في جهات (مَيْدِي) وما حولها .

الوفد :

صدر أمر جلالة الملك إلى تركي بن ماضي ومحمد بن شهيل ، بالتوجه إلى مَيْدِي لتأمين الأهالي ، والتمهيد لعودتهم إلى أوطانهم ، وأبرق الملك للإمام بذلك فوافق ، وإنما لم يتحدد يوم وصول الوفد .

اعتقد عامل مَيْدِي أن الوفد عندما يتوجه سوف يتوقف في الْمُوَسَّم ، ويرسل له خبراً حتى يستقبلهم ، وظن الوفد أن الإمام مادام قد أذن بوصولهم فالحدود مفتوحة بين البلدين في أي وقت يصلون فيه .

وعلى ذلك توجه الوفد من جازان في الصباح الباكر ، وبعد صلاة الظهر كانت سيارتهم عند باب قصر العامل ، وقد اجتازوا المخافر بدون توقف .

كان العامل في ذلك الوقت قد تخفف من لباسه واستعد لنومة القيلولة وماراعه إلا أبواق السيارات ، وأزيز محركاتها عند باب القصر ، ولغط حراسه ومبادرة عريف الحرس بالصعود إلى القصر يخبره في حيرة وارتباك ، فنزل منزعجاً يرتدي ثوبه ، مسرعاً في النزول ، فإذا هو أمام الوفد وجهاً لوجه فتصنع الهدوء ، وبعد السلام رافقهم إلى مجلسه (الرسمي) ، ثم أمر بإعداد نزل لضيافتهم فأعد على وجه السرعة وانتقلوا إليه .

وبخروجهم أصدر أمراً بمجازاة خفر المراكز الذي خارج المدينة لعدم إيقافهم واحتجاز السيارات حتى يصدر أمره بالإذن لهم بالدخول .

وباستقرار الوفد في نزله أخذ في استدعاء وجهاء أهل المنطقة وتأمينهم والتفاهم معهم بالعودة إلى أوطانهم وتألفهم ، وإفهامهم أنهم آمنون على أرواحهم وأموالهم ، وانه قد صدر أمر الملك بالعفو العام حتى على من اشتركوا في الحركة ، وبذلت التسهيلات لعودتهم ولم ينته شهر رمضان إلا وقد عاد نصف الناس وفي النصف الأول من شهر شوال عاد من بقي .

وبعدها عاد الوفد من مَيْدِي إلى جازان ، وكان لوجود ابن مساعد عامل فَعَّال في تهدئة الأمور وتسكين الأحوال ، وتطمين الناس ، فأخذ الكثير من وجهاء المنطقة وشيوخ القبائل المتخوفين من مؤاخذة الحكومة ، في مقابلته وأخذ الأمان ، وبصفته من الأسرة المالكة فكانت الثقة به والاطمئنان إليه أدْعَى إلى إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي .

وبعد استقرار الأمور وهدوء الأحوال ، استدعى ابن مساعد أمير رجال

ألمع الذي أشرنا إليه سابقاً ـ منصور الشقحا ـ لإشغال مركز إمارة جازان ـ مؤقتاً حتى تعين له الحكومة من تراه ، وتوجه عائداً إلى نجد بطريق أبها وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٥١هـ .

وظل منصور الشقحا يقوم بأعمال الأمير الإدراي لمنطقة جازان ، حتى صدر الأمر بتعيين حمد الشويعر أميراً للمنطقة وفي ١٣٥٢/٦/٢٥هـ/ ١٩٣٣م وصل إلى جازان وباشر عمله في شهر شعبان سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م .

حمـــد الشـــويعر :

وصل حمد الشويعر إلى مدينة جازان ، وباشر مهام منصبه ، وقد رأت الحكومة أن يشغل منصب الإمارة في المنطقة شخصية كبيرة تملأ فراغ ذلك المركز نظراً لماضيها القريب ، وأهميتها الحاضرة ، وحمد الشويعر (مخضرم) من رجال إمارة ابن رشيد قبل انضمام تلك الإمارة إلى ابن سعود .

وبعد وصوله أخذ في تعيين أمراء إداريين ، لأهَمِّ مدن المنطقة فأجرى التعيينات الآتية :

١ ـ عين أخاه على الشويعر أميراً بـ (صبيا) .

٢ ـ قريبه عبد المحسن الشويعر بأبي عريش .

٣ ـ قريبه إبراهيم الشويعر على جزيرة فرسان .

٤ ـ عين لبقية بلدان المنطقة أمَرَاءَ من رجاله .

الفصل التاسع عشر

الحالة مع الإمام

إن موقف الإمام يحيى من قضية الأدارسة والحزب هما ما مر بك ـ آنفا ـ مما أوردناه مفصلا وزاد ذلك التجاء الأدارسة إليه واعتذاره عن تسليمهم مما دارت المخابرات بين الملك والإمام يضاف إلى ذلك موضوع تحديد الحدود ، كل ذلك اقتضى بين الجهتين إرسال وفد إلى صنعاء ، لإنهاء الخلافات السابقة واللاحقة بين الحكومتين فتألف الوفد السعودي من حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية وخالد أبو الوليد ، وتركي بن ماضي .

وهذا هو الأمر الصادر إلى أحد أعضاء الوفد نورد نصه الحرفي :

عدد

١٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى جناب المكرم تركي بن ماضي . سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع السؤال عن صحتكم دمتم بخير . ونحن من فضل الله بأتم الصحة والعافية والأمل تكون معلوماتكم متصلة إلينا تفيدونا بما يسر ، نحن من فضل الله بخير وعافية ، وأخبار جهتنا من كافة الوجوه مسرة نحمد الله على ذلك ، ونرجوه دوام النعمة ومزيدها هذا ما لزم والسلام حرر في ٢٥ الحجة سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م (الختم)

ملحق خير وسرور إن شاء الله لكتاب تركي بن ماضي رقم ١٠١٩ فى ١٣٥١/١٢/٢٥هـ/ ١٩٣٣م فقد اطلعنا على ما ذكرتم بالتلغراف بارك الله فيكم ونسأل الله أن يذل كل عَدُوٍّ للإسلام والمسلمين، وأن يذهب من فيه شر، وأنت

إن شاء الله توكل على الله وتمشي مع الرَّبع حمد وخالد والتعليمات بما يلزم معهم ، إن شاء الله إن اجتهادكم فيه بركة ، ولا بعدكم أسف على شيء (الختم).

تعليمات للمندوبين : وهذا نص التعليمات :

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليمات الصادرة للمندوبين والمفاوضين مع جلالة الإمام يحيى

مقـــدمة :

الذي يظهر من تصرفات الإمام يحيى أنه متردد في اتباع السياسة الصريحة معنا والتي سُدَاها ولُحْمَتُها الإخلاص وحسن النية ، لذلك فإنه في الدرجة الأولى من الأهمية أن يسير الوفد في عمله على قاعدتين أساسيتين .

١ ـ التعرف على نواياه ، وعمل ما يمكن لإقناعه بحسن نوايا جلالة الملك تجاهه ، وتجاه بلاده .

٢ ـ تجنب كل أمر يثير شكوكه ، أو يراه ، سواء في الحال أو المستقبل ، ويكون ذلك بإفهامه بالأسباب التي حَدَتْ بجلالته إلى إرسال الوفد إليه ، وتجشم مشاق السفر وعناء الطريق للحضور إلى صنعاء ، والسبب الأساسي على ما يظهر لنا هو توطيد الصداقة التي تأسست بين الجانبين بعد حوادث جبل (الْعُرّ) والاتحاد على مافيه عز العرب والإسلام ، والاتفاق على كل ما من شأنه أن يحفظ جزيرة العرب ، ويؤلف بين أهلها .

٢ ـ العـــلاقات :

إنــه ولله الحمــد والمنة ، لا توجد بين البلدين أية أمـور توجب الخـلاف وأنـه ليس لدى الـوفـد ما يقـول ، لأن ما تم بعـد حوادث (العُـر)، قد أظهرت الصـداقـة بين الجـانبين بأجلى مظاهـرهـا ، وقـد عقدت بين الجانبين معاهدة صداقـة بالبـرقيات التي تبودلت بينهما ، ثم من جهة أخرى تقدم جلالة الملك إلى الإمــام يحيى باقتــراح مؤداه تقـوية الصـداقـة والألفـة ، والسعي للظهـور

بمظهر الاتحاد المتين الذي لا تنفصم عراه ، ومع ذلك فقد أراد جلالته أن يوفد الوفد إلى صنعاء لكي يكون حاضراً بين يدي الإمام ، ويطلع على ما عنده من اقتراحات ، خاصة بتقوية العلاقات وتأييدها ، وأنه مستعد للمفاوضة فيها والبت في كل ما يعود بالفائدة على صداقة الجانبين .

٣ ـ *المعاهدة* :

إن المعاهدة التي وقع عليها في شعبان سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م والتي أبرمها جلالته وسيادة الإمام معاهدة صالحة ، ولازالت قائمة ، ونعده نحن بالمحافظة عليها ونأمل أن سيادته يكون حريصاً كذلك على بقائها .

وقد حلت هذه المعاهدة نقطتين أساسيتين يمكن لو لم تكونا منتهيتين ، أن تسبب الخلاف ـ لا سمح الله ـ بيننا ، وهما :

١ ـ مسألة الحدود بين عسير السراة وعسير تهامة وبين اليمن .

٢ ـ تسليم المجرمين الذين يرتكبون أعمالاً في بلاد الفريق الواحد ضدَّ الفريق الآخر .

أما مسألة الحدود المشار إليها ، فكما أشرنا أصبحت الآن منتهية لأنَّ المعاهدة أثبتت ذلك ، وجاء قبول سيادة الإمام يحيى بتحكيم جلالته بأن جبل (الْعُرّ) للإمام ثم اعترف سيادة الإمام بأن (فيفا) و(بني مالك) تابعان لجلالة الملك ، وجاء قبول سيادته قاطعاً للأمر ، وباتًا فيه ، وقاضياً نهائياً على أي ادِّعاء كان بإمكان تغيير الحدود ، فالذي تحت يد جلالة الملك بالفعل هو لنا ، والذي تحت يد الإمام هو له ، ولن نطالبه بشيء تحت يده ، كما أنه لن يطالبنا بشيء مما هو تحت يدنا ، إلا أنه منعاً لأسباب النزاع ، وقطعاً لأبواب الاختلاف فإنَّ جلالته رغبة في إدامة حسن التفاهم والصداقة مع الإمام لا يمانع تبديل نصف قبيلة أو قبيلة بقبيلة ، لكي يكون أفخاد القبيلة الواحدة في جهة واحدة .

كما أن جلالته لا يمانع أيضاً في تصحيح خط الحدود مع ذلك كضم شعيب إلى جانب ومسيل إلى جانب آخر .

فإذا كان للإمام رغبة في ذلك ، فإن جلالته يوافق عليها مع الممنونية لأنها ترفع التنازع ، وتمنع الاختلاف ، بين بلاد منقسمة ما بين البلدين .

هذا إذا كان للمندوبين استناد على ما عندهم من المعلومات عن الحدود والقبائل يرون ذلك في مصلحتنا ، وإن كانوا لا يرون ذلك في مصلحتنا فليأخذوا اقتراح يحيى ويرفع لجلالته مع بيان رأيهم في ذلك .

وأما مسألة تسليم المجرمين التي ثبتت في المعاهدة فإننا نرى الاحتفاظ والتمسك بها تماماً كشرط أساسي لإدامة الثقة والعلاقات الحسنة .

ولذلك فإننا نؤمل أن موقف سيادته في هذا الأمر مثل موقفنا ، وأن يعلمنا بصراحة على ذلك ، لأن موقف سيادته في حوادث الإدريسي كان موقفاً يناقض المعاهدة ، وبناء على ذلك فإننا نطلب منه يعرفنا رأيه بصراحة ويبين لنا أمرين :

١ ـ هل هو مُصَمِّمٌ على إنفاذ النص كما هو؟!

٢ ـ أو أنه لا يريد ذلك ويرى إلغاءه ، والسير على الطريقة التى سار عليها في حوادث الأدارسة ، سواء تجاه (الدباغين) وأتباعهم ، أو الأدارسة أنفسهم .

٤ ـ الحدود والاعتراف بها :

ذكرنا فيما سبق كيف أن المعاهدة المعقودة ، وحكم (الْعُرّ) قد حل مسألة الحدود بين عسير واليمن ، وذكرنا رأينا في التعديل الذي يمْكن الموافقة عليه .

وأما حدودنا فيما وراء عسير من الداخل ـ الشرق ـ فإنها كذلك مبتوت فيها منذ عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م حينما زار ابن دليم ، وابن ماضي الإمام ، وأعلمناه بأن أهل (نجران) تابعون لنجد وأنهم لازمون لنجد بموجب الضرورة ، كما بَلَّغْنَاهُ ، وأن سيادة الإمام وافق في ذلك الوقت على أن ما كان من نجران وشمالاً فهو عائد لنا ، وما كان من (وائلة) وجنوباً

فهو عائد له ، حسب النص المشار إليه في المحضر ، وعن إمكان تعديل الحدود تعديلاً بسيطاً ، كشعب أو قبيلة أو ما أشبه ذلك في عسير فإننا لا نمانع في إجرائه في نجران .

وعلى كل من الضرورة أن يكون موقف الوفد من هذا الأمر ـ أي أمر الحدود جليًّا واضحاً ، وأن يفهمه الإمام ، وهو أنه من المستحيل أن يتغير موقفنا تجاه الحدود ، بترك بلاد عسير ونجران ، أو إنه إن كان قصد الإمام أن يعيش معنا معيشة الصداقة والتفاهم ، فما عليه إلا الإقلاع عن التفكير بأمور لا يكون منها له نتيجة ، إنَّ ما تحت أيدينا هو لنا لن نتنازل عنه ، كما أننا لا نطالبه بأن يتنازل عما كان تابعاً للأدارسة قبل دخول قوات الإمام إلى (الْحُديدة) و(مَيْدِي) .

وإن الذي يوافق عليه هو التعديلات البسيطة التي أشرنا إليها ، المقصود من ذلك أنكم تعرفون نواياه ، إن كانت نوايا حسنة ، وقصده على أن تكون الحالة كما هي ، والكلام يصير في وقت آخر ، المقصود لا تُورِّوهُ شِدَّة توجب الكدر والخلاف ، ولا تتراخون في أمر يريده وفيه مضرة علينا .

٥ ـ *المعاهدة الجديدة :*

قلنا إننا نرى المعاهدة الحالية أداة صالحة ، ولا بأس من بقائها ولكن لا نرى مانعاً من عقد معاهدة أخرى ، في حالة رغبة الإمام يحيى في ذلك ، ومن الموافق أن يترك أمر اختيار ذلك إلى الإمام نفسه ، فإذا كان راغباً في عقد معاهدة جديدة فمن الضروري معرفة الشكل .

نعرض في هذا الباب حالتين هما :

١ ـ العصرية التي تسير عليها الحكومات الأوربية في عقد المعاهدات .

٢ ـ بقاء المعاهدة القديمة على حالها بعد تثبيتها .

فإن اختار الطريقة الأولى ، وهو ما نُرَجِّحُهُ ، فاطلبوا منه المشروع الذي يقدمه وعرفونا نَصَّهُ برقيًّا ، بعد تبديل ترتيب المواد حتى لا تنكشف الشفرة ويمكن حلها ، لكي نرى رأينا فيه ، وقد وضعنا نصَّ المشروع

فقدموا هذا له وستكون المخابرة متصلة بيننا لتعديل أو تبديل شيء من المواد .

٦ ـ *الاتحـــاد والتعـــاون* :

بمـا أن الـذي يظهـر لنـا من تصـرفات الإمام يحيى خلال الوقائع الإدريسية لا يشجـع كثيراً على الثقة بنوايا المذكور المستقبلة ، فإننا لا نرى بصورة جازمة ما يكـون للاتفـاق الهجومي الدفاعي من قيمة عملية بيننا على فرض دخولنا فيه معه ، ومع ذلك فإننا في حالة الدفاع عن سلامة الجزيرة العربية ، لا نرى مانعاً من قبول التعهد بما يأتي :

١ ـ وضع ذلك في المعاهدة ، أو في مكاتبة ملحقة في المعاهدة .

٢ ـ وفي حالـة حصـول اعتـداء خارجي على بلاد أحـد الفـريقين السـاميين المتعاقدين يتعهد كل فريق بما يأتي :

(أ) الوقوف على الحياد التام .

(ب) المعاونة الأدبية والمعنوية .

وفي حالة الاعتداءات الداخلية يتعهد كل فريق بما يأتي :

(أ) اتخاذ التدابير الفعالة لعدم تمكين المعتدي من الاستفادة من أراضيه .

(ب) منع التجاء اللاجئين إلى بلاده .

(جـ) منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو تشجيعهم أو تموينهم .

(د) منع الإمدادات والذخائر والمؤن عنهم .

(هـ) تسليم من يفر منهم إلى بلاده أو طرده .

٧ ـ *التحـــكيم* :

لا مانع لدينا مطلقاً أن نتفق على إحالة كل خلاف يحصل بين الجانبين على التحكيم الـذي يصـدر ، ويوضع لذلك نص صريح واضح في المعاهدة (كتابة ملحقة) ويمكن الاستعانة بالنصوص الواردة في (بروتوكول) التحكيم المعقود بيننا وبين حكـومة العراق ، والموجود في آخر مجموعة المعاهدات التي عندكم منها نسخة من قبل .

٨ ـ المؤتمـــر العربي فى بغـــداد :

إن على الوفد أن يتخابر مع الإمام يحيى من أجل قضية المؤتمر العربي المنوي عقده في بغداد ، أو أن يفهم ، أنه بالنظر إلى أنه وجلالة الملك هما المستقلان دون غيرهم استقلالاً تامًّا صحيحاً ، فإنه من الضروري أن يتبادلا المعلومات في كل الأمور التي لها علاقة بالعرب ومستقبلهم ، ولذلك فإننا نحب أن نعلم موقف الإمام يحيى تجاه المؤتمر العربي ، وإننا نحب وإياه أن نكون يداً واحدة ، ومن رأى واحد فيما يتعلق بشأنه .

أما المؤتمر فمَعَ أن غرض القائمين به شريف ، إلا أنه بالنظر إلى موقف أكثر البلاد العربية ، وبعض المتزعمين من العرب ، فإننا نخشى أن يكون الغرض منه شَيْئاً آخر خلاف ماهو معلوم عنه ، أو أن يحاول بعض النفعيين الاستفادة منه على حساب الآخرين .

أما أهل سوريا فلا شك أن قصدهم الاستفادة على مقاومة الفرنساويين مهما كانت الحالة ، ولكننا نعلم أن قوتهم لا تمكنهم من الوقوف في وجه فرنسا بالقوة (. . . . .) ومعلوم الـذي يصيبـه الضرر من مساع غير وطنية هو سيادة الإمام وجلالة الملك ، ولهذا فإننا نطلب من يحيى أن يبين لنا موقفه لكي نعلم ماذا يجب علينا اتخاذه من تدابير للتفاهم على خطة العمل السلبي والإيجابي .

٩ ـ الاعتـــــراف :

إذا طلب الإمـام أن نعترف به بصفته ملكاً على اليمن فإنه لا مانع عندنا من ذلك ، على شرط أن يطلب هو ذلك ، فإن لم يطلبه فلا تفتحوا بابه أما نصه فيكون كمـا يلي : يعترف حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن بحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية .

ملاحظـــة مهمـــة :

إذا تم الاتفـاق بينكم وبين يحيى على الحـدود ، فمن الضـروري تثبيتهـا في مادة تكون في المعاهدة ، ولا يمكن يعترف ليحيى بملكيته على اليمن قبل

أن يعترف بالحدود ، والحدود هي الموجودة في محضر الأحاديث التي كانت بين ابن ماضي وابن دُلَيم ، ومندوبي يحيى نراها لا بأس بها ، لتكون أساساً للمادة في المعاهدة .

مشروع معاهدة بين المملكة العربية السعودية
وبين حكومة الإمام يحيى

الحمد لله نشكره ، ونصلي ونسلم على خير أنبيائه الذي جاء بالهدى ودين الحق ونستفتح بالذي هو خير .

أما بعد فإن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز ابن عبد الرحمن السعود وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين رغبة منهما في جمع كلمة الأمة العربية الإسلامية ورفع شأنها ، وحفظ كرامتها واستقلالها ، ونظراً لضرورة تثبيت الحدود بين البلدين في شكل عهدي ـ بعد أن تم القسم الأول من ذلك الاجتماع الذي عقد في صنعا عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بين مندوبي الفريقين ، وتم القسم الآخر في المراجعات البرقية والتحريرية بتاريخ أيام جرى الاختلاف على مسألة (العُرّ) .

وبناء على الاتفاقية التي عقدت بين مندوبي الفريقين ، وحازت تصديق الفريقين الساميين المتعاقدين ، والمشتملة على ثمانية مواد والملحقة صورتها في صلب هذه المعاهدة ، تثبيتاً لمفعولها الدائم ، ونظراً لرغبة الفريقين في إدامة السلام بين بلاديهما ورغبتهما في أن يكونا عضداً واحداً أمام المهمات المفاجئة ، من الداخل والخارج ، ورغبة منهما في سلامة الجزيرة العربية فقد انتدب حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وانتدب حضرة صاحب السيادة الإمام يحيى حميد الدين مندوبين مفوضين عنهما ، وبعد أن اطلع كل من المندوبين على أوراق المندوبين الآخرين فوجدت مطابقة للأصول ، اتفقا على المواد الآتية :

المـادة الأولى :

يسود بين المملكة العربية السعودية ، وبين المملكة اليمنية ، وبين حكومتيهما ورعاياهما سلم دائم ، وصداقة خالصة ، لا يمكن الإخلال بها .

ويتعهد الفريقان المتعاقدان أن يَحُلّاً بروح الود والصداقة جميع المنازعات التي تقع بينهما ، وأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات .

المـادة الثانية :

تؤسس بين البلدين علاقات التمثيل السياسي والقنصلي ، ويكون للمثلين في كل من البلدين حقوق الصيانة التي تقضي بها القواعد العربية والإسلامية وتتفق مع الحقوق الدولية .

المـادة الثالثة :

يتعهد كل من الفريقين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل استعمال بلاده قاعدة لأي عمل عدائي ، أو الاستعداد له ضد بلاد الآخر ، وكل من يسعى لذلك فإنه إن كان من رعايا الحكومة التي يعمل في أراضيها فحكومة البلد تؤدبه أدباً بيناً ، وتردعه ردعاً شديداً وإن كان من رعايا البلد الآخر فإنه يلقي القبض عليه ويسلم لحكومته التي يعمل ضدها فتجازيه بما تقضي به الأحكام الشرعية ، وعلى الحكومة التي يقع ترتيب العدوان في أراضيها أن تخبر الحكومة الأخرى في الحال عن ذلك ، وأن تجرى المراجعات البرقية والكتابية عند اللزوم لاتخاذ خطة مشتركة رادعة لأعمال أولئك المجرمين .

المـادة الرابعـة :

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يلجآ إلى التحكيم لأجل أي نزاع يقع بينهما ، وأن يقبلا الحكم الذي يصدره الحكم ، ويوضع للتحكيم ترتيب مفصل يعين كيفية طلبه ، وكيفية حصوله .

المـادة الخامسة :

إن الفريقين الساميين اللذين تجمعهما الجامعة الإسلامية العربية أمتهما

واحـدة وإنهمـا لا ينويان بأحد شراً ، وإنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون ، وأنهما لا ينويان أية نية عدوانية تجاه أي أمة كانت .

المـــادة السادســـة :

يعقد بين الفريقين الساميين المتعاقدين اتفاق بريدي لتسهيل المواصلات وتزايد الاتصال بين بلاديهما .

المـــادة السابعـــة :

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل فريق بما يأتي :

١ - الوقوف على الحياد .

٢ - المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

في حالة الاعتداءات الداخلية يتعهد كل فريق :

١ - اتخاذ التدابير الفعالة بعدم تمكين المعتدين من عدم الاستفادة من أراضيه .

٢ - منع التجاء اللاجئين إلى بلاده .

٣ - منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو تشجيعهم أو تموينهم .

٤ - منع الإمدادات والذخائر والمؤن عن المعتدي .

٥ - تسليم من يفر منهم إلى بلاده أو طردهم إليها .

المـــادة الثامنـــة :

حررت هذه المعـاهـدة من نسختين وتصبـح نافذة من تاريخ إبلاغ الفريقين السـاميين المتعـاقدين بعضهما برقياً بالاطلاع على مواد هذه المعاهدة والموافقة عليها ، يجري تبادل قرارات الإبرام بأسرع مدة ممكنة في المكان الذي يتفق عليه الفريقان .

هذا النص الكـامـل لمشـروع المعـاهـدة التي زود بهـا الوفد مع التعليمات

السابقة وتوجه الوفد من مدينة (جـازان) بتاريخ ١ صفر سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م في طريقه إلى صنعـاء .

رحـــلة الوفـــد :

توجـه الـوفـد من جازان واجتاز الحدود إلى مدينة ميدي اليمنية وبعد التريث الـوشيك تحـرك ركبـه إلى مواصلة رحلتـه ، وشـاهـد في أثنـاء طريقـه الزينات المنصـوبـة ، والأعـلام المـرفوعة والاحتفالات ابتهاجاً بغزو نَجْران حتى يشاهد الوفد ، ويُحَاط مسبقاً بالموضوع .

كانت رحلة الوفد من جازان برًّا على السيارات فواصل سفره إلى مَيْدي ، ثم اللحيَّة ، فـ (الزيدية) فـ (الحديدة) فـ (باجل) ومن باجل ارتقى المرتفعات الجبلية إلى (صنعاء) في ٦ صفر سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .

الاســـتقبال :

استقبـل الـوفـد استقبالا كريماً وأنزلوا في دار الضيافة ثم تحدد مقابلة الإمام فاستقبلهم في قصره ، وبعد التحية والسلام على جلالته ، قدم الوفد كتاب جلالة الملك فتناوله في سرور ، وأظهر لهم كريم اهتمامه وابتهاجـه .

أشرنا من قَبْل إلى ما شاهده الوفد ابتداء من خروجه من مدينة ميدي من مظاهر الزينة والأعلام في طريقهم ، وعندما يسألون يجيبهم المرافقون أنَّ ذلك بمناسبة الاستيلاء على نجـران ، والحقيقـة أنَّ في ذلك الوقت كان ابتداء تقدم الجيش الإمامي إلى بلاد نجران ، وبعد ذلك تمكن من التوغل في بعض جهاته واستعمال الشدة وهدم بيوت بلدة بَدْر ، ونبش قبور المكارمة ، ففر المكرمي رئيس نجران ومعه من معه من شيوخهم فروا إلى الرياض وأخذ الجيش في موالاة تقدمه ، في حال أن هناك فريق أقل من أهل نجران كانوا موالين للإمـــام .

وبعـد تلك المقـابلة انصـرف الـوفـد إلى نُزلهم ، وكـان نصيبهم شِبْهَ التَّرْكِ وقَـرينَ الإهمـال ، يتصـل بهم بعض أعضـاء حكـومة الإمام يتناوبون ويأخذون معهم في الحـديث والمجاملة ويعيدون على أسماعهم مطالب الإمام كتحصيل

حاصل وقول قائل ، ويسمعون منهم إلى أن أصبح الوفد في شبه ملل وعدم تصديق ، أما الضيافة والعناية بهم وبأحوالهم فموسع عليهم ، مع المراقبة الشديدة والتصنت والملاحظة على كل حركاتهم وسكناتهم وتحركاتهم ، ومن يتصل بهم ، إلى غير ذلك وقطعت عنهم المخابرة اللاسلكية فيما بينهم وبين الحجاز ونجد .

والإنسان العادي يشعر بوطأة المراقبة وضغوطها على نفسيته من شخص مثله فكيف بوفد له حصانته (الدبلوماسية) وصفته الرسمية .

كان الإمام ينتظر في خلالها انتهاء جيشه من غزو نجران ، حتى يكون الوفد والحكومة السعودية من وراءه ، أمام الأمر الواقع .

وإنما الحكومة السعودية بدورها لم تكن في غفلة فهي على علم بأدق تحركات الحكومة المتوكلية ، فضلا عن حركة جيش بِعَدَدِه وعُدَدِه ، وقيادة ولي عهد اليمن نفسه لذلك الجيش .

ظل الوفد شهرين في صنعاء يتعرض للمضايقة ، وشبه الإهمال والرقابة على تحركاته ومنع إرسال برقياته الصادرة وحجب البرقيات الواردة له ، وإذا احتج على ذلك كان الاعتذار جاهزاً بحجة خراب جهاز اللاسلكي .

وإزاء تلك الحالة كتب رئيس الوفد (حمد السليمان) إلى أخيه وزير المالية عبد الله السليمان :

الأخ عبد الله السليمان . . .

سيدى نرجوكم ترفعوا لجلالة الملك بأنهم منعوا سحب برقياتنا إلى جلالته وقد منعونا عن السفر ، ولا نعرف قصدهم نحونا ، لكن نيتهم ردِيَّة أردنا تعريفكم مختصراً لئلا يشتبهون ٤/٤/١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .

حمد السليمان

وبوصول الكتاب أبرق جلالته لجلالة الإمام البرقية الآتية :

عدد

١٦٧٦ في ١٢/٤/١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م .

أرجو أن يكون الأخ بأتم الصحة والعافية ، ثم يعلم الأخ أننا لم نرسل

الوفد الذي تقرر إرساله بيننا إليكم ، إلا لحسم المواد ، وما يريح المسلمين ويرغم أعداء الدين .

وكنا ننتظر يوم وصول الوفد أن تصلنا برقية منكم بوصوله فلم تصل أقام الوفد تلك المدة الطويلة ، وكأن خواطرهم ضاقتْ ، ونحن ما رأينا لإقامتهم فائدة وكان باب العذر مفتوح ، وهو للمرض الذي كان ملمًّا بكم ، نرجو أن تكونوا قد رزقتم الشفاء والعافية منه ، كذلك أمرناهم يبقون رغبتكم وأبرقنا لهم بواسطتكم برقية بذلك ، لم نر لها جواباً .

ومع ذلك أمرناهم بامتثال أمركم في البقاء ، وكنا نؤملهم ونؤمل أنفسنا بإنهاء الأمور بنجاح ، وللآن نؤمل أنفسنا بذلك ، ولكن من تاريخ ٢٥ ربيع الأول إلى اليوم الثامن من ربيع الثاني لم نَرَ منهم أيَّ برقية فاستغربنا ذلك .

يعلم الأخ أن أعضاء الوفد هؤلاء ليس عليهم جناية أو حجة وأن تتميم الأمور ، وعدم تتميمها راجع إلى الله ثم لكم ، ونحن في انتظار ما يقتضيه نظركم بالمسلك الذي يسلكونه .

ولكن إهانة الوفد وعدم مراجعتهم شيء عجيب جدًّا لأن هذا لا يسوغه مقامكم منا ، وليس في نظرنا موجب لامادي ولا معنوي لا بالسر ولا العلانية ويقيننا أنه كذلك في نظركم .

على أن الأعمال التي عومل بها المذكورون لم تعمل لا في سابق الزمان ولا لاحقه ، بين حكومات الإسلام وأمرائهم ، السابقين واللاحقين ولا عند الأجانب .

لذلك لم يبق للسكوت مجال ، فاقتضى أن نعرف حقيقة مقاصدكم التي نرجو أن تكون حسنة ، وفيها عز الإسلام والمسلمين ، والثاني استنقاذ الوفد الذي ليس لإهانته موجب ، ولا لانقطاع أخباره موجب أيضاً عافاكم الله .

فأجاب جلالة الإمام يحيى بالبرقية الآتية بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ/

١٩٣٣ م:لم يكن ترك الجواب بالإفادات البرقية ، إلا ثقة بالإفادة إليكم من وفدكم الكريم ، وكان عذرنا سابقاً المرض الذي بلغ بنا النهاية ، وقد مَنَّ الله بالعافية ، وبقى بقية نسأل الله زوالها .

وعند اشتدادا مرضنا ، كان من القاضي عبد الله العمري من طلب حكماء من حكومة مصر ، ومن حكومة العراق ، فوصلوا ، وقد كان منهم البحث وشرعوا في المعالجة لزوال العلة ، والله هو الشافي .

أما ما أشرتم إليه من تأخير تلغرافات وفدكم إلى حضرتكم ، فذلك واقع وكان قد رفع إلينا الوفد ، وكان منا سؤال القاضي عبد الله العمري ، فأفاد أن طائر الهواء الحديدي غير صالح ، وأنه قد أرسل من صنعاء من يصلحه وذلك صحيحاً .

وكنا جلبنا قبل مدة طائر الهواء الذي بـ (تعز) بدلا عن الذي كان (بالحديدة) وتأخر وجود المهندس لتركيبه ، والآن العمل في إصلاح الأول وطائر الهواء هذا كبير السن وكثير الأمراض والعلل .

وأما منع التلغرافات إليكم فهذا أمر لم يكون قطعياً ، وقد توجه الوفد إلى حضرتكم أمس الخميس ، وحررنا إلى حضرتكم ما سترونه إن شاء الله وقد كتبنا الآن إلى (الحديدة) ليكون عرض طائر الهواء بالحديدة على الوفد ليعرف الحقيقة ، وكونوا من صداقتنا على يقين ما دمنا على قيد الحياة فليس بيننا وبين حضرتكم إلا كل جميل ولله الحمد . . . والسلام عليكم .

وبوصولها أبرق له جلالة الملك البرقية الآتية :

عدد

١٧٦٦ ربيع الثانى سنة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م .

برقيتكم وصلت وسرتنا صحتكم ، الحقيقة والله المطلع أن مرضكم مرض لنا لأننا نحب كل شخص من العرب يهمه أمر الإسلام والعرب ، أما اعتذاركم من قبل برقيات الوفد فمقبول ، كل ما يفعل المحبوب محبوب ، والوفد خدامكم ، والأخ أخيكم ، والمصلحة عائدة للجميع ، ولكن والله ما يهمنا

إلا تعـاطي أهل الأغراض ، أذناب الأشرار الذين ما يخفون عليكم بالأمور بيننا وبينكم ، ويصدرونها عن مصادر بطرفكم ، وإذا اطلعتم على الجرائد رأيتم حقيقة ما نقـول .

وما ذكرتم أنكم تداومون على صداقة أخيكم ما دمتم بقيد الحياة فهذا هو مأمول فيكم ، وأخوكم يعطيكم أماناً على ذلك مازال الأمر ما يحوج للدفاع عن النفس والشرف ، ولكن الذي أقوله لكم ، وأؤكد لكم فيه ، أن ما يكون بينكم وبيننا من الاختـلاف لا مصلحـة لنا ولا لكم فيه ، وأن أصابع أهل الأغراض من الخارج والداخل تأخذ ذلك فرصة ولا يسعى بالخلاف بيننا وبينكم إلا شخصان إما محب شُؤم ، أوعدو يفرح بالدوائر على الجميع ، وفكر بما قال الشـاعر :

وأحزم الناس من لم يرتكب عملا حتـى يفكـر مـا تجني عـواقبه

أحببت تقـديم هذه البرقية لأمرين :

١ ــ الخبر عن صحتكـم . ٢ ــ ما أحب تعطيل الجواب منا لكم .

وعندما يصل الوفد من جيزان ويرفعون لنا أخبارهم ، وما أبديتموه لهم فنكتب الجواب بما يقتضيه الحال عافاكم الله .

سـفر الوفـد إلى الحجـاز :

بعد رفع كتاب حمد السليمان إلى أخيه عبد الله السليمان بتاريخ ٤ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ألـح الـوفـد على رجـال الإمام وبالأخص وزيره القاضي العمري في رغبتهم مقابلة الإمام للسماح لهم بالسفر ، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى أمرين :

١ ــ إما إحياء المفاوضة والوصول إلى نتيجة سلباً أو إيجاباً .

٢ ــ أو السماح لهم بالعودة إلى حكومتهم في حال تعـذر ذلك .

وكنتيجة لإلحاحهم ، سمح لهم سيادة الإمام بالمقابلة وتمت في يوم الثلاثاء المـوافق ٩ ربيع الثـاني ، وَلَمَّا لم يلمس الوفد أي بادرة نجاح طلب السماح له

بالسفر إلى حكومتهم فوافقهم ، وتوجه الوفد من صنعا في يوم الخميس الموافق ١١ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م يحمل رسالة خطية من الإمام لجلالته هذا نصهـا :

في ١٢/٤/١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م . .

وصل الوفد الكريم ولم نجد فيه عيباً إلا شدة التعصب والإخلاص لحضرتكم وقد كان الأخذ والرد بعد طول الإقامة لمانع أثرنا ، الذي بلغ بنا النهاية وإلى الآن وآثـاره باقية ، وكـان طلب حكمـاء من حكـومتي مصر والعراق فوصلوا ونأمل قد تشخصت لهم العلة ، والله الشافي .

اعلموا حرسكم الله أنه لم يكن بيننا وبين حضرتكم إلا كلية الصداقة والوداد ونؤمل أنا سنلقى الله تعالى على ذلك .

وآخـر ما كان عليه البنـاء بيننـا وبين الوفد الكريم في شأن الأراضي التهامية والعسيرية أن يكون بقاؤها كما هي عليه الآن ؟، وفي مسألة قتلى تَنُومة أن يكون الخوض فيها للمراجعة بيننا وبينكم .

وفي شأن الإدريسي جعلناه بوجهنا وذمتنا ألا نساعده على شقاق ، ولا نرضى له ، فإن حدث منه حادث فيدنا على يدكم عليه ، ولا نراه يحدث نفسه بشقاق فقد عرف قدر نفسه ، وقدر أعوانه وأصحابه ، وهو الآن منقطع بنفسه لا يخوض في شيء ويشكو قليلا لقلة المخصص له من حضرتكم ، فبالله تفضلوا بزيادة ألف ريال له ، ولعبـد الـوهـاب ، وعائلاتهم وحاشيتهم ، فهم ذوو تكاليف ويعتادون كثرة الإنفاق فأفضلوا بتلك الزيادة .

أما مسألة يام ونجران ياحضرة الملك عافاكم الله فأنتم تعلمون أنهم جزء من اليمن ماله مفصل ، بل هم مصاصة قبائل اليمن ، ونحن أوضحنا لحضرتكم بما كتبناه وعاد جوابكم بما هو المؤمل ، فنرجوكم ثم نرجوكم أن تغضوا النظر عنهم ، وتحسنوا التدارك لاستبقاء الصداقة والوداد بيننا وبينكم ، ولا ضرر عليكم إن كان منا إصلاح أمر يام ، ولا نفع لكم إن تركناهم على ما هم عليه من الفساد والهمجية .

ثم كان الاتفـاق أخيراً بالـوفـد الكـريم ، وكـانت المـراجعة في شأن المواد

الأربع التي شملها كتابكم الكريم المرسل إلينا صحبة ابن ضاوي ، وكان اختيار الوفد تأخير الخوض في شأن الأربع المواد ، حتى يكون وصولهم إلى حضرتكم وسيوضحون لكم إن شاء الله ، وإذا تفضلتم بالإجابة عن هذا الكتاب إلينا برقياً نحن ننتظر ذلك وننشد ما قال ابن الدُّمَيْنة :

أبِنْ لي أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك

ودمتم محروسين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

عدد

١٨٥٩

برقية من جلالة الملك إلى جلالة الإمام يحيى

بتاريخ ١٦ ربيع الثانى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

تقدم لكم قبله برقية عرفناكم بها أنه بوصول الوفد إلى جيزان ، وإخبارهم لنا بمضمون كتابكم نراجعك بشأنه ، وقد وردنا منهم اليوم برقية لم يذكروا فيها إلا خلاصة كتابكم ، فلم يتضح لنا المعنى المقصود من الكتاب ، وكان في البرقية بعض الأغلاط التي جعلت غموضاً في المقصود ، وقد أبرقنا لهم يرسلون نفس الكتاب إلينا ، لأمرين :

الأول : الحرص على الصداقة وحسن المعاملة .

الثاني : ظهر لنا من فحوى الكتاب أن بعض الأمور العائدة لكم ملزومون بها في الجزم فيها ، والأمران اللذان من جهتنا ، سواء المختلف فيها أو المقررة تؤجلونها ، أو تقبلونها على حالها .

هذا الذي فهمناه من الخلاصة ، ولعله متى ورد الكتاب بنصه يظهر لنا غير المعنى ، ولكن رغبة منا في تقوية الصلات ، وتدارك الأمور من أمر ما تحمد عقباه ، حبينا مراجعتكم لنكون على بصيرة للاستعداد في الرد عليكم :

أولاً : أخي تفهمون أن الملك لله ليس لأحد ، وأن الأمور ليست بالوراثة ولو دامت لغيرك ما اتصلت إليك .

ثانياً : إن وراثتنا وآثارنا السابقة في بعض الأمور مفهومة ومعروفة ،

عند كل الناس ، ولكننا لا نطالب بالأمور الفانية ، ولا نحب الاعتداء على شيء ليس بأيدينا ، إن محبتنا للزين والاتفاق معكم ليس بخاف عليكم ، كما تقدم ، وقد أجبناكم لجميع ما بخاطركم في السابق ، ونرى ذلك فعل جميل في محله ، وتقرب للائتلاف والمساعدة ، ولكن يظهر لنا مع كل الأسف أن القوم الذين عملوا ما لا يخفى عليكم تدخلوا في بعض المسائل ، لتفاقم الأمر لعلهم يدركون بعض الشيء مما خسروه في أعمالهم الأولى ، ولكن الحمد لله فقد كان فيهم ما قاله صلوات الله وسلامه عليه : «الحمد لله الذي جعل آخر كيد الشيطان الوسوسة» .

أخي تعلمون بأننا ما نُعْذَرُ من جهة الله ، ولا من جهة الأمانة التي في رقابنا ولا من جهة الصداقة التي بيننا وبينكم حتى نقوم بالواجب ، فإما ندرك المطلوب أو نعذر ، وتعلمون أن شرفكم وشرفنا وديننا ما يسعنا إزاءهم إلا القيام باللازم على أمر واضح وبرهان بيّن ، أرسلنا وفدنا وأعطيناه التعليمات اللازمة وحصل أمران أحزننا أحدهما وأسفنا للآخر .

أما ما أحزننا فهو اختلال صحتكم نسأل الله لنا ولكم العافية ، وأما أسفنا فهو التأخر وعدم الاتفاق .

والآن فإن البنيان الذي على غير أساس ولا ثقة ما يصلح لديننا ولا شرفنا لا منّا ولا منكم .

وكانت المراجعة بيننا وبينكم في المطلوب لنا ومنا ، وسنكون على أساس يُقرهُ الدين والعرف العصري ، مما يرغم به العدو ، ويسر به الصديق ، فهذا الذي نطلبه وهو مرادنا ، فإن كانت الأمور ما تحصل إلا على الوجوه الثلاثة الآتية :

١ ــ لاتحصل راحة ولا طمأنينة لا لنا ولا للرعايا .

٢ ــ يلقي كل شيطان مارد ثقله له بذلك .

٣ ــ نكون مضحكة للأجانب .

فهـذا أمر أظنكم توافقونا على أن عدمه خير من وجوده ، فإن كان الأخ على ما نعهـده ويظنه المسلمون فيه فنحن نحب ذلك ، ونعاهد الله أن نجري اللازم بالإنصاف من جهتكم ، وعدم الخيانة من جهتنا ، ونبرأ إلى الله أن نتكلم بأمر غير مشروع فليبرهن الأمر وليعطينا الثقة التامة على التفاهم على أســـاسات :

أولها مسألة الحدود والاتفاق على تثبيتها كما كانت في السابق ، إلا أنَّ هناك لزوم لتعديل ضروري عائد للمصلحة بيننا وبينكم .

ثانيهما : إبعاد كل مفسد بطرفكم يحدث مشكلا بيننا وبينكم .

الثالث : مسألة (نجران) نفيدكم أننا ما نحب لهم ولاية ، وليس هناك أمر يقرن بيننا وبينهم لادين ولا طمع ، إنما هي مصالح ومضار بين الرعايا ، ونحن مستعدون أن نتراجع فيما يحفظ مصالحنا ومصالحكم ومصالح رعايانا ورعاياكم بغير زيادة ولا نقصان ، وهذا الذي يراه أخوكم وتستريح به النفوس ، فإنْ أجبتمونا على ذلك فنحن مستعدون للأمر ، فإما أن تبدي اقتراحكم بذلك ، أو نبدي اقتراحنـا .

فإن كان الأمر لا فائدة منه ، وإنما كما ذكر أعلاه فإن المراوغة فيه شيء يأباه الـدين والشـرع ، وكما أن لأنفسنا علينا حقاً ، فإن لشرفكم ومقامكم علينا حقاً أيضاً ، وذلك بأن لا نكتمكم شيئاً ، فإن أجبتمونا إلى ذلك فهو الذي نراه ونحمد الله عليه ، ونسأله تعالى أنْ يوفقنا وإياكم كذلك فإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ونُشْهِـد الله أننا لانحب الاختلاف ، ونُحِبُّ لكم من الصلاح ما نحبه لأنفسنا ، وأرجو من الله إن كان يعلم صدق نيتنا للإسلام والمسلمين فاسأله أن ينصر دينه ويُعْلِي كلمته ، ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه فإن كان يعلم عندنا ضِدَّ ذلك فاسأله أنْ مَنْ كان يقصد الغشّ والخيانة والمراوغة أن ينتقم منه ويخذله ، ويكفي المسلمين شره .

إنَّ أخـاكم قد أكثـر عليكم المقـال ، ولكن الشفقـة ومحبـة الاتفاق حملني

على ذلـك لدفـع المسئولية عني وعنكم ، وجعلها على من تسبب وخالف الأمر المشـروع ، ومصلحـة المسلمين ، وإني أعـاهـد الله أن لا أَتَعَدَّى الخُطَّةَ التي تشيرون عليها وأن أعاملكم بالمعاملة التي تعاملونني بها وإني لا أَبْدَأَكُمْ بشرٍّ إلا أن يكون دفاعاً عن الدين والشرف وأسأله أن يوفقنا وإياكم للخير .

فأجابه الإمام بالبرقية الآتيـة : ١٣٥٢/٣/٢٤ هـ ـ ١٩٣٣ م .

ج : كثير من برقيتكم لم يظهر لنا معناه ، مع تكرار أخذها من (مَيْدِي) ولكننا عرفنـا المـراد على الإِجْمَـال ، والمـراد أنـه لم يكن بيننا وبين حضرتكم عداوة ولا شقاق بل صداقة ومودة ووفاق ، ونعتقد أننا نموت على ذلك إن شاء الله وعسى أن لا يصـل هذا إلى حضـرتكم إلا بعد وصول محررنا بعينه ففيه استكمال كل الأطراف ، بما يجمع بين الغرضين .

فالحدود كما ذكرتم في برقيتكم على ما كانت عليه ، ومسألة (تَنُومة) حَلُّهَا من حضرتكم ، ومسألة الإدريسي قد جعلناه بوجهنا وذمتنا ، أن لانساعده ولا نرضى له بأدنى شقـاق ، وإن كان منه شيء فيدنا مع يدكم عليه ، على أننا لانظن أن يحصـل منه شيء قطعياً ، فلا تصدق من يعظم أمره ، ورجونا من حضرتكم أن تزيدوا في مخصص الإدريسي ألف ريال شهرياً .

وفي مسـألة يام رجوناكم أن تصرفوا النظر عنهم ، فالمراجعة بما فيه الصلاح والفلاح بيننا وبين حضرتكم فهو من لازم الوداد .

ونظن أنه قد اتضح لكم ما لدينا لحضرتكم من الولاء ، وأن كل أمر يخالف ذلك ساقط لدينا ومبذول .

ولم يظهر لنا ما هو يوافقكم فيما كتبناه مع وفدكم الكريم ، ونؤكد ما تقدم منا لحضوركم غير مرة بأنا موالون لكم ، غير مضمرين سوءا ما دمنا على قيد الحياة ، إنما بعض الأمور نرى إهمالها مع كلية الصداقة والوداد .

برقيــة من الإمــام يحيـى

بتــاريخ ١٨/٤/١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣م

ج : لقد سرتنا برقيتكم إذ وافقت ما تنطبق عليه نيتنا فالحمد لله رب العالمين ولا سبيل لأشـرار يسلكون به ما يكدر الصفو ، والمنتظر وصول جوابكم على ما حررناه لكم مع وفدكم الكريم والسـلام .

برقيـة من جلالة الملك إلى جلالة الإمـام

بتاريخ ٢٦/٤/١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣م.

أخي حفـظك الله ـ تلقينـا برقيتكم الأولى والثـانية ، ونحن الحمـد لله بحال الصحة ، وأحطنا علماً بما ذكره الأخ .

أما برقيتنا السابقة فالقصد منها الاستفسار عن كيفية العمل لحلِّ المواد المطلوبة بيننا وبينكم ، وسواء ظهر المقصود لحضرة الأخ مما كتبناه سابقاً أو لم يظهر فإننا نشرح للأخ ماعندنا في المواضع المشار إليها ونفرد لكل موضوع برقية على حدة ليسهل حلها ، ويتوضح المقصود بصورة جلية ، فإذا وصل ذلك فالنظر في الجواب تفصيلا وإجمالا لـه .

أما ما أشار إليه الأخ من المحافظة على الصداقة والولاء وأن نكون مطمئنين الخاطر من ذلك ، وأنه لن يكون بيننا شقاق أو عداوة ، فإنّ هذا متحقق عندنا إن شاء الله ، ودليلنا على ذلك تكرارنا على الأخ بحسم المواد لتثبيت دائم الصداقة ، وتأمين راحة الجميع ولْيكُن الأخ مطمئن الخاطر وليثق بأنه ليس عندنا إلا ما عندكم من المحبة والصداقة ، وهو الذي ندين الله به باطناً وظاهراً وهذا هو الواجب على كل مسلم عربي نرجو الله أن يحقق ذلك ويجمع شمل المسلمين والسلام . .

***

وفي تلك الأثنـاء وقع من قبيلة العبادل السعودية بعض الخلاف نتيجة تحريض الإدريسي ، وتـوجـه أحد رجال الإدريسي (أحمدَ الأهـدل) إلى صنعاء فأبرق جلالته للإمام بالواقع فوصلت منه البرقية الآتيـة :

***

إلى جلالة الملك الأخ عبد العزيز

بتاريخ ١٣٥٢/٥/٣ هـ ـ ١٩٣٣م

ج : بعض البرقيات إجمالا عجالة ؟، أيها الأخ العزيز حفظكم الله كونوا على ثقة تامة من صداقتنا ، ومع ذلك فوالله لاتجدون منا إلا الوفا والصداقة ، وهذا إنما هو إنصاف للحقيقة لحضرتكم ، وإلا نحن نعتقد أنكم لاتخافون منا ولا من غيرنا

بشأن الأهدل وصل إلينا ولم نتفق به منذ وصوله ، وبشأن (العبادل) فإنه قبل عشرة أيام بلغ إلينا نفورهم وخوفهم ، وقد كتبنا لعامل (مَيْدِي) أن يقنعهم بلزوم طاعتكم ، ولا يخدش أفكارهم البسيطة ، ولا تهتموا بأيٍّ أمْر لنا فيه أدنى اطلاع ، ولا تحسبونا إلا كأحد إخوانكم ، واحفظوا هذا عنا دائماً مطلقاً ، وكَذِّبُوا ما يخالف ذلك ، ولسنا دجالة إلى أن نكتب لكم بالكذب الحرام ، وكل الأمور إن شاء الله كما تحبون ، وسنوضح لكم إن شاء الله والسلامِ .

برقية من الإمام لجلالة الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٥/١٠هـ / ١٩٣٣م

ما أفدتم به من أمر يام فهو اللازم لضبط الحدود من الطرفين لمنع كل ما عساه يحدث من الشقاق بين الحدود ، مع انضباط أمور (يام) إن شاء الله لابد تجري الأمور كما تحبون ، وإن مقدمات قصدنا رفع كل شر بين المسلمين عموماً وخصوصاً فيما يتعلق بنا وبحضوركم والسلام عليكم .

وصول الوفد إلى جازان :

وصل الوفد السعودي عائداً إلى جازان يوم الأحد الموافق ١٣٥٢/٤/١٤ هـ / ١٩٣٣ م ورفع برقية بوصوله لجلالته ، ثم رفع بعد ذلك خلاصة كتاب الإمام يحيى وبعد أيام توجه إلى الرياض بالسيارات عن طريق الحجاز ، فإنه في ذلك التاريخ لم يكن للسيارات طريق إلى عسير فضلا عن نجد ، وبطبيعة الحال إن قطع الطريق من جازان إلى مكة عن طريق غير ممهدة ولا مسفلتة يستغرق أياماً وكذا من مكة إلى نجد .

وبوصولهم إلى الرياض وبعد مقابلة جلالة الملك سلموه كتاب الإمام يحيى ورفعوا التقرير المسهب عن مهمتهم في صنعاء والذي نورد منه ما يأتي :

(يتضح لجلالتكم من مطالعة هذه الأوراق مادار بيننا وبين الإمام يحيى من جهة ، وبيننا وبين مندوبيه من جهة أخرى ، وما بذلناه من الجهد والصبر والأناة ، لأجل الوصول إلى الاتفاق الصريح معهم ، ليكون من ورائه الصلح والسلام ، وعز العرب والمسلمين ، وقد عملنا بكل ما فينا من قوة لبيان غايتنا السلمية ورغبتنا الخالصة ، في الاتفاق وإظهارها بارزة ملموسة ، ونظن أننا قد وفقنا إلى أبعد مدى من كلامنا وحركاتنا وتصرفاتنا في التعبير عن نبل مقاصدنا وإثبات شريف مرامنا ، كما أننا وفِّقْنا بحسب اعتقادنا إلى الوقوف على غاياتهم الخفية وأغراضهم المستورة ، ومطامحهم البعيدة الْمَرْمَى ، وخططهم وأساليبهم المتخذة نحونا في معاملاتهم وذلك بالرغم من مراوغتهم ، وتطلباتهم والتزامهم جانب الغموض في المباحثات والمذاكـــرات .

إننا نقول بملء الأسف إن جميع مجهوداتنا في الوصول إلى هذا الغرض النبيل قد ضاعت سدى ، فكنا كمن حاوَرَ عَجْمَاء ، أو نادى صَخْرَةً صَمَّاء ، ومع شديد أسفنا من عدم وصولنا إلى ما نتمناه ، ومن إخفاق مساعينا السلمية فإنَّنَا نعلن رضا ضمائرنا من شيء واحد وهو أننا وُفِّقنا إلى إزالة تلك الحالة المهيمنة بيننا وبين الإمام يحيى ، وأزلنا قناع الرِّيب والنفاق بصورة لاتترك مجالا للشك فيما يَنْصِب لبلادنا من أحابيل ، ويدسُّ عليها من دسائس ، ولحكومتنا بعد الوقوف على الحقائق أنْ تختطَّ منهجاً ثابتاً تسير عليه في المستقبل لأجْل صيانة منافعها وحفظ أملاكها إلى أن تبدل ذهنية القابضين على زمام الأمر في اليمن ، وتأتي طوارق الحدثان بما يجبرهم على مصالحتنا ومسالمتنا ، ومعرفة أن هناك أمة عربية تتطلع إلينا وإليهم وتطلب منا ومنهم الاتفاق والاتحاد على ما فيه العز للعرب والإســـلام .

لقـد رأينـا الإمام يحيى غير صافي النية من جهة جلالتكم ، بصـورة غير

مأمولة من ملك عربي مسلم ، نحو بلاد عربية إسلامية مجاورة له ، في فترة تاريخية عصيبة يرى فيها كل عاقل لزوم تساند العرب والمسلمين ، وتعاقدهم ، وقد أدهشنا وأيمُ الله هذا الشعور العدائي الذي لم نكن نتوقعه من مسلم عربي . وقد عجزنا من تعليل أسباب ذلك العداء الكامن بالرغم أنه من الممكن حمله على محمل العقيدة الزيديّة من جهة ، والطموح أو الحسد الشخصي لجلالتكم من جهة أخرى .

إن الإمـام يحيى يكرهنا ويخافنا ، ولكنه يحترز من محاربتنا ومجابهتنا وجهاً لوجه ، وخطته التي يسير عليها تتلخص في أن يعمل على إفساد القبائل والأهالي التابعين لنا ، ويستعمل من أجل الغرض وسائل عديدة ، منها بعض اللاجئين إليه من رعـايانـا ، ومنها دعاة المذهب الزيديّ الذين لهم صلات مع أشخاص في بلادنا ، ثم إذا اعتقد أنَّ الفرصة سانحة أجْهَزَ على قطعة من أملاكنا بالحرب أو بالدس أو بالتظاهر بتحكيم جلالتكم ، كما حصل في مسألة (الْعُرّ) والمماطلة والمراوغة والتسويف من الوسائل الفعالة التي يلجأ إليها ، غير أن غايته القصوى مرتكزة على الانتظار ، وفرصة الفتن الداخلية أو الاشتباك مع أحد الدول للوصول إلى ما يتمناه من أغراض لاحققها الله .

برقيـة من الإمـام يحيى إلى جلالة الملـك

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٠ هـ ـ ١٩٣٣ م

بلغ إلينا تحشيد الجنود إلى الحدود ، ولم نعرف سبباً لذلك ، فلم يكن منا غير المحـافظة على الصداقة كما أوضحنا لحضرتكم مكرراً ، وكلما بلغ إليكم مما يخـالف ذلك مَحْض افتراء ، فاحذر ألا تُخْدَع لمن يريد طمس الإسلام وهلاك الجميع ، فلا خير في الشقاق لنا ولا لكم ، والغالب نحن وأنتم خاسر والسـلام .

برقيـة جوابية من الملك إلى الإمـام

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢١ هـ / ١٩٣٣م

لقـد تلقينـا برقية الأخ بتـاريخ ٥٢/٧/٢٠هـ ولمـا بلغ الأخ تحشيد بعض

الجنـود ، فهـذا صحيح ، وقـد أخبرتكم بذلك في برقيتنا المتقدمة وأنَّ حشدها للمحافظة على السكينة ، وتطمين الرعايا ليستريح مبتغي العافية ، ويقمع فساد صاحب الفساد ومبتغيه ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فلانكتم الأخ أنه حدثت أمور تدعو للريبة في الموقف رأينا الواجب يقضي بالاستعداد وهي :

أولا : وصل وفدنا وبلغنا ما كان بينه وبين مندوب سيادتكم ، وأيضاً أن ذلك الكتاب الذي يحمله الوفد إلينا منكم مِمّا دَلَّ لنا أن هناك تبدل في خطتكم .

ثانياً : لقد انتشر في كثير من الصحف ما بعثتموه لبعض الناس عن مطالبتكم في بلداننا من المقاطعة ، وعسير ، ثم مافعلتموه في نجران وألحقتم بذلك مسألة الحجاج التي تعلمون براءتنا منها ولا حجة علينا فيها .

ثالثـاً : اطلعنـا على ما نشرته جريدة « الإيمان » الصادرة في جمادى الأولى المعبرة عن خطتكم وما عزمتم عليه .

مجموع هذه المعلومات جعلتنا نعتقد أنَّ هناك تغييراً في موقف الأخ نحونا مما دعانا لاتخاذ الاستعدادات للطوارىء ، وإرسال بعض الجند الذي بلغكم خبره ، وكنا عازمين على إرسال مذكرة للأخ نُبَيِّن له فيها حقيقة الموقف ، ونرجوه فيها إنهاء أسباب الخلاف الذي يعود ضرره على الطرفين ، ويطمئن الرعايا ويكبح الأعداء ، وقد أخرنا كتابنا انتظار ما نؤمله من الأخ من الإنصاف ، ورعايته لوحدة الإسلام والمسلمين ، أما نحن فليس لدينا غير ماسبق أن أخبرناكم به وهو :

أولا : الاعتراف بالحدود وتثبيتها بمعاهـدة .

ثانياً : إعادة الأدارســة .

ثالثاً : مســألة نجـران .

فإن كان سيادة الأخ على ما نعهـده فيه من رغبـة في الاتفـاق فنـرجـو أن يصـرح لنـا برأيه بوضـوح في المسـائـل الثـلاث المتقـدمـة ، ومن ثم الاتفـاق

على ذلك برقياً بيننا وبين حضرتكم بصورة واضحة ، وإن أمكن عقد اجتماع في المكان الذي نتفق عليه لوضع المعاهدة بصورة نهائية ، ولكنا نرجوكم أمرين .

الأول : تعجيل البت في المواد الثلاث .

والثاني : بيان الخطة بوضوح تام بدون غموض ، هذا ما نرجو الإجابة عليه سريعاً .

ونحب أن يتأكد الأخ أنه ليس لنا مقصد ، أو مطمع فيما تحت يده ولا نبغي إلا السلم والعافية ، وحسن الجوار ، والصداقة بيننا وبينكم ، بل الذي يجبرنا على الدفاع ليس لنا عنه محيد ، وأسأل الله أن يوفقنا واياكم لما فيه الخير والصلاح للإسلام والمسلمين .

برقية جوابية من الإمام للملك عبد العزيز

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٦ هـ ـ ١٩٣٣ م

وصلت برقيتكم ، وسرنا وصولها وبحول الله لا يكون بيننا إلا ما يكبت الأعداء وهل ترون حسن إرسال الوفد من لدينا إلى حضرتكم لإزالة سوء التفاهم ورفع الاشتباه ، وإيضاح الحقائق ، وتقرير ما ينبغي وهل هذا كاف لحفظ السلام فأفيدونا برأيكم والسلام عليكم .

جواب من الملك عبد العزيز إلى الإمام

برقياً بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٧ هـ ـ ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ تاريخ ٢٦-٥٢/٧/٢٧ وشكرنا له إيضاحاته الثمينة وعلى الأخص بالأمر الذي يكبت الأعداء ويزيل سوء التفاهم ، ونرجو من الله أن يمن علينا وعليكم بالهداية ويجعلنا وإياكم ممن يطابق قوله عمله .

بعلم الأخ حفظه الله أننا لانريد غير حسم المشكل ، وإزالة سوء التفاهم وهذا إن شاء الله مبدأنا ومنتهانا .

أما اقتراح الأخ إرسال وفد إلينا فنحن نلبي كل طلب يراد به إظهار الحقيقة ويحصل منه راحة الإسلام والمسلمين .

ولكن الأخ يعلم أنه لنا عدة سنوات ، ونحن نتبادل إرسال الرسل لحل المشاكل ولم تُغْنِ الوفود شيئاً ، وتعلمون أن المسألة متعلقة بشخصكم وشخصنا ولا يمكن أنْ تُحلَّ عاجلا أو آجلا إلا بما نتفق عليه بيننا بأشخاصنا إن شاء الله ، وتطويل الأمر ليس منه فائدة بل بالعكس ، فإن التطويل يزيد في تعقيد الأمور ، ويزيد في المشاكل ، والذي نقترحه ونراه الأصلح ، ولا نَرَى سبيلا لحل المشكل بدونه ، هو البت في الثلاث المواد التي عرفناكم بها من قبل والتي أوجزناها في برقيتنا السابقة بصورة واضحة ، إما نَفْي أو إثبات .

ولا يمكن أن تستقيم الأمور إلا بالله ثم بحزم المسألة وإيضاحها بصورة صريحة ، وإن عدم الاتفاق عليها هو الذي يوجب على الأخ تلافي العاجل والآجل ، فإذا وافق الأخ على ذلك وأعطانا عليه الجواب الذي نثق بالله ثم به ، فتقديم الوفد منا أو منكم سهل لتسوية الأحوال في أي مكان .

برقية جوابية من الإمام

بتاريخ ٢ شعبان ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

وصلت برقيتكم الكريمة ، واعلموا عافاكم الله ماعندنا غير ماذكرنا إليكم من الصداقة ، وأنه لم يحدث منا ما يوجب الكلام فضلا عن تصادم الأقوام وإنًّا نعلم أن عندكم ما عندنا من محبة السلام ، لولا مايلقى إليكم من سماسرة أعداء الإسلام ، من الكذب والافتراء والتشويش ، وهانحن نسألكم بالله أن تصونوا مابقي من الحشاشة العربية ، وأن تتخذونا أخاً صادقاً ليس له غير ما يظهره ويؤكده من الصداقة ، وكنا نظن أن سفر الوفد من لدنا سيوافقكم لاستشهاره بين الأمم ، ولما سيكون منهم من رفع كل اشتباه ، وتأكيد الصداقة والوداد ، ومرحباً سنوضح لكم أمر الثلاث المواد برقياً كل مادة في برقية ، ونسأل الله أن يجعلنا من المجابين فيه على كل حال ، وعلى كل حال فلا تجدون منا غير حسن الإخاء والسلام .

جـواب الملك البـرقي

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٦ هـ ـ ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ في ٢ شعبان ١٣٥٢ هـ وأحطنا علماً بما ذكرتم من صداقتكم وأنه لايحدث من سيادتكم ما يوجب رفع الكلام فضلا عن تصادم الأقـوام إلى آخر ما ذكرتموه من الألفاظ الثمينة التي نشكركم عليها .

ولقد سألتمونا بالله عن تدخل سماسرة أعداء الإسلام وتدخلهم معنا فنبرأ إلى الله من ذلك ، ولا ولله الحمد ما أعلم في حياتي أنَّ للأجنبيِّ تأثيراً عليَّ في أيِّ أمْـر كان أو يكـون بيني وبين أحـد من العـرب ، ولم يعاونني أحد منهم ، ولم يحرضني على ذلك منهم أحد ، لأنهم يعلمون والحمد لله حقيقة ماعندي .

وكمـا سألتمـوني بالله أسـألكم به سبحانه وتعالى أن تدققوا النظر في الأمر ، وتنهـون الرأي فيما يصلح الله به حال المسلمين ويحقن الدماء ونسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم متبعين ما قاله تعالى : ﴿ **فإنْ تنازعْتُمْ في شَيءٍ فردوه إلى الله والرَّسول** ﴾ .

أمـا الحرب والسلم فمرجعه اليوم منكم وإليكم ، ومطالبنا التي أخبرناكم بها والتي أجبتونا ببرقيتكم الأخيرة أنكم ستجيبون عليها لابد منها .

وليس لنـا شيء من المقـاصـد غير الـدفـاع عن المطالب التي ذكرناها لكم ولا يمكننا السكوت عليها .

فإن كنتم تعلمـون أننـا اعتـدينـا على شيء من أرضكم ، أو نكثنـا لكم عَهْـداً ، أو حاربنـا لكم صَدِيْقـاً بينكم وبينـه عَهْـدٌ أخبـرتمـونـا به والتـزمنـا لكم به ، إذا كنتم تعلمـون أنَّنـا فعلنـا شيئاً من ذلك مستعدون لكم بما يقضي برد العـدوان والـوفـاء بالعهـد ، فإن كنتم تعلمـون أننا لم نعمل أي عمل مُنَافٍ لمـا ذكـرنـا بيننـا وبينكم فلا نطلب منكم غير الإنصـاف والـوفاء بالعهد ، ومنع العدوان على أي أمر لم يكن لكم منه مدخل من قبل ومن بعد ، ولهذا نسألكم

بالله ثم بالإسلام ثم بدين محمد أن تنظروا في الأمر قبل حدوث مالا تُحْمد عقباه وينافي الشريعة والعقل .

برقيــة من الإمـام يحيى إلى الملك
بتاريخ ١٣٥٢/٨/٥ هـ / ١٩٣٣ م

تابع لشفرتنا في ٥٢/٨/٢ وما أشرتم إليه من أجل نجران ويام تذكروا ما كانت به المراجعة بيننا وبينكم من قبل الحركة عليهم ، وما أفدتم به علينا مكرراً ومع هذا فسندع الحكم لنا على حضرتكم وإلى فهامتكم أنتم أنفسكم ، وليس لنا غرض هنـالـك يُغَيِّرنـا معكم ، لأنَّ الأخ لاينسى سعينـا في إرجـاع الهـاربين من أهل المخلاف السليماني إلى بلادهم بعد فرارهم ، حتى أمرنا من لم يرجع بعد تأمينكم أرجعناه جبراً والسلام عليكـــم .

برقيـة جوابيـة من الملك للإمام يحيى
بتاريخ ١٣٥٢/٨/٨ هـ / ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٨/٥ التي يذكر فيها الأخ من جهة (نجران) و (يام) وأن المـراجعـة كانت بيننـا وبينكم من قبـل الحركة عليه ، وإفادتنا لكم مكررة ، وتطلبون الحكم منا علينا بأنفسنا ، وأن ليس لحضرتكم غرض هناك بغيرنا وتُذكِّروننا بمسألة الهاربين من أهل المخلاف السليماني وإرجاعهم إلى آخر ما ذكرتموه .

أخي ما نحب التطويل في مثل هذه المراجعة ، ولكن الظروف تحملنا على ذلك لأمرين .

أولا : الصراحة التي عودنا ربُّنا إياها مع جميع الخلق .
الثانى : مجانبة الهوى والاقتصار إلا على ماليس عنه محيص .

أما احتجاجكم علينا ببرقيتنا قبل الحركة فلم يخطر لنا على بال أن يكون بين الأخ وأخيه ، أو الصديق وصديقه أمر غامض لهذا الحـد .

كما أنه لم يخطر ببالنا أن يدخل فكركم أن تتصوروا بأخيكم الغباوة إلى هذا الحــد .

ولقد حدث حينما وردتنا برقيتكم بشأنها وأن رأى أحد رجالنا أن وراء الأمر بعض المحاذير ولكن وثوقنا بالله ثم بكم وتباعد الأسباب التي توجب الأمر الغامض بيننا وبينكم أنكرنا ذلك ، وأجبناكم بما عندنا جواباً على سؤالكم أن ليس لنا مداخلة مع (يام) سوى أهل (نجران) ، وأفَدْناكم بما يلزم تطْميناً لخاطركم ولإيضاح أمرين :

الأول : أن (يام) ليس لنا تداخل فيهم ، إلا في أهل (نجران) .

الثاني : تعلمون مداخلتنا مع أهل نجران وأهله من قديم ، ولم يكن شَيْئاً حديثاً ، وأنَّ ذلك لمصلحتنا ومصلحتكم ، ولم يكن لنا غرض من الأغراض الأخرى . وطلبتم ببرقية أخرى توضح لكم الأمر فبينا لكم أنه لايمكن أن نخالف ما كان بيننا وبينكم بالسابق ، مما قد كان تَمَّ بين تركي بن ماضي وابن دُلَيْم ، وبين مندوبيكم في صنعاء مما ظَلَّ العمل عليه إلى التاريخ الأخير .

هذا هو الواقع ولا نعلم سبباً يقضي بنقض ما بيننا وبينكم ، كما أننا لانعرف السبب الذي حملكم على أن تفعلوا بأهل نجران ما فعلتم .

فلما أرسل إلينا أهل نجران الكتب التي وصلتهم من حاشيتكم ظهر لنا أن الأمر قد تَغَيَّر ، وأنَّ الخُطَّة قد تبدَّلتْ ، ولكن رغبة منا بالسلم ومحبة للراحة عجلنا بإرسال مندوبين إليكم لحل المشكلة ، وحصل على المندوبين ما حصل ولم ينظر فى هذا الأمر معهم ، فثبت عندنا أن هذه المشكلة العظيمة (كلام غير مفهوم فى الأصل) والطريقة الثانية التي نرجو الله أن لا يقدرها .

ولما تفاقم الأمر ، وتواردت إلينا الكتب المرسلة من حاشيتكم لأهل (نجران) تبين أنه لم يكن الغرض من ذلك الاعتداء عليهم ، إلا لتقريبهم منا والتجائهم إلينا فكررنا الأمر عليكم ، ودفعنا الأمور بصبر جديد ، إلى أن يحل أوان هذه المراجعة .

أما التحكيم فلا ظَهَرَ لنا المقصود منه ، فإن كنتم تأمروننا أن نحكم لكم فهذا شيء غريب ، وإن كان هذا الفهم غلطاً ، وأنَّ الأمر على الحقيقة التي نظنها فيكم فإننا نشرح ما عندنا ، وهو آخر ما عندنا في قضية (نجران) فإن قبل حصل به المطلوب ، وإن رفض فليس وراء رفضه غير فرْحة الأعداء والنكاية بين المسلمين .

والذي نراه أن يكون (نجران) بحدوده ، بلاد محايدة بيننا وبينكم لانملكها ولا تملكونها ، وأن لانتدخل في شؤونهم الداخلية ، ويظلون كما كانوا عليه في السابق من زمن آبائنا وأجدادنا وزماننا وزمانكم ، وأن تكون المعاملة حسنة بيننا وبينهم ومنا ومنكم .

فإن حدث من أهل نجران علينا أو عليكم أمرٌ مخالف يوجب تأديبهم نتراجع نحن وأنتم ، ندعوهم إلى السلم والعافية ، فإن قبلوا فالحمد لله ، وإن لم يقبلوا واقتضى تأديبهم فنشترك وإياكم في القول والعمل حتى يَفيئوا للحسنى ويتركوا العمل الخبيث ، هذا الذي يحفظ به الشرف وتحصل الراحة وتزول المشاكل ، ويحفظ شرفنا وعارنا من جهتهم .

أما استشهادكم بأهل « المخلاف السليماني » وارجاعكم إياهم . أخي عافاكم الله نبين للأخ بغير عَيْبٍ بيان الأخ لأخيه ، ونقول ما أبعد هذا من هذا ، فأهل المخلاف السليماني ، لم ترجعوهم إلا بموجب العهد الذي بيننا وبينكم ويااليت الوفاء بالعهد شمل من سواهم لتتم الراحة والسكون للجميع ، وزيادة على ذلك فقد طلبتم منا عفواً عاماً فعفونا عنهم ، وتركنا مايلزمنا شرعاً وعقلا من حقوق الحكومة التي نهبوها وأموال الرعايا مثل باصهي وغيره التي سرقوها تلك الأعمال التي تسخط الله وعبيده الصالحين فتحملنا ذلك كله من أجل حضرتكم ، هذا الذي عند أخيكم بَيَّنَهُ لكم ، فنرجو إمَّا قبول صريح وهو ظننا بالله ثم بكم ، وإما نفي صريح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأرجو أن تعجلوا بحسم المواد الثلاث لأن ليس من التأخير فائدة ، وأن في تعجيلها دفعاً لمكايد الأعداء وراحة المسلمين عامة ، ومنعاً للتشويش بين الرعايا ونسأل الله التوفيق .

برقيـة من الإمـام يحيى إلى الملك عبد العـزيز

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٩ هـ ـ ١٩٣٣ م

تابع لبرقيتنا ٩ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ بشأن الإدريسي تفضلوا وضحوا لنا ماهو غاية المراد منه ، ولكم علينا الالتزام به ، وعليكم عطف النظر إليه ، فقد بلغوا من الحاجة إلى غاية السَّفَالة ، ولهم عليكم حقوق ليس لهم علينا منها شيء ، ولا تظنُّـوا إلا خيراً ، فليس لنـا من سياسة غير الصدق ، ولا تخزوني في ضيفي ، عافـاكم الله ، وفيمـا كتبنـا لكم من البرقيات الكفايــة ، فكل ما فيها هو الذي لا نتزحزح عنه والسـلام .

جـواب الملك عبـد العزيز إلى الإمـام

بتاريخ ١٣٥٢/٨/١٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

تلقينا برقيتكم المؤرخة ٥٢/٨/٩ بشأن مسألة الإدريسي فقد أوضحت أمرين ، سألتمونا غاية مرادنا من الإدريسي وأنكم ملتزمون به ، والثاني أنه له حق وأنه في غاية الضنك .

نبين للأخ أنه ليس للإدريسي علينا أيُّ حق سابق ، فعلنا الجميل معه ، وقابلنا من الخيانة والغدر بالذي لايخفاكم ، وإن ما أجريناه معه من الجميل لم يكن إلا لأمرين .

الأول : مراعـاة لخاطركـــــم .

الثاني : محبة للسلم والعافية للجميع .

أما المراد من الإدريسي فهو نفي الأذى ، ودفع الدسائس التي لاتخفى عليكم ظاهراً وباطناً ، فإن كنتم تريدون الأمر الحاسم في مسألة الإدريسي فليس لها إلا أحد أمرين : إما أن يقدم علينا ونعطيهم أمان الله ، ونتعهد لهم برد أملاكهم مع مساعدتنا لهم ، وإما أن ترفعوه إلى صنعا ، فإذَا تَمَّ الاتفاق بيننا وبينكم على المواد الباقية فبحول الله وقوته ما نَدَعُ عليهم قاصِراً فيما يصلح أمرهم والله يحفظكم .

برقية من الإمام للملك عبد العزيز

بتاريخ ١٣/٨/١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

وصلت البرقيتان من الأخ العزيز بتاريخ ٥ و٨/٨/٥٢ والأهم المقدم أن يتفضل الأخ بمنع أجْناده عن تجاوز محطاتهم التي هم فيها ، قبل أن يحدث مايصعب علينا وعليكم تلافيه ، ويخرج الأمر من أيدينا وأيديكم ، بالدخول في ميدان الكفاح ودور امتشاق الصِّفَاح ، ولكم علينا عهد الله وميثاقه أن لايكون منا عدوان ولا تجاوز ، وليعلم الأخ العزيز أنَّ الأمر عظيم فوق مايتصور الخيال منا ومنكم .

ولا محذور من التأني ، بل محذور من الاستعجال ، فالأناةُ من الرحمن ، والعجلة من الشيطان ، وليعلم الأخ أنَّا لانريد شيئاً من الشقاق بيننا وبينكم .

وإنَّ المكاتبات إلينا الآن من الحجاز وعسير وتهامة للاشتراك ضدكم ، ولا نريد ذلك ولا نرضاه ، ونشهد الله عليكم .

واعلموا أنَّ ثَمَّةَ من يتربص بالجميع الدوائر ، ليبلغ من الطرفين مراده الخبيث ، وتفضلوا أكِّدُوا على أمير جيزان ليترك التجاوز والتهديد لأهل المخلاف ، فإنهم فى غاية من الخوف ، وهم على وشك النفور .

ولم نَرَ أحْسَنَ مما أشرنا به إليكم من بعثنا وفْداً معتمداً إلى حضرتكم العالية كما عرفناكم ، ولنقطع آمال وكلام الأشرار ، الذي لا اهتمام لهم إلا بالتحريض لإضرام النار ، وأنَّ العوام يقولون : (ما على شر عجل) وصدقوا ، وتفضلوا بالمراجعة مع ذوي الديانة والبصيرة من خيار أصحابكم الذي لا غرض لهم ولا عوض .

ونحن محافظون على صَداقتنا وأُخُوَّتنا ، ونشهد الله علينا ، وعجلوا إفادتنا في هذا تَفَضُّلا وإحساناً ، بما ترونه ، وتفضلوا باعتبار هذا الكتاب من أخ نصوح صدوق ، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى ما به عز الإسلام والمسلمين وأن يأخذ بنواصينا إلى ما يحبه ويرضاه ، ونستعين به ونستجيره ، من الدخول في حرب مظلمة الأنحاء ، منقطعة الرجاء ، إنما جعل بعض هذا

مفتـوحاً لما يكون في التَّشفير من الغلط العظيم المخل بالمعنى ودمتم وشريف السلام عليكم .

برقيـة من الملك عبـد العزيز إلى الإمام يحيى

بتاريخ ١٣٥٢/٨/١٥ هـ ـ ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/٨/١٣ التي تشير فيها إلى برقيتنا ٥و٥٢/٨/٨ وقد رأينا أنكم أهملتم الجواب الحاسم على الأمور الثلاثة التي هي مثار النزاع ، وبالأخص تصفية الحدود ، التي لم نَحْظَ منكم على جواب بشأنها ، مع المراجعة فيها مضى عليها مدة طويلة ، وإنَّ ما أشار إليه الأخ في طلب منع رؤساء الأجناد من تجـاوز محطاتهم فإن رؤساء أجنادنا لم يتعدوا شيئاً مما ذكر ، ولم يتجاوزوا محطاتهم البعيدة حتى عن أطراف حدودنـا .

وأما الأقوال والأكاذيب فهي ترد لنا من أقوال بعض عمالكم ، كما ترد إليكم وأما ما أشرتم إليه من تطور الحالة ووصفكم لخطورتها فلاشك عندنا في خطورتهـا .

ونحن لَمْ نُلحَّ عليكم من أشهر إلا لاعتقادنا بما ينتج عن التطويل من الأضرار العاجلة والآجلــة .

إنَّ حسم الأمور ، ودفع الشر هو بيد الله ثم بيد الأخ لابيدنا ، وقد أوضحنا لكم مطالبنا بصراحة لامزيد عليها ، وعملنا للسلم عدة سنوات ، وبعثنا الوفد وصبرنا كثيراً ، ولم نَرَ من الأخ أمـراً حسَّاساً يحسم الشر ، وكنا نرجو أن يصلنا الجواب الحـاسم بعد ما فصلناه لكم من الرجاء ، ولكننا لانزال كما بدأنا ، نحن لانكره مجيء الوفد ولكنا أخبرناكم أنَّ الوفد عجز عن حل المشكل بيننا وبينكم ، وما هناك أمور يتكلم فيها الوفـد :

هنــا ثلاث مواد عرضنـاهـا على سيادتكم مِراراً ونكـررهـا الآن هي تحـديد الحـدود بيننـا وبينكم بصـورة قطعية ، وتكتب بعهـد مَكْتُـوب ، نجران تنـازلنا في أمـره وقلنـا يكون قطعة محايدة بيننا وبينكم ، كما أشرنا في برقيتنا المؤرخة

٨ شعبان ١٣٥٢ ، [٣] طلبنا إعادة الأدارسة طبق المعاهدة التي بيننا وبينكم وأفدناكم إن كان ذلك صعباً فتكون إقامتهم في صنعا تساهلا منا ومحبة في الراحة ، فهذه المطالب الثلاثة لانريد غيرها .

والسلم والحرب متوقف على كلمة تقولونها ، إمَّا : (نَعَمْ) وإمَّا : (لا) .

وهذايوضح الموقف ويحل المشكل ، وأما ما أشار إليه الأخ من كثرة المكاتبة التي وردت من عسير وتهامة والحجاز ، فإن مثل هذه المكاتبات لانعيرها اهتماماً ، لأنَّ لدينا مثل ذلك الكثير من سائر أنحاء بلادكم ، وإننا متكلون على الله مَنْ وفَى معنا ، وفَيْنَا معه ، ومن غَدَرَ بِنا فالله هو الذي عودنا الجميل بنصره على كل من غدر .

وأما ما ذكرتم بشأنِ من يتربصون بنا وبكم الدوائر ، فقد سبق أن حذرناكم منهم لذلك سعينا كثيراً لحلِّ المشكل ، ونحنِ الآن نطلب من الأخ جوابه الصريح في حلِّ هذا الإشكال ، ولقد استغربنا كثيراً لغموض جواب الأخ في البت أمام هذه الحالة الواضحة ، والمبينة الخطورة ونخشى بل يترجح لنا أن تكون الخطة التي يسير عليها الأخ طبقاً لما ذكره بعض رجالكم ، أمثال العرشي والعمري وغيرهم إذْ ذكروا أنه من خطة سيادتكم المطاولة معنا حتى إذا رأيتمونا اشتددنا في الأمور وحشدنا قواتنا إلى الحدود للدفاع عن كيان بلادنا تساهلتم في الأمر ، ولِنْتُمْ في القول حتى تفتر همة جنودنا ونعيدهم ، وحينئذ تجدون الفرصة سانحة لكم لتقوموا وتأخذوا ما تريدون .

وإني أحب أنْ أعِيذَ الأخ بالله من مثل هذا الظن الذي إن كنتم تحبون السير عليه والأخْذَ به ، فليس من وراء ذلك غير تعقيد الأمور ، ووقوع المحذور ، وشماتة الأعداء بنا وبكم .

وأما ما ذكرتم وهو من قبل لزوم مشاورتنا أهل الديانة وذوي العقول نفيدكم أن جميع رعايانا وأهل أطرافنا لايحبون الفتن ولا يوقظونها ، وإنما

يحبـون السلم والـراحة ، ولكن في حالة الذَّبِّ عن الشرف لا يؤخرون أنفسهم وأموالهم دقيقة واحدة ، ولا يقبلون عن ذلك بديلا .

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الصلاح ، ونستجير به من الدخول بغضبه والحقيقة أنه كما قال ﷺ : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » .

فيا أخي الحرب واستحكامه ، والسلم واستقراره ، هو كما أخبرناكم بيد الله ثم بيدكم ، ونشهد الله وجميع خلقه أنًا لانحب الحرب ، ولا الفتنة ، وأننا مدافعون عن بلادنا ، وما تحملناه في أعناقنا من حوزة المسلمين .

برقيـة من الإمام يحيى إلى الملك

بتاريخ ١٩/٨/١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ العزيز المؤرخة ١١/٨/٥٢ و (نَعَمْ) لانريد إلا حسم الأمر بيننا وبين حضرتكم ، بأحسن الوجوه وأجملها ، من دون تحكم من الطرفين ، ولا بأس بما رأيتموه في مسألة الأدارسة من انتقالهم إلى صنعا غير أن أهل تهامة يتعبهم بَرْدُ الجبال ، وبَرْدُ صنعاء شديد جدًّا ، فإن ناسب لحضرتكم انتقالهم إلى زبيد ، فالمسافة إلى صنعا وزبيد متقاربة ، وسيكون الأمر منًّا عليهم ، وعدم التدقيق وعدم نسبته لشيء ؟ .

والمرجو منكم حسن النظر فيما يجبر حالهم ، ويقوم بهم ، ومنع التعرض على أملاكهم ومن يقوم بها ، ففي ذلك فضل ورعاية ، وحسن سمعة ومودة للعموم ، ولا تلتفتوا إلى كلام من يقول : إن لنا غرضا يخالف ما نكتبه لحضرتكم والسلام عليكـــم .

جـواب الملك إلى الإمـــــام

بتاريخ ٢٠/٨/١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٩/٨/٥٢ باحترام ، وأجمل ما رأيناه فيها منذ كانت المراجعة بيننا وبينكم الكلمة العزيزة التي تقولون فيها : إنكم لاتريدون إلا حسم الأمور بيننا وبينكم بأحسن الوجوه ، وهذا الذي نؤمله فيكم في السابق واللاحق .

ذكرتم أنكم توافقون على انتقال الأدارسة إلى صنعاء ، ولكن نظراً لحالة البرد ترجحون انتقالهم إلى زَبِيد ، وتحثّونا على العطف عليهم .

أخي عافاكم الله : إنَّ إلحاحنا عليكم بشأن الأدارسة ليس اهتماماً ولا مخافة منهم إن شاء الله ، وإنَّما القصد إبعاد سُوْء التفاهم بيننا وبينكم ، وإنَّنا نوافق على انتقالهم لـ (زبيد) وثقتنا بالله ثم بكم سواء بشأنهم أو بشأن غيرهم وثيقة قوية ولا نقصر عنهم ، ولكن أخي كما قيل : (بالْفَخّ أكْبَر مِنَ الْعُصْفُور) .

هناك المادَّتَان اللتان راجعناكم بها ، أهم ما يكون ، وهما اللتان تنحسم المواد بحسمها ، وهما في الضرورة مادة ومعنى ، ولا حاجة لأن نشرح لحضرتكم أكثر مما سبق وشرحنا ، إنَّ بِحَسْمِهما يرجا إن شاء الله الصلاح في العاجل والآجل وفي تأخير حسمهما الذي نحاذر وتحاذرون .

أخي : سبق أن أشرت لكم ببعض ما يجول بصدري ، أؤكد ذلك لكم الآن - اعْلَمْ والله الذي لاربَّ سواه أنني أحبُّ أن أفدي بالمال وبعض العيال لكي لا يكون بيننا وبينكم أي سوء تفاهم بالكلام فضلا عن التعرض للحسام ، وأنني لاأريد زيادة في الملك ، ولا تَطَوُّر في شيء من الأحوال ، الأمر الذي يجب لنا عليه هو حماية الدين والأمانة التي في رقابنا ، ولا يمكننا التأخر عن ذلك ما دمنا نجد إلى ذلك سبيلا ، فأرجوكم ثم أرجوكم النظر في إتمام حسم المادتين لأنَّ الجرح معهما كبير فإن بُوْشِر بالدواء يرجى له السلامة ، وإن كبر الجرح وأهْمِلَ دواؤهُ كان منه الفساد الكبير ، الذي يؤدي إلى الهلاك ، وأحب أن أقول أن الحالة تحتوي على ثلاثة أمور :

أولا : التقـارب بيننا وبينكم .

والثاني : نظراً لحالة الإسلام والعرب وموقفهم في الحال الحاضر .

والثالث : وهو أكبر كل ذلك : المحاذير من أن يجري الماء في غير مجراه مما نخافه ونحذره .

وأنتم أعلم به منـا فهـذا الـذي في ضمير أخيكم ، الـذي يشهـد الله عليه

فإذا وفقكم في نظريتكم البعيدة ، وتأكدتم نتائج الأمور تفادون في ذلك أعظم مما نتفادى واعلموا هداكم الله التي قالها الشاعر العربي :

تُهْدَى الأُمُوْرُ بِـأَهْلِ الرَّأي مَا صَلُحَتْ

فأرجوكم السرعة في الجواب على المادتين والله يحفظكم .

برقيـة جوابيـة من الإمام للملك

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٢ هـ / ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٨/١٥ في يوم الخميس ٢٠ منه والله يعلم أنَّا نكره الشقاق بيننا وبينكم إلى النهاية ، وأنتم غلب عليكم سوء الظن ، فلم تحملونا على سلامـة ، ولم يخـطر لنـا على بال ما ذكرتم من إرادتنا المطاولة لقصد تفتر همة جنودكم ، ولا نظنُّ العمري ، وعامل ميدي يقولان القول ، من المفترين ؟ مازالوا يسعون بكل صورة لبث الضغائن ، ووجدوا من حضرتكم أُذُناً سامعة ، نعم حيث لم يرق لديكم بعثنا وفداً ، فلا بأس إن شاء الله وقد انحلت عقدة الأدارسة بما تفضلتم به من الإفـادة بشأنهم ، وما أجبنا به عليكم فتفضلوا وأوضحوا لنا كيف يكون تحديد الحدود ؟ بيننا وبينكم إيضاحاً شافياً ، وهل يكفي عن تلك المعاهدة بكـل صداقـة وأخـوة بصـورة جَلِيَّةٍ من غدر وخيانة وتشويش ، فتفضلوا بتعجيل الجواب في هذا الشأن لنوضح أمر بلاد (يـام) .

وإنه يسرنا مضيُّ الأسبوع في سلام ، ونخاف انْقداحَ نار الشقاق وقد عجل هذا الدفع ما تتهمونا به من إرادة المطاولة والسلام عليكم .

برقيـة جوابيـة من الملك إلى الإمـام يحيى

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٣ هـ / ١٩٣٣ م

تلقينـا برقية الأخ المؤرخـة ٥٢/٨/٢٢ بتـاريخ ٢٣ منـه وقـد ذكرتم كرهكم للشقـاق معنـا ، والله المـطلع بمـا في الصـدور ، والله يعلم أنَّ كرهنا للخلاف معكم أعـظم وأشـد ، وأصَـرِّحُ لكم بوضـوح أنـه إن كان قصـدنـا الشقـاق والاختـلاف معكم فاسـأل الله أنْ يَخْـذِل من كان قصـده ذلـك ، وإنـه يعلم

الله أن أحب ما نسعى إليه هو السلم والراحة مع سائر الخلق ، وعلى الأخص مع حضرتكم ، فأسأل الله من كان قصده ذلك أن يُمِدَّهُ بالعز والتأييد ، ويديم له الراحة والأمان .

وما أشرتم إليه من حملنا إياكم على غير حسن الظن ، وإننا نتلقَّى أقوال المفترين ، وأشرتم إلى ما رويناه لكم عن أقوال العرشي والعمري ، أما ما ذكرناه عن المذكورين فما شهدنا إلا بما سمعنا ، وأما أهل الشر فلاشك أنهم يكثرون أمام الشقاق ، ونرجو من الله أن يكبت من كان فيه شر للإسلام والمسلمين .

أما مسألة الأدارسة فكما جرت المراجعة بشأنهم سهل انتهاؤها متى انتهت الأمور الأخرى ، كما ذكرنا للأخ من قبل .

أما سؤالكم عن كيفية تحديد الحدود ، فإنَّ كيفية تحديد الحدود معروفة واضحة لا إبهام فيها ، فالحدود تعين بيننا وبينكم على الأساس الذي كان بين مندوبكم ومندوبنا في صنعاء في جمادي الثاني عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م أيام كان وفدنا مؤلفاً من ابن ماضي ومحمد بن دليم ، ثم ما لحق بذلك من تعديل أيام حكمنا في قضية (الْعُرّ) فتعين هذه النقطة بين البلدين بعهد صداقة وإخاء مكتوب بيننا وبين الأخ .

فهذه هي الطريقة الحاسمة في مسألة الحدود ، كما وأنَّ أَمَلَنا وطيد متى نفذ ذلك أن يكون بيننا وبين الأخ أقْوى عُرَى الصداقة والإخاء ، هذا وأرجو من الأخ أن يعجل الجواب بهذا الصدد ، وفي المادة الثالثة والله يحفظكم .

برقيـة من الإمـام إلى الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٦ هـ / ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ العزيز المؤرخة ٥٢/٨/١٩ وشكرنا لحضرتكم ما أبداه من الفرار من إضرام النار ، وهو المؤمل من حضرتكم رَأفَةً بحال المسلمين ولم يكن بيننا وبين حضرتكم غير الجميل ، ومحبة السلام من

الطرفين ، لولا ذو الأغراض القبيحة ، وإنَّ غالب الظن أن هذا الأمر ينتهى بالسلام وتأكيد الصداقة برغم أنوف المحرشين .

وقد طلبنا من حضرتكم إيضاح المراد في مسألة الحدود ، ليكون درس ذلك ولا يخفى أنـه كان استعجال الأخ لحشد الجنود ، وخوفنا من دسائس (المكارمة) الإسماعيلية ، وأتباعهم ، ومُرَوِّجي أفكارهم ، ولكن في حلم حضرتكم وإنصافه ما يكفل كل نجاح والسلام عليـكم .

برقيـة من الملك إلى الإمـام

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٩ هـ / ١٩٣٣ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/٨/٢٦ في ٢٩ منه وأحطنا علماً بما ذكره من أمله بحسم الأمور بالسلم ، وأملنا إن شاء الله كبير فيما أَمَّلَهُ الأخ ، ونرجو أن يكبت الله الأعداء ، وينصر دينه ويُعْلي كلمته .

أما مسألة الحدود ، ومسألة (نجران) فقد عرفناكم بشأنها بوضوح لامَزِيْدَ عليه ، ولذلك نرجوكم التعجيل في الجواب ، وإقراره بما يحفظ السلم ويؤمن الراحـة .

أما من قبل تحشيد جنودنا فقد أوضحنا لكم أنه لاقصد لنا بأيٍّ مشاغبة أو فساد ، ولم يكن ذلك إلا لما أوضحناه لكم في السابق . فتكونوا على يقين من الأمر كما عرفنـاكم بالسابق أنَّ الحرب والسلم بيد الله ثم بيدكم ، لأنه ليس لدينا مطالب تطلبونها منا حتى نجيبكم عليها ، وإنما المطلوب من حضرتكم فنرجوكم الإجابة على ما تقدم لتحسم المواد ويُكْبَتَ الأعداءُ ، وإنَّ كل تأخير في حسم الأمر لاينتج إلا الفساد على الجميع ونخشى من عواقبـه .

أما ما ذكرتموه من استماعنا لأقوال الناس فهذا ليس من عادتنا ، وإنما أعمالنا مركبة من أمرين :

١ ـ السعي للسلم بكل ممكن مع الناس عامة ومعكم خاصة .

٢ ـ المحافظـة على الذمة والشـرف لاغيـر .

والذي نكرره على حضرتكم العزيزة هو الإسراع بحسم المواد ، والاستعجال فيها لأنه لاسمح الله إن حصل أدْنَى شَيءٍ ففي الزوايا خبايا ، ما نحب أن تظهر ونحب السلم على الدوام ، وأن تكون المحبة مستديمة ، والأمر في الحل والعقد كما عرفناكم أعلاه ، وإثارة الأمور وتسكينها بيد الله ثم بيدكم والسلام .

برقيـة من الإمـام يحيى إلى الملك عبد العزيز

بتاريخ ١ رمضـــان سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٢٣ شعبان ١٣٥٢هـ وتأكد لدينا أنه لاشقاق ولا عداوة بيننا وبين حضرتكم ، فَمحَى الله المحرشين أعداء السلم والعرب والمسلمين فما هو لديكم هو لدينا بكل معناه .

عُقْـدَةُ الأدارسـة كمـا ذكرتم ، وعُقْدَةُ الحدود مُنْحَلَّة إن شاء الله بما هو غاية المطلوب منا ومنكم ، وذلك بربط معاهدة حبِّيَّة سلْمِيَّة دينية لمدة عشرين سنة ، يثبت فيها كل من الطرفين على ما بيده فعلا من البلاد ، ولنلقى الله قبل انتهاء هذه المدة وبهذا انحلت العقدة الثانية على وفق المراد في الحدود وغيرها .

على أن التَّوَادَّ والصداقة حاصلان من قبلُ ، ولولا الغاشون . . . أخذهم الله وانتصف منهم لما سمع أحدٌ من ذلك شيئاً في غير الصداقـة .

برقيــة من المـــلك للإمـــام

بتاريخ ٢ رمضـــان

تلقينا برقية الأخ في سلخ شعبان ٥٢ مساء اليوم الثاني من رمضان ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤م وقد أحطت علماً بما تفضلتم من أن لا شقاق ولا عداوة بيننا ، وأنَّ القصد هو الائتلاف والمحبة ، وترك ما يفرح الأعداء ، ويحقق آمالهم ، وإنَّا نشكر الأخ على بيانه الذي هو عين ما لدينا ، ومقصدنا وغايتنا ، وهو الذي ندين الله بـه .

ذكرتم أنه قد انحل من المطلوب عقدتان الأولى مسألة الأدارسة والثانية مسائل الحدود ، التي اقترحتم فيها عقد معاهدة حبِّيَّة سلمية دينية لمدة عشرين سنة تثبت فيها الحدود ، ويكون لكل من الطرفين فيها البلاد التي تحت يده ، ورجوتم أن تلقون الله قبل هذه المدة ، ولا يكون بيننا أدنى خلاف .

إنـا نشكر الأخ على اقتراحه هذا ، وإنَّا نقبل ونؤيد اقتراحه ، ونقبل أن تثبت الحدود بين الطرفين ، ويكون لكل فريق ماتحت يده من البلاد ، وأن تعقد بيننا وبينكم معـاهـدة صداقـة ، كما ذكرتم سلمية دينية لمدة عشرين سنة ، هذا هو مرادنا ، والذي نحبه عاجلا وآجلا ، وبهذا تكون العقدتان قد انحلَّتَا إن شاء الله تعـالى ، بمسـاعدة حضرتكم ونيتكم الصالحة ، وبفضل الله ثم برجائنا سبحانه وتعـالى أن تُحَـلَّ العقـدة الثـالثة بأحسن من العُقْدَتَيْن ، وكذلك نرجو من الأخ التعجيل بِحَـلِّ المسـألـة الثالثة ، ليمكن تعيين المندوبين لوضع صيغة الاتفاق النهائي الذي يفرح به كل مؤمن محب للإسلام والعرب .

* * *

تصعيد الأحداث والتعدي على بني مالك وإبراق الملك للإمام يحيى .

برقيـة الملك عبـد العزيز إلى الإمـام

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٩ هـ / ١٩٣٣ م

أخي بلغنا اليوم خبر يكدر الخاطر ، وهو أنَّ فرقة من (بني مالك) هم آل خالد وآل مسلمة تخلفوا مع جماعتهم ، وأنهم وصلوا إلى بعض موظفيكم ، وقَدَّمُوا لهم رهائن واتفقوا معهم، وأمدوهم ببعض الذخيرة ، وقد أوجب هذا انزعاجنا ، لأننا لم نَفْتَحْ باباً لأحَدٍ بذلك ، والآن آخِرُ الأعذار انتهت ، وإنه كلما طال الزمان يَتَوَلَّدُ مثل ذلك وأزود ، فإن كان المقصود هو التطويل وتحريك الفساد فهو الذي نخشاه ، ونرجو من الله الإعانة ، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيـــل .

وإن كان الأمر على ما وضحتموه لنا ، كما هو أملنا بالله ثم بكم فنرجو إنفاذ أمرين :

الأول : تعريفنا بمسألة الحدود والمعاهدة عليها التي هي رأس كل شيء لحسم المواد .

الثاني : أن تمنعوا مأموريكم عن التدخل ، وتسليم كل مفسد حسب المعاهدة بيننا وبينكم .

فإن كنتم تَدَّعُوْنَ أن الأمر غير صحيح ، فنرجو أن تعطونا عهد الله وميثاقه وبالشرف الإسلامي العربي ، أنَّ هذا لم يكن ولا تدخلتم فيه ، وأن تسرعوا بحسم المادتين اللتين هي مثار الخلاف ، (الحدود) و (نجران) .

لأنه لا فائدة من تأخيرها ، وذلك حرصاً على السلم والعافية ، ومخافة من وقوع ما نخشاه نحن وأنتم ، فنرجو سرعة الإجابة الصريحة والله يحفظكم .

برقية جوابية من الإمام يحيى للملك

في ٥ رمضان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٣٥٢/٨/٢٩ هـ / ١٩٣٣م يوم الثلاثاء ١٣٥٢/٩/٢ هـ ١٩٣٤ م من شأن (بني مالك) نَعَمْ ، بلغ إلينا ذلك ، والحقيقة لا أهمية له ، فحكمهم حكم أهل (المخلاف) غاية الأمر التعويل على حضرتكم لتأمينهم وتسكين روعتهم ، وتقرير أمورهم ، فالخوف معهم من مَعَرَّةِ الجيوش ، وكان سبق إلى حضرتكم أنْ تتفضلوا بالتأكيد إلى أمير جيزان ، لما به رفع فزع أهل البلاد ، وترك تخويفهم وتهديدهم ، ومع إمكان المراد باللِّيْن لا معنى للتخشين ، فتفضلوا بالأمر بصونهم ، ولا يكنْ لكم فكرة منهم ، فليس لنا غرض ، ولعل وجه المساعدة لهم من بعض أصحابنا ، لما يرونه ويسمعونه من بعض أصحابكم من التصميم على العدوان والحرب ، وعلى الجملة فلا يدخل بالكم ذلك ، وقد بلغ إلينا ولا نبرأ من صحتها وعدمها .

إن كان زحف طائفة من جندكم إلى (نجران) واعتداؤهم على أصحابنا

بضرب المدافع نرجو أن لايكون لذلك صحة ، والحاصل إنه لا إرادة لنا ولا غرض لأي شقاق بيننا وبين حضرتكم ، ولا تغيير حال .

هذه البلاد على ماهي عليه يكون معلوماً ، بل وترون تصل إلينا كتب ممن يريدون إضرام النار ، ولم نجب عليها بنفي ولا إثبات والسلام .

برقيــة من الملك إلى الإمـام

بتاريخ ٨ رمضـان سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٩/٥ في مساء الثامن منه ، وأحطنا علماً بما جاء فيها ، ونسأل الله أنْ يَمُنَّ علينا وعليكم بالهدى والتوفيق ، ويقينا وإياكم شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .

أخي : أحِبّ أنْ أتكلم معكم كلام مسلم عربي ، لا يحب الشقاق ، ونبرأ إلى الله من الكذب والبهتان .

يتلخص ما جاء في برقية الأخ بأمور ثلاثة :

١ ـ مسألة المخلاف .

٢ ـ مساعدة بعض أصحابكم لـ (بني مالك) .

٣ ـ مسألة (نجران) .

أما مسألة (المخلاف) فكان علينا ألا نُردَّ عليكم بها ، لأنها مسألة داخلية ، لا دخل لنا بداخليتكم ، كما أنه لا دخل لكم بداخليتنا ورعايانا ولكن نظراً لأنه سبق منا أن عرفنا الأخ تعريف أخ لأخيه من جهتكم نحب توضيح الواقع لكم .

أما أهل (المخلاف) فَحَاشَى أن يكونوا قد جزعوا من الجنود المرسلة إليهم ، أو تحدث في قلوبهم خوفاً ، بل إنها إن شاء الله تؤمن خوفهم ، وأقسم لكم بالله أني ما أتكلم معكم إلا كلاماً صحيحاً ، إنَّ أهل (المخلاف) جميعهم أحرص منا على المسألة إذا استثنينا الذين وصلوا إلى طرفكم ، وطرف الإدريسي هذه الأيام ، وما عدا الأشقياء من (آل خالد) من (بني مالك) الذين صار تحريكهم بسبب أصحاب حضرتكم كما ذكرتم .

وجميع أهل المخلاف لما سمعوا بالحركة اجتمعوا إلى أميرنا ، وطلبوا العهد والميثاق أنَّ النفس بالنفس والدم بالدم ، ورجوه أن يعمل معهم عملين :

الأول : أخذ رهائن منهم ، وذلك لم يكن من عادتنا ، وإنما نزولا على طلبهم قبل منهم رهائنهم .

الثاني : طلبوا نزول جند من قواتنا لمساعدتهم في الداخل والخارج .

هذه هي الحقيقة لا مِرْيَـةَ فيهـا .

أمـا المسألة الثانية : وهي مسألة (آل خالد) ومساعدة أصحابكم لهم فهذه مسألة آسَفَتْنَا كثيراً وأحزنتنا إلى آخر درجة لأمرين :

١ ــ أنّا ما ظننا يصير أيُّ سبب لأحد من عمالكم في ذلك ، نظراً لما تكرر منكم إلينا من المواثيق والعهود ، أما العذر عنهم بما وصلهم من الأراجيف فكان ينبغي ألا يكـون ، لأنـه سبق أن عرفناكم بأراجيف كثيرة بلغتنا من جهتكم على جهتنا ، فطمنتونا وقنعنا بأن لاصحة لها ، فكان الواجب على الأخ وعماله أن يتركوا الأقوال ويتثبتوا ، وأن يثقوا بالله ثم بنا ، كما وثقنا بالله ثم بكم .

والثاني : أن الأخ يحرضنا على مراعاة أهل (المخلاف) وعدم الحركة عليهم .

أخي : هذه نصيحة مقبولة ، ولكنها كان يجب أن تكون من قبلكم لأصحابكم لأنهم أولى وأحْرَى إذْ كانوا هم الذين حركوا الفتنة على الرعية ، والحقيقة أنَّ هذه مسألة وخيمة وليس لها عندنا حل إلا أمرين .

الأول : وثوقنا بالله ثم بكم ، واعتمادنا عليه ، ثم على الصدق بأننا ما عملنا ولا نعمل شيئاً ضدَّكم ، يخفى عليكم ، ويظهره الله اليوم أو بعده إن شاء الله .

الثاني مخاصمتها وحلها عند الله ثم عندكم .

وأمـا مسـألـة الرَّعايا وتطمينهم فهذا حق واجب ، وليس عندنا لهم إلا حكم الشـريعـة ومـا أنزل به القرآن ، الأولى قوله تعالى ﴿ إنَّمَا جزاء الذين يحـاربون الله ﴾ . . . الآيـة .

والثانية : ماقصه الله تعالى عن ذي القرنين ، وهذا الذي نعمل به مع جميع رعـايانـا وليس عنـدنـا من الحكم إلا ما أنْـزل به القـرآن ، ومـا جاءت به سنـة محمد ﷺ ، فمن أحسن كافأناه ، ومن أساءَ فجرمه على نفسه ، يبذل له النصح باللسان فإن أبى فليس له إلا السنان .

وأما مسألة ما حدث في (نجران) فأقسم لكم بالله الذي لا ربَّ سواه أننا ما رضينا ولا علمنا ولا أمرنا ، وأنَّ جميع أمرائنا وقُوادنا نؤكد عليهم ليلا ونهاراً بمنع العدوان بالكلام فضلا عن غيره .

وأنَّ المسألة هي علينا أكبر مما هي عليكم لأمرين :

الأول : يأبى الله أن نعطى كلاماً ونخالفه بالفعل .

والثاني : حبنا في الراحـة والسَّـلام .

والحادثة وقعت كما عرفناكم ، ولكن الابن فيصل وفقه الله عمل اللازم ووبَّخ الفاعلين وعاقبهم ، وعزل الأمير ، وأمر بحبسه .

وثِقُوا بالله الذى لا رب سواه أنه لا يأتيكم منا لا قليل ولا كثير يعلمه الله ويخفى عليكم من عذر ، ولا من مكر ، والله على ما نقول وكيـل .

أخي : إنَّ إلحـاحنا عليكم للتعجيل في حسم المواد هو مخافة مما وقع لأن الاختلاف يقع الشر فيه من أحد شخصين ، إما صاحب غرض ويحب الفتنة ، أو من جاهـل يريد الإصلاح فيعمل الفساد ، فثقوا بالله من جهتنا ، واحرصوا على سرعة حسم المواد لعل الله يدفع الشرَّ بين المسلمين .

برقيـة من الإمـام إلى الملـك بتاريخ ١٣٥٢/٩/٦ هـ / ١٩٣٤ م

قد بلغنـا ما كان ، ونعـوذ بالله من الْحَـوْرِ بعـد الْكَـوْرِ ، فهـل بقي شيء من التأمل من الجهتين ، حتى تنتهي المراجعات إن شاء الله ، فلا ينبغي

من أحد منا أن يتغافل عما يكون من أتباعه في الجانب الآخر .

فقد سبق لكم ما سبق مراراً متعددة ، وأنه لا إرادة لنا في الشقاق ولا فيما يخالف الصداقة بيننا وبين الأخ العزيز ، ولا نخرج عن هذه الطريقة إلا مكرهين ، والله يجعل هذا الشهر قادماً علينا وعليكم بكل خير وأن يجعلنا ممن أدرك شهر رمضان فغفر له .

برقيـة من الإمام إلى الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٩/٩ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ المفيدة قبول ما أبرقناه إليكم في ربط المعاهدة عشرين سنة وفي الحـدود ، وفي الحقيقـة فيما أبرقناه الوفاء بالغرض ، وسيبقى الكلام في مسألة (نجران) والخشية معنا من انخداعكم للمكارمة ، الذين أفدتم إلينا سابقاً أنه لا رابطة بينكم وبينهم لا دينية ولا دنيوية ، وقد كان حدث تحركات في (نجران) فنرجو منكم منعكم الحركات إلى انتهاء المخابرة الودية كما أسلفنا إلى حضرتكم بتاريخ ٦ رمضان ١٣٥٢هـ والســلام .

برقيـة جوابية من الملك إلى الإمـام

بتاريخ ١١ رمضـان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٩ رمضان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م مساء ١١ منه ذكرتم تحديد الحدود ، ونحن عرفناكم بقبول ما ذكرناه للأخ جواباً على برقيته ، أما مسألة (نجـران) فقد عرفنا سيادتكم ببرقيتين بتاريخ ٨ منه ، والذي نؤكد لكم أنَّ كل إنسـان يعمـل أيّ حادث يسبب مشكلا بيننا وبينكم سنقاومه أعظم مما تقاومونه أنتم ، لأنه لا يقدم على مثل ذلك إلا منافق يحب الشر بين الإسلام والمسلمين ، ونراه من الأعداء .

أما مسألة (نجران) و (المكارمة) فقد أبدينا لكم ما يلزم ، كونوا على ثقة أن أنظارنا لاتريد الأشخاص ، والقبائل أو الولايات ، وإنما أنظارنا مقتصرة على ما فيه المصلحة العامة وكف النزاع ، ومنع الشقاق في العاجل والآجـل .

هذه غايتنا ونجزم ونتيقن إن شاء الله أنها غايتكم أيضاً ، لذلك نرجوكم حسم المواد حتى يحصل المطلوب من الراحة والسكون ، وستجدوني إنْ شاء الله وفياً معكم وسنحمد إن شاء الله وإياكم عُقْبَى السلام والأمان والراحة لا عدمنا بقاءكم .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ١٥ رمضان

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م وقد سبق إلى حضرتكم برقية مؤرخة ١٣ منه والمرجو من الأخ أن تكون الإفادة كما يليق بعالي قدره ، وبما يحسن للأخوة والصداقة ، وصالح الإسلام والمسلمين ، وإرغام الأعداء والكافرين .

وليعلم الأخ أنه لا محذور قطعاً من قبضنا لزمام (يام) ، والاستيلاء عليهم بل في ذلك مصلحة عامة وخاصة .

ومن المحال أن يحصل منا أدنى عدوان ، وخصوصاً بعد المعاهدة الأخَويَّة وأيّ محاورة قد حصلت في الحدود المتصلة بيننا وبين حضرتكم في هذه المدة الماضية فكيف يحصل بعد الآن في الحدود .

وعلى الجملة فالتعويل على حضرتكم وكريم خلقكم في الإفادة التي نتمناها ولا ضرر منها ، ولا نفع في غيرها ، ولا مصلحة في غير ما نؤمله ونرجوه لا دينية ولا دنيوية ولا سياسية .

ثم اعلموا عافاكم الله أنَّا لانحول عن الصداقة ، والمحافظة على الأخُوَّةِ ما دمنا على الحياة ، كما وعدنا حضرتكم مكرراً ، ولا رحم الله من شوش أفكاركم وسعَى لتغيير إفادتكم السابقة إلينا ، ولا بُدَّ من المستأجرين ، ومع كريم خلقكم ، وطرحكم أقوال المستأجرين يحصل كل مراد ، وتنتهي المحاورات في ظرف أربعة أيام والسلام .

برقيـة من الملك لأميـر جـازان

بتاريخ ١٣٥٢/٩/١٧ هـ ـ ١٩٣٤ م

علمنا برقيتكم وكل عَدَوَ إنْ شاء الله معثور ، ولا يتأسف غير فاعل السوء ولابد اطلعت على برقيتنا لـ (يحيى) وأنت خُذْ بالحزم والعزم ، ولا تفتر همتك ، فليس عليك والله قاصر .

الجند الذي عندك من (نجد) و (عسير) كثير ولله الحمد ، والجند متواصل من (الرياض) إلى فيصل أوله عند (فيصل) والثاني في (بيشة) والثالث يمشي من (الرياض) .

وتعـرف أنَّ الأمـور كلها بالله ثم بالحزم والعزمِ والهمة القوية ، وأنتم اجمعوا جماعكم على الحدود واضبطوا أنفسكمِ عن التعدِّي ، إلا إنْ هاجمكم أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله ، لا تهاجموا أحداً حتى يبدأكم بالهجوم ، وأبشروا بأن الله خاذل إن شاء الله كُلَّ عـدو .

برقيـة جوابيـة من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٧ رمضـــان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينـا برقيتكم المؤرخة ١٣٥٢/٩/١٥ هـ / ١٩٣٤ م بعد أن تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣ و ١٥ منه الملحقة ببرقيتكم الأخيرة بشأن (نجران) .

أمَّا ما ذكرتموه من حرصكم على السلام وكبت الأعداء فهذا شيء نشكركم عليه واعتمـادنا على الله ، ثم عليه سابقاً ولاحقاً ، أخبرناكم سابقاً أننا لا نأخذ أقوال النـاس ، وإنمـا نثق بالله ثم بكم ، ولكن بعـد ما صرحتم لنا بما فعل في جهة (العبادل) وبني مالك ، رأينا تفاوتاً عظيما ، بين ما ذكرتموه لنا سابقاً ووثقنا بالله ثم به ، وبين ما أخبرتمونا به مؤخراً .

. إنَّ أخـــاكم والله المــطلع ليس عنـده قول أو عمـل يخـالف ما قد أبـديـنـاه لحضـرتكم وقـد أوجب الـدَّهشـة ، ودعى للاستعـداد للطوارىء ، وهـذا الذي نخشـاه أن يفـرط الأمـر من اليد ، فلا يهمنـا (بني مالـك) و (العبـادل) إنما

اعتمـدنا على الله ، ثم على الصداقة ، وعلى عوائده الجميلة ، نترك كل شيء ونعمل جهدنا في الإصلاح ، فإذا ابتلينا أعاننا الله تعالى .

نرجع إلى ما ذكرتموه في مسألة (نجران) أخبرناكم أنه لايوجد شفقة على توليه ولا نحبُّ ذلك ، إنما الشفقة على الراحة والإصلاح ، وبما أنَّ (نجران) موقعه في جهتنـا مُهِم ، ولا يمكن حله بسهـولـة ، إلا بالنـظر في المصلحـة العـائدة للطرفين ، والأمر الذي يريح هو رأي أخيكم سدًّا للذريعة ، وتقريباً للإصلاح أن نتعاقد وإياكم على المسألتين اللتين انتهينا منهما ، وهما إبعاد الأدارسة ، وتضمن جميع حركتكم من جهته على المحل المذكور (؟) ، والثاني أن تبقى الحدود كما كانت بيننا وبينكم منذ دخولنا في هذا الطرف ، ونعقد معاهدة ودية لمدة عشرين سنـة ، ويعلن ذلـك في الجرائد والمجلات ، وأن يبعد العساكر منا ومنكم عن الحدود والمحلات ، لمنع الاشتباك وراحة الرعية ، وأما مسألة (نجران) فتؤجل وينتدب مندوبون منا ومنكم عن الحدود ، والكل يبدي المشكل الذي عنده ، حتى يُتَوصَّل إلى حل سلمي ، يحفظ مصلحتكم ومرادكم ويحفظ مصلحتنا ومرادنا ، فهذا الذي يراه أخوك .

فإذا وافقتم على ذلك ، فنرجو أن يتقرر شكلها مكتوبة بيننا وبينكم ، ثم تكتبونها من جهتكم وتـوقعونها ، ونكتبها من جهتنا ونوقعها ، وترسلونها لولدنا فيصل عن طريق نجلكم في (صعـدة) ، ونرسلها لنجلكم في (صعدة) عن طريق ولدنا فيصل ، أو يَقْدُمُ بها الوفد من جهتكم ، أو يقدم بها الوفد من جهتنا ، للمكان الذي نتفق عليه ، وأعاهدكم بالله أنَّه ليس لأخيكم قصد إلا حل المشكل وأنه لا يأتيكم من قبلنا غدر ولا خيانة ، إلا أبديه على واضح فأرجوكم الإسراع بالجواب على هذا والسلام .

برقيـة من الإمـام للملك

بتاريخ ١٥ رمضـان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

بعد تحرير البرقية بتاريخ ١٥ رمضان وصل الولد سيف الإسلام بعض (البرنز) رصاص المدفع الذي كان حارب أصحابنا به في نجران وأنه تقرر به تقرير محاربة جندكم في حرب عسكرنا الذي بـ (نجران) .

وإن المـدفع بَانَ مع الجيش فوق الحصَينة ، وما له علم بما صار بيننا وبين حضرتكم من المراجعة .

وأفاد أيضاً أنَّ جنودكم موجودة ببلاد (يام) ، وأنه قد أمر بعزم بعض عسكر إلى حدود (بني مالك) و (فيفا) .

وحالا كتبنا له تحذيراً عن الحادث ، وأوضحنا له ما يدور بيننا وبين حضرتكم من المـراجعة الودية ، فأردنا بهذا إعلان حضرتكم لايدخل ببالكم وكُلُّ أمر من جهتنا هو في اليد والسـلام .

برقيـة جوابيـة من المـلك إلى الإمام

بتاريخ ١٧ رمضـان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

أخي : وصلتنـا برقيتكم المؤرخـة ١٥ رمضان سنة ٥٢ منتصف ليلة ١٧ منه تذكـرون فيهـا من قبل الجند الذي أرسل من نجلكم إلى جهة (فيفا) و (بني مالك) وأنَّ هذا كان بعد حادث (نجران) أخي عافاكم الله إن هذا قد أخبرتكم به قبل مسألة نجران وقد أخبرتمونا أن بعض أصحابكم أرسل لـ (بني مالك) ثم أخبرتمونا أنكم أرسلتم لـ (العبادل) أيضاً ، وقد شرحنا لكم ببرقيتنا بتاريخ ١٧ منه ما يلـزم .

والآن نزيدكم إيضاحاً بأننا نعوذ بالله ونبرأ إليه من الحرب وتبعتها ، وإننا نحب السلم ، ولكن سوق الجند من جهات وكتب الإدريسي التي تحرض الناس على الفتنة ليقع الأمر بيننا وبينكم ، فلا يسعنا إزاء ذلك إلا الدفاع .

فإن كان لحضرتكم رغبة في الصلح والسلم فاعملوا عمله ، أو يرجع الجند منا ومنكم لأماكنه ، وتتم المراجعة بيننا وبينكم في الحال الذي يصلح للجميع وإن كان القصد الكلام بيننا وبينكم في مسألة (نجران) لايحصل إلا من طريق التهديد فهذا لا ينتج أمراً صالحاً ، ويحصل منه أمران :

١ ـ تهيج خواطر العالـــم .

٢ ـ ما يخفاكم حالتنا أننا ما نعطى السلم إلا مع السلم ، وإنه إذا وقع التهديد فإننا نبذل فيه المال والنفس .

وإني أدخلكم على الله ، ثم أدخلكم عليه ، ثم أحملكم مسئولية الحرب ، أمام الله ، ثم أمام العالم عن الوقوع في هذا الشر الذي لا نؤمله من حضرتكم .

وقد سبق أن تركنا جميع ما يقال ، ونحن نرى الحقيقة ونكذبها ، وثوقاً بالله ثم بوعودكم وعهودكم .

فإن كان القصد من هذه الحركات نشوب الحرب فقد بلغ الأمر منتهاه ، وإن كان القصد السلم فطريق السلم كما عرفناكم والله يحفظكم .

برقيـة من الإمـام إلى الملـك

بتاريخ ١٥ رمضـان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينـا برقية الأخ المؤرخة ٨ رمضان ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م وكذلك الثانية بالتاريخ المـذكـور وحمـدنـا الله على ما قد تم ، فلا نكـذبكم والإفـادة عمـا كان في (نجـران) وقـد انحلت العقـدتـان الأدارسـة والمعاهدة المشتملة على الحدود ولله الحمـد ، ولم يبق إلا ما أفاد به الأخ العزيز من ترك بلاد (يام) في الحياد ، وذلـك مشكـل علينـا مع كونهـا يمنية ، ولا ولاية لأحـد عليهـا ، وليعلم الأخ العـزيز أننـا أحـرص للمحافظة على السلم ، خصوصاً بيننا وبينكم ، وليس لنا إرادة لأقـل أو أدنى عدوان وشقـاق بيننـا وبينكم ، وراء أهـل (المخـلاف) وغيرهم ولا نقـول فيهـا كمـا قلتم في (نجـران) ! بل نقـول نحن من عونكم

لتسكين روعتهم كما تحبون ؟ ، وإنما الخشية معنا من انخداعكم (للداعي)[1] وأعوانه الذي أنبأتم أنه ليس بينه وبينكم رابطة دينية ، ولا طمع لحضرتكم فيهم ، وفي قبضنا زمام (يام) نوع لما أشار إليه الأخ من حقن الدماء ومنع العدوان بين (يام) وبين غيرهم .

فليتفضل الأخ حرسه الله بالإيضاح للنهاية ، وهل سيكون سحب الجند من بلاد (يام) طَوْعاً أو كرهاً ، مع عدم الموجب لذلك ، موافقة لغرض (الداعي) وأعوانه ، أم سيرجح الأخ الصداقة بيننا وبين حضرتكم وإنْ كَرِه (الداعي) وأعوانه ، كما نرجّح ونحبُّ ونتمنّى ذلك ، وإن كان الأخ يسعى للسلم ورفع الأحقاد فنحن نُهَرْوِل إلَيه هرولةً .

وتفضلوا بسرعة الإفادة لحل هذه المادة الثالثة أحبّ الشقين .

وقد بلغ إلينا عزم بعض عسكر من (رازح) إلى (العبادل) ؟ وبعد أن شاع مشاركة جندكم و (يام) في مهاجمة (نجران) .

وقد كررنا ما يلزم ، وعلى الجملة فلا ترون من جهتنا أدْنَى ميل إلى الشقاق وإنَّما يعمل بعضُ أصحابنا أعمال الدفاع لما يبلغ إليه من تبادل جيوشكم والسلام .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣ رمضان ٥٢ ليلة ١٧ منه أما حبكم للسلم والراحة فنحن نحبُّ ذلك مثلكم ، وقد كررناه عليكم مراراً .

أما مسألة (نجران) فقد وضحنا لكم أمْرها توضيحاً تاماً سابقاً ولاحقاً ، وعلى الأخَصِّ من جهة الحركة الأخيرة التي صارت ، وأخبرناكم أننا منعناها وأقسمنا لكم بالله أننا ما رضيناها ولا علمنا بها ، ولكن ماذا نقول : إذا كان أصحابكم يحركون الفتنة في (بني مالك) وتسوقون جنداً عليه ،

---

[1] (الداعي) : هو المكرمي رئيس « نجران » الروحي .

وبعض أصحابكم يسيرون جنداً عليه ، وبعض أصحابكم يسيرون جندا من (رازح) على أطراف (العبادل) فهذا يعتبر أنَّ الكلام ضاع ، وأنكم قد أعلنتم الحرب وبدأتُم به ، وهذا الذي كان يحذرنا الناس منه ، وكانوا يؤكدون لنا أنكم عازمون عليه ، وأنَّ الكلام الذي بيننا وبينكم مخادعة ، ولكن ديننا وشيمتنا أبتْ علينا أنْ نقبل ذلك ، وإنما قبلنا عهود الأخ ورضينا بالله ربا .

وجاء الفعل الأخير مصدِّقاً لما قاله الناس ، ولم يبقَ في اليد حيلة فإن كان الأخ صادقاً في قوله فليمنع جميع الحركات ، وليبعد الجند إلى آخر دَرجة من الحدود . فإن كانت المراجعة ستكون وجندكم يمشي والإدريسي يكتب ويحرك ، كما رأينا كتبه لأهل المقاطعة فهذا أمر لايرضاه الله ولا تقبله النفوس الطيبة ، فإن كان الأمرُ والقصد إغفالنا وأنتم عازمون على ما عزمتم عليه فلا نَقول إلا ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ـ يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

برقية جوابية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٤ رمضان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ الثالثة المؤرخة ١٧/٩/١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م وحمدنا الله فقد آنسَنا منها السلام ، وعز الإسلام والمسلمين ، ذلك ما كنا نبغي ، والذي كُنَّا نؤمله من حضرتكم وفي الحقيقة ياحضرة الأخ العزيز ما كان يوجب الحشد والتجهيز ، وإنما هي نزعة شيطانية لارحم الله من نزعها ، وكلفكم وأغراكم ، وعلى كل حال فنحن كما تحبون ، ولا تجدون منا غير حسن الإخاء ، في الشدة والرخاء ، وحالا كتبنا إلى ولدنا سيف الإسلام ، وأعلمناه بإفادتكم الكريمة ، ومنعناه من كل حركة وعدوان وتجاوز ، فتفضلوا بينوا وقت اجتماع المندوبين بـ (مَيْدِي) أو غيرها حيث ما ترونه لربط المعاهدة الأخوية الدينية والدنيوية الشاملة لجميع الأطراف ، وسيكون رفع كل الأجناد من لدينا ومن لدن حضرتكم ، والتعويل على حضرتكم في العفو العام

المطلق والتأمين الشريف الشامل لكل من تمايل إلينا من خوف معرة جيوشكم من (العبادل) و (بني مالك) ونحوهم لسكون روعتهم وزوال إفزاعهم ، فهم في غاية الخوف والوجل .

وحين عودة كلٍّ هارب من (المخلاف) إلى مساكنهم ، مع تطمينهم بالعفو والأمان ، وإرجاعهم فيما كانوا فيه قبل الثورة (الإدريسية) لتسكن بذلك جميع الأمور ، ولا يبقى للشيطان والعدوان مجال .

ولقد بلغ إلينا مالا نحكم بصدقه ، أن بعض أمرائكم أعلن بكفر (العبادل) واستحلال دمائهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، ومثل هذا لاحق بغي ولو فرضنا صحة ذلك .

وسيكون إن شاء الله توقيع المعاهدة ، منا ومن حضرتكم ، ونشرها في الجرائد كما ذكرتم ، وسبحان الله ما أحلى نشرها لدى ذوي الديانات الإسلامية ، وأكثر سرورهم ، واستغرابهم وتعجبهم لذلك مما كانت تنسجه أيدي الافتراء .

وفضلا وإحساناً وتطولا وامتناناً ، حسن نظركم في شأن (يام) وقد وضحنا لكم بما لايبقى معه اشتباه ، فلا شك ولا ريب في ارتفاع المحذور .

ولا خير في تأخير الكلام في ذلك ، وأساس تبدد المراجعات وإبقاء محل لتشويش الأفكار ، وبذر الأشرار ، ما يحصل معه إلا الشكوك والأوهام ، ولا تنخدعوا (للداعي) فحقيقة أمورهم غير خافية على حضرتكم ، ﴿ لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخلا لَوَلَّوْا إليه وهم يجمحون ﴾ ، ومن العجائب أن والي عدن أخبر قبل أمس السبت أنها وصلت برقية من (عدن) بأنه كانت المعاهدة بيننا وبين حضرتكم ويبارك لنا بذلك والسلام .

جـواب المـلك إلى الإمـام

بتاريخ ١٣٥٢/٩/٢٥ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينـا برقية الأخ المؤرخـة ٥٢/٩/٢٣ وسـرنـا ما قد أوضحتمـوه ، وعلى الأخص ما رجـوتم من كبت المفسـدين ، وإنـا نرجـو أنْ يكبت الله أعـداء

الدين ويعلي كلمته ، وقد سرنا أيضاً ما تفضلتم به من محبتكم حسن الإخاء في الشدة والرخاء ، ولا غرو فأنتم أهل لذلك ، وإنَّ ما تفضلتم به أيضاً من إخبار نجلكم الكريم بمنع العدوان وطلبتم منا العفو عن المفسدين من (بني مالك) و (العبـادل) .

يعلم الأخ ولله الحمد أنَّ العفو من شيمتنا ، وقد سبق لعقلاء تلك الأطراف أن أخبرونا بالواقع ، وطلبوا منا المحافظة التامة قبل أن يقع شيء .

ولكن وثوقا بالله ثم بعهود الأخ ووعوده ما ألقينا بالا ، هذا من جهة ومن جهة ثانية ، لم نَشأ أن يكون ذلك سبباً لاشتباك الشر ، فمن أجل ذلك فإننا ممنونون ، والجهـال جهلهم على أنفسهم ، وهم لا أهمية لهم ، بحـوله تعالى في أمر يُرْجَا أو يخاف ، إنما هم همَج رعاع لا يَنْفَعون من لجأوا إليه ، ولا يضرون من تركوه ، وكما قيل : (من خان لك خان بك) وإنما يكبرهم السمعة ، وظهور التداخل بالشؤون الداخلية ، الذي يفرح الأعداء ويشمئز منه صاحب الشرف . ومن أجل ذلك فنحن قد عفـونـا عما وقـع من جهالهم وسفهائهم ، فنرجوكم منع التدخل وإبعاد الذين أمدوهم من جماعتكم عنهم ، حتى يكون للعفو محل وتزول الشبهة .

وبهذه المناسبة ، نخبر الأخ أنه لما وقعت هذه الحوادث الأخيرة ، أتتنا أخبار من (عدن) وغـيره تنبىء بفرحة الأعداء ، وكآبة المحبين ، وكان لذلك وقع سيء في (نجد) حتى أشكل الأمر على أخيكم وساء الظن .

وكـان ولـدنـا (سعـود) ولي العهد سار إلى (أبها) على السيارات قبل وصول برقيتكم الأخيرة بثلاثـة أيام ، وكان تجهيز الابن (فيصل) من (الحجاز) ليسير بطريق الساحل ، ببعض القوات التي عنده ، ونبرأ إلى الله أن يكون ذلك مِنَّا حُبًّا في الفتنة ، أو حبًّا في التوغل في الحرب ، وإنما هو محافظة على الغريزة ، ومقابلة لتلك المفـاجأة .

وبعد ورود برقيتكم الأخيرة تمكنا من إدراك سير الابن (فيصل) من الحجاز نظراً للمواصلات البرقية بيننا وبينه ، وأرجعناه إلى محله .

وأمـا (سعـود) فنظراً لعدم وجود مواصلات البرقية بيننا وبينه ، لم نتمكن من إرجاعه ، إذ يكون اليوم في (بيشـــة) .

والحقيقة إن ما وقع أخيراً كان له وقع سيء لا لأهمِّيَّتِه ، بل نأسف على الاختلاف الذي ظهر من الحصن العزيز الذي هو حضرتكم ، إذْ زعزع الثقة بالوعود التي كانت تصدر منكم ، ولكن بعد ورود برقيتكم الأخيرة هدأت الخواطر ، ورجونا أنْ تكون الأمور عادت إلى مجاريها القديمة ، إن شاء الله ، أما من قبل المندوبين فنحن نرحب بهم ويرى أخوكم أن يكون اجتماعهم في (أبهـا) لأمرين .

الأول : نظراً لوجود ولي عهـدنا فيها .

والثانى : لتوفر المواصلات في (أبهـا) مع الوفد .

فنرجوكم قبول اقتراحنا هذا ، وتعيين الوقت الذي يصل فيه وفدكم حتى نعين فيه وفدنا لمقابلتهم ، ونرجوكم تعجيل ذلك .

ثم نعرض لحضرتكم أمرين :

الأول : كونوا على ثقة بالله أن ما كنا عليه من حب السلم ظاهراً وباطنا لانزال عليه ، ولا نعلم أننا أمرنا بخلاف ذلك ، ونبرأ إلى الله منه مالم يقع مالا نعذر فيه ، ونبرأ إلى الله من أن نأمر بأمْرٍ يخالف ذلك .

والثاني : إذا رأى حضرتكم أنه متى وقع المطلوب إن شاء الله من السلم والراحة كما نرجو ، وترجون ، فنرى أن ننتهز الفرصة بوجود الأخوين من أولياء العهد قريباً بعضهم من بعض ، كى يجتمعـان بعد ذلك للتعارف والتعاهد فيما بينهما من دون الشُيَّب ، ونـرى أن هذه الفرصة من التوفيق إن شاء الله أما من جهة (يام) فقد وضحنـا لحضرتكم سابقاً أنَّ (يام) ما تهمنا مسألتهم والُمهِمُّ حفظ الصالح وعدم الاختلاف عاجلا وآجِـلا .

ورجـاؤنـا أن ذلـك يحل بين المنـدوبـين بما يرضي الجميع ، وتـطمئن به

الخـواطـر إن شاء الله ونسأل الله أن يحفظنا وإياكم ، ويعيذنا من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ويؤيد الإسلام والمسلمين بحوله وقوته .

برقيـة من الإمـام إلى الملـك

بتاريخ ٢٤ رمضـان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

في يومنـا هذا وصـل من ولدنا سيف الإسلام أنها تكاثرت الجيوش مع (يام) والمدافع ، وهاجموا عسكرنا الذي في (نجران) بغاية الشدة ، وكان ما كان ووصل من الـولـد عبـد الله بن الـوزير ، من (عَبْس) أنَّ جيوشكم لازالت تتكـاثـر إلى (المخلاف) حتى تشوش الأفكار ، وكنا أبرقنا إلى الولد عبد الله بن الوزير وأرسلنا كتـابـاً إلى سيف الإسـلام بمعنى ما عرفناكم ، وقد أكَّدْنا ما كتبناه إليهم الآن ، فتفضلوا بتأكيد الأمر إلى أمرائكم والسـلام .

جـواب المـلك إلى الإمـام

بتاريخ ٢٥ رمضـان ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٤ م الذي تذكر فيها ما وصلكم من نجلكم العزيز عن (نجران) ونؤكد عليكم من غير تكذيب للابن الكـريم ، أن ما وصله لا أصْـل له ، لم تزد القـوة منـذ أشهر ولا جنديٌّ واحد ، ولا مدفع ولا شيء من القوة ، ونحن لم تنقطع أوامرنا عنهم في الصباح وفي المساء بمنع أي عدوان .

وما ذكره عبد الله بن الوزير ، فقد يكون له شيء من الصحـة .

إذ أنه بعد أن وقعت حادثة (العبادل) وحوادث (بني مالك) لم يكن هناك بُد من اتخاذ الأهْبَة للدفاع ، فكان تقدم (الشويعر) إلى (صامطة) وبعض الجند إلى (المضـايا) .

وأمرنا بوضع قوة في (أبي عريش) وقوة في (الحسينية) كلها استعداد للطوارىء وحصل من ذلكَ في (نجـد) رَجَّةٌ دعت قُوَى (نجد) للتحرك من أماكنهـا .

وكان الابن (سعود) قد تقدمها في السيارات ، كما أخبرناكم ببرقيتنا البارحة ، وكل ذلك قبل وصول برقيتكم الأخيرة المؤرخة ٥٢/٩/٢٣ وبعد أن تلقيناها ، أصدرنا الأوامر المشددة بتوقف كل حركة وتسكين الأمور لحد لا يعلم منتهاه إلا الله .

هذا الواقع شرحناه للأخ بكل جلاء ووضوح ، وإننا نؤكد للأخ عهد الله وميثاقه ، عهد مسلم عربي ، أنه ما يكون منّا أيُّ اعتداءٍ ، ولا يمكن أن نخالف الوعد الذي اتفقنا عليه مُؤَخَّراً وقد أكدنا على سائر الأمراء ، فتفضلوا بالأمرِ بإرجاع من وصل (بني مالك) من قبلكم .

وكذلك بتوقيف كل حركة على الحدود إلى أن تنتهي المشكلة التي نبرأ إلى الله من شرورها ، ونحن لم نرسل الابن (سعود) إلا ليكون أشدَّ فى منع أي عدوان وتجاوز يقع في أي جهة من الجهات ، ويسعى في توطيد الصداقة بيننا وبينكم ، فكونوا واثقين بالله من جهتنا .

ورجاؤنا أن تعجلوا أمركم لأمرائكم في الحدود بسحب ما بعثوا به لداخل بلادنا ، كما نرجو تعجيل أمر المندوبين . ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لحقن دماء المسلمين في هذه العشرة المباركة من رمضان والسلام .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٩ رمضان

تلقينا برقيتكم المؤرخة ٢٥ و١٣٥٢/٩/٢٦ هـ/ ١٩٣٤ م وسرنا كل ما اشتملت عليه ولله الحمد والمنة ، وعجبنا جدًّا لما رفعه ولدنا سيف الإسلام من خصوص الزحف على عسكرنا في (نجران) والضرب بالمدفع ، وحصول القتل من الطرفين ، حتى سَمَّى لنا بعض المقاتلين من الزحفين ، وعلى كل حال فقد زال المحذور ، وارتفعت إن شاء الله جميع الشرور .

ورغبة في موافقة اقتراحكم لابأس من أن يكون اجتماع المندوبين في (أبها) كما ذكرتم ، وقد رأينا أن يكون رأس المندوبين من لدينا الولد

عبد الله بن الوزير وقد طلبناه إلينا ، وسيعزم من هنا بعد عيد الإفطار ، بطريق (صعدة) وسنعرفكم بيوم عزمه من صنعاء .

أخطرنا الآن برقياً إلى الولد عبد الله بن الوزير أن يخطر من بمعيته بالوقوف المطلق ، ومنع كُلِّ حركة ، وكتبنا إلى ولدنا سيف الإسلام بمعنى ما أشرتم إليه أن يرسل من لديه من (بني مالك) و (العبادل) ومن إليهم من يسكن روعتهم ، ويعلمهم أنه قد كان من حضرتكم العفو المطلق ، والأمان الكامل ، وتفضلوا بإرسال رقم العفو والأمان ، إلى ولدنا لإطابة نفس المحدثين ، فهم في وجل عظيم ، خصوصاً من إحاطة جندكم بهم ، ولا لوم عليهم ، مع ما كان منهم وإحاطة الأجناد بهم ، وعلى كل حال فلم يبق غير حسن النظر في جبر خواطرهم ، ورفع خيفتهم وعودهم إليكم بسلام ، ويدنا ويدكم الآن واحدة ، ولا التفات إلى كل ما حدث من الأشرار ، ولابُدَّ من التعويل على حضرتكم فى شأن بلاد (يام) وقد أوضحنا لكم ما تطيب به النفوس ، وفيما بين (يام) وبين المحادِدِيْن لهم من القبائل كما عرفناكم سابقاً بما تحبون ، إن شاء الله .

نعم عافاكم الله بعد كتابة هذا وصل من ولدنا أنه بلغ إليه وصول أربعة (مواتر) إلى (نجران) ولا نظن صدق الناقل إلى ولدنا ، مع ما أكدتم من المنع وتفضلوا بعطف النظر إلى معرفة الحقائق والسلام .

الوفـــد اليمني :

آخر ما تم التوصل إليه ، وأوضحته البرقيات المتبادلة ، من الوجهة السياسية الموافقة على وفدين سعودي ويمني يكون اجتماعهما في أبها للنظر في المواضيع المعلقة وهي :

موضوع نجران ـ الحدود ـ معاهدة لمدة عشرين سنة ـ كف التدخل .

وكما مر بالقارىء الكريم في برقية الإمام الأخيرة والمؤرخة ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤م وأن رئيس وفده عبد الله بن الوزير .

وبعد عيد الفطر توجه الوفد اليمني من (صنعا) صوب صعدة للاجتماع بولي عهد اليمن والتشاور معه .

وأشعر الملك برقياً بتحركه من صنعا فأمر بتأليف الوفد السعودي المفاوض على الوجه الآتـي :

١ ـ فؤاد حمـــزة .

٢ ـ الشيخ عبد الله بن زاحم .

٣ ـ تركي بن ماضـي .

٤ ـ عبد الوهاب أبو ملحــة .

٥ ـ دليم بن محمد بن دليـم .

وأمر أحد أعضاء الوفد السعودي الشيخ تركي بن ماضي بالتوجه إلى (ظهران) الجنوب لانتظار الوفد واستقباله ولمرافقته إلى (أبها) .

وصـل الـوفـد اليمني إلى ظهـران الجنـوب ، واستقبـل استقبـالا لائقاً ، وبعد الاسـتراحة والاستجمام ، استقل السيارات المنتظرة للتوجه بهم إلى أبها ، يرافقهم عضو الوفد السعودي تركي بن ماضي ، وقد أخذ منذ أن استقبلهم في دراسة نفسية رئيس الوفد اليمني عبد الله بن الوزير وسَبْرِ غور شخصيته ، وقد سجل انطباعاته وخلاصة ملاحظاته الشخصية عنه بقوله : (كان كعادته يتظاهر بالقوة والشجاعة ، ويضـع الأمور في غير موضعها ، وكان متغطرساً متكبراً . . ومع ذلك فليس عنده إخلاص للملكين ، ويُرَشِّحُ نفسه لولاية اليمن . وقد سبق لي به معرفة ، قبل هذه الآونة وذلك حينما انتدبه الإمام لمفاوضتنا في صنعاء عام ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م ، ولم يكن انتدابه إلا دليلا على عدم حسن النية من حكومتــه) .

وصـول الوفـــد إلى أبهـــا :

كان الوفد اليمني يتألف من أشخاص متوارين تحت شخصية ابن الوزير ، وكأن الإمام نفسه قصد ذلك ، فهو لم يُشِرْ في برقيته إلى الملك المؤرخة ١٣٥٢/٩/٢٩ هـ/ ١٩٣٤م بتعيين الوفد إلى أسمائهم فهو يقول (رأس المندوبين من لدينا الولد عبد الله ابن الوزير) بدون أن يوضح أسماء أولئك المندوبين كما عمل عندما أرسل الوفد في ٣ شعبان سنة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م فقد سمى وفده فرداً فرداً .

وصل الوفد مدينة أبها في يوم ٢ ذي القعدة فاستقبل الاستقبال اللائق وأنزل في المنزل المريح .

وعقد الاجتماع الأول التمهيدي ولم يتعد الترحيب والمجاملة والأحاديث العامة حول مُهِمَّة الوفدين ، بوجه الاجمال وسَبْرَ غور نفسية كل طرف للآخر وانفضت الجلسة ، وعلى أثر ذلك أبرق الوفد السعودي لجلالة الملك هذه البرقية : ٢/١١/٥٢هـ/ ٣٤م جلالة الملك المعظم .

اجتمعنا بالوفد اليمني للسلام والترحيب ، فكان الحديث عاما بشأن الاتفاق ، وأن عملنا لغاية واحدة ، عزة الإسلام والعرب ، ولم نبحث معهم اليوم بشيء بغية راحتهم ، ربما يكون الاجتماع بهم غداً ، وقد طلبوا عمل تجربة لفتح المخابرة باللاسلكي بين (أبها) و (صنعا) تسهيلا لتبادل البرقيات ، وسنجرى ذلك حسب طلبهم . (تواقيع أعضاء الوفد) .

جواب جلالته على الوفد السعودي

علمنا باجتماعكم ، ونرجو أن يتم الله ما فيه الخير ، ومادام أن هناك سبيلا للسلم فلا تذخرون جميع جهودكم في سبيل الوصول إليه ، ما لم يتعد الحد ، ويكون هناك ما ضرره أكبر من نفعه ، وبالله ثم بكم الكفاية ، وجميع ماعندي أبلغتكم به من قبل ، أسأل الله أن يوفقكم للخير .

الاجتماع الثانى :

في يوم ١٣٥٢/١١/٥ هـ / ١٩٣٤ م عقد الاجتماع الثاني بين الوفدين ، ودارت المناقشة ، وكان رئيس الوفد اليمني عبد الله بن الوزير متوتّر الأعصاب ، مسرفاً في تفوهاته ، وأخيراً رفض البحث في موضوع (نَجْرَان) وتمسك الوفد السعودي بضرورة البحث في تلك القضية ، وانفض المجلس دون نتيجة .

وبخروج الوفد السعودي اجتمع في مقر (فؤاد حمزة) وبعد التداول رفع لجلالة الملك بالنتيجة ثم تلاها بالبرقية الآتية بتوقيع فؤاد حمزة :

جلالـــة الملك . .

رفعنا لجلالتكم برقية من الوفد عن جلستنا اليوم ، وأوضحنا لجلالتكم أننا وجدنا من ابن الوزير حِدَّةً زائدة ، وقد ظهرت هذه الحدةُ منذ دخلوا حدودنا ، فقد كانوا في الطريق يظهرون الغطرسة والعظمة ، ويذكرون قوة الإمام يحيى ، وأنه اشترى كذا وكذا من المدافع والرشاشات ، وأنه ، وأنه الخ وأشاعوا في اليمن أنكم تنازلتم عن (نجران) و (يام) وقد أظهر من الحدة في جلستنا فوق المعروف ، وكان يقوم ويقعد متظاهراً أنه يريد الانسحاب من الجلسة ، وإنِّى أنتظر إرشاد جلالتكم فيما ترونه ، وغداً إن شاء الله يتبين لنا الموقف أكثر من أمس .

فأجابهـم جلالتـه بالبرقية الآتيـة

بتاريخ ١٣٥٢/١١/٧ هـ / ١٩٣٤ م

اطلعنا على ما كان بيننا وبين الوفد اليمني ، وأن ما أظهره ابن الوزير من الحماقة لم يكن فألاً حسنـاً للمستقبل ، وأنتم سيروا معهم سيراً حسنا موافقاً قابلوا اللين بمثله ، والشدة بمثلها ولكن بأدَبٍ ، وأخبروهم بأن الشدة لاتضر يَحْيَى ولا تُذِلُّنا ، وإنمـا تعرقل المساعي السلمية ، وإن كان المقصود من قدومهم الصلاح وحفظ الحقوق فذلك المطلوب ، وإن كان الأمر غير ذلك فلا يأسف إلا فاعل السُّوْء ، والعـاقبـة للمتقين ، أملي في إصـلاحهم ضعيف كذلـك حالاً أمـرت جنـودي بالاستعداد ، فإن حصل الصلاح فالاستعداد ما به نقص ، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله . أما السلم فنحن نحبه ونقدمه على كل شيء .

تـــوالي الجلســـــات :

وتـوالت الجلسـات بين الـوفـدين ، وكـان ابن الـوزير في تحـامل على فؤاد حمـزة تحـامـلا شخصياً ، ولا يتجـاوب مع أعضـاء الـوفد السعودي في اقتصار البحث على المـواد التي كانت موضـع الحوار بين العاهلين ، وهي (الحدود) ورفـع التعـدي على الأقســام التي احتلتهـا الجيوش المتـوكلية ، ومـوضـوع (نجـران) ، وإبـرام معـاهـدة أخـوية دينية سياسية بين البلدين ، ممـا كان هو

الغاية فى اجتماع الوفدين ، كما نصت عليه البرقيات المتبادلة ، وكان ابن الوزير يُصرُّ إصراراً قاطعاً على عدم البحث في موضوع (نجران) أو انسحاب جيشهم منه ، والوفد يرفع بدوره ما كان في كل جلسة من تلك الجلسات التي تدور في حلقة مفرغة نتيجة لعدم التجاوب من الوفد الإمامي وبالأخَصِّ في موضوع (نجران) .

وكما كان الوفد السعودي يرفع بما دار في كل جلسة ، كان الوفد الإمامي بدوره يرفع للإمام .

وبتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ورد للوفد السعودي الرسالة الآتية :

وفدنا الكريم في أبها ـ مكة المكرمة في ١٧/١١/١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤م .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أشرفنا على برقية الإمام يحيى لرئيس وفده التي زعم فيها أنَّ مسألة (نجران) خلصت بيننا وبينه ، وقد سمعنا في بعض برقياته لنا بعض الألفاظ التي فيها كذلك .

وقد تركنا الجدال معه منعاً للنزاع ، ورجاء أنه باجتماع الوفد يُحَلّ كل شيء مشكل ، وبناء على ما أخبرتمونا به من كلام الوفد في جلساتكم السابقة ، وبناء على ما رأيناه في برقية الإمام يحيى الأخيرة للوفد ظهر لنا أن الأمر على غير مانظن ، لذلك أحببت أن أوضح لكم ما عندي بصراحة .

أمـا دعـوى أنَّ بيني وبين الإمام يحيى كلاما يبيح له التعدِّى على (نجران) فحاشا وكَلَّا ، وليس هناك غير البرقيتين اللتين تعلمونها وعندكم نصها ، ومضمون الأولى أنها جواباً على برقية وردتنا من (يحيى) حينما قدم وفد نجران على (ابن مسـاعـد) و (ابن عسكـر) في أبهـا (فسأل سؤالا أجمل فيه بذكر (يام) ولم يخصص ، فتطْميناً لخاطره أجبناه بتلك البرقية ولم يخطر لنا أنه يريد أن يتعدَّى بأيِّ عدوان أو أية حركَة على (نجران) .

وقـد أفـدناه أننا لانحب المداخلة في (يام) سوى (نجران) ومداخلتنا في (نجـران) لا للتولي عليها إنما هي أمور قديمة من آبائنا وأجدادنا عليهم ، وأن لا يكون منهم حركة تحدث على أطراف العربان المجاورين لهم ولا يكون عليهم حركة تضرهم ، هذا معنى البرقية ونصها عندكم .

وقد وردتنا برقية يستزيدنا إيضاحا في المسألة فأجبناه ليكون مطمئن الخاطر ، وأنَّ العمل بيننا وبينه في مسألة (نجران) هو على ما كان بين مندوبيه وبين مندوبنا السابقين (ابن دليم) و (ابن ماضي) في عام ١٣٤٦هـ ونص تلك البرقية عندكم .

ومعنى ذلك أن مندوبينا حين بينوا الحدود وذكروا أن من (وائلة) وجنوبا لـ (يحيى) ومنها وشمالا لنا .

والدليل الأعظم على تابعية (نجران) لنا في السابق واللاحق ، الكتب الموجودة بينهم وبين آبائنا وأجدادنا ، وسيرتنا معهم .

وكذلك لما جرى منهم بعض العدوان هاجمهم (الإخوان) في (بَدْر) فلم يعترض الإمام على ذلك .

أيضاً ومن زمان (الدرعية) إلى الآن يجري من (أهل نجران) وعليهم حوادث من أهل (نجد) ولم يعترض عليها أحد لا من (الترك) من قبل ولا من (الإمام يحيى) من بعد .

وأنَّ (باديتهم) منذ ولانا الله (نجد) ثم (عسير) من بعده ، ونحن نأخذ الزكاة منهم ، فهذا دليل واضح مثل الشمس .

الثاني أنَّ الإمام (يحيى) لما قاتل (عبس) و (الزرانيق) لم يستفتنا لأنهم رعيته ، ولكن سألنا عن (يام) لأنهم محسوبون علينا .

ونحن ظننا أن استفتاءه لنا بشأنهم ، استفتاء الأخ لأخيه ، ولم نظن أن وراء الغطاء شيئاً مخبوءاً ، وأن هناك أمراً يُدَبَّرُ بليل .

ثم أرسلنا له وفداً لحل المشكل ، وليس بخاف عليكم حالة وفدنا في (صنعا) ثم طلب منا الإمام (يحيى) بعض الإيضاح ، وأخبرناه بأن الذي عندنا ثلاث مسائل :

الأولى : مسألة الحدود .

والثانية : مسألة الأدارسة لتسليمهم ، أو إبعادهم عن الحدود .

وكان منه بعض الاستفهام في المسألة واقتراح بأن تكون المعاهدة بيننا وبينه لعشرين سنة ، وأن تحدد الحدود بيننا وبينه فقبلنا اقتراحه ، واقترح علينا أن يبعد الأدارسة إلى (زبيد) فقبلنا ذلك أيضاً . واقترحنا عليه أن تكون (نجران) محايدة بيننا وبينه ، فمن ذلك الوقت إلى الآن لم يحصل أي قرار بشأن (نجران) .

وهـذا دليل واضـح أن المسـألـة لم تَنْتَهِ ، ولا يمكن أن تنتهي إلا بالمساواة والإنصاف بيننا وبينه ، ومع أنه قد صار (في الفخ أكبر من العصفور) .

وهي اعتـداؤهـم على الجبـال ، فقد أهَنَّا أنفسنا وردَعْنَا جندنا حبّا في السلم والعافية لأن ذلك من رغبتنا .

ونـظراً لمـا أبـداه حضـرتـه في برقياتـه بأنه يحب ذلك ، ولديكم من الوثائق والمعلومات التي أخبرناكم بها من قبل أمور كثيرة ما نحب نذكرها في هذه البرقيـــة .

إن الـذي أثبتـه لكم وآمركم به ، هو أن تجتهدوا في الإصلاح ، وأشهد الله وملائكته أني أحب ذلك ، فلو أفدي بالشيء الكثير ، مالم يمس الشرف أو يضطرنا على أمر ضرره علينا في العاجل والآجل أكثر من نفعه ، ولعنة الله على الكاذبين . وقد أحببت أن أخبركم بهذه الصراحة ، لأنَّ هذا أول ما عندي وآخر ما عندي للإمام (يحيى) وآخر ما عندي لكـــم .

* * *

وعندما استلم الوفد السعودي البرقية اغتنم أول جلسة عقدت ، وقرأ برقية جلالته على الـوفـد اليمني حرفياً ، لـم تسعفـه الحيرة بجـواب ، وبعد صمت ، أعقبه استفاقة ، طلب رئيس الوفد اليمني صورة البرقية فأجابه رئيس الوفد السعودي بأنه وزمـلاءه سيفكـرون في طلبهم ، وَرَانَ الصمتُ من جديد قطعه الوفد السعودي بقوله : هل تقبلون باقتراحنا الأول بشأن (نجران) .

الوفـد اليمني : لا .

الوفد السعودي : إذا أنتم تصرون على التمسك (بنجران) فهل تعلمون بأن ذلك يؤدي إلى الحرب لامحالـــة .

الوفد اليمني : إننا أوضحنا ما عندنا وفي اعتقادنا أننا لم نُخطىء ، وما تحملنا مشقة السفر إلا لاعتقادنا أن المسألة منتهية .

الوفـد السعودي : ليس عندنا إلا ما أخبرناكم به .

الوفـد اليمـني : سوف نرفع للإمام بما تـم .

وانفضت الجلسة ، وانصرف كل إلى (نُزلـه) .

رفـع الوفد اليمني للإمام بالواقع وما وصلت إليه المفاوضة ، وما قرىء عليه في رسالة الملك إلى الوفد حول القضايا التي انتدب لها ، وبالأخص حول (نجران) وإنما يظهر أنه لم يتلق أي تعليمات جديدة تُطَرِّي الموقف ، وتُلَيِّن من جفافه ، أو ترطب من يبوسته ، فظل متوقفاً لايَريم عن موقفه المتصلب في سلبية وتحجر .

واتصل الإمام بالملك برقياً ، ويظهر أن هذا الاتصال نتيجة لما رفعه وفده وقد أجابه الملك بالبرقية الآتيـة :

في ١٣٥٢/١٢/٦ هـ / ١٩٣٤ م سيادة الأخ الإمام يحيى .

تلقينا برقية الأخ المؤرخة غرة الحجة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ، إنا نأسف لما وصل إليه الموقف بسبب الخلاف والتطويل ، الذي حدث مما لا يتحمله غيرنا ، وقد سبق أن أخبرناكم بها فهمناه بأن رغبتكم في المطاولة بغية تعجيزنا وإملالنا كما ذكر بعض رجـالكم ، وقـد نفيتم ذلـك بالقـول ، وكـانت النتيجة بقبولنا وصبرنا أن ألحقت (الجبال) بـ (نجران) .

ثم تذكرون بأنكم توفون معنا بالعهود ، وأنكم لم تقبلوا أعداءنا ، وأنكم تعاملوننا معاملة الأخ لأخيه ، والصديق لصديقه ، وهذا كلام مع مقارنته بالأفْعال التي فعلت أيَّدَتْ يأسَنَا ، وتقرر عندنا أنَّ الأمْرَ دُبُّرَ بِلَيْلٍ ، مادامت الأقوال تنقضها الأفعال .

فالجبال قد أخذت بعد العهد ، والأدارسة بعد الوعد برفعهم مدوا وساعدوا لعمل الفتنة ، فلم يبق ما نرجوه من الصلاح .

والحقيقة أننا نحن الجناة على أنفسنا ، أهملنا أهل (نجران) ثم لَبَّثْنَاهم عن العمل ، ومنعنا المساعدة لهم رجاء التفاهم .

وكذا أهملنا أهل (فيفا) و (الجبال) وأوقفنا إمدادهم ، طلبا للسلم إلى أن وقع ما وقع ، وبعد هذا كله ، وبعد أن أعْيَتْنا جميع المراجعات والمكاتبات واستنفذنا سائر الوسائل السلمية الممكنة ، لم يبق لنا إلا أنْ نخبر حضرتكم بالصراحة التي نراها واجبة علينا ، وكرامة لحضرتكم عن الخداع بأننا توكلنا على الله ، واستمددناه من حوله وقوته ، على أداء الواجب الذي يحفظ أماتتنا ويؤمن رعايانا ، ويصون شرفنا ، وأمرنا بالدفاع لإنقاذ بلادنا .

وقد أحببنا إحاطة حضرتكم بهذا العزم لتكونوا على بَيِّنَة منه ، وباب السلم مفتوح إذا أردتموه ، وليس عندنا غير ما طلبناه في السابق وهو :

أولا : إخلاء (الجبال) وإطلاق رهائنهم ، وترك أمرهم مِنّا إليهم وتحديد الحدود بيننا وبينكم بمعاهدة .

ثانياً : إبعاد الأدارسة بالمحل المقرر .

ثالثاً : المساومة بـ (نجران) بأيّ حال من الأحوال .

وإن الأعمال التي سنعملها إن شاء الله من الدفاع عن شرفنا لايمنع السلم ونحن معذورون فيها .

وقد تقدمت الجنود متوكلة على الله ، والتوفيق بيد الله .

برقية جوابية من الإمام يحيى للملك
بتاريخ ١٠/١٢/١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/١٢/٦ في يوم عرفة ، ونشكر الأخ للإفصاح بتوجه أجناده علينا ، فنقول : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ، وإنا مع ذلك سنلتزم السكون ، راجين تلافي الأخ للسلم والصداقة خائفين من دسائس وأطماع الأجانب ، ولم يكن هناك اختلاف في شيء قطعاً غير ما عرفناكم .

[يلاحظ أن الإدريسي كانت إقامته في موضع يسمى (زهب حجر) شرق بلدة حرض اليمنية قرب حدودنا الجنوبية ، فتم الاتفاق بنقله إلى مدينة (زبيد) في الداخل والتي تبعد عن حدودنا نحو خمسمائة كيل تقريباً ، في حال أن الإمام هنا يفيد أنـه أمـر برفعه من الشرقية إلى (صعدة) والمسافة بين (زبيد) التهامية ، وجبالنا الشرقية وصعدة لا تقل عن سبعمائة كيل تقريباً] .

إنا أمرنا برفع الإدريسي من الجبال إلى صعدة وكان آخر ما عرفناكم من تعويل أهل الجبال علينا لتأمينهم ، ولما كان بـ (نجران) .

أمـا وعـدنا لكم من إرجاع (الجبال) وإطلاق الرهائن ، ورفع الأدارسة كما تراجعنا به والمعاهدة لعشرين عاما وإبقاء الحدود كما هي عليه ، فهذا نحن ملزمون به إلى الآن مع الإنصاف في بلاد (يام) .

وتأملت ملاحيقه لما كتبناه إليكم من اعترافكم بأنه لا أخوة لكم في كل بلاد (يام) فلابد نوافيكم بعد هذا بلفظ برقيتكم ، فلعلكم سهوتم عن ذلك .

ولا والله ما نريد المطاولة ولا الشقاق ، ولكن كم ترون على أخيكم ما لا ترونه على أنفسكم ، وتنسبـون إلينا نقض العهود والله المستعان ، أي عهد نقضناه ، فتداركوا الأمور عافاكم الله ، فإنه لا خير للإسلام والمسلمين ولا لنا ولا لكم في الشقاق بيننا والسلام عليكم .

حرر هذا في يوم عيد الأضحى الأكبر أعاده الله علينا وعليكم بالخير .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٠ منه أما شكر الأخ لنا على الإفصاح وإخباركم بتوجه جنودنا ، فيأبى الله أن يكون عندنا غير الإفصاح في جميع أقوالنا وأفعالنا .

وأمـا قولكم : (حسبنـا الله ونعم الـوكيل) ونحن نقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) على المعتدي منّا ، المتجاوز على الحدود ، ونرجو من الله من كان قصده الإصلاح والعافية أن يؤيّده وينصره ، ومن قصده الشقاق منا وأنْ يعمل بالباطل غير عمله بالظاهر ـ أن يجعل كيده في نحره ، ويكفي المسلمين شره ويشمت به الأعداء .

وأمـا السلم فأشهـد الله ومـلائكته أني أحب السلم مع جميع الخلق ومعكم خصوصاً ، مثل ما أحب السلم مع والدي عبد الرحمن .

فأمـا خوفكم من دسائس الأجانب فنحن ولله الحمد أحرص منكم على ذلك ولدينا شاهد قَوي ، وهو لما كان مندوب حكومة بريطانيا يفاوضكم رأينا تعديكم وتجاوزكم على حدودنا ورعايانا تركنا مقابلتكم بالمثل ، حتى تخلصوا معهم لئلا يقال : إنها دسيسة أجنبية ، فهذا أكبر شاهد لنا .

وأمـا الخيانة في العهد فهذا مثل الشمس ، انظر في برقيتكم دخلتم الجبال وأرسلتم الإدريسي ليبث الـدسـائس والفتن ، بعد قبولكم رفع الإدريسي وعمل معـاهـدة عشرين سنة بيننا وبينكم ، فهذا شاهدُ لنا أكبر من الجبال على نقض العهد ، وذلك دخولكم بلادنا بعد الاتفاق ، ونحن تأخرنا عن العدوان بمثله لما رأينا مفاوضتكم الانكليز .

أما الآن فأهل الجبال رعايانا ، وليس لكم حق بالمداخلة في شأنها بأي وجه من الوجوه ، إلا أن تكونوا محتلِّين محاربين .

فأما أمانهم فقد أعطيناكم الأمان عليهم ، والآن نعطيكم أمان الله ، وعهد الله ، أن ما يأتيهم منّا مثقال حَبة خردل جزاء ما فات ، إلا إن عملوا فيما بَعْدُ أمْراً مخالفاً ، والله واحد ، ومن غدر في العهد الأول ، غدر في العهد الثاني .

فإن كنتم تريدون السلم والعافية بيننا وبينكم ، فأقول لكم :

الـمـسـألـة الأولى : رفـع جنـودكم والإدريسي حالا في ظرف أيام قليلة من الجبـال وأطـرافهـا ، ويكـون الإدريسي في المحل الذي تقرر بيننا وبينكم

وتُخْلُون الجبال ، وتطلقون سراح مشائخهم ورهائنهم ونعطيكم عهد الله وأمانه ، أننا ما ندخلَ الجبال حتى يأتيهم من ولدنا سعود كتاب عهد وميثاق .

المسألة الثانية : مسألة نجران ، اختاروا فيها مسألتين ، إما أن يكون محايداً بيننا وبينكم ، كما عرفناكم سابقاً ، وإمَّا أن يكون ما بأيديكم من أهل نجران ويام . بلادهم ورؤوسهم لكم وما كان تحت أيدينا من أهل (نجران) و(يام) بلادهم ورؤوسهم لنا ، وتعطونا عهد الله على هذا ، أو توقف الأمور ، وأوضح لكم ما تقدم حتى لا يكـون مجالا للفرض والتأويل ، إنَّ قصدي من ذلك ، أنَّ وادي نجران الذي أهله تحت أيدينا لنا ، والذي تحت أيديكم لكم ، أما (هدادة) و(بدر) و(حبونا) فهذه لنا ، وليس فيها كلام قطعاً .

فإنْ كان هنـاك إنصاف فهذا الإنصاف ، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فقد عذرنا ، ولعنة الله على من يحب الحرب أو يثيرها .

ونـرجـو أن يكـون هذا العيد المبـارك فيه الصلاح والفلاح ، وأن يعيده علينا وعليكم بعز الإسلام والمسلمين ، وإصلاح ذات بيننا وبينكم ، ونرجو الإسراع في الجواب ، والبتِّ فيما ذكرنا لكم قبل حصول ما لا يمكن تلافيه والسلام .

برقية من الإمـام يحيي إلى المـلك

بتاريخ ١١ / ١٢ / ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ م

أوضحوا لنا ما هو الذي ترونه في أمر بلاد (يام) مع كلية الانصاف ؟

برقية جوابية من المـلك إلى الإمـام

بتـاريخ ١١ / ١٢ / ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ م

تلقينـا برقية الأخ المؤرخة ١١ منه وتطلبون منا الإيضاح بشأن بلاد يام ، وقد عرفناكم سابقاً أن يكون محايداً بيننا وبينكم ، وأن تكون بلاد يام التي تحت أيديكم في السـابق لكم ، والذي تحت أيدينا في السابق لنا ، مثل (هدادة) و(بدر) و(حُبُونا) وهذا ما ذكرناه لكم في السابق ، إذا صار نجران محايداً .

ولكننا نوضح لكم مسألة (هدادة) و (بدر) و (حبونا) لأن (بدر) بأيدينا من سابق منذ دخول (الإخوان) ومعاهدتهم معنا ، وكذا (حُبُونا) وعمدتنا القرار الذي كان بين مندوبيكم ومندوبينا ابن دليم وابن ماضي عام ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٨ م ، وذلك ما كان من (وائلة) وشمالا فهو لنا ، وما كان من (وائلة) وجنوباً فهو لكم ، وهذا الذي كنا نعتمد عليه في السابق واللاحق .

ولما جرى الاختلاف ، وكان من تَعدِّيكم على (نجران) طلبنا بالقرار المتقدم بيننا وبينكم ، واقترحنا أن يكون (نجران) محايداً ، مع العلم أن (بدر) و (حبونا) و (هدادة) تكون على حال السابق لأنها بأيدينا وهذا الذي نقصده من ذلك ، إذا حصل قبولكم الحياد في (نجران) كما أنَّ (وائلة) وغيرها من (يام) تكون بأيديكم لأن الاشتراك في نفس (نجران) قد يقع اختلاف فيه ، لذا أحببنا حياده لأنه أقرب للتفاهم وأضمن لحسن السيرة .

وحيث أنكم أصررتم على احتلال (نجران) وتفاقم الأمر ، وكرهنا ذلك ، وحبًّا للصلح والسلام ، اقترحنا أنكم إذا لم توافقوا على حياد نفس (نجران) يكون من تحت أيديكم من أهل بادية وحاضرة لكم ، ورؤوسهم وبلادهم ، ومن كان تحت أيدينا من أهله حاضرة وبادية يكونون لنا برؤوسهم وبلادهم ، هذا هو التوضيح الذي عرفناكم به أخيراً ، فنرجوكم التدقيق فيه ، وإبعاد التأويل عنه والإسراع بالرد بكلام واضح لينفصم الأمر ، وينقضي المشكل الذي عرفناكم به أخيراً .

ونرجو الله أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويكبت أعداء الدين ، ويحقن دماء المسلمين ، وأن يُخْزِي كل عدو للدين .

فإذا عزمتم على المسألة بـ (نجران) باحدى الفئتين التي ذكرناها لكم على السلم والراحة والتفكير في جميع ما يؤمن ذلك ، فنرجوكم حالاً إخلاء الجبال واطلاق الرهائن ، وعدم المداخلة في شأن الجبال ، وإبعاد الإدريسي إلى المكان الذي اتفقنا عليه ، ونحن نعطيكم عهد الله وأمانه لا نغدر بهم وأن

نجتهد بالإصلاح بكل ما نتمكن عليه ، وأن الأمان الذي أعطيناكم إياه لا يختلف عنه .

على أنَّ أهْل الجبال ولله الحمد هم معنا الآن على أحسن حال ، وقد عرفوا منزلة أنفسهم وحالهم منًّا في السابق ، ولولا خشية إيقاع جنودكم بهم وإننا تركناهم في السابق ، ولم نُمِدَّهُم ، لأظهرُوا ما في أنفسهم بالفعل مِن الميل نحونا ، نرجوكم التعجيل بالجواب بالصراحة والسرعة لنتمكن من تغيير خُطَّةِ جندنا وإيقافهم نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير .

فأجاب الإمام يحيي ببرقية مضمونها (إنكم قد تنازلتم عن يام ونجران في برقية سابقة) .

فأجــابه المــــلك بالبرقية

المؤرخة في ١٣ الحجة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ م

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣٥٢/١٢/١٣ هـ/ ١٩٣٤ م ونفيدكم خلاصة عن الحقيقة لأن التطويل لا فائدة فيه ، أما (يام) وحالتنا وإياكم فيه ، فليس عندنا زيادة على ما عرفناكم فيه ، والصلح عليه والحرب عليه ، ولم نَرَ من سبب لتعليل حضـرتكم إلا التـطويل في المسائل ، لإدراك عمل ما فات ، أما طلبكم منا أن نطلب البرقيات من مدير البرق فنحمد الله أنَّ أشغالنا مضبوطة لا إهمال فيها وجميع البرقيات التي بيننا وبينكم موجودة لا نكرر منها شيئاً ، وإذا قدر الله الاختلاف بيننا وبينكم ، سننشر ما كان بيننا وبينكم في العالم الإسلامي بغير زيادة ولا نقصان ، والكـلام يطول ويعرض ، وإذا تأملتم برقياتنا بهذا الشأن وجدتموها على الدوام مذكور فيها أنَّ العمل بيننا وبينكم مسألتان :

الأولى : على يد مندوبينا محمد بن دليم وتركي بن ماضي ورفقاهم ، فهذا لا نتغير عنه .

والثاني : ما عُقِدَ وتَمَّ في المؤتمر الذي انعقد أيام حوادث (الْعُرّ) . فهل غير ذلك العقدين شيئاً ؟ .

أما اختصار الأمر في برقيتنا التي أشرتم إليها فليس القصد منه إلا أن وفَدْنا كان مقدماً إليكم لحل مشكل (نجران) وغيرها ، وقد أوضحنا لكم ما عندهم وما عندنا ، ولكنهم لم يلقوا منكم قبول ، وقد حجزتموهم لديكم إلى أن أمضيتم أمركم في (نجران) فهل عندكم بشأن (نجران) و (يام) أحد أمرين .

١ - إما معاهدة تقضي بأن (يام) و (نجران) لكم .

٢ - أو أنكم أخبرتمونا حين تحرككم على (نجران) فأجزنا عملكم .

فهذه هي الحقيقة ، وهذا هو المعول عليه ، من جهة (يام) و (نجران) فليتفكر حضرتكم في الأمر ، ولينظر من الذي تجاوز الحد على العهود في (نجران) و (الجبال) .

هذا ردنا على برقيتكم ، وأفكارنا قد أوْلَتُمُوها ، والحقيقة التي عليها المعول هو ما أبرقناه لكم مؤخراً ببرقيتنا بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١١ هـ/ ١٩٣٤ م فتأملوها عافاكم الله .

كما أبرق له البرقية بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١٧ هـ/ ١٩٣٤ م بشأن ابن الوزير .

برقية من الإمـــام إلى الملك

بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١٧ هـ/ ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/١٢/١٧ وإنما أردْنا بوصول السيد عبد الله بن الوزير إلى حضرتكم ليكون منه إليه من المراجعة ما نراه للعرض عليكم ، والتفاهم الكامل ، ولا بأس بهذا يا حضرة الملك لمدة يسيرة إن كان الوفاق ، وإلا فلا يفوت عليكم شيء ، والأناة من الله ، والعجلة من الشيطان والسلام عليكم .

وقد أجـــاب عليه الملك بالبرقية الآتية

بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١٧ هـ/ ١٩٣٤ م

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/١٢/١٧ يُلِحُّ الأخ بوصول السيد ابن الوزير إلينا ويطلب أن تطول المدة مدة يسيرة .

أخي إن هذا موجب للأسف ، وقد صار الشك يقيناً ، وأيّد سُوءَ القصد وإنكم تريدون إتمام أعمالكم السابقة ، فلا ابن الوزير ولا غيره من كبير أو صغير أن يحل المشكل بدون أن ينفذ المطلب الذي طلبناه ، وهو فرض علينا إدراكه ، ولا يمكن تركه ، فإن كنتم تحبون الإنصاف والصلح والسلم وحقن الدماء فلا يكون إلا به ، ونحن لم نطلب شططاً ، ولم نطلب إلا حقًّا تجاوزتم عليه ، إنَّ العهود التي بيننا وبينكم أيام قدم إليكم ابن دليم وابن ماضي ، ونقضتم معاهدة (العُرّ) التي عاهدتمونا عليها ، ثم نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم في تحديد الحدود ، وعمل المعاهدة لمدة عشرين سنة ، ولم يكن لهذه العهود من جواب إلا استيلائكم على (فيفا) و(بني مالك) و(العبادل) وتقديم الإدريسي يشتغل بالفساد ، وقد أشرفنا على كتاب منه لـ (محمد بن حمود) صاحب (الحسينية) وغيره يحثُّهم فيه على الفتنة ، ويهددهم ويوعدهم .

إن مطلبنا الذي طلبناه منكم يقره كل منصف يخاف الله تعالى ، طلبنا منكم تسحبون جنودكم من بلادنا التي دخلتموها بعد العهد بيننا وبينكم ، وأن تطلقوا رهائن أهلها ، وأن لا تدخلوا في شؤونهم ، وقد أعطيناكم الأمان الذي طلبتموه لهم ، وعفونا عنهم ، ولم نعاتبهم على ما فات منهم ، لأنهم معذورون إذْ طلبوا النجدة منا لِرَدِّ عدوانكم فلم نُجِبْهُم لاستبعادنا أن يقع ذلك منكم علينا .

ثانياً : طلبنا منكم الإنصاف في (نجران) واقترحنا أن يكون محايداً بيننا وبينكم ، وأن يكون ما بِجَنُوبه من البلدان لكم ، وما بشماله من البلدان أن يكون لنا مثل (بدر) و(هدادة) و(حُبُونا) وما بينهما ، فإن كنتم لا توافقون على حياده فاقترحنا أن يكون من تحت أيديكم من أهل نجران لكم هم وبلدانهم ، ومن كان تحت أيدينا من أهل (نجران) هم وبلادهم لنا ، وهذا عدا ما هو واقع جنوب (نجران) أن يكون لكم ، وما هو شمال (نجران) مثل (هدادة) و(بدر) و(حُبُونا) فهو لنا كما تقدم ، وإنى أكرر هذا الطلب ، وأنا على خير رجاء بالنجاح ، لأن المعاملة التي

عاملتمونا بها آيستنا من النجاح ، ولكن توضيحاً للحقيقة ، وبراءة للذمة .

أما إيقاف العمل بغير شيء ظاهر واضح غير قابل للتأويل مستعجل فوق العادة ليس بالإمكـان ، لأن الأمـر قد فرط ، وباب السلم مفتوح إذا عزمتم على إتمام ما كان تقرر بيننا ، وقد مضى علينا عدة أشهر ، والعدوان يتمادى علينا ، ولم تُجْدِنا جميع المراجعات فائدة ، فلم يكن لنا مندوحة عن الدفاع الذي أمرنا به .

أما ابن الوزير فهو تحت أمركم ، إن أردتم رجوعه إليكم رجع ، وإن أردتم بقاءه في أبها بقى ، وإن أردتم قدومه إلينا يقدم ، وهو ولد كريم بين جماعته ورفاقته وأمره إليكم .

أما المراجعة والتعليل والتطويل فلا فائدة ولا نجاح لها ، والمسؤولية أمام الله ثم الرعية ثم أمام الناس ، على من تسبب وماطل عافاكم الله .

وبعـد هذه البرقية تقدمت الجيوش السعودية ، ودار القتال كما سنوضحه في الفصل الخاص بذلك مفصلا .

نـجـــــــــران

هو القـطر المعروف في جنوب شرق المملكة العربية السعودية ـ راجع كتابنا (نجران في أطوار التاريخ) المعد للطبع من العهد (الكلاسيكي) إلى نهاية العهد العثماني [1] .

لقد كان بعد العهد العثماني ـ كما كان خلاله ـ غير خاضع لجهة ما وإن كان يجـامل الأتراك مجاملة سياسية وأدبية مراعاة لمصالح طائفتهم الخاضعة للإدارة العثمانية في جهات (حراز) وغيرها ، في اليمن الأعلى .

وقنـع الأتراك بانتمائهم الاسمى ، تحت إدارة زعيمهم الروحي (المكرمي) الـذي يدين وأهـل نجران بالولاء الحقيقي لإمام طائفة الإسماعيلية في الهند ، وترسل إليه زكواتهم ، ويتلقون توجيهاته .

وبجـلاء الأتـراك بعـد أن سلمـوا للإمـام يحيي إدارة المرتفعات الجبلية من (صعدة) شمالا إلى (المحميات البريطانية) آنذاك ـ اليمن الجنوبي حالياً ـ مع زبيد والمخا وأصبحت حدود بلاد الإمام يحيي تماس حدود الإمارة الإدريسية .

وفي الجنوب الغربي تفصل بينهما قبيلة الزرانيق التي ليست خاضعة ـ آنذاك لأحدهما وفي القسم الجبلي من (عبال) في الجنوب الشرقي إلى (بني مالك) في الشمال الشرقي .

وضمّ ابن سعود بلاد عسير ـ التي تربطها عهود ولاء بآل سعود من عهد الدولة السعودية الأولى ، وبذلك تلامست الحدود مع الحكومة المتوكلية في تلك الناحية .

وبدخول القسم الشمالي من الإمارة الإدريسية تحت السيادة السعودية تماسست الحدود من الناحية الجنوبية الغربية والشمالية والشرقية بين المملكتين .

وبقيت نجران منطقة حياد لا حكم لأحد الطرفين عليها ، وهى في نزاع قبلي مع قبائل الحكومتين تارة يُدال لها وتارة عليها .

(١) صح طبع الكتاب سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م .

ومنذ التحام الحدود المباشرة بين الحكومتين أخذ كل طرف من الطرفين يهيىء الأسباب لاحتواء (نجران) ، وأول وسائل الاحتواء الادعاء ، وأرادت الحكومتان تحـديد الحدود ، فتم الاتفاق على إرسال وفد إلى صنعاء للتفاوض في موضوع الحدود فتألف الوفد السعودي من ابن مشيط وأبي ملحة وتركي بن ماضي والوفد اليمني من (عبد الله بن الوزير ورفقاه) وبعد شهر من المفاوضات المضنية ، لم تسفر المفاوضات عن نتيجة فعاد الوفد إلى مكة .

وفي ١٢/٥/١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٨ م انتدب وفد إلى صنعاء لاستئناف المفاوضة السابقة مؤلف من ابن دُليم وتركي بن ماضي ، ووصل الوفد السعودي إلى صنعاء وانتدب الإمام للمفاوضة معهما الوزير الأول عبد الله الْعَمْري ، ورئيس الديوان عبـد الكـريم المطهَّر ، وتوالت الجلسات ، ويقول الوفد السعودي إنه لأول مرة اعترف الوفد اليمني بسيادة ابن سعود على البلاد الإدريسية وعسير ، ورسم ما يشبه الخريطة للحدود ، وإن الاتفاق كاد أن يتم لولا مسألة نجران ، التي تمسك كل من الوفدين بادعائها .

فالحكومة السعودية تعتبر نجران تابعاً لها منذ تأسست الدولة السعودية الأولى حسب ما لديها من وثائق تاريخية ، وأنه امتداد لحدودها الجنوبية الشرقية وضرورة دفاعية .

والحكومة المتوكلية تعتبره تابعاً لها ، وجزءاً مكملا لها ، لا يمكن التفريط فيه .

وأهل نجران إسماعيلية في عداء (عقائدي) مع كل الفرق الإسلامية وتقليدي بالأخص مع الزيدية وآخر حروبهم الطاحنة مع الزيدية وقعت في جهة (طيبة) وبلاد همدان في اليمن نفسه مع الإمام شرف الدين الذي دمر معاقلهم ، وهدم حصونهم هناك ، وأجلاهم عن عاصمتهم الروحية بلدة (طيبة) وشردهم وشتت جمـاعتهم ، ففـر زعيمهم جَدُّ مكـارمـة نجـران إلى الحديدة ، ومنها أبحر إلى القنفذة ، ومن هناك اتصل بطائفتهم في نجران فاستقدموه ونصبوه زعيما روحيا عليهم .

وهم كالاسماعيلية - لا يرغبون في الانضمام إلى جهة ، ويودون آنذاك البقاء على حالتهم بين الجهتين وحكم أنفسهم على الطريقة القبلية تحت زعامة المكرمي .

وفي نفس الوقت استغلوا التنافس السياسي عليهم بين المملكتين ، واستفادوا ماديا وتقاسموا الأدوار بمهارتهم ، ووظفوا ذكاءهم وحيلهم الباطنية لمصلحتهم ، وتعميق نفوذهم وتمحور تفردهم ، وتنمية قدراتهم القبلية وتمتين تمردهم وكانوا يقتسمون الأدوار بمهارة وبفطنة فيتصل البعض بهذه الجهة والبعض بالأخرى للاستفادة المادية ، وإن كان المكرمي نفسه ، وأكثر شيوخهم يرون أن في كرم (الرياض) وسياستها المرنة ، ما يقربهم إليها .

وعلى ذلك عاشت نجران من سنة ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ م - ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م مستفيدة ومحاولة محاولة غير ناجحة أن تكون محايدة بين الجهتين .

وفي أوائل سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م تراءى للإمام أن الفرصة سانحة - بالأخص بعد فتنة الإدريسي - والتجائه إلى الحكومة المتوكلية ، وما سبق ذلك من فتنة (حركة الدباغين) في الشمال ظنًا أن السعودية مثخنة بالجراح مَهْدُودة القوة ، بعد كل ما جرى ، فعملت حكومته على إثارة فتنة محلية في نجران ، وفي نفس الوقت أخذت في الحشد والتجهيز على حدود نجران للتدخل ، وعندما قامت الفتنة المحلية زحفت جنودها على نجران ، فقاومها الأكثر وتساهل معها الأقل فمالت بحدِّها وجَدِّها إلى تلك الأكثرية المتمثلة في (المكرمي) ومن يؤيده فسحقت قوتهم ، ففروا ملتجئين إلى الرِّياض فدخلت إلى مركز المكرمي بلدة (بدر) وَدَمَّرتْها ، وأخربت بيوت المكرمي ، ونبشت قبور أسلافه ، وبذلك صبت الوقود على النار ، فهب أنصار المكرمي فأجلوهم عن بدر ، فتمركزت القوات المتوكلية في حصون وادي نجران ، فأصبحت البادية وبلاد يام في يد المقاومة ، وأصبح الوادي محتلا بالقوات المتوكلية وتمكنت المقاومة من تجميد نشاط القوات المتوكلية وعدم تمكينها من التوسع ، وتغيير موقفها من الهجوم إلى الدفاع .

وعند اشتداد الأزمة بين المملكتين تقدمت سرية من الجيش السعودي

ورابطت في أسفل وادي نجران ، وفضل الموقف على الوجه الآتي :

١ - القوات المتوكلية متحصنة في قصور وادي (نجران) .

٢ - البادية وبلاد يام ليست لأحد ، والمقاومة مستمرة .

٣ - سرية من الجيش السعودي في أسفل وادي نجران .

وفي يوم ١٨/١٢/١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ نشب القتال بين الشقيقتين في الجهتين الشرقية والغربية الأولى بقيادة ولي العهد سعود بن عبد العزيز ، والثانية بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز .

وقد تقدمت القوات السعودية إلى أن وصلت إلى مشارف مدينة (زَبِيْد) جنوباً ، وفي الشرق الجنوبي إلى مشارف الجبال بعد مدينة باجل .

أما في الميدان الشرقي الشمالي فقد تمكنت القوات السعودية من القضاء على كل نشاط للجيش المتوكلي والتوغل في خطوطه الأمامية .

ونكتفي هنا بإيراد ما سطره صاحب كتاب « اليمن عبر التاريخ » ومؤلفه من إخواننا اليمنيين حول تلك الحرب الضارية ، حيث قال في ص ٢٨٧ الطبعة الأولى :

« أما حركة المقاومة من جانب القوات المتوكلية فإنها شُلَّتْ تماماً . . وأدَّى ذلك إلى توقف القوات المتوكلية لا في المنطقة الشمالية الشرقية وحسب ، بل وفي المنطقة الغربية الجنوبية التي سقطت فعلا في يد القوات السعودية » .

الحصــــار :

أشرنا في الفصل الخاص بالبرقيات المتبادلة بين الملك عبد العزيز والإمام يحيي وتوقفنا عند برقية الملك عبد العزيز الأخيرة بتاريخ ١٧/١٢/١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ م وفي نفس اليوم أذِن لعبد الله بن الوزير رئيس الوفد اليمني ورفقائه بالسفر عن طريق القنفذة فلم يوافق ، ورغب أن يكون سفره عن طريق ظهران الجنوب ، فلم توافق الحكومة على ذلك خشية على حياته في المخاطرة بسلوكه في خطوط القتال ، وتقرر سفره إلى مكة المكرمة حتى تهيأ له وسيلة في توجهه إلى الحُدَيْدَة بَحْراً .

انتقل عبد الله بن الوزير ورفقاؤه إلى مكة ، وكان المرافق لهم عضو الوفد السعودي تركي بن ماضي .

وبقى ابن الوزير في مكة ينتظر السماح بالسفر من جدة إلى عدن بحراً نظراً لاستيلاء الجيش السعودي على الحُديدَة ، وهو الميناء الرئيسي لليمن واندفاعه جنوباً وشرقاً إلى الجبال التي شرق باجل ، وجنوباً إلى الحسينية قرب مدينة (زَبِيْد) .

وشعر الإمام بهزة الزلزال ورجة البركان الذي يحيق بمملكته فأبرق لابن سعود : « أيها الأخ : كفى ما قد حصل ، وهذا الولد عبد الله الوزير مفوضاً منا لعقد المعاهدة » وحضر ابن الوزير لمقابلة الملك عبد العزيز وتلقي الشروط التي يتم بها الصلح فكتب الملك بيده الشروط الآتية :

١ ـ تسليم الأدارسة .

٢ ـ الانسحاب من نجران .

٣ ـ الاعتراف .

٤ ـ المعاهدة لمدة عشرين سنة .

وحالا تسلمها ابن الوزير ، واستأذن للخروج للإبراق للإمام بها ، وأبرق فعلا فوصلت موافقة الإمام على ذلك ، وعُقدت المعاهدة ، وانسحبت الجيوش اليمنية من نجران والجبال ، ودخلتها الجيوش السعودية ، كما انسحبت الجيوش السعودية من تهامة اليمن الإمامية التي احتلتها في تلك الحرب ، كما سنورده مفصلا .

بعد وصول برقية الإمام إلى الملك عبد العزيز وموافقة الإمام على شروط الملك وفي أثناء إبرام المعاهدة كان وصول الوفد الإسلامي .

الوفــد الإســلامي :

كان الزعيم الإسلامي المعروف الشيخ محمد رشيد رضا قد اتصل بكل من الملك والإمام يحيى برقياً ورجاهما إنهاء الحرب حرصاً على الوحدة العربية

والجامعة الإسلامية وهما خير من يحرصان ، وبالأخص في شبه الجزيرة العربية مهـد القومية ، ومهبط الرسالة المحمدية ومن فوره اتصل بالأمير شكَيب أرسلان وأمين الحسيني ومحمد على عَلُّوبَةَ فتم الرأي على توجه الوفد إلى الحجاز لمقابلة الملك عبد العزيز فوصلوا وقد تَمَّ الأمر على ما أشرنا إليه فيما تقدم ، وبعد إبرام المعاهدة توجه أعضاء الوفد رفق ابن الوزير إلى الحديدة ومنها إلى صنعاء وقابلوا الإمام يحيى وتم توقيع المعاهدة من الإمام على ما سنوضحه بعد .

***

الفصــل العشــرون

الحـــالـة في الجنــــــوب

كان الأتـراك في الـدور الثـاني من حكمهم على جنـوب الجزيرة العربية قد استعادوا سيطرتهم على ذلك القسم في عام ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٨ م وهو العام الذي وصل فيه خليل باشا ، وانتزع الإمارة من أحمد بن حمود أبي مِسْمَار وولاها حليفهم علي بن حيدر .

ثم كتب كتاباً إلى إمام صنعاء مع وفد من لديه يرأسه يوسف أغا فتفاوض مع الإمام على دفع مبلغ من المال ، لقاء إقراره على إمامته ، فأرسل الإمام عماله إلى البـلاد ، ما عدا ما كان تابعاً لحمود وهو المخلاف السليماني ، وقسم من تهامة اليمن ، وأقرَّ عليه علي بن حيدر - كما ذكرنا - ثم عاد خليل باشا إلى الحجاز بعد أن ربط إدارة إمارة علي بن حيدر بسلطته في مكة ، وظل الوضع كالآتي :

١ - من حدود قبيلة صليل وشمالا إلى (الشُّقَيْق) تحت إمارة على بن حيدر وينوب عنه على وادي مَوْر ابْنه الحسين .

٢ - صليل وما جاورها تحت سلطة أحد الإقطاعيين المسمى الكلفود .

٣ - سواحل الحُديدة والمخا وما بعده مع القسم الجبلي تحت سلطة إمام صنعاء .

ثم تغير الوضع بغزو العسيريين لتهامة اليمن فكان :

١ - صليل والحديدة والمخا للعسيريين - راجع الفصل الخاص بإمارة العسيريين .

٢ - انحصرت إمارة علي بن حيدر في جهة أبي عريش تحت تبعية عسير - راجع الفصل الخاص بإمارة (علي بن حيدر) .

٣ ـ إمام صنعا في القسم الجبلي ـ راجع الفصل الخاص بإمامة الزيْدِيين .

وفي سنة ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م وصلت قوات حاكم مصر محمد علي بقيادة شخص يسمى محمد أمين يحمل كتاباً إلى علي بن حيدر يقضي بإرسال ابنه الحسين بن علي مع الحملة للاستيلاء على تهامة اليمن من العسيريين ، فتقدمت تلك القوات واستولت على الحديدة فانسحب العسيريون من الحديدة وغيرها إلى بلادهم واستولت قوات محمد علي على تهامة اليمن إلى المخا وباديتها ، واتخذت مدينة الحُديدَة قاعدة لحكمها ، وظل علي بن حيدر على إمارته في أبي عريش مرتبطاً بقائد محمد علي في الحُديدة .

وتوفي علي بن حيدر في سنة ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م فخلفه ابنه الحسين بن علي على إمارة أبي عريش ، حتى صدر الأمر للقوات المصرية كنتيجة لمؤتمر (لندرة) بانسحاب قوات محمد علي ، فصدر الأمر بتسليم تهامة بأسرها للحسين بن علي ابن حيدر نيابة عن الخلافة العثمانية فتسلم الحسين بن علي البلاد إلى المخا ، وأخذ في التجهيز لغزو (عدن) ـ المحمية البريطانية آنذاك .

ثم غزا القسم الجبليّ فوصل إلى ـ تَعِزّ ، ثم إلى إب إلا أن إمام صنعا الجديد محمد يحيى الذي كان حَليفَهُ بالأمس أخذ في الاستعداد لاستعادة ما استولى عليه من القسم الجبلي ، ومن هنا تحفز الأمير عائض أمير عسير لغزو بلاد الحسين ، فسوى أمره مع عائض ، وانصرف للاستعداد لقتال محمد بن يحيي إلا أن هذا سبقه إلى الهجوم ، ودارت المعركة فوقع أسيراً في يد محمد بن يحيي فسجنه في قرية (البشيشية) إحدى قرى زَبِيد ، واستولى على القسم الجنوبي من تهامة من (الزيدية) وجنوباً إلى المَخا وبقيت الحُديدة ، واللحَيَّة ووادي مَوْرٍ بيد نواب الحسين بن علي تابعة إلى أبي عريش .

وفي شهر شعبان سنة ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م استعان أبناء أخي الأمير الحسين بمرتزقة من يام وتقدموا إلى القرية المسجون بها الأمير وتمكنوا من إطلاقه ، وإعادته إلى الإمارة .

إنّ ما كانت تحيكه بريطانيا ضد الحسين بن علي الذي حاول مهاجمة عدن قد وجد سبيله إلى الاستجابة من (الآستانة) وبالأخص بعد هزيمته من قبل محمد ابن يحيى إمام صنعا وأسره ، فأرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة توفيق باشا ورافقه أمير مكة محمد بن عون في نفس تلك السنة وتسلمت القوات التركية منه تهامة ـ كما تقدم ـ واتصلوا بإمام صنعا محمد بن يحيى فقابلهم في أطراف القسم الجبلي وتقدم بهم إلى صنعا وتسلموها منه ، إلا أنَّ منافسه على المهدي اقتحم مدينة صنعا ، وطرد فلولهم إلى تهامة ، وقطع رأس محمد بن يحيى ، وعاد محمد بن عون إلى مكة ، وبقي توفيق باشا حاكماً على تهامة اليمن وتهامة عسير يصرف أمورها من الحُديْدة إلى أن توفي وكان الوضع كالآتي :

١ ـ القسم الجبلي الأعلى تحت إمامة علي بن المهدي إمام صنعاء .

٢ ـ تهامة تحت حكم الأتراك .

٣ ـ المخلاف السليماني يتولى أمره ورثة علي بن حيدر وتتأرجح سيادته بين الأتراك والعسيريين .

وتحفز الأتراك بعد غزو محمد بن عايض للحُديْدة وهزيمته من تحت أسوارها ، وبعثوا الجحافل نحو عسير ، وصل رديف باشا إلى حَلي ابْن يعقوب ، ثم زحف على مُحَايل فاحتلها يوم ١٠/١٢/١٢٨١ هـ/ ١٨٦٥ م واستمر القتال حتى قُتلَ ابْنُ عايضٍ صَبْراً في صفر سنة ١٢٨٩هـ فاستولى الأتراك على عسير ، ثم وصلت قواتهم الأخرى صنعاء ١٦/٢/١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م وهكذا أعادوا جنوب الجزيرة إلى سيطرة الأتراك .

واستمـر الأتـراك على إدارة البـلاد ، وكـان سلطانهم على تهـامـة من سنـة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م مباشـرة أوبالنيابـة ، والأتـراك حَنَفِيُّو المـذهب من مذاهب السنـة ، والجمـاعـة الأربعة يتفقون مع أهل تهامة الشافِعيِّ المذهب ، وإن كان الأتـراك أعـاجم ، فالاتفـاق بين أهـل المذاهب الأربعة حاصل والقناعة بصحة مذهبهم موجـودة ، بخـلاف الشيعـة فهم مع أهـل السنـة والجماعة في خلاف

مذهبي وسياسي كما يسجله التاريخ [1] فقد كان حكم الأئمة منحصراً في الشمال الأعلى فيما بين ذمار وصعدة ، وقد يتقلص عن تلك المساحة وينحصر في صعدة ، ولم يكتب له التوسع النسبي إلا في عهد الإمام شرف الدين في القرن العاشر ، ثم بعد ذلك استولى الأتراك على اليمن إلى عهد الإمام المؤيد (١٠٢٩ هـ/ ١٦٢٠ م ـ ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م) وهو أول من امتد حكمه على بلاد اليمن سَهْلِه وجَبَلِهِ ، وعم سلطانه البلاد اليمنية التي تدين بمذهب الشافعي في السهل والجبال .

وكانت من أول القرن الثالث ـ العهد الزيادي يحكمها أمراء أو ملوك سنيون فكان الاختلاف المذهبي داعياً لعدم الانسجام في العهد الجديد ـ وبقدر ما ابتعد الشوافع من حكامهم استراب الأئمة فيهم واشتدوا في الحكم

---

(١) جاء في كتاب « أطباق الحلوى » لابن الوزير وهو من كبار مؤرخي الزيدية ص ٤٥ مخطوط ما نصه وفيها وقعت بين الإمام إسماعيل المتوكل ، وعلماء العصر مطارحات ، منها ما هو التكفير بالإلزام الذي يذهب إليه الإمام ـ نفسه ـ ووضع في ذلك رسالة مطبوعة القاضي المحيرثي ومنها في شأن التأديب الذي يعم البلاد ، وسببه خاص ، ومنها في شأن المكوس والمجابي ، ومنها ما يتعلق بالزكوات .

ولما سأل الإمام إسماعيل عن هذه المطالب الشهرية ببلاد اليمن الأسفل ـ يلاحظ أن اليمن الأسفل هو (تعز) ـ (إب) ـ (العدين) ـ (بعدان) ـ (ملحان) ـ (ريمه) ، و (قدس) وغيرها ، وكذا في ما يسمى حالياً باليمن الجنوبي وتهامة اليمن وغيرها في تلك الجهات ـ وسبب أخذها واستحصالها منهم ، فكان من جملة جوابه على السائل ما يأتي :

(إن في مذهب أهل العدل ـ الزيدية ـ أن المجبرة والمشبهة كفار . .) وكان الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن القاسم لا يتحمل وجود فقهاء الشافعية في مساجد تعز ، ويسميهم كفار التأويل .

ومن رسائل هذا الإمام ـ المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ـ قبل توليه الإمامة ـ إلى عمه الإمام إسماعيل قوله : انه يتعجب حينما يرى فقهاء الشافعية يؤمون الناس في مساجد تعز مع وجود فقهاء الزيدية ـ وانهم ـ أي فقهاء الشافعية يعلمون عقائدهم الخبيثة في مدارسهم ومساجدهم .

وإنه يرى أن الأئمة الذين سبقوا المتوكل كان لهم عذرهم في عدم القضاء على الشافعية بسبب وجود دول شافعية في اليمن في الماضي ، أما بعد انفراد الأئمة الزيديين بحكم اليمن فيجب على الإمام أن ينفذ قضاءه فيهم .

عليهم [1] .

وقد وجد أهل اليمن الأسفل القسم الشافعي وأهل تهامة في الحكم التركي على ضعف إدارته ، وقلة نفوذ سلطانه ، وإهمالهم لشؤون البوادي ، ما يتواءم

---

(١) إن الدارس لتاريخ جنوب الجزيرة يجد أن الاختلافات المذهبية والنزعات الطائفية كانت السبب في كل الحروب المحلية ، وإذا كان قد وقع ذلك في كثير من أنحاء الجزيرة والبلاد الإسلامية ، إلا أنه في جنوب الجزيرة كان أدعى إلى الفرقة والاختلاف ، لقد استوعب اليمن كثيراً من المذاهب والفرق من شافعيه وحنفية ، وخوارج وزيدية ، وإسماعيلية ، ومطرفية ـ فرقة من الفرق ـ وغيرها ، واستمرت الحروب وشبت الفتن وزالت أكثرها إلا القليل ، وإنما المذهبان اللذان تشبثت عروقهما بتربة الحياة وساد سلطانهما هما الشافعية في اليمن الأسفل واليمن الجنوبية وتهامة ، والزيدية في القسم الأعلى الشمالي ، فالشافعية ظلت المذهب الرسمي ، من عهد الإمارة الزيادية على تهامة من سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦ م إلى نهاية الدولة الطاهرية سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م إلا في فترات يسيرة ساد فيها المذهب الإسماعيلي في العهد الصليحي ومذهب الخوارج في عهد علي بن مهدي وابنيه وقد بلغ من عمق الولاء المذهبي أن أهل تهامة اليمن كانوا يفضلون سلطان النجاحيين السني المذهب والأحباش الأصل على سلطان الصليحي الإسماعيلي المذهب العربي الأصل .

فكان في أثناء تداول الحروب بين النجاحيين والصليحيين إنه إذا جاء فصل الشتاء نزل الصليحيون بجيوشهم واستولوا على زبيد بالقوة ففر النجاحيون إلى جزيرة دهلك فإذا أقبل فصل الصيف نزل النجاحيون في السفن من جزيرة دهلك فيستقبلهم أهل زبيد يتقدمهم الفقهاء والزهاد بالمصاحف مرفوعة والأعلام منشوره احتفاءاً وابتهاجاً فينسحب الصليحيون إلى الجبال .

وجاء بعد الدولة الطاهرية ـ عهد الجراكسة المصريين مع قلة عنايتهم بالناحية المذهبية ، وتلاهم عهد الأتراك الأول من سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م ـ ١١٤٠ هـ/ ١٧٢٧ م وهم أيضاً سنيون ، فارتاح إلى سياستهم الداخلية الشافعيون .

وبعد تمكن الإمام المؤيد من إجلاء الأتراك سنة ١١٤٠ هـ/ ١٧٢٧ م ـ استمر حكمه وحكم خلفائه إلى سنة ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٨ م وبوصول خليل باشا الذي أقر باسم الدولة العثمانية علي بن حيدر على المخلاف السليماني ووادي (مور) وأقر الإمام (محمد بن يحيي المتوكل) على القسم الجنوبي من الزيدية إلى باب المندب مع الجبال مقابل (خراج) للدولة .

ظلت الحالة على ذلك الوجه تقريباً مع استيلاء العسيريين في فترات على كثير من بلاد تهامة إلى المخا إلى سنة ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٧ م فوصل توفيق باشا ومحمد بن عون لاستلام البلاد باسم الدولة العثمانية فقابله الإمام محمد بن يحيي وصعد ببعض القوات التركية إلى صنعاء وبعد وقت قصير هاجم صنعاء علي بن المهدي وطرد الحامية التركية وقطع رأس الإمام محمد بن يحيي وبعده تولى المنصور أحمد بن هاشم سنة ١٢٦٥هـ وكان الوضع التقريبي في جنوب الجزيرة في عام ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩ م كالآتي :

١ ـ تهامة وبعض الجبال الجنوبية تحت سلطة الأتراك . ٢ ـ حراز وأعمالها للمكرمي صاحب نجران .
٣ ـ صنعاء وأعمالها تتأرجح بين سلطات الأئمة الزيدية .

مع ميولهم المذهبية وعقائدهم السنية ، وظل الأتراك على حكم جنوب الجزيرة حتى كان غزو (إيطاليا) لطرابلس وإعلان إيطاليا الحرب على تركيا .

وكان أول ثائر على الأتراك في تهامة محمد بن علي الإدريسي - راجع الفصل الخاص بالإدريسي - وتلاه الإمام يحيى في القسم الجبلي الأعلى ، حيث يتركز المذهب الزيدي - واتصل الإمام يحيي بالإدريسي للتنسيق في غايتهما الثورية ضد عدوهما المشترك - راجع الفصل الخاص بالإدريسي والإمام يحيي - ثم اختلفا وسار كل منهما في طريقه وبصفة الإمام الإدريسي شافعي المذهب فقد تجاوب معه كل أهل تهامة ، بل وبعض شافعيي أهل الجبال كأهل ملحان وريمة وعبال وصعفان وغيرهم ولو طال به العمر لكان انضم إليه اليمن الأسفل - راجع الفصل الثامن - الإمامين الإدريسي ويحيى - وراجع الفصل الثاني نظرة الإدريسي إلى الإمام يحيى .

وكان الإدريسي قريباً إلى نفوس أهل تهامة محبباً إلى قلوبهم ، نعرف ذلك من ميل أهل تهامة إليه ، وهذه قبيلة (القُحْرَا) وهي من أعتى قبائل تهامة بعد أن أسرت البعثة البريطانية المتوجهة من الحديدة إلى صنعا لم تستجب لنداءات الإمام يحيي في إطلاقهم ولا لإغراءات الإنكليز أو تهديداتهم ، وإنما لنعومة السياسة الإدريسية وقربها إلى مفاهيمهم ، استجابوا لنداء الإدريسي وسلموا البعثة المأسورة لرجاله فأضاف إلى رصيده السياسي لدى الإنجليز رصيداً جديداً من مكاسبه تسليمه مدينة (الحُديْدة) في عام ١٣٣٨ هـ/ ١٩١٩ م التي احتلها الإنكليز ، ولم يسلموها للإمام يحيي - كما تقدم .

لقد توفي الإدريسي في شهر شعبان سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م وقد مضى على ثورته ضد الأتراك خمس عشرة سنة وعلى تسلمه مدينة الحديدة ثلاث سنوات ، وإنما كان في خلال هذه البرهة اليسيرة قد رسخ حكمه فيما استولى عليه من تهامة اليمن فضلا عن مسقط رأسه أوموطن انطلاق ثورته - المخلاف السليماني - وتعمق له الولاء وتعلق الناس بشخصيته وإنما لم يكن له الخَلَفُ الذي يحافظ على مكاسب الإمارة ، فقد تولى خلافته ابنه الأكبر علي بن محمد فعارَضَهُ عَمّه ، ثم سويت المسألة على دَخَنٍ ، فثار عليه قريبه مصطفى

الإدريسي ، ولم ينته الخلاف إلا بعد تحركات وخسائر أَوْهَنَتْ قوى الإمارة ـ راجع الفصل الخاص بثورة مصطفى الإدريسي ـ والإمام يحيي يتربص على حدوده الشمالية الغربية ، ويعمل بكل جهد للانقضاض على النصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية ـ كما تقدم ـ بعنوان الحالة في القسم الجنوبي من الإمارة الإدريسية ـ إن الإمام يحيي والإدريسي هما من رجال هذه الأمة باسمها قاما وبأبنائها قاتلا ، وقد حررا الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية من الأتراك ، وكان الإمام يحيي أقرب إلى نفوس الأتراك ، وبموجب معاهدة صلح القسطنطينية بين الأتراك والحلفاء القاضية بانسحابهم من البلاد العربية وغيرها سلموا ما تحت أيديهم للإمام يحيى ، أما الإمام الإدريسي فقد أخذ منهم عنوة المخلاف السليماني والجزء الشمالي من تهامة ، كما سلم الأتراك عسير لأهلها وبدورهم بموجب معاهدة صبيا انضموا إلى الإدريسي أولا ثم استمالهم أمير مكة فنقضوا ما أبرموه مع الإدريسي ، ثم اختلفوا مع الرياض التي دعتهم للانضمام إليها كأسلافهم ، فاستولت الرياض على عسير كما تقدم .

بالرغم من قصر المدة بين أمر استيلاء الإدريسي على البلاد الجنوبية من الأتراك وموته وإسناد الأمر بعده إلى ابنه إلا أن عمق الشعور تجاه تلك الإمارة في تهامة كان أعمق مما يُقَدَّر ، فبعد ثلاث سنوات من استيلائه على مدينة الحديدة أي في سنة ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م توفي الإدريسي ، فاستولى الإمام يحيى على النصف الجنوبي من تلك الإمارة من (عبال) والضحي إلى ميدي ، إلا أن روح الطائفية الجديدة والتعسف المذهبي جعل أهل تهامة يعربون عن استيائهم ، بالثورات المرتجلة والحركات الفجة الطائشة أملا أن يعود إليهم الحكم الإدريسي ، الذي يوائم ميولهم .

١ ـ فقامت ثورة في بلاد عبس تزعمها شيخ عبس محمد الشوكاني فَقُضي عليها والتجأ إلى الإدريسي ثم إلى ابن سعود .

٢ ـ وتلاه ثورة بني مروان وتجمع قبائل تلك القبيلة لمهاجمة مدينة

مَيْدِي ، وضرب نطاق الحصار عليها ، فوصلت الإمدادات من الحكومة المتوكلية وشَتَّتَتْ شملهم وقضت على حركتهم الفاشلة .

٣ - ثورة قبائل صليل بقيادة أحد شيوخهم المسمى (القوزي) وجماعة معه منهم شيخ بلدة الزيدية وبعد مناوشات وصلت الإمدادات من صنعا وقضى عليها فالتجأ القوزي ورفقاؤه إلى الإدريسي في صبيا أملا في أن ينجدهم بقوات ، ويعود أمرهم إليه في حال أن الإدريسي قد أصبح تحت الحماية السعودية بموجب معاهدة مكة .

فرفع إلى الرياض عن التجائهم وطلبهم المساعدة فَنُصِح بعدم التدخل في شؤون اليمن ، ولما يئسوا من أي إمداد أو عون رجعوا إلى بلادهم طالبين العفو .

فالحكم الجديد غير منسجم مع طباعهم وميولهم المذهبية ، وحالتهم كما قال المؤرخ اليمني صاحب كتاب « اليمن عبر التاريخ » حول انهيار المقاومة المتوكلية في تهامة وأسبابها وتقدم الجيش السعودي إلى قرب زبيد . . موقف الرجعية - يقصد حكومة الإمام - السلبي في اليمن وتساهل حكامها الذين لا يهتمون إلا بمقدار ما يكفل لهم الاستمرار على عرش الحكم ، بالإضافة إلى ما ارتكبوه مع عمالهم من ظلم واستغلال ، وبث الروح الطائفية والمذهبية والطبقية ونحو ذلك مما كان مدعاة للسخط والتَّبَرم جعل الأهالي ولا سيما أهل الأطراف منهم - يقصد أهالي تهامة - يفضلون الانضواء إلى أيِّ بلد .

نشـــاط قـــوات الإمـــام والأدارسة

لم ترض اليمن سحب قواتها من (نجران) ولم توقف نشاط الأدارسة فقام عبد الوهاب الإدريسي وأنصاره بنشاط مكثف في المنطقة الجبلية السعودية ومهد للقوات المتوكلية بالإستيلاء على (بني مالك) و (فيفا) و (العبادل) وغيرها وكان هو الطليعة في التمهيد وتحريض تلك القبائل ، وبذل الرغائب ، وكان على اتصال بولي عهد اليمن السيف أحمد الذي اتخذ مركز قيادته في (صعدة) للحملة المتقدمة على (نجران) .

وقد هاجمت القوات المتوكلية بعد استيلائها على (بني مالك) و (فيفا) و (العبادل) وغيرها ، هاجمت بلدة العارضة ، واستولت عليها كما هاجمت (الخوبة) من بلاد بني الحُرَّث وإنما استطاعت حاميتها صَدَّ الهجوم .

الاستعداد :

نتيجة لما سبق أخذت الحكومة للأمر أهميته ، وتواردت القوات إلى منطقة جازان من (نجد) و (الحجاز) ، وعند تكامل وجودها خرج أمير المنطقة حمد الشويعر ، وجمع تلك القوات وضرب معسكره في (الواصلي) ثم نقله إلى (أبي عريش) وعندما تكاثر الجيوش واشتدت الأزمة صدر إليه الأمر بنقل معسكره إلى (صامطة) وتواردت إليه الإمدادات بَرًّا وبحراً .

اشتراك قبائل منطقة جازان :

تقدم شيوخ ووجهاء المنطقة إلى حمد الشويعر وطلبوا منه قبول اشتراكهم في الجيش فوافق بعد الرفع للملك ، فأقبلت قبائل المنطقة بشوكاتها ومجاهديها واستدعى حمد الشويعر (حمود سرداب) وزير حربية الإدريسي الأول وطلب منه أن يكون بجانبه ، ويتولى أمر شوكات المنطقة الذي بلغ تعداده نحو خمسة آلاف مقاتل وكانوا في أثناء تقدم القوات في مقدمة طلائع الجيش السعودي لما لهم من خبرة في الحدود والبلاد المجاورة لمنطقتهم .

الإجراءات الدفاعية والوقائية :

أمرت الحكومة في شهر الحجة سنة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٣ م بإنشاء قلعة في جازان وباشر تعميرها أمين المالية الشيخ عبد الله القاضي على جبل (الشريف) في جنوب المدينة ، وعرفت فيما بعد باسم (الدوسرية) باسم أول كتيبة عسكرت بها وبلغ تكاليف تعميرها زهاء أربعين ألف ريال ، وهو مبلغ له قيمته في ذلك العهد .

وتَمَّ بعد ذلك تعمير :

١ ـ قلعة متوسطة في الحفائر ـ عطن الماء ـ .

٢ ـ تجديد النوبة الوسطى في طريق جازان ـ الحفائر .

٣ - تجديد النوبة[1] التي دونها والتي موقعها بين النوبة المتقدم ذكرها (والمطلع) .

٤ - إنشاء برج على الشاطيء الجنوبي فوق العمارة الحالية لمركز خفر السواحل .

٥ - تعمير قصر في مركز (الخوبة) في بلاد بني الحرث .

٦ - تعمير قصر في مركز العارضة .

٧ - ترميم قلعة (صبيا) وقد هدمت في هذا التاريخ وبني في مكانها مدرسة صبيا التي قرب السوق .

٨ - ترميم قلعة صامطة .

٩ - ترميم قلعة الحقو .

١٠- ترميم قلعة فرسان المعروفة بـ (القشلة) .

وعندما تأزم الموقف ونقل المعسكر الرئيسي من (الواصلي) إلى (أبي عريش) ثم إلى (صامطة) أمر بالإجراءات الآتية :

١ - إقامة معسكرات فرعية في الجهات الآتية :

(أ) معسكر خارج مدينة أبي عريش بقيادة ابن سلطان .
(ب) معسكر في العارضة بقيادة سعيدان المحمد .
(جـ) معسكر في الحسينية .

التحرشـــــات :

أشرنا إلى نشاط عبد الوهاب الإدريسي في القسم الجبلي لـ (بني مالك) و (فيفا) و (العبادل) وغيرها ، يُمهد للجيش المتوكلي الذي استولى على تلك الجبال وأخذ من شيوخها رهائن واعتقل بعض المشايخ في صعدة .
وبعد ذلك تقدمت قواته وهاجمت بلدة العارضة فهزم قائد المعسكر (سعيدان المحمد) وانسحب ، كما هاجمت مركز الخوبة ولكن حاميتها صدت الهجوم .

---

(١) النوبة : البرج الذي يتناوب فيه الحرس لحماية مكان أو طريق .

وعلى أثـر ذلك بعثت الحكومة قوة استعادتْ مركز العارضة فانسحب الجيش المتوكلي إلى جبل (سلا) المطل على بلدة العارضة .

تحـرك الشـويعر من صـامطة :

صدر الأمر بتحرك المعسكر السعودي في صامطة إلى بلاد (بني حُمَّد) قرب الحدود المباشرة .

وظل هناك نحو شهرين وقد اجتمع تحت قيادته ما ينوف على ثلاثين ألف مقاتل وإنما الأوامر كانت تصل إليه بالتوقف عن أي تحرش أو تعدي ، إلا إذا هوجم الجيش .

الجيشـان في الميـدان الغـربي :

يتألف الجيش السعودي في الميدان الغربي الجنوبي من نحو ثلاثين ألفاً من الفرسان والمشاة المحمولين على السيارات والإبل ، ومعهم نحو عشرة آلاف جمل لحمـل المؤن والعتـاد للأماكن الصعبة المسالك ، وسيارات للنقل والاتصالات ومواصلات ميدان لاسلكية ، وسلاح موحد جديد ألماني ذو الخمسة الطلقات ، ويتألف مجموعه من : (٣٠٤٠٠) :

٥٤٠٠ مقاتل تقلهم ثلاث مئة وخمسون سيارة نقل كبيرة .
٢٠٠٠ ألفا فارس .
٢٠٠٠٠ عشرون ألف على الإبل السريعة .
٣٠٠٠ مشـاة : ومـع الجيش : ٢٠ عشرون سيارة مصفحة و ٢٠ عشرون رشاشاً و٢٠ عشرون مدفعية .

ويتألف الجيش المتوكلي المرابط في حرض من نحو خمسة آلاف من الجيش النـظامي و ١٥٠٠٠ من الشوكات المجندين من أهل الخميسين وأسلم وحجور وبني مروان .

معه ٢٠ من الرشاشات .
بطاريتا مدفعية .

٥٠٠٠ وفي مدينة مَيْدي من الجيش النظامي خمسة آلاف .

٥٠٠٠ من المجندين ، الجيش مسلح بالبندقية الإيطالية والرشاشات .

وسلاح الجيش النظامي البندقية الإيطالية المسماة (طالب الشر) وسلاح المجندين خليط من البنادق القديمة المصنوعة قبل الحرب العظمى من ذات الرصاصة الواحدة (أم حبة) .

كان مركز قيادة الجيش المتوكلي في المنطقة الجنوبية الغربية في بلاد عبس ، جنوب حرض بقيادة عبد الله بن الوزير ـ كما سبقت الإشارة في برقية الإمام إلى الملك عبد العزيز المؤرخة ١٣٥٢/٩/٢٤ هـ/ ١٩٣٤ م وإنما بانتداب ابن الوزير مع الوفد الذي توجه إلي أبها أسْند قيادته إلى شخص آخر ، وما القوات التي في حرض ومَيْدي سوى طليعتين لذلك الجيش .

التمهيـــد للهجــــوم :

إن لـ (حرض) أهمية (استراتيجية) نرى أن الكثير من الجيوش الغازية لتهامة اليمن تبدأ بمهاجمته فقد هاجمه [١] (توران شاه) أخو صلاح الدين في تقدمه إلى زَبيد كما بدأ بمهاجمته الإدريسي في حروبه مع الأتراك ، وفي تاريخنا الحاضر هاجمه الجيش السعودي بقيادة حمد الشويعر .

إن موقع بلدة حرض وسط بين الساحل والجبل ، فالجيش الذي يستولى عليه يشطر البلاد إلى شطرين ويتقدم منه في قلب المنطقة ويقطع كل اتصال بين المدن الساحلية وبلدان المنطقة الوسطى .

أقام الجيش السعودي ـ بعد انتقاله من أبي عريش ـ في ضواحي بلدة صامطة ، ثم نقل معسكره إلى بلاد بني حُمَّد ، ثم انتقل إلى أقرب نقطة من الحدود بحيث لا تعدو المسافة بين الجيشين ١٥ كيلا .

وبطبيعة الحال فإن للجيشين استخباراتهما وجواسيسهما وعيونهما ممن يوافيهما بالأخبار وأدَقّ المعلومات ـ على قرب تلك المسافة ـ كل ساعة تقريباً .

---

(١) هاجمه قبل (توران شاه) علي بن مهدي من الناحية الجنوبية .

ولهذا فقد كان على قيادة القوات المرابطة في حرض عامل حرض علي الـسياني وقد أَعَدَّ خطته الدفاعية على عدوة وادي ابن عبد الله شمال حرض وحفر الخنادق ووضع الاستحكامات الترابية ، ومواضع للرشاشات ، كما وضع خطا طليعياً متقدماً مثل الخط الأول ، وخطا ثالثاً في أسفل البلدة يمتد شمالها الشرقي ، قاعدته قلعة المدينة ، وهي قلعة حصينة بالنسبة إلى وسائل الدفاع آنذاك .

ويعتقد أنه كان يؤمل أنه يستطيع إيقاف الهجوم السعودي ، حتى توافيه القوات المرابطة في عبس ، كما هي خطة الإمام يحيي الذي كان يعتقد أنه بإيقاف الهجوم السعودي وكسر حِدَّة هجومه تمكنه المطاولة وأن تكون حربَ استنزاف بالنسبة إلى بُعْدِ مواصلات الجيش السعودي من مركزه الرئيسي .

ويمكنـه بعـد ذلـك القيام بالهجوم المضاد الجارف ، وتكون قد خارت قوى الجيش السعودي ، واستنزفت موارده ـ كما يظن ـ ومن ثَمَّ فإنْ لم يكن النصر له تُسَوَّى المسألة وفقاً لرغبته .

إلا أن قائد جبهة الطليعة وعامل حرض علي السياني كان محتاطاً في تصرفاته الدفاعية ، فقد شحن القلعة التي في جنوب شرق حرض ، بالمؤن والعتاد ومواد البناء ، احتياطاً ، فيما لو لم تَصْمُدْ خطوط الدفاع فقد يكون له من القلعة موقع دفاعي يمكنه من الصمود حتى يعيق تقدم القوات المهاجمة ولو بعض الوقت حتى تتوارد الإمدادات والنجدات السريعة إليه .

التهيـــؤ :

وعنـدمـا أخفقت المفاوضات ـ كما أشرنا من قبل ـ صدرت الأوامر إلى سائر الجبهـات السعـودية بالهجـوم وحـدد الوقت في فجـر يوم الثلاثـاء المـوافق ١٣٥٢/١٢/١٨ هـ/ ١٩٣٤ م .

لقـد أشـرنـا أنـه لم يكن يفصـل بين الجيشين أكثر من خمسة عشر كيلا بل تقصـر المسـافة في بعض المنحنيات إلى عشرة أكيال ، ومسافة كهذه لا تجعل

للمباغتة قيمة ، لأن عيون كل فريق تترصد حركات الآخر ، وإنما قد يخطىء التقدير ، وتخون الثقة صاحبها ، وألمعنا إلى أن خطة الإمام يحيي هي المطاولة ما أمكن ، ثم حرب الاستنزاف والدفاع على الحدود حتى تتهيأ الفرصة أو يحصل على ما يريد بالصلح والتسوية .

الهجـــوم :

عَبَّأ حمد الشويعر جيشه وأمره بالاستعداد الكامل ، والتَّهَيُّؤ التام ، وانتظار ساعة الصفر وبعث أرصاده وعيونه وجواسيسه على طول الحدود من ساحل المُوَسَّم إلى جبل (أبو النار) ، وقطع كل اتصال بين الجهتين ، والمواصلات بين الطرفين .

وعند منتصف الليل تحرك المعسكر بأسره ، واستعدت السيارات والمصفحات والمدفعية المحمولة في السيارات ، وتقدمت الخيل في تُؤَدَةٍ وهدوء ، وبدأ الجيش سيره على طول جبهة حرض وتوقف على بعد خمسة أكيال أو أقل بفرسانه ومصفحاته ورشاشاته ومدفعيته وسياراته ، وعندما حان وقت صلاة الفجر صلى الجيش جماعات جماعات وبعد انتهاء الصلاة صدر الأمر بالهجوم ، ودَوَّى الفضاء بشعار الهجوم بصوت واحد (يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين) وتلاه دَوِيُّ طلقات النيران والمدفعية كالرعد القاصف ، والزلزال الراجف ، وانطلقت الفرسان تَرَجُّ الأرض بسنابكها ، فارتجفت بلدة حَرَض ، من وراء خطوط الدفاع بسكانها فانخلعت القلوب من أبدانها .

وتقدمت الطلائع من الخيالة في جانب ، والمصفحات والسيارات تُبارِيها من الجانب الآخر كالسيل الحاشر ، والطوفان الزاخر ، يَطُمُّ ما قبله ، ويردم ما يعترضه .

وانطلقت عليهم النيران من خنادق الدفاع واستحكامات الخطوط الأمامية وأوكار الرشاشات كجحيم البراكين ، وإنما كما قال الراجز :

صَادَفَ دَرْءَ السَّيْل دَرْءٌ يَدفَعُهُ ... يَرفَعُهُ حِيناً وَحِيناً يَضَعُهُ

وسرعان ما اكتسح الخط الطليعي وتلاه الخط الأول والثاني وسقطت البلدة في يد القوات المهاجمة فانسحب القائد حاكم البلد علي السياني ، مع بعض فلول قواتـه واحتياطيه إلى قلعـة حَرَض ، فضرب على القلعة نطاق الحصار ، وتوغل الجيش جنوباً خمسة عشر كيلا ، وبعث سراياه للضواحي المجاورة ، وقطع خط السلك بين حرض وعَبس وحــرض ومَيْدِي ومَيْدي وعَبْس واللحَيَّة والحُــدَيْدة ، وانسحب فلول المجنـدين إلى أوطانهم وكل ما مروا بمجندين ورأوا ما هم عليه سرت إليهم العَدْوَى ، فانسحبوا بدورهم إلى آخرهم وهكذا .

وتدفقت رسائل مشايخ تهامة على القائد الشويعر من باجل شرقاً إلى زبيد جنوباً ووصلت كتب هادي هَيْج أكبـر مشايخ تهامة ، وعامل وادي مور والزهرة واللحيَّة بالموالاة فأجابهم الشويعر بكل ما يطيب خواطرهم ، ويطمئن نفوسهم ويستقطب ولاءهم .

وظل في حرض اثنى عشر يوماً ينتظر تسلم القلعة ، ووصول الأمير فيصل بن عبد العزيز القائد العام للجبهة الجنوبية الغربية .

ظلت القلعة صامدة اثنى عشر يوماً تصليها المدفعية نارها ، والسياني يعمر ليلا ما تهدَّم منها نهاراً ، وفي مساء ليلة السبت الموافق ١٣٥٢/١٢/٣٠ هـ/ ١٩٣٤م التمس في هَدأة الليل غرة وفرق أصحابه إلى جماعات صغيرة ، وحدد لهم مكاناً للتجمع بعيداً عن طائلة المعسكر في الناحية الشرقية ، وقد تنكروا في زيٍّ القبائل المحلية ، وترك جماعة قليلة يطلقون بين الفينة والفينة طلقات متقطعة وتسلل من القلعة ثم لحق به من تأخر حتى لم يبق أحد فيها .

وفي الصباح كشف الأمر ، فأرسلت سرية من الجيش لمطاردته فلم تظفر به .

وبعد أن رتب الشويعر شؤون حرض ، واستقبل من استقبل من شيوخ قبائل تهامة اليمن تحرك بالجيش صوب قرية (المخازن) الواقعة شرق مدينة مَيْدِي ، وامتد معسكره من قرب حدودنا في جهة (المُوَسَّمِ) إلى وادي (حيران) بالحاء المهملة .

الفصل الحادي والعشرون

غـــزو اليمـــن

وصـول الأمـير فيصـل بن عبـد العـزيز لتـولي قيـادة الميـدان

في يوم ٢٧/١٢/١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م في نحو الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الزوالي وصل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل مدينة جازان ، بطريق البر ، ترافقه زهاء مئة سيارة ، وقد استعدت المنطقة من (القحمة) إلى (المُوسَمّ) للاحتفاء بسموه ، فنشرت الأعلام ونصبت الزينات في كل قرية وبلدة ، واستقبله الأهالي بالاحتفاء والابتهاج .

أمـا مدينة جازان فكان لها القسم الأكبر ، والنصيب الأوفر ، فاستقبله أهالي المدينة ووجهاؤها في (المطلع) بالتكبير والتهليل والابتهاج ، فسار موكبه يشق الكتل البشرية حتى قلعة الدوسرية التي قد هُيِّئَتْ وفرشت وخفقت على أبراجها الأعلام ، وبعد أن استقر به المجلس أذن للوجهاء والأعيان والمشايخ بالسلام على سموه وألقى شاعر جازان الشيخ علي بن محمد السنوسي قصيدة الترحيب بسموه كما أقام في الظهر وكيل أمير جازان سعود الشويعر مأدبة حافلة على شرف سموه ، ودعى إليها وجهاء جازان وأعيانه وشيوخه والقبائل المجاورة للمدينة وأعيان أهل أبي عريش وصبيا الـذين توافدوا للترحيب والسلام على سموه ، وبعد أن أقام يومين تحـرك ركبـه إلى (المُـوسَّم) فاستقبـل من قبـل أميرهـا والجيش والمعسكرات والأهالي ، فظل فيه بقية يومه وليلته ، وفي الصباح تحرك موكبه إلى معسكر المُوسَمّ فاستقبل استقبالا رائعاً وقضى بقية يومه في الموسم ثم تحرك إلى المعسكر الرئيسي في قرية (المخازن) .

تحـــرك سمـــوه إلـى المخـــازن :

كان المعسكـر الـرئيسي للجيوش السعـودية قد أخـذ في الاستعـداد لقـدوم

سموه والمسافة بين المُوَسم و (المخازن) نحو ثمانية عشر كيلا تقريباً، وما أهلَّ الموكب حتى اهتز المعسكر وهب لاستقباله بكل ضروب الإجلال والابتهاج والاحتفاء ، وتقدم قائد المعسكر حمد الشويعر ، مع ألف من الفرسان لاستقبال سموه على مسافة سبعة أكيال ، وأطلقت المدافع تحية لسموه ، وبعد أن استراح دقائق في المخيم الخاص الذي ضرب لسموه أقبل قادة السرايا ورؤساء المجاهدين وشيوخ القبائل للتشرف بالسلام عليه .

قام الجيش باستعراض رائع وأطلقت المدافع والرشاشات والبنادق فكان دوي قاصف ارتجت له الأرض ودَوَّى الفضاء وثار عِثْيَرُ ألفي فارس اشتركت في الاستعراض الرهيب فأطار ذلك بالبقية الباقية من صواب (العرشي) عامل مَيْدي وجيشه والسكان بين حرض ومَيْدِي وعَبْس ووادي مَوْر ، وانسحب جيش معسكر عَبْس ، مع قادته إلى الجبال وبعضهم إلى بلدانهم .

مدينة ميدي :

مدينة مَيْدِي بحصونها الشامخة ، وقلعتيها المنيعتين ، وعاملها (العرشي) المعروف ـ قبل ذلك ـ بالدهاء ظنَّ أن ليس من السهل احتلالها ، لذلك أخذ الشويعر وأركان حربه في إدارة أوجه الرأي ـ بعد التشاور مع القيادة العليا ـ واتخاذ الترتيبات اللازمة وإعداد الخطة الحكيمة ، والقيام بالاستكشاف ، وسَبْر مناعة استحكاماتها ومواقع دفاعها ، وعدا حصونها وقلعتيها ، هنا قلاع صغيرة على موارد الماء ووكر للمدافع من الشمال ، وقلعة في الطرف الجنوبي من جزيرة (الدُّوَيِّمة) التي تمتد من ساحل المُوَسَّمْ إلى مَرْسَى مَيْدي ، أي إن قسماً من الجزيرة في حدودنا ، كما أن في مرسى مَيْدِي الرئيسي ـ (الخور) ـ قلعة ، واستحكامات .

لذلك فقد أخذت المدفعية بضرب الاستحكامات والقلاع التي خارج المدينة ، كما قامت سرية من معسكر المُوَسَّم بغارة ليلية موفقة على قلعة الدُّوَيِّمة قضت على حاميتها بالسلاح الأبيض .

كما قامت كوكبة من الخيل بعملية استكشاف وحركة التفاف حول المدينة في وضح النهار فتحركت من معسكرها (المخازن) متجهة شمالا ،

ثم انحرفت غرباً ما بين المدينة ووكر المدافع الشمالي إلى قرب ساحل البحر (مَرسى البغلة) ثم مرت من غرب القلعة الغربية واتجهت جنوباً ، والناس تشاهد تحركها من فوق سطوح البيوت والحصون ، في دهشة وخوف ، بدون أن تتحرك القوات التي في المدينة لاعتراضها بل والعرشي نفسه يشاهدها من أعلى قَصْر باصهي ـ الذي هو مقر إدارته ـ وبعد أن اتَّجهَت جنوباً أصدر أمره بالنفير على حامية القلعة الغربية بإطلاق قذائف المدفعية عليها ، في حال أنها توغلت جنوباً وحجبتها الآكام ، ثم سلكت ما بين مَيْدِي وقرية (حَبْل) وعادت إلى المعسكر سالمة .

وعلى أثر ذلك أرسلت سرية فاحتلت قرية (حَبْل) كما أرسلت سرية أخرى فاحتلت قرية (الـدَّيْر) مركـز وادي (حيران) ـ بالحاء المهملة ـ وبذلك طوقت مدينة مَيْدِي من جميع النواحي ، وعلمت القيادة أنَّ المعسكر الرئيسي في بلاد عبس قد انسحب ، فأرسلت سرية لاحتلال بلاد عبس ومعها شيخ (عبس) السابق محمد الشوكاني .

ظل العرشي كالطير في قَفَصٍ ، أعمى البصيرة ، محطم المعنوية قد تسلل من عنده المجندون ولم يفضل لديه إلا الجيش النظاميُّ ، فانعدمت لديه الرؤيا الصحيحة ، والتصورات الواضحة ، وساء ظنه بأعيان المدينة ووجهائها فزج بهم في السجن .

أخـذ فكـره يدور في دَوَّامـة من المتناقضـات ، وعقله يتخبط في أمـواج من التشـويشـات والسلبيات ، فتـارة يعزم على المقاومة ، ويأمر ببناء استحكام الـرشـاش ، في أعلى قصـر باصهي ـ مقـر إقـامتـه ، ودائـرة عمله ـ فَيُبْنى على وجـه السرعة ، ويستعد للحصار بالماء والأرزاق وأخرى يعزم على الخروج متسللا كمـا فعـل زميله ـ عامـل حرض السياني ، وأخيراً وفي ليلة ٧ محـرم ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م عزم سرًّا على الانسحاب خلسة ، مع جيشه ، وبصورة سرية استـدعى ضبـاط الجيش وأوعز إليهم بأن يحضروا سراياهم إلى ساحة مقره بعد المغـرب ، مبـاشـرة مُوَرِّيًا بأنـه سيهـاجم المعسكـر السعـودي ، على غِرَّةٍ ، وبحضـورهم سار بهم لنـاحية الشمال الشرقي قليلا ، ثم أمرهم بالانحراف إلى ناحية

الغرب إلى جهة (المرسى) وكان قد أمر بعدم إقلاع السفن الموجودة فيه تَحسباً للفـرار عليها ، إذا ألجأه الأمر إلى ذلك وبوصوله إلى المرسى ، وجد أن جميع السفن قد أقلعت ، فصارح كبار جيشه بالحقيقة ، وأمرهم بالانسحاب عن طريق الساحل إلى اليمن ، وركب سيارة (كبيرة) ليسبقهم فتعطلت ، فركب بغلته وسار مع الجيش .

فشاع خبر انسحابه في المدينة ، فإذا هي تندب حظَّها وتبكي شجوها ، وكان وجهـاء المدينة في السجن على رأس أحد تجارها إبراهيم بن حسن الرفاعي ، فخرجوا من السجن وتمَّ بعد التشاور السريع بعث الرفاعي رسولاً إلى المخازن على وجه السرعة يحمل مصباحاً لإخبار القائد بالأمر وطلب منه إرسال من يتسلم المدينة ويُؤمِّن أهلها .

فسار الرسولي فلقي دورية من دوريات الجيش فأخبرهم بمهمته فأركبوه وراء أحد الفرسان وأسرع به إلى المعسكر وأوصله إلى حمد الشويعر الذي استصحبه بدوره إلى الأمير فيصل فأصدر أمره في الحال بما يأتي :

١ ـ إرسال قوة خفيفة من الجيش لحفظ المدينة وتأمين أهلها .

٢ ـ إرسال دورية من الخيالة تطوف حول المدينة وتمنع كل متسلل من الخارج .

٣ ـ الأمر على القيادة بعدم دخول أي فرد من الجيش إلى المدينة ـ غير من ذكر .

وتقـدمت القـوة الخفيفـة مع رسـول الأهـالي ، ودخلت المـدينـة فاستقبلهـا وجهـاء الأهـالي وبـاشـرت إجـراءات حفظ الأمْن ، كمـا تقـدمت دورية الفـرسـان ، وبـاشـرت عملهـا بالـطواف خارج المـدينـة ، وقـامت سيارة من السيارات التي تقـل القـوات الخفيفـة تخبـر القيادة بتسلم البلدة ، وبـوصـولهـا قام سمـو الأمير فيصـل يرافقـه حمد الشويعر ومعهم فرقة من الجيش إلى أقرب نقـطة من المـدينـة ، وظـل سمـوه ساهراً طيلة ليله يُصْدرُ الأوامر والتعليمات ، وعند شروق الشمس دخل المدينة واستقر في قصر بَاصهي مقر الحاكم الأول .

تعقب العرشي والجيش المنسحب :

علمت قيادة الجيش السعودي بعد استيلائها على مدينة مَيْدِي ، بحقيقة انسحابه برًّا بطريق الساحل ، فقد كان الخبر لديها قبل ذلك ، بأنه ركب السفن إلى الحُديْدة ، فصدرا الأمر لسريتين من الجيش بمطاردته ، وكان العرشي وجيشه المنسحب من مَيْدِي في حوالي الساعة السابعة والنصف من المدينة وصل إلى المرسى في حوالي الساعة الثامنة والنصف فوجد السفن التي قد احتاط بها قد أقلعت ، وبعد الأخذ والرد قرر السير بطريق الساحل ، فركب سيارة شحن لتسرع به قبل الجيش فتعطلت ، فركب بغلته وسار مع الجيش ، والمسافة بين مَيْدِي ، وحَبْل لا تتعدَّى الساعتين للماشي المتريث فانهم لم يقطعوها إلا في نحو ثمان ساعات ، لأنهم إن قربوا من الشط غرزت دوابُّهم وأقدامهم ، وإن بعدوا عن الشط خافوا أن تشعر بهم دوريات العدو ، أومتخطفة القبائل ، فإن الجيش المهزوم عرضة لكل شر ، لهذا كان بطء سيرهم ، ومع تباشير الفجر شاهدتهم دورية السرية التي في قرية حبل ، والساحل يبعد عن القرية بنحو خمسة أكيال فعادت إلى رئيسها وأخبرته بالأمر فأخذ في الاستعداد للخروج لاعتراضهم فإذا سيارات السريتين مقبلة ، فأخبروهم بأمرهم ، فتحركوا لمطاردتهم في سرعة وتصميم ، وتقدم فصيل الرشاش ، وعند مشاهدتهم قام بحركة التفاف لقطع خط سيرهم ، وأطلق عليهم النيران ، ودارت المعركة واستمرت ثلاث ساعات ونصف أكثرها في الماء وبين الشورى [1] وبالسلاح الأبيض ، وانتهت المعركة بأسر العرشي ، ومن بقي من جيشه وعادوا بهم إلى مَيْدي ، فأمر بإرسالهم إلى جازان ، وظلوا في الأسر إلى أن أبرم الصلح بين الحكومتين .

مغادرة عمال اليمن لتهامة :

وبسقوط مَيْدِي وعَبْس انسحب عمال الإمام على تهامة إلى صنعاء وغيرها من القسم الجبلي ، كما انسحب بقية الجيش المتوكلي من مراكزه ،

---

(١) أشجار ساحلية معروفة ، أوردنا اسمها ووصفها في كتابنا « معجم أسماء النباتات في منطقة جازان » المطبوع سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

وتقدم من لم يتقدم من شيوخ تهامة بالكتابة للقيادة السعودية بولائه أو القدوم بنفسه لتسليم بلاده .

كما أكد الشيخ هادي هيج رسائله بالولاء والطاعة ، وطلب إرسال أمراء لمنطقته .

التقـــدم من ميـــدى :

نتيجة لذلك ولانسحاب القوات المتوكلية ، وانهيار كل مقاومة في تهامة ، وما ترتب على معـركتي حرض ومَيْدِي ، وبعدهما معركة جنوب حَبْل وتَصْفِية جيش الْعَرْشي بين قتيل وجـريح وأسير ، وأسـر العـرشي نفسه ، وما ترتب على ذلك التمـزق ، وحـدوث الفـراغـات فقـد صدر أمر الفيصل بإرسال عدد من الحكام العسكريين مع بعض القوات إلى الجهات الآتية : مَوْر ، والزهرة وبني نشر وجبال قيس والزيدية ومدينة اللحيــة .

وصـدر الأمر على قائد الميدان حمد الشويعر بالتحرك بالجيش إلى الجنوب بطريق عَبْس ومنها إلى الزهرة ، وسار الأمير فيصل في السيارات بعده ، فوصل إلى (الزهرة) يوم ١٦ محرم ، وقد ضرب حمد الشويعر معسكره فى خارج البلدة ، ووفود أعيان القبائل من جنوب تهامة وأطراف الجبال تتوارد جماعات جماعات ، مقـدمـة ولاءهـا ، معاهدة على السمع والطاعة ، وبعد أن استراح برهة وأصدر تعليماته وأوامره إلى الشويعر سار إلى مدينة اللُّحَيَّة .

الحـالة في منطقة مـدينة الحـــديـدة :

أشـرنـا إلى مغـادرة عمال الإمام يحيى لمراكزهم بعد احتلال مدينة مَيْدِي ، وكـان من ضمنهم عامـل الْحُـديْدة الأمير عبـد الله بن الإمــام يحيى نفســه وهكــذا نرى التـأريخ يعيد نفســه ـ فكمــا غادر مدينــة (الْحُديْدة) عامـل الإدريسيِّ عبـد الــمـطلب بن هارون ، منـسحبــاً ناجياً بنفســه بدون حرب ولا ضرب ، قبـل ثمـان سنوات وبعـد أن ظلت المـدينـة شاغـرة بدون سلطة تحكمها ثلاثة أيام يدخلها عبد الله بن الوزير على رأس الجيش المتوكلي وهكذا

انسحب عبد الله بن الإمام ناجياً بنفسه ثم بعده يغادرها قائد حامية المدينة (سليم بك) في زورق شراعي إلى جزيرة (كمـران) وتفضـل المـدينـة بدون سلطة تحكمها ، حتى يبعث أهل المدينة رسلهم إلى الأمير فيصل بطلب بعث من يستلم مدينتهم ويؤمن أهلها ، وبشغور مدينة الحديدة بفرار عاملها وحاميتها وصلت سفن حربية بريطانية وإيطالية ، وفرنسية ورابطت فى الميناء بحجة المحافظة على أرواح رعاياها وأموالهم .

وحـاولت السفن الإيطالية إنـزال بعض جنودها ، وإنما كان ذلك وقد دخلت طلائع الجيش السعودي الذي كان همها وضع جنود في الميناء ، ولم يكن جنود السفن الإيطالية يعلمـون بهم ،وبـدنـوهم من المينـاء برز لهم الجنـد السعوديُّ ومنعـوهم فعـادوا إلى سفنهم ، وبـوصول الأمير فيصل أخبر بذلك فاتصل بجدة لاسلكيًّا فاحتجت وزارة الخارجية إلى تلك الحكومات التي بدورها أمرت سفنها بمغادرة المياه الاقليمية للحديدة .

الاستيـلاء على مدينة الحـديدة وبـلاد الزرانيق :

وبوصول مندوب مدينة الحديدة إلى الأمير فيصل صدر أمره بما يأتي :

١ ـ بعث قوة من الجيش إلى مدينـة الحُدَيْدة مع مندوب الأهالي مع كتاب بالأمن وتطمينهم ، وتحريض قائد الجيش والموظفين المدنيين المرافقين لهم بما يجب من تأمين راحة الأهالي وتسيير دَفَّة الأعمال .

٢ ـ بعث قوة بقيادة الشيخ إبراهيم السبهان لتسلُّم مدينة الضحي ، التي طلب أهلها إرسال من يؤمنها .

٣ ـ بعث قوة إلى بيت الفقيه وبـلاد الـزرانيق يرافقها شيخ مشايخ الزرانيق الشيخ أحمد فتيني الذين وصلت كتبهم ومندوبهم بالسمع والطاعة .

٤ ـ بعث سرية من الجيش إلى بلاد قبيلة القُحَرا وقاعدتهم بلدة باجل بعد وصول رسلهم وكتبهم بالسمع والطاعة واستولت السرية على كل ما حولها إلى جهة (الحجيلة) وما سامتها ، وبذلك تم الاستيلاء على كامل ما كان في حدود الإمارة الإدريسية السابقة .

٥ ـ أرسلت قوة من الجيش إلى جهة (زَبِيد) بقيادة عبد الله بن خَثْلان ، فاستولت في طريقها على وادي رمع ، ومنه إلى (الحسينية) ومنها إلى ضواحي زَبِيد ، وهناك اشتبكت بالقوات المتوكلية وظلت في قتال معها إلى أن حان الصلح .

دخـــــول فيصـــل الحـــديدة :

وفي يوم ١٧ محرم ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م تحرك ركب الأمير فيصل من اللُّحَيَّة في طريقه إلى الحديدة ، في موكب مهيب ، بطريق الساحل تستقبله القرى والبلدان والقبائل بالحفاوة والابتهاج والأفراح ، وقرع الطبول ولعلعة الزغاريد ، حتى أشرف على مدينة الحُدَيدة ، أكبر مدن اليمن الساحلية وميناؤها الرئيسي وخرجَتْ القوات السعـودية ، لاستقبـالـه خارج المـدينـة ، التي قد رفعت الأعلام على قصورها ودوائرها ، وخرج الناس لاستقباله ومشاهدة موكبه ، وأطلقت المدافع تحية لسموه ولازال موكبه سائراً حتى وصل قصر الحكومة مقر عامل الحديدة عبد الله بن الإمام يحيي ، فأقبل وجهاء المدينة وأعيانها وقناصل الدول الأجنبية للسلام على سموه ، وبعدها أصدر توجيهاته إلى الدوائر الحكومية والمرافق العامة والمؤسسات الحكومية باستئنـاف أعمالها وإدارة شؤون البلدة كالعادة المتبعة ، حتى يتم بأقصى سرعة وصـول الأنـظمـة المرعية في المملكة وبعد ذلك وصل حمد الشويعر مع سائر الجيش وضرب معسكره خارج المدينة .

وصــــول الشيخ عبد الله السليمــان :

وفي اليوم الرابع لوصوله وصل الشيخ عبد الله السليمَان وزير المالية على متن باخـرة خاصـة ، تقل سرية من رجال الأمن وجماعة من رجال الإدارة ، وأجهزة اتصالات لاسلكية مع موظفيها ، ومكاتب للإدارات ومطبوعات رسمية ، ورؤساء موظفين .

وفـي وقـت وصـولـه اتخـذت الاجـراءات في تنـظيم الإدارات الإدارية والمـالية وغيرهـا ومـلء شواغـرهـا كمـا قام رجـال الأمن ، ورجـال الإدارة

الإدارية بملء أُطُرِهِمْ وتشغيل أقسامهم وإدارة أعمالهم ، وملء شواغر الوظائف واستمرت الأجهزة الحكومية بالقيام بواجبها إلى أن تَمَّ تصديق المعاهدة التي أشرنا إليها آنفا ، وتوجه بها الوفد العربي الإسلامي إلى صنعا وبعد توقيعها من الإمام بدأت الحكومة المتوكلية بتنفيذ ما قررته المعاهدة وهو :

الانسحاب من نجران ، وقد تم ذلك فعلا واستلمه مندوب المملكة . الانسحاب من أقسامنا الجبلية فيفا وبني مالك والعبادل وغيرها واستلمها مندوبو المملكة . سلمت الحكومة المتوكلية الأدارسة وتسلمهم مندوب الأمير فيصل في جهة زبيد ثم وصل بهم إلى مدينة الْحُديْدَة ومنها رحلوا إلى مكة .

وبإنفاذ ذلك بدأت الحكومة السعودية في الانسحاب من الأراضي اليمنية التي استولى عليها الجيش السعودي .

وبدأ أولا بالحدود التي يرابط فيها الجيش السعودي في جهة زَبِيد ، وفي حدود الجبال التي شرق وشمال وجنوب باجل وما سامتها إلى (أسلم) و (مستبا) و (بني مروان) ومن ثم المناطق الساحلية والوسطى ، لقد تم ترتيب أعمال التسليم في الحديدة وتشكلت لجان لكل منطقة من مندوبين عن الحكومتين وسلمت المنطقة وموجوداتها بموجب وثائق ووصل الأمير فيصل مدينة مَيْدِي في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

عودة حمد الشويعر لمركز إمارة جازان :

أشرنا إلى مغادرة حمد الشويعر لمدينة مَيْدِي عقب مغادرة سمو الأمير فيصل ، وقد والى سيره فوصل جازان ليلا ، وأخذ في الاستعداد لاستقبال الأمير الذي وصل صباحاً وبعودة الأمير استأنف أشغال مهام مركزه كحاكم إداري للمنطقة .

أخذ غزو نجد والحجاز وعسير يعود إلى أوطانه ، كما أخذ غزو منطقة (جازان) في معاودة حياته العادية ، وانصرف سكان المنطقة ـ على وجه

العموم ـ إلى تعمير ما دمرته الفتنة ، وأتلفه الإهمال مع نزوح السكان كما مر بك مفصلا .

وفي نهاية عام **١٣٥٣** هـ / **١٩٣٥** م عزم على الحج مدير مالية المنطقة عبد الله القاضي ورافقه الوجيه أحمد بهكليّ الوصي على أولاد باصهي كما لحقهم هناك بعض وجهاء المنطقة ، وهناك قدم الأول تقريراً لجلالة الملك حول الإدارة وأمراء الملحقات وغير ذلك وكان جلالة الملك كما هو مشهور عنه يتحرَّى العدل في الرعية ، ويحرص على ذلك ، بكل جهده ، وفي الحال أمر بإرسال هيئة تحقيق مظالم أطلق عليها اسم (هيئة الجنوب) ـ وخُوِّلَتْ من الصلاحيات والإجراءات ما يسهل مهمتها .

في أوائل عام **١٣٥٤** هـ / **١٩٣٥** م وصلت هيئة الجنوب وباشرت مهمتها بالإعلان في الجوامع يوم الجمعة ، وفي الأسواق الدورية بأنها وصلت للنظر في المظالم ، فكل من لديه مظلمة فليتقدم ، فتقدم المتظلمون ، وفي أثناء ذلك توفي أمير المنطقة حمد الشويعر فأُنيب عنه أخوه سعود الشويعر ، وقد أنصفت الهيئة كل من تحققت مظلمته .

وفي تلك السنة وصل إلى المنطقة الداعية المرشد عبد الله القرعاوي ، واستقر في بلدة (صامطة) وأخذ في بذر غرسه الأول من الإرشاد والتدريس .

في سنة ألف وثلاثمائة وأربعة وخمسين **١٣٥٤** هـ وصل إلى المنطقة أمير منطقة عسير الشيخ تركي بن أحمد السديري إلى جازان منتدبا من قبل جلالة الملك لدراسة أحوال قبائل جبال منطقة جازان من العبادل جنوبا إلى الريث شمالا فتمكن بدربته المعروفة من استدعاء شيوخ تلك القبائل والتفاهم معهم وتأليف قلوبهم واستدنى النافر وأمن الخائف وقرر أحوالهم ونظم أمورهم . ومن جملتهم قبيلة الريث . فسكنت الاحوال وهدأت الامور واستقر الأمن وكفوا عن التعديات وغزو بعضهم البعض . وبعد انتهاء مهمته عاد إلى مركز إمارته أبها .

معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية
بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمنية المتوكلية

حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين ملك اليمن من جهة وحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة أخرى رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها .

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة وحباً في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما .

عن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن :

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير .

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية :

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء . وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفى الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق ، وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

المادة الأولى ـ تنتهي حالة الحرب القائمة بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة

الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة إسلامية عربية دائمة لايمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سرًّا وعلناً ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفائهما ووُرّثائهما وحكومتهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضا الخالق وعز قومهما ودينهما .

المادة الثانية ـ يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالا تاماً مطلقاً وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاماً مطلقاً بالملكية على المملكة العربية السعودية ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاماً مطلقاً وبالملكية على اليمن ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام في بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة .

إن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها من البلاد التي بموجب هذه المعاهدة تابعة للملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عايض أو في نجران وبلاد يام كما أن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية واحتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرهـا .

المـادة الثـالثة ـ يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بهـا الصـلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على

أيهما على أن يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

المادة الرابعة ـ خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حدًّا فاصلا قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة فى الجهة الشرقية ثم يرجع شمالا إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين (بني جماعة) ومن يقابلهم في جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهى إلى ما بين حدود (نقعة) و (وعار) التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ (مضيق مروان) وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهى فى جهة الشرق إلى أطراف الحدود ما بين من عدا (يام) ، من همدان ابن زيد وائلي وغيره وبين يام فكل ماعن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر الأحمر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عر وآل أمشيخ وجميع البلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام بباد وما يليها ومحل مريصعة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا « الفرع » مع عقبة نهوقه وعموم من عدا يام ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة ، وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من

جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة **١٣٥٢** هـ / **١٩٣٣** م كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائله ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم أهل وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن ملك للمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوي من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

المادة الخامسة : نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلا بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة

كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود .

المادة السادسة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر .

المادة السابعة : يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين وبرد كل ما يثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح بالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر .

المادة الثامنة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهم لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءاً منها أو بعضاً متمماً للكل فيهـا .

المادة التاسعة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركز لأي عمل عدواني أو مشروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي :

١ ـ إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله .

٢ ـ وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فإنه يلقي القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفى الأحوال التي تمكن الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته .

٣ ـ وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

المادة العاشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان أو صغيراً موظفاً كان أم غير موظف فرداً كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجىء وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها .

المادة الحادية عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة .

المادة الثانية عشرة : يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلي الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية .

المادة الثالثة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الإجرام والأعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو كما أنه يتعهد بإصدار عفو شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر من كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن كان له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لايحصل أي حيف أو نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً .

المادة الرابعة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والأملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من التصرفات الشرعية فيها .

المادة الخامسة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم

المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمـر يخـل بمصلحـة الفـريق الآخـر أو يضـر ببـلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها أو كيانها للأخطار .

المـادة السادسة عشرة : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان الذين تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة وأنهما لا يريدان بأحـد شرًّا وأنهمـا يعمـلان جهدهما لأجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أية عداوة على أية أمـة .

المادة السابعة عشرة : في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتيـة :

أولا ــ الوقوف على الحياد التام سرًّا وعلناً .

ثانيا ــ المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

ثالثـا ــ الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

المـادة الثامنة عشرة : في حالة حصول فتن واعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلا بما يأتي :

أولا : اتخـاذ التـدابير الفعـالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه .

ثانياً : منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها كما هو موضح (في المادة التاسعة والعاشرة) .

ثالثاً : منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً : منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين .

المادة التاسعة عشرة : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وزيادة الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه .

المادة العشرون : يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الطرفين في مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كلمة واحدة ومن المفهوم أن هذه المادة لاتقيد حرية أحد الجانبين بأى صورة كانت في أي حق له ، كما أنه لايمكن أن تفسر بحجر حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة .

المادة الحادية والعشرون : يلغي ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م على كل حال اعتباراً من تاريخ هذه المعاهدة .

المادة الثانية والعشرون : تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء مانص عليه في المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة

الأشهـر الأولى التي تسبق تاريخ انتهـاء مفعولها فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التـاريخ تظل سارية المفعـول إلى ما بعـد سـتـة أشهـر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل .

المادة الثالثة والعشرون : تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطايف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإشهاداً بالواقع وقد وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه وكتب في مدينة جدة في اليوم السـادس من شهـر صفـر سنـة ثلاث وخمسين بعـد الثلاثمائة والألف ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .

التوقيـــــع

عبـد الله بن أحمد الوزير / خالد بن عبد العزيز السعود

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم

بين مملكة اليمن وبين المملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك يحيي ملك اليمن والملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حل فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصور المبينة في المواد الآتية :

المادة الأولى : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل إحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم مع الفريق الآخر إليه .

المادة الثانية : يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فإن قبل أحد الفريقين المرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً وإن لم يكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً مع العلم بأن القرعة لاتجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل في القضية وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك .

المادة الثالثة : يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم

الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لايمكن بأي حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه ويعطي حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك .

المـادة الـرابعـة : أجـور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى .

المادة الخامسة : يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ، ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف .

التوقيــع

خالد بن عبد العزيز السعود　　　عبد الله بن أحمد الوزير

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

من خالد بن عبد العزيز السعود إلى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبد الله ابن أحمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الإمام يحيى حفظه الله .

السـلام عليكم ورحمة الله ـ أما بعد فإنه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لايمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول إنفاذ مقتضاها إلا في إثبات مايأتي :

١ ـ أن يجري تسليم الأدارسة وإخلاء جبالنا في تهامة وإطلاق رهائن أهلها حالا .

٢ ـ أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوماً ولا ينشره أحد الفريقين ولاسيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وأن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحتــرام :

(التوقيــع)

خالد بن عبد العزيز السعود

بســـم آلله الرحمـن آلرحيـم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م وقد أحـطت علمـاً بمـا اشتـرطتمـوه سموكم لإنفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الأدارسة وإخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الإمام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز وإطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعـاهدة مكتومة وعلى الأخص مسألة الحدود إلى أن يتم ترتيب الاتفاق الذي اتفقنا عليه لإنفاذه وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف حادث من ابتداء انسحابه إلى آخره وأن كل عدوان عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحيى لقد أحطت علماً بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعياً من جهتنا . وتفضلوا بقبول فائق الاحتـــرام .

التوقيـــع

عبد الله بن الوزيـــر

بســم آلله آلرحمن آلرحيــم

تحريراً في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبـل جلالـة الملك عبـد العزيز حفظه الله - السلام عليكم ورحمة الله وبعد . فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقاً بمعاهدة الطائف الموقع عليها من سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الإمام يحيى وأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بما هو آت :

١ ــ يتسلم الأدارسة لجلالة الملك عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبـد العزيز بن محمد الإدريسي وسيسلمون حالا لرجال سمو الأمير فيصل في تهامة أما السيد عبد الوهاب الإدريسي فنظراً لأنه لايزال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الأنحاء لتسليمه فإن لم يطع الأمر فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بشأنه بما يأتي :

(أ) أن تمتنع حكومة الإمام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة .

(ب) إذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الأراضي التي هو فيها فإن حكومة الإمام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستـطيعهـا لمنع فراره إلى أراضيها وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته في أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية وأن تسلمهم لحكـومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد إذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين اشتركوا معه في عمله إلى الخارج إذا دخلوا إلى أراضي المملكة اليمانية .

٢ ــ أمــا من كان له تعـلق بالأدارســة وحــركتهم من الأشــراف أو غيرهم فإذا أرادوا اللحــاق بالإدريسي فلهم الأمــان من قبـل حكـومـة جلالـة الملك

عبد العزيز والصيانة والاحترام والإكرام اللائق بحقهم، وإذا لم يشاءوا ذلك فإنهم يخرجون من بلاد جلالة الإمام يحيى ولا يسمح لهم بالبقاء فيها وإذا عادوا إليها مرة أخرى فيطردون حالا وينذرون بأنهم إذا عادوا إلينا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز فإن عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بتسليمهم إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط فأرجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم وعلى هذا عهد الله وميثاقه وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيــــع

عبد الله بن أحمد الوزير

بســـم آلله آلرحمن آلرحيـــم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السيادة الاخ السيد عبد الله بن أحمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الإمام يحيى حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبعد . فأتشرف بأن أعلمكم باستلامى كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الإمام يحيى بشأن الأدارسة وأتباعهم وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الأمانة والوفاء المأمول في جلالة الإمام يحيى ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحتــــرام

التوقيــــع

خالد بن عبد العزيز السعود

بســم آلله آلرحمن آلرحيــم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

من خالـد بن عبد العزيز إلى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلدين أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقتان اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الأغراض والمنافع فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيــع

خالد بن عبد العزيز السعود

بســم آلله آلرحمن آلـرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

من عبد الله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالـة الملك عبد العزيز حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم بتاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلدين وإنني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل إلي أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل وأن ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيــع

عبد الله بن أحمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التي ألحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفـردة في كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والاخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين .

حرر في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثماية والألف وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخينا جلالة الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن .

كتب هذا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين سامحهما الله تعالى .

***

القسم الجبلي من منطقة جازان

كانت الأحوال في القسم الجبلي من المنطقة غير مستقرة فصدر أمر جلالة الملك المعظم على أمير منطقة (عسير) بالنزول على رأس حملة لتأديب العاصي وتأليف النافر - لأن قبائل القسم الجبلي في غاية من الجهالة والبداثية وبالأخص قبيلة الريث - وكان (الشويعر) قد أُبلغ باستنهاض قبائل السهول للاشتراك في المهمة فعاقه الأجل فأنيطت المهمة بكاملها بأمير (عسير) معالي (تركي بن أحمد السديري) فمر في طريقه على القبائل فأصلح أمورها إلى أن خيم في قرية (الحسينية) وبعد أن رتب أمر المعسكر انحدر إلى (جازان) فقام بكثير من المهام وكان أمر مهمته الرئيسية يستدعي تنقله بين (جازان) و (صبيا) و (الحسينية) وقد تمكن بدربته العملية ومرونته السياسية من إنهاء المخالفات في ذلك القسم والقبض على الفارين من العدالة ومكافأة المطيعين من رؤسائهم بمقررات وأعطية وبذلك أنهى مهمته بدون قتال ولا نضال وأذن لمجاهدي المنطقة بالرجوع إلى قراهم كما أذن لمجاهدي عسير بالعودة ومن ثم أقام في مدينة (جازان) امتثالا للأوامر الملكية وعن ذلك صدر الأمر بالإذن لسعود الشويعر وإخوته بالعودة إلى وطنهم فأقيم قائد حامية المنطقة (إبراهيم الطاسان) أميراً إدارياً بالنيابة . وعند ذلك عاد أمير عسير إلى منطقة عمله في منتصف ربيع الآخر عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

الفصل الثاني والعشرون

موجز تاريخ أمراء المنطقة [1]

إمارة عبد الله بن عُقيِّل :

وصل إلى (جازان) وباشر إدارة أعمال المنطقة في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م وهو بطل موقعة (ابن رفادة) فى شمال المملكة ـ وقد سبق اسمه في أخبار حركة الحزب الشريفي قبل هذا الفصل ـ ولم تطل مدته في هذا المركز أكثر من ستة أشهر وخلفه في إمارة المنطقة محمد بن عبد العزيز الماضي .

محمد بن عبد العزيز الماضي :

له ميوله المعروفة للمطالعة واقتناء كتب التاريخ والأدب باشر أعمال إدارة المنطقة في شهر رجب ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وفي عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م افتتحت أول مدرسة ابتدائية في جازان وقد أسهم مدير المالية آنذاك (عبد العزيز جميل) بمساع مبرورة في لفت أنظار (المراجع) إلى ذلك وتلى ذلك افتتاح مدرستين في كل من (صبيا) وأبى عريش .

وفي عهد ابن ماضي تأسست أول إدارة شرطة في (جازان) .

وفي تلك السنة توجه أمير المنطقة (ابن ماضي) إلى ميدي للاتفاق (بابن الوزير) الذى انتدب من قبل جلالة (الإمام يحيى) في القضايا المتعلقة بين الحكومتين ومنها تخطيط الحدود ووضع الترتيبات العملية للجان التي سوف تباشر التخطيط . وبعد أن أقام في ميدي ثلاثة أيام عاد إلى (جازان) وبرفقته

---

(١) لدينا مواد كتاب خاص باسم « جازان فى العهد السعودى الزاهر » ويشتمل على ما حققته الحكومة من النهضة العمرانية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية فى المنطقة وسيطبع قريباً بحول الله تعالى .

(عبد الله بن الوزير) الذي حل ضيفا على الحكومة زهاء أسبوع أنهى في خلاله مع أمير المنطقة مهمتهما المشتركة وعاد إلى اليمن .

استمر (ابن ماضي) على إمارة منطقة جازان وفي نهاية عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠م توجه إلى (الرياض) وأناب على عمله ابن أخيه محمد الحمد الماضي وفي أول شهر صفر ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م وصل إلى جازان سمو الأمير محمد بن عبد العزيز في طريقه إلى (صنعاء) منتدباً من قبل جلالة والده إلى جلالة الإمام يحيى لدراسة الموقف الدولي الخطير ـ حينذاك ـ واتخاذ الحكومتين موقفاً دفاعياً موحداً لحماية بلاديهما من أخطار الحرب العظمى الثانية .

وقد نزل لاستقبال سموه معالي أمير منطقة عسير الأمير تركي السديري ، وبرفقته أخوه الأمير خالد السديري ، المرشح لإمارة منطقة جازان خلفاً لمحمد بن عبد العزيز الماضي .

استقبـــــال :

واستقبلت (جازان) الأمير محمد بن عبد العزيز السعود ، بمظاهرة الحفاوة والابتهاج ونشرت الأعلام وأقيمت الزينات والأفراح وبعد أن أقام ثلاثة أيام غادرها في طريقه براً إلى (صنعاء) وبعد أن أنهى مهمته عاد إلى جدة بطريق البحر .

أمير منطقة جـازان خـالد السـديري :

تسلم أعمال وإدارة المنطقة من محمد الحمد الماضي ، وكيل سلفه وباشر العمل في شهر صفر ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م والأمير خالد أديب ضليع واسع الثقافة يجمع بين سياسة السيف والقلم . فنظم سير الأعمال الإدارية وطبق نظام الإمارات الإدارى تطبيقاً عملياً في المنطقة وقرر جلسات المجلس الإداري أسبوعياً وبصفته رئيس المجلس فقد بث في الأعضاء روح الثقة وخولهم حرية النقاش .

غــزوة الـريث :

أشرنا فيما تقدم إلى نزول أمير عسير تركي السديري في عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م لإصلاح وتأديب قبائل المنطقة الجبلية عامة والريث خاصة وأنه وُفق ـ بعون الله ـ

ثم بما يتصف به من الدربة العملية والمرونة السياسية من إصلاح أمور قبائل تلك الجهة ومن جملتهم الريث ، وقد سار بعد ذلك جميع قبائل الجبال على تلك الخطة المرسومة واستمرأوا العدل وكفوا عن التعديات وغزو بعضهم . . إلا قبيلة الريث فقد شجعها وعورة المسالك المؤدية إلى جبلهم القهر وملحقاته وجهالتهم البدائية التي لم تبعد بهم عن حياة الغاب كنتيجة لعزلتهم عن جميع القبائل المحيطة بهم ولموقعهم الجغرافي البعيد عن العمران ـ بالنسبة إلى غيره ـ ولبعدهم عن الطرق الرئيسية ومحيطهم القبلي الذي اتسم بروح العداء وبعدهم عن روح الدين فلا تجد فيهم من يعرف آية من القرآن ، وبيئتهم الخشنة التي لا تلين للزراعة بسهولة إلا بعد العناء والكد الذي لا تحتمله بدائية حالتهم . والاكتفاء الذاتي الذي فرضه التوحش وحتمته حياة التعدي وثارات الدماء مع القبائل المجاورة فكل ما يحتاجه (الفرد) مِئْزر من الخام وشريحة من اللحم أو شخب من اللبن فإن جادت السماء ففي زرع بعض المنخفضات بين الصخور من الحنطة ـ أو في الهدنة المؤقتة بينهم وبين أحد القبائل المجاورة ـ ما يسد حاجة من تتوق نفسه إلى ذلك .

وهم في عداء مستمر ودماء مطلولة وذحول مطلوبة ومواشي مسلوبة مع كل المجاورين لهم في الغرب والجنوب والشرق والشمال كـ (ربيعة) و(الحقو) و (هروب) و(الصهاليل) و(الحساب) و(التليد) و(بني حريص) (وقحطان) وعندما نزل أمير عسير في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م كانوا علي الحال التي وصفناها . لم يمض على إشراف الحكومة المباشر على المنطقة إلا ثلاثة أعوام تخللها في العام الأول الاشتغال بالتجهيزات وحرب اليمن والذي استغرق شطرا من العام الثاني أي عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م ومع ما أعارتهم الحكومة من الاهتمام بأحوالهم وإقامة مركز في جهتهم النائية إلا أنهم كفوا فترة عن التعديات والسطو على مجاوريهم وبعدها ارتفعوا إلى قلل جبالهم وشعاف أطوارهم واستأنفوا حالتهم الأولى وظلت الحكومة تحاول بالحكمة والسياسة استئناسهم واستصلاحهم فلم يجد ذلك وفي آخر عهد إمارة ابن ماضي تفاقم شرهم وتعدياتهم على القبائل المجاورة ـ التى سبق الإشارة إليهم ـ وطلبوا من الحكومة الإذن لهم بغزوهم فلم

توافق وبـوصـول الأمير خالـد السـديري ومـا قام به من وسـائـل (دبلومـاسية) لاستصلاحهم لم يزدادوا إلا غيا ، والبادية في حالة فساد أمرها واستفحال ضراوتها لادواء لدائهـا إلا القـوة فصدرت الأوامر بسوق حملة من مجندي قبائل (منطقة جازان) وقبائل عسير وانتهت مهمة الحملة بإذعان الريث وأخذ سلاحهم وذلك في جمادى الأولى عام ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢ م وفي عودة الأمير خالد جرد أغلب قبائل الجبال من السلاح الذي لاينتج من إحرازه إلا الفسـاد .

ويعود إليه فضل كبير في اشعال جذوة الروح العلمية والأدبية في المنطقة وكانت مجالسه الخاصة ندوات أدبية وحلبات فكرية .

الأميـر محمـد السـديري :

صدرت الأوامر بنقل خالد السديري إلى المنطقة الشرقية ـ وكان قد غادر جازان في زيارة خاصة للرياض ـ فعاد مع الأمير الجديد أخوه محمد السـديري .

يتحلى الأمير محمـد السـديري بالسماحة والخلق النبيل وروح الفتوة العربية الأصيلة ففاز بحب الكثير في المنطقة ، ومن أهم ما كان في عهـده :

١ ـ تأسيس مشروع المـاء وإعـطاء امتيازه لمحمـد سعيد بامهير ، وبدىء المشروع بحفر بئرين في قرية منسية ـ في ساحل الجعافرة ـ ثم ظهر أنها غير كافية وأن مياهها دون الكمية المطلوبة فتحول الحفر إلى قرية (الماطري) .

٢ ـ المهرجان الرائع الذي أقيم في عموم المملكة ومنها هذه المنطقة بمناسبة عودة جلالة الملك المغفور له من مصـر .

٣ ـ تأسيس لجنة لمساعدة مجاهدي فلسطين ـ كما أمرت الحكومة بذلك في سائـر مدن المملكة وقد انتخب المؤلف سكرتيراً للجنة والزميل محمد السنوسي محاسباً ومحمد البسـام أمين الصندوق .

٤ ـ انتدابه لتهنئة الإمام أحمد ـ ملك اليمن بانتصاره على حركة ابن الوزير ـ وقد أهداني معاليه صورتين تذكارتين له ولجلالة الإمام أحمد في أثناء تلك الزيارة يرى القارىء إحـداها .



معالي الأمير محمد بن أحمد السديري
أثناء مقابلته الإمام أحمد ملك اليمن

وقد عين بعد عودته من (اليمن) وذلك في شهر محرم عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م قائداً للجيش المؤلف من المجاهدين الذي تقرر آنذاك إرساله إلى فلسطين .

الأمير مساعد السديري :

يتسم بالمبادرة وسرعة التنفيذ وبذلك تمكن من إزاحة غير واحد من رؤساء دوائر جازان اتخذوا من الشعب مجالاً للشهرة ومن أبرز أعماله في المنطقة :

١ ـ رياسة لجنة سقي الموسم الواقع الاختلاف بشأنه بين أهالي (حرض) اليمنية و (الموسَّم) السعودية وقد طال الوقت على ذلك النزاع زهاء تسعة أعوام حتى تمكن بالاشتراك مع الشيخ محمد على البيز ، من التوصل إلى اتفاقية مع وفد اليمن لحل الموضوع بما يضمن صالح أهالي الموسم وحرض .

٢ ـ بناء القصر الحكومي خارج المدينة وقد بناه على حسابه ثم بعد انتقاله عوضته الحكومة عنه .

وقد خلفه على إمارة المنطقة سليمان بن جبرين في شهر الحجة عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

أمير منطقة جازان ـ سليمان بن جبرين :

شيخ دربته التجارب استلم أعمال إدارة المنطقة من سلفه (مساعد السديري) وفي عهد إمارته زار جلالة الملك المعظم (سعود الأول) المنطقة تلك الزيارة الملكية الخالدة التي احتفلت بها البلاد احتفالا منقطع النظير وقد نشرت جريدة (أم القرى) في عددها ١٥٣٦ في ١٣٧٤/٢/٢٤ هـ / ١٩٥٤ م وصفاً حافلا نورده هنا للحقيقة والتاريخ نصاً :

حفاوة جازان باستقبال الملك
سعود بن عبد العزيز
لمراسلنا المرافق للموكب الملكي
جازان في ١٦/ ٢/ ١٣٧٤

إن جازان التي خفت بجموع أهاليها إلى عرض البحر لاستقبال الملك عندما ألقت الباخرة مراسيها ليلة البارحة في جازان التي انتظرت هذه الزورة الكريمة طويلا وتطلعت إليها كثيراً واستعدت فيها أكبر استعداد قد استقبلت فجر هذا اليوم مبكرة فرحة مسرعة معجلة فراح بعض أهاليها بزوارقهم إلى عرض البحر لمواكبة الركاب السامي وعندما أخذ طريقه في الساعة الثانية والنصف على متن الزوارق البخارية إلى الرصيف الجديد حيث كان في استقباله جموع غفيرة من الأهالي وفي مقدمتهم سعادة الأمير وفضيلة القاضي وحضرات رؤساء الدوائر الحكومية وكبار أعيان البلدة ووجهاؤها وأدت التحية لجلالته ثلتان من الجيش والشرطة كما عزفت الموسيقى السلام الملكى السعودي وأخذ جلالته طريقه بين صفين من الأهالي إلى هذا الميدان الكبير المواجه للميناء الذي أقامت فيه بلدية جيزان سرادقاً لحفل البلدة لاستقبال المليك المفدى وقد احتشدت خارج السرادق ألوف كبيرة من الأهالي الذين استعدوا بألعابهم وأهازيجهم وطبولهم وبدأوا يعرضون هذه الألعاب التي تعبر عن فرحتهم بالزيارة الملكية الكريمة وقد زين مدخل السرادق بأقواس النصر الكبيرة وكتب عليها : (أهلا بعاهل الجزيرة العربية ومرحباً بالملك العظيم) وأخذ حفظه الله مكانه في صدر السرادق الكبير بين التصفيق الحار والهتاف العالي وبين هذه الأناشيد الجميلة التي أخذ طلبة المدارس يرددونها ثم تشرف بالسلام على جلالته جموع كبيرة من الأهالي ونهض حفظه الله لاستقبالهم واقفاً يغمرهم بعطفه الكريم وبعد أن أديرت القهوة العربية افتتح الحفل بالقرآن الكريم من الطالب محمد منصور بيضي ثم ألقى الأستاذ أحمد خضري كلمة سعادة الأمير الشيخ سليمان بن جبرين التي رحب فيها بجلالته ونوه بمآثر العهد السعودي الزاهر وتلاه الأستاذ علي بن عبده علاقي الذي ألقى كلمة البلدية والبلدة في الترحيب

بجلالة العاهل المفدى وفي التعبير عن شعور الولاء والحب الذي يكنونه للجالس على العرش وأعقبه شاعر جازان الأستاذ محمد أحمد عيسى العقيلي بقصيدة رائعة كان لها أجمل الوقع وقوطعت أبياتها بالتصفيق والهتاف بحياة جلالة الملك [١] المعظم . وفي ختام هذا الحفل الشعبي الكبير ألقى الأستاذ محمد بن علي السنوسي قصيدة جميلة قوبلت بالاستحسان ثم تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بالانتقال إلى حيث أقام الأهالي والتجار في جيزان مائدة شاي كبرى تكريماً لجلالته .

وبعد أن أمضى حفظه الله بعض الوقت على المائدة بين أهالي جيزان الذين غمر وجوههم الفرح واستخفتهم الحماسة بهذا التشريف الملكي العظيم توجه الركب المحروس إلى ناحية (المطلع) حيث أقيم مشروع الماء ، هذا الماء الذي احتضنته شركة الماء والثلج والكهرباء وقامت بإبرازه إلى حيز الوجود عمل استمر عامين ، فقد مدت الأنابيب لجلب الماء من الآبار الارتوازية التي بوادي [٢] (الماطري) الذي يبعد عن جيزان حوالي عشرين كيلو متراً قد تم إيصال الماء أخيراً إلى أول نقطة من البلدة بناحية المطلع وقد أعد لكي يتفضل جلالة مولانا الملك المعظم بافتتاحه بيده الكريمة وكانت الجماهير على طول الطريق تحيي الركب الملكي المحروس وتعدو خلفه وتحييه بهتافاتها وأهازيجها وألعابها وقد أقيمت أقواس النصر الكثيرة في كل شارع وكتب عليها بخط عريض (نحن فداء للمليك واحنا لك ياسعود قلوبنا معك ياسعود ، ومرحباً بمليك القلوب) ، وما أن أخذ حفظه الله مكانه في صدر السرادق المعد حتى دعا إليه الشيخ سليمان بن جبرين أمير البلدة والشيخ محمد سعيد بامهير المشرف على المشروع ورؤساء الدوائر الحكومية في البلدة وأعلنهم جلالته أنه قرر أن يكون هذا المشروع على حساب جلالته الخاص مع ما سبق أن أنفق عليه وما سينفق كما أمر حفظه الله أن يستأنف العمل في المشروع وأن يقام خزان كبير لحفظ الماء وتمد الأنابيب إلى داخل البلدة وتعمم

---

(١) تجدها فى آخر هذا الفصل .

(٢) الصحة بقرية الماطري لأن الماطري قرية لا وادى .

الكباسات والموارد في كل شارع وميدان وأن يبذل الماء للجميع بدون مقابل وأن يبدأ العمل في المشروع حالا بحيث لا يمضى شهر إلا وقد انتهى العمل فيه وأوصاهم جلالته بأن يتعاونوا جميعاً ويبذلوا كل ما في وسعهم للمساعدة في إتمام هذا المشروع العظيم وعندما أعلن النبأ بين الجماهير الكثيرة التي احتشدت خارج السرادق دوت أرجاء الميدان بالهتاف المتعالي والتصفيق الحار والدعاء لجلالته بطول العمر ودوام التوفيق ثم تفضل جلالته بالانتقال إلى خارج السرادق حيث أقيم المورد الأول للماء وأدار جلالته الصنبور الكبير فتدفق الماء عذباً صافياً قراحاً يروي النفوس الظامئة وينساب إلى الأرض الجدباء فتهتز وتربو وتعالى التصفيق والهتاف من كل ناحية وتدافعت الجماهير على المورد تستقى منه وتنهل من مائه كسرب من الطير العطشى تدافع على ضفة الغدير .

زيارة جلالته لأهل العلم فى جازان :

ثم توجه ركب جلالته المحروس إلى دار فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن الشيخ رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة جازان الذي احتفل هو الآخر بهذه المناسبة السعيدة وعندما شرف جلالة الملك المعظم كانت الدار مزدانة بالأعلام واحتشد أمامها جمع كبير من الأهالي وأخذ جلالته طريقه إلى داخلها بين الحفاوة البالغة والهتاف المتعالي بحياته الغالية وبعد أن أديرت القهوة العربية تقدم بين يدي جلالته الشيخ إبراهيم الحمد الشامي الذي ألقي كلمة عن فضيلة رئيس الهيئة رحب فيها بجلالته ونوه بأفضاله العديدة وأياديه البيضاء على « العلم » ورجاله ثم تفضل حفظه الله بالانتقال إلى مائدة الشاي الأنيقة التي حفلت بما لذ وطاب والتي كانت تعبيراً عن الحفاوة والفرحة العظيمتين وكانت الجماهير خارج الدار يتعالى هتافها قائلة : مرحباً بك ياسعود ، معاك الله ياسعود ، وغادر حفظه الله دار الشيخ عبد العزيز بن الشيخ بين الحفاوة والإكرام .

وقصد الركب الكريم بعد ذلك إلى دار فضيلة عبد العزيز بن فوزان قاضي المنطقة الذي أقام حفلة شاي جميلة على شرف جلالته وبعد ذلك عاد

ركب جلالته محفوفاً برعاية الله وعنايته إلى الباخرة الملكية حيث قضى هناك فترة الظهيرة .

حفاوة أمير جازان بجلالته :

وفي تمام العاشرة والنصف [1] عاد ركب جلالته مرة أخرى إلى جازان التي كانت جميعها في استقباله هاتفة مصفقة مرصوصة ، وتوجه إلى دار الإمارة حيث أقام سعادة أمير البلدة سليمان بن جبرين حفلا تكريمياً لجلالته وبعد أن ألقى الأستاذ أحمد فقيه قصيدة جميلة بين يدي جلالة الملك المعظم تفضل جلالته بالانتقال إلى حيث أقيمت مأدبة العشاء الكبرى التي دعى إليها جمع غفير من أهالي البلدة .

حفاوة مدير شرطة جازان بجلالته :

ثم غادر جلالته الدار مودعاً بالحفاوة والإكرام وقصد إلى دار مدير الشرطة عيسى المشاري الذي أقام لجلالته حفلة شاي أنيقة وألقى بين يدي جلالته الشاب حمد مسرحي كلمة ترحيبية نيابة عن الداعي .

حفاوة معتمدية المعارف في جازان بجلالته :

وبعد ذلك توجه الركب المحروس إلى هذا السرادق الكبير الذي أقامته معتمدية المعارف في البلدة والذي ازدان بأقواس النصر واللوحات التي ترحب بنصير العلم وباعث النور واصطفت طلبة المدارس يرددون أناشيدهم وما أن شرف حضرة صاحب الجلالة المفدى حتى استقبلوه بالهتاف بحياته الغالية والتصفيق وأخذ جلالته مكانه في صدر السرادق وتقدم بين يدي جلالته الشاب أحمد عبده مسلم حيث ألقى كلمة عن زملائه طلاب المدارس الثانوية في جيزان وتلاه الطالب عبد الكريم صوري بكلمة عن طلاب المدارس الابتدائية ثم ألقى الأستاذ محمد لطفي عثمان كلمة البعثة التدريبية المصرية في جازان .

---

(١) كان التوقيت الغروبي هو السائد في المملكة ولم يعدل إلى التوقيت الزوالي إلا في منتصف عهد فيصل والساعة العاشرة والنصف غروبي توافق الساعة أربعة ونصف زوالي .

أمر جلالتـه بفتح دار لليتامى بجـازان :

وبعد ذلك تقدم الطفلان علي عمر جابر وراجح حيث قدما محاورة لطيفة عبرا فيهـا عن حاجـة جازان إلى إنشاء داراً للأيتام يأوي إليها الطلاب منهم وتلاهما الأستاذ عثمان شاكر معتمد المعارف في جازان بكلمة ترحيبية وقد استجاب جلالته حفظه الله إلى الرغبة التي أبداها الطلاب وأصدر أمره الكريم على الفور بإنشاء دار للأيتام بجازان يأوي إليها الأيتام في البلدة ومن القرى المجاورة لها ، وأن يكون ذلك بأقصى سرعة ممكنة واستقبل هذا العطف الأبوي وهذه المنة الملكية الكريمة من أبيهم العظيم ووالدهم الجليل بالتصفيق الحاد والدعاء أن يحفظ الله جلالته أباً لهم يواسيهم بحنانه وعطفه ما افتقدوه من عطف الأب وحنانه .

حفـاوة حامية جـازان العسـكرية بجلالتـه :

وبعد أن أدى حفظه الله صلاة المغرب جماعة مع أبنائه الطلاب توجه الركب المحروس إلى خارج البلدة حيث أقامت حامية جازان حفلا تكريميا لجلالته وبين الحفـاوة الرائعة والولاء الصادق من الضباط والجنود لجلالة قائدهم الأعلى أخذ حفظه الله مكانه في صدر السرادق ثم تقدم الرئيس حسن عسيري بكلمة الترحيب وتلاه الملازم أحمد عبد الملك بقصيدة جميلة ثم ألقى الملازم عبد الرحمن مدين قصيدة أخرى رحب فيها بجلالته بين أشباله وأعقبه أمين سرية صالح باقديم حيث ألقى قصيدة بين يدي جلالته ثم رفع الستار عن هذا المسرح الذي أقاموه عن هذه التمثيلية العسكـرية الجميلة التي قدمهـا الـرئيس حسن عسيري « كن يقـظان » وتفضل جلالته القائد الأعلى للجيش فغمر ضباطه وجنوده بعطفه السامي الكريم وتـزويدهم بنصائحه الغالية ثم غادر جلالته المكان بين الحفاوة البالغة والتكريم العـظيم وقصـد جلالته إلى الباخرة الملكية حيث يقضي فيها المساء ، حيا الله جلالته ذخراً لشعبه المخلص الوفي الأمين .

جازان في ١٧/٢/١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م كان يوم الجمعة هذا الثامن من أيام هذه

الرحلة الملكية الميمونة من أحفل الأيام وأجملها وأكبرها تعبيراً وإفصاحاً . وإليكم البيـان .

حفــاوة موظفى جازان بجلالتـه :

فى تمام الساعة الواحدة من صباح اليوم شرف مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ميناء مدينة جازان مرة أخرى وأخذ ركاب جلالته طريقه بين الحفاوة والإكـرام إلى حيث أقام موظفو البلدة لجلالته حفلا تكريميا رائعاً ، وما أن أخذ جلالته مكانه في صدر السرادق حتى أقبل على جلالته رؤساء الدوائر الحكومية وكبار الموظفين مسلمين مرحبين ثم ألقى مدير مالية جازان عبد القادر خورشيد كلمة باسم موظفي البلدة رحب فيها بجلالته وتمنى له طيب الإقامة في بلدهم وشكره على تفضله حفظه الله بحضور حفلهم وتلاه الدكتور فاروق التاودي الذي ألقى كلمة الصحة وتحدث فيها عن مجهودات جلالته في سبيل رفع المستوى الصحي بين أبناء شعبه ورجاه المزيد من هذه الجهود الطيبة ثم تفضل جلالته بالانتقال إلى حيث أقيمت مائدة شاي أنيقة للحفاوة بجلالته في صبيا .

وبعـد فتـرة من الـوقت قضـاهـا المليك المعظم مع أبنائه الموظفين يتحدث إليهم ويغمرهم بنصائحه السامية وإرشاداته الحكيمة ويدعوهم أن يخلصوا العمل لأمتهم وأن يبـذلـوا قصـارى جهـودهم في أداء واجبـاتهم بعد ذلك غادر حفظه الله مكـان الاحتفـال بعـد ذلـك تشـرف من هنـاك بتـوديع جلالتـه توديعاً حافلا بالحفـاوة والشكـر والتكـريم وتـوجـه الـركب المحـروس بعناية الله آخذاً طريقه إلى بلدة صبيا [١] التي تقـع إلى الشـرق من جازان وتبعـد عنهـا حوالي [٢] أربعين كيلومتـراً وكـان الـطريق إليهـا وعـراً تغـوص السيارات في كثبـان فيه من الـرمـال ولكن المليك العظيم أبى إلا أن يسعى إلى أبناء شعبه وأن يزورهم يزورهم في ديارهم مهمـا بعـدت وكـانت تحتشد على طول الطريق مجموعات من القـرويين والبـدو والمـزارعين الذين كانوا يحيون المليك بالهتاف والتصفيق

(١) الصحـة فى الشـمال الشرقى .

(٢) المسافة بين جازان وصبيا ٢٩ كيلا

وكـان حفـظه الله يحييهم جميعاً ويبتسم لهم جميعاً ويغدق على فقرائهم المنح والعطايا السخية وهكذا مضى ركاب الملك ويمشى البذل والكرم والجود في ركابه إلى أن وصل إلى بلدة صبيا وهي بلدة صغيرة [1] يعيش أهلها على الزراعة والرعي وقد لاحظنا أن أراضيها المحيطة بها على جانب عظيم من الخصب والجود فقد قضينـا أكثـر من ساعتين نسير بين صفين من حقـول الـذرة الخضراء وشجيرات السمسم والخضرة محدقة بنا من كل جانب وكان أهالي الوادي عن بكرة أبيهم قد احتشدوا في هذا الوادي الكبير الذي يتوسط البلدة وبدوا وقد ملأوا شعاب الوادي وأطرافه كالبحر الزاخر المتلاطم وقد أقاموا أقواس النصر ورفعوا الأعلام واستعدوا بطبـولهم ورقصاتهم المحلية وجعلوا يتواثبون ويتصايحون ويهتفون وشق الركاب المحـروس طريقـه بصعوبة وسط هذه الجموع الحاشدة إلى حيث أقيم سرادق الاستقبـال الكبير الـذي كتبت عليه عبـارات الـترحيب بعـاهـل الجزيرة وخليفة المسلمين ضيفهم الكريم ومليكهم العظيم واستقبل جلالة مولانا الملك المعظم عند مدخل السرادق كبار الأهالي وفي مقدمتهم الأمير بمباخر العود والند وبالترحيب والتهليل وبعد أن أخذ حفظه الله مكانه في صدر الحفل افتتح الحفل بتلاوة القرآن الكـريم من الـطالب جابـر حسن ثم ألقى الأستـاذ طاهر سلام كلمة الإمارة في التـرحيب بجـلالتـه وتـلاه الأستاذ حمود عبده الذي ألقي كلمة نيابة عن أساتذة المـدرسـة في صبيا ثم ألقى كلمـة الأهالي الشاب محمد العابد وأعقبه الأستاذ عبد الله مكي بقصيدة صورت شعور أهالي صبيا نحو المليك العظيم وبعد ذلك ألقى الطالب عبد القادر باصهي كلمة باسم زملائه الطلاب ، وفي ختام الحفل ألقى رئيس هذه الأراضي كلمة عن مزارعي البلدة وكان الخطباء يرددون عبارات الترحيب والشكر والولاء لجلالته وينوهون بأفضالاته العديدة وأياديه البيضاء على الشعب .

---

(١) إن صبيا ليس بلدة صغيرة بل هى مدينة وقد قدر (فلبى) سكانها بخمسة وعشرين ألفاً وقد قدرنا سكانها في كتابنا هذا ـ بسبعة وعشـرين ألفا .

عنايـة جلالته بإقامة سـد لوادى صبيا :

وقد رجا جلالتَه الأهاليُ في كلمتهم أن يتفضل فيأمر بإقامة سد لكي يحفظ مياه الأمطار الغزيرة الكثيرة التي تهطل على البلدة فيستفاد منها في الزراعة ومن الناحية الأخرى يصد عن بيوت البلدة خطر اجتياح السيول لها وقد اهتم حفظه الله بهذا الرجاء وأمر أن يرسل مهندسون فنيون لدراسة المشروع تمهيداً لإقامته في أقرب وقت ممكن وتعـالى تصفيق الأهـالي وهتافهم بحياة أبي الشعب الحاني وراعيه الساهر وقائده . وبعد ذلك غادر جلالته الميدان مشيعاً بالحفاوة والإكرام إلى دار أمير صبيا سليمان بن جريس الذي أقام لجلالته حفل غداء كبير دعا إليه جموعاً حاشدة من أهالي البلدة ، وبعد أن تناول جلالته الطعام هنيئاً بين أبناء شعبه في هذا الحفـل الودي العائلي الحبيب توجه ركاب جلالته الكريم إلى حيث قضى حفظه الله فترة الظهيرة يبحث في أحوال البلدة وتفقد مرافقها والاستماع إلى رغبات أهاليها .

الحفـاوة بجلالتـه فى (أبو عريش) :

وفي السـاعة الثامنة والنصف من بعد ظهر الجمعة وقبل أن نسترد أنفاسنا اللاهثة ونستعيد قوانـا الذاهبة أمر حفظه الله فتحرك الركاب الكريم فغادر بلدة صبيا في طريقه إلى بلدة أبي عريش التي تقع إلى الجنوب الشرقي [١] من جازان وودعته أهـالي صبيا بالهتـاف والتصفيق والحفـاوة والحب ومضى الركاب في طريق وعر المسالك كثير المرتفعات والمنخفضات طريق لم تطرقه السيارات من قبل وكان الـركـاب يتـوقف ثم يسير مرات كثيرة تارة ليحيى جلالـة الملك المعظم جموع المـزارعين والأهالي الذين احتشدوا لتحيته ومرة لوعورة الطرق ولكن جلالته في كلتا الحـالتين مشـرق الطلعة والابتسامة الحبيبة لاتفارق محياه الكريم . غير عابىء بما يلقـاه من تعب ومـا يصـادفه من مشقة فالملك في عرفه حفظه الله رسالة سامية تؤدى ومهمة جليلة تزجى ورعاية مستمرة وسهر دائم ومتاعب كثيرة قبل أن يكون اسماً

---

(١) أبو عريش تقع شرق مدينة جازان لا فى الجنوب الشرقى .

رناناً ولقباً عريضاً ومنظراً فخماً وهكذا مضى الركب والجموع تواكبه واليمن يصاحبه والبشر طالعه وطابعه إلى أن وصل أبا عريش في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين عصراً حيث كان في استقباله جموع الأهالي في هذا السرادق الكبير الذي أقاموه وزينوه بالأقواس والأعلام وبعد أن تشرفت جموعهم بالسلام عليه وهتف طلبة المدرسة بأناشيدهم وافتتح الحفل بالقرآن الكريم من الطالب محمد بن أحمد قاسم وأعقبه الأستاذ ناصر قاسم بكلمة نيابة عن أمير البلدة ثم ألقى الطالب أحمد صالح عمودي كلمة الأهالي في الترحيب بجلالته وغادر حفظه الله سرادق الاستقبال إلى حيث أقام لجلالته (رشيد بن خثلان) أمير البلدة حفلة عشاء كبرى حاول فيها أن يعبر عن مدى الحفاوة والحب الذى يكنه هو وأهالي البلدة للجالس على العرش المفدى وبعد ذلك توجه حفظه الله إلى دار فضيلة القاضي عبد الرحمن الطرباق حيث تناول القهوة العربية .

الحفاوة بجلالته في القويعية :

وتوجه الركاب المحروس إلى قرية القويعية المجاورة لأبي عريش حيث أقام لجلالته هادي قصادي شيخ جميع المسارحة الشرفاء والأستاذ علي أبو غزالة مأمور المالية حفلا تكريمياً وافتتح الحفل بكلمة الترحيب ألقاها علي أبو غزالة ثم ألقى الأستاذ أحمد باهادون قصيدة جميلة قوبلت بالاستحسان وبعد أن أدى حفظه الله صلاة المغرب جماعة مع أبناء شعبه تفضل جلالته بالانتقال إلى مائدة الشاي الأنيقة وبعد فترة من الوقت نهض جلالته مغادراً المكان مودعاً بالحفاوة والتكريم وبالتصفيق والهتاف واتجه الركب المحروس إلى جازان وفي الطريق إليها كانت التحيات تتوالى من الجموع وكانت العطايا تنهال من الملك الجواد على فقرائهم .

الفرحة الشعبية الكبرى بجلالته فى (جازان) :

وحينما أشرفنا على جيزان كانت قد أعدت لموكب جلالته المحروس استقبالا شعبياً فريداً منقطع النظير اشترك فيه الشيوخ والكهول والشبان والأطفال والخاصة والعامة حتى النساء شاركن في الاحتفال والتحية بزغاريدهن المنطلقة من كل بيت وكأنما هو فرح عام سرت عدواه من بيت إلى بيت

ومن شارع إلى شارع ومن محلة إلى محلة فكنا لانرى إلا جموعاً تهتف وأيادي تصفق ولا نسمع إلا الهتافات والزغاريد وكأن هذه الجموع لاتفرغ وكأنما هؤلاء الناس وهذه البلدة تجمعت رجلا واحداً ، حشد نفسه وقواه وإمكانياته ليعبر عن شعوره [1] وعن ترحيبه وعن تفانيه هذه الساعة من ساعاتهم التي كانت جازان ترتقبها لتعلن أنها فرحة فخورة وإنها ظمأى لما يبرد غلتها بعد وكان جواب الملك على هذه الحفاوة التي لم نشهد لها مثيلا وعلى هذا الحب المتدفق الرائع كان جوابه أروع فكانت تحياته أحسن وأندى وأجمل كان يحيي الجموع ملوحاً بيده الكريمة من العربة الملكية المكشوفة ويتوقف دقائق عند كل جماعة ويتسلم بيده الكريمة العرائض التي تقدم إلى جلالته ويستوقف الركب امرأة عجوز لتقدم إلى المليك التماسها فيأمر جلالته ويتوقف الركب ويتفضل فيستمع لها ويغمرها بعطفه ويطمئنها ويمضي الركاب الكريم والعجوز واقفة كالذاهلة من الفرحة رافعة يديها إلى السماء في ابتهال عميق كل هذا كأنما لم نقطع هذه المسافات الطويلة ولم نقم بهذه الرحلة الشاقة طيلة النهار وعاد الركاب المحروس بعد ساعات إلى الباخرة الملكية الراسية في عرض البحر .

الحفاوة بجلالته فى طريق صامطة :

في تمام الساعة الواحدة من صباح يوم السبت توجه الركاب الملكي المحروس في طريقه إلى بلدة (صامطة) التي تقع جنوب جازان ولم يكن الطريق إليها أقل وعورة ولا أوضح مسالك من زميله طريق صبيا ولكنه كان أكثر منه طولا وأبعد مسافة فهى تقع على بعد ٧٥ كيلومتراً من جازان وكالعادة قام جموع الأهالي والبدو القرويين تصطف على جانبي الطريق في انتظار ركب الملك لتحيته وتعبر له عن عواطفها وتجتلي طلعته المشرقة وكالعهد بمولانا حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم كان يغمر الجميع بعطفه ويرد التحيات بأحسن منها ويغدق الهبات على الفقراء والمساكين ومن المناظر

(١) تلك الفرحة الكبرى حقاً قد ألهمت المؤلف قصيدة من عيون الشعر تجدها فى آخر هذا الفصل بعنوان (تحية التاج) .

الرائعة استوقفنا طفل صغير بائس ووالدته الكهلة أقبلا على المليك يحييانه وأمر حفظه الله خازنه أن يعطيهما بعض النقود ولكن الطفل رفض أن يأخذ الهبة قائلا (كفى بالماء الذي أغدقه الملك علينا ومنحنا إياه بعد أن كنا نقاسي الأمرين في سبيله) وكان أهالي القرى التي تقع في الطريق إلى صامطة يحتشدون على جانبي الطريق ويستقبلون ركاب الملك مصفقين هاتفين عارضين ألعابهم وكان حفظه الله يأمر فيوقف الركاب يستمع حفظه الله إلى تعبيراتهم المختلفة عن فرحهم واحتفائهم .

الحفـــاوة بجـــلالته في المضــــايا :

ورجى أهالي قرية المضايا إيقاف الركب ورجوا المليك أن يتفضل بتناول القهوة لديهم فاستجاب حفظه الله وترجل من العربة الملكية وقضى بينهم بعض الوقت وتناول قهوتهم وغمرهم بعطفه ومضى الركب وهم غير مصدقين أن المليك العظيم شرفهم بزيارته وأنه تحدث إليهم واستمع منهم .

الحفـاوة بجلالتـه في قرية الأحـــد :

وبعـد مسير حوالي ثلاث ساعـات وصـل الركب المحروس قرية الأحد التي أعدت عدتها وتهيأت لاستقبال ركب المليك المفدى وبين التصفيق الحاد والهتاف المتعالي أخذ حفظه الله مكانه في صدر السرادق بين أقواس النصر والأعلام الكثيرة وافتتح الحفل بالقرآن الكريم الطالب أحمد جابر ثم ألقى فضيلة قاضي بني مالك سليمان السعود الدوجان كلمة بين يدي جلالته رحب فيها بخليفة المسلمين ونوه بأعمـاله الخالدة ومجهوداته العظيمة وتلاه الأستاذ إبراهيم جرادي عسيري الذي ألقى كلمـة سعود بن تويم أمير الأحد وأهالي الأحد ورحب فيها بجلالته أجمل ترحيب ، وبعد أن قضى حفظه الله بعض الوقت إلى مائدة الشاي الجميلة غادرها ركابه السامي إلى دار فضيلة القاضي أحمد جابر واستقبل في الطريق إليها بحفاوة بالغة وقد ألقى الطالب محمد عبده كلمة فضيلة القاضي في هذه المناسبة ثم تفضل حفظه الله بالانتقال إلى مائدة الشاي التي أعدها القاضي .

الحفــاوة بجـــــلالتــه في بلـدة صامطـة :

وبين هذا السيل المنهمر من الحفاوة والتكريم غادر ركاب جلالته قرية الأحد مستأنفاً السير في طريقه إلى صامطة ووافيناها في الساعة الخامسة والنصف ورحبت جموع الأهالي الحاشدة بركاب المليك الكريم بالتصفيق والهتاف والحفاوة وأخذ حفظه الله طريقه إلى معهد صامطة العلمي الذي قد أخذ زينته وأهبته لاستقبال المليك وحيا جلالته جموع طلبة المعهد بالهتاف بحياته الغالية والأناشيد وتصدر حفـظه الله هذا الفناء الواسع الذي توسط المعهد وتقدم بين يدي جلالته حافظ الحكمي مدير المعهـد بقصيدة رائعة تغنى فيها بنصير العلم وباعث النور مولانا الملك المفدى . وتلاه أحد طلاب المعهد بكلمة ترحيبية عن زملائه وبين ألحان الموسيقى وصداح الطلبة بالأناشيد تفضل جلالته بالانتقال إلى مائدة الشاي الأنيقة ثم توجه الركاب الكريم إلى دار الإمارة حيث كان في استقبال جلالته حاكم البلد حسين بن شديد وفضيلة القاضي أحمد بن مسلم ، وبعد أن أخذ جلالته مكانه في صدر السـرادق تقـدم فضيلة القـاضي بكلمة ترحيبية عن الأمير وعن نفسه وعن الأهـالي ثم تقدم الطالب علي بن مديش بقصيدة بليغة جميلة وبعد ذلك انتقل حفـظه الله إلى مائـدة الغـذاء الكبـرى التى أقـامها تكريماً لجلالته أمير وقاضي صامطة ، وبعد أن تناول حفظه الله الطعام هنيئاً قضى فترة الظهيرة يتفقد شؤون البلدة ويسأل عن أحوالها ويفصل في قضاياها بما عرف عن جلالته من اهتمام بالغ بشؤون مملكته ، وفي التاسعة من مساء هذا اليوم توجه الركاب المحروس بعناية الله ورعايته عائداً إلى جازان بين معالم الحفاوة ومظاهر الولاء في كل مكان وفي كل قرية وفي كل شارع وأمضى حفظه الله المساء على ظهر الباخرة الملكية .

الحفاوة بتوديع جلالته في جازان :

وفي صباح هذا اليوم الأحد توافد على الباخرة الملكية جموع كبيرة من كبار أهالي جازان والمدن والقرى المحيطة بها وفي مقدمتهم سعادة أمير المنطقة سليمان ابن جبرين ، وفضيلة قاضيها ورؤساء الدوائر الحكومية فيها للتشرف بالسلام على حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مودعين وقد قضى الجميع وقتاً غير قصير في حضرة المليك الجليل يستمعون إلى نصائحه الغالية وإرشاداته الحكيمة التي تفيض إخلاصاً وخيراً وعقلا .

حفظ الله الملك المفدى ذخراً لشعبه المخلص الوفي الأمين .

انتهى ماجاء في جريدة « أم القــرى » .

تحيـــــة التــــاج

وصف الاحتفــال الـرائع ومنـاهج الاستقــبال الفريـد

قد أدار الـبيان والـشعـرُ جامَـه — فاشـربـى نخـبـه وعبِّي مُدامَـه
واصـدحـي يالحـون فالأفق قدشفَّ — يزف الـسـنـا ويزجـى غمامـه
وارمـقي فجـره الـمـفـضض مذْلاح — وقــد وشَّــعَ الــسـنــا أقـسـامـه
فى وشـاح من الـشـعـاع مضىءٍ — رصـع الـبـدر والـنجـومُ وسـامـه
وتـملى الـضياء قد شعشّـع النـور — وقــد لألأ الــصـبـاح ابـتـسـامـه
رفَّ إيمــاض وهجه يغمرُ الـكـون — مبـينـاً تتـوج الـشـمس هـامـه
كسـنـا ومـضـةٍ من الـتـاج شعـت — في غواشي الـدجى أضاءت تهامـه
رفـلـت في غلائـل الـنـور تختـال — تنـير الـدجـى وتـجـلو ظلامـه

***

لبـسـت فيه حلة الـمـجـد جازان — وتـاهـت جلالــة وفـخـامـه
ماس في الـزينـة الـسخية يختـال — وقـد داعـب الـهـوا أعـلامـه
وهـفـت في الـسـمـاء منـا قلـوبٌ — تلتـقي الـركب في الفضـا حوامـه
وبـدا الـفـلك في تهـاديه يجـري — فلك أطـلع الـشـمـوس أمـامـه
فهـمـا بالـهـتـاف جازان رعـداً — رَجَّ أطـواده وهـز أكـامـه
ليلة من بشـائـر الـمـجـد غراء — رقـى الـيمـن في زهـاهـا تمـامـه

***

وصـبـاح مذهـب زاهـر الـنـور — نضـا عن سنـا الأمـانـي لثـامـه
كان بَدْءًا لمـهـرجـان وعـيـد — ألـبس الـدهـر بهـجة أيـامـه
يتـهـادى في نشوة الـوجـد جازان — وقـد ألـهـب الـلقـاء غـرامـه
هزجـاً بالـولاء والـحـب يشـدو — ثمـلا أسـكـر الـهـوا أنـغـامـه
أشـعـل الـشـعـب بهـجة وسـروراً — فانـتـشـى شيخـه يبـاري غلامـه

زغــرد الغيد من وراء المقــاصير　　　　تحـيي ركــابــه ومـقــامــه . . .
عجباً ما أرى مليكاً شأى الشعب　　　　حنــانــاً وأمَّــة مشـتـهـامـه

* * *

أقسم الشعب أن يحيط علاه　　　　أينــمــا سار لا يذوق منـامـه
كل ما هلَّ موكب الـملك هبت　　　　في جمــاهيرهــا تؤدي سلامـه
واستطارت تواكب الركب صفا　　　　تجـتلى نوره وتـزجي احتــرامـه
أمــة أعــربت وأبــدت شعــوراً　　　　صادقــاً قدر المليك انتـظامـه
قال ماذا أرى ومن أنهض الشعب　　　　لهـذا الـلقـا ومـن ذا أقـامـه
فأجــاب الأمــير في خير نطق　　　　سيدي ما رأيتـه إلـهـامـه
وأقيمت موائـد الشعب كالهالات　　　　نوراً وروعــة وفـخـامـة
نسقت في بدائع الزهر ألوانـاً　　　　وحــاكت أنفــاسـه وانسجـامـه
احتفـالات لا الرشيد اجتلاها　　　　في علاهـا ولا استضـافَتْ هشامه

موكب التاج [1]

أشرق (التاج) قد تجلت (سعوده)	وازدهى (العرش) قد تعالت (بنوده)
كالسنا (جوهراً) وكالبرق ومضاً	صيغ من ذائب الضياء (فريده)
عربي الشعاع يسطع منه	(ألق) يحسر اللحاظ نضيده
وأعادت دنيا الخلافة عهداً	زاهراً كالصباح تزهى عهوده
باركت (عصره) السماء فخلنا	سار في موكب الزمان (رشيده)

* * *

ضفروا (الغار) و(الأكاليل) واشدوا	نغماً يخلب (النجوم) نشيده
وانثروا (الزهر) والرياحين غضاً	تغمر الموكب العظيم وروده
وامزجوا (الريح) بالبخور أريجاً	يفعم الخافقين بالنشر (عوده)
وانصبوا من حواشي الشفق الزاهـ	ـي (رواقاً) قوس (السحاب) عموده
وليسر فوق هامنا والنواصي	موكب (التاج) والقلوب مهوده
واحملوها (مشاعلا) و (شموعاً)	سطعت بالسنا يشع وقوده
أطلقوها (أهازجا) وغناء	إنها فرحة الزمان وعيده

* * *

أمة أعربت بمكنون (ود)	جاش فيضانه وفاضت مدوده
تتلظى (عواطفاً) وشعوراً	عيٌّ عن حملها وكلت جهوده
تتملاك في (الشروق) ضياء	وجمالا على (الأصيل) ترووه

* * *

لبس القطر من شعاع الداري	حللا كالضحى ترف (بروده)
وجلاها مباهجاً هزت الدنيـ	ـا سروراً قد رددتها حدوده
رفرفت في الفضاء أعلامه الغر	وماجت على السهول حشوده
وعلى ضفة الشواطىء دوّى	(هاتف) الشعب قد تعالت رعوده

* * *

(1) قصيدة المؤلف في حفل استقبال جلالة الملك .

حى ركبا على الخضم تهادى (رمز) نصر على البحار تعيده
يتهادى بسيد (الضاد) فخراً كاد أن ينطق ابتهاجاً (حديده)
مخر الأحمر العتيد فحيته احتفاء (أثباجه) ومدوده
وتغنت (عرائس) الموج لحناً عبقرياً هز الضفاف مديده
خطر اليمن في (الجنوب) وهلت (نعم) من يد (المليك) تجوده
سافرات الضياء مشرقة (النور) جلاها على البلاد وفوده
رف (جازان) في ذراها كما رف على الروض بالندى أملوده

***

سرح الطرف في ربوعك واهنأ بين شعب تلقفتك كبوده
يتفداك بالنفوس ويحبوك ولاء قد لقنته (مهوده)
وتأمل آثارك الغر وانظر مرفقاً يدمغ الزمان خلوده
مَنْهَلاً من مناهل الخلد يجري سلسلا ينقع الغليل بروده
صافياً كالشعاع أزهر رقراقاً كمزن السما ، مرته رعوده
هامساً بالثناء والشكر يتلو (سور) الحمد للمليك نضيده

***

رفل (الثغر) مشرق الأفق قد ماست على (مرفإ) الرصيف قدوده
خلعت زينة عليه الليالي وحباه ردا الجلال سعوده
وليدم سيد الجزيرة للشرق على العالمين تهفو بنوده

وجاء في جريدة « أم القرى » أيضا العدد ١٥٣٦ ـ :

جاءنا في ٧٤/٢/٩ هـ/ ١٩٥٤ م من مراسلنا المرافق لركاب جلالة الملك المعظم في رحلته التفقدية الميمونة إلى السواحل في المملكة ما يلي :

في تمام الساعة السادسة من ظهر هذا اليوم الأحد تحركت الباخرة الملكية « الأمير سعود » من ميناء جازان آخذة طريقها بسلامة الله ورعايته بين الحفاوة والإجلال والحب والولاء إلى ميناء جدة بعد أن انتهت هذه الرحلة الملكية الكريمة التي تفقد فيها مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ـ المفدى ـ السواحل الجنوبية للمملكة وزار مدنها وقراها القريبة والبعيدة الكبيرة والصغيرة وعاش فيها حفظه الله مع أبناء شعبه المخلص أياماً قليلة حفلت بكثير من فضائله ومشروعات كبيرة وخطوات سديدة وفي هذا الوقت بالذات بعد أن انتهت الرحلة الملكية الميمونة والباخرة تمخر بنا عباب البحر الأحمر في طريقها إلى جدة تفضل مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم فوجه الخطاب التالي إلى أبناء شعبه جميعاً وإلى أبناء الجنوب خصوصاً :

« لقد كان من دواعي ارتياحنا واغتباطنا أن نزور هذا الجزء من مملكتنا بسواحل تهامة وعسير والاجتماع بأهلها وتفقد شئونهم والنظر في أحوالهم والوقوف على حاجتهم فزرنا الليث ثم القنفذة فالبرك فالقحمة ثم حللنا بجازان وزرنا فيها صبيا وأبو عريش وصامطة وتجولنا في مناطقها الزراعية الواسعة وقد سرنا ما شاهدناه في أهل كل من هذه الأماكن التي زرناها من مظاهر الولاء والمحبة وآيات الابتهاج والإجلال ووسائل الحفاوة البالغة مما أوجب شكرنا الجزيل لهم جميعاً ونحن اليوم نغادرهم ولدينا الذكرى الطيبة والمآثر الحسنة والعزيمة الصادقة على القيام بالأسباب المؤدية إلى تيسير استثمار هذه المناطق الزراعية واستخراج خيراتها في رفع مستوى السكان جميعاً لتكثر فيها الخيرات وتحل المكانة اللائقة بها سائلين المولى أن يمكننا بعونه وتوفيقه إنه سميع مجيب » .

وبعد فإن هذا الخطاب الملكي السامي الكريم غني عن كل تعليق لما فيه من التعبير الصادق الواضح عن عواطف الشكر والحب للشعب وبشائر الخير والنهوض والعمل المثمر المفيد لخير هذه الأمة وهذه المملكة التي تتشرف بالقيادة الحكيمة من خير قائـد والرعاية الدائمة من أخلص راع والعطف الأبوي من أحسن الآباء وليس لنا إلا أن نتضرع إلى الله في علاه أن يديم الخير في ملك الخير وأن يزيد البر في عهد ملك البر وأن يحقق أماني الملك في شعبه وأماني الشعب في ملكه انه خير من يدعى فيجيب .

* * *

قصيـــدة المـؤلف

في حفل افتتاح العين السعودية في جازان

(عين) من الخلد تسقي جوف بطحاء — جرت إلى (ربـوة) في السفـح فيحاء
وسلسبيل من (النهـر) المقـدس أم — نبـع (الفـراديس) من فينـاء غينـاء
أم أنـهـا قضب (البلور) قد سحبت — (سبائـك) من شعـاع النـور والمـاء
إذا تكسـرت الأضـواء وائـتلقـت — في ذوبـه شع ومض (البـرق) للرائي

* * *

وهـاهنـا (النيل) أم (جـازان) ناهضة — في موكب المجد ، من بعث وإحياء
أم نفحـة من (سعـود) قد تخللهـا — سر (البقـاء) ، فأضفت كل نعمـاء

* * *

جازت (بجـازان) أحقـاب ينهنهـا — حر (الـظمـاء) على لفـح ورمضـاء
وعتـه (ذاكـرة) الأدهـار محتـدمـاً — من وهـج هاجـرة أو قيظ إصـلاء
ثغـر تلظى على (الأجيال) ما نجلت — رمـالـه أو يبضُ (الصخـر) بالمـاء
يشكـو (الأوام) وسيل المـاء مندفق — عن جانـبيـه ولـم يحظ بإرواء
كأنـه (الكـاعب) الحسنـاء قد وهبت — شطر الجمـال، على ضنـك وضـراء
إذا مرتـه (الغـوادي) الغـر وارتجـزت — رواعـد (الـمـزن) قاسـى أي أرزاء
حالت هواطـل صوب الغيث عن صدر — إلـى (الـمـوارد) إلا رنـق أنـواء

* * *

هنا على الشاطىء المسحور قد مخرت — بيض (القلوع) وجـابت كل أنحـاء
وراضت (البحـر) ، والـدنيا ملفعـة — ـ في أول الـدهـر ـ لم تفصح بأنباء
يزهى بهـا (الأحمـر) الزّخـار ناشطة — (ثـغـوره) بين إقـلاع وإرسـاء
محمـلات نفيس (الـدرّ) جانحـة — بين (القـطيف) إلى (الحورا) وبتراء
تغشى (شواطىء) سحر الشرق جللها — ضفـافهـا ، فيض أحـلام وأضـواء
مذهبـات شطوط الـرمـل مشرقـة — فاض الـجـمـال عليهـا ذوب لألاء

* * *

وحَيُّهَا هبة (ملكية) عظمت ... ومنحة من (أيادي) الملك بيضاء
سيقت إليكم بلا من ولا ثمن ... عبر (الفيافي) وجازت كل (كأداء)

* * *

استنبطت من طباق الأرض فاندفعت ... كأنها (السهم) في نزع وغلواء
ثم استريضت وقيدت من منابعها ... إلى (القنيِّ) بلا مهل وإبطاء
محجوبة لم تلح للعين صفحتها ... صحية (الشِّرْب) ما ليتت (بأقذاء)
تنهل من صبب تفتَرُّ عن حبب ... كومضة من لَمى لعساء لمياء
ثجاجة بنمير (الماء) سائغة ... تشفى الغليل وتطفي كل برحاء
زفت إليكم ، تهادي في مواكبها ... مجلوة الحسن في حفل وأضواء
فاضت (سعودية) في الشعب فازدهرت ... بها (الربوع) وماست كل خضراء
ردوا (الحياض) وعبوها مروقة ... واستلهموا (الشكر) في جهر وإخفاء

* * *

ردوا (المناهل) في أحيائكم نهلا ... كأنها (المزن) من (شُؤبوب) وطفاء
وليحفظ الله رمز (التاج) في ملك ... أعطى الجليلين من مجد وإثراء

* * *

يا صاحب (التاج) وهاجاً ومؤتلقاً ... على جبين، كنور الشمس، وضاء
ومن إليه قلوب (الشعب) خافقة ... حباً تسايره في كل أنحاء
إني لأسمع شدو (العين) صادحة ... بما يترجمه شعري وإنشائي
في نغمة كنشيد (الحور) ساحرة ... قدسية اللحن في رجع وأصداء
فيها (الجمال) وفيها (الفن) منطلق ... وروعة ملكت حسي وإصغائي
تثني عليك ثناء (الخالدين) بما ... أوليته (الشعب)، في نعت وإطراء
يكاد يعزف من (أوتارها) نغم ... في كل (ناطقة) عبت و(عجماء)

* * *

وحي (عهداً) كشعشاع السنا نعمت ... به (الجزيرة) في (أمن) و (إنشاء)
تثاب فيه جهود (العاملين) على ... نهج (النهوض) ويعلى كل بناء

كانت (أماني) أبداها (السعود) لنا وفكرة نبتت في صدر فدّاء
مغامر من دعاة المجد تحفزه نفس عصامية في عزم مضاء

* * *

في مثلها ليلة ذكرى يقدسها (شعب) ويعتز في فخر وإعلاء
أشرقت في أفقها (بدراً) مطالعه سعد السعود على شط وبطحاء
والأرض تهتز تيهاً من جوانبها والشعب يختال في زهو ونعماء
ضامئ الشعور غريق الوجد في نغم يحدو مواكبه في (لج) أضواء
حتى محا الليل ضوء الصبح فائتلقت (شمسان) من غرة غرا ولألاء
فكبر الشعب إجلالا وهاتفه كالرعد هز الفضا في كل أرجاء
مباهج عمت الشعب الوفي فلم يذخر مظاهر إجلال وإحفاء
وها هو اليوم إعظاماً يجددها (ذكرى) تخلد في شعر وأنباء
دام المليك ودام الآل تلحظهم عناية الله في صبح وإمساء

* * *

قصيــدة الأستــاذ الشــاعر محمــد السنــوسي

في الترحيب بمقـدم العــاهل المفـدي

لاح كالـفـجـر نوره وانـبـلاجـه (مـلك) عرشـه القـلوب وتـاجـه
تتنـاجى به الضمـائر والأرواح حبـاً ملء الـضـلوع اخـتـلاجـه
حمـل الشعب قبـل أن يحمـل التـ ـاج وعـنَّـاه بؤسـه واحـتـيـاجـه
ومشى كالمـلاك في قلبـه العـطف وفـي كفـه الـرحـيم علاجـه
تلك آثـاره تلوح وهـذا فضله يخـرس الجحـود حجـاجـه
طاف بي طائـف يثير بقـلبـي ذكـريات يزكي رواهـا اعتـلاجـه
والجنوب الخصيب يستقبـل (البـدر سعـوداً) بطاحـه وفـجـاجـه
فتـمـثـلتـه وقـد وقف الـشعـ ـب حواليـه والـقـلوب سياجـه
باسـمـاً يقـطع (الشـريط) ويفتـر لشعـب هز الـوجـود ابتـهـاجـه
باسـطاً كفـه الـكـريم بفـيض حيويٍّ عم البـلاد انـفـراجـه
هو سر الـحـيـاة للأرض والـنـاس ويـنـبـوعـهـا الـشهـي مجـاجـه
وطـنـي (وردة) يرف بهـا قلبـي ولـحـن يشـوقـنـي تهـزاجـه
الـهـواء الـذي يرطب أنـفـاسي نسـيـم تبـثـه أمـواجـه
والـضـيـاء الـذي بعـيـنـي نـور من سنـاه تشـعـه أبـراجـه
والـشـبـاب الـذي ألـف به جسمي رداء من نسـجـه ديبـاجـه
والـنـمـير الـذي أعـب مـدام رق من مائـه الـنـقـي مزاجـه
كيـف لا أحتـفـي بفـرحتـه الكـبـرى طـروبـاً ومنـطقي صنـاجـه
وخـريـر الـمـيـاه يغـمـر إحسـاسي شعـوراً معـبـراً اثـجـاجـه
في أنـابـيـبـه امتـداد إلى كل فؤاد تأجـجـت أمـشـاجـه
كامتـداد العـروق في الجسم تنصب إلـى قلبـه دمـاً أوداجـه
قـف بـه صـادقـاً وشـد بجـهـود لم يرعـهـا من الحسـود لجـاجـه
لم يكن (بـامهير) يحفـل بالمـال ـ ولا غـره بريقـاً رواجـه
لم يخـدر أعصـابـه منطق الهـزء ولا هـزه الـهـوى وعـجـاجـه

عصفت حوله الرياح ولكن | كان أقوى من الرياح سراجه
حمل الفكرة العظيمة واستهدى | سنا الحق لامعاً وهاجه
ومضى في طريقه ثابت العزم | رحيب الخطى وهذا نتاجه
رجل كالرجال رام التسامي | فزكا غرسه وتم نضاجه
عمل حاطه ابن جبرين بالتشجيع | والعطف أحوذي نساجه
ورعاه الوزير قطب المشاريع | ومفتاحها القوي رتاجه
وهو جندي أمة ومليك | عرشه في القلوب حباً وتاجه
وطريق الحياة رحب لمن | يمشي سوياً يقوده منهاجه

* * *



حضرة صاحب المعالي الأمير تركي بن أحمد السديري
رحمه الله

أمير جازان سليمان بن جبرين :

وفي شهر المحرم عام ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م سار على رأس حملة تأديبية للريث وقد وصل لمساندته (الأمير) عبد الله الفيصل الفرحان كما نزل من السراة أمير عسير تركي بن ماضي [١] ، وفي آخر شهر جمادى الآخرة تم إدخال (صنابير) الماء إلى (حارات) مدينة جازان وفي ١٥/٢/٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م احتفلت مدينة جازان بإدخال ماء العين السعودية إلى داخل المدينة وألقى المؤلف قصيدة وتلاه زميله محمد السنوسي بقصيدة تجدها في هذا الفصل .

الأمير تركي السديري :

معالي الأمير (تركي بن أحمد السديري) ابن خال جلالة المغفور له الملك (عبد العزيز) وخال عدد من أصحاب السمو الملكي والأمير تركي أكبر أبناء (أحمد السديري) سناً وأعظمهم مكانة وأسطعهم سيادة ونبلا خلال كريمة وأخلاق سامية يمتزج في طبعها العربي الأصيل روعة المجد ورقة التواضع وسعة الأفق وعمق السياسة وفيض البذل والسماحة ولا أتزلف بما أسطره هنا إليه بصفته أمير منطقتي فهو من أزهد الرجال في الإطراء والثناء ومع ذلك فالتنويه بمزايا الرجال العاملين من أفضل الحوافز الإنسانية للخير وأكرم الدوافع النفسية للعمل وما أحوج كل نفس بشرية ـ من الملك العظيم إلى العامل البسيط ـ إلى كلمة ثناء صادق من قلب مخلص في تقدير الجهود .

ويتسم عهده بجهود إصلاحية ومشاريع عمرانية نافعة نخص منها :

١ ـ افتتاح دار الأيتام بجازان لكفالة ورعاية وتعليم مئة يتيم من أيتام المنطقة على حساب الحكومة .

٢ ـ تخطيط مدينة (جازان) الجديدة نظراً لاتساع العمران .

٣ ـ إبراز مشروع سد وادي (جازان) من مراحل الدراسة إلى مرحلة التنفيذ .

---

(١) وأحسن ما نورده هنا عن تلك الحملة التأديبية خطاب أمير منطقة جازان الشيخ سليمان بن جبرين للمؤلف بتفصيل ما حدث وها هو نص الخطاب :

المملكة العربية السعودية

إمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه الله المحترم

حضرات الأخ الأديب الفاضل الشيخ الأستاذ محمد أحمد العقيلي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صحتنا وأعمالنا مستمرة ولله الحمد ونحن نسأل

عنكم [illegible] ونتمنى أن نراكم بأقرب وقت [illegible] وما برحنا منذ فارقنا

جيزان ننتظر ورود رسائلكم تشرح لنا أحوالكم وما حولكم وكنا نعذركم

بتراكم الأعمال وحصول بعض التعديلات وبالأخص في الجمرك وبالاجتهاد على ما

في المطلوب وهو شرف لهم . لا شك أنكم على علم من تطورات الموقف بجبهة الريث

نتيجة خروجنا بأمر الأمير للتحقيق في قضية اغتيال شخص يمني بمركز الريث

[illegible] وتكاسل من بعض قبائل الريث شذوذا

وتمردا وامتناعا عن الحضور وخروجا عن الطاعة فبذلنا شتى الوسائل

لتهدئتهم واستعملنا معهم الحلم والأناة والصبر والحكمة وإرسال البعثة تلو

البعثة إليهم من الرجال العقلاء المتعقلين لإقناعهم حتى أن آخر البعثات الأخيرة

كانت عادت [illegible] قدمت لنا أوراقها المصدقة من القاضي بإحضارهم إلى

[illegible] وكنا نؤكد بكتابات وأوراق أمان لهم

على النفس والمال والعرض والسلاح ولكن لا حياة لمن تنادي ومضت الأيام

والأسابيع ونحن بهذا الحال ومع هذا فلم نهمل جانب الأخذ بالحزم والحيطة

والاستعداد ومع هذا أيضا فيا ليتها الفئة العاصية وقفت موقفها السلبي

الامتناع عن الحضور ولكنها فوق ذلك أخذ أشرارها يترصدون ويخيفون

الطرق ويقتلون الأبرياء ويطلقون النار على مخيمنا بمركز [illegible] ويعملون كل

ما يستطيعون من الأعمال العدوانية وقد ضبطنا أعصابنا حيال كل هذه

الاستفزازات والتحرشات واستمرينا على ما نحن فيه من دعوتهم للرجوع إلى حظيرة

[illegible] رغبة في هدايتهم وحقنا للدماء وإبراء للذمة وإعذارا إليهم حتى تلاشى

كل أمل ولم يبق إلا [illegible] الحملة التأديبية بعد الحشد من تهامة ثم من عسير [illegible]

العدد وقد تركت [illegible] يوم [illegible] ٥/٧ بعد أن [illegible]

وتقدمت الكتائب [illegible] إلى المقدمة [illegible]

[illegible] ولم يصادف [illegible] للعدو [illegible]

[illegible] حدث اشتباك مع الفئة العاصية في الأودية الجنوبية من جبل [illegible]

وقد تأخرنا يحاولون الاحتفاظ بها واتخذوها خطاً امامياً لهم فبادرت بمهاجمتهم
وهزمته بالتنكيل وكان السلاح الوحيد الذي استخدموه هو النار امام الجيش الزاحف
والاعتصام بالقمم وقد هجمنا من الخط الرئيسي بزحفه لتعزيز القوات التي تطارد
العصاة افراداً [illegible] وكنا جبهة الاثنين معهم في مكان لا يبعد عن [illegible] الا
من كيلو وقد واصل الجيش تقدمه طيلة يوم الاثنين [illegible] المدفعية [illegible] وتم الاستيلاء
في مساء الاحد والاثنين [illegible] على [illegible] اكثر من كيلو متر [illegible]
في مهاد الاودية السحيقة الى رؤوس الاطوار الى [illegible] دون [illegible]
شمس يوم الاثنين الا وقد تم تطهير جميع الشعاب والاودية المتصلة بالقمم
والجبال التي [illegible] وتم حصر العصاة تماماً في رأس الطور العالي بعد ان تكبدوا افدح
الخسائر وبتوفيق الله تمت كل هذه العمليات ولم يستشهد من الجيش سوى ثلاثة
اشخاص من فيلقنا . وفي يوم الثلاثاء [illegible] التحقت بنا شركة [illegible] .
واستعملوا بالهجوم وكان هجومهم يوم الثلاثاء بحماس وشجاعة ولكن لم يستفيدوا
من الامر الذي اضطر الجيش الى التراجع دون احتلال القمة [illegible] بعض الخسائر
وبالاخص شركة قحطان [illegible] اثره [illegible] استئناف الزحف [illegible] والاستيلاء
ثم صدر الامر الملكي [illegible] الجيش [illegible]
وقد وصل [illegible] بالطائرة [illegible] بالسيارات الينا والبعض لا يزال في الطريق
وفي [illegible] هذا الاسبوع اصدر جلالة مولانا الملك المعظم عفوه العام في [illegible]
اذا هم سلموا السلاح وسلموا المجرمين ووصل الينا الشيخ عبد العزيز [illegible] والزعماء [illegible]
وبدأت المباحثات مع العصاة [illegible] بواسطة [illegible] في [illegible] وقد
نزل نحو عشرين رجلاً من العصاة الى منتصف الطريق في المنطقة التي بيننا وبين رأس القمة

وهي لا تزيد عن كيلومتر [illegible] وطلب العصاة [illegible] الذين [illegible]
[illegible] طلبوا [illegible] الاجتماع بالعصاة [illegible] وهم [illegible]
[illegible] هذا السبت [illegible] في مكانهم الامس ونحن اذ ننتظر نتائج مباحثاتهم [illegible]
[illegible] كفة التفاؤل [illegible] وعلى الله تمام المقاصد وبه التوفيق
[illegible] هذا هو ملخص تطورات الموقف حسبما [illegible] لحضراتكم [illegible]
حيث لم [illegible] ولم يسمح الوقت [illegible] الشرح والتوسع [illegible]
[illegible] ولعلنا [illegible] في [illegible] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible] ١٣٦٥/٧/[illegible]

[illegible]

٤ ـ افتتاح مشروع إنارة مدينة (جازان) بالكهرباء .

ولا يزال يوالي جهوده المبرورة ومساعيه واقتراحاته لدى المراجع في المشاريع التقدمية لهذه المنطقة .



معالي أمير منطقة جازان محمد بن تركي بن أحمد السديري

تحقيــق صحفــي

قام به منـدوب جريدة الندوة مع مدير عام وزارة الزراعة نشر بالعدد ٢١٤ في ١١/٤/١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م عن « جازان » آثرنا إيراد نصه في هذا التاريخ :

« سئل معالي الأمير خالد السديري وزير الزراعة السؤال التالي :

ما هو المشروع الزراعي الهام الذي تتحمس له شخصياً كمواطن وتتمنى سرعة تحقيقه ؟

فأجاب : مشروع وادي جــازان .

وكـانت هذه الإجـابـة بمثابة الأنوار الكاشفة التي سُلطت على منطقة زراعية هامـة . فرحنا نجري تحقيقاً صحفياً واسع النطاق مع سعادة المهندس الزراعي (السيد عبد الله الدباغ) مدير عام وزارة الزراعة عن جيزان . والأمال الكبيرة الذي يتمنى وزير الزراعة تحقيق مشاريعها ويشاركه التمنيات الطيبة كل الذين يحبون الخير لبلادهم .

أهميـة جــيزان :

س : هل من الممكن أن تنشروا للقراء أهمية منطقة جازان الزراعية ؟

ج : أجمعت آراء الفنيين السعـوديين والخبـراء الأجـانب الـذين استقـدمـوا إلى هذه البلاد على أن المنطقة الجنوبية من المملكة سواء المعروفة باسم عسير وتهـامـة عسير تتـوفـر بهـا جميع الإمكـانيات الـزراعية الـلازمـة التي يمكن أن تصبـح ذات أثـر واضـح ملمـوس في سد حاجة البلاد من الحاصلات الزراعية والمـواد الغذائية التي تستورد منها كميات هائلة تقدر سنوياً بما لا يقل عن ثلث قيمـة كافـة الـواردات عمـومـاً وهي في معظمها من الحاصلات التي تنتج فعلا في هذه البـلاد أو التي يمكن إنتـاجهـا بمجهود بسيط في حين أن استيراد تلك المـواد يستنفـد قدراً كبيراً من العملة الصعبـة يمكن أن يوجـه لما هو أمس كما يرهق المستهلك نتيجـة للأسعـار المـرتفعة التي يعمل على تحصيلها المستورد

والوسيط ويفوت الفرصة على المنتج المحلي ففي هاتين المنطقتين جميع المقومات اللازمة لعناصر التنمية والتحسين وزيادة الإنتاج الزراعي فالمياه العذبة الخالصة من الأملاح الضارة متوفرة إلا أنها تذهب هباء إلى البحر الأحمر فضلا عما تحمله من مواد الخصب مثل « السلت » هذا إذا لم ترد مياه السيول في صورة جارفة فتدمر الوديان في بعض القرى وتحمل معها أرضاً زراعية خصبة لا يمكن أن تعوض وتقذف بها إلى البحر مع ما تقضي عليه من الحيوان والأنفس كما حدث في عام ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م إذ جرف أحد الوديان ما يقرب من نصف قرية وهناك الأرض الزراعية الخصبة التي وصفت بأنها من أجود الأراضي الزراعية في هذه البلاد وفيما يجاورها من بلاد وهي بمساحات شاسعة جداً وتتميز في نفس الوقت بوجود بعضها في صورة مسطح وبعضها مسطح ساحلي قريب من الموانيء البحرية وبعضها على ارتفاعات متباينة من سطح البحر مما يغير من درجة الحرارة كما هو معروف فيلطفها ويجعل من هذا التباين وسيلة لتنويع الحاصلات ففي الوقت الذي تجد في المنطقة الساحلية نباتات يلائمها الجو الحار (مثل السمسم والذرة الرفيعة) نجد على مسافات قريبة منها نباتات تتطلب البرودة النسبية منزرعة في مسطحات الجبال والمرتفعات مثل (القمح وأشجار الفاكهة والقشطة والأعناب والأشجار المثمرة) وهناك مجموعة حيوانية ضخمة من أبقار وأغنام وماعز ودواجن استحوذت إعجاب الخبراء وهناك أيد عاملة متوفرة رخيصة الأجر تشارك فيها المرأة زوجها والابنة والدها وخلاصة القول أن المنطقة الجنوبية إذا لم نصفها بأنها إقليم زراعي يجب أن يستغل فيغل ويدر ويسد نقصاً نستكمله من خارج البلاد .

منطقة تهامة :

ففي منطقة تهامة الجنوبية الممتدة من على ساحل البحر الأحمر شريحة من الأراضي المنبسطة لا تقل مساحتها عن نصف مليون فدان ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ «دونم» وهناك معدل من تساقط الأمطار وإن كان يبدو لغير المتعمقين غير كاف لقيام زراعة مطرية في حد ذاته إلا أن تجمعاً منه في صورة وديان تحمل كميات ضخمة من السيول سنوياً تكفي لقيام زراعة مستقرة مستديمة متنوعة الحاصلات

متباينة المواسم فإذا أضفنا إلى ما تقدم ثروة مائية جوفية يمكن أن تستغل أمكن القول بأنه من الميسور جداً التوسع في الزراعات المستديمة التي تتطلب المياه على مدار السنة مثل أشجار الفاكهة .

٢٠٠ ألف فـــدان :

وفي المنطقة قرر الخبراء وجود ٢٠٠,٠٠٠ فدان في الجزء الممتد في الحدود الجنوبية لامتداد ١٠٠ ك م شمالا فقط مما يعطي فكرة عن ضخامة المساحات في عموم المنطقة وفي هذه المنطقة من الوديان وادي بيش ووادي عتود ووادي ضمد ووادي صبيا ووادي جازان وغيره من الوديان والشعبان العديدة ذات الأرض الخصبة والمياه الوفيرة .

س : ما هي مشاريع وزارة الزراعة بالنسبة لهذه الأودية :

ج : من بين هذه الوديان العديدة تخيرت الوزارة (وادي جازان) لتنفيذ مشروع خاص بالتحكم في مياهه واستغلالها في ري أراضيه الخصبة ليس باعتباره أضخم الوديان فهناك ما هو أضخم منه وإنما اختارته لاعتبارات فنية مثل قربه من العمران واعتدال كميات المياه به فرأت أن تتخذ مشروعاً نموذجياً بمثابة رائد لما يتلوه من المشاريع الأخرى العديدة التي يتشكل في مجموعها برنامجاً ضخماً طويل الأمد للتنمية الزراعية في منطقة تهامة الجنوبية .

وادي جـــازان :

س ٣ : هل لدى الوزارة دراسة وافية لمشروع وادي جازان ؟

ج : نعم إن مشروع وادي جازان يعتبر من المشاريع المدروسة دراسة كاملة مستوفاة من حيث فنياته وتكاليفه ومراحله العملية والزمنية والنتائج التي تستوجب عنه وهو في جملته يهدف إلى التحكم في مياه السيول التي تفيض سنوياً في الوادي لري أراضيه وذلك بإقامة سدود ومحولات وقنوات للري وتقوية الجسور في المواضع الضعيفة على جانبي الوادي كما يهدف المشروع إلى الاستفادة من المياه الجوفية بالمنطقة في ري الأراضي به لتنظيم الزراعة واستقرارها وحمايتها من الفيضانات العالية .

ثـــلاث مراحـــل :

س ٤ : كم مرحلة تستغرق تنفيذ هذا المشروع ؟

ج : هذا المشروع مقسم على ثلاث مراحل الأولى يمكن البدء بها فوراً وهي كفيلة بوقـاية خمسـة آلاف فدان من أراضي هذا الـوادي من أخطار الفيضانات المدمرة عن طريق ضبط مياه السيول فيه ضبطاً تلقائياً (أتوماتيكياً) كما تمكن من تحسين الأساليب المتبعة فى الزراعة والري في مساحة ٢٠,٠٠٠ فدان لم تكن لتروي أو تنزرع في غير السنين الطيبة .

كانت تكـاليف هذا المشـروع طبقـاً للأسعـار السائدة عند إتمام دراسة عام ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م (زهاء ٨ مليون ريال) إلا أنه أصبحت حوالي (١٦ مليون ريال) طبقاً للأسعار والأجور السائدة في الوقت الحاضر مما تعطي فكرة صادقة عن الأضرار التي ترتبت عن إرجاء تنفيذ هذا المشروع هذا من الناحية النقدية الصرفية أما إذا أدخلنا في اعتبارنا قيمة الأضرار المادية التي تحدث من حين لآخر نتيجة لانجراف التربة واكتساح أراضي زراعية ونفوق ماشية وفوات مواسم زراعية بكاملها وتدمير قرى وضياع الفرصة في زيادة الإنتاج التي قدرها الخبراء بستة أمثال الإنتاج الحالي كحد أدنى إذا لم تزد عن ذلك لوضح لنا أن الخسارة الواقعية تصل إلى حد مروع سيستحث كل همة وحماس للبدء بهذا المشروع الحيوي الذي فضلا عن فوائـده المادية فهو رائد نموذجي عملي يستفاد من نتائجه وخبراته فيما يتلوه من المشاريع التي لها نفس الطبيعة ونفس الفوائد في سبيل إعمار واستثمار المنطقة الجنـوبية على أسس علمية حديثـة قد رسمت الـوزارة خطتهـا الفنية بتنفيذ هذا المشروع على سنتين أو ثلاثة سنوات إذا قضت الظروف المالية أو الزمنية بضرورة ذلك .

ففي السنة الأولى تتلخص الأعمال في الآتي :

١ ـ إنشاء طريق إلى موقع السد بطول ٥٠ ك . م تقريباً .

٢ ـ إنشاء مستعمرة لسكنى الفنيين والموظفين وللمكاتب والمخازن والورش ومحطات كهربائية .

٣ ـ الإشراف الفني والإداري على تنفيذ المشروع .

٤ ـ القيام بجسات اختبارية دقيقة لطبقات التربة في طبقات معينة .

٥ ـ تزويد المشروع بما يلزم من وسائل النقل والخزانات المتنقلة للوقود والأدوات الفنية والتأسيسات وغير ذلك وتقدر جملة تكاليف ما تقدم بحوالي ٣,٨ مليون ريالا أما الأعمال في السنة الثانية فتلخص في الآتي :

١ ـ الاستمرار في الإشراف الفني .

٢ ـ الاستمرار في المستلزمات الموسمية .

٣ ـ إنشاء السد مع تكاليفه وهذا وحده يتكلف ٩ ملايين ريال .

٤ ـ إنشاء عقمين خلف السد تكاليفهما مليون ريال .

وعموماً تقدر تكاليف الأعمال في هذه السنة ـ بنحو ١٢ مليون ريال أي أن جملة تكاليف المشروع تقدر بحوالي ١٥,٨ ملايين ريال والمشروع كما يبدو حيوياً أكيد النتائج من شأنه زيادة الإنتاج المحلي زيادة كبيرة تؤدي إلى رخاء أهل المنطقة وتفيض كثيراً عن حاجتها الاستهلاكية بما يقتضي ضرورة التفكير الجدي في كيفية تصريف فائض المحاصيل والإنتاج الحيواني ومن حسن الحظ أن الحكومة الموقرة جادة ساهرة لهذا الجانب العمراني في البلاد ألا وهو طرق المواصلات والمعروف أنها شرعت فعلا في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بربط منطقة جازان بمنطقة جدة بطريق بري يمكن التكهن بما سيكون عليه في ضوء تلك الطرق الممتازة التي نراها وندرسها حالياً كطريق الرياض ـ مكة وطريق الرياض ـ الظهران وطريق جدة ـ المدينة وطريق المدينة وكذلك فهي معنية بوسائل النقل البحري فإن النية متجهة إلى تحسين ميناء جازان فإذا ربطنا بين المدة التي يستغرقها هذا المشروع وما يترتب عليه من تطوير الزراعة والثروة

الحيوانية في منطقة جازان وبين ما يستغرقه تعبيد الطرق وتحسين الميناء وجدنا أن هناك توافق بين زمني الجهات المختصة كل فيما يخصه ففيما تقدم نرى يقظة من الجهة المختصة بالتنمية الزراعية وأخرى من الجهة المختصة بالمواصلات والموانىء مما يبشر بوجود التناسق اللازم بين أجهزة الدولة في اتجاهاتها نحو تنمية مرافقها الحيوية ولا شك في أن الزراعة بصفة خاصة هي المرفق الدائم في هذه البلاد والذي يتصل اتصالا مباشراً وثيقاً بدخل الفرد وبالتالي بإيرادات الدولة ونسأل الله التوفيق وإلى اللقاء .

الداعية المرشد عبد الله القرعاوي :

أشرنا قبل في حوادث عام ٥٣ هـ/ ١٩٣٤م إلى وصول الداعية (عبد الله القرعاوي) إلى تهامة (منطقة جازان) وقيامه متبرعاً بالإرشاد ونشر العلم واستقراره في بلدة صامطة وفتحه مدرسة سلفية بدأها على نفقته وكانت له وسائل خاصة يتألف بها قلوب من يتوسم فيه الرغبة للهداية والتعليم فاجتمع له عدد من الطلبة فقام بتلقينهم مبادىء الفقه والقراءة ومبادىء الحساب والعربية والفرائض والتوحيد يتدرج بهم في تشويق إلى التوسع في تلك المعارف فجعل الله على يده النجاح وكان من أذكياء طلابه فتى في مستهل العمر لماح الذكاء قوي الحافظة أعجب الداعية بسرعة تحصيله وقوة حافظته فأطلق عليه لقب الحافظ فشهر بذلك الطالب في علوم (الفقه والفرائض والتوحيد والعربية والحديث) حتى أصبح علماً يشار إليه بالبنان فاعتمد عليه الداعية في التدريس وتوسعت تلك المدرسة التي ابتدأت بنحو العشرة إلى أن صارت تضم ما يزيد على المئة وتخرج فيها عدد من القضاة الشرعيين والمرشدين فأصبحت صامطة هجرة من هجر العلم ومنهلا من مناهل الفقه ومشرعاً من مشارع التوحيد فأقبل عليها الطلاب وعندما رأت الحكومة نجاح مشروعه شجعت مسعاه وباركت مجهوداته وتولت نفقات الدراسة وقررت الرواتب للمدرسين .

أما الحافظ فقد أنيط به إدارة المعهد العلمي الذي افتتحته الحكومة بصامطة ومع ذلك فقد ألف من الكتب والرسائل ما يزيد على الخمسة عشر كتاباً وقد أدركته الوفاة وهو في مقتبل العمر في عام ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م تغمده الله برحمته وفيض رضوانه .

وانتشـرت مدارس القرعاوي في البلدان والقرى والحلل فأينما يممت وسرت وجدت مدرسة للقرعاوي تحارب الأمية وتيسر الهداية وكلها على نفقات الحكومة وقد توقفت تلك المدارس ولم يبق إلا معهد صامطة العلمي فهو منار إشعاع في حدودنا الجنوبية .

وفي اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م :

توفي أمير المنطقة الشيخ تركي السديري فخلفه في مركز الإمارة وكيل الإمارة الشيخ محمد بن تركي السديري الشاب الجامعي المثقف .

في سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م زار المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز لتفقد أحوالها فاحتفلت بمقدمه البلاد احتفالاً رائعاً .

وفي سنـة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م بدأت النهضة العمرانية تعم المنطقة وبدأت وزارة المواصلات في تخطيط طريق جيزان ـ صبيا ـ الدرب ـ أبها .

وفي سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م بدأ تخطيط طرق المواصلات بين مدن وقرى المنـطقة وفيها زار المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وتفقد مراكز الحرس الوطني في ثكناتهم في السهول والجبال .

وفيها زار المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز .

وفي سنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م بُدىء في حفر الآبار الارتوازية في عدة جهات من المنطقة وأنشئت البساتين للخضروات وأصبح في هذا التاريخ يوجد ما يزيد على ثلاثة آلاف بئر ارتوازي .

وفي سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م بدأت الحكومة في حفر آبار ارتوازية في القرى والبلدان لمياه الشرب .

وفيها بدأ تنفيذ سفلتة طريق جازان ـ أبها كما بدأ بتنفيذ سفلتة طرق المواصلات الداخلية .

والآن أصبحت جل البلدان والقـرى تربطها خطوط مواصلات مسفلتة متصلة بمدينة جازان .

فهـرس هـذا الجـزء

صفحـة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

استبيان أسماء الرجال

استبيان أسماء الشعوب والقبائل والطوائف والامارات

استبيان أسماء البلدان والدول والإمارات

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

أسماء الكتب الواردة فى الكتاب

اسم الكتاب	المؤلف	الصفحات الوارد بها ذكره
العقيق اليمانى	الواسطى	٥٥، ٢٦٣
		٢٧٢، ٢٧٨
		٢٩٣، ٣٠٠
		٣٠٨، ٣٤٩
		٣٥٠، ٣٨١
عيون الأخبار	ابن قتيبة	١٧٠
فى وادى عبقر وقصص أخرى	خالد محمد خليفة	٤٢
القاموس المحيط	الفيروز أبادي	٨٤ ، ٢٤٥
قلائد الجمن	حسان أحمد عثمان	١٤١، ١٧٤
		٣٣٢
قلب الجزيرة	فؤاد حمزة	٥٤٣
اللآلىء المضيئة	أحمد بن محمد الشرفى	٢٠٢
المجمـوع	ينسب للإمام زيد	٣٢١
محاضرات فى الجامعات والمؤتمرات	العقيلي	٤٧٨
مختصر التاريخ لابن خلكان	الملك الأفضل	٢٢٤
مختصر كنز الأخبار	الملك الأفضل	٢٢٤
مطالع البدور	ابن أبى الرجال	٣٣٣
معجم البلدان	ياقوت الحموى	٥٢٧
المعجم الجغرافى	العقيلي	٣٦، ٢٦٨
		٤٩٢
المفيـد	جياش ابن نجاح	١٥٨.
المفيد فى أخبار زبيد	عمارة الحكمى	٨٤، ١١١
ملوك العرب	امين الريحانى	٣٤٨
من اعلام الشعر اليمامى	عمران بن محمد بن عمران	٤٢
المنهاج الجلى فى فقه زيد بن على	المهدى محمد بن المطهر بن يحيى	٣٣٥
نزهة الظريف	البهكلى	٤١٤
نزهة العيون فى معرفة الطوائف والقرون	الملك الافضل	٢٢٤
نفح العود	عبد الرحمن بن أحمد البهكلى	٣٨٠

مصادر الدراسات والحواشي والتعليقات

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا المخلاف السليماني وفي الحواشي

الجـــزء الأول

الصفحة	الحاشية أو المتن	المصـــدر
٣٩	المتن	فى مقدمة الطبعة الأولى الإشارة إلى المخطوطات التى فى مكتبتى .
٤٧	حاشية	عن المستشرقين الذين اكتشفوا آثار جنوب الجزيرة .
٤٨	المتن	عن المستشرقين الذين اكتشفوا آثار جنوب الجزيرة وأسمائهم .
٤٩	المتن	عن المستشرقين من الفرنسيين .
٥٠	المتن	عن بعض الكتاب الكلاسيكيين
٥٠	المتن	القـرآن الكـريـم
٥٠	المتن	تقدير الباحثين لتاريخ قيام الدولة السبئية
٥٤	المتن	بغية المستفيد، الديبع . والعقود اللؤلؤية، الخزرجي .
٥٥	المتن	بغية المستفيد ، الديبع
٥٦	المتن	بغية المستفيد، الديبع . والعقود اللؤلؤية، الخزرجي .
٦٢	المتن	صفة جزيرة العرب ، الهمداني .
٦٣	المتن	الكتب الكلاسيكية
٦٨	المتن	صفة جزيرة العرب، الهمداني .
٦٨	المتن	ابن بطوطة
٦٨	المتن	تاريخ عمارة، عمارة الحكمي .
٦٩	حاشية	لتحقيق بعض قرى ذكرها الهمداني
٨٤	المتن	تاريخ عمارة
٨٤	المتن	معجم البلدان، ياقوت الحموى
٨٤	المتن	تاج العروس ، المرتضى الزبيدي
٨٤	المتن	تاريخ عمارة
٩٦	المتن	بغية المستفيد ، الديبع
٩٦	المتن	بهجة الزمن، ابن عبد المجيد
٩٦	الحاشية	تاريخ عمارة ص ٣٩ وما بعدها

الصفحة	الحاشية أو المتن	المصــدر
٩٧	المتن	تاريخ عمارة
٩٩	المتن	تاريخ عمارة
٩٩	المتن	بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد، الديبع
١٠٣	الحاشية	تاريخ عمارة
١٠٥	الحاشية	عن رأى جياش
١٠٦	الحاشية	حول الملكة أروى ـ ديوان الحجوريين لابنى أبي الحفاظ
١١١	المتن	تاريخ عمارة
١١١	المتن	بغية المستفيد، الديبع
١١٩	المتن	تاريخ عمارة
١٢١	المتن	تاريخ عمارة
١٢٢	المتن	الحور العين، نشوان الحميري
١٢٨	الحاشية	الإكليل ج ٢ ص ١١ الهمداني
١٣٠	الحاشية	الإكليل، الهمداني
١٣٣	المتن	الإكليل ، الهمداني
١٣٧	الحاشية	الإكليل ج ١٠ ص ٣٩ ، الهمداني
١٣٨	الحاشية	الإكليل ج ١٠ ص ٦٩ ، الهمداني
١٣٩	الحاشية	تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان
١٤٠	الحاشية	عن مكان قتل سرور وزير الدولة النجاحية
١٤١	الحاشية	قلائد الجمن فى تاريخ عدن
١٤٢	الحاشية	الإكليل ج ١٠ ص ٩٩ ، الهمداني
١٤٩	الحاشية	«الديوان الشرقى للمؤلف الغربي»، جوته الشاعر الألمانى
١٤٩	الحاشية	ظهر الإسلام ج ١ ص ٦٢ ، أحمد أمين
١٥١	الحاشية	كتاب « تاريخ الصليحيين »
١٥٨	المتن	تاريخ عمارة
١٥٨	الحاشية	تحقيق عن كلمة عرى
١٦٦	الحاشية	تاريخ عمارة
١٦٨	المتن	تاريخ عمارة
١٧٠	المتن	تاريخ عمارة

الصفحة	الحاشية أو المتن	المصــدر
١٧٢	الحاشية	عن تحقيق وفاة أحمد المكرم وابنه
١٧٣	الحاشية	عن تحقيق وفاة أحمد المكرم وابنه
١٧٤	المتن	قلائد الجمن فى تاريخ عدن
١٧٤	الحاشية	عن المدارس فى اليمن
١٧٨	الحاشية	عن الأراضى الزراعية فى مصر ، والمدارس فى العهد النجاحى
١٨٦	المتن	تاريخ ابن المجاور الدمشقي
٢٠٠	الحاشية	الجواهر اللطاف ، محمد حيدر القبي
٢٠٠	الحاشية	صفة جزيرة العرب ، الهمداني
٢٠٢	المتن	اللآلىء المضيئة ، أحمد بن محمد الشرفي
٢٠٢	الحاشية	تاريخ مكة ، السباعي
٢٠٢	الحاشية	الجامع اللطيف ، ابن ظهيرة
٢٠٢	الحاشية	الجواهر اللطاف ، محمد حيدر القبي
٢٠٣	المتن	اللآلىء المضيئة ، أحمد بن محمد الشرفي
٢٠٣	المتن	تاريخ عمارة
٢٠٤	المتن	ديوان الحجوريين ، لابني أبي الحفاظ الحجورى تحقيق العقيلي
٢٠٤	المتن	اللطائف السنية ، الكبسي
٢٠٨	المتن	تاريخ الوشلي . مخطوط ج ٣
٢١٢	المتن	بغية المستفيد ، الديبع
٢٣٥	المتن	دائرة المعارف الإسلامية
٢٣٧	المتن	العقود اللؤلؤية ، الخزرجي
٢٤١	الحاشية	تاريخ ابن المجاور
٢٤٥	المتن	العقود اللؤلؤية
٢٤٧	المتن	تاريخ وطيوط . مخطوط
٢٥٥	المتن	العقيق اليماني
٢٦٢	المتن	بغية المستفيد ، الديبع
٢٦٣	المتن	ديوان الجراح بن شاجر
٢٦٤	المتن	العقيق اليماني
٢٦٩	المتن	ديوان الجراح بن شاجر

الصفحة	الحاشية أو المتن	المصـــدر
٢٧٨	المتن	العقيق اليماني
٢٧٩	الحاشية	البرق اليماني ص ٤٢
٢٨٢	المتن	تاريخ الواسطى
٢٩٢	الحاشية	العقيق اليماني
٢٩٣	الحاشية	العقيق اليماني
٢٩٩	المتن	الجواهر الحسان
٣٠٠	المتن	السلاف فى تاريخ صبيا والمخلاف ، النهازي
٣٠١	المتن	العقيق اليماني
٣١٨	المتن	ضحى الإسلام ، أحمد أمين
٣٢٠	المتن	مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني ضحى الإسلام
٣٢١	المتن	الملل والنحل ، الشهرستاني
٣٢٢	المتن	رسالة الحور العين ، نشوان الحميري
٣٢٢	المتن	تاريخ الشعوب الإسلامية ، بروكلمان
٣٢٦	المتن	تاريخ الشعوب الإسلامية ، بروكلمان
٣٢٨	المتن	الإكليل ج ١٠
٣٣٧	المتن	قصيدة البسامة لابن الوزير وشرحها للزحيف
٣٤٥	الحاشية	مجلة فتاة الجزيرة ـ نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية
٣٥٠	الحاشية	تاريخ اليمن ، الواسعى
٣٥٠	الحاشية	العقيق اليماني
٣٥٥	المتن	بغية المريد
٣٥٥	المتن	البدر الطالع ، الشوكاني
٣٥٦	المتن	البدر الطالع ، الشوكاني
٣٥٧	المتن	ديوان أحمد بن الحسين الركيحي
٣٨١	المتن	العقيق اليماني
٣٨٢	المتن	العقد المفصل بالعجائب والغرائب
٣٨٢	المتن	بغية المستفيد ، الديبع
٣٨٦	المتن	العقد المفصل
٣٨٧	المتن	تاريخ مكة ، السباعي

الصفحة	الحاشية أو المتن	المصــدر
٣٩٤	الحاشية	خلاصة العسجد ، البهكلي
٣٩٦	المتن	خلاصة العسجد
٤١٠	المتن	نزهة الظريف
٤١٣	الحاشية	الذهب المسبوك وهو نفس كتاب الديباج الخسروانى
٤١٥	الحاشية	نزهة الظريف ، البهكلي
٤٣٤	الحاشية	حاضر العالم الإسلامي ، لوثروب ستودارد
٤٣٧	الحاشية	العقيدة والشريعة فى الإسلام جولد تسيهر
٤٣٨	الحاشية	تاريخ الشعوب الإسلامية ، بروكلمان
٤٣٩	الحاشية	اكتشاف جزيرة العرب القسم الخاص «بركهات»
٤٧٨	المتن	وثيقة تاريخية « المكتبة العقيلية »
٤٩١	المتن	وثيقة تاريخية « المكتبة العقيلية »
٤٩٧	المتن	وثيقة تاريخية « المكتبة العقيلية »
٥٠٣	المتن	وثيقة تاريخية « المكتبة العقيلية »
٥١٩	المتن	وثيقة تاريخية « المكتبة العقيلية »
٥٢٦	المتن	صفة جزيرة العرب ، الهمداني
٥٢٧	المتن	معجم البلدان ، ياقوت الحموى
٥٥٢	المتن	الدر الثمين ، الحسن بن أحمد عاكش
٥٥٣	المتن	رسائل أمراء عسير (مقتنيات المكتبة العقيلية)
٥٦١	المتن	رسالة تاريخية من محمد بن عائض إلى حيدر بن علي
٥٦٢	ص	رسالة تاريخية من عائض بن مرعي إلى علي بن حيدر
٥٧٠	الحاشية	الدر الثمين
٥٧٧	المتن	الدر الثمين
٥٨٢	المتن	وثيقة تاريخية (المكتبة العقيلية)

استبيان أسماء الرجال

استبيان أسماء البلدان والدول والإمارات

[أ]

[خ]

[د]

[ن]

[ج]

[ح]

[خ]

[د]

[ر]

الكتب والدوريات التي ورد ذكرها

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا المخلاف السليماني وفي الحواشي

الجـــزء الثـــاني

٦٧٨ الحاشية مذكرات سليمان شفيق

٦٧٨ الحاشية منشور الإدريسي

٦٧٩ الحاشية منشور الإدريسي

٦٨٠ المتن مذكرات سليمان شفيق

٦٩٤ الحاشية مذكرات سليمان شفيق

٦٩٨ الحاشية عن تقييد اسم « القوز » وتعريفه

٦٩٩ الحاشية الرحلة اليمانية ، البركاتي

٧٠٠ الحاشية عن الطريق القديمة الموصلة بين جازان وصبيا

٧٠٠ الحاشية عن تل المنجارة

٧٠٣ المتن جريدة الأهرام عدد قديم من ذلك العهد وقد تآكلت أطرافها بحيث لم نتبين العدد والتاريخ

٧٠٦ المتن مذكرات سليمان شفيق

٧١٥ المتن مذكرات سليمان شفيق

٧٢٧ المتن ملوك العرب ، أمين الريحاني

٧٣٤ الحاشية جريدة عكاظ - العدد ٣ فى ٢٤ / ١٢ / ١٣٧٩

٧٤٤ المتن منشور إدريسي ، الإدريسي

٧٤٩ الحاشية تاريخ اليمن ، الواسعي

٧٥٠ المتن ملوك العرب ، أمين الريحاني

٧٥١ المتن ملوك العرب ، أمين الريحاني

٧٥٢ الحاشية ملوك العرب ، أمين الريحاني

٧٥٤ المتن رسالة من عبد العزيز بن مساعد آل سعود

٧٥٧ المتن أحد خدم الإدريسي ، منصور بن محمد

٧٥٩ المتن رسالة من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

٧٦٥ المتن رسالة تاريخية من الإدريسي

٧٦٩ المتن منشور إدريسي

٧٨٠ المتن رسالة من الإدريسي

٧٨٢ المتن رسالة من الإدريسي

٧٨٣ المتن رسالة من الإدريسي

٧٨٥ المتن بيان كشف حسابي - العهد الإدريسي

٧٨٦ المتن رسالة من الإدريسي

٩٠٩	المتن	اعتمدنا فى هذا الفصل ومابعده على مذكرات الشيخ تركي الماضي التى تفضل بإرسالها إليَّ رحمه الله
٩٠٩	الحاشية	عن عامل رجال ألمع مصطفى النعمي
٩١٥	الحاشية	عن محمد أمين الشنقيطي ووفوده إلى المنطقة
٩١٥	الحاشية	عن القاضي محمد بن على بن عمر الضمدي
٩١٦	الحاشية	عن المأمون المرغني الزعيم السوداني
٩١٦	الحاشية	عن القاضي علي بن إبراهيم بن عطيف النعمي
٩١٩	الحاشية	ملوك العرب ، الريحاني
٩٢٠	الحاشية	منشور إدريسي
٩٣٨	المتن	شخصية معروفة
٩٦٩	المتن والحاشية	رواية محمد حسين مغفوري شيخ الكربوس
٩٧٠	الحاشية	رواية يحيى محمد عطيف وحمد البسام
٩٧٦	الحاشية	عن الطريق القديمة الموصلة من جازان للمضايا
٩٧٨	الحاشية	عن « المضربية » معدن الملح بجازان
٩٩٢	المتن	من رواية حارس العابد الإدريسي المسمى « امطاعن »
١٠١٢	المتن	رواية الشيخ إبراهيم بن على شاجري
١٠١٦	المتن	رواية الشيخ على بن أحمد حكمي شيخ قبيلة الخرم
١٠١٧	المتن	رواية الشيخ على بن أحمد حكمي شيخ قبيلة الخرم
١٠٣٠	المتن	موظف البريد محسن زيلع
١١١٤	المتن	اليمن عبر التاريخ
١١٢٠	الحاشية	عن مطارحات بين الإمام إسماعيل المتوكل وعلماء عصره
١١٢١	الحاشية	عن الاختلافات المذهبية والنزعات الطائفية في جنوب الجزيرة
١١٧٠	الحاشية	عن التوقيت الغروبي والزوالي في المملكة
١١٩٣	الحاشية	عن خطاب ورد للمؤلف من أمير جازان وقائد حملة الريث سنة ٧٥

المصادر المخطوطة للكتاب

١ - أشعار للإدريسي، مخطوط يحتوى على أشعار الإدريسي ومدائحه بعضها بخط (على بن عطيف) وبعضها بخط عبد الوهاب الإدريسي

٢ - بغية المستفيد في تاريخ زبيد ، عبد الرحمن الديبع

٣ - تاريخ وطيوط ، وطيوط

٤ - تحفة الزمن ، عبد الرحمن الأهدل

٥ - الثناء الحسن فى تاريخ فضلاء اليمن إسماعيل الوشلي

٦ - الجواهر الحسان، الأسدي

٧ - حدائق الزهر ، الحسن بن أحمد عاكش الضمدي المتوفي ١٢٩٤ هـ

٨ - خلاصة العسجد في دولة محمد بن أحمد، عبد الرحمن بن الحسن البهكلي

٩ - الدر الثمين فى مناقب أمير المسلمين، الحسن بن أحمد عاكش

١٠- الديباج الخسرواني = الذهب المسبوك

١١- ديوان الحجوريين، السلطانين سليمان والخطاب الحجوريين

١٢- الذهب المسبوك فى ذكر من ظهر فى المخلاف من الملوك، الحسن بن أحمد عاكش

١٣- ذيل نفح العود ، الحسن بن أحمد عاكش

١٤- رسائل الإدريسي

١٥- رسالة بقلم محسن زيلع عن حركة العصيان والحزب الشريفي

١٦- رسالة بقلم القاضي محمد حسين حلوي (من رجال العهد الإدريسي)

١٧- رسالة بقلم منصور بن محمد يامي (خادم الإدريسي الخاص)

١٨- رسالة بقلم ناصر بن مفرح عداوي (ممن شهد العهد الإدريسي)

١٩- رسالة بقلم يحيى بن محمد عطيف عن حروب صامطة والحرث وغيرها

٢٠- شرح البسامة ، الزحيف.

٢١- صحائف الحلوى وأطباق المن والسلوى، ابن الوزير

٢٢- طيب السمر فى أوقات السحر ، الحيمي

٢٣- عبرة اللبيب. مخطوط ١٩٠ ص يحتوي على تاريخ الإسماعيلية، جابر الفهد المكرمي

٢٤- العقد المفصل بالعجائب والغرائب، على بن عبد الرحمن البهكلي.

٢٥- العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني، عبد الله بن علي النعمان الضمدي

٢٦- اللآلىء المضيئة، الشرفي

٢٧- اللامع اليماني، عبد الله العمودي

٢٨- اللطائف السنية، الكبسي

٢٩- مذكرات الشيخ تركى بن ماضي

٣٠- مطالع البدور ومجمع البحور، ابن أبى الرجال

٣١- منشورات سياسية، الإدريسي

٣٢- نزهة الظريف فى أخبار أبناء الشريف عبد الرحمن بن أحمد البهكلي

٣٣- نشر الثناء الحسن ، إسماعيل الوشلي المتوفى عام ١٣٤٩ هـ

٣٤- نفح العود فى أخبار دولة الشريف حمود، عبد الرحمن بن أحمد البهكلى

المصـادر المطبوعة للكتـاب

١ ـ الإكليل ، الهمداني

٢ ـ البدر الطالع ، الشوكاني

٣ ـ بحث للأستاذ حمد الجاسر نشر بمجلة اليمامة

٤ ـ تاريخ حضرموت السياسي ، البكري

٥ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ، بروكلمان

٦ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد على

٧ ـ تاريخ العرب ، جورجي زبيدان

٨ ـ تاريخ العرب لعصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع

٩ ـ تاريخ ايمن ، عمارة الحكمي

١٠ـ تاريخ اليمن، الواسعي

١١ـ التمدن الإسلامي ، جورجي زيدان

١٢ـ الجامع اللطيف ، ابن ظهيرة

١٣ـ خمسون عاما في جزيرة العرب ، حافظ وهبة

١٤ـ دائرة المعارف ، فريد وجدي

١٥ـ سبـل السـلام على بلوغ المـرام ، محمـد بن إسماعيل الصنعانى

١٦ـ شمس العلوم ، نشوان الحميري

١٧ـ صفة جزيرة العرب ، الهمداني

١٨ـ ضحى الإسلام ، أحمد أمين

١٩ـ الضوء اللامع ، السخاوي

٢٠ـ المختصر فى تاريخ البشر ، أبو الفداء

٢١ـ العقود اللؤلؤية ، الخزرجي

٢٢ـ غاية الأماني فى أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين القاسمي

٢٣ـ قلائد الجمن فى تاريخ عدن ، حسان أحمد عثمان

٢٤ـ قلب الجزيرة ، فؤاد حمزة

٢٥ـ ملوك العرب ، أمين الريحاني

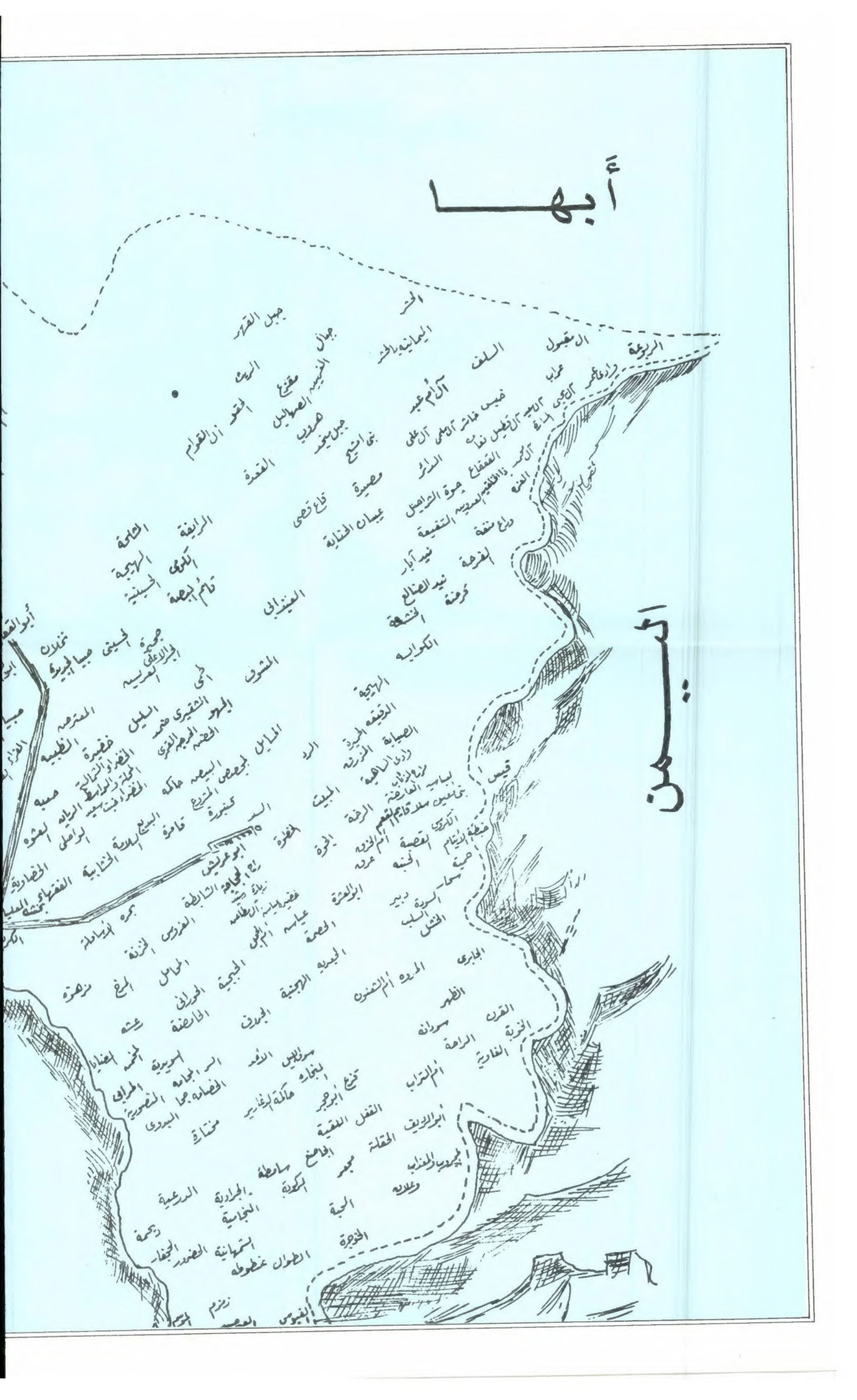
٢٦ـ اليمن بين ماضيه وحاضره د/ أحمد فخري



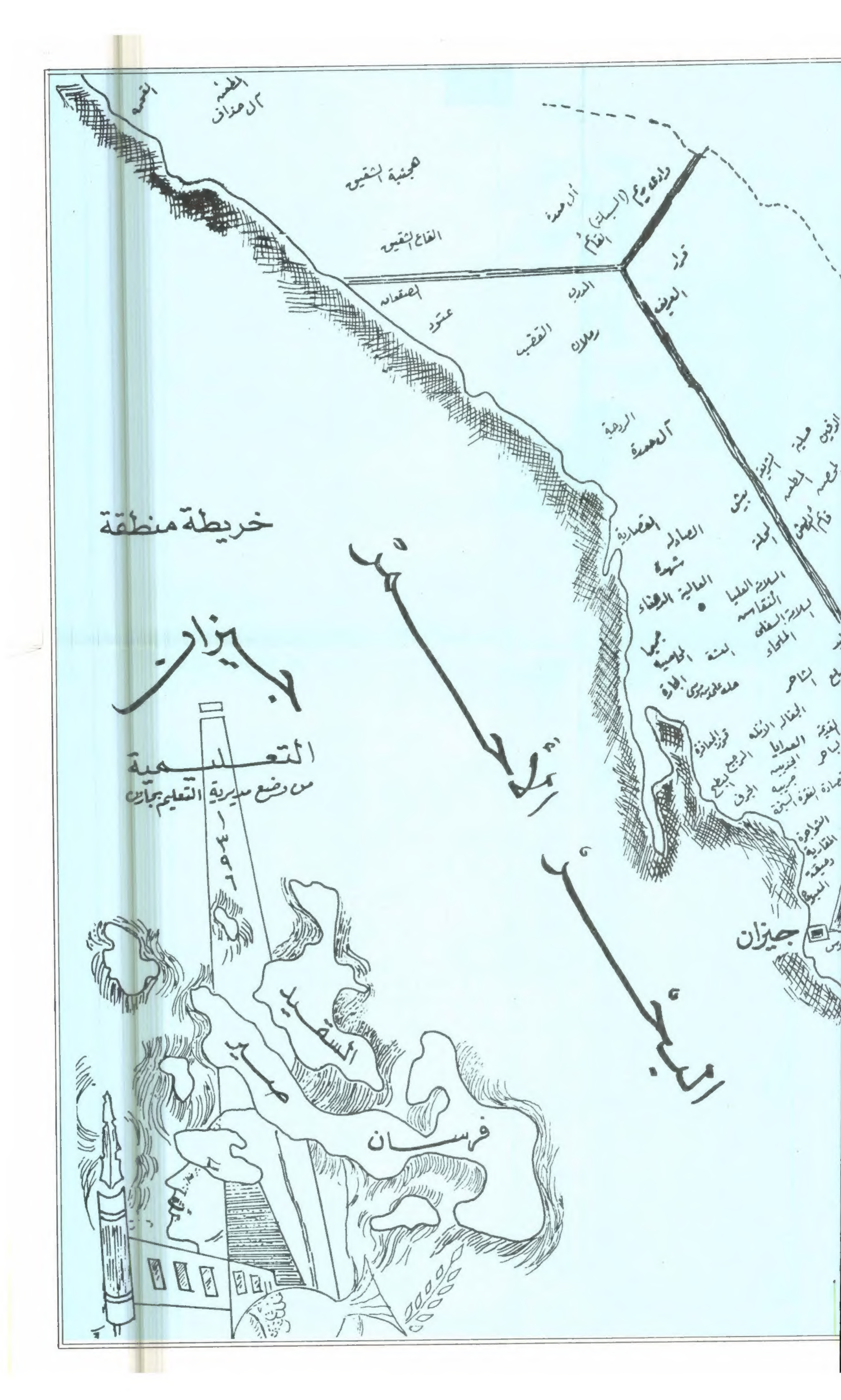
استبيان بأسماء الرواة
الذين عاصروا العهد الإدريسي

م	الاسم	تاريخ ميلاده	تاريخ وفاته
١	محسن جعبوري	١٣٠٥	١٣٦٧
٢	محمد فتح الله إسحاق	١٣٠٠	١٣٧٣
٣	محمد عطية قنش	١٣١٢	١٣٧٣
٤	أحمد عبده المش	١٣٠٠	١٣٧٥
٥	أحمد محمد طامي	١٣٠٢	١٣٧٥
٦	علي بن عطية قنش	١٣٠٩	١٣٧٥
٧	أمان بارزيق	١٣٠٦	١٣٧٨
٨	عبد الله بشيري	١٣٠١	١٣٧٩
٩	محمد شار	١٣٠٥	١٣٧٩
١٠	محسن مشاري	١٣١١	١٣٨٠
١١	ناصر بن مفرح عداوي	١٣١٦	١٣٨٥
١٢	علي بن جده	١٣٠٠	١٣٨٧
١٣	علي شيخ حكمي	١٣١٣	١٣٩٠

بما أن الأشخاص المذكورين بعاليه لم يكن في عهدهم يعتنى بتاريخ الميلاد ولا هم يهتمون بذلك ، وعند ما كنا نسأل أحدهم عن تاريخ مولده فيقول مثلا : قامت الثورة الإدريسية وأنا شاب ، أو وأنا فتي ، أو وأنا صبي ـ مع العلم أن ثورة الإدريسي قامت سنة ١٣٢٦ هـ ـ وعلى ذلك وضعنا التقدير التقريبي للميلاد ، أما الوفيات فهي أقرب إلى الصحة كما فهمنا من أقاربهم .



أبها
اليمن



خريطة منطقة
جيزان
التعليمية
من وضع مديرية التعليم بجازان
١٣٩٦
البحر الأحمر
فرسان
جيزان
عتود

كتب للمـــــــؤلف

م	عنوان الكتـــاب	موضـــوعه	تاريخ النشر	ملاحظـــات
١	المخلاف السليماني جـ ١	تاريخ منطقة جازان وجنوب الجزيرة	١٣٧٨ هـ	ط ٢ في ١٤٠٢
٢	المخلاف السليماني جـ ٢	تاريخ منطقة جازان وجنوب الجزيرة	١٣٨٠ هـ	ط ٢ في ١٤٠٢
٣	الشاعر الجازاني « ابن هتيمل »	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٨٠ هـ	
٤	الشاعر الجازاني « ابن شاجر »	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٨٥ هـ	
٥	ديوان السلطانين	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٧٤ هـ	ط ٢ في ١٤٠٣
٦	التصوف في تهامة	دراسة عميقة عن الصوفية والمتصوفة	١٣٨٩ هـ	ط ٢ في ١٤٠٣
٧	الانغام المضيئة	ديوان شـــعر	١٣٩٢ هـ	
٨	الادب الشعبي في الجنوب جـ ١	دراسة موسعة عن الشعر الشعبي	١٣٩٢ هـ	ط ٢
٩	الادب الشعبي في الجنوب جـ ٢	دراسة ونصوص	١٣٨٩ هـ	ط ٢
١٠	المعجم الجغرافي عن منطقة جازان	جغرافيا المنطقة	١٣٨٩ هـ	
١١	المعجم الجغرافي عن منطقة جازان	طبعة ثانية موسعة	١٣٩٩ هـ	
١٢	أضواء على الادب والادباء	دراسة وتراجم عن أدباء جازان	١٤٠٠ هـ	
١٣	محاضرات في الجامعات والمؤتمرات	محاضرات في الجامعات السعودية	١٤٠٠ هـ	
١٤	الآثار التاريخية في منطقة جازان	عن آثار المنطقة محلى بالصور	١٣٩٩ هـ	
١٥	نفح العـــود	تحقيق ودراســـة	١٤٠٢ هـ	ط ٢ في ١٤٠٦
١٦	أفاويق الغمـــام	ديوان شـــعر	١٤٠٢ هـ	
١٧	سوق عكاظ في التاريخ	دراسة عن سوق عكاظ	١٤٠٤ هـ	
١٨	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	حياته العلمية والعملية	١٤٠٤ هـ	
١٩	مذكرات سليمان شفيق باشا	دراسة وتحقيق	١٤٠٤ هـ	
٢٠	من أدب جنوب الجزيرة جـ ١	دراسة عن أدب وأدباء جنوب الجزيرة	١٤٠٤ هـ	
٢١	نجران في أطوار التاريخ	دراسة وتحقيـــق	١٤٠٥ هـ	
٢٢	معجم اللهجات المحلية	دراسة لغوية مقارنة	١٤٠٣ هـ	
٢٣	المعجم النباتي	عن النباتات في منطقة جازان	١٤٠٥ هـ	
٢٤	ديوان شعراء الجنوب (مشترك)			
٢٥	العقد المفصل للبهكلي	دراسة وتحقيق		
٢٦	عسير في أطوار التاريخ			تحت الطبع
٢٧	التاريخ الادبي لمنطة جازان			تحت الطبع
٢٨	العقد الثمين للحسن بن عبد الله	دراسة وتحقيق		تحت الطبع
٢٩	العقيق اليماني لـ عبد الله النعمان	دراسة وتحقيق		تحت الطبع
٣٠	نزهة الظريف	دراسة وتحقيق		تحت الطبع
٣١	راد الضحـــى	ديـــوان شـــعر		تحت الطبع
٣٢	جازان في العهد السعودى الزاهر	دراسة ومقارنة بين الماضي والحاضر		تحت الطبع
٣٣	معجم اللهجات المحلية جـ ٢			تحت الطبع
٣٤	من أدب جنوب الجزيرة جـ ٢			تحت الطبع
٣٥	التاريخ الادبي لمنطقة تهامة			تحت الطبع
٣٦	اضواء على ادب وادباء جازان جـ ٢			تحت الطبع



مطابع الوليد
ت: ٢٨٣٦٨٤١ - ٢٨٣٧١٨٦